أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٤١) محرم ١٤٤٠ هـ - سبتمبر ٢٠١٨ م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

الهِجرة رُؤيَة حضارِيّة

- المُؤثّرات العَربيّة في اللغةِ الإسبانيّة
- التّوبة في حِراسَةِ المجتمع
- ثقافَةُ التّشجِيع

جديدنا



الاقتصاد الإسلامي

هذا الكتاب رَائدٌ في طرحه، مُهمٌّ في موضوعه؛ حيث يتناول الاقتصادَ الإسلاميَّ، ويبحث في ماهيَّته ومَفهومه، وأُصوله وصِيَغه وتطوراته وآثاره في النظام المصرفيِّ، حيث إن المال هو شريان الحياة التنموي والمادي، كما أن الدِّين هو شريان الحياة الروحي والمعنوي. ويوضح الكتاب حاجة الاقتصاد الإسلامي إلى جهود المخلصين من العلماء وأهل الاقتصاد للنهوض به إلى المستوى المطلوب، مع مراعاة السَّير ضمن خطوات علميَّة مدروسة وجادة؛ للوصول إلى الهدف المنشود.

والكتابُ في أصله مقالات علمية تخصصية، نُشرَت في مجلة الوعي الإسلامي لثُلَّةٍ من المختصين والباحثين، ورأت المجلة إخراجه في هذه الحُلَّة؛ إتمامًا للفائدة.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الافتتاحية

الهجرة.. حدث غيّر مجرى التاريخ

ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم - وهي تتفيأ ظلال عام هجري جديد مليء بالتفاؤل والتطلعات للخروج من الفتن والمشكلات، وتجاوز العقبات والأزمات، ومواجهة التحديات والنكبات - ما أحوجها إلى أن تقرأ تاريخها.

نقرأ تاريخنا لندرك كيف كانت أحداث الهجرة ووقائعها الجسام نقطة تحول كبرى، ليس في تاريخ الأمة الإسلامية فحسب، بل في تاريخ البشرية قاطبة، ولنرى كيف كانت وقائعها منعطفا مهما غيّر مجرى التاريخ الإنساني برمته، ولنعلم كيف أرست أحداثها مبادئ الحق والعدل والأمن والسلام، وكم رسخت وقائعها منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان مضامين الحوار الحضاري الذي ينادي به العالم اليوم.

لا شك أن حب الوطن غريزة فطر عليها كل مخلوق، ومفارقة الوطن تترك في النفس اضطرابا مهما كانت الغاية من مفارقته. والإنسان عندما يفارق وطنه على أمل العودة يعلل نفسه بأنس اللقاء بعد الفراق، أما إذا لم يكن له أمل في العودة، فإنه يرى كل شيء بعين اليائس.

نعم، ليس هذا الشعور وذلك الإحساس مما يلام عليه الإنسان؛ لأنه جبلة خلق الإنسان بها، وإنما يلام عليه إذا أقعده عن واجب، وحال بينه وبين معالي الأمور.

لقد اختار الله سبحانه مكة لتكون محل بيته العتيق، وجعلها حرما آمنا؛ ففي رحابها يأمن الخائف، وبين جنباتها يجد الحائر السكينة. وإن تركها والهجرة منها أمر ثقيل على النفوس، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (العنكبوت:٦٧).

فالهجرة أسلوب من أساليب نشر الدعوة، وطريقة للمحافظة عليها، ولهذا كانت الهجرة سبيل الأنبياء من قبل نبينا محمد ﷺ؛ يرتادون فيها الأرض الخصبة التي تحتضن الدعوة، ويبحثون أثناءها عن البذور الطيبة الصالحة للإخصاب؛ فإبراهيم، عليه السلام، يبرز دعوة التوحيد فيحاربه قومه، فيترك بلده الذي ضاق به، ويودع أهله الذين تآمروا عليه ويهاجر إلى ربه، وقد وصف القرآن هجرته بقوله سبحانه: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ (الصافات:٩٨-٩٩).

وموسى، عليه السلام، يتآمر عليه فرعون، ويضايقه في دينه، فيأمره الله أن يترك هذا البلد الذي لم يستطع فيه تبليغ دعوته، وأن يهاجر بقومه إلى حيث يمكنه عبادة ربه وأداء رسالته، قال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ (الدخان:٢٣-٢٤).

فلم يكن نبينا محمد ﷺ أول من هاجر من الرسل، بل سبقه بالهجرة رسل كرام على الله، خرجوا بدينهم امتثالا لأمر الله عزوجل؛ فسنوا بذلك الهجرة لمن أتى بعدهم من الأنبياء والمصلحين، حتى لا يعتذر معتذر باضطهاد الظالمين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (النساء:٩٧).

وختاما: فإن هجرة النبي ﷺ وهجرة صحابته رضوان الله عليهم، ما كانت إلا على أساس ثابت، قائم على محبة الله تعالى ورضوانه، فأثبتوا للدنيا أجمع أنهم هاجروا لدينهم ولعقيدتهم، وليس للأهواء ولا للعصبيات؛ بل هو الهدف السامي القائم على العقيدة الصافية الصادقة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤١ / محرم ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
سبتمبر ٢٠١٨م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

د. تركي محمد النصر

هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



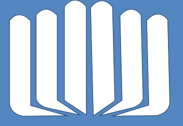
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



المحتويات



كلمة العدد

الهجرة إلى الحق

درس الهجرة النبوية يشع معارف ودروسا يستفيد منها كل إنسان، فقد يهاجر المسلم من أرض إلى أرض؛ طلبا للعلم، أو الرزق، أو الأمن، لأن «أرض الله واسعة»، ولكنه، إذا نظرنا إلى زاوية أخرى من زوايا الهجرة، قد يهاجر من حال إلى حال طلبا للصفح والغفران وتغيير السلوك، وهذه هجرة أخرى ينبغي على كل مقصر أن يتهيأ لها فيترك كل عادة ذميمة إلى أخرى حميدة، ويترك كل سلوك معوج إلى آخر مستقيم، ويترك كل تقصير إلى كل تمام مستطاع، مستعينا في كل هذا بالخلوة والتفكير ومحاسبة الذات.

الهجرة إلى الحق أحق من كل الهجرات، لأنها سبيل النجاة، فقد يهاجر المرء في زمننا الحديث فيجد وظيفة أفضل، ومعاشا أوفر، وسكنا واسعا، وكلها أمور لا بأس بها، لكنه ينسى في خضم هذا الصراع وهذه الملاحقة «إلى الأفضل» أن الحياة بكل ما فيها رحلة قصيرة واختبار، وأن الحياة الحقة هي دار الخلود، حيث المحاسبة على ما قدمناه.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. إدريس سلطان صالح
أستاذ جامعي
مصر

التربية من أجل السلام الاجتماعي

تشهد مجتمعاتنا العربية حاليا أحداثا متلاحقة وتطورات شاملة لمعظم جوانب حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي انعكست بدورها على ما يمتلكه شبابنا من معارف واتجاهات وقيم وأنماط تفكير جديدة قد لا تتفق مع طبيعة مجتمعاتنا، وتحمل في ثناياها أخطارا تهددها، وتؤثر في وحدتها وتماسكها، وتعوق جهود تنميتها وتطورها.

فالعالم اليوم أصبح أصغر وأقل سلاما وغير آمن للأجيال الحاضرة والمقبلة، حيث يمر ببيئة مليئة بالتوتر والعنف والقيم المتدنية والمظالم وتقليل التسامح واحترام حقوق الإنسان، وقد اتخذت ثقافة السلاح مركزا مهيمنا في معظم البلدان النامية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، مما يهدد مستقبل الشباب الذين يستحقون حياة سلمية، ونوعية أفضل للحياة، مما يحتم نشر ثقافة السلام لحل النزاعات[١].

ولما كان الشباب من أهم الثروات البشرية؛ فإن غالبية الاتجاهات المعاصرة في العلوم الاجتماعية والإنسانية اهتمت بدراسة أوضاع الشباب واتجاهاتهم وقيمهم وأدوارهم في المجتمع، ولعل السبب الرئيسي لمثل هذا الاهتمام يرجع إلى ما يمثله الشباب من قوة في المجتمع باعتبارهم شريحة اجتماعية تشغل وضعا متميزا في بنية المجتمع[٢]، حيث يمثل الشباب ثروة الأمة وكنزها الثمين، فهم طليعة التغيير المنشود، كما أن هذه الثروة المهمة إما أن تستثمر بشكل سليم نحو التطوير والبناء، أو أن تهدر من خلال سوء استثمارها؛ مما يؤدي بها إلى الضياع أو الفساد، من هنا أدركت الشعوب قديما وحديثا أهمية هذه الثروة، لكن بقيت عاجزة تجاهها في طريقة توظيفها وترشيد استثمارها[٣].

ولذلك؛ تتضح ضرورة اهتمام مجتمعاتنا بالتربية من أجل السلام الاجتماعي، وتزويد أطفالنا وشبابنا بثقافة السلام الاجتماعي التي تضمن مشاركتهم الفاعلة في المحافظة على وحدة مجتمعاتهم وتنميتها وتطويرها بطرق وآليات سليمة، ومبتعدة عن العنف والتطرف.

مفهوم السلام الاجتماعي

انطلاقا من معنى السلام بصفة عامة -والذي إما يعرف بغياب المظاهر السلبية مثل العنف، أو بحضور المظاهر الإيجابية مثل الهدوء، والاستقرار، والصحة، والنماء- يمكن أن نقترب من مفهوم السلام الاجتماعي، فكل مجتمع يتكون من مجموعة من البشر، مختلفون بالضرورة بعضهم عن بعض، سواء في انتمائهم الديني، أو المذهبي، أو موقعهم الاجتماعي، أو الوظيفي، ولكن يجمعهم جميعا ما يمكن أن نطلق عليه عقدا اجتماعيا، أي التزام غير مكتوب بينهم، يتناول حقوق وواجبات كل طرف في المجتمع، والخروج على هذا العقد يمثل انتهاكا لحقوق طرف، وإخلالا بالتزامات طرف آخر، مما يستوجب التدخل الحاسم لتصحيح الموقف.

فالسلام الاجتماعي إذن يعني غياب كل مظاهر العنف والقهر والخوف في المجتمع، فالسلام لا يعني فقط غياب الحرب، كما أنه ليس فقط ظاهرة سياسية، ولكنه يعبر عن عملية اجتماعية لها العديد من المستويات، والتي تتضمن السلام على مستوى العائلة، وعلى مستوى المجتمع، ثم على المستوى الإقليمي والدولي، كما يتناول أيضا السلام الداخلي، أي السلام مع النفس، وهذا النوع ضروري من أجل خلق عالم سلمي[٤].

وينظر إلى السلام الاجتماعي على أنه يتضمن معنيين: الأول: أيديولوجي؛ ويعني أن يعيش الإنسان حياته وهو متفق مع القيم والمعايير التي يصنعها المجتمع لأفراده، والتي تحضه على البعد عن جميع أشكال القيم السلبية المتعارف عليها محليا وعالميا، والثاني: سلوكي؛ حيث ينظر له على أنه أفعال وتصرفات أفراد المجتمع التي تحث على تكوين العلاقات فيما بينهم أيا كان السن أو النوع أو العقيدة.

فالسلام الاجتماعي يرتبط بكيفية توفير مجتمع يتجاوز كل مظاهر التفكك والتمرد والسخط، مع السعي إلى تحقيق أقصى إشباع ممكن لاحتياجات الجماهير، ومواجهة مشكلاتهم في إطار تطبيق أسس العدالة الاجتماعية التي تنبذ الصراع، وتوفر المناخ الملائم لكي يعيش الجميع في إطار من التقبل والتعاون والشعور بالأمن في يومه الذي يعيشه، وغده الذي ينتظره[٥].

أهمية السلام الاجتماعي

تبرز ضرورة تحقيق ودعم ثقافة السلام الاجتماعي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لما لها من أهمية كبيرة يمكن تلخيصها فيما يلي(٦):

- إن تحقيق السلام الاجتماعي بين فئات المجتمع وطبقاته يخفض من نزاعات التطرف والعنف السياسي والديني والطبقي نظرا لما يهيئه من توطيد للعدالة والفرص المتساوية لكل المواطنين دون تفرقة أو تمييز.
- إن تحقيق السلام الاجتماعي يؤدي إلى زيادة انتماء المواطنين لمجتمعهم، وزيادة الرغبة في المساعدة المتبادلة وسيادة قيم المشاركة والمسؤولية الاجتماعية والحفاظ على الملكية العامة وزيادة الإنتاج في المجتمع.
- إن تحقيق السلام الاجتماعي يؤدي إلى زيادة شعور الفرد بالعدالة والاطمئنان إلى حقوقه؛ فيزيد عطاؤه وتتحول مصالحه الفردية إلى الجماعية؛ مما يؤدي إلى زيادة مساهمته في شؤون المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

أركان السلام الاجتماعي

هناك عدة أركان للسلام الاجتماعي في أي مجتمع، تتمثل فيما يلي(٧):

- الإدارة السلمية للتعددية: تحولت التعددية إلى قيمة أساسية في المجتمعات المتنوعة، بشريا ودينيا وثقافيا، فالتعددية ظاهرة اجتماعية في كل المجتمعات، ويتوقف الأمر بشكل أساسي على إدارة التعددية بما يحفظ للجماعات المتنوعة التي يعيش بعضها مع بعض مساحة للتعبير عن تنوعها في أجواء من الاحترام المتبادل.
- الاحتكام إلى القانون: يمثل «حكم القانون» في المجتمع الحديث أحد أهم عوامل تحقيق المساواة والعدالة في العلاقات بين الأفراد والجماعات، ويعني حكم القانون أن الأفراد متساوون أمام القانون بصرف النظر عن الاختلاف في اللون أو الجنس أو الدين أو العرق، وأن مؤسسات العدالة تطبق القانون على الأفراد بحياد كامل بصرف النظر عن موقعهم الاجتماعي، أو انتمائهم الديني، أو نفوذهم السياسي، وأن تنفذ الأحكام الصادرة عن مؤسسات العدالة بحزم دون تسويف أو تأخير.
- الحكم الرشيد: الحفاظ على السلام الاجتماعي في أي مجتمع يحتاج إلى حكم رشيد، ويعني الحكم الرشيد مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تتضمن المساءلة والشفافية والتمكين والمشاركة، ومحاربة الفساد.
- حرية التعبير في حدود القيم الإسلامية: لا يتحقق السلام الاجتماعي دون أن تتمتع كل مكونات المجتمع بمساحات متساوية في التعبير عن آرائها، وهمومها، وطموحاتها، دون استبعاد لأحد؛ بهدف الوصول إلى الأرضية المشتركة التي يلتقي عندها الجميع.
- العدالة الاجتماعية: تعد العدالة الاجتماعية ركنا أساسيا من أركان السلام الاجتماعي، ولا يمكن أن يتحقق سلام اجتماعي في أي مجتمع إذا كانت أقليته تحتكر كل شيء، وغالبيته تفتقر إلى كل شيء.
- إعلام يهدف إلى تعزيز قيم المواطنة: يحتاج المجتمع إلى إعلام تعددي، يساعده على ممارسة التعددية، ويكشف الأمراض الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ بهدف معالجتها والنهوض بالمجتمع، ويقصد بإعلام المواطنة أن تجد هموم المواطن مساحة في وسائل الإعلام، وتتنوع هموم المواطن حسب موقعه الاجتماعي والديني والسياسي والثقافي في المجتمع.
- العمل المشترك: التأكيد على أسس سليمة من التجانس، والتلاحم، والاحترام المتبادل، حيث يحتاج المجتمع إلى تأكيد مستمر على ذاكرة العمل المشترك، وتذكر لحظات الوحدة، دون أن يكون هاجس كل الأطراف هو الحديث عما يفرق الجماعة ويبعثرها.

الإسلام والسلام الاجتماعي

اهتم الدين الإسلامي اهتماما شديدا بالسلام الاجتماعي، وجعله من مهمات الدين وأساسيات الشريعة الحنيفة؛ لارتباطه الوثيق بالمنفعة العامة للأمة الإسلامية ومصالح العباد، ومن أول وأهم مبادئ السلام الاجتماعي نبذ الظلم والاعتداء على الآخرين، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧)، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المائدة:٥١)، وقال: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (المائدة:٨٧).

وقد ورد عن النبي ﷺ العديد من الأحاديث الجامعة التي تساعد المسلمين على إرساء قواعد السلام الاجتماعي والمحافظة عليه وعدم الظلم والاعتداء، فقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (رواه مسلم) يأتي هذا الحديث ليرسم للمسلم

منهجا تربويا قائما على نبذ الظلم والشح، وبيانا لعاقبتهما في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا سفك الدماء واستباحة المحارم وانعدام الأمن والسلام بين الناس، وفي الآخرة ملاقاة العذاب والظلمات، فالإسلام لا يوجد إلا في ظل إقامة العدل بين الناس ومع النفس، والإسلام لا يكون إلا بالتسامح والعطاء وإرساء مبادئ السلام في المجتمع.

التربية والسلام الاجتماعي

تساهم التربية بدور كبير في بناء ودعم السلام الاجتماعي في المجتمع، وعن طريقها يمكن تدعيم قيم المواطنة بين الشباب، وتعزيز قيم الديموقراطية وحقوق الإنسان واحترام الآخرين، وتنمية قيم المشاركة والعمل التطوعي، وتفعيل قيم الحوار المجتمعي، وذلك من خلال ثلاثة محاور[٨]: المحور المعرفي الذي تقدم فيه حقائق ومفاهيم ومعلومات غرضها توسيع المدارك حول إيجابيات السلام وأخطار العنف وأشكاله ونتائجه السلبية على الفرد والمجتمع والعالم، والمحور الثاني الذي يركز على تشكيل المواقف والاتجاهات نحو تفضيل السلوك السلمي، والمحور الثالث الذي يركز على تنمية قدرات ومهارات استخدام وتطبيق الاستراتيجيات والأساليب التي تساعد في حل الخلافات وتجنب العنف.

وفي ضوء ذلك أصبحت التربية مطالبة بالاستجابة لمتطلبات السلام الاجتماعي، والعمل على تحقيق الأهداف المرتبطة بتنميته ودعمه في مجتمعاتنا، ومنها[٩]:

- تعزيز ونشر القيم الإنسانية المشتركة كالتسامح، وتقبل الآخر والتعاون والعمل الجماعي، ومساعدة الآخرين واحترامهم، والتعايش السلمي والتفاهم المتبادل، والحوار القائم على احترام الآخر.
- بناء المواطن الذي يؤمن باحترام حرية الإنسان وحقوقه الأساسية، بما ييسر التفاهم والتسامح والوئام بين كافة الأمم وجميع الفئات العرقية والدينية والثقافية داخل المجتمع الواحد.
- تنمية المهارات الداعمة لاستقلالية الرأي والتفكير النقدي؛ لإعداد الطلاب للتكيف مع المواقف الصعبة وغير المتوقعة، مع تحقيق التوازن بين الاستقلالية الفردية والتشاركية الجماعية في حل المشكلات لتحقيق مجتمع قائم على السلام والديموقراطية والتعاون البناء.
- تنمية القدرة على تقبل التنوع البشري والاختلاف الثقافي والعقائدي والسياسي، مع العمل على تنمية مهارات الاتصال والتواصل والتفاوض والوساطة.
- تنمية مهارات حل المشكلات والبحث عن بدائل مختلفة للمشكلة الواحدة.
- بناء المواطن القادر على المساهمة بإيجابية في تنمية وازدهار ورقي وطنه والمساهم بفعالية في تحقيق مظاهر ومعالم السلام الإيجابي.

الهوامش

١- تغريد عبده الحجلي (٢٠١٧م)، (الشباب وبناء السلام الاجتماعي)، متاح عبر الموقع الإلكتروني http://tfpb.org/?p=246

٢- مجدي فاوي أبو العلا (٢٠٠٧م)، العلاقة بين البرنامج في طريقة خدمة الجماعة وتنمية قيم ثقافة السلام الاجتماعي لدى جماعة البرلمان الشبابي، (المؤتمر العلمي الدولي العشرون للخدمة الاجتماعية)، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر، المجلد٣، ص١١٨٦-١٢٣٩.

٣- مؤمن صبره محمود (٢٠١٦م)، استخدام برنامج إرشادي للتدخل المهني مع جماعات الشباب الجامعي وإعدادهم لحياة ما بعد ثورة ٢٥ يناير، رسالة ماجستير، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، مصر.

٤- أشرف عبدالوهاب (٢٠٠٦م)، (التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير)، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص:٨٢.

٥- علي عبدالله محمد (٢٠١٢م)، تصور مقترح من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحقيق السلام الاجتماعي لدى الشباب الجامعي، (المؤتمر العلمي الدولي الخامس والعشرون)، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مصر.

٦- عبدالنبي أحمد عبدالنبي (٢٠١١م)، فاعلية برنامج للتدخل المهني من منظور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في تنمية وعي الشباب بثقافة السلام الاجتماعي، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد ٣٠، الجزء ٤، ص١٧٦٨-١٨١٤.

٧- سامح فوزى (٢٠٠٨م)، مشروع السلام الاجتماعي في المجتمع المصري، الجيزة، مركز ماعت للدراسات الحقوقية والدستورية، ص٩.

٩- ناهد الخراشي (٢٠١٦م)، المناهج الدراسية وأثرها في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب، (المؤتمر الدولي السابع والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، القاهرة، وزارة الأوقاف.

١٠- أمل أحمد حسن محمد (٢٠١٤م)، (برامج التربية من أجل السلام بالتعليم قبل الجامعي في بعض الدول وإمكانية الاستفادة منها في مصر)، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، العدد ٥٦، ص١٦١-٢٢٤.

حسن خلف مصطفى
باحث دراسات إسلامية
مصر

الإيجابية في المجتمع الإسلامي

يظن كثير من الناس أن الإسلام يحب السلبية، والركون إلى الواقع مهما كان شدة هذا الواقع وظلمه وقسوته على الناس ولا يريدون رفعه عن أنفسهم، مع أن ذلك سهل ميسور، إن هم أرادوا ذلك، ولكنهم لا يريدون بحجة أن الإسلام يدعو إلى ذلك.

نتج هذا الفهم عن فهم خاطئ لبعض النصوص الإسلامية التي تدعو إلى الزهد في الدنيا والحث على التقليل من متاعها ومما ساعدهم على هذا الفهم أيضا نظرة كثير من الدعاة والعلماء الكرام الذين يحدثون الناس عن أحاديث فضل الفقر وتزهيدهم في الدنيا، لأن الفقراء فقط من يدخلون الجنة وأن الأغنياء لا يدخلون الجنة إلا بعد فترة من الزمن، مستدلين على ذلك بحديث سيدنا أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها من المساكين وأصحاب الجد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار»[1].

من أجل ذلك كان لزاما علينا أن نعيش فقراء مساكين حتى يتسنى لنا دخول الجنة قبل الأغنياء.

ما هذا التفكير العجيب للسنة النبوية المطهرة؟!

إن هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي تحث على الزهد وتدعو إلى التقليل من متاع الحياة الدنيا لا يفهم منها هذا الفهم الذي يكره الغنى ويحب التسول وأن نعيش عالة على غيرنا، بل هي دعوة إلى الغنى بكل المقاييس، هي دعوة لأن يكون المسلم أغنى أغنياء العالم ولا يسبقه إلى الغنى أحد.

النبي ﷺ يدعو الناس في هذا الحديث إلى العمل والجد والغنى، ولكن رغم ذلك ينبغي ألا تشغلهم الدنيا وتتمكن من قلوبهم، بل ينبغي أن يكونوا أغنياء في الدنيا ثم ينفقوا أموالهم في سبيل الله وهذا ما فعله سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حينما جاء بماله كله لرسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله هذا مالي كله فقال له النبي ﷺ: وماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟ فقال رضي الله عنه: تركت لهم الله ورسوله[2].

ونجد هذا الفهم أيضا عند سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما جهز ثلث جيش العسرة، وجاء بمال وفير ووضعه في حجر النبي ﷺ فأخذ النبي يقلبه وهو يقول: «لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم»[3].

هل لعاقل من المسلمين أن يتصور أن الفقراء يدخلون الجنة قبل أبي بكر رضي الله عنه، أو قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه، أو قبل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أو قبل أكابر الصحابة الأغنياء رضي الله عنهم أجمعين، بحجة أنهم أغنياء؟!

لا يمكن لعاقل أن يتصور هذا الفهم السقيم، فضلا عن أن يقوله.

إذا ثبت هذا الفهم للحديث الشريف فما معنى الحديث؟ وما سر حبس الأغنياء وعدم دخولهم الجنة؟

والمعنى المراد من الحديث هو أن أصحاب الجد محبوسون، لأنهم جمعوا أموالهم من الحرام والحلال، أو هم الذين لم يؤدوا حق الله في هذا المال من زكاة ونفقة في سبيل الله، أو هم من أصبحوا أغنياء على حساب الفقراء فمنعوا الفقراء من أموالهم حتى يكونوا أغنياء، فجاء العقاب من الله لهؤلاء الأغنياء أنهم محبوسون للحساب في الوقت الذي دخل فيه الفقراء الجنة، وذلك أيضا عقاب للأغنياء وهم يرون الفقراء الذين كانوا يظلمونهم في الدنيا يدخلون الجنة قبلهم، وكان هذا المال وبالا عليهم فتدخل الحسرة في قلوبهم.

هذا هو الفهم الصحيح للحديث الذي تدعمه الأدلة الكثيرة كقوله ﷺ: «نعم المال الصالح للعبد الصالح»[4]. وقوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[5].

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك»[6].



الهوامش

١- متفق عليه.
٢- سيرة ابن هشام.
٣- سيرة ابن هشام.
٤- رواه أحمد وغيره.
٥- رواه مسلم.
٦- رواه الترمذي.

د. محمد عزب
أستاذ مشارك بكلية العلوم الإسلامية
مصر

التوبة في حراسة المجتمع

التوبة هي المنزلة العظيمة التي جعلها الله تعالى منحة منه لعباده حين تزل بهم القدم أو تغلبهم نفوسهم، أو تتغلب عليهم طبيعة النسيان التي جبلوا عليها وركبت في طبائعهم، وقد شرعها الله تعالى لا لتكون إذنا بارتكاب القبائح، أو دعوة لركوب سفينة الهوى، أو جرأة للعاصي يفعل ما يريد اتكاء عليها وركونا إليها.

دعا الله تعالى المؤمنين جميعا إلى التوبة، فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)، وذكر سبحانه أن محبته تكون لأهلها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، يقول ابن القيم: «لم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه، ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان؛ لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم، فجميع ما يتكلم فيه الناس من المقامات والأحوال هو تفاصيل التوبة وآثارها»[١]. والفرح المقصود هو ما ورد في قول النبي ﷺ: «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله. قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده...»[٢].

ووصف ﷺ باب التوبة، كيف تتسع حدوده ويطول زمانه، فقال: «إن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه سبعون، أو أربعون عاما، فتحه الله عزوجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، ولا يغلقه حتى تطلع الشمس منه»[٣]، وهذا الاتساع الذي يفوق التصور، وهذا الزمن الذي يسع الخليقة بأكملها يدل على فضيلة التوبة وعظم شأنها ومنزلتها.

مفاهيم مغلوطة

يظن بعضهم أن التوبة باب طمأنينة للعاصي للتجاسر على انتهاكها، وكسر حاجزها، والاستهانة بفعلها، لكن حين ننظر في معناها وشروطها نجد أن التعاطي معها يحرس المجتمع، ويطوي عليه بساط الأمن، ويجعل من رقابة النفس سلطانا يردع المرء قبل أن تردعه الزواجر والحدود.

حين نقارن بين موقف آدم عليه السلام وموقف إبليس لعنه الله؛ نجد أن الفاصل بين الخير الذي أكرم الله به آدم عليه السلام، وجعل له ذرية من الأنبياء والصالحين؛ هو التوبة، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧)، أما إبليس الذي جعل في ذريته المردة والشياطين فكان الإباء منه ابتداء، والإصرار انتهاء، فجعل شيطانا رجيما، وحق عليه الوعيد الرباني: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الحجر:٣٥)، فلو تخيلنا أن إبليس استجاب للأمر الشرعي بالسجود، أو التوبة من الإباء بعد العصيان؛ فكيف كانت تسير الحياة على وجه الأرض صلاحا واستقامة؟! ولكن كان أمر الله في إبليس قدرا مقدورا لا مرد له، ثم انظر بعد إلى نجاة أعداد لا تحصى بتوبة آدم، وانسداد أبواب شر لا تعد، ووراثة الصالحين من ذريته من بعد الحياة جنة النعيم، ثم انظر إلى ما فتح من أبواب الشر بعصيان إبليس واستكباره وإصراره، ووراثة آله وأتباعه الجحيم.

حين ذكر النبي ﷺ قصة ذاك الذي قتل تسعة وتسعين نفسا: «فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مئة». فلما سد عليه الراهب باب التوبة، ظل سادرا في فساده، ولم يتورع عن قتله وهو ممن يرجع الناس إليه في شدائدهم وأمورهم، لكن استهان به القاتل

> **أمر التوبة ليس لارتكاب الفواحش وأكل الحقوق**

تحت وطأة الذنب الذي لا توبة منه، بل الاستهانة بقتل من لقيه من الناس حتما كانت ستقع بعد أن قنطه الراهب من التوبة.

قال: «ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء فانطلق...الحديث»[٤].

فتأمل كيف أن العالِم لما فتح عليه باب التوبة أمن المجتمع قاطبة منه، وحفظ دماء أفراده كلهم، ولو استعظم فعله وصنع صنيع الراهب وأغلقها عليه لقتله، وظل يفعل كذلك بكل من ظفر به إلى أن يظفر به، فحفظت بالتوبة الدماء، وأمن المجتمع، لكن العجب ممن لايزال يعيش بفكر الراهب لا بفكر العالم؛ فيستبعد أمر توبته، ويعجب ممن يرويها استثقالا واستبعادا، وكأنه يريد له أن يفني من وقعت عليه عينه أو طاله سيفه الباتر؛ دون النظر إلى أثر توبته؛ ثم الله يثيب من ظلمهم ويعوضهم عن موتهم غيلة وظلما.

إن إبليس لما أيس من التوبة شغل نفسه بجعل الناس كلهم هلكى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٧)، ولو طلبها أو ظن أنه على رجاء منها ما سعى لإضلال أحد.

لقد اشترط المولى عزوجل للمغفرة البعد والكف عن الكبائر فقال: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾ (النساء:٣١)، فمن أذنب ذنبا وأراد أن يتوب منه ويغفر له بعده فليكف ولينته، فإنما شرعت التوبة طهارة للنفس، وتضمنت في فضائلها للمتأمل صونا لأموال الناس وأعراضهم ودمائهم. قال الضحاك: «ثلاثة لا يستجاب لهم، فذكر منهم: رجل يأكل مال قوم وهو ينظر إليهم، ويقول: يارب، اغفر لي ما أكلت من مالهم. فيقول الرب: رد إليهم مالهم فأغفر لك وإلا فلا»[٥]، فليس للسادر في غيه المواصل على معصيته مغفرة.

كما أن أمر التوبة ليس لارتكاب الفواحش وأكل الحقوق، بل كف وندم، وعود وانتهاء، وطالما استشعر المذنب أنه يمكن أن يغفر له؛ فإنه قمين بأن يرجع وأن يكف، لا أن يتحول إلى رجل قنوط يأكل ما طالته نفسه، ويستحل ما وقعت عليه يداه.

إن من أخص شرائط التوبة في حقوق العباد رد مظالمهم وما استلب من أموالهم، فالتوبة جبر الكسور، ورد الحقوق ومسامحة تجري بين المتخاصمين. قال الجنيد: «التوبة: أولها الندم. وثانيها العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى الله عنه. وثالثها السعي في أداء المظالم.

وقال سهل بن عبد الله: «التوبة: ترك التسويف»[٦]، فالتوبة مبادرة وإقلاع ورد الحقوق، وجعل الذات رقيبة وحارسة، قبل رقابة المجتمع وقوانينه الزاجرة، ومن جعل من نفسه رقيبا على نفسه أمن عليها، وأمنه الناس أجمعون.

وانظر إلى ذاك الرجل الذي نزلت منه التوبة منزل الحصن الذي تحصن به، وحصن بها النبي ﷺ الناس من غدراته وفجراته، فقد جاءه ﷺ رجل وقال: «أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئا، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال: «فهل أسلمت»؟ قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن» قال: وغدراتي وفجراتي. قال: «نعم» قال: الله أكبر، فمازال يكبر حتى توارى»[٧].

إن خير الناصحين من سعى في حراسة المجتمع بتذكير الناس بالتوبة وتأميلهم فيما عند الله، فربما عاد فاحش عن فحشه، وقاطع عن هجره، وظالم عن ظلمه، فأمن المجتمع مفاسد وشرورا لا تحصى يفعلها المذنبون، رجاء توبة الباري عليهم.

التوبة مبادرة وجعل الذات رقيبة على النفس قبل المجتمع

الهوامش

١. انظر: مدارج السالكين:٣٠٦/١.
٢. متفق عليه.
٣. حديث حسن، أخرجه الترمذي (٣٥٣٥) وأحمد (١٨٠٩٥).
٤. مسلم برقم: (٢٧٦٦).
٥. الزهد، لهناد بن السري: ٤٥٥/٢.
٦. الرسالة القشيرية ٢٠٨/١.
٧. رواه الطبراني.

التحرير

وكيل الأوقاف: «الوعي الإسلامي» منهل علمي لنيل شهادات الماجستير والدكتوراه



تعد مجلة «الوعي الإسلامي» منبرا مستنيرا لطرح قضايا أمتنا الإسلامية ومناقشتها، كما تساهم في النهضة الفكرية والتنموية التي تتطلبها الأمة عبر خطاب شرعي معتدل يجمع كلمة المسلمين، ما جعلها منارة يقصدها طلاب العلم عموما، وطلاب الدراسات الأكاديمية العليا خصوصا.

وقد تتابعت الرسائل العلمية عن مجلة «الوعي الإسلامي»، حيث سجل عدد من الطلبة العرب، رسائل لنيل شهادات الماجستير والدكتوراه، متخذين مساهمات المجلة موضوعا لهم.

وفي هذا الصدد، قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد أسد عمادي، إن مجلة «الوعي الإسلامي»، التابعة لقطاع الثقافة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بما وفرته من معلومات دقيقة وموضوعات أدبية رفيعة، كانت منهلا لنيل درجات علمية لعدد من الباحثين في الوطن العربي.

وأشار إلى أن «الوعي الإسلامي» حرصت في موادها على أن تكون رائدة في العمل الإسلامي محليا وعالميا، فرسالتها المستمدة من رسالة وزارة الأوقاف، تقوم على ترسيخ قيم الوسطية والأخلاق الإسلامية، ونشر الوعي الديني والثقافي، والعناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وتعزيز الوحدة الوطنية، لتصبح عامل



بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بجرجا
الدراسات العليا ـ قسم الأدب والنقد

خطة بحث بعنوان

القصة القصيرة في مجلة الوعي الإسلامي

من العام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م : ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

(دراسة تحليلية فنية)

مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد

مقدمه من الباحث

محمد عبد الناصر محمد العنتبلى

المدرس المساعد بقسم الأدب والنقد بالكلية

إشراف

الأستاذ الدكتور	الأستاذ الدكتور
على أحمد عبد الهادى الخطيب	عصمت محمد أحمد رضوان
أستاذ الأدب والنقد المتفرغ	الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية بجرجا	في كلية اللغة العربية بجرجا
مشرفاً رئيساً	مشرفاً مشاركاً

جذب لمزيد من الأبحاث العلمية، منها على سبيل المثال لا الحصر، دراسة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في الأدب والنقد قدمها الباحث في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر محمد عبدالناصر العنتبلي، وكان موضوعها «القصة القصيرة في مجلة الوعي الإسلامي» وقد نال الدرجة العلمية بالفعل تحت إشراف كل من الأستاذ الدكتور علي أحمد الخطيب، أستاذ الأدب والنقد (رئيسا)، والأستاذ الدكتور عصمت محمد رضوان الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا، ودراسة أخرى لنيل درجة الماجستير قدمها الباحث راني بن عايد الثبيتي بكلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، تحت عنوان «مجلة الوعي الإسلامي ودورها في خدمة الثقافة الإسلامية»، وقد أمدت المجلة الطالب بما يحتاج إليه من كتب طبعتها وفهارس وكل ما طلبه لإعانته على إنجاز خطة بحثه.

وعن مجلة «براعم الإيمان»، التي خصصتها مجلة «الوعي الإسلامي» لمخاطبة الأطفال بأسلوب قصصي مصور شائق، أكد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد عمادي أن «براعم الإيمان» حظيت بما حظيت به المجلة الأم «الوعي الإسلامي» من اهتمام طلبة العلم، فتحت عنوان «مجلات الأطفال الكويتية ودورها في بناء الطفل المسلم» نال الباحث طارق أحمد البكري درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، بعد أن أجازت بحثه كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت ـ لبنان.

كذلك نالت الطالبتان ابتسام أفرور وإيمان أولاي درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عن رسالتهما الجامعية بعنوان «القصص الموجه للأطفال في مجلة براعم الإيمان: دراسة تحليلية فنية» والمسجلة بجامعة «أمحمد بوقرة بو مرداس» في جمهورية الجزائر.

ومما لاشك فيه أن انجذاب الباحثين لمجلة «الوعي الإسلامي» هو نتيجة لتنمية المجلة للوعي الإسلامي بمفهومه الشامل، وتعزيز الانتشار الثقافي، وتأكيد الهوية، وتعزيز الشعور بالانتماء للأمة، وبناء نموذج متميز للإعلام الإسلامي الهادف، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والرد على الشبهات بالدليل العلمي، ودراسة المشكلات المعاصرة وطرح الحلول والبدائل، واستقطاب الكتاب





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة امحمد بوقرة بومرداس
كلية الحقوق- بود واو

القصص الموجهة للأطفال
في مجلة براعم الإيمان
دراسة تحليلية فنية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:	إشراف الدكتور:
* ابتسام افرور	سعيد بهون علي
* إيمان أولاي	

السنة الجامعية: ٢٠١٧/٢٠١٨

والمحررين المتميزين لتطوير المجلة للأفضل، والاستفادة من التقنيات الحديثة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة.

لقد استطاعت مجلة «الوعي الإسلامي»، التي بلغت أعدادها ٦٤١ عددا حتى الآن، بفضل الله ثم بالجهود المخلصة للعاملين فيها، أن تتقدم لتعلن نفسها في مصاف المجلات العالمية التي انتشرت فيما يزيد على ٣٠ دولة حول العالم، وتعلن أن إصداراتها العلمية والثقافية والاجتماعية والطبية قد تجاوزت ١٧٠ إصدارا.

يذكر أن اللبنة الأولى لمجلة «الوعي الإسلامي» وضعت بقرار مبارك من مجلس الوزراء الكويتي في ٢٨سبتمبر ١٩٦٤م، لتشكل انطلاقة لنافذة إعلامية إسلامية وسطية تطل على أمتنا الإسلامية غرة كل شهر عربي، حاملة بين دفتيها تنوعا علميا تخصصيا وثقافيا واجتماعيا وحضاريا قل نظيره عند غيرها من المجلات العربية والعالمية، حيث مازالت المجلة تنتهج نهجها الوسطي منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان، إذ صدر عددها الأول غرة محرم عام ١٣٨٥هـ الموافق لشهر مايو من عام ١٩٦٥م.

نادر أبو الفتوح
صحفي مصري

الداعية الوسطيّ ومواجهة الفكر المتشدد

يحتاج العالم الإسلامي في الفترة الحالية، التي تشهد كثيرا من التحديات، إلى أئمة ودعاة لديهم القدرة على مراعاة الواقع وتصحيح المفاهيم والتواصل مع الشباب، يتحقق ذلك من خلال التدريب والتأهيل وعقد الدورات العلمية للأئمة والدعاة، وتناول القضايا التي تمس الواقع وتعبر عن هموم الناس. وينظر الجميع للأئمة والدعاة والعلماء على أنهم ورثة الأنبياء، بما يحملونه من علوم شرعية تمكنهم من استنباط الأحكام، وتوجيه الناس للفضيلة والطريق القويم.

ويحتاج الأئمة والدعاة إلى الكثير من الوسائل التي تمكنهم من مراعاة الواقع، والتأثير في الناس، وحمل قضايا الوطن والدين. ولعل أهم هذه الوسائل تتمثل في التدريب والتأهيل، وتوافر المراجع العلمية، ودعم من المؤسسات المعنية، فضلا عن الاجتهاد العملي والسمات الشخصية، التي تجعل الناس يقطعون مسافات طويلة لتلقي العلم من هذا الإمام والخطيب المتميز.

رسالة وليست مهنة

يقول العميد السابق لكلية الدراسات الإنسانية في جامعة الأزهر الدكتور نبيل السمالوطي، إنه في كل الندوات العلمية التي يشارك فيها، أو يلقي محاضرة على الأئمة والدعاة، ينصحهم بأن يكون عملهم رسالة وليس مهنة، لأن الدعوة هي أفضل رسالة، والعلماء هم ورثة الأنبياء؛ لأنهم ورثوا منهم العلم، ولذلك كل المشتغلين بالدعوة عليهم أن يضعوا أمام أعينهم قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (النساء:٨٣)، وهذه الآية الكريمة تبين مكانة العلماء الذين يستنبطون الأحكام الفقهية، ودورهم في توجيه الناس وإرشادهم إلى الحق، وهذا يتطلب من الدعاة أن يكونوا أصحاب رسالة لا أصحاب مهنة، وألا ينظر الداعية إلى المقابل المادي الذي يحصل عليه، حتى لو كان قليلا، ويجب أن يضرب المثل الأعلى للناس، في الزهد والقناعة، وترتيب الأولويات والعمل على تطوير القدرات.

تأهيل الأئمة ضرورة لمراعاة الواقع والتواصل مع الشباب ونشر الوسطية

الاجتهاد وحب التعليم

وفي سياق متصل، يشير الشيخ محمد عبدالرازق، وكيل أول وزارة الأوقاف المصرية سابقا، إلى أن الدعاة عليهم أن يجتهدوا في طلب العلم والتعليم، وأن يتواصلوا مع العلماء الكبار، وأن يكون هناك تواصل أجيال؛ فيتعلم شباب الأئمة من جيل الرواد فن الخطابة والتعامل مع رواد المساجد، وأن يجتهد الأئمة في معرفة الآراء الفقهية لكبار العلماء في مختلف القضايا؛ لأن الأئمة في المساجد يتعرضون لكثير من الفتاوى التي تطرح عليهم، وهذا يتطلب أن يكون الإمام على وعي بالرأي الفقهي الذي اتفق عليه كبار العلماء أو دار الإفتاء في بلده، وهناك بعض القضايا التي تتطلب اجتهادا جماعيا، ولا يجب أن يبدي الإمام فيها الرأي، بل ينصح بأخذ الرأي من دار الإفتاء، لأن الاجتهاد الجماعي ضرورة في بعض القضايا، لكن الإمام عليه أن يحول المسجد إلى مركز تنويري لنشر الثقافة الإسلامية الوسطية، وأن يعقد الندوات العلمية ويحث الناس



على طلب العلم، ويشجع الشباب والأطفال والناشئة على حفظ القرآن الكريم، وفهم المعاني الواردة فيه؛ لأن كل ذلك من شأنه أن يرسخ القيم والمبادئ لدى الأجيال الجديدة.

مراعاة الواقع

من جانبه، يشدد الشيخ عبدالحميد الأطرش، رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، على ضرورة تدريب الأئمة والدعاة على مراعاة الواقع؛ لأن أهم شروط العمل بالدعوة أن يكون هناك وعي بقضايا الساعة، وأن الخطيب الجيد هو الذي يعبر عن واقع الناس، ويتناول القضايا التي تهم رواد المسجد، ولا يتحدث في موضوعات غريبة عن طبيعة المخاطبين، لأن كل فئة تحتاج إلى خطاب وأسلوب معين في الدعوة والفتوى، ومن أهم شروط الفتوى مراعاة الحال وواقع صاحب الفتوى، والرأي الذي يناسب شخصا في قضية، قد يختلف عن شخص آخر في القضية نفسها، وكل هذا يتطلب جهدا ومتابعة واجتهادا من الأئمة؛ لأن الناس يريدون من يعبر عنهم ويناقش قضاياهم، ويوجههم إلى الرأي الصحيح، ويبين لهم منهج

قضايا الطلاق والميراث تحتاج إلى علماء متخصصين للتوعية وتصحيح المفاهيم

الإسلام في علاج مختلف القضايا الاجتماعية؛ لأن البعد عن منهج الإسلام في علاج مثل هذه القضايا يؤدي إلى كثير من المشكلات داخل المجتمع، وتنتشر الرذيلة والجرائم الأسرية، نتيجة ضعف الوازع الديني.

التواصل مع الشباب

كما طالب الأئمة والدعاة بضرورة التواصل مع الشباب، والعمل على تصحيح المفاهيم، وأن يكون لدى الأئمة معرفة بوسائل العصر الحديثة، وأن تكون هناك حركة داخل المؤسسات المعنية بالتوعية، من خلال وسائل العصر؛ لأن الجماعات المتطرفة تسعى دائما إلى السيطرة على الشباب عبر وسائل التواصل، وهذا يعني ضرورة العمل بكل جهد من أجل التوعية، ونشر المبادئ والقيم التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية؛ لأن كل المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في الوقت الراهن هي نتيجة تراجع الوازع الديني لدى الشباب، وغياب دور الداعية الذي يلتف حوله الشباب، ويوجههم التوجيه الصحيح الذي يعود بالنفع على المجتمعات.

دور الإعلام الديني

ويرى الأطرش أن الإعلام الديني يتحمل مسؤولية كبرى في تأهيل الدعاة، وذلك من خلال التركيز على المتميزين منهم، ودفعهم لنشر صحيح الدين عبر الفضائيات والمجلات والصحف، لأن هناك الكثير من الأئمة والدعاة المتميزين، لكن لا يستفيد منهم المجتمع، وتأثيرهم يكون في المساجد التي يعملون فيها فقط، ولذلك لابد أن يعطي الإعلام الفرصة للمتميزين والحاصلين على الدكتوراه في الظهور الإعلامي، كذلك على الإعلام الديني أن ينتقل إلى المساجد الكبرى، وينقل الندوات والفعاليات التي تتم في هذه المساجد، وكذلك التعرف على عمل لجان الفتوى في المساجد، إن وجدت، بهدف إلقاء الضوء على قضايا المجتمع؛ لأن أغلب الأسئلة والفتاوى التي تعرض على لجان الفتوى تكون عن الطلاق والزواج والميراث، وبالتالي يجب أن يركز الدعاة على هذه القضايا.

عبدالسلام حسن
ماجستير دراسات إسلامية - سوريا

القدس.. أمجاد وحضارة

الحديث عن القدس حديث عن التاريخ بمعانيه العديدة، وأعماقه البعيدة؛ هو حديث عن تاريخ العبادة والاستقامة على نهج الحق، حديث عن المعجزات التي جلاها الخالق سبحانه وتعالى في هذه البقعة المباركة، حديث عن الكرامة والعزة والأمجاد التي ترمز إليها معالم الأقصى، حديث عن استقراء الحضارة المثلى بكل إبداعاتها وتجلياتها وآفاقها، يقول الشاعر:

لا القدس أنساها ولا تنساني
أغصانها في القلب والأبدان
ملأت فؤادي من مفاتنها التي
ستظل طول العمر في الوجدان

إن القدس مدينة كل شيء فيها مقدس، مدينة تسكن الفؤاد؛ فأرضها مقدسة، وسماؤها مقدسة والأقصى أهم معالمها، يقول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وتشير هذه الآية الكريمة بالإجمال إلى أن الله جل شأنه قد من على عبده محمد ﷺ بالإسراء بداية من المسجد الحرام، وانتهاء بالمسجد الأقصى.



أما سبب نزولها كما قال ابن حبان: أن النبي ﷺ لما ذكر الإسراء كذبوه، فأنزل الله هذه الآية الكريمة.

و«سبحان»: اسم بمعنى التسبيح، الذي هو تنزيه الله تعالى عن كل نقص، واتصافه بكل كمال. «الذي أسرى»: معناه السير في الليل. والإسراء كان قبل الهجرة النبوية بسنة، الموافق عام ٦٢١م. «بعبده»: المراد به بإجماع المسلمين نبينا محمد ﷺ، وهو دليل قاطع بأن الإسراء كان بالروح والجسد معا؛ لأن العبد اسم للجسد والروح، وقد جاءت آيات قرآنية عديدة تؤيد ذلك. «ليلا»: أي في بعض الليل؛ وإنما كان الإسراء ليلا؛ لأنه وقت الهدوء، وقد أكرم الله نبيه ليلا بعدة أمور، منها: الإسراء والمعراج، ونزول القرآن، وإيمان الجن به.

«من المسجد»: هو في الأصل اسم لمكان السجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه. «الحرام»: أي المحرم، وهو ضد الحلال؛ حيث إن المحرم للحج يمنع فيه مما يجوز لغيره العمل به. قال الماوردي: كل موضع ذكر فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم، إلا في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة:١٤٤)؛ فإن المراد به الكعبة، وهو أول مسجد بني في الأرض قاطبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧). «إلى المسجد الأقصى» أي: إلى بعد، وهو صفة للمسجد. وسمي الأقصى؛ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، وهو ثاني مسجد وضع على الأرض. «الذي باركنا حوله»: البركة في اللغة تعني: الزيادة والنماء. «حوله» أي: الجهات المحيطة به. والمراد بركات الدين والدنيا، لكونه موطن العبادات، ومهبط الوحي والملائكة، ومقر الأنبياء، ولكونه أيضا محفوف بالأنهار والأشجار والثمار. «لنريه من آياتنا»؛ أي: لنطلعه على العجائب الكونية، كما قال جل شأنه في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام:٧٥).

فالرسول ﷺ قد شاهد في تلك المعجزة أمورا متنوعة من خوارق العادات، والمشاهدات الغريبة والعجيبة، وقطع المسافات البعيدة، أرضية وسماوية، في ليلة واحدة، واجتمع بالأنبياء الأولين، وقابل صفوة الرسل في كل سماء، وسمع نصائحهم له.

كذلك فإن المعراج، قد دلل عليه القرآن الكريم، كما جاء في أول سورة النجم إلى الآية السابعة عشرة منها.

وفي السنة النبوية المطهرة؛ يقول رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»[(١)]. وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما»[(٢)]. وعن ميمونة قالت: «يا نبي الله، أفتنا في بيت المقدس. قال: أرض المنشر والمحشر، ائتوه فصلوا فيه»[(٣)].

وكل ادعاء بأن الأقصى أقيم على أنقاض نبي الله سليمان هو ادعاء كاذب؛ حيث أثبتت الدراسات التاريخية زيف هذا الزعم. إن بيت المقدس بيت جليل، بيت شرفه الله تبارك وتعالى. ومن محاسن هذا البيت أن الإنسان إذا جلس في أي موضع منه، فإنه يرى ذلك الموضع أحسن المواضع. وقد قيل: إن الله تعالى نظر إلى بيت المقدس بعين الجمال.

الهوامش

١- البخاري في فضل الصلاة، باب بيت المقدس، حديث رقم ١١٨.
٢- مسلم في كتاب المساجد، حديث رقم ١١٩٠.
٣- مسند أحمد: ٦/٤٦٣.

محمد محمد الشحات
كاتب وقاص مصري

القيادة بالحب



قد تعجب عزيزي القارئ من العنوان، ولكي نزيل العجب تعال نتصفح هذه الكلمات معا ونقف على مصدر الإعجاب والحب.

في عصرنا الحاضر ومنذ سنوات ليست بالبعيدة، وفي ظل تطور العلوم، وأدوات البحث والكشف عن المجهول، وزيادة الإقبال على تنمية الأداء البشري وتطويره للحصول على أفضل وأجود منتج وبأقل جهد مع توفير الوقت، ظهر ما يسمى بعلم «التنمية البشرية»، الذي يعنى بتنمية قدرات الإنسان حتى يكون حكيما رشيدا يمتلك المهارات المختلفة.

وتبعا لذلك ظهرت دورات عديدة، منها: فن القيادة، والتواصل، والإقناع، وغرس القيم، وإدارة الوقت، وإدارة الذات، ومما يثير في نفسي الإعجاب والدهشة كيف قاد رسول الله ﷺ ابن الصحراء بالحب.. وهذا هو بيت القصيد.

بالحب ظهر الأنصار، ومجد القرآن فعلهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩). بالحب امتزجت النفوس، وتعانقت الأرواح، وتلاشت الحجب المصطنعة، وصنع ابن الصحراء مع قائده وحبيبه ﷺ تاريخا مجيدا لم يتكرر بنفس المواصفات، ولكننا نحاول أن نقترب منه تعبدا وتأسيا لنعيد الدورة الحضارية المرجوة والمنشودة مرة أخرى.

لقد أطل النبي الكريم بنوره على الوجود، فأزال غشاوات ظلت على العيون أزمنة متعاقبة، وبدد ظلمات النفوس وأودع فيها الإيمان الممزوج بالحب، فدخل الناس طواعية غير مكرهين ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ (البقرة:٢٥٦). جاء الرسول إلى الدنيا، والناس عطشى للحب أكثر من العطش للماء؛ لأنهم كانوا في صحراء القسوة واللارحمة، حيث البيئة القاسية، والقلوب المتحجرة، والحروب والصراعات لأسباب تافهة، وبمجرد أن حل النبي ﷺ بينهم بصفاته وسماته الربانية رأوا إنسانا ونبيا ورسولا لم

يـروا مـن قبله مثيلا، خصوصا عند أصحاب المعارف بالتاريخ والسير منهم. وقـد حـل الـنـبـي ﷺ بـالـنـفـوس محل أرواحهم ومهجهم حبا، بل قل عشقا، في سابقة لم تحدث من قبل، فأعلن منذ الـيـوم الأول عـن رابـطـة الأخـوة التي تتسامى فوق كل الروابط (الدم، والنسب، والقرابة، والجوار) «ويسمعه الـنـاس يناجي ربـه آخـر الـلـيـل: وأنـا شهيد أن الـعـبـاد كلهم إخـوة.. وتلا ذلك الحب في الله – ورجـلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه – وتبسمك في وجه أخيك صدقة. وزيارة المريض لك بها أجر. وإذا أحببت أخاك فأخبره أنك تحبه – وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في» (رواه مالك). كل هذه المفردات وغيرها من شأنها أن تزيل الرواسب وتعمق معاني وصور الحب الطاهر البعيد كل البعد عـن المصالح الشخصية. هـذا المناخ العام في تلك البيئة القوية بدأ الإنسان يتصالح مع نفسه ومع غيره من الناس، وامتد التصالح مع الحيوان والنبات، بل حتى الجمادات.

وصـار الـرسـول ﷺ يـغـرس الـقـيـم والمفاهيم بطريقة عملية آنية متوازنة، فشعر المسلم آنـذاك بآدميته وكيانه وصـار لـه رأي يـحـتـرم (ممـارسـة الـشـورى)، فعشق الـصـحـابـة النبي الإنسان، والقائد، والمربي، والرسول الهادي. وأصبح المسلمون يفدون النبي، والـديـن، وكل القيم بالمهج، والأرواح، والغالي والنفيس.. فلا تعجب.

من كـان يظن أن هناك قـائـدا، مهما كان حزمه ومهما كانت قوته وشدته، يستطيع أن يـسـوس تـلـك الـنـفـوس الشرسة الصخرية المتغيرة في مزاجها الـعـام ويجعل منها قـادة عالميين في شتى مجالات الحياة إنه نبي الرحمة المهداة والنعمة المزجاة.. لقد صهرها في بوتقة الحب ذلك المعنى السامي الجميل الـذي لا يجري وراء المظهر الخادع وإنما يسير وراء جمال النفس وروحها، وحلو منطقها وابتسامة الرضا على محياها. تلك النفس التي عشقت النبي حبا وإعجابا فجاءت نوادر الحب مخرجات طبيعية لذلك الحب الطاهر، وإليك بعض هذه النوادر.

– وفد أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهـب ليجلس على فراش الرسول، طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الـفـراش أم رغـبـت بـه عـنـي؟ قالت: بل هو فـراش رسـول الله وأنـت رجل مشرك (سيرة ابن هشام، وفيه كلام لأهل العلم).

– رفـعـوا خبيبا ﷺ عـلـى الخشبة ونـادوه يناشدونه: أتـحـب أن محمدا مكانك؟ قال: لا، والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه. فضحكوا منه (البداية والنهاية).

– امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسـول الله ﷺ، فقالت: مـا فعل رسـول الله؟ قـالـوا: خيرا، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (رواه ابن إسحاق إمام المغازي، ورواه البيهقي مرسلا).

– وتـرس أبـو دجـانـة يـوم أحـد على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك (زاد المعاد، ص:١٣٠)، ومص مالك الخدري جرح رسول الله حتى أنقاه، قال له: مجه. قال: والله ما أمجه أبدا (زاد المعاد ١٣٦).

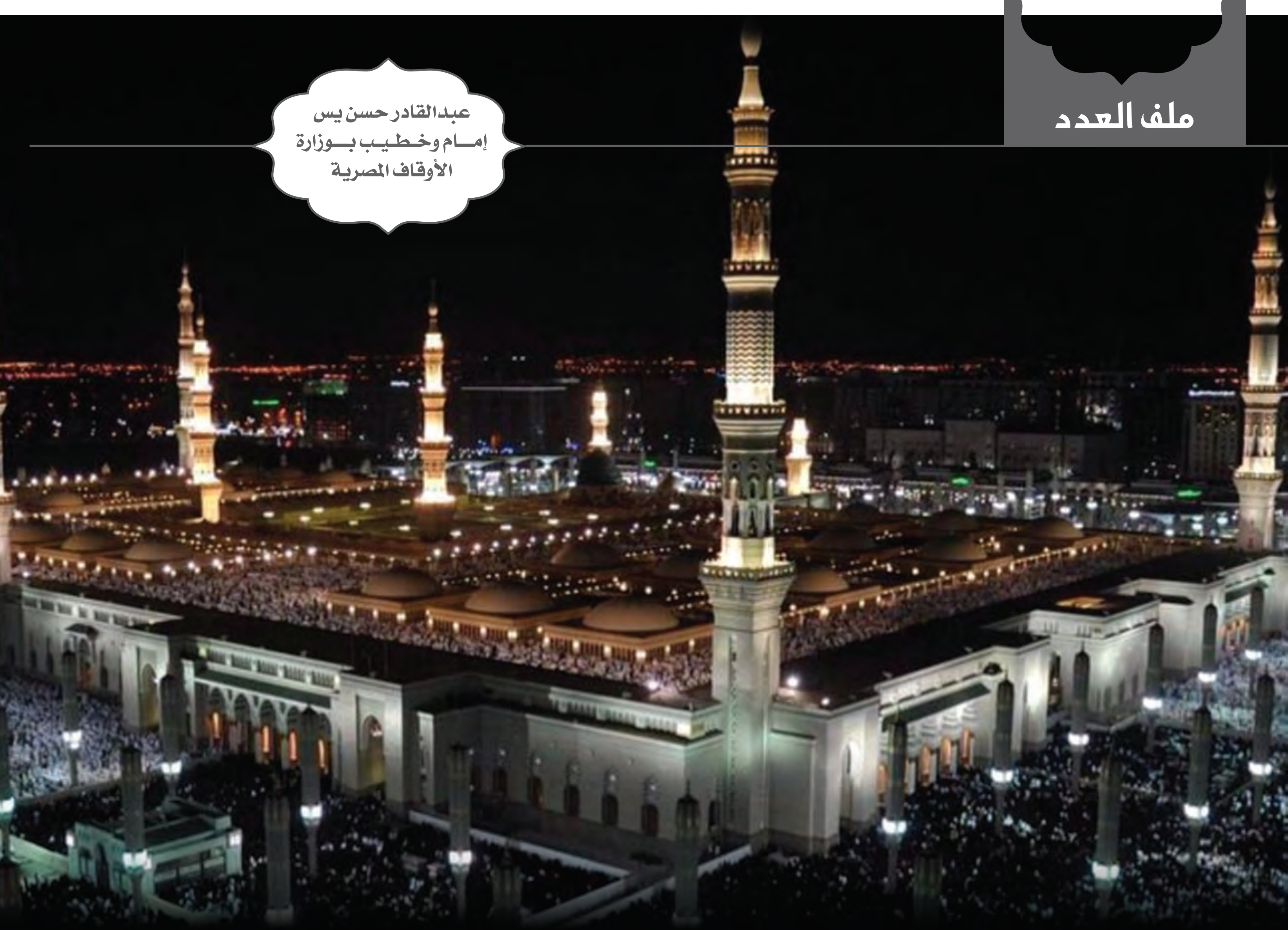
أرأيـــت الحـــب كـيـف فـعـل الـــنـــوادر العجيبة؟! ففي هذا المجتمع الحائر جاء النور حاملا النور ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ (المــائـــدة:١٥)، فـحـرر الـنـفـوس من قيد الـذل وحـرر الـروح من ذل القهر والخوف، «وحل القائد المبعوث رحمة محل الـروح والنفس وشغل منه مكان القلب والعين؛ من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، فاندفع إليه الحب الصادق كما يندفع الماء إلى الحدور، وأحبه رجال أمته وأطاعوه حبا وطاعة لم يسمع بمثلها فـي تـاريـخ العشاق والمتيمين» (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي).

هكذا قاد النبي ﷺ المسلمين بالحب، الذي لم يمنعه من الحزم والشدة في حال تطلب الموقف ذلـك، وكـان النبي رغم ذلك يغضب، ولكن متى؟ عندما تنتهك حـرمـات الله فلم يغضب ﷺ لنفسه قط.

سيظل النبي ﷺ يقود الأمـة والعالم وهـو فـي قـبـره بتعاليمه وتوجيهاته ومنهجه، فهذا جزء من العقيدة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عـمـران:٣١). نـعـم، فلا يكفي الحب وحـده، ولكن يخرج عنه الاتـبـاع والـسـيـر على النهج الـقـويـم، فالحب منهج حياة للمسلم، به يحنو على الفقير، ويمسح على رأس اليتيم، ويحسن معاملة الزوجة والولد بعاطفة الأبوة والحب فتسلس له قيادة أسرته ومن يتولى المسؤولية عنهم في عمله الحياتي، هذا إن أردنا أن ننجح ونتميز ويضرب بنا المثل في هذا الشأن.



عبدالقادر حسن يس
إمام وخطيب بوزارة
الأوقاف المصرية



المدينة المنورة ودعائم الأمة الإسلامية

إن أمة الإسلام ليست كأي أمة يكفيها أن تعيش بأي حياة، عزيزة كانت أو ذليلة، أو يكون هدفها ومقصدها القوت واللذة، بل هي أمة لها عقيدتها السامية التي ترشدها في كل مناحي حياتها، وكما أن الأمة الإسلامية متغايرة ومتمايزة عن غيرها من جماعات البشر والأمم المحيطة بها؛ فكذلك دولتها التي تبنى على نشر العدل والمساواة بين البشر، لا تفرق بين غني وفقير، ورئيس ومرؤوس، وأبيض وأسود، إنها تقيم التوحيد والعدل وتنشر الحرية بمفهومها الصحيح.

وهذه الأمة أول من أسسها وبنى دعائمها هو الرسول ﷺ النبي الأمي الذي علم العلماء فلم يكن رجل دين فقط، وإنما كان رجل دين ودولة؛ فهو الذي علم أمته الصلاة، وعلمهم أيضا أخلاق الحرب، وهو الذي أمرهم بالصيام وعقد الصلح والمعاهدات.. إنها صورة الدولة الإسلامية في المدينة النبوية التي تأسست بعد هجرة النبي ﷺ.

فمنذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة شرع في تنظيم أمور دولته؛ فبدأ ببناء المسجد النبوي وقد كان بناء بسيطا في بداية الأمر؛ لكنه رغم



صغر حجمه ربّى النفوس القويمة عالية الهمة، ومنه تخرجت البعوث والسرايا والجيوش، وكان مدرسة للعلماء، وفيه وضعت أهم الأركان والدعائم التي تبنى بها الأمة الإسلامية، وفيه ظهرت شمولية الإسلام، وتجلت القدوة العملية التي ظهرت في حمل النبي ﷺ للحجارة للمشاركة في بناء المسجد.

وبعد أن ربط النبي ﷺ المسلمين بربهم انتقل إلى بناء الروابط الاجتماعية بين المسلمين وبعضهم البعض؛ فأصلح بين الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وكانت هذه الخطوة من الأهمية بمكان لبناء الأمة

كل دولة متطورة لابد لها من دستور يحفظ حقوق رعاياها أيا كانت دياناتهم

على أسس راسخة قويمة بعيدة عن العصبية القبلية التي سادت المنطقة العربية قبل البعثة، وقد هدفت هذه الخطوة أيضا لإظهار معنى الأخوة الحقة القائمة على العقيدة والولاء لله ورسوله والمؤمنين، لا على الأصل والنسب. ومن أعظم ثمار هذه الأخوة ما فعله سعد بن الربيع (من الأنصار) الذي عرض على أخيه عبدالرحمن بن عوف (من المهاجرين) مشاطرته ماله وداره، وأن يختار من زوجتيه واحدة فيطلقها له ليتزوجها. لكن عبدالرحمن بن عوف لم يستغل بذل وسماحة سعد، بل قابلها بنبل وعفة ودعا له بالبركة، وطلب منه أن يدله على السوق ليبدأ عمله في التجارة.

أول دستور

فطن النبي ﷺ من لحظة وصوله المدينة المنورة إلى أن كل دولة متطورة لابد لها من دستور ينص على حفظ حقوق رعاياها ويجمع هذا الدستور كل أبناء هذه الدولة على مختلف دياناتهم وأجناسهم، فكتب «وثيقة المدينة» التي ضمنت حقوق المسلمين وغيرهم،

«وثيقة المدينة» ضمنت حقوق المسلمين وغيرهم

وبينت أن المرجعية العليا هي لله ولرسوله، وجاء فيها: «وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ»، وحددت مفهوم الأمة التي لا يحدها أرض ولا لون ولا قبيلة، وأن كل من يدين بدين الإسلام يحق له أن يعيش في أي بلد مسلمة وضمنت حرية الاعتقاد، كما أكدت أن حقوق الإنسان ليست مجرد شعارات وإنما حقيقة وواقع مشاهد في كتاب الله وسنة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ (النساء:١٠٥).

وعملت الوثيقة النبوية الدستورية على دمج اليهود مع المسلمين، وجاء في بنود الوثيقة «أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم أنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم فأنه لا يوتغُ إلا نفسه وأهل بيته». ورغم هذا البيان الدستوري العادل؛ إذا باليهود يخالفون الدستور ويخونون العهود؛ وذلك لأنهم لم يكونوا جادين، وربطوا وفائهم بعهدهم على قدر منفعتهم الخاصة ولا عجب، فهؤلاء القوم أصحاب الطبائع الخبيثة والنفوس الخسيسة قتلة الأنبياء والمرسلين ليس هذا مستغربا عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ (ق:٣٧).

د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية- المغرب

أهمية الوعي بضرورة الهجرة إلى اللّه



يعد ترشيد الوعي لبنة حقيقية في الإصلاح للمساهمة في التغيير السنني المنشود، الذي يضطلع به المصلحون، المنطلقون من منبع الإسلام، الذابرون عن بيضته الناصعة. وإذا كان الوعي هو الإحاطة علما بالأمر المنوط بذوي العقول الرشيدة[1]، بفهم سديد، وبصيرة نافذة، فإن الوعي الإسلامي يجعل المرء في مكانة عالية من حيث التطبيق العملي للفهم العقلي للآيات الكونية في عالم الشهود؛ ومن هنا يكون الوعي بأهمية الهجرة في حياة المسلم خطوة مهمة للبناء الفعال، الذي يقدم حلولا للأمة للخروج من أزمتها الراهنة، لمواجهة التيارات الوافدة التي هي معاول هدم لصرح الحضارة الإسلامية، من الحداثة، والعلمانية، والعولمة، وكل رياح التغريب التي تجتاح



المجتمعات المسلمة، ناهيك عن العبث المفاهيمي، وطمس الهوية الإسلامية؛ وقد لعب الإعلام دورا خطيرا في تغييب دور الوعي في كثير من الأمور، فغدا معول هدم لكيان الإنسان، بدل أن يكون منطلقا للمساهمة الراشدة في بنائه السليم، على مستوى العقل والوجدان معا. وقد نالت الهجرة في الإسلام النصيب الأوفر في إغفال ذكرها، وصار الحديث عنها دائرا في فلك الحديث المعاد، خاصة في مستهل السنة الهجرية الجديدة، ومن هنا بدأ تهميش حاجات الإنسان الضرورية للبناء السليم لكيانه، مما جعله عرضة للضياع وسط تيار لجي من الخنادق المظلمة في واقع متجهم. ومن ثم فإنه في حاجة إلى تجديد إيماني، وإصلاح حقيقي، فضلا عن أن ترشيد الوعي بأهمية الهجرة يلقي الضوء الكاشف أمامنا لاستحضار المقصد الإسلامي من الهجرة، فالوعي الإسلامي علامة قوية على اضمحلال ما يمر بالوعي من أزمات، عانى منها بسبب سوء الفهم الذي انطلى على كثير من العقول.

وإن أهمية الوعي الإسلامي بالهجرة بفكر واع مستنير، وتخطيط محكم بحسن التدبير؛ انطلاقة مهمة للتغيير المنشود، فهي نقطة تحول مفصلية، من الغلظة إلى الرقة الإيمانية، ومن التقاعس المدمر إلى التفاعل الحيوي البناء؛ فالهجرة ضرورة حياتية، لأنها تنتقل بالمسلم من آفات الحضارة الأخلاقية[٢]، إلى سعة الحياة القرآنية الحضارية، للقيام بعمارة الأرض لأداء مهمته الاستخلافية؛ وهذا رهين بحسن التخلق، وجمال التحقق بكمال الفهم عن الله تبارك وتعالى.

والهجرة التي نسعى إلى تحقيقها هي هجرة محددة المعالم، واضحة الصوى؛ ولا يظن أن الهجرة مجرد فرار من واقع مرير بئيس، غرضها أن يتمتع المسلمون بالأمن والأمان، ويكونوا قوة سلبية معطلة؛ بل إن الإسلام يريدهم أن يكونوا قوة إيجابية فاعلة في المجتمع، يساهموا في ترسيخ الوعي الإسلامي الحضاري، والتغيير الحركي الإيجابي، فالإسلام حرص على بناء الإنسان لتحقيق الخلافة الراشدة في الأرض، وللمساهمة في إقامة العمران وفق ضوابط الحضارة الإسلامية، ولذا كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة في الصدر الأول للإسلام هجرة مؤقتة، وليست دائمة؛ وهذا يؤكد ما ذكرناه من أن الإسلام لا يسيغ للمسلمين أن يرضوا بالعيش الدائم في كنف الآخر، حتى لا تكون الهيمنة له، ويقعوا في أسر التبعية.

وجدير بالمسلمين أن يهتموا بالتخطيط المحكم، مقتدين في ذلك بخير الخلق قاطبة سيدنا محمد ﷺ في إعداده الجيد للهجرة، التي كان لها أعظم الأثر في الإصلاح الشامل للإنسان.

الهوامش

١- الوعي: هو حفظ القلب الشيء وفهمه، قال الأزهري: «والوعي -أي الواعي- هو الحافظ الكيس الفقيه». انظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الياء، فصل الواو، مادة «و ع ي»، ج ١٥، ص:٣٩٦.

٢- انظر ما كتبه الدكتور طه عبدالرحمن عن آفات الحضارة الأخلاقية، التي نتجت عن المضار الخلقية لحضارة القول؛ وهذا الضرر يكمن في آفات ثلاث، هي: آفة التضييق، وآفة التجميد، وآفة التنقيص. انظر كتابه: سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٠م، ص:٧٧-٨٠.

د. عمرو محمد الكمار
أستاذ الحديث - جامعة القاهرة

حرمة الدماء



لقد جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسب أو العرض، والمال، وهو ما يعرف بالكليات الخمس، وهي التي لابد منها لقيام المصالح في الدنيا والدين، وإذا انتهكت لم تقم المصالح على استقامة، وآل مصير الإنسان ومجتمعه في الدنيا إلى انهيار، وفي الآخرة إلى الخسران المبين، ومن أهم هذه الكليات حفظ الدماء.

إن حق الحياة مملوك لله تعالى وحده، فهو الذي يهبه لخلقه، فلا يحل لأحد أن يحرم غيره من الحياة إلا بمسوغ شرعه من منح الحياة سبحانه وتعالى. وقد جاءت آيات القرآن الكريم بتحريم وتجريم قتل الأنفس وسفك الدماء بغير حق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١)، وتوعد الله تعالى في كتابه من عمل على إزهاق النفس وإراقة الدماء بأشد أنواع العقاب، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣).

وعد النبي ﷺ سفك الدماء بغير وجه حق من ورطات الأمور التي قلما ينجو منها المرء إذا أوقع نفسه فيها، فقال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله» (صحيح البخاري)، وقال ﷺ: «لن يزال (لا يزال) المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما» (صحيح البخاري). كما عده النبي ﷺ من كبائر الذنوب التي إن وافى صاحبها الآخرة دون توبة أهلكته، فقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (متفق عليه).

وقد اتسعت مظلة حرمة الدماء في الإسلام فشملت غير المسلمين، فحرم النبي ﷺ الاعتداء على غير المسلمين ممن لهم عندنا عهد وأمان، مشيرا إلى أن حق الحياة مكفول للجميع، فلم يبح الإسلام أبدا القتل على الهوية أو المعتقد، فقال ﷺ: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما» (صحيح البخاري).

آفة التكفير

ومن السبل التي جدت في أيامنا هذه وأدت إلى إراقة كثير من الدماء انتشار آفة التكفير بين عدد من الجماعات المنسوبة زورا للإسلام، فسفكوا الدماء البريئة، واستهدفوا الأمن والاستقرار في المجتمعات المسلمة، وذلك بسبب الجهل بتعاليم الإسلام، واتباع أناس

مظلة حرمة الدماء في الإسلام شملت غير المسلمين

يوظفون الدين لمصالحهم ومطامعهم.
وقد أوجب الله تعالى على المسلمين العمل بالظاهر مع التثبت والتيقن، من دون التنقيب عن النوايا أو عما في القلوب، فعلم ما في البواطن لله تعالى وحده، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله إلى الحرقة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله! فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلته فوقع في نفسي من ذلك، فلما قدمنا بلغ النبي فقال: يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! قلت: كان متعوذا (إنما قالها خوفا من السلاح). أقال لا إله إلا الله وقتلته؟! أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فمازال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» (متفق عليه). فالحكم بتكفير الشعوب والمجتمعات المسلمة، حكاما ومحكومين، بدعوى ارتكاب المعاصي هو خطأ فاحش، وقد أدى إلى دواه وطامات، فمن المعلوم أن المعاصي، وإن كانت مفسقة لصاحبها، إلا أنها لا تكفره إلا إذا استحلها، ومن أين لنا أن نعلم نية العاصي وباطنه وأنه لم يتبع هواه في المعصية، إنما فعلها استحلالا لها واستخفافا بأحكام الشرع حتى نحكم بكفره.
وقد أغلق الإسلام باب تكفير من علم إسلامه إغلاقا تاما إلا بحكم قضائي نهائي وبات، بعد مراجعة المسلم المتهم بالكفر فيما صدر منه لعله يتوب، مع إقامة الحجة عليه إن أصر، ومع أخذ رأي المؤسسات الدينية في القضية.
إن تكفير المجتمع المسلم له آثار مدمرة، فهو يشوه صورة الإسلام عند غير المسلمين مما يؤدي إلى النفور من الإسلام، والصد عن طريقه، وهو كذلك يشتت الكلمة ويفرق الصف، ويؤدي إلى نشر الفوضى، واستحلال الدماء المعصومة. والشريعة الإسلامية جاءت بالمحافظة على الدماء عموما لا فرق بين مسلم وغيره.

قواعد شرعية

وقد أرست الشريعة الإسلامية مجموعة من التشريعات الحازمة؛ حفاظا على الأنفس أن تزهق وعلى الدماء أن تراق، فحرمت القتل، وأوجبت القصاص من القاتل أو الدية عند العفو من ولي الدم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ (البقرة:١٧٨)، كما أنها أمرت بقتال البغاة المعتدين، فقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (الحجرات:٩)، كما شرع الإسلام حد الحرابة للقضاء على المفسدين في الأرض، الذين يهددون المجتمع في أصل وجوده؛ فيقطعون السبل ويسلبون الأموال ويزهقون الأرواح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (المائدة:٣٣).
وفي خطبة الوداع التي شدد فيها ﷺ على قواعد الإسلام ومبادئه، وهدم فيها قواعد الشرك وجاهليته، أمر ﷺ بحفظ الدماء، والأموال، والأعراض، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس، أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» (رواه البخاري).
إن الحكمة في تحريم الاعتداء على الدماء، والأموال، والأعراض بوجه عام هي المحافظة على الود والمحبة والألفة بين الناس، فالاعتداء على الغير يقطع أواصر الترابط بين أفراد المجتمع، وقد جعل النبي ﷺ تحقيق المحبة سببا في دخول الجنة، وكأن هؤلاء الحاقدين الكارهين لإخوانهم من المسلمين محجوبون عن الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (صحيح مسلم). فدخول الجنة موجبه الإيمان، والإيمان من ضوابطه التحاب في الله، والمحبة في الله لا تكون إلا بإفشاء السلام.
وفي القتل إفساد للغاية من خلق بني آدم، فقد خلق الله تعالى الآدمي للاشتغال بالعبادة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، وقال النبي ﷺ: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» (صحيح البخاري).
كما أن في الاعتداء على الأنفس نشرا للفوضى، وتخريبا للمجتمعات، وقضاء على الحرث والنسل، كل ذلك ينافي حكمة الله تعالى في إعمار الأرض التي أشار إليها في قوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ﴾ (هود:٦١).

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

من وحي الهجرة النبوية

هل التغيير سهل؟ هل الانتقال من بيئة إلى أخرى أمر يتقبله المرء بيسر؟ نحن لا نتحدث عن التغيير البسيط، وإنما ذلك النوع من التغيير الذي ستترتب عليه زحزحة نمط الحياة بشكل كامل، مثل الانتقال من عمل إلى آخر، من مجال إلى آخر، أو من مدينة إلى أخرى.. وهكذا.

هكذا تغيير ليس بالأمر السهل، لأنه يعني أن يعيد الإنسان ترتيب هيكلة تفكيره، نمط حياته، سلوكياته... الخ.

ببساطة هو خطوة لإلغاء حياة كاملة، ومشوار طويل، ترك الطريق الذي كنت تسير فيه والعودة إلى نقطة البداية أو ما قبل البداية لتصحيح المسار.

أن تهدم بناء أخذ منك وقتا وجهدا طويلا لتشيده، وتبني مكانه بناء آخر مختلفا تماما، بروح جديدة، نمط مختلف، وأسلوب متجدد، أن تحمل على ظهرك أحجار البناء المتهدم، ترميها بعيدا، ثم بذات الجهد تحمل الأحجار الجديدة، وتشيدها بيديك، هكذا خطوة ستستنفد منك جهدا كبيرا، بدنيا وذهنيا.

والإنسان بطبعه يستثقل بذل مثل هذا الجهد المضاعف؛ لأنه ليس من السهل التخلي عن حياة سابقة، تجارب عاشها الإنسان بأيامها ولياليها، طريق أخذ منه الكثير من الوقت والجهد للسير فيه وشق دروبه المحفوفة بالمخاطر التي لم يكن تجاوزها بالأمر الهين.

قد يسهل طي ورقة ورميها بعيدا، لكن هل يسهل طي سنوات طويلة.. سجل حياة خطت صفحاته بسنين العمر، أن نرميه جانبا لنبدأ دربا جديدا لا لوحات إرشادية فيه، ولا معالم واضحة تكتنف زواياه؟!

بكل تأكيد لا.

لذا ترانا نعمل في مكان رغم أنه لا يروق لنا، ورغم أننا نعاني فيه الأمرين، فإننا نستمر بالتحمل والتحامل على أن نبحث عن عمل جديد، فكلما تذكرنا متاعب البحث عن عمل آخر، والانتقال إلى بيئة جديدة، غريبة عنا تماما، حينها نستمر بالضغط على أنفسنا ونتحمل.

نعيش في حي صاخب ونشتكي دائما من صخبه غير المحتمل الذي يقلق نومنا وسكينتنا، ويحرمنا ساعات الراحة التي ننشدها بعد يوم عمل شاق، لكن كلما تذكرنا متاعب البحث عن سكن بديل، نستمر في التحمل، والتشكي بطبيعة الحال.. والمحصلة النهائية؛ أننا نعيش غير راضين عن أنفسنا، عملنا، وحياتنا ككل؛ فتتسع الفجوة بيننا وبين مشاعر الطمأنينة والرضا، وتتزايد الضغوطات التي نعجز عن تحملها، والتي تستهلك

طاقتنا وتفكيرنا، فإذا ما أصبح الوضع لا يحتمل، وقررنا أخيرا الاستسلام والتغيير، يكون الأوان قد فات؛ لأن طاقتنا قد استنفدت كليا، وخسرنا مسبقا فرصة خوض بداية جديدة، حين كان لا يزال بمقدورنا القيام بها.
إن منهج التغيير وخوض الصعاب ليس بالأمر السهل، لأنه منهج محفوف بالمخاطر والمغامرة، لكن البقاء على حال نحن غير راضين عنه أكثر خطورة وتدميرا لذاتنا، وطاقتنا، التي إن أحسنا استغلالها ووضعناها في المكان والزمان الصحيحين فمن شأنها أن تصنع فارقا جليا لنا ولكل من حولنا.
منهج التغيير هو المنهج الذي سنَّه عليه أفضل الصلاة والسلام حين قرر طي سجل حياته في مكة المكرمة، مدينته التي عاش فيها، وقرر فتح صفحة جديدة في المدينة المنورة، ليكون هذا الانتقال والتغيير هو الانطلاقة الحقيقية لحضارة الإسلام التي امتدت إلى عقود، ولا تزال، وتجاوزت شبه الجزيرة العربية إلى العالم أجمع.
فهل كانت هذه الهجرة، التي جاءت بوحي إلهي، سهلة على نفس النبي ﷺ وهل كان من السهل عليه أن يغادر بلده الذي ألفه ونشأ وترعرع على ترابه؟!
بكل تأكيد لا، لكنها الإرادة القوية وقوة التوكل على الله.
القوة التي جعلت سيدنا إبراهيم، عليه السلام، يخطو لداخل النار التي أوقدها له قومه من دون تفكير أو تردد.
القوة التي جعلت سيدنا إسماعيل، عليه السلام، يسلم رقبته لسكين أبيه من دون خوف أو هلع.
القوة التي جعلت أم سيدنا موسى، عليه السلام، ترميه في اليم، ولم تمر أيام على ولادته، وجعلته لاحقا يتجه بقومه إلى البحر.
هي ذاتها القوة التي جعلت سيدنا محمدا ﷺ يتخذ قرار الهجرة، الذي ترتب عليه تغير شامل لحياته وحياة أتباعه، ونقلهم من أمة مستضعفة إلى أمة غيرت معالم شبه الجزيرة العربية وما حولها.
هي ذاتها القوة التي جعلته يخطو إلى مجتمع جديد من دون أن يلتفت إلى الوراء، أو يتخوف مما يحمله له المستقبل، أو يخاف من أن يجد نفسه وحيدا في بلد غريب عنه.
قوة الإرادة والتوكل على الله التي نحتاج إليها إن أردنا أن نغير من واقعنا الذي لا نحتمله وننطلق نحو حياة أفضل.
البعض يقول «هم أنبياء». نعم، هم كذلك، لكنهم بشر أيضا، لديهم قلوب ومشاعر مثلنا تماما، لكنهم آمنوا بالله وتوكلوا عليه حق توكله؛ قوة الإيمان تلك هي التي مكنتهم من اتخاذ خطوات نعتبرها نحن مغامرة ومخاطرة غير مدركين أن المخاطرة الحقيقية أن نستمر بحياة أصبحنا غير قادرين على تحملها وتقبلها تحت مبرر «إني أخاف المجهول»، ولو خاف عليه أفضل الصلاة والسلام من الهجرة لهذا المجتمع الجديد ما انطلق إلى المدينة واضعا الأساس المتين لهذه الأمة العظيمة التي نتفاخر بالانتماء إليها، لكن أغلبنا لا يحاول أن يكون جزءا محوريا فيها، فقط لأنه يخشى أن يتخذ خطوة لتغيير حياته وواقعه نحو الأفضل.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي



الهجرة.. رؤية حضارية في البدائل والبناء

مثلت هجرة النبي ﷺ وهجرة صحابته الكرام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، إحدى المحطات المهمة والفاصلة في تاريخ الإسلام، بل هي قد غيرت مسار التاريخ كله، وانتقلت بالمسلمين من كونهم مجموعة من الرجال يؤمنون بعقيدة جديدة على مجتمعهم، ومحصورين في هذا المجتمع الذي يناوئهم ويضيق عليهم الخناق يوما بعد يوم، إلى كونهم أصحاب مجتمع مستقل هم فيه ذوو إرادة وحرية، وأصحاب دولة تستطيع أن تحارب وتسالم، وأن تنشئ لنفسها النموذج الذي تنشده، وتطبق القيم التي تدعو إليها، بينما كان محرما عليهم من قبل مجرد الإفصاح عن هذا النموذج وتلك القيم!

إذن، الهجرة انتقلت بالمسلمين من حال إلى حال، ومن ضعف إلى قوة، ومن وجود على الهامش إلى أنموذج ذي قوة ومنعة.

ولهذا، كانت الهجرة محطة فاصلة جديرة بالتأمل دوما، وقادرة على أن تمنحنا ما يفيدنا في واقعنا الراهن، وعلى أن تبصرنا بالرؤية الحضارية المطلوبة في صناعة البدائل وفي فقه البناء والتأسيس، وفي غير ذلك من العبر والدروس، التي نتوقف مع بعضها في هذا المقال.

الهجرة وترتيب القيم

وأول ما نفيده من تأمل الهجرة، كمحطة حضارية كبرى في تاريخ الإسلام والمسلمين، هو أنها درس مهم في «ترتيب القيم»، لمعرفة الأهم منها من المهم، وما له تأثير على المجتمع أو على الفرد؛ حتى نعطي لكل قيمة حقها من الاهتمام والعناية، من دون بخس أو تضخيم.

فنحن هنا أمام قيمة الرغبة في البقاء في المكان الذي نشأ فيه الإنسان، والذي يضم أحبابه وذكرياته.. وهي قيمة لا نقلل منها.. لكن هذه القيمة إذا تعارضت مع قيمة التمسك بالدين، ومع حرية الدعوة إليه وإقامة شعائره؛ فإن على المرء أن يبحث عن موطن يستطيع فيه أن يتمسك بدينه بحرية، وأن يدعو إليه ويطبقه في أرض الواقع.. فالنبي ﷺ، وكذا صحابته الكرام، يحبون مكة؛ إذ هي بلد حبيب إلى الله تعالى، كما أنهم نشأوا فيها، ولهم بين جنباتها وأزقتها ذكريات وأهل وأصحاب.. وليس من السهل أن يتركوا ذلك كله، خاصة إلى بلد لم يسكنوه من قبل، وليس لهم فيه



أهل ومعارف مثل ما لهم في مكة.. وقد عبر النبي ﷺ عن هذا فقال: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي، ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك»[1].

فـ«الهجرة تؤكد أن الأرض موضع الاعتبار في دين الإسلام هي التي يذكر فيها الله وحده وتعلو كلمته، وأن القوم الذين يختار جانبهم هم المؤمنون بالله؛ فإن مكة وفيها البيت الحرام قد تركها الرسول صلوات الله وسلامه عليه والمؤمنون حين سادتها عبادة الأصنام والأهواء، وتحكم فيها الطغيان، وهاجروا إلى يثرب التي لم تكن لها مكانة مكة في شبه جزيرة العرب قبيل الإسلام»[2].

أما الإخلال بترتيب القيم، والرضا بأوضاع تكون محصلتها خصما من التمسك بالدين، فإن ذلك لا يجوز إلا لمن لم يستطع الهجرة، وحالت ظروفه دونها.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)﴾ (النساء:٩٧-٩٩).

الهجرة والبحث عن البدائل

لا شك أن الإنسان في حركته في الحياة يواجه تحديات، وقد تكون هذه التحديات أكبر من طاقته، وأقوى مما يملك من عوامل قوة وصمود.. والأمر هكذا، فليس من الحكمة عقلا، ولا من المقبول شرعا، أن يناطح الإنسان الصخر، أو أن يصر على المضي في طريق مسدود؛ بل عليه أن يحسن التعامل مع هذه الأوضاع بأقل الخسائر وبما يمكنه من الاستمرار في أداء رسالته ولو بشكل مختلف عن ذي قبل.

ولهذا، شرع في الإسلام «فقه الضرورات»، بما يجعل التعاطي معها أمرا مقبولا شرعا، بشروطه؛ مثل أن تقدر الضرورة بقدرها، وألا يلجأ إليها إلا عند انعدام البديل المشروع، وأن يتم التعامل معها باعتبارها استثناء لا قاعدة.. إلخ. وكل ذلك يربي العقل المسلم على «فقه البدائل»، وعلى التعامل المرن الإيجابي مع التحديات.

وقد جاءت الهجرة بملابساتها لتؤكد لنا ضرورة الانتباه إلى فكر البدائل؛ بحيث يكون أمرا راسخا عندنا على مستوى التفكير والممارسة؛ بحيث لا نلقي بأنفسنا في طرق مسدودة، ولا نخسر أكثر مما ينبغي.. فحينما اشتد الإيذاء بالنبي ﷺ وبصحابته الكرام، لم يرض لهم أن يظلوا بمكة ليموتوا واحدا تلو الآخر، ثم تموت الدعوة الإسلامية بموتهم! وإنما أوجد لهم مخرجا وبديلا، وطلب منهم مغادرة مكة إلى الحبشة قائلا لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»[3].

ولما تبين أن الحبشة ليست بالأرض الصالحة لاستيعاب الفكرة استيعابا ممتدا راسخا، وإنما هي على أكثر تقدير تصلح لإيواء أفراد من ظلم قريش، أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب؛ فأخذ المسلمون يرحلون إليها في خفاء وكتمان أرسالا (أي أفواجا يتبع بعضهم بعضا). وكان أول من هاجر أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد المخزومي، حتى لحق بهم النبي ﷺ.

ولا شك أن فكر البدائل يتطلب معرفة عميقة بالواقع، والوقوف



بدقة على ما به من فرص ومخاطر، بجانب - وهذه نقطة مهمة - استشراف المستقبل ودراسة احتمالاته والاستعداد لها.

الهجرة وإدراك التغير

كانت الهجرة إلى المدينة، كما سبقت الإشارة، خطوة فاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين، اختلف ما بعدها تماما عما قبلها؛ ولذا فحين تشاور المسلمون بأي حدث من أحداث الإسلام يؤرخون، استقر رأيهم على التأريخ بهجرة النبي ﷺ؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل، كما قال عمر؛ وقيل إن عليا هو من اقترح ذلك، رضي الله عنهما[٤].

والدرس المهم هنا أن النبي ﷺ حين قدم المدينة كان يعلم أنه بإزاء مرحلة جديدة مختلفة عن المرحلة السابقة؛ فقد أصبحت لهم دولة ذات استقلال وشوكة بعد أن كانوا مستضعفين في مكة.. وهذا الوضع الجديد يفرض على المسلمين خطوات جديدة، وتصورا مغايرا عما اعتادوه من قبل. ومن ثم، بدأوا في إنشاء المؤسسات التي يقوم عليها المجتمع الجديد، من بناء المسجد وإقامة السوق المستقلة، بجانب تمتين الصف الداخلي من خلال «وثيقة المدينة»؛ التي نظمت سبل التعايش بين مختلف سكان المدينة وتحالفاتهم.

وهذه نقطة مهمة، أن يدرك الفرد أو المجتمع طبيعة المرحلة التي يحياها، أو المرحلة التي انتقل إليها؛ بحيث لا يظل جامدا على تصور واحد، وإنما يدرك أن لكل مرحلة تصورها وطبيعتها، مثلما يدرك الفقيه أن لكل حالة من الحالات أو لكل مجتمع من المجتمعات طبيعة قد تجعل الفتوى تتغير؛ كما فعل الشافعي رضي الله عنه في مذهبه القديم والجديد، وكما هو ثابت من أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

فالخطأ يحدث حين يجمد الإنسان على تصور واحد، ولا يراعي ما يستجد من أحداث وقضايا.. وهنا، تذكرنا الهجرة بدرس مهم، يتمثل في أن المرحلة المكية تختلف عن المرحلة المدنية، وأن المسلمين إزاء وضع جديد، ومعاهدات وتحالفات لم يألفوا الدخول في مثلها من قبل. بل إن القرآن الكريم، كما هو معروف في «علوم القرآن»، يختلف ما نزل منه بالمدينة عما نزل بمكة؛ من حيث الموضوعات التي عالجتها الآيات هنا وهناك، ومن حيث الأسلوب المتبع في ذلك..

فبينما يتجه القرآن المكي إلى معالجة قضايا العقيدة والألوهية، وبآيات قصار تقرع الآذان وتنبه القلوب؛ فإن القرآن المدني يعالج قضايا العبادات والمعاملات والعلاقات الدولية، وبآيات طوال.. إلى غير ذلك من الفروق المقررة لدى دارسي «علوم القرآن».

فالهجرة درس في ضرورة أن يدرك الإنسان ما حل به من تغير؛ سواء في خاصة نفسه أو في الدوائر التي تحيط به والمجتمع الذي ينتمي إليه.. حتى لا يجمد الإنسان حيث تليق به الحركة، أو يتحرك حيث الأفضل له السكون.

الهجرة وفقه التأسيس

كما أوضحنا، فحين قدم النبي ﷺ أسس بناء جديدا ومتكاملا:

• سواء على مستوى النسيج الإسلامي؛ من حيث البناء الروحي بإقامة المسجد، أو البناء الاجتماعي بالإخاء بين المهاجرين والأنصار، أو البناء الاقتصادي بإقامة سوق مستقلة عن سوق بني قينقاع.

• أو على مستوى النسيج الاجتماعي ككل داخل محيط الدولة الناشئة، من خلال «وثيقة المدينة» التي نظمت العلاقة بين المسلمين وسكان المدينة من يهود ومشركين، ومن دخل في تحالف معهم[٥].

إذن، الهجرة لم تكن فرارا بالدين طلبا للراحة، ولا مجرد هروب من واقع ضاغط على المسلمين المستضعفين؛ إنما كانت بحثا عن أرض جديدة وآفاق أرحب، وكانت مقدمة لتأسيس بناء راسخ متكامل. فجاءت الهجرة درسا عمليا عميقا في «فقه التأسيس»، وأهمية العمل



والاستعداد للانتقال من مرحلة إلى أخرى أبعد مدى وأوسع أفقا.. وينبغي أن نستلهم محاورها في «فقه التأسيس»، فيما نحن بصدده من تأسيس مجتمعاتنا وإنهاضها من جديد.

الهجرة واستمرارية الفعل

صحيح أن الهجرة من مكة إلى المدينة قد انقطعت بما من الله به على عباده المؤمنين من فتح مكة وهدم الأصنام؛ التي كانت تطوق الكعبة، وتعكر على العباد عبادتهم.. كما جاء في الحديث الشريف: «لا هجرة بعد الفتح؛ ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا» (متفق عليه من حديث ابن عباس).

لكن الهجرة من حيث هي انتقال من حال إلى حال، ومن حيث هي بحث عن الأفضل والأنسب للدعوة؛ فإنها بهذا المعنى فعل حضاري له استمرارية لا تنقطع؛ ولعلها بهذا المعنى أيضا تقابل معنى التوبة التي هي انتقال من حال إلى حال على مستوى الفرد.

ولنلتفت إلى هذه الجملة التي جاءت في «مرقاة المفاتيح»: «أعمال الكمال لا تنقطع، حتى تطلع الشمس»، أي أن على المسلم أن يبحث دائما عن الانتقال - وهو معنى مشترك بين الهجرة والتوبة - من حال إلى حال أفضل، وصولا إلى تحقيق مراد الله سبحانه في خاصة نفسه وفي محيط مجتمعه؛ سواء بترك المكان الذي يضيق ذرعا بأوامر الله، أو بترك الحالة التي يتسلط فيها الشيطان على النفس ويحول بينها وبين العبادة.

فعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» (رواه أحمد، وأبو داود، والدارمي).

جاء في «مرقاة المفاتيح»: «أي لا تنقطع الهجرة من المعصية إلى التوبة (حتى تنقطع التوبة) أي: صحتها، بأن يغرغر صاحبها. قال ابن الملك: أراد بالهجرة هنا الانتقال من الكفر إلى الإيمان، ومن دار الشرك إلى دار الإسلام، ومن المعصية إلى التوبة. قلت: الأخير تعميم يشمل الكل. وقال الطيبي: لم يرد الهجرة من مكة إلى المدينة لأنها انقطعت، ولا الهجرة من الذنوب كما ورد: «والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا»؛ لأنها نفس التوبة. قلت: لا مانع من ذلك؛ لأن أعمال الكمال لا تنقطع حتى تطلع الشمس»[6].

فالهجرة والبحث عن أعمال الكمال فعل حضاري مستمر؛ وبالتالي ينبغي أن تهجر الأمة حالة التخلف والتردي إلى سلم النهوض والتقدم.. وأن تدع سلوكيات الخمول والكسل، إلى قيم السعي والمسارعة.. وأن تهجر اللامبالاة والتسيب إلى الإيجابية والانضباط.. وأن تهرب من الفردية إلى الجماعية، ومن الأنانية إلى الإيثار والبذل والعطاء..

بهذه المعاني السابقة وغيرها، تكون الهجرة النبوية نبراسا يضيء لنا الطريق، وأنموذجا نابضا يحثنا على التحلي بفكر البدائل، ويعرفنا كيفية البناء والتأسيس، بجانب ترتيب القيم، وفهم الأولويات، ومراعاة الواقع، واستشراف المستقبل..

وما أشد حاجتنا إلى كل هذه المعاني والدروس.

الهوامش

١- أخرجه الحاكم في «المستدرك» من حديث ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

٢- «دولة الفكرة»، د. محمد فتحي عثمان، ص:٦، الدار السعودية للنشر، ط٤، ١٩٨٥م.

٣- «سيرة ابن هشام»، ١/٣٤٩، تحقيق د. عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٠م.

٤- «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير» ابن الجوزي، ص:١٣، دار الأرقم، ط١، ١٩٩٧م.

٥- راجع مقال: «وثيقة المدينة المنورة.. وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان»، علي بولاج، مجلة «حراء»، العدد ٣، ص:١٢، أبريل - يونيو ٢٠٠٦م، ترجمه عن التركية: أورخان محمد علي.

٦- «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، محمد الخطيب التبريزي، ٥/٢٥٣، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.

محمد عبدالهادي زهران
باحث شرعي
مصر

في دلالات الهجرة النبوية.. وحاجاتنا المعاصرة

لا نزال بحاجة إلى استيعاب دلالات الهجرة النبوية المشرفة، إذ يتعدى تأريخها كونها حادثة زمانية، ولكنها فلسفة تتجاوز حدود الزمان والمكان، وهو ما يجده الكاتب في ازدياد متصل وفق مقتضيات العصر وتحدياته الراهنة، حتى تبدو لنا ومن جديد، وكأنها المعلم الكبير لنا كما لغيرنا.

إذ خلالها ما يشار إليه من كيفية التغلب على الظروف والمشاق - التحديات الداخلية والخارجية المتربصة ببدايات الرسالة، وما أشبه حال الأمس باليوم، ومن ثم كان حينها ما لاقيناه من الرسول الكريم من مرونة التخطيط ودقته في استيعاب المتغيرات المحيطة، بجانب حزم الإرادة الجادة نحو التنفيذ والتنظيم، وهي أمور لا تنفصل عن إدراك ووعي لجلل الأمر المتعلق برسالة الإسلام وإنجاز مهمته الإنسانية الكبرى، وهو الحاضر بيننا الآن، والمتعلق بما يواجه تلك الرسالة من أخطار وظروف؛ أي ما يتطلب استعادة استعدادات الهجرة، وفي ذلك تجاوز معناها المكاني لاستحضار معناها الزماني، أي العبور من واقع إلى واقع مغاير، أو تغيير بنية المكان الحالية، إذ هجرة الماضي كانت تعنى بتأسيس دولة بمعنى الكلمة لتستطيع إزالة التعديات السابقة، ونحن هنا نذكر بحاجتنا لهجرة داخلية، أو دولة معاصرة متطورة، كما في حاجتنا لهجرة فكرية، خارجية لغيرنا، وهم في أمس الحاجة إليها، الآن، لا غدا.

لذا، وفي إطار مما سبق، تسير مجريات هذا المقال، والذي خلاله نتناول ما يلي:

❖ ظروف المسلمين والرسول ﷺ قبل الهجرة، وما هي عليه الآن.

❖ الدافع للهجرة في الأمس واليوم.

❖ الاستعدادات التي أعدها الرسول ﷺ للهجرة، وما نستفيده منها.

❖ الصحبة التي صاحبت الرسول ﷺ في الهجرة، والصحبة التي نريدها الآن.

❖ طريق الهجرة وما صادف الرسول ﷺ وصحبته، وما يصادفنا الآن في استعادة حضارتنا.

❖ أحوال المدينة قبل الهجرة النبوية الشريفة، وأحوال عالمنا بعد الهجرة بألف وستمئة عام، وكيف نحن في حاجة ماسة لاستعادة معناها وفلسفتها في البناء والمواجهة.

❖ الأوضاع التي أرساها الرسول الكريم ﷺ بعد الهجرة في المدينة، وما تواجه تلك الأوضاع في خضم تحديات العولمة (الأمركة) والهيمنة الثقافية العالمية وكذا الاقتصادية وغيرها.

❖ الدروس المستفادة من هجرة المصطفى ﷺ في كل زمان ومكان.

أولا: المسلمون قبل الهجرة النبوية وفي وقتنا المعاصر

لا شك أن هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة حدث مهم من الأحداث الحاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فبها انتهى عهد وابتدأ عهد، وهو الأمر الذي نحن في أمس الحاجة إليه، في خضم تنامي التحديات الداخلية والخارجية.

إذ ما أشبه ما ناصب به رجال القبائل، خصوصا قريش في مكة، نبي الله العداء، واجتمعوا على إيذائه وتعذيب أصحابه والوقوف بوجه دعوته ليفتنوا الذين آمنوا عن دينهم، بما يحدث من عدة دول أو من داخل عدة دول، بل ومن فرق متطرفة، وغير ذلك من عوامل تستهدف هدم الدول.

لذا نستلهم ها هنا، كيفية استخدام السياسة والإعلام في العهد النبوي، مثل إشارة الرسول ﷺ على أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، وكانت التدريجية التي تزكيها حاليا علوم معاصرة، حيث هاجر عشرة رجال وأربع نسوة، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلا وسبع عشرة امرأة، سوى الصبيان، وفي ذلك أن النجاشي ملك الحبشة أحسن استقبالهم وأكرمهم، فاطمأنوا

في جواره وأمنوا. وحاولت قريش التقرب إلى النجاشي بالهدايا النفيسة لاستردادهم والإيقاع بينهم وبينه، ولكن النجاشي سمع منهم آيات بينات من القرآن في حق نبي الله عيسى وأمه الصديقة مريم عليهما السلام، فصدق بدعوتهم وزاد من إكرامهم وحمايتهم وباءت قريش بالخيبة والخسران المبين.

لهذا، يبدو على الأمة الإسلامية، أن تكسب في طريق ما تواجهه من حروب دعائية، تلك الدول التي تقف على الحياد، وما أكثرها، سواء في أفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أميركا اللاتينية، كما يجب إعمال سلاح السياسة والإعلام معا، لخطورتهما البالغة.

هذا، ومما نلاحظه فيما سبق، أن عزم الرسول ﷺ وإرادته كانا نموذجا يجب أن يحتذى ويكون جليا واضحا أمام الأجيال المتعاقبة والمعاصرة، إذ كيف انطلق إلى الطائف وما وجده من أهلها من إيذاء، وكيف كانت شخصيته النموذجية التي لا تتغير مع تغير المواقف، إذ هو السمح حينما ترك مكة، وهو السمح حينما جاءها منتصرا، وهو الشخصية النموذجية التي جمعت حب الأوس والخزرج معا، مصداقا لقوله جل وعلا في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

وفي هذا سر انتشار الإسلام بالمدينة، بل وسر انتشار الإسلام فيما بعد وفاة الرسول ﷺ، في أفريقيا وشرق آسيا عبر رحلات التجار المسلمين ومعاملاتهم الراقية والنموذجية، وهو السر الذي نحن في أمس الحاجة إليه الآن، فيما واجهته أمتنا من مسخ وتطبيع وتشويه للبناء الأخلاقي المعنوي القويم الذي جاءت به رسالة الإسلام من قبل.

ثانيا: أسباب الهجرة النبوية والأسباب الداعية لاستعادة فلسفتها وإعادة البناء الحالية

١- اضطهاد الكفار للمؤمنين سابقا: مثل قصة آل ياسر الشهيرة، أما حاليا فهنالك تلك الحروب الممنهجة (إعلامية وسياسية) ضد رسالة الإسلام والمسلمين.

وفي ذلك ما تسرده دراسة أحمد مصطفى علي، من أن هنالك علمنة للصورة المشوهة التي يجري تصويريها للرأي العام الأوروبي عن المسلمين، حيث يتم تحويل الصورة إلى حقيقة علمية، بجانب تنشئة الأجيال الجديدة على كراهية الآخر واستحقاره[١].

٢- إيذاء النبي ﷺ شخصيا، وإيذاؤه حاليا: ليس أولها وضع سلا جمل على رأسه وهو ساجد[٢] حيث روى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه. فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا. وجعل بعضهم يميل على بعض. وأنا قائم أنظر. لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله، وهو ساجد، ما يرفع رأسه. حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت، وهي جويرية، فطرحته عنه. ثم أقبلت عليهم تشتمهم. فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا دعا ثلاثا. وإذا سأل سأل ثلاثا. ثم قال: اللهم عليك بقريش، ثلاث مرات. فلما سمعوا صوته، ذهب عنهم الضحك. وخافوا دعوته. ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدا ﷺ بالحق! لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر. ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر».

وهو الأمر ذاته، الذي حدث ليلة الهجرة، حينما عزمت قريش وتآمرت على حبسه أو قتله في اجتماعهم في دار الندوة، وهو ما جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

وأما الآن، فلعلنا نلاحظ، هذا الكم المتكرر من الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ، أو ما يتم إجراؤه وباستمرار - من حين لآخر، في خضم تغييب حقيقة نبي الرحمة المعاصرة لدى الغرب، بل ولدينا - أي لدى أجيال جديدة، تسرقها من بين أيدينا تلك الآلة الإعلامية الفجة.

ثالثا: الاستعدادات التي أعدها الرسول ﷺ للهجرة والاستعدادات اللازمة حاليا

من ينظر في قصة الهجرة وترتيباتها، يستشعر أبعاد ذلك التخطيط الدقيق الذي سبقه

التوكل والعزيمة والامتثال لأمر الله عزوجل، ثم تلاه الأخذ بالأسباب، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه يتشوق للهجرة مع رسول الله ﷺ، ولكنه ﷺ يدعوه إلى التريث حتى جاءت اللحظات الحاسمة التي أدرك فيها أبوبكر الصديق أن الوقت قد حان، وأن الصحبة حاصلة، وأن الهجرة قد أذن بها الله عزوجل، وحينها طلب أبو بكر رضي الله عنه الصحبة كما نعلم، وهو أمر بالغ الأهمية، وفي كل وقت.

ثم ما نلاحظه، من أن النبي ﷺ أمر عليا رضي الله عنه بالمبيت في مضجعه، وأن يلبس بردته وطمأنه أنه لن يصيبه مكروه بإذن الله، وجميعنا يعلم ما واجهه علي رضي الله عنه، وما تميز به من شجاعة وإقدام.

أما الجوانب الأخرى، فكانت استئجار دليل خبير ماهر مؤتمن من بني عبد بن عدي، تسلم الراحلتين يعتني بهما ويعلفهما حتى تأتي الساعة الموعودة، ثم رتب مع عامر بن فهيرة، مولاه، أن يرقبهما حتى إذا استقرا في الغار، ويروح عليهما بمنيحة أبي بكر، أي بأغنام أبي بكر، كل يوم ليشربا لبنها، ولتختفي آثار أقدامهما تحت أرجل الغنم، وكلف ابنه عبدالله أن يأتيهما كل ليلة حين تهدأ الرجل محاذرا ليخبرهما بما سمع من حديث المشركين وظنونهم وتدبيرهم، وكلف أسماء بنت أبي بكر أن تعد سفرة رسول الله ﷺ بما سيحملانه في هذه الرحلة من زاد وماء[٣].

وفي ذلك خطورة بالغة، نحو ضرورة أن تستعين الأمة الإسلامية بالخبراء في كافة المجالات، وأن يكون لها دليلها، وليس أن تشتري الحداثة والصناعة والسلاح كيفما يبيعه الغرب لها، ولا شك أنها في البداية ستحتاج لدليل أمين وذي ثقة وحياد، كيفما فعل الرسول ﷺ، ولو كان على دين مخالف، إذ في ذلك دروس الهجرة النبوية السمحة والبناءة.

رابعا: طريق الهجرة وما صادف الرسول ﷺ وصحبه وطريقنا الآن وما يواجهه

لا شك أن ما واجه الرسول ﷺ في نشر دعوته وهجرته من مصاعب وعراقيل ومخاطر، يواجه الأمة الإسلامية حاليا في طريق نهضتها، إذ هي أمام احتلال جديد بروح مغايرة وطرق مستحدثة، هو لا يرغب لهذه البلاد أن تستقل تماما أو تستغني عنه، أو أن تنطلق إلى غايات السماء.

خامسا: أحوال أهل المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ وأحوال عالمنا الإسلامي المعاصرة

المدينة المنورة كانت قد بدأت تستقبل الإسلام، ودخل في الدين الجديد عدد من أهل المدينة، وكان هذا الأمر مهما، وشجع رسول الله ﷺ على التوجه إلى المدينة المنورة.

أضف إلى ذلك أنه في ذلك الوقت كان لها دور أساسي باعتبارها مركزا حضاريا من الناحية التجارية والزراعية، وعجت بالحركة والنشاط مع كونها ملتقى القوافل التي كانت تمر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام، وهذا أيضا جعلها مؤهلة أن تلعب ذلك الدور بالنسبة لانتشار الدعوة الإسلامية، والآن يمتلك العالم الإسلامي ثروات ينظر لها العالم أجمع، وإن كانت نظرة استغلال وهيمنة، كما يمتلك موقعا بالغ الخطورة للتجارة والاقتصاد العالمي، وهو ما يؤهله لأن يكون لاعبا محوريا حال اتحاده، وتعاونه نحو أهداف الرسالة السامية لسلام الكون أجمع.

لكن، من العوامل الأخرى المهمة والمفقودة حاليا، هو ما اتسم به أهل المدينة من مروءة ورجولة حتى إن رسول الله ﷺ قال قولته المشهورة: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار»، إذ إن مشكلة عالمنا الإسلامي المعاصر، وفي خضم التغريب وهيمنة الأفكار الغربية، أن دمرت الكثير من القيم والعوامل الإيجابية لدى جل أبنائه[٤].

سادسا: الأوضاع التي أرساها الرسول ﷺ بعد الهجرة للمدينة والأوضاع التي يجب العمل عليها حاليا

يلاحظ أنه ما أن وصل النبي ﷺ، المدينة، في ضحى يوم الإثنين، ١٢ ربيع الأول للسنة الأولى من الهجرة، الموافق ٢٤ سبتمبر ٦٢٢م، حتى بدأ العمل الجاد، والسعي الدؤوب، ليكمل رسالته على نحو لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، إذ لم تكن «يثرب» – وهي الاسم القديم للمدينة – عندما نزلها النبي ﷺ مدينة بالمعنى المعروف، وإنما كانت واحات متفرقة في سهل فسيح، تسكنها قبائل الأوس والخزرج والجماعات اليهودية، فنظم العمران بالمدينة، وشق بها طرقا معبدة، وكان المسجد هو الأساس في هذا التنظيم، انتظم حوله عمران المدينة الجديدة، واتسقت شوارعها.

وكان هذا المسجد هو مقر الرئاسة الذي تقام فيه الصلاة، وتبرم فيه كل الأمور، وتعقد به مجالس التشاور للحرب والسلم واستقبال الوفود، وبجوار المسجد، اتخذ النبي ﷺ مساكنه، وكانت متصلة بالمسجد، بحيث يخرج منها إلى صلاته مباشرة، وأصبح من السنة أن تبنى المساجد وبجوارها بيوت الولاة ودواوين الحكم.

ومن هنا يمكننا أن نستخلص حاليا فكرة مؤسسية الحكم، أي أن تعمل مؤسسة الحكم وفق أهداف مؤسسة كاملة، وهو أمر يجب تطويره باستمرار وإنماؤه على الدوام، ثم ما نلاحظه من سمة الإصلاح بين الأوس والخزرج وإزالة ما بينهما من عداوة، وهو ما يتلاقى حاليا مع فكرة وحدة الدولة بكافة عناصرها، أي الإحالة دون الفرقة والبغض والكراهية والتنافر للعمل على بناء الدولة وقدرتها على مواجهة أعداء الداخل والخارج.

هذا، وبعد المؤاخاة كانت الصحيفة، وهي الدستور الذي وضعه النبي ﷺ لتنظيم الحياة في المدينة، وتحديد العلاقات بينها وبين جيرانها، هذه الوثيقة لم يملها النبي الكريم إملاءا، وإنما كانت ثمرة مناقشات ومشاورات بينه وبين أصحابه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وكلما استقروا على مبدأ قام الرسول بإملاء نصه على سيدنا علي، وشيئا فشيئا اكتملت الوثيقة، وأصبحت دستورا للجماعة الجديدة، ولا يكاد يعرف من قبل دولة قامت منذ إنشائها على أساس دستور مكتوب غير هذه الدولة الإسلامية الجديدة، فإنما تقام الدول أولا، ثم يتطور أمرها إلى وضع دستور.

وأدت هذه السياسة الحكيمة إلى قيام جماعة متآلفة متحابة، وإلى ازدياد عدد سكان المدينة، حتى زاد عما كانوا عليه أكثر من خمس مرات، بعد أن أقبل الناس على سكناها؛ طلبا للأمن والعدل في ظل الإسلام، والتماسا لبركة مجاورة النبي ﷺ واستجابة لما دعا إليه القرآن من الهجرة إلى الله وإلى رسوله ﷺ[٥].

وتلك النقطة نلاحظها حاليا في أهمية الدستور، ثم التشريع الملائم لمعايير الحياة المعاصرة، كيفما كانت قدوتنا في رسول الله ﷺ، وهو الأمر الذي سبق العلوم الوضعية بعقود طويلة.

وأخيرا.. نشير إلى أهم الدروس المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة وفي ذلك:

١- اختيار البيئة الصالحة للدعوة، والتي يسايرها حاليا كيفية ملاءمة وسائل وأدوات الدعوة مع كل بيئة.

٢- الأخذ بالأسباب بعد التوكل على الله تعالى، وفي هذا أن نراعي معايير العلوم الإنسانية والاجتماعية من سياسة واقتصاد ومجتمع.

٣- التخطيط السليم ومحاولة تضليل العدو، وهو أمر يساير كل زمان ومكان.

٤- جواز الاستعانة بالمشرك لتحقيق مصلحة إسلامية، مما هو متفق عليه حاليا، ويجب التوسع خلاله للمجالات التكنولوجية والعسكرية والتقنية والفنية، لأنها ما زالت قاصرة بشكل كبير عن معالم وحضارة العصر.

٥- حسن اختيار الصاحب في السفر، وهو أمر تؤكده مجريات العلوم السياسية المعاصرة، وسمة التكتلات والتحالفات والاتحادات الدولية، وهنا نشير لأهمية تطوير جامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي، وكيف يمكن أن يسايرا التحديات المعاصرة، وما يمكننا الاستفادة به، من أسباب فشل الاتحاد الأوربي وغيرها من منظمات.

٦- الحرص على سلامة القيادة، وهو أمر بالغ الخطورة، ويجب مراعاته حاليا حتى على أصغر مستويات القيادة، والتي يجب أن يراعي أداؤها وقدراتها، طبيعة التحديات الراهنة.

٧- أهمية المسجد في حياة المسلمين، وهي أهمية تسايرها أهمية الجامعات، وأهمية المؤسسات الرئاسية الجامعة، كيفما لا يفصل كل مما سبق عن المسجد كداعم رئيسي لهما.

٨- الإخاء بين المسلمين، وهو ضرورة يجب الأخذ خلالها بالمعنى الأكثر شمولية واتساعا للإخاء الإنساني كرسالة وصورة وشعار للديانة الإسلامية نحو العالم.

الهوامش

١- «أساليب التضليل الإعلامي عبر المضمون الموازي... كيف تصنع تصوراتنا وفق أدمغة الإعلام؟» للدكتور أحمد مصطفى علي، مجلة الرافد تصدرها دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، عدد ٢٢٨، أغسطس ٢٠١٦م

٢- السيرة النبوية» للعلامة ابن هشام - ط دار الجيل.

٣- «حياة سيد المرسلين» للدكتور محمد عطية الإبراشي - ط دار مصر.

٤- «في السيرة النبوية» للدكتور عبدالحليم الجندي - ط دار المعارف.

٥- «يا رسول الله» للدكتور إبراهيم علي أبو الخشب - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
مصر

إلهامات الهجرة والعمل الإنساني

لا تزال الهجرة النبوية مصدر إلهام للعمل الدعوي، ومصدر انبعاث وإيقاظ للأمة من سباتها العميق، ومع مرور الأيام والسنين وبعد العهد الزمني تكثر إلهاماتها وتتجدد مفاهيمها التي تنبع من القرآن والسنة والسيرة النبوية، فهي بهذا صالحة لكل زمان ومكان، للفهم والتدبر والعمل، وربطها بواقعنا العملي لتكون نبراسا وسراجا منيرا تتحرك الأمة في سنائه وضيائه.

ولكي نمضي قدما في عرض هذه المفاهيم يتحتم علينا أن نبرز معنى الهجرة لغة واصطلاحا.

ففي اللغة: معناها الخروج والانتقال من أرض إلى أرض أخرى، أيا كانت الأهداف والدوافع لهذه الهجرة.

وفي الاصطلاح: الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام لتأييد الدين ونصره والدعوة إليه، وقد أطلق النبي ﷺ لفظ الهجرة على كلا المعنيين بغض الطرف عن دوافع الهجرة وأهدافها. ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

والقرآن الكريم يعرض لنا مفهوم الهجرة الواسع بحركة الإنسان على الأرض والانتشار فيها والضرب في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾ (النساء:١٠٠).

مراغما: ابتعادا ومفارقة عما يكره، وسعة: أي في الرزق، وقيل أي من الضلالة إلى الهدى ومن القلة إلى الغنى.

لقد كانت الهجرة في منهاجها الحركي تأسيسا وتأصيلا ومنهاجا ونبراسا للعمل الإنساني الذي أسس وقام على الحب في الله، فلم تكن الهجرة لتحقيق مجد أثيل، أو تأسيس لإمبراطورية أو مملكة، بل كانت حركتها تتمحور حول الإنسان، قائمة على الدعوة إلى الله وعلى إنقاذ الإنسانية من التردي والانحدار، وعلى حفظ الحياة للإنسان وتكريمه مهما كان ضعيفا وإنقاذه من الهلاك العقدي والأخلاقي والاجتماعي.

العمل الإنساني في ظلال الهجرة

إن العمل الإنساني يتبدى من ثنايا الهجرة وأحداثها، فالهجرة عمل إنساني يتمثل فيما قدمه أبوبكر رضي الله عنه من نفقات في سبيل الله يعتق بها العباد من ربقة العبودية للبشر ليخلص لهم عبوديتهم لله تعالى، وبما قدمه من نفقة تخدم الهجرة المباركة من شراء الدابة والزاد واستئجار الدليل لمعرفة الطريق، والنفقة على الدعوة وتمويلها منذ مهدها.

والهجرة عمل إنساني بما كان فيها

مـن بنـاء المسـاجد فـي قبـاء وفـي المدينة، فكانت عمارة الأرض وعمارة المساجد وبنـاء الإنسـان وعـمـارة القلوب بـالإيمـان والتوحيد ليتعلم من خلالها حقيقة وجوده والعمل المكلف بـه مـن اللّه سبحانه، وهـي الأمـانـة المـذكـورة فـي قـولـه تعـالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢).

إن أسـمى معاني الإنسانية تجلت بوضوح في الهجرة المباركة بما كان فيها من إنقاذ للإنسان من الوثنية والشـرك والجـهـل، وإنـقـاذه كذلك من الجوع والعطش والعري والعوز، والعمل على غرس الأمانة في قلوب النـاس، حتى يحافظوا عليها بكل صورها.

أليس الإنسـان هـو محـور رسـالات السماء، لذلك كان كل ما في الهجرة هو من أجلها فكان النهي عن الاعتداء عليه وحفظ حياته لتكون مقدسة لا يجوز المساس بها بحال، قال تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢)، وأن تحفظ عليه دينه سواء كان مسلما أو غير مسلم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (الحج:٤٠).

وأن تقدم له ضرورات الحياة ليحيا قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الانسان:٨).

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (البلد:١١-١٦).

كل هذا من إنسانيات الهجرة، تنبع من ثناياها وتضيء وتشرق للكون كله معلنة: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر:٦٩).

إلهامات الهجرة والعمل الإنساني

وإذا كنا نتحدث عن العمل الإنساني مـن خـلال الـهـجـرة الـنـبـويـة فـإنـه يتبادر إلى الذهن شخصيتان ملأتا سمع العالم وبصره، أما الشخصية الكريمة الأولى فهو سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت القائد الإنساني الذي يسعى دائما إلى تخفيف آلام النـاس، ورفـع معاناتهم، والمشاركة في صنع حياة كريمة تليق بالإنسان بغض النظر عن فروق الدين واللون واللغة والموقع الجغرافي، فما من كارثة تصيب الإنسانية إلا والكويت الأسـرع فـي تلبية نـداء الـواجـب، وإغاثة الملهوف، في شتى بقاع الأرض ويكون لها النصيب الأوفر من العطاء والإسهامات.

وداخل الكويت فإن قرار سموه بقضاء الـديـون وإسقاطها عـن المسجونين على ذمم قضايا مالية من المواطنين والوافدين، أعاد البسمة والأمل إلى قلوب هؤلاء وأسرهم، كما زاد سموه مـن رعايته للأيتام بـزيـادة منحهم وذلـك لإسـعـادهـم وإدخـال الـسـرور عليهم.

أما الشخصية الكريمة الثانية: فهو الدكتور عبدالرحمن السميط رحمه اللّه، الذي عمل في إفريقيا لعشرات السنين حتى أسلم على يديه قرابة خمسة ملايين ونصف المليون شخص، وقام ببناء ما يقرب من خمسة آلاف مسجد، وقـام بحفر حـوالـي سبعة آلاف بئر للمياه العذبة، وعمل على إنشاء مدارس وجامعات في إفريقيا، وقام بكفالة قرابة خمسة عشر ألف يتيم تقلد بعضهم مناصب عليا في بـلادهـم، وكـان يتنقل بـين الـقـرى الإفريقية في صناديق الشاحنات في طرق غير ممهدة لمدة ١٨ ساعة وما منعته هذه المشقة من إهمال العمل الخيري الإنساني، بل كان يزداد في عمله وعـطـائـه... إنـهـا شخصيات تفخر بها الكويت أبد الدهر.

وكما كـان للهجرة المباركة تجليات وإلـهـامـات فـي شخصيات الكويت الـكـبـرى كـان لـهـا أيـضـا إلـهـامـات وتجليات فـي العمل الخـيـري ككل، فالجمعيات الخيرية الكويتية تعمل عـلـى قـدم وسـاق وتـسـابـق الـزمـن للوصول لأماكن الكوارث وأصحاب الحاجات لتقف معهم تطعم جائعهم وتروي الظمآن وتكسو، وتعلم، وتعالج وتمرض، وتهيئ سبل الحياة.

لقد كان للهجرة النبوية من التجليات والإلـهـامـات فـي فـكـر الجـمـعـيـات الخيرية ومشاريعها الكثير، فقامت للّه ترجو وجه اللّه - نحسبهم كذلك واللّه حسيبهم - وجهودهم تثمر الخيرات وتبشر بالمسرات، وتتجلى الهجرة في أسمى معانيها كذلك في تدفق العمل الخيري والإنساني بصورة مستمرة دائـبـة، لا ترتبط بمواسم الطاعات من شهر رمضان أو أشهر الحج وغير ذلك من المواسم، بل ارتبطت بثوابت الـديـن وأصـولـه الداعية إلـى تكريم الإنسان وحفظه ورعايته.

أ.د. أبواليزيد العجمي
أستاذ الفلسفة الإسلامية
بكلية دار العلوم

من فقه التعايش في حضارتنا سلما وحربا

تتعالى الأصوات عبر مؤسسات رسمية ومؤتمرات علمية، وصيحات مصلحين، بضرورة التعايش بين أتباع الأديان، بل بين البشر قاطبة؛ طلبا للسلام الذي سحقته الحروب، والصراعات الطائفية والمذهبية وغيرها، وما يعج به واقع العالم من خرق للتعايش، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي لكل بلاد العالم.

وقد اخترت أن أقدم صورة لفقه التعايش في حضارتنا الإسلامية مستقاة من نص وواقع واجتهاد. وقبل أن ندخل في مباحث هذا الأمر يحسن بنا أن نشير إلى المسلمات التالية:

أولا: التعايش ضرورة إنسانية واجتماعية في آن معا.

- أما كونه ضرورة إنسانية فهو يستند إلى وحدة الإنسانية التي نجد دعوة لها في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء:١)، وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف:١٨٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (الروم:٢٢).

رغم اختلاف الظاهرة الإنسانية عن أصلها، وهو التراب، صحبه بلا شك الاختلاف في كثير من المظاهر، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم:٢٠).

وليس ذلك الاختلاف معارضا لأصل الوحدة، ولا يصح أن يكون سببا للنزاع، بل يجب أن يكون سببا للتعارف، ولذا قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

فهذا الاختلاف للتعارف لا للتناكر، ولا يستحقر بعض الشعوب غيرها[1].

وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تقرر هذا المبدأ الإنساني، منها: «كلكم لآدم وآدم من تراب»، ومنها: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وهذه الأحاديث وغيرها تنطبق على الأفراد كما تنطبق على الجماعات[2].

فإذا أضفنا إلى ما سبق ما يذكره علماء العلاقات الدولية من قواعد المساواة، والعدل، والتعاون، والرحمة، والحرية التي أبرزها حرية الاعتقاد.

أقول: إذا أضفنا كل هذا فإنه يتأكد لدينا أن التعايش بين الأديان في عمومها ضرورة إنسانية.

- أما أن التعايش ضرورة اجتماعية فتسوغه وتحبذه ضرورات الواقع، إذ لا بد من التعاون بين البشر لتحقيق تنمية الحياة والإحياء، علميا، وسياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، ولا يكون هذا مع القطيعة أو اضطهاد قوم لآخرين لنزعات أو نزاعات، وفي الوقت ذاته كيف يعقل أن تعيش جماعة صغرت أو كبرت أو حتى تحولت دون أن يكون بينها تعامل حياتي

حيث يحتاج كلٌ إلى الآخر، والإنسان كائن اجتماعي لا غنى له عن الناس.

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

لأن هذا هو القاعدة، والحرب والتضامن والصراع خلاف هذه الحقائق، ووراء أمراض بشرية ولدتها انحرافات بشكل أو بآخر.

ثانيا: التعايش في حضارتنا وفقهنا مبينا ما أشرنا إليه من وحدة الإنسانية ومقتضياتها وضرورة التعاون بين أبناء الوطن الواحد، والعالم الذي أصبح قرية صغيرة في ظل تطور وسائل الاتصال.

وليكن واضحا في الأذهان الفرق بين التعايش مع اختلاف الأديان والرضا أو قبول الدين المخالف، ففي حضارتنا التعايش للتعاون وتيسير الحياة، في صلح الحديبية كان محاولة للتهدئة والتعايش، كان المفروض أن يستمر عشر سنوات، لكن القوم نكصوا فكان ما كان من أمر ضروري وهو رد الاعتداء.

وكذلك وثيقة المدينة التي خط بها النبي ﷺ أصول التعايش، وهي ليست تعايش ترضية لليهود أو موافقة بهم على ما يعتقدون، وكذلك ما فعله النبي ﷺ مع نصارى نجران وما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العهدة العمرية وما سار عليه من تيسير التعايش فهما لحقيقة تصرفات النبي ﷺ في هذا الصدد.

ثالثا: الأديان، السماوية، بريئة مما يحدث من خرق للتعايش، وصراع بين البشر على أي مستوى كان التجمع البشري.

أما المسؤول عن هذا الخرق فهم أتباع الأديان بما يقترفونه من جهل بتعاليم الأديان، أو تحريف لما جاء في الأديان، أو فهم تطرف لحقائق الدين إلى جانب الهوى، والعصبية للون أو الجنس أو الدم أو الأرض، هذه وغيرها هي التي وراء خرق التعايش، إذ ليس في الأديان إلا ما يدعو إلى المساواة والرحمة، والتعاون، والحرية وأعلاها حرية الاعتقاد ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦)، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩).

وفي النصوص التي لم تحرف في التوراة والإنجيل مثل هذا، لأن مصدر الكتب جميعها، ورسالات الأنبياء جميعهم جاءت لصالح البشر وحفظ كرامة الإنسان.

- الفقهاء وحقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية:

من المقرر أن غير المسلمين في الدولة الإسلامية إما جماعة عقدوا صلحا مع المسلمين، وهؤلاء لهم كل الحقوق التي سنشير إليها لقول النبي ﷺ: «لعلكم تقاتلون قوما فتظهرون عليهم، فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، وفي رواية «فيصالحونكم على صلح» فلا تصيبوا منهم فوق ذلك فإنه لا يصلح لكم»[٣].

وحديث آخر: «ألا من ظلم معاهدا وانتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[٤].

والحديثان بلفظ عام يشمل كل الحقوق لهم؛ النفس والمال وما يتصل بها.

- وتعرف الدولة الإسلامية جماعة أخرى فتحت بلادها وبقيت في بلاد المسلمين وفق شروط الدولة الإسلامية من أخذ الجزية، ولهم كل الحقوق كذلك.

- والجدير بالذكر أن فقهاء المسلمين وعلماءهم كانوا حماة لأهل الذمة، فإذا عوملوا بغير العدل هبّ العلماء لنصرتهم، ومن ذلك: (أن الوليد بن عبد الملك أخذ كنيسة يوحنا من النصارى قهرا، وأدخلها في المسجد فلما استخلف عمر بن عبدالعزيز شكا النصارى إليه ما فعله الوليد في كنيستهم، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاد على المسجد عليهم)[٥].

- وأجلى الوليد بن يزيد من كان بقبرص من الذميين، وأرسلهم إلى الشام مخافة حملة الروم، فغضب على ذلك الفقهاء وعامة المسلمين، واستعظموه، فلما ردهم يزيد بن الوليد إلى قبرص استحسنه الناس وعدوه من العدل، فيقول إسماعيل بن عبدالملك: ردهم إلى قبرص، واستحسن المسلمون ذلك من فعله ورأوه عدلا[٦].

- ركائز اجتهاد الفقهاء في أحكام التعايش وحقوق المسلمين:

لقد كان أمام الفقهاء نصوص شرعية تدعو إلى التعايش، كما كان أمامهم وقائع علمية تثبت هذا التعايش:

أ- أما النصوص فقد كان أمام الفقهاء قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات:١٣).

إلى جانب الآيات التي تتحدث عن الوحدة الإنسانية، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ (النساء:١).

ونظائرها في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة.

- وكان أمامهم النصوص الحديثية التي تبين حقوق غير المسلمين، وتظهر المساواة والحرية اللتين هما أساس التعايش، من هذه الأحاديث: قوله ﷺ: «من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة» قال أبو عبدالرحمن: كنهه: حق»[٧].

وقوله ﷺ: «إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما»، قال حرملة: يعني بالقيراط أن قبط مصر يسمون أعيادهم وكل مجمع لهم القيراط، يقولون: نشهد القيراط[٨].

وقوله ﷺ: «إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا

أعطوكم الذي عليهم»[٩].

وقوله ﷺ: «من أمن رجلا على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة»[١٠].

وقوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[١١].

قلت هذه الروح العامة للنصوص القرآنية والحديثية، وما كان على غير هذه الروح، فله ظروفه وسياقه؛ لأن الذي هنا في حالة التعايش الطبيعي معاملة، وحفظ كرامة، وحقوق أمور متبادلة بين المسلمين وغيرهم. فإن حدث ما يخالف هذا فليس في سياق هذه الروح التعايشية، وإنما يمكن أن يكون هناك ما لا يصح إسقاط هذه الروح عليه.

ب- وقائع التعايش في حضارتنا:

- وثيقة المدينة وما في بابها:

ودون خوض في تفاصيل وقت الوثيقة وجدل المستشرقين حوله نقول: هذه الوثيقة قال عنها ابن هشام في السيرة: «كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، حيث وضع الهدنة مع اليهود (حلفاء الأنصار) وعقد معاهدة معهم، وأقر لهم بحقهم في البقاء على دينهم، وأمنهم على أموالهم، وأخذ منهم العهد وأعطاهم العهد»[١٢].

ومما يخص اليهود في هذه الوثيقة، نذكر:

١- اليهود الذين يتبعوننا لهم منا النصر والأسوة، ولا يؤذون، ولا يعان عليهم من يحاربونهم.

٢- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين (وتلحق الوثيقة كل يهود بني عوف)، إلا من ارتكب إثما فإثمه على نفسه وأهل بيته.

٣- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

٤- بطانة اليهود لهم ما لليهود.

٥- يتحمل اليهود نفقة أنفسهم، وكذلك المسلمون.

٦- يتحالف اليهود والمسلمون ضد من يحارب أحدا منهم، ويتبادلون النصح والمشورة في الخير لا في الشر، ولا يجوز لأحد أن يضر حليفه.

٧- لا يقدم اليهود الحماية لا لقريش ولا لأعوانها.

٨- يساعدون المسلمين على دفع من يغزوا المدينة.

٩- إذا دُعوا إلى عقد سلام والمحافظة عليه، عقدوه وحافظوا عليه.

١٠- اليهود موالي الأوس لهم حقوق وواجبات يهود الميثاق مع الإحسان إليهم.

هذه هي بعض بنود الوثيقة، لكن بالوثيقة ما هو أساس للاعتراف بتعدد الاعتقادات وحرية ذلك (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم)، وقد استخدمت الوثيقة لفظ «أمة» .

ولقد وجد الفقهاء والدارسون للوثيقة أسسا دستورية كانت جديدة على البشرية: من العدل، ومن محاربة الظلم، ومن المسؤولية الفردية، ومن المساواة في الحقوق والواجبات، وغير هذا كثير، مما يستحق التأمل والإفادة منها في باب التعايش والسلم الاجتماعي[١٣].

- كذلك وجدد الفقهاء في عهد النبي ﷺ إلى نصارى نجران، ما يستندون إليه -إلى جانب النصوص القرآنية والحديثية، ووثيقة المدينة- في أحكام تتصل بالتعايش بين الأديان، لأن إقرار الحقوق ووضوح الواجبات يغذي التعايش والاستقرار.

وقد جاء في عهد النبي ﷺ إلى نجران: (ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير[١٤].

وقد وجد الفقهاء في هذا العهد أهمية دفعت الخلفاء الأربعة إلى تجديد هذا العهد حين طلب أهل نجران ذلك، فقد كتب لهم أبوبكر رضي الله عنه: «هذا ما كتب به عبدالله أبو بكر خليفة النبي ﷺ لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأراضيهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يخسرون ولا يعسرون».

ثم جدد لهم عمر وعلي وعثمان نفس الكتاب لما طلبوا تجديده[١٥].

- العهدة العمرية أو الشروط العمرية:

من الثابت تاريخيا أن عمر بن الخطاب كتب لأهل إيلياء صلحا، ووقع كذلك صلحا وأمانا مع نصارى الشام.

يذكر الطبري من كتاب عمر لأهل إيلياء إذ يقول: «وعن خالد وعبادة قالا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح، لكل كورة كتابا واحدا، ما خلا أهل إيلياء، بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها»[١٦].

وإلى جانب صلح أهل إيلياء هناك شروط عمرية صالح عليها نصارى الشام بناء على طلبهم هم، فقد روى عبدالرحمن ابن غنم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب حين صالحوا نصارى الشام: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصارى بلد كذا وكذا: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا، وذرارينا، ومواليا، وأهل ملتنا، وشرطنا على أنفسنا - وذكر شروط ارتضاها عمر رضي الله عنه فصالحهم عليها[١٧].

قلت: إن دراسة الفقهاء للنصوص الشرعية التي ذكرنا أمثلة منها، ودراستهم للوقائع التاريخية، من مثل: وثيقة المدينة، وعهد نصارى نجران، والشروط العمرية، هذه الدراسة أمدت الفقهاء بأدلة اجتهادهم وأحكامهم في باب التعايش والأمان والصلح، مما يكفل الاستقرار للجماعة التي تتعايش مع بعضها، سواء كان هذا في بلد واحد أو في بلاد داخل الدولة الإسلامية، وبينها وبين الدولة الإسلامية صلح ومعاهدة.

وهذا ما ظهر جليا في الفقه الإسلامي، حيث جاءت أحكام الفقه باسطة الحقوق والواجبات لغير المسلمين في حالة السلم، مما يحقق التعايش المبني على

الأسس التي أشرنا إليها في مقدمة الحديث عن التعايش ومسلماته، كذلك فإن بعض فقهاء المسلمين ذكر أحكاما تتصل بحالة الحرب، وما يتصل به من مسائل، كالأسر، والأمان، والموادعة، ونحو ذلك.

وسنشير إلى نموذج لكل من هذين المجالين: السلم، والحرب، وبخاصة أن بعض الفقهاء في حديثهم عن أحكام الحرب أسسوا بها علم العلاقات الدولية قبل أن يعرفه العالم الغربي بقرون عديدة.

- من أحكام التعايش في السلم:

ترصد كتب الفقه على اختلاف مذاهب أصحابها حقوق وواجبات غير المسلمين، وتطلق عليهم أهل الذمة وتلحق بهم المعاهدين والمستأمنين داخل الدولة الإسلامية، لكن الذين تناولوا هذه الحقوق والواجبات من الفقهاء المعاصرين أضافوا جديدا، فتحدثوا عن غير المسلمين المقيمين في بلد إسلامي على أنهم مواطنون لهم كل حقوق المواطنة، كما أن لهم حق الاستقلال الثقافي، والتصويت وممارسة الوظائف، والخدمة العسكرية، وغيرها[١٨].

كتب الفقه التراثية أفادت من المصادر التي ذكرنا فأعطت أصحاب الأديان حقوقهم في شتى المجالات (من الأمن على النفس والمال والعرض، وحق الإقامة والتنقل، وحق الكفاية من مقومات الحياة، والحقوق العقدية والفكرية، حتى التدين والبقاء على العقيدة، وحق التعليم والتعلم)، وهكذا فصلت القول في الحقوق والواجبات السياسية والاقتصادية[١٩].

- مثال لحكم فقهي يحق المساواة التي تدعم التعايش.

من الحقوق التي ذكرها الفقهاء حفظ النفس:

ويقررون أن دم الذمي كدم المسلم، فإن قتل مسلم أحدا من أهل الذمة اقتص منه كما لو قتل مسلما، وروى عمر بن الحسن عن إبراهيم، رحمهما الله تعالى، أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «أنا أحق من وفى بذمته»، وفي رواية «أنا أكرم من وفى بذمته»[٢٠].

وفي زمان عمر رضي الله عنه قتل رجل من بني بكر بن وائل رجلا من أهل الذمة بالحيرة، فأمر عمر رضي الله عنه بتسليم الرجل إلى أولياء المقتول، فسلم إليهم فقتلوه[٢١].

وفي خلافة علي رضي الله عنه أخذ رجل من المسلمين بقتل ذمي، وقامت الحجة عليه فأمر بالقصاص، فجاءه أخو المقتول، وقال: قد تركت القود، ولكنه لم يرض بذلك، وقال: لعلهم فزعوك أو هددوك، وقال: لا، بل أخذت الدية، ولا أظن أن أخي سيعود إلا بقتل هذا الرجل، فأطلق علي القاتل، وقال: من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا.

وفي رواية أخرى أن عليا رضي الله عنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا.

ومنه استنبط الفقهاء أنه إذا قتل مسلم أحدا من أهل الذمة خطأ، كانت ديته كدية قتله أحدا من المسلمين خطأ[٢٢].

- محمد بن الحسن الشيباني والقانون الدولي:

أعني أحكاما تشي بالرغبة في التعايش في ظروف الحرب، وما يتصل بها من تجارات، ومعاهدات وغيرها، وهو ما يدخل في صلب القانون الدولي.

وهنا نقول: إذا ذكرت العلاقات الدولية علما، وموضوعات ذكر بالضرورة الفقيه الحنفي محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمه الله وقد وجه محمد بن الحسن جهده إلى هذا الجانب، أعني الأحكام التي تشي بحرص المسلمين على تمهيد الأرض للتعايش في ظل الأمان والمصالحة والتجارة مع الغير.

ولنقل كلمة موجزة عن هذا الفقيه الرائد.

ترجم له عدد كبير من كتب التراجم القدامى والمعاصرين وفي المصادر الأجنبية، ونحن سنحيل القارئ إلى ثبت هذه الكتب[٢٣].

والتعريف به في نقاط:

- ولد بواسط سنة ١٣٢هـ، بداية دولة العباسيين، من أسرة ميسورة الحال.

- انتقل إلى الكوفة فنشأ بها وهي مركز للفقه واللغة والنحو، وكانت ملتقى كبار الفقهاء والعلماء أمثال أبي حنيفة وأبي يوسف والثوري والكسائي والفراء وسلمة وثعلب.

- أثرت فيه هذه البيئة وأنفق مالا ورثه على طلب العلم.

- لازم أبا حنيفة أربع سنوات فلما توفي أبو حنيفة عام ١٥٠هـ، أتم الفقه على أبي يوسف، ثم أخذ يرحل إلى كبار العلماء في مواطنهم، كالأوزاعي في الشام، وسفيان بن عيينة بمكة.

- وعبدالله بن المبارك في خراسان.

- رحل إلى الإمام مالك في المدينة المنورة فلازمه ثلاث سنوات وسمع منه الموطأ مرات، فجمع بذلك بين منهج أهل الرأي وأهل الحديث.

- جلس إليه للتعلم منه أسد بن الفرات فاتح صقلية، والشافعي وكان يعقد لهما جلسة خاصة.

- ولي القضاء للرشيد، بل وولي قضاء القضاة لكن بعد محنة تعرض لها زمن الرشيد، ففتشت كتبه خوفا من أن يكون فيها تحريض للطالبيين على الخروج.

- خرج من الرشيد إلى الري ومعهما الكسائي النحوي عام ١٨٩، فمات ومات الكسائي حتى قال الرشيد: دفن الفقه واللغة في يوم واحد.

- ترجع شهرته إلى:

١- أنه أكبر أصحاب أبي حنيفة الذين أثروا في نشر مذهبه.

٢- أن أثره العلمي ظهر فيما كتب بعده في الفقه، كالمدونة، والأم، والحجة، إذ ألفت على غرار كتبه.

السير الكبير:

للشيباني مؤلفات كثيرة حظيت بشروح من العلماء لكن آخر كتبه، كما يذكر صلاح الدين المنجد، كان كتابه السير الكبير أي المغازي، يقول عنه المنجد محقق الكتاب: «ويدور موضوع الكتاب حول جميع الأمور المتعلقة بالحرب وعلاقاتها بالمشركين وأحكامها، فهو في الحقيقة القانون الدولي للمسلمين في

أمور الحرب.

وعلى هذا تكلم محمد بن الحسن الشيباني عن أهل الإسلام وأهل الحرب من المشركين، وبين أحكام الأساري من الفريقين، سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا. وإسلام المشركين والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه، والمستأمنين، والرسل الذين يفدون إلى دار الإسلام من دار الحرب، والحصانات التي يتمتعون بها، والصلح، والتحكيم، والفداء وأموال يستولي عليها أهل الحرب في الحرب. ونقض المعاهدات، وجرائم الحرب هذا إلى مئات من المسائل المتعلقة بأهل الحرب وصلاتهم بالمسلمين في آيات الحرب والسلم معا»[٢٤].

منهج الشيباني في كتابه السير الكبير وأهميته:

- اعتمد على القرآن، والأحاديث التي قيلت في مغازي الرسول ﷺ إثر حوادث معينة وقعت.
- كم اعتمد على الأحكام التي وقعت أثناء حروب المسلمين وفتوحهم، مستعملا القياس في أحايين كثيرة؟
- أعجب الرشيد بالكتاب وأرسل ولديه يسمعانه من مؤلفه.
- زاد الاهتمام به في الدولة العثمانية وترجم إلى التركية.
- شرح أكثر من شرح لعل أهمها: شرح السرخسي، والجمال الحصيري ٦٣٦هـ.
- والشيباني في كتابه السير الكبير، وهو من خمسة أجزاء كبيرة، سبق من كتب في القانون الدولي، أمثال: عروسيوس الهولندي ١٦٤٥هـ، سبقه بقرون عديدة.

وقد تنبه المشتغلون بالقانون الدولي لشأن المؤلف والكتاب، فأسست في غوتنجن بألمانيا جمعية للحقوق الدولية، ضمت علماء القانون الدولي، والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم، انتخب رئيسا لها د. عبدالحميد بدوي، ونائبا له د. صلاح المنجد، وتهدف الجمعية إلى التعريف بالشيباني وإظهار آرائه في هذا الباب، ونشر مؤلفاته المتعلقة بذلك.

- نماذج من السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني:

ذكرنا أبرز موضوعات السير الكبير (السير يعني المغازي) وكلها فيما يتصل بالحرب ومسائلها، ولا يتسع المقام للشرح أو التعليق على جميعها في باب التعايش، إذ سنورد نماذج تؤدي الغرض من اختيارها، ويقاس عليها بقية مباحث ومسائل الكتاب.

النموذج الأول: وصايا الأمراء.

حين أرسل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يزيد ابن أبي سفيان على جيش، قال له: إني موصيك بعشر فاحفظهن:

١- إنك ستلقى أقواما زعموا أنهم قد فرغوا أنفسهم لله في الصوامع، فذرهم وما فرغوا أنفسهم له (ويعني من ليس لهم شأن بالحرب ولا أثر فيها).

٢- وستلقى أقواما قد حلقوا أوساط رؤوسهم فافلقوها بالسيف (يقصد الذين يحثون الناس على الحرب).

٣-٤-٥- ولا تقتل مولودا ولا امرأة ولا شيخا (يقصد من لا يقاتل وليس له رأي في الحرب).

٦-٧-٨- ولا تعقرن شجرا ربوا ثمره، ولا تحرقن نخلا، ولا تقطعن كرما (لأن ذلك تخريب وفساد، والله لا يحب الفساد).

٩-١٠- ولا تذبحن بقرة ولا شاة ولا سوى ذلك من المواشي إلا للأكل، وفي رواية أخرى أضاف: ولا تغلن، ولا تجبنن، ولا تعصين، ولا تفسدن.

قلت: وهذه الوصايا كما تظهر أخلاق المسلمين في الحرب، تشير إلى حرص المسلمين في الحرب على حياة المدنيين، ومن ليسوا في ساحة الحرب [٢٥].

٢- النموذج الثاني: باب صلة المشرك.

يذكر محمد بن الحسن عن أبي مروان الخزاعي قال: قلت لمجاهد رجل من أهل الشرك بيني وبينه قرابة، ولي مال عليه. أدعه له؟ قال نعم وصله.

ويستدل على صحة هذا بأن الرسول ﷺ بعث بخمسمئة دينار إلى مكة حين قحطوا... وأمر بتفريق ذلك على فقراء أهل مكة.

ويعقب محمد بن الحسن الشيباني على رواية الخزاعي بقوله: صلة الرحم محمودة عند كل عاقل وفي كل دين والإهداء من مكارم الأخلاق، فهو خلق حسن في حق المسلمين والمشركين جميعا.

ثم يقول الحكم الفقهي: وبه نأخذ فنقول: لا بأس بأن يصلَ المسلمُ الكافرَ المشركَ قريبا كان أو بعيدا، محاربا كان أو ذميا.

قلت: والهدية طريق مودة، وتهيئة تعايش بشكل أو بآخر[٢٦].

٣- النموذج الثالث: باب دخول المشركين المسجد.

يذكر عن الزهري أن أبا سفيان كان يدخل المسجد في الهدنة وهو كافر، وذلك حين أتى ليجدد الصلح بعدما نقضوه وخافوا أن يغزوهم النبي ﷺ.

وذكر محمد بن الحسن أن الزهري يرى أن ذلك لا يحل في المسجد الحرام، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ..﴾ (التوبة:٢٨).

ويورد محمد بن الحسن رأي مالك أنه لا يجوز دخول المشركين أي مسجد، ويورد رأي الشافعي أنه يمنع كذلك خاصة المسجد الحرام، ويرد الرأيين بأن النبي لقي وفد ثقيف، وضرب لهم قبة في المسجد، ولما قيل هم أنجاس، قال: ليس على الأرض من نجاستهم شيء.

ثم يقول محمد بن الحسن: «وأما عندنا فلا يمنعون من دخول سائر المساجد، ويستوي في ذلك الحربي والذمي».

ويرى أن المنع في الآية الكريمة يقصد به دخولهم بالشكل الذي كانوا يدخلون به قبل ذلك (طوافهم عراة)، وأن المراد به (لا تقربوا) من حيث التدبير والعمارة، وإدارة شؤونه، وهذا ليس لهم ولا يمكنون منه بحال.

قلت: تسامح ومراعاة للمصلحة إذ كيف يكون الحوار حول تجديد هدنة أو صلح دون تسامح كهذا الذي أشار إليه محمد ابن الحسن الشيباني[٢٧]..

٤- النموذج الرابع: باب الأمان

قال: وإذا نادى المسلمون أهل الحرب بالأمان فهم آمنون جميعا، إذا سمعوا أصواتهم بأي لسان نادوهم بـ (العربية

أو غيرها) لحديث عمر رضي الله عنه كتب إلى جنوده بالعراق: إذ قلتم لا تخف، لا تذهل، فهو آمن فإن الله تعالى يعرف الألسنة.

والمعنى ما أشار إليه، فإن الأمان التزام الكف عن التعرض لهم بالقتل والسبي حقا لله تعالى، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية.

- وإذا نادوهم بلسان لا يعرفه أهل الحرب ويعرفه المسلمون فهم آمنون.

- وإذا قال المسلمون للحربي: أنت آمن ولا تخف، أو لا بأس عليك، أو كلمة تشبه هذا فهو كله أمان.

- وإن أمر أمير المعسكر رجلا من أهل الذمة أن يؤمنهم، أو أمره بذلك رجل من المسلمين فأمنهم فهو جائز.

قلت: الأمان عصمة للمؤمن، وطريق مفتوح للحوار الذي هو نوع من التعايش[٢٨].

٥- النموذج الخامس: باب أموال المجاهدين.

قال: وإذا أودع المسلمون قوما من المشركين فليس يحق لهم أن يأخذوا شيئا من أموالهم إلا بطيب أنفسهم للعهد الذي جرى بيننا وبينهم فإن ذلك العهد في حرمة التعرض للأموال والنفوس بمنزلة الإسلام، فكما لا يحل مال المسلمين إلا بطيب نفس فكذلك المعاهدون، لأن أخذ مال المعاهد غدر بالعهد[٢٩].

قلت: أخلاق الإسلام وقيمه حاضرة في الحرب والصلح كما هي حاضرة في السلم.

وتأمين النفوس والأموال عهد ومودة قد يكون لها ما بعدها من التعايش.

خاتمة

من خلال الإشارات التي سبقت تبين أن فقه التعايش في حضارتنا أصيل تأصيلا وتطبيقا. وهنا سؤالان:

السؤال الأول:

١- هل عرفت الحياة في الدولة الإسلامية هذا التعايش؟

٢- ولماذا حدث ما حدث في العصر الحديث؟

وبالنسبة للسؤال الأول نقول:

من يقرأ تاريخ المسلمين مع غيرهم يجد ما يلي:

أ- فتح المسلمون مصر وبها أقباط لم تهدم لهم كنيسة، وتعايشوا مع المسلمين في العلم والصناعة وكل الأمور الاجتماعية.

ب- في الدولة العباسية بعد أن جاءت كتب اليونان إلى بيت الحكمة كان المترجمون في مجموعهم نصارى ولم يعترض المسلمون بل قدروا هذا الجهد العلمي، بل أكثر من هذا ألف بعض النصارى كتبا في الفكر الإسلامي.

- أما عن السؤال الثاني فنقول:

أولا: لا يتحقق التعايش بنص قانون بشري لنقصه واختلاف الناس حوله، ولكنه يتحقق بفهم حقيقي لطبيعة الأديان ونظرتها إلى الإنسان وعلاقتها بالتعايش.

فإذا اختل هذا الفهم ظهر ما هو موجود الآن وأسبابه بإيجاز يحتاج فيما بعد إلى تفصيل:

أ- الجهل بحقيقة الأديان وإنسانيتها.

ب- يؤدي هذا الجهل إلى تطرف فكري من أصحاب الأديان، يفتي بعض الأتباع بعدم أحقية غيرهم في الحياة الآمنة.

ج- يغذى هذا بتعصب أحمق يخرق إنسانية التعايش ويدعو إلى الاضطهاد، وهذا جهل بالأديان، وظلم لها.

وكل هذه الأمراض المسببة لما يحدث الآن، علاجها ليس بالوعظ أو الخطب، وإنما علاجها علاج فكري من خلال التعليم والإعلام ووسائل التربية والثقافة، لأن المسألة ترتبط بالفكر المؤسس على عقيدة صحيحة تدرك حقيقة الأديان، وأنها جميعها تدعو إلى السلم الاجتماعي باعتباره طريقا إلى تحقيق التعايش.

وهذه الأسباب تحتاج إلى بسط قد يكون له مقام آخر.

والله المستعان.

الهوامش

١- أبوزهرة: العلاقات الدولية في الإسلام:٦.
٢- أبو زهرة: السابق:١٠.
٣- أبو داود: كتاب الجهاد.
٤- أبو داود: كتاب الجهاد.
٥- البلاذري: فتوح البلدان: ١٣٢.
٦- فتوح البلدان: ١٥٦، انظر: أبو الأعلى المودودي: حقوق أهل الذمة، طبعة: دار الفكر. د.ت:٢٩.
٧- البخاري: باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم:٩٩٢٤.
٨- رواه ابن حبان في صحيحه: باب ذكر الأخبار عن فتح الله:٦٧/١٧، وقال الألباني: صحيح.
٩- رواه أبو داود في سننه: باب تعشير أهل الذمة: ٦٥٦/٤، قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.
١٠- رواه ابن ماجه في سننه: باب من أمَّن رجلا على دمه: ٨٩٦/٢، قال الألباني: صحيح.
١١- رواه أبو داود في سننه: باب تعشير أهل الذمة:١٧٠/٣.
١٢- سيرة ابن هشام، طبعة فرديناند، جوتنج ١٨٥٨م: ج٣٤١/١.
١٣- انظر: محمد الشرقاوي: قيم التعايش المشترك ومبادئه في وثيقة المدينة، مجلة حراء: ٢٥ فبراير ٢٠١٤م.
١٤- الخراج: ٧٣.
١٥- الخراج: ٧٤، ١٤١.
١٦- الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ٦٠٨/٣.
١٧- انظر: موقف الفكر الإسلامي من الأقليات، رسالة دكتوراه، دار العلوم، ٢٠١٥م: ٢٦٤.
١٨- أبو الأعلى المودودي: حقوق أهل الذمة: ١٥-٢٥.
١٩- انظر: عمرو مسعد زيان: موقف الفكر الإسلامي من الأقليات: ٩٥.
٢٠- العناية في شرح الهداية: ج٢٥٦/٨.
٢١- البرهان في شرح مواهب الرحمن: ٢٧٨/٣.
٢٢- الدر المختار: ٢٠٣/٣، انظر: المودودي: حقوق أهل الذمة:١٤.
٢٣- مقدمة محقق كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، د.ت: ٧، ٨.
٢٤- السير الكبير، مقدمة المحقق: ج٩-١٤.
٢٥- شررح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد. د.ت:٣٩/١-٤٦.
٢٦- شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد: ٩٦/١/٩٧.
٢٧- شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد: ١٣٤/١، ١٣٥.
٢٨- شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد: ٢٨٥/١.
٢٩- شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد: ١٣٣/١.

أبو الحسن الجمال
كاتب ومؤرخ مصري

الدكتور محمد كمال شبانة.. عاشق الأندلس

يقول الإمام محمد عبده: «تموت العربية في كل مكان وتحيا في دار العلوم»..
وقد شكلت مدرسة دار العلوم التاريخية مكانة في خارطة البحث العلمي على مدار مائة عام، وقدمت الكثير في مجال الدراسات التاريخية والحضارية، وأنجزت نتاجا علميا متميزا وفريدا، ومن أهم أعلام هذه المدرسة الكبيرة الأساتذة: د. محمد ضياء الدين الريس (ت: ١٩٧٧م) ود. محمد حلمي محمد أحمد (ت: ١٩٨٤م)، ود. أحمد جاب الله شلبي (ت:٢٠٠٠م)، ود. إبراهيم أحمد العدوي (ت: ٢٠٠٤م)، ود. علي حسن حبيبة، ود. حسن علي حسن، ود. عبدالله محمد جمال الدين، ود. طاهر راغب حسين، ود. عبدالرحمن أحمد سالم، ود. يسري أحمد زيدان، ود. عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح. ومازالت تعطي وتقدم الدراسات الرصينة في كل حقب التاريخ والحضارة[1].

وسوف نلتقي مع أحد أعلام هذه المدرسة وهو الدكتور محمد كمال شبانة أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والمتخصص في تاريخ المغرب والأندلس، هذا الرجل العصامي الذي حفر اسمه في سجل الخالدين بأحرف من نور، وهو من العصاميين الذين انتصروا على اليأس وتسلحوا بالعزيمة والصبر، فهو الذي ذهب إلى المغرب مدرسا في المدارس الثانوية فإذا به يستهويه سحر البلاد وعبق التاريخ، ويغرم بتاريخ المغرب والأندلس، وما ترك أثرا فيه إلا وقد زاره، وكذلك زار المكتبات وخزائن الكتب التي تضم نفائس الكتب، والتقى بعلماء المغرب وأخذ عنهم الكثير، ولم يقف عند هذا الحد بل يمم شطره إلى جامعة غرناطة؛ هذا الثغر الذي يبعث في النفوس الشجن والحزن والأسى، وهو آخر القلاع التي سقطت، وبسقوطه انتهت دولة الإسلام في الأندلس، وذهب هناك ولم يكن مبعوثا من جهة أكاديمية أو حاصلا على منحة، ولكنه ذهب على نفقته الخاصة مضحيا بالغالي والنفيس ويقبل على الدرس والتحصيل وجمع مادته العلمية، وفي سبيل هذا اتقن اللغة الإسبانية، بل ترجم كتاب «معيار الاختيار» لابن الخطيب إلى



الإسبانية كجزء من رسالته، وأخيرا حصل على رسالته بتفوق منقطع النظير مما حدا بالصحافة الإسبانية أن تحتفي بهذا النجاح المبهر.. ولما عاد إلى مصر انتظر سنوات حتى عين في دار العلوم مدرسا للتاريخ والحضارة، وبذلك عاد إلى المعهد الذي يعشقه بعد خمسة عشر عاما من التخرج منه.. إلا أن حنينه إلى المغرب لم يفارقه، فعاد إليه بعد بضع سنوات ليمكث هناك حوالي عقدين أستاذا بالجامعات المغربية العريقة.

وتتلخص جهود الدكتور محمد كمال شبانة العلمية في محاور عدة: أولها: تدريسه وتأليفه في التاريخ الإسلامي وخصوصا تاريخ المغرب والأندلس، وثانيهما: تحقيقه لعدد من نفائس كتب التراث التاريخية ومعظمها لصاحب الوزارتين المؤرخ الجليل لسان الدين بن الخطيب (ت:٧٧٦هـ)، وثالثها أنه كان لصيقا بقضايا أمته الإسلامية يريد لها أن تعود إلى سالف مجدها فاتخذ وسائل عدة للتعامل مع هذه القضايا بالخروج من سور الجامعة والتأليف لعامة الناس، كما قدم العديد من البرامج الإذاعية.

وقد شعرت بالغبن وأنا أرى أستاذا عريقا كالدكتور شبانة لم يكتب عنه أحد سطرا واحدا منذ رحيله قبل خمس سنوات، لذا شمرت عن ساعد الجد، وقد عانيت كثيرا في جمعي لهذه المادة، فظللت اتتبع السبل حتى اهتديت إلى أسرته وعلى رأسهم ابنه الأكبر حمزة شبانة، مدير عام مكتب رئيس أكاديمية البحث العلمي، فأمدني باللازم لعمل هذه الدراسة.

ولد محمد كمال شبانة في قرية أولاد عزاز بمحافظة سوهاج في الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٢٦م، وحفظ القرآن الكريم في كُتّاب القرية، ثم نذره والده للأزهر الشريف فالتحق بمعهد بلصفورة الأزهري بسوهاج، وتلقى العلم على يد علماء أجلاء منهم: الشيخ أحمد علي بدر، والشيخ محمد حداد الجزيري، والشيخ أحمد رزق، ثم التحق بمعهد أسيوط الديني، وحصل منه بتفوق على شهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩٤٨م، وقرر الالتحاق بمدرسة دار العلوم (جامعة فؤاد الأول) جامعة القاهرة الآن، فاجتاز اختبار قبولها، وكانت في مكانها القديم بحي المنيرة، وانتقل للإقامة بحي المنيرة بالسيدة زينب بمدينة القاهرة ليكون بالقرب من الكلية، وكذلك ليبدأ مشواره بالعمل في سلك التدريس من ١٩ نوفمبر ١٩٤٩م، في مديرية التربية والتعليم بالجيزة، وهو مازال طالبا بدار العلوم، وتم ترقيته للعمل بمدرسة الدواوين الثانوية في ١٩٥٣م، بعد أن تخرج وحصل على ليسانس العلوم العربية والدراسات الإسلامية.

أعير د. شبانة للمملكة المغربية في ١٩٥٧/١٠/١م، للعمل مدرسا بوزارة التربية الوطنية (القسم الثانوي) في مدرسة مولاي إسماعيل بمكناس، ومدرسة ابن الخطيب، ومدرسة زينب بطنجة، ومدرسة جابر بن حيان بتطوان، وانتهت الإعارة في ١٩٦٣/٩/٣٠م، فتقدم بطلب إجازة دراسية لمدة عام بدءا من ١٩٦٣/١٠/١م، لاستكمال دراساته للدكتوراه بجامعة غرناطة بإسبانيا[٢].

وعاد من الخارج لاستلام العمل بالسعيدية الثانوية في ١٩٦٤/٩/٢٦م، بعد أن نال درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف عام ١٩٦٤م من كلية الفلسفة والآداب بجامعة غرناطة، وكان عنوان الرسالة «السلطان النصري الغرناطي أبو الحجاج يوسف الأول» تحت إشراف المستشرق الإسباني دكتور لويس سيكو دي لوثينا L .Seco de Lucena حيث أشادت الصحافة الإسبانية آنذاك بأبحاث الدكتور شبانة التي قام بها إبان مقامه في إسبانيا عن تاريخ الإسلام في الأندلس، ومنها جريدة (إيديال) الإسبانية في عددها الصادر يوم ١٦ يوليه ١٩٦٤م، جاء فيها تحت عناوين بارزة «مانشيت»: «أجنبيان يحصلان للمرة الأولى في كليتنا للآداب جامعة غرناطة».. إنهما السيد «كليف فوستر» الإنجليزي والسيد «كمال شبانة» المصري.. ناقشا رسالتيهما في الموضوعات «الغرناطية»، ثم قالت: «نال درجة الدكتوراه للمرة الأولى من كلية

الآداب والفلسفة باحثان أجنبيان ألفا رسالتيهما في موضوعات غرناطية.. فيسرنا كثيرا أن يفد إلينا خريجو الجامعات الأجنبية إلى جامعة غرناطة، ليحصلوا على الدرجات الجامعية العليا.. كما يسرنا أن يبذلوا جهودهم في بحث الموضوعات التي تهمنا كثيرا، لأنها تساهم في درس ومعرفة تاريخنا وحضارتنا الخاصة.. السيد محمد كمال شبانة أتم دراسة مستوفية عن السلطان الغرناطي يوسف الأول المعروف بالملك العالم للأسرة النصرية، وهذا البحث شكل موضوع الرسالة التي ناقشها أمام لجنة التحكيم، وهذا الدكتور الجديد على درجة «ممتاز مع مرتبة الشرف» التي منحته إياه لجنة المناقشة بالإجماع. فقدمت الصحافة الإسبانية للسيد شبانة تهانيها القلبية، بالإضافة إلى التهاني التي تلقاها من أجل البحوث السابقة المؤلفة.. كما يسرنا أن نسجل لجامعة غرناطة أنها تجتذب إلى قاعاتها دارسين مهمين من الخارج»[٣].

وفي مطلع عام ١٩٦٦م، أعلنت كلية دار العلوم عن حاجتها لشغل بعض الوظائف الشاغرة بها، ومنها «مدرس تاريخ وحضارة الأندلس والمغرب»، فسارع للتقدم بأوراقه ليقع عليه الاختيار من بين ثلاثة من المرشحين للوظيفة، ليصبح أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية (التي تخرج فيها) وذلك بعد مرور خمسة عشر عاما من تخرجه.

وقد تتلمذ على يد الدكتور شبانة تلاميذ من المصريين والعرب خلال مسيرته العلمية بالجامعات العربية، حيث عمل بالجامعة الأردنية بكلية الآداب - قسم التاريخ والآثار خلال العام الجامعي ١٩٦٦م/١٩٦٧م. كما أن معظم أساتذة التاريخ الإسلامي بالمملكة المغربية حاليا هم من تلامذته، حيث إنه قام بالتدريس بها خمسة عشر عاما منذ عام ١٩٦٩م، حتى ١٩٨٤م، بجامعة القرويين (كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان)، وفي جامعة الحسن الثاني من عام ١٩٨٢م، إلى عام ١٩٨٤م،(كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء).

ثم عمل بجامعة الملك سعود (كلية التربية بأبها) بالمملكة العربية السعودية في عام ١٩٨٤م، حتى عام ١٩٨٩م، ليعود لأرض الوطن ليباشر عمله استاذا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لطلاب الدراسات العليا بكليتي التربية والآداب في العديد من الجامعات المصرية منها: جامعات القاهرة، وعين شمس، وبني سويف، وسوهاج[٤].

مؤلفاته وأبحاثه العلمية:

خلال حياته العلمية أثرى الدكتور محمد كمال شبانة المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات التي تعكس رؤيته التاريخية الثاقبة، وكان مؤرخا ملتزما استخدم أدواته ووظفها بدقة مبتعدا عن العاطفة والهوى والتزم الحياد التام فيها، كما كان متمكنا من معرفة مصادره المطبوعة والمخطوطة المبثوثة في كل مكتبات العالم، عارفا بقيمتها، ومن كتبه نذكر: «يوسف الأول ابن الأحمر (سلطان غرناطة)» وهي رسالته للدكتوراه وقد ترجمها عن الإسبانية وصدرت في مجلد ضخم، وله أيضا: «الدويلات الإسلامية في المغرب»، و«حول السيرة النبوية وآدابها»، و«الدولة العربية الاسلامية - صدر الإسلام - الخلفاء الراشدون - الدولة الأموية»، و«صفة الجنة وأهلها في الكتاب والسنة»، و«المنهج الأكاديمي لتحرير البحوث والرسائل»، و«المعالم التاريخية للاقتصاد الإسلامي»، و«مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية الدولة الفاطمية»، و«الأندلس (دراسة تاريخية حضارية)»، و«دراسة منهجية في السيرة النبوية»، و«الإسلام فكرا وحضارة»، و«من التراث الإسلامي»، و«المنهج الأكاديمي لتحرير البحوث والرسائل»، و«موسوعة المدن في الحضارة الإسلامية».

كما قام بتحقيق عدد من نفائس كتب التراث التاريخي والحضاري وكلها لصاحب الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب وكان لرحلاته العديدة في البلاد العربية والغربية وخصوصا المغرب والأندلس أن زار المكتبات فيها واطلع على الكنوز في الخزانة بالمغرب وفي الأسكوريال بمدريد وغيرها.. وهي: «الإشارة إلى أدب الوزارة»، و«كناسة الدكان في مغادرة



السكان»، و«معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار»، و«أوصاف الناس في التواريخ والصلات»، و«السحر والشعر»، و«الزواجر والعظات».
كما كتب العديد من الأبحاث والمقالات وتبلغ ما يقرب من ستة وستين بحثا ومقالا.. نشرها في كبريات المجلات العلمية العربية، مثل: «البحث العلمي»، «ودعوة الحق»، و«الباحث»، و«الثقافية المغربية» و«الإرشاد» بالمغرب، و«الدارة» و«عكاظ» بالسعودية، و«التربية» بالإمارات، و«الوعي الإسلامي» بالكويت، و«المجلة»، و«تراث الإنسانية»، و«منبر الإسلام» بمصر، وغيرها..
وأشرف وشارك في مناقشة عدة رسائل للماجستير والدكتوراه بإسبانيا، وشارك في لجان إصلاح وتطوير التعليم العالي بالمغرب، وترجم بعض الأبحاث إلى الإسبانية.

رحلته مع الدراسات الأندلسية:

أتاحت له فرصة الإعارة بالتدريس بالمغرب عام ١٩٥٧م، فرصة استكمال دراسات تاريخية أندلسية، وكان شغوفا بإنهائها على الطبيعة بين ربوع الفردوس المفقود، وكان طبيعيا أن يتعرف على المغرب القديم باعتباره نقطة انطلاق الفتح الإسلامي للأندلس، وظل المغرب والأندلس ينضوي تحت راية واحدة في عصري المرابطين والموحدين، وظل الترابط أيضا ممتدا بين دولتي بني نصر بغرناطة وبني مرين بفاس..
وأثناء وجوده بالمغرب بدأ شبانة يجوس خلال دياره، يستنطق آثار أمجاده، ويستزيد من معارف علمائه، وقيض الله له من هؤلاء نخبة امتازت بغزارة المادة التاريخية، وتألقت أسماؤها بين المؤرخين النوادر من أمثال: الشيخ عبدالله كنون، المؤرخ العربي المعاصر ورئيس هيئة العلماء المغاربة، والأستاذ محمد الفاسي وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الذين كانا لجهودهما العلمية التاريخية أطيب الأثر في مواصلته لهذه الدراسات.
وكذلك الأستاذ «لويس سيكو دي لوثينا» L. Seco de Lucena، الأستاذ بجامعة غرناطة، ومدير مركز الأبحاث العربية فيها والذي أشرف على دراسته بهذه الجامعة، منذ بدأها عام ١٩٦٠م، وحتى أنهاها على يده في يوليو من عام ١٩٦٤م، وهو الذي اختار له موضوع الرسالة «السلطان يوسف الأول بن الأحمر، وفترة حكمه لغرناطة الإسلامية»، وقد سبقها برسالة صغرى عن صاحب الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، مع تحقيق ودراسة وترجمة للإسبانية لكتابه «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار».. وحصل على هذه الدراسات بتقدير مع مرتبة الشرف الأولى وأشادت به الصحف الإسبانية كما سبق أن أوضحنا.
وقد ترجم الدكتور شبانة الرسالة وصدرت في مجلد ضخم[٥].
ثم واصل الدكتور شبانة رحلته مع تاريخ وحضارة الأندلس فألف في تاريخه وحضارته العديد من الكتب والأبحاث نذكر منها: «الأندلس - دراسة تاريخية حضارية»، تناول فيه تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي وحتى انقضاء أجله في نهاية القرن التاسع الهجري، كما عرج على تاريخه السياسي والاجتماعي والحضاري، ثم رأى أن يشفعه بمؤلف عن المغرب فكان كتاب «الدويلات الإسلامية في المغرب» لما بين الأقطار العربية وبين الأندلس من صلات وثيقة، ترجع إلى أقدم العصور، خاصة العصر الإسلامي الوسيط، تلك العلائق وقت أن كان المغرب الأقصى نقطة الانطلاق للفتح العربي لبلاد الأندلس بزعامة موسى بن نصير وقيادة طارق ابن زياد، ثم ما تلا ذلك من صلات سياسية واقتصادية واجتماعية، وما واكب من أحداث حربية، وتحدث في هذا الكتاب عن الفتح الإسلامي للمغرب، ثم تطرق إلى الحديث عن دول المغرب الأقصى ومنها: دولة الأدارسة في فاس، والدولة الفاطمية، ودولة المرابطين، ودولة الموحدين، ودولة بني مرين، ودولة الأشراف السعديين، ودولة الأشراف العلويين، أما في المغرب الأوسط فقد تناول دول الرستميين، وبني حماد، وبني زيان، أما في المغرب الأدنى فقد تناول دول الحفصيين والأغالبة[٦].
وتتمة للفائدة فقد حقق الدكتور شبانة بعض مؤلفات مؤرخ الأندلس الشهير لسان الدين بن الخطيب وقد اختارها بعناية، ولفتت نظره أثناء دراسته في جامعة غرناطة لما فيها من الوثائق النفيسة التي تجلو الغبار عن الحقائق التاريخية لعصره وملامحه السياسية والحضارية والفكرية، ومن هذه الكتب «كناسة



الدكان، بعد انتقال السكان»، وقد نشره بعد عودته من البعثة سنة ١٩٦٧م، اعتمادا على مخطوطة يتيمة بمكتبة «الإسكوريال» بمدريد تحت رقم ١٧١٢ من فهرس الغزيري، وتقع في إحدى وستين لوحة من الحجم المتوسط، قد كتبت بخط أندلسي جميل، أما النسخة الموجودة بدار الكتب بالقاهرة، والمسجلة تحت رقم ١٩٨٧٩ز، فهي نسخة مصورة بالفوتوستات عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة الإسكوريال بمدريد، وقيمة هذا الكتاب في أنه يشتمل على مجموعة من الوثائق النادرة الفريدة في تاريخ العلاقات بين المغرب والأندلس، وبالذات حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة، وفاس في القرن الثامن الهجري، والكناسة تنتظم أقساما ثلاثة: المقدمة، ووثيقة عقد زواج نصري، ورسائل سياسية.

والمقدمة جاءت في نصف لوحة وهي أقصر مقدمات كتب ابن الخطيب. والثاني منها وهو وثيقة الزواج فتقع في سبع لوحات بعد المقدمة مباشرة، وقد جرت رسوم هذه الوثيقة في قصر الحمراء بغرناطة، بين السلطان أبي الحاج يوسف الأول، بصفته وليا ووكيلا عن أخته، وبين أحد القواد من أبناء الأسرة النصرية، وهو القائد الرئيس أبي الحسن بن جعفر بن نصر، وتلقي الوثيقة -في عمومها- ضوءا على تاريخ بعض الملوك الأول من بني الأحمر. أما القسم الثالث والأخير مما تحتويه هذه المخطوطة، فهو مجموعة من الرسائل السياسية تبلغ اثنتين وعشرين رسالة دبجها ابن الخطيب بقلمه، وكان قد بعث بها -على لسان سلطانه يوسف الأول- إلى معاصريه السلطان أبي الحسن المريني، وابنه من بعده أبي عنان فارس، ابن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المريني ملك المغرب. وهي رسائل تمثل -في مجموعها- العلاقات الدبلوماسية التي كانت قائمة يومئذ بين مملكتي غرناطة وفاس (منتصف القرن الرابع عشر ميلادي)، وهي علائق تتسم بالود والصفاء، تبودلت خلالها الرسل والهدايا، وتدفقت معها المعونات الحربية والمادية المغربية على الأندلس، جريا على سنة الأسلاف الأقدمين من ملوك المرابطين والموحدين، ولم يعكر صفو هذه العلاقات بين أبي الحجاج وبين أبي عنان مكدر، اللهم إلا مسألة الأمير أبي الفضل المريني أخي أبي عنان، والتي ألمحنا إليها في مناسبتها من الرسائل الخاصة بها، وعادت السماء بعدها صافية الأديم، حتى قضى السلطان أبو الحجاج يوم عيد الفطر من عام ٧٣٣هـ[٧].

وقد عرف الدكتور شبانة ما لوسائل الإعلام من أهمية فقدم سلسلة من الأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم دامت لسنوات من خلال برنامج بعنوان «من التراث الإسلامي»، وكذلك إذاعة صوت العرب من خلال برنامج «مدن إسلامية»، وكانت الحلقة لا تستغرق سوى دقائق قليلة ولكنها تقدم للمستمع وجبة دسمة، جاءت في طرح جذاب ولغة عذبة لا تتدنى للغة العامية الركيكة، كما كان يراعي فيها دقة المادة العلمية، وقد نعت الإذاعة المصرية للأمة عالما فذّا من الرعيل الأول لأساتذة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

هذا؛ وقد واصل الدكتور محمد كمال شبانه أبحاثه ودراساته الثقافية ومحاضراته حتى رحل عن عالمنا في مساء الثامن عشر من فبراير عام ٢٠١٣م عن عمر يناهز السابعة والثمانين عاما، بعد رحلة عمل تجاوزت الثلاث وستين عاما زار خلالها أكثر من خمسة عشر دولة عربية وأوروبية، تاركا رصيدا قيما من كتبه المؤلفة وما حققه من مخطوطات ذات قيمة ثقافية بالغة تنهل منها وتتعلم أجيال سابقة وقادمة.

الهوامش

١- أبوالحسن الجمال، «مع الدكتور محمد على دبور وحديث عن مدرسة دار العلوم التاريخية» رابطة أدباء الشام بتاريخ ٧ كانون ثاني (يناير) ٢٠١٦م. وأيضا كتابي بعنوان «مدرسة دار العلوم في سير أعلامها النابغين» (قيد النشر).

٢- معلومات وسيرة ذاتية مفصلة أعطاها لي ولده الأستاذ حمزة شبانة خلال لقائي به في مكتبه بأكاديمية البحث العلمي بالقاهرة يوم ٢٠١٨/٤/٤م، وجريدة الرياض السبت ١٠ ربيع الآخر ١٤٠٩هـ (١٩نوفمبر ١٩٨٨م).

٣- صحيفة إيديال Ideal الإسبانية بتاريخ ١٩٦٤/٧/١٦م، ص١٢.

٤- حمزة شبانة، سيرة وأوراق عن حياة والده.. جريد عكاظ بالسعودية ٢٥ مارس ١٩٨٥م.

٥- محمد كمال شبانة «يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة»، القاهرة، مكتبة الثقافية الدينية ٢٠٠٤م، ص ص ٧-١٦.

٦- محمد كمال شبانة «الدويلات الإسلامية بالمغرب»، القاهرة دار العالم الغربي ٢٠٠٧م، ص ٧-٨.

٧- لسان الدين بن الخطيب «كناسة الدكان» تحقيق محمد كمال شبانة، المقدمة، القاهرة. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م. ومقال «وثائق أندلسية: عقد زواج نصري من إنشاء المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب (تقديم محمد كمال شبانة) بمجلة «دعوة الحق المغرب»، العددان ٩١و٩٢.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولاً: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

الوعي الإسلامي

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

د.عبدالواحد عبدالله الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان - اليمن

من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم (٣-٤)

تحدثنا في حلقة ماضية عن القسم الثاني من أقسام الإيجاز وهو الإيجاز بالحذف، وتطرقنا إلى شروط الحذف، وأسبابه، ومظاهره، وأخذنا في شرح وتمثيل الإيجاز بحذف الحرف، سواء أكان حرف مبنى أم حرف معنى، وفي هذه الحلقة سنتحدث عن الإيجاز بحذف الكلمة المفردة: المسند، أو المسند إليه، وبلاغة ذلك في القرآن الكريم. والمسند في الجملة الفعلية هو الفعل وشبهه والمسند إليه هو الفاعل، والمسند في الجملة الأسمية هو الخبر والمسند إليه هو المبتدأ، ومتعلقاتهما هي: المعمولات، من مفعول، أو مضاف، أو مضاف إليه، أو صفة، أو موصوف، أو نحو ذلك. وكل منها يعتريه الحذف؛ لأغراض بلاغية، سنعرض لبعض منها على النحو التالي:

حذف المسند إليه

يطرأ الحذف على كل من المسند إليه (المبتدأ والفاعل) - كما أشرنا سابقا - ومن ذلك:

١- حذف المبتدأ، ومن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات:٢٩).

فـ«عجوز»: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أنا عجوز عقيم. ولعل غرض الحذف: هو ظهوره بدلالة القرائن عليه، وكذلك ما كانت تحسه من ضيق الصدر عن الإطالة في القول؛ بسبب ما انتابها من عقم، وما لحقها من كبر.

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ (الأنعام:٧٣). فـ«عالم»: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الله عالم الغيب والشهادة، فحذف المسند إليه (وهو المبتدأ «الله»)؛ كونه معينا معلوما حقيقة؛ لأن المسند (وهو «عالم الغيب والشهادة») لا يصلح إلا للمسند إليه وهو «الله»؛ إذ إن علم الغيب والشهادة وصف خاص به تعالى، لا يكون لسواه.

جـ- ومنه قوله تعالى عن الكفار: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٨). فـ«صم، وبكم، وعمي»: أخبار عن مبتدآت محذوفة، والتقدير: هم صم، هم بكم، هم عمي. وحذف المبتدآت للإشعار بأن في تركها تطهيرا للسان عن ذكرها[1].

٢ - حذف الفاعل، ومن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ (ص:٣٢). فـ«توارت»: فعل يحتاج إلى فاعل، وفاعله محذوف، أي: حتى توارت الشمس بالحجاب، أي: غربت الشمس؛ تشبيها لغروبها في مغربها بتواري



المخبأة بحجابها. وضمير «توارت» للشمس؛ بقرينة ذكر العشي. على أن حذف الشمس في ذكر الأوقات كثير في كلامهم. كما قال لبيد «من الكامل»:

حتى إذا ألقت يدا في كافر

وأجن عورات الثغور ظلامها

أي: ألقت الشمس يدها في الظلمة، أي: ألقت نفسها، فهو من التعبير عن الذات ببعض أعضائها. والكلام: تمثيل لحالة غروب الشمس بتواري المرأة وراء الحجاب، وكل من أجزاء هذه التمثيلية مستعار؛ فللشمس استعيرت المرأة على طريقة الاستعارة المكنية، ولاختفائها عن الأنظار استعير التواري، ولأفق غروب الشمس استعير الحجاب[٢].

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ (الواقعة:٨٣). فـ«بلغت» فعل يحتاج إلى فاعل، و«الحلقوم»: مفعوله، وفاعله محذوف؛ والتقدير: فهلا إذا بلغت النفس أو الروح الحلقوم. ولم يتقدم لها ذكر؛ لأن المعنى معروف إذا جاءوا بمثل هذه العبارة، قال حاتم «من الطويل»:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أي: إذا حشرجت الروح يوما، وضاق بها الصدر[٣].

حذف المسند

المسند: هو خبر المبتدأ، والفعل وشبهه، وكل منهما يطرأ عليه الحذف لأغراض بلاغية. وسنعرض لمواضع حذف كل منهما على النحو التالي:

١- حذف الخبر، ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ:٣١). فـ«أنتم»: الواقع بعد «لولا» مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: لولا أنتم صادون لنا لكنا مؤمنين؛ بدليل قول المستكبرين بعد هذا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ (سبأ:٣٢). وغرض الحذف: اتباع الاستعمال الوارد عن العرب؛ حيث يشيع عنهم الحذف في مثل هذا التركيب.

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ (فاطر:٨). فـ«من» في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾، مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له سوء عمله. والمعنى أفمن زين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما – الذين كفروا والذين آمنوا – كمن لم يزين له سوء عمله؟ ثم كأن رسول الله ﷺ لما قيل له ذلك قال: لا، ليسوا مثلهم. فقيل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ (فاطر:٨)[٤].

٢- حذف الفعل، ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:٦). فـ«أحد»: مرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر، وتقديره: وإن استجارك أحد استجارك؛ لأن «إن» من عوامل الفعل التي لا تدخل على غيره، وحقها أن يليها الفعل: إما مضمرا، أو مظهرا؛ لأنها شرط، والشرط بالفعل أولى.

وقد اقتضى المقام هنا التوكيد؛ لأن استجارة المشرك بعدوه المسلم مما ينكر ويستغرب، فخرج الكلام مخرج التوكيد المستفاد من تكرار الإسناد، «فإن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار، ألا ترى أنك تجد اهتزازا في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ لا تجد مثله إذا قلت: وإن استجارك أحد من المشركين فأجره. إذ الفعل المفسر في تقدير المذكور مرتين[٥].

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير:١). فـ«إذا»: ظرفية شرطية غير جازمة، و«الشمس»: نائب فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، والجملة في محل جر بإضافة «إذا» إليها، و«كورت»: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل: ضمير مستتر يعود إلى «الشمس»، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب مفسرة للفعل المحذوف.

والغرض من الحذف هنا: التوكيد بذكر الفعل مرتين، مرة بالإظهار، ومرة بالإضمار. والافتتاح بـ«إذا» افتتاح مشوق؛ لأن «إذا» ظرف يستدعي متعلقا؛ ولأنه أيضا شرط يؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، فعندما يسمعه يتمكن من نفسه كمال تمكن. وصيغة الماضي في الجملة الواردة شرطا لـ«إذا» مستعملة في معنى الاستقبال؛ تنبيها على تحقق وقوع الشرط[٦].

حذف المسند أو المسند إليه

قد يأتي الكلام محتملا حذف المسند، أو حذف المسند إليه، وذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك:

أ - قوله تعالى: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف:١٨).

فقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يحتمل الأمرين: حذف المسند إليه وهو «المبتدأ»، فيكون التقدير: فأمري صبر جميل، أو حذف المسند وهو «الخبر»، ويكون التقدير: فصبر جميل أجمل. والغرض من حذف أحدهما: هو تكثير الفائدة؛ لأن الحذف يقتضي العموم.

ب - ومنه قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ﴾ (النور:٥٣).

فقوله: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ﴾ يحتمل أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: أمركم أو الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم، وقلوبكم على خلافها. ويحتمل أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: طاعة معروفة طاعتكم، أي: إنها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة. ولعل الغرض من الحذف: تعظيم شأن الطاعة، وتكثير فائدتها[٧].

حذف المعمول

المعمول هو ما يتغير آخره برفع، أو نصب، أو جزم، أو خفض بتأثير العامل فيه[٨]، ويشمل المفعول، أو المضاف، أو المضاف إليه، أو الصفة، أو الموصوف، أو نحو ذلك.

١- حذف المفعول:

يحذف مفعول فعل المشيئة والإرادة؛ للدلالة عليه في الجواب، ومن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام:٣٥). فمفعول الفعل «شاء» محذوف يدل عليه جواب «لو»، والتقدير: ولو شاء الله جمعهم على الهدى، لجمعهم عليه. وغرض الحذف: البيان بعد الإبهام؛ وذلك لأنه لم يكن في تعلق فعل المشيئة بمفعوله غرابة. ومجيء المشيئة بعد «لو» وبعد حروف الجزاء هكذا غير معداة إلى شيء - كثير شائع بين البلغاء، ولقد تكاثر هذا الحذف في «شاء، وأراد»؛ لأن في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له - لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك. هذا إذا لم يكن في تعلق مفعول المشيئة والإرادة غرابة، فإن كانت فيه غرابة امتنع الحذف، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر:٤). فذكر مفعول الفعل «أراد» وهو المصدر المؤول من «أن يتخذ ولدا»، والتقدير: لو أراد الله اتخاذ ولد، لاصطفى مما يخلق ما يشاء.

وسبب حسنه أنه كان بدعا عجيبا أن يتخذ الله ولدا، فلما كان مفعول الإرادة أمرا عظيما وبدعا غريبا، كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر[٩].

ب - ومنه قوله تعالى إخبارا عن المشركين: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان:٤١). فحذف من الآية مفعول الفعل «بعث» وهو الضمير العائد على الموصول، والتقدير: أهذا الذي بعثه الله رسولا؟! والغرض عند علماء البلاغة والبيان: هو الاختصار. ويمكن حمله على غرض آخر مؤداه: أن من صدر منهم قول: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، وهم المشركون، ينكرون أن يكون محمد ﷺ مبعوثا رسولا من عند الله؛ لذلك صدروا مقولتهم بالاستفهام الإنكاري! فإثبات الرسالة له ﷺ أمر لا تساعدهم عليه أنفسهم؛ ولذلك جاء التعبير مصورا للقلق النفسي الذي كان يساورهم من أمر الرسالة؛ حيث حذف المفعول؛ لأنهم يكرهون وقوع بعثه رسولا في الواقع؛ لذلك لم يوقعوا الفعل «بعث» على ضميره؛ ليطابق اللفظ حالتهم النفسية. إذن فكراهة نسبة الرسالة إلى محمد ﷺ في الواقع وفي اللفظ هي التي أوحت بحذف المفعول، وهذا الحذف يصور لنا ما وراء اللفظ من خفايا نفوسهم وظواهرها؛ لا أن الحذف جاء لمجرد الاختصار فقط كما يقولون![١٠].

٢- حذف المضاف أو المضاف إليه:

وهو باب طويل عريض سائغ في كلام العرب:

- أما حذف المضاف، فمن أمثلته:

أ - قوله تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ (الأعراف:١٤٣). أي: أرني أنظر إلى ذاتك، فحذف المضاف، وهو «ذات»، وأقيم المضاف إليه، وهو الكاف، مقامه، والحذف: للاختصار، ولسبب نفسي أيضا: وهو الرهبة والإجلال والطمع في مطمع، وذلك أولى من اعتبار علة الحذف فيهما مجرد الاختصار[١١].

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ﴾ (الحج:٧٨).

قوله: ﴿فِي اللَّهِ﴾ على حذف مضاف، أي: في ذات الله، ومن أجله. والمجاهدة هنا تحمل على كل التكاليف، فكل ما أُمِر به ونُهي عنه فالمحافظة عليه جهاد، وهو ما يدل عليه عموم المضاف المحذوف، أي: جاهدوا في عبادة الله، وفي قتال

أعداء الله، وفي مرضات الله، ونحو ذلك؛ لأن الغرض من حذف المضاف هنا التعميم.

جـ - ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ (البقرة:١٨٩). أي: ولكن البر بر من اتقى، وإن شئت كان تقديره: ولكن ذا البر من اتقى؛ وذلك لأن «البر» اسم يدل على معنى، و«من» في قوله: ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اسم يدل على ذات، ولا يجوز الإخبار عن المعنى بالذات إلا على تقدير مضاف محذوف، فلا يصح أن يقال: البر خالد؛ لأن البر معنى، وخالدا ذات؛ ولذلك لابد من تقدير مضاف: إما مع الأول، والتقدير: ذو البر خالد، أو مع الثاني، والتقدير: البر بر خالد، ومنه الآية الكريمة. ولعل الحذف في الآية للمبالغة في شأن المتقي، فكأنه هو البر نفسه مبالغة، كقولهم: خالد عدل، أي: هو العدل نفسه مبالغة. وحذف المضاف ضرب من الاتساع، والخبر أولى بذلك من المبتدأ؛ لأن الاتساع بحذف الأعجاز أولى منه بحذف الصدور.

- وأما حذف المضاف إليه، فمن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ (الأعراف:١٤٢). أي: وأتممناها بعشر ليال، فحذف المضاف إليه وهو «ليال»؛ للاختصار، والاحتراز عن العبث.

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ (الروم:١-٤). أي: لله الأمر من قبل الغلب ومن بعد الغلب؛ فحذف المضاف إليه وهو «الغلب» في الموضعين؛ اختصارا، واحترازا عن العبث[١٢].

٣- حذف كل من الصفة أو الموصوف:
قد يحذف كل من الصفة أو الموصوف، ويقوم كل منهما مقام الآخر.

- أما حذف الموصوف، فمن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ (الجن:١١). فـ«منا»: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم لمبتدأ محذوف، والتقدير: ومنا قوم دون ذلك، فحذف المبتدأ «قوم» وأقيم مقامه صفته وهي شبه الجملة «دون ذلك»؛ لدلالة ما قبله عليه وهو قوله: ﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ حيث صرح فيه بالمبتدأ. وغرض الحذف: الإيجاز والاختصار والاحتراز عن العبث.

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان:٧١). فـ«صالحا»: صفة لمفعول مطلق محذوف، والتقدير: وعمل عملا صالحا. والغرض من الحذف هنا الإيجاز والاختصار أيضا.

- وأما حذف الصفة، فمن أمثلته في القرآن الكريم:

أ - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (التوبة:١٢٥). فقوله: ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: متعلق بمحذوف يقع صفة لـ«رجسا»، والتقدير: فزادتهم رجسا مضافا إلى رجسهم. وغرض الحذف: الإيجاز والاختصار[١٣].

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف:٧٩). أي: يأخذ كل سفينة صالحة؛ بدليل أن خرق الخضر للسفينة التي ركب فيها هو وموسى يريد به سلامتها من أخذ الملك لها؛ لأنه لا يأخذ المعيبة التي فيها الخرق وإنما يأخذ الصحيحة. وعليه فالحذف للإيجاز والاختصار والاحتراز عن العبث.

جـ - ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ (البقرة:٧١). أي: الحق الواضح؛ وإلا لكان مفهومه كفرا. والحذف للإيجاز والاختصار[١٤].

الهوامش

١- جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، ١/١٠٣، ١٠٤؛ والمنهاج الواضح للبلاغة؛ لحامد عوني، ٤/٧٤، ٧٥.
٢- التحرير والتنوير؛ لابن عاشور، ٢٣/٢٥٦.
٣- الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي، ١٧/٢٣٠؛ والتحرير والتنوير؛ لابن عاشور، ٢٧/٣٤٣، ٣٤٤.
٤- الإيضاح في علوم البلاغة؛ للخطيب القزويني، ٢/١٠٥، ١٠٦.
٥- انظر: تفسير الكشاف؛ للزمخشري، ٢/٢٣٦؛ والبرهان في علوم القرآن؛ للزركشي: ٣/٩٠.
٦- ينظر: الدر المصون؛ للسمين الحلبي، ١٠/٧٠٠؛ والتحرير والتنوير؛ لابن عاشور، ٣٠/١٤٠، ١٤١.
٧- الإيضاح في علوم البلاغة؛ للخطيب القزويني، ٢/١٠٦.
٨- جامع الدروس العربية؛ لمصطفى الغلاييني، ٣/٢٧٤.
٩- انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني: ١/١٣٣؛ والجامع الكبير؛ لابن الأثير، ١/١٢٥، ١٢٦.
١٠- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية؛ للمطعني، ٢/٥٧.
١١- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية؛ للمطعني، ٢/٥٨.
١٢- انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور؛ لابن الأثير، ١/١٣٠.
١٣- الجامع الكبير؛ لابن الأثير، ١/١٣١، ١٣٢.
١٤- ينظر: مغني اللبيب؛ لابن هشام، ١/٨١٨؛ والأساليب والإطلاقات العربية؛ لأبي المنذر المنياوي، ١/٦٧.

عصام عبدوس
باحث في العمل الاجتماعي
الإسلامي وتطبيقاته
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المغرب

المستشرقون وترجمة معاني القرآن

تتجلى أهمية الترجمة في كونها تذيب الكثير من الرواسب الفاصلة بين الأمم والثقافات، وتزيد أهميتها أكثر عندما تؤسس لثقافة الحوار والتقريب بين الشعوب على مستوى الأنساق المعرفية وطرق التفكير والعيش، لكن هذا الأمر فشل عند تناوله للقرآن الكريم ومعانيه ترجمة ودراسة على يد المستشرقين.

يقول الأستاذ حسن حبنكة الميداني في تعريفه للاستشراق: «هو تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين (شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم)»[1].

لقد تعددت وتشعبت المدارس الاستشراقية على امتداد القارة الأوروبية بكاملها، وعرفت هذه المدارس في أحايين كثيرة اختلافات ومناهج ميزت إحداها عن الأخرى؛ لكنها اتحدت في الاحتفاظ بالمشترك العام للعملية الاستشراقية وهو دراسة تراث الشرق وتمحيصه. وتنوعت الجهود في ذلك حيث «قام المستشرقون الفرنسيون بتصنيف كتب عدة في شتى فنون الأدب والعلم والمعرفة، كما نشروا وحققوا بعض المخطوطات القديمة، وانصب اهتمامهم أولا على دراسة القرآن الكريم وترجمته وحوادث السيرة النبوية والحديث الشريف. ومن أهم ما قاموا به في هذا الصدد؛ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة

الفرنسية، حيث ظهرت أول ترجمة سنة ١٦٤٧م، على يد دي ريور، وتلتها بعد ١٣٦ سنة ترجمة سافاري سنة ١٧٨٣م، وترجمة كازيمرسكي سنة ١٨٤٠م. ولم تتوقف جهودهم في هذا المجال عند حدود الترجمة فحسب، بل واصلو التأليف في موضوعات قرآنية ذات أهمية قصوى، مثل كتاب (توافق القرآن والإنجيل) لبوستيل سنة ١٥٤٣م، وكتاب (سورة فاتحة الكتاب) لبروفنستال سنة ١٩٢٠م، وكتاب (القرآن والخلق) ترجمة وتعليقا على مختارات لإخوان الصفا لماركه سنة ١٩٦٤م»[٢]، ناهيك عن أعمال أخرى جعلت من القرآن محور اهتمام المدارس الاستشراقية.

أهداف ترجمة المستشرقين

وحسب الباحث محمد أمين حسن فإن قصد الترجمة عند المستشرقين يتجلى في أمرين:

الأول: التقليل من أهمية دراسة القرآن عند غير المسلمين؛ إذ إنهم إن أرادوا شيئا مما ورد فيه، فإن التوراة والإنجيل هما الأصل الذي أخذ منه النبي محمد ﷺ كتابه.

الثاني: إعطاء غير المسلمين صورة غير دقيقة ومعقولة للتعاليم الإسلامية من غير معرفة أصول الإيمان، ونظرة الإسلام للكون والحياة وصرفهم عن تأثير القرآن في النفوس الإنسانية، من خلال إعجازه البياني الذي تحدى الله به الإنس والجن[٣].

لهذا كله عد «الاستشراق ظاهرة منظمة، تمثل جهدا دؤوبا من الغرب في محاولته فهم الحضارة الإسلامية في الشرق، وقد رأينا أن هذه المحاولة أخذت أبعادا يمكن تلخيصها بالبعدين العسكري، والثقافي.

الاستشراق ببعده العلماني حاول تشكيل الشرق تشكيلا منزوع الدين

والبعد الثقافي تمثل في الاتجاه التنصيري، والاتجاه العلماني الذي أخذ بدوره بعدين: البعد العلماني الذي عبر عن نفسه بمحاولة تحييد الدين عن الحياة في النمط الأوروبي وحاول من جانب الشرق أن يعيد تشكيل حياة الشرقيين على النمط الأوروبي، والبعد الإلحادي الذي تجاوز في مطلبه تحييد الدين إلى حربه ومعاداته، وقد حاول أن يعيد تشكيل الشرق تشكيلا لا أثر للدين فيه»[٤].

ويمكن القول إن المستشرقين «انطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها، وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة سادها معاداة الإسلام، ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها موركيوندو اي أو أوكراتوندو Murguinodo y Ugratondo وعنوانها هكذا بكل صراحة: (القرآن مترجما بأمانة إلى الإسبانية ومعلقا عليه ومدحضا طبقا للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة

ترجمة المستشرقين هدفت إلى التقليل من أهمية دراسة القرآن الكريم

للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني) وهي بدون تاريخ ...[٥]».

ختاما شكلت مسألة معرفة الآخر والتعايش معه حيزا مهما من الحوار والثقافة الإنسانية، وكان لعملية الترجمة في هذا الصدد قصب السبق لما لها من دينامية فعالة وناجعة، ولعل أهم ما استأثر بالأهمية الكبرى في ترجمة النصوص ما تعلق بالنص الديني، لما له من خصوصية تقتضي تعاملا خاصا من جانب المترجم، وهو الأمر الذي لم يفلح فيه المستشرقون عند احتكاكهم بالنص الديني الإسلامي، وبالتالي نقلوا تصورا لاموضوعيا عن الشخص المسلم إلى أذهان الأوروبيين، الشيء الذي كرس نوعا من اللاحوار بين الثقافتين الغربية والإسلامية.

الهوامش

١- أجنحة المكر الثلاث، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص:١٢٠.

2- victorc chauvin,bibliographie des ouvrages arabes v.x ,p 1-248. نقلا عن كتاب: آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم -دراسة نقدية-، أحمد نصري، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص:٣٣.

٣- المستشرقون والقرآن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى٢٠٠٤م، ص:٣٨٣.

٤- المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث عن الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين العبدلي، عمان- الأردن، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص:٦٤.

٥- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البندق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، ص:١٠٣.

الحسان العوني
باحث مغربي



منهج أبي حيان في تفسير البحر المحيط ومصادره

يعتبر أبو حيان من الشخصيات المتفردة التي لم تأل جهدا، ولم تدخر وسعا في سبيل الارتقاء بلغة الضاد والسمو بها خدمة للقرآن وأهله. قطع هذا النحوي، الأديب الأريب، السميدع، الدنيا طولا وعرضا باحثا عن ضالته المنشودة، مكرسا حياته للذود عن بيضة العربية وحياضها، فأثرى الخزانة العربية بفيض عطائه وقبس إنتاجاته، وغزارة مصنفاته التي ملأت بطون الخزائن العالمية، ما بين مخطوط ومطبوع.

ومما يدل على أننا أمام هرم شامخ من رجالات العلم والأدب في الغرب الإسلامي، الذين قلما يجود الزمان بأمثالهم، هو تنوع مجالات تصانيفه ومؤلفاته، والتي تكاد تمس كل صنوف العلم والمعرفة؛ كالقراءات، والحديث، والتفسير، وغريب القرآن، والأدب، والفنون، والمتون اللغوية، علاوة على إجادته القريض، أما النحو والصرف فأبو حيان جبل لا يُستطاع تسلقه حتى على أرباب هذه الرياضة وأساطينها، ولنا في ما قاله الصفدي خير دليل على ما نقول، والذي اقتطفه من كلام أبي حيان نفسه في معرض حديثه عن مصنفاته، وفي ذلك يقول: «وأما ما صنفتُ فمن ذلك: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، وكتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار شرحا لكتاب سيبويه، وكتاب التجريد لأحكام سيبويه، وكتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وكتاب التنخيل الملخص من شرح التسهيل، وكتاب التذكرة، وكتاب المبدع في التصريف، وكتاب الموفور، وكتاب التقريب، وكتاب التدريب، وكتاب غاية الإحسان، وكتاب النكت الحسان، وكتاب الشذا في مسألة كذا، وكتاب الفصل في أحكام الفصل، وكتاب اللمحة، وكتاب الشذرة، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وكتاب عقد اللآلئ، وكتاب نكت الأمالي، وكتاب النافع في قراءة نافع، والأثير في قراءة ابن كثير، والمورد الغمر في قراءة أبي عمرو، والروض الباسم في قراءة عاصم، والمزن الهامر في قراءة ابن عامر، والرمزة في قراءة حمزة، وتقريب النائي في قراءة الكسائي، وغاية المطلوب في قراءة يعقوب، والمطلوب في قراءة يعقوب، وقصيدة النير الجلي في قراءة زيد بن علي، والوهاج في اختصار المنهاج، والأنور الأجلى في اختصار المحلى، والحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية، وكتاب

الإعلام بأركان الإسلام، ونثر الزهر ونظم الزهر، وقطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي، وفهرست مسموعاتي، ونوافث السحر في دمائث الشعر، وتحفة الندس في نحاة الأندلس، والأبيات الوافية في علم القافية، وجزء في الحديث، ومشيخة ابن أبي منصور، وكتاب الإدراك للسان الأتراك، وزهو الملك في نحو الترك، ونفحة المسك في سير الترك، وكتاب الأفعال في لسان الترك، ومنطق الخرس في لسان الفرس.

وما لم يكمل تصنيفه: كتاب مسك الرضد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد، وكتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، ونهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب، رجز، ومجاني الهضر في آداب وتواريخ لأهل العصر، وخلاصة التبيان في علمي البديع والبيان، ورجز نور الغبش في لسان الحبش، والمخبور في لسان اليخمور، قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان»[١]. انتهى كلام الصفدي الذي نقله عن أبي حيان.

وقد أورد المقري في نفح الطيب نصا نقله عن برنامج الرعيني، والذي تحدث فيه عن تصانيف أبي حيان والتي قال عنها إنها تزيد على خمسين ما بين طويل، وقصير[٢].

أهم المصنفات

وقد أشار السيوطي في البغية إلى أهم مصنفات الرجل، والتي أفاد منها الشيء الكثير في تآليف كتبه، ومصنفاته فكان مما قاله في هذا الشأن: «وله من تصانيف: البحر المحيط في التفسير، النهر مختصره، مطول الارتشاف ومختصره، (مجلدان) - ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأحوال وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع نفع الله تعالى به - التنخيل الملخص من شرح التسهيل للمصنف وابنه بدر الدين، الإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار، التجريد لأحكام كتاب سيبويه، التذكرة في العربية (أربعة) مجلدات كبار وقفت عليها وانتقيت منها كثيرا»[٣].

لكن ما يؤسف له أن جل هذه الكتب لم تصل إلينا، إما بسبب ضياعها، وإما بسبب تعرضها للإتلاف، أو تعرضها للنهب والقرصنة، فيما بعضها الآخر ظل حبيس المكتبات والخزائن الخاصة والعامة، وهو ما أثاره صبري إبراهيم السيد نقلا عن عبدالعال سالم مكرم في كتابه: «المدرسة النحوية في مصر والشام» إذ يقول: «رغم كثرة هذه الكتب التي ألفت في كل فن ووضعت في كل علم، فإنه لم يبق منها لدينا إلا القليل، ولعل حوادث الزمن من تحريف وتخريب قضت على هذا التراث الضخم الذي لو



قدر له الحياة لسد أركانا كبيرة في المكتبة العربية»[٤].

وكما هو معلوم فأبو حيان شاعر منطيق نظم في شتى الأغراض، والتي حواها ديوانه، وقد أشار الرعيني في برنامجه لجملة منها، وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه غير واحد؛ كالصفدي والسيوطي في البغية وغيرهما كثير.

البحر المحيط

ويعد تفسير البحر المحيط لأبي حيان (ت: ٧٤٥هـ)[٥] من أُمَّات كتب التفسير التي اهتمت في شق كبير منها بالمسائل اللغوية على وجه التحديد، ولعل المتصفح للتفسير تستوقفه مسألة المنهج الذي سلكه، فهو إذا أردنا التدقيق قائم على الوضوح وعدم التكلف؛ بحيث نجده يذكر مفردات الآية التي يفسرها لفظة لفظة مع تركيزه على الجانب اللغوي بجانب الأحكام والتفريعات النحوية، أضف إلى ذلك أنه يذكر معاني الكلمات محاولا الوصول إلى دلالاتها، لينتقل إلى تفسير الآيات تفسيرا دقيقا، مركزا على أسباب النزول، ومسترشدا بها.

ونجد أبا حيان في غير ما مرة، وفي أكثر من مناسبة يركز على أوجه القراءات الشاذة سالكا فيها طريق البحث عن عللها وأقيستها في علوم العربية، مسترشدا، ومستنيرا بأقوال سابقيه من شيوخه وأساتذته عند تفسيره للأحكام الشرعية، فنراه كثيرا ما يورد أقوال الفقهاء بغض النظر عن مذاهبهم مع التركيز طبعا على المشهورين منهم، كما كان يتعرض أحيانا إلى كلام بعض المذاهب والفرق الكلامية، وذلك لرد أباطيلهم، وتفنيد مزاعمهم وضلالاتهم بالحجة والبرهان القاطع.

وما يهمني في هذا المقام هو ما كان يختم به كلامه في تفسيره لكثير من الآيات، إذ إنه كان يتعرض للجوانب البيانية، والبلاغية، والبديعية. فكان مما قاله: «لنبين أن علم التفسير ليس متوقفا على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلَّت تصانيفهم في علم التفسير، وقلَّ أن ترى نحويا بارعا في النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعا في الفصاحة يتوغل في علم النحو»[٦].

فالمشتغل بعلم التفسير لابد له من المعرفة في كثير من المناسبات يعرج على المعاني والمضامين الإجمالية للنصوص والآيات.

ويعزب بنا ههنا أن نذكر بأن أباحيان كان كثير الاهتمام بعلوم العربية؛ نحوها وصرفها، إلى جانب اهتمامه بالبلاغة، فكان نبعا سخيا وبحرا متموجا لا يشق له غبار في المسائل النحوية، فهو فارسها وجهبذها الذي لا يشق له غبار؛ فقد ألفيناه يذكر أوجه الإعراب المختلفة للفظ القرآني، ليتعرض بعد ذلك لآراء النحويين البصريين والكوفيين وغيرهم، ثم يأخذ في مناقشتها، فكثيرا ما كان يرد بعض الوجوه الضعيفة، مبرزا العلة الكامنة وراء هذا التوجه والاختيار أو ذاك، بعد تمحيصها وغربلتها بغربال القواعد المطَّردة التي قعَّد لها أرباب الصناعة النحوية، وما سجله الشعر العربي في سجلاته، ودواوينه، وما حوته بطونه التي تزخر بها أمات الكتب والمصنفات الأدبية، فاستطاع بذلك أن يصل إلى كنه الألفاظ والتراكيب، ودلالاتها دون تكلف، مما جعل هذا التفسير آية من آيات التفاسير المعتبرة، وقد شهد بذلك القاصي والداني.

وقد اصطلح على تسمية تفسيره بـ«البحر المحيط» وهو لعمري كذلك قياسا إلى الدرر واللآلئ التي تؤثث فضاء صفحاته؛ من لغة ونحو، وصرف، وتاريخ، وفقه، وأصول، وحديث، وبلاغة، وقراءات، وغيرها.

ويعد البحر المحيط من المصادر المهمة لمن أراد الوقوف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن، ودقائق مسائله النحوية، فكثيرا ما يتكلم في كتابه عن المعاني اللغوية للألفاظ والمفردات دون إهمال للأحكام الفقهية، كما أسلفنا، مع التوسع في ذكر المسائل الخلافية.

منهج أبي حيان في التفسير

ونتلمس منهجه من خلال ما أشار إليه في مقدمة تفسيره إذ يقول: «إني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية لتلك اللفظة، وإذا كان للكلمة معنيان، أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك

الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرا سبب نزولها وارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها القراءات، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها مُبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب»[7].

وقد اعتمد أبو حيان في تفسيره مصادر عدة، تنوعت بين كتب التفسير المشهورة، وكتب اللغة، والفقه، والقراءات، والتاريخ، والحديث؛ فمن ذلك مثلا: «الكشاف» للزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، و«المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز» لابن عطية (ت:٥٤١هـ)، و«التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير» لابن النقيب (كان حيا بعد: ٥٣٧هـ)، و«تفسير أبي جعفر الطوسي» (ت:٤٥٩هـ)، و«تفسير السدي» (ت:٢٢٧هـ)، و«تفسير مكي بن أبي طالب» (ت:٤٣٧هـ).

أما ما يتعلق بكتب اللغة، فقد تعددت، بحيث تجد أبا حيان قد اعتمد أُمَّات المعاجم؛ كـ «المخصص» و«المحكم» لابن سيده، ونوادر الزجاجي (ت:٣٤٠هـ)، و«معاني القرآن» للفراء (ت:٢٠٤هـ) حسب رواية ياقوت الحموي في معجم الأدباء، و«مجمع البحرين» للصاغاني (ت:٣٧٩هـ)، وكتاب «الفصيح» للشيباني (ت:٢١٣هـ).[8] بالإضافة إلى دواوين العرب الستة.

أما كتب الصرف فقد اعتمد كتاب «الأفعال» لابن القوطية (ت:٣٦٧هـ)، وابن القطاع (ت:٥١٥هـ)، وابن طريف (ت: في حدود ٤٠٠هـ).[9]، و«الممتع في التصريف» لابن عصفور (ت: قيل في عام ٦٦٣هـ)، وأغلب المصادر حددت سنة وفاته في (٦٦٩هـ).

أما في النحو فلا بأس من التذكير بأنه كان من المتأثرين بسيبويه، الذي استدل بآرائه، وأقواله في أكثر من موضع، بالإضافة إلى كتابَي «الشافية الكافية»، و«التسهيل» لابن مالك.

أما مصادره في علم البديع والبيان؛ فقد اعتمد أقوال شيخه ابن النقيب (كان حيا سنة: ٥٣٧هـ) صاحب «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير»، وكتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجني (ت:٦٨٤هـ).

أما في الحديث فقد أخذ عن الشيخين، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

وفي الفقه والأصول؛ امتاح من كتاب «المحصول» للرازي، بجانب اعتماده على عدد لا يستهان به من كتب علم القراءات، وهو ما يجعل هذا التفسير بحق موسوعة من الموسوعات التي تعتبر مبعث فخر واعتزاز للمغاربة جميعا، فأضحت قبلة للباحثين والدارسين مشرقا ومغربا في شتى العصور والأزمنة، فمعينه لم ينضب بعد، ولم ينبس بكل لآلئه وكنوزه، وتنتظر فقط مَن يجيد الغوص والتنقيب والبحث لبحثها وسبر أغوارها، وتجلية فوائدها خدمة للغة الضاد وآيات كتاب الله.

الهوامش

١- الوافي بالوفيات، للصفدي، (١٨٤/٥-١٨٥)، وانظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني. (ص:٢٩١)، وانظر: شواهد أبي حيان في تفسيره، لصبري إبراهيم السيد (ص:١٥-١٧).

٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، (٥٦٣/٢).

٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، (٢٨٢/١).

٤- شواهد أبي حيان في تفسيره، لصبري إبراهيم السيد. (ص:١٧)، نقلا عن كتاب: المدرسة النحوية في مصر والشام، لعبدالعال سالم مكرم.

٥- هو العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشيخ الإمام الحافظ العلامة فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة أثير الدين أبو حيان الغرناطي. انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي. (١٧٥/٥).

وانظر: طبقات الشافعية، لعبدالرحيم الإسنوي. (٢١٨/١-٢١٩).

وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، (٥٣٥/٢).

وانظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، (ص:٢٨٠).

وانظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني. (ص:٢٩١-٢٩٢).

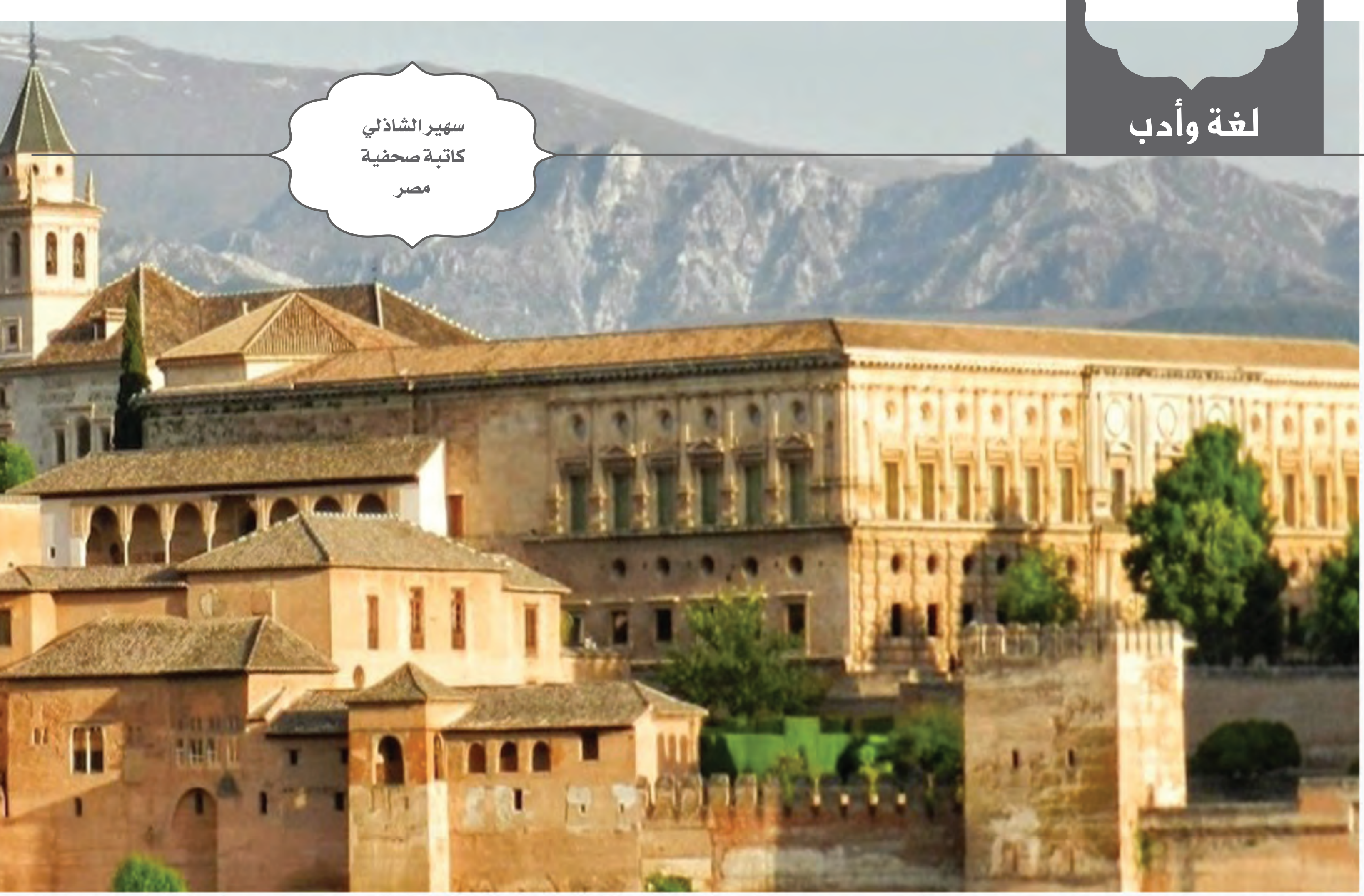
٦- البحر المحيط، لأبي حيان. (٩/١).

٧- المصدر السابق.

٨- انظر ترجمته في: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لوليد الزبيري وآخرين. (ص:٤٧٠-٤٧١).

٩- هو النحوي اللغوي عبد الملك بن طريف الأندلسي أبو مروان النحوي، من مشايخه ابن القوطية، من مصنفاته: كتاب في الأفعال. انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة،(ص:١٤٣٥/١٤٣٦).

سهير الشاذلي
كاتبة صحفية
مصر



المؤثرات العربية في اللغة الإسبانية

فتح المسلمون الأندلس وحكموها وعاشوا فيها طيلة ٧٨١ سنة (٩٢هـ/٧١١م - ٨٩٧هـ/١٤٩٢م)، وفي تلك الفترة كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للأندلس.

وقد تركت اللغة العربية في شبه الجزيرة الإسبانية آثارا عميقة مازالت تمثل حتى اليوم قوة وضاءة في حياة إسبانيا وفي تكوينها وتقاليدها ولغتها.

وقد انتقلت العديد من العادات والتقاليد العربية والشرقية إلى الإسبانية، سواء في الحياة المنزلية، أو التصرفات الخارجية، كتبادل التحية والحفاوة، وفي آداب الطعام، وفي إبداء الاستحسان، وفي ألوان المرح.

وتطورت اللغة الإسبانية عن أصولها الرومانية (الرومانشي Romance)، التي كانت سائدة في العصور الوسطى بين الإسبان، وكان من الطبيعي حدوث تفاعل لغوي بين اللغة العربية (وهي لغة الأكثرية المسلمة) وبين «الرومانشي» (وهي لغة الأقلية النصرانية في الأندلس). فانتقل كثير من الألفاظ العربية إلى لغة الرومانشي، وظل هذا التأثير ينمو ويشتد، لاسيما بالنسبة إلى «الرومانشي» أو اللغة القشتالية أو اللغة الإسبانية الحديثة فيما بعد.

كل كلمة إسبانية تبدأ بـ«Al» عربية الأصل

ويرجح ذلك، بلا ريب، إلى قوة المؤثرات الحضارية للغة العربية، وإلى حاجة اللغة القشتالية إلى الاشتقاق من لغة مكتملة للتعبير



عن كثير من الأشياء والمظاهر التي نقلت عن أصحابها، وذلك سواء في النظم الإدارية أو العلوم أو الصناعة أو الزراعة أو العمارة أو غيرها.

وهذا ما تعترف به الدراسات الإسبانية الحديثة، فقد جمعت الكلمات الإسبانية ذات الأصول العربية في معاجم، منها معجم للعالم فرنسسكو كوديرا زيدين Franciscus Godera Zaydin، ومعجم آخر لـ رينهارت دوزي Reinhart Dozy. كما وضعت المعاجم الخاصة لبيان الكلمات الإسبانية ذات الأصول العربية، تناول علماء الإسبانية المؤثرات الحضارية، المادية والمعنوية، التي ورثتها اللغة الإسبانية عن اللغة العربية. وفي ذلك يقول دون أنخل كونثالث بلنثيا Don Angel Gonzalez Palencia:

«إن اللغة العربية تظهر في الإسبانية في مصطلحات الجغرافيا والنظم والفنون، وأسماء الحيوانات والنبات، والحرف، والألوان، والأدوات المنزلية وغيرها. وإذا كانت اللغة الإسبانية تعرض، بلا ريب، مآثر حضارة عظيمة للسائح الذي يزورها؛ فإنها بلا شك الآثار التي تركتها الحضارة العربية في أرضنا».

وقد ظهر الاشتقاق اللغوي من اللغة العربية جليا في اللغة الإسبانية، حيث تعد اللغة اللاتينية الوحيدة التي يوجد بين حروفها حرفا «الخاء»، و«الثاء»، ويدخل هذان الحرفان في كلمات كثيرة واضحة، على غرار اللغة العربية.

وتضم اللغة الإسبانية كلمات كثيرة جدا ترجع إلى أصول عربية، ومن القواعد المسلم بها أن كل كلمة إسبانية تبدأ بـ Al هي عربية الأصل تبدأ بأداة التعريف العربية.

ونقدم إلى القارئ فيما يلي نماذج من الكلمات الإسبانية التي ترجع إلى أصول عربية واضحة: لوبيا Alubia، أرز Arroz، سكر Azucar، الفيل Alfil.

ويوجد آلاف من هذه الكلمات ضمن اللغة الإسبانية، حتى إن بعض المستشرقين يجزم بأنها ستمثل ربع مفردات اللغة الإسبانية.

المنشاوي الورداني
باحث في التراث
مصر

حالات المطر في اللغة والأدب

المطر، ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء لحياة الناس وصلاح الأرض، قد تعددت حالاته ومسمياته عند العرب، فسجلت اللغة العربية والأدب العربي شيئا من هذه المترادفات وكأنها جماليات لها وقع على النفس كحال رذاذ المطر في يوم شديد الحرارة. وقد قال الأصمعي: أخف المطر وأضعفه: الطّلّ، ثم الرذاذ أقوى منه، ثم البغْش والدّثّ، ومثله الرّك والرِّهمة. وعن النضر بن شمائل: أول المطر رشّ وطشّ، ثم طل ورذاذ، ثم نضْح، ونضح، وهو قطْر بين قطْرين، ثم هطْل، وتهتان، ثم وابل، وجوْد، يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة:٢٦٥)، قال علماء اللغة والمفسرون: الوابل هو المطر الشديد.

الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. ورجل وابل: جواد يَبِلُ بالعطايا. وفي «لسان العرب»: الوَبْلُ

والوابِلُ: أي المطر الشديد الضخم القطر؛ قال جرير: يضربن بالأكباد وَبْلاً وابلاً وقد وبلت السماء تبل وبلا ووبلت السماء الأرض وبلا؛ فأما قوله:

وأصبحت المذاهب قد أذاعت
بها الإعصار بعد الوابلينا

فإن شئت جعلت الوابلين الرجال المدوحين، يصفهم بالوبل لسعة عطاياهم، وإن شئت جعلته وبلا بعد وبل، فكان جمعا لم يقصد به قصد كثرة ولا قلة.

وفي الآية الكريمة يوضح المولى عزوجل أن تلك الربوة التي تخرج الثمرات يكفيها الطل إن لم يسقط عليها وابل من المطر الشديد، وذلك لكرم الأرض وطيبها. والطل في اللغة: المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف، قاله ابن عباس وغيره، وهو مشهور اللغة، وقال قوم، منهم مجاهد: الطل أي الندى. قال ابن عطية: وهو تجوز وتشبيه. قال النحاس: وحكى أهل اللغة وبلسمت وأوبلت، وطلت وأطلت. وفي «مختار الصحاح» للرازي: الطل أضعف المطر والجمع الطلال. تقول منه: طلت الأرض وأطلها الندى، فهي مطلولة. قال الماوردي: وزرع الطل أضعف من زرع المطر وأقل ريعا.

وهكذا، يوضح الضدان في صورتين من صور المطر: الوابل والطل، حالة استقبال الأرض ومن عليها للمطر ذلك الأثر من آثار رحمة الله الذي يحيي به الأرض بعد موتها. وقد يكون هذا المطر غزيرا فيكون التعبير اللغوي المناسب: الغدق. وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحكي هذا الخير الذي تنعم به الدنيا بسقوط المطر؛ يقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ (الجن:١٦)، أي كثيرا غزيرا. وضرب الله الماء الغدق الكثير لذلك مثلا، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مكانه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة:٦٦)، أي بالمطر.

ومن صور المطر: الودق، وهو المطر المستمر، يقول تعالى في سورة النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ (النور:٤٣).

يقال ودقت السحابة فهي وادقة، وودق المطر يدق ودقا، أي قطر، وودقت إليه دنوت منه، وفي المثل: ودق العير إلى الماء؛ أي دنا منه. وإذا قيل: أربع لا يشبعون من أربع: عين من نظر، وأذن من خبر، وأرض من مطر، وأنثى من ذكر؛ فإن أنثى ذات الحافر إذا أرادت الفحل تسمى ودوق، وكذلك إذا أرادت الماء، والأرض كذلك عند حاجتها للمطر، والأرض بعد المطر تنتقل من حال إلى حال: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥).

ومن صور المطر أيضا الرجع، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ (الطارق:١١) أي ذات المطر. ترجع كل سنة بمطر بعد مطر. كذا قال عامة المفسرين. وقال أهل اللغة: الرجع أي المطر، وأنشدوا للمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء:

أبيض كالرجع رسوب إذا
ما ثاخ في محتفل يختلي

(ثاخت قدمه في الوحل تثوخ وتثيخ: خاضت وغابت فيه قاله الجوهري). قال الخليل: الرجع: المطر نفسه، والرجع أيضا: نبات الربيع. وقيل: ذات الرجع، أي ذات النفع. وقد يسمى المطر أيضا أوبا، كما يسمى رجعا، قال الشاعر المتنخل الهذلي:

رباء شماء لا يأوي لقلتها
إلا السحاب وإلا الأوبُ والسَّبلُ

والبيت أيضا للمتنخل الذهلي، والمعنى: لا يدنو لرأسها ولا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب وأوب النحل ورجوعه وكذلك القطر حين يسيل.

ويبقى المطر رحمة الله بالعباد، حيث يعبر عنه بأنه الغيث الذي يغيثهم حين تعطش الكائنات والنباتات وتتشقق الأراضي والمفازات، يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الشورى:٢٨) وفي هذه الآية دليل واضح على رحمة الله بعباده، وإن انحبس الغيث بسبب ذنوب العباد فسيرحم الله العباد والأرض والدواب والبهائم وسينشر رحمته بهطول الغيث الذي يحمل بين قطراته الخير والرحمة والحياة.

حسنية تيدريكيت
كاتبة مغربية

آه لو كان لي حبيب!

تنهدت قائلة: آه لو كان لي حبيب! فتبادر إلى ذهني السؤال نفسه، وبدأ يمخر بي عباب المحال، واستحال ليلي نهارا، وانبجس دمعي مثل الشلال، وقلت كلا، لا محال وربي المقتدر المتعال!

آه لو كان لي حبيب! كلمات عبرت ثنايا روحها، وانطلقت كالسهم نحو قلب اهتز حنينا؛ لا أدري، للسؤال أم للحال؟ أحقا نحيا في الحياة من دون حبيب؟ صرخت بداخلي أستنهض كل الهمم، أن أعيد إلى نبضي توازنه حتى يستقر، كي يجابه هذا العملاق المتمرد في الأعماق؛ فحين تهزه الكلمات الحانية، أشعر كم نحن مساكين وضعفاء أمام الأمنيات!

كان هناك شيء ما يحترق بداخلي، وتتظاهر ملامحي بالصمود. أأقول مثلها؛ آه لو كان لي حبيب؟! يجعل لهذه الحياة معنى آخر! أوليس لها معنى أسمى وأجمل وأرقى؟!

سجدة واحدة من قلب محب عابد، تعطيها معناها الحقيقي؛ وتسبيحة وتهليلة وتكبيرة وتحميدة من أعماق روح أدركت ما معنى أن يكون لها رب قريب مجيب، كفيلة أن تعيد إلى القلب المضطرب هدوءه وسكونه؛ ودمعة في سكون الليل بخشوع قادرة على أن تجدد الأمل في القلب المكلوم.

آه لو كان لي حبيب! حارة وصادقة، وفيها شجن وحارقة! لكن رحمة ربي متدفقة، مثل الأمطار حين تغمر أرضا عطشى، فإذا هي تسمع وتطيع، تتزين بكل زرع بهيج رزقا للعباد.

آه لو كان لي حبيب! أو يكون قريبا مجيبا يعطيني من دون حساب، يعفو عني يغفر لي زلاتي فلا عقاب، يؤنسني فلا غياب، يقربني فلا عتاب، يدنو مني، فما أجمله من اقتراب، يناديني ليل نهار، كي أكون من أهل الجنان!

آه لو وعى هذا القلب معنى أن يكون الله حبيبه، لسعى إلى مرضاته ليل نهار، ولاهتز جدران الخافق كلما تحرك حنينه إلى الرحمن، إلى الخلود في جناته، وإلى السمو والنقاء والسباق، مع من أيقنوا أننا في دار ابتلاء، لا شيء فيها يستقر؛ فحتى الحبيب يتغير، يتبدل، يمل ويهجر، يسلو وينسى، يبتعد ويقسو، أو يفوت ويموت!

والباقيات الصالحات عند ربك خير وأبقى.

هل هناك أجمل من مناجاة الله وأنت تملكين هذا النبض الساحر الشاعر، فتجعلين هذا الحب والحنين والشوق لله وحده؟ إذن لأعطاك الله خير الدنيا والآخرة، وما ترك ذرة في كيانك تشعر بالألم والحزن!

آه لو كانت لنا أفئدة تعي معنى أن يحب الله عبدا، فيختاره، ويجعل نبضه يذكره في كل وقت وحين، لما تنهدت بحرقة وتساءلت بحيرة، وانتظرت بيأس مرير، أن يكون لك حبيب قد يرحل عنك، إما جبرا أو اختيارا، وإذن تموتين قهرا وانهزاما.

أحبي الله، لتنالي الشرف! وستجدين الكثير من الأنس والرجاء والهناء.. أحبيه بقوة، وقولي أيا ربي إني أحبك فأحبني!

محمد محمد السنباطي
شاعر وقاص مصري

أحببت وجها

أحببت وجها كأن البدر يسكنه ... كأنما النور والنوار معدنه
ملامحا لرسول الله ليس لها ... في الناس من شبه كنا نبينه
شيدت مسجد حب في الفؤاد ولا ... ينفك يصدح تكبيرا مؤذنه
حبي لأحمد فاق الحب أجمعه ... نفسي فداء هوى لا شيء يوهنه
متى أطل شعاع منه أحسبني ... هممت بالقلب والعينين أحضنه




صبحا مساء أصلي والصلاة على ... خير البرية روح المسك سوسنه
من حن جذع له من فيض عاطفة ... ثم اشتكى جمل من كان يغبنه
ومن سقى الجيش ماء الراحتين فهل ... من كفه فجر الينبوع موطنه
يا خير من أحسن الرحمن خلقته ... وجاء جبريل بالبشرى يؤمنه




صلى عليك إله العرش ما صدحت ... قمرية أو تلا القرآن محسنه
أو هبت الريح في أيك فحركت ... القلب الذي لم يزل تحويه أغصنه
قلبي الذي في هوى المختار منجذب ... بالحب لا شيء بعد الآن يحزنه

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سوريا



سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٣)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.





المتفق والمفترق في اسم (ابن فهد):

١- تقي الدين بن فهد (ت: ٨٧١ هـ):
هو تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، مؤرخ، من علماء الشافعية، يتصل نسبه بمحمد ابن الحنفية.
ولد بأصفون (من صعيد مصر) سنة: (٧٨٧هـ)، وانتقل مع أبيه إلى مكة وتوفي بها.
من مصنفاته: (لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ)، و(النور الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع) في السيرة النبوية، و(سيرة الخلفاء والملوك)، و(نهاية التقريب وتكميل التهذيب) جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبي وابن حجر، و(طرق الإصابة بما جاء في الصحابة) وغيرها.
توفي بمكة[١].

٢- نجم الدين بن فهد (ت: ٨٨٥ هـ):
هو نجم الدين أبو القاسم عمر بن محمد بن محمد بن فهد القرشي الهاشمي المكي الشافعي، مؤرخ.
ولد بمكة سنة: (٨١٢ هـ)، رحل إلى مصر والشام وغيرهما.
من مصنفاته: (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) مرتب على السنين، من ولادة النبي ﷺ إلى زمان المؤلف، و(التبيين في تراجم الطبريين)، و(ذيل تاريخ مكة للتقي الفاسي)، و(بذل الجهد في من سمي بفهد وابن فهد)، و(المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة)، و(اللباب في الألقاب) وغيرها.
توفي في شهر رمضان بمكة[٢].

٣- أبو زكريا بن فهد (ت: ٨٨٥ هـ):
هو محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن عمر بن محمد الهاشمي المكي الشافعي، المعروف بابن فهد، أديب.
ولد بمكة سنة: (٨٤٨ هـ)، ورحل إلى اليمن ومصر، وكان له ذوق حسن في الشعر، فانتخب من دواوين الشعراء شيئا كثيرا.
من مصنفاته: (فوائد) من النكت والغرائب، و(مختصر الأمثال للميداني)، و(الدلائل إلى معرفة الأوائل)، وغيرها.
توفي بمكة[٣].

٤- عز الدين بن فهد (ت: ٩٢٠هـ):
هو أبو الخير وأبو فارس، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد، الشهير كأبيه وسلفه بابن فهد، الهاشمي، من سلالة محمد ابن الحنفية، مؤرخ، عالم بالحديث.
ولد بمكة سنة: (٨٥٠ هـ)، زار فلسطين والشام ومصر.
من مصنفاته: (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام)، و(معجم الشيوخ)، و(بلوغ القرى لذيل إتحاف الورى)، و(فهرست المرويات)، و(الترغيب والاجتهاد في الباعث لذوي الهمم العلية على الجهاد)، و(ترتيب طبقات القراء للذهبي)، وغير ذلك.
توفي بمكة[٤].

٥- محب الدين بن فهد (ت: ٩٥٤هـ):
هو محب الدين، جار الله أبوالفضل محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن فهد، الهاشمي، محدث، حافظ، مؤرخ.
ولد بمكة سنة: (٨٩١ هـ)، ورحل إلى مصر والشام.
من مصنفاته: (التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة)، و(السلاح والعدة في فضائل بندر جدة)، و(الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان)، و(الأقوال المتبعة في بعض ما قيل من مناقب أئمة المذاهب الأربعة)، و(بهجة الزمان بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان) وغيرها.
توفي بمكة[٥].

الهوامش
١- ينظر الضوء اللامع (٢٨١/٩) والأعلام للزركلي (٤٨/٧) ومعجم المؤلفين (٢٩١/١١).
٢- ينظر الضوء اللامع (١٢٦/٦) والأعلام للزركلي (٦٣/٥) ومعجم المؤلفين (٣١٨/٧).
٣- ينظر الضوء اللامع (٢٣٨/١٠) والأعلام للزركلي (١٦١/٨) ومعجم المؤلفين (٢١٦/١٣).
٤- ينظر الكوكب السائرة (٢٣٨/١) والأعلام للزركلي (٢٤/٤) ومعجم المؤلفين (٢٥٥/٥).
٥- ينظر الكواكب السائرة (١٣١/٢) والأعلام للزركلي (٢٠٩/٦) ومعجم المؤلفين (١٧٥/١٠).

مرهف حسين أسد
كاتب وباحث إسلامي
سوري

الأطفال... وحسن الظن بالله



لعل حسن الظن بالله عزوجل من جملة العبادات القلبية الهامة التي غاب بريقها، وخفت نورها عند معظم الناس، كبيرهم قبل صغيرهم، فتحولت أنظار الناس من رؤية المنح في الابتلاء إلى يأس وقنوط، وبعد عن الله سبحانه، فتبدلت المفاهيم، وتشوهت الرؤى، وغاب اليقين بخيرية اختيار الله سبحانه وتعالى لعباده المتضمن في قوله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له»[1].

وعلى اعتبار أن أغلب المفاهيم التي ينشأ ويترعرع عليها الأبناء، ما هي إلا انعكاس لما يمثله أهلوهم من قيم وأفكار، فالأبوان إما أن يقومان السلوك والمفاهيم، وإما أن يشوهان كل ذلك بما يحملانه من تصورات؛ فمبدأ القدوة من المبادئ الخطرة في التربية التي لا ينتبه له كثير من الناس، حتى بتنا نرى أن الناس يتوارثون ما تشوه من سلوكيات ومفاهيم كابرا عن كابر، فما يطبقه الآباء والقدوات، يمثله الأبناء

والمقتدون، دون تغيير أو تبديل.
من هنا لابد من الانتباه والتثبت والتمحيص، واتباع أسلوب التصفية والتنقية لكل اعتقاد أو فكرة أو سلوك، كي يبقى للمبادئ والسلوكيات بهاؤها ونصاعتها، فتتطور عبر الأجيال صعودا ورقيا، وإلا فالهبوط والانحدار والانحطاط هو المآل.
فتوقع الجميل من الله سبحانه وتعالى ابتعد عن الأذهان، وحل محله مفاهيم تبتعد بالمرء عن حسن الظن، وتحول مفهوم الحب لله سبحانه وتعالى لمجرد كلام بعيد عن أي رصيد عاطفي في النفوس، وغدت الأوامر والنواهي عند الكبار والصغار عبئا ثقيلا يسعى الجميع للتملص والهروب منه.
فكيف نغرس هذا المفهوم الجميل، وتلك الصلة الراقية بين أطفالنا وبين خالقهم سبحانه وتعالى؟ وكيف نغرس هذا المفهوم في قلوبهم وعقولهم لتنعكس على سلوكهم رضا ومحبة؟، أسئلة سنحاول الإجابة عليها بالنقاط التالية:
١- القدوة الحسنة: كما أسلفنا فالقدوة هي الأساس المتين، والركن الركين في كل جوانب التربية، وفي جملتها غرس حسن الظن في نفوس الناشئة، فمتى تمثل القدوات تلك المبادئ فكرا واعتقادا وتنفيذا، سرت تلك المفاهيم بين الأبناء والطلاب وغيرهم دون كبير عناء أو عظيم مجهود.
ومتى استشعر الطفل علامات الرضى، بعبارات سمحة يلفظها اللسان، وتصرفات وسلوكيات تفيض بها الجوارح، تحصل المطلوب، وغدا الطفل مستشعرا لمعاني اللطف الرباني، والرحمة الإلهية بالعباد، وعنده تتولد في

القدوة من المبادئ الخطرة في التربية ولا ينتبه لها كثير من الناس

نفسه المحبة والقرب من الله عزوجل.
٢- بيان المعنى الصحيح لحسن الظن للأبناء، وأن على المسلم حسن الظن بالله في كل حال، فهو مما افترضه الله علينا ومعنى حسن الظن بالله أن تأمل من الله ما تطلبه منه، فتظن بأن الله تعالى سيرحمك ويعفو عنك في الآخرة، وإذا سألته شيئا من أمور الدين، ظننت أنه سيجيب دعوتك، وإذا نزل بك ما لا تحب ودعوته، ظننت أنه سيرفع عنك ما نزل بك، وإذا أصابك ما أهمك، ظننت أنه سيفرج همك ويزيل كربك، وحين ترى في بعض أولادك ما لا يسرك، تحسن الظن بالله بهدايتهم ورجوعهم إلى الصراط المستقيم، فحسن الظن بالله ناتج من معرفة فضله وجوده ولطفه بجميع خلقه.
وأن حسن الظن بالله سبحانه وتعالى دافع على العمل، مبعد عن الكسل.
قال الحسن البصري رحمه الله: «إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل»[٢].

حسن الظن بالله دافع على العمل ومبعد عن الكسل

وقال ابن القيم رحمه الله مبينا ذلك: «وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأن حسن الظن إن حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذبا له على الطاعة زاجرا له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاء ورجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور»[٣].
٣- عرض الفضل العميم، لحسن الظن بالله سبحانه للأبناء، وبسط ذلك لهم، ويكفي في الدلالة على ذلك أن جعل النبي ﷺ حسن الظن بالله سبحانه وتعالى دليلا على حسن العبادة، فقال ﷺ: «حسن الظن من حسن العبادة»[٤].
ويكفي في فضل حسن الظن ما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله جل وعلا يقول أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله»[٥].
فمعاملة الله سبحانه وتعالى لعباده على حسب ظنهم به، وفي بيان هذا الحديث يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا خيرا من حسن الظن بالله عزوجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عزوجل الظن إلا أعطاه الله ظنه؛ ذلك بأن الخير في يده»[٦].
٤- بيان فضل الله سبحانه وتعالى وعظيم رحمته التي وسعت كل شيء، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:٤٣)، ما دفع سلفنا الصالح لترجمة ذلك قناعة وسلوكا، وعبر عنه سفيان الثوري رحمه الله تعالى بقوله: «ما أحب أن

حسابي جعل إلى والدي؛ فربي خير لي من والدي».

وقد صور النبي ﷺ ذلك في صورة حسية مشاهدة أمام أعين صحابته رضوان الله عليهم في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[7].

جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره في صحيحه: «... ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود، ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء الله، أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك، لا تسألني غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك، أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود، ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة، انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة؟ فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك، ومواثيقك، أن لا تسأل غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك، فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله، حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها، قال الله له: تمنه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه»[8].

٥- سرد قصص الأنبياء والصحابة والتابعين على الأبناء، كنماذج حية لحسن ظنهم بالله عزوجل، وواسع فضل الله سبحانه وتعالى. فهذا يعقوب، عليه السلام، يفقد يوسف، ثم يفقد أخاه، ويبقى حسن الظن بربه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، فلم يخيب الله سبحانه حسن ظنه بربه، فرد عليه أبناءه وهم على أحسن حال.

وهذا حبيب الرحمن يخرج من مكة مهاجرا، فيختفي في الغار ويطلبه كفار مكة حتى لم يبق بينه وبينهم إلا خطوات، ومع ذلك يبقى محسنا الظن بربه، فتعمى أبصارهم عنه وعن صاحبه؛ فعن أبي بكر رضي الله عنه، قال: «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[9]، بل الأعجب أنه بشر سراقة بسواري كسرى، وهو طريد شريد، لكن نور اليقين بوعد الله عزوجل وحسن ظنه بربه ما خبى وما اضمحل.

ومن تأمل في خلق نفسه وفي لطف الله تعالى بعباده ورحمته بهم، وتجاوزه عنهم، وستره لهم، وعافيته لهم، حَسُن ظنه بالله، وازداد حبه له سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، وهو أرحم بعباده من الأم بولدها. ولعل من أهم وسائل استجلاب حسن الظن بالله تعالى، القرآن الكريم وتدبر معانيه، وكثرة الدعاء، وقراءة كتب الترغيب والترهيب، عندها سيكون الأب والقدوة سليم التصور، حسن العرض للأبناء بشكل شمولي لا يعتريه تشويه.

الهوامش

١- أخرجه مسلم في الزهد (٢٩٩٩)، باب: المؤمن أمره كله خير.

٢- رواه أحمد في الزهد.

٣- الجواب الكافي، ص: (٢٤).

٤- أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٧، وأبو داود في الأدب (٤٩٩٣) باب: في حسن الظن، وإسناده جيد.

٥- أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٣٩).

٦- أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن بالله (٨٣).

٧- أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

٨- أخرجه مسلم في الإيمان (١٨٤)، باب: معرفة طريق الرؤية.

٩- أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٥٣)، باب مناقب المهاجرين وفضلهم.

نعيم نعيم السلاموني
باحث وكاتب
مصر

الطفل.. أعظم استثمار للأسرة

من أسمى أهداف الشريعة الإسلامية وأجلها تكوين نشء مؤمن مستقيم فكريا ودينيا وقادر على تحمل المسؤولية والنهوض بوطنه والأمة الإسلامية؛ فأطفال اليوم هم رجال ونساء الغد، إن أحسنا تربيتهم فالغد سيكون مشرقا لديننا وأوطاننا، لكن إن أهملنا تربيتهم فإن ثمرة هذا الإهمال هي شباب ضائع ما بين التطرف والانحراف والإدمان.

لقد أمر الإسلام رب الأسرة برعاية أبنائه رعاية شاملة تصونهم عن كل ما يلحق بهم من أذى وتحثهم على التمسك بدينهم الحنيف، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

لكن الكثير من الآباء والأمهات يعتقدون أن تربية الأبناء تقتصر على توفير احتياجاتهم المادية فقط دون النفسية والمعنوية والتي تحميهم بدورها من الأخطار التي تهددهم خارج محيط الأسرة. وبسبب تركيز هذه الفئة على إشباع احتياجات أبنائها ماديا فقط؛ أصبحت عزلة أفراد الأسرة داخل البيت الواحد أمرا يسود معظم بيوت هؤلاء فتعويض غياب أرباب الأسر بوسائل التكنولوجيا الحديثة دون رقيب سبب إدمان الأبناء عليها؛ الأمر الذي ولد الاكتئاب والانطواء لدى هؤلاء الأبناء وحد من اندماجهم في المجتمع وأبعدهم عن ثوابت وقيم ديننا الحنيف.

وعليه يجب على المتخصصين في الشأن الأسري تحذير الآباء والأمهات من هذا الخطر العظيم الذي يأتي على قواعد بناء الأسرة وتقديم النصح والإرشاد لمن وقع فيه عبر عدة وسائل منها: تخصيص وقت كاف للتفاعل مع الأبناء والاستماع إلى مشكلاتهم مهما كانت صغيرة أو غير مهمة من وجه نظر الوالدين، ومصادقة الأبناء وتدريبهم على تحمل المسؤولية في حدود قدراتهم واستعداداتهم.

إن غياب القدوة الحسنة من حياة الأطفال من أخطر الأمور التي تهدد استقرار وتقدم المجتمعات، لذلك شدد الإسلام على ضرورة وجود القدوة الحسنة في حياة المسلم ولفت إلى أهميتها في عدة مواضع بالقرآن الكريم، مؤكدا أن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة لأتباع هذه الأمة صغيرها وكبيرها، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٢١). إن أعظم أنواع الكسب هو الاستثمار في الأولاد لا في الأموال فحسب، وسلامة المجتمع ورقيه أساسها سلامة الأسرة التي تقدم لأمة الإسلام أفرادا صالحين يقومون على النهوض بها واستعادة مكانتها بين الأمم المتقدمة.

د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد
جامعة الباحة

التأخر الدراسي عند الأطفال

توجد شكوى من بعض الآباء من تعرض أطفالهم لحالة من البلادة والخمول والتوهان تجعلهم في حالة عدم التركيز ومتابعة للدروس وفي النهاية الرسوب في أكثر من مادة ويعتقد الآباء أن وراء ذلك هو غباء الطفل وقله ذكائه.

والتأخر الدراسي مشكلة تربوية اجتماعية نفسية، يقع فيها التلاميذ ويشقى بها الآباء، فأي حالة تأخر أو تخلف أو نقص أو قصور، أو عدم اكتمال النمو التحصيلي يكون نتيجة عوامل عقلية أو جسمية أو اجتماعية أو انفعالية، ينجم عنها انخفاض نسبة التحصيل الدراسي عن المستوى العادي أو المتوسط، فبعض الطلاب لا يحصلون على النتائج التي يرجونها، ليس لأنهم لا يبذلون الجهد الكافي، بل ربما لأنهم يتبعون عادات دراسية خاطئة.

أسباب التأخر الدراسي:

هناك بعض الأسباب الجوهرية في وصول الطفل لعدم قدرته على التحصيل الدراسي، منها أن تعرض الطفل لبعض الأمراض يؤثر على قدرته في التحصيل الدراسي وتأخره في التعليم، كذلك سوء التغذية، عدم النمو العقلي، انخفاض السكر في الدم، ويعود التأخر الدراسي عند بعض الطلاب لأسباب عديدة، يمكن تصنيفها إلى الآتي:

أسباب جسمية ووجدانية:

تؤدي الأسباب الجسمية إلى نقص عام في الحيوية فتقلل من مقدرة الطالب على بذل أقصى جهده ومن

ذلك عدم سلامة القلب أو الرئتين أو خلل واختلاف في وظائف الغدد وكذلك الأنيميا والإصابة بنزلات البرد المتكررة والأمراض الطفيلية، بالإضافة إلى عوامل جسمية أخرى مثل ضعف السمع، أو ضعف البصر، أو عيوب النطق.. وغيرها من الصفات التي قد تؤثر على الحالة النفسية للطالب، وبالتالي ينعكس ذلك على تحصيله الدراسي ويؤدي إلى تأخره الدراسي. وتتمثل الأسباب الوجدانية في ضعف الثقة والخمول والكسل وكراهية مادة دراسية معينة لارتباطها في الذهن بموقف مؤلم من جانب المعلم أو الزملاء أو الاختبارات أو غير ذلك من الحالات النفسية المختلفة التي قد تنشأ داخل الفصل أو خارجه أو في الأسرة أو في المجتمع.

أسباب عقلية ونفسية:

من أبرز خصائص ذكاء المتأخرين دراسيا هو صعوبة إدراك العلاقات بين الأشياء وتكون نسبة ذكائهم أقل من ٨٠٪، كذلك قد يكون الذكاء عنده قد ورثه من أبويه، وقد يكون ذكاؤه منخفضًا بسبب تعرضه لأمراض في صغره ساهمت في تدني نسبة ذكائه، كما أن للبيئة التي نشأ فيها دور في انخفاض نسبة ذكاء الطالب وللبيئات دورا في رفع نسبة الذكاء أو انخفاضها.

هذا بالإضافة إلى عدم القدرة على القراءة بسبب عدم إتقان أسسها، إذ إن القراءة تدخل في العلوم المدرسية بمختلف أنواعها هذا بالإضافة إلى أسباب عقلية أخرى مثل كعدم القدرة على التذكر.

أما الأسباب النفسية فمن المحتمل أن تكون بسبب نشأة الطفل وطريقة تربية خاطئة قامت على التخويف والعقاب، وربما تربى على أسلوب جعله يحب الانطواء وعدم المشاركة، وربما تربى على أسلوب فيه تفضيل بين الأبناء من قبل الآباء، انعكس عليه، ومن المحتمل أن يكون صادف خبرة في أول مجيئه للمدرسة من قبل أحد المعلمين حيث فضّل طالبًا عليه، وبالتالي صادف هذا ما هو مغروس في نفسه وخبرته في صغره.

أسباب اجتماعية:

هناك أسباب اجتماعية قد تؤدى إلى التأخر الدراسي عند بعض الطلاب منها ما يلي:

سوء علاقة الطالب بوالديه وإخوته أو زملائه ومعلميه.

هروب الطالب من المدرسة لوجود مغريات خارج المدرسة كالأصدقاء والمتنزهات والألعاب المختلفة والتي قد لا تتواجد في المدرسة.

اضطراب العلاقة بين الوالدين وعدم توفر المناخ المناسب للمذاكرة.

انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة وعدم توفر الحوافز والدعم من الأسرة.

انخفاض الجو الثقافي في الأسرة يحرم الطالب من التزود بالمعلومات العامة.

أسباب تربوية:

وتتمثل في الطريقة التي يتبعها المعلم أثناء تدريسه، والكتاب المدرسي، والمنهج الدراسي بصفة عامة.. فطريقة المعلم لها الدور الأساسي في عملية توصيل المعلومات للطالب، فلابد أن يكون المعلم حاذقا وعلى دراية بعلم النفس التربوي، وطرائق التدريس وإعداد الدروس، كما يجب مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب مما يساعد المعلم على توصيل المعلومة وفهم المادة لدى الطلاب.

أما الكتاب والمنهج ككل فلابد أن يكون مناسبا لسن الطالب، فلابد من مراعاة العمر الزمني للطالب وانتقاء واختيار المعلومة المناسبة للطالب في كل مرحلة دراسية وتتناسب مع أعمارهم.

علاج التأخر الدراسي:

هناك مجموعة من التوصيات التي يجب اتباعها من جانب المدرسة والمعلم والأسرة للتغلب على مشكلة التأخر الدراسي لدى الطلاب من أهمها ما يلي:

- الاهتمام بالنواحي الصحية عن طريق فحص الطلاب فحصا شاملا.
- توثيق العلاقة بين المنزل والمدرسة للتعاون في حل المشكلات التي تواجه الطلاب.
- يجب أن تعمل المدرسة على تهيئة الجو المدرسي الصالح الذي يجد فيه الطالب ما يشبع حاجاته ويحقق رغباته.
- ينبغي للمعلم أن يولي الطلاب المتأخرين دراسيا عناية خاصة وفائقة، ولا يكلفهم إلا ما يطيقون من الأعمال الدراسية والواجبات المنزلية.
- يجب على المعلم أن يكثر لهؤلاء الطلاب من دروس النشاط العملي كالرسم والأشغال اليدوية.
- على رب الأسرة أن يكون متفهما وقدوة، ويعالج أمور أسرته بحنكة وأن تكون علاقته بجميع أفراد أسرته قائمة على المحبة والثقة.
- يجب على الأسرة استخدام أسلوب التدعيم الإيجابي والحوافز من أجل تدعيم مسيرة الأبناء العلمية.
- يجب أن تكون العلاقة بين الآباء والأبناء جيدة لأن ذلك سيساعد الأبناء على بناء شخصياتهم وتمتعهم بصحة نفسية جيدة.
- لابد من عملية الإرشاد النفسي للآباء وتوجيههم بهدف تزويد الآباء بالوسائل التي تساعد في تنشئة الطفل تنشئة سليمة.

جمعة رسول
كاتب سوري

الأسرة والمدرسة.. ضرورة التكامل

استند مفهوم التربية قديما، بحسب آراء الكثير من الباحثين، إلى طبيعة بشرية محددة تقسم الإنسان إلى ثنائية: الروح والجسد، الخير والشر، ويكون دور التربية هنا تنمية جانب الخير وتقييد جانب الشر. أما التربية بمفاهيمها الحديثة، فهي تستند إلى منظور آخر للطبيعة البشرية، مضمونه أن الإنسان مخلوق متطور باستمرار، يتكون من قدرات واستعدادات كامنة، تعمل التربية على اكتشافها وتنميتها إلى حدودها القصوى.

وفي ظل الانفجار المعرفي والتكنولوجي، وخضم التطورات المستمرة للنظريات العلمية الاجتماعية التربوية، لم تعد الأسرة والمدرسة وحدهما قادرتين على القيام بعملية التنشئة الاجتماعية، بل أصبحت تشاركهما في هذه الوظيفة مؤسسات اجتماعية عدة، ولكن رغم ذلك بقيتا (الأسرة والمدرسة) أهم وأكثر تلك المؤسسات تأثيرا.

فالأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الطفل، وتنمو فيها وتتطور أنماط التنشئة الاجتماعية، ليتشكل كشخصية اجتماعية تنتمي إلى مجتمع ما، وهي الخلية الأساسية التي تسعى إلى تنشئته بصورة متكاملة، وتهدف إلى إشباع حاجاته الجسمانية والمعرفية والنفسية والاجتماعية، التي يتعلم فيها المهارات، ويكتسب منها القيم والمعايير والعادات الاجتماعية الثقافية والأخلاقية.

وبذلك يكون للأسرة دور حاسم في تحديد شخصية الطفل، والتأثير في بنائها وتكاملها تأثيرا كبيرا. ولعل من أهم واجبات الأسرة، ما يلي:

- الرعاية الجسمانية لأطفالها: عبر توفير أسباب الحياة، وإشباع

حاجاتهم البيولوجية، وتدريبهم على ممارسة العادات الصحية.

- **الرعاية الأخلاقية والنفسية والوجدانية:** من خلال غرس القيم والاتجاهات والعادات السليمة، التي تناسب مراحل نموهم من جهة، ومتطلبات المجتمع الذي ينتمون إليه من جانب آخر، وتقديم الحب والعطف والاطمئنان النفسي.

- **العناية بالنمو العقلي للأطفال:** الذي ينضج من خلال اكتسابهم اللغة، وما يتبع ذلك من توسيع مداركهم وزيادة معارفهم وخبراتهم، تقول مارجريت ربيل: «إن حب الوالدين مطلب أساسي للنمو العقلي الطبيعي، والأطفال الذين لا يحصلون على العناية الكافية والانتباه اللازم يصبحون متخلفين في عدد من الميادين».

- التربية الدينية: عن طريق تعليم الأبناء أمور دينهم وعقيدتهم، وأسباب الحفاظ عليها. إلى جانب تعليمهم احترام الأديان الأخرى، وكيفية التعامل مع أبناء تلك الديانات.

أما المدرسة فتشكل بيئة أساسية لتربية الأطفال وبلورة أفكارهم وإبداعاتهم، وهي من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية؛ وذلك لأن الوسط المدرسي يساعد في خلق تفاعلات نفسية واجتماعية كبيرة في حياتهم، ويغرس فيهم قيما وجدانية وسلوكية؛ يكون تأثيرها أكبر من التي تلقاها في البيت. والمدرسة أيضا تمثل أول حقل تجريبي يمارس فيه الطفل حياته بعيدا عن رقابة الأسرة وتأثيراتها.

ومن أهم واجبات المدرسة: إكساب الأطفال خبرات معرفية ونفسية وقيمية، لا يمكن لجهة أخرى إكسابها، وأيضا إتاحة فرص التعبير عن أنفسهم وأفكارهم، وإبداء آرائهم وتصوراتهم إلى جانب تطوير حياتهم الاجتماعية والثقافية والإبداعية، بما يتلاءم مع قدراتهم ومهاراتهم، وإعدادهم من الناحية البدنية.

التعاون بين الأسرة والمدرسة

إن ثقافة التواصل والتعاون والتكامل بين الأسرة والمدرسة تعد من الأمور الأساسية لتحسين العملية التربوية والتعليمية، بل من أهم عوامل نجاح هذه العملية بصورة فعالة. كما تعد ضرورة لتحقيق الغايات الأساسية من عملية التربية، وتذليل الصعوبات التي تعترضها بصفة عامة.

ولعل من أبرز أهداف توثيق وتمتين العلاقة بين الأسرة والمدرسة: تعرف الآباء على أوضاع أبنائهم وأحوالهم في المدرسة، لتقديم ما يحتاجون إليه من الرعاية والاهتمام، وإيجاد الحلول للمشكلات التربوية والسلوكية التي قد يتعرضون لها، ومن جهة أخرى مساعدة المدرسة في تحقيق الأهداف التي يرسمها لها المجتمع ويرمي إليها.

إن تنظيم العلاقة بين هاتين المؤسستين أصبح اليوم أمرا في غاية الأهمية، لأن مشاركة الوالدين بشكل خاص في أدوار تربوية فاعلة تأتي بنتائج مثمرة للغاية، وتوثق الجسور بين الطرفين، وتعزز المردود الإيجابي للمتعلمين، كما تسلط الضوء على نقاط الضعف في العملية التربوية، بما يسهل تداركها وعلاجها.

ومن أهم الوسائل والأساليب لتعميق التواصل والتعاون بين الأسرة والمدرسة نذكر الآتي:

١- المشاركة والتواصل الفاعل بين الطرفين، عبر مجالس ولقاءات الآباء والمعلمين، التي تعد أهم قنوات تحقيق التكامل التربوي التعليمي.

٢. التواصل عبر المناسبات والمعارض الثقافية والفنية المختلفة، أو زيارة المدرسة بمبادرات ذاتية، بما يشعر الإدارة المدرسية باهتمام جاد للأسرة.

٣- عرض بعض الخدمات التي قد تكون مفيدة للمدرسة، أو التبرع ببعض المبالغ المالية لمساعدة المدرسة في إقامة بعض المشاريع، التي تربط المدرسة بالبيئة المحيطة.

٤- تفعيل روح التعاون والتفاهم داخل المدرسة، ودعوة أولياء الأمور لزيارتها، وعدم إحساس المديرين بأن رغبة الآباء في التعاون هي منافسة لهم، أو إعاقة لسير العملية التعليمية.

٥- تحفيز أولياء الأمور على المشاركة في الفعاليات التي تقيمها المدرسة، كالندوات والمحاضرات والحفلات المسرحية والمهرجانات الرياضية، ودعوتهم للمشاركة في الأنشطة والبرامج المدرسية المختلفة، بهدف تقوية الصلات بين الطرفين.

٦- تكريم الأطفال المتفوقين بحضور أوليائهم، وتكريم أولياء الأمور المتواصلين والمتعاونين مع المدرسة في المناسبات المختلفة.

٧- مساعدتهم في التعبير عن أفكارهم وإبداء مقترحاتهم حول المشكلات التي تواجه المدرسة والأطفال على حد سواء.

وأخيرا، فإن الأسرة والمدرسة مؤسستان اجتماعيتان تكمل إحداهما الأخرى، وعملية التعاون والتواصل والتفاعل الإيجابي بينهما تعد من الركائز التي تساعد في تحقيق مستقبل أفضل للأطفال، وتكوين الأساس المتين لنموهم السوي، وبالتالي تحقيق الغايات التربوية التي نريد تحقيقها.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي
مصر



قيم أسرية من سنته ﷺ

لقد شغل الأطفال مكانة خاصة في السنة النبوية المطهرة، كما اعتنى علماء الأمة بهذا الجانب، فاهتموا بالأحكام والآداب الخاصة بالأطفال والنهج النبوي في التعامل معهم؛ ذلك لأن هذا النهج النبوي رباني المصدر إلهي المبادئ، فقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وسن الشرائع؛ ليهدي الناس إلى طريق الخير وطريق الشر، ويعلمهم ويزكيهم، ويربيهم على الهدى والتقوى والصلاح.

إن التعامل النبوي مع الأطفال تميز بشموله لجوانب شخصية الإنسان كافة، والأحاديث النبوية مع الأطفال مليئة بالدروس والعبر التي كان يتمثلها النبي ﷺ سلوكا عمليا على أرض الواقع أمام الصحابة الكرام؛ ليستفيدوا منها في تربية أبنائهم وتعليمهم تعاليم الدين الحق، وليكون ذلك نبراسا لهم في تعايشهم مع أهليهم ومجتمعهم، وما أحوجنا لهذا النهج النبوي الرصين في تربية الأطفال خصوصا في وقتنا الراهن الذي كثرت فيه ظاهرة



العنف في التعامل مع الأطفال.
وفي هذا المقال سنعرض لبعض القيم التربوية التي وردت بأحاديث الرسول ﷺ مع الأطفال، ومنها:

الدعاء للأطفال

إن الدعاء للأطفال وسيلة مهمة لتربيتهم، وهو دليل الرحمة والعطف تجاههم وله أثره الإيجابي في تحفيزهم ودفعهم إلى التقدم. فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللهم فقهه في الدين»[2]، وفي هذا الحديث الأخير جانبان مهمان في تربية الأطفال، أولهما: ملمح تربوي يتمثل في ضم رسول الله ﷺ لابن عباس، وهو أسلوب للتودد، وتأليف القلوب وتنشئتها على الخير والصلاح، وثانيهما: الدعاء، ولهذا الأمر أثر نفسي قوي لدى الطفل، فالمكافأة بالدعاء أمر محمود ينبغي الاهتمام به، والتدريب عليه، لفوائده العديدة؛ فهو ينقل الطالب لمواقع المجتهدين، كما أن الثناء يدفع الشخص المنضبط للأمام ويجعله حريصا على إحراز المزيد من التقدم والتفوق.

ممازحة الأطفال

من حق الطفل على والديه حسن معاملته وتربيته، وإحاطته بالعطف والمودة والرحمة، وإدخال السرور على قلبه، لما لذلك من أثر بالغ في تنشئته وتفتح مداركه، شريطة ألا يفضي ذلك إلى التدليل المفرط الذي يؤثر على سلوكه الجاد في الحياة.
وإذا أردنا قدوة في هذا المجال لن نجد نهجا تربويا متوازنا سوى نهج النبي ﷺ؛ فقد كان يسعى دائما إلى تغذية نفوس من عاصره من الأطفال بالعاطفة الطيبة الصادقة البعيدة عن الجفاء والقسوة، وكثيرا ما كان يمازحهم ويداعبهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبوعمير، فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال «أبا عمير ما فعل النغير؟»[3].

تصحيح الأخطاء

لقد كان رسول الله ﷺ يصحح أخطاء الأطفال بلطف ولين ورفق ولم ينهرهم أو يزجرهم، فعن أم سلمة، قالت: رأى النبي ﷺ غلاما لنا يقال له أفلح، ينفخ إذا سجد، فقال: «يا أفلح، ترب وجهك»[4].
كما يعد ربط التعليم والإرشاد بالمواقف والأحداث أسلوبا تميز به رسولنا ﷺ ليثبت به المعلومة في ذهن الطفل ويعزز لديه السلوكيات الحسنة. وكان ﷺ يؤكد على الدوام الجانب العاطفي في التعامل مع الأطفال، ويعمل على إظهاره في مخاطبتهم أو عند الكتابة لهم، وهذا الأسلوب يذهب عن الأطفال الخوف ويملأ نفوسهم بالثقة.
وختاما، فإن كل مجتمع مسلم يسعى لتنشئة أبنائه تنشئة صالحة وتربيتهم تربية راشدة يتعين عليه أن يقتفي أثر نهجه ﷺ ويتخذ من أحاديثه، خصوصا المتعلقة بتعامله مع الأطفال، دستورا يسير على هداه؛ ليغرس معاني التقوى والفضيلة في نفوسهم، فتصبح تلك المعاني سجية لهم، ومعلما أصيلا لشخصيتهم.

الهوامش

١- البخاري (٣٤٦٤).
٢- مسلم (١٦٩٠).
٣- البخاري (٥٨٥٠)، ومسلم (٢١٥٠).
٤- الترمذي (٢٥٣٦٠).

نسيبة محمود طالب
باحثة دراسات إسلامية
مصر

ماذا نعرف عن صحابة النبي ﷺ؟

عندما ولدت آثر والدي حفظه الله أن يختار لي اسما ذا دلالة إسلامية، ولم يجد خيرا من صحابيات رسول الله ﷺ، فاختار لي اسم نسيبة تيمنا بالصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها.

مـرت سنوات طويلة كبرت خلالها وشـاء الله تعالى أن أعمل بمجال فيه تواصل مباشر مع الناس بشكل عام ومع النساء بشكل خاص، وهنا بدأت حكايتي مع اسمي.
فما أن أتـعـرف على إحداهـن وتسألني عـن اسمي وأخبرها أن اسمي نسيبة حتى ترتسم علامات الدهشة على وجهها، ثم لا تلبث أن تقول لي باستغراب: ماذا قلتي؟ ما هو اسمك؟ فأجيبها: نسيبة! فترد: كرري ثانية لو سمحتي.
فأشعر كأنني أتكلم بلغة مجهولة وبعد أن أعيده عليها ثلاث مرات على الأقل، أفاجأ بقولها: ياله من اسم غريب! أول مرة أسمع بهذا الاسم.
ومنهن من تطلب مني تهجئة الاسم حرفا حرفا لتفهمه، ومنهن من تقول مؤكدة ما أن تسمع الاسم أنه بلا شك اسم أجنبي. وهنا لا أجد بدا من أن أبين لهن معنى الاسم ولماذا سميت به؟ وأسرد لهن نبذة مختصرة من سيرة الصحابية نسيبة بنت كعب، ودائما أقابل بالرد نفسه: هذه أول مرة نسمع بها.
فتزداد دهشتي وأسـأل نفسي: هل لو أنني قلت لهن اسم فلانة من الممثلات أو من المغنيات هل كنت سأقابل ببردة الفعل نفسها؟ وهل كن سيجهلنها كجهلهن لنسيبة بنت كعب رضي الله عنها؟
ولعل من أكثر الحالات غرابة التي قابلتها في حكايتي مع اسمي أنني التقيت مرة بأم مع ابنتها الصغيرة وكالعادة أبدت الأم دهشتها من اسمي، وعندما سألتها بدوري عن اسمها واسم ابنتها الصغيرة ذكرت اسما غريبا لابنتها، وحـين سألتها عن معنى ذاك الاسم أجابت بأنه اسم لمغنية أمريكية، فأصاب قلبي الأسى.
أيعقل أن نكون على علم حتى بأسماء المغنيين غير العرب ولا نعرف صحابة رسول الله ﷺ!
وأيضا حالة أخـرى أثـارت استغرابي الشديد حيث التقيت مع معلمة وكان يبدو عليها علامات الالتزام. وبعد أن أخبرتها بسبب تسميتي بهذا الاسم. أكدت أنها أول مرة تسمع به ثم استطردت قائلة: في الحقيقة ليس لدي اطلاع كبير على الصحابة، مع أنني قارئة نهمة ولكني لا أقرأ كثيرا في السيرة النبوية.
وأذكر مرة أنني التقيت بسيدة في الثلاثين من عمرها وبعد أن تعارفنا ورويت لها قصة اسمي دفعا لاستغرابها منه. أخبرتني أنها تنتظر مـولـودا ذكـرا وأن فكرة التسمية بأسماء الصحابة قد نالت إعجابها وطلبت مني أن أذكر بعض الأسماء المميزة علها تختار واحدا. فذكرت لها عـدة أسـمـاء كحذيفة وصهيب والـبـراء وغيرهم وكانت كلما ذكرت اسما تسألني بدهشة: وهل هذا صحابي؟
وغيرها كثير من المواقف التي تثير في نفسي الأسف. لماذا أصبح الناس يجهلون سيرة رسول الله ﷺ ويجهلون صحابته؟ يجهلون أولئك الأشخاص الكرام الذين كان لهم السبق في انتشار الإسلام والدفاع عن الدعوة.
آلمني كثيرا كـلام قـرأتـه منذ أيـام على أحد مواقع التواصل الاجتماعي لفتاة تتحدث عن أحد المشاهير من غير المسلمين وتصفه بأنه قدوتها ومثلها الأعلى في الحياة.
حقيقة شيء يدعو للأسى أن يصبح المغنون مثلا وقدوة وأن نعلم كل صغيرة وكبيرة عنهم وحتى أدق تفصيلات حياتهم وأن نسعى لتحري أخبارهم. ولا نكترث لمعرفة شيء عن صحابة رسول الله ﷺ.
وإذا كانت الفئة العمرية التي أتعامل معها تتراوح بين العشرين والخمسين وجلهن من المتعلمات. وما يقارب التسعين بالمئة منهن لم يسمعن باسم نسيبة بنت كعب، مـع أنها ليست مـن الصحابيات قليلات الـذكـر في السيرة النبوية، فكيف سيكون حال أطفال اليوم شباب الغد؟ وإذا كانت هذه حال الأمهات بناة الأجيال فما سيكون حال الأجيال القادمة؟
هل حقا لا نجد وقتا نطلع فيه وأبناؤنا على سيرة رسول الله ﷺ وصحابته فننال بذلك النفع والفائدة والخير الكثير؟

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية

ثقافة التشجيع



«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل»[١]، كلمة قالها رسول الله ﷺ في حق عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، فكان صداها في نفس عبدالله أنه «لا ينام من الليل إلا قليلا»[٢]، وبقي صداها يتردد ونفعها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. إن الأمم التي تعتز بنفسها وتبحث لها عن مكانة بين الأمم هي الأسرع في اكتشاف مواهب شبابها وتشجيعهم وإفساح المجال لهم لكي يكونوا دعامة في بناء الأوطان وروابطا بين الحضارات.

والتشجيع هو بث روح الأمل بالكلمات النيرة وبالمواقف الداعمة؛ ليسير الشاب نحو هدفه وتنطلق همته لا تعوقه عقبة ولا يصده صاد، وهو حق لكل صاحب موهبة أو عزيمة على المحيطين به ووجوده دال على بصر نافذ ونفس سمحة وغيابه دليل على شح في النفوس وضيق في الأفق.

من بركات التشجيع

التشجيع على عمل من أعمال الخير يعود على العامل وعلى من شجعه بأعظم الأجور وأطيب الآثار: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»[٣]. قال الإمام الطيبي: «فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله، يترتب كل منهما على ما هو سبب عن فعله، كالإرشاد إليه، الحث عليه. ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب للأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر، لم ينقص أجره من أجره شيئا». يشير الإمام الطيبي إلى شخصين لكل منهما أجور مضاعفة تتسع بحسب من استجاب له:

فهناك من قام بالعمل من دعاه إلى القيام به وشجعه على ذلك، لكل منهما أجره الذي لا ينقص من أجر



الآخر شيئا، فكن النور الذي يهدي والطاقة التي تمد بالعزيمة.

معالم

١- البعض يظن أن الثناء على العمل يؤدي إلى توقف صاحبه عن الإنجاز، ولذلك يرون أن أفضل السبل لبذل المزيد من الجهد هو عدم إبداء الرضا عن العمل ليظل العامل يجتهد، بل ربما ينتقصونه ليقدم أفضل ما عنده، وهذا ظلم فظيع، فكثيرا ما نجد شخصا يتوقف عن عمل كان يرجى منه خيرا لأنه لم يجد من يسانده ولو بكلمة طيبة.

٢- ينبغي أن يقف الإنسان موقفا وسطا بين التشجيع الذي يرتفع بالنفس حتى تصل إلى حد الغرور، أو ترك الشجيع حتى تصاب النفس بالإخلاد إلى الأرض.

٣- ينبغي أن نفرق بين الكلمات التي تلقى على سبيل المجاملة والكلمات المفعمة بروح التحفيز، الأولى قد تفتقر إلى الصدق وتأثيرها وقتي إن كان لها تأثير، أما الثانية فتبقى آثارها على الفرد والمجتمع من بعده بعد أن تعمل عملها في النفوس.

٤- مدح الإنجازات قبل الذات، فإن مدح الفعل يدعوه إلى تكراره مرة ثانية.

٥- تقديم الجوائز العينية والمعنوية، وفي التشجيع بتقديم الهدايا لشخص تحفيز للآخرين نحو الإبداع والمنافسة.

٦- الاحتفاء بمن تشجعهم كلما أنجزوا شيئا: فلذلك أثره الحميد على نفس من تشجعه وتبقى ذكراه في نفوس من يشهد هذا الاحتفاء، قال عبد الجبار الكرابيسي: «كان معنا ابن لأيوب السختياني في الكتاب فحذق الصبي[٤] فأتينا منزلهم فوضع له منبر فخطب عليه ونهبوا علينا الجوز وأيوب قائم على الباب يقول لنا: ادخلوا وهو خاص لنا»[٥].

٧- أبرز ألوان التشجيع وقد يكون أجداها أن ننتقل من الكلمات التي تعطي دفعة للأمام إلى مشاركة من نشجعهم في همومهم وأعمالهم بالرأي والجهد وبكل ما نستطيع.

نماذج مضيئة

١- وقد كان التشجيع صفة من صفات علمائنا الأوائل، فهذا أبوحنيفة الذي «لاحت عليه مخائل النجابة وتعارفها الناس حتى بلغ حديثها قاضي الكوفة وزعيم محدثيها في عصره الإمام الشعبي، فلما مر به يوما دعاه قائلا: إلى من تختلف؟ قال: اختلف إلى السوق (وسمى له أستاذه في السوق). قال الشعبي: لم اعن الاختلاف إلى السوق، بل عنيت الاختلاف إلى العلماء. قال: إني قليل الاختلاف إليهم. قال الشعبي: عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وحركة. ووقع في قلبه من قوله وترك الاختلاف إلى السوق وأخذ في العلم منذ حداثته الباكرة»[٦].

ومن ثمار تشجيع العلماء للناشئة وجود واعظ كان يؤثر في عشرات الألوف وبقيت كلماته يرددها العلماء والوعاظ على مدار التاريخ، يحكي الإمام ابن كثير عنه فيقول: «أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وحضره الشيخ أبوالقاسم علي بن يعلى العلوي البلخي، وكان نسيبا، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقالها، وكان يوما مشهودا، قال ابن الجوزي: وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا، والله أعلم»[٧]. فمع صغر عمره إلا أن شيخه علمه فتعلم وأصعده المنبر فتمكن من الخطابة مع كثرة عدد من يستمع إليه وبقي أثر هذا التشجيع، فكان ابن الجوزي، رحمه الله، من أبرز الوعاظ في التاريخ الإسلامي.

٢- التشجيع على تحقيق التواصل بين الأجيال ليتشرب الصغار حكمة الكبار وليتمكنوا من تحمل مسؤولياتهم؛ وقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش، فقال: «ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا، وأوسعوا لهم في المجلس، وأسمعوهم الحديث، وأفهموهم إياه. فإنهم صغار قوم، أوشك أن

يكونوا كبار قوم وقد كنتم صغار قوم، فأنتم اليوم كبار قوم»[8].

من مجالات التشجيع

ينبغي أن نتجه بتشجيعنا إلى كل عمل يرضي الله وينفع الناس، ومن ذلك:

١- النقد البناء للذات وللآخر: فالعين الباصرة هي التي تدرك الأخطاء وتبرزها حتى يتحقق الإصلاح والنقد الهادف لا يعني تتبع العثرات ولا رصد الزلات ومن ثم التشهير بأصحابها، بل يعني أن يحاسب الإنسان نفسه ابتغاء تجنب مواضع القصور، ومن الناس من يقسو على نفسه وعلى الآخرين ليأتي نقدهم؛ هداما لكل قيمة، خامدا لكل همة، مطفئا لجذوة كل نشاط. التشجيع على النقد البناء فيه صلاح الإنسان وصلاح من حوله، ومما ينبغي قوله في هذا المجال أن يسعى الناقد إلى تكوين رؤية لإصلاح ما يراه فاسدا أو على الأقل وضع لبنة في سبيل الإصلاح.

٢- المسارعة في الخيرات: المسلم دائما سباق لكل خير؛ لأنه يعلم ما أعده الله للصالحين، والتشجيع على ذلك فيه صلاح لدين الإنسان ودنياه، فعقارب الزمن لا تتوقف ونحن في منافسة مع أمم الأرض في الوصول إلى حقائق العلم وخيرات الأرض.

٣- تحمل المسؤولية: فالذي لا يتحمل المسؤولية كلّ على غيره، ولّى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد إمارة جيش فيه كبار الصحابة وكان عمره ثماني عشرة سنة[9].

٤- التشجيع على الزواج المبكر: قال عبدالله: كنا مع النبي ﷺ شبابا لا نجد شيئا، فقال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[10].

ولمن خشي تكاليف الزواج يقول له رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله أن يعينهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد أن يستعف، والمكاتب يريد الأداء». [11]

٥- تكوين الروافد المعرفية المتعددة من قراءة للكتب وحلقات نقاشية يحضرها من يحملون هم التوجيه والتربية من مختلف المشارب الثقافية المعتبرة حول ما يشغل الأذهان ومحاولة الاستفادة مما يقرأ ويدرس في الواقع العملي، والحقيقة أن نقص المحصول المعرفي لدى كثير من الشباب سبب في ما نرى من أزمات فكرية وخلقية.

وختاما: قد يفتقد الإنسان التشجيع فيشعر بالإهمال، وربما دعاه ذلك إلى الفتور أو حتى القعود عن العمل الصالح، ألا فليعلم أن قيمة العمل الفاضل في مقدار إتقانه ونفعه لا في ثناء الناس، فكم من ثناء كاذب وكم من ثناء يرجو به صاحبه جزاء أو شكورا وينبغي عليه أن يدفع هذه المشاعر السلبية بما يلي:

١- رضوان الله تعالى أعظم ما يحفز على العمل.

٢- ما نقوم به من أمور تتوافر فيها شروط العمل الصالح هو تحقيق لواجب العبودية.

٣- إحسانك وتقواك سببان من أسباب معية الله تعالى فيوفقك ويرعاك ويمدك بأسباب الفلاح ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (النحل:١٢٨).

٤- ما تفعله من خير لا يضيع عند الله ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة:٧).

٥- ما تفعله سبب للحياة الطيبة ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

٦- لا ينبغي للمرء أن يستسلم لأسباب الإحباط ولا يستجيب للإشارات السلبية التي تحول بينه وبين الوصول إلى هدفه، فإن فعل فسيظل يدور حول نفسه واقفا في مكانه متلظيا بخيبة الفشل، في الوقت الذي ينعم فيه الآخرون بثمار النجاح.

الهوامش

١- صحيح البخاري، حديث رقم ١١١٢.
٢- السابق.
٣- صحيح مسلم، حديث رقم ٢٦٧٤.
٤- يقال لليوم الذي يختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حذاقه، لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١هـ)، (١٠/٤٠)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
٥- الإشراف في منازل الأشراف لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـ)، ص١٨٠، تحقيق: د. نجم عبدالرحمن، خلف، الناشر: مكتبة الرشد الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٦- أبوحنيفة بطل الحرية والتسامح، عبدالحليم الجندي، ص١٠، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، الكتاب الثاني والثلاثون، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
٧- البداية والنهاية للإمام بن كثير (٢٤٢/١٢)، ط إحياء التراث.
٨- شرف أصحاب الحديث للخطيب أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت:٤٦٣هـ)، ص٦٥، تحقيق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.
٩- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ١٠٩/٤، ط: دار الحديث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٠- صحيح البخاري، حديث رقم ٥٠٦٦.
١١- صحيح ابن حبان، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن ٣٣٩/٩، ط: دار الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمود سعيد عيسى
باحث دراسات إسلامية وتربوية
سوريا

جلسة مع صديق تقي

أمس زارني أحد الأصدقاء القدامى، وقد عشنا دهرا من طفولتنا سويا ندامى، ثم لما امتد بنا المجلس، وانشرحت منا الأنفس، تجاذبنا أطراف الأحاديث، وذكرنا أطرف ما مر بنا من عهدنا القديم والحديث، وما كان من شقاوة الأقران، وما آل إليه حالنا في الغربة عن الأهل والأوطان، وألا راحة لمؤمن في هذه الدنيا الفانية، فكأس سعادتها بالشقاء طافية، وأن الله تعالى لا ينظر إلى لون أو نسب، بل ما انعكس في مرآة القلب.

وملنا في حديثنا إلى ذكر بعض الطغام من الفئام، فنثرت سهامي من كنانة الشنآن، وريشت أقذعها، وبريت أفظعها، ورميت أجدعها، فما من صديقي إلا أن قاطعني قائلا: إني أشفق عليك من هذا الانفعال، ولنغير، حالا، هذا المقال.

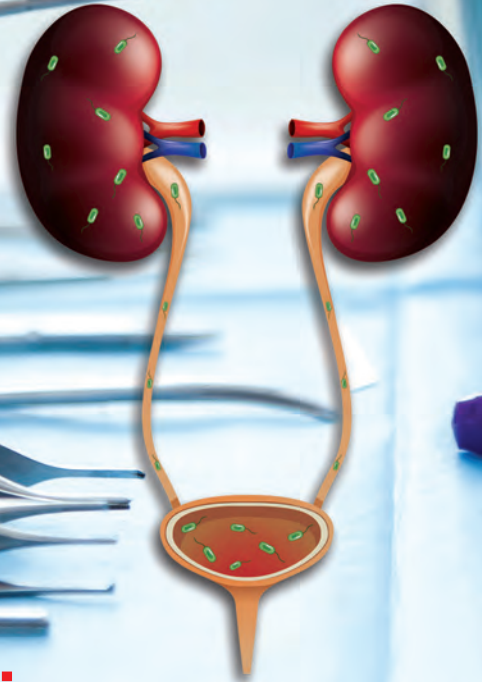
ثم لما طال بنا المقام عرجت لشخص آخر، وذكرت منه خساسته ورثاثته ودياثته، في نكتة بليغة، وملحة بديعة، ضمنتها فنون البيان، وظننت أني قد سحرت بها الإنس والجان.

فنظرت إليه لأرى سروره فرأيت كدوره، ثم ذكر صاحبي ذاك ملمحا إلى فضله، وأن هذا ليس في أصله، وذكرني، بلطف الإشارة لا بصريح العبارة، ما كان من والدي، من حسن النية والطوية، والنصائح المسدية، فذكرت بعد نسيان، ما نصح به الوالدان للإخوان: «إياكم والغيبة والنميمة، فإنها ذميمة، وغضوا الطرف عن عثرات الإخوان، وأخطاء الأقران، فكلنا مساوئ ومحاسن، ولكل واحد منا منهما مقدار متباين، وما مثل التغاضي يستل الشحناء ويرفع البغضاء من الصدور، ويجلب السرور والحبور».

ثم لما انفض المجلس في آخر الليل، قام صاحبي خفيف الأوزار طاهر الذيل، وما كان طعانا ولا لعانا، ولا فاحشا، ولا بذيئا، ولا مسيئا.

وأنت أيها القارئ الكيس الحبيب، والمخاطب الحصيف اللبيب، لا تفتش عمن كان الكلام، ومن كان الملام، فالعبرة بعموم الحال، لا بخصوص المقال، وأدعو الله تعالى أن يجعلنا وإياك من ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر:١٨).

محمود العيسوي
باحث علوم طبية
مصر



سرطان المثانة.. الأسباب والعلاج

يعرف سرطان المثانة بأنه ورم يتضمن نموا غير طبيعي لخلايا المثانة، التي تعد عضوا مهما في الجهاز البولي لدى الجنسين، ويصيب هذا الورم الخلايا الانتقالية، كما قد يصيب الخلايا الحرشفية والغدية، حيث يبدأ الورم بإصابة الخلايا المبطنة لخلايا المثانة، ثم ينتقل تدريجيا إلى باقي الخلايا المكونة للمثانة، وقد ينتقل للخلايا المجاورة أو للأعضاء الأخرى، وتزداد نسبة الإصابة بهذا الورم مع التقدم في العمر وقد يصيب من هم أصغر سنا.

ولسرطان المثانة عدة أنواع، منها: سرطان المثانة السطحي أو غير الغازي للعضلة، وهو النوع الأكثر شيوعا؛ وذلك عندما تكون الخلايا السرطانية داخل المثانة، أما عندما تنتشر خارج البطانة، أي في العضلات المحيطة بالمثانة فيطلق عليه سرطان المثانة الغازي للعضلة، ومن الممكن أن ينتشر في أجزاء أخرى من الجسم، وفي حالات نادرة يكون الورم غديًا Adenocarcinoma وعلى كل حال يتم تحديد مرحلة سرطان المثانة على حسب درجة اختراق الورم لجدار المثانة.

أسباب الإصابة

تتوقف أسباب الإصابة بسرطان المثانة على عامل النوع (ذكر أو أنثى) أو التقدم في السن، إلى جانب التدخين والتعرض للمواد المسرطنة carcinogenic أثناء العمل في صناعات بعينها، مثل المطاط والطلاء أو العطور أو أصباغ الأنيلين ومواد التنظيف والمواد الكيميائية والتعرض للزرنيخ؛ وفي هذه الحالة تصل نسبة الإصابة بالسرطان إلى ٢٥ في المئة، وقد ترجع الإصابة إلى اضطرابات جينية (أي وراثية)، كما أن الالتهاب المزمن بسبب حصى المثانة قد يكون سببا للإصابة السرطانية باعتبارها جسما غريبا داخل المثانة، وكذلك التلوث المزمن جراء الإصابة بالطفيليات كالبلهارسيا schistosoma، كما يعد التدخين من أكثر الأسباب شيوعا للإصابة بسرطان المثانة، حيث تزداد احتمالية الإصابة من ٤ إلى ٦ مرات عند المدخنين مقارنة بغير المدخنين.
جدير بالذكر أن معدلات الإصابة بسرطان المثانة أعلى عند الرجال بأربعة أضعاف منها عند النساء، وذلك لعدة أسباب أهمها عملهم في القطاع الصناعي.

الأعراض

تظهر أعراض الإصابة بالمرض على صورة جلطات دموية أو ظهور دم في البول hematuria أو حدوث نزيف خفي يتم اكتشافه عن طريق الفحص المخبري للبول، أو الشعور بالألم أثناء التبول، وهذا ما يطلق عليه «عسر البول» أو التبول بكميات صغيرة وبشكل متكرر أو حدوث التهاب المسالك البولية المتكرر. وعلاوة على ما سبق، فإن هناك أعراضا أخرى تشير إلى وصول الإصابة بسرطان المثانة إلى مراحل متقدمة، منها: الشعور بألم أسفل الظهر وحول الكُلى (أي الخصر) بسبب انسداد الحالب أو تورم المثانة، كذلك فإن تورم الساقين يعد واحدا من أعراض الإصابة بهذا النوع من السرطان.

ويؤدي سرطان المثانة إلى الإصابة بالأنيميا (فقر الدم) anemia وتورم في الحالب وسلس البول Urinary incontinence (أي نزول البول بشكل لاإرادي).

التشخيص

قد تتشابه أعراض سرطان المثانة مع أعراض اضطرابات أخرى قد تحدث في الجهاز البولي وربما يتزامن وجودهما معا، لذلك يلجأ الطبيب للفحص السريري المخبري الشامل، ويشمل فحص المستقيم والحوض والبروستاتا لدى الرجال، وقبل هذا وذاك يطرح الطبيب بعض الأسئلة عن تاريخ الحالة والتاريخ المرضي للعائلة للكشف عن العوامل الوراثية التي قد تكون سببا للإصابة، ثم يطلب إجراء اختبار للبول للتأكد من عدم وجود دم في البول أو وجود عدوى غير طبيعية. كذلك يمكن أخذ عينة من خلايا المثانة للكشف عن وجود خلايا سرطانية، وينبغي على الطبيب أيضا أن يطلب

التعرض للمواد المسرطنة أثناء العمل من مسببات المرض

من المريض إجراء أشعة باستخدام الموجات فوق الصوتية Ultrasound أو بالرنين المغناطيسي MRI أو أشعة مقطعية CT للبطن والحوض والقفص الصدري، علاوة على إجراء أشعة سينية X- ray للعظام.

يأتي ذلك بالإضافة إلى إجراء الفحص المخبري لخلايا الدم بكافة أنواعها الحمراء والبيضاء، ووظائف الكبد.

العلاج

عند بدء علاج سرطان المثانة ينبغي اتباع عدة تعليمات منها:

- الإقلاع عن التدخين بكافة أنواعه، وإجراء الفحوصات الدورية.
- تجنب التعرض المستمر للمواد الكيميائية أو الإشعاعية المسببة للسرطان.
- تتضمن التدابير العلاجية التدخل الجراحي لإزالة السرطان أو العلاج الكيميائي لتدمير الخلايا السرطانية باستخدام الأدوية، ويمكن إعطاء هذا العلاج قبل أو بعد الجراحة. ومن الممكن أيضا اللجوء للعلاج الإشعاعي عن طريق التعرض لجرعة عالية من الأشعة السينية أو غيرها من الأشعة العالية الطاقة.
- وللتعايش مع المرض ينبغي تحسين صحة المريض بصفة عامة، وتناول كميات كافية من الماء لاسيما وأنها تساعد على تخفيف المواد السرطانية، أضف إلى ذلك تناول المكملات الغذائية والفيتامينات كفيتامين (أ) وبالطبع المحافظة على النظافة العامة لتجنب الإصابة بالعدوى، ولاسيما عدوى الجهاز البولي التناسلي ومراجعة الطبيب المختص باستمرار.

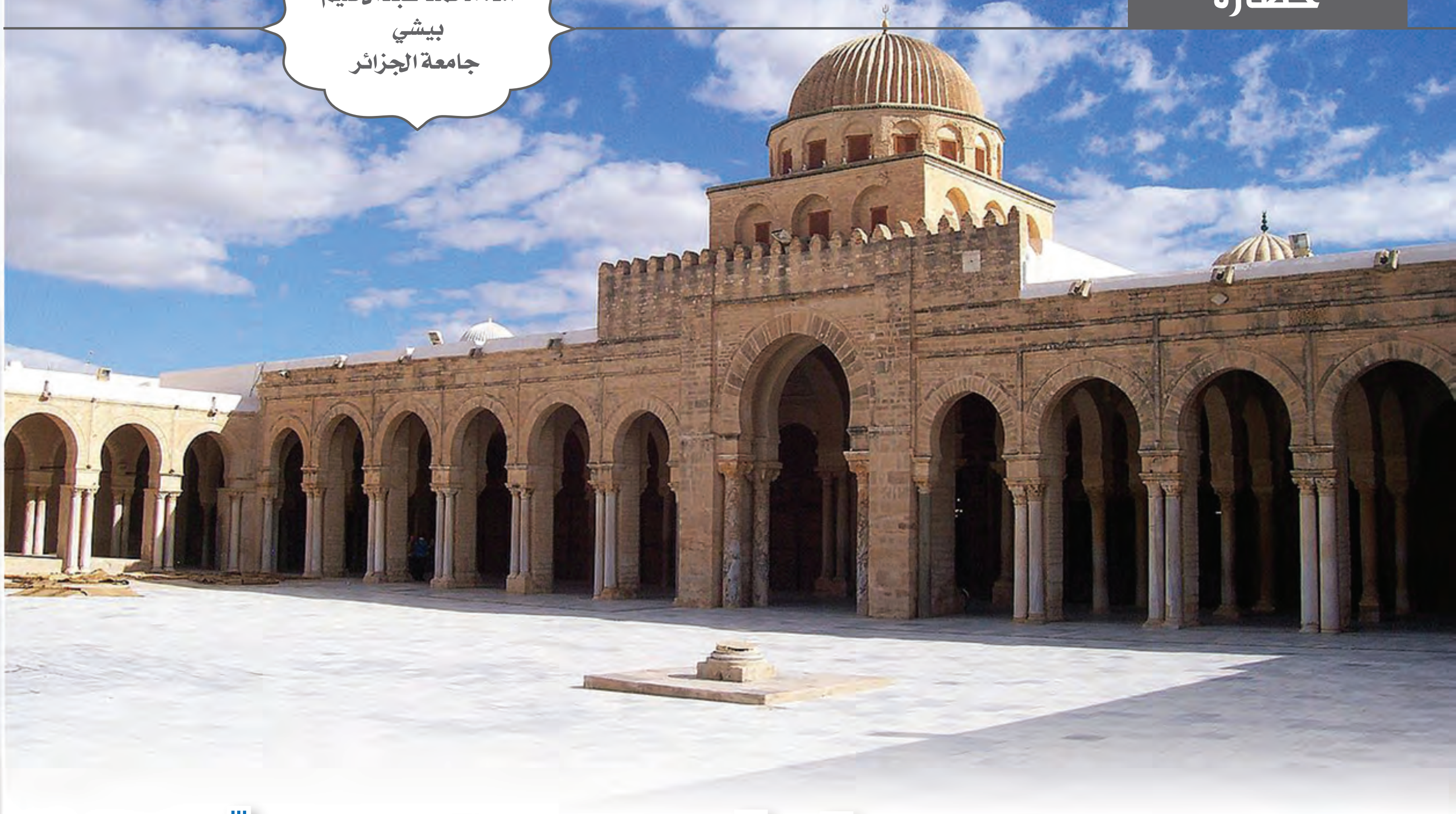
الإقلاع عن التدخين بكافة أنواعه يقي من الإصابة بالسرطان



- كذلك ينبغي العمل على تجنب الأعراض الجانبية الملازمة للعلاج كالشعور بالغثيان أو القيء وتجنب الإسهال والإمساك.
- تناول أطعمة غنية بالألياف والسوائل في صورة وجبات صغيرة ومتكررة مع تنظيم أوقات النوم.
- ممارسة التمارين الرياضية اليومية، أما إذا كان المريض يعاني من التعب نتيجة لنقص الطاقة فعليه الحصول على مزيد من الراحة.



أ.د. محمد عبدالحليم
بيشي
جامعة الجزائر



العمارة المتقنة والدعوة إلى الله

العمارة والبناء والتعمير والرفع والتشييد والتزيين من المقاصد الأساسية في الإسلام الذي جاء للإعمار لا الإقفار، والتعمير لا التدمير، والبناء لا الإفناء، والإعلاء لا الإدناء، والتشييد لا التبديد، إذ هي مقتضيات رسالة الخلافة عن الله في هذه الأرض التي أمر فيها العباد بمحاكاة جميل صنع الله في كونه الفسيح، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١).

ولأجل هذا بعث الإسلام في الحواضر العامرة في مكة: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى:٧).

وخلال فترة البعثة جرب النبي ﷺ الدعوة في مدينة الطائف، وأرسل أصحابه إلى مملكة الحبشة، ثم كان مهاجره إلى حاضرة يثرب التي غير اسمها إلى المدينة، ليعطي الرسالة التامة أنه جاء للتمدين والتعمير والاجتماع، ولم يكن مهاجره إلى بيداء قفراء، ولا جبل بلقع، ولا مهامه مخوف منها.

وبعد مهاجره شرع عليه الصلاة والسلام في البناء مباشرة، فكان مسجد قباء، ثم مسجده بالمدينة: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:١٠٨).

كما أنه ﷺ في حروبه ومغازيه نهى عن التدمير والتخريب، وأحاديث فقه العمارة والبناء كثيرة مستوفاة في أبوابها، ومما يستشف منها أن العمارة ذات مراتب ثلاثة مندرجة في جميع المقاصد الخمسة في حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض. فمرتبة الضروري منها ما يقي الحر والقر، والحاجي ما يلزم الناس من المرافق والملاحق التي تيسر الحياة، والتحسيني ما صاحبها من زينة تسكن بها النفوس وتنشرح لها الصدور، مطاوعة لما أخبر به الحكيم الخبير عن إتقان صنعته المنظورة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ (ق:٦-٧).

ففي عهده عليه الصلاة والسلام اكتفى بالضروري في مسجده وبيوت أزواجه، فقد كان مسجده بسيطا، أعمدته من جذوع النخل، وسقفه من جريدها، وحيطانه من طين المدينة، ولم تكن له أبواب، وربما سجد النبي ﷺ بين الماء والطين، ثم توسع الأمر بعد فتح

خيبر، فزاد في مسجده، واتخذ له عليه الصلاة والسلام بيتا للمصيف كانت فيه أم ولده مارية القبطية.

وعندما ولي خلفاؤه الراشدون ومن جاء بعدهم سارعوا بإعلان رسالة الإسلام في التمدين، فحافظوا على المدن القديمة كدمشق والإسكندرية وحمص، وبنوا مدنا جديدة مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وبغداد، وفي الجزائر شيدت تيهرت، وأشير، وبجاية، والجزائر، ومليانة، والمسيلة المحمدية، ووهران، وقرى ميزاب البديعة.

الفقه الإسلامي والحضارة

وهنا تبرز فرادة الفقه الإسلامي وسياسته الشرعية التي تدعو إلى الاقتصاد في البناء الفردي وعدم الغلو فيه أو المفاخرة والمباهاة والمغالاة، ولكنها تعكس الأمر في الإنشاءات العامة المرتبطة بحضارة الأمة ودينها في مساجدها، واستحكاماتها وقلاعها، وكل ما يدل على عزتها، فتوصي بالقوة والإحكام والجمال بناء على القاعدة الشرعية «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه». إذ إن الجمال والقوة والإتقان ترهب الأعداء وتوحي لهم بسلامة الأمة في ضرورياتها فكيف بحاجياتها وتحسيناتها؟

والقرآن الكريم قد أشار بقوة إلى هذا الإتقان في العمارة العامة، وكيف أن عديد الخلق يأسرون بالمظاهر فتخضع أعناقهم وترنو أبصارهم لمثل هذا. ففي قصة فرعون تأتي الآيات موضحات إلى أنه اتخذ من قوة عمارته ومصانعه سبيلا لاستخفاف أهواء قومه واستلاب عقولهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ (غافر:٣٦-٣٧).

وفي القرآن الكريم توحي قصة ذي القرنين مع أصحاب السد الذين كان لهم ما كان مع فوضوية ودموية يأجوج مأجوج، وكيف عرضوا عليه الخراج والذهب ليبني لهم ما يكفيهم شر الأعادي، وقد وصفهم القرآن بأنهم لا يفقهون، أي لم يعملوا على تحويل قدراتهم وإراداتهم بما لديهم من تراب وزمن وإنسان إلى فعل حضاري يرفعهم من حالهم إلى مستوى أحسن. يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ (الكهف:٩٣-٩٨). وآخر الآيات يبين عن النهايات الحتمية لهذا العمران، مما يرشد مجموع المهندسين والمعماريين والفنيين المسلمين إلى وجوب استحضار معاني الغلبة والقوة لله وحده. وهو أمر فقهه سلفهم في روائع الحضارة الإسلامية التي ربطت الأرض بالسماء، وختمت أعمالها بـ«لا غالب إلا الله».

عمارة الدولة

وفي عمارة الدولة نقرأ القصة المرشدة للنبي سليمان الذي انقادت له بلقيس حاكمة اليمن بما رأت من بديع العمارة وقوة الاتقان وجمال الهندسة الزجاجية والبلورية في الصرح الذي شيده حتى يأخذ بلبها، فلم تجد بدا من الإسلام واستصغار ملكها وعرشها في سبأ بما رأت من عجائب صنع جنود سليمان: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (النمل:٤٤).

والآيات مرشدات إلى أن العمارة الجميلة والشامخة من طرائق الدعوة لله تعالى، فكم من الناس من يؤخذون بالمظاهر ويرهبون القوة ويفتنون بسحر الجمال والإتقان، وقد جاء في وصف ملك سليمان: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣).

وعندما ولي سيدنا عثمان بن عفان خلافة المسلمين، ورأى تنافس الناس على الدنيا واستكثارهم من زخرفها عمد إلى مسجد النبي ﷺ فزاد فيه وأحكم بنيانه بالجص والحجارة المنقوشة، وجعل أعمدته من الرخام بدلا من خشب النخيل، واستجلب له خشب الساج بدلا من السعف، فانتقده الصحابة، فقال: «إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة» (البخاري، رقم٤٥٠).

والعمارة الحسنة علامة على صحة الأمة وقوة الدين فيها كما قال تعالى في وصف بيوته: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور:٣٦-٣٧).

والحاصل أن الاعتناء بالعمارة القوية المحكمة الجميلة من مقاصد الإسلام، ومن مهام خلافة الإنسان في هذه الأرض، حتى يحاكي بديع صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه. والمسلم حقيق بتمثل هذه المعاني الحضارية في كل شؤونه، فالله يحب المؤمن القوي الجميل.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي



سلسلة الذخائر

«مجلة العرب»



العرب
مجلة شهرية جامعة

الجزء الأول - السنة الأولى - رجب سنة ١٣٨٦ (تشرين الأول ١٩٦٦م)

دولة الكويت
مكتبة
مجلة
الوعي الإسلامي
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

يد طولى لفيصل .. على الصحافة

بسم الله الرحمن الرحيم. ومنه نستمد العون والسداد، لاصدار صحيفة نتوخى من وراء اصدارها الإسهام في خدمة امتنا وبلادنا بما نبلغه من جهد، وما نستطيعه من عمل.

ولئن كان شكر النعمة صفة حمد ووفاء، فان كفرانها خلة ذم ولؤم، يترفع عنها كل ذي عقل وإباء.

ولقد كان افرع من فروع الدوحة السعودية، الراسخة الأصول في كرم المحتد، الباسقة الفروع في سماء المجد، فضل على صحافة هذه البلاد لا ينكر، فقد أذن باصدار أولى صحيفة في قلب الجزيرة، في مدينة الرياض، فصدرت «اليمامة» في شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) وبانشاء أولى مطبعة فيها، فأنشئت وبدأ عملها في شهر شعبان سنة ١٣٧٤ هـ.

إلا أن كل عمل، في ذلك العهد — وهذه حقيقة مجردة من كل غاية — ما كان لينمو، وليبلغ الغاية، ما لم تتعهده يد طولى لأسمق فرع في تلك الدوحة الشامخة، وتتولاه بالرعاية والحماية، همة أنبل ملك أنجبته الجزيرة، بعد باعث مجدها، وموحد متفرقها، ومشيد اركان ملكها — تغمده الله بالرحمة والرضوان —

البقية صفحة ١٣

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة العرب» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي مجلة شهرية جامعة، لصاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر، صدر أول عدد منها في رجب، سنة ١٣٨٦هـ، الموافق لتشرين الأول، سنة ١٩٦٦م، في المملكة العربية السعودية.

صاحب المجلة

● هو حمد بن محمد بن جاسر، من أسرة آل جاسر المنتمية إلى الكتمة من بني علي من قبيلة حرب، ولد سنة ١٣٢٨هـ، في قرية البرود، من إقليم السر في منطقة نجد، تعلم في كتّاب القرية، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وفي آخر سنة ١٣٤٦هـ ذهب إلى الرياض واستقر فيها لطلب العلم على مشايخها، فقرأ شيئا من المتون كـ: «الآجرومية»، و«الأصول الثلاثة»، و«آداب المشي إلى الصلاة»، و«ملحة الإعراب» للحريري، ثم جاءت مرحلة زمنية مهمة في حياته، حيث ترك الرياض قاصدا مكة المكرمة.

وفي سنة ١٣٤٨هـ، التحق بالمعهد الإسلامي السعودي، أول مدرسة نظامية تنشأ في العهد السعودي.

وبعد أن أنهى مرحلة الدراسة في ذلك المعهد (متخصصا في القضاء الشرعي) تحول إلى الخدمة، فعمل مدرسا في ينبع من عام ١٣٥٣هـ حتى عام ١٣٥٧هـ، بعد أن أصبح مديرا للمدرسة.

ثم انتقل إلى سلك القضاء، فعمل قاضيا في ضبا في شمال الحجاز، وذلك عام ١٣٥٧هـ، ثم سافر إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة، ولكن الظروف العامة لم تساعده على إنهاء الدراسة في تلك الكلية، فتركها قبل أن يحصل على درجتها العلمية، فرجع إلى التدريس، فدرس في مناطق عديدة في المملكة العربية السعودية وشغل مناصب تربوية مختلفة، منها: رئيس مراقبة التعليم في الظهران، ثم مدير التعليم في نجد عام ١٣٦٩هـ.

كان أول مدير لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض اللتين كانتا النواة لإنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أنشأ أثناء إدارته للتعليم في نجد مكتبة لبيع الكتب هي: «مكتبة العرب» التي كانت أول مكتبة عنيت بعرض المؤلفات الحديثة تحت إشرافه.

نشر مقالات عديدة في الجرائد والمجلات العربية في موضوعات مختلفة، أبرزها النواحي التاريخية والجغرافية، ووصف الكتب المخطوطة ونقد المؤلفات والمطبوعات الحديثة.

كان عضوا عاملا في «مجمع اللغة العربية في القاهرة» و«المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان». كما كان عضوا مراسلا في «مجمع اللغة العربية بدمشق» و«مجمع اللغة العربية في عمان» و«المجمع العراقي في بغداد» و«المجمع العلمي في الهند».

وفي يوم الخميس ١٦ رجب سنة ١٤٢١ هـ، الموافق ١٤ سبتمبر سنة ٢٠٠٠م، انتقل الشيخ حمد الجاسر إلى رحمة الله، بعد حياة حافلة بالعطاء، فرحمه الله رحمة واسعة.

الآثار العلمية لصاحب المجلة

ترك الشيخ حمد الجاسر، رحمه الله، إرثا واسعا من المؤلفات في علوم مختلفة، منها ما خطه بيده ومنها ما قام بتحقيقه وإخراجه للقراء، ونذكر بعض مؤلفاته:

رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث، مقدمة المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مع الشعراء، التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار... وغيرها كثير.

ومن الكتب التي حققها نذكر: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، للحازمي؛ البرق اليماني في الفتح العثماني، للنهروالي؛ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة، للجزيري.. وغيرها كثير.

كما لا ننسى صحيفة اليمامة: أنشأها سنة ١٣٧٢هـ، وهي أول صحيفة صدرت في مدينة الرياض، وقد توقفت في رمضان سنة ١٣٨١هـ.

مجلة العرب: وهي مضمون بحثنا، أنشأها في رجب سنة ١٣٨٦هـ، واستمر في إدارتها حتى وفاته عام ١٤٢١هـ، حيث صدر منها ٣٥ مجلدا، وبعد وفاته واصلت الصدور على يد مجموعة من طلابه.

بعض محتوى العدد الأول

في أول مواضيعها بعد التقديم والتعريف بالمجلة؛ جاء موضوع بعنوان: لغة العرب بين عجمتين، بقلم عبدالعزيز الرفاعي.

وفي موضوعها الثاني جاء موضوع عن الشعر بعنوان: الشعر الشعبي.. ومعالم الجزيرة، بقلم عبدالله الخميس.

ثم تلاه موضوع بعنوان: الصحافة العربية في تطوان، بقلم محمد العربي الشويخ.

وهكذا تنوعت مواضيعها بين الأدب واللغة والشعر والتاريخ والجغرافيا، لتكون بحق مجلة ثقافية جامعة.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه المجلة الثقافية الماتعة، التي جمعت في ٤٣ مجلدا، وهي في متناول محبي الأدب والمواضيع الفكرية.

المصادر

مجلة العرب.
موقع حمد الجاسر على شبكة الإنترنت.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

من صفات العلماء

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين أنه من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم، فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم، فإنها محبة تثبت له في قلوبهم، وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذ أراه العلم ذلك، وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم، فشرف العلم له عند الله وعند أولي الألباب، وكان من صفته في علمه وصدقه وحسن إرادته يريد الله بعلمه».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص/٥٥).

لقاء العلماء

قال وهب بن منبه رحمه الله: «لقي رجل رجلا فوقه في العلم، فقال: كم آكل؟ فقال: ما فوق الجوع، ودون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك، على أن لا يسمع صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تمل أن تبكي من خشية الله. قال: فكم أخفي من عملي؟ قال: حتى لا يراك الناس أنك تعمل بحسنة. قال: فكم أظهر من عملي؟ قال: حتى يأتم بك الحريص، ويؤمن عليك قول الناس».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص/٢٢).

خطبة بليغة

خطب المأمون بمرو، وقد ورد عليه كتاب الأمين يعزيه بالرشيد، ويحثه على أخذ البيعة له، فقال: «إن ثمرة الصبر الأجر، وثمرة الجزع الوزر، والتسليم لأمر الله عزوجل فائدة جليلة، وتجارة مربحة؛ والموت حوض مورود، وكأس مشروب. وقد أتى على خليفتكم ما أتى على نبيكم ﷺ، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما كان إلا عبدا دعي فأجاب، وأمر فأطاع. وقد سد أمير المؤمنين ثلمه، وقام مقامه، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم، فأحسنوا العزاء عن إمامكم الماضي، واغتبطوا بالنعماء لخليفتكم الباقي. ياأهل خراسان إن الموت نازل والأجل طالب، وأمس واعظ، واليوم مغتنم، وغد منتظر» ثم نزل.

(انظر: التذكرة الحمدونية: ٤/٢١٩)

مسك الختام

قال العلامة حاجي خليفة في ختام كتابه المشهور (كشف الظنون): «واعلم أن الغرض من وضع هذا الكتاب: أن الإنسان لما كان محتاجا إلى تكميل نفسه البشرية والتكميل: لا يتم إلا بالعلم بحقائق الأشياء وبالعلم بكتاب الله وسنة رسوله وجب تعلم تلك العلوم وما هو كالوسيلة إليها... ويستفاد منه: تشويق النفوس الزكية إلى الكمالات الإنسانية وتحريكها إلى حسن الاقتداء والاقتفاء بإمرار النظر إلى آثار الأولين والآخرين والفكر في أخبارهم ولا يخفى أن الطباع جبلت على مشاهدة الآثار وتلقي الأخبار سيما الجديدة منها فلا يمل حينئذ عين من نظر وأذن من خبر».

(انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ١/٥٣)

الجواهر الحسان فيما يتعلق باللسان

قال العلامة أبو العباس الوراق رحمه الله:

❖ خير المقال ما صدقه الفعال.
❖ الكريم يحافظ على خليله بحسن قبيله.
❖ إذا حدثت فاصدق، وإذا وعدت فحقق.
❖ السكوت عن الأحمق جواب، وعن العاقل عتاب.
❖ من كثر صمته؛ عظمت هيبته.
❖ من كثر الكلام؛ لم يسلم من الزلل والآثام.
❖ الجاهل لا يبالي بما قال، والعاقل يتعاهد ما يجب من المقال.
❖ لا يصلح الكذب في جد ولا لعب.
❖ قل للعاقل: إذا فاتك العلم؛ فالزم الصمت والحلم.
❖ لا تتكلم فيما لا تعلم، ولا تجاوب حتى تفهم.
❖ إذا كلمك السفيه فعليك بالسكوت، فإنك إن لم تجاوبه؛ يموت.
❖ إمساك اللسان؛ يصلح كل شان.
❖ بحلاوة اللسان ينال حاجته الإنسان.
❖ إذا مدحت فاختصر، وإذا ذممت فاقتصر.
❖ من سأل التاجر وضيعة ماله؛ تبين له الحمق من مقاله.

(انظر: تأليف الافتراق من حكم ابن الوراق: ص/٣٢)

محمد بن إدريس الشافعي

قال محمد بن الفضل البزار: قال: سمعت أبي يقول: «حججت مع أحمد بن حنبل، ونزلت في مكان واحد معه، وخرج أحمد بن حنبل باكرا، وخرجت أنا بعده، فلما صليت الصبح درت المسجد، فجئت إلى مجلس سفيان ابن عيينة، وكنت أدور مجلسا مجلسا؛ طلبا لأحمد بن حنبل، حتى وجدته، عند شاب أعرابي، وعليه ثياب مصبوغة، وعلى رأسه جمة، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد، فقلت: يا أباعبدالله، تركت ابن عيينة وعنده من الزهري، وعمرو بن دينار، وزياد بن علاقة، والتابعين ما الله به عليم؟! فقال لي: اسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، لا يضرك في دينك، ولا في عقلك أو في فهمك، وإن فاتك أمر هذا الفتى، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله، من هذا الفتى القرشي. قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي».

(آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي، ص/٤٥).

الحكمة والعفة والشجاعة

قال العلامة أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه رحمه الله: «والذي يجب علينا الآن هو تحديد هذه الأشياء التي تحتوي على جمل الفضائل فنقول: أما الحكمة: فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، ويثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يغفل. وأما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي، أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته، وأما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجبه الرأى في الأمور الهائلة أعني ألا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمود».

(انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص/٢٥).

التحرير



الشيخ العلامة (أبو بكر الجزائري) في ذمة الله

فقدت الأمة الإسلامية عالما نحريرا، ومؤلفا مختصا، ومحققا جهبذا من أبرز علمائها، الشيخ الإمام (أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر الهلالي الجزائري).

وبفقده خسرت الأمة العربية والإسلامية قامة علمية قل نظيرها؛ حيث شهد له علماء عصره بالعلم والفضل والأدب والورع.

مولده ونشأته وطلبه العلم:

ولد الشيخ الجزائري في قرية (ليوه) الواحة الزراعية في الجنوب الجزائري، وكان مولده عام (١٣٤٢هـ)، وتوفي والده في عامه الأول فنشأ يتيما في حجر أمه.

وكانت أسرته عموما مهتمة بكتاب الله العزيز حفظا وقراءة؛ فهم يتوارثون ذلك منذ القدم، وأشرفت أمه رحمها الله على تعليمه وتحفيظه القرآن الكريم، وغرست فيه الأخلاق الفاضلة الحميدة؛ فكانت خير معين له، وأتم حفظ القرآن في القرية ولم يبلغ الحلم، وأم بمسجد قريته - التي تعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة - ولم يبلغ ستة عشر عاما.

ثم غادر قريته قاصدا مدينة طلب العلم عند الشيخ العلامة عيسى معتوفي فتعلم على يديه مبادئ الفقه والنحو؛ حيث اهتم الشيخ به لما رأى من حرصه ونباهته، فأخذ عنه الآجرومية، ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي، ومصطلح الحديث.

كما أخذ عن المشايخ الفضلاء: نعيم النعيمي، والطيب العقبي (الذي تتلمذ في رحاب المسجد النبوي)؛ حيث لازم الشيخ العقبي وتتلمذ عليه وأخذ عنه علوم العقيدة والتفسير وغيرها، وتأثر به كثيرا وصقل شخصيته، ولازمه في دروس التفسير عدة سنوات في العاصمة الجزائرية.

عمل الشيخ الجزائري - رحمه الله- في «جمعية العلماء» في العاصمة الجزائرية، وهي جمعية علمية تدعو إلى العودة بالدين إلى نقائه وصفائه الأول، وإلى العقيدة التي قررها السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وتدعو هذه الجمعية إلى نبذ التعصب، ومحاربة البدع.

ثم أنشأ - رحمه الله - في هذه الفترة مجلة «الداعي واللواء»، وهي مجلة دينية إصلاحية تدعو إلى الإصلاح وتعليم الشريعة، وكان يشرف الشيخ على تحريرها وتنقيحها بنفسه.

شد الشيخ الجزائري - رحمه الله- رحال الحج إلى مكة المكرمة عام: (١٣٧٢هـ)، ثم قصد المدينة المنورة التي وقع حبها في قلبه لمكانتها، ولما فيها من

أحبابه وأصدقائه؛ فعزم على البقاء.
بدأ الشيخ الجزائري طلب العلم على مشايخ المدينة المنورة وعلمائها؛ فلازم حلقة الشيخ عمر بري، والشيخ محمد الحافظ، والشيخ محمد الخيال، والشيخ عبد العزيز بن صالح، وفي عام: (١٣٧٤هـ) حصل الشيخ - رحمه الله - على إجازة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف؛ حيث كان يقصد حلقته العلمية جمهور عريض من طلبة العلم الفضلاء.

أعماله ومناصبه العلمية:

عمل الشيخ، رحمه الله، في التدريس في المدرسة المحمدية، والمدرسة السلفية، ودار الحديث في المدينة المنورة. ثم لما افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتقل إليها، وكان له دور فعال فيها، كما كان له الدور الفعال أيضا في الدعوة إلى إنشاء رابطة العالم الإسلامي، وإذاعة القرآن الكريم.

قدم الشيخ - رحمه الله - فكرة لإنشاء حلقات العلم بالمسجد النبوي الشريف لتخريج علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية، وذلك لما رأى من نقص العلم وذهابه بذهاب العلماء.

تلاميذه:

تخرج على يديه كثير من الطلاب من الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في قسم التفسير، أما في كلية الشريعة بالجامعة والمسجد النبوي الشريف فلا يحصى عدد ذلك، ومن أبرزهم: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين، والشيخ الدكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين، والشيخ الدكتور محمد مختار بن الشيخ محمد الأمين.

بعد تقاعده في عام: (١٤٠٦هـ) ظل منزل الشيخ - رحمه الله - عامرا بحلقات العلم حيث يفد إليه الطلاب من كل مكان، وكان يدرس أيسر التفاسير، وصحيح البخاري، وموطأ الإمام مالك، أما دروسه في المسجد النبوي الشريف فظلت مستمرة ما بين المغرب إلى العشاء، وبدأها مع بدء إجازته للتدريس.

صفاته وأخلاقه:

امتاز الشيخ - رحمه الله - بالرفق واللين؛ فهو دمث الأخلاق، لين المعشر، صلب في الحق، صفاته صفات العلماء العاملين، متواضع في ملبسه ومسكنه ومركبه ومطعمه ومشربه مع الكبير والصغير.

مؤلفاته:

تميزت مؤلفات الشيخ - رحمه الله - بتقريب الإسلام وطرحه بوسطية تحبب الناس فيه، وابتدأ التأليف منذ بداية مشواره العلمي؛ فألف في الجزائر أول أمره «الضروريات الفقهية» وهي تبسيط الفقه للطلاب، و«الدروس الجغرافية»، وبعد قدومه الحجاز أسس مطبعة الدعوة، وطبع بها كتابه القيم: «منهاج المسلم»، وبلغت رسائل الشيخ، رحمه الله، أكثر من مائة رسالة إصلاحية هادفة جمعت معظمها في مجلدات خمس باسم «رسائل الجزائري»، إضافة إلى العديد من المؤلفات العمية الأخرى كـ: «عقيدة المؤمن»، و«العلم والعلماء»، و«نداءات الرحمن لأهل الإيمان»، و«المسجد بيت المسلم»، و«هذا الحبيب يا محب»، و«أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير».

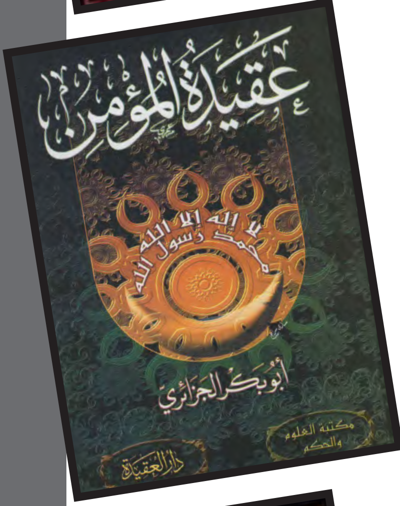
وفاته:

بعد حياة علمية حافلة بنشر العلم والتأليف والتحقيق، وبعد معاناة طويلة مع المرض؛ توفي الشيخ العلامة أبو بكر الجزائري في المدينة المنورة صبيحة يوم الأربعاء الموافق: «٤ ذو الحجة ١٤٣٩هـ»، الموافق: «٢٠١٨/٨/١٥م»،عن عمر ناهز (٩٧) عامًا، وبرحيله فقدت الأمة الإسلامية عالما جليلا من أبرز علمائها مخلفا تراثا علميا غزيرا... رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

مصادر الترجمة:

١ـ الشيخ أبو بكر الجزائري للدكتور عبدالله آل علاف الغامدي.
٢ـ الموقع الرسمي للشيخ أبي بكر الجزائري.
٣ـ سلم الوصول إلى تراجم علماء مدينة الرسول ﷺ لحمزة القرعاني.









التحرير

أمضى حياة حافلة في خدمة الدعوة

رحيل علامة الصين الشيخ عبدالله ماتشانغ

فقدت الأمة الإسلامية عموما، وبلاد الصين خصوصا، أحد علمائها الأعلام وفضائلها الكرام، وعمودا من أعمدة الدعوة الإسلامية في البلاد، العلامة الفقيه الشيخ عبدالله ما تشانغ، رحمه الله تعالى، الذي توفي يوم الاثنين (٣ من ذي القعدة، ١٤٣٩هـ)، الموافق ١٦ يوليو ٢٠١٨م، عن عمر ناهز ٨٣ عاما أمضاها في تعليم العباد وخدمة البلاد.

وقد صُليت عليه صلاة الجنازة يوم الثلاثاء الموافق ٤ من ذي القعدة ١٤٣٩هـ، بعد صلاة الظهر، وشيع جثمانه في مشهد مهيب بجمع غفير من المسلمين في الصين، حيث قدر عدد المشيعين بما يزيد على مئتي ألف، وقد خيمت علامات التأثر بفقده على المدينة التي كانت قبلة لطلاب العلم؛ بسبب جهود الشيخ، رحمه الله، فيها.

يعد الشيخ، رحمه الله، أحد كبار علماء الصين، وهو إمام جامع «دنقوان» في مدينة «شيننغ» شمال غرب الصين، وقد كانت حياته حافلة بالإنجازات العلمية والإدارية والاجتماعية؛ فهو أحد علماء الصين، وكان يشغل منصب نائب رئيس المجلس الاستشاري في محافظة «چينغ هاي»، ورئيس الجمعية الإسلامية الصينية في محافظة «شي نيغ»، إضافة إلى كونه شيخ المدارس الإسلامية، والمعلم الأكبر في تحمل وتبليغ المدرسة التراثية الإسلامية في الصين.

لقد أفنى الشيخ عمره في نشر العلوم الإسلامية، وخرج الآلاف من العلماء والأئمة، وكان يقضي طوال النهار في التدريس والتعليم، وكان مسكنه هو المسجد، ويعد مسجده قبلة للمسلمين والمتعلمين في بلاد الصين كلها.

وكان مسجد الشيخ، ومازال، بمنزلة مدرسة دينية علمية وثقافية، بل هو منارة إسلامية رائدة في بلاد الصين كلها، وكان يتخرج فيه الآلاف من طلاب العلم والدعاة، حيث يتم إرسالهم لشغل وظيفة الإمامة والخطابة والتدريس في مساجد الصين في جميع المحافظات، وفي البلاد المجاورة أيضا.







يذكر أن المسلمين قد عملوا بدأب في الصين على بناء الكثير من المساجد الكبيرة والصغيرة حتى بات عدد المساجد فيها لافتا لدى الكثير، حيث تفيدنا الإحصائيات – غير الكاملة – أن عدد المساجد في الصين قد بلغ الآن أكثر من ٢٣ ألف مسجد، تنتشر في ٣٠ مقاطعة، وبلدية، ومنطقة حكم ذاتي.

وتتنوع هذه المساجد بين مساجد ذات طابع معماري قديم، كمسجد «هوايشنغ» في مدينة «قوانغشو» الذي يعتبر أقدم مسجد في الصين، حيث يعود بناؤه الأول إلى سنة ٧٤٢م، وبين مساجد حديثة رائعة الهندسة، كمسجد «عيد كاه» بمدينة «كاشغر»، وهذه المساجد ليست مجرد مراكز دينية للجموع الغفيرة من المسلمين، بل هي من فرائد الآثار التاريخية في الصين، كما يعد من أشهرها مسجد «دونغسي» في العاصمة «بكين».

أما بلاد الصين في عيون المؤرخين والرحالة المسلمين؛ فلها الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من الحفاوة والوصف الحسن؛ حيث قال عنها العلامة الرحالة ابن بطوطة (ت:٧٧٩هـ): «وبلاد الصين آمن البلاد، وأحسنها حالا للمسافر، فإن الإنسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة ولا يخاف عليها، وإقليم الصين متسع، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة، لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض... وأهل الصين أعظم الأمم إحكاما للصناعات، وأشدهم إتقانا فيها، وذلك مشهور في حالهم، قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه» (انظر: رحلة ابن بطوطة: ٢/٢٢٤).

رحم الله الشيخ العلامة دونغ قوان عبدالله ما تشانغ تشين، وجازاه الله خير الجزاء على ما قدم للدعوة الإسلامية وللمسلمين في بلاد الصين خاصة وفي بلدان العالم الإسلامي عامة.



بريد القراء



إعداد: التحرير

التربية بالمواقف والأمثال

رحم الله أمي وأسكنها فسيح جناته؛ ربتني صغيرا وتعهدتني كبيرا، ربتني، رحمها الله، على القيم والاستفادة من التجارب والمواقف والأمثال، وأنعم بالتربية بالمواقف والأمثال في التربية!! فكانت، رحمها الله، تستشهد لكل موقف تربوي بمثل وقيمة أخلاقية وحكاية وقصة. وصدق القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وأنعم بالتربية بالمواقف والأمثال لغرس القيم التربوية في نفوس الأطفال؛ من صراحة وصدق وثقة.. نعم تربية تغرس في النفوس صراحة لا وقاحة، وصدقا لا كذبا، وثقة لا حمقا ورعونة. وما أحوج الأمهات في زمن انحدار القيم أن تربي أبناءها على الصدق والثقة؛ فتربي طفلها ألا يكذب، وألا يبتعد عن الصدق، وتربيه على أن الصراحة مع الذات والصدق مع النفس أكبر مكسب للإنسان في حياته، وتربيه على الثقة في نصائح المربين والعلماء.

رحمك الله يا أمي فقد كنت قيما وخبرات وأمثالا تمشي على الأرض، فما أعظم الأمهات حين تكون كذلك.

محمد عباس



الذكر ميزان الفضل، ومناط التوفيق

إن ذكر الله تعالى من العبادات التي تؤكد أن الموفق والمفضل هو الذي ألهمه الله ذكره وشكره، الذي يتحرك لسانه بذكر الله تعالى ليل نهار، عبادة من أيسر العبادات، وأسهل القربات، وأعظمها أجرا، وأجزلها ثوابا فيها، بركاتها متواليات، ومآلها سكنى الجنات، وإن تعجب فعجب أن القليل هو من يوفق إلى الذكر والدعاء!! قال ابن القيم: والعجب وكل العجب، من غفلة من لحظاته معدودة عليه، وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له، إذا ذهب لم يرجع إليه فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ويسار به أعظم من سير البريد ولا يدري إلى أي الدارين ينقل فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته لا لما سبق من جناياته وسلف من تفريطه.

والذكر ميزان التفاضل بين العباد في عباداتهم، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ، أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال أكثرهم لله تعالى ذكرا، قال فأي الصائمين أعظم أجرا؟ قال أكثرهم لله ذكرا، ثم ذكر له الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: أكثرهم لله ذكرا، فقال أبو بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: ذهب الذاكرون بكل خير!! فقال رسول الله ﷺ: أجل».

ويقول ابن القيم رحمه الله: «إن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عزوجل؛ فأفضل الصوام أكثرهم ذكرا لله عزوجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرا لله عزوجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرا لله عزوجل، وهكذا سائر الأعمال».

بشراكم أيها الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، فأنتم المفردون السابقون إلى الخيرات، الفائزون بأعلى المنازل، وعالي الغرفات، وأرفع الدرجات، وأعلى المقامات. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان، سبق المفردون، قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»فأين الذاكرون؟ إنها تذكرة لكل مسلم، فلنتأمل.

عادل محمد أبو الهيثم

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :



alwaeiq8@gmail.com



الحمد سياج استدامة النعم



اعتدنا على قول كلمة «الحمد لله» في اليوم آلاف المرات، أحيانا تكون لفظا يردد باللسان وأحيانا من فلتاته. لكن إذا وقفنا على معانيها فسنجدها تضفي ديمومة على النعم وتجعلها غير قابلة للضياع؛ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ» (أخرجه ابن ماجه)، وهو ما نجده مرتكزا في جل النظم التحليلية للاستدامة. فمعايير الاستدامة بالنسبة إلى البشر، هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي نعيشها، بما فيها من نعم، على المدى الطويل وعلى نطاق واسع. وهذا يفرض، قبل كل شيء، سلوكا نابعا من حالة استقامة المقاييس في النفس، بوعي من العقل يستجيب بها القلب ليفيض على الكون كله. حالة بحث دائم عن شيء أفضل وأرقى في الحياة، تحفظ به النعم الموجودة وتنفي صفة الإهمال عنها. وهذا لن يكون إلا عبر سياج متين ومحكم، إن استوعبه الإنسان سعد به إلى الأبد، وهو سياج الحمد لله.

د. جميلة مرابط - المغرب

رسولنا ﷺ القدوة الحسنة



مما لا شك فيه أن قضية القدوة الحسنة تمثل واحدة من أخطر المشاكل وأكثرها تعقيدا وأبعدها أثرا في حياة الأطفال والشباب، بل والمجتمع برمته؛ لأن الكثير من الجنوح، سواء في فكر الشباب أو سلوكه، يرجع إلى افتقاده القدوة الحسنة في العديد من المواقف.

والنتيجة الطبيعية لذلك هي فقدان كثير من الشباب للثقة في المجتمع، ثم فقدان الثقة بالنفس، وبمقدرته على تحقيق طموحاته وآماله وإثبات ذاته؛ فيسعى إلى الهروب إما بالفرار أو الهجرة أو الجنوح والانحراف عن جادة الصواب في فكره وسلوكه وتصرفاته اقتداء بالنماذج السيئة التي يراها تطفو على السطح وتنتشر، لذلك ندعو الأسر إلى تربية أبنائها منذ الصغر على الاقتداء برسولنا الكريم في فكره وسلوكه وحركاته وسكناته وخلقه.

«قال ابن أبى سلمة، عمر ربيب رسول الله ﷺ وابن أم المؤمنين، قلت لأبي سعيد الخدري ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي، كل لله، واشرب لله، والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة وما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته، كان يحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويشتري الشيء من السوق..... ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده، ويصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير، يجيب إذا دعي، ولا يحقر ما دعي إليه، لين الخلق، جميل المعاشرة، طليق الوجه، شديد في غير عنف، متواضع في غير مذلة، جواد من غير سرف، رقيق القلب..... زادت عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ لم يمتلئ قط شبعا، ولم يبث إلى أحد شكوى، وإذا كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى».

فمن طلب التواضع فليقتد به، ومن لم يرض لنفسه بذلك فما أشد جهله فقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدين والدنيا، فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ﷺ.

أ. د. عبدالفتاح محمد العيسوي - مصر

مسك الختام

فضفضة محب

ما أجمل الحب في الله، وما أروع الشعور بحب إخوانك لك وعميق حبك لهم، مع جميل ستر الله عيوبك عنهم. فهو والله من أعظم النعم التي سدلها الله على عباده، وفيه السعادة البالغة، وخيره موصول من الدنيا للآخرة، حيث ينادي الجليل: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. وهم على منابر من نور يوم القيامة كما بشر الحبيب ﷺ، وخلتهم تدوم بعد زوال الدنيا ولا تتغير كما أخبر عز وجل ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧).

حالهم في الدنيا: إذا وصلتهم شكروا، وإن انقطعت عنهم عذروا، وإذا حضرتهم استبشروا بك، وإن غبت عنهم استغفروا ودعوا بظهر الغيب لك.. وهذه البضاعة لا تجدها إلا عندهم، ولا تسوق إلا في مجالسهم.

يشاركونك الحزن قبل الفرح، ويقاسمونك الهموم عند الترح، ويسارعون في قضاء حوائجك من غير طلب، ويتحملون إساءتك عند الغضب. إذا جلست بينهم بجلوك بغير إهانة، وإذا حضركم غريب عنكم قدموك بكل إعانة، مجالسهم فضفاضة، وأرواحهم فياضة.

لذا لزم أن تتحمل كل شيء من أجل إرضاء حبيبك، وفي سبيل البقاء على محبته، فوجب أن تتقبل من أجله القبيح. كما تحب أن ترى منه الجميل، ولا تحمل منه أسى في نفسك، ولا تذكر فيه عيبا لغيرك، ولا تمن عليه بفضل منك له؛ بل ترى فضله عليك كبيرا، وتلمس القليل منه كثيرا.

إذا حضر بجلته كما يحب منك له، وإن غاب حفظته كما تحب منه لك. تتلهف لرؤيته، وتعذره لجفوته، تستشرف لإقدامه، وتتأسف لإحجامه. لا يغيب عن خيالك، ولا يحرم بركة دعائك، حتى يصبح جليس كيانك في الحضور، وأنيس فؤادك عند مفارقة الدور.

فالمحبة الحقيقية لا تزيد بالصلة والإحسان، كما أنها لا تنقص بالقطيعة والحرمان.

فمن ظفر بأهلها، فلا تعدو عيناه عنهم.. -وأدعو أن نكون جميعا منهم-.

فتعلم المحبة، فلله في خلقه شؤون، وإلا فلا تخض غمار المحبين، فتغرق في مطلع شاطئ المدعين.

مصطفى القلاوي
كاتب وباحث إسلامي مصري

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

كويت



فلاشات وطنية تلفزيونية

أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام صلاح أبا الخيل

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...





+965 922 54 54 5

R e d A w q a f



العدد ٦٤١ -السنة ٥٦ - محرم ١٤٤٠ هـ - سبتمبر - ٢٠١٨ م



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٤٢) صفر ١٤٤٠ هـ - أكتوبر ٢٠١٨ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

اللغة العربيّةُ والتّحدّي الحضاري

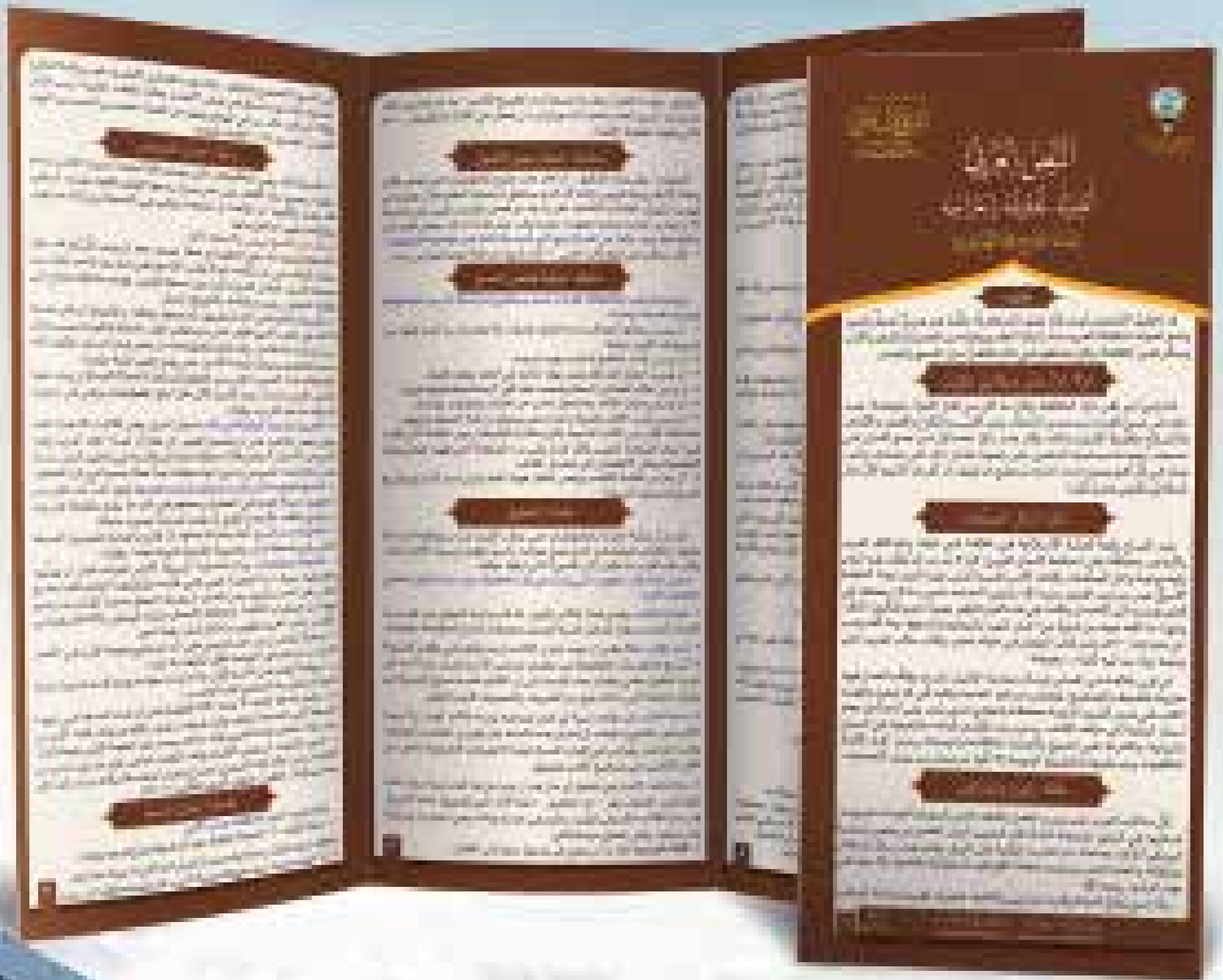
- الخُروج الآمِنُ مِن مَرحلة المراهقة
- ارسُمْ طريقَك إلى القمّة
- النّوافِلُ وأثرُها في حياةِ المسلم

هدية العدد مطوية: النص العربي أصوله، تحقيقه، إخراجه



مجلة الوعي الإسلامي  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 

جديدنا



النص العربي.. أصوله، تحقيقه، إخراجه

يأتي هذا الإصدار النافع ليشكل لبنةً جديدة في سلسلة مطويات مجلة الوعي الإسلامي الرائدة، وركّزت هذه المطوية على النصِّ العربي من حيث أصوله وتحقيقه وإخراجه، كما تعرَّضت لأول نصٍّ إسلامي مكتوب، وأوائل المصنَّفات، والورق والوراقين، وأصول النصوص، ومنازل النسخ، وعملية جمع الأصول، وعملية فحص النسخ، والتحقيق، والتصحيف والتحريف، ثم المكملات الحديثة، كما ركّز مُعدُّ المطوية على بعض الرموز والإشارات اللازمة لخدمة النصوص.

وتشكل هذه المطويَّة ركيزة مهمَّة لثقافة المحقق للنصوص العربية والإسلامية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

اللغة العربية.. شهادة الأجيال الناطقة

لقد منَّ الله على هذه الأمة بأفصح لسان، وأبلغ بيان، وأفضل لغة «لغة القرآن». نعم، فاللغة العربية هي زهرة التأريخ العابقة، ومزنة النور الوادقة، وإشراقة الدنيا الصادقة، وشهادة الأجيال الناطقة:

لغة إذا وقعت على أسماعنا ... كانت لنا بردا على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا ... فهي الرجاء لناطق بالضاد

لقد كان العرب قبل الإسلام أمة ممزقة الإهاب، مفترسة الجناب، تعيش في أرق وارتياب، فجمعتهم أواصر الفصاحة الهمامة، وألبستهم أثواب المروءة والشهامة، فعلى بساط اللغة يجتمعون، ويبدي كل ما في وطابه من نثرها وشعرها، ونحوها وصرفها، وبلاغتها واشتقاقها؛ فبين فخر وهجاء، ومدح ووصف ورثاء؛ يمتعون أسماع الزمان، فاللغة كانت نبعا دفاقا يؤلف بين قبائل العرب في مجالسهم ومنتدياتهم.

لقد أضحت اللغة العربية لدى كثير من المسلمين اليوم في خفوت، ورياحها الشذية العبقة في هفوت، بما يلح أن ندندن حول هذا المعين؛ لنحيي شقاشق اللغة الهادرة، ونعبر دياجير العجمة الغامرة، فلقد حرمنا العربية معانيها اللطاف، وألبسناها ثوب السنين العجاف، في حين كان فيه سلفنا الصالح يعنون بالعربية، ويعاقبون صبيانهم على الخطأ فيها، ويثيبونهم على الفصاحة والبيان.

يقول الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العربية؛ فإنها تنبت العقل، وتزيد المروءة» (كنز العمال، ٣/٣٥٨).

وكتب الفاروق -أيضا- إلى أبي موسى الأشعري، رضي الله عنهما: «خذ الناس بالعربية؛ فإنها تزيد في العقل» (أخبار النحويين، ص:٣٢). نعم؛ فإنما يعرف الرجل بمنطقه، فمن صلح لسانه؛ صلح خلقه، وقديما قالوا: «لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده».

وأصل علوم ديننا الحنيف وفروعه منوطة بتعلم العربية وفهم قواعدها ومعانيها؛ قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «وعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها -أصولا وفروعا- ألا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربيا أو كالعربي في كونه عارفا باللسان العربي بالغا فيه مبلغ العرب» (الاعتصام، ٣/٢٥٧).

لذا حاربها أعداؤها وتنمروا لها، وكشفوا عن نيتهم السوداء تجاهها، وقال قائلهم: «يجب أن نزيل القرآن من قلوبهم باقتلاع العربية من ألسنتهم»؛ فأعلنوا على لغتنا حربا ضروسا، وأظهروا لها وجها عبوسا، ولكن -بفضل رب العربية- انعكس عليهم الأمل، واستنوق فيهم الجمل؛ وظلت العربية محفوظة بحفظ الله تعالى لكتابه العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

فالعربية قامت وستقوم فتية قوية، شامخة عفية، وشمرت عن ساقها، وجللت نورا على أرواقها، وألجمت أفواه عداتها؛ إنها ذكرى للذاكرين، وتنبيه للغافلين، فعلينا، نحن أبناءها من العرب والمسلمين، أن نتمسك بها، ونربي عليها أبناءنا، ونفطمهم عن مراضع العجمة المقيتة، وهجر الألفاظ الأجنبية الدخيلة، وأن نقبل على لغتنا، وننأى بها عن اللحن فيها؛ لنظفر بالغنم والكرامة، في الدنيا ودار المقامة.

أئمة اللغة الفصحى وقادتها ... ألا بدارا فإن الوقت كالذهب
ردوا إلى لغة القرآن رونقها ... هيا إلى نصرها في جحفل اللجب

وختاما: لابد أن نؤكد أن اعتزازنا بلغتنا الأم لا ينافي حاجة الأمة إلى تعلم اللغات الأخرى لتحقيق رسالتنا العالمية بلا ندية، ولا مزاحمة ولا انهزامية.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٢ / صفر ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
أكتوبر ٢٠١٨م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

د. تركي محمد النصر

هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



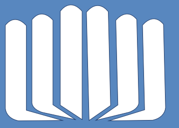
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



المحتويات



كلمة العدد

اللغة العربية.. هوية المسلم

في ديننا الحنيف لا فرق بين أبيض وأسود، أو بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وإن كان كتاب الله الهادي إلى يوم الدين نزل بلسان عربي مبين، فهذه منة امتنها الله على رسولنا الكريم ﷺ، وعلى القوم الذين بعث فيهم، وعلى كل إنسان ولد على الفطرة، وكانت لغته الأم هي اللغة العربية. وسوف نحاسب على هذه النعمة التي حرم منها -لحكمة لا شك- من يدخل في الإسلام، ويجتهد ليقرأ وينهل من القرآن واللغة عليه شاقة.

أفيليق بنا -نحن الذين أنعم علينا الله بنعمة الإسلام وقراءة القرآن بلغتنا الأم- أن نقلل من شأن هذه اللغة ومفرداتها لسبب أو لآخر، بدافع من التمسح في حضارة حان دور تقدمها؟!

وهل ضاقت اللغة العربية علينا حتى نلجأ في أحاديثنا اليومية إلى لغة أجنبية؟! هل ضاقت علينا حتى نضع لافتات هنا وهناك بلغة أخرى، أو بلغة هجينة، لا قواعد لها ولا أصول؟! هل ضاقت علينا حتى نخاطب أبناءنا وأصدقاءنا بلغة غيرها، بينما يمكن مخاطبتهم بها؟!

إن شرخا نفسيا في صميم الهوية يحدث عندما نترك لغتنا ونتكلم بلغة أخرى بغير مبرر، وإن على المرء أن يبدأ بنفسه وبأسرته، ويلاحظ الكلمات التي ينطق بها، هل تخللتها كلمة أجنبية؟ وساعتها يسأل نفسه: لماذا هذا السلوك الغريب؟ وهل يستطيع تغيير ما نطق به بمرادف عربي أم لا؟ فإن كان الأمر يسيرا ومتاحا فليكن مع الاستبدال، وعزم النية على ترك هوى التقليد والسير في ركاب ليست لنا، والاعتزاز بكوننا مسلمين، لغتنا لغة بليغة هي لغة القرآن الكريم.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



محمد إبراهيم خاطر
باحث دراسات إسلامية

النوافل وأثرها في حياة المسلم

النافلة في اللغة هي مطلق الزيادة، والنوافل في الاصطلاح ما زاد على الفرائض، وللنوافل أثر عظيم في حياة المسلم، لأنها تقربه إلى الله عزوجل، وتبعده عن الشرور والآثام، وتحافظ على الفرائض في الدنيا وتجبر نقصها في الآخرة.

وللنوافل في الإسلام أثر كبير وفضل عظيم، وقد وردت الكثير من الآيات والأحاديث التي تبين فضل النوافل وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.

يقول الله عزوجل: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٥٨).

قال الراغب الأصفهاني: «التطوع في اللغة الإتيان بما في الطوع أو الطاعة أو تكلفها أو الإكثار منها، وأطلق على التبرع في الخير، لأنه طوع لا كره ولا إكراه فيه، وأطلق أيضا على الإكثار من الطاعة زيادة على الواجب، ومنه قوله ﷺ في حديث الأعرابي: «إلا أن تطوع» أي: تزيد على الفريضة، فمن تطوع لله زيادة على ما أوجبه عليه فإن ﴿ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فإن الله يثيبه؛ لأنه شاكر يجزي على الإحسان، عليم بمن يستحق الجزاء».

ويقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: «تطوع يطلق بمعنى فعل طاعة وتكلفها، ويطلق مطاوع طوعه أي جعله مطيعا، فيدل على معنى التبرع غالبا لأن التبرع زائد في الطاعة، وقوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ دليل الجواب إذ التقدير ومن تطوع خيرا جوزي به، لأن الله شاكر أي لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفى عنه إحسانه».

ومن أعظم فضائل النوافل أنها سبب لمحبة الله عزوجل ومعيته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته» (صحيح البخاري: ٦٥٠٢).

وللنوافل التي شرعت في الإسلام وظائف وفوائد عديدة ومنها:

أولا: أداء النوافل فيه تحقيق العبودية لله عزوجل، فالفرد المسلم قد يؤدي الفرائض لأنها مكتوبة عليه ولأنه يأثم بتركها، أما أداء النوافل ففيه إظهار لكمال العبودية لله عزوجل، ودليل على أن العبادة نابعة من محبة العبد لله عزوجل، وشكر له على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثانيا: من فوائد النوافل أنها تقرب العبد إلى الله عزوجل وهي سبب لنيل محبته كما ورد في الحديث القدسي: «ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».

ثالثا: النوافل تقوم بدورين رئيسيين وهما تهيئة العبد للقيام بالعبادة على أكمل وجه، وجبر الفرائض إن وقع بها نقص، يقول فضيلة الشيخ محمد الحسن ولد الددو: إن الراتبة إنما يقصد بها ترقيق القلب للصلاة، فهي تهيئة بالنوافل لإتمام الصلاة وتكميل لما ينقص من خشوعها أو أدائها، فيكمل الإنسان فرضه بها، وقد يسر الله لنا ذلك حين علم ضعفنا وعجزنا عن إتمام الصلاة، فيسر لنا هذه الرواتب القبلية والبعدية لنكمل بها النقص الذي نتأكد أننا قد وقعنا فيه في صلاتنا.

رابعا: من الوظائف الهامة للنوافل الحفاظ على الفرائض، فالنوافل تعد بمثابة خط الدفاع الأول والسياج الذي يحمي الفرائض من الإهمال والتقصير أو الترك بالكلية، فالفرد المسلم الذي يؤدي النوافل يكون أحرص على أداء الفرائض من غيره، وهذا الفرد إذا قصر أو عرض له عارض أو فتر عن العبادة لسبب أو لآخر سيقع تقصيره في النوافل ولن يتعدى إلى الفرائض.

خامسا: للنوافل أهمية بالغة في الآخرة وهي جبر النقص والخلل الذي يقع في الفرائض، والإنسان بطبيعته مقصر - لا محالة - في عبادته لله عزوجل ولا يستطيع أن يؤديها على الوجه الأكمل، وتأتي النوافل لتجبر الخلل وتكمل النقص الذي حدث في الفرائض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا جل وعز لملائكته، وهو أعلم، انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم» (صحيح أبي داود: ٨٦٤).

سادسا: النوافل باب من أبواب اكتساب المزيد من الحسنات، فكلما زاد المسلم في أداء النوافل ازداد رصيده من الحسنات، والشريعة السمحة رتبت على أداء الكثير من النوافل أجورا عظيمة، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» (صحيح مسلم: ٧٢٥).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة. فكل تسبيحة صدقة. وكل تحميدة صدقة. وكل تهليلة صدقة. وكل تكبيرة صدقة. وأمر بالمعروف صدقة. ونهي عن المنكر صدقة. ويجزئ من ذلك، ركعتان يركعهما من الضحى» (صحيح مسلم: ٧٢٠).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم النار من وجهه سبعين خريفا» (صحيح ابن ماجه: ١٤٠٤).

ومن حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة:

«ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (صحيح البخاري: ١٤٢٣).

سابعا: من الوظائف التي تؤديها النوافل في المجتمع قضاء حوائج الناس وإغاثة الملهوفين، فالزكاة المفروضة إذا لم تكف لسد حاجات المجتمع جاءت الصدقات لتكمل دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي، وذلك من خلال تقديم المساعدات للمحتاجين عند حدوث الأزمات والكوارث.

علاء عبدالفتاح
صحفي
مصر



سبيل بن دعيج.. أول سبيل ماء بالكويت

تميزت حضارتنا الإسلامية فيم تميزت بالأسبلة التي تمنح الماء للمارة العطشى دون مقابل، إن الأجر إلا على الله رب العالمين.

ومن العوائل الكويتية التي شقت لنفسها طريقا في بناء الأسبلة وتوفير ماء السقيا لكل محتاج عائلة الدعيج، حيث قرر عميدها عبدالعزيز الدعيج رحمة الله عليه، أن يشتري الماء في زمن عز فيه، وفي طقس لم يعرف ساعتها المكيفات الباردة، ثم يهبه لله، فوضع أمام بيته بالقرب من سوق الكويت القديمة وعاءين كبيرين ومغرفة، فأصبح هو ملاذ العطشى العائدين من السوق يوميا.

«الوعي الإسلامي» زارت السبيل المعروف باسم سبيل بن دعيج بالقرب من سوق المباركية بالعاصمة ورصدت عدساتها ذلك البنيان المميز الذي أشرفت عليه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت عام ١٩٦٦م ومن بعدها الأمانة العامة للأوقاف التي جعلته مزارا سياحيا يظهر لضيوف الكويت إحدى علامات التكافل بين المسلمين.

كما زارت «الوعي الإسلامي» ديوان الدعيج بمنطقة القادسية والتقت الابن الأكبر عبدالرحمن الدعيج شاهدا على خصال الخير ومستكملا ومطورا لطريق سقيا الماء الذي بدأه والده قبل نحو مئة وأربعين عاما وبالتحديد عام ١٨٧٦م كأول وأقدم سبيل ماء في الكويت.

لم يتوقف الأمر عند بناء الأسبلة وتوفير الماء وصيانتها ولكن لكي يستمر المشروع الخيري كان لابد من مصدر إنفاق دائم لذلك أوصى الدعيج بوقف مجموعة من العقارات تشمل تسعة بيوت وثلاثة دكاكين للصرف على السبيل. وقد تسلمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية السبيل ثم سلم عند إنشائها.

عند دخولك سوق المباركية والتماسك الساحة التي بها كشك مبارك ثم عبورك شارع الصراريف متجها ناحية اليسار قليلا ستجد سوق بن دعيج وأمامه مباشرة بناء معماري فريد تصميمه يعتمد على الانحناءات المحببة عند العرب الكاسرة لأشعة الشمس وحرارتها. ما إن تدخل القوس الحجري حتى تجد آنية فخارية مملوءة بالماء ومكتوب عليها للشرب فقط. بينما لوحات تاريخية تعكس رحلة الحصول على الماء قديما عبر سفن قادمة من شط العرب ثم توزيع الماء عبر الدواب على الأهالي.

اللافتات التوضيحية المكتوبة باللغة العربية فقط تشرح قصة بناء السبيل وتطويره أما الإضاءة الموزعة بدقة في جنبات السبيل فتنعكس على الأرائك التي وضعت لاستراحة العابرين لتساهم في خلق جو تراثي أصيل حيث العطاء والعمارة الإسلامية والتكافل الاجتماعي.

ديوان الدعيج

في اليوم التالي لزيارة السبيل وفي الموعد المحدد بعد صلاة المغرب كنا في ديوان الدعيج بالقادسية.. المبنى يحتل ناصية شارعين في مهابة مستقبلا رواده أسبوعيا كل ثلاثاء.

بعد حسن الضيافة وكؤوس القهوة العربية والشاي يبدأ حديث الذكريات، فيحكي لنا العم عبدالرحمن الدعيج كيف كان بيت الدعيج قريبا من أسواق البلد ولأنه قديما لم يكن هناك مواصلات للأسواق، كان رجال منطقة شرق يخرجون في الصباح متجهين للأسواق يشترون كل احتياجاتهم مرة أو مرتين في الأسبوع.

ويوضح: أما في الوقت الحالي فامتدت الأسواق والمجمعات في جميع أنحاء الكويت شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

ويقول: أتذكر وقد كنت طفلا صغيرا أن منزلنا المكون من طابقين كان شاسع المساحة أظن مساحته حوالي ١٤٠٠ متر مربع وكان أهل الشرق يمرون بالشارع الذي يمر ببيتنا تجنبا لحرارة الشمس الحارقة خاصة في فصل الصيف.. كانوا يطرقون باب البيت



ويسألون عن شربة ماء، وكنت أنا الذي أعطيهم.
فلما اعتاد الناس على ذلك قام والدي بوضع فخار ماء بمدخل البيت (المسمى بالدهليز) وكان الوالد له بركة ماء بالبيت مغطاة بشراع وهو ساتر مصنوع من قماش خيمة يمكن أن يغطي حوش المنزل بالكامل ونستخدمه في موسم الشتاء لجمع ماء الأمطار لأنه مقوس لأسفل وفي منتصفه فتحة تصب الماء في البركة رأسا بحيث تتم تعبئتها بـ ٥٠ ألف جالون تقريبا فكان الناس يمرون للشرب والباب يبقى مفتوحا ولا يحتاج الناس للاستئذان فلما رأى الجيران هذا الوضع جاءت المبادرة من أحد الأقارب حيث قال عندنا الغرف طويلة فلماذا لا نحجز من كل غرفة على الشارع مترين فتصبح دكانا يطل على الشارع ويعطي الناس ما يحتاجون؟!
ويضيف العم عبدالرحمن: بعد التوسع في تطبيق الفكرة صار لدينا حوالي ٢٦ دكانا على الشارع، بعدها اشترى الوالد رحمة الله عليه حوطة كبيرة بمنطقة المرقاب تحديدا ناحية برج التحرير حاليا وقام بتقسيمها إلى حوالي ١١ عقارا و١٣ دكانا فصار هناك سوق تجاري في هذه المنطقة ناحية البلدية والأمن العام الموجود حاليا وقام أخي الكبير بجعل عائدات هذه الإيجارات جميعها وقفا خيريا للسقايا وتسبيل الماء بمعرفة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
مرت السنوات -والحديث مازال للدعيج- وقام إخوتي الكبار بعمل وكالة عامة لي لأتولى أنا هذه المسؤولية وأكون المتصرف وكان ذلك تقريبا في العام ١٩٦٣م فقمت بهدم بيت الأسرة الكبير وأقمت مكانه محلات تجارية (سوق الدعيج حاليا) والأوقاف الخيرية التي كانت بالمرقاب سلمت نقودها لوزارة الأوقاف.
ثم تطور الأمر ولأن سوق الدعيج كان يحتوي على كل السلع، أصبح له رواد كثيرون وازدهرت إيرادات الوقف وتولت الأوقاف الإدارة.
ونسأل الدعيج: ماذا عن السبيل الموجود حاليا بالمباركية: هل له قصة تميزه؟ لأن هناك أكثر من سبيل ماء بالكويت باسم سبيل بن دعيج وأقربها المواجهة لأبراج الكويت على شارع الخليج؟
يرد العم عبدالرحمن الدعيج: نعم له قصة تاريخية فقد رأى الوالد كثرة الوافدين للشرب فقرر وضع إنائين من الفخار كبيرين أمام البيت ومع كل إناء كوب بيض النعام للشرب.
وقد سمحت لنا الحكومة بتخصيص مساحة ١٨٢ مترا مربعا لتطوير هذا السبيل الذي أقوم بنفسي بمتابعته حتى أنني في يوم لاحظت تسريب ماء فطلبت من الموظف المسؤول في «الأوقاف» تعين حارس للمكان لمتابعة السبيل وإصلاح أي تلف يطرأ فيه.
- هل هناك تطور في فكرة الأسبلة منذ أن قام والدكم بتخصيص السبيل الأول؟
- بالفعل التطور مستمر وقد قمنا بإنشاء سبيل لإنتاج مكعبات ثلج حتى يستفيد منه الصيادون الذين يحتاجون حفظ السمك لحين بيعه بوضع الثلج على الأسماك.
- كم سبيل خاص بالدعيج تشرفون عليه؟
- أكثر من ٢٠٠ سبيل بالمدارس وبالطرق والدوارات والآن نسعى لوضع برادات على المناطق الحدودية مع العراق والسعودية كما يمتد نشاطنا حاليا إلى إفريقيا وذلك عن طريق مد أنابيب بالقرى الأكثر فقرا أو حفر الآبار بها وإن شاء الله يكون مشروعنا القادم سبيل يوزع زجاجات الماء المعبأة مجانا فقط ابتغاء وجه الله.
قبل أن نمضي يأخذنا العم عبدالرحمن الدعيج في جولة بالديوان فنمر على صالة احتفالات خاصة ثم ردهة الجدران والنوافذ التي تطل عليها بتصميم عربي أصيل ثم ديوانية لشباب العائلة في السرداب حيث جلس البعض متحدثا وفوق رؤوسهم لوحات تذكارية لسبيل بن دعيج -أول سبيل بالكويت- تزين الجدران.

القاهرة
عبدالله شريف
دار الإعلام العربية





د.رأفت النبراوي: الكويت دولة تعكس الثقافة الإسلامية

رؤية عميقة لوضع الآثار الإسلامية في العالم العربي، ونظرة استشرافية يقدمها د. رأفت محمد محمد النبراوي، العميد السابق لكلية الآثار جامعة القاهرة، في حواره مع مجلة «الوعي الإسلامي»، مؤكدا أن المستقبل يرتبط ارتباطا وثيقا بحضارة الأمة وماضيها وهويتها الإسلامية، متطرقا إلى كل ما يخص الآثار الإسلامية وعمارتها وفنونها والمسكوكات والكتابات التاريخية... مزيد من التفاصيل في ثنايا الحوار.

رحلة طويلة

- أمضيت رحلة طويلة مع الآثار على اختلاف أنماطها. حدثنا عن بداياتك في هذا المجال وسبب اختيارك له؟

مصادفة...هكذا دخلت قسم الآثار بكلية الآداب جامعة القاهرة، إلا أني وبعد رؤيتي للجمال ومفردات الفن الحضاري الموروث، عشقت المجال وأحببته حبا كبيرا، وهكذا أقبلت على الدراسة بنهم حتى حصلت على ليسانس الآثار الإسلامية في العام (١٩٧٢م)، ومن ثم عملت أمينا لقسم المسكوكات بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة خلال الفترة من (١٩٧٥م إلى ١٩٧٩م)، وفي الأثناء حصلت على درجة الماجستير في المسكوكات الإسلامية في كلية الآثار جامعة القاهرة بتاريخ (١/٤/١٩٧٩م) بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى، ثم عينت في وظيفة مدرس مساعد بقسم الآثار الإسلامية بالكلية اعتبارا من (١٤/١٠/١٩٧٩م)، وحصلت

على درجة الدكتوراه في الآثار تخصص المسكوكات الإسلامية في (١٩٨٢/٣/٩م) مع مرتبة الشرف الأولى.

- لماذا المسكوكات؟

كنت مهتما بدراسة العلاقات الاقتصادية بين الدول والممالك القديمة، وهذا أصل علم المسكوكات، فهو يهتم بالعملات والقطع النقدية وأسسها وكيف سكت؟ وماذا كتب عليها؟ وتتعرف من خلالها على فترة الحاكم وذوقه الفني أيضا؟ وتاريخ المباني المهمة والأحداث أيضا، وهكذا درستها بدقة شديدة وحصلت فيها على درجتي الماجستير والدكتوراه، ولذلك تم اختياري كعضو في مناقشة أول رسالة دكتوراه دولية في المسكوكات الإسلامية بمعهد الآثار جامعة الجزائر في أول مارس (١٩٩٥م) عن نقود الموحدين والمرابطين للباحث صالح بن قربة، كما سافرت في (١٩٨١م) إلى أمريكا بدعوة منها لدراسة المسكوكات الموجودة بمتحف جمعية «النميات» بنيويورك، وعملت مستشارا للنقود الإسلامية في مؤسسة النقد العربي السعودي بالرياض وكذلك مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، واشتركت في تأسيس قسم المسكوكات بها.

أبرز المسكوكات

- ما أبرز سمات المسكوكات في العصور الإسلامية القديمة، ولماذا منع كتابة الآيات القرآنية عليها؟

كل فترة زمنية لها سمات معينة، ففي بداية العصر الإسلامي كان يكتب على النقود شهادة التوحيد

علم المسكوكات كاشف لأوضاع الممالك القديمة وتاريخها وفنونها

بالخط الكوفي البسيط في ثلاثة أسطر، وكان يكتب بسم الله ضرب هذا الدينار بكذا باسم الله ضرب هذه الدرهم بكذا، وكذلك الاقتباس من الآية (٣٣) من سورة التوبة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(التوبة:٣٣)، وبلغ عدد الآيات التي كتب على المسكوكات (٧٧) آية، حصرها الدكتور فرج الله أحمد يوسف ونشرها في رسالة تحت إشرافي. وفي نهاية العصر المملوكي منع العثمانيون كتابة الآيات على المسكوكات واستبدلوها بألقاب الزعماء، وذلك بعد فتوى بتحريم كتابة الآيات بسبب الدخول لأماكن

أسس عبدالملك ابن مروان أول دار إسلامية لسك العملات... وازدهرت في العصر العباسي

غير طاهرة، اعتبروه حراما، فنجد أن سلاطينهم منعوا تسجيلها. وأنا أتفق معهم.

أما الناس في عهد الرسول ﷺ فكانوا يتعاملون بالدراهم والدنانير البيزنطية والفارسية، والتغيير حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأن أضيف عليها كلمة التوحيد ومحمد ﷺ، كذلك أسماء الخلفاء.

وفي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان بدأ سك الدنانير سنة (٦٥هـ) على طراز العملات البرونزية البيزنطية وفي (٧٤هـ) أسس دارا لها وأضيفت شهادة التوحيد على العملات، كما ألغى في هذه المرحلة صورة هرقل وولديه واستبدل بها صورته التي أحيطت بكتابات كوفية بشكل دائري، ويصور عبدالملك بن مروان على هذه العملات وبيده سيفه.

وفي العصر العباسي كانت تتغير أسماء الملوك والخلفاء والأمراء مع طفرة قوية في الخطوط.

تفوق حضاري

- كيف تعكس العمارة الإسلامية أصالة الإنسان المسلم؟

كما أن النقود تمثل الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها الدول، فالمباني والحصون والقلاع والجسور في هذه العصور تظهر المستوى المعماري والثقافي الذي وصل إليه المسلمون في هذه الفترة، فنجد الجمال المحكم الأنيق، كما نجد الإبداع في زخرفة المساجد واتساعها واستعمال جميع أنواع الفنون التطبيقية، وقد تفوق

المهندسون المسلمون والبناؤون والفنانون في العمارة الإسلامية، ونجد مستويات مختلفة على مدى العصور الأموي والعباسي والأندلسي والفاطمي والعثماني، وتفوقت الحضارة الإسلامية على الحضارات القديمة.

وبالتأكيد هذه الأشكال وهذا الجمال أعطانا صورة عن مكانة المسلم وتقديره للفن في ذلك الوقت، وحرصه على الحفاظ على تاريخ أمته، وأنهم كانوا يعملون على البناء وليس الهدم، ونجد حب المسلم لتوثيق تجاربه وأعماله وحبه للإبداع والتجربة وخلق اتجاه مستقل من الفن المنضبط دون عري أو إباحية، وكان هذا الفن يتسم بالقوة والمعاني الأصيلة من فخر وقوة وجمال وأصالة.

- أصدرت أبحاثا عدة منها «الخط العربي على النقود الإسلامية» حدثنا عنه؟

نعم، ألفت (١٠) كتب كاملة، وأشرفت على (١٥٠) رسالة دكتوراه، (٤٠) منها رسالة في المسكوكات، كما أشرفت على (٥٠٠) رسالة ماجستير، وناقشت (٢٢٠٠) رسالة ماجستير ودكتوراه في مصر والعالم العربي، كما أنني رئيس تحرير مجلة العصور، ومستشار علمي للعديد من المجلات، ومن أبرز كتبي: «السكة الإسلامية في عصر دولة المماليك الجراكسة»، القاهرة (١٩٩٣م)، «النقود الصليبية في مصر والشام»، القاهرة (١٩٩٦م)، «الصنج الزجاجية للسكة الفاطمية بمتحف الفن الإسلامي»، القاهرة (١٩٩٧م)، «النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري»، القاهرة (٢٠٠٠م)، «الآثار الإسلامية.. العمارة والفنون والنقود»، القاهرة (٢٠٠٣م)، «انتشار الإسلام دعوة بلا إكراه وفضل الإسلام على الغرب»، الرياض (٢٠٠٩م)، «الصنج الزجاجية والميداليات الإسلامية بمتحف جاير أندرسون»، شبكة المعلومات الدولية، القاهرة (٢٠٠٩م).

أما عن «الخط العربي على النقود الإسلامية»، فيتناول أنواع الخطوط العربية، ومنها خطوط: الكوفي، الرقعة، النسخ، الثلث، الفارسي، الإجازة، الديواني، والطغراء، إضافة إلى الخطوط على النقود ومنها الكوفي بأنواعه، والنسخ بأنواعه، وقدمت في الكتاب حصرا كاملا لهذه الخطوط.

علينا تربية النشء على أن المتحف مدرسة لتعلم الثقافة والفنون الإسلامية

- وما أحدث مؤلفاتك؟

انتهيت أخيرا من كتاب قيم جدا يحمل اسم: «النقود الإسلامية في الجزيرة العربية»، وهو الكتاب الوحيد والأول في العالم عن نقود الجزيرة العربية، ويتكون من (٨) فصول. الأول عن النقود الأموية المضروبة في الجزيرة العربية، والثاني عن نقود اليمامة والطائف، والثالث عن نقود مكة، والرابع عن نقود البحرين، والخامس عن نقود عمان، والسادس عن نقود اليمن، والسابع عن نقود بيشة وعصر، والثامن عن النقود المضروبة حديثا، و(٩) إضافات غير مسبوقة في الأبحاث التي كتبت، وهو عبار عن (٣٥٠) صفحة (١٠٠) وثيقة ملونة.

- عملت في متحف الفن الإسلامي فترة طويلة.. حدثنا عنها؟

عملت أمينا لقسم المسكوكات بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة خلال الفترة من سنة (١٩٧٥م) وحتى عام (١٩٧٩م)، وكنت عضوا بمجلس إدارة المتحف، وأصدر الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار قرارا في عام (٢٠٠٢م) بتفويضي ومنحي سلطات مالية وإدارية كرئيس لمجلس إدارة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

والمتحف يعتبر من أعظم وأكبر متاحف الفن الإسلامي في العالم، والفكرة بدأت في القرن الـ (١٩م) حيث كان يتم تجميع المقتنيات في

المهندسون والبناؤون والفنانون المسلمون تفوقوا في فنون العمارة

جامع الحاكم بأمر الله، ثم أنشأ الخديوي توفيق المبنى في (١٩٠٢م)، وكان يسمى: «دار الآثار العربية»، وفي (١٩٥٢م) سمي: «متحف الفن الإسلامي» لأنه يشتمل على تحف تركية وإيرانية وأندلسية، وطور في فترات مختلفة ويضم نحو (١٠٠) ألف قطعة فنون تطبيقية - سجاد - معادن - بلور صخري - كما يضم قطعا لا مثيل لها في العالم.

اختيار الكويت

- كيف ترى اختيار الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية؟

زرت الكويت عام (١٩٧٩م)، وهي بلد متحضر جدا، ويستحق أن يكون عاصمة للثقافة الإسلامية، يمتلكون متاحف عدة وبها «دار الآثار الإسلامية» في الكويت، ومتحف «راس» بجنيف كتب أبحاثا كثيرة على آثار الكويت، وأنه يضم مسكوكات كثيرة، كما نشر عن «دار الآثار الإسلامية» في الكويت أبحاثا كثيرة، ويعود الفضل في تأسيسها للشيخة حصة الصباح وزوجها الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح، وزير شؤون الديوان الأميري والنجل الأكبر لسمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

- وكيف نستفيد نحن العرب من الآثار؟ وكيف نتعلم الحفاظ عليها؟

نمتلك في الوطن العربي كوكبة من أفضل المرممين الأثريين، خاصة في الجامعات المصرية، على مستوى عال جدا من الكفاءة، وخلال الأسابيع الأخيرة وقعت الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية اتفاقية مع وزارة المالية بدولة الكويت لترميم وثائق وخرائط نادرة، تقديرا لريادة الخبراء المصريين في مجال ترميم الوثائق والمخطوطات وتفوقها على بيوت الخبرة العالمية في هذا الشأن. يأتي هذا في الوقت الذي لا يدرك فيه كثيرون قيمة الآثار وأهميتها، وكيف يمكن أن تصبح مصدرا من مصادر الدخل القومي لا يقل أهمية عن البترول.

ومن المهم أن أقول: إن الدعاية عن الآثار ليست على المستوى المطلوب، فلدينا كنوز غير مستغلة، وعلينا الاستفادة من السفارات في الترويج للهوية العربية الإسلامية لثقافتنا التي تنم عن الأصالة والكرم والقوة، وأننا صدرنا العلم للعالم.

وعلينا أن نربي في النشء أن المتحف مدرسة لتعلم الخط والثقافة والفنون الإسلامية، وتطوير الصناعات في المعادن والخزف وغيرها والعالم كله، وأنه وسيلة مهمة للتعليم وللنهوض بالحضارة ولمعرفة أصل الحضارات، وعلينا أيضا استخدام تكنولوجيا حديثة لمراقبة الآثار وحمايتها.

البعثات الأجنبية

- وما تقييمك لدور البعثات الأجنبية في العالم العربي؟

الهدف الأساسي من البعثات الأجنبية هو الاستفادة من إمكانياتها المادية والتقنية الكبيرة في الكشف عن الآثار، وفي مصر وحدها يوجد نحو (٨٠) بعثة تحفر في مختلف أنحاء الجمهورية، وهناك قوانين في كل دول العالم تنظم عمل هذه البعثات.

ومن جانبنا ينبغي أن نقوم نحن أيضا بإرسال بعثات لمعرفة الأدوات الحديثة وطرق الحفر والحفاظ على الأثر وترميمه، بل وإرسال بعثات لاكتشاف آثارهم وربطها بتاريخنا الممتد.

- أخيرا.. كيف يمكننا الحفاظ على آثار فلسطين والمسجد الأقصى؟

علينا إطلاق حملة مكبرة لترميم ما يمكن ترميمه ومنع التعديات، ومنع الحفر حول المسجد الأقصى الذي يهدف لطمس هويته، وكل الدلائل تؤكد زيف الادعاءات الصهيونية بوجود آثار يهودية تحت المسجد.

المسجد الأقصى

وسبق أن تصدينا لمحاولة تسجيل المسجد الأقصى والقدس كآثار يهودية، وقمنا بالاحتجاج في منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة «يونيسكو»، وأطلقنا حملة كبيرة لإثبات عروبة القدس، ودفعني هذا الموضوع لاختيار الفلوس الأموية في القرنين الأول والثاني للهجرة في «إيليا» بفلسطين، من أيام عبدالملك بن مروان وكتب عليها «إيليا بفلسطين» وعليها صورته، وهي إحدى مدن فلسطين المهمة وكتب عليها بالخط الكوفي البسيط العربي، وأجريت البحث وجمعت كل الفلوس التي ضربت وتحمل صورته وهو واقف يمسك السيف بيده اليمنى، وتوصلت إلى أنها آثار عربية إسلامية، إلى جانب الفلوس التي ضربت في عصر الخليفة العباسي المأمون (٢١٧هـ)، وكتب عليها «باسم الله كتب هذا الفلس في القدس» صريحة وكتب بالعربية.

والحمد لله كل الآثار المكتشفة تثبت عروبة القدس.



د. إدريس سلطان صالح
أستاذ جامعي
مصر

التربية وتحقيق تطلعات الشباب

تواجه مجتمعاتنا العربية اليوم كثيرا من التحديات المرتبطة بالثورة المعرفية والتكنولوجية، وتداعياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي انعكست على ثقافة الشباب وممارساتهم وسلوكاتهم اليومية، وأنماط تفاعلاتهم الاجتماعية، وتعليمهم وقيمهم واتجاهاتهم نحو المجتمع ومؤسساته، مما قد يؤثر في وحدة مجتمعاتنا وتماسكها.

ولا يغيب عنا ما تمر به مجتمعاتنا من أحداث محلية وإقليمية ودولية، لها تأثيراتها على النواحي السياسية والاقتصادية للمجتمعات ككل، وبالتالي التأثير على الأحوال الاجتماعية والثقافية لأفرادها، وما ارتبط بها من أفكار تتعلق بالأديان والمذاهب، والعدالة، والانتماء، والإقصاء والتهميش، والمشاركة في صنع القرار، وتكافؤ الفرص، وحق العمل، وغيرها من القضايا التي تهم حياة الناس عامة والشباب خاصة.

ونظرا لأهمية هذه التحديات والأحداث وما يرتبط بها من قضايا وأفكار قد تؤثر على تماسك المجتمع ووحدته، فقد اهتم علماء النفس والاجتماع والسياسة بدراستها، مؤكدين ضرورة وعي المجتمعات بعوامل وحدتها وتماسكها، والعمل على تنمية قيم التماسك والوحدة والتعايش لدى أفرادها؛ لما يمثله من مصدر قوة أساسي لها في سعيها نحو التقدم والازدهار.

خاصة وأن واقع الشباب العربي اليوم كما ترصده التقارير الدولية، يوضح أنه أمام تحد مزدوج؛ الحرمان من الفرص الاقتصادية الذي يحول دون تحقيقهم الرفاهية الاجتماعية، والحرمان من فرص المشاركة الذي يولد فيهم مشاعر الإقصاء والعزل والتهميش. وهذا التحدي المزدوج يعوق تحقيق تطلعات الشباب العربي، فيعرض المجتمعات العربية لمزيد من التوتر الاجتماعي، وعدم الاستقرار [1].

وهذا ما يفرض علينا إلقاء الضوء على قضية التماسك الاجتماعي، من حيث مفهومها، وأبعادها، وأهميتها، واهتمام العالم بها من حولنا، والدور الذي يمكن للتربية أن تؤديه لتنمية التماسك الاجتماعي لدى الشباب العربي.

مفهوم التماسك

التماسك في اللغة يعني ترابط أجزاء الشيء حسيا أو معنويا، ومنه: التماسك الاجتماعي، وهو ترابط أجزاء المجتمع الواحد [2].

واصطلاحيا تعددت تعريفات التماسك الاجتماعي بتعدد الباحثين، ووجهات نظرهم تجاه قضية التماسك الاجتماعي، ورغم ذلك فإن معظم التعريفات تتركز حول وجود صلة أو رابط يجمع بين الأفراد ويؤثر في سلوكهم [3]، ومن أمثلة تلك التعريفات ما قدمته ماكسويل بأنه: بناء القيم

والتفاهمات المشتركة، والحد من التفاوت في الثروة والدخل، وتمكين الناس من الانخراط في مشروعات عامة لمواجهة التحديات المشتركة، وتنمية الشعور بكونهم أعضاء في المجتمع نفسه [٤].

أهمية التماسك الاجتماعي

يعتبر التماسك الاجتماعي من العوامل الأساسية لنهضة المجتمع وتطوره، فالمجتمع المتماسك هو الذي يعمل على رفاهية جميع أفراده، ويحارب الإقصاء والتهميش، ويوجد شعورا بالانتماء، ويعزز الثقة، ويتيح الفرصة للحراك الاجتماعي والترقي بين أفراده [٥].

فالتماسك الاجتماعي يمثل عنصرا أساسيا من النسيج الاجتماعي للمجتمعات، والحياة الاجتماعية بصفة عامة [٦]، وإنه من أساسيات النمو وتحقيق التنمية الاقتصادية لأي مجتمع من المجتمعات [٧]. مما يعني أن التماسك الاجتماعي من أهم أبعاد تطوير وتنمية المجتمع، فهو وسيلة وغاية معا، وسيلة لأنه يهدف إلى تحقيق ما يسمى بالتكامل الاجتماعي، وغاية لأنه يهدف إلى تحسين الظروف المعيشية وتوفير فرص متكافئة للأفراد[٨].

وللتماسك الاجتماعي أبعاد[٩]، منها:

- الانتماء مقابل العزلة: والذي يتضمن القيم المشتركة التي تحكم سلوكات أفراد المجتمع، والهوية التي تجمع بينهم، ومشاعر الالتزام تجاه المجتمع وأفراده.
- الإدماج مقابل الإقصاء: والذي يتضمن وجود تكافؤ للفرص، يشعر معه الفرد بأهمية قدراته وإمكاناته كفرد في الحصول على التعليم والعمل المناسب له، وقدرته على الحراك الاجتماعي دون تمييز أو إقصاء.
- المشاركة مقابل الانسحاب: والتي تعني قدرة أفراد المجتمع على المشاركة بمفهومها الشامل، سواء في المجالات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وقناعاتهم بأهمية دورهم ومشاركاتهم المجتمعية.
- قبول الآخر مقابل الرفض: والذي يعني قدرة أفراد المجتمع على التعايش السلمي، وقبول كل منهم للآخر، دون تمييز أو تهميش.
- الشرعية مقابل الانتحال: والتي تعني ثقة أفراد المجتمع في مؤسساته، وقدرتها على تنمية قدراتهم، وإدماجهم في المجتمع، وحل ما بينهم من صراعات دون تمييز.

إقصاء الشباب اجتماعيا يولد لديهم مشاعر العزلة والتهميش

اهتمام عالمي

وعلى الرغم من أن قضية التماسك الاجتماعي قديمة جدا.. وقد عمل الإسلام على تحقيقها على الصورة المثلى من خلال إذابة الفوارق بين البشر بإحياء المعاني الأساسية التي تعتبر البشر كلهم ينحدرون من أسرة واحدة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣). ومنذ كتابات ابن خلدون في مقدمته عن مفهوم العصبية ودورها في التفاعل الاجتماعي، وعوامل الارتباط وشعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من أهل عصبته [١٠]، وكذلك كتابات العالم إيميل دوركايم عن التماسك الاجتماعي، وتأكيده أهميته في دراسة المجتمع البشري [١١]، على الرغم من ذلك، فإن ما يشهده العالم اليوم من تغيرات قد أضاف لها أبعادا جديدة، وزاد من الاهتمام العالمي بها، وبكيفية دعمها في المجتمعات.

ومثال ذلك اهتمام منظمة الأمم المتحدة، ممثلة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية التابعة لها، وإصدارها لتقرير بعنوان: «آفاق التنمية العالمية ٢٠١٢: التماسك الاجتماعي في عالم متغير»، والذي أكد على أهمية التماسك الاجتماعي، وضرورة التعاون في تطوير السياسات المتعلقة بالنواحي المالية والضرائب والعمالة والحماية الاجتماعية، والمشاركة المدنية والتعليم والمساواة بين الجنسين والهجر، نظرا لتفاعل تلك المجالات وتأثيراتها الاجتماعية [١٢].

وأيضا اهتمام لجنة التنمية الاجتماعية التابعة للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، والمنبثقة عن لجان منظمة الأمم المتحدة، وإصدارها لتقارير عن مشاركة الشباب والتماسك الاجتماعي، وخاصة في العالم العربي، وتقديمها توصيات إلى الحكومات، ومنها: العمل على تطوير البنى التشريعية المواتية لإشراك هيئات المجتمع المدني في عملية صياغة وتنفيذ السياسات العامة وفقا لمبادئ الشفافية والمساءلة، والعمل على بلورة وتطوير سياسات اجتماعية متكاملة تضمن الإدماج الاجتماعي والاقتصادي، وتأخذ في الاعتبار قضايا التشغيل والتعليم والصحة، والسعي لربطها بسياسات الاقتصاد الكلي، ووضع خطط وطنية لتمكين الشباب على كافة المستويات، تستند إلى نهج حقوقي ومقاربة تشاركية، والتركيز على بلورة البرامج التي تضمن مشاركتهم في صنع القرار [١٣].

التربية وتنمية التماسك

تمثل قضية التماسك الاجتماعي أولوية من الأولويات التي يجب أن تضطلع بها المؤسسات التربوية في مجتمعاتنا، وخاصة الأسرة والمدرسة، نظرا لما يمكن أن يقدمانه من أساليب وأطر تربوية تغرس القيم المجتمعية، وعوامل وحدة المجتمع في نفوس الأبناء منذ نعومة أظافرهم، مرورا بسنوات تعليمهم التي يكتسبون خلالها خبرات التفاعل مع مؤسسات المجتمع وأفراده، مما يتيح لهم استيعاب كثير من المفاهيم والاتجاهات التي تنعكس على سلوكاتهم تجاه الآخرين في المجتمع.

ونظرا للدور المهم لمؤسسات التربية، وخاصة المؤسسات التعليمية (المدرسة والجامعات)، فقد عقدت المؤتمرات والندوات، لمناقشة دور التربية وما يمكن أن تساهم به تجاه التماسك الاجتماعي، وقدمت لذلك عديدا من التوصيات [١٤]، منها:

- تطوير استراتيجية متعددة الأبعاد لتدعيم التماسك الاجتماعي عبر التعليم القائم على بيئة مدرسية نشطة وديموقراطية، وعلى شراكة بين المدارس فيما بينها، ومع الأسرة والمجتمع.
- التركيز على تعليم المواطنة اعتمادا على مبادئ حقوق الإنسان، ومبادئ المواطنة النشطة والفعالة.
- التركيز على دور المدرسة كمجتمع معرفة، أكثر منه مجتمع امتحانات.
- التركيز على استراتيجيات التعليم الناقد بدلا من التعلم التقليدي القائم على الحفظ والاستظهار.
- تفعيل دور المجالس الطلابية، وتدريب الطلاب ودعمهم لإدارتها.
- تطوير تدريس مناهج الاجتماعيات بما يدعم التماسك الاجتماعي، وهوية مجتمعاتنا وثوابتها.
- تطوير معايير لتقييم درجة تشجيع المدارس للتماسك الاجتماعي.



- ربط المناهج باحتياجات سوق العمل ومهاراته؛ لتمكين المتعلمين من المنافسة العملية وفق قدراتهم ومهاراتهم.
- تفعيل الشراكة بين المدارس ومؤسسات المجتمع المدني نحو مزيد من التعاون والمشاركة الفعالة.
- التأكيد على تنفيذ الأنشطة الصفية وغير الصفية الداعمة لقيم المجتمع وحل مشكلاته، عبر المشاركة في الأعمال التطوعية والمجتمعية المتنوعة.
- دعم أواصر التعاون بين المدرسة ومؤسسات المجتمع الرسمية، مما يشعر الطلاب بأهميتها وفاعليتها في دعم العملية التعليمية.
- دعم المعلمين والإدارة المدرسية لمبدأ تكافؤ الفرص، ومشاركة جميع الطلاب في عمليات التعليم والتعلم، وتوفير ما يناسب قدرات الطلاب واستعداداتهم دون تهميش أو إقصاء.

الهوامش

١- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) (٢٠١٣م)، قضايا ذات أولوية في مجال التنمية الاجتماعية في المنطقة العربية، أثر مشاركة الشباب على التماسك الاجتماعي، لجنة التنمية الاجتماعية، الدورة التاسعة، عمان.

٢- مجمع اللغة العربية (٢٠٠٤م)، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ص ٨٦٩.

٣- مها شعيب (٢٠١٤م)، دلالات تأثير تهميش التماسك الاجتماعي في المدارس الثانوية في اتجاهات التلامذة السياسية والاجتماعية والمدنية في لبنان. مجلة عمران، ١٠ (٣)، ص ٩.

٤- Maxwell، Judith. (١٩٩٦م). Social Dimensions of Economic Growth، Eric John Hanson Memorial Lecture Series، ٨، Edmonton: University of Alberta، Dept. of Economics.

٥- OECD (٢٠١١م)، Perspectives on Global Development ٢٠١٢: Social Cohesion in a Shifting World. OECD Publishing.

٦- Cloete، P. & Kotze، F. (٢٠٠٩م). Concept paper on social cohesion / inclusion in local integrated development plans. Department of social development، Republic of South Africa.

٧- Ritzen، et al. (٢٠٠٠م). On "Good" Politicians and "Bad" Policies: Social Cohesion، Institutions and Growth.' World Bank Policy Research Working Paper ٢٤٤٨.

٨- هبة صبحي جلال (٢٠١٢م)، التعليم والتماسك الاجتماعي في مصر، دراسة تحليلية للعائد غير الاقتصادي الأوسع للتعليم قبل الجامعي (رسالة دكتوراه غير منشورة)، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة.

٩- Jenson، J. (١٩٩٨م): Mapping Social Cohesion: The State of Canadian Research، Canadian Policy Research Networks، CPRN Study No. F/٠٣، Ottawa.

١٠- محمد عابد الجابري (١٩٩٤م)، فكر ابن خلدون العصبية والدولة - معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

١١- Durkheim، Emile. (١٩٥٢م). Suicide: A Study in Sociology. London: Routledge & Kegan Paul.

١٢- OECD. (٢٠١١م). Perspectives on Global Development ٢٠١٢: Social Cohesion in a Shifting World. OECD Publishing.

١٣- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) (٢٠١٣م)، تقرير لجنة التنمية الاجتماعية عن دورتها التاسعة، عمان.

١٤- مركز الدراسات اللبنانية (٢٠٠٩م)، توصيات مؤتمر التربية في سبيل التماسك الاجتماعي في لبنان، بيروت، الجامعة الأميركية، بيروت.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



أ.د. محمد حسان الطيان
أستاذ اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة

العربية.. تاريخها وبلاؤها

لا ريب أن أعظم حدث في تاريخ العربية إنما هو نزول القرآن الكريم بها على سيد المرسلين وخاتم النبيين رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)

وقد كان هذا الحدث العظيم مؤذنا بأمور جليلة وخطيرة...

منها فتح باب من العناية بهذه اللغة لم يغلق، ولن يغلق مادام في الكون قرآن يتلى. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تصديقا لقول المولى سبحانه: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

ومنها شن حرب شعواء لا هوادة فيها على هذه اللغة بدأت بالحملات الشعوبية، واستمرت بالحملات الاستعمارية، والقهر اللغوي الذي شهدته معظم الأقطار المستعمرة، ومازالت قائمة بهذا الغزو الثقافي الذي يحدق بنا من كل جانب، وهذه العولمة التي تحيق بنا وبلغتنا.

ومنها انطلاق هذه اللغة من نطاق المحلية إلى نطاق العالمية، ومن كونها لغة لأمة العرب خصوصا إلى صيرورتها لغة لأمة الإسلام عموما، تقام بها الصلاة، ويرفع بها الأذان، وتعظم بها شعائر الله، ويصبو إليها كل مسلم على وجه البسيطة.

لغة الحضارة الإسلامية

ومن ثم كانت العربية لغة الحضارة العربية الإسلامية بكل مكوناتها، فقد نقلت إليها علوم الأمم الأخرى، من هندية ورومية ويونانية وفارسية وغيرها، بحركة ترجمة لم يعرف لها التاريخ نظيرا، وتكلم بها أولو النهى والعلم ممن دخل الإسلام واعتنقه، ليحلوها محل لغاتهم، ويولوها كل اهتمامهم، ويجعلوها لغة تصانيفهم ومؤلفاتهم، ضاربين عرض الحائط بلغاتهم الأصلية، إجلالا للعربية، وإيثارا لها، وحبا بها.

يقول ابن خلدون: « من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، وليس في العرب حملة علم لا في العلوم الشرعية ولا في العلوم العقلية إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبه فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي»[1].

وكانت العربية، كأهلها الكرام، رحبة الصدر مضيافا، لم تضق ذرعا بأي لغة ساكنتها أو جاورتها أو عاصرتها، ولم تعمل على إقصائها أو إبعادها، بل عايشت كل اللغات، فأخذت منها وأعطتها، وتأثرت بها وأثرت فيها، ولكنها كانت واسطة العقد، وقبلة الجميع، ومهوى الأفئدة.

وهكذا غدت العربية، في مرحلة تاريخية تمتد على قرون عدة، لغة العلم الأولى في العالم، لا بد أن يتعلمها كل من ابتغى إلى العلم سبيلا، سواء كان مسلما دخل في الإسلام أم بقي على دينه وعاش في ظل دولة الإسلام.

الاستعمار واللغة العربية

لقد عرف الاستعمار أن العربية مكمن من مكامن القوة عند العرب والمسلمين، لذا كانت هدفا من أوائل أهدافه، فما حل في بلد إلا حاربها بكل ما أوتي من قوة وتسلط وقهر وجبروت، وبذل أقصى جهده لمحوها وإحلال لغته محلها، وقد تبدى ذلك على أشده في الجزائر حيث فرض الاستعمار لغته على الشارع الجزائري، فضلا عن التعليم في المدارس والمعاهد والكتاتيب، واستمر

ذلك نحوا من قرن ونصف من الزمان، ولولا القرآن الكريم لمحي اللسان العربي في الجزائر.

وفي مصر حاول المستعمرون أن يحلوا العامية والإنجليزية محل العربية، وسلطوا المستشرقين والمستغربين وأعوانهم ليشككوا الناس في قدرة العربية على مواكبة العلم والاختراع، ويدعوا إلى لهجات مختلفة تكون لغات رسمية لكل بلد عربي، ويدعوا إلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية.

وقد قيض الله لهذه العربية رجالا ردوا عنها كيد الكائدين، وأزاحوا عن كاهلها انتحال المبطلين، وذادوا عن حياضها، ورفعوا رايتها، مفندين دعاوى أعدائها، وفاضحين مخططاتهم، مثل أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي الذي قال في كتابه «وحي القلم»:

ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمَرة، ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد:

أما الأول: فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا.

وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا.

وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع..

ولو أن لغة من اللغات لقيت ما لقيته العربية وتلاقيه من جحود ونكران وعداوة وخذلان لما قدر لها أن تصمد يوما واحدا، بله أن تستمر وتبقى هذه القرون المتطاولة.

ولكنها وقفت لذلك كله، وصمدت في وجه ذلك كله بفضل القرآن الكريم.

نحو أمن لغوي

بات أمر اللغة والعناية بها والغيرة عليها محصورا بفئة من العاملين بها والمحبين لها، لا يعدوهم إلى غيرهم من خواص المثقفين ونخبة العلماء، بله عامة الناس وأوساطهم. مع أن العربية لغة كل عربي، بل كل مسلم.

فالعربية مفخرة من مفاخر العرب والإسلام، وحقيق بكل من انتمى إلى واحد منهما أو إلى كليهما أن يفخر بها، وأن يعتز بالانتماء إليها، وإلا ففي إسلامه شك، وفي عروبته ريب، بل في إنسانيته دخل ودخن.

ومن ثم وجب أن ننشر الوعي اللغوي بين صفوف الأمة، ونعلن للجميع أن الأمن اللغوي لا يقل أهمية عن الأمن العسكري، أو القومي، أو الوطني، أو الغذائي، فللعربية في نفوسنا وقلوبنا وعقولنا ما للغات الأخرى عند أهلها وزيادة، بل إن حماية اللغة في تاريخنا لم يكن يقل شأنا عن حماية الأرض، تلك التي كان الأجداد يسمونها البيضة، وعن حماية الذات الجماعية حتى أوشكت اللغة أن تتماهى والهوية، فما كان يتصور للعروبة ولا للقومية ولا حتى للإسلام مفهوم خارج حصون اللغة[٢].

وعلينا أن نعلم أن عزنا مرهون بعز لغتنا، «وكم عز أقوامبعز لغات». وأن وجودنا مرهون باستمرار لغتنا، وأن هويتنا لا يمكن أن تتحقق إلا بلغتنا. «كيف لا وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض، ويصل مشرق هذه الأمة بمغربها، وحاضرها بمستقبلها..»[٣].

حماية العربية واجب

قومي وفرض ديني

ومن هنا كان لزاما على كل عربي صادق في ولائه، بل على كل مسلم ملتزم بإيمانه، أن يرعى هذه اللغة حق الرعاية، وأن يحفظها ويعنى بها حق الحفظ والعناية، يقول الإمام الزبيدي: «ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه»[٤].

ومن تنكب عن ذلك ففي إخلاصه لدينه شك، وفي حبه للقرآن نقص، كما يصرح أستاذنا الدكتور مازن المبارك حيث يقول: «وليس مخلصا للإسلام ولا صادقا في حب القرآن من لم يدعه حبه وإخلاصه للإسلام إلى العناية باللغة العربية، أيا كانت لغته الأم، لأن العربية لسان الدين الذي يخلص له ولغة القرآن الذي يحب»[٥].

الهوامش

١- تاريخ ابن خلدون ٧٤٧/١.

٢- الهوية العربية والأمن اللغوي، د.عبدالسلام المسدي، ص:٢٥.

٣- في سبيل العربية د.هيثم الخياط، ص:٧.

٤- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٢/١.

٥- نحو وعي لغوي. مازن المبارك ١٣٠.



د. آندي حجازي
كاتبة اردنيه

اللغة العربية.. واقع وحلول

لا أحد يستطيع إنكار العلاقة الوطيدة بين اللغة والحضارة والثقافة والهوية المجتمعية لأي أمة، فاللغة تعتبر هي الوعاء الذي يضم الثقافة والحضارة والعلوم والمعارف والتاريخ والجغرافيا والتكنولوجيا وكل ماله علاقة بحياة الإنسان، فهل ممكن لأمة من الأمم أن تنهض بلا لغة؟! وبلا رصيد من المعارف والعلوم والمعلومات الحضارية؟! إن أهمية اللغة تعود إلى أنها المعبرة عن حال الأمم والشعوب وثقافتهم والهوية الخاصة بهم، وهي وسيلة التواصل بينهم، وهي التي تعبر عن تفكير أبنائها، والوسيلة لنشر ثقافاتهم وإنتاجهم وإبداعاتهم للعالم.

ومن الملاحظ اليوم أن أغلب الدول المتطورة وحتى الأقل تطورا تعتز بلغتها وتحافظ عليها وتعتمدها كلغة رسمية أولى في بلادها، وعلى من يأتي للدراسة أو العمل أو حتى للسياحة أن يتعلم لغة تلك البلد، في مسعى من هذه الأخيرة إلى الحفاظ على ثقافتها وهويتها، فتعلم لغتها هو مفتاح ثقافتها وتاريخها وهويتها للعالم.

لكن في عالمنا العربي اليوم أصبح واقعنا مختلفا تماما عن واقع تلك الدول التي تحافظ على لغتها وتتمسك بها تمام التمسك فقد فضّلنا تعلم وإتقان اللغات الأجنبية على حساب لغتنا الأم (اللغة العربية) وهي أروع اللغات وأعظمها حيث شرفها الله تعالى باختيارها لغة لكلامه ولحديثه للبشر في كتابه العظيم في مواضع كثيرة مفاخرا بذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣). وقال عزوجل: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ (يوسف: ١-٢).

فأي تفاخر من رب البشرية وتعظيم لشأن اللغة العربية أعظم من ذلك؟! بل إن الخالق جل وعلا زادها شرفا بأن اختارها لغة لتواصل أهل الجنة.

بين الماضي والحاضر

ولكننا رغم هذا التشريف والتكريم الإلهي للغة العربية؛ لا نقدر، في هذا العصر مع الأسف، قيمة هذا التشريف ولا نعتز به ولا نفتخر بلغتنا أو نتمسك بها كما فعل سلفنا الصالح، فقد كانوا يتعلمون ويعلمون أبناءهم اللغة العربية الفصحى ويتسابقون ويتنافسون في ذلك، ولم يكن أحد يتكلم العامية، وكانوا يأتون بالمؤدبين والمعلمين لأبنائهم ليعلموهم قواعد وأصول وفنون اللغة العربية وأشعارها وأنسابها وبيانها، ويتذوقوا روعة جمالها وعذوبة أصواتها، فهي مليئة بالمحاسن والتحسينات اللفظية والكلامية؛ كالاستعارات والتشبيهات والكنايات والتجانس والتضاد والتآلف مما لا تملكه أي لغة أخرى في العالم! فأشعارها وبحور شعرها أنغام بحد ذاتها، ونثرها سحر بعذوبته، وآيات قرآنها عظمة في البيان والمعاني والقواعد وذخر في الأحكام والقيم، فمن أين نأتي بلغة أجمل وأعذب من لغتنا العربية؟! لا والله لا نجد.

إنها لغة تتسع لكل اللغات ومنها استمدت الكثير من الجذور والقواعد للغات الأخرى كما وجد الباحثون في علوم اللغات وأصولها؛ فمن يدرس مثلا اللغة التركية الحالية أو الفارسية أو الباكستانية (الأوردو) وغيرها من اللغات يرى كم حجم الكلمات العربية التي أخذت منها تلك اللغات واستعانت بها، بل مازالت غالبية تلك اللغات تكتب بالحروف العربية، واللغة العربية هي واحدة من اللغات الست الأقوى في العالم حاليا وهي: الإنجليزية والصينية

والهندية والإسبانية والفرنسية.

وفي العصور السابقة الزاهرة للمسلمين ومع الدول الإسلامية غير العربية كالعثمانية كان تعلم اللغة العربية مطلبا مهما وكانت اللغة العربية لغة رسمية للبلاد جنبا إلى جنب مع اللغة العثمانية، بل وكان الخلفاء والأمراء والوزراء يتكلمون ما يعرف بلغات الدولة الثلاث وهي (اللغة العربية واللغة العثمانية واللغة الفارسية)، وهي جميعها تكتب بحروف عربية، وقد حفظت اللغة العربية العلوم والآداب والفنون واستوعبت كل جديد وكل تقدم وكل وعاء معرفي وعلمي وفكري وطبي واجتماعي عبر كل العصور، فكيف بنا اليوم نظلمها حقها وميزاتها فالضعف فينا نحن لا فيها!

العربية في مدارسنا وجامعاتنا

إن المتابع لحال أمتنا العربية يأسف أشد الأسف لما وصل إليه حال لغتنا العربية من الضعف والتخاذل وقلة التمسك بلغتنا العربية الفصحى الأصيلة، فعم وطم هذا التراجع ليمضي بنا الحال من سيء لأسوأ؛ لاسيما ونحن أبناء هذه اللغة أول من يحاربها ويقلل من قيمتها ويعتبرها لغة غير مواكبة لتطور العصر فكيف لنا أن ننهض بها؟!

انظر لحال تعليم اللغة العربية في مدارسنا وكم تراجع عما سبق، فمثلا كنا في السابق نتمسك بتعليم أبنائنا جميع المواد الدراسية باللغة العربية الفصحى وليست العامية، لكن بمرور الوقت أصبح غالبية مدرسينا في مدارسنا العربية -إلا من رحم ربي- يستخدم اللغة العربية العامية في تعليم مادته الدراسية كالرياضيات والعلوم وغيرها من المواد الدراسية، ظنا منه أنه لا علاقة للفصحى بأسلوب التعليم الدراسي وأن استخدامها يقتصر فقط على معلم اللغة العربية وفي إطار مادته الدراسية!

اللغة والإعلام العربي

ومن جانب آخر، نجد أن لغة الإعلام العربي في السابق كانت اللغة العربية الفصحى وكان التمسك بها من الشروط الأساسية لاختيار مقدم البرامج، لكن اليوم ومع كثرة المحطات الفضائية لم يعد همها الحديث باللغة العربية الصحيحة وإنما ينصب جل اهتمامها بجلب أكبر عدد من المشاهدين لتحقيق الأرباح، وعليه لا يقع ضمن أهدافها الحفاظ على اللغة العربية أو إنقاذها من تخاذل أبنائها، بل قد يكون هدفها إضعاف التمسك باللغة العربية ونشر ثقافة الغرب والتمسك باللغات الأجنبية خصوصا الإنجليزية اعتقادا منهم بأنها لغة العصر والانفتاح!

فإذا كان هذا حالنا، ونحن نقتل أنفسنا بأنفسنا، ونخذل لغتنا، فكيف للغتنا أن تنهض؟ إن عودة اللغة العربية لسابق عهدها لن تتحقق ما لم تتكاثف الجهود من أجل التمسك بها كما هو الحال لدى الشعوب الأجنبية.

أبناؤنا في الدول الأجنبية

وإذا نظرنا لحال كثير من أبناء العرب والمسلمين الذين هاجروا لدول في أوروبا وأميركا الشمالية وغيرهما، نجد أنهم أهملوا تعليم أبنائهم اللغة العربية حتى فقدوا القدرة على التحدث بها بشكل كلي أو جزئي ظنا منهم أنه لا حاجة لهم بتلك اللغة في ظل العيش في تلك البلاد الأجنبية. ألم يقض هؤلاء بفعلهم هذا على أحفادهم الذين سينفصلون تماما عن عروبتهم؟ ألا يدرك أولئك الآباء أنهم قد حملوا وزر فقد الأجيال القادمة التي ستأتي من نسلهم للغتهم وهويتهم العربية؟!

حلول مقترحة

علينا أن نتقي الله في أنفسنا وفي الأجيال القادمة ونعيد حسابتنا ونبدأ من أنفسنا ومع أبنائنا ونشجعهم على التمسك بلغتهم الأصيلة إن كنا في بلاد عربية أو أجنبية، ونعلمهم لغة قرآنهم، فإنني والله أرى تمسك المسلمين من غير العرب كالأتراك والإندونيسيين والماليزيين والبنغاليين والباكستانيين وغيرهم بتعلم اللغة العربية وقواعدها (حتى وإن لم يفهموا معانيها) أكثر من تمسك أبنائنا العرب بها، من أجل تعلم القرآن الكريم، حتى إن عددا كبيرا منهم يقرأ القرآن الكريم بأخطاء أقل بكثير من أبنائنا العرب، فأي مفارقات وصلنا لها في عصرنا عصر النهضة والتطور!

وعليه فإنني أرى أن على الحكومات العربية ووزارات التعليم، والتعليم العالي والثقافة والإعلام، والشباب، والسياحة وغيرها من الجهات المسؤولة أن تضع خططا وأنشطة ومحفزات من أجل تنشيط التعلم والتحدث باللغة العربية الفصحى وتفرض عقوبات على المخالفين لذلك. أما على الجانب الفردي والمجتمعي، علينا نتولى زمام المبادرة لحل المشكلة بأن نعمل على تحفيظ أبنائنا الطلاب الأشعار الجميلة كما كنا في السابق ونتعلم المعلقات وأشعار لغة العرب القوية، ونحفظ الكثير من النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة، عندها ستقوى لغتنا العربية في نفوسنا وواقعنا المعاصر.

طارق إبراهيم حسان
كاتب وباحث ثقافي





اللغة هي أساس التطوير في حياة الإنسان وتقدمه، ويمكن للغة العربية أن تطور من وعي الناطقين بها وتعمل على تقدمهم وازدهارهم

التعريب.. السبيل الحضاري لتطوير اللغة

إذا كانت اللغة هي الوسيلة الرئيسية التي يتم بها التعبير عن أفكار الإنسان ومشاعره ونقلها إلى الآخرين، وبذلك يتم التواصل بين الناس، وتأخذ الحياة الإنسانية طابعها الاجتماعي، واللغة مظهر من المظاهر التي تميز حياة الجنس البشري، وتعمل على تطورها بالصورة التي تليق به[1]. فاللغة إذن، على هذا النحو، هي أساس التطوير في حياة الإنسان وتقدمه.. فكيف يمكن للغة العربية أن تطور من وعي الناطقين بها وتعمل على تقدمهم وازدهارهم، وتجعلهم في مصاف الأمم المتقدمة؟

تبدأ عملية التطوير من اللغة العربية ذاتها، فيجمع كثير من العلماء والباحثين على ضرورة

النهوض باللغة العربية كأحد الشروط الأساسية للنهوض بالأمة العربية، وتأتي هذه العملية، عبر عدة مسالك، أولها؛ الاتجاه إلى التعريب، كضرورة حضارية وتربوية لا غنى عنها لاستنهاض الأمة، والتعريب هو «نقل الاسم الأعجمي إلى العربية، كي تتفوه به العرب على مناهجها. نقول: عرّبته العرب وأعربته أيضا وأعرب الأغتم، وعرب لسانه - بالضم - عروبة أي صار عربيا»[٢]، لقد ظهرت حركة التعريب منذ فترة مبكرة في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، حيث كانت صلة العرب بالأمم المجاورة لهم قديمة وقوية، فمعظم الأمم في أطراف جزيرة العرب، لاسيما في منطقة الهلال الخصيب التي تشمل وادي الرافدين ومشارف الشام وشرق البحر المتوسط وحوض البحر الأحمر بما فيها مصر والحبشة من الساميين الذين خرجوا من جزيرة العرب، لكنهم ظلوا على صلات قوية مع العرب في العرق واللسان والثقافة[٣]، وكان لدولتي الفرس والروم مصالح سياسية وتجارية، مما جعلت من جزيرة العرب محورا من محاور الصراع القائم بينهما. «وكان العرب في اليمن وشمال الجزيرة على اتصال بأمم الشرق، خاصة الهنود والصينيين الذين كانت سفنهم تتخذ من ميناء الأبلة قرب البصرة مرفأ لها، حتى سميت المنطقة ببوابة الهند»[٤]، وكانت نتيجة اتصال العرب بغيرهم أن دخلت إلى اللغة العربية حصيلة ضخمة من مختلف اللغات حوّرها العرب وصاغوها وفق معاييرهم اللغوية، مما دعوه بالتعريب، ولم ينل التعريب قدرا من الجدية والتأسيس إلا في العصر الحديث عندما تطور العالم

التعريب أحد المسالك الممكنة للنهوض باللغة وأحد شروط النهوض بالأمة

من حولنا وبدأ محمد علي باشا في مصر بإرساء قواعد دولته وأرسل البعثات إلى أوروبا لتعلم العلوم المختلفة، وحينما عاد طلاب البعثة وجههم إلى التعريب خدمة للدولة الناشئة، ثم اتسعت هذه التجربة ونضجت مع بدايات القرن العشرين بإنشاء مجامع اللغة العربية[٥].

اتجاهات التعريب في الدولة الإسلامية

وبالنظر إلى حركة التعريب في بدايات عصر الدولة الإسلامية فقد شهدت القرون الهجرية الأولى زخما ثقافيا هائلا، في فترة من أزهى عصور الفكر العربي الإسلامي من خلال التعريب، أو ما يعرف بحركة النقل والترجمة، والتي بدأت في أواخر القرن الأول الهجري على يد الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (توفي عام ٨٥هـ) حين أمر بنقل الكتب العلمية من اليونانية إلى العربية، ثم ازدهرت الحركة أيام العباسيين، ففي عهد الخليفة المنصور تم نقل كثير من الكتب في الطب والفلك والمنطق والفلسفة. وقد أصبحت بغداد في أواخر القرن الثاني الهجري مركزا هاما من مراكز الثقافة الإسلامية، وقد ساعد على ذلك اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة الإسلامية بنقل

الكتب من الفارسية واليونانية إلى العربية، فقد رأى الخلفاء العباسيون بعد أن اختلط العرب بالفرس والروم أن الحاجة تدعو إلى معرفة علوم الفرس واليونان، فوجّه أبو جعفر المنصور اهتمامه إلى ترجمة الكتب التي تناولت هذه العلوم. ومن أشهر المترجمين في عهده «ابن المقفع» الذي نشأ بالبصرة وقضى نحو عشر سنوات من حياته في العصر العباسي، وقضى بقية حياته في العصر الأموي.

وكان لوقوع بعض مدن الدولة الرومانية الشرقية في حوزة الرشيد أثر كبير في نشاط حركة الترجمة في عهده، فأمر بترجمة ما وصل إليه من كتب اليونان. كذلك تجلى في عهد المأمون ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية إلى العربية، فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب. وقد روى ابن النديم في «الفهرست» أن المأمون كان بينه وبين إمبراطور الروم مراسلات، فكتب إليه يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلاد الروم، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع، فعهد المأمون إلى الحجاج ابن يوسف بن مطر، وابن البطريق وغيرهما بإحضار بعض الكتب من القسطنطينية، وبعد أن عادوا إليه مزودين بالكتب التي وقع اختيارهم عليها أمرهم بنقلها إلى اللغة العربية.[٦] فلم يقدم العرب على ترجمة الكتب الفلسفية إلا في أيام المأمون؛ ويرجع السبب أولا إلى ولعه بعلوم الأقدمين، وثانيا إلى الحاجة إلى آلة فكرية تمكن العلماء المسلمين من دحض آراء الزنادقة. وقد أمر

المأمون بنقل كتب الفلسفة والمنطق من اليونانية إلى العربية ثم جعل الترجمة عامة لكل مؤلفات أرسطو وشراحه في الفلسفة وغيرها. فأثارت تعطشا إلى العلوم الوضعية وعناية بالاستيضاح ورغبة في التنسيق بين العلوم الإنسانية كلها.

وفي بغداد أنشأ المأمون دار الحكمة أو بيت الحكمة، وكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهي خزانة كتب فقط، أما المؤسسة الجديدة «بيت الحكمة» فتسمى دار العلم وخزانة الكتب جزء منها. ولا شك أن المأمون كان في ذلك مقلدا لأكاديمية جنديسابور القديمة. وكانت تحوي هذه الدار شراحا، ونقلة أي مترجمين إما من الفارسية إلى العربية وإما من اليونانية إلى العربية. وقد أرسل المأمون وفدا من علماء حاشيته إلى القسطنطينية للحصول على مخطوطات منها، ويتم توزيعها على الأقسام بحسب اللغة: فارسية، سريانية، يونانية، ويقع كل قسم تحت رئاسة مسؤول[٧].

نستطيع الجزم بأن الدولة الإسلامية استطاعت أن تحقق إنجازات ضخمة؛ فقد أسفرت حركة التعريب الواسعة التي شهدتها مراكز الثقافة العربية وقتئذ عن نقل الكثير من الكتب عن الفارسية، والهندية، إلى جانب التراث اليوناني، خاصة التراث الفلسفي والعلمي، مما يعتبر نواة النهضة الفكرية التي حدثت إبان ذلك. وقد أورد ابن النديم الوراق البغدادي في «الفهرست» أسماء عشرات المترجمين من المسلمين والمسيحيين الذين عاشوا في عصر الدولة الإسلامية وقاموا بنقل أمهات الكتب اليونانية إلى



العربية، إما مباشرة أو بواسطة اللغة السريانية، أمثال: يحيى بن عدي، وابن سوار، وعيسى بن علي وسليمان السجستاني. وكان «فهرست» ابن النديم مصدرا لمن جاء بعده مثل صاعد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م) في كتابه «طبقات الأمم»، والقفطي (المتوفى سنة٦٤٦هـ/١٢٤٨م) في كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» وابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»[٨].

العربية والثراء اللفظي

يحسب للعرب أنهم لم يعربوا تقريبا لفظا أجنبيا واحدا، فقد استعملوا كلمات وعبارات عربية خالصة لا تشوبها شائبة أعجمية، فترى علم المنطق لديهم يفتح بابه لدخول ألفاظ مثل: موضوع، ومحمول، وحد، وقضية، وقياس وما يجرى هذا المجرى، على حين اتكأ الغرب عند نقل المعارف على أصولها اليونانية واللاتينية، يأخذون منها حاجتهم عندما يقتضي الأمر وهو ما يشير إلى تفوق العربية على غيرها من اللغات في الثروة اللفظية، ولقد أدرك ذلك باحث لغوي أمريكي فقال: «فضل العربية أن باب الاشتقاق والقياس فيها واسع أكثر من أي لغة حية أخرى، ومن ثم فعامل الإثراء متوفر للغاية» ولا حاجة إلى القول بأن الاشتقاق ضروري بالفعل، فلا استقلال للغة عن غيرها إلا به، واللغة الحية هي التي يزيد الداخل إليها عن الخارج منها، وهنا تقع مهمة مجمع اللغة العربية ومن ينحو نحوه.

كان اللفظ ولا يزال هو محور الحديث عن الترجمة والأصل فيها، يتفرع منه ويرتد إليه كل حديث آخر. ومع ذلك فإن دخول ألفاظ أجنبية إلى حظيرة اللغة العربية أمر ضروري، شريطة ألا يجافي اللفظ الدخيل الذوق العربي، وليس في شيء من هذا ما ينتقص من مكانة اللغة وعبقريتها، فما نقص قدر الإنجليزية بما أخذت من العربية أو غيرها من اللغات. والحقيقة أن العلماء العرب كالرازي وابن سينا والبيطار، نقلوا عن اليونان والفرس وأبقوا على لفظها الأصلي مع وجود مرادفات لبعضها في العربية. وعرف عن العرب أنهم يتحرون الأمانة فيما ينقلون من علوم اليونان من طب ومنطق ورياضة، وكانت الأمانة طابعا يسم مترجماتهم إلى درجة لفتت النظر إليها، فقد أدت الظاهرة، ظاهرة الأمانة، أن أصبحت منقولات العرب هذه مصدر ثقة في بابها على نحو أقر به أهل الغرب قبل أهل الشرق[٩].

استمر العرب في التعريب في

مختلف العلوم حتى جاء الفارابي بعلمه الحقيقي باللغة اليونانية، فأعاد النظر في كثير من الكتب ووقف على الخلل الطارئ في متون الكتب المنقولة والمترجمة، فاعتزم جمع تلك التراجم وتصحيحها ومطابقتها على أصولها وتلخيصها جميعا، فاستوعب أقسام العلم الثلاثة آنذاك، وهي العلم الإلهي والعلم الطبيعي والعلم الرياضي، ووضعها في كتاب سماه «التعليم الثاني» فقد كانت كتب أرسطو تشكل ما سمي بـ «التعليم الأول». ولا غرابة في ذلك، فلقد كان أرسطو هو «المعلم الأول»، وأطلق على الفارابي «المعلم الثاني»[١٠]. لأنه ثاني معلم للمنطق بعد أرسطو، وكان من أسبق المفكرين المسلمين إلى محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم الإسلام، وقد ألم الفارابي فضلا عن ذلك بالطب والرياضة والفلك، وله عدة رسائل في علم النفس والمنطق والأخلاق»[١١].

العربية والثقافات العالمية

أقدم العرب على النقل والترجمة في فترة كانوا يشعرون فيها بقوتهم وعزتهم الحضارية والدينية والعسكرية، ولم يجدوا في الترجمة ما ينتقص من قدر فكرهم وثقافتهم العربية الإسلامية، بل كانوا على العكس من ذلك تماما يأخذون من الثقافات الأخرى ما يزيد ثقافتهم عمقا واتساعا وقوة، خاصة وأنهم كانوا ينظرون إلى تراث الأمم الأخرى نظرة نقد تقوم على الدراسة والفهم والتحليل والمناقشة. وكانوا إذا فتحوا بلدا ووجدوا فيه كتبا لا يأمرون بإحراقها أو إعدامها بل يأمرون بنقلها للاحتفاظ بها ونقلها



إلى العربية. وقد أمر هارون الرشيد طبيبه يوحنا بن ماسويه بترجمة كتاب «طبقات الأطباء» وهي ليست من كتب الفلسفة وإنما هي في الطب اليوناني[١٢].

وحتى عهد قريب جدا كان ينظر إلى الترجمة في العالم العربي نظرة إجلال واحترام وإكبار، ولم يكن بعض كبار المفكرين والأدباء والكتاب والعلماء العرب يرون بأسا في أن يترجموا بعض الأعمال الخالدة إلى العربية. فقد نقل أحمد لطفي السيد مثلا بعض أعمال أرسطو، ونقل طه حسين بعض مسرحيات سوفوكليس. واشتغل بالترجمة أيضا أدباء وكتاب من أمثال يحيى حقي وجبرا إبراهيم جبرا وغيرهم. ولقد قل الاهتمام بالترجمة في العالم العربي على عكس اليابان مثلا، حيث تعطى للترجمة ما تستحق من عناية واهتمام، فتنقل بسرعة أهم ما تخرجه المطابع في كثير من البلاد الأخرى إلى اللغة اليابانية حتى يساير الناس إنجازات الفكر الحديث في العالم ويخضعوه للدراسة والتحليل ويعملوا على استيعاب ما يروق لهم منه وتمثله لكي يضيف بذلك إلى ثقافتهم أبعادا جديدة لم تكن تتاح لهم لو أنهم عزلوا أنفسهم عن تيارات الفكر العالمي[١٣]، ويبقى السؤال: كيف يعود العرب إلى سابق عهدهم بالترجمة، وكيف تكون هناك خطة جادة وفاعلة لترجمة كل جديد من ثقافات العالم؟ خاصة أن الاطلاع على المنجزات الحديثة يشكل أحد الروافد الرئيسة التي تعول عليها الأمم في سبيل تقدمها.

الهوامش

١- محمد مهران، «علم المنطق» سلسلة «كتابك»، دار المعارف ١٩٧٨م.

٢- ابن منظور، لسان العرب.

٣- ولفنسن، تاريخ اللغات السامية.

٤- ياقوت الحموي، معجم البلدان.

٥- طارق حسان، تعريب جديد لأسماء العناصر الكيميائية - مقال - مجلة القافلة - أرامكو السعودية، عدد ٤٩ ديسمبر ٢٠٠٠م.

٦- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥م.

٧- الأب جورج شحاتة قنواتي،المسيحية والحضارة العربية، «مكتبة الأسرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٤م.

٨- المرجع السابق.

٩- أحمد عصام الدين، حركة الترجمة في مصر في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

١٠- المرجع السابق.

١١- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق (مرجع سابق).

١٢- المسيحية والحضارة العربية (مرجع سابق).

١٣- راجع شحادة الخولي، الخطة القومية للترجمة، المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، سبتمبر ١٩٨٣م- في الخطة الشاملة للثقافة العربية.



د. خالد محمد راتب
باحث دراسات إسلامية وعربية

اغتيال اللغة العربية على أيدي أبنائها

من نافلة القول أن نؤكد على مكانة اللغة، فهي وسيلة من وسائل التواصل والتفاعل بين الكائنات الحية، ولا يمكن تصور حياة بلا لغة، وكذلك لا حياة بدون تواصل، وتعد اللغة العربية هي اللغة الأم للغات، وهي اللغة الوحيدة التي ستخلد إلى قيام الساعة، بل ويمتد خلودها لتصير لغة أهل الجنة، وسبب بقاء هذه اللغة أنها لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي الأمين محمد ﷺ، كما أن اللغة تعد عاملا مساعدا في جانب العبادة، فالإنسان يؤجر على تحدثه باللغة العربية؛ لأنه يخاطب بها الله سبحانه وتعالى في صلاته عند قراءة القرآن الكريم، وعند ركوعه وسجوده وفي أغلب الصلاة.

وتعد اللغة العربية عاملا أساسيا في توحيد الأمة الإسلامية، حيث إن اللغة العربية من أهم أسس البناء؛ لأنها تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، وتشكل الوجدان الجمعي للمجتمعات والأفراد فتوحد عواطفهم وتوجهاتهم فتُقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة.

كما أن اللغة أداة تعبير عن الواقع العربي، وهي وسيلة للتنمية الثقافية، واستحضار التاريخ، فالبطولات كلها تصل عبر اللغة ومفرداتها ومعانيها.

ولقد علم أعداء الإسلام في الداخل والخارج أهمية اللغة العربية وأنها تحقق الوحدة الإسلامية والعربية فقاموا بمحاربتها واغتيالها؛ وذلك لأن اغتيال اللغة العربية يؤدي إلى فقدان الهوية الإسلامية، كما أن اغتيالها هدفه الأساسي إبعاد الأمة عن مصدر عزها وريادتها وهو (القرآن الكريم والسنة المطهرة)، فالقرآن أنزل باللغة العربية، ولا يستطيع المسلم فهمه وتفسيره وتطبيقه إلا عن طريق اللغة العربية، وكذلك لا يستطيع فهم السنة المطهرة والأحكام الشرعية إلا باللغة وكذلك أكثر العلوم، فهي باب التقدم الحضاري للشعوب، والاستمساك باللغة العربية تعلما وتطبيقا يدل على أن المحافظين عليها مازالوا يدركون أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وإني لأتعجب أشد العجب من إهمال كثير من الأفراد -بل وللأسف كثير من الدول- للغة العربية رغم أهميتها، ويظهر ذلك الإهمال في الأخطاء الفادحة التي نراها في النطق والكتابة، حتى بعض المتخصصين في اللغة يخطئون في حديثهم وكتاباتهم!

وسائل اغتيال اللغة العربية

إننا لنأسف -وحري بنا أن نأسف- لما نراه من محاربة سافرة للغة العربية من أعدائنا، ويشتد الأسف أكثر عندما تحارب وتغتال اللغة العربية على أيدي أبنائها، وكان من وسائل اغتيال اللغة العربية:

- الاستهزاء بها في الأعمال الفنية، وفي الإعلام، وعن طريق الدعوة إلى التحدث بالعامية بحجة أنها لغة سهلة ومفهومة لدى الجميع..!
- هجرها، وذلك لأن هجرها يؤدي إلى هجر الثقافة والقيم المرتبطة بها، وبذلك يتأسس فراغ لغوي وثقافي تتدفق اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه.
- ومن اغتيال اللغة العربية ألا تجد لها حماية كافية من الحكام والحكومات، وترك الدعوات العلمانية (علمنة اللغة العربية)، تعبث بالعقول والأفكار، وتستبدل ما تشاء من كلمات ومصطلحات عربية بكلمات ومصطلحات أجنبية...

إن هذا الإهمال للغة العربية من أبناء اللسان العربي يؤدي إلى قتل

اللغة العربية واغتيالها، وقتل اللغة العربية هو قتل للفكر، وقتل الفكر جريمة أشد من قتل الجسد؛ لأن الإنسان ساعتها سيكون مجرد كائن حيواني دون هوية.

كيف نحمي اللغة العربية من الاغتيال؟

تتعدد وسائل حماية اللغة من الاغتيال، ومن هذه الوسائل:

● حماية الحكام والحكومات للغة العربية:

يتحتم على الحكام والحكومات حماية اللغة العربية عن طريق:

● إعلاء قيمة اللغة العربية وتجريم من يسيء إليها، وتشجيع الشعوب على تعلمها واشتراط التحدث بها عند التقدم للوظائف - كما يشترط للمتقدم لأي وظيفة- أو لأكثر الوظائف أن يجيد اللغة الإنجليزية!

● حمايتها من الاختراق، فالدول المتقدمة تحرص بقوة على تجنيد كل الوسائل للحفاظ على لغتها الوطنية من أي تأثيرات ضارة والدفاع عنها في مواجهة تأثير اللغات الأخرى، حتى لا يحدث لها مثلما حدث لباقي اللغات التي ماتت، فهناك ٢٥ لغة تموت سنوياً كما تشير الأبحاث العلمية من مجموع اللغات التي يقدرها الباحثون بحوالي ٦٠٠٠ لغة، والتي تتوقع الدراسات أن تختفي منها ٣٠٠٠ لغة مع انتهاء القرن الحادي والعشرين، وقد عملت فرنسا على إنشاء مشاريع طويلة الأجل لتقوية اللغة الفرنسية ونشرها في العالم أجمع، وبعد سنوات طويلة، كانت تلك النتيجة المثمرة، والتي لربما ترون ما الذي وصل إليه الكيان الفرنسي الآن، وكيف اعتز الفرنسيون بلغتهم، بل حتى إن النظام الفرنسي يمنع الكتابة على لوحات الشوارع والمحلات التجارية بأي لغة أخرى غير الفرنسية [1].

● أن تتبنى الدولة والمؤسسات التعليمية فكرة الاعتزاز بالهوية واللغة العربية وتحويل هذه الفكرة إلى واقع عملي عن طريق الندوات والدورات التعليمية.

والحفاظ على اللغة هو حفاظ على الأمة وحضارتها، فلا حياة لأمة دون لغة، قال (إليعازر بن يهودا): «لا حياة لأمة دون لغة».

حماية العلماء وأفراد المجتمع للغة العربية

ولا تقتصر حماية اللغة وتنميتها على الحكام والمحكومين فقط، بل إن كل مسلم وعربي يجب عليه حفظ اللغة العربية من الاغتيال، ومن وسائل الحفاظ على اللغة العربية من الاغتيال من قبل العلماء ما يلي:

● الاهتمام بالقواعد الأساسية للغة العربية، والبعد عن القواعد الفرعية التي لم تعد تستخدمها العربية المعاصرة، والتي تثقل مع ذلك كاهل الدارسين، وتنفرهم من تعلم اللغة والإقبال عليها، فضلا عن محاولة إيجاد أو استحداث قواعد جديدة تتسم بالمرونة وإدراجها ضمن القواعد الحديثة المكتشفة في مناهج تعليم اللغة، دون المساس بالقواعد الرئيسية الجوهرية.

● إعداد معلمين ذوي كفاءة عالية عندهم قواعد اللغة، وقواعد توصيل المعلومة بطريقة سهلة.

● المزج بين النظرية والتطبيق، فاللغة لا تكتسب بحفظ القواعد وفهمها فقط بل لابد من تطبيق هذه القواعد عمليا، وتشجيع المتعلمين على ممارسة تطبيق القواعد بأنفسهم، وذلك عن طريق إعداد الطالب موضوعات مختلفة يختارها بنفسه ثم يلقيها أمام معلمه، والمعلم يصحح الأخطاء التي يقع فيها ويذكر له سبب الخطأ؛ حتى لا يقع فيه مرة أخرى، وبذلك يتم تقويم النطق والكتابة.

● ينبغي على كل فرد في المجتمع أن يعتز بعربيته، ولا يستبدل هذه اللغة بلغات أجنبية، وإن كنا مأمورين بتعلم لغة العدو واللغات الأخرى.

دور الإعلام

الإعلام بمختلف وسائله يعد من أهم وسائل حماية اللغة العربية من الاختراق، وذلك عن طريق:

● إيقاف الإساءات والتطاولات التي تحدث ضد اللغة العربية والمتحدثين بها، ولاسيما في الأعمال الفنية.

● اختبار مقدمي البرامج قبل تقديم برامجهم.

● عقد دورات لمقدمي البرامج، وكل من له صلة بالإعلام؛ لتقويم اللحن في اللغة.

● ضرورة التحدث باللغة العربية في وسائل الإعلام.

● تقديم برامج عن اللغة العربية وربط هذه البرامج بالقضايا التي يحتاجها الناس.

● الاهتمام بالأعمال التي ترسخ الانتماء للغة العربية، وبيان أن هذا الانتماء مطلوب شرعا وعرفا، وهو من الواجبات الوطنية، فالاعتزاز باللغة دليل على الاعتزاز بالوطن ولغته الرسمية.

الهامش

١ - انظر: اللغة والهوية العربية في مواجهة عصر المعلومات والعولمة، موقع الشبكة العربية العالمية: سلوى حمادة، تاريخ الإضافة الأحد، ٢٣ سبتمبر ٢٠١٢م.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي
مصر

اللغة العربية والتحدي الحضاري

تثير قضية مهمة مثل اللغة العربية، شجونا كثيرة وخطيرة؛ وهي ليست مجرد شجون معرفية ثقافية يمكن مناقشتها داخل قاعات البحث أو على صفحات المجلات، وبشيء من الاسترخاء، كأي إشكال معرفي؛ إنما هي شجون تتصل بوجود هذه الأمة، وبذاتيتها، ومستقبلها.. وعلى المستويين المادي والمعنوي. كما أنها ليست شجونا تخص النخبة المثقفة في المجتمع فحسب، وإنما تتماس مع شرائح متعددة من المجتمع، إن لم تكن مع جميع شرائحه.

ولهذا يمكن القول: إن اللغة العربية تقع في قلب معركة التحدي الحضاري التي تخوضها الأمة؛ خاصة في القرنين الأخيرين، وفي ثالثهما الذي نحن في بدايته. وإذا نظرنا إلى اللغة العربية من منظور التحدي الحضاري، فثمة قضايا عديدة سنحاول الإشارة إلى أهمها.

وأول ما نلاحظه في هذا الصدد أن اللغة في أي أمة تصلح أن تكون مؤشرا دقيقا للدلالة على الحالة الحضارية لهذه الأمة صعودا أو هبوطا.. وهذه الدلالة أوضح ما تكون في حالة أمتنا العربية والإسلامية؛ لأن لغتنا ليست مجرد لغة للتواصل والتفكير إنما هي لغة العقيدة والمفاهيم، حيث ارتضاها الله لحمل رسالته الخاتمة لعباده.

ولهذا، فإن «انحطاط اللغة أو ازدهارها هو تعبير عن حياة الأمة التي تنطق بها، وعن الطور الحضاري الذي تمر به هذه الأمة. وبالنسبة لأمتنا نرى ذلك بوضوح؛ فبعد أن بلغت اللغة العربية الذروة في الازدهار إبان تألق الحضارة العربية الإسلامية، أصابها ما أصاب الحضارة من انحطاط وتدهور. وحين خرجنا من عصور التخلف المظلمة وبدأت اليقظة العربية الحديثة مع أوائل القرن التاسع عشر، كانت لغتنا العربية تعاني أشد المعاناة وبدأت تدب فيها الحياة من جديد مع دبيب الحياة فينا»[1].

العربية والقرآن الكريم

لقد رضي الله سبحانه أن تكون اللغة العربية وعاء لرسالته الخاتمة للبشرية، ولغة لكتابه العزيز الذي تكفل بحفظه وصانه عن التحريف والتبديل.. وبهذا تشرفت اللغة العربية أيما تشريف، وارتفع قدرها، وحق لها أن تفاخر بذلك سائر اللغات؛ كما أن حفظ القرآن الكريم، بحروفه وكلماته، يعني أن تظل اللغة العربية قائمة ومحفوظة لا تندثر؛ فالقرآن يبقي على جذوتها متقدة مهما أصابها في أهلها من تدهور؛ ومادام القرآن موجودا بحفظ الله؛ فإمكانية النهوض باللغة أمر قائم وميسور.

يقول بروكلمان: «بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا. والمسلمون جميعا مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم؛ وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى»[2].

لقد أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها؛ فقد جمع شتات العرب؛ ومن المقرر أنه لولا القرآن لما انتشرت اللغة الفصحى في الخافقين، ولما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر.. لقد استعصت اللغة العربية على نكبات الدهر بفضل القرآن؛ ومن روائع تأثير القرآن أن اتجه المسلمون من غير العرب يرتلونه بلغته العربية، ويحافظون على تجويده، ويشرحونه لأبناء لغاتهم؛ تلك مزية تفرد بها القرآن دون غيره من الكتب المنزلة؛ فالتوراة مثلا لا يقرأها بلغتها العبرية إلا أحبار اليهود ونفر ممن

تفرغوا لدراستها، أما اليهود فإن كلا منهم لا يقرأ التوراة إلا بلغة سكان البلاد التي يعيش فيها؛ وقس عليهم المسيحيين في أنحاء العالم بأسره[٣].

وقد نشأ من هذا الارتباط الوثيق بين العربية والقرآن الكريم، أن كان الطعن فيها، والتقليل من شأنها، ومحاولات ازدرائها ومحوها من بؤرة الاهتمام في الفكر والثقافة والتعليم.. أن كان ذلك كله سبيلا وخطوة أولى للطعن في القرآن نفسه، وللتقليل من مكانته، ولإبعاده عن مراكز التوجيه والتشكيل للفكر والسلوك الإسلامي ولصياغة الحياة بوجه عام.. فاللغة العربية ليست مقصودة بذاتها من محاولات الإضعاف والإحلال، وإنما لأن هذا شرط أساسي لإضعاف مركزية القرآن الكريم عند المسلمين؛ لأن هذا الإضعاف يقطع صلة المسلمين بكتابهم، الذي لا يمكن فهمه والغوص في معانيه إلا بإدراك لغته وفقه مراميها.

يقول الأستاذ أنور الجندي: «إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن وأثره فيها، هو التحدي الخطير الذي واجه الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي والتبشير والاستعمار في العصر الحديث؛ فقد كانت الخطة ولا تزال موضوعة على أساس فصم هذه العلاقة وقطع هذه الصلة وعزل القرآن عن اللغة العربية، ودفع اللغة العربية إلى الطريق الذي سارت فيه اللغات من قبل أن تتطور وتتغير ويجرفها تيار العصر ودعوات الهدم، حتى ينتهي أمرها إلى مجموعة من اللهجات؛ فالخطر كله من لغة القرآن، والهدف كله هو الفصل بين اللغة والقرآن حتى تفقد اللغة ذلك المستوى المرتبط بالقرآن وبيانه؛ فقد وضح من دراسة تاريخ اللغة كيف كان القرآن هو الحافظ لها من الضياع، حتى في أشد عصور انحطاط اللغة؛ التي بدأت باكتساح المغول والتتار وامتدت إلى آخر القرن الثالث الهجري[٤].

مخططات الهجوم

كما أشرنا، تعرضت اللغة العربية لهجوم واسع باعتبار ذلك مدخلا للهجوم على القرآن الكريم نفسه.. وقد تنوعت أساليب هذا الهجوم عبر وسائل عدة، مثل محاولة إحياء اللهجات المحلية المندثرة، والدعوة إلى كتابة العربية بحروف لاتينية وإلى كسر قواعد النحو والصرف، إضافة إلى ازدراء اللغة العربية في وسائل الإعلام والتثقيف، وإبعادها عن مناهج التعليم، ومزاحمتها بلغات أخرى في سن مبكرة جدا من مراحل التعليم!

فتعويق اللغة العربية وعزلها عن التوسع بين مسلمي العالم هو هدف أساسي من أهداف الاستعمار، والاستعمار هو الذي قطع الطريق على توسع اللغة العربية بفرض لغته وإحياء اللهجات المحلية لتشجيع الإقليمية وتمزيق وحدة المسلمين الفكرية ووحدة العرب القومية. وقد تمثلت عمليات الهدم في الدعوة إلى العامية وإلى نبذ الحروف العربية ونبذ الإعراب، واتهام الفصحى بالقصور، وتحطيم عمود الشعر[٥].

وقد تبع الاستعمار في مخططاته بعض من ينطقون باللغة العربية، وإن جاء هجومهم في زي الحريص على اللغة، الداعي إلى تطويرها لا محوها..! فبعضهم يزعم أن إلغاء الإعراب وكتابة العربية بالحروف اللاتينية يدخل ضمن ما يسميه «الإصلاح الجريء» للغة، وضمن «الوثبة إلى المستقبل».

العربية واستيعاب العلوم

حينما تنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ، فإنه كان إيذانا بميلاد جديد للعرب، وعلى مستويات عدة؛ من الوحدة والقوة والمنعة والمعرفة والعلوم.. ومن بين دفتي هذا الكتاب الكريم نشأت للعرب حضارة بعد أن لم يكن لهم عهد بها، واستطاعوا أن ينطلقوا بما علمهم القرآن من توجيهات وإرشادات، في إعمال العقل، واتباع البراهين، واختبار العادات والموروثات، وتمحيص المشاهدات، وتراكم الملاحظات، إلى آفاق رحبة باحثين عن الحكمة أينما وجدت، وناقلين عن الأمم الأخرى التي سبقتهم في هذا المضمار ما يصح نقله وما يعم نفعه.. وشيئا فشيئا بدأ تقعيد العلوم، وتنظيم المعارف، والانطلاق من ميادين المعرفة المجردة إلى التطبيقات والآلات.

كل ذلك حصل عبر هذا اللسان العربي الذي حفظ القرآن لهم أصوله، وأضاف له أبعادا جديدة، وجعله لسان فكر وتخاطب قادرا على تخطي حواجز الأعراق والقوميات ليكون لسانا عالميا، إذ طبيعة الرسالة التي يحملها أنها رسالة عالمية.

ولم تكن اللغة العربية «قاصرة عن التعبير عن المفاهيم في أي مادة من مواد العلوم؛ كالدين، والفلسفة، والتاريخ، والقانون، والجغرافيا، والاجتماع، والنفس، والأخلاق. وفي إمكان العربية الفصحى أن تستوعب كل العلوم والفنون الحديثة، وأن تهضم ما يستجد من أفكار ومخترعات، وفي وسعها أن تصبح أدق لغة علمية إلى جانب كونها لغة فكر وعقيدة»[٦].

ولعل في هذا الدرس الذي يخبرنا التاريخ به، خير جواب على من

يـزدرون اللغة العربية، ويرونها أقل من أن تجـاري العصر فـي سباقه! وهـذا بالطبع لا يعني عدم حاجتنا إلى الإلمـام بلغات الآخرين، أو عدم فائدة هذه اللغات؛ لكن علينا أن نعلم أن الإبـداع لا يكون إلا باللغة الأم، وأن الاعتزاز بتلك اللغة هو اعتزاز بـالـذات الحضارية يجب ألا نفرط فيه أو نتهاون بشأنه. والمفارقة، أن الأوروبيين أنفسهم كانوا مستوعبين هـذا الـدرس إبـان نهضتهم، حين تعلموا في مراكز الإشعاع الإسلامي، فـي صقلية والأنـدلـس وغيرهما، ونهلوا من علومها باللسان العربي، ثم أبدعوا نهضتهم وشادوا علومهم بلسانهم هم!

ونكتفي فـي هـذا الـصـدد، بشهادة المستشرق الإسباني «فيلا سبازا» إذ يقول: «إن الذين حولوا كل قواهم إلى التعلم باللغات الأجنبية، جاعلين لغة أجدادهم في المنزلة الثانية، أو في طي الإهمال؛ قد سدت دون مواهبهم منازل الألمعية... واللغة العربية من أغنـى لـغـات الـعـالـم، بـل هـي أرقـى من لغات أوروبـا؛ لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة. وإني لأعجب لفئة كثيرة، عدوها من أبـنـاء هـذا الـشـرق العربي، تنفرط من عقد قوميتها، ويتظاهر أفرادها بتفهم الثقافات الغربية تفهما تاما؛ فـهـم يـعـجـزون بـابـتـعـادهـم عـن لغة قومهم. ولكم رأيت في هذه البلدان الـعـربـيـة أنـاسـا يـخـدعـون أنفسهم ليقال عنهم إنهم متمدنون»[٧].

العربية والتجزئة

لا يغيب عن بـال المراقب لتاريخنا الحديث، أن قضية اللغة العربية تضم إلى أبعادها التي تتماس مع العقيدة والثقافة والفكر بعدا مهما آخر، هو الوحدة والتماسك السياسي للبلاد العربية؛ ولهذا، مرت خطط إضعاف هـذه البلاد وتمزيقها عبر إضعاف وحدتها اللغوية.

يقول د. الدجاني: «تلح علينا قضية لغتنا الـيـوم، ونـراهـا مرتبطة بعدة قضايا مصيرية تعيشها أمتنا: اللغة والتجزئة السياسية.. اللغة والتقدم العلمي.. اللغة والـدور الإنساني.. الأمر الذي يجعلنا نقول: إن مستقبلنا مرهون بمستقبل لغتنا. هذه القضايا جميعا مرتبطة بقضية الفصحى... إن هذا الارتباط واضح؛ فحين حاول أعـداؤنـا تمكين سيطرتهم علينا، بعد أن غـزوا وطننا واستعمروه- حـرصـوا عـلـى مـحـاربـة الفصحى وتشجيع العامية، وظهرت في بلادنا دعوات الكتابة بالعامية أو بالحروف اللاتينية؛ تثبيتا للتجزئة التي فرضت علينا، تماما كما حرصوا على محاربة تاريخنا واصطناع تناقضات فيه. ولكن قيمنا الروحية وتـردد القرآن بالفصحى، ساعدت على حفظ اللغة والتاريخ»[٨].

الصراع الحضاري

فإذا كانت نهضتنا العلمية، ووحدتنا وقوتنا السياسية، إضافة إلى حسن فهمنا لـلـقـرآن الـكـريم واعـتـزازنـا بثقافتنا.. إذا كان كل هذا مرتبطا باللغة الـعـربـيـة؛ فـإن هـذا يجعل العربية تحتل مكانا أساسيا في مـعـادلـة الـصـراع الـحـضـاري مع القوى التي تريد زحزحتنا عن هذا كله، وترمي إلى إضعاف ارتباطنا بالقرآن ومفاهيمه مقابل الاعتزاز بثقافات وافدة، وإلى توهين صلتنا بلساننا العربي لإحلال ألسن أخرى مكانه؛ حتى نتجرد من أدواتنا في الصراع الحضاري، ومن ثم تكون الغلبة لهم!

فـلأن «اللغة والـقـانـون من ثوابت الهوية القومية والحضارية لأمتنا العربية الإسلامية؛ كانت الحرب الاستعمارية معلنة عليهما، منذ بدء الغزوة الاستعمارية الأوروبية الـحـديـثـة وحـتـى هـذه اللحظات. فتغريب الـلـغـة والـلـسـان وعلمنة الـقـانـون والـتـشـريـع، فـي مقدمة الـعـوامـل المـفـضـيـة إلـى التبعية والإلحــاق والــذوبــان فــي المـركـز الغربي ونموذجه الحضاري، ومن ثم تأييد الاستعمار، حتى وإن ظلت بلادنا خالية من الجيوش الأجنبية، وأصبح لدينا (استقلال) الإعـلام والأناشيد!».

بهذا ندرك أن لغتنا العربية هي في قلب معادلة التحدي الحضاري الذي تخوضه أمتنا، وأننا لا يمكن أن نفوز في هذه المعادلة ما لم نعتز بلغتنا اعتزازا يجعلها فاعلة في حياتنا، عـلـى مـسـتـويـات الـفـكـر والـثـقـافـة والـعـلـوم والمـعـرفـة والإعــلام.. وأن لغتنا قادرة على خوض هذا التحدي وكسبه، مثلما خاضته وكسبته طوال قرون عديدة.

الهوامش

١- «رحـلات ولحـظـات ممـتـدة»، د. أحمد صدقي الدجاني، ص: ٧٢، الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٧٨م.

٢- نقلا عـن مـوسـوعـة «مـقـدمـات العلوم والمناهج»، الأستاذ أنور الجندي، ٤/ ١٣٧، دار الأنصار، ١٩٨٢م.

٣- المؤرخ اللبناني فيليب دي طرازي، نقلا عن «مقدمات العلوم والمناهج»، الجندي، ٤/ ١٥، بتصرف يسير.

٤- «مقدمات العلوم والمناهج»، الجندي: ٤/ ١٩.

٥- المصدر نفسه، ٤/ ١٣٢، بتصرف يسير.

٦- «مقدمات العلوم والمناهج»، الجندي: ٤/ ١٣٢.

٧- المصدر نفسه، ٤/ ١٣٩.

٨- «رحلات ولحظات ممتدة»، د. الدجاني، ص: ٧٣.



د. الطيب رحماني
المغرب

اللغة العربية..
لغة الاصطلاح العلمي

اللغة مقوم من أهم مقومات الهوية فهي تختزن الملامح المميزة للشخصية الإنسانية، وقد جعلها الله تعالى علامة فارقة دالة على قدرته وسريان سننه الكونية إذ قال عز من قائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ (الروم:٢٢)، ومن هنا جاز بل حق لكل إنسان أن يعتز بلغته ويدافع عنها ويسعى إلى إثبات وجوده بوجودها واستمرارها وصمودها، ولن يتأتى له ذلك اليوم إلا بالعمل على سيادتها في المواقع المهمة، وتعدد مجالات تباري اللغات الإنسانية في هذا العصر بين الاقتصاد والتعليم والصحة والرياضة والفن...

وتقاس حياة اللغة وتجددها بمدى حضورها اليومي بين الناطقين بها وكذا حضورها لغة للعلم وأداة للتحصيل، أي إنها تكون ذات شقين لغويين: لغة عامة للاستعمال اليومي ولغة علمية واصفة للبحث العلمي، وإذا كان الحضور الأول للغة يتم بشكل سلس وتلقائي حسب حاجة المتكلمين للتواصل فإن الحضور الثاني الأصل فيه أن يكون مدبرا أيما تدبير لأنه مستوى أرفع من سابقه وبقدر السبق فيه تسود اللغة أو تتخلف، وقد يصل تقدمها حد الهيمنة على غيرها وبالعكس، قد يصل تخلفها إلى فقدان أهميتها ومكانتها حتى بين أصحابها.

ومن أهم عناصر اللغة العلمية الواصفة للبحث العلمي جهازها المصطلحي الذي يمكنها من تسمية ما يتوصل إليه الباحثون والمخترعون من نتائج ومنجزات ومخترعات... وبقدر ما تواكب اللغة هذا الركب بقدر ما تحافظ على موقعها من الحياة وتمتلك قوتها في الوجود.

ولغتنا العربية لا يمكن أن تتخلف عما ذكرناه من سنن اللغات، فما هو واقعها اليوم؟ وما مدى حضورها في المجال العلمي؟ وأي تحديات تواجهها؟ وما القدرات التي تتمتع بها لأجل الصمود والاستمرار؟ وكيف شأن الجهاز المصطلحي فيها؟ وهل من جهود يبذلها أصحابها في هذا السبيل؟

واقع الاصطلاح العلمي العربي

معلوم أن تطور اللغة مرتبط بدورة الحضارة فكلما كانت الحضارة أقوى وأقدر على الإنتاج أتيح للغة مجال أوسع لنماء طبيعي فتتوسع من منطلق داخلي، أما إذا ضعفت الأمة حضاريا إلى أن أصبحت تبعا لغيرها فإن اللغة تضعف إلى أن يتراجع رصيدها المعجمي والتركيبي فتصبح غير قادرة على التفاعل مع ما استجد من منجزات العصر، ويضطر أهلها لقبول كل وافد، وتختل موازين الاصطلاح لديهم، وتبرز الإشكالات وتتضخم، ويضطربون في اقتراح وتوظيف أسماء الأشياء، فيقال إن تلك اللغة شاخت وأشرفت على نهايتها، ذاك هو حال لغتنا اليوم، فهل الداء في اللغة أم في أهلها الذين تخلفوا أولا حضاريا وقبلوا الأجنبي ثانيا؟ أليس بالإمكان استمرار تلك اللغة إذا عولجت أدواء الوهن والتردد والتفرق؟ ألم يأن لأهل العربية أن ينهضوا من جديد ويتنادوا إلى كلمة سواء: إحياء لغتهم الجميلة في كل المجالات بما فيها مجال المصطلح العلمي؟

إن واقع العربية في الخضم الحضاري المعاصر مخيف، إذ تسود عقلية الانهزام في التعاطي مع هذا الموضوع لدى الشريحة الواسعة من المفكرين والعلماء والباحثين العرب، فيتبعون التقليد جريا على القاعدة الخلدونية: المغلوب مولع بتقليد الغالب، كل ذلك تحليقا إلى القول بأن هذه اللغة شاخت وهرمت ولم تعد صالحة للعصر، بل هي اليوم - على حد زعمهم - عائق في سبيل التقدم العلمي، وقد آن الأوان إلى توطين اللغات ذات الغلبة في التعليم والإدارة والمجتمع عنوان تقدم ونهضة جديدين، وكانت الخطورة لما أتيح المجال الواسع لأصحاب هذا المنحى للإنتاج والتأليف والنشر فاستعملوا اللغة الأجنبية حينا، وهجنوا اللغة العربية أحيانا بفتح الباب

واسعا للكلمات والمصطلحات الدخيلة، وأغفلوا رصيد لغتهم وتراثها العلمي الزاخر بمعاجم المصطلحات الكامنة، وعطلوا الآليات الاصطلاحية العربية الكثيرة التي من شأن الاحتكام إليها أن يحفظ لهذه اللغة ماء وجهها ويقيم أود شرفها بين اللغات.

لقد غدا المصطلح العلمي العربي مشكلة حقيقية تعوق الحضور الفعلي للغة العربية في العلوم بمختلف فروعها وتخصصاتها، ذلك أن هذا المصطلح هو العملة الرائجة في هذا المجال وبقدر ما يتم اختياره ويحسن ضبطه وفق القواعد والسنن المتعارف عليها عالميا وبتعاون بين الباحث المتخصص واللغوي المتمرس، بقدر ما يتحقق التفاهم بين أهل تلك اللغة، وإذ الباحثون العرب مختلفون ومنهم فاقدو ثقة في لغتهم، فإن المصطلح العلمي يحتكم إلى اجتهادات فردية أكثرها يتسم بالفجائية، ويميل إلى المتاح يستعمله كما اتفق دون أن يخضعه للقياس، أو يعرضه على أهل الاختصاص من اللغويين والمعجميين، فكانت النتيجة أن وجدت الأجنة مشوهة، وخرجت إلى الاستعمال مزعا مختلفة بين قاصرة عن الغاية من التعبير عن المفهوم المرام، ومضطربة الصياغة هي بكل لغة إلا أن تكون بلغة عربية فصيحة، ومتعددة تعدد المناطق والفرق والأفراد، وسادت إشكالات من مثل التضخم المصطلحي (تعدد المصطلح للمفهوم الواحد)، والمشترك اللفظي (وحدة المصطلح وتعدد المفاهيم)، والوافد الأجنبي، ما حال دون أن تؤدي اللغة وظيفتها في جمع شتات الباحثين والعلماء ولو في أدق التخصصات التي يلتقون عليها.

إن الاستناد إلى القرارات الفردية في قضية جمعية مصيرية مثل هذه اختيار خاطئ تكون له نتائج خطيرة على المدين المتوسط والبعيد، ذلك ما آلت إليه العربية اليوم، ولولا ما تتمتع به من مناعة ذاتية لكان مصيرها إقصاء تاما من المجال العلمي، وقد ينتهي بها المطاف إلى تلاش وزوال لتصبح من التراث.

واجب أمة

يؤمن كل مسلم حق أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وبذلك فهي محفوظة بحفظ الذكر الحكيم، إذ اختارها الحق عزوجل وخصها بهذا الشرف العظيم، وأقر ذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢).

فسيادتها واستمرارها حقيقة لا غبار عليها، وما يتناوشها من نزغ ونزع زوابع مؤقتة إلى زوال.

كما يقر كل عالم محقق أن هذه اللغة تمتلك من المقومات والقدرات ما يجعلها قادرة على مواكبة المستجدات العلمية والتقنية، وتغطية زخم المصطلحات الذي تدفع به آلة التقدم الحديث والمقدر بخمسين مصطلحا كل يوم، أي نحو عشرين ألف مصطلح سنويا وفي مختلف فروع المعرفة(١)، ولن يتأتى لها ذلك إلا بتحريك ما تمتلكه من آليات وإمكانات الاصطلاح ومنها:

– توافرها على «نظام اشتقاقي غني يتيح لها توليد ملايين الكلمات الجديدة: فقد أحصى سيبويه ١٣٠٠ وزن، وأحصى ابن القطاع ١٢٠٠ وزن، واتضح من عهد الخليل بن أحمد، الذي ابتكر نظام التقليبات لاستغراق جميع المفردات المستعملة والممكنة والمهملة، أن عدد الكلمات التي يمكن أن تتألف من حروف الهجاء العربي يتجاوز مليون كلمة، وتقدر إحصائية تقريبية قام بها أحد الباحثين عدد الكلمات العربية الممكنة الوجود بأكثر من ٦,٥ ملايين كلمة، وإذا علمنا أن معظم المصطلحات هي من نوع المركب اللفظي البسيط أو المعقد الذي يتألف من كلمتين أو أكثر تأكد لنا أن العربية تسطيع أن توفر لنا عند الحاجة جميع ما نحتاجه من مصطلحات»(٢)، وقد أدرك سلفنا هذا الكنز الثمين من لغتنا فاجتهدوا في تسمية كل ما راح من حولهم من أمور حياتهم، بل دققوا في ذلك حتى عددوا صفات الشيء فجعلوا لكل صفة اسما، ولنراجع في هذا بعض كتب اللغة القديمة ومنها العامة مثل «فقه اللغة» لأبي منصور الثعالبي، ومنها تلك التي تخصصت في موضوع واحد مثل خلق الإنسان، والخيل، الإبل، والحشرات، والنحل...

– سبقها التاريخي لغة للعلم والحضارة: فقد شكلت البحوث اللغوية لسلفنا منهلا عذبا استمد منه معاصروهم من العلماء والأدباء والفلاسفة... ما يحتاجونه من مصطلحات تخصصاتهم المتعددة فكانت الحصيلة تراثا مهما من المعاجم المتخصصة في تصنيف المصطلح العلمي وتعريفه مثل كتاب التعريفات للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) وكتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي القرمي (ت ١٠٩٤هـ) وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)... هذا في الوقت الذي لم تكن الأمم الأخرى تعرف للاصطلاح اسما ولا للمصطلحات

سيادة العربية واستمرارها حقيقة.. وما يعتريها من زوابع إلى زوال

رسما، ولكن جهود هـؤلاء السلف لم تتطور بفعل التراجع الحضاري العربي، واليوم ونحن ننشد إحياء العربية لا يمكن، تحت أي مسوغ، القفز على هذا التراث الاصطلاحي الهائل، إن على مستوى النظرية أو التطبيق، فنظريا المعجمية العربية القديمة لا تزال في حاجة إلى تخريج ودراسة توفيها حقها، وتكشف عن مكامن القوة المعرفية والمنهجية التي أتاحت لعلمائنا هذا القدر الرفيع من التأليف البديع، وتطبيقيا يجب أن تشكل المادة المعجمية المصنفة في المعاجم المتخصصة أو المبثوثة في كتب اللغة والعلم رصيدا لا غنى عنه للاصطلاح العربي الحديث.

- قابلية الكلمة العربية للاستمرار في الحياة مدة أطول: فالتاريخ يحفظ للقسم الأوفر من الكلمات العربية مسيرة تطورية دلالية طويلة، ويقر أن تلك الكلمات وإن تلاشت معانيها القديمة وأصبحت معاني تاريخية، لا تموت بسهولة بل سرعان ما تنتقل إلى معان أخرى جديدة أو متطورة... ولنأخذ الجذر (ر ك ب) مثلا «ومنه (ركب) الجمل أو الناقة أو أي دابة، ثم كان (المركب) للدابة عموما، غير أن هذا المعنى عرض له التطور والتوسع، فكان (المركب) أحد (مراكب) البر والبحر، ومن هنا كانت السفينة أو القارب أو غير ذلك (مراكب)...»[٣]

ومن شأن الدراسة التاريخية لمفردات العربية أن تسهل على الباحثين والعلماء تلمس الخيط الرفيع الذي يربط الدلالة الحديثة بالدلالة القديمة لتلك المفردات ومن ثم يتيح جاهزيتها للاصطلاح، وتلك مهمة ينهض بها المعجم التاريخي للغة العربية، وقد بدأت الجهود حثيثة للنهوض بهذا المشروع ومن أبرزها جهود الدكتور الشاهد البوشيخي من فاس ومعه لفيف من الباحثين

الكلمات وإن تلاشت معانيها لا تموت وسرعان ما تنتقل إلى معان جديدة

المتخصصين في المنهج والمصطلح، حيث أصدرت هذه المدرسة عشرات الأطاريح الجامعية في علم المصطلح ودراسته، وأنجزت عشرات الندوات والمحاضرات في هذا السبيل، بل أسست معهدا للدراسة المصطلحية تصدر عنه حولية متخصصة تحمل ذات الاسم، ومؤسسة بحثية يختزل اسمها في كلمة «مبدع» أي مؤسسة الدراسات والبحوث العلمية، وهي الآن تشرف على خطوات متقدمة لإخراج المعجم التاريخي من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل[٤]... وفي هذا السبيل أيضا يمكن الحديث عن جهود المجامع العربية ومن ينتسب إليها من علماء وباحثين بما أنجزوه من بحوث لغوية واصطلاحية تروم إحياء تراث العربية المعجمي مع مواكبة ما استجد من أسامي العصر الحديث...

- قدرتها على استيعاب مفردات من خارجها دون أن يؤثر ذلك في نظامها الصرفي أو التركيبي: فعلى المستوى الصرفي هناك مقاييس صارمة اجتهد السلف في ضوئها لتحديد المستعمل والمهمل وتمييز القياس والسماع... فأيما لفظة غريبة وافدة على العربية ينبغي أن تخضع لتلك المقاييس لتنتقل من دائرة الدخيل إلى دائرة المعرّب وإلا بقيت ناشزة غير مستوية في الموضع الذي تستعمل فيه، فالعربية لم ترفض الاقتراض من اللغات الأخرى بل كانت سباقة إليه حتى في أوج قوتها إذ اقترضت من الفارسية واليونانية والهندية... ولكنها جعلت لذلك شرط الاندماج في سياقها الصرفي والتركيبي، وهو ما لم يأخذ به كثير من العرب المعاصرين كما ذكرنا، فطغى الوافد الدخيل حتى تجاوز النشوز ودخل حيز المرفوض.

إن المقومات والقدرات التي تمتلكها لغتنا العربية تؤكد أنه لا صلة لها بالتخلف الذي تعيشه لغة العلم عندنا، وإنما مرد ذلك إلى غياب الإرادة الصادقة لدى أصحاب القرار من المسؤولين والباحثين المتخصصين مؤسسات وأفرادا للنهوض بالاصطلاح العلمي العربي بدل الركون إلى الحلول السريعة ذات الحبال القصيرة. إنه من الواجب الملح أن يتجند جميع المهتمين لسيادة العربية بما أنها جزء مركزي لهويتنا وشخصيتنا، وعنوان صحيح لنهضتنا المنشودة، ولنأخذ الدرس من كثير من شعوب الدنيا الحديثة التي نشدت النهضة بعدنا لكنها سبقتنا بسنوات لما جعلت من المقومات الذاتية عنوانا رئيسا لمشاريعها، واتخذت من لغاتها، وإن كانت على وشك الانقراض، وسيلة للعلم والمعرفة.

الهوامش

١- علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، ممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ١٦-١٧.

٢- علم المصطلح: أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٢٦.

٣- العربية تاريخ وتطور، إبراهيم السامرائي، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ١٩١.

٤- راجع على سبيل المثال: دراسات مصطلحية، الشاهد البوشيخي، دار السلام، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢.

د. محمد بن محمد الحجوي
أستاذ التعليم العالي
سلا - المغرب



جهود الأصمعي في توثيق معاني اللغة *

إن الباحث في التراث العربي لا يبالغ إذا قال: إن الأصمعي يعد من أبرز الأعلام الذين أسسوا قواعد علم اللغة من حيث ضبط الدلالات والتراكيب والصيغ مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأستاذهم أبي عمرو بن العلاء المازني، فالأصمعي مع هذه المجموعة من العلماء لم تقتصر جهودهم على رواية الشعر وجمعه وتحقيقه وشرحه وإنما أسسوا علم اللغة بضبط قواعدها النحوية والدلالية والصرفية، والناظر في المعاجم وكتب اللغة يجد أسماءهم بارزة في بيان المعاني مصحوبة بالآيات البينات والشواهد الشعرية وبما تكلم به الأعراب الفصحاء من أمثال وحكم.

وهذا المجال -أي البحث في معاني اللغة- أولاه الأصمعي اهتماما كبيرا وهو يشرح الأشعار أو يتجول في قبائل الأعراب؛ ليقف على فصيح الكلام واختلاف لهجات القبائل، فدوّن الكثير من غريب اللغة التي لم نجد علماء آخرين قد عنوا بها، وكذلك فيما اختلف فيه مع علماء عصره، وكل هذا موجود في مصادر الأدب واللغة، وهذا المنهج يدل على مدى التقصي والجهد الذي كان يبذله الأصمعي والعلماء الآخرون من أجل إثبات الصواب بالشاهد من فصيح كلام العرب.

ولكي نبرز جهود الأصمعي في هذا الميدان نذكر نماذج مما رواه من معاني اللغة والغريب مع بيان طريقته في

التعليل والتوضيح بالشاهد، وكيف اتفق أو اختلف مع العلماء الذين عاصروه، وفي كل ذلك نجد غنى وسعة في البحث الذي استفاد منه واضعو المعاجم وكتب المعاني.

ففي شرحه لغريب اللغة نجده يعتمد على الشاهد من الشعر والكلام الفصيح مثل شرحه للفظة «الثملة» بأنها الصوفة تجعل في الهناء ثم يطلى بها البعير، فقد أنشد في ذلك قول الراجز:

ممغوثة أعراضهم ممرطلة
كما ثلاث في الهناء الثملة[١].

وفي بيان أسماء ولد الناقة حينما تضعه، قال: «إذا وضعت الناقة فولدها «سليل» قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى، فإذا علم، فإن كان ذكرا فهو «سقب» وأمه «مسقب» وإن كانت أنثى فهي حائل وأمها أم حائل، قال الهذلي:

فتلك التي لا يبرح القلب حبها
ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل[٢].

هذه الدقة في التسمية التي رواها الأصمعي تدل على سعة اللغة العربية وضبط الأعراب للمسميات بشكل يظهر أن اللغة اكتملت دلالتها قبل مجيء الإسلام.

واللحن، بسكون الحاء، هو الخطأ، كما هو معروف، لكن الأصمعي وأبا زيد ذكرا له معنى آخر وهو «اللغة»، ودليلهما على ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلّموا الفرائض والسنن واللحن كما تتعلمون القرآن»[٣].

واستدل اللغويون على معنى لفظة «المندَى» بأنها الموضع، مما رواه الأصمعي، قال: «اختصم حيان من العرب في موضع، فقال أحدهما: مركز رماحنا، ومخرج نسائنا، ومسرح بهمنا، ومندَى خيلنا»[٤].

وفي تصحيح رسم اللفظة ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنه: «أضح لمن أحرمت له»، رواه أصحاب الحديث بفتح الهمزة وكسر الحاء من «أضحيت». قال الأصمعي: إنما هو اِضحَ لمن أحرمت له بكسر الألف وفتح الحاء، من: ضحيت أضحى؛ لأنه إنما أمره بالبروز للشمس. ومنه قوله تعالى:

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ (طه:١١٩)[٥].

واستشهد اللغويون بما ذكره الأصمعي من أن «الندى» بفتح النون المشددة والدال، بأنها: بعد ذهاب الصوت، حيث يقال: فلان أندى صوتا من فلان إذا كان أبعد صوتا منه. وقد ذكروا البيت الذي رواه الأصمعي، وهو قول الشاعر:

فقلت: ادعي وأدعو إن أندى
لصوت أن ينادي داعيان[٦].

كما روى الأصمعي الكثير من غريب اللغة التي لم يعد لها وجود في العصر الحديث، وصحح أسماء أماكن في الشعر الجاهلي لم يعد لها وجود حتى في عصر الأصمعي، وكان يعتمد في ذلك على رواية الأعراب في رحلاته الدائمة إلى بواديهم، قال المبرد: «وزعم الأصمعي أنه سأل أعرابيا، وهو بالموضع الذي ذكره زهير:

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم
ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك

قال الأصمعي: فقلت لأعرابي: أتعرف ركَكا؟ فقال: لا، ولكن قد كان ماء يسمى ركَكا»[٧].

ومن الغريب الذي رواه الأصمعي ما اعتبره النقاد من كلام الأعراب الجفاة لكن الأصمعي رواه ليستدل على اتساع معاني اللغة؛ من ذلك قوله: الخشي والحشي: اليابس، وانشد قول العجاج:

والهدب الناعم والخشي[٨].

وقال: أتانا ملس الظلام وملث الظلام أي اختلاطه.

ويقال: ساخت رجله في الأرض وثاخت، إذا دخلت. قال أبو ذؤيب:

قصر الصبوح لها فشرج لحمها
بالني فهي تثوخ فيها الإصبع[٩].

وقال: يقال: جاحشته وجاحسته وجاحفته إذا زاحمته[١٠].

ومن النقاد من ذكر أن الأصمعي نفسه عاب غريب اللغة عند بعض الأعراب، من ذلك ما ذكره الآمدي حيث قال: «وأنشد الأصمعي:

وآخذ طعم السقاء سامط
وخائر عجالط عكالط[١١].

وقال آخر، أنشده الأصمعي:

ورب خمخماص
يأكلن من قراص وحمصيص واص[١٢].

وكان الأصمعي كثيرا ما يروي ما سمعه من قول الأعراب ولو كان غريبا وشاذا، والغرض من ذلك هو بيان كيف كانوا يعبرون عن بعض المعاني، وقد استعان اللغويون وأصحاب المعاجم بهذه النصوص للتدليل على صحة معاني الألفاظ والتراكيب، وما طرأ على اللغة من تطور، من ذلك قوله: «سمعت أعرابيا من «غني» يذكر مطرا صاب بلادهم في غب جدب، فقال: تدارك ربك خلقه وقد كلبت الأمحال، وتقاصرت الآمال، وعكف اليأس، وكظمت الأنفاس،

وأصبح الماشي مصرما، والمترب معدما، وجفيت الحلائل، وامتهنت العقائل؛ فأنشأ سحابا ركاما، كنهورا سجَاما؛ بروقه متألقة، ورعوده متقمقمة، فسح ساجيا راكدا، ثلاثا غير ذي فواق؛ ثم أمر ربك الشمال فطحرت ركامه، وفرقت جهامه؛ فانقشع محمودا، وقد أحيا وأغنى، وجاد فأروى؛ والحمد لله الذي لا تكت نعمه، ولا تنفد قسمه، ولا يخيب سائله، ولا ينزر نائله»[١٣].

هذا القليل الذي ذكرناه من رواية الأصمعي لمعاني اللغة والغريب يدل على أن الرجل أسهم بشكل كبير في إرساء قواعد اللغة في مرحلة دقيقة من تاريخ ثقافتنا العربية، ولا يمكن للباحث أن يستقصي جهوده في الدرس اللغوي في بحث أو مجموعة بحوث، فهذا الجانب أولاه عناية كبيرة لضبط اللغة حتى كاد يتفوق على أستاذه أبي عمرو ابن العلاء، وهذا القليل الذي ذكرناه يبرز صورة ناصعة لما بذله الأصمعي من جهود في جمع اللغة وشرحها وضبطها وبيان دلالتها المختلفة، ويكفي أن يرجع الدارس والباحث في هذا المجال إلى المعاجم الكبرى وكتب اللغة والأدب والنقد والدواوين الشعرية حيث يجد الأصمعي حاضرا في كل مادة لغوية إما بالشرح أو التصويب أو الاختلاف مع العلماء، وكل ذلك أغنى اللغة العربية في مرحلة التأليف في مختلف العلوم.

هكذا كانت همة علمائنا القدامى في التقصي والبحث والضبط حتى وصلنا هذا التراث مكتملا، وبفضل جهودهم أصبحت اللغة العربية في القرون التالية لغة البحث العلمي وتدريس العلوم الدقيقة مثل الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة وعلم التنجيم، ولغة الدواوين والإدارات.

إن الدارس حينما يطلع على هذه الجهود يتألم لما آلت إليه اللغة العربية في عصرنا الحاضر من إهمال في بعض الدول العربية حيث دعا البعض إلى عدم استعمالها في التدريس والبحث العلمي والإدارة والتواصل بحجة أنها لغة لم تعرف التطور الذي عرفته اللغات الأخرى، والغريب في الأمر أنهم دعوا إلى جعل مكانها اللغات الأجنبية أو اللهجات التي لا قواعد لها تضبطها مثل اللغة العربية التي صارت من اعرق اللغات العالمية[١٤].

الهوامش

❖ هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ولد سنة (١٢٣هـ) في البصرة. تعلم في الكتاب وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم بدأ ينهل من علوم عصره في مسجد البصرة، ينتقل بين حلقاته يأخذ الأحاديث الشريفة والشعر واللغة والأدب والأمثال والنوادر على يد خيرة أعلام عصره الذين لازمهم كالظل، ويختلط بالأعراب الوافدين إلى البصرة، ويرحل إلى كل مكان يعلم أنه يستزيد فيه معرفة بشعر العرب وأخبارها ولغاتها حتى أصبح أعلم زمانه، يسعى إليه كل من أراد أن يعلو شأنه في الأدب واللغة والشعر. توفي سنة (٢١٧هـ).

١- أمالي القالي: (١/ ١٨).

٢- أمالي القالي: (١/ ٢١).

٣- أمالي القالي: (١/ ٥). واللحن، بفتح الحاء: الفطنة.

٤ - رفع الحجب: (٢/ ٥٨٧). مسرح الإبل: مرعاها. البهم: الصغار من أولاد الغنم والمعز والبقر.

٥- انظر: رفع الحجب: (٢/ ٧٦٠).

٦- رفع الحجب: (٤/ ١٤٨٣).

٧- الكامل: (٢/ ١٦١).

٨- أمالي القالي: (٢/ ١١٤).

٩- أمالي القالي: (٢/ ١١٤).

١٠- أمالي القالي: (٢/ ١٢٥).

١١- سامط: هو اللبن الذي تذهب حلاوة الحليب عنه ولا يتغير. والعكالط: اللبن الذي خثر حتى ثخن.

١٢- الربرب: القطيع من بقر الوحش. الخماص: الضامرة البطن. القراص: الحامض من لبن الإبل. الحمصيص، بفتح الحاء والميم: بقلة طيبة الطعم، من أحرار البقول، تنبت في الرمل. انظر: الموازنة، (٢٦٧-٢٦٨).

١٣- أمالي القالي: (١/ ١٧٣). صاب: جاد. كلبت: اشتدت، وكذلك كلب الشتاء. والأمحال: جمع محل، وهو القحط. عكف: أقام. كظمت: ردَت إلى الأجواف، يقال: كظم غيظه إذا حبسه. الماشي: صاحب الماشية، يقال: مشى الرجل وأمشى إدا كثرت ماشيته. المصرم: المقارب المال المقل. المترب: الغني الذي له المال مثل التراب كثرة، يقال: أترب الرجل إذا استغنى، وترب: إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب. امتهنت: استخدمت. العقائل: الكرائم، واحدتها عقيلة. أنشأ: أحدث. النشء: السحاب أول ما يخرج. الكنهور: قطع كأنها الجبال، واحدتها كنهورة. سجَام: صبَاب. متقمقمة: مصوتة. القعقعة: صوت السلاح، وما أشبهه. ساج: ساكن. الفواق: أن يصب صبة ثم يسكن ثم يصب أخرى ثم يسكن، مأخوذ من فواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين. طحرت: أذهبت وأبعدت. الجهام: السحاب الذي قد هراق ماءه. تكت: تحصى. ينزر: يقل، ومنه قيل: امرأة نزور إذا كانت قليلة الولد.

١٤- لقد نشرنا بحثا عالجنا فيه هذه الظاهرة الشاذة في المغرب خاصة حيث تتعرض اللغة العربية لهجمة شرسة من طرف بعض الغلاة. انظر: مجلة «الرافد»، ملحق (٢). مارس سنة (٢٠١٥م) بعنوان: «اللغة العربية وظلم ذوي القربى».



مصطفى عبدالعزيز التوني
باحث دراسات إسلامية

لغتنا بين تحديات الواقع والمستقبل المأمول

تتميز اللغة العربية بخصائص متفردة، لا يمكن أن تجتمع كلها في لغة غيرها من اللغات العالمية، والمؤكد أن أهم هذه الخصائص على الإطلاق؛ أنها لغة القرآن الكريم الذي سما بمنزلتها ورفع من مكانتها أيما سمو ورفعة، وهي لغة واسعة وغزيرة الألفاظ والمفردات والصيغ اللغوية، ولغة متعددة العلوم، كالنحو والصرف، والبلاغة، والعروض، والاشتقاق، والإعراب، كما أنها تتميز بكثرة مترادفاتها بشكل لا تجده في لغة أخرى، ناهيكم عن امتيازها بمؤهلات صوتية، وبلاغية، ودلالية كثيرة، وهذا كله يجعلها من أعرق وأغنى وأهم اللغات الحية وأبرزها في العالم. وقد تحدث كثير من المستشرقين والباحثين عن هذه الخصائص، وتناولوها شرحا وتمحيصا بالأدلة والشواهد، حتى أن أحدهم وصفها بلغة الكمال، فليس لها طفولة ولا شيخوخة. والعربية لا تعرف بأنها لغة العرب ومحبوبتهم فحسب، إنما هي محبوبة وقريبة إلى قلوب جميع شعوب العالم الإسلامي، التي وهبت مجموعة كبيرة من العلماء واللغويين والأدباء، ممن منحوا العربية جل اهتمامهم ورعايتهم، وكتبوا بها ولأجلها العديد من كتبهم ومؤلفاتهم.

ولكن، ورغم كل مميزات اللغة العربية الفصحى، وإجماع الكثير من المستشرقين والباحثين على أنها من أهم اللغات التي أثبتت جدارتها وقدرتها على البقاء والازدهار، إلا أنها تتهم - من قبل البعض- بسيل من الاتهامات والمزاعم الواهية، كنعتها بالعجز والترهل، وقصورها عن احتواء المصطلحات العلمية. كما أنها تواجه تحديات عدة، تتطلب جهودا مخلصة لمواجهتها، والتي تتحدد بدور المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الرسمية، ومجامع اللغة العربية المنتشرة في البلاد العربية، وكذلك بدور الأسرة وخطباء المساجد ووسائل الثقافة والإعلام، بما يكفل الدفاع عن العربية وصونها والحفاظ عليها، والغوص في مكنونها.

إن من أهم المشكلات التي تعاني منها اللغة العربية: محاولات الدعوة إلى التجديد -المفترض- والثورة على القديم، والإحجام عن التكلم بالفصحى والكتابة بها، وتشجيع دراسة اللهجات المحلية، أو اختراع مقاربة بين الفصيحة والعامية لتكون لغة الحوار الرسمية، كل ذلك بدعوى أنها لغة التراث والأصالة فحسب. وفي أحايين أخرى اتهامها بالضيق وقصر الباع في احتواء العلوم الحديثة، وتأخرها في مواكبة الحضارة، وانفصالها عن الحياة العملية.

واقع العربية اليوم

لقد بات واقع اللغة العربية مزريا إلى حد أن أصبح أبناؤها يخجلون من التحدث بها، وقد نشأ هذا نتيجة لعدة عوامل أثرت بشكل أو بآخر في تردي الوضع وجعله أكثر سوءا وسوف نعرض فيما يلي بعضا من هذه العوامل، وهي:

أولا: انفصام اللغة العربية عن الواقع المعيش، فأضحت بضاعة كاسدة أمام بضائع مجودة ومطلوبة ممثلة في اللغات الأخرى التي زاحمتها مكانتها في عقر دارها، فانصب الاهتمام على تعليم اللغات الأجنبية؛ لأنها عنوان التقدم والحضارة، وأداة للوصول إلى عمل مرموق ذي وجاهة اجتماعية وجدوى اقتصادية، فلماذا إذن يهتم الطلاب أو غيرهم من طالبي الوظيفة بلغة لا يضعها أحد شرطا للعمل؟!

ثانيا: الاغتراب الثقافي والتشظي الفكري بين اللغة وأبنائها، فاللغة تمر بأزمة حقيقية لابتعاد ونفور أبنائها عنها وشعورهم بالغربة من نحوها وقواعدها وإملائها حتى انزوت في بطون الكتب والمراجع التراثية المقصورة على الباحثين والأكاديميين[1].

ثالثا: الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة العربية، حيث وجدنا من يدعو إلى هجر هذه اللغة الفصحى واستبدال العاميات المحكية بها أو مزجها بالعاميات بدعوى التسهيل والتيسير، أو الاعتماد على اللغات الأجنبية بديلا عنها، وكأن التطور لا يكون إلا بالانسلاخ من اللغة العربية، علما بأن هنالك أمما كثيرة قد تطورت مع حفاظها على لغتها القومية، فليست اللغة إلا وسيلة للبيان، ولا يمكن أن نحملها مسؤولية الفوضى والتقهقر الحضاري الذي تعيشه الأمة على مختلف الأصعدة.

رابعا: السياسات التربوية والمناهج الدراسية النظرية، انطبعت بهنات كثيرة، منها: عدم عناية المدرس باستخدام اللغة العربية الصحيحة مع تلاميذه وطلبته، والافتقار إلى أدوات للقياس الموضوعي في تقويم التعليم اللغوي، وقلة استخدام التقنيات الحديثة في تعليمها، والخلط الكبير في درس النحو بين ما هو وظيفي وما هو غير وظيفي ولا ضروري، وقدم الطرق المستخدمة في توصيفها، وعدم وضوح طرق تدريس المبتدئين، واضطراب المستوى اللغوي من كتاب منهجي لآخر، وكون دراسة الأدب والنصوص لا تصل التلميذ بنتاج حاضره وتراث ماضيه وصلا يظهر أثره في حياته، وتبقى تحوم حول النص غالبا دون أن تخترق حصنه، وطغيان مضامين الحياة المفارقة على هموم الحاضر والمستقبل في تدريس الأدب، ونقص عدد المعلمين المختصمين وانخفاض مستواهم في أغلب مراحل التعليم، وبعد اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المدارس عن فصحى العصر، واستبعادها في أغلب الأحيان من درسي العلوم التطبيقية والمهارات العلمية، واعتماد المناهج على التلقين بدل الاستقراء والوصف والاستنباط[2].

كانت هذه، وغيرها كثير مما لا تتسع سطور مقالة واحدة لتعداده، بعض تحديات الواقع أمام اللغة العربية، أما الحلول وفق المأمول فكثيرة ميسورة؛ بدايتها برغبة حقيقية في الإصلاح، وتبني رؤية واضحة صادقة للنهوض باللغة العربية، وبالأمة كلها معها كما يرى حافظ إبراهيم رحمه الله:

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات

إن النهوض باللغة العربية سيجمع شتات الأمة، ويوحد جهودها لمواجهة تلك التحديات وما يستجد منها، فتربية النشء على الاعتزاز بلغتهم سيربي في نفوسهم روح الإصرار والاعتزاز والثقة بالنفس وكلها مقومات ولبنات الأساس في صروح نهوض الأمم.. أن يستشعر الطفل بأن له تاريخا مجيدا، ولغة عزيزة فيعز بعزها، ويعمل على حمايتها، ويجتهد في تطويرها.

والوقوف في وجه هذه التحديات لا يأتي إلا عن طريق مشروع عربي شامل، ومؤسس على أسس علمية سليمة تأخذ على عاتقها صيانة اللغة العربية من العامي والدخيل، وكذا

تكريسها في المعاملات والممارسات الحياتية اليومية، ومن هنا تبرز عدة وسائل أو متطلبات للحفاظ على اللغة العربية والسير بها قدما نحو مجدها ورفعتها، يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أولا: أن تقوم الحكومات الإسلامية والهيئات والمؤسسات الخيرية والتعليمية والدعوية بافتتاح مدارس ومراكز ومعاهد تعتمد العربية لغة أساسية لمناهجها الدراسية في مختلف بلاد العالم، من أجل نشر لغة القرآن وتقريبها إلى نفوس وقلوب وعقول المسلمين.

ثانيا: اعتماد الدول الإسلامية اللغة العربية لغة رسمية لمراسلاتها خصوصا الخارجية منها، وإلزام سفرائها ومبعوثيها استخدام الفصحى في اللقاءات الدولية والمؤتمرات الصحفية أو عند التوقيع على المعاهدات والاتفاقيات التجارية.

ثالثا: مراقبة السلع والبضائع والمنتجات الصناعية والزراعية كافة، خاصة المصنعة في العالم العربي واشتراط أن تكون نشراتها ومسمياتها عربية، وكذلك حظر كتابة أسماء المنتجات الأجنبية المستوردة من الخارج بالحروف العربية دون ترجمة هذه الأسماء.

رابعا: إصدار قرارات تقضي باستخدام اللغة العربية دون سواها ضمن أعمال الإدارات والمؤسسات العامة والصحافة والتعليم وغيرها.

خامسا: إحياء حركة تعريب وترجمة شاملة لكل العلوم والمعارف والمؤلفات الجديدة المفيدة لتكون عونا وبديلا عن المراجع الأجنبية، ورصد الإمكانيات المادية والبشرية لذلك، من خلال خطة واضحة المعالم تسير حسب أهداف واضحة بعيدا عن الارتجالية والتخبط، إذا لا يكفي ما هو قائم الآن لسد هذه الثغرة، على أهمية ما تقوم به تلك المراكز والمؤسسات[٣].

سادسا: إبراز جماليات الفصحى ومقدرتها في التعبير عن حاجات العصر الحاضر، تفنيدا لبعض الادعاءات التي تتهمها بالقصور.

سابعا: إشراك المثقفين والمفكرين كافة والعلماء في شتى العلوم بوضع ميثاق شرف يتبنى الدفاع عن اللغة العربية في المجالات كافة، والاهتمام بالنشر الإلكتروني وتعريب المواقع الإلكترونية ولغة البرمجة الحاسوبية، ليكون بالإمكان التعامل مع المواقع الإلكترونية باللغة الفصحى بدءا بكتابة العنوان الإلكتروني وانتهاء بمحركات البحث الإلكترونية، وتخصيص جائزة مجزية لتوفير محرك بحث عربي يعتمد اللغة العربية لغة أساسية على غرار المحركات الأجنبية.

ثامنا: تعريب التعليم الجامعي في التخصصات كافة، والاستفادة من التجارب الناجحة، ووضع خطة على مستوى العالم العربي لاتخاذ إجراءات عملية وبخطة واضحة الإطار الزمني للانتقال من التدريس الجامعي باللغات الأجنبية إلى اللغة العربية[٤].

تاسعا: يتعين على الجهات المسؤولة إعادة النظر في مناهج التعليم بين الحين والآخر، واختيار المناسب الذي يحقق الأهداف، ويخدم قضية اللغة العربية، ويتطلب ذلك دون أدنى شك إعداد كتب مناسبة يقوم على إعداد مادتها وصياغتها نخبة من أساتذة اللغة العربية والتربية، ويراعى فيها تلبية متطلبات كل مرحلة من المفردات، والألفاظ والتراكيب والأساليب مع العمل على إيجاد قواميس مناسبة لكل مرحلة تحوي ما درسه الطالب من حصيلة لغوية، ويكون لكل مرحلة قاموسها.

قالوا عن العربية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»: «معلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية»، وقال أيضا: «إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب. فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب».

كذلك يقول المؤرخ والكاتب الفرنسي إرنست رينان: «إن اللغة العربية تبدو لنا بكل كمالها، ومرونتها، وثروتها التي لا تنتهي لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها على درجة من الكمال. إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها؛ فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسة غاية السلاسة، غنية أي غنى، وإن اللغة العربية، ولا جدال، قد عمت أجزاء كبرى من العالم».

أما المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون فقال: «إن اللغة العربية استطاعت أن تبرز طاقة العرب في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواء كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها. واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي.. والعربية من أنقى اللغات. لذلك باستطاعة العرب أن يتفاخروا على غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم، التي تحمل من سمو الفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له».

الهوامش

١- التحديات التي تواجه اللغة العربية، زينب فخري، جريدة الزمان، ٢٠١٨/١/١٥م.

٢- بحث اللغة العربية والتحديات المعاصرة «آثار ومتطلبات»، إعداد الدكتور: محمد ضياء الدين خليل إبراهيم.

٣- الأخطار التي تهدد اللغة العربية وسبل مواجهتها، فراس حج محمد، مجلة عود الند، العدد ٦٤، أكتوبر ٢٠١١م.

٤- المرجع السابق نفسه.



سعاد بوترفاس
باحثة دراسات إسلامية
المغرب

ترسيخ القيم والمنظومة التعليمية



يعتبر موضوع القيم من مواضيع الساعة، يتقاسم أطرافه كل مسؤول في المجالات الحيوية داخل المجتمع، من رجال الأمن وأهل الاقتصاد ورجال الأعمال والقانونيين والإعلاميين والتربويين والقضاة.. وذلك بهدف المعالجة الشاملة لمعايير السلوك العلمي العملي للمواطن الصالح، من خلال القيم التي تمرر عبر المنابر الإعلامية بجميع أنواعها، والمؤسسات التعليمية في جميع فروعها، لأن «التربية على القيم مسؤولية متقاسمة تضطلع بها المدرسة إلى جانب الأسرة ووسائل الإعلام، وكل المؤسسات التي تؤدي وظائف ذات صلة بالتربية والتثقيف والتأطير»[1].

وتعد منظومة التربية والتعليم، المجال الخصب الذي من خلاله يمكن ترسيخ القيم الأخلاقية، عبر برامج ومقررات هادفة وممنهجة، قادرة على صياغة الفرد والمجتمع صياغة مشبعة بالقيم لأن «التعليم هو الدعامة الأساسية في بناء الشخصية المتكاملة من جميع النواحي العقائدية، والثقافية والفكرية»[2]، وهو الركيزة الأولى والرهان الأساسي الذي اعتمدت عليه الدول المتقدمة في نهضتها ورقيها، لأنها «اعتبرت الإنسان الكنز الذي لا يقدر بأي ثمن، فجعلته مدار اهتمامها، وقطب الرحى في تفكيرها، فعمدت إلى بناء المؤسسات التعليمية من مدارس ودور القرآن والحديث، وأحيت رسالة المسجد ليسهم في عملية البناء والتصحيح الجديدة، وتوجيه وتوعية الأمة وتعبئتها تعبئة عامة شاملة لمواجهة الأخطار ومجابهة التحديات الداخلية والخارجية»[3]، فالتعليم هو المحرك الأساسي لنهضة الأمم، لأنه يزود المجتمع بترسانة من القيم الأخلاقية الاجتماعية العملية، قال أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول:

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم
ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

لذلك وجب الاهتمام بتنشئة أخلاقية صحيحة للفرد، لأن «نقطة البداية في علاج أخلاقنا الاجتماعية يجب أن تكون

من الفرد، فالفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع، والدعوات الإصلاحية تبدأ طريقها من الفرد»[٤]. ومنه يجب أن نفطن إلى المقررات التي تدرس في مؤسساتنا، ومدى اهتمامها بالقيم، ونتساءل عن المسؤولين عن تأليفها وبرمجتها! لأنه إذا أردنا أن تتفشى القيم الإسلامية بين أفراد الأمة عامة، فيجب التركيز على التدريس بها، في مقررات جميع التخصصات، كمادة قائمة بذاتها مناسبة لتخصصها على وجه الإلزام لا التخيير، لذلك يجب اعتماد نخبة مختارة تكون «مجلسا عاما يشرف على العملية التعليمية والصياغة التربوية يضم أهل الحل والعقد وهيئة كبار العلماء العاملين المخلصين والقادة العسكريين والفقهاء والشيوخ المستنيرين، فبالتربية على الأخلاق والقيم الدينية نسمو بالفرد والمجتمع»[٥].

كما يجب البحث عن نخبة تمرر وترسخ هذه القيم داخل المنظومة، بـ«الدعوة الصامتة التي تكون بالحال قبل المقال» من خلال أخلاق رجال التعليم وأطره، والتي تنعكس أساسا على طالبيه. فما هي إذن أخلاق صاحب العلم وطالبيه؟

أخلاق صاحب العلم

يعتبر النبي محمد ﷺ خير مجسد للقانون الأخلاقي القرآني، كما أخبرنا الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). وكما أخبرتنا السيدة عائشة، رضي الله عنها، حيث قالت: «كان خلقه القرآن»[٦]، فقد كان يطبق كل ما يدعو إليه، لذلك جعله تعالى قدوة لكل مبلغ علم، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١). فإذا كانت مهمة العالم، تعليم الجاهل وتزكيته بالأخلاق الحسنة، فأولى له أن يلتزم بها قبل الدعوة إليها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف:٢-٣). «فمجرد العلم بالحق لا يحصل به الاهتداء إن لم يعمل بعلمه»[٧].

كما وجب على صاحب العلم بذل الجهد والتوسع في نشره، فقد توعد الله الذين يكتمونه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٤)، فكل علم ينفع الناس في معاشهم أو معادهم يعتبر من الواجبات الخلقية الاجتماعية. «فمن سوء الخلق البخل بالعلم، فالجود بالعلم أسمى من الجود بالمال.. ومن بخل بعلمه وكتم ما عنده، فقد ظلم نفسه، وباء بالخسران المبين».. قال ابن القيم: «ومن الجود بالعلم: أن السائل إذا سألك عن مسألة: استقصيت له جوابها جوابا شافيا»[٨]. يجب على كل حامل لعلم ينفع الإنسانية، أن يؤديه بكل أمانة، فلا يكتمه في الفصل لبيعه خارجه، كما هو رائج عند أصحاب بعض التخصصات، الذين قال عنهم الآجري: «يضع الحكمة عند أهلها، ويمنعها من ليس بأهلها»[٩]. فمن أخلاق العلماء «ومن آدابهم: نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فإن شبهة المكسب إثم، وكد الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أليق به من الذل»[١٠].

الإنسان في الدول المتقدمة كنز لا يقدر بثمن وركيزة النهضة

ومن الأخلاق التي يجب أن تلازم من كان: «من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده، التواضع للعالم وغير العالم، فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم فواجب عليه. وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم، فشرف العلم له عند الله وعند أولي الألباب..»[١١]، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:٢١٥)، وهو «ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق، والتواضع ومجانبة العجب، لأن التواضع عطوف والعجب منفر.. لا سيما مع قول النبي ﷺ: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلمونه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم. قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه به»[١٢]. وكما قال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضيع

ومما يجب على الأستاذ احترامه الفوارق الفردية، كما قال ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[١٣]، فقدرات المتعلمين وذكاؤهم واستعدادهم للتعلم مختلف، لذلك يجب مراعاة هذه العوامل، كما قال الآجري: «فأما أخلاقه مع مجالسيه: فصبور على من كان ذهنه بطيئا عن الفهم حتى يفهم عنه»[١٤]، ولا يتم ذلك إلا بالرفق واللين كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ



لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

أما الأخـلاق التي يجب أن يرسخها صاحب العلم فـي المتعلم، آلية التعلم الذاتي خاصة في المسائل التي يجهلها هو، كما كان يفعل الإمام مالك رحمه الله «إذا سئل عن مسألة لا يعلمها يقول: لا أدري»، وقد أخذ هذه الكلمة عن شيخه ابن هرمز، فقال: «سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري، حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه. فإذا سئل أحدهم عما لا يدري، قال لا أدري»[١٥].

أخلاق طالب العلم

من حقوق صاحب العلم الاحترام، كما قال الإمام أحمد: «أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه»[١٦]، وهو نفس ما دعا إليه ابن عبدالبر: «من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه.. ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء»[١٧].

فتواضع طالب العلم رفعة، وذله عز، قال ﷺ: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»[١٨]، ومنه على المتعلم أن: «يمشي برفق وحلم، ووقار، وأدب، ويكتسب في مشيه كل خير... فإذا أحب مجالسة العلماء جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، فإذا استفاد منهم علما شكرهم على ذلك»[١٩].

التربية على الأخلاق والقيم الدينية ترقى بالفرد والمجتمع

وأختم هذا الجزء بما وصف به بعض العلماء أنفسهم: «قال الشافعي رحمه الله كنت أصفح الورقة بين يدي مالك رحمه الله صفحا رفيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها. وقال الربيع: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له»[٢٠]. وكما نقل عن ابن عباس قوله «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له»[٢١].

الأخلاق المكتسبة

وجب تهذيب النفوس وتأديبها، كما أمر تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ (الشمس:٦-١٠)، «لكن الناس يتفاوتون في مقدار أهليتهم وقدرتهم واستعدادهم لاكتساب الأخلاق أو تعديلها، كما يختلفون في مدى أهليتهم وقدرتهم واستعدادهم لتلقي العلوم المختلفة، أو إدراك الحقائق الدقيقة نظرا لاختلاف عقولهم ومدى ذكائهم»[٢٢]. فمن الأخلاق ما هو ثابت لا يمكن تغيره، ومنها ما هو مكتسب يمكن أن يتغير بالتدريب والمجاهدة، ومن الطرق المعينة على ذلك:

١- التدرج في التعليم: من السهل إلى الصعب، كما في تحريم الخمر، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ﴾ (البقرة:٢١٩)، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء:٤٣)، ثم جاء التحريم القاطع في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ (المائدة:٩٠). وهي نفس الطريقة التي استخدمت في تعليم القرآن، كما قال

عبدالله بن مسعود: «كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر فلا نجاوزها إلى العشر الأخر حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل»[٢٣]، فالأخلاق كذلك تحتاج إلى تدرج في الترسيخ.

٢- اشتراك المتعلم في المواقف التعليمية: بمنحه حرية المناقشة والحوار في حدود الأدب والاحترام مع أستاذه من جهة، ومع أقرانه من جهة أخرى، من خلال تقنيات تنشيط مناسبة، لأن ذلك يدفعه إلى التنافس، وحسن التفكير وجودة التعبير، والقدرة على النقد واكتساب الثقة... وقد استخدم ﷺ هذا الأسلوب مرات كثيرة، كما في حديثه ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي.. بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فأخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٢٤]. ولترسيخ بعض القيم لدى المتعلمين يجب إشراكهم فيها، كالبذل والإنفاق مثلا ولو باليسير، أو بالصلاة مع الجماعة..

٣- طريقة الملاحظة والتجربة: وهي الطريقة الأولى التي تعلم بها الإنسان مختلف أصناف العلوم التقنية، كما أكد الإمام الشعراوي في تفسيره: «وكان على الإنسان أن يعلم أنه تعلم محاكاة ما دونه من الكائنات، فقابيل تعلم من الغراب كيف يواري سوأة أخيه. ومصمم الطائرات تعلم صناعة الطيران من دراسة الطيور..»[٢٥]. وهذه الطريقة صالحة كذلك في المجال النظري العملي، فملاحظة أخلاق الأنبياء وما نتج عن تطبيقها العملي من آثار عظيمة، خير عظة: كعفة يوسف، وصبر أيوب ويعقوب عليهم السلام..

٤- طريقة حل وضعيات المشكلات: وذلك بوضع المتعلم أمام وضعية مركبة لم يتعود على حلها، فيقوم بتجنيد معارفه السابقة وإدماجها لحلها، وعندما يعجز، وتسمى هذه المرحلة بـ«اللاتوازن المعرفي» يدرك أن معارفه السابقة لا تمكنه من حل وضعيات مماثلة، وأن عليه اكتساب معارف ومهارات جديدة لتجاوزها، فيضطر إلى بناء معارف جديدة، وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب مرات كثيرة من خلال طرح السؤال ليجيب عنه المتعلمون، إن استطاعوا، أو ينتظروا ليسمعوا الإجابة منه، كما في حديثه ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ... فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة»[٢٦].

إننا إذا فهمنا القيم الإسلامية فهما شاملا، ثم دققنا النظر في جزئياتها وكلياتها، وجدنا أنها تشمل الحياة بكل مجالاتها، ولكننا وللأسف فصلناها عن كلياتنا، وأفرغنا مناهجنا منها، واكتفينا بالتخصص، طبيب متخصص، مهندس متخصص. بينما كان في السابق المسلم الموسوعة، فنجد الطبيب المسلم الفلكي الرياضي الفيلسوف، إذا طبق الإسلام طبقه على يقين وبمنهاج سليم ودعا إليه بحاله قبل مقاله، وهي الدعوة الأخلاقية الصامتة التي نشرت الإسلام في أقصى بلاد العالم، وما أحوجنا إليها في هذا العصر.

هوامش

١- التربية على القيم بالمنظومة الوطنية للتربية والتكوين والبحث العلمي، تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، المملكة المغربية، رقم:١٧/١، يناير:٢٠١٧م، ص:٤.

٢- عصر الدولة الزنكية، علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٣٢٥.

٣- عصر الدولة الزنكية، علي الصلابي، مرجع سابق، ص٣٢٥.

٤- أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٤، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص٦.

٥- عصر الدولة الزنكية، علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص٣٢٥.

٦- أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٣٠٨). والنسائي في الكبرى، تحفة الاشراف ١٧٦٨٨.

٧- أمراض القلب، ابن تيمية، المطبعة السلفية - القاهرة، ط:٢، ١٣٩٩هـ، ص١٢.

٨- موسوعة الأخلاق، الخراز، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط:١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٣٧٠.

٩- أخلاق العلماء، الآجري، علق عليه: إسماعيل ابن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، ص٥٥.

١٠- أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص١٣٢.

١١- أخلاق العلماء، مرجع سابق، ص٥١.

١٢- أدب الدنيا والدين، الماوردي، مرجع سابق، ص٧٢.

١٣- المقاصد الحسنة، شمس الدين السخاوي، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٦٤.

١٤- أخلاق العلماء، الآجري، مرجع سابق، ص٥٢.

١٥- أخلاق العلماء، الآجري، مرجع سابق، ص٥١.

١٦- فقه العبادات، الحاجة كوكب عبيد، مرجع سابق، ص١١.

١٧- أصول الفقه، خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم مصر، ط:١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ص٥١.

١٨- جامع بيان العلم، ابن عبدالبر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط:١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٩٩١.

١٩- أخرجه أحمد، والحاكم (١/ ١٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع» (٥٤٤٣).

٢٠- أخلاق العلماء، مرجع سابق، ص٥٠.

٢١- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين ابن شرف النووي، دار الفكر (دون ذكر سنة الطبع)، ص٣٦.

٢٢- المسند الجامع، حققه: محمود محمد خليل، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط:١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٥٥٣.

٢٣- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط:٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٩٣.

٢٤- زاد المسير في علم التفسير، ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى:٥٩٧هـ)، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط:١ - ١٤٢٢هـ، ص١١-١٢.

٢٥- رواه مسلم ٤/ ١٩٩٧/ ح٢٥٨١ في البر والصلة باب تحريم الظلم والترمذي ٤/ ٦١٣/ ح٢٤١٨ في القيامة باب ما جاء في شأن. وأحمد ٢/ ٣٠٣ و٣٣٤ و٣٧٢ وعلقه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٦٦.

٢٦- تفسير الشعراوي، الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل بيانات، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر:١٩٩٧م)، ص٣٦٠٨-٣٦١٠.

عمر خويا
باحث دراسات إسلامية



النظامية ببغداد: مدرسة حكومية رائدة

هذه محطة مشرقة تستحق الوقوف عندها؛ لعلنا نستضيء بها من أجل إزالة العتمة المخيمة على واقعنا التعليمي المعاصر: المدرسة النظامية بحاضرة العالم الأولى آنذاك بغداد، بناها الوزير الصالح أبوعلي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، الملقب نظام الملك (٤٠٨-٤٨٥هـ)، وزير الملكين السلجوقيين العادلين: ألب أرسلان وابنه ملكشاه (من ٤٥٥هـ إلى ٤٨٥هـ) أيام الخلافة العباسية في القرن الخامس الهجري، وذلك سنة ٤٥٧هـ. وقد نجحت المدرسة في بث الوعي وتنشيط الحركة الثقافية والعلمية في المجتمع الإسلامي آنذاك. وقد كان من مقومات ريادتها في أداء رسالتها التعليمية:

● اختيار المكان المناسب للمدرسة: فأول مدرسة نظامية بنيت هي مدرسة بغداد، وهي حينئذ الحاضرة الأولى في العالم، ومركز الخلافة والقيادة والتوجيه الفكري الذي يراهن عليه كل من أراد أن يملك كل مناطقها الشاسعة. ومن ثم يكون نجاح رسالة المدرسة بهذه المدينة هو ذاته نجاحها في باقي المناطق مهما بعدت؛ لأن عامة المسلمين يدينون بالولاء للخليفة ببغداد.

● توفير الإمكانات المادية والمعنوية لتيسير بلوغ الهدف: ازدهر الوقف آنذاك، وبنى النظام حول نظامية بغداد أسواقا، وابتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين، أوقفها عليها، وكان الأساتذة والطلاب والخدم والحراس يتقاضون منها رواتبهم، بل ويحصلون منها على الطعام والمبيت لمن يحتاجه منهم. ويعبر عمران المدرسة وهندستها عن مكانة العلم عند هؤلاء، ورغبتهم في توفير وسائل الراحة والتحصيل للجميع، ففيها مخازن ومطبخ ودورات مياه، وحجرات دراسية وحجرات للمبيت. وتوجد بها مكتبة ضخمة، يشفي ما بها من كتب غليل علمائها ومتعلميها.

● انتقاء هيئة التدريس من العلماء المتمكنين: حيث يجرى اختبار حقيقي للمرشح بمساءلته لمعرفة مدى تمكنه في العلوم المطلوبة، ثم مناظرته لثلة من العلماء المعروفين لتجربة حنكته في الدفاع عن مواقفه. وهذا ما فعله الوزير النظام مع الإمام الغزالي؛ حيث «ناظر الأقران بحضرته، فظهر اسمه، وشاع أمره، فولاه النِّظّام تدريس مدرسته ببغداد، ورسم له بالمصير إليها، فقدِمها، وأعجب الكل مناظرته»[١]. كما أن نظام الملك اختار أبا إسحاق الشيرازي مديرا للمدرسة حين افتتاحها؛ اعترافا بريادته في العلم، وقال عنه الذهبي: «صنف في الأصول والفروع والخلاف والمذهب، وكان زاهدا، ورعا، متواضعا، ظريفا، كريما، جوادا، طلق الوجه، دائم البشر، مليح المحاورة»[٢]. وفي بعض الأحيان يختار نظام الملك المدرس إذا وثق بمؤهلاته، فقد «كان بابه مجمع الفضلاء، وملجأ العلماء، وكان نافذا بصيرا، ينقب عن أحوال كل منهم، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه.. ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره وتدريسه، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلي به عاطله، ويحيي به حقه، ويميت به باطله»[٣].

عمران المدرسة عبر عن مكانة العلم آنذاك

وإذا ما قبلت الجهة الحكومية الوصية بأهلية المترشح «صدر الأمر بالتعيين (...) (و) سار المدرس إلى الجهة التي اختير لها، ثم يخلع عليه طرحة زرقاء وأهبة سوداء، ويحتفل به في المدرسة حين يقدم لأول مرة، ويحضر درسه كبار رجال الدولة والأساتذة والشعراء. وحين ينتهي من درسه تلقى الخطب والقصائد في الترحيب به والثناء عليه»[٤]. «وكان نظام الملك يحوط

هؤلاء العلماء برعايته ويمدهم بتأييده، حتى احتلوا منزلة عليا في البلاد التي حلوا بها، وصار لبعضهم وجاهة في بلاط السلطان كأبي إسحاق الشيرازي الذي اختاره الخليفة المقتدي في عام ٤٧٥هـ، ليحمل شكواه من عميد العراق أبي الفتح بن أبي الليث إلى السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك، فأكرماه وأجيب إلى جميع ما التمسه»[٥]. وهذا تعبير عن العناية الكبيرة بهذا الشأن حيث النظام سائد، والتشجيع والاحتفاء بالأهلية قائم من قبل ذوي الشأن في المجتمع.

وهذا شأن المدارس التي ترسم لها طريقا إلى النجاح: مكافأة المتميزين من المدرسين تشجيعا لهم وتحفيزا لغيرهم، واعتبار الكفاءة الأخلاقية والمعرفية والعلمية والعقلية واللغوية في أساتذتها. والمعلوم أن أي مدرس خلا من تلك الشروط فإنه يصير حملا ثقيلا عديم الهيبة وضعيف التأثير.

● تمتين بنية هيئة التدريس: فهي مرتبة من الأعلى إلى الأدنى كما يلي:

- المدرس: وهو المقدم في التدريس الذي وقع تعيينه بالطريقة المذكورة سالفا. وهو إن لازمته كفاءته، وثبتت قدمه في التدريس ولم تزل، بقي في منصبه إن شاء حتى الوفاة، وهو ما حدث لأبي إسحاق الشيرازي والكيا الهراسي.

- النائب: وهو المكلف بالتدريس محل المدرس إذا عرضه عارض منعه من أداء مهمته. ولا بد أن يكون النائب مؤهلا للتدريس، وهو دون مرتبة المدرس.

- المعيد: ووظيفته هي إعادة الدروس، ومساعدة المتعلمين على فهمها؛ لذلك فالمدرس يختاره من بين طلبته النابغين وواسعي الإطلاع. وقد يكون لمدرس واحد معيدون كثيرون بحسب حاجته. كما أن المتعلمين أيضا درجات، منهم المبتدئ والمتوسط والمتقدم. ومن أكمل



دروسه ولازم أستاذه سمي «صاحبا»، وقد يحظى بفرصة اختياره معيدا أو ناسخا لمؤلفات شيخه تحت إشرافه[٦].

أوقات المتعلمين

المستفاد مما سبق أنه لا مجال لإهدار أوقات المتعلمين، فالمدرس يمنعه حياؤه، وإذا منعه مانع من الحضور فنائبه مؤهل لتعويضه. والمستفاد منه أيضا أن التنافس بين الطلبة لتولي منصب المعيد قائم. والمعيد تتاح له فرصة تجريب قدراته وإبراز مهاراته حين إعادة الدروس، فهو بهذا مشروع مدرس يكتسب الكفاءة، ويعد نفسه عمليا للتدريس في المستقبل.

● أصالة الكتاب المدرسي: أقصد بذلك أن الكتاب المعتمد في الدرس هو مجموع محاضرات الأستاذ العالم. والأستاذ غالبا هو شخصية معروفة بالتأليف؛ لأن الإنتاج العلمي هو من الأسس المعتمدة في اختيار المدرس بنظامية بغداد، خاصة في عهد الوزير نظام الملك. وكان الطلبة ينسخون ما يسمعون، ويتبادلون النسخ المصححة أو المجازة من مؤلفها، ثم يتناولونها بالمناقشة والمدارسة والتداول. وكان من عادة الأساتذة أنه إذا أتم أحدهم كتابا احتفلوا به ودعوا لصاحبه. من ذلك احتفال الجويني بتصنيف كتاب «نهاية المطلب في دراسة المذهب»، الذي درسه للخواص من تلاميذه، وعقد مجلسا حضره كبار الأئمة لأجل ختمه[٧]. ونشهد أن تصانيف بعض أولئك الأساتذة مازالت تدرج ضمن مصادر ومراجع موادنا الدراسية إلى الآن.

هكذا يكون الكتاب المدرسي عاملا ومظهرا من مظاهر نجاح المدرسة، فهو إنتاج خالص ورفيع وأصيل للمدرس والطلبة، وهو من المحاور الفعالة في العملية التعليمية تلقيا ومدارسة ونقدا ونسخا وإجازة. والأكيد أن مضمونه يخدم الغاية النبيلة من إنشاء المدرسة ابتداء.

● تنوع طرق التدريس: يقوم الدرس بالنظامية أساسا على الإلقاء. فحول المدرس يتحلق التلاميذ، يلقي عليهم



محاضرته فيتلقونها منه. لكن الطريقة فعالة في تحقيق المطلوب؛ لأنها تكون مصحوبة أو متبوعة بالمساءلة والاستفسار والنقد من قبل الطلبة. وبعد انفضاض المجلس تكون المراجعة من أجل التصحيح والتثبيت والحصول على الإجازة من الأستاذ. يحكي الرحالة ابن جبير عن مشاهدته لدرس من دروس نظامية بغداد، قال: «فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القزويني، رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية. حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة، الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة فتوقوا وشوقوا، وأتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة (أراد بها مشجية) مطربة. ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور خطب خطبة سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عزوجل، وإيراد حديث رسوله ﷺ، والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب، فأجاب وما قصر، وتقدم وما تأخر، ودفعت إليه عدة رقاع فيها فجمعها جملة في يده، وجعل يجاوب على كل واحدة منها (...) إلى أن فرغ منها»[٨].

تنوير العقول

بات هدف نظام الملك من إنشاء المدرسة واضحا، وأصبح تنوير العقول وهداية القلوب وتوحيد الأقطار بجمع الناس على مذهب الشافعي وعقيدة الأشعري هو مرامه، وكذلك درء المفاسد المترتبة على انتشار المذاهب الضالة في المجتمع؛ لذلك اشترط لتولي التدريس فيها اعتناق العقيدة المعلومة، واتباع المذهب المذكور أصلا وفرعا. وهكذا ركز منهج التدريس فيها على فقه الإمام الشافعي وأصوله، بالإضافة إلى أصول عقيدة أبي الحسن الأشعري، أما باقي العلوم الإسلامية الأخرى كالقرآن والحديث، والكلام والنحو والبلاغة فهي لازمة ومكملة. وفيما يتعلق بأجرأة هذه المواد فقد ذكر صاحب كتاب «نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية»: «وكان تسلسل المنهج وتطبيقه تربويا سليما إلى حد كبير، فقد دلتنا التراتيب التعليمية التي وصلتنا على أن مناهج الدروس التي يسير بموجبها الطلبة تتدرج من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب؛ إذ تبتدئ بالعلوم النقلية، التي تعتمد على اللسان ومقوماته، ثم تنتقل بالطالب إلى العلوم العقلية، التي تعتمد على التفكير.. ومن هنا كان النحو والصرف بداية المرحلة الدراسية الطويلة، وكان الفقه وأصوله هما النهاية التي ترافق الطالب إلى اللحد.. وذلك لأن الفقه بمعناه الخاص فلسفة التشريع على اختلاف مذاهبه، وهي مرحلة الاجتهاد في الحقوق والمعاملات التي تستغرق بقية العمر»[٩].

وذكر أن الدروس تكون في حلقات دائرية حول الأستاذ وهو على

منصته، وقد يكثر الطلبة بحيث لا يبقى فراغ في الدائرة، ويحضرها أحيانا أساتذة وطالبات. ثم يضيف عن أساليب التدريس قائلا: «وتدلنا الأساليب الباقية لتلك الحلقات أن الطلبة كانوا أحرارا في اختيار أساتذة المادة التي يرغبون في التخصص فيها، وأن اختيارهم هذا كان موفقا ومجديا، وأن المناقشة والجدل، وبخاصة في مسائل الخلاف، من أهم الوسائل التعليمية آنذاك، وأن الطلبة كانوا أحرارا في مناقشتهم على ألا يتعدى حدود الآداب المألوفة، حتى ألف المعنيون بالتربية وأصول التدريس كتبا فيها. وكانت المحاضرات تتخللها الدعابات والنوادر، بحيث اتخذ الأساتذة من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مثالا على ذلك»[10]. ثم ذكر أن لدى الأساتذة حرية واستقلالا ضمن القواعد العامة للنظامية؛ كي يختار الطريقة المناسبة لإنجاز درسه، وللطلبة أن يفاضلوا بينهم بموجبها، قال أبو الفتح المقدسي: «صحبت إمام الحرمين الجويني، ثم قدمت العراق فصحبت الشيرازي، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي»[11].

طرائق التدريس

تبين مما سلف أن طرائق التدريس، وإن كان الإلقاء سيدها فإن القرائن التي تحيط به تجعله جديرا بتلك المنزلة، ومنها:

- فصاحة اللسان وطلاقته: فالمدرس من شرائط انتخابه: حسن إقناع المخاطب؛ إذ كيف يناظر غيره ويدوم درسه إذا لم يكن متأنيا في الكلام، فصيح اللسان باللغة العربية، طليقه.

- الإقبال على الطلبة، والقرب منهم: والدليل على تحققه هو شكل مجلس الدرس الذي يكون دائريا والأستاذ يتوسطه.

- التنويع في الأسلوب: حتى لا يمل الطالب ويدخله الفتور. فهذا أبو إسحاق الشيرازي شيخ النظامية يدخل في درسه الملاطفة والنوادر والمداعبات، فوصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء بأنه «طلق الوجه، دائم البشر، مليح المحاورة»، بالإضافة إلى أن السؤال والنقاش والاستفسار ممكن عند الدرس؛ حيث يفتح باب الحوار.

- اقتران العلم بالعمل: فالأولى بالتزام الخير، واتباع الحق هو الأستاذ؛ فهو القدوة لتلاميذه، يرون في حاله ما ينطق به مقاله، فيتبعونه. أما إذا خلا قلبه من الإخلاص لله، وخالف قوله فعله، فلن يكون لنصحه، ودلالته على الخير أثر. وقد كانت شمائل أساتذة النظامية تنبئ عن حسن سيرتهم في الناس، واجتهادهم في تطبيق أوامر الشرع. ومنهم أبو إسحاق الشيرازي، والغزالي، وأبو نصر بن الصباغ، وغيرهم.

- الأدب الجم للعالم والمتعلم: وتدل عليه جودة التحصيل، ومكانة العلماء في قلوب التلاميذ وعامة الناس، قال الذهبي: «لما قدم أبو إسحاق نيسابور رسولا تلقوه، وحمل إمام الحرمين غاشيته[12]، ومشى بين يديه وقال: أفتخر بهذا»[13].

● نبوغ خريجي المدرسة: بعد سنوات من الدرس، ولما يأنس الطالب أنه قادر على التصدي للعلم، يعلن ذلك بين شيوخه وزملائه، فتعقد له جلسة خاصة للاختبار، ويمنح الإجازة في تخصصه. وعند مراجعة تراجم المتخرجين يثبت صدق ما قاله أبو إسحاق الشيرازي: «ما دخلت قرية أو بلدة في خراسان إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو صاحبي»[14]، ومنهم أبو علي الفارقي (ت٥٢٨هـ)، وأبو العباس الجرجاني (٤٨٢هـ).

الهوامش

١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.٦٢/١١.

٢- سير أعلام النبلاء. الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٤٥٤/١٨.

٣- دولة السلاجقة، وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، علي محمد محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. ص٢٨٥.

٤- نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (٤٠٨هـ - ٤٨٥هـ)، كبير الوزراء في الأمة الإسلامية دراسة تاريخية في سيرته، وأهم أعماله، خلال استيزاره عبد الهادي محمد رضا محبوبة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، رمضان ١٤١٩هـ - يناير ١٩٩٩م. ص ٣٥٦-٣٥٧.

٥- دولة السلاجقة ص٢٨٦.

٦- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ص٣٥٦-٣٥٧.

٧- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ص٣٥٨-٣٥٩.

٨- رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت: ٦١٤هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (دت) ص ١٩٥.

٩- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ص ٣٥٩-٣٦٠.

١٠- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ص٣٦٠-٣٦١.

١١- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ. ٣٥٣/٥.

١٢- غطاء سرج الفرس. (لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر- بيروت الطبعة الأولى (دت). ١٢٦/١٢).

١٣- سير أعلام النبلاء، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ٤٥٦/١٨.

١٤- نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، ص ٣٧٣- ٣٧٤.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي





أمة اقرأ

في لحظة فارقة من تاريخ البشرية امتن الله سبحانه وتعالى على الأمة ببعثة النبي ﷺ عربيا أميا لا يقرأ ولا يكتب، بعث وسط أمة تقدس الكلمة وتنفرد بين الأمم بأنها كانت تقيم لها معرضا ضمن فعاليات سوق عكاظ، والذي كان بمثابة مجمع أدبي لغوي رسمي، له محكمون تضرب عليهم القباب، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم، فما استجادوه فهو الجيد، وما بهرجوه فهو الزائف.

حيث كان الخطاب الرباني الذي نزل به أمين الوحي جبريل في أول لقاء مع النبي الخاتم ﷺ: ﴿اقْرَأْ﴾ هذه الكلمة كانت الإرهاصات الأولى للرسالة المحمدية وإيذانا بميلاد أمة ذات حضارة تكون فيها القراءة عمودا من أعمدتها، ومفتاحا للرقي والتقدم الحضاري وسيادة الأمم وريادتها.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق:١-٥).

خصائص القراءة من منظور إسلامي

تميزت القراءة بخصائص، تدل على منزلة القراءة ومكانتها ومن أبرزها ما يلي:

١- هي أول ما أمر الله به عبده ورسوله وصفيه محمدا ﷺ، وهي أول أمر كلف الله به عباده المؤمنين، وهذا يدل على أهمية هذا الأمر وخصوصيته من بين سائر ما أمر الله عزوجل به. والمبادرة إليها تعتبر من أعظم أبواب المسارعة للخيرات، وهذا يؤكد مبدأ العلم قبل القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد:١٩).

٢- أن القراءة اختص الله بها الإنسان دون سائر الحيوانات، فالخطاب له دون غيره في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، وذلك لأن القراءة من لوازم العقل والإدراك،

وهي داخلة في معنى التكريم الذي شرف الله به بني آدم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

٣- أنها عملية اختيارية تعليمية، ترك للإنسان تخير ما يقرأه، ولكنه رغب في قراءة ما ينفعه في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، بعكس ما يسمعه الإنسان أو يشمه ونحوهما فإنها كثيرا ما تفرض عليه، والإنسان مفطور عليها، ودائما ما يفعله الإنسان باختياره يجد فيه المتعة واللذة، ولذا كثير من الناس يجدون أنفسهم في القراءة، بل أصبحت هواية عند بعض الناس في كل الأوقات ومختلف الأحوال.

٤- أنها تتم بتفاعل روحي وعقلي وعضوي، فهي عملية متداخلة معقدة يتعرف الإنسان من خلالها عظمة خلقه ودقته؛ ولذا ذكر بعدها الخلق، كما قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، ويستمتع الإنسان من خلالها بنعم كثيرة أكرمه الله بها، من سمع وبصر ولسان وعقل، ولذا ذكر كرمه بعد الأمر بها، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ (العلق:٣)، فهي معرفة ومبصرة للإنسان بقدرة الله، ونعمه، وكرمه عليه، بل وعلمه وحكمته ورحمته بالإنسان، إذ علمه كيف يقرأ، وهيأ له الأسباب التي تؤهله لفعل هذا الأمر الإلهي.

٥- أنها من المهارات التي لا يمكن أن يكتسبها الإنسان إلا عن طريق التعلم والتدرج عبر الليالي والأيام، يتعرف الإنسان من خلالها عجزه وضعفه وهو يواجه في بداية أمره صعوبة في نطق الحروف وربطها، ثم ترتيب الكلمات وحفظها، سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، ولذا صارت القراءة من دلائل النبوة، إذ إن النبي ﷺ وحده هو الذي تعلمها بقوله تعالى له: ﴿ٱقْرَأْ﴾ فتعلمها مباشرة بتعليم الله له، ونحن نتعلمها من بعضنا عبر طرق التعليم المعروفة، وهذا يدل على كمال قدرته جل وعلا، فالله عز وجل أمره بين الكاف والنون، فقد صار النبي ﷺ قارئا بأمره تعالى له ﴿ٱقْرَأْ﴾ وهذا خلاف عادة البشر المعروفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكون محمد ﷺ كان نبيا أميا هو من تمام كون ما أتى به معجزا خارقا للعادة، ومن تمام بيان أن تعليمه أعظم من كل تعليم، فغيره يعلم ما كتبه غيره، وهو علم الناس ما يكتبونه، وعلمه الله ذلك بما أوحاه إليه»[1].

٦- التأثير المباشر والسريع والكبير على الإنسان، فإذا كانت القراءة سليمة كانت النتائج سليمة والعكس بالعكس، ولهذا يقولون: «قل لي ماذا تقرأ أقل لك من أنت»، ومن هنا شرع تزكية النفس من خلال قراءة القرآن والأذكار وغيرها، وكان تأثير القرآن إذا تلي كبيرا على النفوس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:٢)، فالقراءة تحدث تأثيرا فكريا وثقافيا ونفسيا، بل واجتماعيا وأخلاقيا كبيرا، لأن القارئ يتأثر بالمقروء، وبمن يقرأ لهم، حتى ولو لم يرهم أو يعش في عصرهم، ومن هنا فمن أكثر قراءة القرآن مثلا زاد ارتباطه وحبه ومعرفته وتعظيمه لله عزوجل، ومن أكثر قراءة أحاديث النبي ﷺ ازداد محبته وتوقيره ومعرفته برسول الله ﷺ، ومن أكثر القراءة لعالم معين تأثر في الغالب بأفكاره، وأصبح له ميل قلبي ومحبة داخلية له.

ومن هنا تظهر أهمية القراءة وما تحدثه من تغيير وتطوير في عقل الإنسان وفكره، وينبغي لكل مرب أن يهتم ويلتفت بشدة لما يقرؤه طلابه وأولاده.

٧- أنها أنيس وصاحب للإنسان في الوحدة والغربة، يجد من خلالها الإنسان متعته، وتذهب عنه الحزن، وتشرح صدره، وتصلح باله، أو تكون عوضا له عما فقده بفراق أصحابه، إذ يجد الإنسان من خلالها عيون الحكم، وخلاصات النتائج والأفكار، وتذهب عنه الركود النفسي، لأن القراءة تنشط العقل، وتؤدي إلى المحافظة على الوقت، وتجعل الإنسان أكثر وعيا وإدراكا، لذا تجد أغلب القراء أقل الناس نوما وكسلا؛ بل حتى وانحرافا، وأكثرهم تبصرا بأمور الدين والدنيا، وذلك لأنها تبعد الإنسان عن فضول الخلطة، والنوم والكلام، لأنه يكون في حالة ذكر دائم لله عزوجل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)[2].

حال العرب مع القراءة قبل الإسلام

اتصف العرب قبل الإسلام بأنهم أمة أمية، وأكدها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢) والنبي ﷺ نفسه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف:١٥٧).

وجاء في الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين» (متفق عليه).

وعلى هذا يمكن توصيف حال العرب مع القراءة قبل الإسلام من خلال النقاط التالية:

١- أن الأمية كانت تضرب أطنابها في بلاد الحجاز، والأمية في البادية يكاد يكون عليها الإجماع تاما، أما وجود فئة من القادرين على القراءة والكتابة في الحضر، وبين بعض البدو أمر لا يمكن نكرانه.

٢- أن القراءة والكتابة وعدد المتعلمين كان بقدر حاجة العرب إلى التعليم وبقدر حاجتهم إلى من يقرأ ويكتب، فلم تكن القراءة عندهم بالأمر المهم، وكان إقبال الفقراء على تعلم القراءة والكتابة بقدر فطنتهم وذكائهم لا بقدر حاجتهم، وبالنسبة للأغنياء فقد كانت حاجتهم إليها في تصريف شؤونهم التجارية.

٣- أن العرب لم يكونوا أهل كتاب يطلب منهم قراءته والتعبد به كحال اليهود والنصارى، وهذا من عوامل زهدهم في تعلم القراءة والكتابة أيضا.

٤- أن العرب من أهل البادية كانوا يعتبرون تعلم القراءة والكتابة عيبا واجب كتمه ومن الروايات الدالة على ذلك ما جاء عن عيسى بن عمر قال: «قال لي ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلت له أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أي: اكتم عني فإنه عندنا عيب»[٣].

أثر الإسلام في الحث على تعلم القراءة والكتابة

أعلى الإسلام من قيمة العلم والعلماء وجاء ذلك في آيات الذكر الحكيم نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨).

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).

ومما جاء في السنة: عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما؛ سلك الله به طريقا من طرق الجنة، والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود)[٤].

وإذا كان هذا من فضل العلم والعلماء في الإسلام، فإن القراءة هي السبيل الموصلة للعلم في كل المجالات لاسيما أشرفها علوم الشريعة، ولأهمية القراءة كان الأمر الأول الموجه للأمة ممثلة في شخص النبي ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ في إشارة لأهمية القراءة والتعليم، وفي تأكيد على أهمية القراءة تأتي السورة الثانية في ترتيب النزول وهي سورة «القلم» حيث اسم السورة القلم وهو أداة الكتابة وتبدأ السورة بحرف «ن» وهو من حروف الأبجدية العربية التي لابد من إتقانها لإجادة القراءة والكتابة، ثم يقسم سبحانه وتعالى بـ «القلم» تعظيما لشأن وقيمة الكتابة.

ومن المواقف العملية التي وردت في كتب السنة والسير، والتي يستدل بها على مكانة القراءة والكتابة والحث على تعلمها:

أولا: اتخاذ النبي ﷺ كتابا للوحي من الصحابة رضوان الله عليهم، فأي شرف وأية مكانة أن يكون الرجل من كتاب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، وقد اختلف أهل السير في تحديد عدد كتاب الوحي، فمنهم من جعلهم ثلاثة عشر، ومنهم من جاوز بهم العشرين، وجعلهم ابن كثير ثلاثة وعشرين كما في البداية والنهاية.

ثانيا: اختيار النبي ﷺ للصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه، ليكون رسوله ومبعوثه إلى المدينة المنورة قبل الهجرة، معلما لأهلها أمور دينهم، وممهدا لهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، رغم أن في صحابة النبي ﷺ من هم أسبق إلى الإسلام وأكبر سنا من مصعب، إلا أن كفة مصعب رجحت عليهم لمعرفته بالقراءة والكتابة.

القراءة والحضارة

تتميز الحضارة الإسلامية بأنها ربانية، بناؤها الفكري مستمد من قواعده من الكتاب والسنة المطهرة، وهذا البناء الفكري على عظمته وشموخه يحتاج إلى وسائل تطبيقية واقعية تساهم في بناء الحضارة الإسلامية بناء واقعيا مشاهدا ومن هذه الوسائل: السعي إلى معرفة حقائق الأمور وخصائص الأشياء، وسائر صفاتها والأعمال ونتائجها عن طريق التعلم والتعليم، وتجمع هذه الوسيلة طائفة من عناصر البحث، منها الشغف بالعلم، وحب البحث والمتابعة لإدراك حقائق الأمور، ومنها حث الحضارة الإسلامية على العلم، وتمجيدها للعلماء والمتعلمين،

ومنها بيان طرق اكتساب المعارف والعلوم، وموقف الإسلام منها[٥].

والقراءة هي السبيل الموصلة إلى كل هذه الأمور فهي مفتاح العلم والتعلم والتعليم، وقد أبدعت الحضارة الإسلامية في تعاملها معها عن طريق مأسستها.

مأسسة القراءة

تجاوبت الحضارة الإسلامية مع إعلاء الإسلام لقدر العلم والعلماء، وحثه على طلب العلم، وثنائه على طلابه وتشجيعهم على مواصلة التعلم، من خلال توفيرها لمؤسسات تعليمية لتعليم وتعلم شتى فروع العلم والمعرفة وفي مقدمتها القراءة والكتابة، وتعتبر المدارس والمكتبات دليلا على ذلك.

أ- المدارس:

أبدعت الحضارة الإسلامية في تعاملها مع القراءة فعملت على توفير البيئة المكانية المناسبة لتعلم القراءة، ويعتبر المسجد هو المؤسسة الأولى للتعلم والتعليم، وكان يلحق بالمسجد «كُتّاب» لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، وبنمو وتوسع دولة الخلافة الإسلامية عبر مختلف العصور، وازدهار حضارتها، أنشئت المدارس النظامية والتي كانت معلما بذاتها يشهد على ما أولته دولة الخلافة للعلم والتعليم حيث أوقفت عليها الأوقاف للأنفاق عليها لضمان سير العملية التعليمية بها وعدم توقفها، كما وضعت لها الأنظمة التربوية والإدارية التي تضبط أداء الطلاب، وتنظم عمل المعلمين.

ب- المكتبات:

عرفت الحضارة الإسلامية أنواعا متعددة من المكتبات لم تعرفها أي حضارة أخرى، ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية؛ مما يؤكد على تأصل حب العلم لدى أبناء هذه الحضارة.

وكان من جملة ما عرفته الحضارة الإسلامية من مكتبات:

- المكتبات الأكاديمية: ومن أهمها مكتبة بغداد «بيت الحكمة».
- المكتبات الخاصة: انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد، ومن أمثلتها: مكتبة الخليفة المستنصر.
- المكتبات العامة: وهي مؤسسات ثقافية يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها؛ ليكون في متناول الجميع دون تمييز؛ وكان من أمثلتها: مكتبة قرطبة، وأيضا مكتبة بني عمار في طرابلس الشام.
- المكتبات المدرسية: حيث أولت الحضارة الإسلامية اهتمامها لإنشاء المدارس من أجل تعليم الناس جميعا، وقد ألحقت المكتبات بهذه المدارس، وهو الشيء الطبيعي المكمل لهذا الرقي والازدهار.
- مكتبات المساجد والجوامع: ويعتبر هذا النوع من المكتبات الأولى في الإسلام؛ حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد، ومن أمثلتها: مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان[٦].

ثمرات القراءة

من البديهي أن ممارسة الكتابة تتطلب وجود نص مكتوب، حيث إن القراءة والكتابة وجهان لعملة واحدة لا ينفكان، وبدون إحداهما لا تصلح الأخرى، وإذا كان الإسلام قد حض على القراءة فإنه حض أيضا على الكتابة لتكتمل جوانب العملية المعرفية، فجاء في الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قيدوا العلم بالكتاب».

وفي رواية للحاكم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «قيدوا العلم قلت: وما تقييده؟ قال: كتابته» (رواه الطبراني والحاكم).

وكان أول ما تمت كتابته وتدوينه على عهد النبي ﷺ هو القرآن الكريم وكان هذا هو التدوين الأول، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان التدوين الثاني، فقد أمر بجمع ما كتبه الصحابة من سور وآيات القرآن في مصحف واحد ولكن دون ترتيب للسور، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان التدوين الثالث للقرآن في مصحف واحد بالصورة التي بين أيدينا الآن، وعلى هذا فإنه إذا كان أول كلمة وأمر في القرآن كان بالقراءة، فإن أول كتابة وتدوين كان للقرآن الكريم، ليبدأ معه المسلمون عهدا جديدا من القراءة والكتابة في كافة العلوم.

وقد كان لوجود القرآن الكريم مكتوبا بين دفتي المصحف الشريف أكبر الأثر في ظهور علوم القرآن وتدوينها وأول ما دون منها هو علم التفسير.

وبالنسبة للسنة المطهرة، فقد بدأ الصحابة في تدوينها في عهد النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «ليس أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ مني إلا عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب» (رواه الترمذي).

وأما تدوين السنة تدوينا عاما، فقد بدأ في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وهذا التدوين للقرآن والسنة كان سببا في خروج كل العلوم الشرعية وما يرتبط بها، والتي بدورها أنتجت للأمة مئات الألوف من الكتب والمجلدات والمصنفات في شتى علوم الشريعة والتي حفظت على الأمة دينها وعقيدتها، وتوارثها المسلمين جيلا بعد جيل، وكانت وما زالت بمثابة

الجامعة التي تخرج فيها كل علماء الأمة حتى وقتنا الحاضر.

حال الأمة اليوم مع القراءة

من العلامات الحضارية المميزة للأمة الإسلامية أنها «أمة اقرأ» وكانت هذه الصفة غالبة عليها أفرادا وجماعات، ولكن عندما تخلت عن دينها وراحت تبحث عن العزة والسمو في ظل حضارات مادية ملحدة، ضلت وذلت، ففي الحديث: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» (رواه البخاري).

والحياة في حجر ضب الحضارة الغربية، أدت بكثير من المسلمين إلى الانبهار بثقافة الغرب وإنتاجه العلمي، والزهد في تراث المسلمين وإنتاجهم الفكري والعلمي، فنرى فريقا كبيرا من أبناء المسلمين يقبل منبهرا على قراءة كل ما ينتجه الغرب والمرتكن إلى قيم وأفكار وفلسفات تعلي من القيم الدنيوية النفعية فيعتنق هذه الفلسفات والأفكار ويتخذها منهج حياة، رغم أنها تنافي عقيدة المسلمين.

وفريق ثان من أبناء المسلمين توقف عند ما خلفه لنا عظماء الأمة من تراث فكري وعلمي وبقي على حالة دون محاولة للاستفادة من هذا التراث العظيم والتعامل من خلاله مع متغيرات ومستجدات العصر الذي نعيشه.

وفريق ثالث دفعه الحماس إلى نصرة الدين وسيادة الأمة إلى الالتزام بقراءة الإنتاج العلمي الذي يخص أشخاصا بعينهم فيعتنق أفكارهم، ويرى فيها المشروع الحق الذي لا محيد عنه.

وهؤلاء جميعا في حاجة إلى الرجوع إلى المنظور الإيماني للقراءة المستمد من القرآن والسنة، والالتزام بموجهاته حتى تثمر القراءة فقها وفهما شرعيا وكونيا يقوم عليه المشروع الحضاري المأمول لتقدم المسلمين وسيادتهم، ومن أهم الموجهات الإيمانية للقراءة قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق:١-٥)

يتبين من خلال الآيات أن القراءة يجب أن تكون باسم الرب ومع الرب، فهو استحضار دائم للعناية الربانية بهذا المخلوق الذي خلق وهو لا يعلم شيئا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨).

فالإنسان مدين لله في خلقه وعلمه ومعرفته، وهو بذلك غير مستغن عن الله عزوجل، بل دائما، في حاجة إلى المدد الإلهي والفتح الرباني، ومن ظن أنه مستغن عن الله في تحصيله المعرفي فهو طاغ في الأرض ظالم لنفسه.

فالقراءة باسم الرب ومع الرب تنتج حضارة ربانية قرآنية، حضارة قلبها التوحيد وطابعها التزكية وهدفها العمران والصلاح في الأرض، والقراءة المستغنية عن الله هي قراءة إلحادية تكفر نعم الله، إلا أنها رغم ذلك تنتج حضارة ولكن ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب لأنها مفتقرة إلى الرشد الرباني القرآني.

فالربانية في القراءة باسم الرب ومع الرب هي بمثابة عاصم من الوقوع في حبائل الشيطان وسبله ومكايده، إن هذه الربانية تهدي إلى الرشد والصلاح وتسير بالإنسان سويا على الصراط المستقيم[٧].

وهذا يؤكد على دور علماء الشريعة في توضيح الضوابط الشرعية التي تنظم عملية القراءة ومناهجها بما يتوافق مع الدور الذي يؤديه المسلم في مجتمعه، فقراءة العالم تختلف عن قراءة طالب العلم، وما يقرؤه السياسي أو الاقتصادي يختلف عما يقرأه التاجر أو الطبيب وهكذا.

كما يجب ضبط المحتوى العلمي ضبطا شرعيا بما لا يتعارض مع الثوابت العقدية ومع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهذا لا يتعارض مع حرية الفكر أو القراءة والكتابة.

كما يقع على عاتق الحكومات الإسلامية تشجيع القراءة عن طريق طرح جوائز ومسابقات للكتابة والبحوث في كافة المجالات، وتيسير كافة السبل المؤدية إلى ذلك مثل: نشر الكتب المفيدة، وإنشاء المكتبات العامة، وإطلاق مشاريع المكتبات والفهارس الإلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية، هذا مع تفعيل مناهج القراءة في مختلف المراحل الدراسية بصورة تؤدي إلى تخريج أجيال تقدر قيمة القراءة وتتعامل معها من منظور إيماني حضاري.

الهوامش

١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٦٦/١٦، ٢٦٧).
٢- طه عابدين طه: فقه القراءة من منظور قرآني، موقع ملتقى أهل الحديث، www.ahlalhdeeth.com.
٣- استبط الباحث هذه المعلومات وعرضها بأسلوبه من: سامي جودة: القراءة والكتابة عند العرب قبل الإسلام وعصر النبوة، مجلة آداب ذي قار، العدد(٦)، المجلد(٢)، حزيران، يوليو (٢٠١٢م).
٤- حسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.
٥- عبدالرحمن حسن حبنكة: الحضارة الإسلامية، أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم (ص:٢٧٢).
٦- المكتبات في الحضارة الإسلامية - بتصرف واختصار من الباحث - موقع قصة الإسلام islamstory.com-.
٧- نعيمة لبداوي: من تجليات مفهوم القراءة في القرآن الكريم - موقع مركز الدراسات القرآنية www.alquran.ma.



د. أحمد عبدالباسط
معهد المخطوطات العربية
الألكسو

حوامل المخطوط العربي الماهية والتاريخ

المخطوط كتاب، ولا يوجد الكتاب في أي مجتمع من المجتمعات إلا إذا توفرت مقومات ثلاثة، هي: وجود كتابة وكتاب يكتبون، ووجود مواد صالحة للكتابة وتكوين الكتب، ووجود نص تراثي يحرص الناس على تسجيله واقتنائه.

كما أنه من المتعارف عليه قديما وحديثا أن لصناعة الكتاب المخطوط أركانا أربعة حتى يستوي على سوقه، هي: الحامل (الورق)، والمداد (الحبر)، والقلم (الخط)، والتجليد (التسفير).

وقديما عرف الأوائل أشكالا عدة من الحوامل دونوا عليها كتاباتهم المختلفة، وأشاروا إليها في أشعارهم التي تناقلتها دواوين الكتب عنهم بعد ذلك، حتى إذا نزل الوحي على النبي المصطفى ﷺ وجدنا الكتبة من الصحابة يكتبون كلام الله في أوعية بدائية أوجدتها البيئة التي كانوا يعيشون فيها آنذاك؛ ففي حديث الزهري أنه قال: «قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب والقضم والكرانيف»[1]. ويقول زيد بن ثابت حين أمره الخليفة الأول أبوبكر الصديق بجمع القرآن: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال»، وفي رواية: «من العسب والرقاع والأضلاع»، وفي رواية: «من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال»[2].

غير أن كثيرا من هذه المواد المكتوب

عليها آنذاك لم تكن لتكون الكتاب المخطوط الذي وصل إلينا في هيئته الحالية (Codex form)؛ وإنما ثمة أنواع ثلاثة من الأوعية (الحوامل) استطاعت أن تؤدي إلينا مهمة الحفاظ على المحتوى العلمي للمخطوط العربي في شكله الذي نعرفه اليوم، وإن اختلفت نسبتها، وعدد ما وصلنا من كل نوع. وهذه الأنواع هي:

١- البردي.

٢- الرق.

٣- الكاغد.

أولا: البردي

مادة قديمة حديثة، عرفه القدماء المصريون منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد واستخدموه للكتابة والتدوين عليه، وعرفته بلاد الرافدين وصقلية أيضا.

كما عرفته جزيرة العرب قبل مجيء الإسلام، وذكروه في أشعارهم، من ذلك قول عبيد بن الأبرص مشبها استواء عظام محبوبته بنبات البردي في استوائه وانسجامه:

خود مبتلة العظام كأنها
بردية نبتت خلال غروس

وكقول زهير بن أبي سلمى مشبها أطراف أصابع محبوبته بنبات البردي:

وكأنها يوم الرحيل وقد بدا
منها البنان يزينه الحناء
بردية في الغيل يغذو أصلها
ظل إذا تلع النهار وماء

أما عن صناعته في ظل الدولة الإسلامية فقد نقل لنا ابن البيطار في (جامع المفردات) نقلا عن أبي العباس النباتي رواية مفصلة لصنعة لا تختلف كثيرا عن روايات الآخرين، ولا عما ذكره المستشرق النمساوي أدولف جروهمان في محاضراته عن أوراق البردي العربية[٣]. يقول: «وصفة عمل القرطاس عند المصريين في الزمان الأول: كانوا يعمدون إلى سوق النوع، فيشقونها بنصفين من أولها إلى آخرها، ويقطعونها قطعا قطعا، وتوضع كل قطعة منها إلى لصق صاحبتها على لوح من خشب أملس. ويأخذون ثمر البشنين ويلزجونه بالماء، ويضعون تلك اللزوجة على القطعة، ويتركونها حتى تجف جدا، ويضربونها ضربا لطيفا بقطعة خشب تشبه الأرزبة صغيرة حتى يستوي من الخشن، فتصير في قوام الكاغد الصرف المتلئ، ويستعملونه في العلاج»[٤].

ورغم ما ذكره جروهمان من أن استخدام البردي «عرف قبل ظهور الإسلام، وسرى استعماله مدة ثلاثة قرون»، فإن ما ذكره البيروني (ت٤٤٠هـ) - في معرض حديثه عن مميزات البردي - يدلل على أنه امتد استخدامه لما بعد ذلك، إذ يقول: «فإن القرطاس معمول بمصر من لب البردي، يبرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا؛ إذ ليس ينقاد لحك شيء منه وتغييره بل يفسد به»[٥].

ورغم ما كان يغلب على الظن من أن مادة (البردي) لم تكن تستخدم إلا في شكل لفافات دونت فيها رسائل وصكوك وعقود بيع وشراء وزواج... إلى غير ذلك من الوثائق، فإنه لا يمكن تجاهل تلك النماذج القليلة من الكتب التي وصلتنا وهي مكتوبة على ورق (البردي)، مثل نسخة كتاب (الجامع في الحديث)، لابن وهب المصري (ت ١٩٧هـ)، المحفوظة بدار الكتب والوثائق القومية بمصر؛ الأمر الذي ذهب بـ(فرانسوا ديروش) إلى أن الشكل السائد في النصوص البردية الأدبية التي وصلتنا هو شكل الكوديكس (Codex form)[٦].

نموذج من البرديات المبكرة في الدولة الإسلامية

بردية إهناسيا، كتبت في جمادى الأولى سنة ٢٢هـ.

مجموعة الأرشيدوق رينر - المكتبة الوطنية بالنمسا.

ثانيا: الرق[٧]

يغلب على الظن أن الكتابة على جلود الحيوان (الرق) استخدمت في الشرق منذ زمن بعيد، ربما يعود إلى أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد. حتى إذا جاء الإسلام كان هو المادة الأساس الصالحة لتكوين الكتاب الأول المخطوط (المصحف الشريف)؛ فقد ذكره الله عزوجل في محكم آياته إذ يقول: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ (الطور:١-٣)، وفي حديث أم سلمة (رضي الله عنها): «دعا رسول الله ﷺ بأديم، وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله يملي وعلي يكتب، حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه»[٨].

ويطلق لفظ (الرق) على كل ما يرقق من الجلود ليكتب عليه، وعرفه دنيس ميزيريل Denis Muzerelle بأنه «جلد حيوان منتوف الشعر ومجلف، وتلقى معالجة دون دباغة (أو: بدباغة قليلة) ثم يجفف مع شدة مما يجعله قابلا للكتابة عليه من وجهيه»[٩].

وتمر صناعة الرق بعدة مراحل حتى يكون مادة صالحة للكتابة، هي:

١- اختيار الجلد المناسب: وفي هذه المرحلة عدة معايير، منها: نوع الحيوان المستخدم جلده وعمره وحالته الصحية، والمساحة المطلوبة للاستخدام والكتابة عليها، وبراعة الصانع، وخلو الجلد من الجروح والخدوش التي قد تحدث ثقوبا في الرق في شكله الأخير.

٢- المرط: ويقصد بها نزع الشعر والوبر من الجانب الشعري (الوبري)

من الجلد، وذلك باستخدام خليط من الجير والزرنيخ (النورة)، أو بالتمر كما يذكر النديم[١٠].

٣- **التعريق**: ويقصد به كشط الجانب اللحمي من الجلد وتنظيفه لإزالة بقايا اللحم والشحوم العالقة بالجلد، عن طريق آلة حادة بزاوية مائلة حتى لا ينقطع الجلد.

٤- **الصقل والتجفيف**: وذلك عن طريق شد الجلد على إطارات خشبية هيكلية تسمى (مطاطة الجلود)، ويترك لمدة كافية حتى تصلح الكتابة عليه.

٥- **الصباغة**: وهو أمر اختياري يلجأ إليه البعض لمزيد من التأنق والتفنن، ولم يكن ذلك غالبا إلا في الكتابات المصحفية، غير أن تلك الصباغة تفرض لونا معينا من المداد كالفضي أو الذهبي. ومثال ذلك (المصحف الأزرق) بالقيروان، الذي كتب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

صفحة من المصحف الأزرق، تعود كتابته إلى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بالقيروان.

ثالثا: الكاغد

عرف الصينيون الكاغد (الورق) ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد، وينسب تطويره وإدخال بعض التقنيات النباتية إلى الصيني (تساي لون) في سنة (١٠٥م)[١١]، إذ كانت عجينته تجهز من ألياف شجر التوت المدقوق في الهاون بعد إضافة السوائل إليه، ويصب ذلك في قوالب خشبية متحركة ممتدة عليها أسلاك نحاسية، ثم تترك لتجف في الشمس وتستخدم بعد ذلك[١٢].

وتشير المراجع إلى أن أول مطبخ (مصنع) لصناعة الورق في العالم الإسلامي كان بسمرقند سنة ١٣٣هـ؛ وذلك بعد انتصار المسلمين بقيادة زيادة بن صالح الحارثي حاكم سمرقند على إخشيد فرغانة الذي كان يناصره ملك الصين؛ مما أدى إلى وقوع عدد كبير من الأسرى الصينيين الذين كانوا يتقنون صناعة الورق، ثم لم يلبث أن أُسس في بغداد عام (١٧٨هـ) مطبخ للورق أيضا، فأمر الخليفة العباسي هارون الرشيد ألا يكتب الناس إلا في الكاغد؛ «لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد، وإن كشط ظهر كشطه»[١٣].

ويرى جروهمان أن استخدام الخرق البالية مادة خاما لصناعة الورق في القرن الثاني للهجرة النبوية هو من اختراع العرب، ثم لم يلبث أن استخدم القنب (الكتان) في فترات تالية لإنتاج أنواع مخصوصة من الورق، كالورق الطلحي، كما نجده موصوفا عند صاحب (عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب)، للمعز بن باديس (ت ٤٥٤هـ)[١٤].

وقد ذكر النديم في (الفهرست) - بجانب ذكره الورق الصيني - الورق الخراساني، وعدد له أنواعا ستة، ينسب جلها إلى أمراء ووزراء، وهي: السليماني (نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال في عهد هارون الرشيد)، والطلحي (نسبة إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر)، والنوحي (نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني ساسان)، والفرعوني (تشبيها بالقراطيس المصرية التي كانت تستعمل حتى ذلك الوقت)، والجعفري (نسبة إلى جعفر البرمكي)، والطاهري (نسبة إلى طاهر بن عبدالله والي خراسان)[١٥].

بينما اكتفى القلقشندي بذكر أسماء ثلاثة أنواع من الورق تتفاوت فيما بينها من حيث الجودة، وهي: «البغدادي، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية، وتناسب أجزاء، وقطعه وافر جدا، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة... ودونه في الرتبة الشامي، وهو على نوعين: نوع يعرف بالحموي، وهو دون القطع البغدادي. ودونه في القطع وهو المعروف بالشامي، وقطعه دون القطع الحموي، ودونهما في الرتبة الورق المصري»[١٦].

لكن مثل هذه الدراسات التنظيرية والتاريخية لهذه الأنواع والمسميات من الورق لم تعد كافية في العصر الحديث للوقوف على خصائصها وتاريخها وأسرار صناعتها، ومن ثم فإن الحاجة ملحة لدراسة هذه الأمور دراسة مخبرية كوديكولوجية على ما وصلنا من مخطوطات تنتمي إلى هذه الحقب التاريخية والمكانية، يمكن بعدها تحديد الفروق الدقيقة لهذه الأنواع ذات التسميات المختلفة من الورق.

الهوامش

١- الفائق ج٢، ص٤٣١.
٢- فضائل القرآن، ص٦٣.
٣- محاضرات في أوراق البردي العربية، ص٢٠-٢١.
٤- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١/ ٨٧.
٥- تحقيق ما للهند من مقولة، ص١٣٣.
٦- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص٧٤.
٧- ثمة مصطلحان قديمان مقاربان لمفهوم (الرق)، أولهما (الأديم)، وهو الجلد الأحمر أو المدبوغ، والآخر (القضيم)، وهو الجلد الأبيض الذي يُكتب فيه. انظر: المخطوط العربي، عبدالستار الحلوجي، ص٢٢.
٨- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، ص١٩.
٩- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص٧٧.
١٠- الفهرست، ١/ ٤٩.
١١- انظر: صناعة الورق في العالم الإسلامي، هلين لوفداي. مجلة معهد المخطوطات، ١/٥٤، ص٢٠٩.
١٢- المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص١٠٠.
١٣- انظر: صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٥-٤٧٦.
١٤- ص٨٩-٩٠، بتحقيق: نجيب مايل الهروي، وعصام مكية.
١٥- الفهرست، ١/ ٤٨؛ ونحو علم مخطوطات عربي، عبدالستار الحلوجي، ص٦٣.
١٦- صبح الأعشى، ٢/ ٤٧٦.

د. بنيونس أنس
باحث في قضايا التربية
دكتوراة في العلوم الفيزيائية





محمد حسين هيكل

يمثل الدكتور محمد حسين هيكل ظاهرة فريدة في حياة الفكر العربي عامة وحياة الفكر الإسلامي خاصة. لقد عاش هذا المفكر النادر حياته طولا وعرضا خائضا في حقل السياسة المصرية منذ أوائل القرن العشرين وحتى قبل وفاته ١٩٥٦م.

وأضاف للصحافة العربية أكبر صحفها ثقافة ودفاعا عن الرأي عندما أسس جريدة «السياسة اليومية» ثم أتبعها بإصدار جريدة «السياسة الأسبوعية» لتكون خالصة للأدب والفكر.

ولهذا يقف المؤرخون في حيرة يتساءلون: كيف استطاع هذا الرجل أن يبقى في عالم السياسة بروح الأديب، وتواضع المفكر وبساطة الفلاح؟

لقد كان للبيئة بصماتها وأثرها الواضح على مراحل حياته، فقد ولد هيكل لأسرة ثرية في كفر غنام، مركز السنبلاوين، محافظة الدقهلية بمصر في ٢٠ أغسطس عام ١٨٨٨م. نشأ في بيت ريفي وكان والده له صلة قرابة بـ«أحمد لطفي السيد» الذي كان له شأن كبير في صياغة شخصية هيكل، وقام بتوجيهه سياسيا وفكريا وثقافيا.

سنوات الطفولة المبكرة أمضاها في كتاب القرية، وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠م من مدرسة الجمالية، وفي عام ١٩٠٥م حصل على شهادة البكالوريا من مدرسة الخديوية بالقاهرة وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٠٩م، ثم سافر إلى فرنسا وحصل على الدكتوراه عام ١٩١٢م.

هذا المثقف النادر بدأ حياته بكتابة قصة «زينب» وهو في باريس، وهي أول رواية بالمعنى العلمي الحديث في تاريخ الأدب العربي. وقد تناولت رواية «زينب» حياة الفلاح المصري، فجاءت لوحة جميلة صادقة عن ريف مصري رومانسي وإن كانت لا تخلو من بعض المنغصات والمشكلات. والغريب أنه لم يوقع باسمه على غلاف الرواية، ووقع باسم مجهول وهو «فلاح مصري» وكان ذلك خشيه أن تكون تجربته الأدبية بعيدة عن جادة الأدب، أو خوفا من مهنة الكتابة وهو المحامي القدير.

وصفه أحد أصدقائه الأدباء بكلمات معبرة فقال: «هيكل صاحب صحيفة يشرف عليها ويدير أمورها، ويكتب فصلا في كل يوم على أقل تقدير وهو عضو في حزب سياسي يتحدث إليهم كل يوم في السياسة إذا كان

الصباح فإذا كان المساء فهو أديب يقرأ.. وعلى ذلك كله فهو أب وزوج لا يبخل على أسرته بحقها عليه.. وهو صديق لا يبخل على أصدقائه بحقوقهم عليه.. والغريب من هذا كله أنك تلقاه فإذا هو رجل هادئ مطمئن كأنه فاق منذ حين قصير من نوم مريح فهو لم ينشط كل النشاط بعد، ولكنه بعيد عن الفتور والجمود، ولا تكاد تتحدث إليه دقائق حتى يفتنك ويروعك فكأنك تتحدث إلى جني، ولكنه جني عذب الروح لذيذ الحديث».

ملامح شخصية هيكل

عندما ندقق النظر في شخصية «هيكل» نجد أنها شخصية بثلاثة ملامح بارزة، الأول أنه قصاص، والثاني أنه صحافي والملمح الثالث أنه سياسي. ونرى هذه الملامح بجلاء ووضوح فيما تركه هيكل من السيرة والتراجم في أعماله مثل «حياة محمد» و«الصديق أبو بكر» و«عثمان بن عفان» و«الفاروق عمر». ونجد صدى الصحافي في عمل كبير وهو «في منزل الوحي» أحد أهم كتابات هيكل، حيث كتبه أثناء قيامه بأداء فريضة الحج، واصفا بكل سلاسة «مهبط الوحي» حيث نزلت رسالة الإسلام هداية للبشرية، فتتبع كل أثر وكل شعيرة مقدسة جاء بها وعليها الدين الحنيف.

فكان كتابه هذا مرجعا في التاريخ والجغرافيا والآثار، فضلا عن قيمته الروحية العظيمة بما تناوله من الأماكن المقدسة في مكة والمدينة.

التاريخ الإسلامي في حياة هيكل

إذا انتقلنا إلى مرحلة التاريخ الإسلامي في حياة هيكل نجده مر بمرحلة إعلاء شأن اللغة العربية ومعرفة أسرارها. فقد كان اهتمامه باللغة العربية واضحا فكتب مقدمة ديوان أمير الشعراء «أحمد شوقي» فكان قطعة أدبية خالصة تغنى فيها هيكل بكنوز لغة القرآن الكريم وآدابها.

- ولقد اعتبر كثير من المفكرين والباحثين الذين درسوا الأدب العربي في النصف الأول من القرن الماضي، أن «الأدب الإسلامي» عند محمد حسين هيكل هو من أهم ما قدمه للناطقين بالعربية، فإذا كان العقاد قد وضع لنفسه منهجا في الإسلاميات وهو «نهج العبقريات» وسلك مسلكا آخر وهو «الأدب التاريخي» أو «التاريخ المتأدب» إذا جاز التعبير، فإن هيكل أقام لنفسه صرحا أدبيا مختلفا وجديدا وهو «السيرة» وهي أقرب إلى الأدب منها إلى أي فن آخر من فنون الإنشاء والكتابة.

وفي ضوء ما سبق نفهم أن الهدف الذي من أجله كتب هيكل «حياة محمد» هو هداية الإنسانية إلى الطريق القويم في ظل الحضارة الجديدة، لأنه أدرك أن القيم الروحية وحدها هي التي تلهم قيما خالدة، فليست الغاية منه دينية محضة كما كان يظن البعض، بل الغاية أن تعرف الإنسانية طريقها إلى الكمال الذي دلها عليه محمد ﷺ، ورسم لها الطريق ومهده للوصول إلى ذلك الكمال.

فمن خلال رائعة هيكل «حياة محمد» عرف الكثيرون تسلسل الأحداث في حياة الرسول والصحابة وتمكن الكثير من الربط بين الأحداث والأشخاص والسنوات فتقرأ وكأنك ترى.

وفي هذا الكتاب رد هيكل على آراء المستشرقين الحاقدين بكل براعة وحنكة وكان كتابه بداية الكتابة عن السيرة النبوية. وقد كتب مقدمة الكتاب الإمام الأكبر فضيلة الشيخ «محمد مصطفى المراغي» قال فيها: «وقد وفق د. هيكل في تنميق الأحداث وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عقدا منضدا وسلسلة متينة محكمة الحلقات، يجعل القارئ مطمئن النفس مرضي القلب ليستمتع بما يقرأ».

ورغم هذا الإنجاز الرائع والهائل في العمل الأدبي لم يكن متفرغا للأدب، فقد قضى هيكل حياته إما رئيسا لتحرير جريدة أو وزيرا في وزارة أو زعيما لحزب أو محاميا في قاعات المحاكم. وعمل هيكل وزيرا للمعارف «التربية والتعليم» عدة مرات في وزارات مختلفة.

الدكتور هيكل السياسي

نجد صدى شخصيته سياسيا فيما تركه لنا من عمل مجيد هو «الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة» وكتابه الفريد «الشرق الجديد» وفيهما التقينا بالدكتور هيكل السياسي الذي تشغله القضايا العامة والمبادئ السياسية والتشريعية التي تحكم العلاقة بين الراعي والرعية والحاكم والمحكوم، وما يتصل بذلك من مذاهب ومعتقدات وأيديولوجيات.

وانضم هيكل لكثير من الهيئات العلمية، فكان عضوا في الجمعية المصرية للقانون الدولي، والجمعية المصرية للدراسات التاريخية. واختير عضوا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠م فكان من الرعيل الأول لأعضاء المجمع.

المراجع

١- من أعلام العرب والمسلمين.
٢- ويكيبيديا.



محمد ثابت توفيق
قاص وكاتب مصري

عقوق خفي

فور وصولي إلى المطار ذهبت مباشرة إلى بيتي؛ صافحت زوجتي وأولادي ثم توجهت مباشرة إلى بيت أبي وأمي الذي نشأت وتربيت فيه.

فرح والداي فرحا شديدا بوصولي؛ فبمجرد طرقي على الباب تسابقا بخطوات ثقيلة إلى فتحه.. وهما يتصايحان:

«حازم».. إنه هو بنفس الطرقة منذ شب واستقبل الحياة وتعلم طرق هذا الباب!

تجاوز أبي السبعين من العمر فيما تخطو أمي إلى منتصف الستين؛ لقد تثاقلت خطواتهما؛ وانتشرت علب الدواء في أرجاء المنزل.

بعد دافئ الأحضان رحت أجوب وأطوف في غرف الشقة التي تربيت فيها وتطلعت إلى الحياة للمرة الأولى.. فهالني وأفزعني أمر دل بوضوح على حجم تقصيري في



حق والـدي.. بل ما استعذت بالله من أن يكون عقوقا ولو خفيا.

كنت قد اضـطـررت للسفر خارج البلاد لفترة طالت لسنوات مؤخرا؛ فصارت زوجتي وأبنائي يزورونني فـي الـغـربـة لأشـهـر، بـخـاصـة في فصل الصيف حيث إجازة الدراسة ويـعـودون، عـرضـت عـلـى والـدي المجيء مرات فرفضا.

حرصت خلال سنوات سفري على إرسال مبالغ مالية متفرقة إلى أبي وأمي؛ مبالغ ليست شهرية لكنها كبيرة تكفي احتياجاتهما إلى جانب راتب تقاعدهما الدخل الأساسي لهما.

لكن لماذا كسر زجاج نافذة غرفة الاستقبال وحل محله ورقة مقواة كبيرة؟ ولماذا لا يعمل مصباح غرفة الـنـوم، والـغـرفـة تسبح فـي ظـلام شامل؟

كـانـت عـيـوب عـدم الإصـلاحـات الضرورية للشقة منتشرة، فهذه قطعة أثاث مكسورة ومقلوبة في غرفة الضيوف؛ وتلك المرآة محطمة لم يرفع أحد بقاياها، ويبدو أن الأمـر حـدث منذ فـتـرة حتـى أن التراب غطى على الشظايا... أما التراب الناعم فلف الغرف.

تظاهرت بالفرح للقائهما؛ فيما كان ذهني يعمل بشدة للوصول إلى حل ينقذني من الـورطـة التي وجـدت نفسي فيها أمـام ربـي وخالقي؛ كان والـداي لا يستطيعان تجديد وصيانة الشقة ومرافقها الرئيسية رغـم وجـود المـال معـهـمـا نظرا لتقدمهما في العمر واحتياجهما لمن يتولى هذه المهمة عنهما، وقد حرصا على كتمان الأمر عني كلما كنت أتصل بهما؛ وكانا يؤكدان أن أمورهما بخير وأمـان.. ولا داعي للقلق عليهما.

شعرت بالتقصير الشديد لأن الأمر لم يخطر لـي على بـال.. وخفت عقاب الله ودخولي دائـرة العقوق بعدم تعهدهما والعناية الكافية بهما وإرسال من يصلح لهما مرافق الشقة باستمرار.

نزلت بسرعة فقالا عند خروجي:

- هل مللت منا سريعا يا «حازم»؟! لقد انتظرناك لسنوات!

داريـت دمـعـة طفرت بسرعة من عيني بهدوء وقلت:

- سأعود بعد ساعة فقط.

فقالا: كثير علينا يا بني لم نرك إلا لدقائق قليلة.

قـلـت: سـأذهـب لأؤجـر غـرفـة في فندق يجمعنا لأيام فلا نفترق بإذن الله لأسابيع.

هـرول أبـي إلـى درج فـي دولاب ملابسه:

- إذن خذ هـذا المـال فهو فائض لـدي.. خـذه ليعينك عـلـى هذه الفكرة الجميلة..

فيما قالت أمي:

- رزقك الله المزيد من برنا.

اعـتـذرت لأبـي.. ومسرعا ذهبت لمقاول ماهر؛ فعرضت عليه تجديد مرافق الشقة، وكان صديقا فابتسم وقال:

- عفا الله عنا.. لكن ذلك لا يمنع التقصير فيما مضى!

حـجـزت غـرفـتين مـتـجـاورتـين في فندق قـريـب، ثـم اشتريت حقيبة سفر مناسبة لجمع ثيابهما، ونويت شـراء مـلابـس جـديـدة لهما في أقرب فرصة.

لم يصدقا عيونهما بعد أسابيع قليلة لما شاهدا الشقة وترتيبها ومرافقها التي تعمل بكفاءة.. فيما كنت أستغفر الله من تقصيري غير المتعمد في حقيهما.



د. أحمد إسماعيل عبد الكريم
أستاذ في العلوم اللغوية
مصر

ضبط الكلمة الإعلامية.. من منظور إسلامي

تلعب الكلمة الإعلامية دورا خطيرا في حياة الأمم، ومصائر الشعوب وتوجهاتها، لاسيما في العصر الحاضر في ظل الطفرة الإعلامية الهائلة وتزاحم الفضائيات والسماوات المفتوحة، حتى بات الإعلام أداة للهيمنة، وذريعة للسيطرة على الآخر، بل صار أداة استثمار لكل من يملك المال، أو يريد الاستثمار، أو يتغيا أهدافا سياسية ويروج أيديولوجيات بعينها.

وليس في ذلك ثمة إشكالية، فلا ضير أن تتضاعف وكالات الأنباء أو تتسع الفضائيات، أو أجهزة الإعلام عموما؛ لكن المشكلة، كل المشكلة، في المادة الإعلامية والمنهج الإعلامي، أو بالأحرى الخطاب الإعلامي، والأمر والأنكى من ذلك ما يمكن تسميته بـ«حزبنة الإعلام وشخصنته»، الأمر الذي أفقد الإعلام سمته وهويته ومن ثم هيبته، جراء اعتلاء المنابر الإعلامية من غير المؤهلين مهنيا ولا فكريا، دون مراعاة لأمانة الكلمة الإعلامية، حتى طفا على سطح حياتنا المعاصرة من الأساليب الفجة الفظة ما يندى له جبين الإنسانية، لاسيما ونحن أولى من غيرنا بالالتزام بالأخلاق والقيم والمبادئ، التي رسخها ديننا الإسلامي الحنيف وأرسى مبادئها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، لتكون ركيزة لكل ما يتصل بالمعاملات الإنسانية، ومنها العمل الإعلامي، وميثاقه القويم.

اللسان عماد الإعلام

فإذا كان اللسان هو لب الإعلام وعموده الفقري، فحسبنا ما جاء به الإسلام من ضرورة المحافظة على الكلمة الإعلامية، من خلال تحري الدقة والبعد عن الثرثرة، باعتبار أن الكلمة مسؤولية، وأي مسؤولية، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦)، وقد أكد رسول الله ﷺ أهمية

الإسلام حث على تحري الدقة والبعد عن الثرثرة

الدور الذي ينهض به الإعلام، مما يلقي على عاتقه بتبعة المسؤولية، وما يترتب على ما ينطق به، أو ينشره بين الجماهير بكافة الصور الإعلامية، فقد روي عن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربي الله، ثم استقم» قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[1]. وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[2]. وقد عد النبي ﷺ بما أوتي من جوامع الكلم، المؤسسة الإعلامية، متمثلة في اللسان، مرتكز السلطة المهيمنة على جميع الأجهزة الأخرى في مؤسسات الدول، فحسبنا ما جاء عنه ﷺ في قوله: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان[3] فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[4]؛ وذلك لأن اللسان معقل الأمور كلها، مصداقا لقول الرسول ﷺ فيما روي عن معاذ بن جبل أنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»، ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة:١٦) حتى بلغ «يعملون» ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد»، ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: «كف عليك هذا»، فقلت يا رسول الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[5].

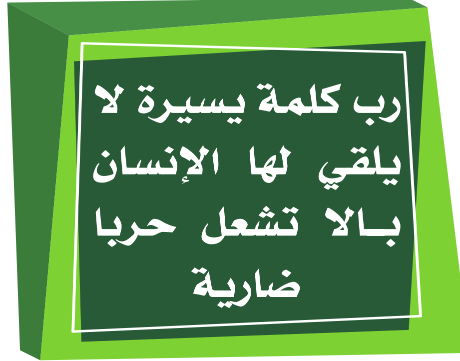
لذلك ذم القرآن ألسنة «سائبة» يطلق لها أصحابها العنان لتخوض في أعراض الناس، وتؤجج نار الفتن بين الأمم والجماعات، يقول الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (المدثر:٤٢-٤٥)، فما قادهم إلى مغبة الهلاك، وألقى بهم في نار جهنم إلا إطلاق ألسنتهم دون اعتبار لقيم ولا لمبادئ، ولا وازع من دين، وقد نقل المفسرون ما قاله علماء الأمة في معنى «الخائضين» في سياق هذه الآية، فقال ابن عباس: «نكذب مع المكذبين»، وقال

الكلبي، ومقاتل: «نخوض مع أهل الباطل في الباطل والتكذيب». وقال قتادة: «أي كلما غوى غاو غوينا معه»، وقال أبوإسحاق: «أي نتبع الغاوين»[٦]. وهكذا يقع الإعلام بكل كوادره في الهاوية حين ينجرف خلف الأهواء، دون فكر أو روية فيخوض فيما لا ينبغي الخوض فيه.

الاتساع الإعلامي وأثره

لم يتوقف الأمر عند وسائل الإعلام في تأثيرها على المجتمعات أو الدول على المستوى الضيق، بل إنها تعدت ذلك بمراحل، حيث يستطيع الإعلام بوسائله المختلفة أن يوجه السياسة الدولية، ويتحكم في قضايا خطيرة وشائكة، فهناك كثير من القضايا والأمور التي تفجرها أجهزة الإعلام، وتحاول فيها تحريك الدمى على الساحة بطرق مثيرة، وهي في الحقيقة تقصد من خلال ذلك إشعال الفتن والحروب بين الأطراف المقصودة. ولقد حرص الإسلام أشد الحرص على ضرورة التزام الصمت إلا في خير، فرب كلمة يسيرة لا يلقي لها الإنسان بالا، ويظنها هينة، قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فتكون سببا في إشعال حرب ضارية لا يعلم مداها إلا الله سبحانه، فيترتب عليها إزهاق كثير من الأرواح، وتشريد الكثير من الأسر والعائلات، ونشر الفوضى في المجتمعات، وتخريب العامر من مظاهر البيئة.

وقد حذر الإسلام من خطورة الكلمة ودعا إلى ضرورة التحكم فيها والتعقل في كل الأمور، فلا يكون الإنسان ثرثارا يطلق للسانه العنان دون أن يدري للكلمة باعثا وقد حثنا رسولنا الكريم ﷺ على ضبط الكلمة، ومعرفة مآلها وأثرها، بقوله: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب»[٧].



كذلك حذر الرسول ﷺ من محاولات الترصد والتتبع التي ينتهجها بعض الإعلاميين بحجة «السبق الإعلامي»، أو محاولة تشويه الآخر وسياسة التدمير وقصم الظهر لمجرد اختلافات في الفكر والسياسة والاتجاهات، مما قدره الله تعالى بين خلقه، فقد روي أنه ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[٨].

التثبت من المعلومة

لقد عبر القرآن الكريم عن منهج قويم يعد نواة السياسة الإعلامية، بل يمثل إستراتيجية إعلامية متكاملة، تتجلى في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، فهذه الآية الكريمة حذرت من الثرثرة وإطلاق الألسنة بلا رقابة من ضمير أو وازع من دين، وأمرت بضرورة التريث والتدقيق في نقل الأنباء والمعلومات، وعدم السماح للفسقة أن يتغلغلوا في عقول المؤمنين وقلوبهم، بل الناس جميعا. ويندرج تحت هذه الآية أيضا عدم التسرع في استبطان الأمور أو استنطاق الأحداث، بأي من الأساليب المتبعة، حيث حذرنا رسولنا الكريم ﷺ من هذه الأساليب الملتوية فقال: «إياكم والظن. فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[٩].

لذا يجب أن تأخذ الكلمة الإعلامية حذرها في نقل المعلومات أو الإدلاء بالتصريحات، التي تجرى مع المسؤولين وأصحاب القرار، وذلك بالتبصر في الأمور بحيطة وحذر، دون التوغل في تفاصيل لا حاجة لها في وقت ما، أو قد تأتي بنتائج غير محمودة، وذلك بعدم استفزاز أو استثارة الشخصية التي يدور معها الحوار أو التصريح الصحافي، ما قد يجر البلاد والعباد إلى مغبة الفتن والتلاحم والخصومات. وقد نهى الإسلام عن ذلك، فقد جاء في الترهيب من الإفساد والتحريش بين الناس ما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «قد يئس الشيطان أن يعبده المسلمون ولكن في التحريش بينهم»[١٠]. فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما، فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس كما قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى، قال: الذين إذا رؤوا ذكر الله، أفلا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى، قال: المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون

البراء العنت»[١١]، هذا على مستوى الأفراد، فما بالنا اليوم وقد غزا الإعلام العالم، ويصب غثه وثمينه في آذان البشرية جميعا؟!

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نمام» [١٢]، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس، أو بين اثنين بما يؤذي أحدهما، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه، وقد حذر الإسلام من النميمة وشدد عقوبة ذلك الفعل في الآخرة.

منهج الإصلاح

لقد ضرب رسولنا الكريم ﷺ أروع الأمثلة في علاج كافة القضايا والمشكلات التي تعترض الدعوة، فحسبنا أنه ﷺ، ولنا فيه الأسوة الحسنة، لم يكن فظا ولا غليظ القلب ولا فح اللسان، ولم يثبت أنه ترصد لأحد الدوائر، أو حاول النيل منه أو فضح أمره، مهما كان يحمل له من العداوة والضغائن. فقد كان ﷺ على يقين بأن المغزى الدعوي أو الإعلامي يتغيا الإصلاح والتهذيب، والتغيير نحو الأمثل، ولهذا فطن لنفسية من يتعامل معهم، من أنه لا يكون التوجيه إلا بالرفق واللين والحكمة، فعن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[١٣].

ولذا كان ﷺ حين تقع عيناه على أمر يخالف الشريعة، أو يتنافى مع ما جاء به الإسلام نجده يتجه إلى الأمة في خطاب شامل، لا يقتصر على فئة بعينها، ولا يكشف لأحد سرا، فيقول: عبارته المشهورة: «ما بال أقوام...»، فيزيد هذا الأسلوب

حلقات التدريب المستمرة تؤهل الإعلاميين إلى ضبط المصطلح

من مساحة الفئات المخاطبة، أو الموجه إليها الخطاب الإعلامي، وعندئذ يعرض كل فرد تصرفاته وأفعاله على نفسه، فيتلافى منها ما يتعارض مع أخلاقيات الإسلام وتشريعاته، فيكون لهذا المنهج الإصلاحي سره البالغ وأثره الواضح في تهذيب السلوكيات وإصلاح المجتمع، وأما لو صرح بأسماء من وقع منهم ما يتعارض مع التشريع، لتفاقم الأمر وأتى بغير المراد من أمر الإصلاح؛ لأن في كشف أسرار الناس وافتضاح أمرهم ما قد يؤدي إلى عكس المقصود من الخطاب، بل قد يتزايدون في اقتراف الفعل غير المرغوب فيه من باب التحدي أو التعالي والتجاهل؛ لأن النفس البشرية جبلت على العناد والجدل. وهكذا استطاع الاسلام بفكره السديد ومنهجه الحكيم الرشيد أن يجمع شمل الأمة في إحكام زمام الكلمة الإعلامية وعدم الثرثرة بلا طائل حماية للمجتمع من الوقوع في تصادم مع الحياة ومغباتها.

الهوامش

١- صحيح ابن حبان وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (٢٢/١٥)، «تخريج المشكاة» (٤٨٤٣و١٥).

٢- رواه أحمد، الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع:١٣٩٢، الصحيحة تحت حديث:١١٢٢.

٣- تكفر اللسان: أي تذل وتخضع له، أي: تتذلل وتتواضع له.

٤- رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع:٣٥١، صحيح الترغيب والترهيب:٢٨٧١.

٥- رواه أحمد في مسنده، برقم٢٢٠١٦، والطبراني في المعجم الكبير، برقم١٦٦٨٠.

٦- التفسير البسيط، للواحدي،٤٥٦/٢٢، جامع البيان،١٦٦/٢٩، و«النكت والعيون،١٤٨/٦، والمحرر الوجيز،٣٩٩/٥، والجامع لأحكام القرآن،٨٦/١٩، وتفسير القرآن العظيم،٤٧٦/٤، ومعاني القرآن وإعرابه،٢٤٩/٥».

٧- رواه مسلم في صحيحه،٧٦٧٣.

٨- رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع:٧٩٨٤.

٩- رواه مسلم في صحيحه، برقم٦٧٠١ (إياكم والظن) المراد النهي عن ظن السوء. (ولا تحسسوا ولا تجسسوا) التحسس: الاستماع لحديث القوم، والتجسس: البحث عن العورات أو التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير.

(ولا تنافسوا) المنافسة والتنافس من المنافسة، الرغبة في الشيء وطلب الانفراد به وعلوه فيه، والمنهي عنه التنافس في أمور الدنيا لطلب العلو والفخر على الناس وأما في أمور الخير فجائز بل مستحب لقوله تعالى: ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين:٢٦)، (ولا تدابروا) التدابر: الإعراض والهجر والخصومة.

١٠- رواه الترمذي،١٩٣٧، وابن حبان،٥٩٤١، والإمام أحمد في مسنده،٣٨٤/٣ وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم، وفي رواية الإمام مسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». ١٣٨/٨، برقم٧٢٨١.. والتحريش هو حملهم على الفتن والخصومات التي تؤدي إلى اندلاع الحروب الطاحنة.

١١- رواه أحمد وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وفي الكبائر للذهبي، ص١٥٧.

١٢- متفق عليه.

١٣- رواه مسلم في صحيحه، برقم٦٧٦٧.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سوريا





سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٥)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.





المتفق والمفترق في اسم (المازري):

١- أبو عبدالله المازري (ت: ٥١٦هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن أبي الفرج المازري القيرواني المالكي المعروف بالذكي، فقيه، حافظ، مقرئ، مفسر، نحوي.

ولد بمازرة، وتحول إلى القيروان، ورحل إلى المغرب الأقصى، ثم سافر إلى بلاد المشرق، وسكن أصبهان.

من مصنفاته: (الاستيلاء في القراءات)، و(تعليق كبير في المذاهب) خرج على ألف سؤال، وغيرهما من المصنفات.

توفي بأصبهان(١).

٢- أبو عبدالله المازري (ت: ٥٣٦هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلية.

ولد سنة: (٤٥٣هـ)، وأخذ عن الشيخين أبي الحسن اللخمي وأبي محمد الصائغ

من مصنفاته: (المعلم بفوائد مسلم) في الحديث، و(شرح التلقين) في الفروع، و(الكشف والإباء في الرد على الإحياء للغزالي)، و (إيضاح المحصول من برهان الأصول)، وغيرها.

وتوفي في شهر ربيع الأول بالمهدية(٢).

المتفق والمفترق في اسم (القرافي):

١- شهاب الدين القرافي (ت: ٦٨٤هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة (صنهاجة) من برابرة المغرب، وإلى (القرافة) المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقاهرة.

ولد بمصر سنة: (٦٢٦هـ).

له مصنفات جليلة في الفقه والاصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و(الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام)، و(الذخيرة) في فقه المالكية، و(اليواقيت في أحكام المواقيت)، و(شرح تنقيح الفصول) في الأصول، و(الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة)، وغيرها من المصنفات.

وتوفي بالقرافة(٣).

٢- أبو بكر القرافي (ت: ٧٠٧هـ):

هو أبو بكر محمد بن ادريس بن مالك القرافي القضاعي القلاوسي، لغوي، عروضي.

من مصنفاته: (النكت المستوعبة في القوافي)، و(شرح الفصيح لثعلب الكوفي) في اللغة، و(ختام المفضوض عن خلاصة علم العروض)(٤).

٣- محمد القرافي (ت: ٨٦٧هـ):

هو محمد بن أحمد بن عمر القاهري المالكي، ويعرف بالقرافي، فقيه، محدث، نحوي.

ولد بالقاهرة سنة: (٨٠١هـ).

من مصنفاته: (الدرر المضيئة في شرح الآجرومية)، و(كراسة في مسألة إحداث الكنائس)، و(شرح على الملحة) لم يكمل.

توفي بمصر(٥).

٤- بدر الدين القرافي (ت: ١٠٠٨هـ):

هو بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي المصري، فقيه مالكي، لغوي.

ولد بمصر سنة: (٩٣٩هـ)، وولي قضاء المالكية في مصر.

من مصنفاته: (القول المأنوس بتحرير ما في القاموس) لغة، و(رسالة في بعض أحكام الوقف)، و(توشيح الديباج لابن فرحون)، في التراجم، و(توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح)، و(الدرر المنيفة في الفراغ عن الوظيفة)، و(شرح الموطأ)، وغيرها.

توفي في شهر رمضان بمصر(٦).

الهوامش

١- ينظر هدية العارفين (٢/٧٩) ومعجم المؤلفين (١١/١٢٤).

٢- ينظر وفيات الأعيان (١/٦١٥) والأعلام للزركلي (٦/٢٧٧) معجم المؤلفين (١١/٣٢).

٣- ينظر الديباج لابن فرحون (ص٦٢) والأعلام للزركلي (١/٩٤) ومعجم المؤلفين (١/١٥٨).

٤- ينظر كشف الظنون (١/١٢٧٣) ومعجم المؤلفين (٩/٣٥).

٥- ينظر الضوء اللامع (٧/٢٧) ونيل الابتهاج للتنبكتي (ص٣١٦) ومعجم المؤلفين (٨/٣٠٤).

٦- ينظر خلاصة الأثر (٤/٢٥٨) والأعلام للزركلي (٧/١٤١) ومعجم المؤلفين (١١/١٥٠) (١٢/١٠٨).



د. عبدالواحد عبدالله الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن

من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم (٤-٤)

في حلقة ماضية تحدثنا عن الإيجاز بحذف المسند أو المسند إليه؛ ممثلين لكل منهما بأمثلة متنوعة، وفي هذه الحلقة سنتحدث عن الإيجاز بحذف الجمل، وبلاغته في القرآن الكريم

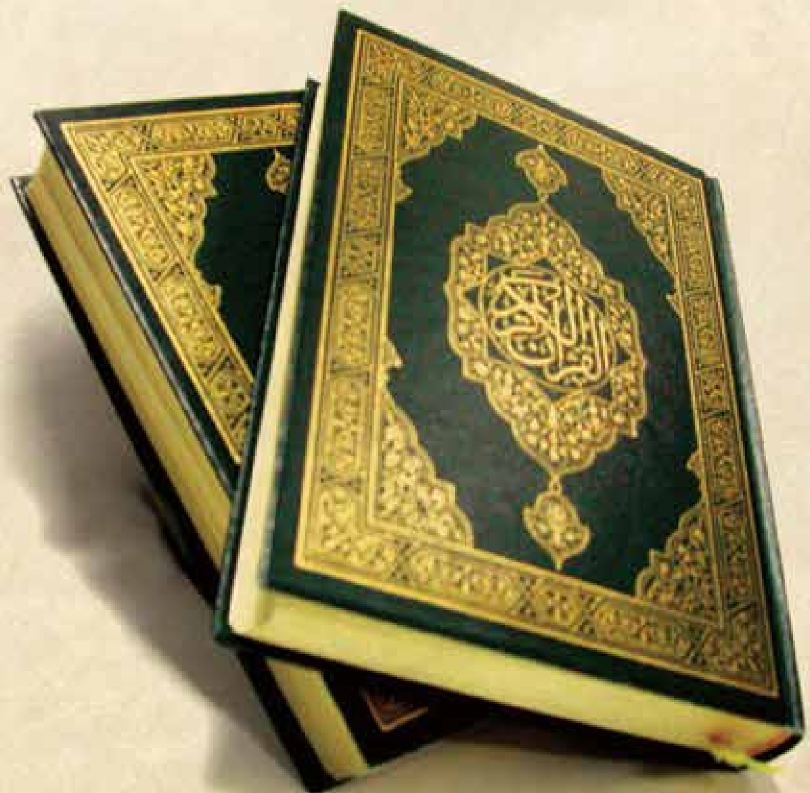
الإيجاز بحذف جملة واحدة

قد تحذف الجملة المعطوفة مع العاطف، وتبقى الجملة المعطوف عليها دليلا على تلك الجملة المحذوفة، ومن أمثلته:

١ - قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ﴾ (البقرة:٦٠)، أي: فضرب، فانفجرت. فحذف من الكلام جملة «فضرب»، واكتفى بالمُسَبب؛ الذي هو الانفجار، عن السبب؛ الذي هو الضرب.

قال الزمخشري: و«الفاء متعلقة بمحذوف، أي: فضرب فانفجرت، وهو كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة:٥٤). فالفاء في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عاطفة على محذوف، والتقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى، فتاب عليكم بارئكم. فحذف من الكلام جملة «ففعلتم ما أمركم به موسى». والفاء على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ»[١].

٢ - ومنه قوله، عز اسمه: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ (طه:٩١-٩٤). ألا ترى كيف حذف الفعل في هذا الموضع مكررا؟ والتقدير: فلما رجع موسى إليهم وهم على تلك الحالة من عبادة العجل، قال لأخيه: «يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني؟ أفعصيت أمري؟»، وأخذ بلحيته ورأسه؛ إنكارا عليه وغضبا. فقال له هارون: «يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي». فالحذف من الكلام في موضعين: أحدهما: جملة «فلما رجع موسى إليهم»، والموضع الثاني: جملة «وأخذ بلحية أخيه ورأسه»، والغرض من الحذف: الاختصار والإيجاز، والاحتراز عن العبث[٢].



الإيجاز بحذف أكثر من جملة

قد يأتي الحذف بأكثر من جملة

متعاطفات؛ لدليل في الكلام يدل على تلك المحذوفات، ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ (يوسف:٤٥،٤٦). فقد حذف من هذا الكلام عدة جمل، لا يستقيم المعنى إلا بها، والتقدير: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه، وقال له: يوسف أيها الصديق.. فالمحذوف من الكلام ثلاث جمل: جملة «فأرسلوه إليه»، وجملة «فأتاه»، وجملة «فقال له». ودليل هذه المحذوفات: هو أن نداء يوسف يقتضي أنه وصل إليه، والوصول إليه متوقف على فعل الإرسال، والإرسال إنما كان للاستعبار[٣].

٢ - ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٥١﴾ (يوسف:٥٠-٥١). ففي هذا الكلام حذف واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه، وتقديره: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك بالنسوة، وقال لهن: ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ..﴾ فحذف من الكلام جملتان: جملة «فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف»، وجملة «فدعا الملك بالنسوة». فانظر أيها المتأمل إلى هذه المحذوفات، التي كأنها لم تحذف من الكلام؛ لظهور معناها وبيانه، ودلالة الحال عليه. وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون الحذوف[٤].

حذف جملة الشرط مع الأداة

قد تحذف جملة الشرط مع الأداة، ويبقى في الكلام جوابها دليلا عليها، ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (العنكبوت:٥٦). قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى الفاء في «فاعبدون»، وتقديم المفعول «إياي»؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف؛ لأن المعنى: إن أرضي واسعة، فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها، ثم حذف الشرط وهو «فإن لم تخلصوا لي العبادة في أرض»، وعوض من حذفه تقديم المفعول «إياي»، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص[٥].

٢ - ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الروم:٥٦).

التقدير: لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فإن كنتم مفكرين، فهذا يوم البعث، أي: فقد تبين بطلان أفكاركم. ودليل الحذف وجود فاء الفصيحة في الجواب وهو قوله: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾. وهذه الفاء هي الفاء التي في جملة: «فقد جئنا خراسانا» من قول الشاعر «من البسيط»:

قالوا: خراسان أقصى ما يراد بكم
ثم الرجوع؛ فقد جئنا خراسانا

وحقيقتها: أنها واقعة في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام، فكأنه قال: إن صح ما قلتم من أن خراسان أقصى ما يراد بنا، فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص[٦].

حذف جواب الشرط

قد تحذف جملة جواب الشرط مع بقاء جملة الشرط دليلا على ذلك الجواب المحذوف؛ ومن ذلك:

١ - حذف جواب «إن» الشرطية: ومن أمثلته:

أ - قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأحقاف:١٠). فإن جواب «إن» هنا محذوف تقديره: «ألستم ظالمين»، والمعنى: قل أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم، ألستم ظالمين؟ ويدل على هذا المحذوف جملة الشرط، وأيضا قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وهو ضرب من علم البيان، تتوافر لطائفه[٧].

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ (البقرة:٧٠). فجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿إِنَّا لَمُهۡتَدُونَ﴾، أي: وإنا لمهتدون، إن شاء الله اهتدينا. وقد توسط الشرط هنا وهو قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ بين جزأي الجملة الدالة على الجزاء وهي قوله: ﴿إِنَّا لَمُهۡتَدُونَ﴾، والتقديم على الشرط يكون دليلا على الجواب. والذي حسن تقديم الشرط على جزء الجملة «لمهتدون» هو: الاهتمام بتعليق الهداية بمشيئة الله تعالى[٨].

٢ – حذف جواب «لو» الشرطية: ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (الأنعام:٢٧). وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ (الأنعام:٣٠). فإن جواب «لو» هنا محذوف، وتقديره: في هذين الموضعين وما أشبههما: لرأيت عجبا، أو لرأيت أمرا عظيما، أو لرأيت سوء منقلبهم، أو لرأيت سوء حالهم. والسر في حذفه في مثل هذه المواضع: الدلالة على مواقع التفخيم والتعظيم، وقصد المبالغة؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به، فلا يكون له ذلك الوقع[٩].

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ (الأنبياء:٣٨-٣٩). تقديره: لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه؛ وهو وقت صعب، شديد، محيط بهم، فيه النار من وراء وقدام، فلا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون ناصرا ينصرهم، لما كانوا بتلك الصفة، من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم[١٠].

٣– حذف جواب «لما» الشرطية: ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (يوسف:١٥).

اعلم أنه لابد لقوله: «فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب» من جواب؛ إذ إن جواب «لما» غير مذكور، وتقديره: فجعلوه فيها، وحذف الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دليلا عليه. والحذف: للإيجاز وأمن الإلباس، أو لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس، وهو من الإيجاز الخاص بالقرآن، فهو تقليل في اللفظ لظهور المعنى[١١].

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ (الصافات:١٠٣-١٠٥). وجواب «لما» محذوف، تقديره: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، كان ما كان مما تنطق به الحال، ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب. وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة، والظفر بالبغية بعد اليأس[١٢].

٤– حذف جواب «أما» الشرطية: ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ (آل عمران:١٠٦). معناه: فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. ولابد لـ«أما» من جواب بالفاء، فلما أسقط الجواب سقطت «الفاء» معه. وإنما جاز ترك ذكر «فيقال»؛ لدلالة ما ذكر من الكلام عليه[١٣].

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ (الجاثية:٣١). أي: فيقال لهم بطريق التقريع والتوبيخ: ألم تكن تأتيكم رسلي، فلم تكن آياتي تتلى عليكم؟ فجواب «أما» القول المقدر، وحذف اكتفاء بالمقصود وهو المقول، وحذفه كثير مقيس حتى قيل: هو البحر حدث عنه، وحذف المعطوف عليه؛ لقرينة الفاء العاطفة وأن تلاوة الآيات تستلزم إتيان الرسل معنى[١٤].

٥– حذف جواب «إذا» الشرطية: قد يحذف جوب «إذا» الشرطية؛ لدليل يدل عليه، ومن أمثلته:

أ – قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾ (يس:٤٥-٤٦). التقدير: وإذا قيل لهم: اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون، كان دأبهم الإعراض عن كل آية وموعظة.. ألا ترى كيف حذف جواب «إذا» من الكلام وهو جملة «كان دأبهم الإعراض عن كل آية وموعظة»، ودل عليه بقوله: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ ؟!

ب – ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ (التوبة:١١٨). أي: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، رحمهم، ثم تاب عليهم. فحذف جواب «إذا» وهو جملة «رحمهم»، وبقيت الجملة المعطوفة «ثم تاب عليهم» دليلا عليه[١٥].

حذف جملة القسم

قد تحذف جملة القسم، ويبقى الجواب دليلا عليها، ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ (التكاثر:٦-٧). قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد، وأن ما أوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب؛ وكرره معطوفا بـ«ثم»؛ تغليظا للتهديد، وزيادة في التهويل[١٦].

٢ - ومنه قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ (آل عمران:١٨٦). وجملة «لتبلون»: جواب قسم محذوف، أي: والله لتبلون، أي: لتعاملن معاملة المختبر؛ ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والأعمال الحسنة. وفائدة التوكيد بالنون: إما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب، وإما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد[١٧].

حذف جملة جواب القسم

قد تحذف جملة جواب القسم؛ لدلالة جملة القسم عليها، ومن أمثلة ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ (ص:١-٢). فالواو في قوله: «والقرآن» للقسم، أقسم تعالى بالقرآن قسم تنويه به. ووصف بـ«ذي الذكر»؛ لأن «ذي» تضاف إلى الأشياء الرفيعة، فتجري على متصف مقصود التنويه به. وقد تردد المفسرون في تعيين جواب القسم على أقوال سبعة أو ثمانية، وأحسن ما قيل فيه هنا: أنه محذوف لدليل، وهذا الدليل أحد أمرين:

- إما الحرف «ص»؛ فإن المقصود منه التحدي بإعجاز القرآن، وعجزهم عن معارضته؛ بأنه كلام بلغتهم ومؤلف من حروفها، فكيف عجزوا عن معارضته؟! فالتقدير: والقرآن ذي الذكر إنه لمن عند الله؛ لهذا عجزتم عن الإتيان بمثله.

- وإما الإضراب الذي في قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ بعد وصف القرآن بـ«ذي الذكر»؛ لأن ذلك الوصف يشعر بأنه ذكر وموقظ للعقول، فكأنه قيل: إنه لذكر، ولكن الذين كفروا في عزة وشقاق يجحدون أنه ذكر، ويقولون: سحر مفترى وهم يعلمون أنه حق.

والغرض من الحذف: الإعراض عنه إلى ما هو أجدر بالذكر وهو صفة الذين كفروا وكذبوا القرآن عنادا أو شقاقا منهم[١٨].

٢ - ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:١-١٠).

أقسم سبحانه بهذه الأمور، وقد أرشد السياق والسباق واللحاق إلى أن جواب القسم مقدر تقديره: لقد طبع سبحانه وتعالى نفوسكم على طبائع متباينة، هيأها بها؛ لما يريد من القلوب من تزكية وتدسية؛ بما جعل لكم من القدرة والاختيار، وأبلغ في التقدم إليكم في تزكية نفوسكم وتطهير قلوبكم؛ لاعتقاد الحشر بما هو أوضح من الشمس، لا شبهة فيه ولا لبس؛ لتنجو من عذاب الدنيا والآخرة بالاتصاف بالتقوى، والانخلاع من الفجور والطغوى[١٩].

الهوامش

١. انظر: تفسير الكشاف، ١/١٤٠، و١٧٣.
٢. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور؛ لابن الأثير: ١/١٢٨، بتصرف.
٣. المنهاج الواضح للبلاغة؛ لحامد عوني: ٢/١٣٥، بتصرف.
٤. الجامع الكبير؛ لابن الأثير: ١/١٢٨، ١٢٩، بتصرف.
٥. انظر: تفسير الكشاف؛ للزمخشري: ٣/٤٦١، والنحو الوافي؛ لعباس حسن: ٤/٤٤٨، ٤٤٩.
٦. الموسوعة القرآنية؛ لإبراهيم الأبياري: ٢/٤٤٨.
٧. الجامع الكبير؛ لابن الأثير: ١/١٣٣، ١٣٤.
٨. انظر: البرهان؛ للزركشي: ٣/١٨٥.
٩. انظر: البرهان؛ للزركشي: ٣/١٨٣.
١٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر؛ لابن الأثير: ٢/٢٥٢.
١١. انظر: مفاتيح الغيب؛ للرازي: ١٨/٤٢٧، ونواهد الأبكار؛ للسيوطي: ١/٤٢٣.
١٢. الكشاف؛ للزمخشري: ٤/٥٧.
١٣. تفسير ابن جرير الطبري: ٧/٩٣.
١٤. تفسير روح المعاني؛ للآلوسي: ١٣/١٥٤.
١٥. الجامع الكبير؛ لابن الأثير: ١/١٣٦، ١٣٧، والبرهان؛ للزركشي: ٣/١٩١.
١٦. الكشاف؛ للزمخشري: ٤/٧٩٩.
١٧. تفسير أبي السعود: ٢/١٢٣.
١٨. التحرير والتنوير؛ لابن عاشور: ٢٣/٢٠٣، ٢٠٤.
١٩. نظم الدرر؛ للبقاعي: ٤٤٠، وتفسير فتح القدير؛ للشوكاني: ٥/٥٤٥.



فاطمة محمد البغدادي
باحثة وخبيرة في التربية والتعليم



الخروج الآمن.. من مرحلة المراهقة

في إطار المنهج الإسلامي تقوم التربية على أربع قواعد رئيسية، هي: تربية الروح، تربية النفس، تربية البدن وتربية العقل، ومصدرها الكتاب والسنة، ثم من بعد ذلك نهج الصحابة والسلف الصالح، الذين دعوا إلى فطرة الله جل وعلا، التي فطر الناس عليها.. وتعد مرحلة المراهقة أخطر مراحل النمو البشري، التي تتطلب معاملة خاصة، يجب أن تتضافر فيها قواعد التربية الإسلامية الأربع، بحيث يمكن الخروج من هذه المرحلة بسلام، ومن ثم تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي للفرد والمجتمع.

فماذا عن هذه المرحلة الحرجة في حياة الإنسان؟

وما هي أبرز تداعياتها وإشكالياتها؟ وما هي سبل الخروج منها بسلام، في ضوء تعاليم الإسلام؟

ماهية مرحلة المراهقة

في أبسط تعريف لها، فإن المراهقة هي مرحلة وسط بين الطفولة والشباب، وليس من سن معينة تبدأ منها، وتنتهي عندها، فهي تختلف عمريا، لأسباب وتأثيرات متعددة، منها الوراثية والاجتماعية والبيئية، وإن كان يمكن حصرها، بوجه عام، في الفترة العمرية ما بين العاشرة والحادية والعشرين.. وقد اتفق جل علماء النفس والتربية على تقسيم مرحلة المراهقة إلى ثلاث فترات، هي:

ـ فترة المراهقة الأولى (المبكرة): وهي عادة تستمر حتى الرابعة عشرة من العمر، وتتسم بتغيرات بيولوجية سريعة.

ـ فترة المراهقة الوسطى: وهي تتراوح بين سن الرابعة عشرة وحتى سن الثامنة عشرة، وتتسم باكتمال التغيرات البيولوجية.

– فترة المراهقة المتأخرة: من سن الثامنة عشرة وحتى الحادية والعشرين، حيث يبدأ المراهق في الولوج إلى الرشد بالمظهر والتصرفات.

المتغيرات الأربعة

إن كثيرا من الناس يخطئون بالخلط بين المراهقة والبلوغ، فالبلوغ جزء من المراهقة، التي تتدرج في النضج البدني والعقلي والنفسي والاجتماعي، وهذا يقودنا إلى ضرورة الإشارة إلى

المتغيرات الأربعة الرئيسية، التي تتسم بها مرحلة المراهقة:

أولا - النضج البدني: وهو يتعلق بالمتغيرات التي تطرأ على الجسم، والتي يمكن إدراكها من خلال مظهرين اثنين:

● النمو العضوي، الذي يمكن إدراكه ظاهريا، في الزيادة في حجم الجسم، طولا وعرضا، ونمو متسارع في الشعر في مناطق متفرقة، وتغير في الأحبال الصوتية، مع خشونة ملحوظة، لاسيما عند الذكور، وظهور حب الشباب في الوجه.. ونحو ذلك.

● النمو الفسيولوجي، وهو يتعلق بنضج الأجهزة والغدد الداخلية من الجسم، غير الظاهرة للعيان، وعلى وجه الخصوص الغدد الجنسية.

ثانيا - النضج العقلي: ويمكن إدراكه من خلال مجموعة من المتغيرات، أو بالأحرى التطورات، التي تظهر على المراهق، ومن أبرزها:

● تطورات في الذكاء، تتمثل في ارتقاء الناحية اللغوية، خصوصا لدى الإناث.. وارتقاء في الناحية الميكانيكية (لدى الذكور).

● القدرة على إدراك الأمور، وتفسيرها على هواه، بغض النظر عن صحتها أو خطئها.

● تتسع مداركه لتذكر الأشياء.

● الجنوح إلى التخيل، ومعايشته، بكل مشاعره.

ثالثا - النضج النفسي، أو الانفعالي: وهو جانب مهم جدا في رسم اتجاهات الفرد مستقبلا، ومن ثم يجب التعامل معه على نحو صحيح من قبل المحيطين به، كما سنبين بعد قليل، ومن أبرز سمات هذا الجانب:

● التقلبات الانفعالية، وعدم ثباتها، حيث الحساسية المفرطة، والعواطف المتطرفة، ما بين الحب الشديد، والكراهية الشديدة، والغضب لأبسط الأسباب، ويمكن أن يمتد ذلك إلى امتناعه عن تناول الطعام، أو الخروج من المنزل.

● الخوف، حيث إن خبرته القليلة في الحياة تجعله يخشى الانخراط في الكثير من المواقف الاجتماعية، وبتعدد هذه المواقف، قد يفقد الثقة في نفسه، ومن ثم يتجه إلى الانعزال.

● اتساع دائرة أحلام اليقظة لديه، حيث تبدأ أحلامه بمهنة أو عمل مرموق، وأنه إنسان مهم في المجتمع، وأن شكله أنيق، وأن الآخرين يقدرونه ويحترمونه.. ويحلم بتكوين أسرة وبيت، وامتلاك سيارة، وكثير من أمور الرفاهية.

رابعا - النضج الاجتماعي: حيث تتصارع لديه النزعات الاجتماعية، التي تتراوح بين العناد ومقاومة سلطة الراشدين والمربين، وسعيه إلى مسايرة أصدقائه مسايرة عمياء، والاتجاه نحو ارتداء الملابس اللافتة للنظر، وإطالة الشعر، والتمرد على كثير من العادات والتقاليد المجتمعية، واتجاهه إلى المغامرة، وخوض التجارب، حتى ولو كانت تمثل خطورة عليه، وربما يقحم نفسه في مناقشات فوق مستواه، في محاولة منه لإثبات أنه لم يعد طفلا.

الخروج الآمن

كان للشريعة الإسلامية السمحة السبق في وضع أسس ومعايير تربوية، يمكن أن يعول عليها في تحقيق خروج آمن للمراهق، من هذه المرحلة العمرية الصعبة، بحيث يصبح فردا نافعا لنفسه ولمجتمعه، ويحقق الغاية من بناء وتكامل الشخصية.. وكانت هذه المعايير والأسس التربوية الإسلامية مصدرا رئيسيا لجل علماء النفس والتربية، لبناء نظريات حديثة، تتعلق بالتعامل مع المراهق، فقد دعا ديننا الإسلامي إلى:

ـ تربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وقبل وصولهم إلى مرحلة المراهقة، على حسن الأخلاق، وتحفيظهم آيات الذكر الحكيم، فهذا من شأنه ملء صدورهم بالطاعة، ومحاسن الأخلاق، وتطهير قلوبهم وجوارحهم، وإرساء قواعد الإيمان في نفوسهم، ومن ثم يدخلون مرحلة المراهقة وهم متسلحون ومتحصنون ضد مشكلات المراهقة.

ـ اختيار الصحبة الصالحة: حيث إن الخصائص التي تتسم بها هذه المرحلة تتطلب عدم إغفال هذا الجانب، باعتباره تدبيرا وقائيا، له نتائج طيبة، فالصاحب الصالح، الطائع لربه، والمحب لرسوله ﷺ، البار لوالديه، الصادق في النصيحة، الأمين على الأسرار، المتفوق في دراسته، المنضبط في عمله، هو دليل للمراهق نحو مرضاة الله جل وعلا، ومرشد له إلى كل ما هو خير.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الحبيب المصطفى ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[1]، وعن أبي بردة، عن أبي موسى، أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة»[2]. ومن أضرار ومخاطر مصاحبة أصدقاء السوء، جاء التحذير القرآني واضحا: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩).

ـ تحقيق المعادلة المثالية في التعامل معه بالموازنة بين الرفق واللين، وفي الوقت ذاته عدم التهاون، حيث إن حساسية هذه المرحلة تحتاج إلى عدم الغلط في

التعامل مع المراهق، إذ يمكن أن يتسبب ذلك في إشكاليات وردود فعل غير متوقعة، كالهروب من البيت، أو ممارسة العنف، ونحو ذلك.. لقد أمر المولى تبارك وتعالى بأن تكون الدعوة بالرفق واللين والرحمة وعدم الغلظة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وعن أم المؤمنين عائشة، رضي الله تعالى عنها، أن الحبيب المصطفى ﷺ قال: «عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٣]، وأبسط قواعد الرفق هي الحديث بصوت هادئ، وعدم الانفعال والإثارة، وفي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر»[٤].. ولا تناقض البتة بين الرحمة والرفق واللين من جانب، مع عدم التهاون من جانب آخر، حيث من الضروري متابعة المراهق في تصرفاته، فإن ضل طريقه، وفعل شيئا ضارا، يجب الجلوس معه، وتقديم النصح له، فإن لم يستجب فينبغي التوسط في التعامل معه، إلى أن يستجيب ويرتدع عن فعل ما يضره، فإن لم يستجب عندئذ فلا مفر من العقاب غير المبرح، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[٥].

- الحذر كل الحذر من أوقات الفراغ، حيث إن المراهق إن لم يجد ما يفيده وينفعه، فحتما سيتجه من باب إشغال الوقت إلى ما هو مفسد ومضر.. وثمة أمور بسيطة يمكن أن يقبل عليها المراهق بصدر رحب لقضاء وقت فراغه، إذا شجع عليها، ومنها: زياراته أقاربه، ودفعه للقيام بعمل يفيده ويفيد أسرته ومجتمعه، من منطلق إشعاره بالمسؤولية، وتحفيزه على ممارسة الرياضات النافعة، وبخاصة الجماعية، التي من شأنها الإسهام في بناء بدنه، ونموه الصحي والنفسي والعقلي والاجتماعي.

ـ محنة الثقة، وإكسابه الخبرات، وذلك من خلال المواقف البناءة، وتشجيعه إن أحسن، واتباع أسلوب التشاور، وتبادل الآراء، فهذا يكسبه المزيد من المهارات الشخصية، والثقة بنفسه، وإخراج أفضل ما لديه.. روي عن إبراهيم بن أدهم، رحمه الله تعالى، أنه كان يقول: «قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثا، وحفظته، فلك درهم.. فطلبت الحديث على هذا».

ـ ضرورة التوعية بمعنى البلوغ، والتكليف الشرعي، فالمعرفة الصحيحة كثيرا ما تكون دافعا في أن يرتدع الإنسان عن الوقوع في المحرمات، واستشعاره بالمسؤولية، إن علم أنه أضحى مكلفا ومسؤولا عن أفعاله، وأنه سوف يحاسب عليها عند الله جل وعلا، وهذه التوعية مسؤولية مشتركة بين الأسرة ومؤسسات المجتمع.. مع الإشارة إلى أن هذا الجانب التوعوي لا مناص أن يمتد ليستفيد منه المراهق ويعلم أيضا الأحكام الشرعية الخاصة بالصيام والصلاة والطهارة والاغتسال.. ومن الضروري اتباع ما أمرنا به التشريع الإسلامي، فيما يتعلق بمسائل التفريق في المضاجع، والتحذير من الممارسات الخاطئة، فيما يتعلق بالنظر المحرم، وممارسة العادات المحرمة، التي غالبا ما تفضي إلى الأمراض الجنسية الخطيرة.

إلزام المراهق بالاستئذان، قبل الدخول إلى الأماكن المغلقة، عملا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ﴾ (النور:٥٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور:٥٩).

ـ الاهتمام بصحته البدنية، وتنويع مصادر غذائه، حيث إن التغيرات والتطورات الجسمانية لديه، بحاجة إلى التغذية المتكاملة، والابتعاد تماما عن كل ما هو مضر صحيا، مثل التدخين، أو تعاطي الكحوليات ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة:١٩٥).

ـ مساعدته على شق طريقه نحو المستقبل، وإشعاره بأن هناك من يقف بجانبه، لتحقيق آماله وتطلعاته، وأن عليه أن يكون متفائلا دائما، مع بث روح الجد والاجتهاد والصبر، للوصول إلى الهدف..

الهوامش

١- رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه الألباني.

٢- رواه البخاري، ومسلم، وابن حبان.

٣- رواه مسلم، وأخرجه الطيالسي.

٤- رواه أحمد، والترمذي، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان.

٥- رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو داود، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم، والبيهقي، والخرائطي في مكارم الأخلاق.



محمد عباس عرابي
باحث تربوي

نمو المفاهيم لدى الأطفال

يُشكل النمو المعرفي جزءا أساسيا في نمو الأطفال، وتجمع الدراسات على أن تعليم الأطفال في مرحلة مبكرة يفتح الباب على مصراعيه أمامهم للتعرف على العالم من حولهم، من خلال احتكاكهم بالناس والأشياء المحيطة بهم في بيئتهم. فالطفل لا يمكن أن يعرف أو يفهم ماهية ما يدور حوله دون أن يتفاعل معه ويختبره بنفسه سواء كانت الخبرة حقيقية أم من خلال صورة أو شرح أو مجسم أو حتى من خلال اللعب.

ويرى كثير من التربويين أن برامج الأطفال الصغار التي تركز على زيادة معدلات ذكائهم سريعا ليست الطريقة الأفضل لنمو الأطفال، بل إن البرامج والأنشطة التي تركز على زيادة مفاهيمهم الأساسية هي الأفضل، بشرط ألا يجبر الأطفال عليها.

ويشير علماء النفس والاجتماع إلى أن المفاهيم لدى الأطفال لا تتكون دفعة واحدة، فهي تتطور من خلال تفاعل الطفل مع عناصر بيئته التي يعيش فيها، لكن وتيرة هذا التطور تعتمد على مدى استيعاب الطفل، ودوافعه.

وتبدأ عملية اكتساب المفاهيم لدى الأطفال منذ مراحلهم العمرية الأولى، فهي تقوم على الإدراك الحسي، وملاحظة الطفل لما حوله من أشياء وأشخاص وأحداث، وهناك أربع مراحل لاكتساب المفاهيم عند الأطفال هي: الإدراك الحسي، والموازنة، والتجريد، والتعميم.

والملاحظ أن الأطفال يدور أغلب تفكيرهم ضمن مستوى الإدراك الحسي أي حول أشياء مفردة محسوسة، لا أفكار عامة ومعان كلية، ويبدو ذلك جليا إذا ما طلبت من أطفال في سن الخامسة أو السادسة أن يكتبوا موضوعا من اختيارهم، فكل ما يستطيعون كتابته لا يعدو كونه أوصافا لمواقف تعرضوا لها أو حدث لفت انتباههم، فالطفل في هذه السن يعرف الأشياء بتعاريف عملية ساذجة؛ فالكرة شيء يلعب بها، والسكين يقطع بها الخبز، والكرسي نجلس عليه، وكلما تقدم الطفل في العمر اقترب على التدرج من فهم المعاني المجردة واستخدامها كأداة لتفكيره.

وفي نهاية هذه المرحلة الحسية الحركية وبداية ظهور الوظائف الرمزية للغة عند الطفل نلاحظ أن بنية الطفل العقلية بدأت تتكون شيئا فشيئا، فتظهر سلسلة من التغيرات المهمة في تفكير الطفل، كظهور اللغة وتكوين الأفكار البسيطة والرموز والتقليدية والصور الذهنية، كما يبدأ الطفل في تكوين الصور العقلية للعالم الخارجي، ولأفعاله الخاصة، وهذه الصور الإجمالية العامة في البدايات الأولى للتفكير الصوري، وهذا بدوره هو سمة هذه المرحلة العمرية، حيث التفكير التصوري من سن ٢-٧ سنوات.

ولقد ثبت أن الأطفال يطيلون التطلع إلى الأشياء المعقدة أكثر من تطلعهم إلى الأشياء البسيطة، ولعل ذلك يعود إلى أن الأشياء المعقدة تحتوي على معلومات أكثر، وتتطلب المزيد من التفكير. والبيئة التي يولد فيها الطفل تدفعه إلى التفكير، لذلك تجده يستخدم كل حواسه للتعرف عليها ويكون شغله الشاغل منذ إدراكه للأشياء حوله اكتشاف بيئته، بذلك تتكون لديه مهارات جديدة، وعليه فإن القدرات العقلية للطفل تقوم على هذه الخبرات المبكرة وتتكون منها.

أما عملية التفكير، فتقوم على ركائز مختلفة، وتهدف إلى غاية محددة، وتستعين بوسائل متعددة، تنتهي بها إلى تكوين المعاني أو المفاهيم.

وختاما يمكن القول إن المفاهيم ضرورية للحياة العقلية، فهي تقدم لنا العالم في فئات تسهل تقديمها للطفل في صورة بسيطة، وتسهل عملية الفهم والتفسير والتنبؤ بالسلوك، وتعد جوهرا للسلوك الذكي، كما أنها تساعدنا على نقل الخبرات للآخرين والاستفادة من خبراتهم.



حواس محمود
كاتب وباحث سوري

لماذا يخاف الطفل من المدرسة؟

استأثرت مشكلة رفض الطفل للمدرسة على اهتمام عدد كبير من الباحثين والمعالجين النفسيين في كل المجالات التي تعنى بالأطفال والمراهقين، منذ نشأة الظاهرة كموضوع بحث لدى العلماء في الثلاثينيات من القرن الماضي، حيث كانت صور الغياب المستمر عن المدرسة تعد هروبا حتى أربعينيات القرن الماضي، وتطور هذا المصطلح ليأخذ مفهومه الحالي كخوف الطفل من المدرسة تمييزا عن ظاهرة الهروب أو قلق الانفصال عن الموضوع (الأم في الغالب) أو الغياب المبرر عن المدرسة.

كما اختلف العلماء حول أسباب هذا الخوف وطرائق معالجته والتصدي له، باعتبارها غير محددة المعالم بشكل واضح ودقيق في كثير من الحالات؛ بسبب تداخل عوامل كثيرة بعضها خاص بالطفل أو بالبيئة الأسرية، أو بالمدرسة.

ويفرق الباحثون بين الخوف الطبيعي والخوف المرضي، فيرون أن الخوف الطبيعي هو خوف موضوعي وعقلاني من خطر حقيقي، وهو متناسب مع الخوف الذي استدعى استجابة الخوف، فالطفل الصغير حين يذهب إلى المدرسة لأول مرة يواجه بعض مشكلات التكيف مع البيئة الجديدة ببعديها المادي والبشري، مما يجعله يشعر بالخوف تجاه المدرسة باعتبارها بيئة غريبة عنه؛ لكن هذا الخوف يزول تدريجيا، ويتعود الطفل بعد ذلك على المواظبة على الذهاب إلى المدرسة بشكل منتظم.

أما الخوف المرضي من المدرسة أو «فوبيا المدرسة» فهو اضطراب عصبي خاص بمرحلة الطفولة يشير إلى رد فعل عصبي تجاه المدرسة، بحيث يرفض الطفل الذهاب إلى المدرسة رغم إصرار والديه ويفضل البقاء في المنزل، مع ظهور أعراض نفسية وفيسيولوجية ترافق حالة الخوف هذه لحظة إجباره على الذهاب إلى المدرسة.

ويصف المحلل النفسي البريطاني «جون بولبي» الأطفال الذين يعانون من الخوف المرضي من المدرسة بأنهم يرفضون الالتحاق بالمدرسة، ويظهرون قلقا حادا عندما يجبرون على الذهاب إليها، ويكون عدم ذهابهم إلى المدرسة معروفا لأبويهم من خلال الأعراض التي يبدونها.

ويختلف رفض الذهاب إلى المدرسة عن الهروب من المدرسة، حيث إن الطلاب الذين يهربون من المدرسة يعانون عادة من مشاكل سلوكية في المدرسة ويكون مستواهم الدراسي أدنى من مستوى الطلاب العاديين، بينما الطلاب الذين يعانون من مشكلة رفض الذهاب إلى المدرسة يكون مستواهم الدراسي جيد ولا يشكون من مشاكل سلوكية في المدرسة أو المنزل.

أعراض الخوف المرضي

هناك أعراض عامة للخوف من المدرسة، وأعراض مصاحبة؛

أما الأعراض العامة هي:

البكاء والنحيب والتوسل إلى الأهل للبقاء في المنزل، شكاوى جسمانية (بدنية) سيكوسوماتية (نفسي جسدي) متنوعة مثل أوجاع الرأس (الصداع) الدوار، آلام في المعدة أو الأمعاء، عدم

القدرة على الحركة وآلام في الساقين، الإسهال، الحمى، نزلات البرد، فقدان الشهية للطعام، آلام في الحلق، شحوب الوجه واصفراره، نوبات من الغضب أو استعمال ألفاظ تنم عن الغضب أحيانا، استعمال العنف أحيانا؛ كرمي الدمى أو تحطيم أثاث المنزل، رفض التعاون مع الوالدين حين يجبرانه على الذهاب إلى المدرسة، الصمت وعدم القدرة على الكلام رغم أنه لا توجد لديه أي عيوب في النطق.

أما بالنسبة للأعراض الثانوية المصاحبة فتشمل:

الاكتئاب، ضعف التحصيل الدراسي، الخجل (الانطواء والعزلة)، واضطرابات النوم.

سبل العلاج

في إطار معالجة هذه المشكلة لابد من التعرف أولا على أسبابها الحقيقية؛ ففي معظم الحالات تقع مسؤولية معرفة هذه الأسباب ومحاولة تخفيفها ومن ثم إزالتها على الأهل؛ فالطفل في سنواته الست الأولى يكون قد اعتاد على الحياة في المنزل ويتمسك بوالدته أو والده أو الاثنين معا وعندما يأمره الأهل بالذهاب إلى لمدرسة يشعر بحالة من الخوف والاغتراب، وهنا في هذه الحالة يمكن للأم أن تصحب ابنها إلى المدرسة وتجلس فترة من الزمن في الصف بصحبته، ثم تعود به، وتكرر الأم هذا الإجراء عدة مرات بحيث يربط الطفل بين المدرسة والأم، وفي مرحلة لاحقة عندما يتم الربط بين المدرسة والأم تكتفي بتوصيل ابنها للمدرسة فقط، وهذا الإجراء العلاجي يتضمن تحرير المثير الشرطي (المدرسة التي تفصل الطفل عن أمه) من الاستجابة التي تحدثها (الخوف الناتج عن رهبة الانفصال عن الأم) بحيث يتمكن الطفل من ممارسة المثير الشرطي (الذهاب إلى المدرسة) من دون أن تستتبعه الاستجابة للخوف، وفي الوقت نفسه دون أن يستدعي المثير الشرطي (الذهاب إلى المدرسة) رهبة الانفصال عن الأم.

وعموما يمكن للوالدين والمعلمين اتباع الإرشادات التالية التي قد تعينهم في تخفيف أو إزالة خوف الطفل من المدرسة:

١. ينبغي على الآباء والمربين تحسين المناخ الأسري والمدرسي وذلك بجعله مناخا يتسم بالأمن والطمأنينة، ما يشجع الطفل على الذهاب إلى المدرسة، فالطفل الذي يعيش وسط الخلافات الأسرية والشجار المستمر في مرحلة الطفولة المبكرة، يعاني من انخفاض في مستوى ودرجة الأمن والتحمل للمتغيرات البيئية وتقبلها وكذلك انخفاض مستوى الثقة بالنفس والآخرين، وبالتالي الخوف.

٢. اتباع الأساليب السوية في الرعاية والمعاملة وتجنب الأساليب غير التربوية التي تنمي لدى الطفل المخاوف بصفة عامة والخوف من المدرسة بصفة خاصة. كما يمكن إلحاق الأطفال بدور الحضانة قبل التحاقهم بالمدرسة الابتدائية لكي تتكسر لديهم حدة الخوف والرهبة من المدرسة ويعتادوا على الجو المدرسي.

٣- التركيز على تأقلم الطفل مع جو المدرسة كهدف رئيس في البداية بدلا من التركيز على الواجبات المدرسية التي ترهق الطفل وتزيد من توتره وقلقه.

٤. تعزيز الطفل على السلوك المرغوب فيه مهما كان صغيرا، وتنمية نسيج من العلاقات الاجتماعية والصداقات مع زملائه الجدد.

٥. استخدام أسلوب التعلم عن طريق اللعب والتعليم الوجداني الملطف كوسيلة تربوية لإيصال المعلومة، وإشعار الطفل بأنه في بيئة حرة إلى حد ما ولا تختلف عن جو المنزل، وعدم الجفاف في التعامل واستخدام العقاب.

٦- دحض الأسرة للاعتقادات والتصورات الخاطئة التي يمتلكها الطفل عن المدرسة وتصويبها، وإظهار الإيجابيات والمحاسن الموجودة في المدرسة من ألعاب ورحلات وممارسة للأنشطة والهوايات.

٧. إتاحة المجال للطفل للاحتكاك مع نماذج من الأطفال الناجحين الذين يكبرونه للاستفادة من تجاربهم وأخذ الانطباعات السليمة عن المدرسة.

وفي حالات الأطفال المصابين بالخوف المرضي من المدرسة لابد من تأكيد ضرورة بقائهم في المدرسة إلى نهاية الدوام قدر الإمكان والتخفيف من مخاوفهم وقلقهم أثناء وجودهم في المدرسة من خلال تطمينات المدرس مثلا أو الموجه التربوي أو المرشد الاجتماعي، وتوجيه انتباه هؤلاء الأطفال إلى ألعاب أو أمور أخرى بديلا عن الخوف والقلق، حتى يعتاد الطفل المدرسة شيئا فشيئا ويتكيف مع أجوائها.

مراجع

● د. رياض نايل العاسمي «سيكولوجية الطفل الرافض للمدرسة - الخوف المرضي من المدرسة» دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٧م.

● أحمد إبراهيم اليوسف «طفلي يخاف من المدرسة» مجلة العربي، عدد ٤٩٧ إبريل ٢٠٠٠م، ص:١٧٦.

● د. إبراهيم بن حسن الخضير «خوف الأطفال من الذهاب للمدرسة.. لا تخضعوا لرغباتهم»، صحيفة الرياض ٧-٩ -٢٠١٢م.

● د. بدر غزاوي «خوف الطفل الجديد من المدرسة ودور الأسرة والمعلم»، موقع صيداويات.



خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي
مصر

تربية الطفل على اللفظ الجميل

اهتم ديننا الإسلامي بتربية النشء، على عفة اللسان وطهارة القول، وحرص على غرس هذه الفضيلة الهامة في نفس الطفل منذ نعومة أظافره، حتى يشب على اللفظ الجميل والمنطق الرصين، والتعبير اللطيف، وإذا ما نظرنا لواقعنا المعاصر، تصدمنا العديد من الصور المؤلمة، فنرى أطفالا في أعمار الزهور، يتحدثون بألفاظ نابية، وكلمات تخدش الحياء من الناحية الأخلاقية، ولو بحثنا عن أسباب ذلك، فإننا نرجعه أولا إلى الأسرة التي تزرع تلك البذرة الضارة في نفوس أبنائها، وذلك عندما لا يسمع الطفل من أبويه سوى كلمات الفحش وألفاظ السوء، فلا شك أن ذلك الأمر ينطبع في نفس الطفل، الذى سيحاكي كلمات الوالدين، ويتعود على ترديدها، فلا يصدر منه في النهاية، إلا كلام الفحش، ولا يتلفظ إلا بمنطق السوء، ثم وسائل الإعلام وما تبث من برامج وأفلام وإعلانات، يشاهدها الأطفال دون رقابة من الوالدين، وفي الكثير من الأحيان تحتوي مادتها على ألفاظ سيئة، لا تليق أن يسمعها الأطفال فيقلدونها إعجابا بها، فتسري وتنتشر بينهم سريان النار في الهشيم، دون أن يدركوا خطورة هذه الألفاظ من الناحية الأخلاقية، ثم ترك الطفل للشارع والصحبة الفاسدة، فمن البديهي أن يكتسب الطفل منهم أحط الألفاظ وأحقر العبارات وأقبح الكلمات، فينشأ على أسوأ ما يكون عليه الإنسان من التربية الفاسدة والخلق الأثيم، والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن: كيف نقضي على هذه الظاهرة الخطيرة، التي تمثل معول هدم لقيم أطفالنا الأخلاقية، وأصبحت تهدد حياتهم المستقبلية؟، ورأيي أن ذلك الأمر الخطير، يتم في إطار الأمانة الكبرى التي وضعها النبي ﷺ، في أعناق الآباء والأمهات، حينما قال «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخارى ومسلم)، وذلك يتم عبر عدة أمور هي:

القدوة الصالحة وأثرها في الطفل

لا شك أن القدوة الصالحة، في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال لها تأثيرها على سلوك الإنسان وتشكيله وصقله، فتقديم القدوة الصالحة من الوالدين يدعم السلوك الحسن لدى الطفل، ومن المتفق عليه تربويا، أن غرس القدوة الصالحة في الصغر من أفضل الوسائل وأقربها إلى النجاح في التربية، فكل وسيلة تظل عديمة الجدوى ما لم تطبق عمليا أمام أعين الطفل، فالطفل في هذه المرحلة لديه مجموعة من السمات التي تؤهله لاستقبال كل سلوك إيجابي والعمل به، أما عندما يكبر الأطفال تزداد المؤثرات الخارجية، وتؤثر فيهم سلبا أو إيجابا مما يصعب عملية تغييرهم أو التأثير فيهم، ومن هنا يقع على الوالدين العبء الأكبر في تربية الطفل على اللفظ الجميل والسلوك الحسن، وذلك بطريق أن يتجنب الوالدين التلفظ بما يكره أن يتلفظ به الصغار، الذين يفهمون أكثر بكثير مما يعتقد أهليهم أنهم يفهمونه، فيجب على الوالدين ألا يتحدثا أمام الطفل بكلمات لا تليق، لأن الطفل لا يعرف حدود الممكن وغير الممكن في هذه الكلمات، فإن تحدث بها الطفل بعد ذلك فالذنب هنا ذنب الوالدين اللذين لم يكونا خير مثل وقدوة يحتذي بها الطفل.

عدم الضحك على ألفاظ الطفل المعيبة

يجب على الوالدين ألا يضحكا، إذا ما تلفظ الطفل ببعض الألفاظ التي لا تليق، تحت الإعجاب بكلام الطفل،

ولكن على الوالدين هنا تعريف الطفل بطريقة ميسرة الصحيح والخطأ في استخدام مثل هذه الألفاظ، وتحذير الطفل بضرورة عدم قول مثل هذه الألفاظ، كي يحبه الله والناس، وأن هذه الألفاظ يجب ألا يقولها الولد المهذب، وإذا ما استمر الطفل يتلفظ بها بعد ذلك، فيمكن للوالدين أن يُجلسا الطفل في مكان محدد لعدة دقائق كنوع من العقاب، ثم يطلب منه الاعتذار عن قول مثل هذه الألفاظ.

متابعة الطفل أثناء اللعب

إذا وجدنا الطفل أثناء اللعب مع الأطفال، يتلفظ بكلمات نابية وألفاظ عدائية، كنوع من التعبير عن عدم الرضا على الأشياء التي يستخدمونها في اللعب، فعلى الوالدين هنا ألا يبديا ارتياحا ورضا بالتبسم والضحك، مما يولد لدى الطفل تشجيعا له على عدم تكرارها، ولكن عند سماع الوالدين لمثل هذه الكلمات السيئة من الطفل، فعليهما أن يشرحا له، أن هذه الكلمات تؤلم الآخرين، كما يؤلمهم الضرب، ثم على الوالدين تدريبه على كيفية التعبير عن عدم الرضا عن الآخرين أثناء اللعب، إذا ما بدا منهم سلوك سيئ نحوه، بأن ندربه على سبيل المثال على قول «إذا فعلت معي كذا أثناء اللعب فإن ذلك سيغضبني منك، ويبعدني عن اللعب معك»، وإذا استدعى الأمر أن نبعده عن اللعب مع مثل هؤلاء الأطفال، ونجعله يلعب مع آخرين، وإذا لم تؤدِّ الخطوات السابقة إلى نتائج سريعة وفعالة، فإن ذلك يتطلب من القدوة المثلة في الأب والأم على معالجة ذلك، بأن يريا الطفل السلوك الإيجابي في تعاملهما مع الآخرين، إذا ما أساء الآخرين لهما، فعليهما ألا يتصرفا بانفعالات وعصبية وسلبية في مثل هذه المواقف التي بلا شك ستنتقل إلى الصغار، فمثلا عند اعتراض سيارة الأب أثناء قيادته ومعه أطفاله، فيجب انضباط الأب وعدم التلفظ بألفاظ غير لائقة عن السائق الآخر أمام الابن، وهكذا في المواقف المختلفة، حتى يكون خير مثال للطفل يحتذي به عند تصرفه مع الآخرين، إذا ما بدا منهم ما يسيء إليه.

ترك الطفل لوسائل الإعلام

لوسائل الإعلام دور مؤثر، حيث تطلع بدور تربوي خطير، وأصبحت تسيطر على عقول الأطفال سيطرة تامة، ويتشكل عبرها الكثير من القيم الفكرية والوجدانية والسلوكية، التي يستمدها الأطفال أثناء المشاهدة لها، لذا من المهم، بل ومن الضروري، أن يحرص الوالدين على اختيار البرامج الهادفة للطفل التي تربيه على اللفظ الجميل والسلوك الحسن، وهناك قنوات أصبحت مخصصة للأطفال في ذلك تعرض الكثير من القيم والسلوكيات بطريقة جذابة ومحببة للطفل، يستمد منها الطفل الكثير من العواطف الوجدانية مثل الحب والتواد والصدق والعدالة والرحمة، فينشأ ويشب على اللفظ الحسن والتعبير الجميل والإحساس بتذوق كل ما هو جميل والانتفاع به في حياته.

تعريف الطفل بنعمة اللسان

كما يجب على الأسرة أن تعرّف الطفل أن اللسان نعمة من الله عزوجل، يجب عليه أن يصونه ويحفظه من قول السوء، وذلك بتعريف الطفل ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي تدعو إلى الكلم الطيب، واللفظ الحسن وتحذر من قول الفحش ومنطق السوء، كقول الخالق عزوجل ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)، وقول النبي ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (رواه الترمذي والبيهقي) «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه» (رواه البخاري)، فهذه الأمثلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وغيرها عندما تترد على أسماع الطفل تربي فيه الخوف والخشية من الله، وتدعوه إلى حسن اختيار ألفاظه قبل أن ينطق بها لسانه، فلا نسمع منه بعد ذلك إلا كل ما هو جميل ولطيف.

استخدام المفردات الجميلة في الحياة اليومية

كما على الوالدين أن يحرصا، على استخدام المفردات الجميلة، والجمل الإيقاعية الرقيقة، التي تنمي عند الطفل حسن انتقاء اللفظ الجميل والتعبير الحسن، وهذا بدوره يدخل في مصفوفاته السلوكية، فلنعوّد الطفل من البداية على القول الجميل، في كل مناسبة، وعلى الرد الجميل، وعلى كتابة الكلمات الجميلة، وعلى الحديث الجميل، «شكرا، عفوا، أنا آسف، لك تحياتي، مع الاحترام»، إلى آخر ذلك من ألفاظ جميلة، علينا، كوالدين وكبار، أن نحرص على التحلي بها عند الحديث مع الطفل لتكون قاعدة أساسية في كل حوار يقوم بيننا وبينه، أو بين الطفل والآخرين بعد ذلك، ليتأكد لنا عندما تصبح هذه المفردات من أساس خطاب الطفل اللغوي والشفهي، أنه سيعمل ليرتقي إلى مستواها من الشفافية والرقي، وهذا بحد ذاته إنجاز حضاري وجمالي عصري نحققه من خلال تبني اللفظ الجميل في تربية أبنائنا.



د. خالد صلاح حنفي
أستاذ مساعد أصول التربية
كلية التربية
جامعة الإسكندرية

كيف نتعامل مع سلوك الطفل العدواني؟

كثيرا ما يواجه العديد من الآباء والأمهات والمعلمات سلوك الطفل العدواني تجاه أقرانه من الأطفال، أو الأشياء، وكل ما يحيط به من عناصر البيئة، سواء في المنزل أو الروضة، وأحيانا ما قد تكون أسباب تلك الظاهرة واضحة وجلية للمربي، وأحيانا أخرى تكون المسببات غير واضحة في أذهان المربين، ويترتب على ذلك اتباع المربي أساليب خاطئة تؤدي إلى تعزيز وتدعيم السلوك العدواني لدى الطفل.. ومن هنا السؤال؛ ما هي ظاهرة عدوان الأطفال، وما أسبابها؟ وكيف يمكن التعامل معها؟

العدوان سلوك يقصد به المعتدي إيذاء الآخرين وقد عرف العدوان من قبل العديد من علماء النفس، وتطلق صفة العدوان على أشكال محددة من السلوك (كالضرب والصدم)، أو على أشكال معينة من الحوادث الانفعالية، أوكليهما معا، أو على الظواهر المرافقة للحوادث الاجتماعية (كالغصب والكره)، أو على مضامين دافعية (كالغريزة الدافع).

والعدوان ظاهرة عامة بين البشر يمارسها الأفراد بأساليب مختلفة ومتنوعة وتأخذ صورا عديدة مثل التنافس في العمل والتجارة والتحصيل المدرسي، بل وفي اللعب، كما يتخذ العدوان صورا أخرى مثل التعبير باللفظ أو العدوان البدني، وقد يتخذ العدوان صورا كالإهلاك أو الحرق أو الإتلاف لما يحبه البشر. فالأفراد يتصارعون والعائلات أو القبائل تعتدي على جارتها والدول تتصارع فيما بينها، فالعدوان البشري حقيقة قائمة عرفه الإنسان منذ الأزل.

ويأخذ العدوان بين الأطفال أشكالا عديدة، فقد يدافع الطفل عن نفسه ضد عدوان أحد أقرانه، أو يعارك الآخرين باستمرار لكي يسيطر على أقرانه، أو يقوم بتحطيم بعض أثاث البيت عند الغضب، ولا يستطيع السيطرة على نفسه. وإذا كان العدوان الصريح يأخذ أشكالا ظاهرة تتمثل في الاعتداء البدني أو الاعتداء اللفظي أو التخريب أو المشاكسة والعناد ومخالفة الأوامر والعصيان والمقاومة؛ فإن المشاعر العدائية أو العدوانية تتخذ شكل العدوان المضمر غير الصريح، كالحسد والغيرة والاستياء، كما تتخذ شكل العدوان الرمزي الذي يمارس فيه سلوك يرمز إلى احتقار الآخرين أو توجيه الانتباه إلى إهانة تلحق بهم أو الامتناع عن النظر إلى الشخص وعدم الرغبة في مبادرته بالسلام أو رد السلام عليه.

والطفل العدواني على نحو شديد ومستمر يميل لأن يكون قهريا ومتهيجا، وغير ناضج، وضعيف التعبير عن مشاعره، ولديه توجه عملي، وهو أيضا متمركز حول الذات، ويجد صعوبة في تقبل النقد أو الإحباط، والأطفال الأقل ذكاء وجد أنهم أكثر ميلا للعدوان؛ ربما لأن الطرق المنظمة في حل الصراع أكثر صعوبة في تعلمها.

وتشير ريتا مرهج في كتابها «أولادنا من الولادة حتى المراهقة إلى تلك المشكلة فتقول: ابتداء من العام الأول، نلاحظ أن العديد من الأطفال يلجأون إلى العنف من وقت إلى آخر، وقد تكون العدوانية وظيفية عندما يرغب الطفل في شيء ما بشدة، فيصرخ أو يدفع أو يعتدي على أي إنسان أو أي شيء يقف في طريقه. وقد تكون العدوانية متعمدة عندما يضرب الطفل طفلا آخر بهدف الأذى.

وفي عمر أربع سنوات، تخف العدوانية الوظيفية بشكل ملحوظ مع تطور القدرات الفكرية والنطق عند الطفل، بينما تزداد العدوانية المتعمدة بين أربع وسبع سنوات، علما بأن نسبة حدوث العدوانية خلال احتكاكات الأطفال قليلة مقارنة بنسبة المبادرات الإيجابية التي تحصل بينهم.

أسباب ظاهرة عدوان الأطفال

وتتنوع أسباب هذه الظاهرة لتشمل مجموعة كبيرة من الأسباب وهي:

● الاضطراب أو المرض النفسي أو الشعور بالنقص: فيلجأ الطفل إلى الانتقام أو كسر ما يقع تحت يديه، وذلك بأسلوب لاشعوري، فيشعر باللذة والنشوة لانتقامه ممن حوله.

● الشعور بالذنب أو عدم التوفيق

في الدراسة، خاصة إذا عيّره أحد بذلك، فيلجأ إلى تمزيق كتبه أو إتلاف ملابسه أو الاعتداء بالضرب أو السرقة تجاه المتفوق دراسيا.

● القسوة الزائدة من الوالدين أو أحدهما مما ينتج عنها الرغبة في الانتقام، خصوصا عندما يحدث ذلك من زوج الأم، أو زوجة الأب، بعد وقوع الطلاق أو وفاة أحد الوالدين، فالإفراط أو التفريط في التعامل مع هذا السلوك العدواني، وإيقاع العقاب بشكل متكرر وشديد، بما لا يتناسب مع ما فعله الطفل من سلوك عدواني؛ من الأسباب الهامة التي تدفع الأبناء إلى تفريغ انفعالاتهم بالعدوان.

● تعزيز السلوك العدواني ودعمه لدى الطفل: عن طريق ذكر الصفة العدوانية لهذا الطفل في عاداته وسلوكه الشرس والعدواني أمام الناس وفي حضوره؛ فتنطبع هذه الصورة لدى الطفل.

● محاولة الولد فرض سيطرته على البنت واستيلائه على ممتلكاتها، وللأسف نجد بعض الآباء يشجعون على ذلك فيؤدي بالبنت إلى العدوانية.

● الشعور بالفشل والحرمان: يظهر عدوان الطفل أحيانا كانعكاس للإحساس بالحرمان، كشعور الطفل بحرمانه من الحب والتقدير -رغم جهوده لكسب ذلك- يتحول سلوكه إلى سلوك عدواني.

● كبت الأطفال وعدم إشباع رغباتهم، وكذلك حرمانهم من اكتساب خبرات وتجارب جديدة باللعب والفك والتركيب وغيرها، فيؤدي بهم ذلك إلى العدوانية لتفريغ ما لديهم من كبت.

● الثقافات التي تمجد العنف وتحبذ التنافس تؤثر على دعم سلوك العدوان لدى الأطفال.

● تعلم العدوان عن طريق النموذج: يشير «بندورا» إلى أنه من المحتمل أن يتعلم الطفل سلوكا جديدا بمجرد مراقبته لفرد آخر يمارس هذا السلوك، وقد لوحظ ازدياد درجة العدوان لدى الأطفال الذين شاهدوا نماذج عدوانية كالأفلام المصورة عن أشخاص يتصرفون بعدوانية ومشاهدة العنف بالتلفزيون أو من خلال أية وسيلة أخرى تشجع الأولاد على التصرف العدواني، أو نماذج كرتونية تتصرف بعدوانية.

● الحب الشديد والحماية الزائدة: فالطفل المدلل تظهر لديه المشاعر العدوانية أكثر من غيره؛ والطفل من هذا النوع - وفي داخل ذلك الجو شديد الحماية - لا يعرف إلا لغة الطاعة لكل رغباته، ولا يتحمل أقل درجات الحرمان؛ ومن ثم تظهر سلوكياته العدوانية.

● الرغبة في التخلص من السلطة: يظهر السلوك العدواني لدى الطفل حينما تلح عليه الرغبة في التخلص من ضغوط الكبار التي تحول دون تحقيق رغباته.

● كيف يمكننا كمربين وآباء وأمهات التعامل مع ظاهرة عدوان الأطفال؟ يمكن للآباء والأمهات والمربين اتباع الوسائل الآتية في التعامل مع أطفالهم العداونيين:

● احترام ممتلكات الطفل الخاصة من الألعاب والأدوات وعدم أخذ شيء منها دون إذنه وردها إليه حين يطلبها، وعدم المماطلة في الاستجابة برد هذه الألعاب.

● إذا وجدت أن الطفل يرتكب مخالفة ما كأن يحاول التسلق على الكراسي أو المناضد أو الجدران، فوجّهه برفق، وأفهِمه ما يعرّض نفسه له من أخطار، وما قد ينتج عن محاولته من إضرار بالتحف أو الأثاث.

● لا تترك الفرصة للطفل ليشعر بأنك تسلك بطريقة عدوانية إزاءه، فلا تترك الغضب يستبد بك إزاء تصرفاته، فلا تسبه ولا تمتد يدك إليه بالعقاب البدني، ولا تأخذ ما بيده غصبا حتى لو كان شيئا يخصك.

● تسامح مع طفلك واستجب لطلباته التي لا تكلفك الكثير، فقد يسألك هل أنت بحاجة إلى ورقة معينة أو قلم أو ممحاة أو صندوق، ولسوف يفرح الطفل كثيرا عندما يجد منك التسامح.

● إشعار الطفل بذاته وتقديره وإكسابه الثقة بنفسه، وإشعاره بالمسؤولية تجاه إخوته، وإعطاؤه أشياء ليهديها لهم بدل أن يأخذ منهم، وتعويده مشاركتهم في لعبهم مع توجيهه بعدم تسلطه عليهم.

● اعدل بين الإخوة في المعاملة ولا تترك فرصة لكي يشعر أحدهم بأنه يعامَل معاملة أدنى من غيره، وإذا اختصصت أحدهم بعطية فأعط الآخرين مثلها أو ما يوازيها حتى لا تترك الفرصة لتولد المشاعر العدوانية لديهم.

● عدم مقارنة الطفل بغيره وعدم تعييره بذنب ارتكبه أو خطأ وقع فيه أو تأخره الدراسي أو غير ذلك.

● تجنب إثارة أو مناقشة الخلافات العائلية أمام طفلك وناقش تلك الأمور بهدوء مع الطرف الآخر بعيدا عن مسمع ومرأى الأطفال.

● السماح للطفل بأن يسأل ولا يكبت، وأن يجاب عن أسئلته بموضوعية تناسب سنّه وعقله، ولا يعاقَب أمام أحد لاسيما إخوته وأصدقاءه.

● لحماية الأولاد من التأثير السلبي للتلفزيون لابد من الإشراف على محتوى البرامج التي يشاهدها الطفل، وتشجيعه على مشاهدة برامج ذات مضمون إيجابي، بدلا من البرامج التي تتميز بالعنف، حتى وإن كانت رسوما متحركة.



د. محمد إبراهيم الحلواني
أستاذ بقسم الحديث وعلومه جامعة المدينة العالمية ماليزيا

الهدي النبوي في معالجة الأخطاء

الخطأ طبيعة بشرية ولا ينبغي للمعلم أو المربي أن يفترض العصمة في الأشخاص ثم يحاسبهم بناء على ذلك، بل يعاملهم معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية المتأثرة بعوارض الجهل واتباع الهوى، قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»(١)، وإدراك هذه الحقيقة أيضا يذكر الداعي والمربي بأنه إنسان يمكنه الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه المخطئ فيعامله برحمة لا بقسوة، وهذا لا يعني أيضا أن نترك المخطئين متعللين بأنهم بشر أو أن عصرهم مليئ بالفتن والمغريات، بل لابد من توجيههم إلى الصواب والتفريق بين المخطئ عن جهل والمخطئ عن علم، فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، فلا يسوغ أن نسوي بين العالم بالحكم والجاهل به، بل إن الشدة على الجاهل تحمله على النفور ورفض الانقياد.

فالنبي ﷺ لم يحابي حتى أحب الناس إليه أثناء التنبيه على الأخطاء، فلم يمنع كون أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه أن يشتد عليه في الإنكار حينما حاول أن يشفع في حد من حدود الله عزوجل، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٢).

لقد دل هذا الموقف الذي سطرته كتب السنة بأحرف من نور على عدله ﷺ، وأن حدود الله وشرائعه فوق الأشخاص، فهو لا يحابي أحدا ولا يجامله حتى لو كانت ابنته، وقد بين النبي ﷺ خطورة تعطيل إقامة الحدود على المخطئين، مبينا أن سبب هلاك من قبلنا في دينهم ودنياهم هو إقامتهم الحدود على الفقراء والضعفاء وغض الطرف عن الأغنياء والأقوياء، فكانت النتيجة انتشار الشر والفوضى والفساد واستحقاق غضب الله عزوجل.

تصويب أخطاء الصغار

إن تصويب خطأ الصغير إذا أخطأ أمر واجب؛ لأن ذلك يعد من باب الإحسان في التربية، بل إن ذلك ينطبع في ذاكرته، ويجعله يمتثل الصواب الذي نبه عليه في صغره.

ومن أبرز الشواهد على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة الذي قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله،



وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد[٣].

يلاحظ في هذه القصة أن توجيهات النبي ﷺ لهذا الصغير كانت قصيرة ومختصرة وواضحة، وكان لها أثر إيجابي في نفس الغلام جعلته يتذكر توجيهاته ﷺ التي أملاها عليه وهو صغير، لأن النبي ﷺ صوب خطأه برفق ولين، فلم يعنفه، ولم يضربه، ولم يخاطبه بغلظة وفظاظة، فالأكل باليمين أدب إسلامي جليل، وصيانة الأكل والشرب عن الأقذار واجب إنساني وصحي، واليد آلة الأكل والشرب، وفي تخصيص إحدى اليدين لمحاسن الأعمال وفضائلها وشريفها تكريم لما تتناوله هذه اليد، والأكل مما يلي الآكل في إناء يشترك فيه مع آخرين أدب اجتماعي يحفظ لصاحبه أمامهم القناعة والوقار والخلق الجميل، ويحميه من صورة الشره والطمع والأنانية، ويحميهم من التقزز والإيذاء، فهل هناك أسلوب في تصويب الأخطاء أفضل من هذا؟!

عدم التسرع في العقوبة

أرشدنا النبي ﷺ إلى عدم التسرع في معاقبة المخطئ حتى نقف على الأسباب التي دفعت المخطئ إلى ارتكاب خطأه، إذ إن الوقوف على هذه الأسباب ومعالجتها يجعل المخطئ لا يكرر خطأه مرة أخرى، يؤكد هذا ما رواه النسائي في سننه عن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه قال: قدمت مع عمومتي المدينة، فدخلت حائطا من حيطانها ففركت من سنبله، فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائي وضربني، فأتيت رسول الله ﷺ أستعدي عليه، فأرسل إلى الرجل، فجاؤوا به فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله إنه دخل حائطي، فأخذ من سنبله ففركه، فقال رسول الله ﷺ: «ما علمته إذ كان جاهلا، ولا أطعمته إذ كان جائعا، اردد عليه كساءه»[٤].

هذا الموقف الجليل يبين لنا حرص النبي ﷺ على الرفق بالمخطئ، حيث أظهر ﷺ خطأ أسلوب صاحب البستان حينما عالج الخطأ بضربه للمخطئ، فالمؤمن لا يظن بأخيه إلا خيرا، ولا يفسر تصرفات غيره إلا على أحسن المحامل، فما أجمل أن يعذر بعضنا بعضا، فنحن لا نعلم ظروف الآخرين الغائبة عنا، ولا ندري ما الذي قاده إلى ذلك التصرف الذي لم يعجبك، فإذا وجدنا خطأ أو موقفا لا يليق فعله فما علينا إلا أن نلتمس الأعذار للمخطئ، وكيف لا يلتمس العاقل الأعذار لغيره وهو يعلم أن الناس مطبوعين على الضعف والتقصير وهو لا يرى الكمال في نفسه، فكيف يرجو الكمال ويطلبه منهم؟ فقد أرشد عليه الصلاة والسلام هذا الذي سرق منه أن ينظر في حاجة هذا السارق، فهو لم يسرق إلا عن حاجة وجهل، إذ إن الشريعة الإسلامية تهتم بالحقوق قبل الحدود، فقبل تطبيق الحدود على الناس، لابد من أداء الحقوق إليهم، ولهذا أوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه إقامة حد السرقة في عام الرمادة حين عمت المجاعة، لأن السارق قد يكون مضطرا، والحدود تدرأ بالشبهات.

تجنب التصريح

من الأساليب النبوية في تقويم الأخطاء عدم مواجهة المخطئ بخطئه مباشرة، واللجوء إلى التعريض، وهذا الأمر واضح جلي في تعامله ﷺ مع بعض المخطئين، فالنصيحة الصادقة تقضي بأن يحسن المسلم نصح أخيه، فينصحه سرا، لا يفضح أمره ولا يكشف سره، ولا يقف منه أثناء النصح موقف المتعالي المتكبر، ولا يختلف أحد من الناس أن تخصيص المخطئ بالذكر أمام الناس أمر مكروه يؤدي إلى النفور والغضب، ضرره أكبر من نفعه، ولهذا قال النبي ﷺ حينما بلغه أن نفرا من أصحابه سألوا أزواجه عن عمله في السر، وظنوا أن هذه العبادة قليلة: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، أصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٥]، فالرسول ﷺ قد أرشدهم إلى خطأ المغالاة في الدين تعريضا لا تصريحا، لأن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويدفع إلى الإصرار والعناد، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية، فكون التوجيه جاء عاما وغير مباشر دون تعرض للأشخاص كل ذلك جعله من أبلغ وسائل العلاج وأفضله، فحري بنا أن نمتثل هديه ﷺ في معالجة أخطاء المسلمين حتى نسعد في الدارين.

النبي ﷺ كان يصوب الأخطاء برفق ولين

الهوامش

١ – رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (٢٤٩٩) عن أنس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، تحقيق: د. بشار عواد، وحسنه الألباني.

٢ – رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣ – رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم (٥٣٧٦)، دار طوق النجاة، ط: أولى، ١٤٢٢هـ.

٤ – رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب آداب القضاة، باب الاستعداء، رقم (٥٤٠٩)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثانية، ١٩٨٦م، وصححه الألباني.

٥ – رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



د. صبري أحمد نصره
طبيب أسنان وكاتب

طفلك واعوجاج الأسنان

اقتضت حكمة الله تعالى خلق الأسنان حتى تقوم بما قدر لها من وظائف مهمة وهي:

الحفاظ على شكل الوجه وعظام الفكين، والقيام بقطع ومضغ الطعام، والمساعدة على النطق السليم..

إلا أنه -في بعض الأحيان- لا تستطيع الأسنان القيام بهذه المهام. نتيجة لوجود اعوجاج فيها، مما يسبب للمصابين -خاصة الأطفال- إزعاجات جمة.. هذا من الناحية الشكلية، أما من الناحية المرضية.. فإنه يؤدي إلى خلل في وظائف الأسنان، إذ تكون فيه الأسنان غير مستوية الوضع في أماكنها، فالبعض منها مرتفع والآخر منخفض، فيزيد الضغط على البعض، ويقل على البعض الآخر.

وفيما يتعلق بمسببات هذه الحالة فهي عامة (غير فموية) وموضعية (فموية).

أولا: المسببات العامة

تعزى إلى صغر حجم الفكين بتأثير عدة عوامل منها:

❖الوراثة: فالطفل قد يرث عن أمه فكا صغيرا، ولكنه قد يرث عن أبيه أسنانا كبيرة بالنسبة إلى ذلك الفك الصغير، مما يسبب ظهور الأسنان في وضع غير منتظم.

❖ المدنية الحديثة: حيث إن معظم الغذاء اليوم مطبوخ ولين ولا يحتاج إلى قوة مضغ يقوم بها الفك، مما يؤثر على نموه الذي يكون أقل من نمو فك الأسنان القديم الذي كان طعامه صلبا ليفيا.

❖ اختلال توازن الهرمونات، مثل هرمون النمو الذي يتحكم في نمو الهيكل العظمي وبالتالي نمو الفكين.

❖ بعض الأمراض كالزهري الولادي والسل وفقر الدم وسوء تغذية الطفل.

ثانيا: المسببات النوعية:

وهي الصفة المميزة لغالبية حالات الاعوجاج ومنها:

- الخلع المبكر لأسنان الأطفال اللبنية، مما يؤدي إلى عدم انتظام الأسنان الدائمة التي تحل محله، فتبرز في وضع معوج.

- بقاء الأسنان اللبنية مدة أطول من معدلها الطبيعي، فتظهر الأسنان الدائمة في غير موضعها.

- ظهور إحدى الأسنان الزائدة عن العدد الطبيعي للأسنان الدائمة مما يعوق ظهورها في مواقعها الصحيحة.

- التنفس عن طريق الفم نتيجة وجود اعوجاج بالحاجز الأنفي أو وجود التهابات مزمنة أو حساسية بالغشاء المخاطي المبطن للأنف.. بالإضافة إلى أسباب أخرى يضطر معها الطفل لفتح فمه بصورة مستمرة للحصول على حاجته من الهواء.

- بعض العادات السيئة عند الأطفال، مثل: مص إصبع الإبهام، العض على الأظافر وقضمها بالأسنان للتخلص من الزائد منها، مص الشفاه والعض عليها، الدفع المستمر من اللسان إلى الأسنان خاصة الأمامية منها.

المظاهر والأعراض:

- حدوث تشوه في مظهر الفم والوجه عامة.

- الضغط المستمر من الأسنان العلوية على الأسنان السفلية مسببا الإحساس بآلام شديدة، لأن هذا الضغط غير موزع توزيعا عادلا، فيجعل من بعض الأسنان هدفا لضغوط تزيد كثيرا عن قوة احتمالها، ومع مرور الزمن يتمزق النسيج الرقيق الذي يثبت هذه الأسنان في أماكنها، كما يتآكل العظم المحيط بتلك الأسنان مؤديا إلى ارتخائها.

- وجود مناطق تتراكم فيها بقايا الطعام مؤدية إلى زيادة التهابات اللثة، ونشوء عدة مناطق للتسوس.

- سوء إطباق الأسنان: أي إن الأسنان تكون في علاقة غير طبيعية مع الأسنان التي تجاورها في نفس الفك، ومع الأسنان الأخرى التي تناظرها في الفك الآخر.

- تضخم اللثة وتورمها في مواضع، وانكماشها وضمورها في مواضع أخرى حسب وضع الأسنان.

العلاج:

التعامل مع اعوجاج الأسنان يتطلب معرفة ما إذا كان السبب عاما أو موضعيا، وفي كلتا الحالتين يحتاج الأمر إلى مراجعة إخصائي تقويم الأسنان، وقد تستلزم الحالة خلع إحدى الأسنان لإفساح المكان لبقية الأسنان الأخرى كما يتم توجيهها إلى الوضع الصحيح.

التدابير الوقائية:

- معالجة الأمراض العامة (غير الفموية).

- الرضاعة الطبيعية والعناية بتغذية الأطفال.

- المحافظة على الأسنان اللبنية للطفل.

- التعويض الصناعي للسن أو الأسنان المفقودة.

- تجنب العادات الضارة ومنع الأطفال من ممارستها كمص أصبع الإبهام وقضم الأظافر وغيرها.

- الحرص على تناول الخضراوات والفواكه الصلبة مثل الجزر والتفاح، لأن ذلك يساعد على نمو الفكين وبالتالي ظهور الأسنان في أماكنها الصحيحة.

- الرعاية الدورية للأسنان بمراجعة طبيب الأسنان للقيام بفحوص وقائية وعلاجية.

- الاعتناء بنظافة الفم والأسنان حتى لا تتعرض للتلف وبالتالي فقدانها.. وقد حثنا ديننا الإسلامي - باستخدام السواك - على ذلك فقال الرسول ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب».

د. مراد النشاط
دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية المغرب



الاستثمار في الإسلام (١-٣)

يعد الاقتصاد الإسلامي بمنظومته التشريعية المتكاملة أحد دلائل شمولية الإسلام لمجالات الحياة وقدرتها على مسايرة واقع الناس المعيش في جميع مناحيه. والمتتبع لمصنفات الفقه الإسلامي والمطلع عليها يجد أن فقهاء الإسلام أولوا عنايتهم بالاستثمار وتنميته من حيث بيان مفهومه ووضع شروطه وضوابطه وغير ذلك من الأحكام التي نتج عنها التأسيس لنظرية إسلامية مستقلة حول الاستثمار مقارنة بغيرها من النظريات الاقتصادية الأخرى.

وكلمة استثمار مشتقة من مادة «ث م ر» التي وردت في عدة مواضع بالقرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ (الأنعام:١٤١)، وأيضا قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ (الكهف:٣٤).

وتطلق هذه الكلمة، وفقا للمعاجم[١]، على عدة معان؛ أهمها:

أ- حمل الشجر: يقال أثمر الشجر: أي طلع ثمره، والثامر: الذي بلغ أوان الإثمار ونضج، وشجرة ثمراء: أي ذات ثمر. قال أبو ذؤيب:

تظل على الثمراء منها جوارس
مراضيع صهب الريش زغب رقابها

ب- المال ونماؤه: يقال أثمر الرجل: أي كثر ماله، وثمر الله ماله: أي كثره ونماه، واستثمر الرجل المال: ثمره، وثمار المال: ما ينتجه من أوقات دورية، ومال ثمر ومثمور: أي كثير. وقرأ أبو عمرو: ثمر، بضم الثاء وتسكين الميم، ومعناه أنواع الأموال[٢].

ج- الولد والنسل: قيل للولد ثمرة؛ لأن الثمر ما ينتجه الشجر، والولد ما ينتجه الأب، ولذلك يقال: أثمر الشيء أي أتى بنتيجته، وأيضا الثمرة من الشيء: فائدته.

د- ما يظهر من الزبد قبل أن يجتمع: يقال الثميرة من اللبن أي ما يظهر من الزبد قبل أن يجتمع ويبلغ إناه من الصلوح، ويقال قد ثمر السقاء تثميرا، وكذلك أثمر إذا ظهر عليه تحبب الزبد.

وهذه هي أهم المعاني اللغوية للاستثمار، وجميعها تفيد النماء، أو الزيادة المتولدة من شيء متجمع؛ سواء كان ذلك مالا أو إنسانا[٣]. ويؤكد هذا ورود بعض المصطلحات المرادفة



لمصطلح التثمير في القرآن الكريم، من مثل لفظة الإنبات؛ مرة ويعنى به نمو الشجر وما في معناه، وأخرى نمو الإنسان، ومن الأول قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل:٦٠)، ومن الثاني قوله متحدثا عن مريم عليها السلام: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران:٣٧).

وبما أن لفظة الاستثمار قد دخلتها الألف والسين والتاء؛ وهذه الحروف إذا زيدت في أول الفعل أفادت الطلب[٤]؛ فإن معنى استثمر ماله أي طلب زيادته ونماءه وتكثيره، وعلى ضوء ذلك يمكن القول إن الاستثمار هو طلب زيادة الموارد المادية والبشرية، بل وكل شيء له نفع وثمرة، إنسانا كان أم حيوانا أم نباتا؛ لأن المعنى اللغوي يشمل كل أنواع المال المثمر[٥].

ومفهوم الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي غير قائم على التفرقة بين رأس المال المادي، ورأس المال البشري، فلم يهتم بتكوين السلع الرأسمالية على حساب تنمية العنصر البشري؛ إدراكا منه أن التكوين الرأسمالي وحده لا يكفي لأداء الدور المطلوب في عملية التنمية الاقتصادية؛ إذا لم يواكبه تكوين أسمال بشري قادر على تطوير وتطويع الاستثمار المادي بالشكل المحقق للأهداف المرجوة[٦].

ومنه يمكن تعريف الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي بأنه: «تنمية للمال، على اختلاف أنواعه، وفق الضوابط الشرعية، في أي قطاع من القطاعات الإنتاجية: سواء كان ذلك في التجارة، أم الزراعة، أم الصناعة...»[٧].

وإضافة إلى كون مفهوم الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي واسعا وشاملا فإن له طبيعة خاصة ومميزة نابعة من ارتباطه بأحكام الإسلام: عقيدة وشريعة، باعتباره نشاطا إنسانيا قبل أن يكون نشاطا اقتصاديا، يقوم من خلاله المستثمر بأداء واجب الاستخلاف فيما استخلفه الله عليه من أموال في ظل مجموعة من القيم والأخلاق التي تؤكد حق الفطرة والغريزة البشرية في التملك والتعمير، مادام ذلك لا يخرج عن دائرتي العدل والشرع.

أقسام الاستثمار

وينقسم الاستثمار باعتبار أصله إلى:

- استثمار حقيقي: وهو يكون متى ما وفر للمستثمر الحق في حيازة أصل حقيقي أي كل أصل له قيمة اقتصادية في حد ذاته، تظهر إما في شكل حيازة سلعة، أو في شكل التمتع بخدمة.

- استثمار عيني: وهو ما يتعلق بتوظيف الأموال في سوق الأوراق المالية، بحيث يترتب على عملية التوظيف هذه حيازة المستثمر لأصل مالي غير حقيقي، يتخذ شكل سهم، أو سند، أو شهادة إيداع.

ويطلق البعض على هذين القسمين: الاستثمار المباشر، وغير المباشر[٨].

أما باعتبار القطاع الذي يتولى القيام بعملية الاستثمار؛ فينقسم إلى استثمار خاص، واستثمار عام (أو حكومي). كذلك ينقسم حسب جنسية القائمين به إلى: استثمار محلي (وطني)، وآخر أجنبي (أو خارجي)[٩].

الاقتصاد الإسلامي لا يفرق بين رأس المال المادي والبشري

مشروعية الاستثمار

لا أحد ينكر أهمية الاستثمار في الحياة الاقتصادية، ومدى تأثيره في تسيير وتوجيه النشاط الاقتصادي والإنساني بوجه عام، لما يهدف إليه من تنمية للموارد المالية والبشرية، وزيادة في الإنتاج، وتحسين لمستوى المعيشة عن طريق مجموعة من الوسائل؛ كتوفير فرص عمل لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، وهو ما يسهم في خفض معدلات الفقر والبطالة، ويعمل على إزالة كل ما يعوق مسيرة الأمة في طريقها نحو تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية حقيقية شاملة ومستدامة.

واستجابة لهذه المعطيات؛ جاءت نظرة الاقتصاد الإسلامي للاستثمار متسمة بشيء من الاهتمام به والتركيز عليه، وذلك عن طريق عدد من السبل؛ من أهمها:

١- الأمر بعمارة الأرض وإحيائها سواء عن طريق الغرس أو الزراعة أو العمران وذلك كقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١). أي: وأوجب عليكم عمارتها؛ لأن الطلب ورد مطلقا مما يفيد وجوب المطلوب[١٠].

وعمارة الأرض المأمور بها هنا يمتد مداها، ويتسع مجالها لتشمل الاستثمار الزراعي، وإقامة المنشآت العمرانية[١١]، وكذلك استغلال ما في باطن الأرض من معادن وتصنيعها[١٢]، وغير ذلك...

٢. الترغيب في إحياء الأراضي الموات: وهو دليل قاطع على تشجيع الإسلام للاستثمار، ومن النصوص الشرعية التي تؤكد ذلك قوله ﷺ: «من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق. قال عروة: قضى به عمر رضي الله عنه في خلافته»[١٣]. وهذا الإعمار أو الإحياء لا يقتصر أيضا على المجال الزراعي، بل يتعداه إلى إنشاء البنيان، وإقامة العمران.

يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: «وكذلك البناء مثل النخل عندي»، ثم أورد ما يدل على ذلك، كقول عمر بن عبدالعزيز في كتاب له لأحد ولاته: «من أحيا أرضا ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم ابتاعوها من أموالهم، أو أحيوا بعضا وتركوا بعضا، فأجز للقوم إحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث»[١٤].

والقصد من إحياء الأراضي الموات هو بعث النشاط والحياة فيها من جديد، وإعدادها للقيام بمهمتها التي هيأها الله تعالى لها، قال عزوجل: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (يس:٣٣-٣٥).

ومما يدخل أيضا في باب الحث على إحياء الأراضي الموات والنهي عن تعطيل الموارد الطبيعية؛ تشجيعا للاستثمار ودفعا بعجلة التنمية إلى الأمام: نظام الإقطاع، وهو حق يمنحه الإمام للفرد بشرط القيام باستثماره والعمل على إنمائه، وإلا انتزع منه.

جاء في كتاب الأموال لأبي عبيد: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبلال بن الحارث المزني الذي أقطعه النبي ﷺ، العقيق: إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحجره عن الناس، إنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي». وروي أيضا أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال له: «فانظر ما قويت عليه منها، فأمسكه، وما لم تطق، وما لم تقو عليه، فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله شيئا أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لتفعلن، فأخذ منه ما عجز عن عمارته، فقسمه بين المسلمين»[١٥].

٣. الدعوة إلى تحصيل الكسب الحلال: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)، وقال سبحانه أيضا: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠). ففي هاتين الآيتين الكريمتين حث الله تعالى خلقه على عدم القعود والتكاسل، ولو بدعوى الانقطاع إلى العبادة، وأوجب عليهم السعي الجاد في الأرض وعمارتها؛ ابتغاء للرزق الطيب، وطلبا للعيش الحميد. يقول الإمام الغزالي: «إن الله تعالى أمر بالإنفاق على العيال من الزوجات والأولاد، ولا يتمكن من الإنفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب، وما يتوصل به إلى أداء واجب يكون واجبا»[١٦].

٤. الحث على استثمار المال وعدم تضييعه: ويدل على ذلك عدد من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء:٥). فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: اجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها، وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال، فلا يأكلها الإنفاق[١٧]. ونظير هذه الآية قوله ﷺ: «ألا من ولي يتيما له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»[١٨]. كذلك قال النبي ﷺ حاثا على الاستثمار الزراعي: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»[١٩]. أيضا ورد ما يدل على أن ترك تنمية المال تضييع له، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[٢٠]. جاء في «المنتقى» قول الإمام الباجي: «يحتمل أن يريد بقوله إضاعة المال ترك تثميره وحفظه...»[٢١]، وذلك لأن ترك

استثمار المال وتنميته مع الإنفاق منه موجب لنفاده.

٥. دعوة الإسلام إلى المحافظة على الأصول الاستثمارية بشتى أنواعها[٢٢]: إذ يقول النبي ﷺ: «من باع دارا أو عقارا، فلم يجعل ثمنها في مثله، كان قمنا ألا يبارك له فيه»[٢٣]. كذلك نجده ﷺ قد نهى عن ذبح الشاة الحلوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى رجلا من الأنصار، فأخذ، أي الصحابي، الشفرة ليذبح لرسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «إياك والحلوب»[٢٤].

مما سبق يتضح أن نظرة الاقتصاد الإسلامي لعامل الاستثمار نظرة شمولية واقعية، تأخذ بعين الاعتبار سبل التقدم، وتحث عليها إدراكا منه لأهميته وأثره في بناء مجتمع قوي، بدليل ما نراه في عصرنا الحاضر من أن الدول المتقدمة التي تشهد ارتفاعا في معدلات نمو الاستثمار تكتسب احترام وهيبة مثيلاتها من الدول، فضلا عن الدول النامية[٢٥]، وهو معنى حاضر بقوة حتى في تعامل الأفراد فيما بينهم، يقول الجاحظ: «واعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدين، ومتألف للإخوان؛ وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه، والرهبة منه؛ ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس بقدره. فاجهد الجهد كله ألا تزال القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة، في دين أو دنيا»[٢٦]. وفي السياق ذاته يقول القائل[٢٧]:

أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله
فإن قال قولا؛ تابعوه وصدقوا
فذلك دأب الناس ما كان ذا غنى
فإن زال عنه المال يوما؛ تفرقوا

الهوامش

١. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (٦٠٥/٢-٦٠٦)، و«معجم مقاييس اللغة»، أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون (٣٨٨/١)، و«معجم اللغة»، أحمد بن فارس، تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان (١٦٢/١)، و«المعجم الوسيط»، د. إبراهيم أنيس وآخرون (١٠٠/١)، وترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الطاهر أحمد الزاوي (٤١٧/١-٤١٨).

٢. انظر: «الصحاح»، (٦٠٦/٢).

٣. «حوافز الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي مفهومها، أنواعها، أهميتها: دراسة مقارنة»، حسين بني هاني، ص:٤٠.

٤. انظر: «جامع الدروس العربية»، الشيخ مصطفى الغلاييني، ص:١٦٢، و«إجابة السائل شرح بغية الآمل»، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي ود. حسن محمد الأهدل (٢١٦/١).

٥. انظر: «حوافز الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي»، مرجع سابق، ص:٤٩. و«الجانب النظري لدالة الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي»، خالد بن عبدالرحمن المشعل، ص:٢٢.

٦. انظر: «حوافز الاستثمار..»، ص:٥٩. و«الجانب النظري لدالة الاستثمار..»، ص:٥٨. و«الاقتصاد الإسلامي»، د. محمد عبدالمنعم عفر، ص:١١٦-٢١٠-٣١١.

٧. «مشكلة الاستثمار في البنوك الإسلامية وكيف عالجها الإسلام»، د. محمد صلاح الصاوي، ص:٦٨٤، بتصرف.

٨. «شركات استثمار الأموال من منظور إسلامي» د. أنور مصباح سوبره، ص:١٣٢-١٣٣.

٩. انظر: «الجانب النظري لدالة الاستثمار ..»، مرجع سابق، ص:٢٦ وما بعدها.

١٠. راجع «الجامع لأحكام القرآن»، أبو عبدالله القرطبي: (٥٦/٥) وكذلك: «أحكام القرآن»، أبو بكر بن العربي (١٠٥٩/٣).

١١. انظر: «أحكام القرآن»، أبو بكر الجصاص، (١٦٥/٣).

١٢. «الحرية الاقتصادية في الإسلام وأثرها في التنمية»، د.سعيد أبو الفتوح محمد بسيوني، ص:١٢٠.

١٣. «صحيح البخاري»: كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا، حديث رقم: ٢٢١٠.

١٤. «كتاب الأموال»، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس، ص:٣٠٠-٣٠٣.

١٥. انظر: «كتاب الخراج»، يحي بن آدم القرشي، تحقيق: د: حسين مؤنس، ص:١٢٤.

١٦. نقلا عن: «قيود الملكية الخاصة»، د. عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، ص:٣٤٩.

١٧. «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، جار الله الزمخشري، (٥٠٠/١).

١٨. رواه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم، ح: ٦٤١. وقال بعده: «وإنما روي هذا الحديث من هذا الوجه وفي إسناده مقال». «سنن الترمذي» (٢٣/٣).

١٩. «صحيح البخاري»: كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ح: ٢١٩٥. و«صحيح مسلم»: كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، ح: ١٥٥٣.

٢٠. «صحيح البخاري»: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافا ...﴾ ح: ١٤٠٧. و«صحيح مسلم»: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة... ح: ٥٩٣.

٢١. «المنتقى شرح موطأ الإمام مالك»، أبو الوليد الباجي، (٣١٥/٧).

٢٢. «الجانب النظري لدالة الاستثمار..»، مرجع سابق، ص:٦٣.

٢٣. رواه الإمام أحمد في «المسند»، ح: ١٨٧٣٩.

٢٤. «صحيح مسلم»: كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك... ح: ٢٠٣٨.

٢٥. «الجانب النظري لدالة الاستثمار..»، مرجع سابق، ص:٦٦.

٢٦. «رسائل الجاحظ»، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام النشر: ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، (١١٢/١-١١٣).

٢٧. «العقد الفريد»، ابن عبدربه الأندلسي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة.

د. فرغلي هارون
باحث في علم الاجتماع



ارسم طريقك إلى القمة

الناس في الحياة صنفان: أحدهما يسير في حياته دون أي تخطيط أو دراسة لما يريد تحقيقه أو الوصول إليه في حياته، والآخر يرسم طريقه في الحياة بدقة ليحقق ما يريد. ولا شك أن الصنف الأول يكون أكثر عرضة للفشل، وأكثر تعرضا للمشكلات بمختلف أشكالها، وأقل قدرة على تحقيق أحلامه أو إنجاز شيء مهم في حياته. وعلى النقيض، فإن الصنف الآخر يكون أكثر قدرة على ضبط إيقاع حياته، وتحديد مساراته المؤدية إلى تحقيق ما يتمناه في الحياة. فدائما ما كان النجاح في أي مجال من مجالات الحياة ثمرة للتخطيط الجيد، الذي ينظم الجهد ويوجهه.

ولذلك يجب على الناس عامة، والشباب خاصة، ألا يستسلموا لعشوائية الحياة وتخبطها، وإنما يسعون بجد ومثابرة لرسم طريقهم في الحياة، وشحذ الهمة والفكر لتحسين جودة حياتهم وتحقيق أهدافهم المرجوة فيها. ويمكن لكل شاب أن يرسم طريقه نحو القمة من خلال التزامه بالمراحل الأربع التالية:

أولا: اعرف نفسك: من أنت؟ وماذا تريد؟ (مرحلة التقييم الذاتي)

تعتبر معرفة الذات مفتاح التطور والنجاح في الحياة، فبدون أن يعرف الإنسان نفسه، ويتعرف على مكامن قوتها، وضعفها، فإنه لن يستطيع النجاح في حياته، أو إزالة المعوقات التي تقف في طريق مستقبله، أو استثمار الفرص التي تساعده على التطور والازدهار. ولذلك يقول ربنا عزوجل: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ (القيامة:١٤-١٥)، أي هو شاهد على نفسه مهما اختلق من أعذار. ويقول أرسطو: «إن معرفة نفسك هي بداية كل حكمة».

ولا شك أن معرفة نقاط القوة والضعف عند الإنسان تعتبر من أكثر العوامل التي تساعد على نجاحه في حياته، فكما قال الحكماء: «لا يوجد إنسان ضعيف ولكن يوجد إنسان لا يعرف مواطن القوة لديه»، فنقاط الضعف والقوة هي المعيار الأساسي الذي يحدد معالم شخصية الإنسان.

ونقاط الضعف هي مجموع السلبيات الموجودة في شخصية الإنسان، والتي قد تكون خارجية ظاهرة أو داخلية باطنة، ومن أمثلتها: العصبية وفقدان السيطرة على النفس - عدم القدرة على المواجهة، والدفاع عن النفس بالحجة والإقناع - ضعف القدرة على الحوار والتعبير عن الأفكار - عدم القدرة على حل المشكلات والتعامل مع التغيرات التي تطرأ على الحياة.

أما نقاط القوة فهي الصفات الإيجابية

التي تدفع الشخص للأمام، وتجعله يرتقي بحياته، مثل:

- الحزم والجدية في العمل وجميع أمور الحياة.
- الصدق، أي الابتعاد عن الكذب والتدليس في الكلام والأفعال في جميع أمور الحياة.
- النظام والقدرة على ترتيب الأمور بشكل دقيق ومدروس.
- الثقة العالية بالنفس وقوة الشخصية والمهارات العالية في تقديم النفس والتعامل مع الآخرين.
- الذكاء والفطنة والحدس، والقدرات العقلية والعلمية المميزة في كافة المجالات.
- المرونة العالية والقدرة على التأقلم مع الظروف المختلفة، وبالتالي عدم إضاعة الفرص.

ويستطيع الفرد اكتشاف نقاط الضعف والقوة في نفسه إما من خلال المواقف التي يواجهها في حياته، أو من خلال الاختبارات النفسية، أو بمساعدة الأهل لاكتشاف شخصيته وتطويرها. بشرط أن يتحلى بالصدق مع النفس، والوضوح، والصراحة، حتى لا يتوهم امتلاك صفات معينة غير موجودة فيه حقيقة.

ويعتبر تحليل SWOT من أكثر الوسائل التي تساعد في معرفة الإنسان لنفسه، فهو أداة تساعد الفرد في التعرف على نقاط القوة والضعف التي تمثل واقعه الداخلي، وأيضا التعرف على الفرص المتاحة والمخاطر أو التحديات التي تواجهه في بيئته، والتي تمثل واقعه الخارجي. ويمكن تلخيصه في الجدول التالي:

	نقاط القوة Strengths	نقاط الضعف Weaknesses
عوامل داخلية	أهم ما يميزنا، وسماتنا المفيدة في تحقيق الهدف الذي نريده	إمكانياتنا وسماتنا الضعيفة، والمضرة بتحقيق الهدف
	الفرص Opportunities	التحديات Threats
عوامل خارجية	الظروف الخارجية التي يمكن انتهازها والاستفادة منها في تحقيق الهدف	الظروف الخارجية التي تشكل تهديدا أو تحديا لأعمالنا أو هدفنا

ثانيا: حدد أهدافك على طريق النجاح (مرحلة تحديد الأهداف)

تتعلق الأهداف بالمستقبل، وهي تشير بشكل محدد إلى ما ترغب في تحقيقه لكي تلبي احتياجاتك أو تحل المشكلات التي تواجهك. ويعتبر تحديد الأهداف من أهم مفاتيح النجاح في الحياة، فالإنسان الناجح هو الذي يسير ويتحرك ويتصرف ويتكلم وفق أهداف مرسومة مسبقا يعمل على تحقيقها، ويسعى إليها بوضوح ودقة وثبات وثقة. وبتحديدك لأهدافك تربح ثروة لا تساويها مليارات الأرض كلها؛ لأنك تربح حياتك نفسها، وهي لا تقدر بثمن، فكما قيل: «ليس الفقير من لا يملك مالا، ولكن الفقير هو من لا يملك حلما يعيش من أجله». وبشكل عام تصنف الأهداف إلى نوعين:

١- أهداف عامة: وهي ذات مدى بعيد، وتعتبر الإطار العام لاتخاذ خطوات عملية نحو تحقيق رؤيتك ورسالتك في الحياة، وتحدد الوضع الذي ترغب أن تكون عليه بعد انتهاء الخطة وتركز على المخرجات المرغوب فيها.

٢- أهداف فرعية (إجرائية): وهي أهداف مرحلية محددة وقابلة للقياس، يمكن تحقيقها في فترة زمنية محددة، وتكون محصلتها النهائية تحقيق الأهداف العامة.

ولكي يكون الهدف الإجرائي جيدا في صياغته يجب أن يكون ذكيا، بمعنى أن يكون:

S	Specific	محددا
M	Measurable	قابلا للقياس
A	Achievable	قابلا للإنجاز
R	Realistic	واقعيا
T	Time-bound	مرتبطا بزمن

ولكي تنجح في هذه المرحلة يجب أن تراعي ما يلي:

١- كن واقعيا عند تحديد أهدافك: فلا تأمل في أكثر مما تستطيع فتقع أسير الإحباط، ولا تأمل في أقل مما تستطيع حتى لا تهدر طاقتك وقدراتك بلا جدوى.

٢- لا تستسلم بسهولة: ففي سعيك لتحقيق أهدافك لابد أن تواجهك بعض الصعوبات أو العقبات، ولابد أن تكافح للتغلب عليها ومواجهتها. فأهم ما يميز الأشخاص الناجحين هو روح المثابرة والإصرار.

٣- ركز على المجالات التي يمكن التحسن فيها بسرعة: لأن نجاحك في تحقيق بعض أهدافك، وما يترتب عليها من تحسن في أدائك وحياتك، يكون له مردود إيجابي في تحقيق بقية أهدافك.

٤- راقب إنجازاتك باستمرار: سل نفسك كل فترة عما حققته حتى الآن وما ترغب في الوصول إليه بعد ذلك، وقم بتعديل وتغيير الأهداف التي تتطلب ذلك لتحقيق نتائج أفضل.

ثالثا: ضع خطة للوصول إلى أهدافك (مرحلة وضع وتنفيذ الخطة)

لا يمكن تحقيق الأهداف المرغوبة في الحياة بدون وضع خطة واقعية وعملية واضحة ذات مراحل وخطوات محددة، حتى لا تصبح الأهداف مجرد أمنيات أو أحلام بعيدة المنال. فعملية التخطيط تعتبر بمثابة الجسر الذي ينقلنا من موقعنا الحالي إلى الجهة التي نود الذهاب إليها، ولذلك فهي عملية تنبؤية مبنية على خبرة الماضي وواقع الحاضر من أجل تحقيق ظروف أفضل في المستقبل.

ولكي يكون التخطيط جيدا وناجحا يجب أن يمر بالمراحل التالية:

أ- تحديد ووضع الأنشطة: أي تحويل الأهداف إلى أنشطة وإجراءات وأعمال يقوم بها الفرد لتحقيق كل هدف فرعي من أهداف الخطة. ويجب أن تكون هذه الأنشطة: متسقة مع الأهداف -قابلة للتنفيذ في ضوء الموارد المتاحة- فعالة في تحسين مستوى الأداء.

ب- تحديد الإطار الزمني: أي وضع الإطار الزمني لتنفيذ كل نشاط أو عمل، من خلال دراسة الترتيب المنطقي للأنشطة، والمدة الزمنية اللازمة لكل نشاط، والأنشطة المتزامنة، والأخرى المتتالية.

ج- تحديد الموارد المطلوبة ومصادرها: أي تحديد ما يحتاجه كل نشاط من إمكانيات مادية وبشرية لتنفيذه وتحقيق الهدف منه، وكذلك تحديد مصادر هذه الموارد.

د- تنفيذ الخطة: في هذه المرحلة تدخل الخطة إلى حيز التنفيذ، حيث يتم تقسيمها إلى خطط تفصيلية شهرية أو أسبوعية أو يومية، والشروع في تنفيذ الأنشطة والأعمال المحددة في وقتها أو مداها الزمني المحدد.

هـ- المتابعة: وهي عملية جمع المعلومات بصورة منتظمة ودورية عن جوانب الخطة وبرامجها الزمنية ورصد ما تم تنفيذه، ومقارنة تاريخ التنفيذ المخطط بالفعلي؛ وتكلفة التنفيذ المتوقعة بالتكلفة الفعلية؛ والأدلة والشواهد الدالة على إنجاز الأنشطة؛ وتحديد الأنشطة التي لم تنفذ أو تم تأجيلها وأسباب ذلك.

و- التقييم: هو عملية جمع المعلومات وتحليلها لتحديد مدى قدرة الخطة على تحقيق الأهداف المخططة. ومن خلاله يتم تقدير النتائج المتحققة من تنفيذ الخطة، وقيمتها، وأنسب الوسائل في تحقيق الأهداف، وسلبيات تنفيذ الخطة وإيجابياتها للاستفادة منها في الخطط المستقبلية.

رابعا: نظم وقتك لتحقق أهدافك (مرحلة تحديد وترتيب الأولويات)

تعتبر إدارة الوقت وترتيب الأولويات من أهم عوامل نجاح الفرد في تحقيق أهدافه المستقبلية؛ لأن كل هدف تتم ترجمته إلى مجموعة من الأعمال والأنشطة، يتطلب كل نشاط منها فترة زمنية معينة لإنجازه. ولأن الوقت غالبا ما يكون محدودا، فإنه لابد من ترتيب الأعمال والمهام حسب الأهمية للوصول إلى الأهداف بأسرع وقت ممكن، دون إهدار للوقت أو الجهد.

ومن الأدوات المفيدة في عملية تحديد وترتيب الأولويات ما يعرف بـ (مصفوفة أيزنهاور) نسبة إلى الرئيس الأمريكي رقم ٣٤ دوايت أيزنهاور الذي ابتكر هذه المصفوفة لإدارة المهام والتي يمكن من خلالها تمييز المهام العاجلة والمهمة من غيرها. حيث كان من أقواله: «إن القرارات الأكثر إلحاحا نادرا ما تكون الأكثر أهمية». وهي تتمثل في الجدول التالي:

	عاجل	غير عاجل
مهم	(مربع الأزمات) أعمال ذات تأثير كبير على حاضرك ومستقبلك، لا تقبل التأجيل، ولابد من القيام بها فورا	(مربع المستقبل) أعمال مهمة لمستقبلك، ولكن يمكن جدولتها أو تأجيلها لفترة معينة دون مشاكل
غير مهم	(مربع الخداع) الأنشطة التي تنخدع بها وتستهلك الكثير من تركيزك وطاقتك ولا تضيف لك شيئا	(مربع الضياع) الأعمال والأنشطة التي يجب التخلص منها لتحسين أدائك وتطوير ذاتك

وبعد تحديدك وترتيبك لأولوياتك، يجب عليك مراعاة الأمور التالية من أجل إدارة وقتك بشكل أفضل لتحقيق أهدافك:

- ركز على هدف واحد في الوقت الواحد: إن التركيز على أكثر من هدف أو أداء أكثر من عمل في نفس الوقت يمكن أن يؤدي إلى فقدان البوصلة وضياع الهدف الأكثر أهمية وإلحاحا ومن ثم فقدان كل منهما، لذا من الواجب على الشخص أن يجعل كل تركيزه في تحقيق الأهم فالمهم.
- قسم العمل: تقسيم الأعمال إلى نشاطات ومهام صغيرة حل مثالي من أجل التشجيع على التقدم في العمل وإتمامه، حيث تتم تجزئة الأعمال الكبيرة وتوزيعها على أوقات معينة، فيتم تحاشي الإرهاق والملل والتراكم، بالإضافة إلى الشعور بالإنجاز وهو دافع قوي للغاية، ويتم تقسيم توزيع الأعمال المقسمة على الأوقات المختلفة بحسب الأهمية وسرعة الأداء.
- التزم بجدول يومي: يجب وضع جدول زمني واضح، لكافة المهام والأوقات اللازمة لتحقيقها على مدار اليوم ووضعه دوما نصب عينيك. ويمكن القول إن الروتين الشخصي هو سمة الناجحين، وذلك عبر تحديد أعمال معينة تتم في أوقات محددة من اليوم وكل يوم ولا يمكن تغييرها إلا في حالات الطوارئ، ويتضمن ذلك ساعات الفراغ أو الراحة. ويستطيع الشخص أن يستخدم هاتفه، أو تدوين المذكرات من أجل معرفة مهامه اليومية، وحتى يتمكن من إنجاز كل مهمة في وقتها.
- كن مرنا: الحرص على مرونة تقسيم الوقت، لأنه في حال لم يكف الوقت المخصص لإحدى المهام، يجب أن يتضمن الجدول إمكانية إحداث التغير بشكل لا يضر بالمهام الأخرى.
- احذر التسويف: فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى تكدس الواجبات والمهام المطلوبة، وبالتالي العجز عن أدائها وتحقيق الهدف منها في النهاية.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة «العربي»

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة «العربي» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي مجلة شهرية ثقافية مصورة، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية، وقد صدر أول عدد منها في جمادى الأولى، سنة ١٣٧٨هـ، الموافق ديسمبر، سنة ١٩٥٨م.

أبواب المجلة

شهدت المجلة منذ صدورها تحديثات مستمرة بحسب التطور العلمي وتغير الحال والزمان. واليوم تأتي مجلة «العربي» في إصدار جديد كل شهر، وتحتوي على عدد من الأبواب منها:

حديث الشهر: ويندرج تحت هذا الباب مقالة متجددة يكتبها رئيس تحرير المجلة.

ملف العدد: ويحتوي على الموضوع الأساسي في المجلة، وحوله تدور النقاشات والكتابات، حيث إنه يتناول موضوعا محددا من قبل أكثر من كاتب ثم تجمع هذه الموضوعات في ملف العدد.

أدب: يندرج تحت هذا العنوان العديد من المقالات الفرعية، مثل:

شاعر العدد: حيث يتناول نبذة عن شاعر من الشعراء، ومختارات من شعره.

أوراق أدبية: يتناول بعض القضايا في الأدب والشعر.

قصص على الهواء: وهو مشروع القصة القصيرة بالتعاون مع إذاعة «بي بي سي العربية» لاكتشاف الإبداعات الجديدة ودعمها وتشجيعها.

مستقبليات: تتم فيه مناقشة العديد من القضايا المستقبلية التي تمس العالم بوجه عام وتهم العالم العربي بوجه خاص.

استطلاعات: حيث يتم التعريف ببعض الأماكن وما فيها من معالم والحديث عن نشاطات سكانها.

طب: يتناول العديد من القضايا الطبية والصحية.

لوحة العدد: حيث يتم تناول لوحة من أبرز اللوحات وعرض وتحليل ما فيها من تفاصيل.

فن: ويتم استعراض عدد من الأعمال الفنية لكبار الفنانين ومناقشة ما ترمي إليه.

البيت العربي: يتناول مواضيع تتعلق بالأسرة العربية والمشاكل الأسرية المتنوعة. وقد تحول هذا الباب إلى ملحق مستقل اعتبارا من ديسمبر ٢٠١١م، ويوزع مجانا مع المجلة شهريا.

أبواب ثابتة: ويندرج تحتها: عزيزي القارئ، قالوا، اللغة حياة، الثقافة الإلكترونية، الإنسان والبيئة، جمال العربية، منتدى الحوار، المسابقة الثقافية، مسابقة التصوير الفوتوغرافي، المفكرة الثقافية، عزيزي العربي، إلى أن نلتقي، كاريكاتير.

إصدارات أخرى لمجلة «العربي»

كتاب العربي: صدرت سلسلة كتاب العربي الفصلية في عام ١٩٨٤م، وهي عبارة عن كتاب مستقل يضم إبداع كبار الكتاب ومساهماتهم التي سبق نشرها على صفحات المجلة، يعاد نشرها بشكل مركز وبين دفتي كتاب العربي.

العربي الصغير: وهي مجلة موجهة إلى فئة الأطفال والفتيان والفتيات، وقد صدر العدد الأول من العربي الصغير كمجلة مستقلة في فبراير، سنة ١٩٨٦م، وكانت قبل ذلك تصدر كملحق صغير مع مجلة «العربي»، منذ صدورها.

العربي العلمي: مجلة مستقلة لنشر الثقافة والوعي العلمي.

ندوات مجلة العربي: تقيم مجلة العربي ندوة سنوية بشكل دوري، حيث تتمحور كل ندوة حول موضوع محدد، يدور فيه النقاش حول أبحاث وأوراق مقدمة من الخبراء والأكاديميين المعنيين بالشأن العربي من مختلف دول العالم العربي ومن المهاجر التي تضم شخصيات عربية فاعلة.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخ من هذه المجلة الثقافية الماتعة، التي تحتوي على ٦٩٧ عددا، جمعت في ١٧١ مجلدا، من أول عدد صدر إلى العدد الذي صدر في ربيع الأول، سنة ١٤٣٨هـ، الموافق ديسمبر، سنة ٢٠١٦م، وهي في متناول الباحثين عن الثقافة والفكر.

المصادر

مجلة «العربي».
موقع مجلة «العربي».
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

حسن السؤال

قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: «وقف أعرابي على باب عبدالملك بن مروان، فسلم، ثم قال: أي رحمك الله إنه مرت بنا سنون ثلاث، فأما إحداها فأكلت المواشي، وأما الثانية فأنضت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، فإن يك عندك مال الله فأعطه عباد الله، وإن يك لك فتصدق علينا، ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ (يوسف:٨٨)؛ فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا، ما حرمنا أحدا».

(آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص:٢٤١).

من آداب المجالسة

قال العلامة ابن عبدالبر القرطبي رحمه الله: «قال عمر بن الخطاب ﷺ: مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس. وقال أبو أيوب الأنصاري: من أراد أن يكثر علمه فليجالس غير عشيرته».

(انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان للقرطبي، ص:٢٩).

فائدة فقهية لطيفة

قال العلامة عبدالله البسام رحمه الله: «فائدة جليلة: ورد الأمر من الشارع بمخالفة الحيوانات الخسيسة والشريفة في هيئات الصلاة. فنهى عن التفات كالتفات الثعلب، وافتراش كافتراش السبع، وإقعاء كإقعاء الكلب، ونقر كنقر الغراب، وإشارة بالأيدي كأذناب الخيل، وبروك كبروك الجمل. وغير ذلك مما نهى عنه الشارع من مشابهة الحيوانات، لأن الصلاة مناجاة لله، فينبغي أن تكون على أحسن هيئة وأفضل صفة».

(انظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ١٦٦/١)

البدعة

قال صاحب عون المعبود: «ثم اعلم: أن البدعة هي عمل على غير مثل سبق. قال في القاموس: هي الحدث في الدين بعد الإكمال. والبدعة أصغر من الكفر وأكبر من الفسق، وكل بدعة تخالف دليلا يوجب العلم والعمل به؛ فهي كفر، وكل بدعة تخالف دليلا يوجب العمل ظاهرا؛ فهي ضلالة وليست بكفر. وقال السيد في التعريفات: البدعة هي الفعلة المخالفة للسنة، سميت بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مثال».

(انظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٢٤٣/١٢)

منزلة العلماء

قال العلامة ابن القيم، رحمه الله تعالى، مبينا منزلة العلماء في الإسلام وأثرهم في حياة الناس: «فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (النساء:٥٩)؛ وأولو الأمر: هم العلماء».

(انظر: إعلام الموقعين، ص:٩)

لا يطلب العالم بعلمه شرف المنزلة

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «من صفته (أي: العالم) أنه لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك، ولا يحمله إليهم، صائن للعلم إلا عن أهله، ولا يأخذ على العلم ثمنا، ولا يستقضي به الحوائج، ولا يقرب أبناء الدنيا، ويباعد الفقراء، ويتجافى عن أبناء الدنيا، وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم، ألزم نفسه حسن المدارة لمن جالسه، والرفق بمن ساءله، واستعمال الأخلاق الجميلة، ويتجافى عن الأخلاق الدنية».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥).

التعفف من الدنيا

قال العلامة أبو العباس الوراق رحمه الله:

- من ملك الشهوات؛ سلم من الآفات.
- من اتقى الحساب؛ تورع في الاكتساب.
- العز مع الافتقار؛ خير من الذل مع اليسار.
- العاقل من وعظته التجارب، وتأدب بالمصائب.
- من حرم حظه من الرفق فقد منع أعظم الرزق.
- الحريص دائم التنغيص.
- الليل والنهار يفنيان الأعمار.
- رأس العقل بعد الإيمان مداراة الأعداء والإخوان.
- من استغنى عن الناس عظموه، ومن احتاج إليهم حقروه.
- الدنيا صفوها مشوب بكدر، والدهر عبرة لمن اعتبر.

(انظر: تأليف الافتراق من حكم ابن الوراق، ص:٣٤)

وصف أهل الزهد

وصف الحسن البصري أهل الزهد بوصف بديع قال فيه: «إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة وهم مخلدون، وكمن رأى أهل النار في النار معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وحوائجهم عند الله مقضية، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة، صبروا أياما قصارا لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ربنا ربنا، وأما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خلطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٢٧).

إعداد: التحرير



إلى الكويت في ظل إمارة الصباح

قوم من الأنداء، والأرواح
شيخ البلاد دليلهم نحو الندي
ضمن الإله له الهدى سعيا كما
تغدو السفائن غير عابئة إذا
تلك الكويت وقد رسمت بها المدى
تلك الكويت وأنت تحكم نسجها
شمسا تطل على الحياة بدفئها
ابن الأكارم قادها نحو العلا
واستوقف القطبين عند مرورها
هذي الكويت، وهاك: كان أميرها
جعل الإخاء طريقة شرعية
فأتى عليه العابرون، وأقفلوا
وطن الجميع مكلل بمهابة
لكم الحياة هنيئة بمسرة

أمنوا النوى واستأنسوا بصباح
وسبيلهم للمجد، والإصلاح
سبقت خطاه المجد في الألواح
عبرت إلى آمالها بنجاح
طيرا يغرد هانئاً بسراح
جاءت كما رفعت يد المساح
روضا يهب على الدنا بالراح
صاد النجوم لها بغير رماح
نشوانة في موكب الأفراح
نهر العطاء، وقصة لكفاح
للأخذ، والإعطاء، والإفصاح
لم ييأسوا في غدوهم ورواح
ومحصن بعناية الفتاح
أهنا بظل إمارة ابن صباح

شعر: محمد محمد عيسى - مصر



جدلية مستقبل الكتاب

تؤكد مراكز الأبحاث التي تهتم بشأن الكتاب الورقي أنه سيبقى موجودا، ولن يستطيع الكتاب الإلكتروني إزاحته عن عرشه، وسيبقى القارئ يجد متعة نفسية في القراءة من الكتاب الورقي حيث يشعر بسعادة كبيرة ويتعامل مع الكتاب باعتباره جزءا منه، بعكس الكتاب الإلكتروني الذي يترك صاحبه لمجرد انقطاع التيار الكهربائي أو حدوث أي عطل في جهاز الحاسوب.

وفي استطلاع تم مؤخراً في فرنسا أجمع المستطلعون أن الكتاب الورقي لم يمت، فتسعة فرنسيين من أصل عشرة يقرؤون اليوم الكتاب بنسخته التقليدية وورقه المألوف. كما أكدت الإحصائيات التي أقيمت في السويد وألمانيا والنمسا خلال عام ٢٠١٧م أن معدل قراءة الكتاب الإلكترونية قل بنسبة ٧٪، أما الذين أكدوا أنهم سيتابعون سنواتهم القادمة في تقليب الصفحات فبلغت نسبتهم ٧٧٪. معنى هذا أن الكتاب الورقي المطبوع مازال يؤكد حضوره أمام الكتاب الإلكتروني حتى إشعار آخر.

سهير أبوبكر الشاذلي - قاصة وكاتبة صحافية

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com





صبح المعالي

ربما يطول الليل أحيانا، وقد يتململ المريض تحت فراشه، يئن من وجعه، ويتوجع من ألمه، وهو يحسب أن صباحا منبلجا لن يشرق، وأن ملح الأرض قد صب فوق جراحه فألهبها وفجرها وبلغ منها مبلغا من الألم فوق احتماله.

وقلما تخلو الحياة عن مشكلة أو تصدر عن بلية، ولست أظن أن الزمان يمر ويمضي بغير كلفة أو معاناة حتى يكون المرء بين الكدح والكبد، وقد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فربما ضاقت الحياة بالأخيار واشتدت الأيام عليهم، وثقلت بهم وشردوا فيها..

وإن للرجل عزمة لا تني، وللبحر عاصفة لا تسكن، وليس من الضعف أن يعثر الرجل ثم ينهض، فإن السيف قد ينبو، وإن المهر قد يعثر، فقد يطول الدرب، وتشتط الأسفار، وقد يجف سيل النهر ويشتد ليل المحن، لكن صبح المعالي سوف يشرق يوما تشدو فيه عصافير المنى وترفرف فيه حمائم السلام.

نعم قد يطول ليل الدواهي، وتشتد حبال المحن، لكن هذه سحابة صيف لا تدوم والعاقل من يفهم ذلك ويعلم أن الأيام دول، وأن الليالي حبالى، وأن دوام الحال من المحال، ولن يغلب عسر يسرين، وإن أعراف المجد وخطط المكارم محفوفة بالمكاره، وسبيل المعالي مليئة بالأشواك، ولا بد للعاشق أن يدرب نفسه على ليل الهجر، وخطرات الصدود، ولصاحب الحاجة أن يبتغي لها الأسباب وينغض إليها سبل الطلب، ويصرف فيها أعنة الفكر، ويتوخى لها وجود النجح، فيأخذها من مظانها سالكا فيها كل سبيل، باذلا فيها كل جهد حتى يأتيه مراده عفوا وصفوا، وما ذلك على الله بعزيز.

إنها الحياة تحتاج من يتأملها ويبصرها، ويعاين ما قبلها وما بعدها، فيستعذب المرء أيامه، ويبقى فيها مكابدا يشتاق، ومن ذاق عرف و«عند جهينة الخبر اليقين» عندما يعرف دربه ويلعق جراحه، ويغسل مكابده، ويلقى الحياة التي كان يعاينها.

علي الخطيب - باحث دراسات إسلامية

محبتهم للطاعة

جاء في التفسير الكبير للإمام الرازي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر:٣)، أنه تعالى لما بيّن في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا يقتصرون على ما يخصهم، بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين، وعلى هذا الوجه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (التحريم:٦)، فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم. إذ الإقدام على المكروه، والإحجام عن المراد؛ كلاهما شاق شديد.

محمد أحمد قنديل



مسك الختام

سر النجاح.. الإخلاص!

ما من أمة جعلت الإخلاص رائدها إلا وسمت منزلتها. وارتفعت مكانتها بين الأمم.
فاذا عم الإخلاص سادت المحبة بين الناس. ولقد انتصر المسلمون قديما بفضل إخلاصهم لربهم وتفانيهم في هذا الإخلاص.
فدافعوا عن الدين صادقين وتحملوا الأذى في سبيله راضين، وما أعظم أن يكون المرء خالصا في جميع أعماله إلى ربه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا الإخلاص وسلامة النية في جميع أعمالنا اليومية. وكل ما دعا إليه الله تعالى يتخذه العبد منه عبادة. ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «إن أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة ثلاثة رجال: رجل استشهد في سبيل الله تعالى، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى قتلت، قال كذبت، ولكنك قاتلت ليقال هو جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم، وقرأت ليقال هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال فأتي به، فعرفه نعمته، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» (مسلم عن أبي هريرة)، نص الحديث على أن الله لا ينظر إلى الصور ولا ينظر إلى الأعمال المجردة من بواعثها ودوافعها. ولكن بمقتضى هذه البواعث وتلك الغايات يكون القبول والرد والعقاب.
فأي عمل أعظم من أعمال الجهاد في سبيل الله؟ وأن تذهب النفس على أسنة الرماح في معركة الحق مع الباطل؟ ومع ذلك لا يقبل الله منه هذا الجهاد إذا قتل فيه مادام القصد منه الرياء بالاستشهاد وإظهار الشجاعة أمام الناس، فيكون الباعث مفسدا للنية ومحبطا للعمل. وأي عمل وأي فضل أيضا يعادل فضل العالم؟ فهو يدعو الناس ويرشدهم إلى طريق الحق، وينشر النور، ومع ذلك فإن كل هذا لا يكون محمودا إذا فقد الإخلاص، بل يكون مذموماً، ويسحب على وجهه في النار، وكذلك الجواد الذي يبذل الغالي والنفيس، ويتحرى مواضع المحتاجين والمرضى. فإذا قصد بعمله هذا مرضاة الله فهو في عليين، أما غير ذلك فهو في الدرك الأسفل من النار. فإن الأعمال التي هي نفع في ذاتها إذا لم يصحبها الإخلاص كانت وبالا على صاحبها؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا أخلصها وسلامة النية فيها. إذن فالإخلاص هو الأساس الذي تبنى عليه الحياة وبغيره تنهار؛ لأن ما يصدر عن القلب يصل إلى القلب، فالإخلاص سبيل المؤمنين.
وإن الله تبارك وتعالى قد أمر نبيه ﷺ به فقال في محكم آياته: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ (الزمر١١:١٢).
ويقول الرسول ﷺ «من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس. ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته» (الحاكم في تاريخه عن ابن عمرو).
ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام أخذ ينتشر حتى عم نوره المشرق والمغرب، ودخل الناس في دين الله أفواجا بفضل الله، ثم بإخلاصهم وتفانيهم. فهو الأساس الذي تبنى عليه الحياة وبغيره تنهار.

عبدالله خليفة
أستاذ العلوم الشرعية
الأزهر الشريف

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

كويت

فلاشات وطنية تلفزيونية

أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام **صلاح أبا الخيل**

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...







+965 922 54 54 5

R e d A w q a f



العدد ٦٤١ -السنة ٥٦ - صفر ١٤٤٠ هـ - أكتوبر - ٢٠١٨ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٤٣) ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - نوفمبر - ٢٠١٨ م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

فَلسَفَةُ القُدوَةِ في الإسلامِ



- الإسلامُ بينَ الدّولةِ والحضارة
- قضاءُ الحوائجِ في الميزان
- المثقّفُ الدّينيّ ومهامُه



موقع مجلة الوعي الإسلامي

 alwaeiq8@gmail.com

 www.alwaei.gov.kw

 مجلة الوعى الإسلامى

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

مطويات مجلة الوعي الإسلامي

أسباب اختلاف الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى

أولاً: الأسباب التي ترجع إلى الإمام أحمد رحمه الله:

١) عدم تدوين الإمام أحمد مذهبه:

٢) ألفاظ الإمام أحمد في فتاواه:

إعداد/ د. تركي محمد حامد النصر

النص العربي
أصوله، تحقيقه، إخراجه
إعداد/ فلاح محمد الهاجري

تمهيد

أولاً: أول نص إسلامي مكتوب

ثانياً: أوائل المصنفات

ثالثاً: الورق والوراقون

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

الحديث الموضوع
(تعريفه وحكمه، أسبابه، طرق معرفته، مؤلفاته)

إعداد
الدكتور رياض منسي العيسى



فهد محمد الخزي

القدوة الصالحة

لا ريب أن الدعوة إلى الله أمر جليل ودعامة عظيمة من دعائم ترسيخ المبادئ الفاضلة في المجتمع المسلم، ومن أهم طرق الدعوة إلى الله تعالى القدوة الصالحة، التي يرى فيها الناس واقعا معاشا للمبادئ التي يدعو إليها؛ فالقول فيها صنو العمل.

إن قدوة المسلمين الأولى هو نبينا محمد ﷺ صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأقوم، الذي أوصانا الله سبحانه في القرآن الكريم بأن يكون أسوة لكل سالك لطريق الاستقامة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١). فالاقتداء به ﷺ يشمل الاقتداء بأقواله وأفعاله وسيرته، وسائر أخلاقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وتأتي أهمية القدوة الحسنة للداعية من خلال امتثال أوامر الإسلام واجتناب نواهيه؛ حيث ينعكس ذلك على أفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية؛ مما يجعله أسوة حسنة لغيره، ويكون بها أنموذجا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها؛ لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده. ورحم الله من قال:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك تعذر إن وعظت ويقتدى ... بالقول منك ويحصل التسليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

لقد انتشر الإسلام في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الطيبة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الصالحة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله.

ولا شك أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين لمثال حي؛ فإن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدي. ويتمثل هذا واضحا فيما رواه البخاري في صحيحه (رقم: ٧٢٩٨) من حديث ابن عمر قال: «اتخذ النبي ﷺ خاتما من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: إني اتخذت خاتما من ذهب فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبدا، فنبذ الناس خواتيمهم». فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول.

وإن الإخلاص من أهم مطالب القدوة وأدقها؛ فهو أولى ما ينبغي أن يستقر في الرجل المقتدى به؛ فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل تمام الخضوع لله عزوجل، أمرا ونهيا ونظرا وقصدا.

وختاما: بملاحظة هذه المعالم وأمثالها يتحقق الخير، وترشد المسالك، وتؤتي الحكمة خيرها: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة:٢٦٩).

والنفوس تملك قدرا كبيرا من التأهيل في قبول ما عند الدعاة، وتستفيد من المواعظ، فليتنبه الدعاة إلى الله، وليحملوا الناس على توجيهات الشرع الحنيف. قال العلامة القرطبي في تفسيره (١٦/٢) «... فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والقريب والغريب من غير مداهنة».

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٣ / ربيع الأول ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
نوفمبر ٢٠١٨م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

د. تركي محمد النصر

هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



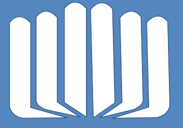
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



المحتويات



كلمة العدد

سفير السلام

فعل واحد قد يغني عن ألف كلمة.. هكذا أخبرنا الواقع المعاش. والمسلم حين يفعل الخير في أي مجتمع كان، يصبح في نظر من رآه سفيرا للسلام ومفتاحا لبحث غير المسلمين عن الإسلام، والعكس – بنفس القدر – صحيح.

فأي الطريقين تختار؟ وإذا أحسنت الاختيار فهل تفتعل فعل الخيرات لتصبح قدوة يحتذى بها أم من الأفضل أن يصدر فعلك الطيب من داخلك، بعد أن تكون قد تشربت من حب الخير والصالحات والرغبة في عطاء رب الأرض والسماوات؟!

بالتأكيد حين يصدر الفعل الطيب بنية صافية ومن القلب، يصل ببث صاف إلى القلب؛ وهو المراد.

إن مهمتك أيها المسلم ليست سهلة في المجتمع المعاصر، فقد حملت أمانة الدين، وصرت عنوانا له، شئت أم أبيت.. ولأن مظهرك يدل على هويتك، صارت الأعين تلتفت إليك وترقب تصرفاتك لتقارن بينها وبين تعاليم دينك. أنت عنوان إذن لكل ما هو خير، فإذا ما حدت عنه صرت عنوانا للسوء، وصار دينك هدفا للناقدين الحاقدين والبسطاء المغيبين سواء بسواء.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

تزكية

د. محمد محمود طه نور
باحث في الأديان والمذاهب
جامعة الأزهر



قضاء الحوائج في ميزان الإسلام

من خصائص المجتمع المسلم التراحم بين أفراده، فالرحمة من أعظم سمات المؤمنين كما قال تعالى ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩)، ومن مفردات التراحم المجتمعي السعي في قضاء حوائج الناس وخصوصا الضعفاء منهم، ومعاونة كل من يحتاج إلى المعونة، ويلاحظ في الفترات الحالية ضعف هذه الفضيلة في المجتمع الإسلامي، مما يوجب التذكير بفضلها وبيان أهميتها حتى ينتشر هذا الخلق العظيم في مجتمعات المسلمين ويعود كما كان في سالف عهود مجدهم التليد.

إن قضاء حوائج الناس من باب التعاون على البر والتقوى يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢). قال الإمام الماوردي: «ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله تعالى وفي البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته»[١].

وأبواب التعاون على البر متعددة، ومتسعة باتساع البر جاء في تفسير القرطبي: «والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة»[٢].

وفوائد هذا التعاون متنوعة يقول الطاهر بن عاشور «وفائدة التعاون تيسير العمل وتوفير المصالح وإظهار الاتحاد والتناصر حتى يصبح ذلك خلقا للأمة»[٣].

قضاء الحوائج من الإيثار

لقد مدح الله تعالى خلق الإيثار الذي انتشر بين صفوف الأنصار في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

ولا يقتصر قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان، فعن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير، ومغلاقا للشر، وويل لمن جعله مفتاحا للشر، ومغلاقا

للخير»[٤]. ومن صور قضاء حوائج الناس؛ قضاء الحوائج من خلال النفع بالجاه، كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل، أو طلبت إليه حاجة، قال: «اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء»[٥].

فوائد قضاء الحوائج

ولعل من المفيد للقارئ أن أجمل له في هذا المقال فوائد قضاء الحوائج للناس كالتالي:

١- حفظ الله لقاضي حوائج الناس من المصارع المكروهة؛ يقول ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء»[٦].

٢- في قضاء الحوائج معنى الإنفاق؛ سواء أكان إنفاق المال أو العلم والمعرفة أو الوقت أو الجاه، وقد وعد الله المنفقين بالخلف القريب في الدنيا، بخلاف عظيم الأجر في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

٣- البشرى بزيادة الأجور؛ ففي الصحيحين من حديث أنس قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا في يوم حار، وأكثرنا ظلا صاحب الكساء، فمنا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصوام وقام المفطرون وضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

٤- رجاء الفلاح في الدنيا والآخرة؛ لأنه استجابة لوصية الله تعالى لعباده المؤمنين، يقول تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧).

٥- من أعظم أبواب الصدقات، قال ﷺ: «كل معروف صدقة»[٧].

٦- ينشر المودة بين المؤمنين؛ لأنه تحقيق لوصفه ﷺ لمجتمع المؤمنين كما جاء في قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٨].

٧- خير الأبواب التي يظهر فيها التأسي بأخلاق النبوة، فقد وصفت لنا السيدة خديجة رضي الله عنها أخلاق النبي في قولها لرسول الله ﷺ: «والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»[٩]. وتصل الرحم بمعنى تحسن إلى الأقارب وتواسيهم، وتحمل الكل أي تساعد الضعيف واليتيم وغيرهما، وتكسب المعدوم أي تعطي المال تبرعا للمحتاج والسائل، وتقري الضيف أي تقدم الطعام والشراب للضيف، وتعين على نوائب الحق أي تقف مع أصحاب المصائب والبلايا والمقادير الجارية على الخلائق.

٨- علامة من علامات محبة الله للعبد، قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس»[١٠]. ولقضاء الحوائج يصطفي الله تعالى خلقا من خلقه، قال ﷺ: «إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم»[١١]. قال المناوي في «فيض القدير»: فالعاقل الحازم من يستديم النعمة ويداوم على الشكر والإفضال منها على عباده، واكتساب ما يفوز به في الآخرة، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧)».

٩- بقضاء الحوائج تنال معية الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي، ﷺ، قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[١٢].

الهوامش

١- تفسير القرطبي ج٦، ص٤٢، (القاهرة: دار الحديث طبعة ٢٠٠٢م).
٢- تفسير القرطبي ج ٦، ص٤٢٤.
٣- انظر تفسير التحرير والتنوير ج٦ ص٨٧.
٤- أخرجه ابن ماجه (٢٣٨).
٥- البخاري ٢/ ١٤ ومسلم ٨/ ٣٧.
٦- أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦١) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٥).
٧- البخاري حديث ٦٠٢١، ومسلم حديث ١٠٠٥.
٨- مسلم بشرح النووي ج٨، ص٣٨٥.
٩- متفق عليه.
١٠- الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث حسن.
١١- أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (١/ ٢٤، رقم٥)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٢٢٨، رقم٥١٦٢).
١٢- رواه مسلم (رقم:٢٦٩٩) بهذا اللفظ.

فكر



د. عبدالقادر محمد المعتصم دهمان
- الباحث في وزارة الأوقاف إدارة مساجد الفروانية

خطر الاستدراج وسبل الوقاية منه

قال الحافظ ابن حجر: «أصل الاستدراج: التقريب منزلة منزلة من الدرج؛ لأن الصاعد يرقى درجة درجة»[١]. وقال الطيبي رحمه الله: «الاستدراج هو الأخذ في الشيء، والذهاب فيه درجة فدرجة، كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله»[٢]. أصله من درج الغلام يدرج إذا مشى قليلا أول ما يمشي»[٣].

وقال الزمخشري: «الاستدراج: استفعال من الدرجة بمعنى: الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة. ومنه: درج الصبي: إذا قارب بين خطاه. ودرج الكتاب: طواه شيئا بعد شيء»[٤].

الاصطلاح

ذكر الجرجاني من معاني الاستدراج:

«أ- أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره؛ للابتدال بالبلاء والعذاب.

وقيل: الإهانة بالنظر إلى المآل.

ب- أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا إلى العقاب تدريجيا.

ج- الدنو إلى عذاب الله بالإمهال قليلا قليلا.

د- هو أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال، ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكا.

هـ- هو أن يقرب الله العبد إلى العذاب والشدة والبلاء في يوم الحساب»[٥].

وقال الكفوي: «الاستدراج: هو أن يعطي الله عز وجل العبد كل ما يريده في الدنيا؛ ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده، فيزداد كل يوم بعدا من الله تعالى»[٦].

وقيل: الاستدراج هو إمهال الله تعالى للعبد حتى يظن أنه لن يحاسب على تماديه في المعاصي.

وذكر صاحب «الفروق اللغوية»: أن ثمة فرقا بين الإملاء والاستدراج؛ «فالإملاء: هو الامهال والتأخير. والاستدراج: هو أنه كلما جدد العبد خطيئة جدد الله عزوجل له نعمة، وأنساه الاستغفار إلى أن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته، فبينهما عموم وخصوص، إذ كل استدراج إملاء، وليس كل إملاء استدراجا»[٧].

والاستدراج كما يقع للكافرين فإنه يقع لغيرهم، وهو من المزالق إلى الضلال، فقد يصل بالبعض إلى الزيغ عن الجادة بعد لزوم الصراط، وإلى النكوص بعد الاستقامة، وإلى التقاعس عن الطاعات، والقعود عن طلب الهداية بعد الهمة والنشاط، وقد يؤول إلى خذلان بعد إحسان، وإلى انتكاس من الكرامة إلى الهوان، وإلى انقلاب من فيض النعم إلى سلبها، ومن صحة إلى مرض، ومن أمن إلى خوف، ومن انبساط إلى ضيق، ومن نعيم إلى عذاب. قال الله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:١١٢)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ:١٥-١٧)، وقال تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (البقرة:٢١١).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «فسبحان الله! كم من قلب منكوس -

وصاحبه لا يشعر؟ - وقلب ممسوخ، وقلب مخسوف به؟ وكم من مفتون بثناء الناس عليه، ومغرور بستر الله عليه؟ ومستدرج بنعم الله عليه؟ وكل هذه عقوبات وإهانات ويظن الجاهل أنها كرامة»[8].

قال الله عزوجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣ ﴾ (الأعراف:١٨٢-١٨٣)، وقال تعالى: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ (القلم:٤٤-٤٥).

ومعنى: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم، ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم. وذلك أن يواتر الله عز وجل نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي، فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا، وجددوا معصية، فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى، نعوذ بالله منه.

واستدراج الله تعالى العصاة: أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد المعاصي.

﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ من الجهة التي لا يشعرون أنها استدراج. قيل: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها.

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ عطف على ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾، وهو داخل في حكم السين، أي: أمهلهم. ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ سماه كيدا؛ لأنه شبيه بالكيد، من حيث إنه في الظاهر: إحسان، وفي الحقيقة: خذلان[9].

قال الأزهري: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾: «سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون»[10].

وفي الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ (الأنعام:٤٤)[11].

ومن الإملاء والاستدراج قوله عزوجل: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٥٥). ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ﴾؛ فإن ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب. ﴿وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة، فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة[12]. وقال الله عزوجل: ﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ (لقمان:٢٤).

ومن الإملاء والاستدراج قوله عز وجل: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦﴾ (المؤمنون:٥٥-٥٦).

قال الحافظ ابن حجر: «أيظنون أن المال الذي نرزقهم إياه؛ لكرامتهم علينا؟! إن ظنوا ذلك أخطأوا، بل هو استدراج كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (آل عمران:١٧٨)»[13].

«ومعناه: أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه، وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة، وترك المعاجلة بالعقوبة»[14].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: «وفي هذا دليل على أن مجرد طول العمر ليس خيرا للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأنه أحيانا يكون طول العمر شرا للإنسان، وضررا عليه. فهؤلاء الكفار يملي الله عزوجل لهم، أي: يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات، لا لخير لهم ولكنه شر لهم والعياذ بالله؛ لأنهم سوف يزدادون بذلك إثما. ومن ثم كره بعض العلماء أن يدعى للإنسان بطول البقاء. قال: لا تقل: أطال الله بقاءك إلا مقيدا؛ قل: أطال الله بقاءك على طاعته؛ لأن طول البقاء قد يكون شرا للإنسان»[15].

ومن أنواع الإملاء والاستدراج ما بينه النبي ﷺ في قوله: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٢)[16].

قوله ﷺ: «إن الله ليملي» أي: ليمهل، والإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة

العمر، «للظالم»؛ زيادة في استدراجه؛ ليطول عمره، ويكثر ظلمه، فيزداد عقابه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ (آل عمران:١٧٨)[١٧].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «فمن الاستدراج أن يملي للإنسان في ظلمه، فلا يعاقب سريعا؛ حتى تتكدس عليه المظالم، فإذا أخذه الله عزوجل لم يفلته، أخذه أخذ عزيز مقتدر»[١٨].

وقد تقدم أن من أساليب الشيطان في الإغواء والإضلال أن يزين للإنسان الباطل والحرام بصورة الحق والحلال، بل ويهونهما عليه؛ حتى يتجرأ على أعظم المحرمات من غير اكتراث ولا مبالاة، وتارة يجره إلى المعصية خطوة بعد خطوة.

والمعركة بين الشيطان والإنسان ترتكز ابتداء إلى استدراج الشيطان للإنسان بعيدا عن منهج الله عزوجل، والتزيين له فيما عداه. قال الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد:٢٥).

والمعنى: الشيطان سول لهم، أي: سهل لهم الكفر والمعاصي، وزين ذلك وحسنه لهم، والله جل وعلا أملى لهم: أي: أمهلهم إمهال استدراج.

وكون التسويل من الشيطان، والإمهال من الله عز وجل، قد تشهد لهم آيات من كتاب الله عزوجل، كقوله تعالى في تزيين الشيطان لهم: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (الأنفال:٤٨)، وقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل:٦٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (إبراهيم:٢٢)، إلى غير ذلك من الآيات. وكقوله تعالى في إملاء الله عز وجل لهم استدراجا: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ (الأعراف:١٨٢-١٨٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران:١٧٨).. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة[١٩].

الوقاية من خطر الاستدراج

١- الإخلاص في القول والعمل.

٢- شكر الله عزوجل على نعمه.

٣- الالتجاء إلى الله عزوجل، والدعاء.

٤- الاستعاذة بالله عزوجل من خطر الاستدراج، ومن شر الشيطان الرجيم الذي يوسوس في صدور الناس، ويزين لهم ما فيه هلاكهم.

٥- أن يحذر المؤمن دواء السلامة؛ خشية الاستدراج، فيشتغل بالشكر، وذكر الله عز وجل وطاعته على الدوام.

٦- أن لا يأمن مكر الله عزوجل، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف:٩٩)، وأن يكون حاله بين الخوف والرجاء.

٧- أن يحذر سوء الخاتمة. قال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار»[٢٠]. نسأل الله تعالى السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

٨- الصبر على الابتلاء.

٩- شكر الله على نعمه، والنظر إلى كل عطاء على أنه اختبار من الله عزوجل، كما قال سليمان عزوجل: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل:٤٠).

١٠- تزكية النفس واتهامها ومحاسبتها والتنقيب عن عيوبها ونقائصها، فإن محاسبة النفس هي طريق استقامتها وكمالها وفلاحها وسعادتها.

الهوامش

١- فتح الباري (٨/٣٠١)، وانظر: عمدة القاري، للعيني (١٨/٢٣٧).
٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/٣٢٥٧).
٣- انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، (ص:١٩٠).
٤- الكشاف (٢/١٨٢)، وانظر: معالم التنزيل (٢/٢٥٥).
٥- التعريفات، (ص:٢٠).
٦- الكليات، (ص:١١٣).
٧- معجم الفروق اللغوية، (ص:٧٢-٧٣)، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.
٨- الجواب الكافي، (ص:١١٩).
٩- الكشاف (٢/١٨٢)، البحر المحيط، لأبي حيان (٥/٢٣٣)، معالم التنزيل (٢/٢٥٥).
١٠- تهذيب اللغة، للأزهري (١٠/٣٣٩)، وانظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، (ص:١٩٠).
١١- أخرجه أحمد (١٧٣١١)، والطبراني في «الكبير» (٩١٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٢٠). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص:١٤٧٧): (رواه أحمد والطبراني والبيهقي في «الشعب» بسند حسن).
١٢- انظر: تفسير أبي السعود (٤/٧٤)، البيضاوي (٣/٨٥).
١٣- فتح الباري، لابن حجر (١١/٢٧١).
١٤- الكشاف (١/٤٤٤-٤٤٥).
١٥- شرح رياض الصالحين (٢/١٠٧-١٠٨).
١٦- صحيح البخاري (٤٦٨٦)، مسلم (٢٥٨٣).
١٧- فيض القدير (٢/٢٦٤).
١٨- شرح رياض الصالحين (٢/٤٩٨).
١٩- أضواء البيان (٧/٣٨٠- ٣٨١).
٢٠- صحيح البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، مسلم (٢٦٤٣).



خلف أحمد أبوزيد
باحث دراسات إسلامية - مصر

الرسول ﷺ وجماليات المثل الأعلى

يحتاج الإنسان منا إلى مثل أعلى إنساني، وهذا المثل يتبلور من غير شك، في شخصيات تمثل القمة في النشاط الإنساني، في أكثر صوره سموا، وهذه النماذج الممثلة للقيمة العليا والمثل الأعلى، لم يخل منها عصر من العصور، إلا أنها تفتقر لصفة الثبات، لأنها نتاج فكر بشري متغير بتغير الظروف والأسباب. أما المثل الأعلى، الذي نقصده هنا، فهو النموذج الذي وضعته القيمة الإيمانية، مثل يكتسب صفة الثبات، والفارق كبير بين الثابت والمتغير، ولو تأملنا سيرة رسول الله ﷺ، لوجدناها تمثل قمة المثل الأعلى للإنسان في مختلف العصور والأزمان، فقد تميزت شخصيته ﷺ، بأنها شخصية الإنسان الكامل بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الكمال الإنساني، فلم يسبق لبشر أن ارتقى إلى مكانته لا في الصفات ولا في السلوك.

وهذا ما أقره العديد من المفكرين والفلاسفة والمستشرقين على مر العصور، خاصة أن سيرته ﷺ واضحة وضوح الشمس في وسط النهار، لا يكاد يخفى منها أي شيء عن حياته في مختلف أطوارها كما قال ياسورت سميث (عضو كلية التثليث في أكسفورد) «ترى الشمس هاهنا بارزة بيضاء، تنير أشعتها كل شيء، وتصل إلى كل شيء» هذا الأمر الهام الذي يتطلب منا أن نعرض سيرة رسول الله ﷺ، ونقدمها للأجيال الجديدة من شباب الأمة، طبق ما يفرضه الواجب، وما تحمله التطورات التي حدثت في الأفكار، والتي نبرز من خلالها شخصية رسول الله ﷺ باعتبارها المثل الكامل للإنسان الكامل، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان وأبعاد، فهو الذي وجده ربه فقيرا فأغناه، ومع ذلك كان انحيازه إلى بساطة عيش الفقراء والمساكين مثالا فريدا يحتذى به في الزهد والقناعة، وهو الذي بلغت به الرحمة والرأفة إلى الحد الذي جعله رؤوفا رحيما بالذين آذوه وآذوا أصحابه، فأطلق لهم عنان الحرية في لحظات انتصاره الأكبر، كما اكتملت فيه كل صفات الإنسان الكامل، فكان بشوشا يمزح ولا يقول إلا حقا، ويقدم اليسر على العسر، وإذا خرج إلى الجهاد (القتال) دفاعا عن الدين والوطن، كان أقرب المقاتلين إلى الأعداء، حتى ليحتمي به الفرسان في ساحات القتال، فهو الإنسان الكامل والمثل الأعلى، الذي يجب علينا أن نعلم سيرته العطرة، بكل تفاصيلها ومعانيها للأجيال الجديدة، من شباب الأمة الذي وقع الكثير منهم أسيرا؛ إما لشخصيات توافر فيها جانب القدوة في جانب وافتقد في جوانب أخرى، أو وقع بعضهم تحت تأثير شخصيات أسطورية، لا نعلم عن حقيقتها شيئا، الأمر الذي نتج عنه تيارات مادية، وأفكار بعيدة كل البعد عن حقيقة التفكير الإسلامي، والمثاليات التي قدمها لنا الرسول الكريم، بكل ما حملت من معان سامية كفيلة بإضاءة الطريق للأجيال الجديدة من شباب الأمة، لتوضح أمامهم الشخصية النموذجية التي يجب عليهم أن يقتفوا أثرها، ويسلكوا مسلكها، وتكون لهم المثال والقدوة الصالحة في الحياة، لا من حيث سلوكها الشخصي، وأخلاقها المثالية فحسب، ولكن من حيث الدور الإيجابي في الإصلاح البشري الذي قامت به، والتعاليم والتوجيهات التي أتت بها ودعت إليها، حتى نسير على بينة من أمرنا، وتنعم أمتنا بسعادة الدنيا والآخرة.



حاوره: علاء عبدالفتاح



رئيس الجامعة الإسلامية بتايلاند د. إسماعيل جافاكيا لـ «الوعي الإسلامي»:

شعارنا «البناء قبل المعيشة»

قد يكون في الأسفار خمس فوائد، كما قال الإمام الشافعي، ولكن في استقبال المسافر أيضا فوائد لا بأس بها، فقد تنتقل وأنت في مكانك إلى عالم المسافر الذي أتاك وأتاح لك فرصة الحوار معه والسؤال عن أحواله وأحوال بلاده، وهذا ما حدث بالفعل مع رئيس الجامعة الإسلامية بتايلاند د. إسماعيل جافاكيا، الذي سافر من بلاده وزار الكويت واستقبلته مجلة «الوعي الإسلامي»، واحتفت به كقيمة وقامة ندر من شابهه من حيث الجهد الذي بذله في خدمة الإسلام في تايلاند وخارج تايلاند.

الرجل متواضع كسائر العلماء الأفاضل، يجيبك باختصار ودقة عما تسأل، بشوش الوجه وإن تحدث عن مآزق وشدائد.. وفي الوقت الذي يسلم الأمر كله لله، يبذل أقصى الجهد معذرة إلى الله.

أتى الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وجهها الوكيل المساعد للعلاقات الخارجية بمباركة وكيل أول وزارة الأوقاف المهندس فريد أسد عمادي، وبحث التعاون مع مجلة «الوعي الإسلامي» فيما يخص كتابه المترجم إلى العربية «أمة واحدة منهج أهل السنة والجماعة»، وهو كتاب مكون من ٣٠٠ صفحة من القطع المتوسط.

كان شاغلنا في الحوار معه كشف الوجه الجميل لتايلاند، والتعرف على الجامعة التي يسرت على الأسر التايلاندية المسلمة أمر التعليم الديني باللغة العربية، كما كان شاغلنا استطلاع وضع الجالية المسلمة في هذه الأصقاع البعيدة - نسبيا - عن بلادنا.

في البداية سألنا فضيلته عن نشأته في الإسلام، والعلم الذي حصله، وكيف وصل إلى ما وصل إليه حتى صار رئيسا مشتركا لمجلس التعاون بين الأديان في تايلاند، فضلا عن رئاسته للجامعة، فقال الدكتور إسماعيل بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله الكريم: ولدت بمكة المكرمة بحي الصفا القريب من جبل الصفا ١٣٧١ من الهجرة الموافق عام ١٩٥٠م.

والحمد لله عشت مع الوالدين حوالي ٦ سنوات بمكة، فالوالد كان يدرس في الحرم في ذلك الوقت كبقية الدارسين، ثم انتقلت إلى تايلاند حيث أخذت العلم من المدارس الحكومية حتى الثانوية، ثم أكملت دراستي عام ١٩٧٣م بالمدرسة التي أنشأها الوالد وكانت تسمى المدرسة الرحمانية نسبة للوالد عبدالرحمن بن عبداللطيف جافا كيا.. درست هناك حتى تخرجت من الثانوية ثم حصلت على منحة دراسية عن طريق مسابقة عام ١٣٩٢ من الهجرة (١٩٧٦م) إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وحصلت على ليسانس الدعوة كلية أصول الدين والدعوة بتقدير امتياز، ثم واصلت دراستي في المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة محمد بن سعود الإسلامية.. عشت هناك مرحلتي تسجيل الماجستير بعنوان «اختلاف الدارين وأثره في الأحكام الجنائية» عام ١٩٨١م، ثم الدكتوراه التي كانت بعنوان «اختلاف الدارين وأثره في أحكام المعاملات والمناكحات»، وقد نلت في هذه الأطروحة تقدير الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٨٦م، ثم عدت إلى المدرسة التي أنشأها الوالد لإدارتها لمدة ٦ سنوات، والحمد لله مع تطور المدرسة استأذنت الوالد لأركز في إنشاء الجامعة الإسلامية، وقد وفقنا الله في إنشائها في عام ١٩٩٨م كأول جامعة إسلامية وقفية تدرس المواد الإسلامية والعلوم الأصلية واللغويات. والجامعة الآن تضم ٤ كليات، هي: كلية الدراسات الإسلامية والقانون وكلية التربية وكلية العلوم التكنولوجية وكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ويدرس فيها ٤٥٠٠ طالب وطالبة، والدراسة هناك بعدة لغات، منها العربية الفصحى واللغة التايلاندية وكذلك اللغة الإنجليزية،



الدراسة في جامعة جالا الإسلامية

أوضح رئيس الجامعة وعضو البرلمان التايلاندي سابقا الدكتور إسماعيل لطفي جافاكيا، أن الجامعة، التي تقع مبانيها على مساحة ٤٠٠ ألف متر مربع بتكلفة بلغت ١٥ مليون دولار، تهدف إلى تخريج جيل صالح بجودة شاملة لتأدية الواجبات الإسلامية تجاه المجتمع بالتعاليم الإسلامية السمحة وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتدعيم البحوث العلمية استجابة لمتطلبات المجتمعات المحلية والإقليمية والدولية، وتقديم الخدمات التربوية والتعليمية والتوجيهية والتوعوية والإرشادية للمجتمع، وإحياء التراث والثقافة والعادات والتقاليد المحلية المتماشية مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، والتنظيم الإداري بجودة شاملة لإبراز مثالية مؤسسات التعليم العالي الإسلامي، وتوثيق التفاهم العلمي والتعاون الأكاديمي مع مؤسسات التعليم العالي داخل تايلاند وخارجها للنهوض بالتعليم العالي الإسلامي نحو الجودة العالمية، مشيرا إلى أن الجامعة تحتضن وفودا من الطلاب من دول الصين وكمبوديا وكازاخستان والسويد وماليزيا وإندونيسيا. وأشار الدكتور جافاكيا إلى أن الجامعة وقعت على ١١ مذكرة تفاهم للتعاون العلمي والأكاديمي مع العديد من الجامعات المحلية والإقليمية والدولية؛ بهدف إقامة الروابط العلمية والثقافية والفكرية والأكاديمية في مجال خدمة الإسلام والمسلمين والدراسات الإسلامية، إضافة إلى عضويتها في اتحاد جامعات العالم الإسلامي بالمغرب، وتعيينها سكرتارية مجلس التعاون الإقليمي (آسيان) لمؤسسات التعليم العالي الإسلامي التي عددها أكثر من ٣٠ جامعة في جنوب شرق آسيا.

وتضم الكلية الإسلامية في جالا: كلية الدراسات الإسلامية ولها ثلاثة أقسام: قسم الشريعة، تم افتتاحه في العام الجامعي ١٩٩٨م، وقسم أصول الدين، تم افتتاحه في العام الجامعي ١٩٩٨م، ثم قسم اللغة العربية، تم افتتاحه في العام الجامعي ٢٠٠٠م. كما بها كلية العلوم والتكنولوجيا، وكلية العلوم الإدارية.

وكذلك تمنح الجامعة درجة الدبلوم والماجستير والدكتوراه، ويمكن الحصول من خلالها على منح دراسية بالتعاون مع الجمعيات الخيرية الخارجية، مثل: بيت الزكاة، جمعية إحياء التراث، بيت الرحمة بلندن.. وغيرها.

● باختصار ما الذي يميز جامعتكم عن أي جامعة إسلامية أخرى، وما منهجكم المتبع؟

– تتميز جامعتنا بمنهجها الشامل وربطها بين متطلبات الحياة الإسلامية الطيبة والمتطلبات المعيشية حتى إن شعارنا هو «البناء قبل المعيشة».

أما منهجنا فهو الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك أفعال الصحابة التي تدعو بطبيعتها إلى الوسطية والإسلام المعتدل، حتى لقبت هذه الجامعة بالجامعة البيضاء، فنحن ندرس مادة إجبارية في كل عام دراسي تسمى ثقافة السلم والسلام، وهذه الجامعة هي الوحيدة في العالم التي تدرس هذه المادة.

● هل ترى ثمة علاقة بين السلم والاعتدال وبين نصرة الحق؟

– طلابنا يحبون الدعوة، فنحن نقدم الإسلام الصحيح الوسطي، والناس يحبون الوسط، فالذي يتدين بدين الإسلام ويمشي على النهج النبوي لا يعرف التخاذل أو السلبية، فقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧).

● في بطاقة التعريف التي

منهجنا هو الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة المطهرة وكذلك أفعال الصحابة التي تدعو بطبيعتها إلى الوسطية

أعطيتمونا إياها مكتوب فيها أنكم تترأسون مجلس الأديان.. فما أهمية ودور ذلك المنصب؟

– هذا من فضل الله علينا أولا، وهو أمر يدل على أن تايلاند دولة محبة للسلم والسلام، فمنذ عام ٢٠٠٩م أسسنا مجلس التعاون بين الأديان للسلام في تايلاند، هذا المجلس كان يضم رموز الأديان هناك، وهذه الفكرة مشتركة بيننا وبين البوذيين



والأديـان الأخـرى مـن الـنـصـارى والسيخ والهندوس، والمجلس له رئيسان مشتركان أنا أحدهما.

● هل كان للمجلس دور في نصرة الأقلية المسلمة في بورما إزاء الانتهاكات التي تعرضت لها؟

– كل ما حدث في ميانمار من احتكاك ديني قمنا باسم هذا المجلس بانتقاده، فنحن مع بورما دائما، وخلصنا إلى أن هذا الأمر ليس سببه نزاعا دينيا، ولكن نزاع عرقي، فكل دين فيه متطرفون، ونحن نعترف بذلك ونعوذ بالله من هذا ومن قام بذلك فقد كان بدافع عرقي وليس دينيا.

● أريد أن أتطرق إلى أمر آخر أكثر حساسية انتشر في تايلاند في الفترة الأخيرة وهو السياحة التي تخرج عن الضوابط الشرعية.. فهل من خلال منبركم الجامعي لكم دور في نبذ هذا الأمر والدعوة إلى العفة؟

– نحن بالفعل نشجع طلابنا على الزواج في سن مبكرة، ونرغبهم في العفة، حتى إنني قبل حضوري إلى هنا بأسبوع زوجت اثنين من كمبوديا، وهذا منهجنا في الأمور الاجتماعية، بالإضافة إلى دورنا في التوعية عن طريق عقد الندوات.

● ما آخر مشاريعكم العلمية؟

– مشروعنا حاليا تطوير الجامعة، بالإضافة إلى إنشاء إذاعة خاصة بالدين الإسلامي (على اليوتيوب)، وكذلك هناك مجلس علمي خاص بي يحضره الألوف ويعرض على التلفاز تحت عنوان «الحجة البيضاء».

● بم تنصحون الشباب؟

– أوصيهم أن يتبعوا القرآن ويطبقوا السنة بوجه خاص حتى لا ينحرفوا عن المنهج السليم للإسلام، وأن يلزموا منهج أمة واحدة لا يتفرقون ولا يتقاتلون، فوسطية الإسلام هي المؤثر الصحيح في قلوب غير المسلمين، فأسلم كثير من أهل تايلاند بما عرضناه عليهم من سماحة الإسلام.

ندرس مادة إجبارية في كل عام هي «ثقافة السلم والسلام».. وجامعتنا هي الوحيدة في العالم التي تدرس هذه المادة

نظام الدراسة المتبع

نظام الدراسة المتبع في الكلية هو نظام الساعات بحيث يجب على كل طالب أن يحصل على ١٤٥ ساعة معتمدة على الأقل من متطلبات الكلية لنيل الشهادة الجامعية.

ويكون المنهج المقرر المرخص من قبل وزارة شؤون الجامعات كالتالي: المتطلبات العامة ٣٨ ساعة، والمتطلبات الخاصة ١٠٢ ساعة، وتتضمن: متطلبات التخصص الإجبارية ٨٧ ساعة، ومتطلبات التخصص الاختيارية ١٥ ساعة، والمتطلبات الاختيارية الحرة ٥ ساعات.

وقد أعلنت الكلية أن سياستها العامة تقوم على أساس عقيدة السلف الصالح التي تهدف إلى بناء الجيل المؤمن الرباني، والعالم الداعية المبني على إخلاص العبادة لله وحده وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ، القادر على بناء الفرد والأسرة والمجتمع كما يقتضي الكتاب والسنة بواسطة أحدث النظم التعليمية والتربوية المتوازنة المتواصلة الشاملة المتكاملة.

تمنح الكلية درجة العالية (الليسانس) في الشريعة وأصول الدين في مختلف التخصصات.

وتقبل الكلية كل الطلبة الذين استكملوا الدراسة في المعاهد الدينية الثانوية المنتشرة في طول البلاد وعرضها، ولكنها تشترط استكمال التعليم الرسمي التايلاندي حتى السنة الثالثة المتوسط؛ لأنه شرط متضمن في قانون إنشاء الجامعات.

وعند تقديم الطالب نفسه للكلية يجري له اختبار دخول يتضمن امتحانا أساسيا في اللغة العربية لمعرفة مدى مقدرته على استيعاب الدروس باللغة العربية، فإذا كانت لغته العربية تعاني ضعفا تعد له دورة تعليمية مكثفة في اللغة العربية لمدة سنة ثم يتأهل بعد ذلك للدراسة في أولى سنوات الكلية.

تتقاضى الكلية مصروفات رمزية إلى حد كبير، ومداخيل الكلية مازالت قائمة على الإعانات الداخلية والخارجية، وما تحتاج إليه الكلية بالفعل أوقاف دائمة تدر دخلا ثابتا يوفر عليها الكثير من المصروفات التي تنفق على المسيرة التعليمية في هذه الكلية المباركة إن شاء الله تعالى.



محمد ادعيكل
باحث دراسات إسلامية - المغرب

المثقف الديني ومهامه

يشهد المجتمع الإسلامي غيابا للمثقف الديني الذي يحمل العبء الأكبر في تنمية الأمة حضاريا وثقافيا، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى انبعاث هذا المثقف الديني مجددا.. إنها حاجة المجتمع قبل أن تكون حاجة المثقف الديني نفسه، إلا أنه ينبغي ألا ينتظر المثقف من المجتمع أن يعيد إليه مكانته ويضعه في موقع خاص، بل لابد أن تأتي الخطوة الأولى من المثقف ذاته، فيعمل لانتزاع دوره، ويسجل حضوره بفاعلية وبطريقة يفرض بها على المجتمع احترام ما يقدمه من عطاء.

يقول المفكر الإسلامي زكي الميلاد: «إذا اعتبرنا أن المشكلة الثقافية، ومشكلة الأفكار في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، من المشكلات البنيوية؛ فإن هذا يؤكد أهمية وفاعلية دور المثقف الديني، الذي يفترض أن يولي اهتمامه الأكبر للمسألة الثقافية، لكونه يدرك أبعادها وخطورتها». فما هي هذه المهام الملقاة على عاتق المثقف الديني؟

يرى الميلاد أن إنتاج المعرفة وتنمية الثقافة ينبغي أن يكونا في مقدمة أولويات اهتمام المثقف وعطائه، باعتباره المجال الذي ينتسب إليه، ومنه يكتسب صفته، فالمعرفة التي لا ينقطع المثقف عن التزود منها، والتفاعل الحي معها، بحاجة إلى أن يكون المثقف جسرا لها في المجتمع، وذلك بعد تنقيتها وتصفيتها مما قد تحمله من شوائب وأضرار. ومن هنا فنحن في العالم العربي الإسلامي مازلنا بحاجة إلى وعي أكبر وأنضج في إدراك حاجتنا إلى الثقافة، الحاجة التي لا ينبغي على الإطلاق التقليل من شأنها، أو الاستهانة بها، والتعامل معها وكأنها من الأمور الثانوية أو الهامشية. ويعتبر هذا هو الفارق الأساسي بين الأمة التي تمتلك منظورا حضاريا متطورا، والأمة التي تفتقد هذا المنظور، أو لا ترقى إلى مستواه، فيغيب عنها الوعي بإدراك قيمة الثقافة، والحاجة الحيوية لها في كل مرافق وأبعاد المجتمع والأمة والحياة. يقول الميلاد: «يكفي نجاحا أن ينجز المثقف هذا الدور، ويقدمه على أي دور آخر، ومنه يبدأ وظيفته الاجتماعية، وينطلق في كل أدواره الأخرى، وإنجاز هذا الدور يتطلب من المثقف الديني التقارب والتفاعل مع الناس والمجتمع والأمة، لمعرفة أولويات حاجاتهم الثقافية، تلك الحاجات التي تفتح للأمة آفاقها، وتستكشف لها طريق نهضتها، وتبلور رؤيتها لواقعها ومشكلاتها، وتلهمها النظر إلى المستقبل بإرادة وتصميم».

ونقول، تعقيبا على هذا الكلام، إن المثقف لا يمكنه النجاح في مهمته ما لم يكن عارفا بالمنهج الواجب الاتباع، وكذلك الرؤية الواعية الحكيمة في تحديد الأولويات.

الاختراق الثقافي

إن مواجهة الاختراق الثقافي، حسب

المفكر زكي الميلاد، هي مقولة أطلقها أصحاب الخطاب الإسلامي منذ وقت مبكر، قبل أن تنهي أوروبا ما عرف بعهد الانتداب على الدول التي أخضعتها لسيطرتها الاستعمارية، وتجدد الحديث عن هذه المقولة في مرحلة ما بعد الاستقلال، مع ظهور الدول العربية القطرية الحديثة؛ لكنها برزت بشكل واضح مع حقبتي ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، إثر السجالات الاحتجاجية الساخنة بين الفكر الإسلامي والأيديولوجيات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الوافدة من المرجعيات الفكرية والفلسفية الأوروبية.

أمام هذه القضية حذر أصحاب الخطاب الإسلامي من مخاطر وتداعيات هذا الغزو سلبيا على الثقافة الإسلامية والدين والقيم التربوية، بينما قلل أصحاب الخطابات غير الإسلامية من أهمية ذلك، بل وعابوا على أصحاب الخطاب الإسلامي موقفهم منها، ووصموهم بالتحجر والتعصب، لعدم الانفتاح على الثقافات والمعارف الحديثة والمعاصرة، ومن هؤلاء من نظر إلى مقولة «الغزو الثقافي» على أنها زائفة ومختلقة ومن نتاج واقع التراجع والتخلف.. فما هو سبب هذا التباين؟

وفقا للمفكر زكي الميلاد، فإن من جملة ما يفسر هذا التباين الحاد، هو أن الخطاب الإسلامي كان يعطي أولوية أساسية لمسألة الهوية، التي كانت تتعرض، حسب هذا الخطاب، لاختراقات شديدة وضخمة منظمة من الغرب والثقافة الغربية. في حين كانت الخطابات غير الإسلامية تعطي الأولوية لمسألة الحداثة والتقدم، التي كانت من الممكن في رؤية أصحاب هذه الخطابات، أن تتحقق بعيدا عن الغرب.

أما الخطابات التي رفضت وشككت سابقا بمقولة «الغزو الثقافي»، فقد أخذت تحذر فيما بعد مما أطلقت عليه الاختراق الثقافي، وبدأت

العالم الإسلامي مازال مفتقرا إلى وعي أكبر لإدراك حاجته الثقافية

تلتفت إلى هذه الظاهرة، لاسيما مع تعاظم ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وتطوراتها المذهلة. وباتت قضية الاختراق الثقافي لا تخيف العالم العربي والإسلامي فحسب، بل أصبحت خطرا يهدد هويات وثقافات أمم ومجتمعات العالم أجمع.

ونتيجة لهذا التحدي تبرز مسؤولية المثقف، الذي ينبغي أن يكون سدا منيعا أمام هذا الاختراق الثقافي والأخلاقي والقيمي، لا أن يكون جسرا لعبوره، الأمر الذي يقتضي إعادة النظر في جدلية العلاقة بين الهوية والتقدم، والهوية والتحديث، فنحن نريد التقدم، لكن في الوقت نفسه لا نريده اختراقا للهوية، نريد التحديث، لكن لا نريده انقلابا على الهوية.

يقول المفكر الميلاد إنه «يجب على المثقف الديني أن يدرك أنه يقف اليوم على أخطر جبهات الأمة تحديا، وأشد ثغورها حساسية، وأن يكون يقظا وحذرا، ويدفع بوعي الأمة نحو التصدي لهذا الاختراق، ويقوي مناعتها الثقافية والدينية، ولن تستطيع الأمة مواجهة هذا الاختراق إلا بالتمسك الواعي بالدين الذي يكسبها المناعة والقوة والتصدي».

المثقف لن ينجح في مواجهة الغزو الثقافي من دون رؤية ثاقبة للأولويات

وعي الأمة

وفي ظل الأوضاع العالمية المتغيرة والمتشابكة، يتعين على المثقف الديني أن يتحمل مسؤوليته، في تطوير وعي الأمة بقضايا العصر ومشكلاته، وهذا الوعي لا ينفصل ولا يتجزأ عن وعي الأمة بذاتها ومشكلاتها.. إنه وعي لابد منه كسلاح للأمة يحمي ذاتها وهويتها وثقافتها، ويمهد لها، في الوقت ذاته، آفاق الاستفادة من العالم ومنجزاته ومكتسباته الحضارية.

إن الانغلاق على الذات ليس حلا ولا خيارا، ولم يعد ممكنا أساسا في ظل عالم يتحول إلى قرية عالمية صغيرة، يتفوق فيه الزمان على حساب المكان، والعلم على حساب الجغرافيا، كما أن الانفتاح والتواصل مع العصر ليسا سهلين أو ممكنين، من دون بصيرة الوعي، وفاعلية المعرفة، وامتلاك ناصية العلم، في عالم يعج بالأفكار والمناهج والنظم والأطروحات، ويضج المعارف والمعلومات، وتتصادم فيه الإرادات والمشاريع، وتحكمه معادلات القوة والسيطرة والهيمنة والنفوذ.

أخيرا وليس آخرا، إن المفترض بالمثقف الديني أن يجد داخله باعثا قويا نحو المشاركة بدور مسؤول بين الأمم والشعوب والحضارات، ذلك لارتباطه بالدين الذي جاء هدى ورحمة للعالمين، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ومن هنا بات من الممكن للمثقف الديني أن ينهض بهذا الدور، ويحوله إلى فعل حقيقي، مع تعاظم تطور تقنيات الاتصال البعيدة والسريعة بين قارات العالم، فالأمة إذن بحاجة إلى مثقف ينطلق من الدين، قيما وتشريعا ومقاصد وغايات، في بناء التقدم والتطور والنهوض، فلا مستقبل لأمتنا بعيدا عن الدين.

د. محمد إبراهيم الحلواني
أستاذ بقسم الحديث وعلومه
جامعة المدينة العالمية ماليزيا



الهدي النبوي في معالجة الأخطاء

الخطأ طبيعة بشرية ولا ينبغي للمعلم أو المربي أن يفترض العصمة في الأشخاص ثم يحاسبهم بناء على ذلك، بل يعاملهم معاملة واقعية صادرة عن معرفة بطبيعة النفس البشرية المتأثرة بعوارض الجهل واتباع الهوى، قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[1]، وإدراك هذه الحقيقة أيضا يذكر الداعي والمربي بأنه إنسان يمكنه الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه المخطئ فيعامله برحمة لا بقسوة، وهذا لا يعني أيضا أن نترك المخطئين متعللين بأنهم بشر أو أن عصرهم ممتلئ بالفتن والمغريات، بل لابد من توجيههم إلى الصواب والتفريق بين المخطئ عن جهل والمخطئ عن علم، فالجاهل يحتاج إلى تعليم، وصاحب الشبهة يحتاج إلى بيان، والغافل يحتاج إلى تذكير، فلا يسوغ أن نسوي بين العالم بالحكم والجاهل به، بل إن الشدة على الجاهل تحمله على النفور ورفض الانقياد.

فالنبي ﷺ لم يحاب حتى أحب الناس إليه أثناء التنبيه على الأخطاء، فلم يمنع كون أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ وابن حبه أن يشتد عليه في الإنكار حينما حاول أن يشفع في حد من حدود الله عزوجل، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[2].

لقد دل هذا الموقف الذي سطرته كتب السنة بأحرف من نور على عدله ﷺ، وأن حدود الله وشرائعه فوق الأشخاص، فهو لا يحابي أحدا ولا يجامله حتى لو كانت ابنته، وقد بين النبي ﷺ خطورة تعطيل إقامة الحدود على المخطئين، مبينا أن سبب هلاك من قبلنا في دينهم ودنياهم هو إقامتهم الحدود على الفقراء والضعفاء وغض الطرف عن الأغنياء والأقوياء، فكانت النتيجة انتشار الشر والفوضى والفساد واستحقاق غضب الله عزوجل.

تصويب أخطاء الصغار

إن تصويب خطأ الصغير إذا أخطأ أمر واجب؛ لأن ذلك يعد من باب الإحسان في التربية، بل إن ذلك ينطبع في ذاكرته، ويجعله يمتثل الصواب الذي نبه عليه في صغره.

ومن أبرز الشواهد على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن قصة الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة الذي قال: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله،



وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد[٣].

يلاحظ في هذه القصة أن توجيهات النبي ﷺ لهذا الصغير كانت قصيرة ومختصرة وواضحة، وكان لها أثر إيجابي في نفس الغلام جعلته يتذكر توجيهاته ﷺ التي أملاها عليه وهو صغير، لأن النبي ﷺ صوب خطأه برفق ولين، فلم يعنفه، ولم يضربه، ولم يخاطبه بغلظة وفظاظة، فالأكل باليمين أدب إسلامي جليل، وصيانة الأكل والشرب عن الأقذار واجب إنساني وصحي، واليد آلة الأكل والشرب، وفي تخصيص إحدى اليدين لمحاسن الأعمال وفضائلها وشريفها تكريم لما تتناوله هذه اليد، والأكل مما يلي الآكل في إناء يشترك فيه مع آخرين أدب اجتماعي يحفظ لصاحبه أمامهم القناعة والوقار والخلق الجميل، ويحميه من صورة الشره والطمع والأنانية، ويحميهم من التقزز والإيذاء، فهل هناك أسلوب في تصويب الأخطاء أفضل من هذا؟!

عدم التسرع في العقوبة

أرشدنا النبي ﷺ إلى عدم التسرع في معاقبة المخطئ حتى نقف على الأسباب التي دفعت المخطئ إلى ارتكاب خطئه، إذ إن الوقوف على هذه الأسباب ومعالجتها يجعل المخطئ لا يكرر خطأه مرة أخرى، يؤكد هذا ما رواه النسائي في سننه عن عباد بن شرحبيل رضي الله عنه قال: قدمت مع عمومتي المدينة، فدخلت حائطا من حيطانها ففركت من سنبله، فجاء صاحب الحائط فأخذ كسائي وضربني، فأتيت رسول الله ﷺ أستعدي عليه، فأرسل إلى الرجل، فجاؤوا به فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله إنه دخل حائطي، فأخذ من سنبله ففركه، فقال رسول الله ﷺ: «ما علمته إذ كان جاهلا، ولا أطعمته إذ كان جائعا، اردد عليه كساءه»[٤].

هذا الموقف الجليل يبين لنا حرص النبي ﷺ على الرفق بالمخطئ، حيث أظهر ﷺ خطأ أسلوب صاحب البستان حينما عالج الخطأ بضربه للمخطئ، فالمؤمن لا يظن بأخيه إلا خيرا، ولا يفسر تصرفات غيره إلا على أحسن المحامل، فما أجمل أن يعذر بعضنا بعضا، فنحن لا نعلم ظروف الآخرين الغائبة عنا، ولا ندري ما الذي قاده إلى ذلك التصرف الذي لم يعجبك، فإذا وجدنا خطأ أو موقفا لا يليق فعله فما علينا إلا أن نلتمس الأعذار للمخطئ، وكيف لا يلتمس العاقل الأعذار لغيره وهو يعلم أن الناس مطبوعون على الضعف والتقصير وهو لا يرى الكمال في نفسه، فكيف يرجو الكمال ويطلبه منهم؟ فقد أرشد عليه الصلاة والسلام هذا الذي سرق منه أن ينظر في حاجة هذا السارق، فهو لم يسرق إلا عن حاجة وجهل، إذ إن الشريعة الإسلامية تهتم بالحقوق قبل الحدود، فقبل تطبيق الحدود على الناس، لابد من أداء الحقوق إليهم، ولهذا أوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه إقامة حد السرقة في عام الرمادة حين عمت المجاعة، لأن السارق قد يكون مضطرا، والحدود تدرأ بالشبهات.

تجنب التصريح

من الأساليب النبوية في تقويم الأخطاء عدم مواجهة المخطئ بخطئه مباشرة، واللجوء إلى التعريض، وهذا الأمر واضح جلي في تعامله ﷺ مع بعض المخطئين، فالنصيحة الصادقة تقضي بأن يحسن المسلم نصح أخيه، فينصحه سرا، لا يفضح أمره ولا يكشف سره، ولا يقف منه أثناء النصح موقف المتعالي المتكبر، ولا يختلف أحد من الناس أن تخصيص المخطئ بالذكر أمام الناس أمر مكروه يؤدي إلى النفور والغضب، ضرره أكبر من نفعه، ولهذا قال النبي ﷺ حينما بلغه أن نفرا من أصحابه سألوا أزواجه عن عمله في السر، وظنوا أن هذه العبادة قليلة: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، أصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٥]، فالرسول ﷺ قد أرشدهم إلى خطأ المغالاة في الدين تعريضا لا تصريحا، لأن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويدفع إلى الإصرار والعناد، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية، فكون التوجيه جاء عاما وغير مباشر دون تعرض للأشخاص كل ذلك جعله من أبلغ وسائل العلاج وأفضله، فحري بنا أن نمتثل هديه ﷺ في معالجة أخطاء المسلمين حتى نسعد في الدارين.

النبي ﷺ كان يصوب الأخطاء برفق ولين

الهوامش

١ - رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم (٢٤٩٩) عن أنس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، تحقيق: د. بشار عواد، وحسنه الألباني.

٢ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم (٥٣٧٦)، دار طوق النجاة، ط: أولى، ١٤٢٢هـ.

٤ - رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب آداب القضاة، باب الاستعداء، رقم (٥٤٠٩)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الثانية، ١٩٨٦م، وصححه الألباني.

٥ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٥٠٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.



علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية - سوريا

تواضع رسول الله ﷺ

الكبرياء والعظمة صفتان من صفات الله عزوجل؛ لأنه (سبحانه وتعالى) هو الوحيد الخالي من كل نقص، والخلق كلهم عباد للخالق جل شأنه، ينبغي أن يتواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد[1].

قال عز من قائل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء:٣٧). والتكبر يؤدي إلى الذل والهوان؛ ولذلك جاءت الدعوة إلى التواضع: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر:٨٨). وربنا جل جلاله لا يحب المستكبرين.

ولله در القائل:

إن التواضع من خصال المتقي
وبه التقي إلى المعالي يرتقي

وقال رسول الله ﷺ: «.. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

وفي معرض الثناء على عباده قال الله عزوجل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (الفرقان:٦٣).

عباد الرحمن، يمشون بسكينة ووقار، بلا تجبر ولا استكبار، لا يستعلون على أحد؛ بل يمشون مشية من يعلم أنه من الأرض خلق، وإلى الأرض يعود.

وليس معنى ذلك أنهم يمشون متمارضين متماوتين، فلقد كان رسول الله ﷺ إذا مشى «تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب»[3]. أي: كأنه ينزل من مرتفع إلى منخفض، وهذه مشية أولي الهمة والعزم والثبات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له»[4].

وليس معنى السرعة هنا: السرعة



التي تذهب بالوقار، ولكن معناها: الوسط، لا بالسريع المفرط، ولا بالبطيء المفرط. هذا هو مشي المؤمنين، يجمع بين القوة والتواضع، والثقة والعزيمة.

ويكفي المتكبر ذلا أن الله تعالى أعد له يوم القيامة عذابا أليما: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣).

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال أحد الصحابة: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[٥]. أي: عدم قبول الحق واحتقار الناس.

فالتجمل ليس من الكبر ما لم يترفع الإنسان على غيره، فإذا نظر لنفسه نظرة إكبار، فهو الكبر المذموم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعظم في نفسه، أو اختال في مشيته، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان»[٨].

«ولن يبلغ العبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف..»[٩].

والتواضع خلق الأنبياء.. نوح عليه السلام كان نجارا، داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده، «وما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم»[١٠].

ونبينا محمد ﷺ كان قدوة المتواضعين.. كان يحمل متاعه، وكان يصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه.

عن جرير رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ من بين يديه، فاستقبلته رعدة، فقال ﷺ: «هون عليك، فإني لست بملك، وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد»[١١].

وعن أنس رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ كان يمر بنساء، فيسلم عليهن»[١٢].

وعن سهل بن حنيف قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم»[١٣].

وعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم»[١٤].

هكذا كان رسول الله ﷺ أكثر الناس تواضعا؛ كان يمشي خلف أصحابه ويجلس بينهم ولا يتميز عليهم، حتى أن الرجل الغريب ليأتي فيقول: أيكم محمد؟

هكذا كان رسول الله ﷺ، وهكذا تعلم منه أصحابه رضي الله عنهم.

هذا رجل يأتي برسالة من كسرى ملك الفرس إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحينما دخل المدينة سأل عن قصر الخليفة، فأخبروه بأنه ليس له قصر، فتعجب الرجل، وخرج معه أحد المسلمين ليرشده إلى مكان أمير المؤمنين.

وبينما هما يبحثان عنه في ضواحي المدينة، وجدا رجلا نائما تحت ظل شجرة، فقال المسلم لرسول كسرى: هذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فازداد تعجب الرجل من خليفة المسلمين الذي خضعت له ملوك الفرس والروم، فما كان منه إلا أن قال: «حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت يا عمر».

الهوامش

١- إشارة إلى حديث مسلم عن أبي هريرة، كتاب الجنة، رقم٢٨٦٥.

٢- رواه مسلم عن أبي هريرة، ك البر والصلة، ح٢٥٨٨.

٣- مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم٧٥٧.

٤- رواه الترمذي، كتاب المناقب، ح٤٠٠٩.

٥- أخرجه مسلم برقم٩١، والترمذي برقم١٩٩٨.

٦- رواه البخاري، ك فضائل الصحابة، حديث رقم٣٦٦٥.

٧- رواه مسلم، ك اللباس والزينة، ح رقم٥٥٨٨.

٨- رواه أحمد بسند صحيح، ح رقم٥٩٥٩.

٩- الزهد؛ لابن المبارك، صفحة٥٢.

١٠- ص البخاري ٣/٣٦٣ عن أبي هريرة، وسنن ابن ماجه برقم٢١٤٩.

١١- أخرجه الحاكم في المستدرك: ٤٦٦/٢.

١٢- رواه أحمد والترمذي عن أسماء الأنصارية. صحيح الجامع حديث رقم٤٨٩١.

١٣- رواه الحاكم في المستدرك برقم٣٧٣٥.

١٤- أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم٤٥٩.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

فلسفة القدوة في الإسلام

الأسوة والقدوة هي: المثال الصالح للتشبه به والمشي على منواله.. ترى من يكون القدوة والأسوة لهذه الأمة المتعددة الأعراق واللغات والألوان؟
أكاد أجزم أنه لا يوجد أحد على الأرض تستطيع البشرية التأسي به والاقتداء بسلوكه سوى الأنبياء عليهم السلام، لاسيما رسول الله ﷺ، فهو الإنسان الوحيد الذي اهتمت البشرية لأمره والتفوا حوله يسجلون حركاته وسكناته، سلوكياته وأخلاقه، عبادته ومعاملاته، داخل البيت وفي المسجد، في الطريق، في حله وترحاله، في العلاقات الدولية، في الحرب والسلام، في العلاقات الشخصية، مع الأقارب والأرحام، في الزواج والطلاق، في الطعام والشراب واللباس، في صحته وفي مرضه.

فالإنسان يكاد يمل ويتعب إذا راقب إنسانا آخر وسجل تفاصيل حياته، بيد أن الحال تختلف مع رسول الله ﷺ، فقد سجلت تفاصيل حياته عن قرب وعن حب، وهو ما لم ولن يحدث لبشر من لدن آدم إلى قيام الساعة.. أليست السنة هي كل ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية؟!

من واجبات الرسالة: إن وظيفة النبي ﷺ البلاغ والبيان، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤).

فحياة الرسول ﷺ لم تكن على مراده هو، بل وفق مراد الله تعالى، لتكون بيانا وتوضيحا لرسالة الإسلام، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ (النجم:٣-٥).

وهو القائل لعبدالله بن عمرو بن العاص: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[1]. فهو ﷺ معصوم؛ عصمه الله تعالى من المعاصي؛ صغيرها وكبيرها، فكيف لا يقتدى به؟!

أما غير النبي ﷺ فلا يؤمن عليه الفتنة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلا فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة»[2].

هل نحن في حاجة إلى قدوة؟

رسالة الإسلام في حاجة إلى بيان عملي وتطبيقي فهي ليست أفكارا مغرقة في المثال والخيال، بل أفكار وأحكام مرتبطة بالواقع، فكان لابد من ممارسة فعلية من الرسول ﷺ ليكون قد أدى الرسالة بقوله وفعله ويكون البيان العملي أشد تأثيرا وأبقى من البيان القولي. فدائما بالمثال يتضح المقال.

الحكمة من بشرية الرسل

ولقد كان المشركون يتعجبون من بشرية الرسول ﷺ وينكرونها ويطلبون نزول ملك يصدقه في دعوى الرسالة، قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان:٧-٨).

ويطلبون نزول ملك ومعاينته ليشهد له بالنبوة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ (الأنعام:٨-٩).

فقد مضت سنة الله تعالى بإرسال الرسل من البشر لتكون آنس للنفوس، ويطبقوا المنهج الإلهي في العبادات والمعاملات، بخلاف لو كان الرسل من عالم الجن أو الملائكة؛ فكيف يحدث التلاقي والتلقي والقيام بأوامر الله مع اختلاف طبيعة وجنس الرسول والمرسل إليهم فلا يكون عندئذ تأس أو اقتداء، وتكون الحجة من الناس أنه رسول من الجن، أو أنه رسول من الملائكة، فلا طاقة لنا بما جاء به من منهج الله تعالى. ولكن اقتضت حكمة الله تعالى اصطفاءهم من البشر ليتمكنوا من رؤيتهم وسماعهم



ومخاطبتهم ومحاورتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد:٣٨).

إن رسالات السماء جاءت لإصلاح أحوال الناس والمجتمعات الإنسانية، فكان لابد من البيان العملي التطبيقي للأحكام الشرعية وهي توجه وتصحح مسار الإنسانية، وأساليب الحياة، وأخلاق الناس وسلوكياتهم، وكان لابد من الممارسة العملية للعبادات والمعاملات فيكون البيان الشافي مؤكدا ومدعما لما جاء في الوحي من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٣]، وقال ﷺ: «لتأخذوا عني مناسككم»[٤]. وبالتالي بات العمل على غير هدي النبي ﷺ مردودا لا قيمة له، قال ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٥]؛ أي مردود عليه.

وقد اشترط العلماء شرطين لقبول العمل: الإخلاص، والمتابعة لهدي النبي ﷺ.

ولو لم تكن القدوة قد رسمت منهج الإسلام كله من العبادات وأسس المعاملات، ترى كيف تكون حال الاختلاف والتضاد والتناقض وتذبذب الناس وحيرتهم؟ إن صحة العبادات تتوقف على التأسي بالرسول ﷺ، وهذا كتاب «زاد المعاد» لابن القيم على سبيل المثال لا الحصر يبين هدي النبي ﷺ وسنته في شؤون الدين من عبادات ومعاملات وأمور الحياة عامة.

بين التأسي بالرسول ﷺ وغيره

بعض الناس قد يتأسون بالمشاهير الذين ذاع صيتهم في العلم أو الفلسفة أو الرياضة، لاسيما كرة القدم، فيرددون بعض أفكارهم أو يقتدون بهم في توجههم الفكري أو الفلسفي، أو طريقة لباسهم، أو تسريحة شعرهم، موضات وتقاليع مبناها على الهوى وحب الدنيا.

ولكن التأسي بالرسول ﷺ فاق كل هذا، فهو قدوة في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والسلوك، وعلاقاته الاجتماعية؛ وهو قدوة في طريقة تناوله للطعام والشراب، وأسلوبه في ارتداء الثياب، وفي طريقة مشيه وكلامه وحركاته كلها وسكناته، في كل أحوال حياته حربا وسلما، حلا وترحالا.

إن التأسي برسول الله ﷺ هو من رفع ذكره ﷺ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:٤)، فهو لا يقل أهمية عن رفع ذكره ﷺ في الأذان لإقامة الصلاة التي هي عماد الدين.

ولو لم تكن أسوة الرسول ﷺ والاقتداء به لضاع الدين وضل الناس وهلكوا وفسدت الدنيا.. إن التأسي بالنبي ﷺ يقيم الدين ويحفظه، ويقيم الدنيا برعاية مصالح العباد، وهو علامة على الإيمان بالله واليوم الآخر ويهدي إلى الذكر الكثير، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

إنه تأس له روابطه السماوية، وقد زكاه الله تعالى بأنه ﷺ أسوة حسنة. يا حسرة ويا ندامة من ترك التأسي به متعمدا معرضا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩).

إنه يعرض نفسه للهلاك والبوار في الدنيا قبل الآخرة، وقد حذر الله عباده من ذلك فقال ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣).

ففي الاقتداء به والتأسي بهديه النجاة من الهلاك والفوز بالدارين.

فإذا كان النبي ﷺ هو قبلتنا في الاقتداء والتأسي فبمن يتأسى النبي ﷺ؟

إن النبي ﷺ قد أوضح الله له أسوته وقدوته من إخوته الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠).

وكما أن النبي ﷺ يرتبط بأبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، نسبا، فإنه كذلك محل اقتدائه وأسوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ

﴿ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (آل عمران:٦٨).

وفي أوقات حياته العصيبة الشديدة إبان دعوته لقومه ومواجهته لهم وإعراضهم عن دعوته، كان الله تعالى يأمره بأن يتأسى بمن سبقه من الرسل في الصبر على أقوامهم، قال سبحانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ (الأحقاف:٣٥).

إن التأسي بالرسول ﷺ ليس مندوبا أو مستحبا على كل حال، بل هو مصدر من مصادر التشريع وأصل من أصول الإسلام، فإن ضياع السنة التي يقتدى من خلالها بالرسول ﷺ يتسبب حتما في ضياع الدين كله؛ عقيدة وشريعة.

إن الرسول ﷺ كأسوة حسنة خلد ذكره بخلود رسالة الإسلام؛ فهو ليس مبلغا فقط، وليس أول المؤمنين فحسب، بل هو جزء من هذه الرسالة بهديه وسنته وحتمية وضرورة اتباعه والاقتداء به، فصلى الله وسلم على هذا الرسول الكريم، الذي رفع الله ذكره في كل وقت وحين.

الهوامش

١- سنن أبي داود، ١٤٩٣: ٣٦٤٦.
٢- أخرجه الطبراني في الكبير (٩/١٥٢).
٣- رواه البخاري في صحيحه في تسعة مواضع أولها في باب الأذان، ومسلم في كتاب المساجد.
٤- مسلم، كتاب الحج، ١٢٩٧.
٥- متفق عليه (واللفظ للبخاري)، ٢٦٩٧.

ملف العدد



محمود محمد عبد الرحمن
إمام وخطيب - مصر

كيف تسطع شمس الإسلام من جديد

نتساءل جميعا: كيف نعيد إسلامنا إلى الصدارة وإلى قيادة العالم من جديد، وكيف نثبت للعالم أن الإسلام يواكب كل عصر من العصور الحديثة؟ الحقيقة أن إجابة هذا السؤال تحتاج منا إلى أن نغوص في أعماق أنفسنا ونحاول أن نعرف هل نؤدي تعاليم الدين الإسلامي كما يجب؟ هل طبقنا المبادئ التي شرعها الإسلام على أنفسنا؟

لقد حدد الرسول ﷺ هذه المبادئ في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته إن قواعد الإسلام هي اعتبار المسلمين إخوة كيانا واحدا وجسدا واحدا إذا مرض منه واحد سهر الجميع في علاجه، والاهتمام به، وهنا يتولد الحب في القلوب ليصنع بيتا كبيرا مليئا بالحب وإذا تولد الحب في قلوبنا استطعنا أن نبث هذا الحب في قلوب الآخرين، ولكي يتولد هذا الحب لابد أن نشعر بالآخرين، بحاجاتهم، وآلامهم، ولقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة»، ولكن أصحاب رسول الله ﷺ أرادوا أن يتأكدوا من هذا المعنى الذي أوصله النبي لهم فسأله أعرابي - كما أخرجه الطبراني - فقال: يا رسول الله أخبرني بأحب الناس إلى الله، فقال النبي ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم تقضي عنه دينا أو تفرج عنه كربا أو تطرد عنه جوعا ولأن أسير مع مسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا ومن كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله قلبه رضا ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يقضيها له ثبّت الله قدمه يوم القيامة يوم تزول الأقدام». هذا هو المعنى

السامي للإسلام يتمثل في الترابط والحب الذي ينشر السلام ومن ساعد مسلما في حاجته كان حقا على الله أن يعطيه جائزة في الدنيا والآخرة، وجائزة الدنيا أن ييسر له الصعاب كما يسر على أخيه ويقضي له الحاجات كما قضى حاجة أخيه، ومن لم يخرج غضبه وغيظه كان واجبا على الله أن يملأ قلبه بالرضا ليحل محل النار التي تشتعل من الغضب، فيكون الله في قلبه ويرحل الشيطان، ولقد قال الحسن: «أهلنا أحب إلينا من إخواننا، قيل: لماذا؟ قال: لأن إخواننا يذكروننا بالآخرة، وأهلنا يذكروننا بالدنيا»، حتى أن الحسن قال من شيع أخاه المسلم بعث الله ملائكة من تحت العرش يشيعونه إلى الجنة يوم القيامة، وحينما نذهب إلى سوار وزير الخليفة المهدي وكان رجلا كريما يقضي حوائج الناس وفي يوم عاد من قضاء أعماله في القصر فأحضروا له الطعام، ولكن نفسه لم تستسغه، ثم جاءت جاريته؛ وكانت محببة إلى قلبه، فتركها ثم ذهب لينام، فجافاه النوم، فأخذ فرسه وخرج لا يقصد مكانا معلوما، فقابله وكيله ومعه ألف دينار، فأخذه معه، وأخذا يسيران حتى وصلا إلى قصر وقد أدركهما العطش، فطرقا باب القصر، وطلبا منهم الماء، فسقوهما الماء، ثم ذهبا إلى المسجد لصلاة العصر، فقابلهم رجل ضرير فسأله سوار: ألك حاجة؟ قال له: إن هذا القصر كان ملكًا لأبي قبل أن يرحل إلى خراسان في تجارة، ثم يفلس ويعود إلى بغداد، فطلبت من أصحابه أن يعطوني مالا ويوصلوني إلى سوار وزير المهدي فقد كان صديق أبي، فقال سوار ومن أبوك؟ فقال له: فلان بن فلان، فعرف سوار هذا الرجل، وكان صديقا حميما له بالفعل، فقال للرجل: إن الله منع سوارا النوم والطعام والراحة حتى يأتي لقضاء حاجتك، وأعطاه الألف دينار، وطلب منه أن يأتي في الصباح حتى يعطيه المزيد، ثم مضى سوار في طريقه وهو ينوي أن يخبر الخليفة بهذه القصة، فلما أخبر الخليفة بهذه القصة أعجب بها، وأمر بإعطاء سوار خمسة آلاف دينار، ولما كان الصباح جاء الرجل الضرير إلى باب سوار، فقال له سوار: أعليك دين؟ قال له: نعم، قال كم دينك؟ قال خمسة آلاف دينار، فأعطاها له، ولما علم الخليفة بقدوم الرجل الضرير على سوار أعطاه خمسة آلاف درهم وأعطى سوارًا مثلها وأعطاه الخمسة آلاف التي دفعها إلى الرجل، فصار مع سوار عشرة آلاف دينار، فقال للضرير: إن الله أعطاني مثل ما أعطيتك وزادني، وقد وهبتك جميع المال فانظر إلى عاقبة فعل الخير لا تكون إلا خيرا، وعاقبة مساعدة الآخرين لا تكون إلا الفوز، والفلاح في الدنيا والآخرة».

بل إن كتب الأدب تحكي أن الإسكندر المقدوني أراد أن يغزو الصين، فجاء رجل إلى مجلسه، فقال: إنه رسول ملك الصين، وطلب من الإسكندر أن يأمر بانصراف من في مجلسه؛ لأنه يريد أن يخبره بأمر هام، فأمر الإسكندر بتفتيشه ووضع سيفه أمامه وهو متأهب؛ لأنه كان يخاف أن يغدر الرجل به، فقال له الرجل بعد أن انصرف الناس: أنا لست رسولا، بل أنا ملك الصين، فتعجب الإسكندر من جرأة الرجل، وقال كيف تأتي إليّ وأنت تعرف أنني سوف أغزو بلادك؟ قال ملك الصين: ثقتي برجاحة عقلك، وعلمي أنك رجل حكيم، فلم تريد أن تغزو بلادي وتسفك الدماء؟ فقال له: أريد أن آخذ خيرات بلادكم، فقال له ملك الصين: نعطيك ما تريد من المال كل عام في مقابل أن تتراجع عن غزو بلادنا. واتفقا على ذلك.

وفي الصباح فوجئ الإسكندر بملك الصين ومعه جيش جرار يقف أمام الأبواب، فقال له ألم نتفق بالأمس؟ فقال له: أنا لم آت للحرب، ولكن أردتك أن تعلم أنني لم أتفق معك عن ضعف، وقلة حيلة فأعجب الإسكندر بصنيع الرجل، فترك الصين، ولم يأخذ المال أيضا، فأعطاه ملك الصين هدية فاقت في قيمتها المال الذي كان سيأخذه.

فانظر إلى عاقبة فعل المعروف، جعلته يفوز بربح عظيم، ويكتسب صديقا، فهل فكرنا يوما أن نغير من أنفسنا وأن نملأ قلوبنا الحب، حتى نكون إخوانا كما أرادنا الله ورسوله ﷺ أن نكون؟.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

الإسلام بين «الدولة» و«الحضارة»

للإسلام عدة معان ومفاهيم بحسب التجليات المختلفة والمستويات المتعددة.. فهو من حيث المستوى اللغوي يعني: الاستسلام والخضوع والانقياد.. وفي المستوى الاصطلاحي يعني أمرين؛ الأول وهو معنى عام: أي الدين الذي أنزله الله تعالى لهداية خلقه وأرسل به رسله، من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام؛ وأما الأمر الثاني فهو معنى خاص: أي الشريعة التي جاء بها خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وهذا هو المراد حين تطلق كلمة الإسلام[1].

فهذا معنى الإسلام من حيث التجلي أو المستوى اللغوي والاصطلاحي، أما معنى الإسلام من حيث الممارسة والتجلي في حركة الحياة، فيمكن أن نشير إلى ثلاثة تجليات أو مستويات أساسية؛ وهي مستوى الفكرة، ومستوى الدولة، ومستوى الحضارة.

مستوى الفكرة

الإسلام دين يقوم على فكرة محددة وينطلق منها، وهذه الفكرة هي «عقيدة التوحيد»؛ أي الإيمان بوجود الله تعالى، والإقرار بما يستحقه سبحانه من الإفراد في العبودية ومن التنزيه في الأسماء والصفات؛ فلا شريك له في الخلق أو الأمر، ولا ند له ولا شبيه ولا مثيل في ذاته أو صفاته، وبالتالي، فلا معبود بحق إلا هو سبحانه، ولا ينبغي أن يتوجه الإنسان بالعبادة والخضوع والإنابة إلا إليه جل في علاه.

هذه الفكرة، أو العقيدة، تتجلى في المسلم، وتتجسد في سلوكه، أينما وجد، حتى لو وجد في مجتمع ليس به مسلم غيره، ولا يحول دون ذلك أي حائل، وحتى لو وجد حائل من أن يقوم المسلم في الظاهر بما توجبه عليه هذه العقيدة، فيكفي إقرار قلبه واطمئنان جنانه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ (النحل:١٠٦).

فالإسلام- من حيث الفكرة - يتجلى في سلوك المسلم على نحو دائم، ومن قبل وجود إطار يظلل حركة المسلم في الحياة.

ولهذا، وجدنا النبي ﷺ والصحابة في مكة قبل الهجرة، يعلنون إسلامهم، ويلتزمون به، ويدعون إليه؛

رغم ما عانوه من تضييق ومشقة وتعذيب وحصار، وظلوا - مع كل هذا- عنوانا على دين جديد مفارق لما عليه مجتمع مكة من عبادة الأوثان والتقرب إلى الأصنام.

لكن لما كان الإسلام قد جاء ليحكم حركة الحياة ويوجهها، وليقيم له نموذجا في الأرض تتمثل فيه ما يقرر من قيم ومبادئ وما يدعو إليه من أخلاق ومثل وتشريعات، لم يكن المطلوب أن يلتزم المسلم بالإسلام في خاصة نفسه فقط، ولا أن يرضى بأن يتجسد الإسلام في سلوك فردي فحسب، وإنما لابد من إيجاد إطار يظلل قيم الإسلام ومبادئه وتشريعات، ويتيح للمنضوين تحت لوائه حرية أوسع؛ ليمارسوا ما يعتقدونه، وليدعوا غيرهم وهم آمنون ألا يؤذيهم أحد وألا يضطهدهم صاحب عقيدة مغايرة.

من أجل ذلك، كان التفكير في بديل عن مجتمع مكة؛ الذي تسلط فيه أهل الشرك، وتجبر فيه المستقوون بنفوذهم وأموالهم وسلطانهم، فكانت الهجرة إلى الحبشة، التي تبين - فيما بعد - أنها بلاد غاية ما يرتجى منها أن توفر ملاذا آمنا للمهاجرين، وليس إطارا لإقامة الفكرة والعقيدة.

ثم كانت الهجرة للمدينة المنورة، بعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وبعد أن استوثق النبي ﷺ من أصحاب البيعة الثانية أنهم سينصرونه في «حرب الأحمر والأسود من الناس»، وأنهم يبايعونه على «السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب، بما نمنع به أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا»[٢].

ومن هنا، تأتي أهمية «الدولة» في الإسلام وضرورتها.. وهذا هو المستوى الثاني من تجليات الإسلام.

مستوى الدولة

إذن، لم يكن من الممكن أن يظل النبي ﷺ وأصحابه بمكة، حتى لو تمكنوا من ممارسة شعائر الإسلام بحرية على مستوى الأفراد؛ لأن الإسلام ليس فكرة على مستوى الفرد فحسب وإنما له مستويات أعلى وأوسع، بحيث يكون له نموذجه الخاص في الحياة، يستطيع من خلاله أن يدفع عن نفسه أذى الآخرين، وأن يوفر الحرية الكاملة لمعتنقيه وللمنضوين تحت لوائه حتى من غير المسلمين.

فكانت الهجرة للمدينة المنورة هي السبيل لتحقيق هذا المستوى الثاني من تجليات الإسلام، وهو «مستوى الدولة».

واستطاعت دولة الإسلام في المدينة أن تنشئ نموذجا لم يكن للعرب ولا لغيرهم سابق عهد به، بل وظل هذا النموذج مصدر إلهام واعتزاز للمسلمين من بعد، ولغيرهم أيضا؛ فقد حققت دولة المدينة التعايش بين سكان المدينة على اختلاف قبائلهم وعصبياتهم وعقائدهم.

ومما جاء في (وثيقة المدينة)، وله دلالة ممتدة إلى حاضرنا: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ - يهلك - إلا نفسه وأهل بيته، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عزوجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم»[٣].

فمن خلال هذه النصوص نستطيع أن نتبين أهم ملامح الدولة التي أرساها الإسلام، وتمثل حاجة ملحة في واقعنا.. ومن هذه الملامح:

❖ الحرية الدينية لأفراد الدولة: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»؛ فلا إكراه في الدين، والإسلام يقوم على الإقناع لا الإجبار، ويريد قلوبا وعقولا طائعة لا أجسادا خائفة مكرهة.

❖ وحدة النسيج الاجتماعي للدولة: «وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»؛ فهو نسيج متماسك يقوم على التناصح والتعاون على الخير، لا القطيعة أو الشرور والآثام.

❖ مشاركة مواطني الدولة في حمايتها: «وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة»؛ بما تستلزمه هذه المشاركة من تعزيز مفهوم المواطنة وإتاحة الفرصة للجميع للتعبير عن انتمائهم، وعن حقهم في حماية هذا المنجز.

❖ الإسلام مرجعية الدولة: «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عزوجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ»؛ فالإسلام هو الحكم والفصل فيما يحدث من خلاف داخل مكونات النسيج الاجتماعي للدولة، مع حفظ حق كل فئة في ممارسة اعتقادها بحرية.

وهذه النقطة الأخيرة مهمة جدا، لأن الإسلام هو الضامن لحقوق مكونات النسيج الاجتماعي، وليس تهميشه واللجوء للعلمانية وإبعاد الدين، كما يزعم البعض. فالعلمانية إذا كانت



خيارا مناسبا لبعض المجتمعات، نتيجة ظروف ما؛ فإنها لا تناسب الإسلام الذي أنزله الله تعالى مهيمنا ومبينا لما ينفع الناس في دنياهم وأخراهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ (النساء:١٠٥)، وقال أيضا: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

مستوى الحضارة

وهنا في المستوى الثالث من تجليات الإسلام في حركة الحياة، أي «مستوى الحضارة»؛ ترد إشكالية ذات دلالة خطيرة، وهي أن البعض يظن أن الإسلام كدين يفقد صلاحيته -في توجيه الحياة وترشيد مساراتها- بمجرد أن تزول دولة ما تحكم باسمه، أو بمجرد أن يتعرض أهله لنكبة كبرى تكاد تأتي عليهم من القواعد، وتجعلهم أثرا بعد عين؛ كما حدث في الهجوم المغولي الكاسح، وفي الحملات الصليبية المتتابعة، وفي الغزو الاستعماري الذي طوق العالم الإسلامي شرقا وغربا وقضى على وحدة رايته وأراضيه، وأضعف ثقته في دينه ومنهجه.

وهذا الزعم مغاير تماما للحقيقة، ومجاف لشواهد التاريخ! كما أنه زعم لا ينتبه للفرق الجوهري بين مستويي «الدولة» و«الحضارة» فيما يتصل بالإسلام.

❖ فمن حيث الحقيقة وشواهد التاريخ: فقد خرج المسلمون من كل نكبة أقوى من ذي قبل، واستجمعوا قواهم بأسرع مما كان يتخيله كثيرون. بل إنهم استطاعوا غزو المغول من داخلهم، حين تسلل نور الإسلام إلى أبناء وأحفاد جنكيز خان الذي دمر البلاد الإسلامية بهمجية لم يسبق لها مثيل![4].

وقد سجل هذه الظاهرة العجيبة «توماس أرنولد» في كتابه المهم «الدعوة إلى الإسلام»، فقال: «ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده الخالد، كما استطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين -المغول- ويحملهم على اعتناقه؛ ويرجع الفضل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قويين، كانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار. وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين...؛ كل ديانة تنافس الأخرى، لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة؛ الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم»[5].

فمن حيث الحقيقة والتاريخ، سقطت دول كثيرة للإسلام غير أن حضارته لم تسقط، وكان الإسلام -ولا يزال- قادرا على الإشعاع مرة بعد أخرى، وعلى أن يمد نوره إلى داخل الدول والحضارات التي أعماها غرور القوة، وحملها على ظلم الآخرين.

ولهذا، فإن باحثا غربيا منصفا، وهو نوح فيلدمان، لاحظ أنه حين تسقط الأيديولوجيات والدول القائمة عليها -على مر التاريخ- فإنها لا تعود للنهوض مرة أخرى؛ باستثناء أيديولوجيا الدولة الإسلامية[٦].

❖ أما من حيث الفرق الجوهري بين مستويي الدولة والحضارة فيما يتصل بالإسلام: فـ«الدولة» كيان يتشكل ويندثر، وهو يرتبط بأسباب تعود بالدرجة الأولى إلى حال مواطنيه، قوة أو ضعفا. أما «حضارة الإسلام» وقدرته على الانبعاث والتجدد، فهذا أمر يتصل بطبيعة الإسلام ذاته، وبخصائصه، التي من أهمها أنه الدين الخاتم إلى قيام الساعة؛ فلا دين بعده، ولا رسول بعد رسوله، ولا شريعة بعد شريعته. ولهذا فإن الإسلام يحمل في ذاته عوامل بقائه وخلوده مهما أصاب أتباعه من ضعف، ويحمل عوامل انتشاره حتى لو لم يسع المسلمون لنشره.

يقول أستاذنا د. عبدالحليم عويس، رحمه الله، في رؤية مهمة للتفريق بين خط سير الحضارة الإسلامية وخط سير الدولة أو الدول الإسلامية: «لأن الإسلام كان دائما دينا ينساب في كل أركان الحياة، ويتفاعل انطلاقا من عقيدة المسلم الفرد وإيمانه وشريعته في مستواه وفي مستوى الجماعة. ولأن الإسلام دين ملتصق بواقع الناس، وشتى أركان حياتهم على هذا النحو المعروف، فإن الإسلام كان دائما وما زال يشكل -بنظمه ومؤسساته، وطوائفه المؤمنة، والعالمة، والصانعة، والزارعة، والمجاهدة- الخيوط الثابتة التي تصنع نسيج المجتمع وتحكم علاقاته وثوابته، وعاداته وتقاليده».

ويوضح أستاذنا أن «هذا النسيج المتصل بأركان الحياة -الفردية والاجتماعية- من كل زواياه، لا يتأثر إلا قليلا بالتحولات التي تقع في المستوى السياسي.. وهذه الحقيقة الثابتة تسقط كل التفسيرات السطحية التي وقفت كثيرا عند بعض المعابر السياسية في التاريخ الإسلامي السياسي. إن سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد التتار، لم يكن تحولا حضاريا، وإن كان تحولا سياسيا؛ ذلك لأن مبادئ الحضارة الإسلامية لم تلبث أن تفوقت على الغزاة المنتصرين، وحولتهم إلى جنود لها. كما أن العباسيين والأيوبيين والمماليك مثلوا جميعا الحضارة الإسلامية على اختلاف في مستويات التعبير. فخط السياسة غير خط الحضارة إذن»[٧].

بين الدولة والحضارة

ومن هذا نستطيع أن نخلص إلى أن الإسلام له في حركة الناس تجليات كثيرة، أو دوائر متعددة، وأن هذه الدوائر تبدأ من «الفرد» والتزامه بالإسلام في خاصة نفسه، ثم تتسع شيئا فشيئا لتتشكل دائرة كبيرة هي «الدولة».. ثم دائرة أكبر وأرسخ وأعمق، أي دائرة «الحضارة»..

فالحضارة هي أكبر دوائر تجليات الإسلام، وينبغي علينا أمران إزاء هذين المستويين من مستويات التجلي:

أولا: ألا نظلم الإسلام حين تزول دولة ما تزعم الانتساب إليه، أو حين تسيء التصرف باسمه وتتنكر لقيمه.. فالإسلام بفكرته وحضارته أكبر من مستوى «الدولة».

ثانيا: ألا يكون تشكيل الدولة هدفا بحد ذاته، وإنما هو مرحلة تؤدي لما بعدها «مرحلة الحضارة»؛ وبالتالي على الدولة أن تكون انعكاسا حقيقيا لمفاهيم الإسلام وقيمه؛ من حيث تحقيق العدالة بأبعادها المتعددة بين مواطنيها على اختلاف مشاربهم، وإرساء التعايش والتسامح بينهم؛ انطلاقا من مبدأ إسلامي أصيل وهو تكريم الإنسان من حيث هو إنسان.

وهنا، نلفت النظر إلى أن الإسلام لم يقرر شكلا محددا للدولة، وإنما قرر قيما عليا ينبغي أن تسود وأن تتجسد واقعا في حياة الناس، وترك «الشكل» تبعا لأعراف الناس وتطور حياتهم الفكرية والاجتماعية. وتلك مرونة تمثل إحدى خصائص الإسلام التي تجعله بحق الشريعة الخاتمة حتى قيام الساعة، وللناس كافة، دون إعنات ولا تعسير ولا مشقة؛ وإنما رفع للحرج، وإشاعة للتيسير، وضمان لمصالح الناس في الدنيا والآخرة معا.

الهوامش

١- «معجم مقاييس اللغة»، ابن فارس٣/٩١،٩٠. و«أصول ال`دعوة»، د. عبدالكريم زيدان، ص:١٠، باختصار وتصرف.

٢- «السيرة النبوية» لابن كثير، ص:١٩٦،١٩٥، ضبط: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠١١م.

٣- راجع نص الوثيقة كاملا في: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة»، محمد حميدالله، ص:٥٩- ٦٢، دار النفائس، ط٦، ١٩٨٧م.

٤- راجع المزيد في: «دخول المغول في الإسلام»، مقال على موقع «قصة الإسلام»، ٢٩ ابريل ٢٠١٠م.

٥- «الدعوة إلى الإسلام»، أرنولد، ص:٢٥٠، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٧م.

٦- وأضاف فيدمان للإسلام: الديمقراطية؛ كشكل للحكم حقق نجاحا محدودا في مدينة إغريقية صغيرة، بضع مئات من السنين، واختفى، ثم بعث بعد حوالي ألفي عام من ذلك. راجع كتابه: «سقوط الدولة الإسلامية ونهوضها»، ص:٣٧ وما بعدها، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٤م.

٧- «دراسات في تاريخ الحياة الإسلامية.. رؤية حضارية»، د. عويس، ص:٤٤، ٤٥، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٩م، باختصار.



مياسة النخلاني
قاصه يمنية

القدوة الحسنة.. جدار حماية ينبض بالحياة



يقول أحدهم سألت ابنتي التي تدرس في الروضة لماذا تربطين الحجاب بهذا الشكل، فردت بكل فخر بأن معلمتها تربط حجابها هكذا وهي تريد أن تكون مثلها.

وآخر سأل ابنه عن سبب رفضه الدائم لحمل حقيبة المدرسة، وإصراره على حمل كتبه ودفاتره بيده، ليخبره أخيرا أن معلمه لا يحمل حقيبة ظهر، وأنه يدخل الفصل ممسكا الكتاب بيده، وهو يريد أن يكون في المدرسة تماما مثل معلمه.

وعندما كنت في زيارة لصديقتي لاحظت أن ابنتها الصغيرة تمشي بشكل غريب، فسألتها عن سر هذه المشية الغريبة، فردت ضاحكة أن ابنها أصيب في قدمه وهو صغير وأصبح يمشي بعرجة خفيفة وابنتها تقلد أخيها الأكبر في كل شيء حتى في مشيته غير السوية.

الطفلة، حين تكون بمفردها، تخرج أدوات الزينة الخاصة بوالدتها، وتستخدم كل ما هو أمامها لتلطيخ وجهها، لأنها ترى أمها تفعل هذا وتريد أن تكون مثلها. والطفل، في غياب والده، يأخذ ريموت التلفاز ويحاكي جلسة والده؛ لأنه يريد أن يكون مثل والده فقط.

الأم والأب، المعلم والمعلمة، الأخ والأخت، الصديق والصديقة، وحتى المدير في عمله.. إلخ، كل هؤلاء هم قدوة لمن هم دونهم؛ فالقدوة ليست رمزا منزها عن الخطأ، ليس شخصا عظيما ذا مكانة عالية يصعب الوصول إليه، ليس

شخصية لا نجدها إلا في طيات الكتب والمجلدات السميكة.

فالقدوة هي جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي نعيش فيه، هي الشخص الأقرب إلينا والأكثر تأثيرا علينا، هي الشخص الذي نفتح عيوننا عليه ويشارك في تشكيل شخصياتنا وعقولنا وخبراتنا، انطلاقا من البيت، إلى المدرسة، الشارع، الجامعة، وبيئة العمل.

المعلم بين طلابه قدوة يملك القدرة على نحت وتشكيل شخصياتهم وتصرفاتهم بما لديه من تأثير وهيبة المعلم والمربي، والأب من مكانه قدوة يراه ابنه الأذكى والأفضل، لا أحد كوالده، وكل ما يفعله والده هو الأمر الصحيح، والأم من مكانها قدوة لا أحد بمثل جمالها وحنانها وروعتها، الرئيس من مكانه قدوة، فهو بالنسبة إلى مرؤوسيه الأكثر كفاءة وقدرة على إدارة الفريق، بكلمة واحدة منه تتفجر طاقات الإبداع والإتقان، الأخ قدوة لأخيه الأصغر، والرفيق قدوة لرفيقه طالما لديه تأثير عليه.

في المجتمع الكل لديهم القدرة على التأثير والتأثر بنسب متفاوتة، وهذا المجتمع يشبه السلسلة كل حلقة منها مرتبطة بالأخرى، وكلما كانت الحلقة أقرب لأختها كان التأثير أكبر والعكس صحيح، تظل السلسلة متماسكة طالما كانت العلاقة بين الحلقات متينة، وكلما تراخت تلك العلاقة أو اهتزت أثرت على ترابط المجتمع ككل، وعندما لا تدرك هذه الحلقة بقوة تأثيرها السلبي أو الإيجابي على الحلقة الملتصقة بها، تتراخى حلقات السلسلة وقد تتكسر وتتناثر قطعا صغيرة، بسبب كلمة أو تصرف لا مسؤول والنتيجة النهائية سلسلة مفككة ومجتمع متفكك.

عندما يرى المرؤوس أن رئيسه في العمل تعامل مع عمله بلا مبالة، في الوقت الذي يطالبه بالإنجاز والعمل الجاد، حينها تبدأ صورة القدوة في الاهتزاز.

عندما يرى الطالب معلمه وقدوته يمارس عليه القسوة والعقاب البدني بسبب أو من دون سبب، في الوقت الذي يحثه على العطف على الضعيف، تبدأ صورة القدوة في الاهتزاز.

وعندما ترى الطالبة أن معلمتها وقدوتها التي تشربت منها القيم والمبادئ وتحثها دائما على الاحتشام، تغتاب أو تخرج متبرجة، تهتز صورة القدوة في داخلها.

هنا يبدأ جدار تشكل في أعماقنا بالتصدع، بقدر رقته لكنه جدار نابض بالحياة، جدار تشكلت لبناته بالقيم والمبادئ الحسنة، جدار قوامه التقدير والهيبة و الاحترام، وكنتيجة لهذا التصدع تبهت صورة القدوة التي تشكلت في أعماقنا على مدى سنوات طويلة، لندخل إثر هذا التصدع في حالة من التشوش، التناقض، والارتباك، ونفقد الثقة، لنكون أخيرا عرضة للانجرار لأي تيار قوي يسير أمامنا، قد يجرفنا بعيدا، بعيدا عن ذاتنا وقيمنا، بعيدا عن كل ما آمنا وتمسكنا به؛ لأن الجدار الذي تعود أن يحمينا من السقوط قد انهار تماما وتركنا عرضة للتشتت.

لنحصل في النهاية على شخص مهزوز، سريع التأثر بكل من يحاول التأثير عليه أو استغلاله، شخص دمرناه نحن بأنفسنا بسبب عدم إحساسنا بالمسؤولية والتصرف بلا مبالة، عدم إدراكنا لقوة وسحر التأثير الذي نملكه، وإلى أي مدى يمكن أن يشكل فارقا بالنسبة إلى من هم حولنا.

وهكذا ومن دون شعور منا وكل من مكانه، نستمر في تدمير صورة القدوة الحسنة النابضة بالحياة، والتي كانت تمثل جدار صد لشخص ما، جدارا يقيه من الوقوع والانجراف خلف التيار الذي من شأنه أن يدمره ويدمر من حوله، لأن القدوة الحسنة التي تمثل الأساس لبناء مجتمع سليم ومعافى هي نحن ولا أحد سوانا.

فكل أفراد المجتمع هم قدوة حية، لذا أول ما سعى إليه إسلامنا الحنيف هو بناء مجتمع سليم، حيث نتعلم القيم من وجوه وكلمات من هم حولنا وأكبر منا، نتشرب المبادئ ممن لديهم تأثير مباشر وغير مباشر علينا، ونحن بدورنا ننقل هذا التأثير لمن هم دوننا وأصغر منا، في منظومة المجتمع الذي نعيش فيه.



نادر أبو الفتوح
صحفي مصري



في ذكرى مولده ﷺ

تأتي ذكرى المولد النبوي الشريف، لتذكر الأمة الإسلامية بمولد رسول الإنسانية، وفي هذه الذكرى العطرة فإن الأمة في حاجة لتستفيد من دروس السنة النبوية الشريفة، لكي تواجه المحن والأزمات المعاصرة، فالاحتفال بذكرى مولد الرسول الكريم ﷺ، ينبغي أن يتجسد في التحلي بالقيم والأخلاق التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية، لأن الهموم والمشاكل والمحن التي تواجه الأمة، حملت لنا سنة الرسول الكريم ﷺ حلولا لها، وحددت السنة النبوية طريقا للخروج منها، وكل من يحب رسول الله ﷺ، عليه أن يكون صادقا في التحلي بالقيم النبيلة التي حملتها مواقفه وأقواله.

التحلي بأخلاق الرسول

في البداية يقول الدكتور نجيب عوضين، أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة، إن ذكرى المولد النبوي الشريف ينبغي أن ننطلق منها لترسيخ القيم والأخلاق في المجتمع، وأن نصحح المفاهيم المغلوطة لدى الشباب، ونؤكد على قيم التسامح والوفاء وحب الأوطان التي حملتها لنا مواقف الرسول الكريم ﷺ، ويجب أن نذكر الشباب بالأيام الخالدة في سيرة النبي الكريم ﷺ، وأن نستخلص الدروس والعبر من هذه المواقف، فهناك أيام خالدة في حياة الرسول الكريم ﷺ.

مواقف نتعلم منها

ويشير إلى أن من هذه الأيام التي نتعلم منها القيم والأخلاق، يوم وفاة ابنه إبراهيم، فقد ضرب لنا ﷺ النموذج في الصبر عند الابتلاء، وأنه ﷺ قال «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»

(رواه البخاري)، فهذا درس لكل من يفقد ولده أو أحدا من أفراد أسرته، فعليه بالصبر الجميل، ومن الأيام التي يجب أن نستفيد منها أيضا يوم وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، لأن هذا العام كان عام الحزن في حياة الرسول ﷺ، لموت زوجته السيدة خديجة وكذلك موت عمه أبي طالب، وكيف أن الرسول الكريم صبر صبرا جميلا، وكذلك يوم الطائف عندما ذهب ﷺ إلى الطائف وتعرض للأذى منهم، لكنه ﷺ صبر وتوجه لله عزوجل بالدعاء بأن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عزوجل وحده ولا يشرك به شيئا.

ترسيخ مبدأ المواطنة

من جانبه، يقول الدكتور عبدالمقصود باشا أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر، إن في مسيرة التخطيط للهجرة النبوية الشريفة من مكة إلى المدينة، ما يؤكد على أنه ﷺ قد خطط بشكل جيد للهجرة، مما يدل على أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع، ومن الأيام الخالدة أيضا يوم بناء المسجد في المدينة المنورة، وأنه ﷺ شارك أصحابه في بناء المسجد، وقام بتأسيس الدولة في المدينة على أسس التكاتف والتعاون بين المهاجرين والأنصار، وهذه القيم دليل على ضرورة التكاتف بين أبناء الوطن لتحقيق التقدم والرخاء، كما أن وثيقة المدينة كانت بمثابة أول دستور ينظم العلاقات ويحفظ الحقوق بين أبناء المجتمع، وهذه الوثيقة كان لها دور كبير في بناء الدولة، وقد كانت تجسيدا لمبدأ المواطنة الذي عرفته البشرية بعد قرون.

تربية الأجيال

ويوضح أن الأيام الخالدة في حياة

مواقف خالدة في حياة الرسول تحمل دروسا وعبرا للأمة الإسلامية

الرسول الكريم ﷺ، يجب أن تكون سبيلا لبناء الشباب وتوعيتهم، ومن هذه الأيام الخالدة التي نستفيد منها يوم فتح مكة، فقد ضرب الرسول الكريم ﷺ، أروع الأمثلة في حب الأوطان والتسامح، وقال ﷺ قوله المشهور: «ما تظنون أني فاعل بكم؟، قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء» (رواه ابن إسحاق)، وهذا يجسد قيمة التسامح في حياة الرسول الكريم ﷺ، وكيف تعامل مع أهل مكة بعد الفتح، وهناك الكثير من المواقف المشهودة في حياة الرسول، منها خطبة الوداع التي كانت وثيقة تاريخية، وحملت الكثير من الحقوق والواجبات، كما شملت خطبة الوداع كثيرا من العبر والدروس والنصائح التي وجهها الرسول الكريم للأمة، وأوصى بالنساء، وأكد على حرمة الدماء، فترسيخ هذه القيم لدى الشباب يؤدي لبناء جيل قوي قادر على مواجهة المحن والأزمات.

دور العلماء والدعاة

من جانبه، يؤكد الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، أن علماء الأمة عليهم مسؤولية توضيح الدروس المستفادة من سيرة الرسول الكريم ﷺ، وأن الأمر لا يجب أن يقتصر على مجرد المواعظ والخطب فقط، بل يجب أن يكون هناك ربط مع الواقع الذي تعيشه الأمة في الوقت الحالي، وطالب بضرورة التركيز على مخاطبة الشباب وبيان هذه المواقف لهم.

التركيز على المعاملات

ويرى أن معاملة الرسول الكريم ﷺ الطيّبة مع المخالفين له، كانت سببا في إقبال الناس على الدخول في الإسلام، لأن الإسلام ليس عبادات فقط، لكن هناك المعاملات التي كان لها دور كبير في نشر الدعوة الإسلامية، وقد كان للتجار المسلمين قديما دورا هاما في نشر الإسلام في دول شرق آسيا، لأن الناس في هذه البلاد وجدوا في هؤلاء التجار قيما وأخلاقا وصدقا في البيع والشراء، وهؤلاء التجار المسلمون طبقوا حديث الرسول الكريم ﷺ: «من غشنا فليس منا» (رواه مسلم)، فإذا كان هذا الحديث يتعلق بالبيع والشراء والتجارة، فهناك أحاديث تشمل جميع المعاملات الأخرى.

وشدد على ضرورة أن تتحلى الأقليات الإسلامية في الخارج بهذه المعاملات، لأننا في حاجة لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، ومواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا، ولذلك فإن تصحيح المفاهيم المغلوطة يكون من خلال التعامل بأخلاق الإسلام، وهذا ما يجب أن يقوم به المسلمون في الخارج، فالإسلام حث على التسامح والتعايش السلمي وقبول الآخر المخالف، والرسول الكريم ﷺ، وضع وثيقة المدينة التي كفلت حقوق جميع المواطنين، ولذلك ننصح المسلمين في الخارج بأن يطبقوا هذه المبادئ في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن نقدم النموذج الصحيح للمسلم الذي ينفتح على الناس، ويتعامل معهم في كل الأمور التي أباحها الشرع.



أحمد منصور
باحث تربوي - المغرب

التربية وتحديات "ما بعد الحقيقة"

في نوفمبر من عام ٢٠١٦م، أعلن قاموس أوكسفورد، إبان ما أفرزته الأحداث السياسية العالمية الجديدة في أمريكا وأوروبا خاصة، أن «ما بعد الحقيقة» مصطلح السنة، إذ انهزمت الحقيقة أمام العاطفة، وبدأت وسائل الإعلام والخطاب اليومي في تداول مفردات جديدة من قبيل «الحقائق البديلة» و«الادعاءات الخاطئة».

وجاء في مفهومه أنه صفة «تتعلق أو تدل على الظروف التي تتراجع فيها القيمة الموضوعية للحقائق وتأثيراتها في تشكيل الرأي العام أمام المناشدات العاطفية والمعتقدات الشخصية»[1]. وتتكون الكلمة من السابقة «ما بعد» التي أخذت طابعا جديدا لم يعد يقتصر على المرحلة التي تلي حدثا أو موضوعا ما؛ مثل ما بعد الكارثة أو ما بعد الاستعمار، بل أصبح يدل على أن الحقيقة ما عادت ذات أهمية وأنه يطغى عليها اللبس والتسويف.

وفي واقع الأمر، ما يمثله مفهوم «ما بعد الحقيقة» في مجال التعليم والتربية في الوطن العربي والإسلامي هي الأشياء التي نرفض، أن يتمثلها متعلمونا حول الحقائق والمعارف المكتسبة؛ ومنها التحيز الفكري، وعدم الاهتمام بالحقائق والتفاصيل الدقيقة، واختلاق حقائق شخصية، والتعصب للأخبار الزائفة والمعتقدات الخاطئة، والاغتراب الثقافي والتربوي، والإذعان، والتمرد، وانتذار الفضول الفكري والإبداع، وعدم الاعتقاد في القدوة، وعدم الامتثال للقيم النبيلة والمبادئ الشخصية، إنها في مجمل الأمر تقويض ملكة التفكير بحرية.

وأمام زخم المعلومات وسهولة الوصول إليها، أصبحت عملية اكتساب المعرفة أسرع وأكثر سطحية وأكثر اجتماعية، ولم يعد المتعلمون يعتمدون فقط على الكتب والمقررات الدراسية، بل زاد اهتمامهم بمنصات الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، والتي، حسب آخر الاحصائيات، تشهد زيادة مطردة في أعداد مستخدميها في كل ثانية، فعلى سبيل المثال موقع

«فيس بوك» تصل أعداد مستخدميه نحو المليار وما يقارب الستين مليونا في منطقة الشرق الأوسط وحدها[٢]. وأصبحت المعرفة «شعبوية»، تعتمد على نسبة تقبلها في أوساط اجتماعية معينة، وعلى تداولها في شبكة الفضاء الإلكتروني، إذ بات متعلمونا يعتقدون أن سبب انتشار المعلومة دليل على صحتها. غير أن أغلب وسائل الإعلام التقليدية والحديثة ما عادت تهتم بحفظ المعلومات الهامة والاحتكام للحقيقة والواجب الأخلاقي، بل تركز فقط على تجميع أكبر عدد من المعلومات، فيصير هدف ناشري المعلومة إجبار المتعلمين على السعي وراء معارف سطحية لا غير، وحثهم على النقر باستمرار، ومشاهدة إعلانات وفيديوهات، والإعجاب والمشاركة، مستغلين بذلك افتقار المتعلمين للفضول الفكري والدافعية المعرفية وإلى المهارات التي تمكنهم من التمييز بين الحقيقة والكذب. ويظهر «كاهن» و«بوير» أن متعلمي المدارس الثانوية معرضون بشكل خاص لـ «اتجاهية دافعية التفكير»، إذ يفضلون «البحث عن الأدلة التي تتفق مع وجهات نظرهم السابقة، والعمل على رفض أو العثور على حجج مضادة لوجهات النظر التي تتعارض مع معتقداتهم، واعتبار الحجج التي تتفق مع وجهات نظرهم أكثر دقة وقوة من الحجج المعارضة»[٣]. وهو اتباع الظن كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ (النجم: ٢٨)، ويفيد المعنى «أن الحق حقائق الأشياء على ما هي عليه وإدراكها هو العلم المعرف بأنه (تصور المعلوم على ما هو عليه)، والظن لا يفيد ذلك الإدراك بذاته، فلو صادف الحق فذلك على وجه الصدفة والاتفاق، وخاصة الظن المخطئ كما هنا»[٤].

وتسهم هذه الوسائل وسرعة انتشارها في تشكيل صياغة إدراكية وذهنية للحقيقة وبناء تمثلات خاطئة ترتبط بالأحكام المتسرعة والمنتشرة والشائعات، التي لا تختزل في مجرد أفكار نمطية بل تتحول إلى مواقف واتجاهات وتصير سلوكات وتصرفات. إن العجز على تمييز المعلومات الواقعية من الخادعة والصديق الحقيقي من الافتراضي، يحول دون امتلاك القوة في مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل والقدرة على الاختيار والشجاعة في المساءلة والتحقق والنقد. فكثيرا ما نسمع عن حالات الابتزاز في العالم الافتراضي، ونشر رسائل جارحة، وإفشاء الأسرار، والاختطاف أو الهروب من المنزل، والتطرف، والعنف الموجه نحو الذات والآخر، والانتحار (مثلا بسبب اللعبة الإلكترونية التي تشجع الأطفال على تحدي الموت)، والارتداد عن الدين والمعتقدات. إن هذا التخلي عن الحقيقة وتزامنه مع المرحلة النمائية التي تعرفها مرحلتا الطفولة والمراهقة الحرجتان يؤثران سلبا على استقرارهم وجدانيا واجتماعيا ومعرفيا وحتى نمائيا. ولا ينتج عن تغييب الاعتبار للحقيقة إلا الخضوع والاستسلام والانقياد لسلطة الآخر الذي يجيد مناشدة العاطفة، مما يسهل عملية اغترابهم الثقافي والتربوي وتقبل مخلفات الثقافات الوافدة إليها بتعبير د. يزيد عيسى السورطي.



وتتصدر هذه الوسائل لائحة آليات التأثير عند المتعلمين، وعند أولياء أمورهم، الذين ينبهرون وينجذبون لما تتضمنه من متعة وفرجة وترفيه، إذ تشير العديد من الإحصائيات حسب د. صبري عبدالودود أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة، إلى إقبال العرب على متابعة وسائل الإعلام لأكثر من ١٥ ساعة يوميا بينما يؤثر «متابعة وسيلة إعلامية لمدة ساعة واحدة يوميا على الحالة النفسية، مضيفا أن مواقع التواصل الاجتماعي زادت في حالة الاكتئاب لما تعرضه من مشاهد قاسية وأمور تافهة لا تنفع العقل والروح بل تدمرهما»[٥].

وبينما كان لزاما على وسائل الإعلام أن تعمل على التزام الحيادية في نشر الخبر والسعي وراء الحقيقة نجدها لا تهتم إلا بزيادة نسبة الأرباح من خلال استقطاب الجماهير وكسب أكبر عدد من المتابعين، والتي تتميز برامجها بالفراغ القيمي والتبعية الثقافية ضاربة في عمق قيمنا العربية والإسلامية. ورغم أنه ليس كل ما يعرض في وسائل الإعلام سلبي إلا أنها تتحمل جزءا من المسؤولية في دفع المتعلمين إلى السلوكات السلبية، عبر ما تنشره من مغالطات وتلفيقات. وتعرض هذه القنوات برامج وقصصا وأفلاما وكليبات وإعلانات إشهارية؛ مقدمة في قالب مليء بالمغامرة والموسيقى الصاخبة والمشاهد الهزلية تمحو الحدود الفاصلة بين الصواب والخطأ، والمعنى واللامعنى، والرأي والحقيقة، والفكر والتفاهة.

ولا يرتبط مفهوم ما بعد الحقيقة فقط بوسائل الإعلام الاجتماعي، والتي

«ربما سوف يتمكن شخص ما من اكتشاف البرنامج الذي سوف يتسلل عبر النظام ويحذف بشكل منهجي كل ما هو كاذب ومدمر»[٦]، بل أيضا بما أنتجه المثقفون أنفسهم عندما هرعوا للتخلي عن الحقيقة واعتبروها عقبة أمام العمل الأكاديمي. ويعود تاريخ ما بعد الحقيقة في العلوم الإنسانية إلى السبعينات والثمانينات من القرن الماضي مع كتابات كل من «هابرماس» و«دولوز» و«بودريارد»، هذا الأخير الذي أقر أننا «نعيش في عالم حيث يوجد الكثير من المعلومات والقليل من المعنى... (وافترض) أن المعلومات تدمر بشكل مباشر المعنى والدلالة»[٧]. وبتعبير «نيتشه» فإنه «لا توجد هنالك حقائق، بل تفسيرات فقط»، كما وضع ماركس اللبنات الأساس لما بعد الحقيقة من خلال نظريته الأيديولوجية التي تضع السلطة فوق الحقيقة كدافع للتفكير السياسي، والتي مفادها أن تفكيري هو العلم، وتفكيرك هو الأيديولوجيا. وبحسب نظرية المعارف الثقافية لـ«فوكو» فإن أفراد مجتمع ما مسلوبو الحرية في التفكير لأنهم لا يتحدثون إلا بما تغرسه الطبقة الحاكمة من مفاهيم وحجج.

ولا يعدو اقتصار النظم التربوية العربية والإسلامية ولعقود عدة على الكتاب المدرسي باعتباره المرجع الوحيد الذي يحتاجه المتعلم في تلقيه للمعارف، وهو ذلك الكتاب الصحيح والنهائي الذي لا يشوبه تغيير، إلا تأسيسا لعملية تشكيل ذات المتعلم حسب التوجهات السياسية والفكرية الكبرى للبلاد. أنتج متعلمين لا يمارسون عملية الشك والتحقق، ولا يبحثون عن إجابات لأسئلة لم تتعرض لها هذه الكتب ولا يسائلون المواضيع المحرمة (الطابوهات). «لأن معظم ما في المدرسة من كتاب، ومعلم، وامتحانات، ومناهج، وطرائق، لا يزال ينتسب إلى مرحلة اجترار المعرفة، وخزنها، وتغليب الألفاظ على الأشياء، وتفضيل النظر على العمل، وتقديم الجدل العقلي على البحث المنهجي، وإيثار التقليد على التجديد»[٨].

وتتطلب حقبة ما بعد الحقيقة الاشتغال على التربية الإعلامية ودمجها في المقررات التربوية، وذلك من خلال تزويد المتعلمين بالمهارات الأساسية التي تمكنهم من التفكير السليم والنقدي، ومقاومة القبول السلبي للمعارف. وتشجيعهم على الشك على اعتبار أن الشك في مصادر المعرفة لا يعني أنه لا توجد معارف أو حقائق، بل يعني أنه علينا أن نكون موضوعيين في تدقيقنا لحقيقة تلك المعارف. وحثنا سبحانه وتعالى على ضرورة تبين الأخبار مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦). ومساعدة المتعلمين في الاعتقاد في وجود الحقائق وعلى تطوير تفكيرهم الخاص استنادا إليها. ويتعزز الاشتغال على التربية الإعلامية من خلال الكشف عن الأفكار المتحيزة والقصص الملفقة وآليات (ميكانيزمات) الدعاية السياسية، والتأكيد على أن الحقائق لا تتمثل في البديهيات فقط وإنما كثيرا ما تحتاج إلى العمل الدؤوب والتدبر والتحقق منها باستمرار. لم يعد هناك مكان للحياد الفكري، أو «النسبية الأخلاقية» التي تتسامح مع جميع وجهات النظر ولا تحدد موقعها هل هي مع المؤيدين أم مع الرافضين، والتي تعني ببساطة أن الآراء (رأيي أو رأيكَ/كِ، رأينا أو رأيهم/ن) لم تعد تحتمل الصحة من الخطأ.

وتستوجب هذه الحقبة أيضا الانتقال من شحن المتعلمين بالمعارف واستهلاكها السلبي، إلى إعادة إنتاجها بشكل إبداعي وحيوي. وهذا يعني الاهتمام بالعمل الجماعي داخل الفصول الدراسية من أجل بناء المعارف، وتكليفهم بإنجاز مشاريع طويلة وموسعة تتطلب منهم اكتساب وتقييم ومراعاة مصادر المعلومة، ودراسة علم التأريخ بدل الاقتصار على تدريس التاريخ، حتى يتسنى للمتعلم أن يدرك أن الأحداث التاريخية انتقائية واختزالية ودائما ما تقدم جانبا من وجهات النظر التفسيرية. وتقديم شروحات للعملية التي يتم من خلالها إنتاج المعلومة ونشرها خاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وبدل من أن يقتصر المدرسون على دعوة المتعلمين إلى التفكير، عليهم أن يهتموا بتدريسهم كيفية التفكير، وذلك عن طريق اتباع منهجية تفكير تبتعد عن الفوضى والعشوائية والتخبط وتتوسل التقيد بخطوات في بحثها لأي مسألة، تتسم بالدقة والوضوح وجمع المعلومات المتوفرة والمناقشة والبحث والتجريب[٩]، وتتقيد كذلك



بالتفكير النسقي والجدلي الذي لا ينظر إلى الأمور من مبدأ الاختزال والعزل والفصل، بل ينفذ إلى مختلف مستويات وأبعاد الظاهرة. وتحفيز المتعلمين على إعطاء قيمة للدلائل والحجج والحقائق بدل الرزوح تحت عبء الانفعالات الوجدانية. وتتمثل القيمة الأسمى للتعليم في أن يحقق المتعلمون ذواتهم بدل أن يصيروا مستهلكين طيعين يزيد من ترسيخ العقلية المتخلفة.

إن البحث العلمي والمنهج التفكيري السوي لا ينمو ويقوى إلا في ظل الحقيقة واليقين، ويضعف ويضمر في مناخ اللايقين.

ويواجه المدرسون والفاعلون التربويون الواجب الأخلاقي الذي يحثهم على مساعدة المتعلمين على ممارسة التفكير الجاد، عبر تقاسم المسؤوليات مع المتعلمين داخل الفصول الدراسية والعمل على بناء مناخ ديموقراطي ينبذ كل أشكال التعصب ويضمن احترام الكل للكل. إنه يعني تدريس التعاون، والمناقشة، والتعاطف، والإنصات النشط في سياق أخلاقي يساعد المتعلمين على التعامل مع أسئلة معمقة حول الصدق والكذب، إذ يتمثل الصدق في «أن يقول الإنسان الحق كل الحق، لاشيء غير الحق»[١٠]، وأن الكذب هو السكوت عن قول الحق أو المبالغة فيه تجعل المتلقي يفهم أكثر من الحقيقة. وفي حديثنا عن الواجب الأخلاقي، فإنه لا مجال للحياد والتواري عن الحقيقة. تلك الحقيقة التي اعتبرها أفلاطون الهدف الأسمى من الفلسفة والقاعدة الأساس التي تهذب الروح، غير أنه اعترف بأن الناس لا يأخذونها على محمل الجد.

الهوامش

1-https://en.oxforddictionaries.com/ 20:00 ,2017/12/definition/post-truth , 19

٢- مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الشباب العربي سلبا أو إيجابا، http://www.kolalwatn.net/news136120، 1422:15 ،2017/12/

3- Joseph Kahne & Benjamin Bowyer, Educating for Democracy in a Partisan Age: Confronting the Challenges of Motivated Reasoning and Misinformation, http://www.civicsurvey.org/publications/263, 1920:00 ,2017/12/

٤- تفسير ابن عاشور http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tanweer/sura53-aya28.html ، 19.12.2017، 20:00

٥- عبدالله شريف، «الواقع الإسلامي.. واقعه وآماله»، «الوعي الإسلامي» العدد ٦٢٩، محرم ١٤٣٩هـ- سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٨م.

6- Roger Scruton, “Post-truth, Pure Nonsense.. It’s not Difficult to Spot a Big Fat Lie”, the Spectator, 10 June 2017, www.spectator.co.uk

7- Baudrillard J (1994)Simulacra and Simulation. Michigan: University of Michigan Press. P 79

٨- يزيد عيسى السورطي، السلكوية في التربية العربية، عالم المعرفة، العدد ٣٦٢ أبريل ٢٠٠٩، ص ١٨٧.

٩- انظر مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي.. مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي الطبعة ١٣، الدار البيضاء المغرب.

١٠- أحمد أمين، كتاب الأخلاق، كتاب الدوحة، ٢٠١٧م، قطر، ص٢٠١٧.

د. مراد زهوي
باحث في الدراسات الإسلامية
المغرب





التدبر مفتاح التلقي عن الله تعالى

يبحث الكثير من المسلمين عن أخصر السبل الموصلة إلى الله عز وجل، غافلين عن كتاب الله تعالى، الذي هو الصلة النورانية، الصلة المتينة، والحبل الممدود من السماء إلى الأرض، الذي طرفه الأعلى بيد الله، وطرفه الأدنى بيد من أخذ به من الصالحين.

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وسبب طرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا»[2] وروى الطبراني في الكبير بإسناد جيد عن أبي شريح الخزاعي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»؟ قالوا: بلى، قال: «فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا»[3]...

فهل نستحضر هذه المعاني عند تلقينا لكتاب الله تعالى؟ وبمعنى آخر: ما طبيعة علاقتنا بالقرآن العظيم؟ هل هي علاقة تدبرية على الأصل؟ أم

تعامل مصحفي، كما هو غالب حال المسلمين اليوم؟

القرآن بين التدبر والتفسير

الملاحظ في الواقع أن الناس يقبلون على كتاب الله جل وعلا، تلاوة وحفظا واستذكارا ومراجعة.. وهذا لا شك خير عظيم، ولكن يبقى هذا الإقبال بالألسنة دون القلوب، أعني التدبر في هذه العبادة العقلية القلبية، فإعمال العقل والفكر والقلب والخاطر في آيات الكتاب هو المقصود من التلاوات. وقد نعى الله تعالى على قوم يتلون القرآن بألسنتهم من دون أن تكون هناك مواطأة بين اللسان والقلب، فمن حاله كذلك يخشى عليه أن يكون ممن أغفل الله قلبه عن ذكره، والعياذ بالله، يقول عزوجل: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨). ولنتأمل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٩٧). لم يقل سبحانه إنه نزله على سمعك، ولا على بصرك، ولكن على قلبك.

قال العلامة أبو عبدالله القرطبي المالكي: «... وخص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف...»[٤].. فلنواجه أنفسنا بهذا السؤال: هل تتجاوز الآيات أسماعنا وأبصارنا وألسنتنا إلى قلوبنا؟ هذا هو الأمل المرتجى، وبه نجتني ثمرات وبركات وخيرات القرآن الكريم، ذلك الكتاب العزيز، الذي جعله الله نورا للقلوب، وهداية للبشرية:

نور على مر الزمان تألقا
وأضاء للدنيا طريقا مشرقا
وهدى من الرحمن يهدينا به
للصالحات وللمكارم والتقى
هذا كتاب الله زاد قلوبنا
وشفاؤنا من كل داء أرهقا
هذا هو القرآن مصدر عزنا
فبه تبوأنا المكان الأسمقا
يا حافظ القرآن لست بحافظ
حتى تكون لما حفظت مطبقا

إن الغاية إذن من تلاوة القرآن وسماعه هي التدبر، وفرع عنه العمل. قال وهب بن منبه، رحمه الله: «ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل» أ. هـ[٥]. فالعمل يقتضي التفكر والتدبر؛ لأنهما وسيلة الفهم والفقه، ولا يتصور العمل حقيقة إلا إذا حصل الفهم.

والتدبر يختلف عن التفسير، فهذا لا يستطيعه إلا من أهله الله تعالى لذلك، وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فهو يتطلب العلم باللسان العربي، الذي نزل به القرآن الكريم، والعلم بعلوم القرآن، من تاريخ، ومكي ومدني، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ... كذلك العلم بقواعد التفسير وأصوله.. أما التدبر فمتاح لكل مسلم، يفتح كتاب الله وينظر فيه، فحكمه مختلف عن حكم التفسير؛ لأن الله تعالى نعى وعاب على المنافقين الإعراض عن التدبر في القرآن الكريم، والتفكر فيه وفي معانيه، يقول عزوجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢)، فهذا استفهام إنكاري، ومعناه: لو كانوا يتدبرون القرآن لما وقعوا فيما هم واقعون فيه من الضلال، فإذا كان القرآن ينعى على الكفار والمنافقين عدم تدبرهم، فعوام المسلمين ليسوا أقل من الكفار والمنافقين فهما وقدرة على التدبر. يقول الإمام القرطبي، رحمه الله: «... ودلت هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد:٢٤) على وجوب التدبر في القرآن؛ ليعرف معناه. فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي ﷺ، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب. وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال، وإبطال التقليد. وفيه دليل على إثبات القياس» أ. هـ[٦].

إذن فالتدبر يكون للكبير والصغير، للذكر والأنثى، للعالم والعامي، فكل من يفهم لغة الخطاب، ثم يقرأ آيات وعد أو وعيد يفهم إلى ما ترمي إجمالا، وإن لم يدرك معاني بعض الألفاظ، أو تفاصيل ما تضمنته من الأحكام، فإن هو انزجر للزواجر عند سماع آيات الوعيد، وانبعث لفعل الخيرات والفضائل عند سماع آيات الوعد، فله من التدبر حظ وقدر يحمد عليه بحسبه، والذين يخلطون التدبر بالتفسير قصروا التدبر على العلماء وطلاب العلم، وهذا خطأ.

إن تدبر القرآن فريضة وضرورة شرعية وحضارية ووجودية؛ لأنه منهج السير إلى الله تعالى، وهو السبيل إلى الإصلاح، وهو السبيل لربط واقع الأمة بالكتاب والسنة، قال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»[٧]. وقال مالك، رحمه الله: «... ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وهل صلح أولها إلا بالكتاب والسنة؟»[٨]، فتدبر معانيهما هو السبيل لذلكم الإصلاح المنشود، كما أنه لا تمسك بالكتاب والسنة بلا فهم وتدبر، فهما سبيل الفقه في الدين، وقد دعا النبي ﷺ ربه لابن عباس رضي الله عنهما أن يعلمه التأويل، وأن يرزقه الفقه في الدين، فكان رضي الله عنهما حبر الأمة، وترجمان القرآن.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية يقول، قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[٩]، وتدبر القرآن من أعظم سبل الفقه في الدين.

ويقول عز وجل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)، فلا تطمئن القلوب حتى تتعرف معاني القرآن وأحكامه؛ فإنها تدل على الحق المبين، المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها.. ويقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود:١٢٠)، ويقول عز من قائل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء:٨٢). فلن تتحقق هذه الطمأنينة، وهذا التثبيت، وهذه الرحمة، وهذا الشفاء، إلا بالاستماع والإنصات المساعدين على التدبر: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤)؛ فهذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات. والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا، وعلما غزيزا، وإيمانا مستمرا متجددا، وهدى متزايدا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت، فهو محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.. نسأل الله ألا يحرمنا فضله ورحمته...

النبي ﷺ إمام المتدبرين

كان رسول الله ﷺ من أعظم الناس تدبرا وخشوعا وتأثرا بالقرآن الكريم، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»[١٠]. وعلى هديه كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يتأثرون بقراءة القرآن، كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال:٢). وقالت أسماء رضي الله عنها: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم». وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أبو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء، لا يملك عينيه إذا قرئ القرآن». وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ القرآن وهم يسمعون ويبكون». وقال الحسن البصري، رحمه الله: «نزل القرآن ليتدبر، ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا، وتدبر آياته: اتباعه والعمل بعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدكم ليقول: لقد قرأت القرآن كله، فما أسقطت منه حرفا، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل».

قواعد مساعدة على التدبر

وإن مما يعين على التدبر أمورا منها:

١- الخشوع وحضور القلب، ذلك أن العقل في القلب على الصحيح من أقوال أهل العلم.

٢- الترتيل والتغني بالقراءة، لقول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل:٤).

٣- صلاة الليل، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:٧٩).

٤- الإنصات عند سماع القران، يقول عزوجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤).

٥- حسن الابتداء والوقف.

٦- معايشة معاني الآيات، وتصور حال الدعوة عند نزول الآيات، وذلك أن حمل هم الدين، والقيام بالدعوة إلى الله، أعظم سبيل للتأثر بالقرآن والانتفاع به. يقول عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عمر رضي الله عنه وأنا في آخر الصفوف، وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٨٦).

٧- فهم المعاني، ومقاصد الآيات: ومما يساعد على ذلك الرجوع إلى تفاسير القرآن الكريم. قال السيوطي، رحمه الله: «أجمع العلماء على أن التفسير أجل العلوم».

ويقول مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس، رضي الله عنهما، ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها». وقرأ ابن الزبير، رضي الله عنهما، آية فوقف عندها، أسهرته حتى أصبح، فدعا ابن عباس رضي الله عنه فقال: إني قرأت آية، وقفت الليلة عندها، فأسهرتني حتى أصبحت: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف:١٠٦)، فقال ابن عباس، رضي الله عنهما: لا تسهرك إنما عني بها المشركون ثم قرأ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ (الزمر:٣٨)، فهم يؤمنون هنا ويشركون بالله (شرك العبادة).

٨- الوقوف عند الآيات، وذلك بحسن الترتيل، والوقوف عند المعاني، أخرج مسلم في صحيحه، من حديث حفصة أم المؤمنين، رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها». وقال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس، رضي الله عنهما، فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفا حرفا، ثم يبكي حتى نسمع له نشيجا». «وكانت قراءة الفضيل بن عياض، رحمه الله، حزينة شهية، بطيئة مترسلة، كأنه يخاطب إنسانا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها ويسأل». «واستفتح سعيد بن جبير، رحمه الله، صلاة الليل بـ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ (الانفطار:١)، فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر». وقال النووي، رحمه الله: «وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة، أو معظمها، يتدبرها عند القراءة».

٩- المدارسة الجماعية للقرآن: أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، من حديث عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة». وأخرج مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». وقال علي رضي الله عنه: «لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها». وقال السيوطي: «ثواب قراءة الترتيل أجل قدرا، والقراءة بدون معرفة معاني ألفاظه ليست قراءة، ولا ثواب فيها».

وقد تعرض للعبد بعض الصوارف والشواغل، تحول بينه وبين التدبر الأمثل للقرآن، وهي تختلف باختلاف الأشخاص، أهمها:

- أمراض القلوب كالحقد والحسد، والبغضاء والشحناء...
- انشغال القلب، وشرود الذهن...
- الفهم القاصر لمعاني الآيات...
- عدم الترتيل، والعجلة في القراءة...

قال عثمان رضي الله عنه: «لو أن قلوبنا طهرت، ما شبعت من كلام ربنا»، وقال الزركشي: «لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان..» وقال الحسن البصري: «يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة؟». وثبت عنه ﷺ أنه قال: «لا يفقه من قرأه (القرآن) في أقل من ثلاث»[11]، فليس المقصود مجرد التلاوة، كما أسلفنا، بل التدبر المؤدي إلى الفهم، ومن ثم إلى العمل.

التدبر درجات

ويمكن أن نختم هذه المقالة ببيان درجات التدبر، وهي كالآتي:

الأولى: التفكر والنظر والاعتبار، يقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩).

الثانية: التأثر وخشوع القلب، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩﴾ (الإسراء:١٠٧ - ١٠٩).

الثالثة: الاستجابة والخضوع لله، وهذا من أعظم مقاصد التدبر، يقول تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ (الأنعام:١٥٥).

الرابعة: استخراج الحكم واستنباط الأحكام[12].

اللهم اجعلنا ممن يقيم حروف القرآن وحدوده، ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده، اللهم وفقنا للعمل بأحكامه، وتمثل آدابه وأخلاقه، والاعتبار بقصصه، والاستبشار بوعده، والخوف من وعيده... يا أرحم الراحمين.

الهوامش

١- صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٧/٠٥.

٢- العلل لابن أبي حاتم الرازي (حديث رقم ٧٢٧).

٣- المصنف لابن أبي شيبة، باب التمسك بالقرآن، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٧١٣).

٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله القرطبي: ٢٦/٠١.

٥- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: ٢٣/٠٤.

٦- الجامع لأحكام القرآن: ١٨٧/٠٣.

٧- التمهيد لابن عبدالبر: ٣٣١/٢٤، جامع بيان العلم وفضله: ٢٤/٠٢، الأمالي، للشجري: ١٥٤/٠١.

٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ٨٨/٠٢، المبسوط، للقاضي إسماعيل ابن إسحاق الجهضمي المالكي.

٩- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، (حديث رقم ٧١)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (حديث رقم ١٠٣٧).

١٠- جامع الترمذي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (حديث رقم ٣٧٢٣).

١١- الإمام أحمد في المسند (٦٥٣٥)، والترمذي في جامعه (٢٩٤٩)، وقال حديث حسن صحيح.

١٢- بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق، وكتاب هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها، كلاهما للدكتور فريد الأنصاري، تدبر القرآن، للسليمان السنيدي.



د. عبدالمنعم مجاور
باحث في الدراسات الإسلامية

فتوحات خالد بن الوليد نموذجا

الجوانب النفسية في الفتوحات الإسلامية

غني عن البيان أن المسلمين قد حققوا انتصارات مبهرة منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية في مشوار فتوحاتهم المباركة، ولم يعولوا في تلك الفتوحات على كثرة عدد أو قوة عتاد، بقدر ما عولوا على سلاح امتلكوه وافتقده أعداؤهم متمثلا في الإيمان بالله عزوجل، ونبل الغاية، وشرف المقصد. والمتأمل لسير تلك الانتصارات، والقارئ المحص لتفاصيلها يجد عجبا؛ عجبا في الصبر، وعجبا في التضحية والفداء، وعجبا في التجرد ونكران الذات، وعجبا كذلك من إقبالهم على الموت في سبيل الله إقبالا يفوق إقبال أعدائهم على الحياة، وتلك حقيقة يدركها، دون كبير عناء، كل قارئ لكتب السير والمغازي، فيكفي القارئ الكريم مطالعة أي كتاب في تاريخ تلك الفتوحات الإسلامية بداية من غزوة «بدر» المباركة ليدرك هذه الحقيقة ظاهرة ناصعة.. ولكن ما استوقفني وأردت أن أظهره في هذه الإطلالة هو كيفية تحقق هذا النصر أو ذاك؟ وكيف فتح هذا البلد أو غيره من تلك البلاد التي أشرقت عليها شمس الإسلام؟ وكيف كسرت شوكة أعداء الإسلام من مرتدين وفرس وروم في عقر دارهم بقلة عدد وعتاد؟! وأول إجابة تقابلك عن مثل هذه التساؤلات تجدها في تلك العبارات الجاهزة من مثل: إنه الإيمان.. إنه اليقين.. وهذا بلا شك العامل الأقوى في النصر، ولكن كيف تكوّن هذا العامل؟ وكيف رسخت جذوره في قلوب أصحابه؟ وهل اكتفى المسلمون به أم أنهم أخذوا فيه بالأسباب المتاحة الممكنة؟ هذا ما يحتاج إلى وقفة، ناهيك عن ضرورة إلقاء الضوء على قائد هذه المعركة أو تلك، وكيف كانت خطته، وكيف أدار تلك المعركة بمهارة وخبرة واقتدار، خصوصا إذا كان قائدا مشهودا له بالكفاءة والبراعة الحربية كخالد بن الوليد رضي الله عنه؟ ولكن محاولتي إلقاء الضوء على مثل هذه الجوانب، إنما تمتح من معين الجانب النفسي المعنوي في المقام الأول أكثر من أي جانب آخر، رغم أهمية كل الجوانب، كالجانب العسكري الحربي أو الخططي الاستراتيجي، أو غير ذلك من جوانب.

وضوح الهدف والغاية

إن دور القائد، من غير شك، دور رئيسي في المعركة، ولكن يقف خلف هذا القائد جيش لا يقل بسالة عن قائده وإلا لما استطاع تنفيذ المهام المنوطة به بالطريقة التي يريدها، وفي الوقت الذي يحدده، ناهيك عن المبادرة بتقديم الحلول المبتكرة في أحلك الأوقات التي بها يتحقق عامل الحسم. يقف وراء هذا كله، من غير شك، العامل النفسي والمعنوي للقائد وللجنود، بل وللأعداء أيضا، متمثلا في وجود ثبات انفعالي أو عدم وجوده، وفي توافر عامل الشجاعة أو الجبن كأحد المحركات النفسية المحققة للنصر أو الجالبة للهزيمة، وفي وضوح الهدف والغاية، والإيمان بهما من عدمه.. إلى آخر تلك العوامل النفسية باعتبارها «العامل الخفي» وراء الحسم في المواقع الحربية.

إن إظهار ذلك العامل النفسي هو ما عنيته في هذه الدراسة وإليه قصدت، خصوصا الجانب النفسي للجندي المسلم في تلك المعارك، فإذا كان التكوين النفسي للقائد المسلم قد أخذ قدرا من الاهتمام وتسليط الضوء، وإن كنت أعده أيضا غير كاف، فإن ذلك التكوين النفسي للجندي المسلم

لم يأخذ من الاهتمام ما يظهر دور «الجندي المجهول»، إن جاز التعبير، الذي حسمت به كثير من المعارك والمواقع الحربية، واستحق به هذا الجندي أو ذاك دور البطولة المطلقة في مشهد توارى فيه دور القائد أو تقلص، ومن ثم سألقي الضوء هنا على التكوين النفسي المتواري خلف العامل العسكري المتمثل في البسالة الحربية، أو المبادرة والمراوغة أو حتى وضع الخطط أو غير ذلك مما يتعلق بعوامل النصر البشرية المتعلقة بالجندي والقائد والعدو على حد سواء، كما سألقي الضوء أيضا على ذلك العامل النفسي المتواري في كتب السير والمغازي إلا من نتفة هنا أو إشارة هناك لا تشفي غلة، ولا تقوم على أساسها نظرية، ولا تبنى عليها وجهة نظر، سواء تعلق الأمر بكتب التراث أو حتى بالكتابات الحديثة التي تناولت تلك الفتوحات بالدرس والتحليل، وما ذلك إلا لأن تلك الكتابات صبت اهتمامها بطريقة أو بأخرى إما على الاستراتيجيات العسكرية من جهة أو على عبقرية القائد من جهة ثانية، أما تخصيص دراسات مستقلة عن تلك الجوانب النفسية في هذه الفتوحات الإسلامية وسبر أغوارها، فهو ما تفتقده المكتبة العربية إلى حد كبير، بخاصة إذا تعلق الأمر بالدراسات الاستقصائية؛ لذا شرعت في تناول هذا الجانب النفسي في الفتوحات الإسلامية في شكل سلسلة أو حلقات متتاليات، محاولا، في المقام الأول، تسليط الضوء الأكبر على الجانب النفسي للجندي المسلم في تلك المعارك التي غيرت وجه التاريخ؛ إيمانا مني بأن كل جندي في تلك الجيوش لم يكن يقل عن قائده شجاعة وبسالة وبعد نظر، فكم من نصر تحقق في تاريخنا الإسلامي المجيد على يد جندي دفعه نكران الذات والرغبة في الثواب والأجر إلى الحرص على إخفاء هويته، وما قصة صاحب النقب مع مسلمة بن عبدالملك ببعيدة أو مستبعدة، وليس ما فعله البراء بن مالك رضي الله عنه من اقتحامه حديقة الموت على مسيلمة الكذاب وجنده بمجهولة، وقصة عبدالله بن المبارك مع ذلك الجندي المسلم الذي برز للرومي فقتله، وقتل من بعده ستة من علوج الروم، ووصيته لابن المبارك بألا يخبر عنه أحدا قصة معروفة، وكم من أبطال وقادة مغمورين فتحوا بلادا أوسع من العراق ومصر مساحة وأكثر منهما سكانا ولكنهم بقوا مغمورين في صفحات المصادر المعتمدة، وكأنهم لم يفتحوا بلدا، ولم يجاهدوا في الله حق جهاده!

اكتشاف الجديد

إن بعث القادة المغمورين أهم بكثير من كتابة سير القادة المشهورين، ولكن الكتابة عن المغمورين أصعب بكثير من الكتابة عن المشهورين، لأن المغمورين اكتشاف، والمشهورين اقتباس، فلا ينبغي اختيار الطريق الممهدة وتجنب الطريق الصعبة، فهي الطريق الوحيدة التي تؤدي إلى اكتشاف جديد (العسكرية العربية الإسلامية، عقيدة وتاريخا، وقادة وتراثا، ولغة وسلاحا، اللواء الركن محمود شتيت خطاب، ص٧٥). لذلك فنحن بحاجة إلى دراسة هذه المعارك وتلك الفتوحات من منظور نفسي، فإذا كان جانب التحليل العسكري قد أخذ نصيبا لا بأس به، فإن التحليل النفسي لتلك الانتصارات العسكرية الإسلامية بحاجة إلى جهد كبير، خصوصا أن كتب التراث المعتمدة لم تول هذا الجانب النفسي ما أولته لغيره من الجوانب العسكرية الحربية، وما أولته لذلك الجهد المبذول من أجل نشر كلمة التوحيد، وهي بلا شك أعمال لها قيمتها ولا يمكن إنكار فضلها، ولعل طبيعة المرحلة التي كتبت فيها هذه الأحداث وسجلت كانت تقتضي ذلك، أما عند تناول الجانب النفسي فإنك تجده في إشارة مبثوثة في ثنايا هذا المصدر، أو لمحة سريعة في ذاك، وهي بحاجة إلى جمعها، ولم شتاتها، وضم أجزائها جنبا إلى جنب، ومعرفة الظرف أو السياق التاريخي الذي سيقت فيه، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى جهد متأن متواصل من أجل تكوين رؤية عامة، وصورة شاملة لهذا الجانب المهم من صفحات تاريخنا الإسلامي الناصعة.

نمط التفكير

والبداية مع الجانب النفسي في الفتوحات والمعارك الإسلامية التي خاضها خالد بن الوليد، وتبدأ قصة هذا الجانب من البداية؛ حيث مراعاة النبي الكريم ﷺ لتكوين خالد النفسي، ومعرفته بمفتاح شخصيته ونمط تفكيره؛ فقد كان خالد بن الوليد يحدث نفسه بالخروج إلى النجاشي أو هرقل، وبينما هو في ذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحا فسأل عنه أخاه الوليد بن الوليد وكان قد أسلم في عمرة القضية فلما طلبه فلم يجده كتب إليه كتابا جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني النبي ﷺ عنك، وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به فقال: «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك، فقد فاتك مواطن صالحة. قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام،

وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة، فقلت: إن هذه الرؤيا. فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنها لأبي بكر. فقال: مخرجك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك» (البداية والنهاية، ج٦، ص٤٠٦). وقد آثرت أن أقتطف النص من البداية والنهاية رغم طوله، لما يحويه من دلالات نفسية كثيرة؛ فخالد شخصية بها من أمارات القيادة ما لم يكن يخفى على رسول الله، ولا على أخيه الوليد؛ لذلك بادره أخوه في مطلع الرسالة باستفسارات يستفز بها عظمة شخصيته، ويحرك بها كبرياء نفسه، ورجاحة عقله، من مثل قوله: «فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهله أحد؟!». فلقد عمد أخوه الوليد إلى كوامن نفسه، وبواطن شخصيته، فحرك ما كان راكدا، أو بالأحرى قضى على جوانب التردد التي ربما كانت نفسه واقعة تحت إسارها.. ثم إن إخبار أخيه له بسؤال رسول الله عنه كان له وقعه على قلب خالد، واحترام لكبرياء نفسه، وإذا كان الوليد قد راعى الجانب النفسي لخالد من خلال قسوة استفهاماته الاستنكارية بحكم رباط أخوة النسب التي كانت تجمعهما، ومعرفته بمداخل أخيه النفسية، فإن رسول الله قد لمس شغاف تلك النفس المتوثبة المعتزة بكيانها الشخصي والقبلي، فبعد سؤاله عنه أرسل الرسول الكريم رسالة تقريرية، وليست استفهامية استنكارية كما رسالة أخيه الوليد، تؤكد احترام الرسول الكريم لرجاحة عقل خالد، وتقدر له كفاءته الحربية، وتضمن له مكانه في موضع القيادة حتى وإن تأخر إسلامه عن غيره «ما مثله جهل الإسلام، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره». لذا بمجرد قراءته كتاب أخيه قطع هاجس التردد «ونشطت نفسه للخروج» (على حد تعبيره)، وزادت رغبته في الإسلام، وبخاصة أن رسول الله نفسه هو من سأل عنه.. لذا سعدت نفس خالد بالإسلام وبطريقة دخوله فيه معززا مكرما لا مهانا ولا مضطرا؛ طريقة حفظت له ماء وجهه، وحافظت له على مكانته الشخصية، بل والقبلية أيضا؛ فخالد من بني مخزوم تلك البطن التي كان لها من مسؤوليات الحكم في الجاهلية: القبة (وهي مجمع الجيش)، والأعنة (وهي قيادة الفرسان)، أي إن خالدا «كان يجمع في الجاهلية زمن الحرب بين منصبي رئيس الإمدادات ورئيس هيئة أركان حرب الجيش» (خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص٣١). لقد راعى رسول الله كل تلك الجوانب النفسية، بل وما قد يدور في نفس خالد من هواجس بشأن مستقبله مع هذا الدين الجديد.

وما يؤكد سعادة خالد بقرار عزمه الدخول في الإسلام والخروج لملاقاة النبي في المدينة، تلك الرؤيا التي رآها، مما يرشح وجود صراع نفسي داخلي حسم على أرض الواقع بكتاب أخيه الوليد، وسؤال رسول الله عنه، كما حسم في العقل الباطن بتلك الرؤيا التي خرجت به من ضيق الشرك وجدب الوثنية إلى سعة الإسلام، وفيض خيره وعطائه، ليلتقي الباطن المتخيل بالواقع المحقق قاضيا على أي هاجس سلبي، قاطعا بسلاح اليقين أنف كل شك أو تردد.

عنصر الحسم

وقد كان عنصر الحسم ملمحا أصيلا من ملامح شخصية خالد، ربما غذاه الطبع، وربما أكسبته إياه المعارك؛ لذا نجده يستحل مما فعل قبل الإسلام، ويستوثق من رسول الله على ذلك «استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله. فقال رسول الله: إن الإسلام يجب ما قبله. قلت: يا رسول الله، على ذلك؟ فقال: اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك» (البداية والنهاية، ج٦، ص٤٠٨). فإسلام خالد كان ضربا من التسليم «إنه تسليم القائد في معركة نفسية وليس بتسليم القائد في معركة حسية وكفى. ولذا عناه أن يستغفر له النبي ربه، ولم يكن قصاراه أن يرحب به النبي ويسلكه بين صحابته ومريديه» (عبقرية خالد، العقاد، ص٤٣).

وعلى صعيد المعارك والحروب التي تولى فيها خالد راية القيادة وشارتها أو شارك فيها تحت إمرة غيره، يتضح الجانب النفسي والمعنوي لخالد وللجند تحت إمرته، بل ولأعدائه أيضا الذين كان يهزمهم خالد نفسيا ومعنويا قبل أن يهزمهم في ساحات الوغى عسكريا وخططيا، وللروح المعنوية وللعامل النفسي أثرهما الكبير، من غير شك، في حسم المعركة قبل جانب الاستعدادات الحربية والعسكرية، ويكفي تدليلا على ذلك غزوة حنين التي كان من أقوى أسباب الهزيمة فيها - بادئ الأمر- تلك الروح المعنوية والنفسية للجانبين؛ ففي الأثناء التي كانت فيها روح المسلمين روح استهانة وقلة اكتراث وشيء من غرور «لن نغلب اليوم من قلة»، كانت الروح الغالبة على المشركين روح استماتة وعناد وإصرار، ومن ثم حدث ما حدث في بداية الأمر تحت وقع اختلاف تلك الروح المعنوية والحالة النفسية بين الجانبين، إلى أن جاء تصحيح الوضع من الرسول الكريم ﷺ، وكان ذلك من خلال العامل النفسي أيضا.

وإذا كان العامل النفسي قد لعب دوره بالسلب ضد المسلمين في بداية غزوة «حنين»، فقد لعب أدوارا إيجابية في جل معاركهم، فكان ما حدث في «حنين» درسا أفاد المسلمين في معاركهم فيما بعد؛ ففي معركة «مؤتة» يتجلى العامل النفسي المعنوي في أبهى صوره من جانب الجندي المسلم، ومن جانب قائده أيضا، بل ومن جانب الأعداء كذلك، فيتجلى العامل النفسي المعنوي للجندي المسلم في موقف ثابت بن أقرم العجلاني (حليف الأنصار)، وهو ممن شهدوا بدرا، وله سابقة، فقد صاح في الناس: «يا للأنصار! فجعلوا يثبون إليه، فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. ثم نظر إلى خالد بن الوليد، فقال: يا أبا سليمان، خذ اللواء. قال: لا آخذه، أنت أحق به مني، لك سن، قد شهدت بدرا!

قال ثابت: خذ أيها الرجل، فوالله ما أخذته إلا لك، أنت أعلم بالقتال مني. ثم قال ثابت: اصطلحتم على خالد؟ قالوا: نعم. فأخذ خالد اللواء وتأمر على الجيش» (البداية والنهاية، ج٦، ٤٢٢).

لقد كان موقف ثابت بن أقرم تجسيدا لتلك الحالة النفسية المعنوية المتزنة، وأنموذجا للاتزان الانفعالي للجندي المسلم في المواقف الصعبة؛ فقد آثر أن يعطي اللواء خالدا على أن يستأثر به، رغم موافقة بقية الجيش على قيادته، ورغم سابقته في الإسلام وحضوره بدرا، وكبر سنه عن خالد، وكلها عوامل تصب في صلاحية ثابت للقيادة، خصوصا صفة البدرية بما لها في الإسلام من منزلة، وفي نفوس المسلمين من مكانة، ناهيك عن صفة السن التي تعطي للخبرة أولوية التقدم، فهو شهد الوقائع وعركته التجارب، ولكن تعامل ثابت ابن أقرم رضي الله عنه مع الموقف يجسد أهمية العامل النفسي والمعنوي التي كان عليها جنود المسلمين، فقد أجاب بكل ثقة والجند يسمعون «والله ما أخذته إلا لك، أنت أعلم بالقتال مني»، وهي كلمات لم يقصد بها مجاملة أو خطب ود؛ فالخطب جلل، والموقف لا يحتمل؛ وإنما مدار الأمر مصلحة المسلمين والصدق لله ولرسوله.

وللقارئ الكريم أن يتخيل تأثير مثل تلك الكلمات على نفوس الجند، وعلى روحهم المعنوية وهم يجدون الإيثار ونكران الذات مجسدا في موقف هذا الصحابي البدري؛ وفي موقف خالد الرافض في بداية الأمر اعترافا بفضل ثابت بن أقرم ومنزلته.. يجري هذا الحوار الراقي على مسمع ومرأى من الجنود فيرفع من معنوياتهم، ويزداد توقيرهم وحب بعضهم لبعض، وقد شارك الجنود مشاركة إيجابية أيضا بأن استقر رأيهم على خالد بلا تردد؛ لذلك تكتشف جزءا من السر في تعداد الرسول الكريم لقادة مؤتة الثلاثة: زيد، وجعفر، وابن رواحة، ثم تركه ﷺ الأمر شورى بين أفراد المسلمين لعلمه بنفوس رجال رباهم على عينه، ولتكون هذه المواقف ونظائرها بمنزلة صفحات تمثل القدوة الصالحة، والمثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذيه المسلمون، فقد كان «كل جندي من جنود الإسلام الذين رباهم رسول الله جحفلا وبطل أمة» (خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص٦٥).

أما أثر العامل النفسي الذي مارسه خالد بن الوليد على أعدائه، بوصفه قائد جيش المسلمين، فيتمثل في تلك الخطة التي تفتقت عنها عبقريته الحربية التي لم تكن لتنفصل - بحال من الأحوال - عن معرفته بالحالة النفسية لمقاتلي الروم وقادتهم، وأنهم رغم كثرة عددهم وعتادهم لن يطيقوا مزيدا من لأي الحرب، خاصة وهم لا يقاتلون عن عقيدة كتلك التي يقاتل المسلمون لأجلها؛ لذلك «لما قتل ابن رواحة مساء، بات خالد بن الوليد، فلما أصبح، غدا وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته. فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد. فرعبوا وانكشفوا منهزمين. فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم» (المغازي للواقدي، ٢/٧٦٤، تحقيق د. مارسن جونس، دار المعارف، مصر ١٩٦٦م).

إن إدراك خالد بن الوليد لأهمية العامل النفسي والمعنوي وخطورته أوهم أعداءه بزيادة عدد جنده وعتاده، وقد كان لذلك أثره السيئ على نفوس أعدائه، مما ساعده في إنقاذ جيش المسلمين والعودة به سالما، وإن لم يعد البعض ذلك نصرا عسكريا حاسما فهو بكل المقاييس نصر نفسي معنوي سيكون له أثره في دحر الروم فيما بعد مؤتة، خصوصا معركة اليرموك التي ابتلي فيها الروم بجيوش المسلمين وحامل لوائها خالد بن الوليد.

رؤية شاملة

تلك معركة واحدة من معارك المسلمين تحت قيادة خالد بن الوليد، وإن لم يتول قيادتها من البداية. ولو أخذ الباحث في تتبع تلك اللمسات النفسية في مؤتة وفي غيرها لتكونت رؤية شاملة تستطيع أن تؤصل لعلم النفس الحربي أو العسكري في ظل فتوحات الإسلام، ولاستوحينا منه كثيرا من الدروس والعبر التي لا غنى لنا عنها اليوم، سواء في تسجيل تلك الملاحم والبطولات، أو في رسم صورة للبعد النفسي للجندي المسلم.



عادل محمد أبو الهيثم
باحث في التفسير وعلوم القرآن
مصر



خطبة الجمعة في فكر الشيخ محمد الغزالي

تعد خطبة الجمعة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، التي وضع أساسها رسول الله ﷺ. وخطباء الجمعة نواب عن رسل الله في إبلاغ الناس بما يريده الله من عباده، فالعلماء والدعاة سرج هداية للأمة، وأنوار هدى بلا مراء أو جدال، وشريعة الإسلام أكلها دائم وظلها يستضيء به كل من مر، ويقتبس من نورها كل من اقترب.

وتكتسب خطبة الجمعة أهمية من يومها الذي تقال فيه، فحسبك أيها الداعية شرفا أنك ترتقي منبر رسول الله ﷺ لتنال الرفعة في الدارين. وقد اهتم بالخطبة علماء أكارم، وانبرى فرسان المنابر يدافعون وينافحون عن دين الله وشريعته، ومن هؤلاء الفرسان الماهرين الذين شغلوا بالدعوة وهمومها الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله تعالى، وهو من العلماء المجددين، السابقين في نظرتهم إلى قضايا الدين ومستجدات العصر، فارس المنبر، رد هجمات الملاحدة وافتراء المغرضين، وجاهد في سبيل وصول كلمة الحق، صال وجال في ميادين الدعوة؛ معلما ومرشدا، له مؤلفات جمة عالج فيها الكثير من قضايا الدنيا والدين، ومن تلك



الموضوعات المهمة التي تعرض لها شيخنا، رحمه الله، خطبة الجمعة، دعما لرسالة المسجد، ورفعا لمستوى الخطبة، فالمسجد، كما يصفه الشيخ، قلب المجتمع، وملتقى المؤمنين بالغدو والآصال، لأداء حقوق الله تعالى، واستلهام الرشد، واستمداد العون من الله تعالى.

ويرى الشيخ الغزالي، رحمه الله تعالى، أن خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى، ومعانيها تنساب إلى النفوس في لحظات انعطاف إلى الله تعالى وتقبل لوصاياه، ومن ثم فإن موضوعها جليل الأثر، كبير الخطر، وهذه نبذة عن فكره، رحمه الله، عن الخطبة.

أما فكره عن الداعية والخطيب، فهو توجيهات موجزة لما ينبغي أن يتوافر في خطبة الجمعة من زاد روحي وثقافي منظم، وقد وضع نقاطا كأنها خريطة طريق للوصول بمستوى الخطابة في المسجد إلى المكان اللائق به، وذلك كما يلي:

– الإمام الذي يدرس موضوعه، ويجيد عرضه، يقوم بنصيب ضخم في تثقيف الأمة، وترشيد نهضتها، ودعم كيانها الأدبي والمادي، ووصل غدها المأمول بماضيها المجيد.

– يجب أن يكون الكلام في الخطبة يدور حول موضوع واحد دون تشعب لأطرافه، ولا تعدد لقضاياه، ذلك لأن التشعب والتعدد يشتتان الأذهان، وينتقلان بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، مهما كانت عبارته بليغة، فخطبة الجمعة ليست درسا نظريا بقدر ما هي حقيقة.

– التناسق والتناغم بين عناصر الخطبة، والبعد عن الانفصام الموضوعي. ويوضح هذه المسألة الشيخ الغزالي، رحمه الله تعالى، بقوله: «إن عناصر الخطبة يجب أن يسلم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها، دون عناء، بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها. وعليه أن ينتقي من النصوص والآثار ما يمهد إلى هذه الغاية».

– اجتناب الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة. يقول الشيخ الغزالي عن ذلك: «لما كانت الخطبة الدينية تنسج من المعاني الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، ولحمتها وسداها وجب أن تكون من الحقائق المقبولة، وفي آيات القرآن الكريم ومعالم السنة المطهرة متسع يغني في الوعظ والإرشاد، ولذلك لا يليق البتة أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية الموضوعة».

– البعد عن المسائل الخلافية والقضايا المذهبية. ويبين الشيخ، رحمه الله، ذلك فيقول: «لا يجوز أن تكون الخطبة تعصبا لوجهة نظر إسلامية محدودة، فالمسجد يجمع ولا يفرق، ويلملم شمل الأمة بشعب الإيمان التي عندها يلتقي الكل، وصدق الشيخ، فالخطيب لجميع المسلمين، يعلمهم وينير الطريق للكل، ويسعى لهدايتهم على اختلاف أنواعهم ومشاربهم دون تحيز أو تميز أو ميل، مفتاح خير ومغلاق شر».

– موافقة الخطبة لحال المسلمين وأحداثهم؛ فالخطيب لا يتقوقع ولا يعتزل الناس في خطبته، فلا يكون مستمعوه في واد والخطيب وما يحمله في واد آخر، وهذا ما بينه الشيخ الغزالي، رحمه الله، عندما قال: «بين الخطبة والأحداث العابرة والملابسات المحيطة والجماهير السامعة علاقة لا يمكن تجاهلها». ويستشهد، رحمه الله، على ذلك من السنة فيقول: «نزل القرآن منجما (أي مفرقا ليس دفعة واحدة) على ثلاث وعشرين سنة، فقد تجاوب مع الأحداث، وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة».

- استعراض بعض أمجاد المسلمين وصور عزتهم، تنويها بالحضارة اليانعة التي أقامها الإسلام في العالم. ويعلل الشيخ ذلك بأن هذا الاستعراض يرمي إلى استعادة المسلمين لثقتهم بأنفسهم، وفخرهم برسالتهم العالمية للناس جميعا.

- تعرض الخطبة للذود عن الإسلام ضد الشبهات التي تسربت للعقل المسلم، من فلسفات أجنبية، ونزعات إلحادية، من دون تجريح أو تطاول، فالمهم حماية التراث الروحي والعلمي.

- المراجعة قبل المواجهة: قبل أن يواجه الخطيب الجمهور ينبغي أن تكون في ذهنه صورة بينة لما يريد أن يقوله، بل أن يراجع نفسه قبل الكلام ليطمئن اطمئنانا إلى صحة القضايا التي سوف يعرضها، وإلى سلامة آثارها النفسية والاجتماعية.

وعليه أن يثبت من الأدلة والشواهد التي يسوقها في معرض الحديث؛ فإن كان قرآنا حفظه جيدا وإن كان سنة رواها بدقة، وإن كان أثرا أدبيا أو خبرا تاريخيا فإن توفيقه يكون بحسب مطابقته أو اقترانه من الأصل المنقول عنه.

- إتقان التحضير ومهارة الارتجال: يقول الشيخ الغزالي، رحمه الله: «إن التحضير المتقن دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه، وقد تفجأ الإنسان مواقع يرتجل فيها ما يلقي به الناس ويصور ما بنفسه. والواقع أن القدرة على الارتجال تجيء بعد أوقات طويلة من الدربة على التحضير الجيد وعلى تكوين حصيلة علمية مواتية لكل موقف. ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق ويقدر إنصاف الناس له واحتفاءهم بما يقول».

- الإيجاز بما لا يخل: ويرى الشيخ أن الإيجاز أعون على تثبيت الحقائق، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يراد به من تعاليم، فإن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضا، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإفاضة، ألا ترى أن الأرض تحتاج إلى قدر محدد من البذور كيما تنبت، فإذا كثر النبات بها تخللها الفلاح باجتثاث الزائد حتى يعطي البقية فرصة النماء والإثمار.

كذلك النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء مغلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها. وللإطناب الممل أسباب معروفة منها سوء التحضير، فإن الخطيب يلقى الناس بالجزاف من الأحكام والتوجيهات لا يدري بالضبط أين بلغ بقوله، وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا، فيحمله ذلك على التكرار والإطالة، وما يزداد من الجمهور إلا بعدا[1].

بشراك أيها الخطيب

لقد شرعت القلوب للخطيب أبوابها، ورحبت به بأمر ربها، فادخل فيها كيف شئت، واكتب فيها ما شئت... أيها الخطيب، إياك والخيانة الخفية، وخيانة صاحب هذا المنبر رسول الله ﷺ؛ يجب أن تعطي هذا المقام حقه، وإلا فاعتزل، إن المرتحل من بيته قاصدا المسجد لابد أن يعود بعمل صالح، من الخطبة، وأن يجد في كفيه حصادا حلوا، وأن يمتلأ قلبه خشوعا، ويزداد إيمانا، فقد بسط دفتي قلبه للخطيب طوال خطبته، ومهمة الدعاة ووظيفة المصلحين إنقاذ منبر رسول الله ﷺ، فهو مقر القيادة، وهل القيادة والتوجيه إلا في القلوب، تلكم التي تفرش بين يدي الخطيب في كل جمعة[2]. فالجمعة وخطبتها من أجل النعم التي اختص الله بها دين الإسلام، وتميز بها عن غيره من الرسالات، فخطبة الجمعة موعظة أسبوعية عامة، توقظ القلوب الغافلة، وتشحذ الهمم العالية، وتصل النفوس بخالقها لتعبد ربها جل وعلا على هدى وبصيرة حتى يأتيها اليقين[3].

الهوامش

١- مئة سؤال عن الإسلام، محمد الغزالي، ط دار نهضة مصر، ط. الرابعة، ٢٠٠٥م، القاهرة.

٢- وامنبراه، لتجديد الخطبة والخطيب، توفيق بن خلف الرفاعي، ط الجديد النافع، الكويت، ط. ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣- خطبة الجمعة وأحكامها الفقهية، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الحجيلان، ط ابن الجوزي، ط ٣، ١٤٢٧هـ.



علي مدني الخطيب
باحث دراسات إسلامية

مباهج الإسلام

وليس السامع كالمشاهد، وليست معرفة الشيء بالإخبار عنه كالتجربة الحسية نفسها، ومن ثم لم يكن «للثيب» مع الولي أمر.. وهي من خبرت الزواج وعرفته، إلا أن تقول كلمتها التي قد تحمل لها في قادم الأيام خيرا لازما أو حظا وافرا، بعد أن أفضت إلى زوج وأفضى إليها ومضى كل إلى شأنه بسبب من أسباب التسريح والفرقة.

فليس من الدين ولا من المروءة أن تجبر مثلها في موطن لا يفتى فيه سواها، ولا يعرف كنهه إلا من قبلها، وفي هذا غاية اللطف بها والتيسير عليها دفعا للمضرة وجبرا للخاطر، وتحقيقا لمصلحة راجحة على مصلحة مرجوحة، وهذا بخلاف البكر التي لم يطرق سمعها أو بصرها شيء من قوانين العلاقة وأحوال العشرة.

وعلى هذا النحو كانت كل قواعد الدين ونصوصه التي تتماشى مع الفطرة وحاجة النفس البشرية، والتي قلما يلتفت إليها أو يناط بها كي تسير السفينة نحو غايتها، وترسو عند مقصدها.. وإلا فالعواصف العاتية والأمواج المتلاطمة، والليل الحالك السرمدي، والدموع الموارة التي لا تجف وانهيار البيت على من فيه، ليبقى الإسلام شامخا، ناصعا، غير مسؤول عن زيف أبنائه وانحراف أتباعه، فهو دين الفطرة والوسطية والترقي بالنفس بما يعود عليها بالجمال والبهاء، وبما يمنحها الدفء في أوصالها بقطع المفازة، وتخفيف الجراح، وتوالد المعاني التي تفرح القلب، ويجعل الحياة نضرة زاهية متفائلة، قانعة بحظها ونصيبها بخلاف من قاوم الطبع، وصادم الفطرة فاختزل نفسه بين جهل مركب وهوى متبع، وذلك على حساب الراحة الكبرى.. وليتأمل العاقل.



جميلة محمد
كاتبة وباحثة إجتماعية
سوريا

المكتبات.. أنواعها وأهدافها
وتوظيف التكنولوجيا الحديثة في مجالاتها

لا يختلف اثنان عاقلان على الأهمية الكبيرة للكتاب، ودوره الأساسي في نشر المعرفة وتنمية الاتجاهات الفكرية والثقافية والاجتماعية بين أفراد المجتمع الإنساني، وعلى ضرورة الاهتمام بصناعته وتقديمه بأفضل الأساليب وأيسرها، حتى بات يطفو على غيرها من الاهتمامات، ويتصدر البرامج التنموية - بجميع أشكالها ومجالاتها- في الدول التي تحترم شعوبها حق الاحترام، وحتى ربط المفكرون بين تطور المجتمعات البشرية، وبين زيادة وتحسين الإنتاج من الكتب ومصادر المعرفة الأخرى.

تعد المكتبات بأنواعها مركزا أساسيا لعمليات التعلم بمعناه العام، ومساهما فاعلا في إنماء ثقافة الشعوب وإثراء قواعدها المعرفية من الجوانب كافة، وباتت مقياسا لما وصلت إليها من تقدم وتحضر في مختلف مجالات المعرفة. لقد مر مصطلح (المكتبات) بمراحل عدة، وتطورت أنواعها ومحتوياتها وخدماتها عبر الحقب التاريخية المتتالية، وعرفتها شعوب كثيرة كالسومريين الذين أسموها باللوحات الكبيرة، والفراعنة إذ أطلقوا عليها: مكان إنعاش الروح، كما عرفها اليونان والرومان وغيرهما من الشعوب.

ومن المكتبات الشهيرة في التاريخ القديم: مكتبة أثينا، ومكتبة نينوى الملكية في الحضارة الآشورية. أما العرب فقد استخدموا كلمة خزانة، أو بيت للدلالة عليها.

وبالرغم من أن مصطلح (المكتبة) لم يستخدم في العالم العربي إلا في القرن الـ١٩ الميلادي، إلا أنهم اهتموا بها قبل هذا التاريخ بكثير، ومكتبة الإسكندرية الشهيرة خير دليل على ذلك. كما شهدت في العصور الوسطى ازدهارا كبيرا، ذلك لاهتمام بعض الحكام والأمراء بالتدوين ونشر العلم والتعليم، ومن أشهر المكتبات في تلك الحقبة: بيت الحكمة التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد، ومكتبة دار الحكمة في القاهرة التي أسسها الحاكم بأمر الله. كما ظهرت أنواع عدة للمكتبات منها: مكتبة المساجد ومكتبة البيمارستانات ومكتبة المدارس.

إن هذه المؤسسات الثقافية الاجتماعية المهمة تقدم الكثير من الخدمات، سواء التعليمية أو البحثية أو التنموية، وتشجع جمهورها على الاطلاع والاستكشاف والاستفادة من مقتنياتها ومصادرها المعرفية المتنوعة؛ التي تتوزع بين المخطوطات



والكتب المطبوعة والدوريات والصور الفوتوغرافية والخرائط والمراجع والموسوعات وغيرها، إلى جانب المقتنيات المتعلقة بالتكنولوجيا الحديثة.

ولو أردنا أن نعدد الأهداف العامة للمكتبات بأنواعها لاحتاجنا للكثير من الوقت والجهد، لكننا نشير هنا إلى بعضها فحسب:

١- اقتناء مصادر المعلومات، والمواد المكتبية المختلفة.

٢- تنظيم الكم من المعلومات تنظيما خاضعا لعمليات فنية غير مباشرة.

٣- تقديم الخدمات للعامة، وتسهيل الاستفادة من المواد المكتبية المتنوعة.

٤- توفير فرص القيام بالأنشطة المختلفة كالقراءة والبحث وغيرها من الأنشطة.

٥- تمكين الباحثين والمختصين من الحصول على موارد المعلومات الضرورية لإثراء بحوثهم ودراساتهم، ومساعدتهم للاستفادة من خدماتها.

٦- تنمية مجموعة من العادات الاجتماعية والسلوكية الجيدة، كالانضباط والتعاون واحترام الآخر.

٧- غرس هوايات مفيدة في نفوس مرتاديها، ومساعدتهم على الاستغلال الأمثل لأوقات الفراغ.

أنواع المكتبات

- أولا: المكتبة الوطنية: مؤسسة حضارية كبرى، تقوم الدولة بإنشائها وتمويلها والإشراف عليها، لتكون مكانا للعمل الرسمي لها في مجالات البحث والتأليف والنشر وغيرها. وقد تم تعريفها في مؤتمر اليونسكو الذي عقد عام ١٩٥٨م بأنها: (المكتبة المسؤولة عن جمع وحفظ المطبوعات القومية من أجل خدمة الأجيال الصاعدة) ومن أهم وظائف المكتبة الوطنية:

١- حفظ التراث الفكري الوطني، واقتناء أشكال الإنتاج الفكري العالمي.

٢- تقديم الخدمات المكتبية للقراء، وأهمها الإعارة بأنواعها.

٣- تقديم الخدمات والمعلومات للهيئات الحكومية والجهات الرسمية، وللباحثين على حد سواء.

٤- الإشراف على المكتبات الأخرى في البلاد، والعمل على رعايتها وتطويرها.

٥- تطوير الخدمات البيلوغرافية والإعلامية.

من أمثلة هذه المكتبات: مكتبة الكونجرس في واشنطن، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، ودار الكتب في القاهرة، والمكتبة الوطنية في تونس.

المكتبات المدرسية أحد مظاهر التقدم

- ثانيا: المكتبة العامة: مؤسسة ثقافية اجتماعية، تقوم الدولة بتأسيسها والإشراف عليها، وهي تسعى لجمع أشكال وأنواع مصادر المعرفة، وإتاحتها للمرتادين باختلاف أعمارهم وثقافاتهم وأهوائهم. أهم خصائص هذا النوع من المكتبات: أنها تقدم خدماتها للعامة مجانا ودون تمييز، وتؤدي دورا حيويا في الحفاظ على مختلف المطبوعات والوثائق المتعلقة بالمدينة الموجودة بها، وفي دعم المكتبات الأخرى، خاصة المكتبات المدرسية.

- ثالثا: المكتبة المدرسية: مجال عملها مرسوم ضمن المؤسسة التربوية المدرسية. وهي المكتبة التي تلحق بهذه المؤسسة بمختلف مستوياتها، وتهدف إلى خدمة المجتمع المدرسي والنهوض بالعملية التعليمية وإتمامها، يشرف على تقديم خدماتها متخصص يدعى أمين المكتبة.

تتلخص أهداف هذه المكتبة وهي أهداف المدرسة ذاتها بتوفير الكتب والمطبوعات الأخرى التي تتماشى مع المنهج المدرسي، ومساعدة الطلاب والتلاميذ في اختيار ما يساعدهم من المصادر والمراجع لإعداد البحوث والأنشطة المرتبطة بالمنهج عموما، إلى جانب تنمية المهارات الضرورية لاستخدام مصادر المعلومات والمهارات المتعلقة بالقراءة الحرة وأساليب التعامل في المكتبة. والمكتبة المدرسية هي أحد أهم مظاهر التقدم التي تتميز بها المدرسة، إذ إنها تعمل على تنمية جانب حيوي مهم، وهو تعليم الفرد كيف يتعلم، وتقدم له كل فنون المعرفة وصنوفها وليس منهجا



مفروضا.

- رابعا: المكتبة الجامعية أو الأكاديمية: وتعرف بأنها: (المكتبة أو مجموعة المكتبات التي تنشئها وتديرها الجامعة أو الكلية، لتقديم الخدمات المكتبية للطلاب والمدرسين والعاملين في هذه المؤسسات، عن طريق توفير ما يلزم من معلومات تفيدهم في البحث والدراسة).

تعد هذه مكتبة للطلاب وتقدم المواد التي تخدم المنهج الدراسي بالجامعة، وفي نفس الوقت تعتبر مركزا للأبحاث المتعلقة بالمنهج وتوفير المعلومات ومصادر البحث التي يحتاج إليها الطلاب والباحثون. لذا يجب أن تحتوي على مجموعات من الكتب العلمية والأدبية وكتب التراث ذات القيمة التاريخية والمراجع؛ تخدم الدراسات العليا والمراجع المهنية المتقدمة.

- خامسا: المكتبات المتخصصة ومراكز المعلومات: هي الجهة التي تهتم باقتناء الإنتاج الفكري في موضوع معين أو عدة موضوعات يرتبط بعضها ببعض، وتقوم بتقديم الخدمات المكتبية لأشخاص يعملون في مؤسسة أو جمعية معينة. يوجد هذا النوع من المكتبات في مراكز البحوث العلمية والتربوية وبعض المؤسسات والأقسام العلمية بالجامعات والمعاهد المتخصصة.

أهم طرق الوصول إلى المعلومات في المكتبة:

١- الفهارس: وهي تجميع لهويات الكتب التي تضمها المكتبة، والهوية أو البطاقة: وصف محدد للكتاب، رتبت في الفهرس بطريقة منظمة في أدراج تسمى «أدراج الفهارس»، وهي دليل يمكن للقارئ أن يصل إلى الكتاب المطلوب عن طريقه. وأشكال الفهارس هي: فهرس المؤلف، فهرس العنوان، فهرس الموضوعات. وفي الأنواع الثلاثة ترتب البطاقات هجائيا: الأول بأسماء مؤلفي الكتب، الثاني بعنوان الكتاب، والثالث وفق رؤوس الموضوعات.

المكتبات إشعاع حضاري للفكر والثقافة

٢- الوصول للكتاب على الرف: إذ إن هناك رابطة بين وجود البطاقة في أدراج الفهارس وبين مكان الكتاب على الرف، يطلق على هذه الرابطة «رقم الطلب» ويتكون من رقم التصنيف ورموز المؤلف. ورمز المؤلف هو اختصار لاسم المؤلف أو الحرف الأول من اسمه، بالإضافة إلى الحرف الأول من عنوان الكتاب.

٣- نظام الأرفف المفتوحة: ترتب الكتب في المكتبات بحسب اللغة أولا، ثم ترتب كل مجموعة تبعا لموضوعات المعرفة، وبرنامج هذا الترتيب واحد في كل المكتبات.

هذه الطريقة الخاصة بترتيب موضوعات المعرفة تسمى «تصنيفا» وأشهر التصانيف في المكتبات هو تصنيف «ديوي العشري» نسبة للأميريكي ملفل ديوي.

٤- المراجع: غالبا ما تفرد لها المكتبات غرفة خاصة تسمى «قاعة المراجع»، وغالبا تستعمل داخل المكتبة، والمراجع مصدر مهم من مصادر المعلومات؛ تفيد القارئ والباحث بشكل كبير. وأهم المراجع هي: القواميس، الموسوعات، كتب السير الذاتية، دوائر المعرفة، كتب الطبوغرافيا.

التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها في عمل المكتبات

للتكنولوجيا الحديثة أهمية كبيرة في مجالات عمل المكتبات عموما والمكتبات الوطنية خصوصا، فقد عملت الوسائل المكتبية التقليدية لفترات طويلة على حفظ وتخزين مصادر المعرفة، كالكتب والموسوعات والدوريات وغيرها ولا تزال، ولكن مع التطور الذي شهده العالم في القرن الماضي ظهرت أساليب جديدة وطرائق غير تقليدية، حتى أصبحت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، بل بات توظيفها في هذا المجال أهم عناصر النجاح في هذه المنشآت العلمية الكبيرة، وأكثرها ضرورة لإتمام وظائفها بالشكل الأمثل.

ومن أشكال توظيف التكنولوجيا في هذا المجال: استخدام التقنيات العلمية المتطورة في حفظ وتخزين المعلومات واسترجاعها بالاعتماد على أنظمة تكنولوجية خاصة، بهدف توفير مختلف أصناف الأوعية البيلوغرافية التقليدية، ومصادر المعلومات غير التقليدية كالأفلام الوثائقية وآلات التصوير الحديثة والأقراص المدمجة وشبكات الاتصال بالمراكز العلمية وغيرها. ولعل أهم وسائل توظيف التكنولوجيا الحديثة في مجال الخدمة المكتبية ومراكز المعلومات:

- أولا: الحاسب الآلي: ومن أهم مزاياه: تخزين المعلومات في الخدمة المكتبية كمرحلة أولى، ثم اختصارها بأشكال مختلفة، مستخلصة من الصور وأفلام الفيديو والكلام المنطوق والنصوص المكتوبة وفق برامج سهلة الاستعمال. ثم سهولة استرجاع هذه المعلومات وتقديمها مع كثير من الدقة والتنظيم واختصاراً للوقت والجهد.

- ثانيا: الإنترنت: وهي مكتبة عملاقة تحتوي على مصادر المعرفة المتعددة الثقافات واللغات، وبوسائل وأشكال عدة كالكتب والمراجع والصور والدراسات والبحوث. أهم مزاياها أنها تيسر العمل في مجال المعلومات بطرق أسهل وأسرع وتكاليف أقل، عبر ربط المكتبة بالشبكة العنكبوتية. ثم سهولة تخزين واسترجاع المعلومات، وإحضار المصادر الإلكترونية وتبادلها بين المؤسسات والجامعات والأفراد، والاتصال بالمكتبات ومراكز المعلومات داخليا، ومع المكتبات الوطنية العالمية لاستقبال ونقل المعرفة في المجالات المختلفة.

- ثالثا: المصغرات بأنواعها: التي شكلت حدثا مهما في عالم المكتبات والتوثيق، بحكم مزاياها الكثيرة كسهولة تداولها في مجال الإعارة، وحفظها لمدة أطول من الأوعية التقليدية دون أن تتلف، وتوفير الحيز المكاني في المكتبات، وصيانة وأمن المعلومات بالنسبة لبعض المؤسسات. ومن أنواع المصغرات: الميكروفيلم، الميكروفيش، الميكروكارت. والميكروفيلم هي: (أفلام مصورة لوثائق ورقية، وكل مصغر يحتوي على المئات من الصفحات الورقية الدقيقة التي لا تقرأ إلا بواسطة أجهزة خاصة) ويمكن اختصار مزايا استخدامات التكنولوجيا في مجال الخدمة المكتبية ومراكز المعلومات وفق الآتي:

١- المحافظة على مصادر المعلومات بطرائق حديثة، وإمكانية تخزينها على الأقراص القابلة للتخزين.

٢- الدقة والتنظيم والسهولة في استرجاعها وتقديمها.

٣- تسهيل أعمال الفهرسة والتصنيف والإعارة وغيرها من الخدمات.

٤- تمكين الاستفادة القصوى من المراجع البيلوغرافية المرتبطة بالأجهزة والاتصالات الحديثة.

٥- توفير خدمات البحث الإلكتروني الآلي داخل المكتبة وخارجها بفعالية وكفاءة عالية.

إن المكتبات هي مراكز إشعاع حضارية للفكر والثقافة، تمثل تتويجا لخلاصة الجهود المعرفية في مختلف ميادين العلوم والآداب والفنون، إنها تحفظ تاريخ الأمة وذاكرتها، وترسم آفاق تطورها والنهوض بواقعها نحو الرقي والتقدم، وعلى كل أمة تخطط للتنمية الإنسانية الشاملة، عليها أن تصب كل اهتمامها بهذه المراكز الحيوية الكبيرة. يقول الكسندر وبيرك: (لو تحطمت كل الآلات الحديثة ومعامل الذرة وبقيت المكتبات، لتمكن رجال العصر من إعادة بناء الحضارة الآلية والذرية، ولكن لو تحطمت المكتبات فإن عصر القوى الآلية وعصر الذرة يصبحان شيئا من أثر الماضي).



سهير أبوبكر الشاذلي
قاصة وكاتبة صحافية

مكانة الكتاب في الحضارة العربية

يتصدر الكتاب بجدارة بالغة سائر ما ابتدعه البشر من وسائط معرفية على مدار التاريخ الإنساني، ذلك أن القراءة هي الأبرز والأسطع والأسمى بين كل الأنشطة والفعاليات البشرية، وهذا يعني أن الكتاب سيظل الجامعة الإنسانية الأقدم التي طالما توجهت إليه قوافل طلاب المعرفة. وسيظل الكتاب منارة للثقافة وينبوعا للمعرفة على أي صورة كانت، وعلى أي نحو سيكون، سواء أكانت مادته على جدار كهف بدائي أو جلد حيوان أو ورقة بردي، أو صفحة كتاب مطبوع، أو صفحة الويب.

وللكتاب في التاريخ العربي تاريخ موغل في القدم، فما قصة هذا الكتاب في هذا التاريخ؟

كانت بدايات الكتابة عند العرب نقوشا على الأحجار الكبيرة، لذا ساد المثل: «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»، وبعد ذلك أخذت الكتابة على «الصحف» كتب العرب على أكتاف الإبل (اللخاف) وألواح الحجارة الرقيقة (الرقاق) والعريض من جريد النخل (العسب) واستخدموا جلود الحيوانات كالماشية والإبل والأغنام والماعز صحفا للكتابة وذلك بعد دبغها وإزالة الوبر أو الصوف أو الشعر عنها، كانت هذه الجلود تهيأ بعناية، فتكشط وتحك حتى ترق، وكانت تسمى Diphterai وهي كلمة يونانية ذات أصل فارسي قديم (دفتر) ومنها أخذ العرب التسمية نفسها. فالدفتر وجمعه دفاتر، مجموعة من الصحف يضم بعضها إلى بعض، وفي طياتها محتوى لموضوع واحد، أو عدة مواضيع متشابهة. بل إننا نستطيع أن نرجع كلمة «الجفر» وهو في الأصل رقاق من جلد الماعز، إلى الكلمة نفسها. وبعد أن يكتب على الرقاق يطلق العرب على الرقاق أسماء مختلفة:

- المصحف: والجمع مصاحف، مجموعة كبيرة من الصحف تتميز طياتها عن الصحيفة بأنها يكتب على وجهها وظهرها، تضم طياتها وتربط عند طرفها الأيمن بخيط متين يخاط من فوق نزولا إلى أسفل، بحيث تكون الكتابة على دفتي المصحف، وعندما جمع القرآن الكريم، جمع على هذه الطريقة فسمي مصحفا، وجاءت عليه ألف ولام (الـ) التعريف للدلالة على التفرد والعظمة.

- الكتاب: والجمع كتب، وهو جامع الكتابة، فإما يكون ما كتب عليه من

المؤلف نفسه، وإما أن المؤلف أملاه لآخر فاستكتبه. وقد عم هذا الاسم فأصبح يعني كل ما هو مكتوب. سواء على الرقاق أو على غير ذلك من المواد، ثم أصبح مرادفا للمصحف أيضا، وقيل في سبب تسميته: سمي الكتاب كتابا لاجتماع الحروف، كما سمي العسكر كتيبة لاجتماع الجند فيه.

- الصحيفة: وجمعها صحف. وهي كل ما يكتب عليه بقطعة واحدة وعلى وجه واحد فقط.

- السجل: والجمع سجلات، ولا تختلف السجلات عن الصحف إلا بمضمون المكتوب عليها، ولا تكون من اللخاف أو الرقاق أو العسب، لصعوبة طيها. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (الأنبياء:١٠٤)، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ (الزمر:٦٧). فالسجلات عبارة عن وثائق رسمية، أو حسابات تجارية، تحفظ كمطوياتال بطريقة أسطوانية، ملفوفة بخيط أو في علبة معدنية، وتوضع على أرفف خاصة وبطريقة أفقية.

- الكراسة: أو الكراس، والجمع كراريس، مثل الدفتر، إلا أنها أصغر في قطعها، وتضم في طياتها موضوعا واحدا أو جزءا من كتاب.

ثم كان الورق والذي أحدث ثورة في صناعة الكتاب بعد اختراعه، فكلمة ورق جاءت أصلا من ورق الشجر إحدى مواد الكتابة عند العرب قبل تعرفهم على الورق المصنوع. أما كلمة وراق فجاءت بمعنى الدراهم ربما لكثرتها تكون مثل ورق الشجر قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩). والورق تعني الرجل كثير الدراهم (عرفت الدراهم عند العرب بالورق، وأطلقوا على الموسر مورقا، وأطلقوا على الفضة اللجين، وأطلق لفظ الورق على المال كله بعد ذلك، قال الشاعر:

يارب بيضاء من العراق

تأكل من كيس امرئ وراق).

كما تعني العامل في صناعة الورق ومنها - مورق الكتب - أي الذي يحترف الوراقة مثل بيع الكتب ونسخها وخطها وتجليدها وتهذيبها.

وأول تسمية عربية لكلمة ورق هي كاغد kaghad ومنها التسمية التركية kaghit المستعملة حتى يومنا هذا، وكلاهما مشتق من الكلمة الصينية Gu__zhi أي الورق المصنوع من لحاء شجر التوت. وكلمة قرطاس هي كلمة عربية أخرى استخدمت في سابق الزمان لكلمة ورق، وقد جاءت كلمة قرطاس بهذا المعنى في القرآن الكريم في سورة البقرة في إشارة للكتابة على ورق منفصل، ويحتمل أن أكثر التسميات شيوعا في اللغة العربية هي كلمة ورق وهي الكلمة المستعملة حتى الآن والتي تعني في الأصل ورق الشجر. كما أنها تسمية مختصرة لتسمية ورق قرطاس.

و(الواو والراء والقاف) في مقاييس اللغة العربية: أصلان يدل أحدهما على خير ومال، وأصله ورق الشجر، والآخر على لون من الألوان، فالأول الورق ورق الشجر. والورق المال، من قياس ورق الشجر، لأن الشجرة إذا تحات ورقها انجردت كالرجل الفقير. كما قال الشاعر:

إليك أدعو فتقبل ملقي

واغفر خطاياي وثمر ورقي

ولا نعرف على وجه الدقة، أيهما الذي كان أسبق من الآخر إلى الارتباط بالشجر: القاموس أم الورق؟! لكن المؤكد أن الورق بشكله الحالي والمعروف تناسل من ورق الشجر وأغصانها وسيقانها منذ اكتشاف قدماء المصريين لورق البردي مرورا بتصنيع قدماء الصينيين للورق من لحاء الأشجار. وتساوي اللغة بين الغني وصانع الورق فتعطيهم نفس المسمى (الوراق)، لارتباط الورق بالمال والمعادن الثمينة كالذهب والفضة التي يطلق عليها.

كان اكتشاف المصريين للبردي نقلة كبيرة في الكتابة والورق. ومنذ ذلك الحين بدأت تختفي الكتب الحجرية والصلصالية الثقيلة وغير العملية، وبدأت تظهر شرائح البردي الطولية، كانت توضع متعارضة، في طبقتين أو ثلاث، فوق بعضها ثم تبلل بالماء وتضغط. وكان يصنع كصفحات منفصلة، ثم تلصق هذه الصفحات الواحدة في الأخرى، وتراوح عرض شرائح البردي من ثلاث أقدام إلى ١٨ قدما. ويقول علماء الآثار إن أطول ورقة بردي موجودة هي بردية هاريس ووصل طولها إلى ١٣٣ قدما وعرضها إلى ١٦ قدما.

استحوذ المصريون على صناعة الورق المصنوع من البردي لفترة طويلة من الزمن، فالفراعنة كانوا يحتكرون إنتاج ورق البردي حتى العصر البطلمي وكانوا يصدرونه عبر الإسكندرية لبقية العالم. وكان ورق البردي هو السائد بعد دخول الإسلام لمصر، ويقال إن المصانع المصرية كانت تنتج سبعة أصناف من ورق البردي كان أجودها وأغلاها يستخدم في الدواوين حتى أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز أمر بالاقتصاد في استعمال الورق بسبب ارتفاع أثمانه.

وكان العرب يطلقون كلمة «قراطيس» على أوراق البردي، وقد وردت القراطيس في القرآن الكريم ومنها الآية التي جاءت في سورة الأنعام ترد على طلب مشركي العرب من النبي ﷺ، أن يأتيهم بمعجزة: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام:٧).

وكانت مصانع القراطيس البردية تتمدد حول الإسكندرية وشرق الدلتا والفيوم، ثم أصبحت الفسطاط أهم مركز لإنتاج

الورق من البردي وكان العرب يشيدون مساكنهم حول مصانع القراطيس، أما آخر ما وجد من ورق البردي فيعود لبدايات الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣هـ.
ومن بعد المصريين القدماء حمل الصينيون الراية، وبدأوا يصنعون الورق من لحاء الأشجار والنباتات في القرن الثاني الميلادي، ويعود الفضل في ذلك للصيني تسي آي لون الذي استطاع في العام ١٠٥ بعد الميلاد أن يتوصل إلى تصنيع ورق من لحاء الأشجار، ثم تواصل التقدم الصيني في صنع الورق عندما تم التوصل إلى طريقة حشو سطح الورقة بالغراء والجيلاتين للحد من انتشار الحبر وكان ذلك في العام ٧٠٠ بعد الميلاد، ثم انتشر بعدها تصنيع الورق في كوريا واليابان وانتقل إلى العرب والمسلمين عندما دخلوا سمرقند في العام ٩٣هـ/٧١٢م وكان للعرب والمسلمين بعد ذلك فضل تعريف العالم الأوروبي بالورق، وكانت بغداد أول مدينة تحتضن أول مصنع للورق في بلاد العرب في عهد هارون الرشيد، وقد أسس هذا المصنع الفضل بن يحيى وزير الخليفة في العام ١٧٨هـ/٧٩٤م ثم انتشرت صناعة الورق بعدها في كل أرجاء العالم الإسلامي ودخل أوروبا عن طريق الأندلس.
وبعد أن كثر الورق أمر الخليفة هارون الرشيد، بترك الكتابة في الورق القديم المصنع من الجلد والبردي وغيره والانتقال للكتابة في الورق الصيني الذي أطلقت عليه العرب «الكاغد» حتى صارت المقولة التي يسير بها الركبان: «كواغد سمرقند عطلت قراطيس مصر».
ولقد ترك العرب للمعرفة الإنسانية تراثا لم تتركه أمة قبلهم ولا بعدهم يتمثل في أمهات الكتب والمعاجم والموسوعات التي خطتها أقلام العلماء والأدباء الذين أفنوا أعمارهم في التفكير المثمر والإنتاج الغزير نثرا وشعرا وعلما وفنا وكانوا يطربون لصرير أقلامهم على الورق كما يطرب الموسيقار لألحان الآلة التي يعزف عليها.

مكانة الكتاب في الحضارة العربية

بلغت العناية بالكتاب في الحضارة العربية والإسلامية مبلغا كبيرا، وأولع الناس به بصورة مدهشة، ولعل الأدب العربي هو أغنى الآداب العالمية القديمة بالتغني بالكتاب والولع به والرغبة فيه والتحدث عنه، حتى لكأنه حبيب نأي مزاره وشطت داره، فالقلوب إليه منصرفة وبه مولعة.
قال الفقيه محمد بن الجهم: إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم – وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة– تناولت كتابا من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبيين أشد إيقاظا من نهيق الحمير وهدة الهدم.
وقال أحمد بن إسماعيل: «الكتاب هو السامر الذي لا يبتدئك في حال شغلك، ولا يدعك في حال نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك».
وقيل لبعض العلماء: «ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك؟ فقال: هي إن خلوت لذتي، وإن اهتممت سلوتي. وإن قلت: إن زهر البستان، ونور الجنان، يجلوان الأبصار، ويمتعان بحسنهما الألحاظ، فإن بستان الكتب يجلو العقل، ويشحذ الذهن، ويحيي القلب، ويقوي القريحة، ويعين الطبيعة، ويبعث نتائج العقول، ويستثير دفائن القلوب، ويمتع في الخلوة، ويؤنس في الوحشة، ويضحك بنوادره، ويسر بغرائبه، ويفيد ولا يستفيد، ويعطي ولا يأخذ، وتصل لذته إلى القلب، من غير سآمة تدركك ولا شقة تعرض لك».
وكان الخلفاء في بغداد والقاهرة وقرطبة يفاخرون بجمع الكتب. دخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب، فقال: «ما هذا؟ فقال: كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة. فقال: الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه».
ويعد الحاكم المستنصر الخليفة في الأندلس من أكبر عشاق الكتب، فكان يبعث رجالا إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها. جاء عنه في كتاب سير أعلام النبلاء للحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي: «أنه كان جيد السيرة، وافر الفضيلة، ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقها وباطلها، بحيث إنها قاربت من مئتي ألف سفر، وكان بازلا للذهب في استجلاب الكتب، ويعطي من يتجر فيها ما شاء، حتى ضاقت بها خزائنه، لا لذة له في غير ذلك».
وعرف الخليفة العزيز في مصر بولعه بجمع الكتب، فقد ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد، فأخرج لهم من مكتبه نيفا وثلاثين نسخة كاملة منه، منها بخط المؤلف، وحمل إليه رجل نسخة من تاريخ الطبري. اشتراها بمئة دينار، فأخرج لهم أكثر من عشرين نسخة منه إحداها بخط المؤلف، حتى قيل إن مكتبته ضمت أكثر من مليون ونصف المليون مجلد من الكتب.

المراجع

– محمد رجب السامرائي، المصنفات العربية. الغريب والعجيب في أنيس الجلساء، الملحق الثقافي – جريدة الاتحاد الجمعة ٢٠ مارس ٢٠٠٩م.
– حسن الكرمي، قول على قول، دار لبنان للطباعة ١٩٦٩م.
– أحمد أمين، ضحى الإسلام، الجزء الثاني، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢م.
– السيد نجم، ملامح الحضارة الإسلامية في كتب التراث، كتاب الرافد العدد ٣٨ يناير ٢٠١٣م
– موريس لومبار، الإسلام في عظمته الأولى، ترجمة ياسين الحافظ، دار الطليعة بيروت ١٩٧٧م.
– الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط١١، ٢٠٠١م.
– هيئة تحرير مجلة القافلة ملف العدد (الورق) المجلد الخمسون صفر ١٤٢٢هـ.
– د. عادل سالم العبدالجادر، الكتابة عند العرب، مجلة العربي العدد ٦٧٣ ديسمبر ٢٠١٤م.
– صديق محمد جوهر، القراءة بين الكتاب الورقي وشبقية الإنترنت، مجلة تراث العدد ٢٠٥ نوفمبر ٢٠١٦م.
– د. علي عفيفي غازي، نشأة وتطور الخط العربي في الإسلام، المجلة العربية العدد ٤٠٥ شوال ١٤٣١هـ أكتوبر ٢٠١٠م.



محمد محمد الشحات
كاتب - مصر

قصة قصيرة

المفتاح... وطني

صوت الأذان في الأرض المباركة يبعث حرارة الروح، وعبق الماضي بكل ما فيه من تراث عظيم إذ يجدد الإيمان في النفوس ويجعلها موصولة بالله على مدار اليوم والليلة. «حي على الصلاة حي على الفلاح، »، نادى فلبت القلوب التقية مسرعة للوضوء والصلاة بقوة داخلية لا تحركها شهوات الدنيا الفانية؛ ولكنها قوة خفية ملازمة للإيمان في القلب لتعيش لبضع دقائق في رحاب الله لتنال السكينة والطمأنينة النفسية.

وهناك في أحد مخيمات اللاجئين تقبع الحاجة «زاهية» في فراشها المتواضع والمكون من حصير قديم ومرتبة وضعت على سرير متهالك ووسادة ولحاف. وعلى هذا الفراش تحركت الحاجة «زاهية» عندما سمعت نداء الفجر، وأول شيء بحثت عنه كان المفتاح المعلق في صدرها ينام معها، ويقوم معها كالطفل الحبيب والمدلل، وذات يوم دخل عليها حفيدها «إياد» ابن الخمس سنوات الذي ما برح يداعب جدته وهي فرحة به ومتلهفة عليه، ويسألها عما في صدرها فترد عليه بابتسامة حانية، وتقول: هذا بقايا وطني وداري ودار آبائك وأجدادك جدرانها منقوشة في حنايا قلبي، والطفل قد لا يفهم الكلام؛ لكنه وعى منه أهمية المفتاح بالنسبة لجدته. وفي اليوم التالي كانت الجدة تغط في نوم عميق إذ دخل عليها «إياد» مستغلا نومتها وأخذ المفتاح من صدرها وخرج، وبعد وقت ليس بالطويل قامت الجدة من نومها وأخذت تتحسس صدرها تبحث عن المفتاح وسرعان ما أطلقت صرخة مدوية في البيت انتفض على إثرها أبو إياد (ابنها) فقد ظن أن أمه قد أصابها مكروه، وهرول إليها، ووجدها تولول وتبكي بكاء مريرا، فانكب الابن على أمه يهدئ من روعها فقالت له: لقد ضاع الوطن.. ضاع المفتاح، فمسح دموع أمه وقبلها وقال لها: سأبحث عنه لا تحزني يا أمي.

خرج وبحث، وعاد خالي الوفاض، ولكنه خشي أن يعود لأمه دون المفتاح، فجاءته فكرة سريعة وهي أن يذهب للحداد ويطلب منه أن يصنع مفتاحا شبيها يحل به المشكلة، وفعلا أتى بمفتاح من عند الحداد، وهرول إلى البيت ووضعه في حجر أمه فتناولته متلهفة وأخذت تشمه ودموع العين تبلله، لكنها سرعان ما ألقت به على الأرض وعادت للنحيب وقالت: لقد شممته وما هو بمفتاح داري، فوقف الابن حائرا ماذا يفعل مع أمه النجيبة الأصيلة التي ما رضيت بأن تفرط في رائحة مفتاح دارها.

وفي هذه الأثناء دخل «إياد» فجأة وهو يلهو بالمفتاح ولا يدري أنه يحمل بقايا وطن، قطعة من قلب جدته الحاجة زاهية وألقاه في حجرها فتناولته وأخذت تشمه، ولكنها بللته هذه المرة بدموع الفرحة واحتضنت حفيدها رغم أنه أتعبها، إذ إنه من سيحمل هذا المفتاح عندما يكبر ليوم العودة.



محمود العيسوي
باحث علوم طبية

تحقيق النصوص عند قدماء المسلمين

التراث العربي كنز من كنوز الأمة، وهو مصدر عزها ومجدها في الحاضر والمستقبل، كما كان في حقبة من الماضي؛ فالتطور المدني والتقدم الحضاري المرجو حصوله، لابد أن تسبقه نهضة علمية قوية تبين الطريق وتضع العلامات والمنارات لسالكيه، والنهضة العلمية لا تأتي إلا بمعرفة ودراسة الإرث القديم، الذي هو ذاكرة الأمة، والأمة التي لا ذاكرة لها لا مستقبل لها.

وإن إعادة فطر المنبع الصافي للأمة، وإزالة ما عسى أن يكون علق به من شوائب، لهما من الصعوبة بمكان في ظل هذه الأحوال الحالكة الظلمة، وكذلك فإن إعادة إخراج تراثنا العربي على الوجه الذي يليق به لهي من أصعب المهام، ولذلك كان المتصدر لها من المتحملين على عاتقهم حملا ثقيلا، ولابد له من التأهل لهذه المهمة، وإن علم تحقيق النصوص بما فيه من قواعد وسبل ومناهج لهو الأليق والأقدر على التأهيل الكافي للقيام بهذه المهمة.

وقد قام كثير من العلماء ببذل جهود كبيرة مضنية في وضع القواعد والمناهج لتحقيق النصوص، فمنها المتأخر والحديث، ومنها المقل والمستكثر، كل بحسب تجربته وخبرته في مجال تحقيق النصوص.

والغرض من هذا البحث هو إظهار بعض ملامح منهج الأجداد في تحقيق النصوص، وأن أسلافنا، رحمهم الله تعالى، وفي مقدمتهم علماء الحديث، قد عرفوا وأرسوا كثيرا من قواعد تحقيق النصوص في ممارستهم العملية.

فما يعرفه المعاصرون من جمع نسخ الكتاب، وترتيبها، ومقابلتها، وإثبات فروق القراءات، مرورا بتوثيق نسبته، وضبط عباراته، والتعليق عليها، وتخريج نصوصه، وانتهاء بتكشيف وفهرسة محتوياته، فكل هذا وغيره قد سبق أسلافنا إلى

معرفته وتطبيقه، بحسب احتياجهم إليه في أعمالهم العلمية المختلفة. وسأقوم بذكر عشرة نماذج من أعمالهم تشهد على ذلك.

النموذج الأول: صحيح البخاري

عناية القدماء بالنص، واختيار أصل موثوق به، والاهتمام بالمقابلة وفروق نسخ الكتاب وضبطه:

أخرج اليونيني (ت:٧٠١هـ)، حافظ دمشق المشهور، في القرن السابع للهجرة صحيح البخاري، ومما دفعه إلى ذلك أن ابن مالك النحوي (ت:٦٧٢هـ) هاجر من الأندلس واستقر في دمشق، فاتفق معه على أن يخرج صحيح البخاري تحت سمعه وأمام بصره، ولم يكتف اليونيني في إخراجه بنسخة واحدة موثوقة، وإنما جمع أوثق النسخ، واختار أصلا لتحقيقه نسخة كانت موقوفة بإحدى مدارس القاهرة، وقابلها على أصل مسموع للحافظ أبي ذر الهروي، وأصل ثان مسموع للحافظ أبي محمد الأصيلي، وأصل ثالث مسموع للحافظ أبي القاسم بن عساكر الدمشقي، وأصل رابع مسموع على الشيخ أبي الوقت بقراءة السمعاني وغيره من كبار الحفاظ، ونهض بهذا العمل في واحد وسبعين مجلسا، وكان بجواره فيها ابن مالك يراجع ويصحح، وأمامه جماعة يسمعون منه وينظرون في نسخ معتمدة من الكتاب، حتى تم إخراجه إخراجا دقيقا. وانتشرت فروع نسخته في العالم الإسلامي، وذاعت نسخة فرعية منها عالية النسبة، وهي بخط ابن مالك، الذي سجل على أول ورقة من الجزء الأخير بسماعه لها من اليونيني، قال: سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري رضي الله عنه بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد ابن أحمد اليونيني رضي الله عنه وعن سلفه، وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء، ناظرين في نسخ معتمد عليها، فكلما مر بهم لفظ ذو إشكال بينت فيه الصواب وضبط على ما اقتضاه علمي بالعربية، وما افتقر إلى بسط عبارة وإقامة دلالة أخرت أمره إلى جزء أستوفي فيه الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد، ليكون الانتفاع به عاما، والبيان تاما إن شاء الله تعالى. وكتبه محمد بن عبدالله بن مالك حامدا الله تعالى.

وكتب الحافظ اليونيني على ظهر آخر ورقة من المجلد نفسه: بلغت مقابلة وتصحيحا وإسماعا بين يدي شيخنا شيخ الإسلام، حجة العرب، مالك أزمة الأدب، العلامة أبي عبدالله بن مالك الطائي الجياني أمد الله تعالى عمره في المجلس الحادي والسبعين، وهو يراعي قراءتي، ويلاحظ نطقي، فما اختاره ورجحه وأمر بإصلاحه، أصلحته وصححت عليه، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة كتبت عليه معا فأعلمت ذلك على ما أمر ورجح، وأنا أقابل بأصل الحافظ أبي ذر، والحافظ أبي محمد الأصيلي، والحافظ أبي القاسم الدمشقي، ما خلا الجزء الثالث عشر والثالث والثلاثين فإنهما معدومان، وبأصل مسموع على الشيخ أبي الوقت بقراءة الحافظ أبي منصور السمعاني وغيره من الحفاظ، وهو وقف بخانقاه السمياطي، وعلامات ما وافقت أبا ذر (هـ)، والأصيلي (ص)، والدمشقي (ش)، وأبا الوقت (ظ)، فليعلم ذلك، وقد ذكرت ذلك في أول الكتاب في فرخة لتعلم الرموز. كتبه علي بن محمد الهاشمي اليونيني عفا الله عنه[1].

النموذج الثاني: كتاب «الياقوت»

اهتمام القدماء بكتبهم وبمعارضتها:

لما صنف محمد بن عبدالواحد أبو عمر اللغوي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب (ت:٣٤٥هـ) كتابه «الياقوت» في اللغة، زاد فيه مرة بعد مرة، وكان قد ابتدأ بإملائه يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ست وعشرين وثلاثمئة ارتجالا من غير كتاب، ومضى في الإملاء مجلسا مجلسا إلى أن انتهى إلى آخره. وأخذ تلاميذه يقرأونه عليه، وهو يزيد وينقح فيه، واختار نسخة تلميذه أبي إسحاق الطبري لتكون أساسا فقرأه عليه وسمعه الناس، ثم زاد فيه بعد ذلك زيادة كثيرة، والتلاميذ بين يديه يراجعون نسخهم ويدخلون عليها ما يضيفه أو يصححه، ثم زاد عليه زيادات أخرى، وفي المرة السادسة جمع تلاميذه في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة، واختار من بينهم أبا إسحاق الطبري، ليقرأ نسخته التي كان قد حررها، والناس من حوله يسمعون ويعارضون على نسخته نسخهم، وأعلن أبو عمر الزاهد أن هذه هي العرضة الأخيرة لكتابه، وأملى عليهم: هذه العرضة هي التي تفرد بها أبو إسحاق الطبري آخر عرضة أسمعها بعده، فمن روى عني في هذه النسخة وهذه العرضة حرفا واحدا وليس هو من قولي فهو كذاب علي، وهي من الساعة إلى الساعة من قراءة أبي إسحاق على سائر الناس وأنا أسمعها حرفا حرفا[2].

النموذج الثالث: كتاب «العين»

حرص القدماء على توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

شك القدماء في نسبة كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، فدرسوا أسانيده ورواته، ورأوا أن مؤلفه يروي عن الأصمعي وابن الأعرابي، وهما متأخران عنه، وفحصوا مادة متنه، ولاحظوا اختلاف نسخه المتداولة، وكثرة الخلل والفساد فيه، وكان السيرافي (ت:٣٦٨هـ) قد قال عنه عبارة ترفع عن الخليل ما لوحظ عليه: وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة[٣]. وقال الزبيدي الإشبيلي (ت:٣٧٩هـ): ونحن نربأ بالخليل عن نسبة هذا الخلل إليه، أو التعرض للمقاومة له والرد عليه، بل نقول: إن الكتاب لا يصح له ولا يثبت عنه، فقد كان جلة البصريين الذين أخذوا عن أصحابه، وحملوا علمه عن رواته ينكرون هذا الكتاب ويدفعونه، إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير مشهور في أصحابه، وأكبر الظن فيه أن الخليل سبب أصله، ورام تثقيف كلام العرب فيه، ثم هلك عنه قبل كماله، فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه، فكان ذلك سبب الخلل الواقع به، والخطأ الموجود فيه، والله أعلم[٤]. وقد ذكر السيوطي (ت:٩١١هـ) الآراء المختلفة التي قيلت في نسبة العين إلى الخليل في كتابه المزهر[٥].

النموذج الرابع

حرص القدماء على تتبع المصادر، والمقابلة بين النسخ:

من ذلك ما قام به ابن خلكان (ت:٦٨١هـ) في ترجمة الحميدي الميورقي الأندلسي، لتحديد تاريخ وفاته الصحيح، فقد قال ابن خلكان في ترجمته: وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ببغداد، وقال السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة الميورقي: إنه توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمئة رحمه الله تعالى. هكذا وجدته في المختصر الذي اختصره أبو الحسن علي بن الأثير الجزري -المقدم ذكره- وكشفت عنه عدة نسخ فوجدته على هذه الصورة؛ لأني توهمت الغلط في نسختي، ولم أقدر على مراجعة الأصل الذي لابن السمعاني الذي هذا المختصر منه؛ لأنه لا يوجد في هذه البلاد، وبقي في نفسي شيء من التفاوت بين التاريخين فإنه كبير. ثم إني كشفت كتاب «الذيل» للسمعاني فوجدت فيه أن الحميدي المذكور توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمئة، ودفن من الغد في مقبرة باب أبرز بالقرب من قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وصلى عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي الفقيه في جامع القصر، ثم نقل بعد ذلك في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمئة إلى مقبرة باب حرب، ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي رحمه الله تعالى. فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت أن الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر؛ إما لأن النسخة التي اختصرها كانت غلطا من الناسخ فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشفه من موضع آخر، أو لأنه عبر من سطر إلى سطر كما جرت عادة النساخ في بعض الأوقات، والله أعلم أي ذلك كان[٦].

النموذج الخامس

اهتمام القدماء بجمع نسخ الدواوين، والمقابلة بينها:

قال أبو العلاء المعري (ت:٤٤٩هـ) عن البيت الذي يقول:

هي الخمر تكنى الطلاء
كما الذئب يكنى أبا جعدة

قال: وهو ينسب إلى عبيد بن الأبرص، وربما وجد في النسخة من ديوانه، وليس في كل النسخ. والذي أذهب إليه أن هذا البيت قيل في الإسلام عندما حرمت الخمر[٧].

النموذج السادس

اهتمام القدماء بمعرفة أصح النسخ:

قال ياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ) في ترجمة المفضل الضبي، عند الكلام عن تصانيفه، وأن منها: المفضليات، وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي. وفي بعض نسخها زيادة ونقص، وأصحها التي رواها عنه أبو عبدالله بن الأعرابي[٨].

النموذج السابع

حرص القدماء على ضرورة احترام النص، وعدم الإقدام على تصحيح ما فيه من الخطأ، إلا إذا تبين وجه الصواب فيه:

عندما أنشد الثعالبي (ت:٤٢٩هـ) لابن العميد قصيدة، وفيها هذا البيت:

أهديت نبرمة أهدت لآكلها
كرب المطامير في آب وتموز

قال: نبرمة، هكذا في النسخة، ولست أعرفها. وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب، ويدق، ويعجن بحلاوة[٩].

النموذج الثامن

اهتمام القدماء بالمقابلة بين النسخ لمعرفة القراءة الصحيحة:

لما أراد الذهبي (ت:٧٤٨هـ) التأكد من مساحة بغداد، رجع إلى نسختين من كتاب ابن طاهر بروايتين مختلفتين، قال: قال الصولي: قال أحمد بن أبي طاهر: ذرع بغداد يعني الجديدة، قال: ذرع الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب، وفي نسخة أخرى من غير رواية الصولي: إنها من الجانبين ثلاثة وأربعون ألف جريب وسبعمئة[١٠].

وما قام به أيضا في ترجمة أحمد ابن بويه، فإنه لما نقل نسب آل بويه عن ابن خلكان، قال: كذا ساق نسبه القاضي شمس الدين وعد ما بينه وبين بهرام ثلاثة عشر أبا، وقابلته على نسختين[١١].

النموذج التاسع

اهتمام القدماء بالمقابلة بين النسخ وتخريج النص... الخ:

منه ما قام به عبدالقادر البغدادي (ت:١٠٩٣هـ) في كتابه «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»؛ فهو يقابل بين النسخ، ويجتهد في تخريج النص، ويترجم للعلماء والشعراء تراجم وافية، ويكمل أبيات الشعر ويخرجها، وينسب الأبيات المجهولة، ويشير إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد، وغير ذلك مما ينادي به علماء هذا الفن في العصر الحديث[١٢].

فمن الأمثلة على المقابلة بين النسخ: لما أنشد:

إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته
فقام بفأس بين وصليك جازر

قال: و«بلالا» ينبغي أن يكون بالرفع؛ لأنه بدل من «ابن» أو عطف بيان له. وقد رأيته مرفوعا في نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبي علي الفارسي، إحداهما بخط أبي الفتح عثمان بن جني[١٣].

ومن الأمثلة على الاجتهاد في تخريج النص: لما ذكر قول ابن خلف: وقد قيل: إنه يجوز أن يكون «أسهل» اسما لموضع بعينه.

قال: قد فتشت كتب اللغة، وكتب أسماء الأماكن؛ كمعجم ما استعجم، ومعجم البلدان، فلم أجد له ذكرا فيها[١٤].

ومن الأمثلة على تراجم العلماء والشعراء: وأبو حنيفة الدينوري هو أحمد بن داود بن ونند، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت، وكان نحويا لغويا مهندسا منجما حاسبا راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومئتين[١٥].

ومن الأمثلة على تكميل الأبيات وتخريجها: وأنشد: هم درج السيول. هو قطعة من بيت، وهو:

أنصب للمنية يعتريهم
رجالي أم هم درج السيول

... وهذا البيت لإبراهيم بن هرمة، يبكي به قومه لكثرة من فقد منهم[١٦].

ومن الأمثلة على نسبة الأبيات المجهولة:

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقا
إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

... وهذا البيت ثاني أبيات سبعة أوردها أبو زيد في نوادره لذي الخرق الطهوي[١٧].

النموذج العاشر

اهتمام القدماء بعمل كشافات للنصوص:

استخرج مجد الدين ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) في كتابه «جامع الأصول في أحاديث الرسول» من الأحاديث كلمات ومعاني، قال عنها: تعرف بها الأحاديث، وأفردت لها في آخر الكتاب بابا أثبت فيه تلك المعاني، مرتبة على حروف (أ ب ت ث) مسطور في هامش الكتاب، وبإزائها ذكر موضعها من أبواب الكتاب. فإذا طلبت حديثا فيه نوع اشتباه، وغاب عنك موضعه، إما لسهو عارض، أو جهل بالمكان، فلا يخلو أن تعرف منه بعض ألفاظه المشهورة فيه، أو معانيه المودعة في مطاويه، فاعمد إلى ذلك الباب المشار إليه، واطلب تلك الكلمة، أو ذلك المعنى في حروف ذلك الباب، فإذا وجدتها قرأت ما بإزائها فهو يدلك على موضع ذلك الحديث من أبواب الكتاب، إن شاء الله تعالى[١٨]. وقد بلغت هذه الكلمات حوالي ١٤٠٠ كلمة.

وصنع ابن الأثير كشافا آخر بأسماء كل من ذكروا في الكتاب بشكل صريح أو غير صريح، رجالا ونساء، وشمل الأسماء والكنى والأبناء والألقاب والأنساب[١٩].

الهوامش

١- صحيح البخاري، ٣/١، ٤.
٢- الفهرست، ص:١١٣-١١٤.
٣- أخبار النحويين البصريين، ص:٣٠.
٤- مختصر العين، ص:٨.
٥- المزهر في علوم اللغة، ٦١/١-٧١.
٦- وفيات الأعيان، ٢٨٣/٤-٢٨٤.
٧- رسالة الغفران، ص:١٧٦.
٨- معجم الأدباء، ٢٧١٢/٦.
٩- يتيمة الدهر، ١٧١/٣.
١٠- تاريخ الإسلام، ٣٥/٩.
١١- تاريخ الإسلام، ١٣٦/٢٦.
١٢- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص:٥٠-٥٣.
١٣- خزانة الأدب، ٣٢/٣، ٣٣.
١٤- خزانة الأدب، ١٠٦/٢.
١٥- خزانة الأدب، ٧١/١.
١٦- خزانة الأدب، ٤٠٤/١، ٤٠٥.
١٧- خزانة الأدب، ٥٠/١، ٥٤.
١٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٦٨/١.
١٩- تكشيف نصوص التراث العربي والأجنبي، ص:٥٨-٦٠.



شعر: ناهد شبيب
شاعرة - سورية

اخفض سلاحك

اخفض سلاحك قدّت الأكباد … الحقد يولد والعباد تباد
اخفض سلاحك أنت لست سوى أخي … خجلت لسوء مآلنا الأجداد
مصل العروبة في دمائك من دمي … زرع الضغينة بيننا الأوغاد
أنت ابن أمي لا تكن بي مجحفا … شهدت ملاعب أمسنا الكباد
وشجيرة الليمون نرتع تحتها … أيام تملأ دارنا الأعياد
كنا على الدنيا نضوع محبة … أجدادنا يوم الوغى أسياد
وإذا لنا بتر الغزاة ضفيرة … فزعت لنصرة عرضها القواد
نار الحمية كالجمار توقدا … لما تهب وللصهيل جياد
والحرب نحن عمادها ونسورها … والسلم لو جنحوا إليه نقاد
هي في كتاب اللّٰه.. يخسأ من يرى … ألا تلم لنا الشتات الضاد!



مصطفى أولاد بن علي
شاعر مغربي

مسمار نعش

فرض الإله هدى على الإنسان ... فاحذر أيا عبد من الشيطان
احذر نوازغه وكل تربص ... تهنأ من الشر.. من الأحزان
كثرت عيوب الناس في حيواتهم ... منها جنوحهمو إلى الدخان
يمضي بهم نحو الحضيض بسوئه ... ويتيح تدمير بني الإنسان
يهوي على الجسد بفأس حقارة ... ويقصر الأعمار في إمعان
إن رسالته اغتيال مدخن ... قصد السراب بنشوة الظمآن
وسعى لمسمار لنعش وفاته ... بسيجارة تودي إلى الأكفان
هو فاتك يردي بغير تعاطف ... ومدمر يقسو على العميان
قد جاوز الأبدان نحو نفوسهم ... وجيوبهم وذويهمو في الآن
أعطى الدليل على التمكن حينما ... هدّ كيان مماثل الطرزان
يرمي العدى دوما بعين شقاوة ... ويذيق مجتمعا قذى الأدران
ويعيق كل حضارة وتقدم ... بمصيبة التخدير والإدمان
فاحذر مصير ندامة وتخاذل ... واقصد سبيل مناعة الرحمن
تحظَ بكامل صحة وتفاهم ... وتذق حلاوة نكهة الإيمان



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سوريا







سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٦)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الزرقاني):

١- أحمد الزرقاني (كان حيا سنة: ٩٦٥هـ):

هو أحمد بن محمد الزرقاني المالكي، نحوي.

من مصنفاته: (حاشية على قواعد الإعراب لابن هشام) في النحو[1].

٢- عبدالباقي الزرقاني (ت: ١٠٩٩هـ):

هو عبدالباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني الوفائي المصري الأزهري المالكي، من فقهاء المالكية، ونسبته إلى (زرقان) من قرى منوف بمصر.

ولد بمصر سنة: (١٠٢٠هـ).

أخذ الفقه عن نور الدين الأجهوري سنين عديدة، وعلوم العربية عن نور الدين الشبراملسي، والحديث عن شمس الدين البابلي، وأجازه جل شيوخه، وتصدر للإقراء





بجامع الأزهر.

من مصنفاته: (شرح مختصر سيدي خليل)، و(شرح على مقدمة العزية) وكلاهما في الفقه المالكي، و(رسالة في الكلام على إذا) في النحو، وغيرها من المصنفات.

توفي بمصر، ودفن بتربة المجاورين[٢].

٣- أبو عبدالله الزرقاني (ت: ١١٢٢هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري الأزهري المالكي، فقيه، أصولي، خاتمة المحدثين بالديار المصرية.

ولد بالقاهرة سنة: (١٠٥٥هـ).

أخذ عن والده الشيخ عبدالباقي ونور الدين الشبراملسي ومحمد البابلي وجمال الدين الشبراوي وغيرهم.

من مصنفاته: (تلخيص المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة) في الحديث، و(شرح المنظومة البيقونية) في المصطلح، و(شرح المواهب اللدنية)، و(أبهج المسالك بشرح موطأ الإمام مالك)، و(وصول الأماني) في الحديث.

توفي في القاهرة[٣].

٤- محمد الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ):

هو محمد عبدالعظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر.

تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث.

من مصنفاته: (مناهل العرفان في علوم القرآن)، و(بحث في الدعوة والإرشاد).

توفي بالقاهرة[٤].

المتفق والمفترق في اسم (الزركشي)

١- شمس الدين الزركشي (ت: ٧٧٢هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن عبدالله بن محمد الزركشي المصري الحنبلي.

من مصنفاته: (شرح قطعة من المحرر)، و(شرح الخرقي)، و(شرح قطعة من الوجيز) وغيرها من المصنفات.

توفي بالقاهرة[٥].

٢- بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ):

هو بدر الدين أبو عبدالله محمد ابن بهادر بن عبدالله الزركشي، تركي الأصل، فقيه شافعي، وأصولي.

ولد بمصر سنة: (٧٤٥هـ).

له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، و(لقطة العجلان) في أصول الفقه، و(البحر المحيط) في أصول الفقه، و(إعلام الساجد بأحكام المساجد)، و(الديباج في توضيح المنهاج) فقه شافعي، و(المنثور في القواعد) في أصول الفقه، و(التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح)، وغيرها من المصنفات.

توفي بمصر[٦].

٣- شمس الدين الزركشي (ت: ٨١٣هـ):

هو شمس الدين محمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر بن سعد الدين بن نجم الدين البغدادي القاهري الزركشي، مقرئ، أديب، شاعر، عروضي، أصله من شيراز، ثم سكن القاهرة.

من مصنفاته: (قصائد سماها العواطل الخوالي بمدح خير الموالي)[٧].

٤- محمد الزركشي (كان حيا سنة: ٩٣٢هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم ابن لؤلؤ، المعروف بالزركشي، مؤرخ، من أهل تونس.

من مصنفاته: (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) انتهت حوادثه سنة: (٩٣٢هـ)[٨]

الهوامش

١- ينظر معجم المؤلفين (٥/٢٥٥).

٢- ينظر خلاصة الأثر (٢/٢٨٧) والأعلام للزركلي (٣/٢٧٢) ومعجم المؤلفين (٥/٧٦) وهدية العارفين (٣/١٦٩).

٣- ينظر سلك الدرر (٤/٣٢) والأعلام للزركلي (٦/١٨٤) ومعجم المؤلفين (١٠/١٢٤).

٤- ينظر الأعلام للزركلي (٦/٢١٠).

٥- ينظر شذرات الذهب (٦/٢٢٤) ومعجم المؤلفين (١٠/٢٣٩).

٦- ينظر شذرات الذهب (٦/٣٣٥) والأعلام للزركلي (٦/٦١) ومعجم المؤلفين (٩/١٢١) (١٠/٢٠٥).

٧- ينظر الضوء اللامع (٩/٢٠٨) ومعجم المؤلفين (١١/٢٧٣).

٨- ينظر الأعلام للزركلي (٥/٣٠٢) معجم المؤلفين (٨/٢١٤).



محمود مصطفى عبدالواحد
قاص وكاتب مصري

دمعة أب

لماذا لست جميلة يا أبي؟! فاجأت الصغيرة أباها بهذا السؤال الذي لم يخطر بباله من قبل. ابتسم الأب وهو ينظر إليها وعيناه تمتلئان بالحب والشفقة على هذه الصغيرة المسكينة، ثم رد عليها قائلا: من أخبرك هذا يا صغيرتي؟! أنت جميلة، بل جميلة الجميلات.

رفعت الصغيرة عينيها إلى أعلى الغرفة، حيث السقف المملوء بالأنابيب الناقلة للأكسجين، ثم أدارت مقلتيها في أنحاء الغرفة وهي تشاهد أجهزة الإنعاش التي لم تعد تفارقها والمعدات الطبية التي تلازمها أينما ذهبت، ثم قالت: كيف أكون جميلة وقد ذبل جسدي وتساقط شعري، ولم أعد مثل قريناتي؟

دمعت عينا الأب وقلبه يعتصره الألم، ثم أردف قائلا: لا يا حبيبتي، فالجمال لم يكن أبدا بالشكل، فكم من جميل الشكل لكنه قبيح العمل والأخلاق، فأنت وإن كنت ترين قبحا حين تنظرين إلى المرآة؛ إلا أنه يجب أن تعلمي أن المرآة لا تُريك سوى المظهر فقط.

قاطعته الصغيرة قائلة: وكيف أكون جميلة يا أبي وأنا بهذا المنظر؛ فأنا مريضة منذ زمن، ولا يظهر على جسدي سوى الشحوب والهزال؟!

اقترب منها الأب وهو يحاول أن يضمها إلى صدره بشدة، ثم أطبق شفتيه على جبينها وهو يطبع قبلة ممتلئة بحرارة الحب والشفقة على طفلته المسكينة، ثم أخفى ألمه وراء ابتسامة زائفة، وقال: لا يا حبيبتي، إنما الجمال جمال روحك وصفاء قلبك.

ثم مد يديه إلى يديها وحملها بحرص لئلا تنفصل أنابيب المحاليل الموصولة بيديها، ووضع كفها على صدرها وقال: هل تشعرين يا عزيزتي بهذا؟ إنه قلبك الصافي ينبض بكل قوة، ومع كل نبضة يظهر جمالك الحقيقي، فلا تظنين أن مظهرك هو ما يعبر عنك... إنما هذا القلب هو المتحدث باسمك قبل لسانك، وهو الظاهر للعيان قبل وجهك، فدوما يا عزيزتي انظري إلى قلبك كم هو جميل وصاف، وروحك كم هي نقية ووديعة.

تبسمت الصغيرة وهي ترمق أباها، ثم احتضنت أجفانها بعضها ببعض وغطت في سبات عميق ينم عن راحة في داخلها من إجابة أبيها، وما أن غطت في النوم حتى أطلق الأب عينيه للبكاء والنحيب على ما أصاب صغيرته الوحيدة، فهذا المرض الخبيث ينهش جسدها ليل نهار؛ ولا طائل من الأدوية أو العلاجات، هذا المرض الذي أصبح عدوه في الحياة؛ فبالأمس لم يترك زوجته إلا وهي صريعة، والآن يفترس صغيرته من دون رحمة أو هوادة، كم يتمنى أن يحل مكانها وتصبح هي معافاة، وكم تمنى أن يجدها وسط قريناتها تجري وتلعب، لكنه قدر الله يصيب به من يشاء.

امسك يديها بحرارة ووضع رأسه بجوارها، ثم هرب من أفكاره المتعاقبة بالنوم جوارها عله يجد في النوم راحة لم يذقها منذ زمن بعيد!





حسن بن محمد
باحث دراسات إسلامية
تونس

السلام على الأطفال

شرع الله لرسوله محمد ﷺ وللمسلمين تحية تميزهم عن غيرهم من الأمم الأخرى، وهذه التحية يترتب على فعلها الثواب الكبير، كما أنها جعلت حقا من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وبذلك تحولت هذه التحية عادة من العادات المجردة إلى عمل يفعله العبد تقربا إلى الله تعالى واستجابة لأمر رسوله ﷺ.

والتحية في الإسلام تعني السلام، وهو من أحد المبادئ التي كرسها الإسلام في نفوس المسلمين، وبذلك أصبح جزءا من كيانهم ومن عقيدتهم وسلوكهم، ولقد جاء الإسلام لتقوية الروابط الأسرية والاجتماعية، وحرص على غرس روح المحبة والتآلف في نفوس المسلمين ونشر الأمان في أوساط المجتمعات الإسلامية.

ويعتبر إلقاء التحية والسلام بين الناس من أهم أسباب المحبة والتآلف بين المسلمين، بل إن إفشاء السلام هو سر المحبة كما دلنا على ذلك الرسول محمد ﷺ، غير أن اللافت اليوم في جل المجتمعات الإسلامية أن الكثير من الناس، وخاصة من فئة الكبار، لا يسلمون على الصبيان عند الالتقاء بهم، ولا يولون هذه المسألة الكثير من العناية والرعاية، وإن هذا السلوك يعد استخفافا بحقوق الصغار ومشاعرهم، وهو أيضا يعد تقصيرا في حقهم، بل إنه يعتبر تصرفا مخالفا لسنة الرسول ﷺ والذي كان يحرص على السلام على الصغار والكبار على حد السواء، بل إنه كان ﷺ دائما يُبادر بالسلام على الأطفال عند مروره بهم، وذلك لإشعارهم بمكانتهم لديه ويمنحهم بالتالي معنويات عالية تجعلهم يشعرونَ بأن لهم مكانة في المجتمع، وبالتالي يمكنهم التواصل مع الكبار بكل يسر، وهذا من شأنه أن يجعلهم أكثر ثقة بأنفسهم.

غير أن السلام على الصبيان أصبح من السنن المهجورة لدى الكثير من المسلمين، وهم في الحقيقة لا يدركون ما لهذا الخلق النبوي الكريم من أثر إيجابي سواء على شخصية الصبيان أو في تقوية أواصر الثقة والمحبة بين كافة أفراد المجتمع والتي تضمن استقراره وتماسكه، كما أن لهذا السلام عديدًا من الفوائد، ومنها خاصة التربوية، فهو يعد تعليم الصبيان لمحاسن الأخلاق، ذلك أن الصبيان إذا رأوا الكبار ملتزمين بهذا السلوك فإنهم يعتادون على هذه السنة المباركة الطيبة ويسعون إلى تقليدها، بل ويلتزمون بهذا السلوك في حياتهم.

لقد كان الرسول ﷺ يوصي بالمعاملة الحسنة والرحيمة مع الأطفال، وكما حث الوالدين على التحلي بالأخلاق الحميدة والحرص على إلقاء التحية على الأبناء، وأوصى برعاية حقوقهم وتقديم الرعاية لهم وحفظ كرامتهم، وبذلك تكون لدينا أسرة متماسكة وسعيدة.

إن الالتزام بخلق إفشاء السلام على الجميع ومن دون استثناء من شأنه أن يقوي روابط الأخوة والمحبة بين كافة مكونات المجتمع المسلم.



وفيق صفوت مختار
اختصاصي التربية وعلم النفس

مخاوف الأطفال.. المشكلة والحل

يولد الطفل وهو خال تماما من مشاعر الخوف سواء خوفه من أفراد أو أشياء، أو خوفه من سماع أصوات مزعجة، ويظن بعض الناس - وهذا خطأ شائع - أن صراخ الطفل الذي ينبعث منه في لحظات الميلاد وما بعدها دليل على خوفه من البيئة الخارجية الجديدة بعد أن ترك بيئته الداخلية في رحم أمه التي اعتاد عليها وأنس إليها في دفء وهدوء لمدة تسعة أشهر، وهذا غير صحيح علميا، والصحيح أن هذا الصراخ إنما هو بمثابة الشهقة الأولى التي يليها مباشرة «عملية الزفير» عندما تعمل رئتاه لأول مرة، وهذا البكاء هو دليل على صلاحية الرئتين لمده بالأكسجين اللازم لحياته.

وتطور الشعور بالخوف عند الأطفال يكون في مرحلة الرضاعة (من أسبوعين إلى عامين)؛ حيث يعبر الطفل عن الخوف بوضوح، وعلى الأخص إذا خبر العقاب وعرف معناه، حيث يتخذ مظهرا لذلك كالبكاء أو الصياح أو التوقف عن النشاط والانسحاب أو اللجوء إلى ذراعي أمه. كما يظهر انفعال الخوف عند وجود المثيرات الفجائية كالأصوات العالية، أو المرتبطة بالألم، أو عند الشعور بفقدان شخص عزيز كالأم مثلا.

وفي مرحلة الطفولة المبكرة (من ٣ إلى ٥ سنوات)؛ يزداد الخوف أو يقل نتيجة الشعور بالأمن والقدرة على التحكم في البيئة. وتزداد مؤثرات الخوف عددا وتنوعا، فيخاف الطفل بالتدريج من الحيوانات والظلام والأشباح والموت والفشل. ومن أهم مخاوف الأطفال في هذه المرحلة الخوف من الانفصال عن الوالدين.

ويلاحظ العلاقة الوثيقة بين مخاوف الآباء والأمهات ومخاوف الأطفال؛ لأن الطفل يتعلم الخوف مما يخافه الكبار، فهو يقلد والديه وإخوته في خوفهم من الظلام أو الأشباح... إلخ. ويلاحظ أيضا انتقال عدوى الخوف بين الأطفال بصورة غريبة.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى (من ٦ إلى ٨ سنوات)؛ تتغير مخاوف الأطفال في هذه المرحلة، فالخوف من الأصوات والأشياء الغريبة والحيوانات والظلام وغيرها يقل إلى حد كبير ويكاد يختفي ليحل محله الخوف من المدرسة، والعلاقات الاجتماعية، وغياب الأمن اجتماعيا واقتصاديا.

> **الإحساس بالحب والأمن دعامة بناء الشخصية السوية**

مم يخاف الأطفال؟

يتعلم الطفل الخوف من بعض المثيرات وينتابه القلق لظهورها، لكن هذا الخوف لا يعد مرضيا في كل الحالات؛ فبعض المخاوف يكون صحيا ويؤدي وظيفة حيوية، كأن يحافظ الطفل على حياته أو صحته، فإذا خاف الطفل أن يعبر الشارع وهو مزدحم بالعربات المسرعة، أو خاف من الاقتراب من الموقد وهو مشتعل، أو من النظر من الأماكن الشاهقة الارتفاع فإن ذلك يعتبر خوفا طبيعيا يحافظ به على حياته وسلامته. ومن أهم ما يثير مخاوف الطفل هو الخوف من فقدان الحب الذي يتمتع به من قبل والديه، خاصة إذا كان ما يصدر من الوالدين يدعم هذا الشعور لديه. كذلك يرتبط الخوف من فقدان الأمن بالخوف من فقدان الحب، فإذا افتقد الطفل الإحساس بالحب والإحساس بالأمن فقد غابت الدعامة الأساسية التي تبنى عليها الشخصية السوية، وأصبح متعذرا

على الطفل أن يتمتع بالاستقرار الانفعالي فيما بعد.

كما أن قسوة المعلم، واستخدامه للضرب المبرح إلى حد الألم، وتفننه في ابتكار أساليب العقاب من سخرية وتهكم ومعايرة؛ كل هذه الأساليب غير التربوية تؤدي بدورها إلى إثارة مشاعر الخوف والرعب في نفوس التلاميذ الصغار، مما يدفعهم إلى كراهية المعلمين، بصفة خاصة، وكراهية المدرسة، بصفة عامة، وهذا التردي الواضح يحفز الصغار دوما على الهروب من المدرسة، أو التسرب؛ وهو الأمر الذي يؤدي بكل تأكيد إلى إخفاقهم الدراسي ومن ثم رسوبهم في الامتحانات، فيصابون بالاضطرابات النفسية، الأمر الذي يقضي في النهاية على صحتهم النفسية.

وقد اكتسبت الامتحانات المدرسية أهمية قصوى، فأصبحت هي الهدف الذي يسعى إليه التلميذ وولي الأمر وأعضاء هيئة التدريس. ومن المؤسف أن هذه الامتحانات تستخدم كسلاح يتحكم في مستقبل الأبناء، بينما كان من المفروض أن تكون وسيلة لإرشادهم وتوجيههم.

وقد ارتبطت الامتحانات في ذهن التلاميذ بالخوف من الفشل في أدائها، ومن ثم يعانون من حالات نفسية سيئة مما يضطر الآباء - في بعض الأحيان - إلى عرضهم على أطباء الأمراض النفسية والعصبية نتيجة القلق عليهم. وبسبب هذه النظرة الضيقة للامتحانات صارت عملية تقويم التلاميذ في يد المعلم وحده، دون أن يكون لهم ولأولياء أمورهم أي تدخل فيها.

ولذلك نرى أنه يتعين على أجهزة التربية والتعليم في كافة دولنا العربية أن تهتم بتعديل نظرة كل من المتعلمين والمعلمين وأولياء الأمور إلى هدف التعليم وما يترتب على هذا التعديل

الطفل يتعلم الخوف مما يخافه الكبار

من تغيير الجو المدرسي العام، وكذلك النظم والقوانين، الأمر الذي يطمئن التلاميذ - وعلى الأخص الصغار منهم - وبالتالي نجنبهم مغبة الشعور بالخوف الذي قد يصيبهم جراء توقعهم الفشل والإخفاق في الامتحانات النهائية؛ ما يؤدي في النهاية إلى سوء الحالة النفسية للتلاميذ وتدهورها، وهو ما نحذر منه دائما.

نصائح وتوجيهات عامة

ولتجنيب الأطفال الشعور بالخوف؛ نتوجه للآباء والأمهات والمعلمين بالنصائح التالية:

❖ يجب أن يدرك الآباء أو الأمهات أن الحب الذي يمنح للطفل هو السبيل الوحيد الذي يحصنه من الخوف والاضطرابات النفسية، فالطفل في حاجة دائمة إلى الحب والحنان والرعاية.

❖ لما كان الخوف سلوكا متعلما، وهناك ارتباط كبير بين مخاوف الأطفال ووالديهم؛ فإنه يتحتم على الوالدين أن يتحليا بروح الاطمئنان والهدوء، وألا يفزعا ولا يجزعا أمام أطفالهما حتى لا ينتقل هذا الخوف أو الفزع إليهم.

❖ أن نوضح لأطفالنا أن الامتحانات المدرسية، ما هي إلا تقييم لعمل جاد ومتواصل على مدار العام، وأنها وسيلة وليست غاية - كما يعتقد - وذلك لإظهار جوانب التفوق والنبوغ، كما أنها وسيلة لاكتشاف نواحي القصور لتلافيها مستقبلا، وأن الخوف من الفشل أو الرسوب فيها لن ينال إلا أولئك الأطفال المهملين الذين لا يؤدون واجباتهم على أحسن وجه، ومما يساعد على ذلك هدوء الآباء الانفعالي وبالأخص في أيام الامتحانات، والابتعاد عن الشحن المعنوي المبالغ فيه، وعلى المعلمين كذلك عدم تخويف الأطفال من الامتحانات كأن يلوحوا لهم بصعوبتها أو تعقيدها ومن ثم حتمية الرسوب فيها.

❖ أن نعطي للأطفال تفسيرات مقبولة لكل الوقائع والأحداث التي يرونها غريبة، وأن نجيب على أسئلتهم، التي قد تكون بدافع الخوف، بكل هدوء حتى نعيد إليهم ما يفتقدونه من طمأنينة وأمان.

❖ ألا يسخر الوالدان من الأطفال إذا عبروا عن خوفهم من أحد الأشياء أو الأشخاص، بل يجب أن نقف بجانبهم ونطمئنهم حتى يذهب عنهم الخوف ويتلاشى، فما يخيف الأطفال لا يخيف الكبار قطعا.

❖ عدم قص القصص المخيفة للأطفال سواء بقصد التسلية أو بقصد إخافتهم، وبالأخص عندما تعمد بعض الأمهات لتخويف أبنائهن لإجبارهم على الطاعة، أو لكي يذهبوا إلى الفراش للنوم فتتابعهم الأحلام المزعجة والكوابيس التي تؤرقهم.

❖ عدم الالتجاء إلى الأسلوب الديكتاتوري سواء في البيت أو المدرسة والذي يقوم على الاستبداد والنظر إلى الأفراد على أنهم آلات صماء، وفرض النظم الجامدة التي تقتل الحرية، وتجبر أفرادها على الطاعة العمياء دون إبداء الرأي، حتى لا يشب الأطفال وقد تسربت إلى تصرفاتهم وسلوكياتهم روح الجبن والخنوع.

❖ أن يستبدل المعلم أسلوب االتشجيع ... بالخطأ بأسلوب التهكم.... المبرح، بغرض المشاركة في تحسين حالة تلاميذه، لا من أجل توبيخهم وتجريحهم.

❖ أن يتسع صدر المعلم للاستماع لمشكلات تلاميذه، ويحاول المساعدة في حلها، وذلك بالتعاون مع الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين.



محمد عباس عرابي
باحث تربوي وأكاديمي - مصر

دور الأسرة في تعليم وتدريب الأطفال على تحمل المسؤولية

للأسرة دور كبير في تعليم وتدريب الأطفال على تحمل المسؤولية، فالطفل في الأعوام الأولى من عمره يكون مستعدا لتقبل دروس بسيطة في تحمل المسؤولية، ويحاول هذا المقال بيان «دور الأسرة في تعليم وتدريب الأطفال على تحمل المسؤولية».

بداية يمكن للأسرة أن تبدأ في تحميل الأطفال المسؤوليات في وقت مبكر خاصة عندما يظهر الأطفال الرغبة في ذلك فتشجعهم عليها، ولا تمنعهم أو تثبطهم لصغر سنهم، فإنه لا توجد سن معينة يبدأ فيها تحميل الطفل المسؤوليات.

إن تحمل الأطفال المسؤوليات، والاعتماد على أنفسهم يأتي من إحساس الأطفال بالأمان، ومن إتاحة الفرصة لحرية الأطفال، فلا يمكن أن يأتي تحمل الأطفال المسؤوليات، والاعتماد على أنفسهم بالضغط أو القهر.

الأعوام الأولى للطفل وتحمل المسؤولية

إن الأطفال في الأعوام الأولى من عمرهم يكونون مستعدين لتقبل دروس بسيطة في تحمل المسؤولية، والمهم أن تتعرف الأسرة على مدى استعداد الأطفال ورغبتهم في تحمل المسؤولية، ثم مساعدتهم وتشجيعهم على ذلك، وتهيئة الفرص، وتوفير الخبرات التي يمر بها الأطفال ليتعودوا على تحمل المسؤولية.

وأفضل توقيت لتعليم الطفل تحمل المسؤولية عندما يبلغ عامه الأول ويحاول إطعام نفسه، فالطفل هنا لا يستمتع باللعب بالطعام، أو وضع جزء منه في فمه، ولكنه يبدأ في نفس الوقت محاولة الاعتماد على نفسه في قضاء حاجته، وهذه خطوة أولى في سبيل تحمل المسؤولية؛ لذا فعند رغبة الأطفال في إطعام أنفسهم يجب على الآباء تشجيعهم.

ويجب على الأسرة إعطاء الفرصة للطفل ليبرز قدراته لحل مشكلاته الصغيرة في عالم الطفولة، فلا تنبري لحل كل ما يوجهه من المشكلات المختلفة، فإن شخصية الطفل الصغير تنمو بشكل أفضل من خلال مواجهة الطفل للصعوبات المختلفة وتغلبه عليها، فيكون ذلك دافعا له إلى مزيد من الجهد والعطاء، وليس معنى هذا أن يترك الطفل وشأنه في مواجهة جميع المشكلات؛ بل يساعد ويؤخذ بيده للوصول إلى أفضل حل للمشكلة، خاصة إن كان حلها صعبا لصغر سنه، وقلة خبرته.

تدريب الطفل على تحمل المسؤولية

يمكن للآباء والأمهات البدء فورا في تعليم طفلهم تحمل المسؤولية، والصبر عليه حتى يتم تدريبه، وقد يستغرق ذلك شهورا طويلة، وعليهم ألا يستعجلوا أو ييأسوا من تدريب طفلهم على ذلك، فإن أهم جزء لنجاح برنامج التدريب هو المثابرة من جانب الوالدين، وتكرار البرنامج حتى يعتاد الطفل أن يؤدي أعماله بنفسه ويتحمل المسؤولية.

ويمكن للأسرة تدريب طفلها بعد سن التمييز على تحمل المسؤولية من خلال تكليفه إدارة ما يملك من النقود، كأن يتولى شراء بعض الحلوى مثلا من دكان قريب من المنزل، فيتعلم حسن إدارة ما يملك، فيتأهل لواقع الحياة الاقتصادي، إلى جانب أنه يحس بنشوة عظيمة حيث يتولى هو بنفسه شراء ما يريد فترتفع معنوياته وتزيد ثقته بنفسه.

وينصح الخبراء المختصون الآباء والأمهات بملاحظة أول محاولة يقوم بها طفلهم لأداء أي عمل بنفسه، وأن يشجعوه على تكرار ما فعله، كما يؤكدون أن الطفل الذي يحظى بالأمان والطمأنينة في مراحل عمره المبكرة يكون أميل إلى معرفة أخطائه، وإلى تعلم التسامح، وإلى الاستعداد لتعلم أساليب جديدة تساعده على تحمل المسؤولية، حيث إن الحب والحنان أساسيان لكل نمو طبيعي؛ لكي يصبح الطفل متحملا للمسؤولية مستقبلا.

تحمل الطفل أعباء أخطائه

أما في مجال تحمل الطفل أعباء أخطائه؛ فيجب على الأسرة تدريب الطفل على تحمل مسؤولية ما يقوم به من أعمال ليؤهل للجزاء، فيستيقن أنه مجازى بما يعمل؛ ليتعلم أن أعماله التي يقوم بها هو المسؤول الأول عنها أمام الله، وأنه سوف يسأل عنها، فيسهل عليه اعتقاد ذلك والتيقن به، فإنه قد تدرب عليه من قبل في أمور بسيطة فكيف بالأمور العظام الجسام.

ويجب أن تلاحظ الأسرة في تحميل الطفل تبعات أخطائه أن يكلفه ويحمله الأخطاء التي ارتكبها عمدا، أو بتفريط منه، أما الأخطاء التي وقعت له بدون قصد، أو سابق إرادة، فإنه لا يعاقب على ذلك، بل يشرح ويبين، ويؤمر بأخذ الاحتياط في المستقبل، كما يجب للأسرة أن تثبت للطفل بعد اعترافه بخطئه وتحمله لتبعاته ونجاحه في ذلك فتعطيه هدية، أو تظهر له الثناء على عمله، وأنها راضية عنه، وذلك لئلا يشعر الطفل بأن أسرته تكرهه، أو تحقد عليه، بل يتعلم أن خطأه هذا هو الذي جر عليه غضب أسرته، وأن تحمله أعباء خطئه وإصلاح ما أتلف أعاد له رضا أسرته عنه مرة أخرى.

المراجع

– عدنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

– محمد كامل عبدالصمد، طفلك الصغير هل هو مشكلة؟ المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩٨م.

– مواهب إبراهيم عياد، نمو وتنشئة الطفل من الميلاد حتى السادسة، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠١م.



محمد فريد فراج
المدير العام لمؤسسة طفرة للبحث العلمي

إكرام ذي الشيبة من أخلاق الإسلام

«مكارم الأخلاق» ركن ركين في رسالة النبي ﷺ، بلغ تعظيمه لها وصفها بأنها سبب بعثته ﷺ إذ يقول: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(١).

ألا ومن أعظم مظاهر الأخلاق التي بعث النبي ﷺ لإتمامها «إكرام ذي الشيبة» أو إكرام المسلم لمن هو أكبر منه سنا بصورة عامة؛ وذلك لقوله ﷺ: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا»(٢).

ولا ريب أن تعبيره ﷺ «فليس منا» كاف شاف لبيان منزلة احترام الكبير في الإسلام! ولذلك فقد حكم الإسلام بمن يتجاهل هذه المنزلة بحكم عظيم، وهو:

نفاق من لم يحترم ذا الشيبة

كما قال أبو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه في صفات المنافق: «ثلاث لا يستخف بحقهن إلا منافق بين نفاقه: الإمام المقسط، ومعلم الخير، وذو الشيبة في الإسلام»(٣)، وهو موقوف له حكم الرفع إذ لا مجال فيه للاجتهاد.

ألا فما أكثر المنافقين الذين لا يحترمون شيبة المسلم ولا علمه، نعوذ بالله من النفاق وأهله.

ولاحترام ذي الشيبة مظاهر نذكر بعضها

أحقية الكبير بالإمامة

كما في الحديث عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه؛ قال: قال النبي ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلما، ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه»(٤).

وفي رواية: «فليؤمهم أكبرهم سنا»، مكان: «فأقدمهم سلما» أي: إسلاما.

فمسوغات الإمامة أربعة: العلم بالقرآن، والسنة، والهجرة أو المناقب، فإن استوى اثنان في هذه الأمور الثلاثة يقدم أكبرهما سنا، وفيه بيان احترام الإسلام للسن.

ومن المواقف التطبيقية لهذا الحديث ما جاء عن مالك بن الحويرث؛ قال: أتى رجلان النبي ﷺ يريدان السفر. فقال النبي ﷺ: «إذا أنتما خرجتما، فأذنا، ثم أقيما، ثم ليؤمكما أكبركما»(٥).

فهذان رجلان هاجرا للنبي ﷺ في ساعة واحدة، وتعلما قدرا متساويا من القرآن والسنة، فاستويا بذلك في الأمور الثلاثة، فرجح النبي ﷺ بينهما بالسن.

الصف الأول

كما في الحديث عن عقبة بن عمرو أبي مسعود رضي الله عنه؛ قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «استووا، ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال أبو مسعود: «فأنتم اليوم أشد اختلافا»[6].

«يعني: العقلاء الفضلاء الذين يحفظون عنه صلاته، ويعون ما يكون منه في صلاته، وكذلك ينبغي أن يكون في الصف الأول من يصلح أن يلقنه، ومن يصلح أيضا للاستخلاف في الصلاة»[7].

فإذا استوى الناس في المسوغات الثلاثة السابقة يقدم أسنهم للصف الأول خلف الإمام.

المشورة بشرط العلم والفقه

وتأمل قول كعب بن مالك حاكيا بيعة العقبة الثانية؛ قال: «خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا،... وقال ﷺ: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم»، فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم[8].

فتأمل الاحترام والتبجيل من كعب في حديثه عن البراء بن معرور، لسنه وشيبته فيهم!

ولا ريب أن الكبير المقصود هنا الذي اقترنت سنه بالعلم النافع، والخبرة العريقة، وليست السن المصحوبة بالحمق والجهالة عياذا بالله.

ومن أمارات عقل البراء رضي الله عنه أنه كان أول من بايع النبي ﷺ في بيعة العقبة، وكان نقيبا لبني سلمة، وأوصى بثلث ماله للنبي ﷺ، وهو أول من أوصى بالثلث[9]. وهذا كله من أمارات فقهه وعلمه وحكمته رضي الله عنه.

تلقي السلام

وذلك للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النبي ﷺ؛ قال: «يسلم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»[10].

فإذا تقابل اثنان كان أولاهما بإلقاء السلام الصغير، وأحقهما بتلقيه الكبير.

بدء الكلام

ويظهر ذلك الحق عندما أراد محيصة أن يتكلم فأبى النبي ﷺ سماعه، وقال: «كبر كبر»، يريد السن، فتكلم حويصة أخوه، ثم تكلم محيصة...»[11].

بدء الطعام

كما جاء في الحديث عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده. وإنا حضرنا معه مرة طعاما، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده.

فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدها»[12].

ومن الأدب والأخلاق أن يبدأ الطعام أعلم القوم، وإلا فرب الأسرة، وإلا فأكبرهم سنا.

الهوامش

١- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣).

٢- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٦٧٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٤)، وأبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (٣٥٥).

٣- (حسن) رواه ابن أبي شيبة (٣٢٥٦٢). (٥١)، والطبراني في الكبير (٧٨١٩).

وهو ضعيف لأمور، منها:

فيه: أبو عبدالملك على بن يزيد بن أبى هلال الألهاني، أو الهلالي، ويقال أبو الحسن الدمشقي: ضعيف.

وفيه: عبيد الله بن زحر الضمري مولاهم الإفريقي: ضعيف، له مناكير.

وأورده ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٨٩٨)، وقال: «ومن حديث جابر رضي الله عنه... الحديث». ولم أقف على هذا المتن منسوبا لجابر رضي الله عنه، ولعله وهم والله أعلم.

٤- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٧٠٦٣)، ومسلم (٦٧٣).

٥- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٥٥٩٨)، والبخاري (٦٣٠)، ومسلم (٦٧٤).

٦- (حديث صحيح) رواه الإمام أحمد (١٧١٠٢)، ومسلم (٤٣٢).

٧- انظر: الاستذكار (٢/٣١٠)، المسالك في شرح موطأ مالك (٣/١٤٤).

٨- (حسن) رواه الإمام أحمد (١٥٧٩٨).

٩- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (١/ ٤٣).

١٠- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٨١٦٢)، والبخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).

١١- انظر القصة كاملة بحديث صحيح: رواه الإمام أحمد (١٦٠٩١)، والبخاري (٣١٧٣)، ومسلم (١٦٦٩).

١٢- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٢٣٢٤٩)، ومسلم (٢٠١٧).



إحسان عبدالعزيز الدبش
باحث تربوي - سوريا

أهم صفات العلاقة الزوجية الناجحة

قال الله عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان:٥٤). الإنسان مخلوق من ماء، ثم جعله ربنا تبارك وتعالى نسبا وصهرا. وذكرهما دليل على أهمية المصاهرة وقيمتها بحيث تنشأ بالزواج صلات جديدة من صلة الرحم. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «الرحم معلقة بالعرش، تقول وصل الله من وصلني وقطع الله من قطعني».



أهم صفتين في الزوج: (القوة والأمانة)

في قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (القصص:٢٥-٢٧).

تعتبر قصة موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم، أطول قصة في القرآن الكريم. ذكرت في العديد من سور القرآن بشكل مختصر وبشكل مفصل، لما فيها

من عظات وعبر، في مختلف مراحل حياة موسى عليه السلام، منذ ولادته، ثم فتوته، ثم شبابه، ثم تكليفه بالرسالة من لدن رب العالمين ودعوته فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومن ثم معاناته مع بني إسرائيل عندما أمرهم بدخول القرية، لما كتب الله عليهم القتال فتقاعسوا ورفضوا، وغير ذلك من الأحداث الهامة. ففي كل مرحلة من مراحل حياة موسى عليه السلام دروس وعبر كثيرة، منها الواردة في الآيات المذكورة أعلاه.

صفات الرجل الناجح التي تؤهله ليكون زوجا لفتاة سليمة الدين والخلق تدرك معاني الرجولة الحقيقية، أهمها صفتا القوة والأمانة. صفة القوة: صحيح أن سياق الآيات في هذا الموقف يشير إلى القوة الجسمية، لكن ألا تشير شخصية موسى عليه السلام في سياق قصته في القرآن الكريم إلى أنه يمتلك أنواعا أخرى من صفات القوة بمعناها العام؟ قوة الإيمان والتقوى، قوة في الدعوة إلى الله عزوجل، قوة الكسب وتأمين الرزق، قوة في إعانة الآخرين، قوة في الدفاع عن الحق وإزهاق الباطل، قوة في الأخلاق.

صفة الأمانة من أهم الصفات في التعامل الإنساني. الإنسان المسلم أمين على دينه فلا يفرط فيه، أمين على أهله فلا يستهتر بهم، أمين على عرضه يحافظ عليه، أمين على ما عنده من مال ومتاع، وإن كان في موقع مسؤولية – مهما كانت درجة هذه المسؤولية – فهو أمين على حقوق الناس فلا يضيعها ولو كانوا غير مسلمين. وغيرها من الصفات الحميدة التي دعت خديجة رضي الله عنها لاختيار الرسول ﷺ زوجا لها حيث قالت للرسول ﷺ «إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك»[٢].

أهم صفتين في الزوجة: (الودود الولود)

أما صفات الزوجة التي يهدي الرسول ﷺ لاختيارها فهي الودود الولود. و فيما يلي بعض الأحاديث النبوية عن صفات هذه الزوجة.

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات منصب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه ثانية، فنهاه، ثم أتاه ثالثة، فقال عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الأمم»[٣]. (والودود المحب)[٤]. (الودود: هي المرأة التي تتودد إلى زوجها وتبذل طاقتها في مرضاته[٥]).

– وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها، وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»[٦].

– وفي الحديث: قيل للنبي ﷺ أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها، ولا مالها بما يكره»[٧]. وبمناسبة قول رسول الله ﷺ: «ولا مالها بما يكره».

قال ﷺ: «ليس للمرأة أن تنتهك شيئا من مالها إلا بإذن زوجها»[٨]. تنتهك: انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل[٩]. أي ألا تتصرف بمالها إلا بإذن زوجها.

قال ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، وتقول لا أذوق غمضا حتى ترضى»[١٠].

وصلاح الزوجة نوعان: الأول؛ بينها وبين ربها بأدائها العبادات وارتدائها الحجاب وغيرها من الواجبات. أما الثاني؛ في الحياة الزوجة، فتستلزم الصلاح بينها وبين زوجها. بيّن ذلك رسول الله ﷺ لأسماء بنت يزيد رضي الله عنها لما لاحظت أن الرجال يقومون بأعمال كالجهاد وحضور الجمع والجماعات وغيرها من الأعمال ينالون فيها ثوابا لا ينال مثله النساء، قال لها ﷺ: «حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله»[١١] يعدل ما خص به الرجل من مميزات عن المرأة فيما ذكرته أسماء في حديثها مع رسول الله ﷺ. المرأة الصالحة تصبر على قلة زاد زوجها حتى يوسع الله عليه، المرأة الصالحة تحترم زوجها وتمسك لسانها عن إيذائه، المرأة الصالحة لا تجعل ديدنها الطعن في زوجها وأهله لأنه لم يحقق لها كل رغباتها فتشوه سمعته بين معارفها، المرأة الصالحة تعرف حدودها فلا تتدخل في كل شاردة وواردة من شؤونه الخاصة، المرأة الصالحة تعتني بزوجها فلا

تهمل مأكله ومشربه وملبسه وراحته، المرأة الصالحة لا تتمسك بكل آرائها وتهمل رغباته وطلباته مهما كانت صغيرة بنظرها، المرأة الصالحة تحفظ له ماله فلا تهدره، المرأة الصالحة تشعره أنه أفضل إنسان عندها. المرأة الصالحة لا يهمها أين حل وارتحل بها - خاصة لكسب. طالما يبحث عن رزقه بشرف وكرامة ويبتغي مرضاة ربه. تزوج موسى عليه السلام ابنة الرجل الصالح وعمل في خدمته ثمنا لمهرها، لم تعترض زوجته على الرحيل وسارا معا على بركة الله عائدين إلى مصر. ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ (القصص:٢٩) المرأة الصالحة تجعل بيتها روضة من رياض الجنة على الأرض، ترفرف عليه أعلام السكينة والمودة والرحمة.

نتائج الصفات الحسنة لكلا الزوجين

إذا كان الرجل توافرت فيه صفات (القوة والأمانة والرفق بزوجته) والمرأة تحققت فيها صفات (الودود العؤود المطيعة لزوجها) تلاقى الطرفان على القيم الفاضلة ونتج عن ذلك السكينة والمودة والرحمة وأصبح بيتا آمنا يسوده الاستقرار والسكينة. فلا مشاحنات ولا مشاجرات ولا قلق ولا اضطراب ولا إزعاج. وتحقق قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١) يشرح الإمام القرطبي ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ ناقلا عن ابن عباس: «المودة: حب الرجل امرأته، والرحمة: رحمته إياها أن يصيبها سوء»[١٢]. وفي تفسير ابن كثير «مودة وهي المحبة والرحمة وهي الرأفة. فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها أو لرحمته بها، بأن يكون له منها ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما»[١٣]. وذكر الأستاذ نعيم سلاموني في شرح المودة والرحمة ما يلي: «المودة مطلوبة في السراء والرحمة في الضراء. والمودة هي اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والألفة والتآلف. والرحمة: هي التسامح والمغفرة وسعة الصدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة وكظم الغيظ والعطاء بلا حدود والتحرر من الأنانية. وتظل السعادة مستمرة ما استمرت المودة والرحمة.. وما لحظات العنف إلا لحظة جفاف كامل للمودة والرحمة وانتزاعها من القلب»[١٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ (الأعراف:١٨٩). يشرح ابن كثير السكن بقوله: «أي يألفها. فلا ألفة أعظم مما بين الزوجين. ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه» - إشارة إلى الآية رقم ١٠٢ من سورة البقرة. فالسكينة وما جعل الله بين الزوجين من مودة ورحمة من آيات الله في الأنفس، فهذه السكينة وهذه المودة والرحمة ليست حالة مؤقتة يعيشها الزوجان بضعة أيام أو بضعة أسابيع أو بضعة أشهر. وإنما هي حالة دائمة ومستمرة. فيصبح بيت الزوجية بناء على ذلك وكأنه روضة من رياض الجنة.

الهوامش

١- صحيح مسلم / ٢٥٥٥.
٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة ٨٠/٧ لابن الأثير الجزري.
٣- السنن الكبرى للنسائي/ ٥٣٤٢.
٤ - مختار الصحاح/٧١٤.
٥- فقه السنة ٤٤/٦.
٦- مشكاة المصابيح نقلا عن أبي نعيم / ٣١٥.
٧- النسائي/ ٥٣٤٣.
٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة/ ٧٧٥، للشيخ الألباني. هذا الحديث من الأحكام التي قليل من الناس من يعلمها، وبشرط أن يكون الرجل عاقلا يحسن المشورة لزوجته في مالها. أما إن كان غير ذلك فلكل حادث حديث.
٩- مختار الصحاح/ ٦٧٢.
١٠- شعب الإيمان/ ٨٧٣٢، (العؤود) مبالغة اسم الفاعل عاد. و(لا أذوق غمضا) بالكسر: ما نمت. (وما أغمضت عيني): أي ما أنام.
١١- البيهقي في شعب الإيمان/ ٨٧٤٣ - التبعل: حسن العشرة.
١٢- تفسير أحكام القرآن ٤٨٢/٧.
١٣- تفسير القرآن العظيم ٤٢٩/٢.
١٤- في باب أسرتي من مجلة الوعي الإسلامي ٥٤٨/ ٦٨ المقال بعنوان (المال والشهرة.. هل يكفيان للأسرة).

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



إعداد: هشام الصباغ

الشيخ عبدالله النوري

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

كان النوري من علماء الكويت الذين أضاءوا الطريق لمن جاءوا بعدهم؛ قولا وعملا، فكان ولم يزل قدوة حسنة في العالم العربي وخارج حدود العرب، وأصبح بما قدمه من إحسان حيا في تاريخ الوطن العربي وفي قلوب الناس.

النشأة

■ نشأته في أسرة متدينة شغوفة بالعلم ومحبة للدين جعلت منه خطيبا مفوها، وداعية مرشدا، ومرجعا دينيا موثوقا في الدولة ومحبوبا بين الناس، فكان رحمة الله عليه من أعلام الهدى.. إنه الشيخ عبدالله بن محمد النوري.

■ ولد الشيخ النوري فجر الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٣٢٣هـ، الموافق ١٧ مايو ١٩٠٥م. ومنذ صغره تعهده والده بالقراءة والكتابة فختم القرآن وهو في الثامنة من عمره.

■ قرأ كتب الفقه الحنبلي والنحو على يد والده العالم العامل الفقيه الشيخ محمد النوري، الذي توفاه الله في سنة ١٩٢٧م، بعدها لازم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ودرس على يديه الفقه الحنبلي.

حياته العملية

■ اشتغل في التدريس، ثم انتقل إلى التجارة، ثم تركها وعاد مدرسا في مدرسة العجيري، ثم المدرسة المباركية، ثم المدرسة الأحمدية، ولم يكن قد أكمل العشرين من عمره ومن تلاميذه من هو أكبر منه.

■ في عام ١٩٢٦م عين كاتبا في المحكمة، ثم تدرج حتى أصبح رئيسا

للكتاب، ثم اختاره رئيسها الشيخ عبدالله الجابر سكرتيرا خاصا له، وقد أسندت إليه وهو في المحكمة مهمة التدريس بالمعهد الديني.

■ في عام ١٩٥٣م تولى إدارة إذاعة الكويت فأدخل فيها برامج متنوعة، منها برنامج «الدين النصيحة»، وبرامج صحية كان يعدها ويقدمها بنفسه، وبرامج للأطفال يغرس فيهم مبادئ الدين القويم.

لجنة الفتوى

■ في سنة ١٩٦٥م تشكلت لجنة للفتوى من وزارة الأوقاف وكان الشيخ عضوا فيها، وفي ثاني تشكيل لهذه اللجنة صار الشيخ رئيسا لها. كما عين مفتشا ومرشدا عاما لأئمة المساجد.

■ تولى إعداد وتنفيذ حلقات تلفزيونية أسبوعية كل خميس على شكل سؤال وجواب كانت ولادة لبرنامج عظيم تحت عنوان «مع الدين» الذي اكتسب شعبية واسعة داخل الكويت وخارجها.

مسجده وبيته

■ في المسجد كان له درس يومي بعد صلاة العصر في تفسير القرآن.. وبيته الكبير كان يضج بالحياة ففيه الموائد دائمة للفقراء والضيوف، وفيه كان يستقبل في المساء الناس بعد صلاة العشاء لحل مشكلاتهم والإصلاح بينهم.

مدرسة إسلامية بأستراليا

■ في عام ١٩٧٠م ترك وظائفه الحكومية وبدأ يتجول في البلاد التي تعيش فيها أقليات مسلمة ليتفقد أحوالهم ويتلمس احتياجاتهم حاملا معه الأموال لتوزيعها على المدارس والمستشفيات هناك بالتعاون مع جمعيات إسلامية معتمدة.

■ عند سفره إلى أستراليا لتفقد أحوال الجالية الإسلامية، التقى مسؤولي الاتحاد الإسلامي الذين طرحوا عليه فكرة إنشاء مدرسة إسلامية بمدينة سيدني، فلاقت الفكرة استحسانا لديه، فجمع التبرعات اللازمة ثم باشر من فوره في إنشائها، لكن الله توفاه قبل أن ترى المدرسة النور، فأكمل أولاده والجمعية التي حملت اسمه (جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية) بناءها، وأصبحت فيما بعد مدرسة نموذجية يؤمها أولاد المسلمين في أستراليا وافتتحت عام ١٩٨٩م.

إرثه العلمي

■ سعة أفقه جعلته من عشاق الكتابة فكتب في الخطب والمواعظ والتفسير والفتاوى والرحلات والأسفار والشعر والتراث والتاريخ الشعبي، ومنها: «الرشد» و«شهر في الحجاز» و«المنبر» و«ديوان من الكويت» و«قصة التعليم في الكويت» و«الأمثال الدارجة في الكويت» و«قطف الأزهار» و«البهائية سراب» و«أحاديث» و«من غريب ما سألوني».

■ كما ترك الشيخ مكتبة عامرة بكتب الفقه والحديث وعلوم الدين والدنيا، ضمت ما يزيد على سبعة آلاف كتاب ينتفع بها الآن كثير من طلاب العلم.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب «القرآن والعرب» (العدد ٢٤، ذو الحجة ١٣٨٦هـ، مارس ١٩٦٧م)، و«كلكم راع ومسؤول عن رعيته» (العدد ٢٨، ربيع الثاني ١٣٨٧هـ، يوليو ١٩٦٧م)، و«بالعمل الصالح تطيب الحياة» (العدد ٣٣، رمضان ١٣٨٧هـ، ديسمبر ١٩٦٧م)، و«الحب في الإسلام» (العدد ٩٩، ربيع الأول ١٣٩٣هـ، أبريل ١٩٧٣م).

وفاته

■ في نوفمبر ١٩٨٠م وأثناء تفقده مشروع مدرسته بأستراليا أحس الشيخ بآلام في جسده فعاد إلى الكويت وأُدخل على إثرها مستشفى الصدري. وفي يوم السبت ١١ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٨١م فقدت الكويت الشيخ عبدالله النوري، طيب الله ثراه، وشيع جثمانه يوم الأحد.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢٤ و٢٨ و٣٣ و٩٩.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير الأهرام
مصر

خطوات واقعية ومجربة لحياة أفضل تستحقها

سارع بتغيير ما يعطلك

يكتفي كثيرون بالشكوى، مما يحرمهم من النجاح في الحياة. ويحسم قليلون أمرهم، ويغيرون ما يستطيعون تغييره لإسعاد أنفسهم، وليتمكنوا من إسعاد من يحبونهم وليؤدوا أدوارهم في الحياة بأفضل ما يمكنهم.

يشمل التغيير تحسين النواحي الدينية والاجتماعية والنفسية والعمل وكل ما يمس الحياة.

يخاف البعض من التغيير، والخوف من التغيير مطلوب؛ لمنع التسرع ولحسن التخطيط، ومرفوض إذا كان بسبب الخوف من الفشل أو للشعور بصعوبته أو لأنه سيكون مجهدا.

والمؤكد أن التغيير للأفضل عندما ينجح «يذيب» أي مجهود تحملته لتفوز به، وهو «المهر» الذي تقدمه لنفسك لتتنفس النجاح بحياتك والرضا «الذكي» عن نفسك.

التغيير يعني التخلي برغبتك عما اعتدته من تفكير وتصرفات واستبدال ما يفيدك بذلك.

يبدأ التغيير بالعقل أولا، حيث تزرع الاحتياج الشديد له وتكره الرجوع عنه.

ولا يعني التغيير أنك لم تنجح، ولكن السعي لتكون أفضل مطلوب، دينيا ودنيويا، ويتجدد بكل مراحل العمر، فدوما تستطيع، بعون الله بالطبع، أن تتحسن.

وإليك الخطوات المجربة لتغيير ناجح بفضل الرحمن:

- لتكن نيتك أن تكون خيرا وأحب إلى الله كما جاء في الحديث الشريف.
- جدد دائما الاستعانة بالرحمن والتبرؤ من حولك وقوتك ثم اليقين في نجاحك.
- لا تتغير لإرضاء أحد؛ حتى لا تتوقف عندما لا تجد رد فعل يرضيك ممن تتغير لأجله، بل افعل ذلك لنفسك ولأنك «تستحق» التغيير.
- اكتب أهدافك من التغيير ولا تخبر بها أحدا، واقرأها يوميا لتجدد حماستك ولتقوي معنوياتك ولتتعامل بمسؤولية عن تنفيذك لها.
- افرح بمزاياك حاليا، وإن قلت. واحتفل بإنجازاتك، وإن كانت لا ترضيك، واعتبرها وقودا لمزايا وإنجازات أكثر.
- لن تتغير في يوم وليلة وستستغرق



وقتا مع الاهتمام بالمتابعة، فكن صبورا.

● لا تحاول التغيير في الكثير من جوانب حياتك في الوقت نفسه؛ فلن تتمكن وستحبط نفسك.

● اختر أهم ٣ أمور تريد تغييرها، وركز عليها حتى تنجح ثم انتقل لغيرها.

● اكتب لنفسك ما تريد تغييره فكلنا لدينا أساليب في التفكير أو تصرفات نريد تغييرها أو الاثنان.

لا تحرم نفسك

● كافئ نفسك معنويا وماديا عند أي تحسن، ولو كان بسيطا؛ فالمكافأة ستمنحك الانتعاش وتجدد عزيمتك، ولكن لا تكتف بها أبدا.

● عندما تتراجع، وهذا يحدث كثيرا، لا تعتبره النهاية، وسارع بالبدء من جديد؛ لأنك تستحق حياة أجمل، ولن يصنعها غيرك بعد الاستعانة بالرحمن بالطبع.

● اسعد بأنك «تسعى» للتغيير وأنك تحارب السلبية، واحترم ذلك، وستتضاعف قدراتك بإذن الوهاب، واشكر الرحمن فسبحانه هداك لذلك.

● البعض يكتفي بتحقيق هدف صغير، وآخرون لا يلتقطون الأنفاس إلا بعد الانتهاء من الأهداف الكبيرة، وكلا الموقفين خطأ.

● السعي من أجل التغيير ليس سهلا والأصعب «حرمان» النفس منه والندم لاحقا.

● ستتراجع كثيرا، ليس لصعوبة التغيير، ولكن «لاعتيادك» على القديم، فتنبه، وعد للتغيير بحماس ووعي ويقظة أكبر ومثابرة.

● حتى تحسن اختيار أولويات التغيير راقب نفسك جيدا، وتعرف على أهم مزاياك لتزيدها، وأهم عيوبك - وكلنا لدينا عيوب - لتقلل منها برفق بالنفس وبحزم أيضا.

● اكتب المواقف التي «تخسر» فيها بسبب التفكير أو التصرفات، واعمل على تقليلها ما استطعت؛ كالعصبية وكثرة تناول الطعام والمبالغة بالاختلاط أو العزلة.

● لا تنس التعرف على أهم أحلامك وأهدافك بالحياة لتضع كل ذلك في خطط:

الأولى قصيرة؛ وتتضمن القليل من التغيير في كل مجال.

والثانية متوسطة؛ تتراوح بين عام وعامين.

والثالثة من ٣ أعوام إلى ٥ أعوام.

● احرص على أن تشمل الخطط الثلاث الاهتمام بنفسك دينيا وصحيا ونفسيا؛ لتتحسن قدراتك الذهنية والعقلية، ويقل الإرهاق وتزداد فرصك بتغيير ناجح.

اربح واسعد

● تذكر الاهتمام بتحسين مظهرك؛ فهو «سفيرك» الذي يقدمك للآخرين وسيسعدك الفوز بمظهر جيد.

● قم بتغييرات بسيطة ببيتك أو مكتبك أو حجرتك وستدخل البهجة إلى قلبك وتشعرك برضا جميل تستحقه.

● لا تكلف نفسك ماديا فوق طاقتك فتجهد نفسك وتعطل التغيير.

● لا تمارس التغيير بجدية زائدة، ولا تتهرب من مسؤولياتك، وكن وسطا لتربح وتسعد.

● لا تنس؛ التغيير ممكن في كل الأعمار وبجميع الظروف وبدرجات متفاوتة بالطبع؛ وما لا يدرك كله لا يترك كله.

● لا تنتظر ولا تبحث عمن يدعمك، هي حياتك وحدك، قد يساعدك يوما ثم يفتر حماسه أو يفرض عليك شروطا لا تحبها.

● الأهم أن اعتمادك على الدعم الخارجي «يقلل» من ثقتك بنفسك ومن عزيمتك.

● استعن بالله ولا تعجز أبدا.

● لا تبحث عمن يشاركونك الرغبة في التغيير لتبدأوا معا، فقد يتراجع بعضهم ويقلل حماستك، وقد يسبقك آخرون فتتألم، وقد تسبقهم ويتضايقون وتخسرهم إنسانيا.

● لا تؤجل التغيير؛ فالتأجيل يقلل الحماس ويجعل الرغبة تتراجع ويضعف إرادتك.

● لا تنتظر تحسن بعض ظروفك لتبدأ التغيير، وابدأ فورا، ولو ببداية بسيطة، وستتحسن معنوياتك وتتسع حياتك.

لا تستسلم

● التغيير كالزرع لابد من رعايته والمبالغة بالري تفسده كالجفاف.

● لا تبالغ بأهمية التغيير وكأنك ستنتقل من الأرض إلى السماء؛ حتى لا تحوله إلى عبء، ولا تقلل من أهميته؛ فستهمله ولو بعد حين، وكن وسطا.

● لا تتوقع نجاحك بالتغيير من دون عقبات أو انتكاسات فهذا غير واقعي، ولا تقابلها بالاستسلام، بل واصل بعزيمة أقوى.

● اهتم بنصيبك من الراحة والترفيه يوميا، والتنفس بهدوء من الأنف فقط مع إغلاق الفم لبضع دقائق، وسيفيدك ذلك كثيرا.

● لا تتوقف عند أمور لا يمكنك تغييرها وتجاهلها وركز على ما يمكنك تغييره حاليا وارض بصدق.

● مثال؛ لا يمكنك تغيير عملك ولكنك تستطيع طرد الضيق منه والحصول على دورات تدريبية تساعدك مستقبلا على تغيير عملك، أو ممارسة عمل آخر بعد الدوام يرضيك، أو ممارسة هوايات أو عمل تطوعي يشبعك نفسيا.

● ضع في قائمة التغيير تحسين صحتك الجسدية بالأكل الصحي والقيلولة والابتسام وممارسة الرياضة والحفاظ على الرشاقة أو استعادتها تدريجيا.

● ستتحسن صحتك النفسية أيضا وتستمتع بالرضا الجميل عن نفسك، وبالثقة بالنفس، وسيقودك لنجاح أفضل مع تغييرات إيجابية أخرى.

● ضع تصورا ليومك منذ بدايته لنهايته واجعله مفيدا وناجحا، ولا تبالغ بالصرامة، فالتغيير رحلة وليس سجنا تؤلم به نفسك.

● تخلص من عاداتك الضارة؛ التدخين، إدمان الإنترنت، تضييع الوقت، العصبية، الإسراف، الكسل.

ارفض وستنجح

● الرضا عما يمكن تغييره – ولو بعد حين – «خيانة» للنفس.

● لا تظلم نفسك بمحاولة تغيير الآخرين في عملك أو أسرتك، فستبذل مجهودا بلا جدوى وستخسر أغلبهم إنسانيا.

● عندما تغير ردود أفعالك على تصرفات الآخرين ستتغير تصرفاتهم معك ولو بعد حين، والأهم أنك ستقلل من غضبك منهم أو من تفسير أي خطأ منهم وكأنه كارثة أو عدوان، وستكون أهدأ «داخليا» وستتمكن من تقليل «ضيقك» منهم وستحسن إدارة علاقاتك.

● القدرة على التغيير موجودة داخلك؛ ارفض أي انتقاد داخلك، أو من الآخرين ينتقص من قدراتك.

● لا تضيع وقتك بالرد؛ تصرف بما يخالف الانتقاد، واجعل ردك عمليا ليس لتتحدى من قالوه ولكن لإسعاد نفسك؛ ففي الأولى ستحمل نفسك عبئا نفسيا وستنتهي رغبتك في التغيير للأفضل بعد فوزك على من انتقدوك، وهذا انتصار زائف،

فالانتصار الحقيقي هو استكمال ما بدأته ليرضى عنك الرحمن ثم لتسعد نفسك.

● وفي الثانية ستزرع داخلك الرغبة في الاستمرار؛ فحياتك غالية وتستحق الأفضل دوما.

● أغلب الناس يسارعون بالاستسلام في محاولات التغيير، فلا تكن منهم. مثال: عند انقاص الوزن يتراجع الكثيرون، وآخرون ينتكسون بعد انقاصه «ويختارون» العودة إلى البدانة، وقليلون «يحافظون» على الرشاقة وينعمون بمزاياها النفسية والصحية.

● كن من الفائزين دوما.

جدد اليقين

● كن شغوفا بالتغيير للأفضل، وتذكر دوافعك له ونتائجه الرائعة لتعيد شحن حماسك بعد الاستعانة بالرحمن بالطبع.

● تذكر دائما خطواتك للتغيير واجعلها جزءا من يومك وجدد اليقين بقدرتك على التغيير.

● ارفض وبقوة كل ما تريد تغييره «واكره» استمراره ولكن لا تكره نفسك ولا تنتقد نفسك لسماحك سابقا به؛ حتى لا تضعف إرادتك وتقلل من تقديرك لنفسك وهو قوة مهمة للتغيير.

● لا تخبر أحدا؛ البعض سيسخر وسيحبطك آخرون أو يرونك رائعا بما يكفي، ولا أحد لا يحتاج إلى أن يكون أفضل، وغيرهم سيتابعونك وربما يكون أسلوبهم غير جيد.

● لا تنس الاحتفال بنفسك عندما تنجح في التغيير، وإذا تراجعت فلا تستسلم وعد للتغيير بحماس يكبر ولا ينقص.

● تذكر دوما أن التغيير ليس سهلا، فالأسهل العودة إلى ما تريد تغييره، ليس لأنه الأفضل ولكن لاعتيادك عليه.

● لا تكن عبدا لعاداتك الضارة، كن سيدا على حياتك.

● لا تقنع نفسك بأنك في حاجة إلى من يشجعك عندما تتناول شيئا تحبه أو تتنزه، ولابد من الاقتناع أن التغيير سيجعلك تفوز بما تحب وعندئذ فقط لن تحتاج إلى من يشجعك.

● دائما أفضل العون عون النفس بعد الاعتماد على الرحمن بالطبع.

● لا تسرف في التوقعات من نفسك؛ واعتدل وامنح نفسك وقتا «كافيا» لتغير الكثير حتى لا تصنع إحباطك الذي قد يدفعك إلى التراجع والشعور بالمرارة.

● ابدأ بالأسهل لتفرح بالتقدم ولتثق بنفسك أكثر وليزيد حماسك لتتغير أكثر.

● الحماس للتغيير سيتناقص أحيانا؛ لا تفزع عندئذ ولا تتهم نفسك بالتخاذل وترفق بنفسك واحصل على استراحة محارب وجدد عزيمتك بحب واحترام لنفسك ولعمرك.

تأكد ولا تخف

● مفتاح التغيير هو النظر إلى الجزء الإيجابي بحياتك والفرح به وشكر الرحمن عليه ثم تقبل ما لا يمكن تغييره برضا.

● اصنع التغيير بتدرج، وراجع خطواتك من وقت إلى آخر لتتأكد أنك تسير بالطريق الصحيح.

● لن يغيرك سوى نفسك بعد الاستعانة بالرحمن بالطبع.

● لا تخف وقل: سأقهر الخوف، وسأبدأ بداية جديدة استحقها، ولن أتراجع أبدا فالبديل مؤلم جدا.

● لقهر الخوف من الفشل فلتثق بإمكانية التغيير وتتذكر أن حسن الظن بالرحمن أهم سلاح في التغيير، واطرد أي إحساس بقلة الحيلة، وقل لنفسك: أستطيع التعامل جيدا مع كل ما يحرمني من حياة أفضل استحقها، «وسأتدرب» على ذلك وسأنجح بفضل الرحمن، وتخيل مكاسبك منه لتمدك بعزيمة وخسائرك لتنفرك من التراجع.

● أن يتعب الإنسان من نفسه ويرغب في التغيير فهو سلاح ذو حدين: فهو رائع وإيجابي عندما يكون «وقودا» للتغيير وإغلاقا لكل أبواب التراجع. وهو ضار ومؤذ عندما يجعلنا نستسلم للتعب ونزرع داخلنا صعوبة التغيير وأحيانا استحالته.

● لا تقل أبدا الكلمات المسمومة مثل: لن أستطيع أو لا فائدة. وقل: سأنجح بفضل الرحمن، وابتسم لنفسك، ولا تقس عليها، وسارع بالتغيير الذي يسعدك.

● إذا حاولت التغيير ولم تنجح، فلا تيأس، واكتب لنفسك المعوقات التي قابلتك، وأعد المحاولة ولا تكرر أخطاءك.

● تذكر دوما الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد:١١).

● ستتغير عندما تثق بذلك وتحسن الظن بربك.

● تستطيع - بفضل الرحمن - أن تكون من القلائل الذين أناروا أعمارهم بتغييرات ناجحة فتذكر ذلك وجدد الاستعانة بالرحمن، ثم تيقن من نجاحك كما ندعو لك. وفقك ربي وأعانك وأسعدك.



مجدى إبراهيم علي
باحث في التاريخ الإسلامي

التحف الخشبية الإسلامية: المشربية نموذجا

تشغل فنون المشربية والقمرية (نوافذ الزجاج المعشق بالجص) موقع الصدارة في الفنون الحرفية؛ لارتباطها بالعمارة منذ بداية الحضارة الإسلامية في مصر، بل قبل ذلك، منذ العصر القبطي، حيث تواجدت الأديرة والكنائس التي تعود إلى ما قبل الإسلام، وقول آخر: «إلى العصور الفاطمية والمملوكية»، وبها حجب ونوافذ باقية حتى اليوم من وحدات الزخارف الخشبية المخروطة أو المفرغة بالخشب أو من الزجاج المؤلف بالجص. وقد اتسعت أغراض فن الخرط العربي، فلم تقتصر على المنابر والحجب والشرفات والأبواب، بل شملت أنماط الأثاث، من مقاعد وأرائك ومناضد وخزائن وسواتر متحركة (برافانات).

ويعتبر العصر الفاطمي أول من احتضن فنون الخرط والزجاج المعشق وغيرها من الفنون الإسلامية، لكن العصر المملوكي يعد أعظم عصور ازدهارها؛ حيث كانت هناك منافسة مستمرة بين السلاطين والأمراء في الإنفاق على بناء المساجد والقصور والمدارس والفنادق والمستشفيات والوكالات تعبيرا عن القوة والزهو.. ومع بداية الحكم العثماني لمصر عام ١٥١٦م، تم نقل أفضل الصناع المهرة في الحرف التقليدية إلى إسطنبول لإقامة المنشآت في الدولة العثمانية المنتصرة، وما زالت آثارهم باقية هناك شاهدة على عملية الإخصاب الحضاري لمصر خارجها، أما داخلها فقد تدهورت عشرات الحرف بعد نقل أصحابها، بجانب ضعف روح العظمة والشموخ في العمارة، لكن سرعان ما استعادت مصر قدرتها على الإنجاب الحضاري وعلى تجاوز المحن، فنشأت أجيال جديدة عملت على ملء فراغ آبائهم وحدث تحول تدريجي في الذوق الفني نحو النموذج التركي يمكن مقابلته بعصر الباروك أو الروكوكو في أوروبا، بما فيها من شغف بالمظاهر الخارجية ومغالاة في استخدام التفاصيل الزخرفية.

الخشب وفنونه بين التأثيرات الأجنبية

انتشرت الصناعات الفنية الخشبية انتشارا كبيرا في الحضارة الإسلامية، بالرغم من أن الوطن العربي يفتقر إلى وجود كثير من أنواع الأخشاب التي لا غنى عن استخدامها؛ الأمر الذي دعا الفنان المسلم للسعي في استيراد بعض الأنواع الصالحة من هذه الأخشاب، والتي صاغها إلى تحف نادرة تزدان بها متاحف العالم، وأصبح هذا الفن من أبرز الميادين في الفنون الإسلامية التي بينت لها معالمها ومميزاتها الفنية.

صاغ الفنان المسلم من الأخشاب تحفا نادرة تزدان بها متاحف العالم منذ عصور طويلة

وتأثرت الزخارف الخشبية في أول الأمر بالتأثيرات الساسانية، ثم ابتُكرت أنماط مميزة بعد ذلك ظهرت في حشوات الأبواب والنوفذ والمنابر والمقابر والمحاريب، وقد ورث المسلمون في مصر عن الفراعنة حذق هذه الصناعة والسيطرة على الخامة ودقة النقل والحفر الغائر أو البارز أو المجسم.

في العصر الأموي

وقد امتازت التحف الخشبية في العصر الأموي بالزخارف النباتية والموضوعات القريبة من الطبيعة، واتبعت الطريقة المتبعة في الفنون التطبيقية في تنفيذ هذه الزخارف وهي الحفر الغائر والمجسم للوحدات الزخرفية، مما يضفي عليها حيوية وقربا من الطبيعة، ولاسيما الزخارف النباتية والحيوانية. ومن الأمثلة الصادقة على هذا العصر زخارف الروابط الخشبية في قبة

الصخرة، والوزرات الخشبية في المسجد الأقصى، وكذلك منبر جامع القيروان، وغيره.. ومن خصائص الفن في العصر الأموي تأثره بالفن البيزنطي واستعماله الشارات المسيحية كعنقود العنب.

في العصر العباسي

أما التحف الخشبية في العصر العباسي فتأثرت بأسلوب سامراء الثالث على الجص، والمكون من زخارف نباتية محورة عن الطبيعة، ومنفذة بطريقة الحز العميق الذي يفصل العنصر عن الآخر، ثم شطف حافة تلك العناصر. ومن أمثلة ذلك ثلاث حشوات بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تؤرخ بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، على نمط طرز وزخارف سامراء على الجص في العصر العباسي بمصر، ولدينا حشوة خشبية محفوظة بمتحف اللوفر بباريس قوام زخرفتها رأس طائر وزخارف نباتية عبارة عن عنصر الكلوة أو الورقة النباتية الرمحية من مصر، وتؤرخ بالنصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ومنفذة بطريقة الحفر المائل الذي ظهر في طرز سامراء.

في العصر الفاطمي

بدأت تظهر الكتابات الكوفية المورقة والمزهرة مع الزخارف النباتية والهندسية والحيوانية والآدمية جنبا إلى جنب، كما ظهرت موضوعات تصويرية محفورة على عدة مستويات على الخشب. وفي نهاية العصر الفاطمي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بدأ يظهر أسلوب آخر من الزخارف على الخشب، هو الزخرفة الهندسية أو الحشوات المجمعة التي

ورث المصريون عن الفراعنة فن الزخارف الخشبية

كانت تقوم على شكل الطبق النجمي، والتي سميت فيما بعد بالطبق النجمي في العصر المملوكي، وبدأ يظهر نوع جديد إلى جانب الحشوات المجمعة؛ أسلوب خشب الخرط والذي استخدم في زخرفة الأخشاب في العصرين المملوكي والعثماني بعد ذلك، فاستخدمت في المنابر والمشربيات والشبابيك، وفي غلق فتحات النوافذ في العمارة السكنية.. ففي العصر الفاطمي ظهرت المحاريب المسطحة والمحاريب الخشبية الكبيرة، ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بمحراب مسطح من الخشب يؤرخ بالقرن (٤-٥هـ/ ١٠-١١م) وبثلاثة محاريب خشبية من الجامع الأزهر، ومن مشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها، ومن مشهد السيدة رقية رضي الله تعالى عنها، ومصراع باب الحاكم بأمر

تأثرت الزخارف الخشبية الإسلامية في بدايتها بالساسانية ثم ابتكرت أنماطا مميزة بعد ذلك

الله الفاطمي.

أيضا يوجد حشوات خشبية في متحف المتروبوليتان ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ومتحف الفن الإسلامي في برلين.

في العصر الأيوبي

استمرت صناعة وزخرفة الأخشاب في العصر الأيوبي تسير وفقا للأساليب الصناعية والزخرفية التي شاعت في أواخر العصر الفاطمي على أخشاب المرحلة الثالثة التي نشاهدها على كل من محرابي السيدة نفيسة والسيدة رقية، وعلى غيرهما من أخشاب القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي والتي تميزت باستخدام الحشوات الهندسية المجمعة مع بعض الاختلافات البسيطة، إذ صارت الحشوات أصغر حجما وأكثر دقة. وقد وصلنا من العصر الأيوبي توابيت لدفن الموتى وأبواب ومنابر وشبابيك ومحاريب عثر عليها في بلاد الشام.. وشاع كذلك استخدام أسلوب التذهيب والتلوين في زخرفة بعض أخشاب هذه الفترة كما في التحف الخشبية بمتحف الفن الإسلامي ومتحف المتربوليتان في نيويورك ومتحف بناكي بأثينا.

في العصر المملوكي

احتلت الأشكال والتقسيمات الهندسية الصدارة في زخرفة الأخشاب، وانتشر استخدام الأطباق النجمية كاملة وأجزاء منها في زخرفة الأبواب والمنابر وغيرهما، وقد زينت الحشوات المجمعة بالزخارف النباتية المحفورة بدقة أو طعمت بالعاج والأبنوس، وتضم المساجد والمدارس المملوكية أعدادا كبيرة من المنابر والأبواب التي ترجع إلى الفترة

مـا بـين الـقـرنـين الـسـابـع والـتـاسـع الهجريين/ الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، منها منبر الجامع الطولوني وجامع البنات والمؤيد شيخ ومدرستا الأشرف برسباي والسلطان قايتباي، وأبواب وأسقف وصناديق مصاحف للسلطان قنصوه الغوري محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بـالـقـاهـرة، كما انتشر في العصر المملوكي طريقة زخرفة الأخشاب بالتجميع والتعشيق، وخشب الخرط الـذي ظهر بكثرة في المشربيات الكثيرة.

في العصر العثماني

أتقن العثمانيون فنون صناعة وزخرفة الأخشاب، وخاصة ما صنع منها للمساجد أو لحفظ كتاب الله العزيز، وقد احتفظت المتاحف بالكثير من هذه القطع التي تعكس إلى حد كبير مدى الاهتمام بهذه الصناعة.

وتتميز منطقة الأناضول بأنها من المناطق المنتجة للأخشاب الجيدة التي كان لها تأثير في ازدهار هذه الصناعة، وقد عرف النجارون في ذلك العصر استخدام العديد من الأساليب الصناعية التي تعد امتدادا للأساليب القديمة التي ورثوها عن سلاجقة الروم أو المماليك.

وقد استخدموا طرقا مذهلة في زخرفة الأخشاب؛ منها: التطعيم بحفر الزخارف في الخشب أو باللصق في الخشب، والحفر، والتجميع، والتفريغ (الأركت)، والخرط، والتلوين، واللاكيه. ومن أمثلة هذه التحف الخشبية منابر وكراسي قراء، وصناديق مصاحف، وصناديق حفظ الأمتعة للسلطان سليم الأول والسلطان أحمد الأول والسلطان أورخان ثاني حكام الدولة العثمانية.

التحف الخشبية في العصر العباسي تأثرت بأسلوب سامراء الثالث على الجص

ستائر الضوء: فنون المشربية

كانت لمصر شهرة كبيرة في صناعة خرط الأخشاب منذ العصر الروماني، ثم استمرت مع عصور المسيحية والإسلام حتى اتخذت الطابع العربي الخالص.. وكانت بداية فن الخرط العربي المسمى بالمشربية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين متأثرة بالفن القبطي في مصر، الذي كان يمتلئ بالرموز المسيحية، ويتخذ غالبا أسلوب التفريغ داخل ألواح الخشب المسطحة، وليس أسلوب خرط وتجميع القطع الخشبية المنفصلة، بما يجعل حواف الوحدات الزخرفية زوايا حادة، ويجعل الفتحات بينها واسعة، وعندما بدأ خرط وحدات منفصلة وتجميعها كانت تبدو غليظة، وكانت الثغرات فيما بينها بنفس الحجم.

أما استخدام الخرط العربي فكان في البداية محصورا داخل الجوامع وبعض النوافذ والأبواب الداخلية، كما هو الحال في الجامع الأزهر ومقصورة جامع القيروان في تونس التي تؤرخ بسنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣ م، وتعد أقدم أمثلة الخرط العربي، ولكن مع بداية العصر المملوكي دخل هذا الفن مرحلة الشباب والنضج.

تأثر فن التحف الخشبية في العصر الأموي بالفن البيزنطي

واستبدل نهائيا أسلوب التفريغ في اللوح المسطح بأسلوب خرط وتجميع القطع المنفصلة، وأخذت المشربيات تنقل من الجوامع إلى القصور والوكالات، واكتسبت طابعا أكثر رقة وحساسية وتنوعا في الارتفاع داخل المسطح الواحد بين الكثافة وبين المحدودية واللانهائية في الوحدات الزخرفية، ومستعينة بالأنماط والأحجام المختلفة بقطع الخرط الخشبية التي بلغت أحجاما متناهية الصغر والرشاقة كنسيج الدانتيلا، ومستعينة كذلك بالحلول الرياضية المحكمة مما ساعد على توسيع المساحات الفراغية المستقلة حتى احتلت واجهات معمارية بأكملها، خلت تماما من الجدران المشيدة بمواد البناء لتصبح مشربيات ممتدة، وبذلك أتيح التنوع في استخداماتها الوظيفية، فأصبحت المشربية مزودة بشبابيك متعددة الأحجام والفتحات. منها ما يفتح أفقيا ومنها رأسيا، ومنها المصمت الذي أدخلت عليه المقرنصات الخشبية تأثرا بالفن الساساني والبيزنطي، وتعددت أيضا أشكال «الكوابيل» الخشبية التي تحمل المشربيات دون حاجة إلى غراء أو مسمار، ليضارع الحرفي براعة زميله الذي يحفر ويفرغ في الأخشاب. وقد تلاحظ وجود الكثير من الأنماط والرموز القبطية داخل المشربيات في المراحل الإسلامية المتعاقبة، خاصة رمز الصليب. ولعل مرد ذلك إلى أن كثيرا من الصناع المهرة المصريين كانوا من الأقباط

بحكم توارث المهن ووجود العائلات الممتدة عدة أجيال في المهنة الواحدة، ولا شك أن هذه الأشكال الفنية لم تكن سرا خافيا على المسلمين حيث كانوا يستطيعون رؤيتها صباح مساء، لكنها تنم عن مدى السماحة التي كان يتمتع بها الشعب المصري على مر العصور.

ويعتبر العصر المملوكي أعظم عصور ازدهار فن الخرط العربي والفنون الإسلامية عامة؛ حيث كانت هناك منافسة مستمرة بين السلاطين والأمراء في بناء المساجد والقصور والمدارس والخانقاوات والفنادق والبيمارستانات والوكالات؛ تعبيرا عن القوة والزهو، وتملقا للمشاعر الدينية للشعب، ورغبة تخليد تاريخهم من خلال آثارهم المعمارية، واذا كان ذلك قد تم بناء على تكليفات منهم؛ فإنها في الحقيقة أعمال مصرية صميمة، سواء من حيث الأموال التي كانت تنهب من قوت المصريين وحقوقهم، أو من حيث الخبرة المصرية الرائدة في علوم الهندسة والبناء وفنون الزخرفة، وعمق الشعور الديني ورهافة الحس الروحاني لديهم.

وقد اتسعت أغراض وميادين فن الخرط العربي، فلم تقتصر على المشربيات والنوافذ والأبواب، بل شملت أنماط الأثاث ومنابر الجوامع والسحرات والسواتر المتحركة.

واقتضى ذلك ارتفاع مستوى الدقة والرهافة كالمنمنمات، وتداخل تقنية الخرط العربي مع تقنيات أخرى مثل التطعيم بالصدف وسن الفيل والفضة، والحشوات الخشبية الدقيقة.

وأدى انفتاح مصر على البلاد العربية الأخرى إلى التأثير المتبادل فيما بينها في هذا المجال، وإلى التنافس التقني والإبداعي، خاصة مع سورية، حيث تتميز بمستوى رفيع في

يعتبر العصر المملوكي أعظم عصور ازدهار فن الخرط العربي والفنون الإسلامية عامة لتنافس السلاطين

مجال النجارة الدقيقة عامة ومجال التطعيم بصفة خاصة. ولا شك أن للعوامل الجغرافية والسياسية أثر بالغ في ظهور ونمو الظواهر الفنية في العصور المختلفة، حيث تنفرد سورية بأنواع شتى من الأشجار والأزهار والثمار التي لا تنبت في مصر، بما جعلها تحصل على أنواع من الأخشاب تصلح بدرجة عالية لأشغال النجارة الدقيقة، بينما كانت مصر تستوردها من لبنان أو سورية، مثل أخشاب الزان والأرو والبلوط والجوز والبقم، إضافة إلى ما كان يستورد من بلاد الهند مثل أخشاب

كان لنظم الطوائف الحرفية في مصر المملوكية والعثمانية دور عظيم في نمو ازدهار فن المشربية وغيره

الساج والصندل والأبنوس.

ولخراطة المشربية أسماء مختلفة باختلاف أشكالها وأنواعها، كما تختلف مقاسات قطع الخرط من فصوص وحبات مخروطة، مثل العرناس والمسدس الدقماق والمثلوت والوردة والعريجة والميموني العدل والمايل والصليب الفاضي والمليان.. وهي مصطلحات أهل الصنعة آنذاك.

ولا شك أنه كان لنظم الطوائف الحرفية في مصر المملوكية والعثمانية دورا عظيما في نمو وازدهار فن المشربية وغيره من الفنون الإسلامية في مصر؛ حيث كانت تخضع لقواعد وأسس تنظيمية دقيقة اجتماعيا واقتصاديا ومهنيا، على مستوى التدريب وأماكن العمل ومستوى الاحتراف وسلم الأجور ومستوى الإشراف من رؤساء الطوائف والمهن المعلمين.. فمن ضمن مستويات الجودة والتميز والابتكار، كما يضمن الحقوق المادية والحوافز المعنوية.

وإذا كانت مساحة المشربية قد زادت في العمارة العثمانية في مصر، خاصة في القصور ومنازل الأفراد، وزادت معها كثافة العناصر الزخرفية ودقة التقنية فيها، فإنها في كثير من الأحيان تبدو مضافة من الخارج إلى البناء المعماري، وليست جزءا أصيلا أو عضويا من نسيجه، ومع ذلك فقد أفلتت من هذا التحول الذوقي مجموعة من العمائر البديعة وبقيت لنا حتى اليوم، وأغلبها بيوت خاصة بوجهاء أو تجار أو كبار موظفي الدولة، مثل: بيت السحيمي بالجمالية (وكان يخص أحد الأطباء)، وقصر المسافر خانة بالجمالية (وكان يخص شاهبندر التجار في القرن الثامن عشر)، ومنزل زينب خاتون بالقرب من جامع الأزهر الشريف.





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

«مجلة المسلم المعاصر»

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.



المسلم المعاصر
فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الإسلامية
العدد الافتتاحي - شوال ١٣٩٤ - أكتوبر ١٩٧٤
دولة الكويت
مكتبة
مجلة
الوعي الإسلامي
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسؤول
الدكتور جمال الدين عطية
سعر النسخة
الاشتراك السنوي في لبنان
العنوان
ص.ب. ١١٩٤٢٩ بيروت

وتأتي «مجلة المسلم المعاصر» لتشكل لبنة من مقتنيات مجلة «الوعي الإسلامي».

التعريف بالمجلة

هي مجلة فصلية فكرية ثقافية محكمة، تعالج قضايا الاجتهاد المعاصر في ضوء الأصالة الإسلامية، وصدر العدد الافتتاحي لها في شوال (١٣٩٤هـ)، الموافق يناير ١٩٧٤م. تعنى هذه المجلة بمعالجة شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية، فقضيتها الأساسية هي: (المعاصرة).

التعريف بصاحب المجلة

جمال الدين عطية محمد: عالم ومفكر وفقيه، ولد في قرية «كوم النور» إحدى قرى مركز «ميت غمر» التابع لمحافظة الدقهلية بجمهورية مصر العربية في: (٢٢ ذو القعدة ١٣٤٦هـ)، الموافق: (١٢ مايو ١٩٢٨م)، لأسرة من الطبقة المتوسطة في ذلك الوقت ولأبوين كريمين.

تعلم الدكتور جمال عطية حتى درس القانون في كلية الحقوق بجامعة «فؤاد الأول» (القاهرة حاليا)، وتخرج فيها عام: (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، وحصل على دبلوم الشريعة من كلية الحقوق عام: (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م)، ثم سافر إلى الكويت بعد تخرجه، ثم إلى سويسرا وحصل على الدكتوراه من جامعة جنيف عام: (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ثم عاد إلى الكويت ليعمل بالمحاماة، إلى أن جاء عصر الانفتاح، وبدأ يفكر في مشروعات تحتاج إلى ذلك الانفتاح، فساهم مع آخرين في إنشاء بعض الشركات، وعادوا إلى القاهرة ثم إلى لوكسمبورج، وبدأ نشاطه في مجال البنوك؛ حيث قضى

هناك أحد عشر عاما.
ثم عاد إلى القاهرة، وبدأ الإشراف على المعهد العالمي للفكر الإسلامي منذ: (١٤٠٨- ١٤١٢هـ/١٩٨٨-١٩٩٢م)، ثم التحق بهيئة التدريس في كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وكان رئيس قسم القانون فيها؛ حيث أنشأوا تخصص القانون في حضن كلية الشريعة، وظل بجامعة قطر حتى عام: (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
تأثر الدكتور جمال عطية في أثناء دراسته في الحقوق بالشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ محمد أبي زهرة، وبعض القانونيين مثل: حامد زكي وسامي جنينة.
وفي خط مواز لهذا في الساحة الإسلامية كانت له اتصالات مع الشيخ محب الدين الخطيب، وعلي الطنطاوي، ومحمد أبو ريدة، وعباس العقاد، وغيرهم.
توفي الدكتور رحمه الله (١٥ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ / ١٢ من يناير ٢٠١٧م).

الوظائف والمناصب التي تولاها الدكتور جمال الدين عطية

عمل الدكتور جمال الدين عطية في مجالات عديدة منها:
- ممارسته للمحاماة في مصر والكويت.
- وتوليه أمينا عاما للموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف بالكويت.
- توليه رئاسة تحرير مجلة المسلم المعاصر.
- عين رئيسا تنفيذيا للمصرف الإسلامي الدولي في لوكسمبورج، (بيت التمويل الإسلامي العالمي حاليا)، ومستشارا قانونيا وشرعيا للمعاملات المالية والمصرفية (مكتب خاص في لوكسمبورج)، ومستشارا أكاديميا للمعهد العالمي للفكر الإسلامي (واشنطن)، ومديرا لمكتبه بالقاهرة.

كما عمل الدكتور عطية أستاذا زائرا بالجامعة الليبية سنة: (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وزائرا بكلية الشريعة جامعة قطر، ثم عين فيها حتى عام: (١٩٩٣م). بالإضافة لعضويته في جمعيات ونقابات ومراكز عالمية مثل: الجمعيات العلمية والمهنية، ونقابة المحامين - القاهرة، والجمعية الدولية للقانونيين الديموقراطيين - بروكسل، ونقابة المحامين الدولية - لندن، وعضوية المعهد العالمي للفكر الإسلامي.. وغيرها.
وكان تتويج هذا الاهتمام -التربوي والفكري- في مرحلة من المراحل بـ«مجلة المسلم المعاصر» التي ينصب اهتمامها الأول على قضايا الاجتهاد المعاصر وإسلامية المعرفة؛ إذ كتب مؤسسها د. جمال الدين عطية في كلمة التحرير لأول عدد صدر منها واصفا المجلة بأنها: «مجلة الاجتهاد»، وأنها: «تنطلق من ضرورة الاجتهاد، وتتخذه طريقا فكريا، ولا تكتفي بالبحث في ضرورة فتح باب الاجتهاد في فروع الفقه، بل تتعداه إلى بحوث الاجتهاد في أصول الفقه»، وقد أصبحت المجلة مقبولة كمجلة محكمة من عدد من الجامعات في مصر والسودان والسعودية وغيرها.

مؤلفاته العلمية وبحوثه المحكمة

للدكتور جمال الدين عطية عدة مؤلفات وبحوث مهمة منها: تراث الفقه الإسلامي ومنهج الإفادة منه على الصعيدين الإسلامي والعالمي، والتنظير الفقهي، والنظرية العامة للشريعة الإسلامية، ونحو تفعيل مقاصد الشريعة، وعلم أصول الفقه والعلوم الاجتماعية، وعلى هامش الدولة المسلمة والشريعة الإسلامية والقانون، والنظرية العامة لحقوق الإنسان في الإسلام، والصعوبات التي تواجه البنوك الإسلامية... وغيرها.

وهناك بعض الكتب التي كانت مذكرات لطلاب الجامعة مثل: القيم الحضارية في الإسلام، ودور الموسوعات في تقريب التراث الإسلامي من الدارسين... وغيرها.
وله بعض المؤلفات والبحوث التصنيفية التي تصنف العلوم وتساعد على استيعابها وتعمل على سهولة البحث فيها مثل: تصنيف العلوم الإسلامية، ودليل الباحث في الشريعة الإسلامية باللغات الأجنبية... وغيرها.

بعض محتوى المجلة في عددها الأول

في أول مواضيعها بعد كلمة رئيس التحرير؛ جاء موضوع بعنوان: خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر، بقلم الدكتور: عبدالحليم محمد أحمد.
وفي موضوعها الثاني جاء موضوع بعنوان: السنة التشريعية وغير التشريعية، بقلم الدكتور: محمد سليم العوا.
ثم تلاه موضوع بعنوان: نظرة عابرة على حقوق الإنسان الأساسية، لأبي الأعلى المودودي.
وهكذا تتابعت مواضيع المجلة في مواضيعها الفقهية والأصولية التأصيلية، وما زالت مستمرة إلى اليوم، كما أصبح لها موقع على شبكة الإنترنت لتواكب التطور والحداثة، وليصل صوتها إلى كل بقاع العالم.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة من هذه المجلة العلمية الرائعة، والتي جمعت في: (٣٨) مجلدا، وهي في متناول طلاب العلم والقراء الكرام.

المصادر

مجلة المسلم المعاصر.
موقع مجلة المسلم المعاصر.
موقع أرشيف إسلام أون لاين.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



إعداد / د. تركي محمد النصر

تصدر تعليم الناس

من وصايا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لمن تصدر تعليم الناس: «والواجب أمر العامة بالجمل الثابتة بالنص والإجماع، ومنعهم من الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله».

(انظر: الفتاوى، ١٢/٢٣٧).

من أخلاق العالم مع السائل

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «ولا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله، ولا يزجره فيضع من قدره، ولكن يبسطه في المسألة ليجبره فيها، قد علم بغيته عما يعنيه، ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه. يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة. يسكت عن الجاهل حلما، وينشر الحكمة نصحا، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥).

من درر السلف

- قال عباد بن منصور: سئل الحسن البصري عن التوكل، فقال: «الرضا عن الله، عزوجل».
- قال عبدالله بن محمد بن عبيد الله: «قيل لبعض العلماء ما علامة التوبة؟ قال: الوجل من الذنب».
- قال الربيع بن أبي راشد: «لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عزوجل لهم بعد الموت، لانشقت في الدنيا سرائرهم، ولتقطعت في الدنيا أجوافهم».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٤١).

الكبار

قال الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى: «سمعت أبي رحمه الله يحكي أن شيخ الإسلام عزالدين بن عبدالسلام كان يسمع الحديث قليلا بدمشق، فلما دخل القاهرة بطل ذلك، وصار يحضر مجلس الشيخ زكي الدين (المنذري) ويسمع عليه في جملة من يسمع ولا يسمع، وأن الشيخ زكي الدين أيضا ترك الفتيا، وقال: حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إلي».

(انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٨/٢٦١).

اختلافهم رحمة واسعة

قال العلامة ابن قدامة المقدسي في كتابه لمعة الاعتقاد، بعد حديثه عن تسمي الفرق المبتدعة بغير الإسلام والسنة: «وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين – كالمذاهب الأربعة – فليس بمذموم؛ فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة».

(انظر: لمعة الاعتقاد: ص:٤٢).

النخبة فيما يتعلق بالصحبة

قال العلامة أبو العباس الوراق رحمه الله:

❖ آفات الكرام؛ مخالطة اللئام.
❖ مجالسة ذوي الخير والفضل؛ زيادة في الدين والعقل.
❖ من أبدى لك مودته؛ فقد أجزل لك عطيته.
❖ امحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة.
❖ فقد بعض الأصدقاء؛ كقطع عضو من الأعضاء.
❖ النفوس تحب من أحسن إليها، والقلوب تتألم ممن تجبر عليها.

(انظر: تأليف الافتراق من حكم ابن الوراق، ص:٣٧).

الثقة في الرواة

قال صاحب فيض الباري على صحيح البخاري: «فائدة جليلة: واعلم أن الثقة في الرواة ليست باعتبار كونهم أولياء، بل باعتبار فنهم، فهي باعتبار الأعمال الظاهرة فحسب. فالثقات قد ركبوا الأغلاط، وحادوا في بعض المواضع عن طريق الصواب أيضا. وإنما نعني بالأغلاط: التغيير في الألفاظ، ومن حيدهم عن طريق الصواب: عدم إنصافهم في المسائل المختلف فيها، إلا في مواضع. ومن جرب يصدق، ومن جهل يكذب».

(انظر: فيض الباري على صحيح البخاري، ٤٣٣/٣).

أمرتنا بخير فأطعناك

ذكر العلامة ابن عبدالبر في تواضع أهل العلم كلاما نفيسا فقال: «سمعت غير واحد من شيوخي يذكر أن الغازي ابن قيس لما رحل إلى المدينة سمع من مالك وقرأ على نافع القاري، فبينما هو في أول دخوله المدينة في مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل ابن أبي ذئب فجلس ولم يركع. فقال له الغازي: قم يا هذا فاركع ركعتين؛ فإن جلوسك دون أن تحيي المسجد بركعتين جهل، فقام أبو ذئب فركع ركعتين وجلس. فلما انقضت الصلاة أسند ظهره وتحلق الناس إليه، فلما رأى ذلك الغازي بن قيس خجل واستحيا وندم، وسأل عنه، فقيل له: هذا ابن أبي ذئب أحد فقهاء المدينة وأشرافهم، فقام يعتذر إليه، فقال له ابن أبي ذئب: يا أخي لا عليك، أمرتنا بخير فأطعناك».

(انظر: التمهيد لابن عبدالبر، ١٠٦/٢٠).

مراد النشاط
دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية
المغرب



الاستثمار في الإسلام (٢-٣)

إن عناية الإسلام بالاستثمار ودعوته إليه ما كان لها أن تتميز وأن تثمر إلا في ظل مجموعة من الضوابط التي تنظم تصرفات المستثمر المسلم، وتوجهها للوجهة السليمة بما يكفل قيام النشاط الاقتصادي بصفة عامة، والاستثمار بصفة خاصة على أسس رشيدة، وضوابط سديدة اقتصاديا واجتماعيا.

والضوابط الشرعية كثيرة؛ لكن يمكن لها أن تنضبط بدورها وفق ثلاثة معايير أساسية هي: ضوابط قيمية وأخلاقية، وضوابط مردها إلى التقيد بالأحكام الشرعية، وضوابط مقاصدية.

ضوابط قيمية وأخلاقية

يعد الإسلام دين القيم والأخلاق بامتياز، ولهذا السبب اختصر نبي الإسلام وخاتم الأنبياء محمد ﷺ المقصد من بعثته في قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]. وإذا كانت الأخلاق والقيم في الإسلام بهذه المكانة العالية والقيمة الرفيعة؛ فإن المسلم مطالب بالتحلي بها في كل حال وحين، خاصة في علاقته بالآخرين، وتحديدا في تعامله معهم بالدرهم والدينار، لأنه الباب الذي يكشف حقيقة المؤمن الصادق من الدعي! لما جبل عليه الإنسان من حب المال، والسعي في جمعه وكسبه، يقول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران:١٤).

والقيم التي يحتاجها المرء المسلم في معاملاته المالية كثيرة ومتنوعة، نقتصر على ذكر أهمها، وهي: العدل والقسط والصدق والأمانة والوفاء. ولأهمية هذه القيم على وجه الخصوص وردت النصوص الشرعية تحث عليها وتؤكد ضرورة الالتزام بها، تارة في جميع الأحوال والمجالات، وتارة أخرى في مجال المعاملات المالية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (الأنعام:١٥٢)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨).

ويقول النبي ﷺ مبرزا مكانة التزام الأمانة والصدق في التجارة وغيرها: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء»[2]. وفي آية جامعة مانعة يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتزام الوفاء واحترام الالتزامات المتفق عليها، فيقول عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(المائدة:١). ولا يخفى على أحد أن هنا دلالات الجمع بين توجيه النداء للمؤمنين خاصة، وبين مضمون الأمر الإلهي الذي هو وجوب الوفاء بالعقود، وأقل ما يقال في ذلك أن امتثال هذا الأمر هو أمارة على قوة إيمان المسلم والعكس.

ضابط التقيد بالأحكام الشرعية

إن اعتبار الاستثمار نشاطا إسلاميا يجعله محكوما بطاعة الله واجتناب نواهيه، ليس على مستوى أصل الاستثمار فحسب، وإنما أيضا على مستوى ما يتبع ذلك من معاملات أو إجراءات: سواء كانت قبلية أو بعدية؛ الأمر الذي يجعل تصرفات المستثمر قائمة على أساس توخي مرضاة الله ونيل رضوانه، واجتناب سخطه والحذر من عقابه، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (النساء:٢٩). يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «كأنه يقول: لا تتعاطوا الأسباب المحرمة في اكتساب الأموال، لكن المتاجر المشروعة

التي تكون عن تراض من البائع والمشتري؛ فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال»[٣].

وقال الرسول ﷺ، فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون:٥١). وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة:١٧٢). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»[٤].

فقوله: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر... إلخ»؛ معناه كما يقول الإمام ابن دقيق العيد في «شرحه للأربعين النووية»: «يطيل السفر في وجوه الطاعات لحج، وجهاد، وغير ذلك من وجوه البر، ومع هذا فلا يستجاب له؛ لكون مطعمه ومشربه وملبسه حراما. فكيف بمن هو منهمك في الدنيا أو في مظالم العباد أو من الغافلين عن أنواع العبادات والخير؟!»[٥].

ويقول ﷺ أيضا؛ مخبرا ومحذرا: «ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام»[٦]... إلى آخر الأحاديث التي تفيد تحذير المسلم من الوقوع في المحرمات والاستهانة بها؛ الشيء الذي يفرض ضرورة كون العملية الاستثمارية في الاقتصاد الإسلامي سليمة من كل ما هو محرم، لما يترتب على ذلك من الخسارة في الدنيا والآخرة[٧].

ضوابط مقاصدية

يقصد بهذه الضوابط ضرورة مراعاة النشاط الاستثماري في الاقتصاد الإسلامي لمبدأ درء المفاسد وجلب المصالح، والتزام القائمين عليه بسلم الأولويات، بحيث يستهدفون أولا إنتاج السلع والخدمات[٨] الضرورية التي لا قيام للحياة الإنسانية بدونها، ثم الحاجية؛ وهي ما تشق الحياة لفقدانها، وأخيرا التحسينية؛ وهي كل ما من شأنه أن يضيف إلى الحياة سعادة ورفاهية.

وقد ترتب على عدم مراعاة هذه الضوابط، خاصة في الدول النامية، حصول خلل في مسيرتها الاقتصادية؛ وذلك لكونها تنفق الملايين في إقامة المشاريع الترفيهية، في الوقت الذي لا تجد فيه شعوبها احتياجاتها من السلع الضرورية!![٩].

وعلى أساس هذه الضوابط والمعايير الكلية يمكن النظر إلى المشروع الاستثماري الإسلامي وفق مجموعة من الشروط والمعايير الجزئية[١٠] على النحو التالي:

أولا: مشروعية النشاط الاقتصادي الذي يزاوله المشروع، وموافقته لأحكام الشريعة الإسلامية، بحيث لا يكون الاستثمار في خمر أو ميسر أو ميتة أو لحم خنزير، أو اتجارا في المخدرات أو سلعة ضارة بصحة المواطنين، أو مخالفة للأخلاق والآداب العامة.

ثانيا: اجتناب المشروع للاستثمار في المعاملات الربوية، باعتبار أن الربا محرم شرعا، إضافة إلى ما له من تداعيات اقتصادية واجتماعية جسيمة.

ثالثا: التزام المشروع الاستثماري بتعاليم الإسلام عند التخطيط له، وعند تحديد نمط الإنتاج والتكنولوجيا المستخدمة، وكذلك عند اختيار الموقع الذي يقام عليه هذا المشروع، بحيث لا يكون على أرض مغصوبة مثلا، أو في موقع يسبب أضرارا للمواطنين.

رابعا: اتباع أسس وتعاليم الإسلام في السياسات الإدارية التي يزاولها المشروع مثل سياسات اختيار الأيدي العاملة، وسياسات الأجور، وسياسات الأسعار، وسياسات الإنتاج، وسياسات البيع والتسويق، وكذلك الاهتمام بالعلاقات الإنسانية وخدمة المجتمع.

خامسا: تطبيق صيغ الاستثمار المتعارف عليها طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية؛ مثل المشاركة والمضاربة والتمويل التأجيري، والقرض الحسن، والبيوع العاجلة أو الآجلة... إلخ.

سادسا: الاهتمام بالأبعاد الاجتماعية للنشاط الاستثماري من حيث إنتاج السلع والخدمات الاجتماعية التي ترتفع ربحيتها الاجتماعية وإن انخفضت عائداتها المالية أو التجارية البحتة.

سابعا: الالتزام بالأولويات الإسلامية عند اتخاذ القرارات الاستثمارية، وفقا لضوابط المصلحة الإسلامية؛ سواء على مستوى المشروع، أو على المستوى القومي، إذ يقدم الاستثمار فيما هو ضروري، ويمنح الأولوية على الاستثمار فيما هو حاجي، فضلا عن التحسيني التكميلي.

الهوامش

١- وفي رواية: صالح الأخلاق. انظر تخريجه في: «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها»، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ١١٢/١.

٢- «سنن الترمذي»، كتاب أنواع البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، ح ١٢٠٩. (٥٠٧/٣).

٣- «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير (٢٦٨/٢).

٤- «صحيح مسلم»: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث:١٠١٥.

٥- «شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية»، ابن دقيق العيد، ص:٦٠.

٦- «صحيح البخاري»: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث:١٩٧٧.

٧- «الجانب النظري لدالة الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي»، ص:٢٥١.

٨- يكثر على ألسنة الناس قولهم: الخدَمات، كذا بفتح الخاء! وهو خطأ شائع، صوابه: الخدمات أو الخدَمات أو الخدْمات، ينظر: «تقويم اللسانين» العلامة تقي الدين الهلالي، ص: ١٤٥-١٤٦.

٩- المرجع السابق، ص:٢٥٩.

١٠- انظر: «دراسات الجدوى الاقتصادية في البنك الإسلامي»، حمدي عبدالعظيم، ص:٣٢.

إعداد: التحرير

المولود القادم

في صورة رائعة من صور الرحمة الإلهية، نجد صدر الأم يتهيأ لإفراز اللبن من الشهر الثاني من الحمل، هرمون الأستروجين ينبه القنوات اللبنية، وهرمون البروجستيرون ينبه الغدد اللبنية، ويبدأ بالفعل إفراز سائل رقيق يسمى (اللبأ) Colostrum وهو أيضا أول ما يفرزه صدر الأم بعد الولادة، ويطلق عليه العامة (لبن السرسوب)، وهو غني بالأجسام المضادة، وخفيف على الجهاز الهضمي للمولود. لنتأمل قليلا كيف يعد الرب العظيم للإنسان طعامه وشرابه قبل أن يرى النور، وهو لا يزال في ظلمات ثلاث، إنها الرحمة الإلهية التي لا مثيل لها، وبعد «السرسوب» يبدأ إفراز اللبن، حيث يعمل هرمون البرولاكتين Prolactin والهرمون المنبه للجهاز التناسلي LH على إفرازه، وللبن الأم مكونات دقيقة، لا تختلف من امرأة لأخرى، إنه عطاء الرب الكريم لكل أطفال العالم، لا فرق في ذلك بين أبناء الفقراء وأبناء الأغنياء، ولا بين أهل دين ودين، إنه العدل الإلهي الذي لا عدل مثله.

ولبن الأم مجانا لكل مولود، وهو معقم، لا تتدخل يد بشر في صنعه، ولا يتحكم فيه محتكر، وليس عليه رسوم أو ضرائب، ودرجة حرارته مناسبة، ومتاح في كل وقت، ويشعر الطفل بالإشباع العاطفي، والرضاعة تساهم في عودة الرحم لحجمه الطبيعي بعد الولادة، إنه طعام وشراب ودواء وعطف وحنان، ويكفي أن الله جل شأنه أشار إلى أهمية الرضاعة فقال في كتابه العزيز: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص:٧)، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣). الرضاعة نعمة جليلة يجب على كل إنسان أن يشكر الله عليها، ويتذكر عندما كان ضعيفا، ويد القوي المنعم تمتد إليه بالعطاء.

د. يحيى محمود أبو المعاطي سنبل

كيف أصنع الإيجابية في حياتي

منذ فترة ليست ببعيدة لاحظت أن السلبية والفوضى تعم حياتي وما حولها، لم أبال أول الأمر، لكن الأمر ازداد سوءا، كان يجب أن أبحث عن حل، فأصبحت أفتش حولي كثيرا، ثم تهبط عزيمتي فأنسى الأمر، فيذكرني ألمي بأن هناك أمورا سلبية كثيرة بأحوالي، فأفتش مرة أخرى حتى وجدتها، وجدت أن المشكلة ليست فيمن حولي، الأمر يبدأ من عندي أنا، فحاولت جاهدة للبحث في أموري وفي أحوالي، أصبحت أعطي لنفسي وقتا لأهتم في هذا الوقت بنفسيتي واستقراري الداخلي، ولم أكن أفهم من قبل أن هذا هو حق كل إنسان على نفسه.

وعندما أعود بالذاكرة أنتبه إلى أنني كنت أخبر نفسي بأنني لا أستطيع، وذلك في معظم الأشياء رغم أنني استطيع وأنني حاولت من قبل واجتهدت ونجحت، لكنه الخوف عزيزي القارئ، ربما يكون الخوف من التجربة أو من النقد أو من الذات أحيانا، لكنني قررت أن أحل هذه المسألة وأبدأ من جديد في صفحات مليئة بالتفاؤل والقدرة على الإنجاز، أصبحت أخبر نفسي أنني أستطيع وذلك ينطبق على كل الأمور، وأنا حقا كذلك وأنتم أيضا، ونجح الأمر معي، لذلك أنصح أصدقائي وأعزائي القراء بهذه المحاولة، أخبر نفسك فقط: «أنا استطيع» ولا تخف، وبإذن الله سينجح الأمر.

آلاء سيد إبراهيم

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com







كل يوم يرافقه ابنه البالغ من العمر ١٠ سنوات، معاق في كلتا رجليه إعاقة شديدة، لذا يستخدم عكازا يستند عليه، ورغم ذلك فهو يواجه صعوبة عند كل خطوة يخطوها، في نفس الموعد يسير جنبا إلى جنب مع ابنه الذي يحمل على كتفيه حقيبته المدرسية، ويحمل على يديه حقيبة صغيرة لوالده، يضع بها دفتر تحضير دروس والده، ودائما هناك حوار متواصل بينه وبين ابنه تستشف من خلاله مدى حنان الأب وهو يعامل ابنه كصديق ومدى فهم الابن وهو يتجاوب مع والده.

في هذا الصباح المنظر المعهود والسمت المتكرر وما أن تجاوزتهما حتى سمعت الأب يقول: الحمد لله، التفت خلفي فإذا به قد وقع على الأرض، نفض الغبار عن ملابسه، كرر: الحمد لله وقام يواصل مسيره وحديثه مع ابنه كأن شيئا لم يحدث والابتسامة تعلو محياه.

لم أنس هذا المشهد طيلة الطريق في سفري لعملي والذي امتد لقرابة الساعة ونصف الساعة، أخذت أفكر مشدوها في هذا المشهد وأتعجب في حرص هذا الرجل على الحياة بهذه المثابرة والجد والمواصلة لم تفلح هذه الإعاقة الشديدة في أن تثنيه عن مواصلة الطريق والعيش أفضل من الإنسان الطبيعي، وكأنه والله هو السليم والقاعد العاجز عن العمل هو المعاق.

ياسر عرفة توفيق

تنويه

خطأ غير مقصود حدث في العدد الماضي حيث تم نشر مقالة «محمد حسين هيكل» منسوبة للدكتور الفاضل د. بنيونس أنس، بينما هي للكاتبة الفاضلة عزة أحمد حامد.

والمجلة إذ تنوه إلى هذا الخطأ المطبعي غير المقصود.

وتتشرف بإستقبال مقالات الكاتبين على الدوام

التحرير



منهج السنة النبوية في تنبيه الأطفال إلى أخطائهم

يحرص المنهج النبوي على تنبيه الأطفال إلى أخطائهم وتوجيههم ونصحهم للصواب، والرفق هو الأصل في معاملة النبي ﷺ للأطفال، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله»، والرفق بالأطفال لا يتنافى مع تأديبهم، فالتأديب ضرورة تربوية تهذيبية تقويمية للطفل فها هو رسول الله ﷺ ينبه الغلام الصغير عمر بن أبي سلمة ﵁ بخطئه المتمثل في تجوال يده في الطعام، وتميز هذا التنبيه والنصح بمنهجية واضحة حيث كان التنبيه قصيرا ومختصرا وواضحا يسهل حفظه وفهمه، ليؤثر في نفس الغلام طيلة حياته، حيث قال: فما زالت تلك طعمتي بعد، روى البخاري عن عمر بن أبي سلمه ﵁ قال: «كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد»، وها هو رسول الله ﷺ يعلم الحسن بن علي رضي الله عنهما الورع بلطف، روى البخاري عن أبي هريرة ﵁ أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي ﷺ بالفارسية «كخ كخ أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة».

محمد عباس محمد عرابي

مِسكُ الخِتَام



شمس الرسالة

لقد جعل الله الرسالات السماوية، منذ خلق آدم عليه السلام، واحدة، تقوم كلها على توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به؛ بعث الله تعالى المرسلين بهذه الرسالات ليعيدوا بها نور التوحيد في قلوب الناس إذا تحول سبيله، أو جف نهره بين عمومهم، فوجود الرسالة أو نورها بين الناس هو الشرط الأهم في بقاء الكون، فإن الله تعالى ليستبقي أهل الأرض ما دامت فيهم الشرائع قائمة، أو ما دام بعضهم قائما بها ومتمسكا بأصلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت بالكلية، خرب الله العالم العلوي والسفلي، وأقام القيامة».

أما الأمم فإنها إذا ضيعت مراد الله منها، وتحولت عن شرائع المرسلين، وفشا فيها الهوى؛ سلط الله عليها الذل، وأذاقها الهوان، وأتاها بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

تحكي كتب التاريخ أنه في فتح قبرص، وكان يوما مشهودا، فرح فيه المؤمنون بنصر الله تعالى لهم، وارتفعت فيه صيحات التكبير، في هذا اليوم العظيم جلس الصحابي الجليل أبو الدرداء يبكي! فقال له جبير بن نفير: «أتبكي؛ وهذا يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله؟!». فقال: «ويحك؛ إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة». وقال: «ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره». فكرامة الخلق على خالقهم تكون بقدر قربهم من دينه ومن آثار المرسلين، وتعبدهم بها، فإن الناس لا يزالون بخير ما كانت فيهم سنن الرسل، أو ما دامت منهم طائفة متمسكة بها لا تتحول عنها، وإنما كانت آثار الرسل بهذه المثابة؛ لأنها هي الكفيلة بحفظ النظام، ومنع التهارج الذي يحمل في طياته أسباب الفناء والانمحاء، ومن ثم الاستبدال أو المحو بالكلية. يقول الإمام الرازي: «الشرائع سنن موضوعة بين العباد، فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان، ولزم كل أحد شأنه، فحقنت الدماء، وسكنت الفتن، وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها، أما إذا تركوا التمسك بالشرائع، وأقدم كل أحد على ما يهواه لزم الهرج والمرج والاضطراب» وهي أسباب الفناء والاستبدال.

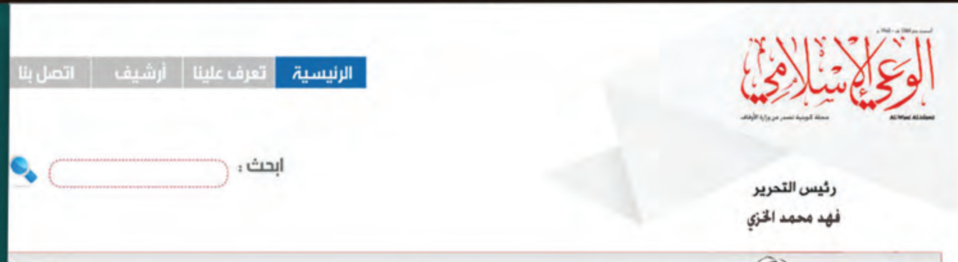
إن نور الرسالات السماوية يحمل في طياته المصالح التي بها قيام الخلق والكون، ثم هي محملة بالرحمة والعدل، يقول ابن القيم: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة.. وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا، وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها».

هكذا هي الشريعة، وهذا هو النور الذي بعث الله به صفوته من خلقه، فالحصيف من انتبه لنفسه، ولم يجعل منها لبنة من لبنات السوء الذي يستنزل البلاء بالكون، ولم يكن عنصرا من عناصر الفساد، الذي به ترفع الرحمة، وتنزل العقوبة، بل عاش في نور الرسالة، واستضاء بشمسها، ولم يحد عنها لا في الفكر ولا في الممارسة، وزاوج بين ما يعتقد وما يفعل، وعلم أن هناك طائفة لا تزال على الخير حتى يأتي وعد الله، ينشد سبيلها، ويسير في صفها لا تميله الأهواء ولا تستهويه الشهوات، يكون منها في القلب إن استطاع أو في طرفها إن عجز، فهم وحدهم المستضيؤون حقا بشمس الرسالة.

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك
جامعة المدينة العالمية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw





مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

كويت



فلاشات وطنية تلفزيونية

أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام صلاح أبا الخيل

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...





+965 922 54 54 5

RedAwqaf



العدد ٦٤٣ -السنة ٥٦ - ربيع الأول ١٤٤٠ هـ - نوفمبر - ٢٠١٨ م



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

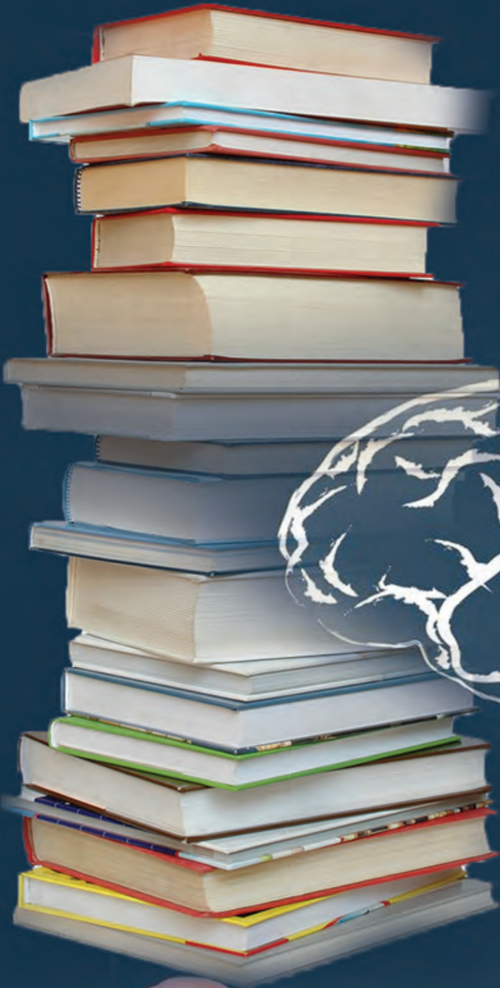
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٤٤) ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ - ديسمبر - ٢٠١٨ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

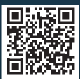
التَّطرُّفُ آفةُ الفِكر

- تعزيزُ وسطيَّة الإسلام
- أمطارُ الخير.. الكويتُ مَصنعُ الرِّجال
- مخاطِرُ الألعاب الإلكترونيَّة








موقع مجلة الوعي الإسلامي


alwaeiq8@gmail.com


www.alwaei.gov.kw


مجلة الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

مطويات مجلة الوعي الإسلامي

أسباب اختلاف الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى

أولاً: الأسباب التي ترجع إلى الإمام أحمد رحمه الله:

١) عدم تدوين الإمام أحمد مذهبه:

٢) ألفاظ الإمام أحمد في فتاواه:

إعداد: د. تركي محمد حامد النصر

النص العربي
أصوله، تحقيقه، إخراجه

إعداد/ فلاح محمد الهاجري

تمهيد

أولاً: أول نص إسلامي مكتوب

ثانياً: أوائل المصنفات

ثالثاً: الورق والوراقون

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

الحديث الموضوع
(تعريفه، وحكمه، أسبابه، طرق معرفته، مؤلفاته)

إعداد
الدكتور رياض منسي العيسى



فهد محمد الخزي

التطرف آفة الفكر

في دوامة من المتغيرات يتنكر قوم لمقاصد الشريعة الغراء؛ فيحلون محل الاجتماع والائتلاف الفرقة والاختلاف، معرضين عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠)، ومتنكرين بذلك لأصل من أصول الدين، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الاعتصام بالجماعة والائتلاف أصل من أصول الدين» (انظر: الفتاوى الكبرى، ١٠٩/١)، ويبرز ذلك في فشو ظاهرة التطرف.

لقد أعلنها المصطفى ﷺ مدوية في حجة الوداع: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام» (رواه البخاري)؛ ليؤسس لقواعد حياتية، وضوابط مرعية، ويضع حدا للأفكار المتطرفة الهدامة التي تهوي بصاحبها إلى دركات سحيقة من التخلف الفكري والانحطاط العقلي، والانفصام عن العروة الوثقى، والتجافي عن المنهج الأنقى، في سلوكيات تدينية خاطئة، تخلط بين الأولويات، وتعنى بالظنيات على حساب الحقائق والثوابت واليقينيات. فقوم يقولون ما لا يفعلون، وآخرون يفعلون ما لا يؤمرون، ويخوضون في المجتمعات مطلقين العنان للكلمة الآثمة؛ فيوقظون الفتن النائمة، والمناهج الهائمة؛ فيحصل من جراء ذلك: ضلال الأفهام، وزلل الأقدام؛ وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله: «وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات» (انظر: الجواب الكافي، ١١١/١).

في زمن انتشرت فيه ظواهر اختطاف العقول والأفكار باسم الدين، والصراع بين الأيديولوجيات والأجندات؛ مما أفرز ضروبا من التدين الخاطئ الذي أشرب بفكر الغلو والتطرف وغيرها من الطوام التي يتبرأ منها كل مؤمن يرجو الله واليوم الآخر.

والناظر إلى مفهوم التطرف الفكري من جانبه الآخر، سيجد آخرين قد أصابتهم موجات من التشكيك والإلحاد، ولوثات من الفساد الذي ينذر بعظيم الخطر المحدق بشباب الأمة وثوابتها، مؤديا بهم إلى الخنوع المزيف، والاستلاب العقدي والانسلاخ الثقافي، والاختطاف الفكري والقيمي؛ فأفسدهم ولوث أفكارهم، وشاب عقائدهم، وسلخهم عن قيمهم الاجتماعية، وأسلمهم إلى عواصف الحيرة والتميع والانهزامية، وضياع الهوية، ما أفرز ازدواجية وتناقضات عند بعضهم، في أطروحات جريئة، تثير التشويش والإثارة، لاسيما في المجتمعات المحافظة، تمس أعراضها ومسالك العفاف فيها، وتخدش آدابها وحياءها.

إن الشريعة المطهرة وسط بين كل ذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣)، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «إن الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط العدل الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه» (انظر: الموافقات، ٢٧٩/٢).

وختاما؛ إن على الأمة جميعا شد ركابها صوب العناية بتصحيح المفاهيم الدينية، وتنقيتها مما خالطها من الأفكار المتطرفة المغلوطة، والتصدي لكل الأدعياء الذين يغالون ويشددون، أو يفرطون ويقصرون.

ألا وإن من التحدث بنعم الله ما مَنَّ الله به على هذه البلاد من ظل وارف تحت راية الاجتماع والتآلف، ومنأى عن غائلة التطرف، بحمد الله ومنّه، سائلين الله وحدة وتماسكا ورخاء، وأن يحفظ عليها عقيدتها وأمنها واستقرارها، وسائر بلاد المسلمين.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٤ / ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
ديسمبر ٢٠١٨م

مدير التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

د. تركي محمد النصر

هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



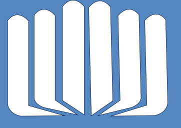
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الاعلامية العالمية للنشر والتوزيع والاعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



المحتويات



كلمة العدد

نعم للاعتدال

الإسلام منهج وسط في كل شيء.. في التصور والاعتقاد، والأخلاق والسلوك، والمعاملات والتشريعات، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣)، فالوسطية إحدى خصائص الإسلام التي ميز الله بها هذه الأمة عن غيرها من الأمم.

ونصوص الشرع الإسلامي تدعو دائما إلى الاعتدال وتحذر من التطرف والغلو والتشدد والتنطع، وهي أمور مرفوضة شرعا مهما كانت الأسباب والمسوغات وليست من الإسلام في شيء، بل حذر منها النبي ﷺ فقال: «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين» (رواه أحمد).

والتطرف من علل التدين التي قصها الله علينا لنحذرها فلا نقع فيما وقع فيه غيرنا من أتباع الديانات السابقة من الغلو والتطرف والتحريف والتبديل والتأويل الفاسد؛ لأن هذه علل يمكن أن تتسرب إلى المجتمعات الإسلامية وظهرت عبر التاريخ الإسلامي بأشكال وألوان مختلفة أدت إلى إنهاك الأمة وشل حركتها فترات من الزمن، وشغلتها عن مهمتها الأساسية وأداء رسالتها الإنسانية.

إننا إذ نلفت النظر إلى هذه القضية الخطيرة ينبغي أن نركز على علاج أسبابها والإتيان عليها من جذورها ومنابعها، وألا نكتفي بمجرد الحديث عن مظاهرها الطافية على السطح، بل نسعى إلى تصويب التصور وتصحيحه وفقا لرؤية إسلامية مستنيرة بنور الوحي.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



مصطفى شعبان الفيومي
مدرس القرآن الكريم والتجويد
بإدارة الدراسات الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا الضَّالِّينَ ٧

تحفة الأحباب بتجويد فاتحة الكتاب

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاما على عبده المصطفى - سيدنا محمد - وعلى آله وأصحابه أولي الوفا، وبعد:

فلا يخفى ما لسورة (الفاتحة) من فضل عميم، فهي السبع المثاني والقرآن العظيم، ومن خصائصها ومميزاتها: كونها مفتتح كتاب الله تعالى، وكونها شفاء، مع اشتمالها على المعاني العظيمة، وهي ركن في الصلاة التي هي عماد الإسلام، وإقامة المسلم لهذا الركن تبدأ من إقامته لحروفها وكلماتها، وتجويد تلاوتها، وعدم الإخلال بألفاظها، حتى لا يقع في اللحن الجلي الذي يغير المعنى غالبا وقد يعرض صلاته للبطلان!!

ومن باب النصيحة لكتاب الله تعالى وللمسلمين صنف العلماء رسائل كثيرة تهتم بتجويد هذه السورة، والتنبيه على الأخطاء الشائعة التي يقع فيها كثير من المسلمين عند قراءتها، وها أنا - في عجالة - أذكر إخواني المسلمين بأهمية تجويد هذه السورة العظيمة: سورة الفاتحة، وضرورة تجنب اللحن فيها، وكيفية تحسين النطق بها، وأذكر بعض نصوص الأئمة في تجويد الفاتحة، ثم أذكر بعض ألفاظ السورة الشريفة وما يجب مراعاته عند النطق بها على رواية حفص عن عاصم، ويتقدم ذلك تعريف بمعنى اللحن.

وليس قصدي استيعاب كل الأخطاء، وإنما هي إشارات على الطريق، ولعل تجويد النطق بها يتبعه فهم معانيها ثم العمل بمقتضى ذلك، والله الموفق.

أولا: (اللحن) في اللغة له عدة معان؛ أشهرها:

الخطأ والميل عن الصواب، واصطلاحا: هو خلل في النطق بألفاظ القرآن الكريم، وهو قسمان: جلي وخفي، أما (الجلي): فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بمبانيها سواء أخل بالمعنى أم لا، كتحريك ساكن أو تسكين متحرك، أو إبدال حرف بآخر، أو حركة بأخرى، وهو (حرام)، وقد يعرض الصلاة للبطلان إذا وقع في الفاتحة، على تفصيل مذكور عند الفقهاء. وأما (الخفي): فهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخل بعرف القراءة دون مباني الألفاظ، ويختص بمعرفته القراء

العارفون بأحكام التلاوة.

ثانيا: نصوص الأئمة في تجويد الفاتحة:

وقفت على نصوص كثيرة لأهل العلم تدل على أهمية تصحيح تلاوة سورة الفاتحة، وأقتصر هنا على ما يلي:

● قال الإمام أبو الكرم الشهرزوري (ت٥٥٠هـ): «ولنذكر الآن ما ينبغي للقارئ في سورة الحمد، إذ عماد الدين الصلاة، وعماد الصلاة سورة الحمد» اهـ.

● وقال الإمام أبو حفص عمر بن قاسم النشار (ت٩٣٨هـ): «إذا أردت قراءة الفاتحة فاستعن بالله على تجويدها، فإذا أحسنت تجويدها صحت صلاتك، وكتب لك بكل حرف عشر حسنات، وأكثر من ذلك» اهـ.

ثالثا: ألفاظ ينبغي التحفظ في النطق بها:

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: ينبغي إتمام كسرة الباء والميم من (بسم) وكسرة الهاء من (الله) وكسرة النون من (الرحمن)، وترقيق لام لفظ الجلالة، وبيان تشديد الراء من (الرحمن) و(الرحيم) مع عدم المبالغة في تكرير الراء وعدم إلغائه كلية، وعدم إبدال الحاء هاء، وعدم مد راء (الرحيم) فتنشأ بعدها ألف هكذا (الراحيم).

- ﴿الْحَمْدُ﴾: ينبغي ترقيق الهمزة من (ال) عند البدء بها، والحذر من إبدال الحاء هاء، وعدم إخراج غنة مع اللام، وينبغي مراعاة ضمة الدال.

- ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: يحذر من إخراج غنة مع الباء أو اللام، ويراعى عدم تفخيم العين، وعدم إمالة الألف التي بعدها، ويحذر من إبدال العين همزة (الآلمين)، ويراعى إتمام كسرة الميم فلا تمال إلى الفتحة.

- ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾: ينبغي ترقيق همزة (ال) عند البدء بهذه الكلمة، وتشديد الراء مع عدم المبالغة في التكرير، وعدم إبدال الحاء هاء.

- ﴿مَالِكِ﴾: تقرأ بألف بعد الميم في رواية حفص، ويراعى إتمام كسر الكاف بلا إسراف حتى لا يتولد بعدها ياء.

- ﴿يَوْمِ﴾: يراعى فتح الياء، وعدم مط الواو، وعدم إخراج غنة معها، وإتمام كسر الميم.

- ﴿الدِّينِ﴾: يراعى عدم همس الدال حتى لا تصير تاء أو كالتاء فيتغير المعنى، وقد يساعد على ضبطها: إحكام الضغط عليها في مخرجها وبيان تشديدها، ويراعى عدم الزيادة في أصل غنة النون حال الوقف عليها، وعدم غلق الشفتين عند النطق بالنون حتى لا يشوبها صوت الميم فتصبح كـ(الديم).

- ﴿إِيَّاكَ﴾: يراعى إتمام كسر الهمز، وتشديد الياء مع بيان رخاوتها، وقد يكسر بعض العوام الكاف أو يميلونها للكسر وهو لحن مغير للمعنى.

- ﴿نَعْبُدُ﴾: يحذر من إبدال العين همزة (نأبد)، ويراعى ضم الباء وترقيقها، وترقيق الدال وضمها، وعدم مط ضمتها حتى لا يتولد منها واو كما يسمع من أكثر العوام وكبار السن.

- ﴿نَسْتَعِينُ﴾: ينبغي عدم تفخيم التاء، وعدم مط فتحتها فيتولد منها ألف، وينبغي إتمام كسر العين.

- ﴿اهْدِنَا﴾: يراعى إتمام كسر الهمزة والدال وعدم إمالتهما للفتح، وعدم قلقلة الهاء بل تسكن بلطف، ويراعى ترقيق النون لاسيما في الوصل.

- ﴿الصِّرَاطَ﴾: يراعى تفخيم الصاد وإتمام كسرها وتشديدها، وتفخيم الراء، وكذا تفخيم الطاء حتى لا تصبح تاء، وينبغي المحافظة على جهر الطاء وعدم همسها وإخراج النفس معها.

- ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: ينبغي مراعاة ضمة الميم، وترقيق السين والتاء حتى لا تتحول إلى (المصطقيم)، وعدم مط فتحة التاء، وليعلم أن القاف في أقل مراتب التفخيم، فلا تفخم تفخيما زائدا وكذا لا تبدل كافا، وهذا مما يحتاج لتدريب كثير.

- ﴿الَّذِينَ﴾: يراعى تشديد اللام وترقيقها، وعدم إبدال الذال زايا (اللزين)، ويقع في ذلك كثير من المسلمين، فينبغي حصر صوتها بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مما يحتاج معه إلى مد طرف اللسان إلى الأمام قليلا.

- ﴿أَنْعَمْتَ﴾: ينبغي تسكين النون بلطف من غير فصلها عما بعدها، وترقيق العين، وعدم قلقلة الميم، ومراعاة فتحة التاء، وتبديل حركتها لحن قبيح يغير المعنى.

- ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾: يراعى تفخيم الغين، وعدم خلط صوتها بصوت الخاء أو القاف، وترقيق الميم، وعدم قلقلة الغين الساكنة، ويراعى تفخيم الضاد حتى لا تصبح دالا (المغدوب).

- ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا﴾: يراعى ترقيق اللام، وعدم مط الياء، وإتمام كسر الهاء، وإسكان الميم بلطف دون تحريك أو إخفاء.

- ﴿الضَّالِّينَ﴾: يراعى تمييز صوت الضاد فلا يصير كالظاء أو الدال المفخمة أو الطاء مع مراعاة رخاوتها واستطالتها وتفخيمها، وهذا يحتاج لمزيد عناية وتدريب، ويراعى إشباع المد اللازم في الألف بعدها، وتشديد اللام وترقيقها.

وفي الختام أود أن أكون قد وفقت في التنبيه على أهم الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الكثيرون عند تلاوة سورة الفاتحة، والتأكيد على أهمية تجويدها وتحسين النطق بها، وخطورة اللحن فيها.

فعلى المسلم أن يبذل جهده في تصحيحها على الشيوخ المهرة المتصلي السند بالنبي ﷺ، حرصا على صحة الصلاة، وطلبا لتفهم معانيها بتجويد مبانيها، فإذا تعذر عليه النطق بحرف على الوجه الصحيح بعد بذله الجهد فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تزكية

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة
مصر



تفريج الكرب.. البواعث والأهداف

إن نزول البلاء والاختبار بالإنسان ليس معناه هوانه على الله، بل لأن هذه حقيقة الحياة، وسنة الله في خلقه، فالابتلاء والاختبار أمر عام لم ينج منه أحد حتى صفوة الخلق من الأنبياء. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۞٢﴾ (العنكبوت:١-٢).

فتلكم هي طبيعة الحياة الدنيا، كما قال الشاعر:

جبلت على كدر وأنت تريدها ... صفوا من الأقذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإننا لنتعلم من القرآن الكريم أن نتعلق بالله أولا، ثم نأخذ بالأسباب بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الأنبياء:٧٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ۞٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ۞٧٦﴾ (الصافات:٧٥-٧٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞١١٤ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ۞١١٥﴾ (الصافات:١١٤-١١٥).

ولذلك قيل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

الإسلام رسالة إنسانية

لأنك أنت الإنسان صاحب العواطف والمشاعر والأحاسيس والعقل المفكر، وحامل الأمانة العليا، وخليفة الله في الأرض، كانت رسالة الإسلام تحيط بك وترعاك، وتحافظ على كرامتك الآدمية الإنسانية، فأنت أيها الإنسان قد سخر الله لك ما في السماوات وما في الأرض جميعا لخدمتك، تحت تصرفك للقيام بواجبات الاستخلاف.

فهل يتركك الله تعالى بعد أن تبوأت هذه المكانة لتكون سلبا ونهبا للهموم والأحزان والكربات والنوازل والمشاكل والملمات... بلا عون ولا نصير؟

إن الإسلام يستنفر المسلمين ويثير فيهم دوافع الرحمة الكامنة في نفوسهم للقيام بإغاثة الملهوف، وإعانة أصحاب الحاجات، وتفريج كربهم، تقول لهم: ساعدوا إخوانكم في الإنسانية، قولوا لهم: لستم وحدكم، ساندوهم وساعدوهم إذا تغيرت الأحوال وتبدلت وضاقت السبل، فالأبعاد

الإنسانية التي غرسها الإسلام في المسلمين تدعوهم إلى رعاية الإنسانية وحاجاتها، فهم جميعا شركاء في الإنسانية، وإخوة لأب واحد، وتحدروا من رحم واحدة (الأم حواء).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

إن الإسلام لم يغلق الباب أمام الإحسان والبر وتفريج الكرب وإغاثة الملهوف بسبب الاختلاف في الدين أو النزعات العرقية أو القومية، بل فتح الباب على مصراعيه لهذه الأعمال الإنسانية التي تحفظ على الإنسان إنسانيته وترعى له كرامته مهما كانت عقيدته، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨).

وقال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)﴾ (البلد:١١-١٦).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير يوما في الطريق فرأى رجلا يتسول، فقال له: ما لك يا شيخ؟ فقال الرجل: أنا يهودي وأتسول لأدفع الجزية. فقال عمر: والله ما أنصفناك، نأخذ منك شابا ثم نضيعك شيخا، والله لأعطينك من مال المسلمين. وأعطاه عمر رضي الله عنه من مال المسلمين[1].

ولما ذبح عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - شاة، قال لغلامه: إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي.

إن الإسلام جاء ليحفظ على الإنسان إنسانيته، والإيمان اختيار محض لكل إنسان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٥٤).

إن تفريج الكروب خلق عربي أصيل نابع من الشهامة والمروءة والنخوة التي تميز بها العرب، فجاء الإسلام فزادها شدة وقوة وصفاء ونقاء وجلاء.

وفي الحديث سئل النبي ﷺ من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[2].

إن الإسلام يريد من المسلم أن تدفعه أخلاقه وسجاياه إلى البحث عن أصحاب الحاجات، والسعي إلى تفريج الكربات، وهذه هي الإيجابية التي يجب أن تكون في المسلم، فيكون متفاعلا متجاوبا مع أمته وما ينزل بها من مستجدات وأحوال ونوازل.

لا أن يقف مكتوف الأيدي مستدبرا الأحداث، سلبيا لا يقدم ولا يؤخر، ولا يتفاعل مع الأحداث والوقائع، تعتريه حالة من الهدوء والبرود، لا يهتم لما يحدث ولا يعبأ به، كأن الأمر لا يعنيه.. هذه السلبية بهذه الصورة داء عضال في حاجة إلى علاج ناجع، وإلا أصبحت هذه السلبية دمارا على الأفراد والمجتمعات.

ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان إني أراك مكتئبا حزينا! قال: نعم، يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟! قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب - فدمعت عيناه - وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين»[3].

الهوامش

١- رواه الإمام السيوطي في جامع الحديث.

٢- صحيح مسلم، ٢٣٧٨.

٣- رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي، واللفظ له، والحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد.

د. محمد إبراهيم الحلواني
أكاديمي بكليــة العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية - مصر





المساواة الاجتماعية في السيرة النبوية

حرص الإسلام على تقرير المساواة بين الناس في القيمة البشرية، فالناس سواسية كأسنان المشط، متساوون في أصل النشأة والتكوين، لا فرق بين ذكر وأنثى، ولا بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود، فالناس ينحدرون من أصل واحد هو آدم عليه السلام، وآدم من تراب، وقد نوه الله عزوجل إلى ذلك قائلا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠)، فالإسلام لا يسمح بالنظام الطبقي التي تسيطر فيه طبقة على أخرى، ولا يسمح أيضا بتحكم فئة على أخرى بدافع العنصر أو اللون، بل إن الإسلام قد جعل التقوى معيارا حقيقيا للتفاضل بين الناس، قال الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، فالناس جميعا لا يتفاوتون في أصلهم الإنساني، بل إن ميزان التفاضل هو الإيمان والتقوى.

التفاضل بالتقوى

إن الحضارة التي لا يستعلي فيها عرق على عرق ولا لون على لون هي الحضارة التي يصنعها الإنسان العاقل الكريم وتسعد بها الإنسانية الواعية، والحضارة التي يعلو فيها الأبيض ويمتهن فيها الأسود ويشقى فيها أصحاب البشرة السمراء، حضارة جاهلية ترتد بها الإنسانية إلى الوراء مئات القرون، ولهذا عاب رسولنا الكريم ﷺ على أبي ذر رضي الله عنه حينما عاير أخا له في الإسلام والصحبة بسواد لون أمه قائلا له: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[1]، إن أبا ذر من الناحية الاجتماعية أرفع قدرا من غلامه ومع ذلك لامه النبي ﷺ لوما شديدا بأن أثبت له صفة من صفات الجاهلية، وهذا ليس بالأمر اليسير عند صحابي جليل مثل أبي ذر رضي الله عنه[2]، ويظهر من هذا الموقف أيضا شفقته ورحمته بالخدم حيث قال ﷺ: «إخوانكم خولكم»[3] ليستقر في قلب المسلم أن الخادم هو في الحقيقة أخ له، فالمسلم إذا تيقن أن الذي تحت يده هو أخوه على الحقيقة فكيف سيعامله؟

نزعة جاهلية

إن الافتخار بالآباء والاعتزاز بالأنساب يشعل العداوات ويفرق الجماعات، يولد الضغائن ويزرع الأحقاد، والمسلم أخ للمسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، لقد جاء نبينا ﷺ إلى المدينة فوجد قبيلتي الأوس والخزرج متناحرتين، تقوم بينهما المعارك لأتفه الأسباب، تغلغلت فيهم أسباب العصبية والنعرات الجاهلية، فصاروا بنور الإسلام وعدل الإيمان إخوة متحابين متآلفين، جمعهم الإسلام بعد فرقة، وألف بين قلوبهم بعد وحشة، كانوا في الدنيا أصحابا وفي الآخرة خلانا، سادوا الدنيا بالدين ونشروا الإسلام في ربوع الأرض، ولهذا أثنى الله عليهم في كتابه وذكرهم بحالهم إبان الفرقة والنزاعات الظالمة حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقد امتن الله تعالى على المؤمنين بهذه الوحدة فقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣)

إن أعداء الإسلام بمكرهم الدفين وحقدهم المتين على الإسلام وأهله لم يألوا جهدا في التفرقة وإثارة النزاعات والعصبيات؛ لأنهم يدركون أن هذا طريق التمزق والاختلاف والضعف والوهن للمسلمين، ويصدق ذلك واقعهم المعاصر في أرض العراق وإثارة الأحقاد والطائفيات، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠)، وقد أمر الله عزوجل أمتنا الإسلامية أن تسعى إلى جمع الكلمة ووحدة الصف ولكن هذه الوحدة المنشودة لابد أن تكون اجتماعا على الحق والخير واستمساكا بشرع الله عزوجل، ولأن العصبية الجاهلية كانت من أهم أسباب الفرقة والتقاتل بين الناس فقد عمل الرسول الكريم ﷺ على إزالتها، حذر منها، وسد منافذها، ولا بقاء لديننا وأمتنا مع بقاء هذه العصبيات، لا فخر لنا إلا بطاعة الرحمن، ولا عز لنا إلا بالإيمان، ومهما ابتغينا العزة بالأنساب والألوان فلا عز لنا.

الخيرية للمتقين

إن العبيد في ديننا الإسلامي أعظم قيمة وأرق أفئدة وأعظم بركة من السادة الذين يتجبرون على الحق ويستضعفون الناس، وقد طلب وجهاء قريش ومن كانوا يحسبون أنفسهم سادة قومهم من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء والمساكين وضعفاء الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به بحجة أنهم يريدون أن يستمعوا إلى النبي ﷺ، ولكنهم لا يجلسون مجلسا يكون فيه هؤلاء محل الرعاية من الرسول الكريم[٤]، لكن الله أمر رسولنا الكريم أن يصبر ويجاهد نفسه معهم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:٥٢)، إن المبادئ لا يضحى بها ولو من ناحية الشكل ومن دخل في دين الله فليخلع عن نفسه أردية الجاهلية كلها ولا يشعر بأنه أرجح من غيره لامتيازات مبهمة مدعاة، صنع الإسلام من العرب أمة جديدة، وصب أوضاعها الاجتماعية في قالب سماوي راق، فخرجت على الناس تحمل رسالة الحق والخير، وتريهم من نهج حياتها وطريقة التعامل بين أبنائها أن الإنسان العربي كائن آخر، كائن ينفي عقله الخرافات، ويطرد قلبه الرذائل، ويرفض سلوكه الهوان، وينطلق على ظهر الأرض مدفوعا ببواعث الصدق والعدالة، متحريا مرضاة الخالق وكرامة المخلوق مسترسلا مع نداء الطبيعة البشرية المتعشقة للكمال والسيادة، نداء الفطرة الأصلية، وهل الإسلام إلا هذه الفطرة؟[٥].

النظرة الإنسانية

لقد كرم الإسلام الإنسان طفلا وشيخا، رجلا وامرأة، مسلما وغير مسلم، حيا وميتا، دون النظر إلى لونه أو جنسه أو انتمائه العرقي أو معتقده الديني لأن مقياس نظرة الإسلام هو الإنسانية نفسها، وأمام هذه النظرة تسقط كل الاعتبارات حتى الاختلافات العقائدية، ومن أبرز الأمثلة التي تؤكد هذا ما رواه جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال: «مر بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ وقمنا به فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا»[٦]، ما أروع الموقف وما أروع التعليل نفسه، ونحن نحب أن نبني علاقتنا بالآخرين على هذه السماحة، معتقدين أن ديننا هو الذي يأمرنا بهذا البر لمن عايشنا مسالما ولم يعتد علينا أو يظاهر المعتدين، وكما تهدر الفوارق الدينية أمام القانون تهدر الفوارق الطبقية، فلا تمييز لحاكم على محكوم، ولا لغني على فقير، ولا لكبير على صغير، هذه المثل العليا والقيم العظمى التي طبقها المسلمون في العصور الأولى جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وحينما تخلى المسلمون عن هذه القيم وأقبلوا على متاع الدنيا الزائل ضعفوا ووهنوا وصاروا أذلة بعد عزة وضعفاء بعد قوة، فالله نسأل أن يعيد لأمتنا عزها ومجدها وقوتها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم (٣٠)، عن المعرور بن سويد، دار طوق النجاة، ط: أولى، ١٤٢٢هـ.

٢- أحمد بن عبدالفتاح زواوي، شمائل الرسول ﷺ ٣٨١/١، دار القمة، الإسكندرية.

٣- خولكم: خدمكم أو عبيدكم، أحمد بن محمد القسطلاني، إرشاد الساري ١١٦/١، المطبعة الأميرية، مصر، ط:٧، ١٣٢٣هـ.

٤- عبدالله بن عبدالمحسن التركي، حقوق الإنسان في الإسلام ص٦١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط: أولى، ١٤١٩هـ.

٥- محمد الغزالي، حقوق الإنسان ص١٣، دار نهضة مصر، ط: الأولى.

٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم (١٣١١).



نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية يكرم الطلاب الوافدين بالأزهر

في احتفالية بمدينة الإسكندرية

نظمت وزارة الأوقاف المصرية والمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة، احتفالية لتكريم الطلاب الوافدين بالأزهر المقيدين على منحة من بيت الزكاة الكويتي، وأقيمت الاحتفالية بمعسكر أبو بكر الصديق التابع لوزارة الأوقاف المصرية بمدينة الإسكندرية، يوم الجمعة ١٢ أكتوبر ٢٠١٨م، الموافق ٣ صفر ١٤٤٠هـ، وذلك بحضور وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد مختار جمعة، والدكتور عبدالعزيز قنصوة محافظ الإسكندرية، والدكتور إسماعيل الكندري مدير المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، وتم توزيع الجوائز وشهادات التقدير على الطلاب الفائزين في أنشطة المعسكر.

وفي كلمته، أكد وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد مختار جمعة، على أن هناك تعاونا كبيرا يضرب بجذوره التاريخية بين دولتي مصر والكويت، وأشاد بالجهود التي يبذلها بيت الزكاة الكويتي، في ظل المبادرات والجهد الكبير والتعاون المثمر مع مدير مكتب بيت الزكاة الكويتي في القاهرة الدكتور إسماعيل الكندري، وهذا التعاون في إطار نشر صحيح الإسلام ورعاية الطلاب الوافدين وعمارة المساجد، موضحا أن وزارة الأوقاف المصرية تحمل على عاتقها نشر الفكر الإسلامي الوسطي الصحيح، وبيان صورته السمحة المشرقة للعالم كله، عن طريق النشاط الدعوي تارة، ومطبوعات الوزارة تارة أخرى، وإقامة مثل هذه المعسكرات التثقيفية التي لا تقتصر على الداخل فقط من أبناء الوزارة، وإنما على الخارج أيضا باستضافة الطلاب الوافدين الدارسين في جامعة الأزهر الشريف، حتى يكونوا خير سفراء في بلادهم

> **وزير الأوقاف المصري يشيد بجهود المكتب الكويتي في رعاية الطلاب الوافدين**

بما يحملونه من فكر وسطي بعيد عن التشدد والتطرف، وحتى يكونوا حائط صد ومانعا قويا ضد أي فكر وافد يمس سماحة الإسلام ويسره.

وفي كلمته، ثمن محافظ الإسكندرية الدكتور عبدالعزيز قنصوة، الجهود المبذولة من وزارة الأوقاف المصرية في نشر الفكر الوسطي المستنير، وبيان سماحة الإسلام التي تحمل التيسير والتفاؤل، كما أشاد بالدور الذي يقوم به بيت الزكاة الكويتي في رعاية الطلاب الوافدين بالأزهر والمسجلين على منحة دراسية، ووجه كلمة للطلاب الوافدين وطالبهم بأن يكونوا سفراء في بلادهم يعلمون الناس صحيح الدين بفكرهم المستنير.

وأكد مدير مكتب بيت الزكاة الكويتي في القاهرة الدكتور إسماعيل الكندري، على أن التعاون بين دولة الكويت وجمهورية مصر العربية، متمثلا في وزارة الأوقاف المصرية، أتى ثماره، من خلال الجهد المبذول من وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد مختار جمعة، الذي غمر هؤلاء الوافدين بكل الرعاية والاهتمام، وما كان من فعاليات هذا المعسكر التثقيفي خير دليل على هذا التعاون البناء والمثمر.

وفي نهاية كلمته، أوصى الكندري الطلاب الوافدين المشاركين في المعسكر التثقيفي، بأن يكونوا صورة مشرقة في بلادهم، ناقلين ما تعلموه في الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية على أيدي علمائها ودعاتها إلى شعوبهم وأوطانهم. وأعرب عن سعادته البالغة لمشاركته الطلاب الوافدين التصفيات النهائية للمسابقات الثقافية والعلمية والرياضية، مشيدا بالتعاون مع وزارة الأوقاف المصرية في رعاية واستضافة الطلاب الوافدين الدارسين بالأزهر الشريف على منحة المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية.

وأعرب الطلاب المسجلون على منحة



إسماعيل الكندري: أوصي الطلاب الوافدين أن يكونوا صورة مشرقة في بلادهم

من المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية بالقاهرة، عن سعادتهم بفعاليات المعسكر الذي نظمته وزارة الأوقاف والمكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، وأوضحوا أن المعسكر تضمن العديد من الأنشطة العلمية والرياضية والترفيهية، بجانب زيارة المعالم التاريخية لمدينة الإسكندرية، وقدموا الشكر لدولة الكويت على رعايتها وتحملها كل شؤون دراستهم بالأزهر الشريف.

وقال أدديا حارث، من إندونيسيا، ويدرس في كلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر، بمنحة من المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، إنه يوجه الشكر للقائمين على المعسكر الثقافي العلمي، وإنه وجميع الطلاب الوافدين المقيدين على منحة من المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، يجدون كل الرعاية والاهتمام، وقام المسؤولون في وزارة الأوقاف المصرية والمكتب الكويتي بالتواجد معهم طوال أيام المؤتمر، الذي شهد أنشطة رياضية بين الطلاب الوافدين، وكانت هناك مسابقات رياضية في تنس الطاولة وكرة القدم، بجانب الجولة الميدانية لزيارة المعالم التاريخية بالإسكندرية.

الطلاب: منحة المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية للدراسة بالأزهر تعد حلما لطلاب العلم في العالم الإسلامي

ووجه الطالب جمعة عبدالقادر، من نيجيريا، ويدرس في كلية التربية بجامعة الأزهر، الشكر لمصر والكويت على الجهود المبذولة في رعاية طلاب العلم من دول العالم الإسلامي، موضحا أن منحة المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة للدراسة في الأزهر تعد حلما للكثير من الطلاب في العالم الإسلامي، لأن هناك رعاية ومتابعة كبيرة من جانب مسؤولي المكتب الكويتي في القاهرة، ونوجه لهم الشكر على كل هذه الجهود المبذولة في رعاية الطلاب الوافدين.

متابعة - محمود نصر الدين معلاوي





مسابقة الفرقان للقرآن الكريم بألمانيا ترفع الهمم الفتية

بدأت قوافل المشاركين في جائزة الفرقان الموسم الثالث بالتوافد على العاصمة الألمانية برلين صباح الأحد ٢٠ أكتوبر الماضي وشارك في هذا العام أربع عشرة دولة أوروبية لأكثر من تسعمئة مشارك ومشاركة في مستويات القرآن كافة.

الجائزة يرعاها المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ومسجد دار السلام وتتولى الهيئات الإشرافية من رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية للكتاب والسنة ومقرها مكة المكرمة وجمعية المنابر القرآنية من دولة الكويت وجمعية القرآن الكريم في الخرطوم لإشراف على الجائزة ويشارك في لجنة التحكيم عدد من المشايخ والقراء من الكويت والبحرين والسودان والمغرب والجزائر ولبنان واليمن وسورية.



توافد على الفاعلية لفيف من العلماء والقراء على مستوى العالم الإسلامي ومن بينهم فضيلة الشيخ عبدالرشيد علي صوفي وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي وفضيلة الدكتور خالد المذكور وفضيلة الشيخ كمال قدة وفضيلة الشيخ عمر القزابري وفضيلة الشيخ محمد الوائلي.

قال الشيخ عبدالرشيد علي صوفي: «يسعدني ويشرفني



أن اشترك هذا العام في مسابقة الفرقان للقرآن الكريم ببرلين في ألمانيا وأنتهز هذه الفرصة لتحريض وتشجيع إخواننا على الإنفاق على هذه المشاريع الطيبة التي من شأنها أن ترفع همم إخواننا وأخواتنا في تعلم القرآن الكريم وتعليمه والدعوة إليه والتخلق بأخلاقه».

كما أضاف الشيخ محمد الوائلي، مراجع مصاحف معتمد بوزارة العدل والشؤون الإسلامية بمملكة البحرين: «أحمد الله تعالى أن جمعنا مع هذه الكوكبة من حفظة كتاب الله مع أهل الله وخاصته في هذا التنافس المبارك ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين:٢٦)».

وأوضح فضيلته أن التنافس كان قويا ودقيقا، وكان التقارب شديدا بين الدرجات.

كما أشاد بدور القائمين على هذا المشروع ومدى إتقان المحفظين ودقتهم.

وأوصى المشاركين بالمراجعة المستمرة وعدم الانقطاع حتى لا يتفلت منهم



حفظ القرآن الكريم.

وأوضح لهم مكانة حافظي القرآن وما يصلون إليه من منزلة رفيعة وخيرية عامة أيضا كما قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

وفي كلمته أكد الشيخ طلال هادي، الداعية الإسلامي بألمانيا قائلا:

المنابر القرآنية تشارك رابطة العالم الإسلامي في الإشراف على المسابقة

«إنها لمشاعر عظيمة تختلجنا مع تكريم لقلوب تضيء علينا كالشمس، ونحمد الله ونشكره تبارك وتعالى أن رزقنا رؤية هذه النجوم من القارئين والقارئات لكتاب الله تعالى في هذا البلد الكريم، والشكر لإصحاب الأيادي البيضاء الذين مدوا أيديهم بما يمتلكون من أموال لخدمة تعليم القرآن الكريم، ولإقامة هذا الاحتفال القرآني المهيب، كما شكر أيضا المعلمين والمعلمات وأولياء الأمور وكل من له يد في إيصال نور كتاب الله إلى قلوب هؤلاء الفتية النقية.

وقد اشترك في هذه المسابقة تسعمئة وستة مشاركين وحصل عبدالملك الجاسم (مدينة مجدييورج. ألمانيا) على المركز الأول، بينما حصد المركز الثاني محمد جامع (مانشستر. بريطانيا) وجاء في المركز الثالث سميرة سيرس (برلين – ألمانيا).

الهامش

١ – أخرجه البخاري كتاب (فضائل القرآن) رقم ٤٦٦٤.

د. محمد سيد شحاتة
أستاذ الحديث في جامعة الأزهر
مصر



نظرة على تاريخ الإرهاب

لا يكاد يوجد عصر من العصور يخلو من الإرهاب، ولكن الفارق بين عصر وعصر أنه يقل ويكثر حسب ظروف وملابسات ذلك العصر، فقد أرهب الأعداء المسلمين، وأذاقوهم ألونا من الإرهاب، بل إن النبي ﷺ ناله الكثير من أنواع الإرهاب: الجسدي، والنفسي، والأمني، حتى وصل الأمر إلى إخراجه من مكة[١]، ومحاولة سمه في المدينة[٢].

ثم ظهر الإرهاب بعد رحيله في صورة هؤلاء المرتدين الذين حملوا السلاح رافضين دفع الزكاة، حتى كان من أمرهم أن قاتلهم الخليفة الأول، وقضى عليهم[٣].

وفي عصر الخليفة الثاني بدأ خفيا نظرا لعدل الخليفة وقوته، فلم يظهر إلا فجأة فقام المجوسي أبو لؤلؤة بقتل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤].

ولم يقف الإرهاب عند هذا الحد، بل اشتد فاجتمع المكر المجوسي مع اليهودي ممثلا في صورة ذلك المنافق الخبيث عبدالله بن سبأ، الذي أرسل خلاياه السرية، تشعل نار الفتنة التي لم تهدأ حتى عصفت بثالث الخلفاء عثمان رضي الله عنه[٥]، الذي استشهد وهو يقرأ القرآن، ثم تتابعت الفتن كقطع الليل المظلم ولا تزال.

وبقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[٦]، لذا عبر ابن العربي عن هذا الحدث بقوله: «المدينة في حكم الإرهابيين خمسة أيام بلا خليفة ثم بويع علي»[٧].

وهذه الفتن يصورها قول سعيد بن المسيب: «وقعت الفتنة الأولى (يعني مقتل عثمان) فلم تبق من أصحاب

بدر أحدا، ثم وقعت الفتنة الثانية (يعني الحرة)، فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدا، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ»[٨]، يعني: قوة وشدة.

ومنذ استشهاد ذي النورين لم تهدأ الفتن؛ بسبب هذا الإرهاب، وإشعال الخصومات بين أفضل الناس بعد النبيين، فتم اغتيال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، على يد الخوارج الذين خططوا لاغتيال كل من علي بن أبي طالب خليفة المسلمين[٩]، وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وكلف عبدالرحمن بن ملجم لقتل علي والحجاج بن عبدالله من تميم لقتل معاوية، وعمر بن بكر لقتل عمرو ابن العاص، وقد نجا معاوية ونجا ابن العاص[١٠].

قال الشعبي: «والله لقد سم رسول الله ﷺ، وسم أبو بكر الصديق، وقتل عمر بن الخطاب صبرا، وقتل عثمان بن عفان صبرا، وقتل علي بن أبي طالب صبرا، وسم الحسن بن علي، وقتل الحسين بن علي صبرا، رضي الله عنهم فما نرجو بعدهم»[١١].

هذا وقد «كانت أول فرقة مرقت من الدين وشقت صفوف المسلمين هي: الخوارج»[١٢].

وقد جاءت في أوصافهم أحاديث كثيرة منها: قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ، فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»[١٣].

وفي الحديث وصف لهؤلاء بأنهم صغار السن، فهم غلمان حدثان، وضعفاء العقول، يتكلمون بالحق يريدون به الباطل كما قال الخوارج: لا حكم إلا لله، في قضية التحكيم، وهؤلاء يسعون بالفساد لافتراق كلمة المسلمين[١٤].

وفي صحيح مسلم أكثر من باب عن الخوارج، منها:

- باب ذكر الخوارج وصفاتهم[١٥].
- باب التحريض على قتل الخوارج[١٦].
- باب الخوارج شر الخلق والخليقة[١٧].

وما ذكرهم إلا لخطرهم، وخطر فكرهم، وعظيم جرمهم، فقد كفّر هؤلاء المسلمين بالذنوب، وانطلقوا من هذا المسلك السيئ إلى قتل المسلمين، واستحلال دمائهم، ثم ظهر الافتراق والاختلاف الذي أخبر عنه نبينا ﷺ كما في حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[١٨].

قلت: «وهذا ما حدث، فقد ظهرت الفرق تلو الفرق، تذهب واحدة وتجيء أخرى، يذهب فكر عقيم ويجيء فكر سفيه، وأحيانا تتلاشى الأسماء، ويبقى الأثر، يزول الاسم ويبقى الفكر. وللأسف رغم أن صفحة هؤلاء طويت مع الزمن، إلا أن فكرهم ظل يتنقل من عصر إلى عصر، ومن مصر إلى مصر، يتبناه كل من أراد أن يشق صف المسلمين، وبقيت نتائج أفكارهم، دون توجيه نظر إلى المعاني الصحيحة، فهؤلاء لم يتدربوا على الروايات، وصعب عليهم تقريبها وتيسيرها».

«وهذه الأفكار تظهر بين الحين والحين بسبب عدم التمكن من العلم، فعندما تثار شبهات الخوارج يتأثر بها من له هوى معين، وتجد عنده قلبا خاليا، هذا إن لم تكن هناك مؤثرات خارجية، فكيف وهؤلاء يدندنون ليل نهار، ويعظمون أفكارهم»[١٩].

وقد ظهرت بعض الفرق الإرهابية عبر العصور كالقرامطة[٢٠]؛ وهم أتباع قرمط، الذي أرسل عبدالله ابن ميمون للدعوة لمبادئه الهدامة في العراق، وقد أحل أتباعه من كل فروض العبادة والتقوى، وأباح لهم العنف، وخالف تعاليم الإسلام، فكان له رأيه في العبادات، وكانت هذه الفرق من أعنف الفرق، حيث حملت السلاح لحمل الناس على اتباع مذهبهم، وسفكت الدماء، وألقت الرعب حتى وصلوا إلى مكة واقتحموا البيت الحرام[٢١].

وظهرت فرق كالمغيرية[٢٢]، والمنصورية[٢٣] في الكوفة أواخر الدولة الأموية[٢٤]، يقول النوبختي عن أبي منصور العجلي رئيس فرقة المنصورية: «وكان يأمر أصحابه

بخنق من خالفهم، وقتلهم بالاغتيال»، ويقول: «من خالفكم، فهو كافر مشرك، فاقتلوه، فإن هذا جهاد خفي»[25].

وقد عاثت فرق الغلاة والباطنية فسادا في الأرض في القرنين الخامس والسادس الهجريين، فاغتالوا خيار الحكام والدعاة والعلماء، بل استفحل أمرهم حتى دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دماء الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المشرفة[26].

كما أن رأس الباطنية في القرن السادس الهجري حسن الصباح[27] قد أثار الرعب في العالم الإسلامي، واتخذ لنفسه قلعة سميت بقلعة الموت، وكون فرقا لاغتيالات بعض كبار العلماء والوزراء كنظام الملك وغيره[28].

هذه بعض الأمثلة التي ظهرت في عصر صدر الإسلام، واستمر بعضها إلى يومنا هذا، الذي تنوع فيه الإرهاب بأشكاله وصوره، وعندما نقلب صفحات التاريخ المعاصر تجد الحركات التي تمارس العنف والإرهاب قد خرجت من رحم الفرق القديمة. فما زال أصحاب الفكر المنحرف يتنقلون بفكرهم من بلد إلى بلد، ومن زمن إلى زمن، وظهروا الآن بمسميات مختلفة، وتحت شعارات براقة، فالفكر يجمعهم، وإن فرقتهم الأسماء، وما نراه بأعيننا الآن يقف شاهدا على عظيم خطر هؤلاء، فقد أحرقوا، وقتلوا، وذبحوا من لا ذنب، ولا جرم.

هذه نظرة في عجالة لتاريخ هذه الجماعات، وإن شئت فقل عن بعضها العصابات المسلحة.

الهوامش

١- ينظر: قصة الهجرة في صحيح البخاري، (١٤١٧/٣)، ح(٣٦٩٢).

٢- مسند أحمد، (٢٧٨/٦)، ح(٣٧٣٣)؛ مسند أبي داود الطيالسي، (٣٠٥/١)، ح(٣٨٨).

٣- ينظر: صحيح البخاري، (٥٠٧/٢)، ح(١٣٣٥)؛ وصحيح مسلم، (٣٨/١)، ح(٣٢).

٤- ينظر: صحيح البخاري، (١٣٥٠/٣)، ح(٣٤٨٩).

٥- ينظر: مسند أحمد، (٥٥٤/١)، ح(٥٤٥).

٦- تاريخ الطبري، (٥:١٥٥).

٧- العواصم من القواصم، ص:١٤٢.

٨- صحيح البخاري، (١٤٧٥/٤)، رقم:٣٨٠٠.

قوله: «الحرة» موضع الوقعة التي حصلت خارج المدينة قاتل فيها عسكر يزيد بن معاوية - رضي الله عن معاوية - أهل المدينة سنة ثلاث وستين للهجرة قتل فيها سبعمئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم.

«الثالثة» قيل: لما خرج في المدينة أبو حمزة الخارجي، وكان ذلك في خلافة مروان بن محمد سنة ثلاثين ومئة للهجرة.

«طباخ» قوة وشدة.

٩ - ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، (١٢٢/٣)، ح(٤٥٨٨)؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، (٥٥٨/٢)، ح(٩٤٠).

١٠ - وكتب التاريخ تقف شاهدة على ما ذكرته، مسطرة فيها تلك الأمور.

١١ - ينظر: المستدرك على الصحيحين، (٦١/٣)، ح(٤٣٩٥)، وصححه الحاكم والذهبي.

١٢ - الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام ٣٧هـ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي، رضي الله عنهما، وتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصرا عليها، وقد افترقوا على نحو عشرين فرقة، ومن أسمائهم أيضا الحرورية. انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١)؛ وتلبيس إبليس، ص: ٩؛ والملل والنحل، (١١٤/١).

١٣ - أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٢٠٠/٤)، ح(٣٦١١)؛ ومسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، (٧٤٦/٢)، ح(١٠٦٦).

١٤ - ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٤٤/١٦)، بتصرف واختصار شديدين.

١٥ - صحيح مسلم، (٧٤٠/٢)، باب رقم:٤٧.

١٦ - صحيح مسلم، (٧٤٦/٢)، باب رقم:٤٨.

١٧ - صحيح مسلم، (٧٥٠/٢)، باب رقم:٤٩.

١٨ - أخرجه أبو داود، أول كتاب السنة، باب شرح السنة، (٥/٧)، ح(٤٥٩٦)؛ والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، (٣٢٢/٤)، ح(٢٦٤٠)، وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (١٢٨/٥)، ح(٣٩٩١).

١٩ - أصول وتاريخ الفرق، (٣٦٦/١).

٢٠ - القرامطة: ينسبون إلى حمدان قرمط، وهو أحد من دعا إلى الباطنية. ومن بدع هذه الفرقة قولهم: بإبطال الفرائض من صلاة وحج وغير ذلك، وإباحة المحرمات، (انظر: الفرق بين الفرق:٢٨٢؛ وبيان مذاهب الباطنية وبطلانه من كتاب عقائد آل محمد، ص:٢٢؛ والموسوعة الميسرة:٣٩٥).

٢١ - ينظر: الفرق بين الفرق، ص:٢٦٧؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٦٣/٢)؛ فضائح الباطنية، ص:١٢.

٢٢ - سموا هؤلاء المغيرية باسم المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبدالله القسري، ثم تراقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم أنه رسول نبي وأن جبرائيل يأتيه بالوحي من عند الله، فأخذه خالد ابن عبدالله القسري فسأله عن ذلك فأقر به ودعا خالدا إليه فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه وكان يدعي أنه يحيي الموتى، وقال بالتناسخ، وكذلك قول أصحابه إلى اليوم. (فرق الشيعة، ص:٦٣).

٢٣ - هم أصحاب أبي منصور، وهو الذي ادعى أن الله عزوجل عرج به إليه فأدناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسرياني: أي بني، وذكر أنه نبي ورسول، وأن الله اتخذه خليلا، وقد زعم هذا أن عليا رضي الله عنه هو الكسف الساقط من السماء، وربما قال هو الله تعالى، وزعم أن الرسل لا تنقطع، وزعم أن الجنة رجل أمرنا الله تعالى بموالاته، والنار رجل أمرنا بمعاداته وتأول الفرائض برجال أمرنا بموالاتهم... إلخ من الضلال والمنكرات. (فرق الشيعة، ص:٣٨).

٢٤ - فرق الشيعة للنوبختي، ص:٥٤.

٢٥ - فرق الشيعة، ص:٣٨.

٢٦ - يراجع: البداية والنهاية، (٦٣٦/١٤)؛ والمنتظم، (٢٩٢/١٢).

٢٧ - انظر عن حسن الصباح في «الكامل في التاريخ»، (٤٠٥/١٢)؛ و«تاريخ الزمان» لابن العبري، ص:٢٦٨؛ تاريخ الإسلام، (٣٩٨/٤٤)؛ وسير أعلام النبلاء (١٥٨/٢٢)؛ والبداية والنهاية، (٩٦/١٣)؛ وشذرات الذهب (٨٤/٥).

٢٨ - راجع: البداية والنهاية، (١٧٥/١٦).



د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

التطرف الفكري كيف نتداركه؟

التطرف لغة معناه الميل والانحراف عن الوسط والابتعاد نحو الأطراف، فالمتطرف من يصل بالشيء إلى منتهاه ويكون عند أحد طرفي الأمر لا وسطه، ولتقريب الصورة تخيل من يجلس على أحد جناحي طائرة (صغيرة الحجم) بل وعند طرف الجناح ألن يختل توازن الطائرة؟ وإن جلس على الطرف المقابل للجناح الآخر للطائرة أليست نفس النتيجة؟ يختل توازن الطائرة وقد يتسبب في كارثة في سقوطها، بينما إن جلس في منتصف الطائرة ألا يساهم في توازنها ولا يؤثر على مسارها وخطورة مصيرها؟!

فالمتطرف يمينا أو يسارا هو لا يأخذ بالوسط والاعتدال الذي يؤدي للتوازن، مما قد يؤدي لمشكلات كثيرة له ولمن حوله ومن يعيش في مجتمعه. والتطرف له أنواع كثيرة قد يكون التطرف فكريا ودينيا أو عقائديا أو سلوكيا أو أخلاقيا أو اقتصاديا. وفي هذا الصدد؛ لو أخذنا ما يشاع على ألسن البعض أن من يطبق السنة النبوية بحذافيرها ويطلق لحيته ويزهد في الحياة الدنيا ويتجنب مخالطة النساء قدر الإمكان ومصافحتهم ويصلي الصلوات الخمس في المسجد أو في جماعة وترتدي زوجته النقاب أو الخمار ولا يتعامل بالتعاملات البنكية أو الربوية.. هو متطرف دينيا وفكريا، وفق المفاهيم الحديثة والحياة العصرية، فإننا أيضا علينا أن نرى من الجانب الآخر للأمر أن المسلم الذي لا يصلي أصلا أو يصلي مرة ويدعها مرات، ويمارس الربا والرشوة وقد يشرب الخمر أو يتعاطى المخدرات ويكثر الاختلاط غير المبرر وتخرج زوجته المسلمة بكامل حليها وشعرها أمام الرجال وفي الشارع وبملابس غير موافقة للشرع؛ فإن هذا يمكن أن يصنف على أنه متطرف عن الدين من الطرف المقابل أي متطرف سلوكيا ودينيا؛ لأنه لم يأخذ من الدين شيئا ولم يطبق منه سوى بعض الأمور البسيطة وبإهمال مقصود منه؛ فهذا نوع من الانحراف عن الحق، ولكن قد لا ينظر إليه في واقعنا بهذا المنظار من التطرف السلبي بل ينظر إليه على أنه حرية شخصية في اختيار ما يريد وما يعتقد. (ولكن ليس هذا ولا ذاك الذي أقصده في مقالنا وتاليا سأوضح مفهوم التطرف الفكري أو الديني الذي نحن بصدده في واقعنا).

بين الحرية الشخصية والتطرف

إن كلا الحالين السابقين سواء الذي تطرف يمنة أو يسرة أو الذي اختار الاعتدال والوسطية هو حر في اختياراته وفي حياته الشخصية ما دام لا يؤثر على الآخرين ولا يتعدى عليهم ولا يصيبهم بأذى أو يعرضهم لفتن أو يؤثر على حياتهم، بل هو يعرف أحكام الله وتعاليم الدين واختار ما يريد بكامل إرادته وبمسؤوليته الكاملة عما أراد، فله كامل الحرية في الاختيار، لأن الله الخالق هو من سيحاسب الإنسان على خياراته، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وعلى الآخرين النصح والموعظة فقط، وله القرار. فالاختلاف بين البشر موجود منذ الأزل وسيبقى ما دامت الحياة، وليس علينا أن نجبر أحدا على خياراتنا وألا نتوقع من الناس جميعهم أن يعتقدوا ما نعتقد أو يدينوا بما ندين؛ لأننا لن نصل يوما لأن نجعل كل الناس نسخا من بعضهم البعض أو مما نرغب نحن ونتمنى. وقد قال الله تعالى في هذا الصدد: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٩). فحرية المعتقد والفكر الشخصي أمر محترم وموجود على مر الزمن وبكل الحضارات والديانات والمذاهب، والاختلاف موجود كذلك وقد يكون هو أصل الصراعات بين البشر على مر العصور. أما مصطلح «التطرف الفكري أو الديني» الذي نناقشه هنا والذي انتشر أخيرا في العالم فهو يطلق اصطلاحا على من غلا في الدين وأوغل في الآراء الفكرية العنيفة التي

تبيح الاعتداء أو القتل للذين يعتقد المتطرف من جانبه أنهم لا يؤمنون بالله ويحاربون الله ورسوله مكفرا إياهم كمسلمين وغير مسلمين، وقد يمارس العنف والقتل لهم هنا وهناك معتقدا أن هذا هو الحل لكثير من المشاكل وأنه جهاد وخدمة للدين.

وأشير هنا إلى أن الغلو في الدين مكروه منبوذ ومعناه لغة هو مجاوزة الحد، فكل من جاوز الحد فهو غال، وقد نهى الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ عن الغلو في الدين، وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[١]، ويقول ﷺ: «هلك المتطعون! هلك المتنطعون! هلك المتنطعون» قالها ثلاثا عليه الصلاة والسلام[٢]. والتنطع معناه: الزيادة على ما شرعه الله، وتأويل الدين كما نريد.

والإسلام دين وسط لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا يعرف التطرف ولا الغلو، بل هو دين السلام والسماحة واليسر، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

الإيمان والكفر قضية قلبية

لا أحد في الحياة يستطيع أن يحكم على أي إنسان مسلم (يقول عن نفسه بأنه مسلم وأنه يدين بالإسلام ويذكر الله) بالكفر ما لم يصرح الشخص نفسه بأنه لا يؤمن بالله تعالى ويكفر بما جاء به نبينا محمد ﷺ ولا يشهد الشهادتين. فالحكم على بعض المسلمين بالكفر أمر خطير للغاية قد يخرج من الملة، فهذا شأن إلهي، شأن الله تعالى فقط؛ فهو وحده يحكم على البشر بالإيمان أو الكفر أو النفاق، وحتى رسول الله ﷺ وهو يعلم المنافقين (وهم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ويحاربون الله ورسوله) لم يعلن أسماءهم ولم يحاربهم ولم يشهر بهم بل وكل أمر عقوبتهم لله تعالى، والله تعالى هو الذي فضح أمر بعضهم كزعيم المنافقين عبدالله ابن سلول، وطلب الله تعالى من رسوله الكريم ﷺ عدم الاستغفار لهم، لأن استغفار رسول الله ﷺ لهم والصلاة على أمواتهم رحمة لهم، فكان فضحهم أمرا من الله الخالق في آيات صريحة في القرآن الكريم، حيث أعلنوا كراهيتهم للإسلام وحقدهم عليه وتآمروا مع الكفار والأحزاب ضد المسلمين من أجل تقويض شوكة الإسلام والقضاء عليه في مهده وعلى رسول الله ﷺ، وقد خابوا وخسروا وافتضح أمرهم في حياتهم.

ورسول الله ﷺ أمرنا أن نأخذ الناس على محمل الظاهر، أي على ما يظهرون من عقيدة لا على ما يبطنون لأن الحكم على الباطن أمر دقيق جدا وشأن خالق البشر لا شأننا، والله وحده يعلم ما نخفي وما نعلن، وتأمل هذه القصة فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، فصبحنا القوم على مياههم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: يا أسامة! أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟! قلت: يا رسول الله إنما كان متعوذا، فقال: أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟ أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟! فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»[٣].

وفي رواية لمسلم[٤] أن رسول الله ﷺ دعاه فسأله: «لم قتلته؟» قال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلانا وفلانا، وسمى له نفرا، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «أقتلته؟» قال: نعم، قال له رسول الله ﷺ: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟» قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة».

فلم يصرح لنا رسول الله ﷺ بأن نكفر المسلمين وقتما نريد دون أدلة قاطعة، وأن نستبيح دماءهم، وهذا ما قد تعاني منه بعض مجتمعاتنا في هذا الزمان.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣). فكم هي بالغة الخطورة هذه الآية الشريفة! فأنت قد لا تعلم إن كان هذا الشخص المسلم الذي ستقتله مؤمنا حقا أم لا، وقد يكون لديه عمل صالح يقوم به بينه وبين الله تعالى وقد يهديه الله به أو يغفر له أو يرفعه درجاته، كرعاية والديه وبرهما أو صلة رحم أو صدقة أو رعاية يتيم أو دعاء خالص لله.. فوكل أمر الخلق لله تعالى، ولا تحكم على مصائرهم تطرفا بفكرك فقد تودي بنفسك إلى سخط الله وإلى جهنم بدلا من الجنة وأنت تعتقد نفسك أنك الأفضل عند الله تعالى!

استطرادا لما سبق، فإن قام هؤلاء الأفراد والجماعات التي يطلق عليها «متطرفة» بقتل بعض المسلمين لحكمهم عليهم ظاهريا بالكفر، فإنهم قد يقعون في ارتكاب إثم شرعي كبير وهم لا يدرون. فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما»[٥].

ومن جانب آخر وبسبب التطرف الفكري؛ قد يخطط المتطرفون لقتل غير المسلمين هنا وهناك في بلاد مسلمة وغير مسلمة بطرق مباغتة

وفي أماكن عامة لمن لم يعتدوا على المسلمين ظنا منهم خطأ أن هذا هو الجهاد الحقيقي، مما قد يسيء للإسلام والمسلمين وينفر من الدين الإسلامي لتلك السلوكيات الخاطئة لأولئك الأفراد القلة وتجعلهم يبغضون الإسلام ويبدأون بمحاربته، وكثيرا ما تستغل وسائل الإعلام المناهضة للإسلام هذه الأحداث من أجل الإساءة للدين الإسلامي وتشويه صورته وبث الكراهية لأبناء المسلمين والتضييق عليهم في بلاد الغرب التي يعيشون بها.

أما ما يتعلق بمجاهدة المعتدين فلها قواعدها الشرعية وضوابطها وأحكامها الفقهية الكثيرة، فمثلا عند الاعتداء على بلد من بلاد المسلمين يكون واجب المسلم الدفاع عن النفس والأهل والعرض والمال والبلد حيث هو اعتداء في عقر دار المسلمين، كما حدث إبان الحروب الصليبية وحروب التتار والمغول وكما في احتلال اليهود لفلسطين في زماننا وتدنيسهم لمقدساتها وسلب أراضيها.

التطرف الفكري من أين يأتي؟ وكيف نواجهه؟

إن التطرف الفكري موجود لدى العديد من الأفراد أو الجماعات اليوم، والمشكلة تأتي من كون هؤلاء غالبا ما يعتمدون في أفكارهم على مصدر واحد لمعتقداتهم، معتقدين أن هذا المصدر هو فقط الصحيح وهو طريق الخير والصواب الوحيد وهو الملتزم بقول الحق دائما، أما المصادر الأخرى فغير موثوقة لديهم. فهم يتبعون مذهبا فكريا واحدا وفكرا واحدا مستحدثا أو رجلا واحدا لا يحيدون عن رأيه، وغالبا لا يأخذون بإجماع المسلمين وبإجماع الفقهاء الذي يتسم بالوسطية، ومن هنا ينمو التطرف الفكري لديهم. وهناك من يعتقد أن بعض هؤلاء وصل لهذا التطرف الفكري نتيجة تهاون الناس في تطبيق أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه والابتعاد كثيرا عن تطبيق الدين الإسلامي وأحكامه وتعاليمه مما يسبب انتشار الفساد والضلال بين أوساط الشباب والمجتمعات الإسلامية ويزيد من ارتكاب المحرمات، فيرى هذا المتطرف أن عليه مسؤولية أمام الله تعالى لمحاربة هذا الفساد والضلال وإصلاح الأمور ولكن بطريقته التي يراها مناسبة وحسب فهمه للدين وتعاليمه والتي قد لا تكون متوافقة مع إجماع علماء المسلمين وبطريقة تتضمن العنف.

ومن هنا أعرض بعض المقترحات لتقليل التطرف الفكري الذي قد يصيب بعض شباب المسلمين في زماننا بالصورة التي ذكرناها سابقا، ومنها:

● لابد من تعليم أحكام الدين الصحيح في المدارس اعتمادا على الكتاب والسنة النبوية اللذين هما أساس الاعتدال والتوازن في الأخذ بأمور الدين وعدم الحياد عنه يمينا أو يسارا. فمادمنا نرجع للقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية ونعلمها لأبنائنا منذ الصغر فلن نخرج جيلا متطرفا، لكن إن كنا نعلمهم الدين بشكل مجتزأ ومقتطفات منه فإن كل واحد سيأخذ الدين كما يحلو له لا كما فهمه السلف الصالح.

● أن تأخذ المساجد دورها في إرشاد المسلمين وتعليمهم أمور دينهم وتوضيح القرآن الكريم والسنة النبوية، ليس فقط من خلال خطب الجمعة بل من خلال دروس الوعظ والإرشاد وتعليم الفقه والأحكام الشرعية والأحاديث النبوية ومن خلال مجالس العلم التي كانت تقام في المساجد منذ فجر الإسلام وعهد رسول الله ﷺ مستمرة عبر العصور الإسلامية المختلفة، فعندما كان الدين يعلم بطريقة سليمة لم يخرج لنا جيل متطرف، بينما عندما أهمل دور المسجد في التعليم ظهرت جماعات فكرية بأفكار متطرفة تنقلها للشباب، ولا أحد يصحح فكرهم.

● السماح بمساحة فكرية تعبيرية للشباب بالتعبير عن متطلباتهم وحاجتهم وأفكارهم والاستماع لها من قبل المسؤولين، وتوفير وظائف وفرص عمل لهم ومشاريع تنموية للعمل بها كما يحدث في الدول الغربية لتوظيف طاقاتهم ومواهبهم؛ لأن هذا التفهم للحاجات البشرية وتوفير المساحة لحرية إبداء الرأي تسمح لهؤلاء الناس بالتعبير عن الذات وعما يجول في خاطرهم وما هي حاجتهم ورغباتهم، وهنا يمكن تفادي الأخطاء وحل المشاكل والتطرف الفكري الذي قد تعاني البلاد منه، فلا يواجه العنف بالعنف لأنه سيزيد المشكلات والأحقاد، بل بالتفهم للحاجات والمتطلبات الإنسانية والدينية والاستماع لها ومحاولة تلبيتها قدر المستطاع.

● أن تأخذ وسائل الإعلام وخاصة القنوات الفضائية الحريصة على شباب المسلمين وبلاد المسلمين دورها في تصحيح المفاهيم وتعليم الناس أمور دينهم بشكل يرضي الله تعالى ويتبع سنة نبيهم؛ لأنه لا نجاة ولا فلاح إلا بتعليم الإسلام الصحيح دون غلو وإفراط، وهو التعليم المعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كما نقلها السلف الصالح. وقد قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه»[6].

الهوامش

١- رواه عبدالله بن عباس، في اقتضاء الصراط المستقيم، حديث ١/٣٢٧، باسناد صحيح على شرط مسلم. ورواه عبدالله بن عباس في مسند الإمام أحمد بلفظ: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» بإسناد صحيح حديث ٥/٨٥.

٢- رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، حديث ٢٦٧٠.

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه، حديث ٤٧٥١، وإسناده صحيح باتفاق الشيخين البخاري ومسلم.

٤- رواه الإمام مسلم في صحيحه، باب الإيمان، حديث٩٧.

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، حديث ٦٨٦٢.

٦- رواه عبدالله بن عباس، وأخرجه المنذري في كتاب الترغيب والترهيب، حديث٦١/١، بإسناد صحيح أو حسن.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

نحو تجفيف منابع التطرف

لعلنا نلاحظ أن الحديث عن التطرف، من حيث المفهوم والأسباب والمظاهر ووسائل العلاج وطرق الوقاية، قد زاد في العقود الأخيرة بشكل لافت عن ذي قبل، وعقدت حوله الكثير من الندوات والمؤتمرات.

ولا شك أن أحد أسباب الاهتمام بهذه الظاهرة يرجع إلى أن حالة التطرف قد تجاوزت المربع الفكري، وساحة الرأي والنقاش إلى المربع العملي، والتأثير في سلوك الناس وحياتهم؛ سواء بالقتل والاستهانة بالدماء أو باستحداث سلوكيات لا تنسجم مع القيم المطلوبة في أي مجتمع متماسك مستقر.

مع المفهوم

و«التطرف»، كما تعرفه معاجم اللغة، هو مجاوزة حد الاعتدال؛ يقال: تطرف: أتى الطرف. ويقال: تطرفت الشمس: دنت للغروب. وتطرف منه: تنحى. وتطرف في كذا: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. وتطرف الشيء: أخذ من أطرافه[1].

و«التطرف: المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطر مدمر للفرد أو الجماعة[2]».

إذن، التطرف مجاوزة لحد الاعتدال والتوسط؛ وهذا يعني أن ثمة حدا مقررا بين الناس، إما شرعا أو عرفا، ثم هناك خروج على هذا الحد.. وهذه الحدود المقررة هي الموقف الوسط، الذي يعد الخروج عليه ذهابا إلى الأطراف يمينا أو يسارا.

التطرف والوسطية

وإذا كانت بضدها تتميز الأشياء، فإن الحديث عن «التطرف» يأخذنا بالضرورة إلى الحديث عن «الوسطية»؛ فنحن لا نستطيع أن نقول إن رأيا ما قد تجاوز حد

الاعتدال والتوسط إلى التطرف، إلا إذا كنا نعرف أولا هذا الحد المقرر الذي يعد تجاوزه تطرفا.

و«الوسطية» لها مفهوم متميز في النسق الإسلامي، عنها في سائر الأنساق المعرفية الأخرى.. وهي في المنظور الإسلامي ليست نقطة رياضية تأخذ مسافة متساوية بين موقفين، وإنما هي موقف جامع يؤلف بين القسمات والمكونات الموجودة في القطبين المتقابلين، ليمثل موقف العدل والتوازن بينهما[٣].

وإذا كانت «الوسطية» صفة أساسية لأمة الإسلام، فإنها يجب أن تتجلى في كل ما يتصل بالأمة، فكرا وسلوكا؛ بحيث تكون هذه الصفة الأساسية واضحة جلية في سائر ما ينتج عن الأمة من نظريات وممارسات.

وقد كانت أمة الإسلام «أمة وسطا» بين من سبقها من الأمم؛ حيث وجدنا قبل الإسلام من انحاز إلى مادية مغرقة في الملذات والشهوات، ومن انحاز إلى روحية هائمة في عوالم الشعور والزهد.. فجاء الإسلام ليكون وسطا بين هؤلاء وأولئك، وليرسم بهذه الوسطية حد الاعتدال، الذي يعد الخروج عليه تطرفا.

فالإسلام لا يدعو إلى المادية البهيمية، ولا إلى الروحية المترهبنة؛ وإنما يدعو إلى إشباع حاجات المادة والروح معا بلا تناقض، وإلى التفاعل مع الدنيا والاستعداد للآخرة في آن واحد، بل إنه عد عمارة الأرض وإصلاحها بالغرس والبناء نوعا من العبادة، التي كلف بها المرء ويثيبه عليها!

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلا كان له به صدقة» (رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك).

و«حضارة الوسط هي الحضارة التي تمثل التزاوج بين مكونات تظهر في الحضارات الأخرى بصورة أقل تزاوجا أو أقل ترابطا. وهنا نؤكد أن الوسط ليس المتوسط، ولا هو الوسيط، وليس نقطة متوسطة بين نقطتين. فالفهم الرياضي والإحصائي للوسط خرج به عن معناه. ولهذا يمكن أن نقترب من فكرة الوسط من خلال نوع من الفهم التفاعلي الكيميائي؛ فالوسط يمثل المكون الحضاري المتعدد الأبعاد والمعاني والقدرات، وهو بهذا تكوين حضاري يعتمد على تعدد مكوناته الأساسية وترابطها معا؛ بل نقول واندماجها معا، بحث لا يمكن أن نحللها إلى عناصرها مرة أخرى»[٤].

إذن، التطرف مناقض للوسطية التي هي العدل.. ونوع من الظلم للنفس وللآخرين.. كما أنه خروج عما يقرره الشرع، أو يرضاه العرف، مما تستسيغه الفطر السليمة والعقول المستقيمة.

التبسيط المخل

قلنا إن التطرف قد خرج من المربع الفكري بالتشدد والغلو، إلى المربع العملي بالعنف والإرهاب.. وهذا الخروج يمثل ضرورة تدفعنا إلى التناول الجاد للظاهرة، والبحث عن حلول عميقة وفعالة لها، لكننا للأسف نرى تبسيطا مخلا للظاهرة، بما لا يتناسب مع خطورتها ولا مع تأثيرها في حياة الناس.

• ومن مظاهر هذا التبسيط أن يزعم أحدهم أن التطرف خاص بالمسلمين، ويغض النظر عما يقع من أتباع الديانات والمذاهب الأخرى، مما هو واضح ولا يحتاج إلى إثبات وتدليل، يكفي ما نراه في فلسطين من اعتداء يتواصل، على مدار اللحظة، على الحجر والبشر والمقدسات، أو ما نراه في بورما وكشمير! بل إننا لو أردنا مجرد إشارات من التاريخ تدحض هذا الزعم فيكفي أن نقول إن العالم الإسلامي هو من تعرض لهجمة شرسة من التتار أدت إلى تدمير مدن وقتل آلاف الأبرياء، وإلى العبث بالذاكرة الحضارية من خلال إتلاف الكتب والمكتبات، إضافة إلى الحملات الصليبية التي تتابعت على مدى قرنين، وإلى الغزوات الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين.. فهل كان المسلمون في كل ذلك معتدين أم مجنيا عليهم؟!

• ومن مظاهر التبسيط أيضا الزعم بأن التطرف المنسوب إلى بعض المسلمين نابع من الإسلام نفسه، وأن الإسلام يمثل تهديدا للسلم العالمي! كأن الإسلام طارئ على حياة البشرية، ولم يعرفه الناس من قبل، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا!

وهنا، لا أجد أبلغ مما ورد في كلمة شيخ الأزهر أمام «منتدى شباب صناع السلام»، الذي عقد أخيرا في لندن، حيث قال فضيلته: «إنه لو كان صحيحا أن الإسلام هو دين الإرهاب؛ لكان من المحتم أن كل ضحاياه من غير المسلمين؛ ولكن الواقع يقول: إن المسلمين كانوا ولا يزالون هم ضحايا هذا الإرهاب، وهم المستهدفون بأسلحته وبطريقته البشعة في القتل وإزهاق الأرواح؛ والمسلمون هم من دفعوا ويدفعون الثمن غاليا: دماء ودمارا وتشريدا. ويثبت الواقع أيضا



أن ضحايا هذا الإرهاب من غير المسلمين عدد لا يكاد يشكل رقما صحيحا بالنسبة إلى ضحاياه من المسلمين؛ وعندنا - نحن المسلمين - أن من قتل نفسا واحدة ظلما وعدوانا فكأنما قتل الناس جميعا، وأيضا: من أحيا نفسا بأن مكنها من الحياة ودرأ عنها خطر الموت، فكأنما أحيا الناس جميعا. وأتساءل: هل يمكن أن يتصور العقل ظهور إرهاب ينتسب إلى المسيحية - مثلا - ومعظم ضحاياه من المسيحيين؟!»[٥].

• ويضاف إلى مظاهر هذا التبسيط المخل القول إن التطرف يرجع إلى سبب واحد، أيا كان هذا السبب؛ فكريا أو اقتصاديا أو اجتماعيا.. فالظواهر الاجتماعية بحسب التحليل العميق تنبع من عدة أسباب متشابكة ومتداخلة، لا يمكن فصم بعضها عن بعض؛ والرؤية المركبة لا الأحادية هي الرؤية الأمثل في تناول الظواهر الاجتماعية وتحليلها، ومن ثم في البحث عن علاجها.

فقد ذكر أحدهم أن ثمة مدرستين لتفسير الإرهاب؛ الأولى: ترد الإرهاب إلى ظروف اقتصادية واجتماعية بوجه عام، وإلى الاستبداد والدكتاتورية والقهر بوجه خاص. أما المدرسة الثانية: فالإرهاب في رأيها هو عملية عقلية تنحصر في عقل الإرهابي الذي يدفعه إلى التضحية بمستقبله.. ثم ذكر أن الدراسات التجريبية تنفي رأى المدرسة الأولى وتنحاز إلى رأي المدرسة الثانية[٦].

جدلية النص والواقع

ولا أعتقد أن هذا الرأي الثاني صواب؛ لأنه لو كان الإرهاب عملية تنحصر فقط في عقل الإرهابي، لكن هذا الشخص، أو الحامل لهذا الفكر، إرهابيا على طول الخط! بينما نحن نرى أن هذه الأفكار لا تنتج تطرفا أو إرهابا إلا حين توضع في بيئة معينة؛ هي أشبه بالبيئة الموبوءة التي تتغذى عليها الجراثيم؛ فالجراثيم لا تذهب إلى البيئة الصحية النظيفة الممتلئة بأشعة الشمس والهواء النقي؛ وإنما تبحث عن البيئة المظلمة الراكدة!

ونزيد الأمر وضوحا ونقول: إن الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي يتذرع بها البعض في تطرفه وإرهابه، هي آيات وأحاديث موجودة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.. وكثير من المسلمين يحفظونها ويعملون بها؛ ومع ذلك لم يؤد بهم هذا الحفظ وذاك العمل إلى التطرف.

لكن لما وجدت بيئات اجتماعية بمواصفات ما، كانت هذه البيئات دافعا للبعض لأن يسلكوا مسلك التطرف، متخذين من هذه «الآيات» وتلك «الأحاديث» سندا شرعيا لهم، بعد أن اتخذوا من «الواقع» سندا عمليا لسلوكهم.

فهنا تبرز جدلية «النص والواقع»؛ ولا يكون من الصواب حينئذ أن نحمل «النص» وحده المسؤولية، ونرجع إليه تطرف البعض، من دون الأخذ في الاعتبار هذا «الواقع» الذي أحاط بالنص وبمن يقرأه، وجعل التفاعل معه، أي مع «النص»، يؤدي إلى نتيجة مغايرة تماما للتفاعل مع النص نفسه في أزمنة مغايرة وبيئات مختلفة.

ومن المؤكد أن هذا لا يعني عدم وجود آيات وأحاديث قد يلتبس فهمها، وقد يؤدي النظر القاصر فيها إلى نتيجة لا ترمي إليها تلك الآيات والأحاديث إن وضعناها في سياقها الصحيح.

ولهذا، فقد أمرنا أن نسأل «أهل الذكر» الذين تتوافر فيهم شروط فهم النص القرآني والنبوي على الوجه الصحيح.. كما أمرنا أن نرد المتشابه إلى المحكم، وأن نفهم المختلف فيه في ضوء المتفق عليه، وألا نضرب النصوص بعضها ببعض، وأن نراعي اختلاف الأحكام باختلاف الوقائع، وأن نميز المنسوخ من النافذ.. إلى غير ذلك من الضوابط والمعايير التي تمثل طريقا آمنا من الانحراف، يمنع من الإساءة إلى النص القرآني والنبوي.

قيم وممارسات ضد التطرف

وإذا كنا جادين في محاربة التطرف

فلابد أن نعمل على سد هذا «الفراغ» الذي يستغله التطرف والمتطرفون لمصلحتهما؛ فالفراغ إن لم نملأه نحن، ملأه غيرنا! وهذا يكون بأن نعمل على إشاعة مجموعة من القيم والممارسات تمثل الوجه المغاير للتطرف، أي الاعتدال والوسطية.. ففي غياب قيم وممارسات الاعتدال والوسطية يجد التطرف له سندا نظريا وعمليا، كما أشرنا.

ومن هذه القيم والممارسات التي تمثل «مضادات حيوية» - بلغة الطب - لهذا المرض الخبيث، التطرف:

• إشاعة التسامح وقبول الآخر: على المستوى الفكري والديني والاجتماعي؛ فلقد شاء الله تعالى أن يكون الناس مختلفين، لكن هذا الاختلاف ليس مبررا للنفي والازدراء والحط من شأن الآخرين، وإنما هو مجال للتنوع وإثراء حركة الحياة، ثم يكون الحساب عند الله تعالى يوم الجزاء: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ (هود:١١٨-١١٩).

• الاهتمام بالتنشئة الأسرية: بما تستلزمه من غرس مفاهيم التربية الصحيحة، وتوفير البيئة الاجتماعية والاقتصادية الحاضنة للاستقرار الأسري؛ حتى لا تتفكك الأسر بالطلاق أو بكثرة النزاعات، وتنشأ أجيال مأزومة نفسيا واجتماعيا، عندها «قابلية» للتطرف، ولإساءة الظن بالآخرين، والاستهانة بحقوقهم معنويا وماديا.

• إفساح المجال السياسي: وإشاعة قيم العدل والشفافية والمشاركة في اتخاذ القرار؛ فهذا أدعى لسحب البساط من تحت أقدام المتطرفين، وإفقادهم الذرائع والحجج.

• العمل على تصحيح المفاهيم: مثل أن اختلاف الدين موجب للقتال؛ فلو كان هذا صحيحا لما سمح المسلمون لأهل الذمة أن يعيشوا بين ظهرانيهم، وأن يستظلوا بظلال حضارتهم حتى نبغ فيهم من نبغ، وتبوأ منهم المناصب الرفيعة من تبوأ.. ولما عقد المسلمون المعاهدات مع غيرهم من الدول والأمم.. ولما أمرنا في الحرب بعدم قتل النساء والأطفال بل والرهبان، إذا اعتزلوا القتال.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الممتحنة:٨-٩).

وقد أوضح الشيخ محمد رشيد رضا، رحمه الله، أن حالة السلم هي الأصل التي يجب أن يكون عليها الناس؛ ولهذا أمرنا الله بإيثارها على الحرب إذا جنح العدو لها، ورضي بها، فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال:٦١).. كما جعل سبحانه الأمر بقتال المعتدين؛ لكف عدوانهم، وقرنه بالنهي عن البغي والظلم، فقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠). فتعليل النهي عن قتال الأعداء بأن الله تعالى لا يحب المعتدين مطلقا، دليل على أن هذا النهي محكم غير قابل للنسخ؛ ولذلك كانت حروب النبي ﷺ للكفار دفاعا ليس فيها شيء من العدوان[٧].

❖❖ ❖❖ ❖❖

بهذه القيم والممارسات وغيرها نضيق الخناق على التطرف، ونجفف منابعه؛ وفي الوقت نفسه نفسح المجال لقيم التسامح والاعتدال والوسطية أن تشيع في دنيا الناس، وأن تكون معينا لهم على حسن الفهم عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وعلى حسن البلاغ عنهما، وصولا إلى تقوية النسيج الاجتماعي، وتكوين نواة مجتمعية صلبة؛ يمكنها أن تنافس في معركة السباق الحضاري، وأن تجد لها موطئ قدم راسخة بين الأمم.

الهوامش

١- «المعجم الوسيط»، مجمع اللغة العربية - القاهرة، ص:٥٧٥، مطبعة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.

٢- «معجم اللغة العربية المعاصرة»، د. أحمد مختار عمر، ص:١٣٩٦، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

٣- «معالم المنهج الإسلامي»، د. محمد عمارة، ص: ٧٨، دار الشروق، ط١، ١٩٩١م. باختصار وتصرف.

٤- «حضارة الوسط»، د. رفيق حبيب، ص:٢٠٨، دار الشروق، ط١، ٢٠٠١م.

٥- نقلا عن مجلة «الأزهر»، عدد صفر ١٤٤٠هـ، ص:٢٠٧.

٦- «المناظرة العظمى الجديدة»، د. عبدالمنعم سعيد، مقال في «المصري اليوم»، ٦ يونيو ٢٠١٧م. ونقل عنه موافقا د. مراد وهبة في مقاله في «الأهرام»، ١١ يوليو ٢٠١٧م.

٧- «الوحي المحمدي»، رشيد رضا، ص:٢١٢ و٢٠٩، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨م، بتصرف. وراجع: «العلاقات الدولية في الإسلام»، الشيخ محمد أبو زهرة، ص:٥١، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.



عادل محمد أبو الهيثم
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
مصر

مواجهة تطرف الفتوى

إن الدعوة إلى الله تعالى وتبصير الناس بأمور دينهم من أعظم الرتب، وأرفع المنازل، ولا ينبغي أن يتصدر مشهدها، ويتقدم حاملا لواءها، إلا الألمعي الخبير ببواطنها وظواهرها، فالدعوة أهم وسائل نشر الأحكام، وهداية الأنام، والدعاة هم حلقة الوصل بين الناس والشريعة، فهم رمانة الميزان، وفسطاط الخيمة، فهم حراس وحماة الإسلام، يمسكون بالبوصلة الدعوية، ويوجهون الناس إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وهذه البوصلة منضبطة بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهذا ميزانها، فإن حاد الداعية عن ذلك إلى رأيه وهواه، انفلتت البوصلة، واختلت عجلة القيادة، وربما هوت بالداعية إلى مكان سحيق، ومن أول ضوابط هذه البوصلة، أن «الله - جلت حكمته - لم يفوض أحدا من عباده رسولا أو نبيا أو إماما أو وليا ولا غيرهم، أن يشرع للناس من الأحكام ما يريد، أو أن يحكم بينهم بما يراه من عند نفسه، أو كيفما اتفق»[1] قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ (النساء:١٠٥)، وها نحن نطالع كل يوم - مع مطلع كل شمس أو مغيبه- من يخرج علينا برأي من كيسه، لا من معين الوحي، فيحرم حلالا أم يحل حراما، أو يستهزئ بثابت من ثوابت الدين، أو شعيرة من شعائره، وإن تعجب فعجب أن تجد من يتهكم على المنتقبة ثم هو يترك من تلبس ضيق الثياب فضلا عن الملابس المزقة، دون أن تنبس شفتاه بكلمة، بل ويتبرأ من انتسابه لثياب تغطي مفاتن وتمنع فتنا، وهناك من القواعد الفقهية ما يبين



خطأ من ينكر أمرا مختلفا فيه، طالما ثبت بالدليل، وهي قاعدة «لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه» وهذه قاعدة عظيمة متفرعة عن أصل عظيم، ولها لفظ آخر «لا ينكر إلا ما أجمع على منعه» ومعنى ذلك: المختلف فيه هو ما يقع بين المذاهب لاختلاف الأدلة، فلا يجب إنكار المختلف فيه؛ لأنه يقوم على دليل، وإنما يجب إنكار فعل يخالف المجمع عليه، لأنه لا دليل عليه[٢]. وهاكم بعض قول السلف فيمن يتكلم في غير فنه، فأبو حنيفة رحمه الله يرى الحجر على ثلاثة - المفتي الماجن، والطبيب الجاهل، والمكاري المفلس - دفعا لضررهم عن الناس، وأما المفتي الماجن فهو الذي يعلم الناس الحيل الباطلة بأن يعلم المرأة أن ترتد فتبين من زوجها ثم تسلم، ويعلم الرجل أن يرتد فتسقط عنه الزكاة ثم يسلم، ولا يبالي بأن يحل حراما أو يحرم حلالا، فضرره متعد إلى العامة[٣]. وقال الراغب الأصفهاني: «لا شيء أوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم، فمن الإخلال بها ينتشر الشر، ويكثر الأشرار، ويقع بين الناس التباغض والتنافر»[٤]. وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان»[٥] وقال الخطيب البغدادي: «ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين، فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها، وتقدم إليه بألا يتعرض لها، وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها»[٦]، وما أروع قول ابن القيم: «وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات؟ فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فإن الله ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب، فقال تعالى: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (النساء:١٢٧)، وكفى بما تولاه الله تعالى بنفسه شرفا وجلالة، وليعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غدا وموقوف بين يدي الله»[٧].

الهوامش

١ - تغير الفتوى - محمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة، الرياض، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٥٨.

٢ - القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (٧٥٧/٢).

٣ - دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبدالنبي ابن عبدالرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ).

عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م (٩/٢).

٤ - الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م (١٨٢/١).

٥ - مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م (١١٨/٥).

٦ - المجموع شرح المهذب، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط دار الفكر(٤١/١).

٧ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، ط دار الكتب العلمية - بيروت ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م (٩/١).

ملف العدد



د. عمرو عبد الكريم سعداوي
دكتوراه في الفكر الإسلامي

الأسس النفسية للتطرف

تتعدد الأسس والأبعاد والزوايا التي يمكن النظر منها لظاهرة التطرف حتى يتسنى لنا معرفة كيفية الخروج منها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول المناطقة.

وما بين الأسس أو الأبعاد الفكرية التي تؤكد على أفكار التطرف والغلو أو التشدد وتدفع له باعتبار الفرد المتشدد يمتلك الحقيقة المطلقة وما عداه على باطل، وما بين الأبعاد السياسية التي تقسم الناس بين أحزاب وتيارات سياسية حيث تقوم الشخصية المتطرفة على مواجهة النظام القائم باعتباره لا يمثل الحق الذي تعتقده، بالإضافة إلى تبني الشخصية المتطرفة سياسيا آراء موغلة في الحدة: إما أن تكون أقصى اليمين أو أقصى اليسار، وما بين الأسس الاجتماعية التي تتعلق بالقوى الاجتماعية المؤثرة والمبادئ التي تسود المجتمع والحاجات التي تعكس طبيعة مجالات الحياة العامة وما تنطوي عليه من قيم وعادات وتقاليد ومعايير أخلاقية.

معنى الأسس النفسية

تأتي الأبعاد النفسية أو ما نطلق عليها الأسس النفسية للتطرف لتكشف لنا عن مكونات الشخصية التي تتسم بالتطرف أو تعمل على اتخاذ مواقف بالغة التشدد حيث يقصد بالأسس النفسية مجموعة الركائز والمقومات ذات العلاقة بالفرد أو الإنسان من حيث الاهتمامات والقدرات والميول والتي يجب مراعاتها عند بناء منظومات فكرية ودعوية وسلوكية تصلح لمواجهة التطرف: فكرا وخطابا وممارسة، أو عند أي محاولة لإصلاح أو تعديل الأفكار التي نبتت عليها بذور التطرف والغلو. ولعل هذا من أهم واجبات الذين يخططون لمواجهة جماعات التطرف، أو استنقاذ الشباب الذين وقعوا في براثنه.

فما التطرف إلا ثمرة مرة لجذور تقبع في البنية النفسية والتصورات الذاتية عن الكون والإنسان والدولة والمجتمع ومختلف نواحي الحياة، وإذا أردنا تعديل أو إصلاح تلك الثمار فلا بد من معالجة الجذور والأسس التي نبتت فيها وعليها.

ومن ثم فإن الأسس النفسية هي: تلك الأسس التي تتعلق بطبيعة الفرد وخصائص نموه وحاجاته وميوله وقدراته واستعداداته، أي إنها تهتم بإدراك وفهم الطبيعة النفسية للأفراد حاملي أفكار التطرف، وذلك بناء على المراحل العمرية والمستويات التعليمية أو العلمية اعتمادا على ما تنبئنا به أصول علم النفس التربوي، ونظريات علم النفس، وخبرات الأطباء النفسيين وتجاربهم في التعامل مع مثل تلك الحالات.

ومن المهم التأكيد على أن التطرف ينشأ نفسيا قبل أن يكون انحرافا في مناهج التفكير، وقبل أن يكون تشوشا في مصادر التلقي، أو تأثرا بالمحيط السائد وما يحمل من أفكار وقيم ونسق ثقافية وفكرية.

الأسباب النفسية للتطرف

١- رهاب الاختلاف

إن التطرف بشكل عام هو احتكار الحقيقة أو افتراض المتطرف أنه يعبر عن الحقيقة المطلقة وأن ما عداه هو باطل بالضرورة أو على خطأ.

ذلك أن المتطرف لا يدرك فقه الاختلاف ولا يتصور أن موقفه قد يحتمل الخطأ، وأن موقف المخالف قد يحتمل الصواب. فالتطرف في الحقيقة هو شكل من أشكال الجمود النفسي أو رهاب الاختلاف الذي معه وبه يعجز المرء عن تغيير مواقفه أو آرائه أو تطويرها بشكل يسمح لها بأن تواكب التغير الحادث في نواحي الحياة المختلفة.

٢- الحاجة إلى الانتماء

الانتماء إحدى الحاجات النفسية المهمة لدى الإنسان حيث لا يتصور أن يعيش الإنسان خارج دوائر الانتماء المختلفة؛ إلا أن الشخص المتطرف لا يحتاج فقط إلى دائرة انتماء وإنما يحتاج إلى دائرة انتماء توفر له غطاء روحيا ونفسيا يثبت من خلالها وجوده، وتمثل له زادا روحيا ونفسيا يحتمي به من هجير عواصف الاختلاف والتباين حيث يتماهى الفرد المتطرف مع تلك الدائرة بشكل يجعله أقرب إلى الذوبان ليس في أفكارها وآرائها فقط بل في إطارها النفسي أيضا مما يفقده روح النقد وإمكانات تمحيص الأدلة وتقادح الآراء واضطرامها.

إن التطرف الحقيقي هو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل بناء على ميل نفسي لجانب تجاه الآخر، لأن المتطرف ليست العبرة عنده بالدليل بل بالإطار النفسي الذي حبس ذاته فيه ولا يرى الحقائق والكون إلا من خلاله.

٣- عوامل لا شعورية

التطرف في جوهر تعريفه هو مجاوزة حد الاعتدال والتوسط؛ وهو من مصدر تفعل بتشديد العين وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الطرف الأقصى[١]، والتطرف مظهر من الإفراط والمبالغة في التحمس والادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة.

والتطرف ظاهرة نفسية اجتماعية تتجلى بأشكال مختلفة، وفي حال استفحالها، تنتج نتائج خطرة على المستوى الفردي والجماعي، وترشدنا حقائق علم النفس إلى أنه في أعماق كل منا استعداد كامن لهذه الظاهرة تنبهه أو تنميه عوامل متعددة: معرفية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية.

ولقد رد علماء التحليل النفسي ظاهرة التطرف أو التعصب إلى عوامل لا شعورية تكمن في نفس المتعصبين وهم أناس نرجسيون عدوانيون لم يحظوا بالأمن أو بالرعاية في طفولتهم، ويوجهون عداءهم نحو شخص أو جماعة يصفونها بأنها العدو، ومعظمهم أصحاب نفوس مريضة ذهانية لا يبالون أو يخشون ارتكاب الآثام أو انتهاك الحرمات ويتصفون بموت الأنا الأعلى أي موت الضمير[٢].

الطرق والأساليب النفسية لعلاج التطرف

إن أفضل الطرق والأساليب النفسية لمعالجة ظاهرة التطرف هي البحث في الأسباب التي أدت إليه ومعالجتها والعمل على الحد من استفحالها، إذ إن التطرف ظاهرة نفسية بالأساس ثم تتكاتف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على انتشارها وتحولها إلى عنف، ولعل من أهم طرق وأساليب علاج التطرف ما يلي:

١- احترام مفاهيم التعددية وقبول الآخر والحق في الاختلاف والتعايش السلمي مع المخالفين إذ إن ذلك مما يعين على معالجة التطرف[٣]، حيث يمكن إضعاف حوافز التطرف من خلال تعزيز ثقافة التسامح والاحترام والعمل على إزالة كافة أشكال القهر والعنف الهيكلي[٤].

٢- إعادة الاعتبار للمدارس الفقهية الكبرى كالمذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب الشرعية المعتمدة في بلدان العالم الإسلامي التي تقوم عليها مدار الأحكام الشرعية: التعبدية والعملية بما يشكل واحات أمان نفسي في استقاء الأحكام والاستناد إلى مرجعية دينية معتبرة.

٣- احترام الاختلاف الشرعي المبني على دليل معتبر أو نظر شرعي متعمق، أو أمر واقعي مقدر إذ إن ذلك مما يخفف من غلواء التطرف وما ينبني عليه من عنف قولي أو سلوكي، إن تعدد الآراء الدينية في المسألة الواحدة مما يوسع الأفق الشرعي والفكري للأفراد وانعكاسات ذلك الأمر ومردوده النفسي كبير على التعامل مع المخالفين والتماس الأعذار لهم.

٤- العمل على احترام الواقع المعقد والمركب الذي عليه أغلب مجتمعات العالم الإسلامي[٥]، وأن إصلاحه يكون من خلال المؤسسات الدينية والرسمية وليس بالعمل على تحطيمها، ذلك أن أكثر الشخصيات المتطرفة غالبا ما تكون تلك الشخصيات المثالية المفرطة في مثاليتها التي تريد تغيير الناس والعالم والفلك، فهذا النمط المثالي المغرق في مثاليته عادة ما يكون بيئة خصبة وجاذبة للتطرف، والعلاج يكون بإضافة شيء من الواقعية على نمطها النفسي والفكري والسلوكي.

٥- ومن أهم أساليب علاج التطرف إعادة الاعتبار للمرجعيات العلمية المؤسسية حيث إنها تمثل الأطر المؤهلة والمتخصصة في ميادين العلم المختلفة لاسيما في علوم الشريعة الإسلامية[٦]. حيث يمثل الراسخون في العلم والفقه دوائر انتماء فكري ونفسي يحتمي بها الشباب من غوائل التطرف، حيث تشكل دروعا علمية تحول بين الشباب وبين موارد التطرف النفسي والفكري والسلوكي.

الهوامش

١- القاموس المحيط وشرحه، تاج العروس، ولسان العرب، ومعجم مقاييس اللغة، والصحاح، والمصباح المنير مادة (طرف).
وفي المعجم الوسيط: تطرف: أتى الطرف، أو جاوز حد الاعتدال.
وفي معجم اللغة العربية المعاصر: التطرف: المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية.

٢- د. إسماعيل صديق عثمان، التطرف والتعصب الديني؛ أسبابه والعوامل المؤدية إليه، المجلة الليبية العالمية، جامعة بني غازي كلية التربية المرج، العدد الثامن والعشرون ٢٥ سبتمبر ٢٠١٧، ص ٦.

٣- أو كما قال د. ناصر بن عبدالكريم العقل في كتابه: غلو: الأسباب والعلاج: «طرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومبرمجة بعناية لعالج ظواهر الغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية وبالبرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية قريبة المدى وبعيدة المدى»، ص ١٦.

٤- د. إسماعيل صديق عثمان، مرجع سابق، ص ١٧.

٥- قريب من هذا ما ذكره د. ناصر بن عبدالكريم العقل في كتابه: الغلو: الأسباب والعلاج حين ذكر أن من أسباب الغلو: «النقمة على الواقع وأهله، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في كثير من بلدان المسلمين» ص ٧.

٦- د. إسماعيل صديق عثمان، مرجع سابق، ص ٨.



د. عبدالقادر دهمان
باحث إسلامي
سورية

آفة التكفير

الغلو في الدين أدخل كثيرين في متاهات الضلال والتنافر

التكفير أمره عظيم، وخطره جسيم، وهو من الغلو، وقد جاء في الحديث التحذير منه فيما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما» (متفق عليه). وفي رواية عند الإمام البخاري رحمه الله: «لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك» (صحيح البخاري). وفي رواية عند الإمام مسلم: «ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» (صحيح مسلم). قال الباجي: «أي: إن كان المقول له كافرا فهو كما قال، وإن لم يكن خيف على القائل أن يصير كذلك»[1].

وقال ابن عبدالبر: قوله ﷺ: «باء بها» أي: احتمل وزرها، فإذا قيل للمؤمن: يا كافر فقد باء قائل ذلك بوزر الكلمة، واحتمل إثما مبينا وبهتانا عظيما، إلا أنه لا يكفر بذلك؛ لأن الكفر لا يكون إلا بترك ما يكون به الإيمان. وفائدة هذا الحديث: النهي عن تكفير المؤمن ورميه بالفسوق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات:١١). قال جماعة من المفسرين في هذه الآية هو قول الرجل لأخيه: يا كافر، يا فاسق. وممن قال بذلك: عكرمة والحسن وقتادة. وهو معنى قول مجاهد؛ لأنه قال: «هو الرجل يدعى بالكفر وهو مسلم»[2].

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: «وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدا من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم»[3].

وقال ابن حجر الهيتمي: من الكبائر «قول إنسان لمسلم: يا كافر أو يا عدو الله حيث لم يكفره به بأن لم يرد به تسمية الإسلام كفرا، وإنما أراد مجرد السب». ثم ذكر الحديث، يعني: قوله ﷺ: «ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» وقال: «هذا وعيد شديد، وهو رجوع الكفر عليه أو عداوة الله له، وكونه كإثم القتل فلذلك كانت إحدى هاتين اللفظتين إما كفرا بأن يسمى المسلم كافرا أو عدو الله من جهة وصفه بالإسلام، فيكون قد سمى الإسلام كفرا ومقتضيا لعداوة الله، وهذا كفر، وإما كبيرة بألا يقصد ذلك فرجوع ذلك إليه حينئذ كناية عن شدة العذاب والإثم عليه، وهذا من أمارات الكبيرة؛ فلذا اتضح عد هذين من الكبائر وإن لم أر من ذكره، ثم رأيت بعضهم عد من الكبائر رمي المسلم بالكفر»[4]. «فمن كفر مسلما وحكم عليه بالردة بغير دليل فهو كمن رأى قتله بغير حق، فتأمل وعيد الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣)».

وانظر ما ورد في ذلك من الوعيد في الأحاديث الواردة في سفك الدم الحرام، وراجع تشديد ابن عباس فيه، ثم اختر لدينك بعد ذلك ما شئت: «التثبت والوقوف عند حدود الله تعالى والورع والاحتياط، أو التهور والمغامرة باقتحام هذه المهلكات دون بصيرة أو برهان»[5].

ومن شأن المسلمين أن يكونوا متآلفين متحابين متحدين، كالجسد الواحد في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مهما اختلفت الرؤى، وتباينت وجهات

النظر. فما أحوجنا في هذا الزمان إلى محبة صادقة تؤلف بين القلوب، وتوحد الصفوف، فمتى قويت روابط الألفة، وتمكنت أسباب المحبة، امتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم، وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي في التعاون والتآزر، وتقرر الأمن، واطرد العمران.

قال الخطابي في قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا»: «قال بعضهم: معناه: لا ترجعوا بعدي فرقا مختلفين، يضرب بعضكم رقاب بعض فتكونوا بذلك مضاهين للكفار؛ فإن الكفار متعادون يضرب بعضهم رقاب بعض، والمسلمون متآخون يحقن بعضهم دماء بعض»[٦]. يعني هكذا ينبغي أن يكونوا، فهذه تعاليم دينهم التي انحرف بها الغلاة فأدخلوا الكثيرين في متاهات الضلال والتنافر، فضعفت شوكتهم، فطمع بهم الأعداء، فنصبوا لهم الشراك، وأذكوا نار الفرقة والاختلاف.

تحذير

وقال رسول الله ﷺ مبينا خطر التكفير: «من قذف مؤمنا بكفر فهو كقاتله» (أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح). وقال رسول الله ﷺ: «إنما أتخوف عليكم رجلا قرأ القرآن حتى إذا رئي عليه بهجته، وكان ردءا للإسلام اعتزل إلى ما شاء الله، وخرج على جاره بسيفه، ورماه بالشرك» (أخرجه البزار بإسناد حسن).

وقال الإمام النووي في التحذير من ظاهرة التكفير: «واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك، فإن استمر حكم بكفره، وكذا حكم من استحل الزنى أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة»[٧].

وقال: «مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، وكذا قوله لأخيه: كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام»[٨]. وقال ابن دقيق العيد: «إن من أنكر طريق إثبات الشرع لم يكفر، كمن أنكر الإجماع، ومن أنكر الشرع بعد الاعتراف بطريقه كفر؛ لأنه مكذب»[٩].

وتأمل قول الشوكاني رحمه الله الذي يدل على مدى تحرز العلماء الراسخين من التكفير؛ لمجرد الشبهة أو الظن أو الهوى ما لم يقم الدليل القاطع البين، قال رحمه الله: «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار»[١٠].

فمن ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين. قال ابن حزم: «والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا، فوجب ألا يكفر أحد بقول قاله إلا بأن يخالف ما قد صح عنده أن الله تعالى قاله، أو أن رسول الله ﷺ قاله، فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام، وسواء كان ذلك في عقد دين أو في نحلة أو في فتيا، وسواء كان ما صح من ذلك عن رسول الله ﷺ منقولا نقل إجماع تواترا أو نقل آحاد»[١١].

وقال الطحاوي: «ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»[١٢].

وقال ابن عبدالبر: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر على أن أحدا لا يخرجه ذنبه -وإن عظم- من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر ألا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة»[١٣].

وقال القاضي عياض: «إن إدخال كافر في الملة وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين. ونقل عن بعض المحققين يجب الاحتراز من التكفير في أهل التأويل؛ فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر. والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد».

وقد قال ﷺ: «فإذا قالوها -يعني الشهادة- عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[١٤]

وقال الإمام الغزالي: «والذي ينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد له سبيلا؛ فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم»[١٥]. وقال ابن تيمية: «والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل»[١٦].

وقال القرطبي في (المفهم): «باب التكفير باب خطير أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئا»[١٧]. وروى ابن عبدالبر عن أبي سفيان قال: قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا، قلت: فمشرك؟ قال: معاذ الله، وفزع[١٨].

ويتبين مما تقدم أن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان من العلماء العاملين قد فقهوا خطر التكفير، وآثاره على الفرد والمجتمع بما آتاهم الله تعالى من العلم والفقه والبصيرة، والتريث قبل إطلاق أي حكم، ودقة النظر، وفقه الواقع، واعتبار المآلات، والحرص على سلامة النفس والدين.

وقد وضع الشارع شروطا وضوابط للمتصدرين للقضاء، ولإطلاق نحو هذه الأحكام بعد فقه الشروط والموانع والآثار؛ لأن التكفير حكم قضائي لا إفتائي وتنظر تلك الأحكام مفصلة في مظانها.

الهوامش

١. المنتقى شرح الموطأ (٧/٣٠٨).
٢. الاستذكار (٨/٥٤٨-٥٤٩).
٣. إحكام الأحكام (٢/٢١٠).
٤. الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٢٠٥).
٥. التكفير شروطه وضوابطه وأخطاره ومزالقه (ص:٣٢).
٦. معالم السنن (٤/٣١٦).
٧. شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٥٠).
٨. شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٤٩).
٩. إحكام الأحكام (٢/٢١٢).
١٠. السيل الجرار (ص:٩٧٨).
١١. الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/١٣٨).
١٢. متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص:٣١).
١٣. التمهيد (١٧/٢٢).
١٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٥٩٥-٥٩٦). والحديث متفق عليه.
١٥. الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي (ص:١٣٥)، وانظر: فتح الباري، لابن حجر (١٢/٣٠٠).
١٦. بغية المرتاد (ص:٣٤٥).
١٧. المفهم (٣/١١١).
١٨. التمهيد (١٧/٢١)، وهو صحيح موقوف. ذكره الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية) (١٢/٥٤٨).



د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية
مصر

آفاق التسامح في حضارتنا الإسلامية



لا يمكن لمنصف عرف الإسلام وقرأ شرائعه ودرس تاريخه أن ينكر ما يملكه هذا الدين العظيم من آفاق رحبة للتسامح والرحمة والمودة، فالباحث في ديننا الإسلامي سيقف أمام نصوص غنية بقيم التسامح؛ ترشد إليه، وتأمر به، وتنهى عما يعكر صفوه، وتدعو إلى كل ما يرسي دعائمه ويغرس فضائله في نفوس من ينتمون إلى هذه الأمة، وسيرى وقائع تشهد للرجال الذين يهتدون بنهج هذا الدين الوضاء أنهم نهلوا من نبع التسامح والرحمة والعدالة حتى صارت هذه الأخلاق تجري في عروقهم يتعاملون بها مع المخالفين لهم في العقيدة ومع المختلفين معهم في الرأي، وسيعلم أن قيم التسامح التي قدمها الإسلام للعالم كانت سببا في انتشاره وتعلق القلوب به، كما كانت الدافع لشعوب الديانات الأخرى للبقاء في ظلاله؛ تؤدي شعائرها، وتقيم معاملاتها، وتعيش حياتها آمنة مطمئنة تنعم بالحرية وطيب المعاملة والعدل والسلام. وقد كان من الباحثين الغربيين من لاحظ أن التسامح كان العنوان الأبرز للنصوص التشريعية في المعاملات مع المخالفين في وقت الحرب وفي أجواء السلم، ومن ثم كان الداعية الأكثر تأثيرا والأقدر على جذب النفوس للدخول إلى رحاب هذا الدين العظيم، فمثلا بعد أن يضرب السير توماس أرنولد نماذج لتسامح الإسلام نراه يقول: «ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفا عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون إلى العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، واستمر في الأجيال المتعاقبة، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح»[1].

التسامح قاعدة إسلامية

إن القراءة في القرآن الكريم وفي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وأحاديثه الشريفة، تبرز لنا امتداد آفاق التسامح الإسلامي لتشمل جميع مظاهر التعاملات اليومية مع من يخالفونهم في العقيدة، وهذه القراءة ستكشف لنا أن التسامح وما ينتج عنه من رحمة ولين وبر وعدالة وعفو، هو الإجابة عن التساؤلات التي يمكن أن تطرح حول كيفية التعامل مع غير المسلمين المسالمين، يقول الله سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، فهذه الآية تمثل قاعدة سار ولا يزال يسير على دربها المسلمون العارفون بدينهم في كل زمان ومكان، إنها تأصيل إلهي لكيفية التعايش المبني على التسامح والتواصل واحترام العلاقات الإنسانية. ويأتي التذييل في الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

﴿ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ ليتوج تلك المعاني الإنسانية بمبدأ الإسلام الشامل في تعاملاته مع الجميع، إنه العدل الذي يمثل لنا نحن المسلمين الطريق الذي يمكننا من خلاله أن نصل إلى محبة الله تعالى؛ وتلك هي الغاية العظمى، بل إن القسط هو «العدل البين الظاهر، ومنه سمي المكيال قسطا والميزان قسطا؛ لأنه يصور لك العدل في الوزن حتى تراه ظاهرا، وقد يكون من العدل ما يخفى»[٢]. وقد رد الطبري (٢٢٤هـ/٣١٠هـ) على من قال إن هذه الآية منسوخة قائلا: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان، أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم،

إن الله عزوجل عم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب، غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح»[٣].

وروى أبوداود والبيهقي أن النبي ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة». ونلاحظ أن «انتقصه» هنا قد تعني انتقصه حقه، او انتقص من شخصيته بكلمة تؤذيه؛ حفظا للمشاعر الإنسانية وحرصا عليها أن تجرح أو تهان، وقد يكون المعنى انتقصه بغيبة «لأنه بعقد الذمة، وجب له ما لنا؛ فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته، بل قالوا: إن ظلم الذمي أشد»[٤]. والعقوبة التي تحدث عنها النبي لمن يعرف تقشعر لها أبدان الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، فليس هناك مسلم على وجه الأرض يقبل على نفسه أن يكون خصمه رسول الله ﷺ، وقد روى الخطيب بإسناد حسن: «من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة».

وقد وصل تسامح الإسلام مع غيره في العبادات والاعتقادات إلى الغاية التي تجعلنا نتعجب من أولئك الذين قرروا أن يغمضوا أعينهم ويصموا آذانهم عن الحقيقة المشرقة كالشمس، وأصروا أن يصوروا الإسلام كما خيلت لهم عقولهم المنحازة، فلم يكن البحث عن الحقيقة المجردة واحدا من أهدافهم، وإنما كان من أهدافهم تجريد التاريخ والواقع من الحقيقة، لكن في مقابل هؤلاء كان هناك من امتلك الشجاعة ووصف نور الشمس كما رآه، قال الراهب ميشود في كتابه «رحلة دينية في الشرق»: «ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم، واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة»[٥].

لا إكراه في الدين

إن دستورنا القرآني يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦)، وقد جاء التطبيق العملي لأمر الله ليشكل نموذجا مدهشا لتسامح القوي المنتصر مع المنهزم الضعيف، نموذجا جعل بعض الباحثين المنصفين في الغرب يقارن بين سماحة الإسلام، التي حققت السلام والمودة وحفظت الدماء والأعراض وكفلت حرية العقيدة والعبادة وصنعت نقلة حضارية عملاقة بين أرجاء البلاد التي فتحها رجاله، وبين المجازر المروعة والأعمال الوحشية والانتهاكات البشعة التي ظل يرتكبها غيرهم في كل أرض وطأتها أقدامهم، نقل المنسنيور دوشين (وهو من كبار رجال الكنيسة) في معرض دراسته عن حالة الكنيسة في سورية إبان القرن السابع مقطعا يستوقف الانتباه، قال فيه عن الفتح العربي، بعد أن ذكر الاضطهاد الذي كابده أولئك اليعقوبيون الذين لم يقبلوا اتحاد هرقل: «إن إله الانتقام، وقد رأى شرور الرومان، الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا ويقضون علينا في كل مكان انبسط سلطانهم عليه، أرسل من الجنوب أبناء إسماعيل كي ينقذنا بواسطتهم، ولم يكن بالفضل اليسير إنقاذنا من قسوة الرومانيين، ومن شرهم وغضبهم، ومن حسدهم الفظ، والأخذ بيدنا إلى ظلال الأمن والراحة التي ننشدها»[٦]. وهكذا الحال في البلاد التي فتحها المسلمون فخلّصوا أهلها من نير الطغاة وحرروهم من أغلال الظلم وأنقذوهم من الاضطهاد الديني وانتشلوهم من براثن العنصرية البغيضة، وعندما ضعفت شوكة المسلمين نتيجة تفرقهم واختلافهم، كشر الطامعون عن أنيابهم وبدأوا في غزوهم، لكن الغزاة كانوا مفتقدين تلك المبادئ السامية التي ملأت قلوب المسلمين من العفو والتسامح، وشمروا عن سواعدهم ليرتكبوا مذابح يندى لها الجبين، ومن ثم رأينا من يقرأ التاريخ ليكتشف أن التسامح صفة لم يتصف بها سوى المسلمين فقط، قال روبرتسون في كتابه «تاريخ شارلكن»: «إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم، مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا في التمسك بتعاليمهم الدينية». وقال ميشود في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية»: «إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم محمد قتل الرهبان؛ لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، بينما ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها»[٧].

شهادة التاريخ

هل يمكن بعد كل ما سجله التاريخ من سماحة المسلمين، التي هي نتاج لدين نزع من نفوس أتباعه شرور الحقد



والكراهية ووضع لهم مبادئ حقوق الإنسان في السلم والحرب وألزمهم باحترامها، أن نصدق مستشرقا مثل غيومان لوستير حين يهذي قائلا: «إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم؟!»[8].

إن الرد على هذا المستشرق وغيره من الذين حادوا عن منهج البحث العلمي واتبعوا أهواءهم سهل وميسور، فكل ما علينا أن نقارن بين فتوحات المسلمين وبين حروب غيرهم لنرى البون الشاسع بين التسامح في أسمى معانيه والوحشية والهمجية في أبشع صورها، وسأعرض هنا فقط لمقارنة سريعة بين ثلاثة مشاهد تاريخية تجلي الحقيقة وتبرز الفارق بوضوح: أولها للخليفة الأول أبي بكر الصديق وهو يوصي جيش أسامة بن زيد قائلا لهم: «لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا أو شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[9]. ولنقارن هنا بين هذه الوصية وما اشتملت عليه من مبادئ التزم بها جنود الإسلام في حروبهم؛ حفاظا على حقوق الإنسان وكرامته، وبين المشهد الثاني الذي يتمثل في ما فعله جنود الحروب الصليبية حيث «النساء كن يقتلن طعنا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار، أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذبح السبعون ألفا من المسلمين الذين بقوا في المدينة، أما اليهود الذين بقوا أحياء فقد سيقوا إلى كنيس لهم، وأشعلت فيهم النار وهم أحياء»[10].

أما المشهد الثالث فيأتي لنرى ما فعله المسلمون بعد أن من الله عليهم بفتح بيت المقدس بقيادة صلاح الدين، والحقيقة أن ما حدث لم يكن مستغربا من قوم اتبعوا نهج نبيهم في التسامح والرحمة والعفو ونأوا بأنفسهم عما يشينها من رغبات في الثأر والانتقام ولو من تلك الجريمة البشعة التي فعلها ريتشارد قلب الأسد حين أمّن ثلاثة آلاف أسير مسلم ثم أمر بذبحهم جميعا وتبعه القائد الفرنسي، تقول المستشرقة الألمانية زيجرد هونكة: «وحين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ/١١٨٧م) التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (٤٩٢هـ/١٠٩٩م)، بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة، فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاما لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضاربا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية»[11].

والحقيقة أنها أخلاق الإسلام التي جعلت التاريخ يسطر صورا مشرقة لمواقف تفيض بالرحمة والإنسانية التي شملت الجميع تحت راية هذا الدين العظيم.

الهوامش

١ – توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م، ص:٦٩ و٧٠.

٢ – أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة، ص:٢٣٤.

٣ – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في أحكام القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ج٢٣، ص:٣٢٣.

٤ – حاشية ابن عابدين المسماة «رد المحتار على الدر المختار»، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ، ج٤، ص:١٧١.

٥ – غوستاف لوبون، حضارة العرب، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م، ص:١٣٨.

٦ – د. محمد عمارة، جارودي والفتوحات الإسلامية، الأهرام، ٢٧ يونيو ٢٠١٣م.

٧ – غوستاف لوبون، حضارة العرب ص:١٣٧ و١٣٨.

٨ – شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دمشق، دار الفكر ١٩٨٢م، ط٥، ص:٩٣.

٩ – تاريخ الطبري، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٣، ص:٢٢٧.

١٠ – ول ديورانت، قصة الحضارة، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م، ج١٥، ص:٢٥.

١١ – زيجرد هونكة، الله ليس كذلك، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦م، ص:٣٤.



عايد الجاسم
كاتب وصحافي كويتي

الابتسامة.. مفتاح القلوب

لا نحتاج إلى كثير من الشرح لتبيان أهمية الابتسامة وفوائدها وتأثيرها على الآخرين. انظر حولك ستعرف فائدة هذه البسمة التي ترتسم على الوجوه وتأثيرها الساحر في النفوس. عندما تذهب إلى أي مكان تقضي فيه مصالحك، فإنك تجد نفسك تلقائيا بعد أن تنظر إلى الوجوه تنجذب إلى صاحب الابتسامة، ذي الوجه البشوش، السمح الذي يدعوك من دون أن يتكلم إلى التقدم إليه والحديث معه وطرح ما لديك من معاملة أو سؤال أو استفسار. هكذا نحن نميل بطبيعتنا إلى أصحاب الوجوه المبتسمة والبشوشة لأن الابتسامة هي أقصر طريق إلى القلوب، بل هي مفتاحها، وهي أقوى سلاح تستخدمه للتقرب من الآخرين، وفوق ذلك هي سلوك إسلامي وعبادة والتزام بتعاليم الدين الحنيف. عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[1].

الابتسامة باب من أبواب الخير والصدقات، وتصرف تحصل من ورائه على الحسنات في الآخرة والرضا والقبول بين الناس في الدنيا. كان رسول الله ﷺ الذي هو القدوة الحسنة لنا، مبتسما بشوش الوجه حسن اللقاء مع الناس لا يفرق بينهم، وهو الذي يقول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[2].

لكن الكثير من الناس يبخل على نفسه والآخرين برسم الابتسامة على الوجه فيخسر الصدقة والأجر ومحبة الناس لاعتقادهم أن العبوس والتجهم نوع من الهيبة والوقار وهو في الحقيقة عكس ذلك، فالابتسامة ليست فقط سلوكا إسلاميا، ولكنها أيضا تحمل فوائد على صحة الإنسان النفسية والجسدية، كما تؤكد الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية، فمن أراد الحصول على جسد سليم ونفسية إيجابية، فعليه بالابتسامة وطلاقة الوجه وسماحة الخلق وسيجد الخير كله..

الابتسامة لا تكلف الشيء الكثير ولا تحتاج إلى جهد كبير، لكن نتائجها فعالة وتأثيرها بالغ في النفوس، وهو الأمر الذي يلزمنا بالدعوة إلى الابتسام ونشر ثقافة السماحة وطلاقة الوجه اتباعا للرسول الكريم ﷺ ورغبة في كسب الأجر والثواب العظيم، فكما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[3]. فهل بعد ذلك ستفارق الابتسامة وجوهنا ونحن نقتدي برسولنا الكريم ﷺ الذي قال فيما رواه عنه عبدالله بن عمر: «أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم»[4].

الهوامش

١- سنن الترمذي رقم ١٩٥٦.
٢- صحيح مسلم ٢٦٢٦.
٣- الترغيب والترهيب (٣/٣٥٨).
٤- الطبراني في الأوسط (٦/١٣٩).



د. صلاح فضل توقه
باحث أكاديمي
مصر

التطــرف.. نظــرة هــادئة

التطـرف ظاهـرة إنسـانية قديمـة قـدم البشـرية، وهـي مشـكلة معقـدة متشـابكة نالـت اهتمـام علمـاء كل العصـور، وتناولتهـا بالبحث والدراسـة علـوم شـتى وتخصصـات عـدة. وللنجـاح في حلها والقـدرة على مواجهتهـا، لابـد مـن النظـر إليهـا نظـرة تكامليـة للوقـوف علـى أسـبابها الحقيقيـة.

ومن مظاهر التشابك والتعقد في تناول موضوع التطرف أنه يمكن النظر إليه من كونه ظاهرة اجتماعية تعم المجتمع، كما يمكن النظر إليه من منظور جزئي؛ كونه سلوك فرد له دوافع نفسية كامنة داخلية، ومصادر يتلقاها أو تؤثر عليه من خارجه، وقد يتعامل معها كما تلقاها أو قد يضيف إليها ويعيد إخراجها وفقا لأبعاد ومتغيرات أخرى تتعلق به كفرد وبالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

التطرف عملية مكتسبة

التطرف عملية تعليمية مكتسبة من البيئة التي يعيش فيها الفرد والأشخاص الذين يتلقى عنهم ويؤثرون فيه. ووفقا لذلك، فإن التطرف مركب مكون من قيم واتجاهات ومعتقدات حاكمة لرؤية الفرد وتعاملاته تجاه البيئة التي يعيش فيها والعالم من حوله، وخلال عملية التعلم هذه تتم صياغة وتشكيل القيم التي تحكم سلوك الإنسان ومن خلالها يستطيع التعبير عن نفسه، وهذه القيم هي التي ينبثق عنها الاتجاه الذي يمثل استجاباته تجاه قضايا أو موضوعات أو مواقف محددة؛ قبولا أو رفضا، إيجابا أو سلبا.

كيف يحدث التطرف؟

والتطرف ظاهرة اجتماعية تتطور زمانيا ومكانيا تغذيها على المستوى الشخصي الأزمات الشخصية والضغوط العامة والمظالم مع وجود حاضنات تتبنى قيم التطرف وتعززها، ينتج عن هذه الأزمات والضغوط بناء نظام معتقدات متطرف وجامد، مما يؤدي إلى تمركز شخصي وجماعي واجتماعي وديني وعرقي وثقافي مولدا مشاعر الكراهية والرفض للآخر. وفي ظل هذا البناء والتكوين والشحن السلبي والضغوط العامة والمشاعر السلبية، ومع انسداد فرص التنمية والتمكين، يتم استخدام وسائل قهرية في التفاعل مع الآخر وتسود استراتيجيات الإقصاء والاستبعاد للآخر، وتكون المحصلة سلوكيات متهورة ومندفعة، ومحاولة التغيير القسري للمجتمع ضمن مظلة نظام المعتقدات المتطرف والمتجانس.

ويمكن القول إن الضغوط العامة الواقعة على البناء الشخصي، بما فيها من شعور بالمظالم وبخبرة الضحايا والإذلال وإدراك التهديدات والحرمان النسبي والعزلة والانفتاح المعرفي والديني، تدفع من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية المتطرفة

في مسارات الحاضنات الرسمية وغير الرسمية إلى بناء مرجعية للسلوك جامدة ومتطرفة تضفي شرعية على العنف الخارجي وضد الآخر وتعزز المشاعر السلبية ومشاعر الكراهية وقد تدفع لاستراتيجيات تتبنى التطرف العنيف[1].

التطرف من منظور إسلامي

على الرغم من أنه لا يوجد مجتمع من المجتمعات ولا عصر من العصور يخلو من ظاهرة التطرف، فإن التطرف صار من التهم التي يرمى بها المسلمون من أعدائهم في الداخل والخارج للتشويش على حقيقة الدين الإسلامي وتشويه صورة المسلمين وصد الناس عن الدخول في دين الله الذي ارتضاه للبشرية ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران:١٩).

وحري بنا أن نجتهد في أن ننظر إلى التطرف نظرة شرعية لمحاولة فهم حقيقته في واقعنا العربي والإسلامي وما يعانيه جراء هذه الظاهرة.

ومن الآيات التي تدور حول هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(ص:٨٢-٨٣).

والغواية هي الانحراف عن شرع الله، وهذا هو الهدف المعلن، الذي يعمل على تحقيقه الشيطان لعنه الله.

وقد كان الانحراف الأول للبشرية عندما نجح إبليس في غواية آدم وحواء، عليهما السلام، بتزيين الأكل من الشجرة مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ (البقرة:٣٥-٣٦).

فالشيطان يعمل على غواية وإضلال الإنسان وإبعاده عن شرع الله بالمخالفة له، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢).

وفي السنة وردت أحاديث منها عن أم المؤمنين أم عبدالله عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد» (البخاري ومسلم)، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا، فهو رد».

فأصل التطرف هو المخالفة لشرع الله سبحانه وتعالى بالغلو أو التساهل، وهو أصل الداء الذي نعانيه في مجتمعاتنا الإسلامية.

ضابط الحكم على ظاهرة التطرف

يحدث خلط ولبس وسوء فهم عندما تعزل الظواهر التي نسميها بالتطرف عن سياقها الشرعي وننظر إليها من منظور اجتماعي أو أمني أو نفسي؛ فمحاولة فهم السلوك الديني بمنظور ما معزولا عن أصوله الشرعية، توقعنا في مسألة النسبية، فلكل مجتمع أو بيئة اجتماعية بناؤها الاجتماعي الذي يميزها عن الآخرين، ومن هنا فالنظرة الاجتماعية تكون نظرة نسبية؛ فما يمكن أن تعتبره سلوكا متطرفا في بيئة ما قد يكون اعتدالا واستقامة وسلوكا في بيئة أخرى، والعكس صحيح تماما، فما يمكن أن يكون اعتدالا واستقامة في مجتمع ما يكون تطرفا وانحرافا في مجتمع آخر، فعل سبيل المثال: تقبيل المرأة عند اللقاء في الغرب سلوك مقبول ومتحضر، وعندما يرفضه المسلم يوسم بالرجعية والتطرف، وفي حالة تقديمنا للمألوف الاجتماعي على الحكم الشرعي يأتي حكمنا خاطئا، ولذلك قبل الحكم على سلوك ما بأنه متطرف لابد من رده إلى أصوله الشرعية.

وعندما حدث تطرف من بعض الناس في العبادة والابتداع فيها بما لم يرد عن النبي ﷺ وهو بين أظهرهم ما زال حيا، بين لهم موقف الإسلام من أداء العبادات بالطريقة التي يريدونها، ففي الحديث: عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا.. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» (البخاري).

وبعد وفاة النبي ﷺ وفي خلافة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، حدثت حركة ارتداد عن الدين ومحاولة منع الزكاة باعتبارها جزية كانت تؤدى للنبي ﷺ، واجه ذلك بحكم الشرع وكانت معاركه معهم حفاظا على دين الله وأركانه.

وببعد بعض المسلمين عن فهم الدين فهما صحيحا كما فهمه الصحابة عن الرسول ﷺ وكما فهمه السلف عن الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، ظهرت الفرق الضالة التي خرج كثير منها عن الإسلام وأحدثوا في ديننا

ما ليس فيه كما حذر النبي ﷺ، ففي الحديث: عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى لنا النبي ﷺ الفجر، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت لها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا أو قالوا: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة» (أحمد وأبو داود).

واقع التطرف في العالم الإسلامي

من دون تهوين أو تهويل نعترف بأن التطرف المنسوب إلى الدين من الظواهر المنتشرة بين المسلمين على اختلاف أعمارهم وتخصصاتهم، ويكون في شكل جماعات وأحزاب اتخذت من الشريعة الإسلامية مرجعية لها، ووضع لها قادتها ومنظروها الأطر الفكرية والايديولوجية التي ترمي من خلالها إلى إقامة مجتمع إسلامي يكون انعكاسا لهذه الأفكار وممهدا لإقامة دولة الخلافة واستعادة مجد الأمة، كما أن لهذه الجماعات هيكلها وبناءها الداخلي اللذين يحددان العلاقة بين أعضائها، وفي معظم الأحيان تكون هذه الجماعات مجتمعا في ذاتها، منغلقة على نفسها؛ اجتماعيا واقتصاديا وتعليميا، وعلاقتها بالمجتمع في حدود ما يحقق مصالحها.

كما نلاحظ أن معظم هذه الجماعات تقيم لها نظاما موازيا للنظام الرسمي للدولة، تنشئ أعضاءها وتربيهم من خلاله، فلها نظامها التربوي، ومقرراتها التعليمية، ومؤسساتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية، فهناك من الجماعات من يمتلك نظاما إعلاميا قويا مسموعا ومقروءا ومرئيا «إذاعات – صحف – قنوات فضائية – مواقع إلكترونية»، ونظامها الديني؛ فلها دعاة وفقهاء ومفتون يفتونهم ويؤصلون لفكر الجماعة وينشرونه، مع التشدد في رفض المخالف والإنكار عليه.

مواجهة التطرف

النجاح في مواجهة التطرف الديني لن يكون إلا برد الأفكار المتطرفة إلى الشريعة وتحكيمها في مدى صحة هذه الأفكار وشرعيتها، واستنباط الحكم الشرعي عليها من خلال القرآن والسنة وتقديمه على ما سواه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (النساء:٥٩)، وفي الحديث: عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (مسلم).

وعلى هذا، فمن الخطأ أن نواجه التطرف الديني خارج نطاق الحكم الشرعي، والحكم عليه من خلال التوجهات العلمانية أو القوانين الوضعية، أو من خلال الرؤية الأمنية.. فهذه جميعها عاجزة وقاصرة عن فهم ظاهرة التطرف الديني والحكم عليها، ولعل تغليب هذه التوجهات مع محاولات التوظيف الدعائي والسياسي والانتقامي لظاهرة التطرف لتحقيق مكاسب معينة، من أسباب الفشل في مواجهة التطرف الديني، بل قد تأتي بنتائج عكسية تؤدي إلى انتشار الفكر المتطرف وتوغله، لاسيما في عقول الشباب.

فمواجهة التطرف الديني والحكم على أفكاره يجب أن يكون مردهما إلى أهل العلم، وهذا يتطلب انتهاج مبدأ الحوار مع معتنقي الفكر المتطرف والاستماع إليهم مع توفير البيئة الحاضنة لذلك التي توفر لهم الطمأنينة والأمن حتى يخرجوا ما بداخلهم خلال الجلسات الحوارية، وإفساح المجال لهم لعرض كل ما يريدونه من أفكار من دون تضييق عليهم في ذلك، مع التأكيد على خضوع الجميع لحكم الشرع، فلا يصح أن نواجه التطرف الديني الفكري فقط ولا نواجه موجات الإلحاد والتشوية والطعن في ثوابت الدين، وأيضا لا يصح أن نغض الطرف عن مواجهة ظاهر التطرف الاجتماعي والسلوكيات الخاطئة، ويبدو أننا نرضى بها على أساس أن المسكوت عنه مرضي به.

هذا من الجانب الشرعي، أما من الجوانب النفسية والاجتماعية، فيعمل علماء النفس والاجتماع على وضع حلول للأسباب النفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى اعتناق مثل هذه الأفكار، ومن ثم مناقشتها مع أهل العلم الشرعي لوضع خطط وبرامج لمواجهة التطرف الديني على كل المستويات.

ويجب ألا نغفل أيضا أن احتضان الحكومات للشباب وإفساح المجال لهم للتعبير عن ذواتهم وتوظيف طاقاتهم في بناء أوطانهم تحفيز لاستقامة الشباب ورفضهم لكل فكر مخالف لصحيح الشريعة هادم للإنسان ومخرب الأوطان.

الهامش

١- ذباب البداينة: (نحو اثني عشر أنموذجا نظريا في تفسير التطرف: الأنموذج العام في تفسير التطرف) مجلة دراسات وأبحاث، مركز ابن خلدون للدراسات والبحوث – الأردن، العدد ٢٦،



محمد الغريب
دار الإعلام العربية
مصر

في ختام مؤتمر تجديد الفتوى بين النظرية والتطبيق بمشاركة ٧٣ دولة:

تعزيز وسطية الإسلام عبر منصة إلكترونية بكل اللغات

قضية التجديد في الفتوى، واحدة من القضايا التي تشغل الرأي العام العربي والإسلامي، خاصة في ظل تصدر غير المتخصصين لها، واستغلال البعض لآراء علماء وفقهاء سابقين وتوظيفها في وقت وزمان ومكان غير التي وُجدت فيه وسيقت لأجله.

ولهذا عقدت دار الإفتاء المصرية عبر الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم، مؤتمرها العالمي الرابع، في الفترة ما بين ١٦ إلى ١٨ من شهر أكتوبر تحت عنوان «التجديد في الفتوى بين النظرية والتطبيق»، بمشاركة وفود من أكثر من ٧٣ دولة إسلامية من بينها الكويت، السعودية، الإمارات، وفلسطين.. «الوعي الإسلامي» شاركت في فعاليات المؤتمر وجاءتكم بالتفاصيل.

«إطلاق مؤشر عالمي للفتوى».. كانت هذه أبرز توصيات المؤتمر، لبيان حالة الشأن الإفتائي في كل دائرة جغرافية، وفق أهم وسائل التحليل الإستراتيجي، للمساهمة في

> **د. علام: التجديد معلم أساس من معالم ديننا ومقصد أصيل من مقاصده**

تجديد الفتوى من خلال الوصول إلى مجموعة من الآليات الضابطة للعملية الإفتائية، إلى جانب الميثاق العالمي للإفتاء الذي يهدف إلى ضبط حالة الفوضى التي أصيبت بها الساحة الإفتائية والخطاب الإسلامي عموما، وتفعيل التعاون العلمي المشترك بين أعضاء الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم لإثراء الميثاق وإكسابه صبغة العالمية.

منصة إلكترونية

كما أطلقت الأمانة «منصة إلكترونية متعددة المهام والتخصصات واللغات»، تقدم مجموعة من المحاضرات الصوتية والمرئية


شخصيات بارزة حضرت المؤتمر

والبرامج والدورات التدريبية والتعليمية والثقافية والسلوكية، كما تقدم مجموعة منتقاة من الخطب والدروس الوعظية والمحاضرات العلمية والأفلام والمنتجات الفنية التي تقدم الإسلام الوسطي باللغات المختلفة، من خلال عروض الفيديو والنصوص والمنتديات التفاعلية التي تساعد في بناء بيئة معرفية آمنة، بحيث يصبح بإمكان الدارسين والباحثين عن المعرفة الإسلامية الصحيحة الاستفادة من معارف وخبرات المتخصصين من خلال المنصة على مدار الساعة.

الرسول ﷺ أول من دعا إلى التجديد

رئيس المؤتمر ومفتي جمهورية مصر العربية الدكتور شوقي علام، أكد أن التجديد معلم أساس من معالم هذا الدين، ومقصد أصيل من مقاصده، وثمرة عظيمة للاجتهاد، فالاجتهاد والتجديد أمران متلازمان، وأول من دعانا إلى التجديد هو رسولنا ﷺ حيث قال في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري قال: أخبرنا عبدالله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة - فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها».
مشيرا إلى أنه لم يخرج عن المنهج السليم للإفتاء إلا جماعات آمنت بأفكار شاذة مغلوطة، تغولت على التراث دون امتلاك وإحكام لمفاتيح العلوم، وقواعد الفهم الصحيح والمنهج السديد، وأعرضت بالكلية عن التلقي عن أهل العلم الثقات من العلماء العاملين، الذين نقلوا العلم بالإسناد المتصل إلى الرسول ﷺ، فضلا عن جهلهم الشديد بالواقع الذي نعيش فيه وإهمال إدراكه إدراكا صحيحا، وفهم التغيرات والثقافات التي طرأت على المجتمعات نتيجة حركة التطور المعرفي والحضاري.

وشدد علام على ضرورة وضع رؤية نظرية صحيحة تشتمل على تعريف دقيق وواضح لماهية التجديد، ومجالاته وسبله ووسائله وغاياته، مطالبا جميع المؤسسات بتوحيد الصف وضرورة التكاتف لمحاربة الفكر المنحرف وتجفيف منابعه ومواجهته بكافة الوسائل المشروعة، وفي مقدمة هذه الوسائل مشروعات التجديد وتصحيح المفاهيم التي تقوم بها المؤسسات الدينية، وفي مقدمتها الأزهر الشريف ودار الإفتاء المصرية والأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم.

محمد البشاري: تجديد منهجيات التفكير وآليات الاستنباط

دين متجدد

في حين قال الدكتور عبدالله معتوق المعتوق، رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، المستشار بالديوان الأميري الكويتي، إن العالم الإسلامي يعول على ما يقوم به الأزهر ودور الإفتاء والمؤسسات الدينية حول العالم في ضبط قضية الفتوى، ومواجهة الآراء الشاذة والمتطرفة، من أجل العيش الآمن والحياة السليمة التي تضمن للمسلمين أمنا وأمانا وتعايشا سالما مع إخوانهم في الإنسانية، بعيدا عن الصراعات القبلية والمذهبية، مشيرا إلى أن الأمة الإسلامية بحاجة إلى التجديد في الفتوى على وجه الخصوص حتى يعلم الجميع أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان.
وتابع المعتوق: الإسلام كفل كثيرا من الحقوق للإنسان دون النظر إلى ديانته مسلما كان أم غير مسلم، حيا كان أم ميتا، وأن على المسلمين أن يبرزوا ذلك لأن دينهم دين عالمي متجدد لا يعرف الجمود.


المعتوق متحدثا لـ «الوعي الإسلامي»

منهجيات التفكير وآليات الاستنباط

في حين أكد الدكتور محمد البشاري، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي، أن الفتوى أمر خطير يجب أن يتحرر من التقليدية، وينطلق من نفس القواعد الأصولية التي وصل إليها الباحثون في القرون الأولى، والعمل على تجديد منهجيات التفكير والآليات في استنباط.

وتابع: اليوم نعمل على تحرير الفتوى من القبضة «الجمودية» التي دأبت على وقف الاجتهاد في العمليات الفقهية، وتوسيع دائرة الفقه لتأخذ في عين الاعتبار العلوم الإنسانية كعلوم النفس، والتربية، والاجتماع، والاجتماع السياسي، والأنثروبولوجي، لأن الفتوى تتأثر بكل ما يحيط بها، وسبقنا لإقرار ذلك ابن القيم الذي قال إن الفتوى تتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر.

وشدد على ضرورة بلورة فتوى وفقه وأحكام تنطلق من تأصيل الأصول لأجل تجديد يحقق حياة أكثر استقرارا وانضباطا، مؤكدا أن التوقف عن التفكير أدى إلى ما نراه من تطرف ليس له تكوين شرعي، ولم يؤسس على مدارس علمية محترمة مثل الأزهر أو أم القرى أو الزيتونة.

معايير أخلاقية ومهنية

في حين أشار الدكتور عباس شومان، وكيل الأزهر السابق، إلى أن هناك معايير أخلاقية للتجديد، من بينها الورع والتقوى والزهد في الفتوى، والتحرر من الخوف وضغوط الواقع، والتجرد من الهوى والعصبية بشتى أنواعها، موضحا في الوقت نفسه المعايير المهنية التي يجب أن تتوافر فيمن يتصدى للفتوى، ومنها الأهلية العلمية التي تمكن المفتي من استظهار حكم الشرع في المسائل المعروضة عليه، إلى جانب الفهم الدقيق للمسألة، وما يتعلق بها سواء نفسية السائل وواقعه المعيشي، ومعرفة العرف الجاري في بلد المستفتي.

معاملات البورصة

المستجدات الاقتصادية، بدورها كانت حاضرة في مؤتمر الإفتاء، والتي شدد خلالها الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق، أن سوق رأس المال أو البورصة من الأمور المؤسسية الفنية التي تركها الشارع الإسلامي للإنسان ليعمل عليها ويطورها بما يوائم حياته العصرية في البيع والشراء والعقود المالية المتعلقة بها ويدبر من خلالها كل أمور حياته المعيشية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

لافتا إلى أن هذه المؤسسة من الوجهة الشرعية لا يحكم عليها بالحل أو بالحرمة لأنها مجرد وعاء لما يدور فيها أو يتم من خلالها، وإنما الحكم بالحل أو الحرمة على ما يوضع فيها من حيث كونه حراما وغير مشروع أو كونه حلالا ومشروعا ومحققا لمصالح العباد الشرعية.

المعتوق: الإسلام دين عالمي متجدد لا يعرف الجمود

وأضاف واصل، إن المال بالنسبة للإنسان كالروح مع الجسد فهما صنوان ووجهان لعملة واحدة لا غنى لأحدهما عن الآخر في قبول هذه العملة بين الناس والاعتداد بها في معاملاتهم المدنية والتجارية، موضحا أن تقسيماته عند فقهاء الإسلام متعددة، فهو إما عقار أو منقول أو مثلي أو قيمي أو متقوم أو غير متقوم، فهو ينقسم عندهم باعتبار الثبات وعدمه إلى عقار ومنقول.

وأكد أن أسهم الشركات الاسمية غير المختلطة والسندات الحكومية وأذون الخزانة والصكوك الشرعية كلها مشروعة، والصكوك والأوراق المالية التي يتم تداولها في البورصة وسوق الأوراق المالية بالبيع والشراء عمل مشروع ومباح عند عامة العلماء والفقهاء والمفتين للديار المصرية حاليا وسابقا، كذلك السندات غير الحكومية هي سندات قرض بفائدة محددة ثابتة زيادة على أصل الدين، وبذلك فيها شبهة الربا وعدم مشروعيته من الناحية الشرعية الإسلامية.

أجرى الحوار: كمال أمين
الخطوط:



مدير إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية إبراهيم العتيبي لـ «الوعي الإسلامي»

«النوازل الفقهية» يطرح حلولا شرعية للوقائع

الأوضاع المتغيرة التي يعيشها المسلمون في الواقع المعاصر في العالمين العربي والإسلامي وفي بلاد المهجر تستدعي بالضرورة أن يواجه الفقهاء والعاملون في حقل الدراسات الإسلامية القضايا المستجدة، والإحاطة بالواقع، والمقدرة على تقديم حلول تناسب واقع العصر من خلال الاستفادة والاستهداء بالتراث الفقهي والمعرفي الذي أنتجه علماء المسلمين عبر العصور باستنباط فتاوى توفق بين حاجات المسلمين في الوقت الراهن، وروح المعتقد الإسلامي، فالفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان. في هذه المقابلة طرحنا على الأستاذ إبراهيم العتيبي مدير إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية بوزارة الأوقاف عدة أسئلة حول ما قدمته الموسوعة الفقهية الكويتية، وما يمكن أن تقدمه في المستقبل من حلول ومعالجات لقضايا الواقع على نحو يتسق مع الشريعة الإسلامية ويساير العصر، ويستند على القواعد الفقهية والأصولية، ورأى الأستاذ العتيبي أن الموسوعة الفقهية أصبحت مصدرا فقهيا معتبرا لدى كافة دور الإفتاء ومراكز البحث العلمي، مشيرا إلى أن الموسوعة ساهمت منذ تأسيسها في تسهيل الوصول إلى المعلومات الفقهية لجميع الدارسين والمهتمين العاملين بحقل الدراسات الإسلامية، إلى ذلك تطرق الحوار إلى ما تشتغل عليه الإدارة من مشاريع ودراسات في الوقت الراهن وخططها للمستقبل، وإلى نص المقابلة:

● طُرح مشروع الموسوعة الفقهية بأسبوع الفقه الإسلامي بباريس في الخمسينات.. كيف تقرأ مسيرة الموسوعة منذ مؤتمر باريس وحتى صدورها في شكلها الحالي؟

- إصدار الموسوعة الفقهية أمل إسلامي قديم ومتجدد، ومن أهم النداءات لإنجازها النداء الصادر من مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي بباريس الذي عقد في عام ١٩٥٥م كما ذكرت في سؤالك، والذي دعا إلى كتابة موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة، وشهد عام ١٩٥٦م بداية المحاولات الرسمية لإبراز هذا القرار التاريخي العالمي إلى حيز الواقع من قبل لجنة بكلية الشريعة بجامعة دمشق، وفي عام ١٩٦١م كونت وزارة الأوقاف المصرية لجنة للموسوعة من المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وشهد المشروع خطوة متقدمة في التنفيذ في عام ١٩٦٧م، إذ آل أمر الموسوعة لدولة الكويت، واحتضنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشروع باعتباره من الضرورات العصرية؛ ليواكب الفقه الإسلامي ما وصلت إليه العلوم الأخرى من تطور في الشكل والأسلوب.

● ما تعريفكم إذن للموسوعة؟

- الموسوعة هي معلمة فقهية تعرض الآراء الفقهية والاجتهادات المذهبية كما هي في مراجعها، بأسلوب سهل وعبارات مبسطة معززة بأدلة من خلال مصطلحات تم ترتيبها «ألفبائيا».

● شمول الموسوعة لجميع المسائل الفقهية على المذاهب الأربعة لابد أنها كانت محل نظر وتصويب من العلماء.. كيف استفدتم من جهود علماء الفقه في بداية التأسيس؟

- بعد النظر في تقارير مفصلة عن مشروع الموسوعة في دورتها الأولى وتقييم إنجازاته ودراسة نقاط ضعفه وقوته؛ بدأت مرحلة التخطيط الجدي للموسوعة، وفي عام ١٩٧٧م شُكلت اللجنة العامة للموسوعة بقرار وزاري ترأسها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وضمت اللجنة ثمانية أعضاء من كبار الإداريين بالوزارة آنذاك، وضمت اللجنة أيضا بعض الخبراء والمختصين في الفقه الإسلامي، وبعض المستشارين العاملين في مجال القضاء، وضعت اللجنة في هذه المرحلة خطة منقحة للكتابة واعتمدت نظما محكمة لتنظيم سير العملية البحثية وتقويم الأداء البحثي واستعانت الإدارة واللجنة التي أوكل إليها أمر الموسوعة بالعلماء المختصين في الفقه المعنيين بالصناعة الموسوعية ليعاونوها في تقديم المشورة للارتقاء بجودة العمل الموسوعي وقد لمست الإدارة تجاوبا طيبا من العلماء الأجلاء والفقهاء الأكفاء الأفذاذ خلال فترة إعداد الموسوعة وبعدها.

أصبحت الموسوعة مصدرا فقهيا معتمدا لدى دور الإفتاء ومراكز البحث العلمي كافة

يهدف مشروع ترجمة الموسوعة للغات الحية إلى تعميق الثقافة الفقهية بين المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية

● على مدى عقود خدمت الموسوعة قضايا الفقه والعاملين في حقل الدراسات الإسلامية إلى جانب تسهيل الفتوى في مختلف القضايا، في رأيك ما آثار الموسوعة في الفضاء العربي والإسلامي والمجتمع المحلي؟

- تتكون الموسوعة الفقهية من ٤٥ مجلدا تشتمل على أكثر من (٣٠٠٠) مصطلح وساهمت الموسوعة بشكل فاعل منذ تأسيسها في تيسير الوصول إلى المعلومات الفقهية لعامة المهتمين بالدراسات الإسلامية وأصبحت مصدرا فقهيا معتمدا لدى كافة دور الإفتاء ومراكز البحث العلمي وهي علميا الأوسع انتشارا على مستوى العالم، وقد أصدرت الإدارة عدة طبعات من الموسوعة وزودت دور الإفتاء ومراكز البحوث العالمية والمكتبات في العالم الإسلامي بنسخ منها تلبية لرغبات قاصدي الدراسات الشرعية وقامت الإدارة بنسخ الموسوعة على أقراص ممغنطة وأصدرت عدة آلاف من هذه الأقراص الممغنطة CD وتم نشرها على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لتسهيل البحث الخاص بالموسوعة.

● حسنا، قلتم إن الموسوعة تعد الأكثر انتشارا وتأثيرا على مستوى العالم كيف عالجت القضايا الفقهية المستحدثة كقضية (فقه الأقليات)؟

- الموسوعة الفقهية موسوعة إسلامية لخدمة قضايا المسلمين كافة في كل زمان ومكان ولتسهيل معالجة


العتيبي متحدثا إلى «الوعي الإسلامي

احتضنت وزارة الأوقاف مشروع الموسوعة باعتباره ضرورة عصرية ليواكب الفقه الإسلامي تطور العلوم الأخرى في الشكل والأسلوب

القضايا المستحدثة كما تقدم في سؤالك، تم فتح باب البحث فيها تمهيدا لاستنباط الحلول القويمة لهذه القضايا، وقد لمست الإدارة أن الموسوعة حققت ما كانت تهدف إليه من مقاصد وأهداف وغايات أهمها المساهمة في نشر الثقافة الفقهية بين المسلمين وجعل المعلومات الفقهية في متناول اليد لكل من أراد الاطلاع عليها وبذلك تسهل معالجة ما يعرض على المجتمعات الإسلامية من قضايا ومشاكل في ضوء منهج علمي محكم وفقا لأصول الشريعة الإسلامية، إلى ذلك أسهمت الموسوعة في تسهيل مهمة الهيئات التشريعة في البلاد الإسلامية في نسق حداثي تكون في منطقها وصياغتها في أسلوبها فقها إسلاميا وهنالك بعض الدول الإسلامية تتجه نحو تطبيق الشريعة الإسلامية وتطوير ثوابت هذه الهيئات بحيث تتلاءم مع مبادئ الشريعة وقد ساهمت الموسوعة في ترسيخ التراث الفقهي للدراسات الفقية الحقوقية المقارنة وهو الهدف التاريخي لبروز فكرة الموسوعة. وهنالك أيضا مشروع دراسات النوازل الفقهية وهو يطرح حلولا شرعية للوقائع التي جدت وليس لها حكم ظاهر مفصل في المراجع الفقهية والمسائل التي تناولها الفقهاء بالبحث والدراسة ولكن جدت لها تطبيقات معاصرة وباشرت الإدارة بتنفيذ هذا المشروع بدءا من موسوعة فقه الأقليات ويراد بفقه الأقليات الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسلم الذي يقيم خارج ديار الإسلام فهذه الموسوعة تعنى إذن ببيان أحكام الأقليات فيما يتعلق بأنكحتهم ومعاملاتهم المالية وتهدف بصورة عامة إلى المحافظة على الحياة الدينية للأقلية المسلمة على مستوى الفرد والجماعة.

• ما المسائل التي تعملون عليها في الوقت الراهن خاصة أن الواقع يطرح الكثير من المسائل التي تحتاج إلى البحث والدراسة؟

- تركز الإدارة حاليا على دراسة السبل الكفيلة لتصدر المشاريع ذات الصلة بالموسوعة الفقهية وهو مشروع الموسوعة الأصولية وهي مشروع علمي ضخم يضاهي في أسلوب ترتيبه الموسوعة الفقهية مع الأخذ بعين الاعتبار مميزات علم

الأصول وخصائصه. وإعداد الموسوعة الأصولية من خلال مصطلحات مرتبة ترتيبا «ألفبائيا» وعرض المعلومات الأصولية فيها بأسلوب سهل خال من الغموض والتعقيد وبنمط جديد من التصنيف وغير مسبوق في هذا المجال وبإعداد الموسوعة الأصولية تكون الإدارة وفقت بفضل الله في تنظيم المعلومات الأصولية تنظيما جيدا وعرضها بأسلوب يناسب هذا العصر ومن المؤمل أن تنجز الإدارة الجزء الأول من الموسوعة في الأيام القليلة القادمة.

• هل لديكم خطة لترجمة الموسوعة إلى لغات عالمية، خصوصا أنها تعد من المؤلفات القيمة في شمولها لكل القضايا التي تهم المسلم المعاصر؟

- انطلاقا من ضرورة التواصل مع الحضارات المختلفة، ومساهمة منا في تحقيق التقارب بين الشعوب من خلال تناول المعارف الإسلامية عامة والمفاهيم الفقهية خاصة وخلق آلية أكثر دعما للنظام التشريعي الإسلامي، خططت الإدارة لترجمة الموسوعة إلى عدة لغات عالمية. ويهدف مشروع الترجمة إلى تعميق الثقافة الفقهية بين المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية، وتيسير اطلاعهم على المعلومات الفقهية والاجتهادات المذهبية، وتلبية احتياجات مراكز البحوث العالمية المتمثلة في تسهيل الوصول إلى المعلومات الفقهية والاطلاع على النظريات الحقوقية الإسلامية. وقد وضعت الإدارة منهجا للترجمة يشتمل على معايير يجب التقيد بها عند ترجمة الموسوعة إلى لغات عالمية حية، وتلقت الإدارة عدة عروض لترجمة الموسوعة إلى اللغات الملاوية والفارسية والإنجليزية والبشتو. وهذه العروض محل دراسة من قبل الإدارة.

> **ساهمت الموسوعة منذ تأسيسها وبشكل فاعل في تيسير الوصول إلى المعلومات الفقهية لكل المهتمين بالدراسات الإسلامية**

• طرحتم مشروعا للتعاون مع كلية الشريعة بجامعة الكويت لتحرير القضايا الفقهية الخاصة بالمرأة في الموسوعة، كيف يسير العمل الآن، وما آثاره المستقبلية على صعيد الدراسات الفقهية المتعلقة بفقه الأسرة؟

- نعم، لدينا تعاون مثمر مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، ونهدف، بالتعاون مع الكلية، إلى جمع كل ما يتعلق بالمرأة، وقد اجتمعنا أخيرا مع الدكتورة إيمان المرزوق من الكلية بهدف وضع المشروع على عتبات التنفيذ. ويهدف المشروع، كما أسلفت، إلى جمع كل ما يتعلق بالمرأة من أحكام وقضايا وإصدارها في عدد من المجلدات وطبعها بشكل يتوافق مع ما هو معمول به في الموسوعة الفقهية، وقد سميت هذه الموسوعة بموسوعة المرأة. وأود هنا أن أتقدم بالشكر للدكتورة إيمان المرزوق وزميلاتها بجامعة الكويت على هذا العمل والجهد المميز.

• على ذكر التعاون مع كلية الشريعة في إصدار موسوعة المرأة.. ما مشاريع إدارة البحوث والموسوعات في المستقبل؟

- لدينا بالطبع عدد من المشاريع المستقبلية، منها مشروع الموسوعات الفقهية الموضوعية المستنبطة من الموسوعة الفقهية، ويهدف هذا المشروع إلى إصدار أبحاث متكاملة في مختلف الموضوعات الفقهية التي تشتمل الموسوعة الفقهية على معظمها مع الالتزام باستيفاء عناصر كل موضوع واستيعاب جميع مسائله ودراسة كل جزئية منها دراسة علمية متعمقة على أن يتم عرضها بأسلوب واضح وترتيب يسهل الوصول إلى المعلومة المطلوبة، ولدينا كذلك مشروع موسوعة التفسير، ويهدف إلى إصدار موسوعة تعرض المعلومات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم بصياغة جديدة تجمع بين تأصيل المعالجة وتفسير الآيات وتسهيل التناول مع التركيز على ما يستفاد من الآيات القرآنية من أحكام، تعمل الإدارة أيضا على مشروع الدراسات التي تهم المجتمع ونهدف من هذا المشروع إلى دراسة ما يعرض للمجتمع المعاصر والمتطور من مشاكل وقضايا اجتماعية في ضوء منهج علمي محكم وصولا إلى معالجة سليمة لهذه القضايا والمسائل وفقا لأصول الشريعة الإسلامية في إطار تحقيق المقاصد الشرعية، وتعمل الإدارة في السياق ذاته ووفقا للرؤية المستقبلية على إصدار مجلة دورية بحثية محكمة، ونهدف إلى أن تكون المجلة من أوعية النشر العلمية المحكمة، وتبذل الإدارة قصارى جهدها لأن تكون هذه المجلة رائدة ومتميزة في المضمون وفي الشكل، ويكون لها دور إيجابي وفاعل في تحكيم ونشر البحوث العلمية المتميزة وتثري ساحة البحث العلمي بالجديد والمتميز من البحوث والدراسات.



خالد ايت ازروال
باحث في الحوار الديني والحضاري
المغرب

أثر الحضارة الأندلسية في النهضة الأوروبية

نعلم جميعا أن أوروبا قديما عاشت كل أنواع الجهل، وأشكال الظلام، وشتى أنواع الهمجية والتعنيف، واقتصار العلم والمعرفة على فئة دون أخرى، ولم تكن لديهم رسالة في الدين، ولا راية في السياسة، اللهم إلا بعض التنظيمات العسكرية، والسبب في ذلك عزلتهم عن الواقع، وعن العالم ككل، الشيء الذي سهل الاستيلاء على أرضها، والسيطرة على ملكها. لكن في المقابل نجد الحضارة الإسلامية - آنذاك - على قدر عال من التقدم والازدهار والرقي، في كل المجالات؛ الاقتصادية والعسكرية والسياسية والعلمية والثقافية، والفضل في ذلك يرجع إلى استفادتها من الحضارات الأخرى، الهند والصين في الشرق، والدولة البيزنطية في الغرب، أضف إلى ذلك ما حفظه المصريون والسوريون والعراقيون، ثم جاء الإسلام ليصوب وينتقي من هذه الحضارات ما يفيد ويزيل غير ذلك، وبانصهار وتفاعل هذه الحضارات، وتسديد وتقويم الإسلام لها جعل من الحضارة الإسلامية عموما، والأندلسية خصوصا، حضارة عملاقة، يعدها المؤرخون من أحسن الحضارات التي عرفتها البشرية على قدم التاريخ، حيث استطاعت أن تحقق للإنسانية ما تصبو إليه من تقدم ورقي وتطور، وحيث إنها منهج حياة يجد فيها كل منا ضالته. والنماذج التي جسدت فيها الحضارة الإسلامية قيمها وتعاليمها تفوق الحصر، لذلك ارتأيت الاقتصار على حضارة الأندلس؛ توضيحا وتبيانا للغرض ذاته وهو الوقوف على سمات الحضارة الإسلامية ومميزاتها، ثم لنتبين هل فعلا أثرت الحضارة الإسلامية الأندلسية في النهضة الأوروبية، أم لا؟!

لاشك أن أوروبا قبل النهضة، أو ما يسمى بعصر الأنوار، عانت كل أنواع التخلف، وكل أشكال الظلام، وذاقت مرارة الجهل والأمية. في هذا الصدد، يقول روبيرت بريفلت: لقد أطبق على أوروبا ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد سوادا وظلاما، قد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم؛ لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة، قد تعفنت وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضي عليها بالزوال، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي، كإيطاليا وفرنسا، فريسة الدمار والفوضى والخراب[١]. إذن لا شك أن أوروبا في هذا الوقت عانت الأمرين: انتشار الجهل والأمية من جهة، ومن جهة أخرى انتشار الظلم والتشرد والدمار؛ والسبب في ذلك يرجع إلى عزلتهم عن الحضارات المجاورة، وعن العالم ككل، ويمكن القول بلغة الشعر لا يتجاوبون مع الحياة، ولا الحياة تتجاوب معهم، يقول أبو الحسن الندوي: «كانت الأمم الأوروبية المتوغلة في الشمال والغرب، تتسكع في ظلام الجهل المطبق، والأمية الفاشية والحروب الدامية، لم ينبثق فيها فجر الحضارة والعلم بعد، ولم تظهر على مسرحها الأندلس العربية الإسلامية لتؤدي رسالتها في العلم والمدنية، ولم تصهرها الحوادث، وكانت بمعزل عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية بعيدة عنها، لا تعرف عن العالم ولا يعرف العالم المتمدن عنها إلا قليلا، ولم تكن مما يجري في الشرق والغرب، مما يغير وجه التاريخ في عير ولا نفير، وكانت بين نصرانية وليدة، ووثنية شائبة، ولم تكن بذات رسالة في الدين، ولا بذات راية في السياسة[٢]. فأوروبا آنذاك وجودها كعدمه، لا تسمن ولا تغني من جوع، وبلغة النحاة لا تحرك ساكنا، ولا تسكن متحركا، فعلا مرت من أزمات خانقة، وظروف قاسية، وأحوال عارية، لكن في المقابل نجد العرب يمثلون حضارة كبيرة على جميع المستويات، من المحيط الأطلسي إلى أفغانستان». ومما يلاحظ أنه في الوقت الذي رافق انتشار المسيحية في أوروبا شيوع الجهل ومحاربة العلم، نرى أن ما رافق انتشار الإسلام هو شيوع العلم والمعرفة، بل لم تبن في الشرق على امتداد تاريخه حضارة عملاقة إلا مع ظهور الدين الإسلامي وانتشاره، وتعد الحضارة العربية الإسلامية هي المؤسس لمعظم العصور التي قامت على أكتافها الحضارة الغربية، باعتراف جهابذة العلم ومفكريه[٣]، يتبين لنا دور الدين الإسلامي، ومساهمته في بناء الحضارات، وحثه على العلم والمعرفة، وجعلهما فريضة من فرائضه، وما ذلك إلا لأهمية العلم ومكانته في حياة الأفراد والجماعات، فالعلم قرين الحضارة، وأنيس العمران. ومجيء الإسلام شكل قفزة نوعية في كل الأقطار والبقاع، بفضل الفتوحات الإسلامية، التي كان ولابد أن تبلغ رسالة الإسلام للعالمين، ومن هذه البقاع أوروبا، التي اتصلت بالحضارة العربية الإسلامية عن طريق الأندلس. لقد صاغ الإسلام الأمة العربية صياغة جديدة، فغير كثيرا من مفاهيمها وطبائعها ومثلها وقيمها وعاداتها وتطلعاتها، فإذا بها خير أمة أخرجت للناس، انطلقت تحت راية العقيدة الجديدة التي آمنت بها تخترق الحدود، وتحطم الحواجز التي تفصل بينها وبين دولتي فارس والروم، وقد تهاوت الدول أمام الدفع العربي الإسلامي، وانجلى غبار الفتح عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدينة ولا أروع عول عليها الغرب في تطوره الصاعد، ورقيه البناء[٤]. فالإسلام جعل للعرب حضارة عملاقة يحسب لها ألف حساب بين الحضارات الأخرى آنذاك، وهي قدوة بالنسبة إلى غيرها، وعليها اتكلت الأخرى في بناء حضاراتها وتشييدها.

بعض الشواهد والأدلة التي تبين إسهام الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية:

لا مراء في أن أثر العرب المسلمين في النهضة الأوروبية واضح لا يجحده إلا مكابر، فقد كانت للعرب عقيدة وفلسفة للحياة الإنسانية، وكان لهم نظام حكم أشاع روح العدل والإنصاف والتسامح، فتعايش الناس ذوو العقائد المختلفة والأجناس المتباينة متجاورين، يسودهم الأمن والسلام والمحبة، فتجاور المسجد والكنيسة والمعبد في كل قطر بل في كل مدينة، وظل هذا التقليد زمنا طويلا، حتى بعد انحسار حكمهم عن البلاد التي فتحوها، وما ذلك إلا لأنهم أوجدوا البيئة التي تسمح بنمو روح الإخاء والتسامح، فقد ربوا النفوس التي تؤمن بهذا التعايش والامتزاج[٥]. كل هذا يدل على القيم العالية التي تتسم بها الحضارة العربية الإسلامية، حيث جسدت فيها كل معاني التعاون والتعارف والتعايش والسلم والسلام والأمن والأمان والاستقرار، وهذا أشبه بكثير بما جاء في بنود وثيقة المدينة، حيث تم الاتفاق على التعاون والتشارك فيما بينهم، ونفي الظلم والعدوان، ونشر العدل والرحمة في ظل المشترك الإنساني. فقد أعطى الإسلام، الذي كان قد خلق توافقا واندماجا بين حضارتين متضادتين باستناده على فكره الكوني، وصفة التسامح لمفهومه الديني، وباعتماده على قدرته الهائلة في التمثل والإبداع وميله المتميز إلى التجريب والاختبار، ثمارا عظيمة في بلاد الأندلس التي شهدت أهم اندماج عرفي وحضاري بين الشرق والغرب، وكانت قرطبة في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، أيام خلافتي عبدالرحمن الثالث والحكم الثاني، عاصمة الإسلام السياسية الأكثر سطوعا في ذلك الوقت، وأكثر تحضرا في أوروبا، كما نشر المؤرخ المشهور رامون منندث بيدال[٦]. لاشك أن الحضارة العربية الإسلامية ساهمت - بلا ادعاء ولا ريب - في نهضة الحضارة الأوروبية وتقدمها، لكن حتى لا ننسى العوامل الأخرى

المساعدة في هذا التأثر نذكر على سبيل المثال، العامل الجغرافي. تفوقت الحضارة العربية في العصور الوسطى على ما جاورها من الحضارات في الشرق، الهند والصين، وفي الغرب الدولة البيزنطية. إذ إن البلاد العربية استطاعت في ظل التسامح الإسلامي، وبفضل موقعها الجغرافي وسط العالم القديم ونشاط أهلها، أن تكون بمنزلة البوتقة، التي جمعت أحسن العناصر للحضارات المجاورة، وأضافت إليها ما أتى به الإسلام، وما حفظه المصريون والسوريون والعراقيون والفرس، وما ابتكره العقل والفكر الإسلامي، وأنشأت من كل هذا حضارة يعدها المؤرخون، أقوى وأعظم حضارة في القرون الوسطى في الفنون والعلوم والآداب[٧]، إذن فالحضارة الإسلامية انصهرت فيها الحضارات الأخرى، وتفاعلت معها وقومها، ووجها الإسلام، مما جعلها حضارة قوية، وعلى مستوى عال من التقدم والازدهار. فعلماء الغرب اتصلوا بعلماء الإسلام عن طريق الأندلس. يقول أستاذ العلاقات الأجنبية في جامعة برينستون بواشنطن كويلر بونج «كل الشواهد تؤكد أن العالم الغربي مدين بوجوده إلى الثقافة العربية الإسلامية، كما أن المنهج العلمي الحديث، القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوروبا، إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوروبيين بالعالم الإسلامي عن طريق دولة العرب في الأندلس[٨]». فهذه شهادة من عقر دار الغرب ومن بني جلدتهم، تؤكد استفادتهم من حضارة العرب الإسلامية الأندلسية، سواء اعترفوا بذلك أم أنكروه. ويقول أيضا غوستاف لوبون: إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين[٩]. ذلكم أن الدين الإسلامي دين الفكر والعقل والحرية، يدعو إلى إعمال العقل، ويدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار والتأمل.. إلى غير ذلك، الشيء الذي يدل بالثانية على أنه دين عالمي يتفق والحياة الإنسانية جمعاء.

يقول أحمد علي الملا: «جاء الإسلام إلى أوروبا حاملا شعلة الحق والحرية، فحطم فيها الظلم والأصنام، وقضى على الخرافات والأوهام حيث وجدت، وبسط لواء الأمن، وشيد المسلمون العرب في أوروبا حضارة ستفاخر بها الإنسانية ما دام الناس على الأرض[١٠]، حيث إن مصدره من الله عزوجل باعتباره الحق المطلق، ومن صفاته الكمال والتمام، لا يستقيم أن يأتي بشيء ناقص أو ضعيف، فمنهجه منهج الاستقامة، منهج العدل، منهج الحياة، وهذا المنهج نجد تنزيله في مدينة الرسول ﷺ، كما وضحت ذلك وجسدته وثيقة المدينة، ويمكن اعتبار حضارة الأندلس كذلك من النماذج الإسلامية التي حاولت أن تتمثل المنهج الإسلامي الفريد، فشيدت الحضارة، وبنت العمران، وحققت التقدم والازدهار». كان العرب المسلمون هم أرقى عنصر في أوروبا، وكانت بلادهم الأوروبية (الأندلس) أكثر المناطق حيوية وعلما ونقدا وازدهارا وشأنا في الدنيا، وكان سائر الأوروبيين ينظرون إليهم نظرة التلميذ إلى معلمه، وكان العرب هم القدوة للأوروبيين، وكانت الثقافة الأوروبية بأسمى مظاهرها تنمو في ظلال القرآن، وكان العرب مثالا لمستوى الحياة الرفيع[١١]. فالحضارة الأندلسية كانت بمنزلة القدوة والمعلم للدول الغربية، في التطور والارتقاء والسيادة، وكل هذا إنما تحقق لهم بفضل القرآن الكريم، ورسالة الإسلام، التي تعد حقا مشعل العلم والمعرفة. يقول عباس محمود العقاد «إن الأوروبيين تناولوا مشعل العلم من أيدي العرب فاستضاؤوا به بعد ظلمة، وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم، الذي انكشفت به أحدث العلوم، ولو لم يحمل العرب ذلك المشعل شرقا وغربا لكان من أعسر الأمور أن يقدح الأوروبيون نوره من جديد»[١٢]. فكلها شواهد وأدلة واضحة، لا غبار عليها تثبت الإسهام الوافر من لدن الحضارة العربية الإسلامية عامة والأندلسية خاصة، في النهضة الأوروبية. لكن في المقابل، لماذا تأخرنا اليوم وتقدموا هم؟ لأنهم عمدوا إلى اتخاذ أسباب النهضة والتطور والتقدم. وذلك عبر مجموعة من العوامل.

العوامل المساعدة في النهضة الأوروبية

عامل الترجمة: عمد الأوروبيون إلى ترجمة كل العلوم الموجودة التي ابتكرها المسلمون، فقد شكلت أعمال الترجمة قناة غير مباشرة ولكنها ملموسة جدا لنقل الثقافة الإسلامية من بلاد الأندلس إلى أوروبا، وأدت مدارس الترجمة تلك إلى اجتذاب مجموعة من رجال الفكر ذوي الأصول الأوروبية المختلفة، والمنتمين إلى الأديان التوحيدية الثلاثة (الإسلام، اليهودية، النصرانية) إلى شبه الجزيرة، مما اضطرهم بالضرورة إلى التعايش جنبا إلى جنب، خلال أعمال الترجمة، ليقوموا بعد ذلك بنشر نتائج ترجماتهم للمخطوطات العربية في بلدانهم الأصلية[١٣]. فقد ساهم عامل الترجمة هو الآخر بشكل كبير وفعال، في النهضة الأوروبية.

عامل الاستيعاب: لأنهم استوعبوا هذه العلوم وطوروها، ثم إنهم شجعوا العلم والمعرفة «وفي عصر النهضة، القرن الرابع عشر، والسابع عشر، نجد الغرب قد استوعب هذا التراث العالمي، لا بل أصبح بإمكانه أن يطوره وأن ينتج إنتاجا أصيلا... وطفق يدرس هذا الفكر متطلعا إلى الانتصار على الشرق في مضمار الحضارة وقيادة الإنسانية حتى تمكن من الانتقال من عالم بدائي متخلف إلى عالم صناعي خلاق، العامل الفعال فيه هو العلم»[١٤]. فعلا بعد استفادة الغرب من العرب، لم يبقوا عند هذا الحد، بل اجتهدوا وبذلوا الغالي والنفيس في تطوير هذه العلوم، واستطاعوا مواكبة الركب الحضاري، ومواصلة التطور والتجديد. لكن في المقابل بقي العرب يمجدون الماضي، ويتفاخرون بأمجادهم وبطولاتهم، بدل الاجتهاد والتجديد، والأخذ بالسنن التي تتوازى مع نظام الكون، والغرب فعل هذه السنن وحقق ما حقق، فهذه الدراسة ليس المقصود منها الإتيان بالأدلة

والشواهد التي تثبت وتؤكد وفقط، إسهام الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، بقدر ما يهمنا الوقوف على أماكن الضعف والخلل، يقول الطاهر المكي في هذا الصدد: «لا أعود إلى هذا التاريخ لأزهو به، أو أذكر ساهيا، فالزهو وحده لا يقيم حضارة ولا يصنع تقدما، وإنما لنتأمل ولنعاود التأمل دائما: ما الذي جعلنا الأقوى إذ ذاك؟ وما الذي أخذوه منا فتقدموا به وتركناه نحن فكان هذا حالنا»[15]. فالطاهر المكي، في هذه الكلمات، يتساءل وإن كان السؤال إنكاريا، ترى ما كان ذاك الشيء الذي جعلنا الأقوى، وجعلنا قدوة لباقي الحضارات آنذاك، لنفاجأ بعد فقدانه، بفقدان السيادة والتقدم والريادة والسبق، وكأن شمس الحضارة العربية الإسلامية آخذة في الأفول بتعبير ابن خلدون، أو هل يمكننا القول إن الحضارة الإسلامية آنذاك حققت الترف المادي والفكري والمعنوي والحضاري، وبالتالي وصلت إلى سن الشيخوخة، فلا بد لها من الموت والزوال، أو على الأقل لنقل إن الحضارة الإسلامية انتهت مهمتها فأحيلت إلى التقاعد، فبقيت جانبا ليتولى الأبناء والحفدة زمام الحكم، كلها أسئلة تتفاعل وتتكاثر وتتناسل علها تستطيع الإتيان بإجابات شافية كافية جامعة مانعة، والحل المناسب والأجدر للانحطاط والتأخر اللذين أصبحا حليفيها.

بيان أهمية الأخلاق والقيم في بناء الحضارات

لا شك أن الحضارات تبنى وتتأسس على عدة عوامل: عوامل أخلاقية، اقتصادية، وسياسية، ثقافية... وتبقى منظومة القيم والأخلاق، هي العامل الأهم والأساس والمؤطر لباقي العوامل الأخرى، فحينما تهيمن قيمة الأخلاق والقيم، وتكون مرافقة للعوامل الأخرى، فإن الحضارة تبقى مشيدة وحصينة، وإن كان ولابد من التدهور والاضمحلال فإنه يحصل ببطء، لكن غياب تفعيل منظومة القيم والأخلاق داخل المجتمعات والحضارات، يؤدي في المقابل إلى انتشار الظلم والعدوان والجريمة، وتقديم المصالح الشخصية على المصالح العامة، وعدم الآخذ بالسنن الكونية، فإن الحضارة مهما علت وارتفعت فإنها تتدهور وتسقط رأسا على عقب. الدليل على هذا الذي ذكرت هو سقوط الأندلس نفسها، يقول جهاد الترباني: «في ظل الانحطاط الاخلاقي، الذي وصل إليه ملوك المسلمين في الأندلس، كان لابد للنصارى أن يتوجهوا بجيوشهم لاحتلال باقي مدن الأندلس، والتي لم يبق منها إلا إشبيلية وغرناطة، فما كان من محمد الفقيه (ملك غرناطة في ذلك الوقت) إلا أن يتوجه بجيشه ليساعد الصليبيين في حصار شيوخ ونساء وأطفال إشبيلية، وفعلا سقطت إشبيلية، بفضل خيانة بني الأحمر، فكافأه الصليبيون بأن توجهوا إلى مدينته لينتزعوها من حكمه، فلم يستطع هذا الملك الخائن أن يحاربهم، فشعبه تعود على السهر على ألحان زرياب الموسيقية، وقصائد الغزل الأندلسي، فأنى لشاب تربى على الأغاني الماجنة أن يحمل السيف في سبيل الله، وأنى لشيخ تعود لسانه على قول أيها الساقي اسقني لا تأتل، أن ينادي حي على الجهاد»[16]. وفعلا سقطت الأندلس بسبب هذه الانحرافات الأخلاقية والقيمية، وابتعادها عن المنهج الرباني القويم، وتخلفها عن ركب سنن الحضارة، والأخذ بأسباب التقدم والرقي والازدهار.

خاتمة

وختاما فقد تبين لنا مدى مساهمة الحضارة الإسلامية الأندلسية في النهضة الأوروبية، ويؤكد ذلك العدد الكبير من الأدلة والشواهد، إلا أن الدول الأوروبية لم تقف عند هذا الحد، بل عملت كل ما في وسعها لتطوير هذه العلوم وتقويتها، في الوقت الذي بقي المنتسبون إلى الإسلام يجترون ما خلفه لهم أجدادهم، ويفتخرون بهذا المروث الثقافي والحضاري، في غياب تام للتجديد والإبداع والتطور، وفقا لحاجيات العصر ومتطلبات الواقع، ظنا منهم أن الريادة والسبق سيظلان من حظهم، وسيبقيان من نصيبهم، من دون الالتفات إلى سنن الله في أرضه وخلقه. والأندلس، كما غيرها من الحضارات، سقطت بسبب انتشار مجموعة من الرذائل الأخلاقية والقيمية داخلها، مما ساهم في ضعفها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، أضف إلى ذلك أن الملوك والزعماء - آنذاك - انهمكوا في الشهوات والملذات، في غياب تام عن واقع الأمة وعن حاجتها، وبالتالي أصبحت لقمة مستساغة للدول الأخرى، وأصبحت سهلة المنال، والاستيلاء عليها من دون تعب.

الهوامش

١- روبيرت نقلا عن أبي الحسين الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الغد الجديد، ط١، ٢٠٠٩م، ص٤٥.
٢- ماذا خسر العالم، الندوي، نفسه ص٤٤.
٣- كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، إصدار عن منتديات ليل الغربة، أبريل، ٢٠٠٩م، ص١٠.
٤- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩م، ص٩.
٥- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص١١٧.
٦- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ١٤٧٨.
٧- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص١١.
٨- كويلر بونج نقلا عن أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص١١.
٩- غوستاف لوبون، نقلا عن أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص١١٩.
١٠- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص٢١٤.
١١- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص٢١٤.
١٢- أثر العرب في الحضارة الأوروبية، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص٤٤.
١٣- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مرجع سابق، ص١٤٧٩.
١٤- كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، مرجع سابق، ص١٢.
١٥- نقلا عن مقال أحمد عفيفي، وهو قراءة في كتاب أصداء عربية وإسلامية في الفكر الأوروبي الوسيط للطاهر المكي ٢٠٠٤م، ص٩.
١٦- جهاد الترباني، مئة من عظماء الأمة، ط ١٠، ١٤٣٦هـ، دار التقوى، ص ٣٩٨.

تحقيق

تحقيق/ علاء عبدالفتاح





رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ جابر المبارك متابعا للأحداث أول باول

أمطار الخير.. الكويت مصنع الرجال

معادن الرجال لا تظهر إلا وقت الشدائد وهكذا أظهرت الحالة المطرية وتقلبات الطقس - في الأيام الماضية - المعدن الطيب لرجال الكويت: الساسة والعامة، الجهات الأمنية والفرق التطوعية، أجهزة الإعلام والمتلقين لأخبارها ونصائحها، الكل على السواء سطروا ملحمة تعاون في ساعات شدة، ورسموا لوحة تكافل في وقت ضيق فمن حسن خلق المسلم وسلوكه المتين، التلاحم والوحدة في وقت الشدائد والمحن.

ورغم أن منطقة الكويت من المناطق الصحراوية والتي يكون معدل سقوط الأمطار فيها منخفضا جدا، حيث لا يزيد منسوب ما يسقط في المرة على ٨ ملم؛ يؤكد مدير إدارة الأرصاد الجوية محمد كرم أن الكويت شهدت أمطارا غزيرة، وصلت نسبتها وفق محطات الإدارة ٣٧ ملم في منطقة العبدلي و٣٠ في جزيرة فيلكا وفي اقصى

الأزمة الطارئة ترسخ جدارة كويتية ثابتة

الحالات ١٠٠ ملم، مما يثبت حجم المشكلة الطارئة ورغم أن هيئة الأرصاد أعلنت عن توقعاتها قبل الهطول غير المسبوق بأيام، إلا أن كميات الأمطار الغزيرة المصحوبة برياح شديدة فاقت كل التوقعات، فلم تستطع معها البنية التحتية في بعض المناطق استيعابها وسرعة تصريفها. حتى أن رئيس هيئة الطرق أعلن أن الأمر كان أكبر من شبكة الصرف المعدة لذلك.

ومع ذلك، وبفضل من الله، تكاتفت الجهود منذ بدء الأزمة بين وزارات الدفاع والإعلام والأوقاف والشؤون الإسلامية والتربية والصحة والداخلية بقطاعاتها المختلفة في العمليات والمرور


غرفة عمليات على مدار الساعة

والدفاع المدني إلى جانب الحرس الوطني والإدارة العامة للإطفاء وبلدية الكويت والأرصاد الجوية، فجاءت النتيجة كما ذكر رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم (وقد خصص المجلس مشكورا جلستين طارئتين لهذا الأمر) أن «تم اجتياز الأزمة وكيف تكاتف أبناؤنا وإخواننا منتسبي تلك الجهات وتفوقوا على أنفسهم، وواصلوا الليل بالنهار من أجل التعامل مع تداعيات وآثار تلك الموجة، ونجحوا في ذلك أيما نجاح» مؤكدا أن التعويض عن الأضرار المادية التي أصابت بعض المرافق وبيوت المواطنين وممتلكاتهم واجب واستحقاق، غير أن «موجة الأمطار التي شهدتها البلاد وما تكشّف عنها من بعض العيوب والاختلالات، هي فرصة مناسبة ومواتية للمراجعة والتقييم».

وهكذا يكون علاج المشكلات في البداية مواجهة وتلاحم من الجميع وفي الختام مراجعة وتقييم كي نخرج بدروس مستفادة.

رئيس مجلس الوزراء الكويتي الشيخ جابر المبارك الحمد فقد أكد على تعويض المتضررين من الأمطار، مشيدا بجهود الجهات المعنية في الدولة للتعامل مع الظروف المناخية التي تمر بها البلاد حاليا.

وقال المبارك، في بيان صحافي بعد اجتماعه مع قيادات الدولة في غرفة عمليات وزارة الداخلية، أنه «بفضل الجهود المبذولة تم التقليل من الأضرار وسنقوم بدعم وتعويض كل من تأثر بالأمطار».

وأما وزارة الصحة الكويتية فأكدت أن خطة الطوارئ المعلن عنها لمواجهة موجة الأمطار التي تمر بها البلاد حاليا هي في حالة تفعيل دائم في كل قطاعات الوزارة ومستشفياتها حرصا على توفير رعاية صحية جيدة لجميع المراجعين.

وقالت الوزارة، في بيان صحافي، إن وزير الصحة الشيخ الدكتور باسل الصباح يتابع الموقف للوقوف على سير العمل وتخطي العقبات والعمل على كل ما من شأنه المحافظة على سلامة المرضى وتقديم الخدمة الطبية المميزة لهم.

ولكي ندرك حجم المشكلة وجهود رجالات الكويت نكتفي بذكر ما حدث بمنطقة المنقف، حيث عملت أكثر من عشرة صهاريج على شفط مياه الأمطار التي تجمعت تحت جسر المنقف مسببة أضرارا بالغة بالمركبات، فيما رفعت إدارة الإطفاء أكثر من ٢٦ مركبة غرقت داخل النفق.

ولنا أن نتخيل حجم الحركة مع عدد البلاغات التي تلقاها مركز العمليات في وزارة الداخلية منذ بدء هطول الأمطار الغزيرة وهي نحو ٢٠٠٢٧ بلاغا منها ٣٠٠٠ بلاغ جدي تم التعامل بالفعل معها وفق تصريح وكيل وزارة الداخلية الفريق عصام النهام في مؤتمر صحافي.

مظاهر الحياة الطبيعية

بعد أيام قليلة من حالة طقس غير مستقرة، عادت الأمور إلى مجاريها وأشرقت الشمس وعاد الطلاب إلى مدارسهم، والموظفون الحكوميون إلى

أعمالهم، ومن الأنشطة الدولية التي تثبت أن الأزمة مرت بسلام انعقاد واستئناف بطولتين؛ إحداهما للتنس الأرضي في نادي اليرموك الرياضي، والأخرى مارثون للعدو على شارع الخليج أقصاه ٤٢ كيلومترا، كما استمر معرض الكويت الدولي للكتاب بكل فعالياته الثقافية.

رجال الإطفاء

أظهرت مقاطع فيديو انتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي قيام رجال الإطفاء بحمل أصحاب المركبات التي جرفتها السيول، ونقلهم إلى أماكن آمنة، وقد تعرض بعضهم للخطر الجسيم في سبيل هذه الأعمال البطولية.

غرفة عمليات الإعلام

أكثر من عشرين مراسل ومراسلة انتشروا في أنحاء الكويت يواكبون آخر التطورات، نقلوا بالصورة والصوت ما يحدث أولا بأول، وكان لبيانات ونشرات وزارة الإعلام دور مهم في إرشاد سكان الكويت لكيفية التصرف أثناء القيادة أو في البيوت مع الأجهزة الكهربائية وغيرها، مطالبين الجميع بالاحتياط وعدم الخروج من المنازل إلا للضرورة، وهو ما أدى إلى زيادة الوعي للمواطنين.

الطوارئ الطبية

ومن الجهود المحسوبة لوزارة الصحة ووفقا لما أعلنه رئيس قسم العمليات في إدارة الطوارئ الطبية جاسم الفودري، أن «الإدارة تلقت ٢٢٨ بلاغا يتعلق بالأمطار في يوم واحد، ومنها بلاغات عن حوادث سيارات، وأخرى لحالات منزلية.

كما أن رجال الطوارئ الطبية نفذوا ١٠٤ عملية نقل حالات طارئة، و١٢٤ أخرى من الحالات التي تنقل بين المستشفيات للعلاج أو من مراكز العلاج الطبيعي

وزارة الأوقاف

قامت وزارة الأوقاف بنشر تعميم عن طريق قطاع المساجد يوجه إلى الدعاء بأن تكون هذه الأمطار أمطار خير وبركة على الكويت وأهلها وقد التزم الائمة وخطباء المساجد بالتوجيه الوزاري فصدعت الأدعية في ساحات العبادة وازداد اطمئنان سكان الكويت.

إذاعة القرآن الكريم

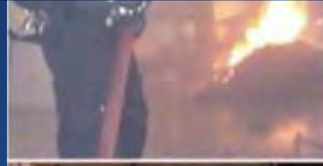
وكان لإذاعة القران الكريم التي يستمع إليها مئات الآلاف يوميا خلال توجههم للعمل أو أثناء عودتهم أو في بيوتهم دور كبير في طمأنة روع الناس بعد أصوات الرعد ومشاهدة البرق ومتابعة بعض الإشاعات في وسائل التواصل الاجتماعي، وفضلا عن ذكر الأحاديث النبوية التي تذكر دعاء وسلوك رسولنا الكريم في مثل هذه المواقف، استضافت الإذاعة بعض المختصين لتوضيح الحقائق للمستمعين.















خطبة الجمعة

وقد تناولت خطبة الجمعة في مسجد الدولة التي ألقاها الشيخ مشاري الخراز مراحل تعامل المؤمن مع النوازل وكيف يتصرف بعدم سخط وبصبر، ثم تأتي مرحلة الرضا التام، بل وشكر الله على قضائه الذي هو للمؤمن كله خير. وقد ساهمت خطة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عبر خطباء مساجدها في تقوية العزيمة وإقبال سكان الكويت على العمل برضاء بالمقبل طالما هو من عند الله خالق الكون البصير بأمور عباده.

رجال الداخلية

ومن المشاهدات التي سجلتها «الوعي الإسلامي» مواقف رجال الداخلية الذين سارعوا إلى الشوارع ونزلوا من سياراتهم متحملين شدة الأمطار دون أي واق منها، مستخدمين كل طاقاتهم الجسدية في توجيه السيارات إلى الطرق السليمة التي لم تشهد تجمعات مياه، بل وتوجه بعضهم إلى أماكن على محيط مدينة الكويت لإنقاذ أسر علقت داخل بيوتها بعد أن غمرت المياه الأثاث بها.

فرق الإنقاذ التطوعية

منذ اللحظات الأولى أعلنت أكثر من فرقة تطوعية عبر وسائل التواصل الاجتماعي عن استعدادها لسحب السيارات العالقة في تجمعات المياه وإنقاذ أي فرد حالت المياه بينه وبين هدفه في الوصول، وكان تلاحم الجهد التطوعي مع الجهود الحكومية ملموسا يعلن في جلاء عن أصالة وعطاء رجالات هذا البلد المعطاء.

تاريخ الأمطار الغزيرة بالكويت

في ندوة أقامتها جريدة الأنباء وتحدث فيها الكاتب عادل يوسف المرزوق، تم حصر الأحداث المشابهة التي تعرضت لها الكويت بسبب حالات مطرية غير عادية وهي:

١- في سنة ١٨٧٢م سقطت أمطار غزيرة في يوم الثلاثاء الموافق ١٨٧٢/١٠/١م على وجه التحديد.

٢- في سنة ١٩٣٤م سقطت أمطار في السنة المشهورة بتاريخ الكويت والتي تعرف بسنة الهدامة، حيث سقطت أمطار كثيرة في هذه السنة والتي سقطت في يوم السبت ١٩٤٣/١٢/٨م الموافق الأول من شهر رمضان سنة ١٣٥٣هـ وتهدمت كثير من البيوت وتعرف تلك السنة بسنة الهدامة الأولى.

٣- كذلك سقطت أمطار غزيرة جدا في يوم الثلاثاء ١٩٥٤/١١/٣٠م وتسببت هذه الأمطار في سقوط العديد من المنازل، مما اضطر الحكومة في ذلك الوقت إلى إيواء السكان الذين سقطت منازلهم في المدارس وتعرف هذه السنة بالهدامة الثانية.

أحمد متولي السيد
باحث في التاريخ
مصر



رجب البيومي.. المفكر الإسلامي الفذ

يزخر تاريخنا الإسلامي الحديث بالعديد من الشخصيات الفذة التي تركت أعمالا عملاقة أثرت الحياة الأدبية والفكرية ودافعت أيما دفاع عن ديننا الإسلامي الحنيف وكان لها مؤلفات ساهمت في النهضة الإسلامية والأدبية المعاصرة، ومن بين هؤلاء الأفذاذ العلامة الدكتور محمد رجب البيومي الذي رحل عن عالمنا في الخامس من فبراير عام ٢٠١١م. ورغم مرور سبع سنوات على وفاته إلا أنه لم ينل حتى الآن تكريما يستحقه أو عناية بتراثه تبرز قدره واسهاماته الثقافية عبر عمره المديد الذي ناهز التسعين ربيعا وفي هذه المقالة سنحاول إلقاء الضوء على سيرة هذا العلامة الذي أثرى بعلمه مجالات الأدب والفكر والشأن الإسلامي الذي كان همه وشغله الشاغل.



وقد ولد الدكتور البيومي ببلدة الكفر الجديد بالمنزلة في شمال مصر عام ١٩٢٣م ونال عالمية الأزهر عام ١٩٤٩م ودبلوم معهد التربية عام ١٩٥٠م، ثم الماجستير عام ١٩٦٥م، فالدكتوراه في الأدب والنقد عام ١٩٦٧م. وأعير للسعودية في الثمانينيات وقد كانت إقامته بها فترة طيبة مباركة على صعيد إنتاجه العلمي والأدبي وعلاقاته بمثقفي المملكة وفي مقدمتهم عبدالقدوس الأنصاري صاحب «المنهل» لولا أنه فقد خلالها زوجته رفيقة دربه التي رثاها رثاء حارا في ديوانه «حصاد الدمع»، فعاد إلى مصر وعين عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة وظل بهذا المنصب مدة عشر سنوات.

بدأ د.البيومي الكتابة والنشر منذ الأربعينيات في مجلتي الرسالة والثقافة وكانت له صلة بكل من أحمد حسن الزيات وأحمد أمين ولم يؤثر ما كان بينهما من منافسة على ارتياده لمجالسهما والانتفاع بثقافتهما وكان له كتابات عن كل منهما.

ومن أهم ما ميز د. البيومي عدم تأثره بما كان بين الأقران من خلافات فكرية، فلم يجعل ما كان بين الكوثري وأحمد شاكر أو العقاد والرافعي أو زكي مبارك وطه حسين حائلا دون الاستفادة من كل واحد منهم والإشادة بمناقبهم مع نقد أخطائهم.

وقد كان حريصا على التعرف على أعلام عصره والإفادة منهم، ومن هؤلاء الكاتب والمفكر الإسلامي محمد فريد وجدي الذي تأثر به د. البيومي أيما تأثر، وظل يعتبره إلى آخر حياته قدوته ومثله الأعلى في السلوك الحياتي والعلمي وكتب عنه في سلسلة «أعلام المسلمين» كتابا يفيض وفاء وإخلاصا.

كتاباته

وتنوعت كتاباته بين البلاغة والنقد والفكر المعاصر والدراسات التراثية والشعر واللطائف الأدبية، غير أن إبداعه يتجلى تحديدا في فنين أجاد فيهما وعرف بهما وهما: ميدان التراجم والأعلام، وميدان القصص التاريخي.

وصنف البيومي كتاب «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» فجاء ديوانا حافلا بتراجم الزعماء والعلماء والمفكرين والمستشرقين والصحفيين وحتى مصححي دار الكتب ومطبعة بولاق – الرعيل الأول من المحققين – وراعى فيه ألا يكون تقليديا يكتفي فيه بسرد الوفاة والأعمال والممات، فكان مهتما بإبراز أبعاد الإنجاز والعمل الإصلاحي والتربوي لدى الشخصية المترجم لها مع تسليط الضوء على المنازع السلوكية الإيجابية فيها.

وصنف كتابا آخر أقل حجما من كتاب النهضة وهو «من أعلام العصر.. كيف عرفت هؤلاء» اتبع فيه نفس المنهج سالف الذكر، وإن كان بشكل أقل تكثيفا وأفرد لكل من أحمد أمين وأحمد حسن الزيات ومصطفى صادق الرافعي ومحمد فريد وجدي

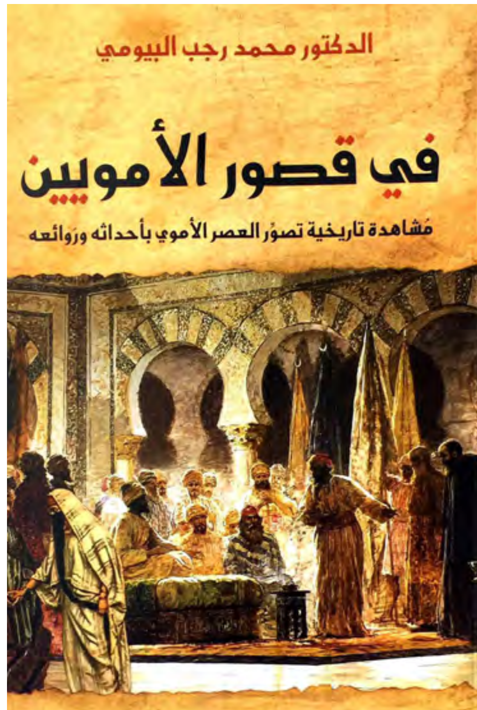
وعلي الجارم وأحمد محرم كتبا مستقلة للتعريف بهم.
وكتب أيضا لمجلتي: الهلال والأزهر، التي رأس تحريرها في آخر حياته، وعدد كبير من المجلات الثقافية والأدبية والدينية في الوطن العربي مثل: «الهلال والثقافة والأديب اللبنانية، مجلة الأدب الإسلامي، مجلة الأديب، مجلة الأقلام، مجلة رابطة العالم الإسلامي، مجلة الضياء، مجلة علامات، مجلة جذور التراث، مجلة الفيصل، مجلة الكتاب، المجلة العربية، مجلة منار الإسلام»...
والعجيب أن كثرة إنتاج البيومي في المقالات والأبحاث والكتب لم تؤثر على إجادته في أغلب أعماله، فقل أن تجد عملا له يخلو من لمعة فكر أو نكتة أدبية أو تذكير بمجتهد مغمور أو تنبيه على عمل يستحق الإشادة.

القصص التاريخي

أما القصص التاريخي والصور الأدبية المستوحاة من قصص التاريخ فقد كان البيومي من البارعين فيها، ولا نبالغ إن قلنا إنه لم يكن من أقرانه ومعاصريه من يجاريه في هذا الميدان وله في هذا المجال مؤلفات منها: «يحكى أن» و«وقال الراوي» و«من القصص الإسلامي» و«صفحات هادفة من التاريخ الإسلامي» و«من شرفات التاريخ». وألف أيضا بالإضافة إلى ما سبق كتاب «أبرياء ويتهمون» وألقى فيه الضوء على بعض الشخصيات التاريخية التي نسبت إليها شائعات وأباطيل شوهت صورتهم وحطت من قدرهم ظلما أو جهلا.
ولابد هاهنا من الإشارة إلى أمر كان حاضرا دوما في ذهن د. البيومي؛ وهو التجديد في تناول الموضوعات والنأي عن الكلام المكرر والعرض البارد للأحداث والأفكار، والمتأمل لكتاباته والمتعمن في مصنفاته يجده حريصا على مجانبة الأسلوب التقليدي في بحث القضايا وعرض التراجم ورسم الصور الأدبية التاريخية دون أن يدفعه ذلك إلى الشطط والبعد عن الحقائق المؤكدة أو القرائن الواضحة أو استخدام الفرقعات المجازية الخادعة.
ولم يقتصر د. البيومي على التوليف الأدبي الذي هو تخصصه؛ فكتب أيضا عن القضايا الفكرية، فكانت له أعمال بارزة في هذا الشأن منها: «إعادة قراءة القرآن» الذي جاء ردا على المستشرق جاك بيرك الذي أثار شبهات كثيرة حول كتاب الله والنبي ﷺ في ترجمته للقرآن الكريم عام ١٩٩٠، و«قضايا إسلامية» ودافع فيه البيومي عن دور الأزهر في صفوف المقاومة الوطنية للاستعمار. كما كتب مصنفا عن بعض الكتب التي رآها تستحق الإشادة والتنويه في كتابه «رحلة في المكتبة العربية»، كذلك أرشد إلى نماذج تجسد التصوف العلمي السني البعيد عن الخرافات والبدع في كتاب «أشواق العارفين».

رحلته مع الشعر

كان د. البيومي، رحمه الله، مهتما بإبراز ما يراه من تراث أساتذته وإرشاد تلاميذه إلى إحيائه وبعثه قدر الإمكان، وكان قدوة لهم في ذلك؛ فقد نشر مجموعة من المقالات والتأملات للشاعر الراحل عبدالرحمن شكري



مما رآه مستحقا للنشر مجمعا وسماه «تأملات في النفس والحياة».
وكان مع هذا كله يهتم بالشعر وله فيه غير ديوان، وقد فجع د. البيومي في زوجته ورفيقة دربه التي كانت قريبة إلى نفسه فرثاها في ديوان «حصاد الدمع» وهو ديوان صغير الحجم لكنه مليء بشجون صاحبه وألمه لفراق زوجته، رحمهما الله، وله غير ذلك ثلاثة دواوين هي: «من نبع القرآن» و«صدى الأيام» و«حنين الليالي».
وكتب أيضا المسرحية الشعرية ومن أعماله في هذا المجال نذكر: «فوق الأبوة» و«ملك غسان» و«فاتنة الخورنق».

أدب الأطفال

وأسهم العلامة د. رجب البيومي في مجال أدب الطفل بمجموعة قصص في أجزاء متوالية أصدرتها دار الأصالة، ودار القاسم بالرياض عام ١٩٨٥م منها: المغامر الشجاع، الهمة العالية، مؤامرة فاشلة، الفارس الوفي، يوم المجد، دجال القرية، الحبل الأسود، الفتاة المثالية، إلى الأندلس، رحلة الخير.
كما سجل جانبا من سيرته الذاتية وذكرياته في كتاب «ظلال من حياتي»، والكتاب على صغر حجمه ممتع آثر يجذب قارئه ويدفعه دفعا إلى التعلق بكاتبه لما يلمس فيه من صدق وتجرد وبعد عن التفخيم وتعظيم الذات؛ لكنه رغم ذلك لا يتناسب مع عظم شأن الحياة العلمية والأدبية ولا العمر المديد الذي عاشه البيومي.
وفي أيامه الأخيرة فضل أن يعيش ببلدته المنصورة مع إشرافه على مجلة «الأزهر» التي كان يكتب مقدماتها، علاوة على بعض الإطلالات هنا وهناك في بعض المجلات، فقد كان لا يرد طالب مقال أبدا، وساعده على ذلك سيلان ذهنه ومطالعته الدائمة ومتابعته الدؤوبة لكل المستجدات في الساحة الأدبية والفكرية والإسلامية.



د. المحجوب قدار
دكتوراه في التاريخ والتراث
المغرب

نساء مغربيات تفوقن في مهنة الطب خلال العصر الوسيط: عائشة بنت الجيار أنموذجا

على الرغم من الصمت الذي طال أخبار النساء بين ثنايا مصادر العصر الوسيط الإسلامي مقارنة بالرجال، إلا أن ما وصلنا من أخبارهن يدل على المكانة المرموقة التي بلغتها بعض النساء وسط المجتمع في مختلف المجالات، ويعد المجال الطبي من بين المجالات التي أبانت فيها المرأة المغربية عن براعتها وحرفيتها الكبيرة، إلى درجة الترجمة لها من طرف مؤلفي الفترة الوسيطية على قدم المساواة مع رجال عصرها من المتفوقين والمميزين في مجالاتهم. ومن بينهن الطبيبة الماهرة عائشة بنت الجيار السبتية التي عاصرت الدولة المرينية.

كتاب «بلغة الأمنية» المصدر الوحيد الذي ترجم للطبيبة عائشة بنت الجيار في الواقع تبقى المصادر التي ترجمت للنساء خلال العصر الوسيط قليلة جدا مقارنة بالرجال، لذلك فلا شك أن الكثير من النساء قد أهملت أخبارهن لأسباب مرتبطة بالثقافة الذكورية التي غلبت على المجتمع وقتئذ. لذلك فليس غريبا أن أخبار الطبيبة عائشة بنت الجيار لم ترد - على حد علمنا - سوى في مصدر وحيد، وهو الكتاب المسمى «بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب» لمؤلف مجهول عاش بين نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري. وتعد الطبيبة عائشة بنت الجيار المرأة الوحيدة التي ترجم لها في كتابه الذي ضم ٤٨ ترجمة[١]، مما يعكس المكانة التي كانت لهذه الطبيبة ليس في حقل الطب فقط بل في ميدان العلوم عموما.

أما مؤلف الكتاب فهو غير معروف، توفي بعد سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، وهي السنة التي انتهى فيها من تأليف كتاب «بلغة الأمنية». على الرغم من أن البعض قد رجح أن يكون هو نفس مؤلف كتاب «اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار» وهو محمد ابن القاسم الأنصاري السبتي[٢]، لكن بدون قرائن واضحة يصعب القطع بهذا القول، ليبقى مؤلف «بلغة الأمنية» مجهولا إلى الآن. وقد تم تحقيق هذا الكتاب لأول مرة على يد محمد ابن تاويت التطواني، ونشر في مجلة تطوان ضمن العدد التاسع في سنة ١٩٦٤م في حوالي عشرين صفحة، ثم حققه للمرة الثانية عبدالوهاب بن منصور سنة ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.

عائشة بنت الجيار طبيبة من بيت علم وأدب

تنحدر الطبيبة عائشة من بيت بني الجيار، أحد البيوتات السبتية العريقة في العلم والأدب، عرف أبوها الشيخ أبو عبدالله بن الجيار ببراعته في الكتابة، كما تقلد خطة الحسبة بمدينة سبتة[٣] خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[٤]، وقد أتاح لها هذا الوسط العملي الذي نشأت فيه إمكانية التعلم والاحتكاك بالعلم والعلماء منذ نعومة أظافرها. تعلمت الطب على يد صهرها الشيخ أبي عبدالله الشريسي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، الطبيب الماهر المعروف بمكانته المكينة

عند الأمراء والملوك، والمشهور عند العامة بحكيم الرعاء[٥]. ومما يبرز علو قدر الشريسي أن السلطان أبا عنان قال عنه: «اختصت سبتة بأربعة رجال دون سائر بلاد المغرب، كملوا في عصرهم خلقا وخلقا، وسماهم، ومن جملتهم الطبيب أبو عبدالله هذا»[٦].

وهكذا كان من نصيب بنت الجيار أن تتعلم الطب على يد أحد كبار الأطباء في سبتة والمغرب الأقصى عامة خلال تلك الفترة، لذلك فليس غريبا أن تتقن مهنة الطب وأصولها، حتى اشتهرت بين أطباء عصرها من الرجال. ولا غرو فصاحب «البلغة» قد قال عنها: إنها قد نبغت في علم الطب[٧]، ولولا ذلك ما ضمنت لاسمها مكانا ضمن من ترجم لهم. وقد ساعدتها على ذلك الخصال التي تميزت بها، فقد كانت «امرأة عاقلة، عالية الهمة، نزيهة النفس، معروفة القدر، لمكان بيتها»[٨]. فضلا عن دور الوسط الأسري العلمي، الذي نبتت فيه، في صقل شخصيتها، وتنمية مواهبها.

المهارات الطبية المميزة لعائشة بنت الجيار

لا شك أن الطبيبة عائشة قد أتقنت الطب علما وعملا، وبرعت فيه براعة معلمها أبي عبدالله الشريسي، ولا غرو فقد كانت عارفة بالأدوية والعقاقير وما يختص بها، بصيرة بالماء وعلاماته[٩]. وقد أهلها ذلك لدخول بلاطات الأمراء والملوك، وجعلها مقبولة عندهم، إذ كانوا يتحفونها بالهدايا والتحف لقاء خبرتها ومهارتها، حتى تأتت لها الرباع والأملاك الكثيرة من وراء تلك الحرفة. واستمر بها الحال سيدة محفوظة المنصب، محترمة الجانب، إلى أن توفيت رحمها الله. وقد عرفت عائشة بنت الجيار، إلى جانب اهتمامها بالتطبيب، بالإحسان وبذل الخيرات، فقد عهدت قبل وفاتها بتوقيف رباعها وأملاكها في وجوه الخير، وسبيل الخيرات[١٠].

ونظرا لمكانتها وعلو كعبها فقد صنفها عبدالله كنون ضمن أعلام المغرب الذين بصموا الثقافة المغربية خلال الفترة المرينية[١١]، كما تم إدراج اسمها ضمن معلمة المغرب كإحدى الطبيبات البارعات[١٢]. ونجد اسمها أيضا ضمن الأعلام الذين ذكرهم محمود عبدالعزيز الزعبي ضمن كتابه «المحكم في تاريخ الطب»، وقد ذهب صاحبه إلى أن الطبيبات في المغرب الأقصى وقتئذ كن كثيرات، قياسا على عدد المدن الكثيرة كفاس ومراكش ومكناس وسجلماسة وغيرها، ونظرا لحاجة المارستانات، التي كانت منتشرة في الحواضر الكبرى، للأطباء والصيادلة[١٣]. أما شوقي ضيف فقد اعتبرها من أوليات المغربيات اللاتي برعن في علم الطب خلال العصر المريني بعدما كان حكرا على نساء بني زهر خلال العصر الموحدي[١٤]. وتجدر الإشارة إلى أن كل هؤلاء استقوا معلوماتهم من كتاب «بلغة الأمنية» لكاتبه المجهول.

خاتمة

قصارى القول: إن التراث الإسلامي خلال العصر الوسيط يزخر بالعديد من الإنجازات التي غطت كل المجالات، كما أسهمت فيها مختلف شرائح المجتمع رجالا ونساء، ولم يكن نموذج الطبيبة عائشة بنت الجيار سوى مثال ضمن عديد الأمثلة التي تثبت تفوق المرأة في مجالات كانت تعد في تصور الكثير أنها حكرا على الرجال. ومن البديهي أن الطبيبة عائشة بنت الجيار قد استطاعت إثبات نفسها في المجتمع اعتمادا على مقومات ذاتية تتمثل في عنصري الإرادة والإتقان، وأخرى موضوعية تتجسد في الانتماء إلى بيت علم وأدب.

الهوامش

١- مؤلف مجهول، بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، أورده محمد بن تاويت ضمن مجلة تطوان، عدد. ٩، ١٩٦٤، ص ١٨٨.

٢- نفسه، ص ١٧٤.

٣- تعد سبتة إحدى المدن التاريخية المغربية العتيقة تقع في أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى، تحتل موقعا استراتيجيا في منطقة تضاريسية مرتفعة تطل على البحر الأبيض المتوسط، الشيء الذي أهلها للقيام بأدوار تاريخية مهمة في حوض البحر المتوسط الغربي، كما اشتهرت بكونها فضاء سياسيا وتجاريا وثقافيا. سقطت في أيدي الاحتلال البرتغالي سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤١٥م لتحتلها اسبانيا سنة ١٤٩٧م. وبالرغم من المحاولات التي قام بها المغرب لاسترجاعها من أيدي المحتل منذ بداية احتلالها إلا أنها مازالت في يد المحتل الاسباني إلى حد اليوم. معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج. ١٤، ص ٤٨٤٢- ٤٨٥١.

٤- مؤلف مجهول، بلغة الأمنية ...، م. س، ص ١٨٧.

٥- نفسه، ص ١٨٦.

٦- نفسه، ص ١٨٦.

٧- نفسه، ص ١٨٧.

٨- نفسه، ص ١٨٨.

٩- نفسه، ص ١٨٨.

١٠- نفسه، ص ١٨٨.

١١- كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط. ٢، دون تاريخ، ج. ١، ص ٢٠٣، ٢١٥.

١٢- معلمة المغرب، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ، ج. ١٧، ص ٥٨٦٠- ٥٨٦١.

١٣- الزعبي محمود عبد العزيز، المحكم في تاريخ الطب، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ج. ٢، ص ٥٩٦.

١٤- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا- السودان، دار المعارف، ط. ١، القاهرة، دون.



محمد القطيبي
باحث مغربي

قراءة محمد عابد الجابري

التراث والعصر في الفكر العربي الأوروبي

لقد انطلق عابد الجابري بالتأكيد على أن المشكل الثقافي الذي تعانيه شعوب العالم الثالث مرتبط بالاستعمار، فهذا الأخير دمَّر ثقافة الشعوب التي استعمرها، وفي المقابل قدم ثقافته، وفرضها كثقافة عالمية، فكان رد فعل هذه الشعوب خلال كفاحها من أجل استرجاع سيادتها واستقلالها هو الاتجاه نحو إحياء «الثقافة الوطنية» تأكيدا للهوية، وحفاظا على مقومات الشخصية، وقد وعت النخبة المثقفة هذا التدمير الثقافي، فكان رد الفعل هو إعادة إحياء الثقافة الوطنية.

إن وعي النخبة المثقفة لا يعني البتة تجاهل غيرهم، يقول الجابري:

«ونحن عندما نركز هنا على النخبة لا نلقي بالجماهير إلى الهامش ولا نقلل من دورها، وإنما ننظر إلى النخبة في هذا المجال، بوصفها الطليعة التي تمارس الريادة والقيادة على صعيد الفكر والثقافة، أي بوصفها «انتلجنسيا» تعبر عن وعي الجماهير، الصريح أو الكامن»[1].

هذه النخبة لا تؤدي دورها إلا إذا كانت مثقفة فعلا، تؤمن أن المصلحة العامة أولى من المصلحة الخاصة، ينبه الجابري إلى مسألة هامة، وهي أن الاستعمار في البلاد العربية عموما، لم يستطع تدمير الثقافة الوطنية الإسلامية ولا طمس معالمها؛ لأنها لم تكن مجرد بقايا أو آثار لبنى ثقافية قديمة شعبية، بل كانت ولا تزال ثقافة عالمة حية، لغة، وأدبا، وفكرا، متغلغلة في العقل والشعور، وفي الفكر والسلوك.

هذا الأمر هو ما جعل الثقافة العربية حاضرة في الوعي العربي بوصفها «تراثا»، وليست «إرثا» يوضح الجابري ذلك بقوله:

«باعتبار الإرث هو ما يرثه الابن عن أبيه بعد أن يموت هذا الأخير، فهو عنوان اختفاء الأب وحلول الابن محله،

أما التراث فهو ما يبقى حاضرا في الخلف من السلف، وبالتالي فهو عنوان على حضور السلف في الخلف... إن الثقافة القومية، العربية الإسلامية، التي طرحت نفسها اليوم أمس قريب كبديل للثقافة الاستعمارية، والتي تطرح نفسها اليوم كبديل، أو على الأقل كمنافس وشريك لثقافة العصر، ثقافة الغرب أساسا، ليس مجرد نقوش أو بقايا أطلال أو مجرد رموز وعادات ورقصات وأغان وأعراف، ليست بقايا ثقافة الماضي، بل هي «تمام» هذه الثقافة وكليتها: إنها العقيدة والشريعة واللغة والأدب والعقل والذهنية والحنين والتطلعات، وبعبارة أخرى، إنها في آن واحد: المعرفي والأيديولوجي وأساسهما العقلي وبطانتهما الوجدانية»[٢].

إذن حسب الجابري، فخصوصية إشكالية الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر كامنة في كون العرب يمتلكون تراثا ثقافيا حيّا في نفوسهم وعواطفهم، وعقولهم وآرائهم وذاكرتهم وتطلعاتهم، في صدورهم وكتبهم، تراثا هو من الحضور وثقل الحضور على الوعي واللاوعي بصورة قد لا نجد لها نظيرا في العالم المعاصر.

ويرى عابد الجابري أن هذا الحضور الأيديولوجي للتراث في الوعي العربي المعاصر، وبمعنى آخر استمرار الدعوة إلى الأخذ به كسلاح أيديولوجي ضد التهديد الخارجي ليس إلا وجها واحدا من العملة، أما الوجه الآخر، وهو الأكثر وقعا وثقلا على الوعي واللاوعي العربيين في العصر الحاضر، فهو ذلك الشعور الدرامي بعمق الهوة التي تفصل بين التراث ومضامينه المعرفية والأيديولوجية والمعيارية وبين الفكر العالمي المعاصر ومنجزاته العلمية والتقنية ومعاييره العقلية والأخلاقية.

يقول عابد الجابري: «من هنا نستطيع القول إن ثقل حضور التراث في الوعي العربي وشعور هذا الوعي بالهوة التي تفصل هذا التراث عن معطيات العصر الحاضر المادية والفكرية هو الذي يبرز ويفسر هذا القبول العام، بل هذا التجاوب الواسع الذي تحظى به على الساحة الفكرية العربية المعاصرة عبارة التراث وتحديات العصر»[٣].

بناء على ذلك يتساءل الجابري: لماذا كان الربط بين التراث وتحديات العصر ذا معنى، ومعنى درامي عميق، بالنسبة إلينا نحن العرب؟ ولماذا كان غير ذي معنى بالنسبة للأوروبيين؟ يرى الجابري أن الاختلاف بيننا وبينهم في هذا المسألة سيكون راجعا إما إلى «التراث» أو إلى «تحديات العصر» أو إليهما معا.

للتوضيح أكثر توقف عابد الجابري عند تاريخ الفكر الأوروبي، منطلقا من «بيكون» و«ديكارت»، يقول في ذلك: «فمنذ أن دعا بيكون إلى التحرر من جميع الأوهام - أوهام القبيلة، وأوهام الكهف، وأوهام السوق، وأوهام المسرح - واعتمد التجربة منطلقا ومعيارا، ومنذ أن تبنى ديكارت الشك منهجا وأنبأ عن ضرورة «مسح الطاولة» والتحرر من جميع السلطات المعرفية، والاعتماد على سلطة العقل وحدة، سلطة البداهة والوضوح، منذ بيكون وديكارت والفكر الأوروبي يعيد قراءة تاريخه على أساس من الانفصال والاتصال، من النظر وإعادة النظر، من النقد ونقد النقد. إن الانفصال عن التراث كان من أجل تجديد الاتصال به، والاتصال به كان من أجل تجديد الانفصال عنه»[٤].

هذا الأمر لا يعني القطيعة والانفصال التام عن التراث، بل هو جسر جديد من الاتصال بالتراث بقصد إعادة قراءته، ومن ثم البحث عن الجديد بين أحشائه والعمل على إعادة ترتيب العلاقة بينه وبين الحاضر وهمه؛ فالفكر الأوروبي حسب الجابري كان ولا يزال، يتجدد من داخل تراثه، وفي الوقت ذاته يعمل على تجديد هذا التراث، تجديده بإعادة بناء مواده القديمة وإغنائه بمواد جديدة.

إن الفكر الأوروبي لم يهمل التراث إطلاقا وإنما استغله عبر قراءته وفق ما يعرفه العصر. فحافظ بذلك الفكر الأوروبي على تراثه وثقافته، بل جعل من ثقافتها ثقافة عالمية من خلال ما يصطلح عليه بالغزو الثقافي؛ ما يعني جعل دول العالم الثالث تابعة للغرب، وهنا يرى الجابري أنه: «للتحرر من التبعية للآخر لا يمكن أن يتم إلا من خلال العمل من أجل التحرر التبعية للماضي، ماضينا نحن، وبعبارة أخرى، إن التحرر من الانبهار، بل الاستلاب لثقافة الغرب لا يمكن أن يتم إلا عبر - ومع - التحرر من التراث، والتحرر من التراث لا يعني الهروب منه ولا الإلقاء به في سلة المهملات»[٥].

إن التراث إذًا هو الهوية، فإهماله هو إهمال للهوية، لذلك لا بد - حسب الجابري - من إعادة كتابة تاريخنا الثقافي بصورة عقلانية وبروح نقدية؛ لأنه من خلال ممارسة العقلانية النقدية في تراثنا نكتسب عقلانية أصيلة وجديدة، ستكون هي التربة الصالحة، الغنية الخصبة التي تستطيع حمل مبادئ وأسس العلم المعاصر.

وأخيرا وليس آخرا، إن غنى تراثنا العربي وحضوره في وعينا بصفة عامة وفي وعي النخبة بصفة خاصة، غير كاف، إذا لم نقم بواجبنا نحو تراثنا؛ وذلك بإعادة قراءته قراءة عقلية نقدية، كي نجعل منه تراث البناء، تراث مسايرة الحصر، كي نظل بذلك دائما في اتصال معه بدل الانفصال.

الهوامش

١- المسألة الثقافية في الوطن العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، ص: ٨٧.

٢- ٣- ٤- المصدر السابق، ص: ٨٨-٩١.

٥- المصدر نفسه، ص:١٠١.



أحمد الشيخاوي
شاعر وكاتب مغربي

نيوكلاسيكية النص في منجز شاعر الرسول

في الحقيقة لقد سال الكثير من المداد حول هذا الاسم النموذجي، بيد أن ما حظي به شعره من مقاربات، حتى الآن، قسط لا يفيه الحق بالتمام، ومهما أضيف إلى الجهود التي ما فتئت تنبش في حياة الرجل وإبداعه، تمكث الإضافة أقل، والإشباع أضأل قياسا إلى قيمة شاعر إنسان من طراز حسان بن ثابت.

إذ المطلوب تعر تأويلي كامل إزاء النص «الحساني»، كضرب من مغالبة لقشيب المعالجات التي تدور في فلك الإسفاف السيري، مثلما تقبض على قشور منجز شاعر الرسول، من دون أن تسائل متونه العرفانية وتحفر في الظلال منقبة عن دوال الانتماء إلى الرسالة السماوية الخاتمة.

عند هذه الهامة العارفة، تكتسي القصيدة عنفوانين: مروءة الجاهلية ونعمة الإسلام، وهي ظاهرة يمكن معالجتها في الحدود المفاهيمية المنجذبة إلى عوالم تفجرها جدلية العمر والعمر المضاف، بحيث تخضرم حسان مشطور إلى تساو، كما هو معروف ومنقول عن غالبية الدارسين والمهتمين، نصف ممتد في الحقبة الجاهلية مسكوكة إبداعيا بصولات الانتساب إلى المناخ الغساني في المطلق، ذودا عن هذا النسل، إن مدحا أو هجاء، بينما الثاني متجل في مرحلة اعتناق الإسلام كرسالة عالمية، شذبت إلى حد كبير شعر حسان بن ثابت، ومنحته عفوية الانسيابية والسلاسة وعمق الرؤى وحضارية المفردة، عوضا عن توجهها القبلي المغرق في الأعرابية والتضخيم والصياغة القوية.

تحول على مستوى النفسية هو من هبات العمر المضاف، مجريا معه انتقالية جذرية في النص والقول الشعري، حاسمة الرسالة الإبداعية لمصلحة الدعوة المحمدية الشريفة، ومتسربلة بخطاب الحماسة وفروسية اللسان تحت راية نبي الله محمد ﷺ.

وثبة كلامية خولت للذات الإبداعية ارتقاء السلم البلاغي والاستعاري والجمالي المبطن بالحكم، فاتحة النص على

نيو كلاسيكية، آخذة بجوارح التلقي، إلى مسرح الملاحم المنتصرة بالله لرسوله ولأمة الدين هذا الجديد، مولدة في قلوب الكفار الرعب والهلع الهيستيري من كلمة الحق «مشعرنة» ومقولبة في لا وعي مبدع خبر بحبوحة ديوان العرب، فسافر في شتى اتجاهاتها، مغدقة عليه نعمة الإسلام، بميكانيزمات القول المؤيد بروح القدس.

مناهضة الرسائل السماوية جميعها، للأوثان، أولوية، كونها المغذي الرئيسي لزيغ الكائن البشري عن الفطرة السليمة، وتلقف سبل التيه ودجى الضلال، له، من ثم جاء تناول شاعر الرسول لها، استثنائيا، لنتأمل الأبيات المختارة التالية:

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الإسلام، فالله نحمد
وأنت إله الخلق ربي وخالقي
بذلك ما عمرت في الناس أشهد

انتقال روحي، وانشراح وتفتح ذهني عاشه شاعرنا فور دخوله الإسلام، ولم يكن ثمة بد من انعكاسه إيجابا على القصيدة، التي كفت بدورها عن شتى مناحي التطبيع مع العهد الجاهلي الضاغط بقسوته وغيه على إنسانية الخلق، والمحاصر للمنظومة القيمية المكللة بمعطى الحرية، الخانق له بطقوسيات وثنية تجعل من الذات وأمجادها قربانا للنهج الاسترزاقي، ووأد الملة والحنيفية والجبلة السليمة في حياة الترف والعربدة والمجون، ذلك هو العمر المنقوص الناهض على ميتافيزيقيا الانقراض والخراب الروحي لمصلحة شهوانيات الحياة الفانية وماديتها وحطامياتها.

وقد تمثلت شلة الغساسنة المحتكرة لمنجز أبي الوليد، الشعري، في شق المدح، وانكفأت على صنعة وتكلف ترجمته الجزالة وقوة الصياغة مع طغيان النعوت الحوشية على الشعرية، وكله تم إرضاء للأنا التكسبية.

هؤلاء النفر أبرزهم جبلة بن الأيهم وعمرو الرابع والنعمان.

فلنتأمل الاقتباسات أسفله:

يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول
عفت ذات الأصابع فالجواء
إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس
خلال مروجها نعم وشاء

....

إني حلفت يمينا غير كاذبة
لو كان للحارث الجفني أصحاب
من جذم غسان مسترخ حمائلهم
لا يغبقون من المغزى، إذا آبوا
ولا يذادون محمرا عيونهم
إذا تحضر عند الماجد الباب

....

وغبنا فلم تشهد ببطحاء مكة
رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم
بحق، وقتلى لم تجن ثيابها
فيا ليت شعري! هل تنالن نصرتي
سهيل بن عمرو، وخزها وعقابها

....

تطاول بالجمان ليلى فلم تكن
تهم هوادي نجمه أن تصوبا
أبيت أراعيها كأني موكل
بها لا أريد النوم حتى تغيبا
إذا غار منها كوكب بعد كوكب
تراقب عيني آخر الليل كوكبا
غوائر تترى من نجوم تخالها
مع الصبح تتلوها زاحف لغبا
أخاف مفاجأة الفراق ببغتة
وصرف النوى من أن تشت وتشعبا
وأيقنت لما قوض الحي خيمهم
بروعات بين تترك الرأس أشيبا

مدح هنا، مقابل هجاء هناك، يلون سماء الأوس بأحرف من نار، تتشكل كرات جحيمة ملتهمة للكبرياء والسمعة والأعراض، بحكم تشبعها وتشربها للمعتقد القبلي ونعرة المنبت والأصل وحس جذور الولادة، وجملة القوانين الوضعية التي تهيمن بشكل شبه مطلق على توجه الفعل الإبداعي، وتغدو بمنزلة روح القصيدة التي لا غنى عنها في كل المناسبات، والسلاح الأشد مضاضة على الأعادي والأبلغ فتكا بنفسياتهم عبر بث بوادر الانهزامية والانهيار

في سراديبها، قبل نشوب الوغى وحمي الوطيس وسقي السيوف دما قد تجني عليه في الغالب سلطة أو فلسفة الثأر وقهريته.

لكنه تحول نوراني ذاك الذي تشرف به حسان بن ثابت من خلال ما أصر على نعته بالعمر المضاف، والذي قلب سيرة هذا الفطحل المخضرم رأسا على عقب نحو المثالية وأضرب الكمال بالطبع حياة وشعرا، وجبّ ماضوية مترهلة بالأخطاء، كاشفا عن توبة حقيقية وعود إلى الرشد حميد، ترنم به على أغصان القصيدة الملتزمة بتيماتها القدحية الموجهة صوب آل الكفر والشرك والنفاق والردة، ومنغرسة في غطرسة صدورهم المتعامية عن الحق ونور الرسالة المحمدية الشريفة، والمتوغلة في عنادهم وإصرارهم على اعتكاف محراب تقليد وثنية الأجداد والأولين في التلطخ بمستنقعات العار والغي والضلال.

محمد المبعوث للناس رحمة
يشيد ما أوهى الضلال ويصلح
لئن سبحت صم الجبال مجيبة
لداوود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصم لانت بكفه
وإن الحصى في كفه ليسبح

....

ما نقمتم من ثياب خلفة
وعبيد، وإماء، وذهب
قلتم بدل، فقد بدلكم
سنة حرى وحربا كاللهب
إن تمس دار بن أروى منه خالية
باب صرع وباب مخرق، خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته
فيها ويأوي إليها الذكر والحسب
يا أيها الناس أبدوا ذات أنفسكم
لا يستوي الصدق عند الله والكذب

....

صلى الإله على الذين تتابعوا
يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس الكتيبة مرثد وأميرهم
ابن البكير أمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة فيهم
وافاه ثم حمامه المكتوب
عرفت ديار زينب بالكثيب
كخط الوحي في الرق القشيب
تعاورها الرياح وكل جون
من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست
يبابا بعد ساكنها الحبيب
هل رسم دارسة المقام، يباب
متكلم لمسائل بجواب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم
بيض الوجوه ثواقب الأحساب
فدع الديار وذكر كل خريدة
بيضاء، آنسة الحديث، كعاب
واشك الهموم إلى الإله وما ترى
من معشر متآلبين غضاب
أموا بغزوهم الرسول وألبوا
أهل القرى، وبوادي الأعراب

عن عائشة، رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى».

وإذن، لترفل قصيدة شاعر الرسول في نورانية قالبة للمعادلات القبلية وللمنظومة المفاهيمية التي تربى عليه شعراء الجاهلية، لم يكن ثمة بد من غسل دماغي ووجداني فاصل بين عمرين، عمر أول على حقيقته، وامتداد له، هذا المضاف الرمزي الذي تعلمت منه الذات كما القصيدة، أبجديات التجربة المغايرة الجديدة المنكبة على محاولات منح النص كريستاليته ونيو كلاسيكيته، وطاعنة بلذة معان زئبقية غير مسبوقة، ومقترحة في غلاف عذريتها، فقط وحده الدين الجديد، جاد بها، على سبيل المثال لا الحصر، مفردة الشهادة في حقولها الدلالية الغضة النضرة والمتضوعة أريجا فردوسيا باعثا على غيبوبة مثملة للروح، منصفة للجسد، بعيد أشواط من انكسار تلك الذات وانحسارها وخندقتها في حيز القمع ومضايق الجلد.

عوض الفوضى السارية قرونا والمفتية بشهوة الفتك والبطش وعبثية القتل وفوبيا الثأر لأتفه الأسباب، ولنا في حرب البسوس، أمر مثال.



مياسة النخلاني
قاصة يمنية

هدية غير متوقعة

كعادته زار أمه حاملا معه هدية جديدة، وكعادتها لم تعر هديته أي اهتمام؛ نظرت إلى ما أحضره بطرف عينها، هزت رأسها، تنهدت بحسرة قبل أن تعود إلى غرفتها.

«احترت بشأنك يا أماه».. قالها وهو يتبعها، وأعقب «ملأت البيت أجهزة حديثة، غيرت أثاثه بالكامل من أحدث الطرز، حتى حديقة البيت زرعتها بيدي.. ورغم هذا لم أسمع منك كلمة طيبة، أمي هل تكرهينني لهذا الحد؟!».

رمقته بنظرة يفهمها جيدا قبل أن تغلق باب الغرفة، ظل يحدق بالباب المغلق لحظات، أخيرا استسلم وذهب ليركب لها التلفاز الجديد، ثم غادر بعد أن ودعها من خلال الباب المغلق.

بعد أن توفي والده، أصبح البيت فارغا تماما على والدته، عبثا حاول حثها على القدوم للعيش معه وأولاده، لكن طلبه دوما يقابل بالرفض «أصبحت روحي ملتصقة بجدران هذا البيت ولو غادرته سأموت». أمام ردها هذا لا يملك سوى أن يسحب طلبه، ولتعويضها عن الوحدة التي تعيشها حاول أن يملأ البيت بكل ما يستطيع، لكن كلما اشترى لها شيئا لا تكلف نفسها حتى عناء النظر إليه مما يزيده إحباطا وحيرة.

في زيارته التالية، كانت على غير عادتها، رغم أنها لم تلتفت إلى ما أحضره معه، لكنها سحبته من يده وأجلسته بجانبها، بدأت الحديث معه، لمح بريقا في عينيها لم يألفه منذ زمن طويل، فألهاه عما كانت تقوله:

– هل أتحدث لنفسي الآن؟ (قالت معاتبة).

أعادته كلماتها إلى الواقع، فتلعثم وهو يسألها أن تعيد ما قالته.

– لا حاجة إلى ذلك.. قالت وهي تترك مكانها وتعود إلى غرفتها.

لحق بها متوسلا أن تعيد طلبها، وبالكاد أعادته عليه، مع فارق بسيط وهو اختفاء بريق عينيها الذي تمنى أن يراه مجددا!

– «إنترنت؟!» (سأل مستغربا).

– نعم، أريد إنترنت، أم أنه غال علي؟!

– حاشا لله يا أمي... لكن ما حاجتك إليه؟!

– أريده فقط، إن لم تحضره لي فلا تأت إلى زيارتي مجددا، فلست بحاجة إلى «الكراكيب» التي تحضرها معك دائما.

– «كراكيب!».. أماه هذه «الكراكيب» التي تتحدثين عنها تكلفني نصف راتبي.

– إنه هكذا.. أحضر لي الإنترنت فقط ولا أريد شيئا آخر.

– ولكن كيف أحضره معي، هل أضعه في كيس مثلا؟!

– هل تسخر مني لأني عجوز لا تفهم؟!

– أمي!.. حسنا سأحضره لك، لكن أخبريني لماذا تحتاجين إليه؟

– أخبرتني ابنة أختي، أنني لو أملك «إنترنت» في البيت سيكون وكأنكم كلكم هنا، ولن أشعر بالوحدة أبدا.

– حسنا! سأحضره لك بالزيارة القادمة، طلباتك كلها أوامر.

صفقت بيديها، وبدت له طفلة صغيرة ستحصل على لعبة طالما تمنتها.

خلال الأيام القادمة، وعلى غير عادتها، كانت تتصل عليه كل صباح تذكره بزيارته القادمة، وألا ينسى أن يحضر ما طلبته منه، وكم شعر بإحباطها يتسرب عبر الهاتف حين أخبرها أنه سيؤجل زيارتها بسبب انشغاله ببعض الأعمال..

بعد أسبوعين دخل البيت، كانت تجلس أمام التلفاز، ومع أنه حضّر نفسه جيدا لسماع توبيخها، لكن النظرة التي رمقته بها كانت كفيلة بأن يبلع المازحة التي أوشك أن يقولها.

– ألن تسأليني عن الإنترنت؟ سأل بحذر.

– أعلم أنك لا تريد أن تحضره لي، فلماذا أسأل؟!

– لماذا سوء الظن يا أمي، إن خرجت للسيارة وتفحصتها الآن فستجدينه هناك.

– حقا؟!

– نعم.

– ولماذا لم تحضره معك، هل هو ثقيل لهذه الدرجة؟!

– ربما.

– لا أريده.

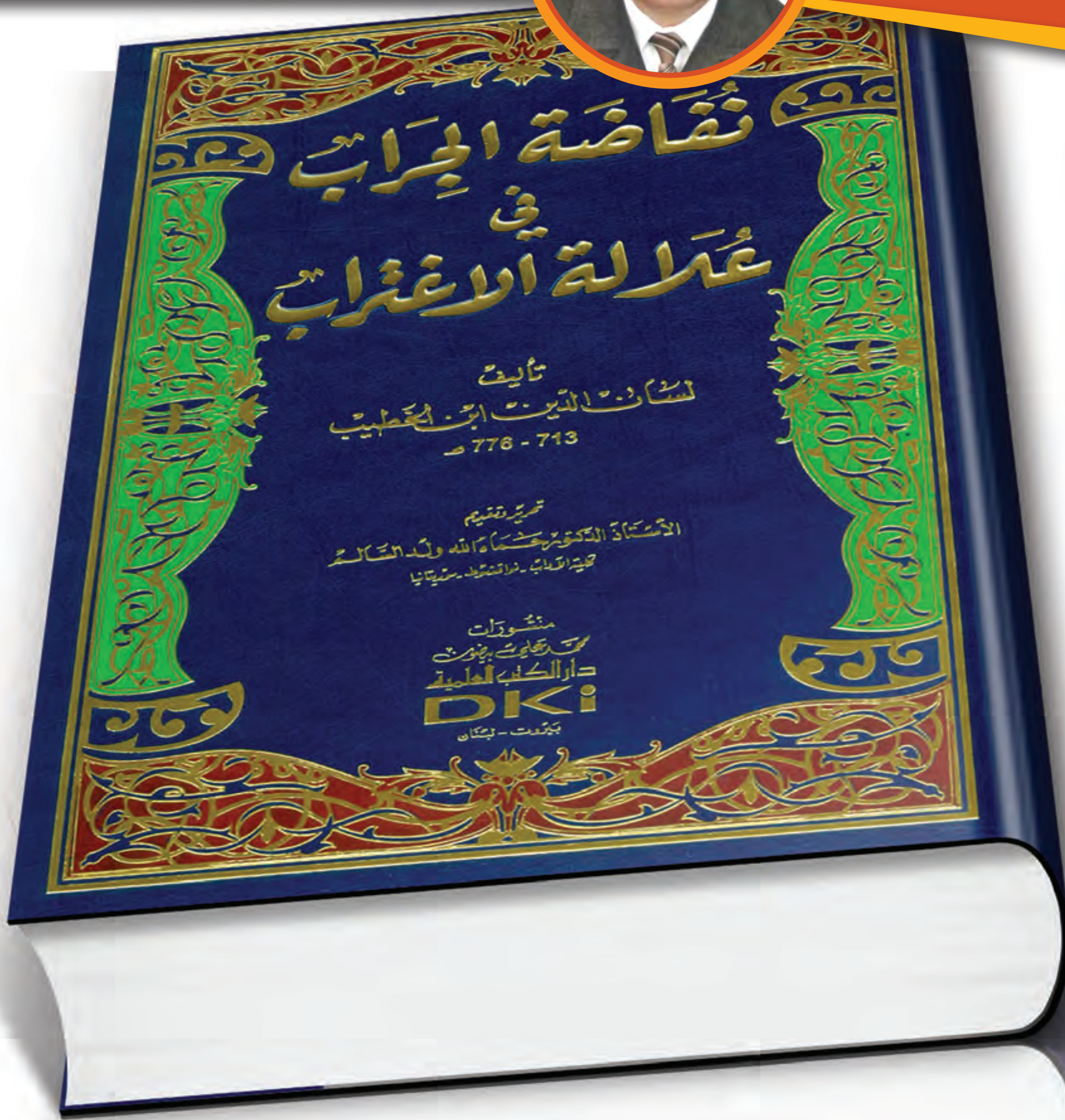
عادت لمتابعة التلفاز، لكن لم تمر ثوان حتى وقفت فجأة وغادرت للخارج. فتحت باب البيت لتجد أحفادها بجانبهم أمهم يقفون بجانب السيارة، في حين امتلأت السيارة بالحقائب والأمتعة.

ابتسم لها وقال: «قررت أن آتي بعائلتي للعيش معك، وبدلا من أن يجعلنا الإنترنت وكأننا هنا سنكون هنا بالفعل».

لم تدر بم تجيب، فلأول مرة تشعر أنه أحضر لها هدية حقيقية، أخذت أحفادها ووالدتهم وعادت للداخل، بينما انشغل هو بإدخال الحقائب إلى البيت.

عبداللطيف خروبة
أستاذ اللغة العربية
المغرب





من موضوعات الشعر في كتاب «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»[1]

«نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» كتاب ألفه لسان الدين ابن الخطيب[2] حين كان لاجئا سياسيا في بلاد المغرب الأقصى على عهد السلطان أبي سالم المريني، وهو عبارة عن مذكرات شخصية له عن المدة التي قضاها هناك. وقد ضمنه العديد من الأشعار التي قيلت في مناسبات مختلفة، وتناولت موضوعات متعددة، ومن هذه الموضوعات المدح، وعلى رأس الممدوحين السلطان أبو سالم المريني، يقول معددا خصاله الحميدة ودفاعه عن الدين، وانتصاره على الأعداء، وفضله على المغتربين في مملكته:

أبا سالم دين الإله بك اعتلى
وأيد ركن منه واعتز جانبه
أجرت وآويت الغريب وإنها
سجية من عزت وطابت مناسبه
أيغلب من عاداك والله غالبه
ويفلت من ناواك والسيف طالبه[٣]

ويشيد بوقاره وجميل صفاته التي قلما توجد في غيره، وأنه شاكر لأنعم الله ولذلك يجزل الله له العطاء:

واشكر صنيع الله فيك فإنه
ينمي ثواب الشاكرين ويجزل
ولك السجايا الغر والشيم التي
بغريبها يتمثل المتمثل[٤]

وبعد أن مدح صاحبه بالصفات الخَلقية والخُلقية يقدم له النصح والتوجيه إلى التقوى والاستمرار على تلك السجايا الحميدة، وإشغال النفس بالأمور العظيمة وإبعادها عن سفاسف الأمور.

وعليك بالتقوى وبالخلق الذي
ينهى النفوس عن القبيح ويعذل[٥]

ضمان العيش

ولا ينسى الشاعر أن يتوسل إلى ممدوحه، ليكرمه ويغدق عليه من نعيمه، ويعطف عليه وهو الغريب الذي طرد من وطنه، وسلب منه ماله، فغلبه الزمان، ونالت منه الأيام، ويشكو إليه انعدام المال والزاد، وهو الذي يعول عليه في ضمان عيش أولاده، ولا يوجد من ينظر إلى حاله وحالهم غيره بعد الله تعالى:

مولاي هاضني الزمان وسامني
جورا وأنت هو الإمام الأعدل
أصبحت في زغب كأفراخ القطا
والماء شرط حياتهم والسنبل
فإذا سموت لقصدهم لم أستطع
وإذا اعتذرت إليهم لم يقبلوا
وأنا الذي مالي إليك وسيلة
أدلي بها لعلاك أو أتوسل
أنت الوسيلة لي إليك فلا تضع
قصدي فمثلك من يقول ويفعل[٦]

شخصيات مغربية

ولم يقتصر في مدحه للسلطان وحده وإنما مدح شخصيات مغربية كثيرة كانت تربطه بها علاقات الصداقة، ومنها الفقيه أبو عبدالله بن حسون بن أبي العلا وهو من كبار الشخصيات المغربية، يمدحه بالجود والكرم والعلم والحلم والمعاملة الطيبة التي قابل بها الشاعر حين زاره في بيته، وأن زيارته لهذا العالم بعثت في نفسه الطمأنينة والأنس والأمان، وجبرت نفسه المنكسرة:

من زار ربعك لم تبرح جوارحه
تروي أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة
والقلب عن جابر والأذن عن حسن [٧]

ولم ينشغل الشاعر بمدح شخصيات عصره وحسب، بل له مدائح عديدة للرسول ﷺ يذكر صفاته العظيمة، وفضله على البشرية والكون بكامله يقول:

معاهد شرفت بالمصطفى فلها
من فضله شرف تعلو مراتبه
فأشرقت بسناه الأرض واتبعت
سبل النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتاحت زواهره
وأدبر الغي فانجابت غياهبه[٨]

إن محامد النبي محمد ﷺ لا تنتهي أبدا، وفضله على الأمة الإسلامية وعلى جميع البشر لا ينضب، ويصعب على الإنسان أن يعددها:

محامد المصطفى لا تنتهي أبدا
تعدادها، هل يعد القطر حاسبه[٩]

القاضي عياض

وممن حظي بتنويهه وتقريظه كتاب الشفا للقاضي عياض:

شفاء عياض للقلوب شفاء
فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية بر لم يكن لجزيلها
سوى الأجر والذكر الجميل كفاء
وفا لنبي الله حق وفائه
وأكرم أوصاف الكرام وفاء[١٠]

وطبيعي أن يشتاق ابن الخطيب إلى الأندلس، موطنه الذي نشأ فيه وترعرع، وتركها مكرها، فقد خرج منها مطرودا وليس للسياحة ولا للسفارة أو العمل، فلو كان الأمر كذلك لكان الأمل في العودة إليها ممكنا ويسيرا، ولكنه خرج لاجئا ولا أمل له في العودة، وتنسم نسيمه، وهو يحط الرحال في بلد لا أهل له فيه ولا زاد:

أيـــام قـربـك عـنـدي مـا لـهـا ثـمـن

لـكـنـنـي صـدنـي عـن قـربـك الـزمـن

حـطـطـت بـعـدك يـا أهـلـي ويـا وطـنـي

رحـل الـغـريـب فـلا أهـل ولا وطـن[١١]

فالألم يعتصر فؤاده وهو يغادر بلده الذي قضى فيه أزهى عمره وأبهى أيامه:

لـمـا تـحـامـل عـنـك الـركـب مـرتـحـلا

والـقـلـب فـيـك غـداة الـبـين مـرتـهـن

كـم لـي بـربـعـك مـن أنـس ومـن طـرب

كـأنـمـا كـان حـلـمـا جـره الـوسـن[١٢]

وقد تأكد للشاعر مع مضي الزمن أن لقاءه بوطنه وأهله من جديد لا أمل فيه، وأنه قد قدر له أن يبقى في ديار الغربة، فيكتفي بسؤال نسائم الريح عن أحواله:

يا نسمة الريح كيف الدار هل غمرت

بحلاه وهل أخصبت من بعدها الدمن

إذا مـا فـاتـنـي ظـل الحـمـى ونعيمه

كفاني وحسبي أن تهب نسيمـــه[١٣]

وكان رحيل ولده إلى فاس من أجل مهمة قد أجج لديه هذا الشوق وهذا الحنين، وزاد همه وغمه، وطال ليله وسهاده، فلم يطق بعد فلذة كبده عنه وفراقه:

إن يـــوم الـخـمـيـس قـــرة عـيـنـي

حـسـبـي الله أي مـوقـف بـــين[١٤]

فالعيش يصير صعبا على الشاعر بعد فراق الوطن والولد معا.

وطـــن نـــازح وشـمـل شـتـيـــت

كـيـف يـبـقـى مـعـذب بـين ذيــن[١٥]

ولا يملك في تفريج كربته وتخفيف معاناته إلا التوجه إلى الله بالتوسل والدعاء:

يـا إلـهـي أدرك بـلـطـفـك ضـعـفـي

إن مـــا أشـتـكـيـه لـيـس بـهـين[١٦]

فراق الزوجة

وقد ابتلي ابن الخطيب في فراق زوجته، فموتها خلف لديه فراغا كبيرا، نغص عليه عيشه، وكدر شربه، فاشتد حزنه على فراقها، خاصة وأنها كانت ذخيرته وعدته حين دارت به الدوائر، واشتدت به المصائب والأهوال، وبرحيلها افتقد الأنس والطمأنينة والأمان، فبعدها لا يجد من يخفف عنه ألم الوحدة والغربة، ولا من يتقاسم معه المتاعب وهموم الحياة، فوجودها إلى جانبه كان يوفر له الاستقرار، ولذلك فقدانها صير حياته إلى قلق وزلزال واضطراب ومما قال في رثائها:

ذخـيـرتـي حـين خـانـنـي زمـنـي

وعـدتـي فـي اشـتـداد أهـــوال

وعدم القدرة على فراقها جعله يبقيها قريبة منه، لكي يخفف عنه من هول الخطب الذي حل به، فقام بدفنها بفناء بيته:

حـفـرت فـي داري الـضـريـح لـهـا

تـعـلـلا بـالمـحـال فـي الحـــال[١٧]

وبعد ما عدد أخلاقها الكريمة وكفاحها وصبرها إلى جانبه وتضحياتها معه، يدعو لها بالرحمة والمغفرة، ويعبر عن الحزن الشديد الذي يعانيه بفقدها:

سـقـى الحـيـا قـبـرك الـغـريـب ولا

زال مـنـاخـا لـكـل هـطـال

وقـد كـنـت مـالـي لما اقـتـضـى زمـنـي

ذهـــاب مـالـي وكـنـت آمـــالـي

أمـا وقـد غـاب فـي تـراب ســلا

وجـهـك عـنـي ولـسـت بـالـسـالـي[١٨]

وممن رثاهم الشاعر صديقه المعتمد بن عباد، وذلك حين زار قبره في أغمات[١٩]، فوجده خاليا موحشا، نبتت فوقه الأعشاب، وأخفت معالمه عوامل التعرية، ويقارن بين غربته وغربة ابن عباد، فيرى أنهما متشابهين، وكأن ابن الخطيب يتوقع نفس مصير صاحبه، وهو الموت في الغربة فقال متفجعا عليه وعلى ملكه الضائع وشيمه الكريمة:

قـد زرت قـبـرك عـن طـوع بـأغـمـات

رأيـــت ذلـك مـن أولـى المـهـمـات

لـم لا أزورك يـا أنـدى المـلـوك يـدا

ويـا سـراج الـلـيـالـي المـدلـهـمـات[٢٠]

ولعله في رثاء المعتمد بن عباد يرثي نفسه التي ستجد نفس المصير، ويأخذ منه عبرا ودروسا:

وأنت مولى تخطى الدهر مصرعه

إلى حياتي أجادت فيه أبياتي(٢١)

الأحداث الجسيمة

ولقد كان للأحداث الجسيمة التي عاشها الشاعر أثر عميق في نفسه، وطبعها بطابع خاص، جعلته يأخذ الحذر من كل شيء، وخاصة تقلب الأحوال، وتبدل الزمن، وتوالي النكبات، ولذلك فهو لا يأمن الدهر ولا يستكين إلى الدعة:

كن من صروف الردى على حذر

لا يقبل الدهر عذر معتذر

ولا تعول فيه على دعة

فأنت في قلعة وفي سفر

فكل ري يفضي إلى ظمأ

وكل أمر يدعو إلى غرر (٢٢)

ولم يفلت أعداؤه وحساده من لسانه اللاذع، فقد هاجمهم بلا رفق ولا هوادة، وممن كان هدفا لأسهم لسانه الوزير أبوالفتح إسماعيل بن الحجاج الذي خلف ابن الخطيب بعد طرده من الوزارة، فقد تصيد أخطاءه، وتعرض لسوء تصرفاته مع الرعية، من فرط جهله بالسياسة، وبإدارة شؤون البلاد، كما لمزه بالبلادة، ووصفه بصفات بذيئة لا تليق إلا بالعبيد والأحباش:

يا ابن أبي الفتح نسبة عكست

فلا بفتح أتت ولا ظفر(٢٣)

كانوا نبيطا في الأصل أو حبشا

ما عنده عبرة بمعتبر (٢٤)

وقد كان المصير الذي لقيه هذا الوزير حين أغرق في البحر مجالا لتشفي الشاعر، ويعتبره الجزاء المناسب لأمثاله، وأن هذا الحدث يشكل عقدة نفسية لأولاده أثناء الكبر، ومعرفتهم أن والدهم قتل في البحر، فلم يحتملوا أن يسمعوا أن أباهم كان طعما للأسماك:

أهدتك للبحر كف منتقم

وألقتك للحوت كف مقتدر

يا يتم أولادك الصغار ويا

غيرتهم بعد ذاك في الكبر(٢٥)

ومن الموضوعات التي يصادفها متصفح الكتاب الوصف، فها هو يصف مدينة مكناسة الزيتون المغربية بطيب الهواء وكثرة الأشجار والخيرات، وغزارة المياه وعذوبتها، وهي أمور تفتن الناظر وتشده إليها:

بالحسن من مكناسة الزيتون

قد صح عذر الناظر المفتون

فضل الهواء وصحة الماء الذي

يجري بها وسلامة المخزون(٢٦)

وختاما إن موضوعات الشعر في كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب للشاعر لسان الدين ابن الخطيب أكثر مما ذكر في هذا المقال بكثير، وقد تناول أغراضا أخرى والمقام لا يتسع للحديث عنها كاملة.

الهوامش

١- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تحقيق د. أحمد مختار العبادي. دار النشر المغربية البيضاء.

٢- لسان الدين ابن الخطيب السلماني أديب ومؤرخ أندلسي، (٧١٣-٧٧٦هـ).

٣- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (ص:٢٦٠).

٤- المصدر نفسه (ص:٢٨٨).

٥- المصدر نفسه (ص:٢٩٦).

٦- المصدر نفسه (ص:٢٩٧).

٧- المصدر نفسه (ص:٦٠-٦١).

٨- ٩- المصدر نفسه (ص:٣٨٥-٣٨٦).

١٠- المصدر نفسه (ص:١٢٩).

١١- ١٢- المصدر نفسه (ص:١٨٩).

١٣- المصدر نفسه (ص:١٨٧).

١٤-١٥- المصدر نفسه (ص:١٦٥).

١٦- نفسه (ص:١٦٦).

١٧-١٨- المصدر نفسه (ص:٢٠٥).

١٩- منطقة جنوب مدينة مراكش المغربية.

٢٠-٢١- نفاضة الجراب (ص:٥٧).

٢ ٢-٢٣-٢٤- المصدر نفسه (ص:١١٠).

٢٥- المصدر نفسه (ص:١١٢).

٢٦- المصدر نفسه (ص:٣٧٣).



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٧)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «السويدي»

١- عز الدين بن السويدي (ت:٦٩٠هـ)

هو عز الدين أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن علي بن طرخان الأوسي الأنصاري الدمشقي الشافعي، من ولد سعد بن معاذ، ونسبته إلى السويداء (في حوران)، طبيب دمشقي.

ولد سنة: (٦٠٠هـ)، نصب طبيبا في البيمارستان النوري، وبيمارستان باب البريد، وكلاهما في دمشق، وكان أبوه من تجارها.

من مصنفاته: «التذكرة الهادية»، و«قلائد المرجان في طب الأبدان»، و«الباهر في خواص الجواهر».. وغيرها من المصنفات الطبية.

توفي في شهر شعبان بدمشق[1].

٢- أبو البركات السويدي (ت:١١٧٤هـ)

هو أبو البركات جمال الدين عبدالله بن حسين بن مرعي البغدادي، السويدي، فقيه، متأدب، من أعيان العراق.

ولد في كرخ بغداد سنة: (١١٠٤هـ)،





وتوفي والده وهو طفل، فكفله عمه لأمه[٢] الشيخ أحمد سويد، وتعلم واشتهر، ورحل إلى بلاد الشام والحجاز، وعاد إلى بغداد.

من مصنفاته: «الجمانة في الاستعارات»، و«إتحاف الحبيب حاشية على مغني اللبيب»، و«أنفع الوسائل في شرح دلائل الخيرات»، و«شرح صحيح البخاري»، و«الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية»، و«النفحة المسكية في الرحلة المكية».. وغير ذلك.

توفي ببغداد، ودفن بمقبرة الكرخي[٣].

٣- زين الدين السويدي (ت:١٢٠٠هـ)

هو زين الدين، أبو الخير عبدالرحمن ابن عبدالله بن الحسين السويدي العباسي البغدادي، مؤرخ، من بيت قديم في العراق.

ولد في بغداد سنة: (١١٣٤هـ).

من مصنفاته: «حديقة الزوراء» في تاريخ بغداد، و«الدرة السنية على شرح الحضرمية» في فروع الشافعية، و«حاشية على شرح القطر للعصامي» (نحو)، و«شرح الشيبانية» (في العقائد)، و«حاشية على تحفة ابن حجر».

توفي في بغداد[٤].

٤- أبو المحامد السويدي (ت:١٢١٠هـ)

هو أبو المحامد أحمد بن عبدالله بن حسين بن مرعي السويدي العباسي البغدادي، من فضلاء السويديين.

ولد ببغداد سنة: (١١٥٣هـ).

من مصنفاته: «الصاعقة المحرقة في الرد على أهل الزندقة»، و«نزهة الأدباء»، و«حاشية على الأزهرية في علم العربية»، و«شرح بانت سعاد».. وغير ذلك[٥].

٥- عبدالرحيم بن محمد السويدي (ت:١٢٣٧هـ)

هو عبدالرحيم بن محمد سعيد ابن عبدالرحمن السويدي العباسي الشافعي، فقيه، أصولي، متكلم، أديب.

ولد ببغداد سنة: (١١٧٥هـ).

من مصنفاته: «حاشية على شرح القطر» (في النحو)، و«حاشية على العمدة» (في فقه الشافعية)، و«رسالة في علم الكلام».

توفي ببغداد[٦].

٦- أبو المعالي السويدي (ت:١٢٣٧هـ)

هو أبو المعالي علي بن محمد سعيد بن عبدالله السويدي البغدادي العباسي، مؤرخ، متكلم، من علماء الحديث في العراق.

ولد ببغداد.

من مصنفاته: «العقد الثمين في بيان مسائل الدين» (عقائد)، و«تاريخ بغداد»، و«شرح التعرف في الأصلين والتصوف»، و«الكوكب المنير في شرح المناوي الصغير»، و«رسالة في الخضاب».

توفي في دمشق[٧].

٧- أبو الفوز السويدي (ت:١٢٤٦هـ)

هو أبو الفوز محمد أمين بن علي ابن محمد سعيد السويدي العباسي البغدادي، باحث، من علماء العراق.

ولد ببغداد سنة: (١٢٠٠هـ).

من مصنفاته: «سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب»، و«قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر» (في فقه الشافعية)، و«الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت»، و«قلائد الفرائد في شرح المقاصد للنووي» (فقه)، و«الصارم الحديد في الرد على كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد» ليوسف ابن أحمد البحراني.

توفي في بريدة (بنجد) وهو عائد من الحج[٨].

٨ - محمد سعيد السويدي (ت:١٢٤٦هـ)

هو محمد سعيد بن أحمد بن عبدالله السويدي العباسي البغدادي، متصوف، من النقشبندية في بغداد.

ولد ببغداد سنة: (١١٨٠هـ).

من مصنفاته: «إيصال الطالب للمطلوب» (في التصوف)، وكتاب في «الحديث».

توفي ببغداد[٩].

الهوامش

١ - ينظر: عيون الإنباء، (٢/٢٦٦)؛ والأعلام للزركلي، (١/٦٣)؛ وهدية العارفين، (١/١٢)؛ ومعجم المؤلفين، (١/٩٧).

٢- أخ لأبيه من ناحية الأم

٣ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٦٠؛ والأعلام للزركلي، (٤/٨٠)؛ ومعجم المؤلفين، (٦/٤٨).

٤ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٦٥؛ والأعلام للزركلي، (٣/٣١٤)؛ ومعجم المؤلفين، (٥/١٤٩).

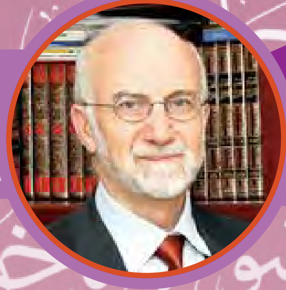
٥ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٦٨؛ والأعلام للزركلي، (١/١٦٢)؛ معجم المؤلفين، (١/٢٨٨).

٦ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٨١؛ والأعلام للزركلي، (٣/٣٤٨)؛ ومعجم المؤلفين، (٥/٢١٢).

٧ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٧٣؛ والأعلام للزركلي، (٥/١٧)؛ ومعجم المؤلفين، (٧/٢٠٠).

٨ - ينظر: المسك الأذفر، ص:٨٢؛ والأعلام للزركلي، (٦/٤٢)؛ ومعجم المؤلفين، (٩/٧٦).

٩- ينظر: المسك الأذفر، ص:٨٠؛ والأعلام للزركلي، (٦/١٤٠)، ومعجم المؤلفين (١٠/٢٦).



د. محمد رشيد العويد
خبير تربوي
سورية

أعظم آية

الفتى: هل صحيح يا أبي أن أعظم آية في القرآن الكريم هي آية الكرسي؟

الأب: أجل يا بني، ذكر ذلك النبي ﷺ حين خاطب الصحابي أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: «يا أبا المنذر! أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، فقال: الله ورسوله أعلم، فأعاد النبي ﷺ السؤال عليه: «يا أبا المنذر! أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، فقال عندها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر» (رواه مسلم).

الفتى: لماذا قال النبي ﷺ للصحابي أبي بن كعب: «أي آية من كتاب الله معك أعظم»، فقال «معك» أليس القرآن مع الصحابة جميعا؟

الأب: بلى يا بني، وقصد النبي ﷺ بقوله «معك» أي حال كونه مصاحبا لك؛ لما كان يحفظه من كتاب الله، فقد حفظه كله رضي الله عنه دون كثير من الصحابة في زمن النبي ﷺ.

الفتى: وما سبب تعظيم النبي ﷺ لآية الكرسي؟

الأب: لعظم ثوابها وأجرها وأثرها ونفعها.. وقيل: لاحتوائها واشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

الفتى: ألا يمكن يا أبي أن نجمع بين هذا وذاك فنقول: آية الكرسي أعظم آية في القرآن لاشتمالها على توحيد الله وتمجيده وتعظيمه، ولعظم أثرها وثوابها ونفعها وأجرها؟

الأب: بلى يا بني، ولقد أحسنت بجمعك لهما.

الفتى: في خاطري سؤال آخر يا أبي.

الأب: قل يا بني وسل ما شئت.

الفتى: لماذا أجاب الصحابي النبي ﷺ بـ«الله ورسوله أعلم» في المرة الأولى، ثم ذكر الجواب الصحيح لما سأله ﷺ مرة ثانية؟!

الأب: قال العلماء: فوض الجواب أولا وأجاب ثانيا؛ لأنه جوز أن يكون حدث أفضلية شيء من الآيات غير التي كان يعلمها، فلما كرر النبي ﷺ عليه السؤال علم أن مراده ﷺ طلب الإخبار عما عنده، فأخبره. واختصر بعضهم بعبارة موجزة جميلة، فقال: فوض أولا أدبا وأجاب ثانيا طلبا، فجمع بين الأدب والامتثال، كما هو دأب أرباب الكمال.

الفتى: جزاك الله خيرا يا أبي. هل تتفضل بإخباري عن بعض أثرها وثوابها؟

الأب: من أعظم ثوابها وأجرها أن من يحافظ على قراءتها بعد كل صلاة مكتوبة دخل الجنة، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة؛ لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» (صحيح الجامع).

الفتى: ما معنى «لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت؟».

الأب: أي أنه لم يبق من شرائط دخوله الجنة إلا الموت، وكأن الموت يمنعه

قائلا: لابد من حضوري أولا لتدخل الجنة.
الفتى: كيف يا أبي يدخل الجنة وهو في قبره؟
الأب: قال الصنعاني: معناه أن روحه تستقر فيها، أو المراد بالدخول: التنعم، يعني أنه بمجرد موته يصل إلى تنعمه بنعيم الجنة؛ فإن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار.
الفتى: لن أدع قراءتها بعد كل صلاة من الصلوات بعد ما سمعته منك يا أبي.
الأب: قل إن شاء الله.
الفتى: إن شاء الله.
الأب: ومن فضل آية الكرسي أيضا أن الله سبحانه يحفظ بها قارئها فلا يقربه شيطان، فعن أبي هريرة ﵁ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود. فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟». قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه كذبك وسيعود». فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ...﴾ (البقرة:٢٥٥) حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح؛ فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟»، قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ...﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير-، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟». قال: لا، قال: «ذاك شيطان». (رواه البخاري).
الفتى: فهمت يا أبي من هذا الحديث الشريف أن النبي ﷺ كلف أبا هريرة ﵁ بحفظ طعام زكاة الفطر في آخر أيام رمضان، وأن الشيطان كان يأتي في صورة رجل.
الأب: أحسنت يا بني.
الفتى: لكني لم أعرف معنى «يحثو الطعام».
الأب: معناها أنه كان يجمع الطعام بكفيه ليأخذه لنفسه.
الفتى: ومعنى قول أبي هريرة «فرصدته»؟
الأب: أي إنه كان يراقب الرجل – الذي هو الشيطان – بعد أن أخبره النبي ﷺ بأنه سيعود.
الفتى: شكرا يا أبي وجزاك الله خيرا.
الأب: لعلك لاحظت يا بني أنني أردت بسرد هذا الحديث ما قاله الشيطان عن آية الكرسي لأبي هريرة ﵁: «دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ...﴾ حتى تختم الآية، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح».
الفتى: هل يجوز يا أبي أن نأخذ نصيحة من شيطان؟ ألا يأمر الشيطان بالمعصية والمنكر حتى إن الله تعالى نهانا عن اتباع خطواته فقال عزوجل: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ (البقرة: ١٦٨-١٦٩).
الأب: قول النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب» يؤكد صحة عبارة الشيطان التي قالها عن فضل آية الكرسي، وذكر العلماء أن قوله ﷺ: «وهو كذوب» إتمام بليغ لوصف الشيطان؛ حيث أثبت الصدق له على نحو لا يوهم المدح المطلق، فالفاجر قد يعلم الحق فلا يتبعه ولا ينتفع به، فيتلقاه المؤمن منه فيجد فيه الخير الكثير.
الفتى: لقد كشف الشيطان عجزه عن الاقتراب ممن يقرأ آية الكرسي حتى يصبح: «ولا يقربك شيطان حتى تصبح».
الأب: وذلك بسبب حفظ الله لمن يقرأها قبل أن ينام (لن يزال عليك من الله حافظ).
الفتى: لن أدع قراءة آية الكرسي يا أبي بعد اليوم عقب الصلوات الخمس المكتوبة وقبل أن أنام، بعون الله وتوفيقه.
الأب: بارك الله فيك يا ولدي.



عبدالمجيد بعمير
مدرس وباحث تربوي
المغرب

اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه والتركيز

• الأطفال الذين يعانون من كثرة النشاط الحركي ليسوا أطفالا مشاغبين، أو عديمي تربية، لكن هم أطفال عندهم مشكلة مرضية لها تأثير سيئ على التطور النفسي للطفل وتطور ذكائه وعلاقاته الاجتماعية.

• يكون عند الأطفال المصابين بهذه الحالة مشكلة في عدم قدرتهم على السيطرة على تصرفاتهم، وأخطر ما في الموضوع هو تدهور الأداء المدرسي لدى هؤلاء الأطفال؛ بسبب عدم قدرتهم على التركيز، وليس لأنهم غير أذكياء.

ما هو اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه والتركيز؟

• هذا الاضطراب هو عبارة عن سلوك متواصل من الزيادة في الحركة أو نقص في الانتباه ووجود سلوك اندفاعي.

• يشكل هذا الاضطراب عبئًا ثقيلا على الوالدين في المنزل، وعلى من يقدم الرعاية للطفل في المدرسة، ويؤدي إلى

الكثير من المشاكل في تعليم الطفل وعلاقاته مع أقرانه، وقد يؤخذ كل سلوك يصدر من الطفل على أنه قلة أدب ويتلقى العقاب عليه، مما يؤدي إلى شعوره بأنه مرفوض من أهله ومن كل من يتعامل معه.

● يصاب من ٣-٥ في المئة من طلاب المدارس بهذه الحالة، والذكور أكثر إصابة من الإناث، ويشكل وجود طفل مصاب بهذه الحالة مشكلة حقيقية أحيانا للأهل، وحتى الطفل المصاب يدرك أحيانا مشكلته ولكنه لا يستطيع السيطرة على تصرفاته، ويجب على الوالدين معرفة ذلك ومنح الطفل المزيد من الحب والحنان والدعم.

أعراض اضطراب فرط الحركة

● درجة غير طبيعية من النشاط الحركي الزائد وضعف التركيز تكون موجودة في أكثر من مكان، مثلا في البيت والمدرسة وليس في موقع واحد فقط، وتعتبر هذه النقطة مهمة جدا في التشخيص، حيث تميزها عن أمراض نفسية أخرى.

● قد تستمر الأعراض إلى سن المراهقة أو حتى البلوغ، وقد تتغير صورة المرض وأعراضه مع الوقت، فقد تختفي كثرة الحركة وتستمر الاندفاعية ونقص الانتباه مثلا.

تصنيف الأعراض حسب الفئات العمرية

الأطفال ما بين سن الثلاث إلى الخمس سنوات:

● الطفل في حالة حركة مستمرة ولا يهدأ أبدا.

● يجد صعوبة بالغة في البقاء جالسا حتى انتهاء وقت تناول الطعام.

● يلعب لفترة قصيرة بلعبه وينتقل بسرعة من عمل إلى آخر.

تأثير العوامل النفسية والإجتماعية على الأطفال

● يجد صعوبة في الاستجابة للطلبات البسيطة.

● يلعب بطريقة مزعجة أكثر من بقية الأطفال.

● لا يتوقف عن الكلام ويقاطع الآخرين.

● يجد صعوبة كبيرة في انتظار دوره في أمر ما.

● يأخذ الأشياء من بقية الأطفال دون الاكتراث لمشاعرهم.

● يسيء التصرف دائما.

● يجد صعوبة في الحفاظ على أصدقائه.

● يصفه المدرسون بأنه صعب التعامل.

الأطفال ما بين ٦ إلى ١٢ سنة

● يتورط هؤلاء الأطفال عادة في أعمال خطرة دون أن يحسبوا حساب النتائج.

● يكون الطفل في هذا العمر متململا كثير التلوي والحركة ولا يستطيع البقاء في مقعده.

● يمكن أن يترك مقعده أثناء الدرس ويتجول في الصف.

● من السهل شد انتباهه لأشياء أخرى غير التي يقوم بها.

● لا ينجز ما يطلب منه بشكل كامل.

● يجد صعوبة في اتباع التعليمات المعطاة له.

● يلعب بطريقة عدوانية فظة.

● يتكلم في أوقات غير ملائمة ويجيب على الأسئلة بسرعة من دون تفكير.

● يجد صعوبة في انتظار دوره.

● مشوش دائما ويضيّع أشياءه الشخصية.

● يتردى أداؤه الدراسي.

● يكون الطفل غير ناضج اجتماعيا، قليل الأصدقاء، وسمعته سيئة.

● يصفه مدرسوه بأنه غير متكيف أو غارق في أحلام اليقظة.

أسباب نقص الانتباه والتركيز

السبب الأساسي غير معروف بدقة لكن انطلاقا من الدراسة الميدانية يتبين:

● أن الوراثة تعتبر عاملا مهما جدا.

● إصابة للجهاز العصبي قبل الولادة أو أثنائها لها تأثير.

● نقص الأوكسجين.

● الولادات المبكرة.

● تناول الأم أدوية معينة أثناء فترة الحمل.

● التعرض لنسبة عالية من مادة الرصاص أثناء الاقتيات.

● خلل في وظائف الدماغ الكيميائية.

● العوامل الاجتماعية أو النفسية لها تأثير كذلك، مثلا الأطفال المحرومون عاطفيا أو تحت تأثير مشاكل نفسية معرضون للإصابة بهذا الاضطراب.

التشخيص والصورة الإكلينيكية

● غالبا ما تشخص الحالة في المستوى الأول أو الثاني ابتدائي وبشكل عام فالمرض ليس سهل التشخيص.

● يعتبر تقرير المدرس عن الطفل من أهم أدوات التشخيص، سواء من ناحية سلوكه أو أدائه الدراسي وتحصيله والمشاكل التعليمية، وكذلك من ناحية علاقته مع الأطفال الآخرين. وعند عمل المقاييس النفسية للمساعدة في التشخيص أو في متابعة العلاج، فإنه يتم الطلب من المدرس تعبئة نموذج التقييم كما هو الحال بالنسبة إلى والدي الطفل.

● يلاحظ المدرسون شدة حماس واندفاع هؤلاء التلاميذ لأي امتحان أو سؤال يطرح، ولكنهم يفقدون حماسهم بعد بداية إجابتهم لأي مؤثر خارجي طارئ قد لا يشكل أهمية كبيرة لهم أو لدروسهم. كما يلاحظ المعلمون أن هؤلاء التلاميذ يرفعون أيديهم للإجابة على السؤال حتى قبل أن يكمله المعلم أو حتى قبل أن يعي الطفل المطلوب من السؤال المطروح.

● يلاحظ المعلمون أيضا بعض السلوك الانعزالي والشعور بالرفض من الآخرين على الطفل المصاب. قد يظهر ذلك على شكل العدوانية مع التلاميذ الآخرين أو المدرس أو على شكل إيذاء للنفس كأن يضرب نفسه بما يتناوله في يده من أشياء.

● وفي المنزل يجد الوالدان صعوبة مع الطفل في إطاعة أوامرهما ويتصرف باندفاعية ومن دون تفكير مسبق. يتميز هؤلاء الأطفال بتقلب المزاج والعصبية الزائدة. كما أن حجم معاناة هؤلاء الأطفال يزداد عندما يدركون أنهم «مشكلة»، مما ينتج عنه الإحساس بالنقص.

آثار هذا الاضطراب على الطفل

● قد يظهر الفحص النفسي الإكلينيكي وجود اكتئاب وبعض الاضطراب الطفيف في طريقة التعبير عن التفكير.

● قد يظهر الفحص الجسماني سوء تنسيق بين وظائف حواس الطفل كالنظر والسمع دون تدني القدرة على السمع أو النظر.

● قد يعاني الطفل من مشاكل في الذاكرة لعدم قدرته على التعامل مع المعلومة التي تصله من البيئة المحيطة به بالشكل الطبيعي.

● من الناحية الاجتماعية قد ينفر منه أصدقاؤه، وينعته المدرس بالغبي مع أن مستوى ذكائه في المستوى الطبيعي أو أفضل من الطبيعي.

● في الأسرة تطلق عليه ألفاظ كالطفل الشقي وغيره، ونتيجة ذلك عادة ما تكون الثقة بالنفس لدى الطفل ضعيفة.

● في المدرسة، لا يرغب فيه بقية الأطفال، ويفشل في دراسته، ولا يستطيع الإنجاز بالشكل الجيد فتتكون لديه صورة سيئة عن نفسه وييأس من كونه قادرا على الإنجاز والأداء.

● ويعاني أيضا من اضطراب في المزاج مثل التقلب السريع للمزاج وكذلك الاكتئاب والقلق.

طرق العلاج

في المنزل مع الأهل:

● دور الأهل في العلاج يكون بوضع جدول يومي لحياة الطفل يساعده على تنظيم حياته اليومية، فمثلا تحديد للطفل الوقت الذي يستيقظ فيه، ومتى يجب عليه أن يعود من المدرسة، ومتى وقت التلفاز.. وهكذا، ولا يترك الطفل لوحده في أماكن يجدها مناسبة ليأخذ حريته مثل الحدائق العامة.

● من الضروري منح الطفل المكافآت عن كل مرة يحسن التصرف فيها، إضافة إلى منح الطفل الحب والحنان اللازمين، ويجب الابتعاد عن العقاب الجسدي. وأفضل ما يمكن فعله عندما يقوم الطفل بتصرف ما، هو تجاهل الأمر والعودة لمناقشة الأمر مع الطفل عندما يهدأ.

في المدرسة:

● يجد الطفل كثير الحركة صعوبة كبيرة في التأقلم مع قوانين المدرسة، ويجب أن يتم شرح وضع الطفل للمدرس بحيث يقدم له المساعدة، ويفضل إبقاء الطفل المصاب ضمن مجموعات صغيرة من الطلاب وليس ضمن أعداد كبيرة.

● يجب دائما تذكر أن الطفل المصاب بكثرة الحركة ونقص الانتباه ليس لديه نقص في الذكاء.

● يستفيد الطفل من الدروس القصيرة أكثر مما يستفيد من الدروس الطويلة، وهذا يجب أن يأخذه المدرس بعين الاعتبار أثناء تخطيط الدروس وعملية التدبير.

● يجب أن يتعاون كل من الأهل والطبيب والمدرس والمستشار التربوي والاختصاصي النفسي.

العلاج الدوائي

● يؤدي إلى هدوء الطفل وزيادة فترة التركيز عنده، ولا تعطى هذه الأدوية إلا للأطفال ممن هم في سن المدرسة، وأهمها الريتالين والدكسيدرين، وهي لا تعطى ولا تصرف إلا تحت إشراف طبيب الأطفال.

● وأهم التأثيرات الجانبية لهذه الأدوية هو الصداع والأرق وقلة الشهية، ويجب ألا يكون العلاج الدوائي لوحده وإنما يرافقه العلاج السلوكي، النفسي والاجتماعي.

العلاج النفسي والاجتماعي

● الاسترخاء، حيث يتم تدريب الأطفال على الاسترخاء العضلي التام.

● التعاقد السلوكي بين الطفل والأبوين في المنزل أو مع الطفل والمدرس في المدرسة.

● التدعيم الإيجابي المادي واللفظي للسلوك المناسب.

● جدولة المهام، والأعمال، والواجبات المطلوبة.

● التدريب المتكرر على القيام بنشاطات تزيد من التركيز والمثابرة.

● وضوح اللغة والتعليمات.

● إتاحة الفرصة للطفل لتفريغ الطاقة الموجودة لديه في أنشطة مثمرة هادفة.



حسن بن محمد
كاتب وباحث تونسي

تدخين الأطفال



يعتبر التدخين آفة هذا العصر وذلك نظرا لما يسببه من مخاطر صحية واجتماعية للفرد والمجتمع كما أنه يعد من بين أكثر العوامل المسبب في الوفاة لدى الكبار والصغار في عالمنا واللافت اليوم أن التدخين قد انتشر في الفترة الأخيرة وبشكل كبير في أوساط الأطفال ولعل من بين أهم العوامل التي تدفع المراهقين إلى انخراطهم في هذه العادة السيئة هو السعي إلى الإحساس بالرجولة وتقليدهم الآباء والأهل بالإضافة إلى رفقة أصدقاء السوء وكثرة أوقات الفراغ التي تغيب فيها مراقبة الأسرة لأبنائها.

وتتحمل الأسرة وأولياء الأمور كامل المسؤولية في وقوع أبنائهم في ممارسة التدخين وذلك يعود خاصة إلى قصور في التربية والتوجيه والانشغال الدائم للآباء وعدم متابعتهم بشكل دقيق داخل وخارج المنزل.

وإن الأسرة تعتبر الركيزة الأساسية في تنشئة الأبناء والحفاظ عليهم من خطر التدخين وذلك من خلال تنشئتهم في بيئة محافظة وسليمة وواعية تجنبهم الوقوع في بعض الاعتقادات الخاطئة والممارسات المنحرفة وتعلمهم أن الرجولة الحقيقية ليست بالتدخين والذي يتسبب في العديد من الأمراض الخطيرة التي تهدد الحياة كما أنه يعد من العوامل التي تضعف قوة الفرد وتبعث فيه الوهن وتفقده الحيوية والنشاط ويصبح غير قادر على ممارسة حياته اليومية بصورة طبيعية.

وعلى الأسرة تدريب أبنائها على حسن التفكير والقدرة على تكوين رأي فردي سليم من دون التأثر بالأصدقاء وخاصة الذين لا يتمتعون بسيرة حسنة ولهم سلوك غير سوي ومنحرف كما أنه من واجب الآباء العمل على تزويد الأبناء بالمعلومات الطبية الصحيحة عن مخاطر التدخين وما يسببه من مضار جسيمة للصحة وتقديم أيضا بعض الأمثلة والنماذج من الأقارب الذين يعانون من الآثار السلبية للتدخين لأن الطفل ليست لديه نظرة مستقبلية لعواقب هذه الأمور الخطرة على صحته والتي قد تهدد مستقبله.

إن التدخين لدى الأطفال هو من أبرز العادات السيئة والخطيرة في فترة المراهقة وهي عادة ما تبدأ من خلال التقليد ولكنها تنتهي بالإدمان، ولذلك لابد على الآباء من مد يد العون لهؤلاء الصغار لإنقاذهم من هذا الخطر، وذلك من خلال التوعية بالترغيب والترهيب حتى يتمكن الأبناء من تخطي تلك المرحلة الصعبة والحرجة في حياتهم.

إن الأسرة تبقى دائما الركيزة الأساسية للحفاظ على الأبناء من الأخطار والآفات وخاصة خطر التدخين وذلك من خلال العمل على تنشئتهم في بيئة محافظة وسليمة وتوعيتهم بأن الرجولة الحقيقية ليست بالتدخين والذي يلحق بهم العديد من المضار والأمراض ويؤثر سلبا على مستقبلهم.

د. خالد صلاح حنفي
أستاذ مساعد بكلية التربية
جامعة الإسكندرية



مخاطر الألعاب الإلكترونية؟



إن اللعب في الطفولة وسيط تربوي مهم، يعمل على تكوين الطفل في هذه المرحلة الحاسمة من النمو الإنساني، ولا ترجع أهمية اللعب إلى الفترة الطويلة التي يقضيها الطفل في اللعب فحسب، بل إنه يسهم بدور مهم في التكوين النفسي للطفل وتكمن فيه أسس النشاط التي تسيطر على الطفل في حياته.

كما أن اللعب مدخل أساسي لنمو الطفل عقليا ومعرفيا وليس لنموه اجتماعيا وانفعاليا فقط؛ ففي اللعب يبدأ الطفل في التعرف على الأشياء وتصنيفها، ويتعلم مفاهيمها، ويعمم فيما بينها على أساس لغوي. وهنا يؤدي نشاط اللعب دورا كبيرا في النمو اللغوي للطفل وفي تكوين مهارات الاتصال لديه.

ومع التطور في المجتمع تطورت أدوات اللعب ووسائله فلم يعد اللعب التقليدي يجذب انتباه الأطفال، فانتشرت الألعاب الإلكترونية بفعل التطور السريع في الوسائل التكنولوجية المختلفة، ولم يخل بيت منها، لما تتمتع به من خصائص جاذبة خصوصا للأطفال في هذه المرحلة العمرية لما لها من عنصري التشويق والمغامرة اللذين يلامسان احتياجات الطفل في هذه المرحلة. والألعاب الإلكترونية كبقية الألعاب لها محاسنها وعيوبها، لكن نوع الألعاب المستخدمة والممارسات المصاحبة له هو ما يكمن فيه الضرر.

فوائد الألعاب الإلكترونية

تمتاز الألعاب الإلكترونية بنواح إيجابية فهي تنمي الذاكرة وسرعة التفكير، كما تطور حس المبادرة والتخطيط والمنطق، ومثل هذا النوع من الألعاب يسهم في التآلف مع التقنيات الجديدة، بحيث يجيد الأطفال تولي تشغيل مقود السيارة، واستعمال عصا التوجيه، والتعامل مع تلك الآلات باحتراف، كما تعلمهم القيام بمهام الدفاع والهجوم في آن واحد وتحفز تلك الألعاب التركيز والانتباه وتنشط الذكاء لأنها تقوم على حل الأحاجي وابتكار عوالم من صنع المخيلة.

كما أن الألعاب الإلكترونية مصدر مهم لتعليم الطفل، إذ يكتشف الطفل من خلالها الكثير، ويشبع خيال

الطفل بشكل لم يسبق له مثيل، كما أن الطفل أمام الألعاب الإلكترونية يصبح أكثر حيوية ونشاطا، وأسهل انخراطا في المجتمع، كما أنها تعطي الطفل الفرصة للتعامل مع التقنيات الحديثة كالإنترنت وغيرها، وتنمي تفكيره العلمي الذي يتمثل في وجود مشكلة ثم التدرج في حلها.

أضرار الألعاب الإلكترونية

ويرى الكثير من العلماء والأطباء أن سلبيات الألعاب الإلكترونية أكثر من إيجابياتها، لأن معظم الألعاب الإلكترونية المستخدمة من قبل الأطفال والمراهقين ذات مضامين سلبية تؤثر عليهم في جميع مراحل نموهم، بالإضافة إلى أن نسبة كبيرة من الألعاب الإلكترونية تعتمد على التسلية والاستمتاع بقتل الآخرين وتدمير أملاكهم والاعتداء عليهم من دون وجه حق، كما تعلم الأطفال والمراهقين أساليب ارتكاب الجرائم وفنونها وحيلها، وتنمي في عقولهم العنف والعدوان، والميل لارتكاب الجرائم، وهذه القدرات تكتسب من خلال الاعتياد على ممارسة هذه الألعاب.

إن ممارسة الألعاب الإلكترونية كانت السبب في بعض المآسي، فقد ارتبطت نتائج هذه الألعاب خلال الخمسة والثلاثين عاما الأخيرة بازدياد السلوك العنيف، وارتفاع معدل القتل والاغتصاب والاعتداءات الخطيرة في العديد من المجتمعات والقاسم المشترك في جميع هذه الدول هو العنف الذي تعرضه وسائل الإعلام أو الألعاب الإلكترونية ويتم تقديمه مغلفا بالمتعة والتسلية.

وأوضحت دراسة بريطانية نشرتها مجلة «لانيست» الطبية وجود علاقة بين السلوك العنيف للطفل ومشاهد



العنف التي يراها في التلفزيون أو يمارسها في بعض الألعاب الإلكترونية. كذلك أشارت دراسة كندية لمراجعة وتقويم المحتوى لثلاثمئة لعبة إلكترونية إلى أن ٢٢٢ لعبة منها تعتمد بصورة مباشرة على فكرة ارتكاب الجريمة والقتل.

وتزيد ممارسة الألعاب الإلكترونية لفترات طويلة من ارتفاع نسب البدانة عند الأطفال، ونوبات التوتر وإجهاد العينين، وآلام الظهر والرقبة، وغير ذلك من الأضرار الصحية بالإضافة إلى التأثير السلبي على مستوى التحصيل الدراسي لدى الطفل.

ويحذر د. كليفورد هيل المشرف العلمي في اللجنة البرلمانية البريطانية لتقصي مشكلة الألعاب الإلكترونية في بريطانيا من خطورة هذه الألعاب قائلا: «لقد اغتصبت براءة أطفالنا أمام أعيننا وبمساعدتنا بل وبأموالنا أيضا، وحتى لو صودرت جميع نسخ الألعاب، فإن الأمر سيكون متأخرا للغاية في منع نمو جيل يمارس أشد أنواع العنف تطرفا في التاريخ».

الألعاب الإلكترونية في الميزان

من خلال الدراسات السابقة يمكن القول بأننا في حاجة إلى التعامل بموضوعية مع الألعاب الإلكترونية والإفادة منها بالصورة المثلى، فمن الممكن أن نعلم الطفل من خلال تلك الألعاب الأبجدية وقواعد الحساب وفي إطار ممتع وشيق يغرس في الطفل عاداتنا وقيمنا ومبادئنا. ولذلك فنحن في حاجة إلى:

١- تشكيل لجان فنية وعلمية للحكم على الألعاب ومحتواها قبل السماح بترويجها في الأسواق وتداولها بين الأطفال والمراهقين.

٢- تنسيق الجهود لتصميم وإنتاج ألعاب إلكترونية تبث القيم والثقافة العربية من خلال التعاون بين المؤسسات العربية المختلفة والحكومات العربية، وتشجيع المبدعين والفنانين على إبداع شخصيات من وحي الثقافة العربية، وإيجاد محتوى ومضمون فكري لألعاب يشجع على الأخلاق الحميدة والتفكير العلمي ويستثير خيال الأطفال العلمي.

٣- توعية الآباء من خلال وسائل الإعلام بالألعاب الإلكترونية وضرورة متابعتهم لما يمارسه أبناؤهم من ألعاب وخطورة تركهم لفترات طويلة دون متابعة ورقابة من الوالدين.

٤- توفير الحوافز لإنشاء شركات إنتاج الألعاب الإلكترونية العربية وتشجيع المبادرات في هذا السياق بما يتيح لها المنافسة مع الشركات العالمية المحتكرة لهذا المجال.

٥- تنظيم المسابقات بين المبدعين وإتاحة الجوائز لمصممي أفضل لعبة إلكترونية على مستوى العالم العربي، وتبني تلك الألعاب من قبل الوزارات المختصة ونشرها عبر الإنترنت.



عثمان إسماعيل حسين
باحث وكاتب
مصر

اختيار الزوجة.. بين صراعات الأهواء وعظمة الإسلام

تباينت في الآونة الأخيرة مظاهر ما يعكر صفو المناخ الأسري، مما قد ينبئ بحدوث هزة تنال من هذا الكيان الذي نال شرف التقديس الإلهي بأنه آية من آيات الله تعالى في خلقه ورحمته على عباده: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

وعلى الرغم من أن الدين

الإسلامي بثوابته العظيمة قد وضع تشريعا ساميا راقيا لفقه الزواج الصحيح يضمن بناءه وبقاءه وآثاره الطيبة وثماره الناضجة، فإن مرحلة «اختيار الزوجة» عند البعض عبثت بها الأفكار الهوجاء، والثقافات البالية، والعقول التي فقدت الحكمة والتريث، حتى إن تلك المرحلة أصبحت ليست بالأمر الهين، بل استطاعت أن تلقي بصاحبها في براثن الحيرة والتحير، والتقلب بين التحدي والسأم، والشغف والنفور، مما قد يؤدي في نهاية الأمر إلى الإخفاق إما في البناء وإما في الاستقرار.

وما دفعنا إلى الخوض في هذا الموضوع ما يخبرنا به الواقع ويطلعنا بين الحين والآخر على تلك العثرات التي أساسها - بالطبع - ضعف الوازع الديني، وغيبوبة البعد عن الله عزوجل، وفراغ القلوب من النية الصادقة من ناحية، وسوء الفهم والتهور وغياب حكمة التعقل من ناحية أخرى، مما يجعل مرحلة الاختيار تقع بين متاهات الفكر وصراعات المشاعر وتحدي الأهواء التي تتمثل في:

هوى الأب: فهو يميل إلى مقاييس تتفق وثقافته الخاصة ومصالحه الشخصية في اختيار زوجة لابنه، وربما - في الغالب - تكون هذه المقاييس من وجهة نظره صفقة رابحة؛ فهو يفضل ذات الحسب والنسب ومن يعود النفع من ورائها لابنه من ميراث أو نسب يتباهى به، أو يتخيل من خلاله أنه سوف يحقق ما يريد.

هوى الأم: وهي تخبئ داخلها - ربما - أسبابا شخصية في اختيار زوجة ابنها، فهي على سبيل المثال تفضل إحدى قريباتها من باب المجاملة وتواصل صلة الرحم، أو من تجد فيها فريسة سهلة للسيطرة عليها والتحكم فيها لتجبرها على السمع والطاعة وفرض الذات، هنا تشعر الأم بذاتها وأنها قد حققت التباهي والتفاخر، وأن بيدها مقاليد الأمور، وأن ابنها مازال في حياتها، وهنا تتدخل شراسة الغيرة القاتلة التي لا ترحم من يلحقه لهيبها.

هوى العائلة: وقد تتدخل العائلة أحيانا برأيها وثقافتها في الاختيار؛ حفاظا على مكانتها بين العائلات، خيفة أن يكون هذا الاختيار إنقاصا من قدرها، أو ملحقا بها العار والعوار بين العائلات فتصبح مادة خصبة تلوكها الألسنة كما تشاء وكيفما تريد.

وسط أجواء تلك الأهواء المتضاربة كثيرا والمتناقضة أحيانا، والتي تتحكم فيها المقاصد والغايات، ما خفي منها وما ظهر، تولد صراعات «اختيار الزوجة» لتمثل عالما من العراقيل ولتصنع انحناءات الطريق ليصعب السير فيه ويكون عبوره طيفا من الأحلام والأمنيات.

هنا تتجلى عظمة التشريع الإسلامي الذي ما جاء إلا ليقلم أظفار تلك الثقافات البالية والعادات الجائرة والفكر العقيم، ويضع الأسس والثوابت الرائعة التي تكفل لبني البشر إسعادهم واستقرارهم، حيث جاءت البداية متمثلة في الدعوة إلى الزواج؛ صونا للنفس البشرية، وإشباعا لغرائزها، وإعمارا لهذا الكون، وترغيبا في بناء أسرة سليمة تكون نواة لمجتمع يتصف بما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف، وتحقيقا للظفر بالذرية الصالحة التي هي زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد:٣٨) وقال ﷺ: «النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني»[1].

وتبدو عظمة الدين الإسلامي أنه وضع المعايير والمقاييس الصحيحة في اختيار الزوجة وأهمها:

الدين والخلق

فهما حلية العقل والقلب، وهما عمود الأمر وسنامه، وصلاح وإصلاح الذات البشرية المتمثلة في تلك الزوجة التي نشأت وتربت على أن ترى الله في كل شيء، فرضي الله عنها ورزقها التقوى فظفرت بذلك الإعداد الإلهي لتكون الزوجة الصالحة الذي قال عنها الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء:٣٤) وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي

الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»[٢]؛ فالتدين جعلها ترى طريق الاستقامة والرشد فاتخذته لها منهجا كزوجة تحمل على عاتقها صون الأمانة ورعايتها حق الرعاية، قال ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة؛ إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله»[٣].

وإذا كانت هناك خيارات وإغراءات يتصارع عليها الرجل في اختيار الزوجة فإن تلك الخيارات زينها الإسلام بالفضائل؛ لأن ذات الدين وهبها الله مفاتيح السعادة وحسن البصيرة.. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٤]. فالدين هو مفتاح المال الحلال، رزقه ونماؤه، وصونه والبركة فيه، الدين هو الشرف الأسمى في الصلح مع الله، وهو مفتاح جمال الروح وطهارة النفس ورضا الخالق عزوجل؛ فالزوجة المتدينة المؤمنة حقا هي الحصن الحصين لزوجها في دنياه وطريق رضا الله في آخرته، هي بناء أسرة صالحة، هي تنشئة سليمة لأبناء صالحين أسوياء وذرية طيبة، هي كيان راسخ وبنيان ثابت لا يهتز ولا يستسلم ولا يضعف لأن رعاية الله تحفظه وتصونه من كل مكروه وسوء، هي هدية الله لمن اصطفاه من عباده مادام قد أخلص النية واتخذ التقوى طريقا في حياته.

انتفاء العيوب الخلقية والخُلقية

وفي هذا المعيار يلزم الرجل التريث والتمهل والتؤدة في التحري بدقة عن سلامة من يقع عليها الاختيار كزوجة، سواء السلامة العضوية الجسدية أو السلامة المعنوية النفسية، لأن مثل تلك العيوب قد تنتقل إلى الأولاد بالوراثة مما له من العواقب السيئة التي قد لا يندمل جرحها، ومن هنا أجازت الشريعة السمحة للرجل النظر إلى الفتاة قبل الزواج، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: «هل نظرت إليها، فإن في عيون الأنصار شيئا»[٥]. وفي موضع آخر قال الرسول ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»[٦]. ولا حرج – وهذا هو الأصح – أن يلقي الرجل بتلك المرحلة إلى من يثق فيهم من نساء بيته وعائلته ليجلسن مع الفتاة وينقلن له الصورة بكل أمانة وصدق شديدين من دون ميول أو أهواء لصاحب الشأن وهو وقراره.. تنفيذا لشرط الشرع القويم وهو «القبول».

إن تلك المرونة والتيسير والوقار والهيبة التي أباحتها الشريعة الإسلامية لهي كفيلة أن تمهد الطريق السليم لعبور آمن ومثمر ولتمنح الرجل زوجة هي خير النساء، فقد قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها وماله بما يكره»[٧]. ومن هنا فإن الحذر مطلوب والفطنة واجبة والتريث أفضل والتحري أضمن وأكثر أمانا واطمئنانا، أليس ذلك خيرا من حياة يسودها القلق والتأسي والتحسر والتندم؟!

الكفاءة

وهذا المعيار يستلزم من الرجل الرؤية العقلانية المنطقية، التي تزن الأمور بحكمة وتعقل وتضعها في مكانها الصحيح بنظرة ثاقبة واقعية تجنبا لأي خلل نفسي يثمر جرحا من الصعب شفاؤه مما يجلب معه الشقاء والتعاسة.

والكفاءة المقصود بها «المساواة» بين الطرفين أو «الاتزان النفسي» بينهما في القدرة المالية والوضع الاجتماعي والمستوى الثقافي والتعليمي، على أن يتمتع الرجل بسمة التفوق والتميز والتفرد في أولويات عناصر الكفاءة، بمعنى أن يمتلك التكليف والمسؤولية والقدرة على الإنفاق، والمغزى من ذلك هو أن يشعر الرجل بذاته ودوره في بناء وصون هذا الكيان، وهذا ليس تهميشا وتقليلا من دور الزوجة الصالحة ومكانتها المرموقة في مسؤولياتها بقدر

ما يجعلها تشعر بقيمة وروعة الأمان في ظلال زوجها ولتمنحه الاحترام والمكانة وسط أبنائه كنموذج مشرف لعالم الأبوة المثالي وصورة رائعة لتحمل مسؤولية العمل والكد والكفاح، غير أن توافر الكفاءة يزيل أجواء التعالي والكبر من الطرفين، التي إن وجدت اختلت العلاقة واضطربت الأمور، فكان حريا أن نتمسك بهذا المعيار، إيمانا وتطبيقا له، فعن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تخيروا نطفكم وأنكحوا الأكفاء»(٨)، وفي رواية أخرى «تخيروا نطفكم فإن العرق دساس»(٩). ومن الواجب أن ندرك «أن الكفاءة عنصر مهم لاستمرار الحياة الأسرية السعيدة في ضوء قوامة الرجل، ذلك لأن انخفاض المكانة الاجتماعية والاقتصادية للزوج مقارنة بالزوجة يضعف مكانته باعتباره رب الأسرة، وقد تهتز قوامته، وتكون سببا في تفكك العلاقة بينهما فيما بعد»(١٠).

البكر الودود الولود

هذا المعيار هو الأسمى مقصدا والأعلى غاية، حيث ابتغاء الذرية الصالحة، وهذه فطرة الله في خلقه. ومن هنا حثت السنة النبوية على اختيار البكر الودود التي هي مصدر الحب والود والبهجة، صانعة الفرحة في وجه زوجها، اطمئنانا وتفاؤلا، في أحلك الظروف والمواقف، مما يجعل الرجل يزداد بها وبأولاده وبيته حبا وتعلقا، فقد جاء في فضل نكاح البكر ما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: كنت حديث عهد بعرس. فقال له الرسول ﷺ: «أبكرا أم ثيبا؟». قال: ثيبا. قال ﷺ: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، أو قال تضاحكك وتضاحكها»(١١). وفي نفس المضمون قال ﷺ: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما»(١٢).

فالفتاة البكر يكون زوجها هو عالمها وحياتها ومملكتها، فهو تجربتها الأولى والأغلب كونها الأخيرة فتعطيه كل ما تملك ألفة ومودة وتضحية واهتماما.

وحثنا الرسول الكريم ﷺ على الزواج من الفتاة الولود فقال ﷺ: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم»(١٣)، وذلك الأمر يستدل به من خلال التحري بدقة عن أهل الفتاة من النساء (أم الزوجة وأخواتها وقريباتها) مما يبعث الطمأنينة في كل الأحوال وتمهيدا للتكيف مع جميع الاحتمالات والتوقعات.

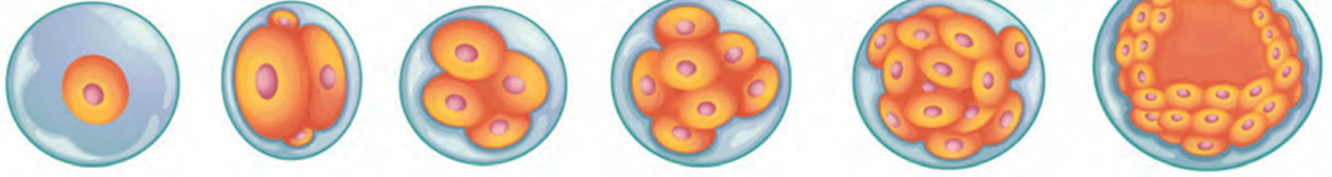
تلك مقاييس اختيار الزوجة كما وضحتها ثوابت ديننا الإسلامي القيم، والتي كانت بمنزلة طريق النجاة والسعادة الذي أضاءته مصابيح الهداية إذا ما أخلص المسلم الحق النية الصادقة واتبع المنهج الأغر المتمثل في فقه الزواج الإسلامي صاحب السمو في الغاية والمقصد، والذي تفتح به أبواب البناء والاستقرار والأمان والسعادة والتي بها، أيضا، تجني ثمار التلذذ برضا الخالق عزوجل والزهو بالذرية الصالحة زينة الدنيا ورصيدنا في الآخرة.

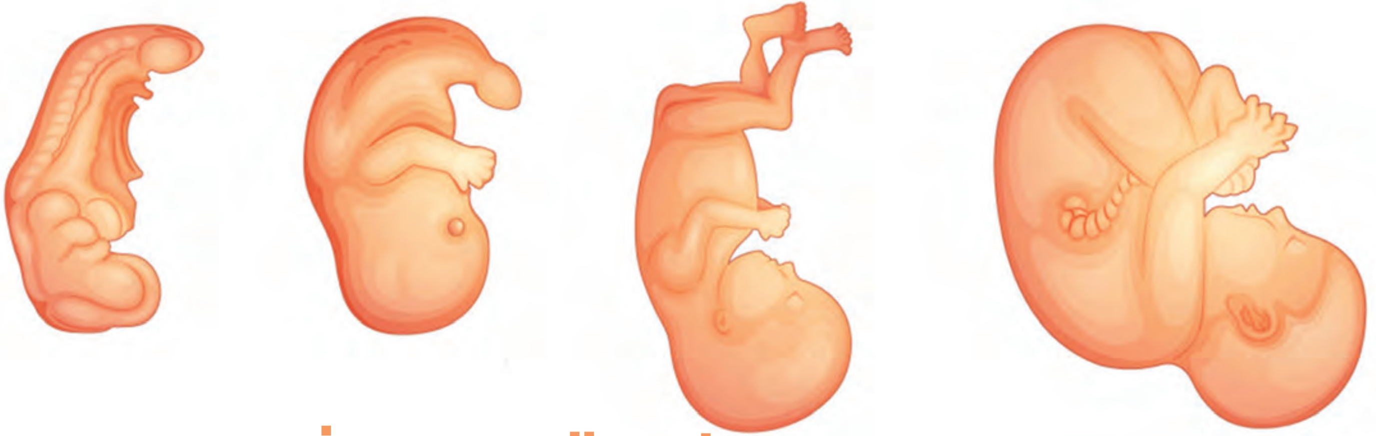
الهوامش

١- أخرجه ابن ماجه في سننه، ك. النكاح، ب. ما جاء في فضل النكاح برقم ١٨٤٦، حديث حسن.
٢- أخرجه مسلم في صحيحه، ك. الرضاع، ب. خير متاع الدنيا، المرأة الصالحة برقم ١٤٦٧.
٣- أخرجه ابن ماجه في سننه، ك. النكاح، ب. أفضل النساء، رقم الحديث ١٨٥٧.
٤- أخرجه البخاري في صحيحه، ك. النكاح، ب. الأكفاء في الدين، رقم الحديث ٥٠٩٠.
٥- أخرجه مسلم في صحيحه، ك. النكاح، ب. ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها برقم ١٤٢٤.
٦- أخرجه ابو داود في سننه، ك. النكاح، ب. في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها برقم ٢٠٨٢، حديث حسن.
٧- أخرجه النسائي في سننه، ك. النكاح، أي النساء خير؟ برقم ٣٢٣١ حديث، حسن صحيح.
٨- أخرجه ابن ماجه في سننه، ك. النكاح، ب. الأكفاء رقم ١٩٦٨، حديث حسن.
٩- أخرجه الشهابي في مسنده، ب. تخيروا لنطفكم برقم ١٣١٧.
١٠- (الدين والبناء العقلي) د. نبيل السمالوطي، دار الشروق.
١١- أخرجه مسلم في صحيحه، ك. الرضاع، ب. استحباب نكاح البكر، رقم ٧١٥.
١٢- أخرجه ابن ماجه في سننه، ك. النكاح، ب. تزويج الأبكار رقم ١٨٦١، حديث حسن.
١٣ - أخرجه النسائي في سننه، ك. النكاح، ب. كراهية تزويج العقيم، رقم ٣٢٢٧، حديث حسن صحيح.



د. مصطفى عطية جمعة
محاضر في كلية التربية الأساسية بالكويت - مصر





مراحل الطفولة والبلوغ بين الرؤية الإسلامية والمواثيق الدولية

تبدأ مراحل الطفولة منذ ما قبل الولادة، وأولها مرحلة الجنين وهي فترة ما قبل الحمل وتنتهي بالولادة. ومدتها غالبا تسعة أشهر، وهنا الطفل يكون جزءا من الأم، ذا روح وجسد، فوجوده في رحم الأم للتكوين والتغذية إلى أن يخرج إلى الوجود مع الولادة. ثم تأتي مرحلة الرضاعة عقب ولادة الطفل وحتى نهاية العام الثاني من عمره. كما يقسم علماء النفس والتربية الطفولة (بعد الرضاعة) إلى فترات وأدوار، فهناك مرحلة الطفولة المبكرة: والتي تبدأ من سن الثالثة وحتى خمس السنوات. ثم مرحلة الطفولة الوسطى: وتبدأ من خمس سنوات حتى العام التاسع. فمرحلة الطفولة المتأخرة: وتبدأ هذه المرحلة من تسع سنوات حتى العام الثاني عشر. وأخيرا مرحلة المراهقة: وتبدأ هذه المرحلة من العام الثاني عشر حتى العام الرابع عشر أو العام السابع عشر[1].

إن التقسيم السابق لمراحل الطفولة مختلف عليه بين المراجع المعنية بعلم نفس النمو، ومراحل الطفولة، وهو في النهاية تقسيم من أجل تصنيف هذه التغيرات التي يمر بها الطفل في نموه البدني والعقلي والنفسي والاجتماعي؛ بهدف تقديم أوجه متعددة من الرعاية التعليمية والتربوية للطفل، تتمثل في الصفوف الدراسية ومراحل التعليم المختلفة، كما يستفاد منها في الآداب والفنون الموجهة للطفل، والتي لابد أن تراعي جوانب الاختلاف من مرحلة إلى أخرى، مثلما تراعيها أنظمة التعليم. وتبقى القضية في النهاية مرتبطة بشكل وثيق بالحرص على تقديم أفضل رعاية ممكنة للطفل، ومنعه من الاستغلال، فأطفال اليوم هم شباب الغد، فإعدادهم يعني تجهيز المستقبل وتخطيطه.

وهناك من يرصد علامات تميز كل مرحلة من نمو الطفل فيما يتعلق بالتطور المعرفي للطفل، فالسنتان الأوليان تشكلان الطور الحسي والحركي للطفل، ومن السنة الثانية إلى السابعة ينمو الذكاء الحدسي للطفل، والطور ما قبل العملي من تطوره، ومن الثامنة إلى الثانية عشرة يتشكل الطور العملي الملموس وهو ما يسمى الذكاء التجريبي، وبعد سن الثالثة عشرة يدخل الطفل في الطور العملي

الشكلي، أو طور الذكاء التجريدي. وتوجد مسارات متزامنة مع النمو المعرفي، تتصل بالجوانب الجسمية والروحية والنفسية والحركية والنمو الجنسي[٢]، فلابد أن تكون النظرة شمولية لكل مرحلة بأبعادها المختلفة.

والملاحظ أن التصور الإسلامي يتخذ من البلوغ علامة على انتقال الطفل إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة النضج المبكر؛ فقد استوى جسده، وارتقت نفسيته، وبدا في عداد الرجال بالغا عاقلا، يمكنه العمل والزواج؛ مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور:٥٩).

ذكرت الآية السابقة لفظة «الأطفال»، ثم «الحلم»، وكلتاهما علامة على مرحلتين مختلفتين، وما يترتب عليها من أخلاق وسلوكيات ونظرة مجتمعية. لقد اعتمدت الرؤية الإسلامية على أساس واضح في تحديد انتهاء عمر الطفولة، ألا وهو سن البلوغ، وهو يتفاوت من بيئة إلى أخرى، بسبب تأثير العوامل المناخية في التبكير أو التأخير لسن البلوغ، مما يعني تحلي الفتى/ الفتاة بقدر كبير من التمييز العقلي، بما يصاحب ذلك من تغييرات نفسية وعقلية تؤثر على تصورات الفتى والفتاة نحو النفس من ناحية، ونحو المجتمع من ناحية أخرى وتعامله مع الطفل.

فالبلوغ من الوجهة الإسلامية والاجتماعية يعني الحجاب عند الفتاة، وعدم جواز مخالطتها للرجال والشباب، وما يستتبع ذلك من تكليفات شرعية، كما يبدأ الاثنان (الذكر والأنثى) في الاهتمام بالجمال على مستوى الشكل والملبس. والأمر أيضا ينصب على الفتى الذي يستشعر معاني الرجولة المبكرة، والمسؤولية عن أفعاله وأقواله. وهناك ألفاظ عديدة تستخدم في وصف هذه المرحلة من قبل الفقهاء منها: حالم، محتلم، بالغ، مدرك، مميز، وهي ألفاظ دالة على علامات البلوغ الجسمي، مثلما هي دالة على علامات التميز والإدراك العقلي والنفسي، وما يستتبع ذلك من سلوكيات اجتماعية.

ومازالت الدول الإسلامية لا تقدم حلولا لطول سنوات النظام التعليمي، وتسير على النظم التعليمية الغربية، التي أضحت معايير (أو مسطرة) متفق عليها دوليا، ويقاس عليها المستوى التحصيلي والتربوي للأطفال في دول العالم، مما يؤدي إلى تسرب الفتيات للزواج المبكر في المرحلة الثانوية أو ما قبلها، ومن ثم تركهن للتعليم، خاصة في المناطق التي يغلب عليها النزعة القبلية والعشائرية أو الريفية، والانتصار لفكرة تزويج البنت مبكرا سترا لها، وحفاظا على مستقبلها وفق المنظور الاجتماعي التقليدي.

ولأن النقاش حول هذه القضية سيطول، وبه اختلافات كثيرة، فمن الأفضل مناقشة تقديم برامج ونظم تعليمية توفر الحد الأدنى للفتيات من مهارات التعليم والثقافة، بما يخرجها من الجهل، ويجعلها أما



صالحة لذريتها، وربة بيت ماهرة تدير شؤونه ببراعة، ولا بأس من إيجاد برامج تعليمية موازية للمسار التعليمي الرسمي، تؤهل الفتاة لشؤون الزواج وتكوين الأسرة.

والأمر نفسه يكون مع الشباب، من خلال تثقيفهم بثقافة الزواج والاستقرار الأسري، وكيفية رعاية الزوجة والأبناء، لمن يرغب في الزواج، فغالبية المشكلات الأسرية (طلاق، خصام، انفصال مبكر، مشاكل زوجية..) ناتجة عن غياب الثقافة الزوجية، خاصة في الزواج المبكر، بل وامتد الأمر إلى الزواج في سن متأخرة نسبيا، وتشير إحصائيات الطلاق في غالبية الدول العربية إلى ارتفاع نسب الطلاق، نتيجة عوامل عديدة، أبرزها غياب الإعداد الكافي للشاب والفتاة، وتأهيلهما للحياة الزوجية. كما أن مثل هذه البرامج تحصن الشباب من الانحرافات النفسية والجنسية، وتزودهم بثقافة علمية رشيدة.

الهوامش

١- انظر تفصيلا: علم نفس النمو، د. مريم سليم، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٠٧.

٢- المرجع السابق، فصول مراحل النمو المختلفة. وانظر أيضا حقوق الطفل في الإسلام، الشيخ حسين الخشن، دار الملاك، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٣، ١٤.



د. زياد موسى عبد المعطي
كاتب وأكاديمي مصري

ضع نفسك مكان الآخر

«ضع نفسك مكان الآخر» منهج إسلامي تربوي، لو طبقه البشر سيتم حل مشاكل العالم، ولأصبحنا في المدينة الفاضلة.
إذا وضع كلٌّ منا نفسه مكان الآخر، فسينصلح حال الدنيا، قبل أن يتخذ أحد قرارا في معاملاته يجب عليه أن يفكر في الآخرين، ويتصور نفسه في موقع مَن سيتضرر أو يستفيد من أقواله، أو قراراته، أو أفعاله.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». ولفظ «أخيه» هنا ليس مقصورا على الأخ في النسب فحسب، بل الأخوة هنا تشمل الأخوة في الإسلام، بل الأخوة في البشرية، فما لا يحبه الإنسان لنفسه لا يحبه لغيره من البشر.

وفي حديث آخر يوضح رسول الله ﷺ هذا المنهج الإسلامي، فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: اُدْنُهْ، فدنا منه قريبا قال: فجلس، قال: أتحبه لأمّك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمّتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال:

اللهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء».

وفي هذا الصدد أنشد الإمام الشافعي رحمه الله هذ الأبيات:

عِفوا تعف نساؤكم في المحرم
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دين فإن أقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
يا هاتكا حرم الرجال وقاطعا
سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرا من سلالة ماجد
ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

وإذا تعامل الفرد مع والديه، فيجب أن يضع المرء نفسه مكان والديه في الكبر، وأن يبرهما في الكبر، وهو بذلك يقدم المثل والقدوة لأبنائه الذين يشاهدونه يَبَر والديه، وسوف يقلدونه بعد ذلك ويبرونه في الكبر، وكذلك عند معاملة الوالد، أو الوالدة مع الأبناء يجب أن يتخيل نفسه، أو تتخيل نفسها مكان الأبناء ويعاملونهم بالحسنى، ويعاملونهم كما كانوا يتمنون أن يعاملهم آباؤهم.

والمعاملة بين الزوجين يجب أن تكون بالحسنى، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي).

ومما قرأته أن زوجة قالت لزوجها عندما كان يداعب ابنتهما الصغيرة: ما شعورك عندما تكبر ابنتنا ويسيء زوجها معاملتها؟ فأخبرها أن ذلك بالطبع يحزنه، فقالت الزوجة: كذلك إذا أسأت معاملتي فإن ذلك يحزن أبي، فيجب عليك أن تحسن معاملتي كما تتمنى أن يحسن زوج ابنتك في المستقبل معاملتها.

وبالمثل يجب على الزوجة أن تحسن معاملة زوجها كما تتمنى أن تحسن زوجة ابنها معاملة ابنها، وعلى الزوجة أن تحسن معاملة أم زوجها كما تحب أن تعاملها زوجة ابنها في المستقبل عندما تكون في نفس الموقف.

«أحب لأخيك ما تحب لنفسك»

وحرّم الله الظلم على نفسه ونهانا عن الظلم، ففي الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما».

إذا كنت رئيسا في عملك، فتخيل نفسك مكان مرؤوسك، وتذكر نفسك وأنت في بداية سلمك الوظيفي، وأصدر تعليمات تناسب موظفيك، وتناسب قدراتهم، وإذا كنت مرؤوسا وتطالب بأشياء من رئيسك في العمل؛ فتخيل نفسك مكان رئيسك في العمل، وهل في مقدوره تنفيذ مطالبك، وتخيل الضغوط الواقعة عليه، وهل هذا الطلب منطقي من وجهة نظره.

وإذا كنت حاكما على قرية، أو مدينة، أو محافظة، أو دولة؛ فتخيل نفسك مكان المحكومين، وعاملهم كما تحب أن يعاملك به الحاكم قبل أن تكون في منصبك، وإذا كنت محكوما؛ فتخيل نفسك مكان الحاكم، ولتعلم أن تحقيق المطالب لا يأتي بين يوم وليلة، ولتطالب بمطالب في الإمكان تحقيقها.

وإذا كنت من الأغنياء واحتاج أحد الفقراء منك مساعدة مادية، وأنت متأكد أنه فعلا محتاج وليس متسولا، أو محتالا، وكان بإمكانك مساعدته؛ فضع نفسك مكان المحتاج، وقدم مساعدتك له، وإذا كنت فقيرا؛ فتخيل نفسك مكان الثري الذي عليه التزامات: كأجور العاملين في محلاته، أو شركاته، وتخيل الأعباء النفسية الواقعة عليه.

بل أكثر من ذلك يدلنا رسول الله ﷺ أن الدعاء لأخيك بظهر الغيب يجعل الملائكة تدعو لك بمثله، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل».

جعل الله عزوجل قضاء حوائج الناس من صالح الأعمال التي تدخل الجنة، وتنجي من النار، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه» (رواه مسلم).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

ندعو الله العلي القدير أن يرزقنا العمل الصالح، وأن يرزقنا معاملة مع الناس كما نحب أن يعاملونا.



محمود العيسوي
باحث علوم طبية
مصر



عندما يدمر الحديد جسم الإنسان

السكر البرونزي

الحديد من العناصر المهمة لجسم الإنسان، ونقصه يؤدي إلى أنيميا نقص الحديد وهو من الأمراض الشائعة، لكن الحديد قد يؤدي إلى تدمير جسم الإنسان فيما يعرف بمرض السكر البرونزي، وهو مرض خطير يفتك بالإنسان، يدمر الكبد والقلب والمناسل والبنكرياس والمفاصل ويغير لون الجلد إلى اللون البرونزي وهو سر تسمية المرض بالسكر البرونزي Bronzed Diabetes.

يقول الدكتور: كرت أيسلبيكر أستاذ الباطنة بالمدرسة الطبية بهارفارد: مرض السكر البرونزي (هيموكروماتوزس) يمثل خللا في تخزين الحديد في الجسم، تسببه زيادة غير طبيعية في امتصاص الحديد من الأمعاء مما يؤدي إلى ترسيب الحديد في الخلايا الحشوية، مما يؤدي إلى تدمير الأنسجة، وعدم كفاءة أعضاء الجسم التي تتمثل في الكبد والبنكرياس والقلب والغدة النخامية. في عام ١٨٨٩م الطبيب (فون ركلنجهوسن) سمي هذا المرض (هيموكروماتوزس) وسمي الصبغة التي تختزن الحديد (هيموسدرين) لأنه اعتقد أن هذه الصبغة تنشأ من الدم. ثمة نوعان من الهيموكروماتوزس نوع وراثي يرتبط بجين على الكروموسوم رقم ٦ ونوع مكتسب يسببه مرض آخر مثل الثلاسيميا وأنيميا السيدروبلاست.

ويقول الدكتور: لوراي باول أستاذ الباطنة بجامعة كوينسلاند باستراليا: مرض الهيموكروماتوزس في صورته الكاملة غير شائع حيث يصل انتشاره في الشعوب الأنجلوسكسونية إلى واحد من كل عشرة آلاف، ويلاحظ أن انتشاره بين الذكور أكثر انتشارا عن الإناث بخمسة إلى عشرة أضعاف. حوالي ٧٠٪ من المرضى تظهر أعراض المرض لديهم بين الأربعين والستين من العمر، ونادرا ما يظهر المرض إكلينيكيا دون العشرين من العمر.

قد نتعجب عندما نعلم أن جسم الإنسان يحتوي على مقدار ضئيل من الحديد يتراوح بين ثلاثة إلى أربعة جرامات، وهذا المقدار ثابت في الحالات الطبيعية، حيث إن الغشاء المخاطي المعوي يمتص مقدارا من الحديد يساوي ما يفقده الجسم، هذا المقدار هو مليجرام واحد كل يوم في الرجال، ومليجرام ونصف المليجرام في النساء في سن الحيض. في مرضى السكر البرونزي يمتص الغشاء المخاطي المعوي مقادير زائدة من الحديد تصل إلى أربعة مليجرامات أو أكثر في اليوم، وتكون النتيجة هي تراكم الحديد في الجسم، والذي يمكن التعرف عليه من خلال ارتفاع نسبة الحديد في البلازما وزيادة النسبة المئوية لتشبع الترانسفرين، وفي المرض المتقدم قد

تحتوي أنسجة الجسم على عشرين جراما من الحديد، هذا الحديد الزائد يترسب بصفة أساسية في الخلايا الحشوية في الكبد والبنكرياس والقلب. الحديد في الكبد والبنكرياس يزداد من ٥٠ إلى ١٠٠ ضعف. وفي القلب من ٥ إلى ٢٥ ضعفا وفي الطحال والكليتن والجلد إلى خمسة أضعاف.

هناك دراسات تشير إلى أن تعاطي الخمور يلعب دورا في زيادة مخزون الحديد في الجسم، كما أن وجود الحديد بكميات زائدة في الطعام والشراب قد يكون سببا في الإصابة بالسكر البرونزي، كما يقول الدكتور «كرت أيسلبيكر» تناول كميات زائدة من الحديد على مدى عدة سنوات قد يؤدي إلى الملامح الإكلينيكية والباثولوجية للهيموكروماتوزس، وهذا ما يحدث – على سبيل المثال – في تجمعات من زنوج البانتو في جنوب إفريقيا، حيث إنهم تعودوا على صناعة الخمور في أوان من الحديد، وبالتالي فهم يتناولون كميات زائدة من الحديد في هذه المشروبات الكحولية. هناك تقارير منفصلة عن هيموكروماتوزس أصاب أشخاصا أصحاء ظاهريا تعاطوا أدوية الحديد لعدة سنوات، لكن هؤلاء الأشخاص قد تكون لديهم الصفة الوراثية للإصابة بالسكر البرونزي. تعاطي الحديد عن طريق الحقن الوريدي في صورة نقل مستحضرات الحديد يؤدي وبصفة واضحة إلى زيادة حمل الحديد في خلايا معينة هي خلايا رتكليوإندوثليال وهذا الأمر يؤدي إلى قليل من التدمير للأنسجة مقارنة بما ينتج عن تحميل الحديد في الخلايا الحشوية (البرنشيمية) وهي الخلايا التي تؤدي الوظائف في أعضاء الجسم المختلفة.

أعراض وعلامات السكر البرونزي تشمل: اصطباغ الجلد، والإصابة بمرض البول السكري، واضطرابات الكبد والقلب، واعتلال المفاصل، وانخفاض نشاط المناسل الأعراض المبكرة تتمثل في: الضعف، والكسل، وفقدان الوزن، وألم بالبطن، وتغير لون الجلد، وفقدان الشهوة الجنسية، وأعراض ترتبط ببداية الإصابة بداء السكري. أما علامات المرض التي يلاحظها الطبيب فتتمثل في: تضخم الكبد واصطباغ الجلد، وشامات عنكبوتية، وتضخم الطحال، واعتلال المفاصل، واستسقاء البطن، واضطرابات إيقاع القلب، وهبوط القلب الاحتقاني، وفقدان الشعر، وضمور الخصيتين، ويرقان.

الكبد هو أول عضو يتأثر بالمرض، وتضخم الكبد قد يوجد على الرغم من عدم وجود أعراض للمرض، أو في وجود اختبارات وظائف الكبد الطبيعية، أكثر من ٥٠٪ من المرضى الذين تظهر عليهم أعراض المرض لديهم القليل أو لا شيء من الشواهد المعملية على وجود خلل في وظائف الكبد على الرغم من تضخمه وتليفه. سرطان الكبد يصيب ٣٠٪ من الحالات. أما اصطباغ الجلد فإنه يتواجد في ٩٠٪ من المرضى، هذا اللون الرمادي المعدني يعتقد أنه ينتج عن زيادة الميلانين أو الميلانين والحديد في أدمة الجلد، اصطباغ الجلد يكون منتشرا وعاما لكنه يكون أعمق في الوجه والعنق والمناطق التناسلية والنوب الموجودة في الجسم وظهر اليدين والساعدين، وأسفل الساقين.

حوالي ٦٥٪ من المرضى يصابون بداء السكري، وتكون هناك مقاومة أعلى للإنسولين، ومعدلات أعلى من ضمور الدهن الناتج عن الإنسولين. وحوالي ١٥٪ من المرضى يصابون بهبوط القلب الاحتقاني، القلب يتضخم مما يجعل هذه الحالات تتشابه مع حالات اعتلال عضلة القلب.

علاج المرض يهدف إلى إزالة الحديد الزائد من الجسم والعلاج التدعيمي للأعضاء التي لحق بها الضرر، يمكن التخلص من الحديد الزائد عن طريق التخلص من نصف ليتر من الدم مرة أو مرتين أسبوعيا، وعلى الرغم من حدوث انخفاض في حجم كرات الدم الحمر في بداية العلاج إلا أن الأنيميا تستقر بعد عدة أسابيع، ويجب الاستمرار على ذلك لمدة عامين إلى ثلاثة أعوام.

سبحان الله الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء بقدر، وأبدع كل شيء بنظام دقيق، لا دخل للإنسان فيه، وعندما يحدث خلل في هذا النظام الدقيق يشعر الإنسان بالنعم الكثيرة التي منحه الله إياها، والتي تستحق أن نقول دائما: الحمد لله.



إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي



أول من قدِّم على الوزراء في المراسم الحكومية

شيخ الأزهر الإمام عبدالحليم محمود

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

نشأته وتحصيله العلمي

■ ولد في إحدى قرى محافظة الشرقية تسمى «عزبة أبو أحمد» (نسبة إلى جده)، في ٢ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٢ مايو ١٩١٠م، لأسرة ثرية من أعيان الريف ينتهي نسبها إلى الإمام الحسين.. إنه الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبدالحليم محمود، رحمه الله.

■ سنه الصغيرة حالت دون التحاقه بالأزهر، رغم حفظه القرآن كاملا، فألحقه والده بالمدرسة الأولية إلى أن أصبحت سنه مناسبة، ثم بدأ الدراسة في (مسجد إبراهيم أغا) عام ١٩٢٣م.

أشياخه

■ في الأزهر تتلمذ الشيخ على يد كبار علمائه؛ كالشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد عبداللطيف دراز، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ مصطفى عبدالرازق.

الدكتوراه من «السوربون»

■ بعد حصوله على عالمية الأزهر قصد فرنسا لنيل الدكتوراه على نفقته الخاصة، فالتحق عام ١٩٣٢م بجامعة السوربون لدراسة تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع، وحصل على الليسانس فيها عام ١٩٣٧م.

■ لم يكن للحرب العالمية الثانية، التي اندلعت في السنة الثانية من إعداده لأطروحة الدكتوراه، أن تخيفه أو تقطع عليه طريقه، فاستكمل مسيرته

ونال الدكتوراه عام ١٩٤٠م بدرجة امتياز بمرتبة الشرف الأولى، وقررت «السوربون» طبع رسالته بالفرنسية.

حياته العملية.. ومناصبه

■ بعد الدكتوراه عاد إلى مصر وعمل مدرسا لعلم النفس في كلية اللغة العربية، ثم أستاذا للفلسفة في كلية أصول الدين (عام ١٩٥١م) ثم عميدا لها (١٩٦٣م).

■ في عام ١٩٦٤م اختير عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وفي ١٩٦٩م عين أمينا عاما للمجمع وأمينا لمؤتمر علماء المسلمين بدرجة وكيل وزارة، وفي ١٩٧٠م عين وكيلا للأزهر، وفي ١٩٧٢م اختير وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر.

مشيخة الأزهر

■ في ١٩٧٣م عين شيخا للأزهر، ثم حدثت بعض الظروف الإدارية التي دفعت الشيخ إلى تقديم استقالته، وأحدثت استقالته دويا هائلا في مصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي.

■ إزاء هذا الموقف الملتهب، تم تدارك أمر استقالته وصدر قرار جديد أعاد الأمور إلى نصابها، وجاء فيه: «شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر». كما تضمن القرار أن «يعامل شيخ الأزهر معاملة الوزير من حيث الراتب والمعاش، ويكون ترتيبه في الأسبقية قبل الوزراء مباشرة».

بعض رحلاته

■ سافر الشيخ إلى العراق لتنظيم وزارة الأوقاف والمؤسسات الدينية فيه، كما سافر إلى قطر لوضع قواعد بناء التعليم الديني فيها. وعمل الشيخ أستاذا زائرا في كل من: تونس، ليبيا، الفلبين، إندونيسيا، باكستان، السودان وماليزيا.

تراثه العلمي

■ مؤلفاته تربو على المئة؛ تأليفا وتحقيقا وترجمة، كان أولها قصة ترجمها عن الفرنسية، ثم تتابعت مؤلفاته الغزيرة ومن أشهرها: «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام»، و«فتاوى عن الشيوعية»، و«أوروبا والإسلام»، و«القرآن والنبي»، و«دلائل النبوة ومعجزات الرسول»، و«الحمد لله هذه حياتي» (سيرته الذاتية)، و«منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع»، و«التفكير الفلسفي في الإسلام» (من أهم المراجع التي تتناول علم الفلسفة بمنظور إسلامي، حيث يؤرخ فيه للفكر الفلسفي في الإسلام ويستعرض التيارات المذهبية المتعددة فيه ليبين أصالة الفلسفة الإسلامية، وسبقها الفلسفة الغربية في كثير من طرق التفكير).

■ كما ترجم لعشرات الأعلام مثل سفيان الثوري وأبي الحسن الشاذلي وأبي مدين الغوث.. وغيرهم. وحقق الكثير من أمهات الكتب مثل: «اللمع» لأبي نصر السراج الطوسي، و«المنقذ من الضلال» لحجة الإسلام الغزالي وغيرهما. وترجم العديد من الكتب في الفلسفة اليونانية والأخلاق مثل «الفلسفة اليونانية أصولها وتطورها»، و«الأخلاق في الفلسفة الحديثة».

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب «الإسلام ومقومات الحضارة» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ، يونيو ١٩٦٥م)، و«الرسول ﷺ وسنته الشريفة» (العدد ٢٣، ذو القعدة ١٣٨٦هـ، فبراير ١٩٦٧م)، و«الإسراء والمعراج» (العدد ٦٧، رجب ١٣٩٠هـ، سبتمبر ١٩٧٠م)، و«اقرأ باسم ربك» (العدد ٦٩، رمضان ١٣٩٠هـ، نوفمبر ١٩٧٠م)، و«نشر السنة واجب ديني وإصلاح خلقي واجتماعي» (العدد ٨٨، ربيع الآخر ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م)، و«الوحدة الإسلامية» (العدد ١٠٨، ذوالحجة ١٣٩٣هـ، ديسمبر ١٩٧٣م)، و«فقيه مصر الليث بن سعد (٣حلقات)» (الأعداد: «نشأته وحبه للعلم ١٤٥» محرم ١٣٩٧هـ، يناير ١٩٧٧م - «كرمه واتزانه ١٤٦» صفر ١٣٩٧هـ، فبراير ١٩٧٧م - «محدثا وفقيها ١٤٧» ربيع الأول ١٣٩٧هـ، مارس ١٩٧٧م).

وفاته

■ بعد عودته، رحمه الله، من الحج في عام ١٣٩٨هـ، أجرى عملية جراحية في القاهرة توفي على إثرها، وتلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاته بالأسى، وصلى عليه ألوف المسلمين الذين احتشدوا بالجامع الأزهر ليشيعوه إلى مثواه الأخير، تاركا تراثا فكريا ذاخرا ما زال يعاد نشره وطباعته.

المصادر والمراجع

١ - مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢ و٢٣ و٦٧ و٦٩ و١٠٨.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣ - دار الإفتاء المصرية: الإمام عبدالحليم محمود.

٤ - شيوخ الأزهر، تأليف: أشرف فوزي.

٥ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة «سندباد»



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة «سندباد» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي مجلة مصرية أسبوعية للأطفال، تصدر كل يوم خميس، وتعتبر أول مجلة أطفال عربية، صدر أول عدد منها في ٣ يناير سنة ١٩٥٢م، على يد مؤسسها ورئيس تحريرها الأديب محمد سعيد العريان، علما أن هذه المجلة كانت توزع في جميع الدول العربية، وكانت قصصها تصاغ بأسلوب أدبي راق ومشوق جدا.
كانت المجلة تحرص على نشر قصة عربية وقصة من الأدب العالمي المترجم، وكانت تظهر فيها العديد من القصص المسلسلة التي تنشر في عدد من الحلقات.

التعريف بصاحب المجلة (محمد سعيد العريان)

ولد في بلدة محلة حسن، محافظة الغربية في ٢ ديسمبر، سنة ١٩٠٥م، صباح أول يوم من عيد الفطر، وسمي «محمد سعيد» نسبة إلى عيد الفطر.
ترعرع محمد سعيد في بيت علم ودين، وتلقى عن أبيه دروسه الأولى، وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بالمعهد الأحمدي.
ومن حدة ذكائه نال الشهادة الثانوية بتفوق في ٧ ديسمبر، سنة ١٩٢٥م، والتحق بكلية دار العلوم، وتفوق على أقرانه وتخرج عام ١٩٣٠م، وكان أول دفعته، ورشح للبعثة الفهمية لدراسة الدكتوراه في لندن، لكنه لم يسافر لأن والدته طلبت منه ألا يتركها ويبعد عنها وهي في شيخوختها.

حياته العلمية

بدأ محمد سعيد حياته العملية بعد تخرجه في دار العلوم عام ١٩٣٠م بالعمل مدرسا في المرحلة الابتدائية، ثم انتقل إلى عدة مدارس إلى أن نقل إلى وزارة المعارف بمراقبة الثقافة العامة عام ١٩٤٢م، وفي عام ١٩٤٤م تسلم رئاسة مكتب الصحافة في الوزارة، وبعد فصله من عمله مدة من الزمن عاد إلى عمله عام ١٩٤٦م مديرا للمكتب الفني لوزير المعارف محمد حسن العشماوي. ولما تولى طه حسين وزارة المعارف عام ١٩٥٠م أبقاه معه في الوظيفة نفسها. ثم عين محمد سعيد العريان مديرا لإدارة الشؤون العامة في وزارة التربية والتعليم، وفي عام ١٩٦١م انتدب ليكون وكيلا لوزارة شؤون الأزهر. ثم استقال من الوزارة في آخر عام ١٩٦١م.
سعى لإنشاء نقابة المعلمين في مصر وظل سكرتيرا عاما لها، منذ أنشئت حتى وفاته، كما تولى أيضا منصب السكرتير العام لمؤتمر المعلمين العرب حتى وفاته في ١٣ يونيو، سنة ١٩٦٤م.

محتوى المجلة

بطل المجلة سندباد؛ الطفل الأسطورة المستوحى من قصص «ألف ليلة وليلة»، حاملا عصاه وصرته ومنظاره الصغير وخلفه «نمرود» (كلبه الذي يرافقه في رحلاته)، باحثا عن أبيه «شاه بندر» التاجر المفقود.
كان رسامها الوحيد تقريبا من الغلاف إلى الغلاف هو الفنان حسين بيكار، وشارك معه أحيانا زهدي، وكمال الملاخ، وموريللي، وكامل مصطفى. تطورت المجلة وظهرت فيها شخصيات أكثر مع مرور السنوات حتى آخر عدد، الذي صدر في ٧ يوليو، سنة: ١٩٦٠م.

الموضوعات الرئيسية في المجلة

رحلات سندباد: قصة كتابية طويلة مسلسلة.
معرض سندباد: صفحة فيها أعمال يدوية تصنعها بنفسك في البيت.
مكتبة سندباد: صفحة كتابية متنوعة قد تكون قصة من ألف ليلة وليلة، أو مواضيع علمية.
من قصص الشعوب: قصة مكتوبة من إحدى دول العالم.
كان يا مكان: قصة كتابية طويلة مسلسلة.
تعال نلعب: صفحة ألغاز ومسابقات.
بريد من جميع البلاد.

الآثار العلمية لصاحب المجلة

لقد برع محمد سعيد في كتابة القصص؛ الطويلة منها والقصيرة، كما كانت له تحقيقات كثيرة لكتب تراثية أو كتب حديثة، ونذكر بعض مؤلفاته: قطر الندى، على باب زويلة، شجرة الدر، بنت قسطنطين.. هذا في بعض قصصه التاريخية المطولة، أما من تحقيقاته لكتب التراث فنذكر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه، «الأمصار والعمران» لابن خلدون، «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» للمراكشي.. وله عدة مؤلفات أخرى لم نذكرها، خاصة مؤلفات صديقه مصطفى صادق الرافعي.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة - للأسف - غير كاملة من هذه المجلة القصصية الماتعة، التي تتكون من ٤ مجلدات، تحوي بين طياتها ٥٢ عددا، وهي في متناول أطفالنا الأعزاء ومحبي القصص والمغامرات.

المصادر

مجلة «سندباد».
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

من آداب المجالسة

قال العلامة ابن عبدالبر القرطبي رحمه الله: «قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مما يصفي لك ود أخيك: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس». وقال أبو أيوب الأنصاري: من أراد أن يكثر علمه فليجالس غير عشيرته».

(انظر: أدب المجالسة وحمد اللسان للقرطبي، ص:٢٩)



إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

المقامة والقصة

يقول العلامة الدكتور شوقي ضيف رحمه الله: «ليست المقامة قصة، وإنما هي حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة، فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط، وأما هي في حقيقتها؛ فحيلة يطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة... فلم يتجهوا بالمقامة إلى وصف حوادث النفس وحركاتها، ولا إلى الإفساح للعقل كي يعبر عن العواطف ويحللها، وإنما اتجهوا بها إلى ناحية لفظية صرفة».

(انظر: المقامة للدكتور شوقي ضيف، ص:٩-١٠)

صفات المتقين

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «رحم الله امرأ أقبل على شأنه، وقصر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمن النظر في الصحيحين، وعبد الله قبل أن يبغته الأجل».

(انظر: تذكرة الحفاظ، ٨٦/٢)

التقصير والغفلة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لابد للسالك من تقصير وغفلة، فيستغفر الله ويتوب إليه، فإن العبد لو اجتهد مهما اجتهد لا يستطيع أن يقوم لله بالحق الذي أوجبه عليه، فما يسعه إلا الاستغفار والتوبة عقيب كل طاعة».

(انظر: مجموع الفتاوى، ٥٨٠/١٠)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

اكتب أحسن ما تسمع

أوصى الخليفة المأمون، رحمه الله، بعض بنيه قائلا: «اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدث بأحسن ما تحفظ».

(انظر: كيفية تدوين العلم للسندي، ص:٢٤)

من أخلاق العالم مع السائل

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «ولا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله، ولا يزجره فيضع من قدره، ولكن يبسطه في المسألة ليجبره فيها، قد علم بغيته عما يعنيه، ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه. يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة. يسكت عن الجاهل حلما، وينشر الحكمة نصحا، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥)

أربعة خلفاء

قال رجل: «رأيت كأن عبدالملك بن مروان يبول في قبلة مسجد النبي ﷺ أربع مرار؛ فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب، فقال: إن صدقت رؤياك؛ قام فيه من صلبه أربعة خلفاء».

(انظر: السير للذهبي، ٤/٢٣٦)

الحكمة والعفة والشجاعة

قال العلامة أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه رحمه الله: «والذي يجب علينا الآن هو تحديد هذه الأشياء التي تحتوي على جمل الفضائل فنقول: أما الحكمة: فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة، وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة، ويثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يغفل. وأما العفة: فهي فضيلة الحس الشهواني؛ وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي؛ أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته. وأما الشجاعة: فهي فضيلة النفس الغضبية؛ وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجبه الرأي في الأمور الهائلة؛ أعني ألا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا».

(انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص:٢٥)



د. مراد النشاط
دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية
المغرب

الاستثمار في الإسلام (٣-٣)

دعا الإسلام إلى استثمار المال وتنميته وحث على ذلك بمجموعة من الطرق والأشكال، ومن المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام الاقتصادي في الإسلام مبدأ إعمار الأرض الذي هو عامل أساس في توجيه النشاط الاقتصادي للفرد في المجتمع المسلم؛ من جهة العمل على استثمار طيباتها وتنميتها[١].

وللاستثمار في الاقتصاد الإسلامي دوافع مباشرة وغير مباشرة ويندرج ضمن الدوافع غير المباشرة تحذير الإسلام ونهيه عن مجموعة من السبل التي تعيق الاستثمار، وتحد من العمليات الاستثمارية، كتحريمه الربا الذي يعود أصحابه على الكسل والخمول، بدلا من البحث عن وجوه تنمية المال المشروعة والاستفادة منها. وكذلك نهيه عن الاكتناز الذي يقوم على أساس تعطيل الأموال عن الاستثمار، ويحجبها عن الدوران في الأسواق والأنشطة التجارية، ويقلص حجم تداولها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة:٣٤). كما حرم كل ما من شأنه أن يفضي إلى الاكتناز، ويتسبب في حصوله كالبخل والشح، يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران:١٨٠).

دوافع مباشرة

وأما الدوافع التي يمكن اعتبارها محفزة بشكل مباشر للاستثمار في الاقتصاد الإسلامي فكثيرة، منها ما يشارك في اعتمادها الاقتصاد الإسلامي الاقتصاد الوضعي، وأهم أمثلة هذا القسم الأول:

١. الربح: وذلك أن المستثمر[٢] يسعى من خلال تصرفاته وسلوكه الاستثماري إلى تحقيق نسبة من الأرباح تكفل له حفظ رأس ماله وتنميته، متوخيا في ذلك أحسن السبل وأقومها مادامت موافقة لأحكام الشريعة ومضامينها، وراجيا من ذلك كله خيري الدنيا والآخرة. وإذا كان الفكر الاقتصادي الوضعي يعتبر الربح المحفز للاستثمار هو الربح المادي، بمعنى أنه حال غيابه لا يوجد هناك استثمار؛ فإن الفكر الاقتصادي الإسلامي يرى أن الربح المحفز للاستثمار هو الربح المادي في الحياة الدنيا، والربح المعنوي في الحياة الآخرة، الأمر الذي يعني أن الإسلام يعطي للربح مفهوما أرحب وأوسع مما عليه في الاقتصاد الوضعي[٣].

٢. الإعفاءات والتخفيضات الضريبية: لقد أدرك علماء الاقتصاد الوضعي على اختلاف طبقاتهم، وتباين توجهاتهم أهمية هذا العامل في تحفيز المستثمر على القيام باستثمار أمواله، باعتبار أن الضرائب المرتفعة على الأرباح والدخل تعيق التقدم الاقتصادي، إلا أن ذلك لم يكن بجديد على علماء الإسلام الذين أدركوا هذه الحقيقة قبل هؤلاء بأزمان وقرون. فهذا العلامة المؤرخ ابن خلدون يقول: «واعلم أن السلطان لا يثمر ماله ولا يدر موجوده إلا الجباية، وإدرارها إنما يكون بالعدل في أهل الأموال والنظر لهم بذلك. فبذلك تنبسط آمالهم وتنشرح صدورهم للأخذ في تثمير الأموال وتنميتها»[٤]. ويقول أيضا: «وإذا قلت الوزائع والوظائف، يعني الضرائب والرسوم، على الرعايا؛ نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتمار، ويتزايد لحصول الاغتباط بقلة المغرم، وإذا كثر الاعتمار؛ كثرت أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية»[٥]. يريد أن انخفاض حجم الضريبة يؤدي إلى حفز الروح الاقتصادية وتعضيد حركة الإنتاج، وهذا بدوره يخلق للدولة أنواعا جديدة من الضرائب لم تكن معروفة سابقا، تكون أساسا لمصادر إضافية جديدة لخزانة الدولة، وبذلك ينصلح أمر الناس، ويرتفع مستوى معيشتهم[٦].

٣. التسهيلات الائتمانية: وهي الإجراءات المالية التي ترافق العمليات

ذات العلاقة بالنشاط الاقتصادي لتسهيل القيام به؛ سواء عن طريق تقديم المال اللازم، أو ضمان سداد القروض، أو تأجيله...إلخ. وهذه التسهيلات كسابقاتها أمر معترف به في كل النظم الاقتصادية لما لها من صلة وثيقة بتنشيط مختلف الفعاليات الاقتصادية.

لكن على الرغم مما قدمه الفكر الاقتصادي الوضعي من أشكال مختلفة ومتعددة من التسهيلات الائتمانية، فإنه لم يرق إلى مستوى ما قدمه الاقتصاد الإسلامي. فالإسلام إذ أوجب سداد الدين عن المدين العاجز من بيت مال المسلمين، فإنه بهذا العمل لم يلحق به في ركبه هذا تشريع آخر. وفيما يتعلق بتأجيل السداد، فالفرق واضح بين الفكر الاقتصادي الإسلامي الذي دعا الدائن إلى إنظار المعسر لوقت الاستطاعة دون مقابل (فائدة)، وبين الفكر الاقتصادي الوضعي الذي جعل للزمن قيمة مالية تلزم المدين إذا تأخر عن سداد الدين في الأجل المحدد. بل إن النظام الإسلامي استحب للموسر أن يتنازل عن كامل دينه إن استطاع ذلك واعدا إياه بالخير الكثير والجزاء الوفير، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٨٠). وفي الحديث: «من أنظر معسرا، أو وضع له، أظله الله في ظله»[٧]، وأيضا قال النبي ﷺ: «كان الرجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه»[٨]. فهل هذه الدرجة من التنازل عن كامل الدين دارت في خلد رواد الفكر الاقتصادي الوضعي؟![٩].

نظام الزكاة

إضافة إلى ما سبق من دوافع للاستثمار، هناك دوافع أخرى مباشرة انفرد بها نظام الاقتصاد الإسلامي، واعتمدها دون غيره، ولعل أبرز أمثلة هذا القسم الثاني وأقواها نظام الزكاة؛ إذ إن الزكاة تدفع الأغنياء الذين بلغت أموالهم النصاب إلى استثمارها وتنميتها، حتى يتسنى لهم اقتطاع حصتها من الربح بدلا من رأس المال نفسه.

وقد وردت في هذا الشأن مجموعة من الأحاديث والآثار موضحة أهمية الزكاة، ودالة على أنها عامل مشجع على الاستثمار، ومحفز كبير عليه، ومن ذلك قوله ﷺ: «ألا من ولي يتيما له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»[١٠]. وروى الإمام مالك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: «اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»[١١]. كذلك أورد أيضا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت «تعطي أموال اليتامى الذين في حجرها، من يتجر لهم فيها»[١٢].

فإذا كان قول النبي ﷺ، ولازم فعل السلف الصالح يدل على ضرورة استثمار الأوصياء لأموال اليتامى، حتى لا تأكلها الزكاة، فمن باب أولى أن يكون الإنسان مطالبا باستثمار أمواله، وتنميتها قبل أموال غيره، باعتبار أنه أحرص على نمائها، وأخوف من غيره على ضياعها. أيضا، فإن لإنفاق حصيلة الزكاة آثار اقتصادية هامة على الإنتاج والاستثمار، حيث إن مستحقي الزكاة غالبا ما سينفقونها لقضاء حاجاتهم الاستهلاكية، وهذا من شأنه أن يرفع من حجم الاستهلاك[١٣]، إذ من المعلوم اقتصاديا أن زيادة الاستهلاك تؤدي إلى زيادة الإنتاج وتفتح أبوابا جديدة للاستثمار. ومن الأشكال التنموية للزكاة؛ إنفاقها على الغارمين لسداد ديونهم، ما يبث لدى المقرضين الشعور بالاطمئنان على أموالهم حال عجز المدين عن سداد ديونه[١٤].

ولعل هذه الأشكال التنموية وغيرها للزكاة هو بعض ما تشير إليه آيات القرآن الكريم في بيانها بعض ثمرات إخراج الزكاة والإنفاق في سبيل الله وعواقب الامتناع عن ذلك، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٨).

وهكذا يتضح أن حوافز الاستثمار ودوافعه التي يقدمها الفكر الاقتصادي الإسلامي أكثر عددا، وأقوى أثرا وفعالية مما عليه الحال في الفكر الاقتصادي الوضعي.

الهوامش

١. «الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي» د. أميرة عبداللطيف مشهور، تقديم الشيخ محمد الغزالي، ص:٥٣.
٢. والحديث هنا طبعا عن المستثمر المسلم الملتزم بشرع ربه.
٣. انظر: «حوافز الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي: مفهومها»، حسين بني هاني، ص: ١٠٠.
٤. «مقدمة ابن خلدون»، عبدالرحمن بن خلدون، تحقيق د. حامد أحمد الطاهر، ص:٣٤٧.
٥. المرجع السابق، ص:٣٤٣.
٦. «حوافز الاستثمار...»، مرجع سابق، ص:١٦٨.
٧. «صحيح مسلم»: كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، حديث رقم:٣٠٠٦.
٨. «صحيح البخاري»: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح:٣٤٨٠.
٩. «حوافز الاستثمار في النظام الاقتصادي الإسلامي»، مرجع سابق، ص:١٨٩-٢١٢-٢١٣.
١٠. رواه الترمذي: كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة مال اليتيم، ح:٦٤١. وقال بعده: «وإنما روي هذا الحديث من هذا الوجه وفي إسناده مقال». «سنن الترمذي» (٢٣/٣).
١١. الموطأ، كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها، رقم:١٢. وانظر كذلك «كتاب الأموال» لأبي عبيد، ص:٤٥٤.
١٢. الموطأ، كتاب الزكاة، باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها، رقم:١٤. وانظر أيضا: «كتاب الأموال» لأبي عبيد، ص:٤٥٦.
١٣. «التحليل الاقتصادي الإسلامي الدخل والنقد ومعدل الربح والاستخدام»، ضياء مجيد، ص:٢٦.
١٤. انظر: «بحوث في الاقتصاد الإسلامي»، د. عوف محمود الكفراوي، ص:١٩٩-٢٠٠.

بريد القراء

إعداد: التحرير



رسائل الأمل

عالج نفسك بالعطاء
يسيطر الشيطان كثيراً على النفوس المريضة، فيجعلها بحاجة دائمة للأخذ، أخذ كل شيء تريده، مال، وجاه، وعيال، ونساء، وصحة، ونعيم، وراحة بال.. شره شديد للدنيا وتعلق بها.

فإذا لم يستطع الإنسان تحقيق هذه الرغبة في الأخذ والامتلاك؛ عمه الحزن، وإذا حازها ثم فقدها عمه الحزن أيضاً، وبذلك ينجح الشيطان في جعل الإنسان أسيراً للدنيا، يجري عمره يلهث وراء سراب، فيكون كالقافلة التي خرجت تطلب الغد؛ فتاهت في رمال الصحراء.

والرغبة في الأخذ والامتلاك والتهافت على الدنيا، والبكاء عليها من أهم الأسباب المؤدية للحزن والاكتئاب..

لكن، هل جربت يوماً العطاء، ونسيت نفسك ولو للحظات قليلة؟ أعتقد أنك لو فعلت لشعرت بمعنى السعادة الحقيقية، فانشغال الإنسان بنفسه هم كبير، فجرب معي ألا تنشغل بالأخذ ولكن بالعطاء، وتخلص من الطاقة السلبية المسيطرة عليك بسبب حبك للدنيا، واستفد من الطاقة الإيجابية المتولدة من الرغبة في العطاء ومساعدة الآخرين، فمن اليوم لن تكون أنانياً، بل سوف تسخر نفسك لخدمة دينك، وتبحث لك عن وظيفة تخدم بها دينك وأمتك، فسبل العطاء كثيرة، وتذكر دائماً قول الملك ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (الليل:٥-٧).

محمد علي عبدالرحمن



واحة الإيمان

تطرب نفسي عندما أرى مصليا متواضعاً على شاطئ ترعة في الريف المصري، وأشعر بنوع من الشجن العذب عندما أرى فلاحاً يصلي بزي العمل في هذا المصلى، ويضع جبهته على قش الأرز المفروش في هذا المصلى بكل خشوع، أشعر بأن هناك حالة من التناغم والانسجام في هذا المشهد، الماء الذي ينساب في الترعة، والحقول يكسوها القمح بلون الذهب، أو أعواد الذرة اللفاء بلون السندس، وحواشي الترع والجداول، وحواف الطرق، حافلة بالخضرة المبهجة، والأشجار وارفة الظلال، كلها تشهد بعظمة الخالق جل شأنه، وتهتف باسمه، وهذا الفلاح المصري على الرغم من مشقة العمل، وكثرة المشاغل لم ينس حق الله، قام في مصلاه منسجماً مع كل ما حوله، يسبح ويعظم ويمجد الخالق -جل شأنه- لم يجد هذا الفلاح المؤمن راحته، وطمأنينة نفسه إلا في طاعة الله، إنها نعمة عظيمة لا يستمتع بها إلا من ذاق حلاوة الإيمان.

د. يحيى محمود سنبل

تنويه

سقط سهوا اسم الكاتب المحترم حسن أبو الخير، فلم يذكر على رأس موضوع «تحقيق النصوص عند قدماء المسلمين»، وتم بالخطأ ذكر اسم الباحث الموقر محمود عبدالفتاح العيسوي بدلا منه.

والمجلة إذ تعرب عن احترامها الكامل للكاتبين، تؤكد على تدارك الخطأ مستقبلا، مع خالص الشكر للأستاذ العيسوي على رسالته التي نبهت إلى هذا اللبس غير المقصود.

التحرير

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





جهود دولة الكويت في مواجهة التطرف

قد يتساءل قراء هذه المجلة الغراء في بقاع المعمورة بلسان حالهم: ما دور دولة الكويت، التي تصدر مجلة «الوعي الإسلامي» إلى العالم، في مواجهة التطرف والغلو؟

لقد قطعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على نفسها عهدا أن تتبنى المنهج الوسطي المعتدل، الذي هو سمة هذا الدين، وأنشأت لذلك مركزا كبيرا يتبعها (اللجنة العليا لتعزيز الوسطية)، يتبنى الفكر الوسطي وينشره في سائر طبقات المجتمع؛ مع النشء في المدارس وطلاب الجامعات وطلاب العلم الشرعي بكلية الشريعة والمعاهد التطبيقية، حتى مع الأئمة والخطباء العاملين في المساجد لحثهم وتوجيههم للدعوة إلى الاعتدال ونبذ العنف والتطرف، وذلك من خلال الدورات التدريبية والورش العلمية والفكرية والمهارية المتنوعة لتنمية أفكارهم وتطوير قدراتهم على مستوى جميع إدارات المساجد.

هذه الجهود يتابعها عن كثب وكيل الوزارة المهندس فريد عمادي، الأمين العام للجنة العليا لتعزيز الوسطية، وكذلك الوكيل المساعد لشؤون المساجد داود العسعوسي.

كذلك تعالج القضايا الفكرية التي تمس التطرف عن طريق إذاعة القرآن الكريم، والمواقع الإلكترونية، ومن خلال المحاضرات التي تقام في المساجد والمدارس، بل في الأسواق الكبرى والمؤسسات الإصلاحية، وذلك لتحصين المجتمع ووقايته من الغلو والتطرف وإرساء قواعد الوسطية، ورصد ومتابعة الحركة الفكرية في دولة الكويت وتقويم مسارها والحفاظ على سيرها في إطارها الصحيح.

وليعلم القراء الكرام أن مجلة «الوعي الإسلامي»، التي بين أيديهم هي صرح فكري مشيد تواجه التطرف وقضاياه الشائكة بالحكمة والموعظة الحسنة والمنطق السديد، وتعمل جاهدة على بيان حقيقة الإسلام الوسطي، وتنأى به عن التطرف والعنف والغلو، وإنها لتساهم بحظ وافر في نشر الفكر المعتدل، وفتح الباب للمراجعة والحوار مع الفكر المتطرف، تلك هي رسالة المجلة التي استمدتها من رسالة الإسلام.

د. مجدي محمد حسن



كيف يتعامل الأطفال مع الأجهزة الإلكترونية

زاد وجود الأجهزة الإلكترونية أخيرا بشكل خطير، أثار خوفنا من هذه التكنولوجيا على أبنائنا. إذن، كيف تتعامل الأسر مع الكمبيوتر والهواتف ووسائل التواصل الاجتماعي التي ينجذب الأطفال والمراهقون إليها؟

علينا في البداية أن نحدد سنا معينة للأطفال الذين يتعاملون مع التكنولوجيا، أي ليس قبل اثني عشر عاما، وبعدها يجب أن نحدد الوقت الذي نعطيه للطفل حق اللعب على هذه الأجهزة، وساعة واحدة قد تكون كافية في مثل هذه السن.

أما بالنسبة إلى الأمهات والآباء فعليهم تعليم الأطفال كيف يستغلون هذه الأجهزة بشكل غير مباشر، بمعنى أن يكونوا قدوة لهم، فلا يتم استخدام هذه الأجهزة إلا للضرورة، مثل معرفة الأخبار والتواصل مع الأصدقاء والقراءة. وأقترح على الآباء قراءة قصص وكتب ومجلات متخصصة للأطفال من خلال هذه الأجهزة ليتعلم الأطفال استخدامها بشكل صحيح.

• آلاء سيد إبراهيم

مسك الختام

التوازن في الخطاب القرآني

يلفت نظري دائما هذا التوازن العجيب في الخطاب القرآني، فكل سورة من سور القرآن الكريم، بل كل بضعة أسطر، أشعر بأنها سبيكة من المعادن النفيسة، العقيدة والعبادة والشريعة والمعاملات يحفل بها النص القرآني، والقرآن الكريم ينتقل بك من أمور الآخرة إلى أدق تفاصيل الحياة بكل سلاسة، وينتقل بك من الحديث عن العبادات إلى لفت الأنظار إلى عظمة الخلق والتكوين في السموات والأرض بكل عذوبة، وأشعر دائما بجمال الأسلوب القرآني وبلاغته وحسن نظمه مهما كان الموضوع الذي يتناوله، ففي أمور التشريعات تجد الأسلوب القرآني محتفظا بعذوبته وقوته، وهذا أمر يعجز عنه البشر، مهما كانت فصاحتهم وبلاغتهم، لا يستطيع شاعر أو أديب صياغة القوانين والتشريعات بهذا الأسلوب الذي جاء به القرآن الكريم.

وهذا التوازن الموجود في خطاب القرآن الكريم يوجب على الدعاة أن يلتزموا بمثل هذا التوازن في خطابهم الديني، فالداعية يجب ألا يقتصر حديثه على موضوعات معينة، فالموت وتخويف الناس منه، وأمور الآخرة، ليست هي كل ما في الدين، والعبادات وحدها لا تمثل الإسلام كله، فيجب على الداعية أن يشمل حديثه العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، ولفت الأنظار إلى إبداع الخالق في الأنفس والآفاق، وكل ما ورد في القرآن الكريم يجب أن يلفت الداعية أنظار الناس إليه، لا فرق بين آية وآية.

ولنأخذ مثالا على هذا التوازن في الخطاب القرآني، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ (الطارق:١-٧). هذه سبيكة من المعادن النفيسة ينتقل فيها الحديث من عالم الأفلاك إلى عالم الغيب إلى علم الطب، بكل عذوبة وسلاسة، ودون أن تشعر بأن هناك تنقلا بين موضوعات مختلفة، فالموضوع واحد، لأن الخالق واحد، والمبدع واحد، وصاحب هذا الكتاب هو الواحد الذي لا شريك له.

د. يحيى محمود سنبل
كاتب وباحث

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw





مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

كويت



فلاشات وطنية تلفزيونية

أمير المكارم .. صباح العز

الفكرة والإشراف العام صلاح أبا الخيل

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...





+965 922 54 54 5

RedAwqaf



العدد ٦٤٤ -السنة ٥٦ - ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ - ديسمبر - ٢٠١٨ م



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

العدد (٦٤٥) جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ - يناير - ٢٠١٩ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

هدية العدد: معلقة الأوقاف الطبية

مَنهجُ الإسلام في تنميَة المواهِب

- التَّربيَة الأخلاقيّة للطفل
- الآثار الإسلامِيَّة في المجر
- حَدِيقةُ الشَّهيد الكويتيَّة





موقع مجلة الوعي الإسلامي


alwaeiq8@gmail.com


www.alwaei.gov.kw


مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا

مُعلَّقةٌ ضمنَ سلْسلة مُعلَّقات مجلَّةُ الوعي الإسلامي، اعتنت بجانب مُهمٍّ من جوانب الوقف الإسلامي العريق، وهو: (الوقف الطِّبي)، وركَّز الأستاذ الدكتور إسماعيل غاري مرحبا، فيها على بيان الأوقاف عبر التَّاريخ الإسلامي، وآثارها المجتمعيَّة، وآفاقها التَّنمويَّة؛ لتشكِّل لَبِنةً جديدة ضمن سلسلة معلَّقات مجلَّة الوعي الإسلامي.



فهد محمّد الخزي
رئيس التحرير

الهمم.. طريق القمم

لا ريب أن الموهبة نعمة من نعم الله، يختص بها من يشاء من عباده، تغذيها البيئة الصالحة التي تعنى بصقلها وتوجيهها؛ إذ قد يحظى بعض الناس بنعمة الموهبة التي لا يمتلكها أحد من أهلهم وأقرانهم؛ فينبغي للمسلم أن يشكر خالقه على ما أنعم عليه وتكرم.

ومن ينظر بعين الدقة والإنصاف إلى تاريخنا المجيد؛ يرَ بوضوح أن أعظم الحضارات التي تعددت بها المواهب هي الحضارة الإسلامية، حيث اقتدت هذه الأمة بنبيها ﷺ، وسلكت طريق العمل الذي قادها إلى أعالي القمم، وترفعت بعلمها عن السفاسف واللمم.

لقد استخرج نبينا المعلم مكنونات هذه المواهب التي ظهرت مع بزوغ فجر الدعوة الإسلامية، واعتنى بها عناية خاصة، وشجع أصحابها، وقدمهم وأبرزهم كل على قدر طاقته وميوله، وهيأ لهم أسباب التميز والنبوغ؛ فوجدوا في ظل الإسلام دولة تعتني بمواهبهم وتوفر الأرض الخصبة لإبداعهم.

وفي موقف عظيم يفصح نبينا ﷺ عن مواهب أكرم الله بها ثلة من أصحابه، فقد صح عند (الترمذي برقم:٣٧٩٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبي، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»، وعليه: كثيرا ما يردد علماء التربية: «لولا إبراز النبي ﷺ للمواهب؛ لما ظهر صدق الصديق ورحمته، ولا عدل الفاروق وشدته في الحق، ولا حياء عثمان، ولا علم زيد بالفرائض، ولا أمانة أبي عبيدة بن الجراح، ولا شجاعة خالد بن الوليد وحنكته في القيادة، وغيرهم... وما كان ليظهر هذا الجيل المتفرد إلا برعاية تفجر الطاقات، وتعلو بالهمم».

كما شملت عنايته ﷺ الأطفال؛ فكان حريصا على تنمية مهاراتهم وتشجيعهم، فاكتشف بحنكة المربي الملهم؛ قوة أسامة بن زيد، وشجاعة علي بن أبي طالب، وحفظ زيد بن ثابت؛ فحملهم المسؤوليات الجسيمة فكلف الأول بقيادة جيش فيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكلف الثاني بالنوم في فراشه ورد الأمانات إلى أهلها، واختار للثالث تعلم لغة العدو؛ وذلك بغية تعليمهم تحمل المسؤوليات الثقال، وإتاحة الفرصة لهم للمشاركة في المجتمع؛ ليشعروا بقيمتهم وذاتهم.

ومهما حاول المرء الإشادة بالموهوبين وقدراتهم فإنه سيقف مذهولا أمام عظم ألفاظ النص القرآني عندما أثنى على أصحاب المواهب من ذوي القدرات العالية، وقد جاء ذلك على لسان ابنة شعيب لأبيها واصفة نبي الله موسى عليه السلام بالقوة والأمانة: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦).

وختاما؛ من خلال هذه المواقف النبيلة، يتحتم على المجتمع المسلم أن يبحث عن هذه المواهب ويكتشفها، ويمدحها وينميها، ثم يمكنها ويصطفيها، ويهيئ لها فرص الإبداع، وهذه مسؤولية جسيمة تقع على عاتق مؤسسات المجتمع كافة (البيت والمدرسة والمسجد والجامعة والحكومات)؛ فبهؤلاء تزدهر المجتمعات، وتعلو راية الإسلام.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٤ / جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
يناير ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



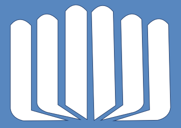
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الاعلامية العالمية للنشر والتوزيع والاعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



المحتويات



كلمة العدد

رعاية الموهوبين سُنَّة نبوية

خلق الله عزوجل الإنسان وأودع فيه قدرات تميزه على غيره من المخلوقات، وجعل اختلاف الناس فيما بينهم آية يدركها العالمون، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢).

وكان من هدي النبي ﷺ أن يكتشف مواهب الصحابة رضوان الله عليهم ويحوطهم بالرعاية والعناية ويحسن توظيف قدراتهم كل فيما يحسنه، فاختار زيد بن ثابت لتعلم لغة اليهود؛ لما رأى فيه من نبوغ وعلامات ذكاء مبكر، فتعلمها زيد في أربعة عشر يوما، وأشاد ﷺ بحسن تلاوة عبدالله ابن مسعود فقال: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»، فكان عبدالله ابن مسعود أحد أربعة ورّثوا القرآن للأمة، وقال ﷺ لأبي موسى الأشعري: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»، وكان ابن عباس مثالا فذا في قدراته العلمية فنماها له النبي ﷺ بالتوجيه والدعاء، فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، فكان ترجمان القرآن، وإمام المفسرين.

و«الوعي الإسلامي» تخصص ملف هذا العدد لهذه السُّنة الشريفة اقتداء بالنبي ﷺ وإسهاما في بناء عقول أبناء الأمة وقدراتهم.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عبد الرحمن بلحساوية
ماجستير الدراسات الإسلامية
المغرب

أخلاقية العقيدة في القرآن الكريم

إن هذا العنوان -بداية- يحيلنا إلى قضية مهمة، وهي قضية العلاقة بين الدين والأخلاق، والتي هي محل خلاف في الأنظار، وعموما يتنازعها موقفان؛ الانفصال والاتصال، ولبيانهما أضرب المثالين التاليين:

أما الموقف الأول، فأمثل له بدائرتين منفصلتين؛ دائرة للدين ودائرة للأخلاق، هاتان الدائرتان قد تتطابقان في شخص فيكون متدينا متخلقا، ويكون بهذا بالغا مرتبة الكمال البشري، وقد تتقاطعان في شخص فتكون مرتبته من الكمال بحسب مساحة التقاطع، وقد ينفرد الشخص بواحدة منهما فيكون إما متدينا لا أخلاق له، وإما متخلقا لا دين له، وقد يخلو الشخص منهما معا فيكون لا متدينا ولا متخلقا. وهذه علاقة التباين.

وأما الموقف الثاني، فأمثل له بدائرة واحدة تحوي دوائر عدة؛ دائرة للدين تحوي دوائر العقيدة والأخلاق والشريعة وغيرها، بحيث تكون هذه العناصر - على اختلاف مراتب أهميتها بالنسبة للدين- مكونة لبنية الدين، ويكون تحصيل الكمال مرتبطا بجمعها والتحقق بها، ويكون الآخذ بشيء منها آخذا بشيء من الدين حتى ولو أنكر أصل الدين. وهذه علاقة العموم والخصوص أو التداخل.

كان هذا بشأن الأديان عامة، أما بخصوص الإسلام، فإن الأمر يبدو مختلفا، ولو شئت أن أمثل للعلاقة بين دين الإسلام والأخلاق كما فعلت مع سابق الموقفين، لما وضعت سوى دائرة واحدة يتطابق فيها دين الإسلام والأخلاق، لماذا؟

أولا؛ لأن المقصود من إطلاق الأخلاق في هذا المقام هو أنها: «جميع ما يصدر عن الإنسان من التصرفات الظاهرة والباطنة وبواعثها، تجاه أي كان». ومن هنا كان كل فعل إرادي للإنسان خلقا، فإذا كانت الابتسامة والعطاء وتبادل العون وغيره، تعكس علاقة أخلاقية بين الإنسان وأخيه الإنسان قوامها أخلاق الرحمة والشفقة وحب الخير للغير ونحو ذلك، فإن الصلاة لرب العالمين ممارسة أخلاقية تظهر أخلاق السمع والطاعة والتسليم والخضوع التي تطبع العلاقة الأخلاقية بين العبد وسيده تعالى، كما أن الاستنزاف الفاحش لموارد الطبيعة وتلويثها وما شاكل ذلك، يبرز علاقة أخلاقية منحرفة بين الإنسان وبيئته، تحكمها أخلاق الطمع والجشع والهيمنة وحب السيطرة وعدم احترام مبادئ التسخير والاستخلاف والإعمار. وقس على ذلك.

ومن ثم كان «دين الإسلام أخلاقه كله»[1]، وكان «التدين به ليس إلا التخلق بما ينبغي للإنسان من أسماء الله الحسنى»[2].

وبيان ذلك؛ أن الأخلاق هي نظام القرآن كله، أي النسق الجامع للقرآن الكريم، يقول توشيهيكو إيزوتسو رحمه الله: «هناك ثلاثة أصناف من الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم؛ صنف يشير إلى الأخلاق الإلهية ويصفها، وصنف يشير إلى الجوانب المختلفة لموقف الإنسان من الله تعالى خالقه، ولا يخفى الجانب العقدي هنا، وصنف يشير إلى مبادئ السلوك وقواعده التي تنظم العلاقات بين بني البشر. وهذه الأصناف لا يقف بعضها في أي حال بعيدا عن الآخر، بل هي شديدة الترابط»[3].

ولابد أن أشير في هذا الموضع إلى وجوب التنبه إلى صنف رابع من أصناف الخطاب الأخلاقي في القرآن الكريم أغفله الرجل، وهو الصنف الذي يقيم سلوك الإنسان ويقومه تجاه الكون؛ تجاه الخلق من العجماوات والجمادات، وهو خطاب مهم للغاية يهدي الإنسان إلى السلوك السوي الذي ينبغي أن يطبع مبدأ علاقة التسخير التي تربطه بالكون، بما ينسجم ومهمته الاستخلافية فيه. وهذه الأصناف الأربعة تستغرق جميع القرآن

الكريم.

لذا «جاءت رسالة القرآن لتصنع مجتمعا قائما على أساس الأخلاق بمعنى كلي، وكل التصرفات البشرية في العلاقات النفسية والاجتماعية والوجودية مع سائر الكائنات إنما هي أخلاق»(٤).

يقول د. طه عبدالرحمن حفظه الله: «الأخلاق لا تخص بعض صفات الإنسان التي لا ترقى إلى رتبة الضرورات، وإنما تعم جميع أفعال الإنسان، جلها ودقها، ولم ينزل هذا الدين إلا لكي يحيط بهذه الأفعال على اختلافها، حتى إن جمعية الإنسان توجد في جمعية الدين، وكمال أخلاقه في كمال أحكامه»(٥). وذلك هو منطوق حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي ﷺ فقالت قولتها المشهورة: «كان خلقه القرآن»(٦)، هكذا على سبيل الاستغراق الشامل لكل القرآن الكريم. وهو أيضا قول النبي ﷺ في الحديث المشهور: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(٧) هكذا بهذا الحصر الشامل المستغرق لكل مقاصد البعثة المحمدية، فكان إذن القرآن كله -من حيث هو نظام رباني، أنزله الله لتنظيم حياة الإنسان التعبدية والنفسية والاجتماعية- إنما هو نظام للأخلاق(٨). و«الحق أن القرآن كتاب أخلاق، والسيرة النبوية هي هذه الأخلاق مطبقة»(٩).

مقاصد أخلاقية

ومن هنا كانت «الأحكام المنزلة: الأوامر والنواهي، ليست مجرد أعمال ظاهرة محددة ينبغي إتيانها، وإنما آيات تكليفية تقترن بمقاصد أخلاقية، وهذه المقاصد الأخلاقية التي هي من وراء الأحكام هي القواعد التي ينبغي للعامل اتباعها، فيدرك من التخلق على قدر هذا الاتباع؛ وهكذا، فقد ازدوج في الأحكام المنزلة الجانب القانوني بالجانب الأخلاقي ازدواجا لا انفكاك معه، فكل حكم ينطوي على قيمة أو قيم أخلاقية يتوجب العمل بها والتخلق على وفقها»(١٠).

ومن هنا أيضا كانت «أسماء الصفات الإلهية المنزلة ليست مجرد تعريفات شرعية دالة على الذات الإلهية، وإنما تجليات كونية تحتها قيم ومعان على قدرها؛ وهذه القيم والمعاني الأسمائية هي عبارة عن الأصول التي تفرعت عنها القيم والمعاني المأخوذ بها في تخلق الإنسان، كما أنها هي المعين الذي ينهل منه كلما احتاج إلى تجديد روح التخلق فيه(١١). والغاية القصوى للإنسانية، والوظيفة الأساسية للبشرية، هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه»(١٢).

وهكذا يتضح شمول الأخلاق للعقيدة وتلبسها بها.

ثم إن من هذه العقيدة كليات هي أصول الأصول، أي الأصول الاعتقادية الإيمانية الكبرى، ومنها جزئيات هي فروع الأصول أي تفاصيل راجعة إليها.

ضربان

و«الأصول الاعتقادية الإيمانية الكبرى، هي التي تمثل المرتكزات الأولية للدين، فهي أولية في الفطرة وفي العقل والنقل»(١٣). وهي ثلاثة: «التوحيد والنبوة والحشر»(١٤).

يقول د. أحمد الريسوني حفظه الله: «هذه الحقائق الكلية تبلغ من الثبوت والوضوح وكثرة الدلائل المجلية لها حدا لا يعذر فيه أحد»(١٥).

الهوامش

١- بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين: طه عبدالرحمن، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م، ص:١٠٣.

٢- المستخلص في تزكية الأنفس: سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص:٣٤٠.

٣- المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن: توشيهيكو إيزوتسو، دار الملتقى، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص:٦٦.

٤- مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور: فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص:٣٠٣.

٥- بؤس الدهرانية: طه عبدالرحمن، ص:١٠٤.

٦- رواه أحمد في مسنده: ٢٥٢٨٤. والبخاري في: «خلق أفعال العباد»، باب الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل:١٢٩.

٧- رواه ابن سعد والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصحيح:٢٣٤٩.

٨- مفاتح النور: فريد الأنصاري، ص:٣٠٤.

٩- العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠١٤م، ص:٦١.

١٠- بؤس الدهرانية: طه عبدالرحمن، ص:١٠٤.

١١- بؤس الدهرانية: طه عبدالرحمن، ص:١٠٤.

١٢- مفاتح النور: فريد الأنصاري، ص:٣١١.

١٣- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية: أحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص:٦٥.

١٤- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، دار النيل، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص:٢١.

١٥- الكليات الأساسية: أحمد الريسوني، ص:٦٥.

عبدالحميد محمد الراوي
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية



الفكاهة في حياة النبي.. أحكام وضوابط

من طبيعة الإنسان أنه ملول، وقد يفقد توازنه النفسي بعد طول جد واجتهاد، والقلوب كلما كلت عميت، ومن ثم أباح الإسلام كل ما من شأنه أن يكسر حدة الجد والصرامة في حياة تميزت بالرتابة والملل، يحقق التوازن المطلوب ليتجدد النشاط، وتقوى الرغبة في الحياة والاستمرار فيها، فندب المزاح بين الأصدقاء والخلان لما فيه من ترويح القلوب والاستئناس المطلوب، لتحقيق الغاية المنشودة من الخلق ألا وهي عمارة الأرض وتطوير الحياة والارتقاء بالإنسان.

ومن هنا جاءت مشروعية المزاح، فما هو المزاح، وما حاجة الإنسان إليه، وهل له ضوابط يتقيد بها؟

ماهية المزاح

المزاح نقيض الجد، مصدر للفعل «مزح». يدور معناه حول المباسطة والملاعبة والتلطف، وقد يطلق على كل وسيلة يراد بها المضاحكة والمفاكهة. ووسائله متنوعة، فقد يكون بابتسامة أو نكتة أو نادرة أو فكاهة أو إشارة أو حركة يراد بها الاستئناس وترويح القلوب من عناء الجد وطول العمل، وإدخال السرور على قلب المسلم، وأحب الأعمال عند الله إدخال السرور والبهجة والفرح على قلب مسلم.

التأصيل الشرعي للمزاح

الإنسان مدني بطبعه، والمدنية لابد أن يتخللها مزاح وملاطفة ومؤانسة، وتطييب الخواطر وإدخال السرور.

والناس إزاء الترويح لهم اتجاهان:

الاتجاه الأول: يرفض الترويح والمرح والمزاح، ويرى أنه ضرب من العبث والاستخفاف، ودليل على نقص الجدية وتبلد في الاهتمامات.

واستدل أصحاب هذا الاتجاه بجملة من النصوص التي تنهى عن المزاح والهزل، ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ (لقمان:٦).

وقوله ﷺ: «إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك»[١].

والشرة هي الجد والمكابدة بجد وقوة. والفترة هي الوقوف للاستراحة.

والحقيقة أن المزاح المنهي عنه هو الإفراط فيه، أو المداومة عليه؛ لأن الإفراط فيه انشغال باللعب والهزل، والإفراط فيه يورث كثرة الضحك، وكثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار.

وقد علل الإمام النووي، رحمة الله عليه، النهي عن المزاح بقوله: «المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والأوقار. فأما من سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته. وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه»[٢].

الاتجاه الثاني: يدور في فلك المفهوم المطلق للترويح، والذي يصل إلى الانفعال النفسي بشتى الوسائل، يمارسه الإنسان اقتداء برسول الله ﷺ في ظل الضوابط الشرعية التي تكفل له الانضباط. قيل لسفيان الثوري: المزاح هجنة؟ قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه[٣].

ويقصد بالسنة هنا طريقة النبي ﷺ، وإلا فالمزاح يكون واجبا أحيانا إذا استعين به على دفع الملل ومواصلة العبادة وأداء الواجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وتستمد مشروعية المزاح والترويح عن النفس من أقوال النبي وأفعاله وسلوك الصحابة، رضي الله عنهم، وشهادات العلماء من بعدهم.

فقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ كان يمازح أهله وأصحابه، رضوان الله عليهم، ووردت أحاديث ومأثورات كثيرة في الدعابة وإدخال السرور، فبوب البخاري في صحيحه باب للانبساط احتوى على أحاديث كثيرة تبين جانب الفكاهة في حياته ﷺ، كما أفرد الترمذي في باب الشمائل المحمدية بابا خصصه عن صفة مزاح رسول الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقا»[٤].

نماذج من مزاحه ﷺ

وإذا كان النبي ﷺ يعطي أصحابه القدوة في كل شيء فإليكم نماذج من مزاحه ﷺ: «أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب رسول الله فصلى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا»[٥] ويقصد أنها تدخل الجنة وهي شابة.

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين»[٦] أي يمازحه، وليس المقصود السخرية والاستهزاء، وإنما ممازحة منه؛ لأن كل إنسان له أذنان.

هذه الأحاديث، وغيرها كثير، تدل على مزاحه عليه الصلاة والسلام، ومشروعية المزاح عموما، وكان النبي يرى مزاح صحابته ولم ينكر عليهم ذلك، وربما شاركهم مزاحهم، بل كانوا يتمازحون حتى أنهم يتبادحون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال[٧].

وسئل ابن عمر، رضي الله عنهما: هل كان أصحاب رسول الله يضحكون؟ قال: «نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل». وقال بلال بن سعد: «أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهبانا»[٨].

وكانوا، رضي الله عنهم، يمتدحون المزاح من دون أن يروا في ذلك ما ينقص المروءة، أو يتنافى مع كمال الرجولة والوقار، فها هو عمر رضي الله عنه يقول: «إنه ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي ثم إذا بغي منه وجد رجلا»[٩]. وكان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلا من الرجال[١٠].

وقد اشتهر من أصحاب رسول الله بالمزاح نعيمان بن عمرو بن رفاعة، الذي قال عنه ابن عبدالبر: شهد بدرا وكان من كبار الصحابة، وممن آمن في أول ظهور الإسلام، وكانت فيه دعابة زائدة وله أخبار طريفة في دعابته، وكان نعيمان مضحكا مزاحا[١١].

ومما جاء عن عيينة بن حصن أنه شكا إلى نعيمان صعوبة الصيام، فقال: صم الليل. فروى أن عيينة دخل على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان، فقال: العشاء. فقال: أنا صائم. فقال عثمان: الصوم بالليل. فقال: هو أخف علي. فقال عثمان: هذه إحدى هنات نعيمان، وكبير السن الذي لا يستطيع أن يصوم

يشرع له الإفطار ويطعم (فدية طعام مسكين)[١٢].

وقد ترسم العلماء خطا الصحابة في الاسترواح بالمزاح، فقد كان الشعبي مزاحا ومن أفكه الناس، اشتهر بطرائفه، وهو من أكبر العلماء، ومما جاء عنه أنه سئل: هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه؟ قال: نعم. قال: بمقدار كم؟ قال: حتى يبدو العظم[١٣].

وكان شريح يمزح في مجلس الحكم، وكان صهيب مزاحا، وكان أبو العالية كذلك مزاحا.. كل هؤلاء إذا مزح أحدهم لم يفحش ولم يشتم ولم يغتب ولم يكذب، فإنما يذم من المزاح ما خالطه هذه الخلال أو بعضها، وأما الملاعب فلا بأس بها في المآدب[١٤].

وكذلك كان من المشهورين بالمزاح الأعمش، رحمه الله تعالى، قال ابن عياش: رأيت على الأعمش فروة مقلوبة صوفها من الخارج فأصابنا مطر، فمررنا على كلب فتنحى الأعمش وقال لا يحسب أني شاة[١٥].

وجاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي، ودخلت النهر اغتسل، فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تسرق[١٦].

ضوابط المزاح

المزاح خلق سلوكي إنساني تربوي، وهو مباح بلا شك، إلا أن له آدابا وضوابط، وكم من إنسان غفل عن تلك الضوابط فوقع في المنوع من حيث لا يشعر:

١- ألا يكون المزاح فيه استهزاء بشيء من الدين، فإن ذلك من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة:٦٥-٦٦)، وذلك كالاستهزاء بالقرآن أو السنة النبوية، أو بالملائكة، فبعض النكت مذكور فيها الاستهزاء بالملائكة أو الجنة أو النار، يتمازحون بها ويقعون في المعصية وهم يضحكون، يقول ابن عباس رضي الله عنه: «من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي»[١٧].

٢ - ألا يكون المزاح إلا صدقا، قال رسول الله ﷺ محذرا من هذا المسلك الخطير الذي اعتاده بعض الناس: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»[١٨].

فالمسلم يمزح لكنه لا يقول إلا حقا مثل الحادثة الصحيحة التي فيها طرفة، أما أن يختلق أشياء لإضحاك الناس فليس بمزاح.

وقد ثبت أن النبي كان يمزح ولا يقول إلا حقا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، إنك تداعبنا. قال: «إني لا أقول إلا حقا»[١٩].

وقال أيضا مبينا ما لا يجوز في المزاح: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٢٠].

فهذه الأحاديث تدل على أنه ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقا، إلا أن كثيرا ممن يتصدرون المجالس ويمزحون يلفقون القصص المضحكة والحكايات المثيرة لإضحاك الناس، ومباسطتهم وإدخال السرور عليهم، ولا شك أن هذه الزيادات من الكذب أو الزور هي مما نهى عنه الإسلام.

ومن الأمور المستحدثة في زماننا للتفكه وتفشت بين الناس، اقتران بعض الأشهر بكذبة معينة، وهي عادة قبيحة ممقوتة ذميمة، ليست من أخلاقنا الإسلامية، وتقاليدنا الصالحة، ولا شك أنها من الكذب المحرم، والمزاح الباطل.

٣ - عدم الترويع والإضرار بالآخرين: قد يجعل بعضهم من المزاح وسيلة لترويع الناس وتخويفهم، وهو منهي عنه. روي أن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم، فانطلق أحدهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما»[٢١]. وروي عنه ﷺ أنه قال: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا، ومن أخذ عصا أخيه فليردها»[٢٢].

وهذا أدب يربي المسلم على مراعاة شعور الآخر، وعدم ترويعه وتخويفه، لما في ذلك من إلحاق الضرر به، لأن حرمة المسلم مصونة في الجد والهزل.

٤- عدم الاستهزاء بالآخرين: الناس مراتب في مداركهم وعقولهم، وتتفاوت شخصياتهم. بعض ضعاف النفوس أهل الاستهزاء واللمز والغمز، قد يجدون متعتهم في اتخاذ بعض الأشخاص وسيلة للإضحاك والتندر، وقد نهى الله عزوجل عن ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات:١١).

قال ابن كثير في تفسيره: والمراد من ذلك، احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام[٢٣].

فالذي يستهزئ مازحا ويغتاب مازحا ويحقر مازحا وينتهك حرمة الدين مازحا، فإنه آثم وواقع في الحرام من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم.

٥ - معرفة مقامات الناس: إن البعض يمزح مع الكل من دون اعتبار مقامات الناس ومكانتهم الاجتماعية والعلمية، فللعالم مقامه، وللكبير تقديره، وللشيخ توقيره، ولهذا تجب معرفة شخصية المقابل، فلا تمازح مع الكبير والعالم بما لا يليق بمقامهما، قد يكون مزاحك لهما منبئا عن عدم توقيرك واحترامك لهما، ومازح أترابك وأصدقاءك، ولا تمازح من لا يعرف مقامك، لأنك إذا مازحته رد عليك بما يضر شخصيتك بين الناس.

والبعض الآخر قد يمزح مع الذين لا

يحبون المزاح، أو يحملون كل قول وفعل على محمل الجد، أو لا يحبون مزاح هذا الشخص بالذات، أو نحو ذلك، فتكون النتيجة غير طيبة، وقد يرى منهم ما يكره، فلا ينبغي للمرء أن يمزح إلا مع من يقبل منه المزاح.

٦ – ألا يكون في المزاح فحش: بعض الناس يستخدمون نكتا قبيحة وبذيئة، خالية من كل حياء وأدب، فالمزاح بالألفاظ القبيحة لا يجوز بحال، قد قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣)، فالمؤمن لا يكون فاحشا ولا بذيئا أبدا.

٧ – اختيار الأوقات المناسبة للمزاح، كأن تكون في السفر، والسفر عادة يلازمه تعب وشدة وعناء فيكون المزاح فيه مطلوبا، أو في حفل سمر، أو عند ملاقاة صديق لتدخل المودة على قلبه والسرور على نفسه، أو عندما تتأزم المشاكل الأسرية ويغضب أحد الزوجين، فإن الممازحة الخفيفة تزيل الوحشة وتعيد المياه إلى مجاريها.

وتكون الممازحة مطلوبة عندما يرى غيره مهموما، فيمازحه ليمسح عنه تقطيبه أو عبوسه، وقد قال علي بن أبي طالب: «لا بأس بالمفاكهة يخرج بها الرجل عن حد العبوس»[٢٤].

٨ – مراعاة شعور الآخرين: يجب على الإنسان أن يكون أديبا يراعي مشاعر الخلق، وإذا أراد أن يمازح لا يزعجهم ولا يجعلهم يغضبون منه، فالمزحة قد تجرح شعور الآخرين، هذا لا شك إيذاء للمؤمنين، وإيذاء المؤمنين حرام، فالمزاح مندوب إليه بين الأهل والأقرباء والأصدقاء بشرط ألا يكون فيه أذى لأحد أو إساءة لأحد أو استخفاف بمخلوق.

فوائد المزاح

المزاح أمر مشروع في الإسلام، بل يعد صدقة من الصدقات يؤجر عليها المسلم، والحكمة من مشروعيته أن له فوائد جمة، فهو يدخل السرور على قلب المسلم، ويستعان به على التخلص من السآمة والملل، وطرد الوحشة ودفع الهم والغم والقلق، بل به يصبح البيت سعيدا، والمدرس الناجح يمزح مع طلابه، والطبيب الناجح تجده مرحا يؤانس المريض، ويطمئنه ويعطيه أملا، فيشفي الله المريض بهذه المعنويات المرتفعة.

ولا شك أن التبسط لطرد السآمة والملل، وتطييب المجالس بالمزاح الخفيف الخالي من كل معصية، لا إثم فيهما بل فيهما خير كثير، وإذا كانت النية في الترويح عن النفس الاستعداد لطاعة الله، والإقبال على العمل بجدية ونشاط، فعندئذ يصبح الترويح عن النفس عبادة، قال أبو الدرداء: «إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق»[٢٥].

ويقول علي بن أبي طالب: «روحوا عن القلوب، فإنها إذا كرهت عميت. وما ساعة الراحة إلا ساعة عون النفس على العبادة»[٢٦]. ويقول أيضا: «روحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان»[٢٧]، فهي ضرورية كضرورة النوم لجسم الإنسان.

وما ورد في الأحاديث من النهي عن المزاح فيحمل على ما إذا كان به غيبة أو إيذاء للآخرين أو نحو ذلك لأن النبي ﷺ مازح أصحابه.

لا إفراط ولا تفريط

مما سبق نخلص إلى أن المزاح أمر مشروع، إذا كان الغرض منه الترويح عن النفس ودفع الملل والسآمة والكرب عن النفوس، ويثاب عليه صاحبه إذا ابتغى من ورائه وجه الله، وقد يصل إلى مرتبة الواجب إذا كان للاستعانة به على أداء الواجب، وخلا من المخالفات الشرعية، وأن يكون المزاح مقتصدا فيه، فيوازن بين الجد والهزل، إذ إن التوازن أمر مطلوب في كل شيء، وبذلك تستمر الحياة وتتحقق الغاية من خلق الإنسان، ويفوز بالسعادة في الدارين.

الهوامش

١ – رواه ابن حبان ٦٥٣، والطحاوي في المشكل ٢/٨٨، وأحمد ٢/١٨٨ من طريق شعبة عن حصين بن عبدالرحمن.
٢ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٠٦١/٧.
٣ – شرح السنة للإمام البغوي ١٨٤/١٣.
٤ – رواه الترمذي ١٩٩٠، وأحمد ١٠٩٠٣.
٥ – رواه الطبراني في الأوسط.
٦ – رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.
٧ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٦٦ عن بكر بن عبدالله.
٨ – شرح السنة للبغوي (مرجع سابق ٢٣٥١.
٩ – رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧٧١٧.
١٠ – الموسوعة الميسرة في الأحكام والآداب، عمر فائق سرسر، دار اليازوري العلمية للطباعة والنشر، الأردن، عمان.
١١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ١٥٢٦/٤.
١٢ – المراح في المزاح لمحمد الغزي العامري الدمشقي ٦٥/١.
١٣ – المراح في المزاح (مرجع سابق).
١٤ – تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري ٢٥٦/١.
١٥ – البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، دار صادر، بيروت.
١٦ – المراح في المزاح (مرجع سابق ٨٩/١.
١٧ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١٢١٦٢/١.
١٨ – رواه ابو داود والترمذي.
١٩ – رواه الترمذي ١٩٩٠.
٢٠ – رواه أبو داود ٨٠٠/٤.
٢١ – رواه ابو داود ٥٠٠٤.
٢٢ – رواه أبو داود ٥٠٠٣.
٢٣ – تفسير ابن كثير ٢٧٦/٧.
٢٤ – المراح في المزاح (مرجع سابق ٦٧/١.
٢٥ – الأربعين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
٢٦ – الاستقامة في مئة حديث نبوي للدكتور محمد زكي محمد خضر.
٢٧ – ربيع الأبرار في نصوص الأخبار لأبي القاسم الزمخشري.

فكر



د. أشرف زاهر محمد
باحث دراسات إسلامية
مصر

اختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة

هذه العبارة التي اتخذناها عنوانا لمقالنا صرح بمعناها كثير من العلماء، وأقدم من عرفناه قالها بنصها الفقيه الحنبلي ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، في كتابيه: المغني، ولمعة الاعتقاد، حيث قال بعد حديثه عن تسمي الفرق المبتدعة بغير الإسلام والسنة: «وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع - المذاهب الأربعة - فليس بمذموم؛ فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة»[1].

وهذا التعبير الحكيم من ابن قدامة يجسد منهجا تحتاج أمتنا التأكيد عليه لاسيما في عصورها المتأخرة؛ التي ابتليت فيها بكثير من الأفكار التي عطلت مسيرتها، وقيدت خطوها، فأقعدتها عن بلوغ مكانتها المستحقة التي تبوأتها قرونا طويلة، وهذا المنهج هو طريقة التعامل مع مواضع الاتفاق والاختلاف في اجتهاد فقهاء السلف، فإن ما أجمعت عليه الأمة لا مجال للاجتهاد فيه، وتلك هي القطعيات التي تمثل الأصول الأساسية للدين، ولذا فمحاولات فتح باب النظر العقلي في هذه القطعيات إهدار للشريعة، وتقويض لجذورها الراسخة، التي تكفل صيانة الشريعة من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وأما مواضع الاختلاف، وهو ما نريد أن نركز القول فيه، فإن من الأغاليط الحديثة الموقف الجامد من اختلاف الفقهاء؛ حيث ينظر فريق من طلبة العلم إلى بعض أطراف الاختلاف في الفروع الفقهية نظرات الاتهام بالتفريط حينا، أو الجهل أحيانا، وأضحى بعض الناس إذا تكلم عن اختلاف المذاهب لا يستحضر سوى العصبية المقوتة، والفرقة المذمومة، وربما أيد فكرته بتصرفات من هنا أو هناك، صدرت من بعض المتعصبين في عصور مختلفة، ممن لم تستوعب عقولهم سعة الاختلاف وثراء نتائجه، وغفل عن تقدير سلفنا

الصالح لهذا الاجتهاد، وهكذا أمسى الاختلاف في الفروع بعد أن كان سعة ورحمة أريد له أن يتحول عن مساره ليصبح نقمة على الناس.

ويحسن أن نؤصل لقضيتنا بما وقع في عصر النبي ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يردْ منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم[٢].

ففي هذه الواقعة ترك النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم لاجتهادهم، ولم يعنف أحد الفريقين، وهو إقرار بجواز ما حدث من اختلافهم، وهم خير القرون، حيث تمسك فريق بظاهر اللفظ وحقيقته، فأخر الصلاة ولم يصل في الطريق، بينما راعى الفريق الثاني روح النص ومراده؛ فرأوا أن النبي ﷺ لم يرد منهم تأخير الصلاة عن وقتها، وإنما أراد حثهم على تعجيل الذهاب إلى بني قريظة، ولذا صلوا في الطريق؛ لأنهم خافوا تأخير الصلاة، وفي هذه الواقعة دلالة واضحة على أن المجتهد غير ملوم على اجتهاده، أخطأ أو أصاب؛ إذ لو كان هناك إثم لعنف من أثم، بل المجتهد مثاب على كل حال، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فهو معذور وخطؤه مغفور، بل ومأجور، فله أجر واحد على اجتهاده. قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[٣].

ثم بقي المنهجان التمسك بظاهر اللفظ، ومراعاة المقصود منه، بعد عصر الصحابة، مصدرا لتعدد الأفهام وثراء الأحكام، فاختلف التابعون، ومن بعدهم، كما اختلف الصحابة قبلهم، لأسباب كثيرة، وبقي الاختلاف قائما طوال العصور، وما كانوا يرون هذا الاختلاف شرا مذموما، بل يرونه خيرا محمودا، وعاملا من عوامل المرونة والسعة في الشريعة، ومظهرا من مظاهر الرحمة؛ إذ لا يكلف المجتهد إلا بما توصل إليه اجتهاده، وهو رحمة لعوام الناس؛ فلو أخذوا بقول أحد المجتهدين فيما ذهب إليه لم يكن عليهم من حرج، مادام صدر الاجتهاد من أهله وفي محله، ولذا كان عمر بن عبدالعزيز يقول: «ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة»، وقال القاسم بن محمد: «لقد نفع الله تعالى باختلاف أصحاب النبي ﷺ في أعمالهم؛ لا يعمل العامل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أن خيرا منه قد عمله»[٤].

وعلى درب الصحابة في التسامح في الاختلاف سارت المذاهب الأربعة، ولذا لما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) عن أهل المذاهب الأربعة: هل تصح صلاة بعضهم خلف بعض، أم لا؟ وذلك لما بينهم من اختلاف في كثير من فروع الصلاة، فأجاب: نعم تجوز صلاة بعضهم خلف بعض؛ كما كان الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من الأئمة الأربعة، يصلي بعضهم خلف بعض، مع تنازعهم في هذه المسائل، ومن أنكر ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وقد كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم: منهم من يقرأ البسملة، ومنهم من لا يقرأها، ومنهم من يجهر بها، ومنهم من لا يجهر بها، وكان منهم من يقنت في الفجر، ومنهم من لا يقنت... ومنهم من يتوضأ من أكل لحم الإبل، ومنهم من لا يتوضأ من ذلك، ومع هذا فكان بعضهم يصلي خلف بعض، مثلما كان أبوحنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم يصلون خلف أئمة أهل المدينة من المالكية، وإن كانوا لا يقرأون البسملة لا سرا ولا جهرا[٥].

وهكذا رأوا الاختلاف في الفروع ثروة فقهية ورحمة للأمة، ولذا فلو لاحت فرصة لحسم هذا الاختلاف لم يحرصوا عليها، بل يرفضونها، فقد قال الإمام مالك للمنصور عندما أراد أن يحمل الناس على كتابه الموطأ: «يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا؛ فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووْا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف الناس، أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وإن ردهم عما قد اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار كل أهل بلد منهم لأنفسهم»[٦].

ولسنا نقصد بالاختلاف تتبع الشاذ من الأقوال، أو رخص العلماء لمجرد الأهـواء، وإنمـا المقصود ما اختلف فيه أئمتنا مما لا يمكن الفكاك من الاختلاف فيه؛ فإن حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون كثير من النصوص الشرعية في القرآن والسنة محتملة لأكثر من معنى، واقتضت كذلك تفاوت الناس في العقول والأفهام، فوقع الاختلاف المحتوم في الفروع المبنية على أدلة ظنية الورود، يختلف العلماء في ثبوتها، أو ظنية الدلالة، تختلف الأفهام في تفسيرها، أو يختلفون في تقديم بعض الأدلة على بعض، لاسيما عند التعارض، كمعارضة العام بخاص، أو المطلق بمقيد، واختلفوا أيضا في استنباط الأحكام فيما لا نص فيه، وطبيعة اللغة التي جاءت بها نصوص الشرع قد تقتضي الاختلاف، فهناك المشترك اللفظي، وهناك ألفاظ تدور بين الحقيقة والمجاز، إلى غير ذلك من الأسباب الموضوعية للاختلاف، مما يقطع بأن اختلافهم لم يكن وليد المزاج والهوى حاشاهم، وإنما وفق ضوابط وقواعد معتبرة، وفي هذا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رسالته الماتعة التي عبر عنوانها عن فحواها فجاءت موسومة بـ«رفع الملام عن الأئمة الأعلام».

ومن ثم اعتبر العلماء معرفة الاختلاف ضرورة للفقيه، لا يفتي حتى يكون عالما بمواضع الاختلاف والاتفاق، فعن قتادة قال: من لم يعرف الاختلاف لم يشم رائحة الفقه بأنفه[٧].

وها هم أئمة المذاهب الأربعة الشهيرة وأصحابهم يضربون أروع الأمثال في هذا المضمار، ونسوق ثلاث صور من روعة هؤلاء الأئمة الأعلام تجلي موقفهم من الاختلاف:

الصورة الأولى

تدارسهم وأخذهم بعضهم من بعض، فقد تتلمذ الشافعي على مالك، وأخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وأخذ أحمد عن الشافعي، وكان الحق غايتهم جميعا يبذلون في الوصول إليه جهدهم ويستفرغون وسعهم، متسلحين في ذلك بالإخلاص وصدق النية، فلم يتعصبوا لأنفسهم أو اجتهادهم، بل كان شعارهم: «قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب».

الصورة الثانية

المدح والثناء والشهادة بالعلم والحكمة والتقوى من بعضهم لبعض، وقد أثرت عنهم في ذلك عبارات تقطر محبة ووفاء وإخلاصا، ومنها:

في حق الإمام أبي حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ): قال مالك: «رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته»، وقال الشافعي: «الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه»، وقال أحمد بن حنبل: «هو من العلم، والورع، والزهد، وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد، ولقد ضرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل»[٨].

وفي حق الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩هـ) قال الشافعي: «مالك أستاذي، وعنه أخذنا العلم، وما أحد أمن علي من مالك، وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم؛ لحفظه وإتقانه وصيانته»، وكان الشافعي إذا سئل عن الشيء يقول: «هذا قول الأستاذ (يريد مالكا)، ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز»، وقال أحمد بن حنبل: «مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى، مع عقل وأدب»، وقال أيضا: «حديث مالك، حجة بينك وبين الله»[٩].

وفي حق الإمام الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ): بعث أبو يوسف قاضي القضاة وتلميذ الإمام أبي حنيفة إلى الشافعي حين خرج من عند الرشيد، يقرئه السلام، ويقول: «صنف الكتب؛ فإنك أولى من يصنف الكتب في زمانك هذا»، وسمع مالك كلام الشافعي مرة فقال: «يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن»، وقال أحمد بن حنبل: «هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي»، وقال: «ما أحد مس بيده محبرة وقلما إلا وللشافعي في عنقه منة»، وقال: «إني لأدعو الله للشافعي في صلاتي منذ أربعين سنة، أقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي؛ فما كان منهم أتّبع لحديث رسول الله ﷺ منه»، وقال: «كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض»[١٠].

وفي حق الإمام أحمد (١٦٤ - ٢٤١هـ): قال الشافعي: «خرجت من بغداد وما

خلفت بها أحدا أتقى ولا أورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل»، وقال: «ثلاثة من العلماء من عجائب الزمان: ... وصغير كلما قال شيئا صدقه الكبار؛ وهو أحمد بن حنبل»، وقال: «أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة»، وكان علي ابن المديني يقول: «أحمد بن حنبل سيدنا»، ويقول: «اتخذت أحمد بن حنبل إماما فيما بيني وبين الله»، وقال إسحاق بن راهويه: «أحمد حجةٌ بين الله وبين خلقه»[١١].

الصورة الثالثة

احترام بعضهم اجتهاد بعض احتراما عجيبا، حتى وإن اختلفت أنظارهم، ومن أمثلة ذلك:

❖ احتجم الرشيد فاستفتى مالكا فأفتاه بألا وضوء عليه، فصلى الرشيد وصلى خلفه أبو يوسف، رغم أن مذهبه: نقض الوضوء بذلك، ولكنه صلى خلف الرشيد احتراما لاجتهاد الإمام مالك، فقيل له: أتصلي خلفه؟ فقال: «سبحان الله! أمير المؤمنين»، ولما سئل الإمام أحمد في هذه المسألة أفتى بوجوب الوضوء؛ فقال له السائل: فإن كان الإمام لا يتوضأ أصلي خلفه؟ فقال: «سبحان الله، ألا تصلي خلف سعيد بن المسيب ومالك بن أنس»[١٢].

❖ صلى الشافعي الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة، فلم يقنت خلافا لمذهبه، تأدبا معه[١٣].

❖ سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الطلاق فقال: إذا فعله يحنث، فقال له السائل: إن أفتاني أحد بأنه لا يحنث، يعني: يصح؟ فقال: نعم، ودله على حلقة المدنيين، حيث إن أهل المدينة يفتون في هذه المسألة بعدم الحنث[١٤].

❖ قال الأثرم: سمعت أبا عبدالله، أي أحمد بن حنبل، يسأل عن رجل صلى بقوم، وعليه جلود الثعالب، فقال: إن كان يلبسه وهو يتأول حديث: «أيما إهاب دبغ فقد طهر»، يصلى خلفه، قيل له: أفتراه أنت جائزا؟ قال: لا، نحن لا نراه جائزا، ولكن إذا كان هو يتأول فلا بأس أن يصلى خلفه[١٥].

وهكذا نرى فقهاء السلف من الصحابة والتابعين وشيوخ المذاهب الفقهية المتبوعة وأصحابهم، يرسمون بما أوتوا من الفقه واتساع الأفق معالم المنهج القويم، الذي ينبغي على الأمة أن تسلكه في عصورها كلها مع قضية الاختلاف المحتوم في الفروع، ليرتبط الآخرون بمنهج الأولين، وتحظى الأمة بخيري الدنيا والآخرة.

الهوامش

١. لمعة الاعتقاد ص٤٢، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط. الثانية، وانظر: المغني لابن قدامة ١/٤، مكتبة القاهرة، د. ت.

٢. أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠)، واللفظ للبخاري.

٣. فتح الباري لابن رجب الحنبلي ٨/ ٤٠٩، دار الحرمين، القاهرة، ط. الأولى، والحديث أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

٤. جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٢/٩٠٠، ٩٠٢، دار ابن الجوزي، السعودية، ط. الأولى.

٥. مجموع الفتاوى ٢٣/ ٣٧٤، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٦. الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧. جامع بيان العلم ٢/٨١٤.

٨. انظر في هذه الأقوال: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبدالقادر القرشي ١/ ٤٥٦، كتب خانه، كراتشي، ومناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه للذهبي ص٣٠، ٤٣، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، ط. الثالثة.

٩. ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١/ ٧٥، ١٥٠، ١٥٤، مطبعة فضالة، المغرب، ط. الأولى.

١٠. انظر في هذه الأقوال: مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٢٣٧، ٢٥٤-٢٥٥، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط. الأولى، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٤٣٥، دار الحديث، القاهرة، ط. ١٤٢١هـ.

١١. انظر في هذه الأقوال: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٥، دار المعرفة، بيروت، سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١٩٦، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٤٣- ١٤٤، ١٤٦، دار هجر، ط. الثانية.

١٢. مجموع الفتاوى ٢٠/ ٣٦٥.

١٣. حجة الله البالغة للدهلوي ١/ ٢٧٠، دار الجيل، لبنان، ط. الأولى.

١٤. صفة الفتوى لأحمد بن حمدان النميري ص٨٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة.

١٥. المغني لابن قدامة ٢/ ١٤١، والحديث أخرجه مسلم (٣٦٦)، وغيره.



متابعة
عبدالسلام الشبراوي العشري

مجالس السماع.. ريادة كويتية

انطلاقا من رؤية الريادة العالمية في العمل الإسلامي وتحقيقا لرسالتها الهادفة إلى العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت مجلس سماع صحيح الإمام مسلم كاملا في الفترة من ٢٠١٨/١٢/٨م حتى ٢٠١٨/١٢/١٥م، ويعد هذا المجلس رقم (٢٨) ضمن مشروع مجالس قراءة وسماع كتب الصحاح والسنن والمسانيد.

وإنه لشرف عظيم أن تواصل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مسيرتها المباركة في بلدنا العزيز (الكويت)، وذلك من خلال تبنيها للمشاريع العلمية المفيدة التي من شأنها النهوض بالعلوم الشرعية بما ينفع الإسلام والمسلمين، ولابد في هذا المقام من شكر معالي المستشار فهد محمد العفاسي وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، على مؤازرته وتشجيعه لكل ما ينهض بمصلحة الدعوة إلى الله، والشكر موصول لسعادة وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد أسد عمادي، والوكيل المساعد لشؤون المساجد المهندس داود العسعوسي، على ما يقومون به من عناية ورعاية وعلى ما يبذلونه من جهود في سبيل الرقي بنشاطات الوزارة وأهدافها الدعوية والعلمية والتي كان من آخرها المجلس المبارك الذي أقامته إدارة الشؤون الفنية بقطاع المساجد وسط حضور من قبل العلماء وطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بجهود واضحة من الأخ الفاضل سالم عيادة العنزي مدير إدارة الشؤون الفنية والفريق القائم على هذه المجالس المباركة.

ومما يذكر في هذا المقام أن هذا المشروع المبارك (قراءة وسماع صحيح الإمام مسلم رحمه الله) ما هو إلا حلقة في سلسلة طويلة لمشاريع السماع المباركة التي بدأتها الوزارة في عام ٢٠٠٦م واستضافت الوزارة خلالها كوكبة من العلماء الفضلاء.

وقد افتتح المجلس بآيات من القرآن الكريم ثم كلمة السيد/ الوكيل المساعد لشؤون المساجد داود العسعوسي، وقد ألقاها نيابة عنه السيد/ سالم عيادة العنزي مدير إدارة الشؤون الفنية والمشرف العام على المشروع ثم قراءة سند المشايخ المسندين على الحضور ومقدمة الإمام مسلم رحمه الله تعالى.

وتوافد على هذا المجلس عدد كبير من طلاب العلم من مختلف الدول الإسلامية لسماع حديث النبي ﷺ بالسند المتصل على الشيخ المسند/ عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي من المملكة العربية السعودية والشيخ المسند/ محمد بن عبدالعلي الأنصاري



الأعظمي من الهند.

وقد ولد الشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق بن عبدالواحد الهاشمي عام ١٣٥٧هـ، في مدينة أحمد فور الشرقية في الهند، وكانت بداية تعليمه على يد جده/ الشيخ عبدالواحد رحمه الله ثم التحق بإحدى المدارس الحكومية، ثم التحق بمدرسة دار الحديث المحمدية ببلدة جلال بور وتعلم على يد الشيخ سلطان محمود وهو أكبر تلامذة والده ومكث فيها أربع سنوات ثم انتقل إلى مكة المكرمة والتحق بمدرسة تحفيظ القرآن بمكة حتى تخرج فيها، ثم التحق بمدرسة دار الحديث في دار الأرقم في أصل الصفا ثم أكمل تعليمه على يد والده في المسجد الحرام.

أما الشيخ محمد بن عبدالعلي الأنصاري الأعظمي فقد ولد عام ١٩٣٣م، ونسبة الأنصاري نسبة ولاء: لأنهم الذين أسلموا على أيدي الأنصار. درس في الجامعة العالمية العربية بمئو، كما درس في المدرسة السعيدية في بنارس، ومدرسة دار الحديث الرحمانية، وتخرج في الجامعة الإسلامية بفيض عام بمدينة مئو بشهادة الفضيلة في الشريعة، وحصل على شهادات: مولوي، وعالم، وكامل، وفاضل من الهيئة التعليمية الحكومية بالهند.

وقد وضعت إدارة الشؤون الفنية مجموعة من الضوابط والشروط للحصول على السند، وهي:

١- يحصل على السند (كاملا بلا فوت) من حضر جميع المجالس من أولها إلى آخرها.

٢- يحصل على السند (بفوت يسير) من لم يتجاوز مجموع أفواته ساعتين.

٣- يحصل على السند (بفوت كثير) من تجاوز مجموع أفواته ساعتين ولم يتجاوز مجموع أفواته (٤) ساعات.

٤- يحصل على (شهادة حضور فقط) من تجاوز مجموع أفواته (٤) ساعات ولم يتجاوز مجموع أفواته (٦) ساعات.

٥- من يتغيب أكثر من (٦) ساعات لا يمنح شهادة حضور ويفقد مقعده المخصص للجلوس ويلغى اسمه من الكشوف.

٦- لا يسمح للمشاركين بطلب استدراك ما فاتهم من سماع.

وفي ختام المجلس توجه السيد وكيل الوزارة المساعد لشؤون المساجد بالشكر والامتنان لفضيلة الشيخين المسندين الشيخ عبدالوكيل بن عبدالحق الهاشمي والشيخ محمد الأنصاري الأعظمي على تحملهما عناء الحضور إلى هذه البلاد المباركة من أجل إجازة أبنائهما وبناتهما لما حملوه من إسناد إلى رسول الله ﷺ لكتاب صحيح الإمام مسلم، كما توجه بالشكر للحاضرين على حرصهم وجهدهم، وشكر أيضا الإخوة القائمين على رعاية المشروع وعلى رأسهم السيد/ سالم عيادة العنزي مدير مكتب الشؤون الفنية.

وقد قرئ في هذه المجالس قائمة عظيمة من كتب الحديث والتفسير والمصطلح والفقه والأدب واللغة، ومنها: (البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد والدارمي، ومشكاة المصابيح، وغيرها كثير من المتون العلمية والحديثية).

وهذا الأمر يمثل مفخرة لدولة الكويت حيث إن سند كتب السنة يمر الآن من دولة الكويت بفضل الله ثم بجهود العاملين الفضلاء.

حاوره/ كمال أمين





مدير إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف تركي المطيري لـ«الوعي الإسلامي»:

هدفنا رفع وعي المجتمع

إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هي المرجعية الشرعية للإفتاء بدولة الكويت، حيث تعمل عبر لجانها المختصة في تبيان واستجلاء الأحكام الشرعية للقضايا والمسائل التي ترد إليها من الجمهور مباشرة ولمنع تضارب الفتاوى في المسائل التي تواجه الأفراد في الواقع المعيش، ولحماية المجتمع من الفتاوى الشاذة في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي يمكن أن تتسبب في تشويش واضطراب الرؤية لدى المتلقي لما تبثه باستمرار من رسائل ومعلومات غير موثقة، تتولى إدارة الإفتاء كل الجوانب المتعلقة بالإفتاء من قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث إلى جانب الأحكام ذات الصلة بالعبادات والمعاملات.. في هذه المقابلة مع مدير إدارة الإفتاء ورئيس وحدة البحث العلمي بالإدارة الشيخ تركي عيسى المطيري، نسلط الضوء على إدارة الإفتاء وما تضطلع به من أدوار بالغة الأهمية كونها تتصل ببيان الرأي الشرعي المستند إلى الأصول والقواعد الشرعية لكل ما يواجه المجتمع من قضايا ومسائل في الواقع.

❖ إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف هي المرجعية الشرعية للإفتاء بدولة الكويت، ما الآليات التي تعتمدها الإدارة في القيام بواجب الفتوى والتصدي لما يواجه الناس من مشكلات حياتية؟

من منطلق حاجة المجتمع إلى معرفة الأحكام الشرعية للمسائل الفقهية بعيدا عن الخلافات العلمية، واستجابة لهذه الحاجة الماسة لدى عموم المسلمين، قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت بتشكيل هيئة للفتوى وعدة لجان تابعة لها، يرجع إليها لمعرفة الأحكام الشرعية في أفعالها وأحوالها؛ حماية للمجتمع من الفتاوى الشاذة، والآراء المغلوطة، وعليه تقوم إدارة الإفتاء بالأعمال التنظيمية والإدارية وتسهيل أعمال هذه اللجان وإجراءات الاستفتاء مع الجمهور، وتقوم بعد ذلك بأعمال نشر وطباعة الفتاوى الصادرة؛ للإفادة منها على المستويين العلمي والرسمي.

حيث تقوم بالإجابة عن الاستفتاءات اللجان المنبثقة من هيئة الفتوى التابعة لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، ويتفرع عن هذه الهيئة لجنتان تتوليان أمور الفتوى؛ الأولى لجنة الأحوال الشخصية، ووظيفتها الإجابة عن الاستفتاءات التي تتعلق بالأحوال الشخصية؛ من الزواج، والطلاق، والرضاع، والميراث، وغيرها من القضايا التي تتعلق بالأحوال الشخصية.

والثانية لجنة الأمور العامة، ووظيفتها الإجابة عن الفتاوى العامة من العبادات؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، أو من المعاملات؛ كالبيع، والقرض، وغيرهما، أو غير ذلك من المسائل التي يحتاج المسلم إلى معرفة الأحكام الشرعية فيها.

طريقة أخرى

وهناك طريقة أخرى للحصول على الفتوى دون انتظار موعد انعقاد اللجان، وهي الفتوى الشفهية، في جميع الأبواب الفقهية.

ويوجد كذلك خدمة الفتوى الهاتفية؛

تسهيلا على المستفتين، وحلا مقبولا لتخفيف الزحام على لجان الفتوى في الـوزارة، وتسعى الإدارة الآن لتطوير العمل في الفتوى الهاتفية. حيث تتلقى اللجان الفتوى عـن طريق الجـوال أو الهاتف من الجمهور مباشرة.

❖ما منهجية إدارة الإفتـاء في تلقي الأسئلة من الجمهور والرد عليها، هل تعتمدون آلية الإفتاء الجماعي؟

عند استعراض المنهج الذي تلتزم به لجان الفتوى وهيئتها بمهمتها الشرعية كما ورد في سؤالكم أود أن أقول في بداية الأمر إن عمل اللجنة الجماعي تسوده روح الأخوة والتثبت والتيسير، كما أنها كثيرا ما تضع قواعد إجرائية لضبط العمل وبيان طريقة إصدارها للفتوى، ويغلب على منهج لجنة الفتوى الجانب الشرعي العملي، لا النظري الافتراضي، وأثناء مداولات أعضاء لجنة الفتوى يدلي كل منهم برأيه في السؤال المعروض أمام اللجنة دون تـردد، ولذلك فقد تطول مناقشاتها أكثر مما يتوقع السائل، حتى تأخذ اللجنة بالرأي المناسب للمستفتي، ولا تتشدد في الأحكام، ولا تحمل الناس على ما يشق عليهم وقد تستعين في عملها ببعض أصحاب الخبرة ممن تثق في دينهم وعلمهم، لتستوضح منهم بعض الأمور العلمية أو العملية أو الحرفية، وتبتعد لجان الفتوى عن تناول القضايا المعروضة فـي سـاحـة الـقـضـاء وأمـام المحاكم عموما، ولا تتدخل فيها إلا إذا طلبت الجهات المختصة منها ذلك رسميا.

اسألوا أهل الذكر

❖ من الوجهة الشرعية تأخذ الفتوى في الاعتبار تغير الزمان والمكان.. كيف تتعامل الهيئة مع المسائل والقضايا المستحدثة التي تحتاج إلى الاحالة لجهات متخصصة لتكوين الـرأي الفقهي ولاسـتبيـان الحكم الشرعي في هذه المسائل؟

لا شك أن الهيئة ولجانها العاملة ومن

إتاحة خدمة الفتوى الهاتفية تسهيلا على المستفتين

منطلق قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧) تعمل على الإحاطة بجميع الجوانب في المسائل التي تعرض عليها، وقد تحيل اللجنة بعض الأسئلة إلى جهة أخرى، ربما تكون جهة علمية في مجال الإجابة عن بحث تخصصي، أو جهة إدارية في مجال العمل الرسمي والوظيفي، أو جهة للإفتاء في بلده لتراعي الظروف والأعراف المتبعة فيه، ولتعرف خبايا المسائل بشكل دقيق ومفصل مما قد يخفى على غيرها، وقد تعتذر اللجان عن الإجابة عن سؤال لم يبت فيه من قبل المجامع الفقهية الشرعية كالمسائل المستحدثة المستجدة والأمور المعقدة الشائكة فتؤجل الإجابة لمزيد من الدراسة والتثبت وعدم الاستعجال فيما هو مهم أو دقيق.

❖ إلى جانب القيام بواجب الفتوى.. ما الأدوار الأخرى التي تؤديها إدارتكم في خدمة قضايا المجتمع ونشر العلم الشرعي والتعريف بالأحكام الشرعية؟

قامت إدارة الإفتاء بنشر بعض الكتب العلمية النافعة الثقافية والإسلامية، وتوزيعها على العاملين في حقل الدعوة من دعاة وأئمة وخطباء لتسهيل الاطلاع والاستفادة، فالإدارة تعمل في إطار منظومة شاملة من أجل رفع وعي المجتمع وتعريفه بأهمية التقيد بالأطر التي وضعها الإسلام من أجل أن يعيش الأفراد حياتهم كلها في طاعة الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

❖ ما المؤلفات التي قمتم بنشرها؟ وهل تضمنت ترجمات إلى اللغات العالمية الحية التي يمكن أن تخدم قضايا المجتمع في جانب الفتوى؟

هناك العديد من الإصدارات العلمية المهمة ومن أبرزها فيما يتعلق بفتاوى الهيئة ولجانها «موسوعة الدرر البهية من الفتاوى الكويتية» وقد صدرت في ١٢ مجلدا من الحجم الكبير وهي موسوعة لا غنى لمكتبة أي فقيه عنها.

وقد حصرنا الفتاوى الصادرة خلال ثلاثين عاما ثم ألغينا المكرر منها وقمنا بترتيبها وفهرستها على الأبواب الفقهية تسهيلا على الباحثين وطلبة العلم، وقريبا إن شاء الله سنصدر لها تطبيقا على الأجهزة الإلكترونية الحديثة لندعم نشرها بين طلبة العلم والفقهاء.

ومن الكتب أيضا كتاب «التسهيل في فقه العبادات على مذهب الإمام أحمد بن حنبل»، كما تم الانتهاء من الجزء الثاني له وهو تحت الطبع الآن وهو بعنوان «التسهيل في فقه المعاملات على مذهب الإمام أحمد»، حيث سلكنا فيه مسلك التيسير والتبسيط في عرض المسائل الفقهية وتفقيرها وترتيبها بطريقة يسهل على طالب العلم فهمها، وهذا الكتاب -ولله الحمد- درس داخل الكويت في المعهد التطبيقي وكذلك في المعاهد والمراكز التابعة للوزارة ودرس أيضا في حلقات علمية في بعض الدول العربية.

كذلك أصدرنا كتاب «المذاهب الفقهية الأربعة: أئمتها - أطوارها - أصولها - آثارها» وهو يعنى بدراسة المذاهب الفقهية الأربعة ومراحل تطورها وقد ترجم للغتين الإنجليزية والإندونيسية، ودرس هذا الكتاب في المعاهد الإسلامية في إندونيسيا وبعض حلقات العلم في شرق آسيا.

وقد انبثق من هذا الكتاب المشجرات الفقهية والتي تلخص ما جاء في الكتاب على شكل مشجرات تسهل على المبتدئ



من طلبة العلم استيعاب كل مذهب على حدة.

وكان الطلب كبيرا على هذه المشجرات من داخل الكويت وخارجها وخاصة دول الخليج والهند وتركيا.

وقد وزع منها أكثر من ثمانين ألف نسخة إلكترونية فضلا على ما وزع من نسخ ورقية ولله الحمد والمنة.

أما عن ترجمة الكتب فبالإضافة لترجمة كتاب المذاهب للغتين الإنجليزية والإندونيسية.. فقد ترجمنا كتاب «الملخص المفيد في أحكام المسلم الجديد» والذي يهتم بتعليم وتفقيه المسلم الجديد بدينه بأسلوب مسهل ومبسط ووسطي بعيد عن التشدد والتنطع، والذي تمت ترجمته من العربية لعدة لغات منها: الإنجليزية والفرنسية والروسية والبوسنية والسواحلية ونعمل على ترجمته للغات أخرى بإذن الله.

ولاقى هذا الكتاب قبولا كبيرا بفضل الله تعالى، ووزع في كثير من الدول بل أصبح مقررا دراسيا لكثير من حلقات العلم في إفريقيا.

وكذلك أصدرنا كتاب «المنتقى من المسائل العلمية» والذي صدر منه جزءان وهو خاص بالبحوث العلمية التي كتبتها وحدة البحث العلمي، وأصدرنا كتاب «مقالات في الفتوى والإفتاء»، وكتاب «خلاصة الكلام في حقوق آل البيت الكرام».

هذا بالإضافة إلى مجموعة الفتاوى الشرعية، وفتاوى الحج والعمرة، وفتاوى المغتربين والمسافرين، وكتاب فتاوى الزكاة والصدقات، وكتاب فتاوى المساجد والصلاة فيها وغير ذلك، وهناك العديد من المطويات المفيدة التي تعين المسلم على معرفة الأحكام

ترجمة عدة كتب ومؤلفات قيمة إلى اللغات الحية

الشرعية المتعلقة بموضوع يهمه بصورة موجزة، حيث صدر من هذه السلسلة: مطوية السفر.. أحكام وآداب، ومطوية خاتم الأنبياء، ومطوية نصائح للزوجين، ومطوية القروض، ومطوية أحكام المريض في الطهارة والصلاة، ومطوية الحجاب وأحكامه، ومطوية الجنائز والمقابر.. أحكام وآداب.

وندعو كل من أراد الحصول على هذه الإصدارات إلى التواصل معنا على حساب إدارة الإفتاء عبر تويتر.

❖ ماذا عن المشاركة في المؤتمرات والدورات العلمية التأهيلية للعاملين في حقل الإفتاء التي يمكن أن تعزز مساعيكم لمواكبة المتغيرات في الواقع الحياتي المعاصر؟

نعم.. شاركت الإدارة في عدة مؤتمرات علمية وقامت بعمل عدة دورات وورش علمية شرعية لبيان الأحكام الشرعية.

ونظرا لما تمثله صناعة الحلال من أهمية للمجتمعات الإسلامية، حرصت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في إدارة الإفتاء على تبني هذا الموضوع، والعناية به، وذلك من خلال عقد المؤتمرات وورش العمل، والدورات التي تعمل على تصحيح مسار صناعة الحلال، بالتعاون مع معهد الكويت للأبحاث العلمية. منها: مؤتمر الخليج الأول والثاني والثالث لصناعة الحلال وخدماته، والذي احتضنته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تحت شعار: (مستجدات صناعة الحلال).

كما قامت الإدارة بعمل ورشة الاستحالة الأولى: بعنوان: (الاستحالة من منظور فقهي تأصيلي، ومن منظور كيميائي تصنيعي، وأثرها في الحكم على المواد المحرمة والنجسة في التصنيع الغذائي والدوائي والتجميلي)، ودورة (مهارات التحكم بالنقاط الحرجة في صناعة الحلال وخدماته)، وورشة (إنشاء صندوق وقفي للأبحاث المتعلقة بصناعة الحلال).

كما أقامت الإدارة عدة دورات أخرى منها: دورة أحكام عمليات التجميل والجراحات الطبية، ودورة: (أحكام العمل الخيري وضوابطه)، ودورة (أسرار التأثير وطرق التغيير في دورات تنمية الذات – الواقع والحقيقة).

❖ ما خطط إدارة الإفتاء ومشاريعها المستقبلية التي يمكن أيضا من خلالها تعزيز دورها في دعم صناعة الفتوى ونشر العلم الشرعي والتعريف بأحكام الشريعة الإسلامية في القضايا والمستجدات كافة؟

بحول الله وقوته لدينا الكثير من المشروعات العلمية والدورات الشرعية وورش العمل، من خلال خطة علمية وعملية، والتي سوف نكشف عنها في وقتها، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، والسيد وكيل الوزارة المهندس فريد أسد عمادي، والسيد وكيل الوزارة المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، لدعمهم المتواصل لمشروعات الإدارة حتى خرجت بهذه الصورة المشرفة.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي





رعاية المواهب.. ضرورة حضارية

من رحمة الله سبحانه بعباده، ومن تفضله وإنعامه عليهم، أنه تعالى لم يجعلهم نسخا مكررة بعضهم من بعض؛ سواء في الخلق والبنيان، أو في الطاقات والمواهب.

ومن معاني هذا التفاضل والتمايز والتمييز السعي إلى إيجاد نوع من التكامل بين بني البشر؛ لأن ما عند أحدهم لا يوجد عند الآخر، وما لا يستطيعه هذا ينجح ذاك في إنجازه بإبداع.. وهكذا، يشعر الناس بأن بعضهم يحتاج إلى بعض، وتؤدي هذه الحاجة إلى تكاملهم، ومن ثم إلى تعارفهم، وإلى العمل على تنظيم هذا التكامل والتعارف بما يحفظ الحقوق ويلبي الحاجات ويسير حركة الحياة؛ فتعمر المجتمعات، وتشيد الحضارات.

أما لو كان الناس نسخا مكررة بعضهم من بعض، فإن الحياة عندئذ تصاب بنوع من الرتابة والملل، ولا تكون هناك فرصة لعمل شيء مبدع متميز، ولا إمكانية للخروج على النص، كما يقال.

بجانب هذا، فإن ذلك التمايز والتمييز الذي وضعه الله بين البشر في المواهب والقدرات، هو من حكمته تعالى في خلق الناس طبقات، وجعلهم درجات بعضها فوق بعض؛ حتى يختبرهم ويرى منهم من يؤدي شكر النعم ويسعى في حاجة الآخرين، ممن يتذمر على ما ابتلي به ويسخط على قضاء الله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:١٦٥).

مع المفهوم

و«الموهبة» اسم من الفعل الثلاثي وهب؛ يقال: وهب له الشيء - يهبه، وهبا وهبة: أعطاه إياه بلا عوض؛ فهو واهب ووهوب ووهاب. و«الموهبة» تطلق على عدة معان؛ منها: السحابة تقع حيث وقعت؛ وغدير ماء صغير. ونقرة في الجبل يستنقع فيه الماء. والعطية؛ وربما أطلقت على الموهوب. والجمع: مواهب. و«الموهبة»: الاستعداد الفطري لدى المرء للبراعة في فن أو نحوه[1].

فالموهبة، من حيث معناها اللغوي، مشتقة من فعل يدل على العطاء بلا



حدود، ومرتبطة بعدة معان، ففيها معنى الخير والنفع، وتعدي هذا النفع للآخرين.

ومعناها في علم النفس لا يبعد عن هذه الدلالات اللغوية؛ فالموهبة أو الموهوبية: ظهور الفرد بين أقرانه بشكل بارز ومتفوق في الأداء في مجال أو أكثر من المجالات التي ترتبط بالنشاط الإنساني؛ بشرط أن يكون هذا المجال موضع تقدير من المجتمع[٢].

المواهب نعمة

وإذا كانت «الموهبة» تعني العطية بلا مقابل، والاستعداد الفطري لدى المرء للنبوغ؛ فإن أول ما ينبغي استشعاره في هذا المقام، لاسيما عند الموهوب، أن هذه العطية نعمة من الله تعالى قد منحها المرء دون استحقاق منه، ولا جهد سابق عليها.

ومن ثم، فعلى المرء الموهوب أن يشكر الله تعالى على ما أولاه من نعم، وعلى ما تفضل به من عطايا.. وهذا الشكر يتحقق بعدة أمور؛ منها:

أولا: رد الفضل كله لله تعالى، والاعتراف بحق المنعم سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ (النحل:٥٣). وهذا الاعتراف والإقرار لله بتفضله يمنع الإنسان من الطغيان بالنعمة، ومن إساءة استخدامها والبطر بها.

ثانيا: الحفاظ على هذه النعمة؛ وذلك برعايتها والعمل على تنميتها من خلال الدراسة والجهد المنظم؛ حتى لا تتبخر في الفراغ أو لا يستفاد منها على النحو الأمثل.. وما أكثر من يضيعون ما وهبهم الله! إما بأن يهملوه ولا يعملوا على صقله، وإما بإساءة استخدامه، والتفاخر به على الخلق، تماما مثلما فعل قارون حين قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص:٧٨)، ولم ينسب الفضل لله تعالى!

ثالثا: توظيف هذه الموهبة في نفع الآخرين، وعدم البخل بها؛ فالقانون الذي قرره القرآن الكريم هو: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران:٩٢). وإذا كان الإنسان يحب النعمة التي وهبه الله إياها، فعليه ألا يقصر نفعها عليه، بل يجعل هذا النفع متعديا للآخرين.

ولهذا عد العلماء من فروض الكفايات بذل العلم للناس، ممن وهبهم الله العلم، وكذا في سائر المهن مثل الطب والهندسة وغيرهما؛ بل قد تصير هذه المهن فرض عين إذا تعينت على فرد محدد، ولم يوجد من يقوم مقامه؛ مثل إذا اجتمع الناس في مكان ومرض أحدهم ولم يوجد إلا طبيب واحد؛ فيجب على الطبيب حينئذ أن يطبب المريض، ويكون هذا الواجب بحقه فرض عين[٣].

وهذا المنهج في التعامل مع النعم، ومع ما يحتاج إليه الناس؛ هو مما يميز الرؤية الإسلامية التي تنظر للنعم لا باعتبارها حقوقا وأملاكا فردية يمكن لصاحبها أن يصرفها كيفما شاء، بل



باعتبارها منحا من الله تعالى وملكا له على وجه الحقيقة، بينما الإنسان مستخلف فيها ومؤتمن عليها. ولهذا سمى القرآن الكريم الزكاة: حقا؛ أي واجبا على الغني ومستحقا للفقير؛ فهي ليست عطية يمن بها الغني ويمنعها متى شاء ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ (المعارج:٢٤-٢٥).

قال الزركشي: «ومنه، أي من فرض الكفاية، تصنيف كتب العلم لمن منحه الله تعالى فهما واطلاعا. ولا تزال هذه الأمة مع قصر أعمارها في ازدياد وترق في المواهب. والعلم لا يحل كتمه؛ فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ (آل عمران:١٨٧)»[٤].

ما قبل الموهبة.. تهيئة التربة

أشرنا من قبل إلى أن ظهور المواهب في المجتمع هو من نعم الله سبحانه التي يتفضل بها على الناس عموما، وليس على صاحب الموهبة فحسب.

ولا شك أن اكتشاف هذه المواهب والتقاطها، يتطلب أولا تهيئة التربة المجتمعية بحيث تكون صالحة للكشف عن الموهبة، ثم، في مرحلة لاحقة، صالحة لتنميتها وصقلها.

فنحن نرى في واقعنا أن كل البيئات المجتمعية، وتقريبا بلا استثناء، بها العديد من المواهب وفي كل المجالات.. غير أن هناك بيئة قد أحسنت تهيئة تربتها بحيث إن قليلا من الماء يكفي لاستنبات الزرع، وتوفير الغذاء.. بينما هناك بيئات أخرى مثل الأرض الجدباء التي وصفها الحديث الشريف بأنها «لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ»[٥].

وقد ذكر د. عبدالوهاب المسيري في سيرة حياته أن الإنسان في الوضع الحضاري المتراجع يكتشف نفسه متأخرا؛ وربما تفوت السنوات وهو لا يدري بما منحه الله من عطايا ومواهب..

بينما البيئة الصحية، تعمل ليس على تنمية مواهب أفرادها فقط، وإنما تعمل أيضا على استكمال جوانب النقص لدى البعض، وعلى توفير المساعدات المعنوية والمادية لمن هم بحاجة إليها.. فتراهم وقد أبدعوا وأنتجوا كما لو كانوا أسوياء؛ بينما هم في بيئات أخرى يكونون عالة وعبئا ثقيلا على الآخرين!

والفرق في الحالين هو فرق البيئة الحضارية التي وجدوا فيها.. ولهذا، نحن بحاجة إلى تهيئة التربة أولا، حتى نكتشف مبكرا أصحاب المواهب، وبالتالي نعمل على صقلها وتنميها.

ولا شك أن هذا الأمر، أي تهيئة التربة واكتشاف المواهب، يتطلب عناية فائقة بالنشء، وبالإنسان في مراحله الأولى؛ لاسيما فيما يتصل بإعادة النظر في مناهج التعليم؛ التي يجب أن تعتمد على التدريب لا التلقين، والمهارية لا النظرية.

كما يتطلب توفير حدود الأمان اقتصاديا واجتماعيا لأبناء المجتمع؛ فليس مثل الفقر قاتلا للمواهب، ومجففا لمنابع الإبداع! ومن الصعب على المجتمعات غير المستقرة التي تنعدم فيها حدود الأمان هذه، أن تبدأ مسيرة التحضر والتطور!

ما بعد الموهبة.. دراسة وصقل

أوضحنا أن اكتشاف الموهبة، بعد تهيئة التربة المجتمعية أولا، يتطلب العمل على تنميتها من خلال صقلها بالعلم، وتدعيمها ببرامج مكثفة تضمن إبقاء جذوة الإبداع مشتعلة.

وهذه نقطة غاية في الأهمية.. فكم مواهب تبخرت في الهواء حين لم يعمل أصحابها على تنميتها ولم يجدوا من يساعدهم في ذلك، أو حين اكتفوا من الموهبة بتوهجها وبريقها، ولم يحاولوا استدامة هذا التوهج والبريق بدراسة مكثفة منتظمة.

إن معادلة الإبداع تعني استعدادا فطريا مضافا إليه جهد متصل وسعي حثيث.. أما مجرد الاستعداد فلا يغني عن صاحبه إلا شعورا وقتيا سرعان ما يزول وينطفئ!

وفي هذا الصدد، من الأهمية بمكان

أن تتوافر لدينا برامج خاصة بمن لديهم مواهب فائقة، بحيث لا نجبرهم على الدخول في المسارات الموضوعة لعموم الدارسين.. فإننا بهذا نظلمهم ولا نساعدهم على تطوير مواهبهم؛ فالموهبة طاقة غير طبيعية بإمكانها أن تختصر الزمن المتعارف عليه بالنسبة إلى عموم الأفراد.. أما إذا فرضنا عليهم المسارات الطبيعية، فإننا نخسر إمكانية الإفادة منهم، وربما أدى هذا إلى انطفاء وهج الموهبة!



نماذج من السيرة النبوية

لقد كان النبي ﷺ على علم تام بقدرات أصحابه الكرام، وبكل مجال يتميز فيه أحدهم عن الآخر؛ واستطاع أن يوظف هذه الإمكانات في خدمة الدعوة، وبما يتناسب مع أصحابها..

فهذا يجيد الشعر فهو يتولى الرد على الدعايات الكاذبة لمشركي مكة؛ مثل حسان بن ثابت.. وهذا يجيد القتال، فيوليه إمارة الجند، حتى لو أسلم حديثا؛ مثل خالد بن الوليد في فتح مكة وحنين.. وهذا يجيد لغة التفاوض وعنده من الهدوء واللين ما يناسب تلك المهمة، فيرسله لمفاوضة قريش في صلح الحديبية؛ مثل عثمان ابن عفان.. وهكذا.

أما تعامل النبي ﷺ مع الصحابي الجليل زيد بن ثابت[6]، فهو مثال واضح على كيفية توجيهه ﷺ لما عند أصحابه من مواهب وطاقات. فقد قدم زيد المدينة وعمره إحدى عشرة سنة، وقيل للنبي ﷺ إن زيدا قرأ مما أنزل من القرآن سبع عشرة سورة، ثم قرأ زيد ما يحفظه على النبي ﷺ، فأعجب ﷺ بقراءة زيد. ولم يتوقف الإعجاب عند هذا الحد، بل أدرك ﷺ ما تنطوي عليه شخصية زيد الفتى من قدرات فائقة يمكن أن توجه في خدمة الدعوة.

يقول زيد بن ثابت عن موقف النبي ﷺ معه: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود. قال: «إني والله ما آمن يهود على كتاب». قال زيد: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له؛ فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا قرأت له كتابهم[7].

هجرة العقول وطرد المواهب

إذا كانت هناك بيئات لا تساعد على نمو المواهب، كما أشرنا، فهناك بيئات طاردة للمواهب وللطاقات، للأسف.. وكان الأولى بها أن تحتفي بما منحها الله من أفراد موهوبين متميزين!

ولعل نزيف الهجرة البشرية الذي أصيبت به بلادنا العربية في العقود الأخيرة، لظروف كثيرة، هو مما يدعو للحسرة، ويؤشر على حالة التراجع الحضاري التي وقعنا فيها، خصوصا أن هذه الهجرة للعقول والطاقات هي في أغلبها من ذوي الكفاءات وفي تخصصات غاية في الأهمية.. لكنهم لم يجدوا بيئة حاضنة توفر لهم الجو الصحي لتعظيم مواهبهم والإفادة منها.. فكان البديل أن هاجروا إلى من يقدرونهم تقديرا معنويا وماديا.

ونحن إذ لم نعمل على تدارك هذا الأمر، فإننا سنخسر طاقات كبيرة، وفرصة ثمينة للانعتاق من حالة التراجع الحضاري.. ومن ثم، فعلينا أولا أن نوقف هذا النزيف، من خلال توفير حدود الأمان اقتصاديا واجتماعيا، كما أوضحنا.. وأن نعمل ثانيا على استرداد تلك الطاقات والإفادة منها.

من المهم أن ندرك أن «الإنسان» عموما هو الأساس في معادلة البناء الحضاري.. وأن «الإنسان الموهوب» هو نعمة كبرى، وفرصة ثمينة ينبغي عدم هدرها.

ولهذا، فإن اكتشاف المواهب، ورعايتها، وتوفير الجو الصحي لتوجيه طاقاتها الفوارة.. ضرورة حضارية؛ لا مفر من التنبه إليها، والعمل على تدارك ما فاتنا بصددها.

الهوامش

١- «المعجم الوسيط»، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:١٠٥٩، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.

٢- «معجم علم النفس والتحليل النفسي»، إشراف ومراجعة د. فرج عبدالقادر طه، ص:٤٤٤/٤٤٥، دار النهضة العربية، ط١، من دون سنة النشر، بيروت.

٣- راجع: «التشريع الجنائي الإسلامي»، عبدالقادر عودة، ٥٢٠/١، دار الكاتب العربي.

٤- «المنثور في القواعد»، الزركشي، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ١٦٤/٢، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.

٥- رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري.

٦- راجع «تبني الموهوبين من منظور إسلامي»، د. شميسة خلوي، طبعة إلكترونية pdf عن «شبكة الألوكة».

٧- رواه الترمذي، وصححه الألباني.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية



تنمية المواهب في الإجازة الشتوية

يحتار الآباء والأمهات حينما يقترب موعد الإجازة الصيفية أو الشتوية في كيفية قضاء أبنائهم لتلك الإجازة وبماذا يشغلونهم هل بما يحبون؟ أو بما يستفيدون؟ أو بما يشاءون وترك الأمر دون تخطيط؟ في الحقيقة إن عملية التربية والتعليم الملقاة على عاتق الوالدين تجعلهما يفكران مليا في كيفية الاستفادة من الإجازة بطريقة تربوية، بمعنى أن تعود على الأبناء بالنفع والمتعة والتعلم والإنجاز والتطور في آن واحد؛ فكل تلك الأهداف يجب أن تكون نصب أعين الوالدين عند التخطيط لكيفية قضاء الإجازة الشتوية التي باتت على الأبواب.

فلا تكفي المتعة فقط أو قضاء الوقت عند التخطيط للإجازة الشتوية أو الصيفية، مع أن المتعة هدف ضروري ولكننا علينا دائما بالتوازن المعقول الإيجابي بين النشاطات والأهداف المتنوعة للتربية، وأقولها صراحة إن مشكلة الكثير من الآباء والأمهات في زماننا أنهم ينصب جل اهتمامهم خلال العام الدراسي للطالب على دراسته وأداء واجباته المدرسية والتفكير في النجاح والتفوق الدراسي لأبنائهم فقط، وهذا شيء إيجابي ومرغوب ومهم من أجل تعليم أبنائهم ومستقبلهم، ولكنني أرى أن هناك جوانب أخرى مهمة جدا قد تم إغفالها بقصد أو دون قصد خلال مرحلة الطفولة أو المراهقة من قبل الكثير من الأهل في مقابل تركيزهم على مدى مذاكرة أبنائهم

وامتحاناتهم وعلاماتهم المدرسية.. مع العلم أن مرحلة الطفولة أو المراهقة إن مضت لا تعود، وأن تلك المراحل لا تتضمن النمو الفكري والعقلي واللغوي فقط ولكنها تشمل أيضا: (النمو الحركي، والنمو الاجتماعي، والنمو الأخلاقي، والنمو الروحاني).

وتلك النواحي الثلاث التي تم إهمالها هي: (١) العبادات، (٢) زيارات الأهل والأقارب، (٣) تنمية المواهب لدى أبنائنا. وتاليا أوضح تلك الجوانب.

أولا: جانب العبادات

لم نعد نرى -للأسف- لدى الكثير من الأمهات الحرص الشديد على مستقبل أبنائها الأخروي كما هو حرصها على مستقبل أبنائها الدنيوي، فتراها شديدة الحرص على أن يقوم ابنها بأداء واجباته المدرسية البيتية التي طلبها المعلمون والمعلمات، وعلى المذاكرة باجتهاد للامتحانات وقد تجلب له المعلمين للبيت من أجل تدريسه ومساعدته على المذاكرة... وهذا الحرص مفيد لمستقبله وبنائه العقلي والمعلوماتي ولا ننكر ذلك، ولكن الأم ذاتها لا تجدها تحرص ذات الحرص على أن يؤدي ابنها الصلوات الخمس التي فرضها الله تعالى عليه، بل تتركه على راحته إن شاء أداها وإن شاء فلا، وحسب وقت فراغه وحسب استطاعته وأحيانا يهملها تماما، والأم لا تكترث ولا تتابعه ولا توفر له المحفزات التشجيعية لأداء الصلاة في أوقاتها، وتنسى أن ابنها وهو في سن المدرسة هو في سن التعليم والتدريب والتعويد على الصلاة، وإن فاتت هذه السن أصبح التعود على أداء الصلوات أمرا صعبا لاحقا.

فمثلا، كثير ما تكون الأم حريصة جدا على إيقاظ ابنها للمدرسة ولا تجدها بذات الحرص لإيقاظه لصلاة الفجر، بل تراها ترأف بحاله أن توقظه من نومه لأداء الصلاة وتقول في نفسها سيصليها عندما يستيقظ للمدرسة! وهنا المفارقة أن الحياة الدنيا أصبحت أهم في معاييرنا من الحياة الآخرة! وهذا ما يضيع أمتنا في هذا الزمان عدم إدراك الأولويات.

فيا ليتنا نتخذ من فترة الإجازة الشتوية فرصة من أجل تعويد أبنائنا على الصلوات الخمس مع استخدام الحوافز والمشجعات لأدائها، فعلينا أن نضع ضمن برنامج الترفيه وقضاء الإجازة الشتوية برنامجا لأداء الصلوات الخمس أو الذهاب للمسجد مع الوالد (الذكور)، وسيرى الوالدان انعكاس ذلك على أبنائهما من خلال الانضباط وتنظيم الوقت والهدوء النفسي لهم. وكذلك أن يكون جزء من هذا البرنامج لقراءة القرآن الكريم أو لحفظ بعض الصفحات أو الأجزاء منه بحسب قدرة أبنائهما، وحفظ أحاديث نبوية شريفة وتقديم الجوائز للإنجازات، فتالله لقد تقدمت أمتنا العربية والإسلامية حينما كنا حريصين أشد الحرص على الصلاة وحفظ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وفقه العلوم الدينية والدنيوية المختلفة.

ثانيا: صلة الأقارب والأرحام

في ظل انشغال الوالدين وأبنائهما خلال العام الدراسي في المذاكرة والدراسة لهم يتم إهمال أو إغفال أو تقصير غير مقصود في زيارة الأهل والأقارب، ومن الجميل أن نضع ضمن برنامج الإجازة الشتوية برنامجا لزيارة ذوي الأرحام كالعمات والأعمام والخالات والأخوال... مع تعويد الأبناء على توجيه النية أن تكون طاعة لله تعالى وإرضاء له، وتحسينا للعلاقات العائلية، وزيادة للمحبة وتقليلا للتوترات. وتذكروا تماما أيها الآباء والأمهات أن ما يعيشه أبناؤكم في الصغر سيحفر في ذاكرتهم مدى العمر ولن ينسى وسينعكس على سلوكاتهم مستقبلا، وهو إما أن يصبح قريبا من العائلة ومحبا للآخرين ويستمتع مع أهله وأقاربه ويعتز بهم، أو أن ينشأ هاجرا لهم جافا في علاقته معهم لا يكترث لأحد ولا بمشاعر الآخرين أو بواجباته الاجتماعية تجاه أقاربه وأرحامه، فذكرهم دوما بثواب صلة الرحم وعقوبة قاطع الرحم، فاجعل وقتا للزيارات العائلية ضمن برنامج الإجازة الشتوية لأبنائك.

ثالثا: تنمية المواهب لدى أبنائنا

وهو جانب مهم ولكن كثيرا ما يهمل في بلادنا العربية في ظل غياب الأنشطة المتنوعة وبرامج تنمية المواهب في المدرسة وفي البيت وفي المجتمع. وهنا سنفصل في هذا الجانب الذي علينا الاهتمام به خلال الإجازات الشتوية أو الصيفية، فلا تكفي برامج المتعة في الإجازة بل لابد أن تكون مفيدة ومخططة بشكل يهدف لتنمية المواهب والمهارات لدى الأبناء.

البدء بالتخطيط للإجازة الشتوية

إن أكثر من يعرف الأبناء وما يملكونه من مهارات ومواهب وقدرات هم الوالدان بما يعيانه ويتابعانه ويقضيانه من وقت مع أبنائهما وما يلاحظانه لديهم، وكثيرا ما يتفاخر الآباء والأمهات بأبنائهم أمام أقاربهم وأصدقائهم، وبالتالي فإن مسؤولية تنمية مواهب الطفل ومتابعتها والتخطيط لها تقع على عاتق الوالدين، لذا أنصح الأمهات بالبدء بالتخطيط للإجازة الشتوية من الآن وسؤال نفسها بداية: ما ميول طفلي؟ وما المهارات التي يمتلكها ويجب أن يطورها؟ وما الهوايات التي يحب أن يمارسها؟ وما جوانب الإبداع لديه؟ كيف يمكن أن أشركه مع إخوته في محاولات لتنمية مواهبهم الشخصية؟

والسؤال المهم كذلك، كم عمر طفلي؟ حيث عمر الطفل يحدد ما النشاطات التي يمكن أن يشارك فيها، وما المواهب التي يمكن أن يطورها وفقا لعمره؟ وهنا أشير إلى أن الطفل الذي عمره أقل من خمس أو ست سنوات يختلف في ميوله وحاجاته ومهاراته عن الطفل الذي بين السادسة والحادية عشرة من العمر، وهذا يختلف عن الابن المراهق الذي تجاوز الحادية عشرة، فكل من هذه الأعمار يحتاج ما يناسبه في الإجازة المدرسية لتنمية مواهبها، وتاليا سأفصل في كيفية تنمية مواهب كل مرحلة عمرية منها خلال الإجازة الشتوية.

الطفل الأقل من ٦ سنوات

وهو الطفل في السنوات الست الأولى من عمره؛ وننصح الوالدين في الإجازة بالتركيز على تنمية مهاراته الحركية والاجتماعية واللغوية، كتنمية مهارات العمل باليدين كاللعب بالمعجون والرمل والرسم واللعب بالمكعبات والمجسمات والألوان وتعرف أسماء الأشياء والأدوات والصور وممارسة مهارة التصنيف. وكذلك تنمية المهارات الحركية لديه كالقفز والركض والسباحة وركوب الدراجات.. وهنا من الضرورة بمكان الذهاب للأماكن المفتوحة كالحدائق والملاعب وألعاب الملاهي، والسماح للطفل بتنمية مواهبه في كرة القدم أو الطائرة أو القفز أو الجري أو السباحة، فكل هذه مهمة للطفل لتنشيط ذهنه. ففي هذا العمر يكون الطفل في أمس الحاجة للعب وللأنشطة الحركية، وهو غالبا ما يتعلم ويكتسب المهارات اللغوية والحركية والاجتماعية من خلال اللعب مع الرفاق والتفاعل مع الآخرين.

فعلى الوالدين توفير الأدوات اللازمة له للعب أو للرسم أو لتشكيل الصلصال وتوفير كرات بأحجام مختلفة ودراجة هوائية صغيرة له ومكان للعب وممارسة الهوايات.. ومن المهم في هذا العمر تقليل استخدام الأجهزة الإلكترونية قدر الإمكان وعدم السماح للطفل باستعمالها إلا عند الضرورة ولمن تجاوز سن الرابعة، وبمدة لا تتجاوز الساعة يوميا، فهذا دور الأم تقنين استخدامها لخطورة تأثيرها على الأطفال، وتعويضه بالأنشطة السابقة وبقراءة القصص للطفل (خاصة إن لم يكن يستطيع القراءة)، فمن خلال الاستماع للقصص يمكن للأم تنمية ملكة حب القراءة لديه، وملكة الإنصات والتحليل والإدراك والاستنتاج، واكتساب بعض القيم وتقويم السلوكات الخاطئة، وتعليم بعض المفردات اللغوية ما ينمي اللغة لديه والتي هو بحاجة لتنميتها في هذا العمر.

وإن مما يساعده كذلك على التنمية اللغوية والمتعة في هذا العمر حفظ بعض سور من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية، وبعض الأناشيد التربوية الهادفة. وهكذا يمكن للوالدين أو للأم التخطيط لبرنامج يومي مناسب لحاجات طفلها للإجازة القادمة تأخذ بالمقترحات السابقة وبشكل متنوع يجلب المتعة والفائدة معا للطفل.

الطفل بين السادسة وأحد عشر عاما

هنا الطفل أصبح مدركا أكثر لحاجاته وميوله ورغباته وما يحب وما يكره، وكذلك الوالدان يصبحان أكثر إدراكا لميول ومواهب وقدرات طفلهم في هذا العمر وأصبح من السهل عليهما تحديد موهبة أو أكثر للتركيز عليها بشكل مكثف إن كان طفلهما يحبها ويجد نفسه فيها، فمثلا الطفل الذي يحب الرسم يمكن توفير أدوات الرسم اللازمة له ومكان مناسب للرسم وتشجيعه على إنتاج لوحات وتعليقها في مكان بارز بعد اتمامها من باب التشجيع له ومدحه أمام محبيه من الأقارب وعرض لوحاته عليهم؛ ما يساعد كثيرا في رفع معنويات الطفل وخاصة مع استعمال كلمات إيجابية تحفيزية مثل: طفلي مبدع، طفلي موهوب متميز في هذا الجانب وانظروا للوحاته. وإن كانت متقنة بشكل معقول فيمكن مشاركة لوحاته في معارض أو دعوة بعض الجيران أو الأهل لمشاهدة لوحاته.

وهكذا تعمل الأم جاهدة على تنمية تلك المهارة لدى أبنائها، وبنفس الطريقة إن كان يحب النحت وتشكيل بعض المجسمات كالبيوت والمساجد والأبنية أو الأشكال المختلفة. ومثلا؛ إن كانت ابنتك تحب التطريز أو العمل بالصوف فيمكن توفير الأدوات والخيوط اللازمة لها وتشجيعها بنفس الطريقة السابقة وتحفيزها من خلال عرض ما تنتجه وإشعارها دوما بالإعجاب بما تنتج وأن إنتاجها له قيمة وفائدة، و«خير لهو المرأة مغزلها» فهو نوع من الاستفادة من الوقت وتنمية المهارات الحركية والبصرية.

وكذلك الأمر إن كان الطفل موهوبا في جانب رياضي معين فيمكن مساعدته على تنمية موهبته من خلال إشراكه في ناد معين خلال تلك الإجازة أو تدريبه مع مدرب خاص أو توفير المواد التي يحتاج إليها والمكان المناسب لتنمية موهبته كاصطحابه للملاعب والحدائق العامة. فعلينا ألا نستهين بأي موهبة لدى طفلنا فهو قد يبدع فيها مستقبلا وتكون مصدرا للدخل لديه أو للإنتاج والابتكار.

ومن المهم محاولة إبعاده عن الجلوس لفترات طويلة أمام الألعاب الإلكترونية وتقنين ساعتها، وأخذه في نزهات



وزيارات عائلية، ولمسرحيات هادفة، وتوفير قصص له لقراءتها فهذا العمر يحب كثيرا القصص.

طفل ما بعد الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة سنة

هنا الطفل دخل في مرحلة متطورة من إدراك الذات والملكات والمواهب والقدرات ويصبح يطلب بنفسه ما يحتاج لتنمية مواهبه، وهنا يكون دور الوالدين التشجيع على ممارسة المواهب والمساعدة في إدراكها والتخطيط معه لكيفية تنميتها والإمكانات التي يمكن توفيرها له لتنمية موهبته. وننصح الوالدين بعدم رفض طلبات ابنهما قدر المستطاع إن كانت لتنمية مواهب لديه، لأن الطفل في هذا العمر بحاجة ماسة لقضاء وقت بما يفيده وبما يثبت به قدراته ومواهبه وذاته، وتميزه على الآخرين. فالوالدان هما إما أن يكونا مصدر تشجيع وتعزيز وتنمية لمواهب ابنهما أو يكونا مصدرا للسخرية منها وكبتها وانطفائها إلى وفاته، حيث هذا العمر حساس، وردود فعل الوالدين تؤثر كثيرا على مستقبل أولادهما وعلى ما يدركانه عن ذاتهم وقدراتهم؛ فحاول أيها الأب وأيتها الأم الانتباه للألفاظ والعبارات التي تستخدم مع الأبناء فهي إما دافعة لهم للأمام وإما محبطة كابتة لهم.

وإن مما ابتلينا به في هذه الأيام كثرة الساعات التي يقضيها الأبناء على الأجهزة الإلكترونية كالجوال وأجهزة اللعب الإلكترونية المختلفة، وتزداد تلك الساعات في الإجازات المدرسية وأصبح موضوع تنمية المواهب والمهارات لدى الأبناء من المواضيع الجانبية! وهذا مما يخالف الطبيعة البشرية لأن الإنسان بطبعه يحب أن يجد نفسه وإمكاناته ويحب الإنتاج والتفوق على نفسه وعلى الآخرين.

أما الجلوس مع هذه الأجهزة لساعات طويلة وممارسة نفس الألعاب ومشاهدة الفيديوهات فلا تنمي لدى الفرد سوى بعض القدرات البسيطة، وقد تكون بالعكس مدمرة لقدراته ومواهبه الأخرى، فهنا ننصح الوالدين بإدراك مواهب أبنائهما وتشجيعهم على ممارستها كما كنا ونحن صغار، ومحاولة تقليل ساعات جلوسهم مع الأجهزة وتعويضها بممارسة هواياتهم، كهواية المطالعة مثلا للكتب والمجلات والقصص وتوفيرها لهم، أو ممارسة الرياضة وأخذهم للأماكن المفتوحة للعب والرياضة أو للبحر للسباحة أو ممارسة التخييم مع الأهل أو الرفاق، أو الانخراط في أعمال مجتمعية تطوعية مع رفاقهم وهي كثيرة وتناسب أعمارهم، ويمكن تشجيعهم على الابتكار أو الاختراع إن كانت لديهم الإمكانات، ومحاولة اصطحابهم في نزهات مع الأهل والأصدقاء.

وإن كان ابنك يحب الكتابة والتأليف فشجعه على ممارسة تلك الهواية بشتى الطرق، وإن كان متميزا في النقاشات والحوارات ولديه طلاقة لغوية فشجعه على إجراء بعض اللقاءات الصحفية وحاول نشرها له في مجلات أو في المسابقات المحلية.

ونقترح في هذا العمر الجلوس مع الابن أو الابنة والسماح لهم بالتعبير عن الذات وإبداء ميولهم ورغباتهم وما يفكرون فيه، وعدم كبتهم بالصراخ أو السخرية منهم أو العنف، ومن ثم التخطيط معهم لبرنامج يومي لهم لكل يوم من أيام الإجازة الشتوية بحيث ينتج في كل يوم شيئا جديدا مختلفا، ويمارس هوايات وأنشطة متنوعة بلا ملل وتقل فترات بقائه على الأجهزة للعب ومتابعة الفيديوهات ومشاهدة الغث والسمين على الإنترنت وما لا تحمد عقباه.



خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي - مصر



كيف تنمي موهبة طفلك؟

مما لاشك فيه أن الخالق عزوجل قد حبا الكثير من الناس بقدرات فائقة تنتظر من يكتشفها ويجلو الصدأ عنها؛ فهناك من يتمتع بقوة عضلية خارقة، أو ليونة جسمانية غير عادية، أو توافق عصبي عضلي مذهل، أو قدرات عالية على الاستجابة السريعة، وهناك من يتمتع بذاكرة فوتوغرافية تلتقط تفاصيل الأشياء بدقة، أو بقدرة غير عادية على انتقاء الكلمات وصياغة الجمل، ومما يبعث على الأسى أن هناك الكثير من الناس يعيشون ويموتون وهم لا يدرون أن الخالق عزوجل قد حباهم بمواهب دفينة، ذلك لأنهم لم يضعوا أنفسهم في مجال اختبار لطاقاتهم، ولم يعملوا عملا يؤدي بهم إلى اكتشاف ذاتهم ومعرفة قدراتهم، ولم يجدوا من البشر من يكتشف هذه الموهبة ويعمل على تنميتها وصقلها في صبر وأناة، فكم من امرئ حباه الله موهبة الشعر والنثر ولكنه لم يعرف ذلك لأنه لم يتعلم القراءة والكتابة، وكم من الناس من عندهم قدرة خارقة على الجمع والطرح والتعامل مع الأرقام ولكنهم لم يدركوا ذلك لأنهم لم يتعلموا الحساب، وكم من الناس من لهم قدرة على الرسم والتصوير وهم لا يعرفون ذلك لأنهم لم يمسكوا ريشة أو قلما. وتؤكد الدراسات أن المنزل أو الأسرة هي أول محضن ورافد من روافد اكتشاف وتنمية الموهبة عند الطفل وصقلها ورعايتها وذلك باتباع الخطوات الآتية:

أولا: تشجيع الطفل على التعبير عما بداخله من أفكار

إن تشجيع الطفل على البوح بما يجيش داخل عقله من أفكار وأمور قام باكتشافها بنفسه، له مردود طيب في تنمية التفكير الابتكاري لديه؛ فيجب علينا كوالدين ألا نحقر من قيمة هذه الاكتشافات ونقلل من أهميتها عند الطفل، فهي إن كانت أمرا بسيطا بالنسبة إلينا، فإنها عند الطفل أمر مهم وخطير سيغير من أركان الدنيا في نظره، فلابد من الوالدين أن يحيطا الطفل بالتشجيع والرعاية والاهتمام، لأن هذا التشجيع الذي يلقاه الطفل في مثل هذه المواقف سيدفعه إلى أن يتطور في اكتشافاته ويبذر في نفسه روح

الشجاعة والجرأة والإقدام والمبادأة، وكلها أمور تنمي موهبة الطفل وتقوي أنماط التفكير الابتكاري عنده وتدعمه في نفسه.

ثانيا: إثارة فضول الطفل للتعلم مبكرا

على الوالدين إثارة فضول الطفل في وقت مبكر للتعلم، وهذا الأمر المهم لا يعني تحفيظ الطفل شيئا من المحفوظات أو الحساب في وقت مبكر، كما يعتقد ويفعل البعض، بل يعني تعليم الطفل كيفية البحث والاستنباط وتطوير قابليته للإصغاء للآخرين ومشاركته لهم في أعمال هادفة وأنشطة متنوعة وفق مراحل عمره المختلفة، حيث تؤكد الدراسات أن عدم تنشيط رغبة الطفل في التعلم في الصغر قد يؤدي إلى فقد قابليته للتعلم بشكل دائم وإلى تراجع ذكائه وضعف موهبته.

ثالثا: حفز الطفل على القراءة

إن حفز الطفل على القراءة والاطلاع في سن مبكرة، يعد من أهم الأسباب التي تساعد في إرساء دعائم الشخصية المبدعة؛ فالقراءة هي المؤشر الحقيقي لاكتشاف مواهب الفرد وأساس المعرفة وبذر بذور الابتكار والتفكير الخلاق في نفس الفرد، حيث تؤكد الدراسات أنه كلما زاد تعرض الطفل للقراءة في وقت مبكر ازداد ذكاؤه العام، وتفتحت ونمت مواهبه، وحلق في آفاق الإبداع والتفكير الخلاق مبكرا.

رابعا: تقديم اللعب المفيدة للطفل

تعد ممارسة الطفل للعب من الوسائل المهمة، التي تساهم مساهمة فاعلة في إرساء دعائم الشخصية المبدعة عند الطفل، لكن دورنا كآباء وأمهات هنا يكون بضرورة الاهتمام بتقديم اللعب المفيدة للطفل؛ فالألعاب بالنسبة إلى الأطفال قبل أن تكون وسيلة ترفيهية وسيلة تربوية تعليمية وتثقيفية مهمة لها دور كبير في بناء شخصية الطفل وتنمية موهبته، فاللعب يسمح للطفل بالاحتكاك بكل المواقف والأفكار، ومعظم الأطفال يولدون ولديهم غريزة حب الاستكشاف، لذلك يجب إحاطتهم بالألعاب التي تنمي هذه الغريزة مثل المكعبات وأقلام التلوين والرسم والدمى، وأفضل أنواع الألعاب بالنسبة إلى الأطفال في هذه المرحلة الألعاب التي يمكن أن يستخدمها الطفل في عمل ما لا نهاية له من الأشكال، وتساعده في ابتكار أشياء جديدة، وتحفز ملكة التفكير لديه.

خامسا: إفساح المجال للطفل لطرح أسئلته

إن إفساح المجال أمام الطفل لطرح أسئلته والاستماع إلى استيضاحاته، مع تقديم الإجابات الوافية عليها، جانب مهم من جوانب بناء الشخصية المبدعة، فالأهل الأذكياء هم الذين يشجعون أطفالهم على السؤال والاستيضاح ويساعدونهم على إيجاد الجواب وإتاحة الفرصة أمامهم للحوار والمناقشات التي يتعلم الطفل منها طرق الحوار وآدابه وكيفية ربط الأشياء بعضها مع بعض والنظر فيما بينها من تشابه أو اختلاف، كما عليهم أن يتجنبوا ما يفعله الأكثرية بقولهم للطفل لا تناقش، لا تسأل، فالأمر كما قلت لك وانتهى الموضوع، ولا أريد أن أسمع منك ولا كلمة.. وما شابه ذلك من أساليب الغلظة والفظاظة التي تجعل الطفل يتردد كثيرا ويفكر طويلا قبل أن يوجه سؤالا أو يطلب استيضاحا أو مناقشة عن شيء يجهله.

سادسا: دعوة الطفل للتأمل في إبداع الخالق عزوجل

كما يجب علينا أن نحث الطفل على التأمل في إبداع الخالق عزوجل في كونه وحسن تدبيره وتقديره تعالى في مخلوقاته؛ فإحساس الطفل المبكر بهذا الجمال الرباني والتنظيم الإلهي البديع في الكون وتذوقه له يقوي ملكة الإيمان لديه من ناحية، ومن ناحية أخرى يساعد الطفل على تمثل ملكات التناسق والتوافق والتكامل والروعة والجمال في هذا الكون، الأمر الذي يفجر موهبة الطفل ويبرز ما لديه من طاقات وملكات كامنة تحفزه على تتسم خطى الإبداع والابتكار في حياته، ناظرا في كتاب الكون المفتوح بما يحمل من جمال وإبداع لا نظير له.

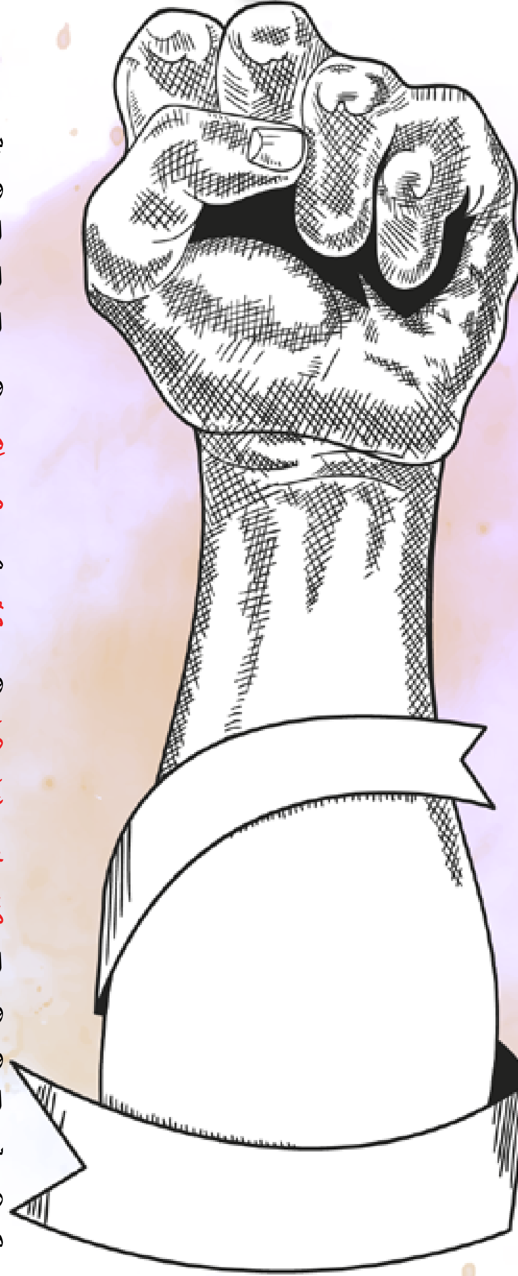
وفي النهاية نقول إن الطفل الموهوب ثروة بشرية لا تقدر بثمن تحتاج إلى التنمية والرعاية بتسهيل السبل أمامه ليقطف ثمرات نبوغه وتفوقه، سواء كان هذا النبوغ والتفوق في الرسم أو اللغة أو الموسيقى أو المهارات اليدوية أو الابتكارات العلمية أو الاتصالات الاجتماعية أو في الشعر أو في الكتابة، مع العمل على إشباع حاجته للكشف والتنقيب والاطلاع والتخيل، لأن هذه الطرق تساعد على رعاية الموهبة الثقافية والفنية عند الطفل وتنميتها، فالطفل الموهوب رجل المستقبل وليس المطلوب سوى الإعداد لهذا المستقبل بالعمل الجيد والتخطيط السليم.





عثمان إسماعيل حسين
باحث وكاتب مصري

منهج الإسلام في تنمية المواهب



تتجلى دلائل الإعجاز التربوي في الدين الإسلامي أن جعل لكل مرحلة عمرية منهجا تربويا خاصا بها، يكفل لها حسن التكوين والإعداد والبناء من ناحية، وصونا وحماية لها من ناحية أخرى.

ومن المعروف أن مرحلة الشباب مرحلة خصبة لما تحمل من ضروب النضج المختلفة من قوة وفتوة، وتطلع وطموح، وحيوية وانطلاق، وهذا ما يضعها بين شقي الرحى صراعا وتحديا.. إما الإصرار على التحلي بقيم وفضائل الدين الإسلامي فيكون رضا الله وسعادة النفس وفلاحها ونجاحها، أو الضعف والاستسلام أمام شهوات الحياة وملذاتها فتكون الهاوية والضياع...

ومن هنا حظيت مرحلة الشباب بنصيبها الأوفر من اهتمام الدين الإسلامي -قرآنا وسنة- حرصا عليها ووقاية لها وتأكيدا على أن الشباب هم عمود الأمر وذروة سنامه في أي أمة وعلى كاهلهم تقع المسؤوليات الجسام حماية ودفاعا، إعدادا وبناء، تقدما وتطورا.

والمتأمل بدقة في منهج الإسلام في رعايته لمرحلة الشباب يجد أن ما جعل هذا المنهج يأخذ سمة التفرد والتميز والتفوق على سائر مناهج البشر حتى قيام الساعة هو ما تميز به كون طبيعته (طبيعة ربانية)

حيث استمد فقهه التربوي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.. تلك الطبيعة التي أساسها قوة الايمان، وجوهرها حسن الاستقامة، وختامها وثمارها الصلح مع الله ومع الذات

بإحياء الفضائل والقيم الإنسانية والتمسك بها، وذلك بعد أن ألقت الطبيعة الربانية بظلالها على ذلك المنهج فأكسبته هالة الصدق وضمان الصلاح والإصلاح فقال تعالى في وصف فتيان أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ (الكهف:١٣) وقال تعالى في هوية هذا المنهج: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام:١٥٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠) وفي الحديث الشريف في صدد الإيمان والاستقامة بأنهما الأساس الراسخ والمتين لذلك المنهج الذي يكفل المقصد ويضمن الغاية، عن أبي عمرو سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ﷺ: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»[1].

هنا تبدو عظمة هذا المنهج وسر بقائه وخلوده، بأن أساس البنيان فيه الإيمان بالله، وحليته وزينته الاستقامة، وبهما يكون الطريق وتكون الحياة كما ينبغي أن تكون...



وتأخذ طبيعة منهج الإسلام في تربية الشباب منحى آخر هو «طبيعة الفطرة»، وذلك لأن الإسلام دين الفطرة قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الروم:٣٠).

وبتلك الفطرة تتقبل المرحلة الشبابية هذا المنهج قبولا إيجابيا علاجا وتقييما وتقويما، لأنها جبلت في الأصل على الطهارة والنقاء والصفاء فيكون لها هذا المنهج تأصيلا وترسيخا لما تتطلبه مرحلة الشباب من استثمار لها بما فيها من طاقة إيجابية والتكيف معها إصلاحا وصلاحا، وبما تتسم مرحلة الشباب، من استعداد وتهيئة وغايات، وتقويم ما تتعرض له تلك المرحلة من ميل وانحراف.

وبذلك يحقق هذا المنهج مقصد الملاءمة والتناغم والتوازن بين تعاليمه وقدرات الشباب ومدى استيعابهم قبولا لأوامر المنهج ونواهيه.

وتبدو سمات هذا المنهج أنه منهج (حياتي واقعي- شمولي متكامل) يلزم لتحقيقه حسن النشأة والتربية، وترجمة التكاليف الربانية إلى سلوك ملموس، والعبادة والطاعة إلى عوالم القيم الإسلامية والفضائل الأخلاقية، فإذا ما أتقن الشاب ذلك حاز وظفر بالتكريم الإلهي ويهبه الله ظله يوم لا ظل إلا ظله.. لأنه نشأ في عبادة الله قولا وإيمانا وفعلا.. فتكون التربية الشاملة التي بدت في أوج عظمتها في المواعظ اللقمانية والتي تجسد الإعداد بكافة وسائله وضروبه ليكفل للشاب دخول غمار الحياة ومعتركها آمنا مطمئنا واثقا بأن العثرات تأبى طريقه، حيث بدأت بالتربية العقائدية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣)، وتنتهي بالتربية السلوكية الشخصية في قوله تعالى: ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان:١٩) وقد أفردت مجلتنا الغراء «الوعي الإسلامي» عدة مقالات عن الأصول التربوية للموعظة اللقمانية تحليلا وتوجيها وإرشادا فكانت منهجا تربويا محكم البناء، مأمون الغاية بثماره اليانعة...

ولا يجب أن نغفل في هذا الصدد تلك الكلمات الكافية الشافية في نصيحة رسول الله ﷺ لعبدالله بن مسعود، والتي بلغت من عظيم قدرها ومقصدها ما بلغت.. فعن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(٢).

والمتأمل بدقة في كلمات النبي ﷺ يجد أنه أمام منهج تربوي، كل متكامل له أبعاده وأهدافه وثماره، إضافة إلى روائع البلاغة التربوية التي تجبر القارئ على أن يتعايش التذوق والاستغراق والتحليل والتدقيق

ليخرج من رحم هذا التأمل أرقى مناهج التربية الشبابية، ونشعر بفشل النظريات التربوية ذات الصناعة البشرية والتي يشوبها العوار الشديد أمام عظمة المنهج الإسلامي الذي يعد مثالا يحتذى في سمو الهدف وروعة الأداء والوسيلة ولذة الإقناع والتأثير، مما يؤكد أن منهج الإسلام في تربية الشباب منهج إيجابي حيال القدرة على الفعل والعجز عنه، فعلى سبيل المثال عندما دعا هذا المنهج الشباب إلى الزواج لما له من فوائد جمة، دعا القادر لذلك وكانت رحمته لعدم القادر أروع وأجمل عندما حثه على الصوم فجعله دواء، حفظا له وصونا من كل سوء، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (متفق عليه).

وتتجلى أرقى ملامح هذا المنهج في غرس الرحمة والاحترام والتوقير للأكبر سنا، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[٣].

وكذلك حظيت التربية الشبابية بالأمور الخاصة والاجتماعية كقضية «اختيار الصديق» تلك القضية التي أخذت طابع القضايا العصرية والأمن الأسري والتي باتت تؤرق الدور والقصور، حيث تصدى لها هذا المنهج ووضع لها المقاييس والمعايير بكل سهولة ويسر والتي تضمن الثمار الناضجة للصداقة الحقة.. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة» (متفق عليه).

وفي رواية أخرى جاءت على صيغة الأمر للوجوب والإلزام وتحمل المسؤولية في اختيار الصديق فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٤].

واهتم المنهج الإسلامي في تربية الشباب بـ«التربية الانفعالية» وحذر من عواقب الانفعال والتصور ودعاه أن يملك السيطرة على تصرفاته وانفعالاته وألا يسبق لسانه قلبه وعقله منعا من السقوط في مزالق الحمق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).

ولا نستطيع تجاهل التربية الجسمانية والبدنية، تلك التربية التي يكون المجتمع في أمس الحاجة إليها متمثلة في هذا الشاب القوي الذي يملك الاستعداد للدفاع عن دينه ونفسه ووطنه، وخوض غمار الحياة ورحاها الدائرة، وهنا تأكيد على أن التربية الجسمانية لا تنفصل عن التربية الروحية والوجدانية.. إنها التربية الرياضية التي دعا إليها الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في مقولته الرائعة «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» وتلك الرياضات تغرس في نفوس الشباب حب المغامرة والثقة بالنفس وشجاعة الموقف ونضج الطموح والزهو بالنفس بقوة الجسم والعقل والقلب..

إن منهج الإسلام في تربية الشباب هو سر الأسرار بأن تنطق صفحات السيرة والتاريخ بتلك الأسماء الشابة التي كانت صدى حقيقيا لهذا المنهج الرائع.. سيرة وعظة، حياة وعبرة، مثالا وقدوة، فهو الذي جعل علي بن أبي طالب (الفتى الشاب) ينام مكان رسول الله ﷺ ليلة الهجرة، تضليلا وتمويها لمشركي مكة.

أسامة بن زيد وهو دون السابعة عشرة يقود جيشا من عظماء الصحابة.

حنظلة بن أبي عامر يترك أهله وداره ليلة زواجه ليلبي نداء الجهاد لينال شرف الشهادة والشرف الأعظم أن تغسله الملائكة.

عبدالرحمن الداخل وهو دون الخامسة والعشرين يقيم دولة الأندلس.

محمد بن القاسم في التاسعة عشرة من عمره يصل بفتوحاته في عهد الوليد بن عبدالله إلى حدود الصين.

هؤلاء قطفوا من دوحة هذا المنهج الناضرة ثماره، إنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. لبوا نداء الله في الدنيا وتاقت أنفسهم للقائه في الآخرة.. لما وهبهم الله من قوة الإيمان وشرف تحمل المسؤولية وتأدية الأمانة.. فكان لصفحات التاريخ كل الشرف أن تنطق بتلك النماذج والتي ينبغي أن يضعها الشباب نصب أعينهم قدوة رائعة في عصر أصبحت فيه القدوة -للأسف الشديد- فقدا وعدما وندرة والبحث عنها إعجازا واستحالة.

الهوامش

١- رواه مسلم.. رياض الصالحين الإمام النووي، برقم ٥٨.
٢- رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح نفس المصدر رقم ٦٢.
٣- رواه الترمذي نفس المصدر برقم ٣٥٧.
٤- رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح نفس المصدر برقم ٣٦٥.



وفيق صفوت مختار
اختصاصي التربية وعلم النفس

الثقة بالنفس بوابة الموهوبين

الشعور بفقدان الثقة بالنفس يولد الشعور بالنقص أو الإحساس بالدونية، ويتعزز أحيانا بنقائص خاصة، مثل: التشوه، أو الإعاقة. لكنه - في المقابل - شعور يحفز المرء دوما ويحركه لبذل جهود من شأنها انتزاع الاعتراف من الآخرين، هذا إذا كان التعويض يسير في الاتجاه الإيجابي.

على أن من المظاهر السلوكية لفقدان الثقة بالنفس: التردد والتذبذب، حيث يجد الفرد صعوبة في الثبات على سلوك معين، أو الاستمرار في اتجاه خاص فنراه يقدم خطوة ويؤخر أخرى. كما يجد صعوبة كبيرة في سرعة البت واتخاذ القرارات بنفسه دون مساعدة الغير، كذلك فإن من يفتقر إلى الشعور بالثقة يميل بطبعه إلى الخجل المبالغ فيه، ولذلك يجد صعوبة في مواجهة الناس أو في التحدث أمام الغرباء، أو في مصاحبة الغير، كما يميل إلى العزلة والانطواء.

آثار عدم الثقة بالنفس

يؤدي فقدان الثقة بالنفس إلى شعور الفرد بالشك في نفسه وفي نوايا الآخرين نحوه، فهو يعتقد أن زملاءه أفضل منه في كل شيء، وأن حظه من المواهب والقدرات والمزايا الاقتصادية والاجتماعية الأخرى قليل. ومثل هذا الفرد يفضل الاعتماد على الغير. ومن الناحية النفسية نراه يميل إلى التقليل من قدراته فهو يعتقد أنه أقل ذكاء من الآخرين. ولما كان مثل هذا الفرد يتوقع باستمرار الإخفاق والإحباط في كل مشاريعه أو أعماله فإنه يتهرب من تحمل المسؤولية مهما كانت بسيطة ويراها عبئًا لا يحتمل. ومن خصائص هذا الفرد أيضا أنه يصاب بالإحباط أو بخيبة الأمل من أول موقف أو خطوة يجد فيها صدًّا، ولذلك فهو لا يستطيع الثبات أو المثابرة أمام تحديات الحياة، وإنما يشعر بالإخفاق ويتراجع سريعا فيفقد الثقة في نفسه ويعجز عن التعبير عن نفسه أو الإفصاح



عن رأيه واتجاهاته، كما يعجز عن التعبير عن قدراته ومواهبه وخبراته الحقيقية، ولذلك يبدو في نظر الناس أقل كفاءة مما هو عليه في الواقع.

وقد يلجأ فاقد الثقة في ذاته إلى أحد أساليب التعويض، وقد يكون هذا التعويض إيجابيا وقد يكون سلبيا، فلكي يعوض شعوره بالنقص أو الضعف، قد يمارس القوة والقسوة والعنف لكي يغطي ما يعتمل في نفسه من مشاعر النقص، وقد يبالغ في أساليب جذب الانتباه إليه وذلك بأن يكثر من الإنفاق على أصدقائه أو زملائه حتى يلتفوا حوله.

الثقة في النفس

لاشك أن لخبرات الحياة دورا في الشعور بفقدان الثقة أو التمتع بها، فإذا تكرر مرور الفرد بخبرات الإخفاق فإنه قد تولد هذه المواقف شعورا عاما بفقدان الثقة في النفس، كذلك فإن ارتفاع مستوى طموح الفرد واتساع آفاقه بما يفوق مستوى قدراته وإمكاناته الطبيعية يجعله عرضة لخبرات الإخفاق والإحباط حيث يضع لنفسه أهدافا كبيرة لا يستطيع الوفاء بها، ولذلك يشعر بالإحباط.

وقد يوزع الفرد انتباهه وطاقاته على عدد كبير من الأهداف في وقت واحد ومن ثم يكون مصيره الإخفاق فيها جميعا أو في معظمها، ولذلك كان من الأهمية بمكان أن يضع الإنسان لنفسه أهدافا تتفق مع مستوى ما يتمتع به من القدرات والإمكانات العقلية، والنفسية، والجسمية، والاجتماعية، والاقتصادية.

مرحلة التنمية

١- التربية الاجتماعية السليمة

تؤثر خبرات الطفولة المبكرة في مدى شعور الفرد بالثقة في نفسه، وعلى ذلك فإن تربية الطفل تربية إنسانية سليمة، تؤدي إلى شعوره بالثقة في ذاته، من ذلك إحساسه بأنه يعامل على قدم المساواة مع إخوته أو أصدقائه فيما له من حقوق وما عليه من واجبات، وهذا بالطبع ينمي فيه الشعور بالثقة في نفسه، كذلك إحساسه بالعدل وتكافؤ الفرص واحترام كيانه من شأنه أن ينمي فيه الشعور بالثقة في ذاته، ومن الوسائل التربوية الهادفة إتاحة الحرية للطفل ليعبر عن رأيه وعن مشاعره دون صد أو رفض أو استهزاء.

٢- احترام الطفل وإشباع حاجاته

احترام الطفل وإشعاره بأنه مقبول ومرغوب فيه، والاهتمام به دون مبالغة يؤديان إلى تنمية شعوره بالثقة في ذاته. والطفل لكي يشب واثقا من نفسه ينبغي أن تشبع حاجاته الجسمية، والنفسية، والعقلية، فيشعر بالحب والعطف والدفء والحنان.

٣- تدريب الطفل على تحمل المسؤولية

لابد من تدريب الطفل من نعومة أظفاره على تحمل المسؤولية التي تتفق مع قدراته واستعداداته، والمعروف أن تكليف الطفل بما لا طاقة له به يجعله يفشل، ولما كنا نؤمن بأن مواقف الحياة لا تخلو من التعرض للفشل والإحباط، لذلك ينبغي أن يتعود الطفل ويتدرب على خبرة الفشل وقبولها حتى لا تؤدي إلى اهتزاز شخصيته عندما يتعرض لها في حياته فيما بعد.

ويتعين أن نقف موقفا وسطا في التعامل مع الطفل، فلا إفراط في ممارسة القسوة والعنف عليه وفرض العقاب والصد والردع، وكذلك لا ينبغي أن تتسم معاملاتنا للطفل

باللين الزائد والتدليل والحرية المطلقة وترك الحبل على الغارب والإذعان والخضوع لجميع مطالبه حتى لا يصير الطفل دكتاتورا أو طاغية في البيت أو المدرسة.

٤- الرضا بالمستوى الواقعي لقدرات الأبناء

أحيانا يتوقع الآباء والأمهات من أطفالهم تحقيق مستويات معينة، قد تكون أكبر من إمكاناتهم أو قدراتهم الحقيقية، فإن حصلوا على درجات تحصيلية أقل من المتوقع مثلا، فإن الآباء يثورون وينهالون على أطفالهم باللوم والتأنيب.

إن الأطفال بطبيعة الحال يبغون إرضاء والديهم، ولذا؛ فهم يحاولون شحذ هممهم، ويهيئون كل طاقاتهم لتحقيق أمنيات والديهم، ولا يخلو هذا الأمر من خطورة على صحة الأبناء النفسية، لأن كابوس الخوف من الفشل يظل يلازمهم تحسبا لنبذ الآباء، أو لوم الأمهات. إن مطالبة الأطفال بتحقيق أهداف تفوق مستوياتهم أو قدراتهم الطبيعية لهو الطريق الممهد لإصابة هؤلاء الأبناء بالقلق والإحباط ومن ثم فقدان الثقة بالنفس.

٥- قبول عجز أو ضعف الأبناء بصدر رحب

قد يضع الأبوان صورة متخيلة عن طفلهما الذي ينتظران ميلاده فإذا ما ولد على غير ما كانا يتصورانه، فإنهما قد يصدمان!! لذلك نحن نؤكد أن قبول الأبوين للطفل كما هو بعيوبه وميزاته، بسلبياته وإيجابياته يساعده على النمو بنجاح وسوية.

وعندما لا يحاولان تغييره إلى نوع الطفل الذي تصوراه قبل مجيئه، أو يجعلانه مثل إخوته أو أخواته، أو مثل الأطفال الآخرين من الجيران أو الأصدقاء، فإنهما بهذا يساعدانه على النمو حسب سرعته الخاصة، وبطريقته الخاصة أيضا، ونتيجة لذلك يكون الطفل قادرا على إنماء الثقة بنفسه، لأن هذه الثقة ضرورية لتعلمه القدرة على المبادأة واتخاذ القرارات أثناء مراحل نموه.

٦- تحقيق مبدأ الفطام النفسي

نحن نقصد بالفطام النفسي: الاستقلال الوجداني عن الآخرين، وأن تكون المشاعر أو العواطف غير خاضعة لعواطف الآخرين أو أسيرة لها. على هذا يجب أن تتدرج العلاقة بين الأطفال وبين والديهم وخاصة الأم من حالة الاندماج الوجداني أو الذوبان العاطفي، إلى حالة الفطام الوجداني أو العاطفي، والاستقلال عن الأسرة مع استمرار علاقة الحب المتبادلة بدرجة معقولة ومتوازية لا سيطرة فيها ولا خضوع.

وكثيرا ما نرى الآباء أو الأمهات يستمرون في التعلق الشديد بأولادهم حتى حينما يكبرون ويتزوجون، عندها نقول إن هؤلاء الآباء أو الأمهات لا يستطيعون الارتفاع إلى مستوى الفطام النفسي، لتظل الحالة الاندماجية العاطفية قائمة ومستمرة حتى بعد الزواج، وعليه نقول إن التعلق الوجداني الشديد بالأب أو الأم يعيق الأبناء عن استقلالهم الذهني أو الإرادي، فلا يستطيعون أن تكون لهم آراء مستقلة، أو تتبلور لهم عواطف أو أحاسيس مستقلة وقائمة بذاتها، وهذا بدوره يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس.

لذلك فإن من واجب الآباء والأمهات أن يعاملوا أبناءهم في ضوء الخصائص النفسية التي تتسم بها كل مرحلة من مراحل نموهم، وننوه بأنه حينما يكون التعلق بالأبناء شديدا في بداية نموهم، فإن هذا التعلق يجب أن يخفف كلما نما الطفل وكبر، وانتقل إلى مرحلة عمرية جديدة، على أن يؤمن الوالدان بأن التعلق الشديد بأبنائهما لا يدل على الحب، فالحب ليس أنانية واستئثارا وامتلاكا، لا بأس في أن نعطيهم الزاد النفسي الذي يعينهم على الحياة، ولكن بلا أنانية.

٧- منح الأبناء فرصة التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم

يستطيع الآباء والأمهات في إطار التربية الصحيحة أن يتذكروا دائما أن الأطفال لا ينمون بسهولة، حتى مع وجود أفضل وسائل التوجيه والإرشاد اليومي، فإنهم قد يتعرضون لبعض المشكلات، أو قد يقعون فريسة للضيق والملل، ولذلك هم يحتاجون للشعور بأنهم يستطيعون أن يبوحوا لوالديهم بمكنوناتهم من مشاعر وأفكار، فإذا لم تتح لمشاعرهم أو آلامهم فرصة التعبير، فإنهم قد يشعرون بالمرارة، وفقدان الثقة في نفوسهم، وفي والديهم أيضا. وقد يؤدي هذا إلى تكوين أنماط سلوكية غير مرغوب فيها كالانطواء والانزواء.. أطفالنا يحتاجون دائما إلى الشعور بالارتياح الذي يتأتى من إمكانهم التعبير بوضوح وصراحة عن مشاعرهم وأحاسيسهم.



إسراء طلعت وإسلام لطفي
دار الإعلام العربية
القاهرة



مواهب يافعة..
كثير من الطموح قليل من العون!

يتميز مجتمعنا العربي بشبابه، فكثير منهم يحمل طاقات كامنة ومواهب فذة لا تجد في كثير من الأحيان من يخرجها إلى النور، سواء بدعمهم، أو تذليل العوائق والمشكلات التي تواجههم؛ ماديا وفنيا ومعنويا، وبالتالي يعود النفع العام على الأمة بأكملها، وتقضى على سلبيات ومعوقات عدة؛ كالبطالة والتدخين والإدمان.. وغيرها.

وهذا ما يراه موهوبون التقت بهم «الوعي الإسلامي» وتحدثوا عن تجاربهم، وطالبوا بمد يد العون إليهم للارتقاء بمواهبهم وإبداعاتهم وتجسيدها واقعا يفيدهم ويفيد مجتمعهم.. إلى التفاصيل.

«الاهتمام بالمواهب أمر ضروري لتصعيد الكوادر الشابة وصقلها والاستفادة منها».. بهذه العبارة بدأ هشام طلعت، طالب بالفرقة الرابعة بكلية الطب البيطري جامعة الزقازيق، وحاصل على المركز الأول على مستوى الجامعة في الشعر.

ورش عمل وقناة للمواهب

وعن تجربته الشخصية يقول هشام: «أكتب الشعر منذ صغري، وحفظت عديدا من الدواوين الشعرية، خصوصا المكتوبة بالفصحى، واشتركت في مسابقة الشعر بالكلية وحصلت على المركز الثاني عام ٢٠١٥م، كما حصلت على المركز الأول لعامين متتاليين، وحصلت على المركز الأول أيضا على مستوى الجامعة ككل».

وأضاف هشام: «الشعر يحمل دوما رسالة نبيلة تلفت الأنظار إلى المشكلات، وتضعها أمام أعين من بيدهم الحل. ونحن بحاجة إلى الاهتمام بالشعر وبكل مجالات الموهبة، خصوصا في الجامعات، ويمكن في هذا الصدد إعداد ورش عمل داخل المدارس والجامعات، وعقد ندوات لدعم المواهب الشابة وتقديمهم للمواطنين والجمهور بشكل أيسر وأفضل، والعمل على إعلاء قيمة الشباب الموهوبين، وألا يتم تنظيم المسابقات في إطار المناسبات فقط، بل يتم تنظيمها بشكل دوري دعما للمواهب، وتقديمها للمجتمع بشكل يستفيد منه أكبر عدد من الجمهور».

وطالب بتخصيص قناة للمواهب الشابة في مختلف المجالات، ليتعرف عليهم الناس، وتلتقطهم أعين المسؤولين، ومن ثم تتاح الفرصة

لصقل مواهبهم وتنميتها والاستفادة منها، سواء على مستوى الموهوب ذاته أو على مستوى مجتمعه ووطنه ككل.

مواهب تبحث عن دعم

من جانبه، قال أحمد عادل لبيب، طالب في السنة النهائية بقسم القوى الميكانيكية بهندسة المطرية جامعة حلوان وقائد فريق Disable Power Trike، مخترع سيارة ثلاثية تسير بالكهرباء لذوي الاحتياجات الخاصة: «تعمل السيارة بالكهرباء عن طريق ماتور كهربائي من نوع الـhub brushless من خلال بطاريات ولوح شمسي من نوع الـflexible polycrystalline وشاسيه من الـsteel وأجزاء من الـaluminum، ونستخدم فرامل disc brake على العجلة الخلفية، مع المساعدين double wishbone suspensions وتحمل شخصا يصل وزنه ١٨٠ كجم وسرعتها القصوى ٥٥ كلم/ساعة، وبها نظام طوارئ لتمكين الشخص المقعد من تحريكها يدويا في حال نفدت الطاقة الكهربية».

وأكد لبيب أن فكرة السيارة هي مشروع تخرج له ولمجموعة من زملائه بكلية الهندسة، متمنيا المساهمة في تذليل الصعوبات التي تواجه ذوي الاحتياجات الخاصة عن طريق تلك السيارة التي يستطيع أن يحركها آليا ويدويا، مشيرا إلى أن تصميم برنامج استغرق نحو ٣ أشهر، وتم عرض المشروع على المسؤولين في الهيئة العربية للتصنيع، ووافقوا على تنفيذ المشروع بتكلفة تقدر بنحو ١٦٠٠ دولار للسيارة الواحدة، وجار البحث عن رجال أعمال لتبني المشروع، حتى يخرج إلى النور ويستفيد منه أكبر عدد من ذوي الاحتياجات الخاصة.



وأعرب لبيب عن أسفه لأن غالبية الأفكار وثمرات عقول الموهوبين لا تجد من يخرجها إلى النور، فلا تطبق على أرض الواقع، على الرغم من أنها تعمل على حل كثير من المشكلات المجتمعية، لافتا إلى أن أزمة غالبية الموهوبين في التمويل، وعدم وجود دعم علمي جيد من الجهات المختصة، كذلك الروتين الذي يضيع عليهم كثيرا من الوقت حتى يتم الانتهاء من تنفيذ الإجراءات، لافتا إلى أنه من الضروري أن يتفرغ الموهوب، خصوصا في المجالات العلمية إلى الجزء التقني فقط، فليس من مهامه البحث عن تمويل، بل يجب أن يكون ذلك مسؤولية الجهات المعنية.

ابتكارات شبابية

كما صمم عدد من الشباب وهم: نورهان أحمد ومحمد ناجي وسمية طلبة وهبة خالد وأندرو رزق «عصا وكاب» تستخدمان موجات فوق صوتية، يستخدمها المهندسون داخل مواقعهم لتنبيههم إلى المخاطر التي ربما يتعرضون إليها أو يصطدمون بها، كذلك يمكن استخدامهما للمكفوفين، خصوصا مع تزويد العصا بخريطة يمكن أن يستطيع السير من خلالها، كما ترسل إليه العديد من التنبيهات أثناء سيره في الطريق، إضافة إلى

لبيب: للأسف غالبية ثمرات عقول الموهوبين لا تجد من يخرجها إلى النور

تحذيره من أي عوائق قد تواجهه، فضلا عن أن «الكاب» يمكن تركيب كاميرا به تحدد له طبيعة الأشياء التي أمامه سواء كانوا أشخاصا أو غير ذلك.

أيضا، استطاع فريق علمي شاب، بمعهد الجيزة العالي للهندسة، تنفيذ «روبوت» عبارة عن سيارة صغيرة يمكن التحكم فيها عن طريق موبايل، تعمل عن طريق تطبيق عبر التليفون وتمت تجربتها مع أطفال مستشفى ٥٧٣٥٧، تعمل على تقديم العلاج لهم، أو استخدامها أيضا بشكل ترفيهي، تعمل على زيادة تفكيرهم وتعلمهم التخيل والتفكير المنطقي، وتزيد من نسبة الذكاء لديهم وتعمل على زيادة الوعي، هذا ما قاله يوسف محمد حمدالله (قائد الفريق)، مضيفا أن تلك السيارة الصغيرة يمكن طباعة اسم الطفل وصورته عليها وتخرج له الرسالة التي يريدها.

وقال الطالب بجامعة الأزهر، عمر محمد، إنه توصل لطريقة لاستخدام المخلفات الإلكترونية في صناعة أجهزة إلكترونية تفيد المجتمع بشتى

الطرق، مثل توفير الطاقة وغيرها، موضحا أنه اعتمد في الأساس على تحويل المخلفات الإلكترونية والطاقة الشمسية في توليد الطاقة الكهربائية. ولفت إلى أن هناك مهندسين متخصصين يساعدونه في الارتقاء بمستواه ومهاراته والتطوير من نفسه للوصول إلى مكانة متقدمة في الابتكار للاستفادة منه ماديا ومعنويا علاوة على إفادة المجتمع.

موهبة قرآنية

ويحدثنا القارئ الشاب ياسر الشرقاوي عن تجربته مع الموهبة القرآنية في التلاوة قائلا: «نشأت منذ طفولتي المبكرة على سماع القراء القدامى، وتأثرت بالشيخ عبدالباسط عبدالصمد أولا، ثم اتجهت إلى الشيخ مصطفى إسماعيل، وتعلمت المقامات على يد معلم كان حافظا للقرآن الكريم، وهو من نبهني إلى أن صوتي جيد وأنه سيكون لي مستقبل، وتعلمت باقي المقامات على يدي أساتذة بارزين فيها مثل الدكتور أحمد مصطفى كامل، وكنت أسجل تسجيلات بصوتي وأطرحها على «يوتيوب»، علاوة على مساعدة أحد الأشخاص لي حيث قدمني ونشر تسجيلاتي على المواقع».

وأضاف لـ«الوعي الإسلامي»: «الوالد والوالدة اكتشفا موهبتي منذ الصغر، حيث كنت أقلد القراء القدامى منذ صغري، وشجعانني على تنميتها؛ وأحاول دائما أن التزم بقواعد القرآن الكريم والأداء السليم الذي لا يخل بتراكيب القرآن، وأميل دائما إلى المدارس القديمة مثل مصطفى إسماعيل وعلي محمود والمنشاوي».

وأضاف أنه عند مرحلة معينة ينبغي أن يتوقف القارئ الموهوب عن تقليد غيره من القراء، وأن يحدد لنفسه مدرسته الصوتية الخاصة التي تعكس موهبته القرآنية، وتميزه عن غيره، مشيرا إلى أنه وعلى الرغم من أن في مصر مئات القراء الكبار، فإن لكل منهم لونه وطريقته الخاصة في الأداء.

د. الضبع: غياب الاهتمام بالمواهب الشابة يصيب مجتمعاتنا بالشيخوخة

مثابرة ودأب

إلى ذلك، يوضح د. ماجد الشربيني، الرئيس السابق لأكاديمية البحث العلمي في مصر، ومستشار أول تعليم عالي في معهد الكويت للأبحاث العلمية حاليا، أنه من المفترض أن يكون هناك جهات كثيرة ترعى الموهوبين في جميع المجالات، وأن يكون لدينا مراكز للتصميم الصناعي مؤهلة بالمتخصصين لتنفيذ براءات الاختراع التي تثبت جدواها، ومن ثم طرح المنتج إلى السوق، وأن يكون هناك من يساعد المبتكر في وضع خطط العمل التي يعمل وفقا لها فيما بعد، حتى يكون نشاطه وإبداعه في الاتجاه الصحيح.

وأضاف: أيضا، يجب أن يكون هناك مصدر للتمويل على أن يكون الممول غير هادف إلى الربح في بداية الأمر، وهو ما يسمى «تمويل ملائكي»، حتى يصل المبدع إلى النجاح.

وشدد على أنه على المؤسسات المعنية والقطاع الخاص والمجتمع المدني، أن يشاركوا معا فيما يجب فعله تجاه هؤلاء المبتكرين والموهوبين، مبررا ذلك بأن الميزانيات الحكومية لا تكفي وحدها للخروج بابتكارات الموهوبين إلى النور.

وأضاف أن على المبتكر أو الموهوب أن يتميز بالصبر والدأب والمثابرة، ولا يستسلم سريعا لما يواجهه حتما من عقبات ومثبطات، ولا يكن همه في بداية الأمر براءة الاختراع، وإنما الخروج بابتكاره في أسرع وقت إلى السوق حتى يستفيد منه وينتفع منه المجتمع أيضا، ثم يحصل لاحقا على براءة الاختراع.

عقول يافعة

من جانبه، قال المهندس أحمد الحنبلي، مدير إدارة التدريب والأنشطة العلمية بمعهد الجيزة العالي للهندسة: «يجب إتاحة المصادر المتنوعة للحصول على المعلومات، وتوفير الأماكن لاستيعاب آليات العمل والإبداع، وتوفير الدعم الأكاديمي العلمي للشباب الموهوبين، وتوجيههم إلى الطريق السليم».

وأضاف: «من المحزن أن غالبية المبدعين في بلداننا العربية لا يجدون من يمد لهم يد العون لترجمة إبداعاتهم وبلورة مواهبهم، وبالتالي تضطر هذه العقول اليافعة المبدعة إلى الاغتراب، والهجرة إلى بلدان أخرى تقدر مواهبهم وتسعى إلى الاستفادة منهم».

وتابع: «ينبغي أن تكون لدينا إرادة حقيقية لدعم المواهب، خصوص في المجالات العلمية التي يمكنها أن تحقق نهضة كبيرة لمجتمعاتنا، وأن تعمل المؤسسات المعنية على توفير الدعم والإمكانات الكفيلة بإظهار هذه المواهب إلى النور، كما ينبغي أن تتفاعل مناهجنا الدراسية مع المستقبل، وأن تكون هناك برامج علمية خاصة بالموهوبين والمبدعين، لتحفيزهم والمساهمة في بناء قدراتهم الفكرية والعلمية والإبداعية».

سلاسل للمبدعين

بدوره، أكد د. محمود الضبع، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بجامعة السويس والرئيس السابق لدار الكتب والوثائق القومية، أنه لا يوجد اهتمام كاف بالمواهب الشابة في الوطن العربي باستثناء مجالات محدودة، وهذا مؤشر خطر يؤدي إلى شيخوخة البلدان العربية، وغياب تواصل الأجيال، فكيف تكون هناك لجنة شباب في مؤسسة ما والمسؤول عنها تجاوز الستين والسبعين من العمر؟!».

وتابع: «ليست هناك خطط واضحة لدى الشعوب العربية للاستفادة من طاقة الشباب كما تفعل دول العالم الآن مثل كوريا والصين واليابان ودول الغرب الأوروبي، وبالتالي إذا كنا نرغب في إعادة بناء هذا الوطن بشكل سليم، فعلينا أن نهتم بالتعليم والثقافة وتوجيه ذلك إلى شريحة الشباب وإشراكهم في تقرير مصيرهم ومستقبل أوطانهم، وهناك بعض الدول العربية تحاول الآن أن تقيم منتديات للشباب، لكنها تقع في نفس المأزق وهو فرض الوصاية وليس إعطاء الحرية لهم».

وأشار إلى أن هناك بدائل عديدة يمكن استثمارها مثل استحداث سلاسل فكرية متنوعة تتبناها مؤسسات النشر الحكومية والخاصة، يكون هدفها تدريب الشباب الموهوبين في مجال الكتابة على التأليف، ومنحهم الفرصة للتعبير عن أنفسهم وأفكارهم وبلورة رؤاهم للقضايا المحيطة بهم.

نيوتن وأولمبياد الأزهر

أما د. أحمد زارع، المتحدث الرسمي لجامعة الأزهر، فأكد أن الجامعة تضم العديد من المبتكرين والموهوبين في مختلف المجالات، خصوصا في القرآن الكريم والإنشاد والشعر والكتابة، فضلا عن بعض المجالات العلمية، وهناك من حصل على جوائز على مستوى العالم.

وأضاف: «نهتم بكل المواهب، وندعمهم بشتى الطرق، ولدينا أيضا مخترعون كالطالب الذي أطلق عليه «نيوتن الأزهر»، لذلك أنشأت الجامعة مركزا يسمى «إبداع» في كل كلية من كلياتنا على مستوى الجمهورية، لرعاية هؤلاء الموهوبين في التخصصات المختلفة».

كما أوضح أن الجامعة نظمت «أولمبياد الأزهر» الذي ضم طلابا من العديد من الدول على مستوى العالم لاكتشاف مواهبهم والاستفادة منهم، وفاز بعضهم في مسابقات كرة القدم والجمباز وغيرها، مشيرا إلى فوز طالب بالجامعة في مهرجان تحدي القراءة بالإمارات يعكس مدى الاهتمام الذي توليه الجامعة إلى الموهوبين.

د. الشربيني: على الموهوب أن يتميز بالمثابرة ولا يستسلم سريعا للمثبطات

برنامج تأهيل

بينما يطالب محمد مندور، عضو لجنة الشباب بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر، الجهات المعنية بدعم المواهب الشابة كوزارة التربية والتعليم والثقافة والشباب والرياضة والبحث العلمي، بضرورة وجود برنامج كامل يوحد جهود كل تلك الجهات، بالإضافة إلى جهود المجتمع المدني لعدم تكرار الخدمات نفسها، مشيرا إلى ضرورة تنويع الخدمات والجهود المقدمة لدعم الشباب في كل مكان، وأن تتخلى الجهات المعنية عن العمل في جزر منفصلة بعضها بعيدا عن بعض، فمثلا مراكز الشباب يمكن استخدامها في اكتشاف المواهب الشابة، كذلك الأنشطة المختلفة بالمدارس والجامعات، وتمنى مندور أن يكون هناك دعم عربي موحد للمواهب الشابة، لكي تحقق المطلوب منها، موضحا أنه من خلال توحيد الجهود سيتم توحيد الأهداف وحل المشكلات والعقبات التي يعاني منها الشباب في الوطن العربي، واستغلال طاقاتهم بالأسلوب الصحيح الذي يفيد المجتمع.

منظومة مجتمعية متكاملة

أخيرا، يؤكد الشاعر أشرف عامر أن رعاية الموهوبين من الموضوعات الشائكة، لأنها لا تتعلق بجهة واحدة فقط، وإنما تتعلق بعدة جهات ومنظومة مجتمعية متكاملة، وأيا ما كان نوع الموهبة؛ أدبية أو فنية أو علمية، يتطلب ذلك وجود أسرة مثقفة ومتعلمة قادرة على احتواء أبنائها واختبار قدراتهم وتدريبهم ووضعهم في مواضع اختبارية متعددة، يتبين منها أكثر شيء يحبونه ويبدعون فيه، بالإضافة إلى إدراك نظرية الذكاءات المتعددة؛ عقلي، سمعي، بصري وبدني.. وغيرها، ومساندة الابن الموهوب في المجال الذي يتميز فيه.

وأضاف: «لا بد أن تكون المدرسة أيضا مهيأة على الصعيد اللوجيستي والعلمي بالنسبة إلى المناهج والتدريس والمدرسين والمدرسات، وبها حجرات للاهتمام بمواهب الطلاب المختلفة، علاوة على مناهج علمية تحث على الثقافة والتفكير والإبداع وإعمال العقل أكثر من الحفظ، علاوة على أن يكون المدرسون قادرين ومدربين تدريبا حقيقيا لكي يستطيعوا اكتشاف المواهب وتبنيها».



عمر عبدالغفور القطان
كاتب وباحث
العراق

للحديث النبوي الشريف في القرنين (٣-٤هـ/٩-١٠م)

مدرسة بلد الحطب (اسكي موصل)

تعتبر مدينة «بلد» قرب الموصل أحد المراكز الحضارية المهمة، عرفت منذ القديم بنشاطها الأدبي والاجتماعي وفعالياتها الاقتصادية والعلمية وقد أنجبت نخبة من العلماء والأطباء والفقهاء انتشروا في كل البلاد العربية والإسلامية، تقع بلد الحطب (اسكي موصل) شمال غرب الموصل على طريق القوافل المؤدية إلى نصيبين وسنجار وجزيرة ابن عمر على الشاطئ الغربي من نهر دجلة، ذلك الموقع كان يعني توافر الأراضي الزراعية الخصبة التي وفرتها طبيعة تربتها بسب فيضانات نهر دجلة والوديان حولها وكان هذا أحد أسباب استمرار الحياة وارتقاء الحضارة فيها.

وعن تاريخ نشوء «بلد» فهو يكاد يحاذي مسيرة التاريخ بقدمه فقد استقطبت الإنسان منذ منتصف الألف الخامس قبل الميلاد حتى العصور الإسلامية التي ازدهرت فيها فالملتقطات الأثرية التي وجدت فيها تشير إلى عصر العبيد وتاريخها التقريبي من (٤٥٠٠-٣٨٠٠) قبل الميلاد.

الاسم القديم

في العصر الآشوري عرفت المدينة باسم «بلط - بلطاي - بلداي» وتمتعت بأهمية خاصة لما توافر فيها من المقالع الحجرية الصالحة والمحتوية على كتل الأحجار الضخمة من المرمر والحلان الصالحة لعمل التماثيل والمنحوتات وبناء القصور، وكانت معروفة خلال فترة الحكم الساساني للعراق باسم «شهراباذ» وكانت تسكنها قبائل عربية وتحكم من قبل مرزبان «حاكم» وبقيت كذلك حتى قبيل الفتح الإسلامي.

ويعتقد من أرّخ للمدينة أنها فتحت بعد فتح الموصل وأعمالها سنة (١٦هـ) على عهد عياض بن غنم والراجح أن «بلد» فتحت سنة (١٧هـ) ولم نعثر في المراجع التاريخية على ما يشير إلى أهمية «بلد» في العصر الأموي، وفي العصر العباسي تبعت «بلد» إداريا وسياسيا حكام الموصل في الغالب وحكام نصبين في أحيان أخرى، أما في عصر الدويلات التي قامت في الموصل والجزيرة بين النهرين كالحمدانيين والعقيليين ومن أعقبهم من السلاجقة والأتابكة، مرت بها طوال هذه الحقب ظروف مختلفة ساعد بعضها على عمرانها خلافا للآخر الذي أدى إلى انحطاطها إلا أن اجتياح المغول للموصل وسائر مدن الشرق الإسلامي قد قضى عليها وعلى الإمارات والدول فيها، وعندما وصل العثمانيون إلى العراق وجدوا مدينة «بلد الحطب» خربة فأطلقوا عليها اسم «اسكي موصل - الموصل القديمة» اعتقادا منهم بأنها هي الموصل الأصلية.

أحسن التقاسيم

من أهم آثارها الباقية: المسجد الجامع إضافة إلى السور وجسر بلد «القنطرة» إضافة إلى الزخارف المنتشرة في بيوتها، وعن جامعها أشار البشاري المقدسي إلى وجود جامع في وسط مدينة «بلد» لدى ذكره لها قائلا: «بلد غزير النخل كثير القصور حسن البنيان من جص وحجر فرجة الأسواق والجامع وسط البلد». وأشار إلى ذلك كل من السيدين فؤاد سفر وناصر النقشبندي قائلين: «وفي وسط المدينة بناية متهدمة أسس جدرانها من المرمر الأزرق وداخلها قواعد وأساطين مرمرية واسعة لايتجاوز قطر الواحدة المتر

الواحد وفي الزاوية الغربية من البناية برج مجوف لم يبق منه سوى ارتفاع خمسة أمتار وسطح هذا البرج الداخلي أملس أما خارجه فكثير التخديش مما يدل على وجود قدمات درج يصعد بواسطتها إلى أعلى البرج ويغلب على الظن أن هذه البناية تضم بقايا الجامع الذي جاء ذكره في كتاب أحسن التقاسيم للمقدسي».

وقبل الحديث عن علماء مدينة «بلد الحطب» عليَّ أن أبين بعض من تلقب بـ«البلدي» وهو ليس من أهل «بلد» قرب الموصل، بل هو من غيرها، منهم: أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد البلدي النسفي (٥٠٤هـ).

وأبو نصر أحمد بن عبد الجبار البلدي النسفي كان حيا سنة (٥٥١هـ).

وأبو عثمان سعيد بن محمد البلدي الأندلسي (٣٧٩هـ).

وأبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد البلدي (٥٤٩هـ).

وأبو الحسن علي بن إبراهيم البلدي المعروف بعلان الكرجي.

وبهرام بن بهرام بن فارس البغدادي البلدي (٤٢٠هـ).

وعبدالله بن أبي الحارث بن أبي يعلى البلدي البزاز المعروف بالكارزيني.

والأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي الشهير بالبلدي (٧٨٢هـ).

وأبو سعد سليمان بن محمد بن حسين البلدي قاضي الكرج.

أما مفهوم المدرسة في الإسلام فقد عرف بشكل أقرب لما يكون عندنا اليوم من خلال توافر أربعة عناصر أساسية: «المدرس، والطلاب، والمدرسة، والمنهج العلمي المحدد لها» فقد كان الرسول الكريم محمد ﷺ أول مدرس في الإسلام الذي علم الصحابة القرآن الكريم في دار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة المكرمة قبل الهجرة، ثم تطور النظام التعليمي حيث إن الصغار يجلسون في حلقات للتعليم في مسجد علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس، واتخذ المسلمون المسجد بيتا للعبادة ومعهدا للثقافة الإسلامية تدرس فيه قواعد الإسلام وأحكام الدين، ثم أتى نظام الكتاتيب الذي كان موجودا قبل الإسلام وجاء الإسلام ليضيف إليه تعليم القرآن الكريم ومبادئ اللغة والحساب والخط ثم انتقل إلى مكان مستقل هو المدرسة فكان تأسيس الجامعة المستنصرية في بغداد سنة (٦٣١هـ).

علماء مدرسة الحديث النبوي الشريف في بلد الحطب

يعد علم الحديث من العلوم التي لها أهمية كبرى في حياة المسلمين الدينية، العقدية والسلوكية وعن ذلك قال المبارك بن الأثير الجزري (٦٠٦هـ): «إن علم الحديث من العلوم الشرعية وإنه من أصول الفروض»؛ لذا وجب الاعتناء به والاهتمام بضبطه وحفظه وقد تطورت مدرسة «بلد» للحديث الشريف بتطور تلك المدينة حتى أصبحت إحد المقاصد للسماع من علمائها كما في رحلة ابن جميع الصيداوي والطبراني إليها وهنا أورد أسماء من توصلت إليهم من رواة الحديث الشريف:

رواة الحديث

١- إبراهيم بن عبدالواحد البلدي الموصلي: محدث، قال عنه ابن حجر العسقلاني: لا أدري من هو ذا أتى بحكاية منكرة أخاف أن لا تكون من وضعه، جاء اسمه في الميزان: البكري وهو تحريف والصواب البلدي نسبة إلى بلد وهي بلدة تقارب الموصل، وقال ابن حبان في رواية عنه في المجروحين: حدثنا إبراهيم بن عبدالواحد المعصوب ببلد الموصل.

٢- إبراهيم بن المفرج البلدي (ق٣هـ/ق٩م): محدث روى عن الحافظ ابن عمار الغامدي الموصلي (٢٤٢/١٦٢هـ) وأرجح أنه أبو المحدث إسماعيل بن إبراهيم بن المفرج.

٣- إبراهيم بن الهيثم بن المهلب البلدي (٢٨٠هـ/٨٩٣م): محدث، أبو إسحاق، نزيل بغداد، رحل في طلب الحديث الشريف، سمع من محمد بن إبراهيم الحراني، وأبي اليمان، وآدم بن أبي إياس، وعلي بن عياش الحمصي (٢١٩هـ/٨٣٤م)، وأبو صالح الكاتب وجعفر بن إدريس الموصلي الذي استشهد سنة (٢٢٢هـ/٨٣٦م) وطبقته، عبدالله بن مروان المعروف بأبي شيخ الحراني.

روى عنه: إسماعيل الصفار، وأبوبكر النجاد، وأبوبكر محمد بن عبدالله ابن إبراهيم الشافعي، وابن مخرم أبو يعقوب العدل العطار الموصلي، وثواب بن يزيد بن ثواب أبو بكر الموصلي، وأبو جعفر محمد بن الحسين بن سعيد بن أبان الطيان الجهني، وأبو عبدالله محمد بن علي ابن مخلد بن أبان بن المحرم المحرمي الجوهري البغدادي، وثقه الدارقطني والخطيب، وذكره ابن عدي في الكامل وقال: حديثه مستقيم.

قال ابن عدي: أحاديثه مستقيمة سوى حديث الغار حدث به عن الهيثم بن جميل عن المبارك عن الحسن عن أنس فكذبه فيه الناس، وقال الخطيب البغدادي: كذا روى حديث الغار عن الهيثم جماعة، وإبراهيم عندنا ثقة ثابت، وقيل مات في جمادى الآخرة سنة (٢٨٠هـ)، وقيل سنة (٢٧٧هـ)، وزاد ابن عدي: وبلغني أن أول من أنكر عليه في مجلس: أحمد بن

هارون البرديجي، وقال أيضا: وقد فتشت عن حديثه الكثير فلم أر له منكرا يكون من جهته إلا أن يكون من جهة من روى عنه.

قال الخطيب البغدادي: لا يختلف شيوخنا فيه وما حكاه ابن عدي من الإنكار عليه لم أر أحدا من علمائنا يعرفه ولو ثبت لم يؤثر قدحا فيه؛ لأن جماعة من المتقدمين أنكر عليهم بعض روايتهم ولم يمنع ذلك من الاحتجاج بهم مثل: أبي سلمة موسى ابن إسماعيل التبوذكي، فإن يحيى بن معين أنكر عليه رواياته عن همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر الصديق، وأما قول محمد بن عوف أن حديث الغار لم يسمعه من الهيثم بن جميل إلا هو والحسن بن منصور فلا حجة فيه لجواز أن يكون قد سمعه من لم يعلم به.

٤- أحمد بن إبراهيم بن غالب الإمام البلدي (٣٥٠هـ/٩٦١م): محدث، الشهير بالإمام، أبو العباس، وقال الصفدي: الإمام البلدي أحمد ابن إبراهيم بن أحمد أبو العباس الإمام البلدي، سمع وروى، وتوفي في الخمسين والثلاث مئة تقريبا، من أهل بلد شمال الموصل، سمع من علي بن حرب وإبراهيم بن عبدالله العبسي، روى عنه: أبو منصور محمد، وأبو عبدالله أحمد ابنا الحسين بن سهل البلدي، وعبدالله بن إبراهيم القاضي ومحمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمعه في بلد، ومحمد بن عمر بن عيسى البلدي الحطراني، وأبو الحسن بن المثنى الأصبهاني.

٥- أحمد بن إسحاق الخشاب البلدي بعد (٢٩٠هـ/٩٠٢م): محدث، روى عن: عفان بن مسلم وعبدالله بن جعفر الرقي وغيرهما، روى عنه: أبو القاسم الطبراني لقيه ببلد، وروى عنه: علي بن صدقة بن علي الموصلي، وهو من بلدة «بلد» قرب الموصل، وهو غير أحمد بن إسحاق ابن يزيد الرقي الخشاب فهو أصغر منه سنا وتوفيا في نفس السنة.

٦- أحمد بن إسحاق الرقي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث زائر، أقام في مدينة بلد، روى عن: عبيد الله بن جناد الحلبي، وروى عنه: الطبراني، وهو غير أحمد بن إسحاق البلدي.

٧- أحمد بن جعفر بن الحسن البلدي الواعظ (٣٨٣هـ/٩٩٣م): محدث، قدم دمشق وحدث بها عن أبي يعلى الموصلي، ومحمد بن صالح بن ذريح العكبري، وغيرهما، وروى عنه: تمام الرازي، وأبو نصر بن الحبان، ومكي ابن الغمر، قال ابن الأكفاني: توفي سنة (٣٨٣هـ)، قال الذهبي: لعلها وستين.

٨- أحمد بن الحسين بن سهل ابن الصباح البلدي، توفي بعد (٤٠٠هـ/١٠٠٩م): محدث سمع من أبي العباس أحمد بن إبراهيم البلدي المعروف بالإمام صاحب علي ابن حرب الموصلي، سمع منه وأخيه أبو محمد عبدالعزيز بن علي الكتاني الحافظ، وأبو القاسم علي بن محمد ابن علي المصيصي، وغيرهما وتوفي بعد سنة (٤٠٠هـ).

٩- أحمد بن عيسى بن السكين الشيباني البلدي (٣٢٣هـ/٩٣٤م): محدث، أبو العباس الشيباني البلدي من بلد قرب الموصل، حدث ببغداد عن أبي داوود سليمان بن سيف الحراني، وهاشم بن القاسم الحراني وإسحاق بن زريق الرسعني، والزبير بن محمد الرهاوي، وروى عنه: أبو الحسن الدار قطني وأبوبكر الشافعي، ومحمد بن إسماعيل الوراق، وأبو حفص ابن شاهين، وعمر بن شاهين، ويوسف بن مسرور القواسي، ومحمد بن إبراهيم بن حمدان العاقولي، وقتادة بن الفضيل بن قتادة الرهاوي، قال الخطيب البغدادي: خرج إلى واسط في حاجة فمات بها في رجب سنة (٣٢٣هـ) وكان ثقة.

١٠- أحمد بن الهيثم البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، سمع من أبي نعيم الفضل بن دكين، وروى عنه جعفر بن أحمد بن إبراهيم.

١١- إسماعيل بن إبراهيم بن المفرج البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، سمع من يحيى بن أبي طالب، روى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (ت٤٠٢هـ) سمع منه بمدينة بلد شمال الموصل.

١٢- الحسن بن السكين بن عيسى ابن فيروز البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، حدث عن: أبي بدر شجاع بن الوليد، ومحمد بن بشر العبدي، ومحمد بن عبيد الطنافسي، وأسود بن عامر شاذان، روى عنه: يحيى بن صاعد، والحسين وقيل الحسن المحاملي، وعمر بن يوسف الزعفراني وجماعة سواهم، وهو عم المحدث أحمد بن عيسى بن السكين ابن عيسى ذكروا في معجم البلدان.

١٣- الحسن بن هاشم بن عمرو البلدي (ق٤هـ/ق١٠م): محدث، قرأ على محمد بن زريق بن إسماعيل البلدي (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) كما روى عن: أحمد بن النضر بن بحر، أبي جعفر العسكري السكري (٢٩٠هـ)، ومحمد ابن محمد بن حيان بن سهل بن تمام بن بزيع، وروى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمع منه ببلد.

١٤- حمدان بن أحمد بن حمدان البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، حدث عن الحسن بن السكين ابن منصور، روى عنه: محمد بن

أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ)، سمع منه بمدينة بلد شمال الموصل.

١٥- سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ/٨٢١-٩١٨م): محدث، زار بلد وسمع فيها من أحمد بن إسحاق الخشاب البلدي، وهو أحد أشهر علماء وأئمة أهل السنة والجماعة وهو أشهر أن يعرف عنه.

١٦- صبيح بن دينار البلدي (ق٣هـ/ق٩م): محدث، كان مقيما في بلاد الجزيرة روى عنه: الحسن بن سليمان ابن سلام أبو علي الفزاري المصري المعروف بقبيطة، أصله من البصرة، وسكن العسكر بمصر (٢٦١هـ).

١٧- عبدالله بن أحمد بن إبراهيم البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، أبو بكر البلدي، روى عن جده إبراهيم بن الهيثم البلدي المحدث المشهور، روى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمع منه بمدينة بلد شمال الموصل.

١٨- عبدالله بن الحسن بن أبي جعفر البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، أبو محمد البلدي، حدث عن عيسى بن السكين البلدي، روى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ)، سمع منه بمدينة بلد شمال الموصل.

١٩- علي بن إبراهيم بن الهيثم البلدي توفي بحدود (٣١٠هـ/٩٢٣م): محدث، أبو القاسم وقيل أبو الحسن، روى عن: محمد بن عمار، حدث وسمع منه خلق، وهو من أهل بلد الحطب فوق الموصل قدم بغداد وحدث بها عن أبيه وعن أبي موسى محمد بن المثنى وشعيب بن أيوب الصريفيني وإبراهيم بن مرزوق البصري، وحميد بن عياش الرملي وغيرهم، روى عنه علي بن الحسن ابن عبد العزيز الهاشمي، وأبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، وكان يتهم بوضع الحديث.

٢٠- علي بن الحسن بن هارون بن عبدالجبار بن زيد البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، روى عن: إسحق ابن سيار النصيبي، قال أبو سعيد بن يونس هو من أهل بلد قدم علينا مصر وكتبنا عنه، حدث عن علي بن حرب الموصلي وأبي منصور محمد، وأبي عبدالله أحمد ابنا الحسين ابن سهل بن خليفة البلديان يعرفان بابني الصياح هكذا ذكر ابن ماكولا، بالياء المنقوطة باثنتين من تحتها وقال حدثنا عن أبي العباس أحمد ابن إبراهيم البلدي صاحب علي بن حرب وروى أبو منصور وحده عن محمد بن عبدالعزيز بن علي الكتاني الحافظ وأبو القاسم علي بن محمد ابن علي المصيصي وغيرهما وكانت وفاتهما بعد سنة (٤٠٠هـ).

٢١- علي بن محمد بن عبدالواحد البزاز البلدي البغدادي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، أبو الحسين، سمع المعافى بن زكريا الجريري، روى عنه: أبوبكر الخطيب وسأله عن مولده فقال ولدت ببغداد (٣٧٣هـ) وولد أبي ببلد وحمل إلى بغداد وهو صغير فنشأ بها ومات سنة (٤٤٧هـ).

٢٢- علي بن محمد بن علي بن عطاء البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، أبو سعيد البلدي، روى عن: جعفر بن محمد بن الحجاج وثواب ابن يزيد بن شوذب الموصليين، وعن يوسف بن يعقوب بن محمد الأرموي وغيره، روى عنه: الحسن بن محمد الخلال وجماعة سواه.

٢٣- عمر بن إبراهيم بن قلوره قاضي بلد (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م)، قاض ومحدث، روى عن: إسماعيل بن محمد المزني، روى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمع منه بمدينة بلد شمال الموصل.

٢٤- عيسى بن موسى بن عيسى البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث وإمام المسجد الجامع ببلد شمال الموصل، أبو موسى البلدي، روى عن: الربيع بن سليمان، روى عنه: محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمع منه ببلد.

٢٥- محمد بن أبي الطاهر البلدي (ق٢-٣هـ/٨-٩م): محدث، روى عن: أبي سلمة أحمد بن أبي نافع الموصلي، روى عنه: بواسطة كتاب أرسله له محمد بن منير المطيري.

٢٦- محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٣٠٥-٤٠٢هـ/٩١٧-١٠١١م): محدث زائر، الحافظ أبوالحسين الغساني الصيداوي، ولد سنة (٣٠٥هـ/٩١٧م)، ونسبه إلى «صيدا» مدينة بساحل بلاد الشام، وقال ابن عساكر: وصام وله ثماني عشرة سنة حتى توفي، رحل في طلب العلم والحديث في مصر والعراق والجزيرة وفارس وسمع فأكثر وسمع بمصر من أبي الحسن محمد ابن أيوب الصموت وسمع بدمياط وتنِّيس والقزم ومكة ودمشق وبغداد والبصرة والكوفة وكثير من البلاد على عالم كبير يجمعهم معجمه، روى عنه: عبدالغني بن سعيد وهو من أقرانه وتمام الرازي وجماعة، قال الخطيب البغدادي: ثقة، توفي في رجب سنة (٤٠٢هـ/١٠١١م) بصيدا.

٢٧- محمد بن أحمد بن أحمد ابن عبد المحمود الحطابي البلدي (ق٥-٦هـ/ق١١-١٢م): محدث، أبو بكر محمد بن أحمد بن أحمد بن

عبدالمحمود الحطابي البلدي، حدث عن أبي يعلى محمد بن زهير بن الأبلي وغيره، وسمع عنه: مكي بن محمد بن الغمر المؤدب.

٢٨- محمد بن الحسين بن سهل بن الصياح البلدي بعد (٤٠٠هـ/١٠٠٩م): محدث، أبومنصور وقيل أبو علي، يعرف بابن الصياح، قرأ على: محمد ابن زريق بن إسماعيل البلدي (٣٧٠هـ/٩٨٠م)، قال ابن ناصر الدمشقي عنه وأخيه: وابنا الصياح البلديان رويا جزء علي بن حرب عن الإمام عنه، قلت: هما أبو منصور محمد وأبو عبد الله أحمد ابنا الحسين ابن سهل بن خليفة وشيخهما الإمام هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم البلدي صاحب علي بن حرب وقد ألحق في نسخة المصنف بغير خطه وصحح آخره، وروى أبو منصور وحده عن محمد بن العباس بن الفضل الحناط الموصلي، وروى عنه وأخيه: أبومحمد عبدالعزيز بن علي الكتاني الحافظ، وأبو القاسم علي ابن محمد المصيصي، وغيرهما، روى عنه وحده: أبو العباس حميد ابن سفيح بن إبراهيم بن سفيح، كانت وفاته بعد سنة (٤٠٠هـ).

٢٩- محمد بن زريق بن إسماعيل المقرئ البلدي (٣٧٠هـ/٩٨٠م): مقرئ محدث، أبو منصور البلدي، سكن دمشق وحدث بها، زار الموصل أخذ القراءة عرضا عن محمد بن عبدالعزيز بن الصباح المكي قدم الموصل، وسمع من أبي يعلى الموصلي، وروى عن أبي بكر أحمد ابن عمر بن حفص القطراني وأبي علي الحسن بن هاشم بن عمرو البلدي ومحمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري (٣١٩هـ)، روى القراءة عنه عرضا عبدالباقي ابن الحسن، روى عنه: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله البجلي الرازي ثم الدمشقي (٤١٤هـ) وعبدالوهاب الميداني ومحمد بن حسين البلدي والهيثم بن أحمد الصباغ، عمل البلدي في تدريس علم القراءات بطرسوس وسكن دمشق وحدث بها كان مقرئا ثقة متصدرا.

٣٠- محمد بن علي بن محمد البلدي من أسرة آل الصياح البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، جاء في معجم البلدان ذكر حفيد لأبي منصور المذكور، وهو أبو منصور محمد بن علي بن محمد بن الحسين وفي نسخة أخرى: الحسن بن سهل ابن خليفة بن الصياح البلدي حدث عن جده، روى عنه: أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكاري القرشي.

٣١- محمد بن عمر بن عيسى الحطراني البلدي (٤١٠هـ/١٠١٩م): محدث، أبوالحسن البلدي قدم إلى الموصل من بلدة قريبة منها وأقام بها مدة وسمع من: إبراهيم بن أحمد ابن الحسين القرميسيني (٣٥٨هـ)، وسمع بالموصل أيضا من سعيد بن الفضل الأدمي رحل الحطراني إلى بغداد وسكنها وحدث عن: أحمد ابن إبراهيم الإمام البلدي صاحب علي بن حرب بن محمد الطائي محدث الموصل الشهير (٢٦٥هـ) وعن محمد بن العباس بن الفضل الخياط (الحناط) الموصلي، حدث عنه الخطيب البغدادي وأبو علي الوحش وأحمد بن علي الحافظ، وقال الخطيب البغدادي عن أبي الحسن البلدي: إنه كان صدوقا فاضلا كثير الدرس للقرآن، قيل كان له في كل يوم ختمة، قال الذي رحل إلى بغداد وصاهر أبا الحسين ابن بشران على ابنته، توفي يوم الثلاثاء (٤ جمادى الآخرة) ودفن في مقبرة باب حرب ببغداد.

٣٢- محمد بن زياد بن فروة البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، سمع من: أبي شهاب الحناط وغيره، روى عنه: أبو القاسم عبدالله بن محمد ابن عبدالعزيز البغوي.

٣٣- محمد بن موسى البلدي (ق٤-٥هـ/ق١٠-١١م): محدث، أبو بكر البلدي، روى عن سفيان بن زياد، روى عنه محمد بن أحمد بن جميع الغساني الصيداوي (٤٠٢هـ) سمعه في بلد.

٣٤- هارون بن عيسى البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، سمع من: أحمد بن منصور الرمادي، حدث عنه: أبو علي سعد بن عثمان ابن السكن.

٣٥- هشام بن عمرو البلدي (ق٣-٤هـ/ق٩-١٠م): محدث، سمع من: أحمد بن النضر بن بحر السكري (٢٩٠هـ/٩٠٣م)، من طبقته أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وعبدالله بن إسحاق المدائني، وأبومحمد يحيى بن محمد بن صاعد.

٣٦- النعمان بن هارون بن أبي الدلهاث الشيباني البلدي (ق٣-٤هـ/٩-١٠م): محدث، حدث عن: عيسى بن أبي حرب، وسعيد بن عمرو السكوني، وأبي يعقوب إسحق بن إبراهيم بن الحسن بن كثير الأزدي الجرجاني سمعه بطرسوس، روى عنه: محمد بن المظفر وعلي الحربي، قال الخطيب: ما علمت من حاله الأخير.

وفي الختام أقول: إني حاولت تتبع الموضوع قدر ما توافر لي من مصادر ولعلي قدمت شيئا ينتفع به القارئ الكريم.



المنشاوي الورداني
مترجم وباحث في التراث
مصر

الآثار الإسلامية والحمّامات التركية في المجر

حكايات مجرية

في بلاد كثيرة تبدو الأماكن التاريخية مجرد حجارة صماء إذا عزلت عن تاريخها وعن الأحداث التي مرت بها. إن الحديث عن تاريخها يعيد إليها الحياة من جديد. وفي هذا المكان المترع بالجمال حيث ينحدر التل إلى الدانوب مكسوا بالأشجار، والنهر ينساب هادئا في وقار، نشبت معارك كثيرة. ولم لا، إنها المجر أو هنغاريا الجميلة التي أحبها كل من أتى إليها عبر تاريخ قديم افتتن فيه الكل ببهاء الطبيعة؛ فهي تعد نقطة التقاء الغرب مع الشرق وتمتزج في قومها الأصول الغربية والشرقية (قبائل من أصول تركمانية). وقد جاء الموقع العبقري للمجر في أنها محصورة في الوسط بين سبعة من الجيران أن جعلها مثل واسطة العقد اللؤلؤي، فهي تلك الجوهرة التي تتدلى في العقد فينظر إليها القاصي والداني من فرط سحرها وجودة معدنها. والجيران السبعة هم سلوفاكيا وسلوفانيا وكرواتيا وأوكرانيا وصربيا ورومانيا وكذلك النمسا، وهي بذلك دولة غير بحرية، وتحيط بها اليابسة من جميع الجهات. وهي على الرغم من ذلك تقع على نهر الدانوب، وتعرف بكونها من أجمل دول أوروبا، وذلك لتعدد الطبيعة الساحرة والخلابة فيها، حيث تعرف بكثرة سهولها وتلالها الخضراء.

الزائر للمجر، وعندما يهبط بسلام على أرض المجر قد يرى أنه يسافر للجمال في جنات الله في الأرض بين أقوام حافظوا على هبات الطبيعة فحافظت الطبيعة عليهم. وذلك القادم لبودابست العاصمة يجب أن يعلم أنها تلك العاصمة البديعة للمجر وأكبر مدنها. وتعتبر المركز السياسي والاقتصادي والصناعي للبلاد. وأصبحت بودابست مدينة واحدة على ضفتي نهر الدانوب بعد اتحاد مدينتي بودا وأوبودا (أي بودا القديمة) على الضفة الغربية مع مدينة بست على الضفة الشرقية عام ١٨٧٣م، حيث كان النهر الساحر يقسم العاصمة إلى نصفين، ويفصل بين «بودا» ذات التلال والجبال من جهة وبين «بست» من الجهة الأخرى ذات الأرض المستوية. إن بانوراما «بودا» وهو منظر المباني التاريخية الأنيقة على امتداد الضفة والجسور الواقعة على النهر يعتبر جزءا من التراث العالمي لدى منظمة اليونسكو، وإن قلعة بودا المهيبة، ومبنى البرلمان المبعث على الإعجاب، والحمامات التركية الشهيرة على مستوى العالم وأول خطوط المترو في القارة ليست سوى عدد قليل من معالم المدينة.

إن قلعة بودا أو كما كانت تسمى بقلعة الصياديين كانت مقر الحكم الذي فضله العثمانيون، وما زال المكان يحمل آثار هذه الفترة في الملامح المعمارية حيث البيوت قديمة، ذات مداخل فسيحة تذكرنا بالوكالات العتيقة في منطقة القاهرة القديمة، كذلك النوافذ الخشبية، والزخارف المعمارية التي حافظت عليها عمليات الترميم التي أجريت بدقة بالغة، ويحمل النصب التذكاري لرجال الحرس الوطني أربع لوحات من البرونز، صورت المعارك التي جرت بين العثمانيين والجيوش الهنغارية. وبجوار المتحف الحربي، وعند أقصى الطرف الشمالي للقلعة،



حيث يطل الواقف على تلال مدينة بودا، يقوم شاهد قبر رخامي، تعلوه عمامة عثمانية منحوتة، وتحت الشاهد لوحة من الرخام تحمل عبارات كتبت باللغة التركية، آخرها سطر باللغة العربية «رحمة الله عليه»، العبارات تعني أن هذه المقبرة لعبدالرحمن باشا، آخر باشا عثماني حكم مقاطعة بودا قبل رحيل الأتراك عن هنغاريا أو المجر.

ومن بودابست إلى مدينة بيتش، حيث يتجه الطريق جنوبا، وعبر غابات من الأحجار الخضراء تتسلل من بين ستائرها الغضة أشعة الشمس الذهبية، تقع العيون هنا على مسجد الغازي قاسم، الذي يتوسط المدينة، ويحتفظ بطابعه الأصلي على الرغم من تحويله إلى كنيسة بعد انتهاء الوجود العثماني في القرن السابع عشر. وهنا أيضا مسجد «حسن باكوفيل» كواحد من أرقى المساجد الأوروبية وأغزرها حزنا، بحجارته الرمادية، ومئذنته الشاحبة، وحجمه المحدود، وزخارفه المقتصدة الجميلة. إنه حزين الطبع لأنه مهجور بلا مسلمين، لكن ثمة شيئا في العمارة، ففي أحد أيام القرن السادس عشر، وقف هنا حسن باشا باكوفيل، وكما يدل اسمه فهو من بلدة في يوغوسلافيا تحمل نفس الاسم «باكوفيل»، وقف وأشرف على أعمال البناء، ثم صلى في يوم افتتاح المسجد، وصلى معه طائفة المولوية الذين بنى لهم تكية ملحقة بالمسجد، وقد ضاعت كل معالمها الآن ما عدا عدد ضئيل من شواهد قبورهم التي لا تزال قائمة في الفناء الذي يقع خلف المسجد، حيث يمكن رؤية المئذنة الملتصقة بالمسجد كاملة. وللتذكرة فإن جامع حسن باكوفيل هو الجامع الوحيد الذي بقي على حاله، ولا تزال مئذنته شاخصة، ويقع الجامع في منطقة غنية بالآثار العثمانية في منطقة مستشفى المحافظة، وقد حولت الحكومة الجامع إلى متحف إسلامي للمدينة، فيه آثار إسلامية متنوعة، منها نسخ من القرآن الكريم وسجاد شرقي ثمين وبعض المقتنيات الأخرى. كانت (بيتش) مدينة هامة جدا في ذلك العصر وهي أول المدن المجرية بعد اجتياز الحدود اليوغوسلافية، وحاليا هي ثالث مدن المجر، أما في العصر العثماني فقد كان تعدادها أربعة آلاف فقط. وقد قال عنها الرحالة العثماني الشهير أوليا جلبي والذي كان يقيم هناك ما بين «١٦٦٠م- ١٦٦٤م»: «هناك سبعون متنزها فيها، مليئة بالزنابق والبلابل.. وحيث تتدلى أغصان الصفصاف، وتزهو أشجار الحور والسرو، وتنساب بين العشب الأخضر مئات من جداول الينابيع كماء السلسبيل ملتمعة..».

ولم يكن مسجد حسن باكوفيل وحيدا، فهناك مسجد الغازي قاسم الذي يتوسط المدينة حتى الآن وتجد ظلاله سارية أينما ذهبت، فيما يمنحها ذلك الظل الشرقي الأصيل حتى في مواجهة مبانيها العتيقة باروكية الطراز، كنيسة الفرنسيسكان القائمة الآن وكانت أصلا مسجدا، وأكبر كنيسة في مدينة بيتش كانت مسجد السلطان سليمان في الأصل. ويعرف مسجد الغازي قاسم بالجامع الكبير، حيث تعلوه قبة عظيمة يبلغ ارتفاعها ٢٨ مترا وقطرها ١٨ مترا، وكان للجامع مئذنة هدمها المجريون بعد عودتهم لمدينة بيتش بين ١٧٥٣م - ١٧٦٦م. وكان قد تم بناء الجامع في وقت مبكر، في العام ١٥٤٣م على عهد السلطان سليمان القانوني. وقد كتب الرحالة أوليا جلبي عن الجامع بأنه: «رائع وجميل، لذلك يؤمه الكثيرون. شُيدت قبته من الحجر الأزرق، يبلغ طوله وعرضه منه ذراع. فيه منبر ومحراب ومحفل مؤذن في غاية الجمال، وكرسيه مرصع بالدرر، لا يستطيع الكلام وصفه، ولا القلم مدحه. قبته مدورة وعالية، تشبه في كبرها وجمالها قبة جامع السلطان سليم في إسطنبول». ويعد هذا المسجد من أهم رموز العمارة الإسلامية؛ إذ يضم مجموعة نادرة من الزخارف الإسلامية والنقوش النباتية والخط العربي.. وقد ساهم في ترميم

المسجد متحف بودابست الوطني ومتحف الفنون الجميلة بالمجر، كما قامت تركيا بإهداء المسجد مجموعة من السجاد الفاخر والتحف الإسلامية النادرة ومجموعة قيمة من اللوحات القرآنية. وكان في المدينة سوق شرقي مغطى، وعدد من الحمامات التركية يصل إلى واحد وعشرين حماما. وكانت أبواب المدينة تقع في نهاية الشارع الرئيسي، الباب الشرقي إلى بودا، والتي تمثل الآن نصف العاصمة بودابست، والباب الجنوبي يؤدي إلى مدينة سيكوليشي، وعلى مقربة منه الباب المؤدي إلى سيجتغار، تجاه هذا الباب تقع إحدى الضواحي وكان فيها مسجد ومدرسة للمذاهب الإسلامية، ثمة ضاحية أخرى على مقربة كانت تحتوي على جزء عثماني أيضا.

انتهى العصر العثماني لهنغاريا في نهاية القرن السابع عشر، وتبقت معه هذه الآثار الإسلامية التي أعيد ترميمها بدقة كبيرة، وعناية فائقة، وأشرف على هذه العمليات البروفيسور يوسف جوري عالم الآثار الهنغاري المسلم، ومن بين هذه الآثار الحمام التركي الرئيسي للمدينة. ومن بقايا الحمام القديم بدأ الحفر والكشف عن الخطوط العامة للبناء، والمورد الرئيسي للمياه، ثم الموقد حيث عملية التسخين، والفتحات في الجدران حيث يتدفق الماء المغلي إلى أحواض صغيرة، ومنها يتصاعد البخار، هذا نظام حمامات البخار. ثمة نوع آخر من الحمامات كان مخصصا للاستحمام بالماء فقط. والقاعة الرئيسية تختلف في كليهما اختلافا كبيرا، ففي حمام البخار نجد مصاطب من الرخام ترتفع عن أرضية الحمام، يجلس فوقها المستحمون، في استسلام وتراخ لتدفق البخار، أما في حمامات المياه فتوجد مغاطس مستطيلة الشكل، ممدودة المساحة، ينزل فيها المستحم.

هذا، وقد أقيم متحف صغير يشرح نظم

انتهى العصر العثماني وبقيت الآثار الإسلامية

الحمامات التركية، ويعرض اللوحات التي رسمت في العصر العثماني للحمامات، وجمالها الداخلي. وفي المجر هنا بقايا العديد من الحمامات التركية، كحمام شازار، وحمام كيرالي، وحمام روداش، وحمام راشي، وحمام السلطان في إيجر، وحتى الآن ما زال حمام بودا في العاصمة بودابست يعمل، وفي مدينة شبكستغار يوجد حمام رستم باشا. وإذا كانت تلك الحمامات التركية الشهيرة قد أهملت بعد رحيل العثمانيين عام ١٦٨٦م فإنها استرجعت عافيتها في القرن التاسع عشر، وذلك بعد تطور تقنية الحفر العميق، وتقدم العلوم الطبية. وقد حفرت أول بئر ارتوازية للمياه المعدنية في جزيرة مارغريت سنة ١٨٦٧م، ليستخرج هذا الكنز عن عمق ١١٨,٥ مترا، وبلغت حرارة المياه المعدنية هذه ٤٤ درجة مئوية. هذا وتنفرد المجر بوجود أكبر بحيرة للمياه المعدنية العلاجية في العالم وهي بحيرة «هيفيز» على الساحل الشمالي لبحيرة «بالاتون» بجنوب غربي بودابست وتبلغ مساحتها ٤,٤ هكتارات، وتصل حرارتها في الصيف إلى ٣٤-٣٦ درجة، وفي الشتاء إلى ٢٦-٢٩ درجة ويدخل الكبريت في تركيب مياهها بالإضافة إلى بيكاربونات العناصر القلوية.

وفي مدينة سيجتغار، وعبر طريق يمتد فوق بساط من الخضرة، تقع القلعة العتيقة، والتي أعيد ترميمها عام ١٩٦٦م بمناسبة مرور أربعمائة سنة على معركة كبرى بين جيش السلطان العثماني العظيم سليمان القانوني والجيش المجري وبجوارها

جسر قديم يحتمل أن تكون بقايا الجيش المجري المتراجع قد عبرته أيام العثمانيين. وقد أعيد بناء السور في القرن الثامن عشر وأضيف مبنى لسكن الجنود، في وسط القلعة، وهو بناء محدب السقف، يبرز منه برج، وسرعان ما تكتشف بقايا المسجد في الفناء، البرج هو الجزء الأسفل من المئذنة، النوافذ لا تزال تحتفظ بزخارفها، أما الردهة الداخلية فهي قاعة الصلاة، المقرنصات الجصية في أركان القاعة، وفي الجنوب الشرقي بقايا المحراب، وعلى الجدران كتابات باهتة قديمة، كتابات عربية، «الله، لا إله إلا الله، علي كرم الله وجهه، الحسن، الحسين». وبجوار نهر أولماش الذي يخترق المدينة، وأمام كنيسة كانت في الأصل مسجد حاجي إبراهيم وتم ترميمه بعناية فائقة لاستعادة المسجد الأصلي.

والملاحظ أنه طوال فترة الوجود العثماني لم يقم المسلمون بتحويل أي كنيسة إلى مسجد. وبعد الرحيل، تحولت المساجد إلى كنائس، وتم طمس الكثير من دلائل ومعالم الوجود العثماني والإسلامي، ولكنها طبيعة الحياة، وتلك الأيام نداولها بين الناس، فقد كانت هذه المجر الجميلة في يوم من الأيام ومنذ أكثر من ألف عام تضم نحو ثلاثين قرية مسلمة بها مئة ألف مسلم كما ذكر ياقوت الحموي في كتابه الشهير «معجم البلدان» -كان يطلق عليهم الباشغرد- وقد تعرف عليهم في العام ٦٢٦هـ - ١٦٢٦م، كما كانت إبان أواسط الألفية الثانية للميلاد وأثناء دخولها في نطاق الدولة العثمانية بداية مشروع لتكون واجهة متقدمة للعالم الإسلامي في أوروبا لأنها لم تكن في عصر السلطان سليمان القانوني ولاية عثمانية فحسب، وإنما باتت بلدا حافلا بالمعالم الإسلامية ومنشآت العلوم والصناعة والحضارة أيضا.

استطلاع: علاء عبدالفتاح



«الوعي الإسلامي» زارتها وتفقدت مرافقها

حديقة «الشهيد» الكويتية متحف تعليمي مفتوح

هي ليست مجرد قطعة أرض مستطيلة الشكل محصورة بين الطريق الدائري الأول وشارع السور وطريق الفحيحيل السريع وشارع القاهرة في وسط الكويت، لكنها حكاية تختصر الزمان والمكان.. إنها حديقة الشهيد بالكويت.

إذا تخيلنا لقطات أرشيفية لحديقة الحزام الأخضر قبل البدء في مشروع حديقة الشهيد فحتما ستظهر فيها الأشجار اليابسة والأرضية المقفرة والسور المتهدم لكن عندما أحست حديقة الحزام الأخضر بالشيخوخة تدب في أشجارها بعد الغزو سلمت راية النماء والتحضر والتضحية وإنكار الذات إلى أياد أمينة في الديوان الأميري، فكان مشروع حديقة الشهيد.

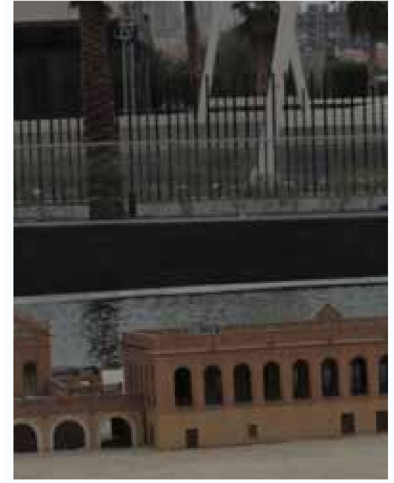
ظهر المشروع في نفس البقعة الأرضية ونفس الفضاء الخارجي لكن برؤية معاصرة تعليمية وتثقيفية

مسرح تعليمي

يضم المسرح المكشوف روائع الأعمال الفنية المتنوعة من مسرحيات أو أعمال موسيقية وغيرها مما يعزز الناحيتين التعليمية والتثقيفية اللتين هما الغرض الحقيقي من تطوير هذه الحديقة.

على لوحة من الكساء الأخضر وبنظام ربما هو الأول من نوعه في منطقة الشرق الأوسط.

التلال التي ستراها خضراء مرصعة بالشجيرات والورد ليست بسيطة تماما كما تظهر لك فتحتها تسكن المتاحف والمباني التثقيفية فهنا حديقة الشهيد أحد إنجازات الديوان الأميري الكويتي، وهنا مقر دائم لرفع العلم في الاحتفالات الرسمية، وهنا إدارة الشباب الوطني لمرافق وطنهم.



النباتات الصابرة (الصباريات) التي تكسو مباني الحديقة لتحولها إلى تلال خضراء، فكرة طفرت إلى ذهن مهندسة المشروع من قبل الديوان هيفاء المهنا، بعدما اشترط المجلس البلدي ألا تقل المساحة المزروعة في الحديقة، بعد إنشاء المتاحف والمباني الترفيهية، عن ٩٠ في المئة من المساحة الكلية التي تقدر بـ٢٢٠ ألف متر مربع.

٨٠٠ عامل

نعرف من المهندسة هيفاء المهنا أن حجم العمالة بلغ ٨٠٠ عامل إضافة إلى عشرات الفنيين المتخصصين الذين عملوا تحت إشراف الديوان الأميري بنظام الفترات على مدار الساعة تقريبا.

وبالرغم من العمليات الإنشائية الضخمة فإنه يمكنك أن تجد بعض الأشجار العتيقة التي مر عليها ستون عاما أو يزيد فمع محافظة المشرفين على الأشجار التي كانت قائمة تمت إضافة مئات الأشجار والشجيرات التي تم زرعها في المكان أو نقلها من دوار السيف.





سافرت المهنا بدعم من رؤسائها إلى الجمهورية الألمانية ودرست إمكانية تنفيذ المشروع على بصيرة من واقع المباني الألمانية التي اعتمدت فكرة الزراعة الرأسية وزراعة الأسطح.

وهكذا حافظ الديوان الأميري على وعده للمجلس البلدي بأن يجعل إنشاءاته في حديقة الشهيد طفرة في مجال التوعية والتعليم، بما لا يتنافى مع بقاء المسطحات خضراء شاسعة.

يطل مبنى «التجارية» الضخم، على الحديقة كشاهد عيان على الإنجاز الأفقي المميز بعدما صار هو دليلا على الإنجاز الرأسي بعمارته الفريدة.

وبينما تمرح الطيور آمنة على الأشجار التي شقت طريقها في سماء الكويت مجددا تتفرع طرق الحديقة إلى ثلاثة ممرات:

الأول: ممر أميري يفضي إلى بحيرة أمامها ساري العلم حيث تبدأ مراسم رفعه إيذانا ببدء احتفالات الأعياد الوطنية، والثاني: ممر لهواة التريض، والثالث: ممر للزوار.

أغلب الأرضيات والجدران كساها رخام ذو درجات لونية متناسقة تم



جلبه من مختلف بلاد العالم ليتحمل المجهود الشاق والسنين الطوال.

وتضم الحديقة عدة مبان بخلاف مبنى الدستور الذي تم افتتاحه قبل تطوير الحديقة.

أول هذه المباني المكسوة بالمزروعات، متحف الشهيد وفيه نستحضر أحداث خمس مواقع حربية خاضتها الكويت، إضافة إلى أحداث الغزو الصدامي الأليمة، مما يشكل مادة علمية فنية ثرية، تحكي حروبا خاضتها الكويت، مثل: الرقة البحرية والرقعي والجهراء وغيرها.

هنا أيضا متحف النباتات البرية والطيور النادرة التي تعيش في مناطق الكويت أو تهاجر إليها حينا من الدهر، أما الشاشات التفاعلية فتملأ جدران المتاحف مما يعيد إلينا نموذج المركز العلمي الرائد والأكواريوم حيث هندسة الإضاءة المبدعة على الأقفاص الزجاجية، التي تضم حشرات أو زواحف أو طيورا.

ومن المدهش أن تضم الحديقة شباكا مساحتها نحو ٥٠٠ متر مربع كمحمية تضم عددا لا بأس به من الطيور المهاجرة إلى الكويت.



هنا أيضا مبنى إداري ينظم العمل بشكل دقيق ويصون المنجز منه فلا يتراجع مع مرور الزمن بل يزداد قيمة ونماء.

وهنا مبنى الزوار حيث الخدمات المشجعة على الزيارة من مقاه ومطاعم ومحلات هدايا تذكارية وتجارية أخرى.

ولتلطيف الأجواء في شهور الصيف تم اعتماد نظام الرش بالرذاذ.

ومن الابتكارات التي تحسب لمهندسي الديوان الأميري أن صنع سقف المتحف البيئي للنباتات والطيور

بوابة الشعب

عندما اكتشف فريق الديوان الأميري الهندسي نفقا يؤدي إلى بوابة الشعب (لعل تاريخه يرجع إلى أيام اتفاقية الحماية البريطانية)، اقترح على المجلس البلدي أن يتم استغلال النفق وضمه إلى التجديدات التي يقوم بها في الحديقة فيصل الزوار بسهولة إلى البوابة ويتعرفون على جانب مشرق من تاريخ الكويت مكتوب بحروف من ضياء ومشقة أجيال لم تعرف الوفرة وإنما عرفت الصبر والكفاح.

شجرات منقولة

يبلغ مجموع الأشجار المنقولة ٥ شجرات من نوع فيكس الاستيكا وأربع نخلات، وكلها عليها بطاقات تدل على تاريخ نقلها من تربتها الأصلية وستجدها أورقت بغزارة دليلا على نجاح عملية النقل من دوار السيف.





من الزجاج، وشيد فوقه نافورة.

ولا ننسى مواقف السيارات المكونة من طابقين تحت الأرض يتسعان لـ ٩٠٠ سيارة.

فلأول مرة سنسمع خرير المياه المنسابة من ٦ نوافير ومجار مائية على جدران المواقف خلف ألواح من الزجاج السميك.

وجدير بالذكر أنه لم يتم هذا العمل بين ليلة وضحاها، بل واجه - وإن تم في وقت قياسي هو ١٢ شهرا - تحديات كثيرة تمثلت في التحايل على خطوط الخدمات التي كانت بالحديقة القديمة من كهرباء وصرف صحي وغيرهما، مع سحب المياه الجوفية قبل الشروع في أعمال أساسات المباني.

وكان - ربما - أهم من الزراعة نفسها التجهيز لها وإعداد شبكات الري والمستلزمات الخاصة بالصيانة المستقبلية.

لم يكتف الديوان الأميري بعمل كل هذه التجديدات، بل أنجز المرحلة الثانية من حديقة الشعب بجوار المرحلة الأولى والتي تبلغ مساحتها ١٧٠ ألف متر مربع فباتت تضم مجسما لمدينة الكويت القديمة وأبرز معالمها، ومتحفا لتاريخ الكويت دخوله مجاني يستمتع زواره باللوحات التفاعلية والتشغيل التلقائي لشريط صوتي يحكي حكاية كل لوحة على حدة بمجرد الوقوف أمامها بواسطة مجس متصل بالسماعات التي يتسلمها الزائر فور دخوله المتحف.

بقي أن نذكر أن مشروع تطوير حديقة الشهيد ليس مشروعا عاديا، بل يمكن القول: إنه مشروع تعليمي ثقافي ترفيهي رائد، كان العمل تحت الأرض فيه أكثر منه فوق الأرض، وكانت الأيدي الوطنية التي خططت وفكرت ثم دبرت ونفذت مثالا يحق لكل كويتي وعربي أن يفخر بها.

الجسران باقيان

كان أهالي منطقتي بنيد القار والدسمة يأنسون بالانتقال عبر جسرين إلى الحديقة القديمة للتريض، حيث تم تطويرهما وتهيئة الممرات لهما، كي لا يفقد الأهالي هذه المتعة بعد تجديد الحديقة وتحويلها إلى حديقة الشهيد، حيث تظل الذكريات ركنا مهما يحافظ عليه المجددون من أجل الجيل الذي عايش الحزام الأخضر وجمالياته.



أحمد سراج
شاعر وكاتب وعضو اتحاد كتاب مصر

حكمة بالغة وجسر يريد أن يتسع

توطئة

«ما خف حمله وغلا ثمنه» لعل هذا هو أصدق تعبير عن المثل، وربما لو تابعنا تعريفات المثل في مختلف اللغات لوجدنا أننا لا نبعد عن أمرين؛ إيجاز لفظ، وعلو قيمة؛ ولعل ما قاله البستاني: «إن للأمثال مزية لا تضاهى، ورتبة لا تتناهى إذ هي مطمع أعين الشعراء والخطباء، ومورد الفصحاء والبلغاء، بل هي أرق من الشعر، وأرفع قدرا من الخطابة، بدررها يتحلى جيد الكلام، وبفوائدها يتجلى الالتباس والإبهام»[1]. والمثل كما يقول الزمخشري: «والمثل في أصل كلامهم بمعنى الشبه والنظير»[2]، وعن قيمته يقول ابن سلام: «هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح؛ فيجتمع

لها بذلك ثلاث خصال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه»[٣].
إن اللغة أداة التواصل بين الأفراد والشعوب، وتتفاوت أساليب اللغة في التواصل، والمثل أحد أساليب التواصل الرفيعة العرفية الممتعة، وليس أدل على هذا من احتواء القرآن الكريم على أمثال[٤]، وكذا الحديث الشريف[٥]، أما الرفعة فلقلة اللفظ وكثرة المعنى، وإلى هذا يذهب القائل: «العبقرية هي الإيجاز» أما العرفية فإنها تعني ألا يفهم المثل إلا ابن البيئة المجرب، وتأتي المتعة من خلال كون المثل -أي مثل- مجازا (بلاغيا) فهو استعارة دائما، وهو مجاز (معبر) بين حادثتين؛ الأولى مضت وانقضت وخرجت منها عبرة، والثانية على وشك الحدوث فيكون للعبرة، أو حدثت منذ قليل فيكون للتأسي.
وقد قسم العلماء المثل إلى أركان ثلاثة؛ المثل نفسه، وهو العبارة الموجزة المأخوذة من حادثة، والمورد وهو الحادثة التي قيل فيها المثل، والمضرب وهو الموقف المعاصر الذي ينطبق عليه المثل، ولعل الملاحظ أن قوة المثل صرفت الناس عن محاولة معرفة المضرب، وأنها في الوقت نفسه تجعلهم يفهمون دون ذكر المضرب.
ويقودنا المورد والمضرب وعلاقتهما، وقراءة هذه اللفتة البديعة إلى مزية بديعة متوارية في الأمثال، وهي ما سنوردها تفصيلا في الفقرة التالية، ولنقرأ: «الأمثال في حياة الشعوب لها بعدان: بعد سكوني وبعد متحرك، وكلاهما مرتبط بالآخر أيما ارتباط. فبالنسبة إلى البعد الأول: تبدو الأمثال مرآة الشعوب التي ترتسم فيها تجاربها وصفوة جزء كبير من حضاراتها، وأهميتها تتجلى في أن الزمن لا يكدر صفو نقائها إلا نادرا فتنتقل عبر العصور... وبالنسبة إلى البعد الثاني، نرى الأمثال ليست «متلقيا» فحسب، بل تغدو قطبا فاعلا في حياة الناس، وفي كثير من المجتمعات والحقبات التاريخية تصادر الأمثال دور الأيديولوجيا، وتدخل في عمق الأنا الأعلى للفرد وللجماعة فتفعل فعلها البليغ، وتوجههما كما تشاء»[٦]
إن البعد الأول يقودنا إلى عدم قدرة الزمن على طمس المثل، وما لم يكن للزمن لا يكون لما معه من تغير اللغات واللهجات وتباينها، وما يكون للأمثال من قدرة على التأثير، ألا يدفعنا إلى ضم المثل الفصيح والعامي بمختلف مناطقه؟ ولنناقش هذا فيما يلي.
ومما يمكن ملاحظته في المثل العربي -الفصيح والعامي- أن هناك أمثالا كثيرة يسهل رد الفصيح للعامي، والعامي للفصيح؛ فما كان فصيحا يسهل أن نجعله عاميا، وإن بأبسط قواعد العامية وهي التسكين أو الخطأ في الإعراب، وما كان عاميا فيسهل رده إلى الفصحى؛ بعدة طرق منها تشكيل كلماته وضبط بنيته، ولهذا فائدة كبيرة في أنه يمكننا على مستوى الوطن العربي فهم هذه الأمثال.
ولنأخذ مثلا عربيا فصيحا هو: «ألقى حبله على غاربه» ومورده (أصله) أنهم إذا أرادوا إرسال الناقة في الرعي ألقوا جديلها على غاربها؛ لئلا تبصره؛ فيتنغص عليها ما ترعاه. والغارب: مقدم السنام، ثم صار غارب كل شيء أعلاه، ومضربه: لمن يترك أحدا يفعل ما يريد دون تدخل. إن هذا المثل يمكن بسهولة فهمه لعامة الناس، ولا يحتاجون إلى معرفة معنى «غاربه» لأنها لا تعوق الفهم.
ولنأخذ هذا المثال العامي الوارد في معجم تيمور: «اتبع الكداب لحد باب الدار» أي: لا تكذبه حتى يكذبه الواقع؛ لأنك إذا كذبته في حديثه جادلك وعجزت عن إقناعه.
وسيأتي في حرف التاء المثناة الفوقية. «... تنك ورا الكداب» أي: صدق. وسيأتي في السين المهملة. «... سدق الكداب» إن المثل بصورته الأولى، يسهل فهمه لمن لا يعرف العامية المصرية دون صعوبة، ويمكن رد الكلمة العامية (لحد) بسهولة فهي (إلى حد) وإضافة على تعاور حروف الجر فإن العامية تفتح اللام الجارة عكس الفصحى، إضافة إلى تسكين أواخر معظم الكلمات.
ثم هذا المثل الذي يضرب في الخليج وقد سمعته أكثر من مرة في المملكة العربية السعودية: «الديب ما يهرول عبث» وينطقه بعضهم: «الذيب ما يهرول عبث» إن مضرب المثل يعود إلى أن الذئب وهو حيوان ليلي، لا يرى إلا قليلا، وإن حدث وكانت مشيته هرولة (بين المشي والجري) فهذا يعني أنه يتحرك بهذه الطريقة لهدف، وأنه لا يمكن أن يسير هذه المشية عبثا، ومضرب هذا المثل أنك إذا رأيت شخصا يقوم بأمر لا تفهم مصلحته فيه؛ فإنك بحاجة إلى التروي لأن كل شيء يقوم به وراءه هدف كالذئب الذي لا يهرول عبثا.
ما نلحظه أن هذا المثل لا يحتاج إلى كثير جهد ليصبح فصيحا، بل إنه بالفعل فصيح تماما؛ ألا ترى ابن الأعرابي يقول في كتابه الموسوم بالنوادر: «ومما يهمز ويخفف قولهم: هاوأته وهاويته، وذئب وذيب، فخلط البدلي وهو هاويته، بالقياسي وهو ذيب. وقد نحا أبو عبيد في كتابه الموسوم بـ«المصنف» هذه المنحاة التي نحاها ابن الأعرابي»[٧]. كما نرى ذلك: «المراد بالبدل: أن يوضع لفظ

موضع لفظ كوضعك الواو موضع الياء في: موقن، والياء موضع الهمزة في: ذيب، لا ما يبدل لأجل الإدغام أو التعويض من إعلال. وأكثر هذه الحروف تصرفا في البدل حروف اللين وهي يبدل بعضها ويبدل من غيرها»[8] ونجده في قول الشاعر:

أكلت شويهة وفجعت قوما

بشاتهم وأنت لهم ربيب

غذيت بدرها ورويت منها

فمن أنباك أن أباك ذيب؟!

أما استخدام (ما) للنفي فهو صحيح لا حاجة لنا إلى إثباته، وإن كانت العامية تجنح له، لسهولة نطق الميم، وتزيد العامية المصرية أنها تستخدمه مع الماضي، وتضيف آخر الفعل المنفي حرف الشين (ما عملتش)، نأتي إلى تسكين كلمة عبث، والأصل تنوينها بالفتحة كونها منصوبة، وهو أمر تقره اللغة، وتجيزه عند الوقف، ثم ماذا لو كان المثل: «الديب ما يهرول عبث»؟ لدينا هنا إبدال بسيط، لا يجعل فهم المعنى صعبا، في حالة بقائه، ولا يعرقل النطق حال تفصيحه.

ولا يفوتنا هنا إفادة المثل العامي من الفصيح؛ فالبيتان اللذان أوردناهما، يحكيان قصة صارت أمثولة، وهي أن قوما وجدوا ذئبا رضيعا ماتت عنه أمه، فجعلوا شاة ترضعه مع أولادها، لكنه لما كبر قتل شاتها، فقالت البيتين، وأخذ هذا مثلا: «فمن أنباك أن أباك ذيب؟!» وتأتي العامية المصرية لتجعل المثل هكذا: «ابن الديب ما يترباش»[9]. والمعنى واحد، وكذا اللفظ.

لدينا المثل المصري: «ابن الوز عوام» وتضاعيفه: «بنت الفارة حفارة» والمتأمل في المثلين يلحظ أنهما جريا على قواعد العربية صرفا ونحوا، وما جرى من اختلاف هو تسكين الكلمات، وتسهيل همزة «الفأرة». وقد لاحظ أحمد تيمور أن لهذا المثل أصلا عربيا: «من شابه أباه فما ظلم» ومنه: «هذا الشبل من ذاك الأسد» وما يتندر به بعض الظرفاء على سبيل الدعابة: «هذا النعل من ذاك الحذاء».

الأمثال تلخص تاريخ العظماء وكبار الأحداث تلخيصا معجزا، وتحفظ تاريخ البسطاء، حفظا يبقى على الزمن كما يقول الفارابي: «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء، فاستدروا به الممتنع من الدر، وتوصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به من الكرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة»[10].

ملاحظة للمدارسة

أقول لعل الأمثال وهي تفعل ذلك اعتنت، أيضا، ببناء جسر بين الثقافات والأنساق اللغوية، ولعلنا ونحن نقرأ هذا المثل أو ذاك، أو يسمع المصري مثلا مغربيا في الخليج، يدرك كم أسدت لنا الأمثال خدمة تقرب بين الشعوب والأفراد.

إن نظرة بسيطة لبعض خصائص الأمثال من هذه الجهة، تدفعنا إلى محاولة عقد دراسة مقارنة واسعة بين الأمثال في اللغة واللهجات، وأظن أن في هذا خيرا كثيرا؛ لأن باب التوسعة في اللغة مفتوح، ولطالما أمدت العربية اللغات الأخرى بكلمات لا حصر لها، ليس فقط الإسبانية بل الإنجليزية والفرنسية، ولطالما استمدت من اللغات كلمات ساهمت في إثرائها، ومنها بضعة وسبعون علما أعجميا في القرآن الكريم، فما بالنا باللهجات المشتقة في أغلبها من الفصحى، ولعل الهجمة الشرسة للمصطلحات والآلات الغربية تدعونا لذلك؛ فبدلا من أن نفاجأ بأن الهوة تزداد اتساعا بين العربية الفصحى ولهجاتها، علينا أن نرى الجسور ونفيد منها.

الهوامش

١- أمثال الشرق والغرب، يوسف البستان، مصر ١٩٤٢م، ص ٢.

٢- الزمخشري. مقدمة المستقصى.

٣- زلهايم. الأمثال العربية ٢٣، السيوطي. المزهر ١/٤٨٦.

٤- الأمثال في القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله. تحقيق إبراهيم بن محمد مكتبة الصحابة. ط١ ١٩٨٦م.

٥- الأمثال في الحديث النبوي. أبو الشيخ الأصبهاني. تحقيق عبدالعلي عبدالحميد. الدار السلفية بالهند. ط١، ١٩٨٢م.

٦- الأمثال العربية والعصر الجاهلي. محمد توفيق علي. دار النفائس ط١، ١٩٩٨م. ص ٧.

٧- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ج١، ص٢٩.

٨- الزبيدي، تاج العروس ج١٤ - ص٤٥.

٩- أحمد تيمور، معجم الأمثال العامية، ص٢٥.

١٠- أبو المحاسن العبدري الشيبي. تمثال الأمثال ١/١٠٠.



مصطفى عكرمة
عضو اتحاد الكتاب العرب
سورية

مصعب بن عمير

يا مصعب بن عمير يا زهو الصبا ... ببديع ما قد كنت عشت محببا
تمشي فيمشي العطر إثرك والغوى ... ولكم أثرت لدى الجموع تعجبا!
وهديت للإسلام يا أغلى فتى ... لتعيش زهدك للإله تقربا
ترضى بدينك كل أمر منزل ... مهما تخيله سواك الأصعبا
وكتمت دينك كي تعيش به التقى ... وتكون ممن قد هداك الأقربا
هاجرت طوعا تبتغي نشر الهدى ... وهجرت عيشا كنت فيه مطيبا
ما هم عندك أن تبيت على الطوى ... ولدى المهاجر أن تعيش معذبا
هو أمر دينك فالعذاب عذوبة ... إن التقي يرى العذاب الأعذبا
أمر الرسول لديك أعظم واجب ... من كل ما قد كان كان الأوجبا
وأتيت يثرب داعيا ومبشرا ... بالدين لا ترجو سواه مطلبا
يا نعم ما قد كان منك ليثرب ... فالله كرم في جهادك يثربا
وحملت في أحد لواء محمد ... ومضيت ترهب من عليك تحزبا
بترت يمينك كي يؤوب لأختها ... رفع اللواء، وكنت ليثا أغلبا
ورفعته بالساعدين، ولم تهب ... لتنال فردوسا لقلبك حببا
ودفنت لا كفن حواك تمامه! ... يا رب هل ألقى بقومي مصعبا!



د. عبدالرحيم لقويشي
مفتش تربوي
المغرب

من خلال نموذجين من قصائد السيرة

مدح الرسول ﷺ

المدح والمديح في اللغة هو الثناء الحسن، ويطلق في الاصطلاح الأدبي على الغرض الشعري الذي يختص بالثناء والإطراء الذي يتوجه به الشاعر إلى ممدوح معين. وقد عرف المدح في العصر الجاهلي واتخذ في الغالب وسيلة للتكسب بمدح ملوك الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة، وقد مدح الشاعر الجاهلي بفضائل ثابتة كالشجاعة والكرم والحلم ورجاحة العقل ورفعة النسب وهذه الصفات ترسم الصورة الخلقية المثلى للإنسان في المجتمع العربي آنذاك، ولم يكن الشاعر الجاهلي يهتم، في الغالب، بمسألة الصدق والكذب عندما كان يتمثل هذه الفضائل والخصال في مدحه مادام الحافز التكسبي والقبلي هو الدافع للمدح.

وقد استثمرت هذه الفضائل في شعر المديح في صدر الإسلام باعتبارها قيما إنسانية لا تجري عليها أحكام التغيير لأنها تتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة، لكن مع تغير الدوافع التي أصبحت دعوية رسالية جعلت مديحهم يتميز بالصدق، وبذلك تحول المدح من التكسب والتملق إلى التدين والانطلاق من قناعة إيمانية صادقة.

عمل شعراء الدعوة في العهد النبوي، من خلال مدحهم للرسول ﷺ، على تأكيد جملة من المبادئ والقيم الإسلامية التي جاء لترسيخها في أذهان الناس عند بدء الدعوة وتجسدت عمليا في سيرته الشريفة بوصفه قائد المسلمين وحامل لواء الدعوة الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الشعراء أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وكعب بن زهير وعباس بن مرداس وغيرهم لم يخصصوا قصائد كاملة لمدح الرسول ﷺ وإنما جاء هذا المدح في ثنايا قصائدهم في الحماسة ووصف المعارك والاعتذار ومناقضة خصوم الدعوة؛ لأن المديح النبوي لم يتخصص وتنظم فيه القصائد المقصورة عليه إلا في عصور متأخرة وبلاد بعيدة عن مركز الوحي كالغرب الإسلامي، هذه القصائد التي يقوم فيها الشعراء بتعداد صفات الرسول ﷺ الخلْقية والخُلُقية وإظهار الشوق إلى رؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعرا، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، والصلاة عليه تقديرا وتعظيما، مع إظهار الشاعر لتقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية وذكر عيوبه وزلاته طالبا من الله عزوجل العفو والمغفرة طامعا في شفاعة الرسول الكريم يوم القيامة، وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد المولد النبوي التي تسمى المولديات.

مدح الرسول ﷺ في العهد النبوي من خلال نموذجين من السيرة

ونستحضر بعض نماذج المدح النبوي في صدر الإسلام لنأخذ فكرة عملية موضوعية عن القيم الإسلامية التي عبر عنها هؤلاء الشعراء في حق الرسول الكريم ﷺ.

وأول نموذج نقف عنده هو لامية كعب بن زهير المشهورة التي أنشدها بين يدي الرسول ﷺ مادحا معتذرا وتائبا مسلما بعد أن كان الرسول قد أهدر دمه لشعر هجاه به، ولم تعصم هذه القصيدة دم صاحبها فحسب بل استحقت أن تسمى البردة النبوية لأن الرسول ﷺ كسا كعبا ببردة مطهرة تكريما له وتشجيعا للشعر الإسلامي الملتزم، ومطلع هذه القصيدة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

واستهلها بالغزل على عادة الشعراء الجاهليين في المدح، وعرج على وصف الرحلة والراحلة:

أمســت سـعـاد بـــأرض لا يـبـلـغـهـا
إلا الـعـشـاق الـنـجـيـبـات المـراسـيـل
ولـــن يـبـلـغـهـا إلا عـذافـــرة
لـهـا عـلـى الأيـن إرقـــال وتـبـغـيـل

ثم انتقل إلى الاعتذار وطلب العفو من الرسول ﷺ:

أنـبـئـت أن رســـول الله أوعـدنـي
والـعـفـو عـنـد رسـول الله مـأمـول
مهلا هـداك الـذي أعـطـاك نـافـلـة الـ
قـرآن فـيـهـا مـواعـيـظ وتـفـصـيـل
لا تـأخـذنـي بـأقـوال الـوشـاة ولـم
أذنـب وقـد كـثـرت فـي الأقـاويـل

ثم انتقل إلى مدح الرسول ﷺ:

إن الـرســول لـنـور يـسـتـضـاء بـه
مـهـنـد مـن سـيـوف الله مـسـلـول
فـي عـصـبـة مـن قـريـش قـال قـائـلـهـم
بـبـطـن مـكـة لمـا أسـلـمـوا زولـوا[1]

والملاحظ أنه ما إن شرع في مدح الرسول ﷺ حتى أدخله في جماعة المهاجرين من قريش واستطرد إلى مدحهم، ويقول العديد من النقاد إن هذه القصيدة لم تظهر فيها الروح الإسلامية بوضوح وذلك أنها تجري على النسق الجاهلي في بنائها ولغتها وأغلب مضامينها حيث لم يتسن لصاحبها الذي جاء لتوه مسلما معتذرا أن تتشبع نفسه بالقيم الإسلامية.

النموذج الثاني الذي نتناوله في هذا الباب هو همزية حسان الشهيرة التي قالها قبل فتح مكة والتي مطلعها:

عـفـت ذات الأصـابـع فـالجـواء
إلـى عـذراء مـنـزلـهـا خـلاء

وقد أثارت هذه القصيدة عدة إشكالات بين النقاد الذين جاءوا بالعديد من التفسيرات والتأويلات لورود وصف الخمر في مقدمة قصيدة إسلامية أنشدت بين يدي الرسول ﷺ.

تتكون القصيدة من أربع وحدات متجاورة تساهم في بناء رؤية شعرية واحدة رغم التعدد الظاهر:

- **الوحدة الأولى:** تشغلها الأطلال الدارسة والتي أمحت معالمها في الحاضر بعد أن كان المكان في الماضي مليئا بالأنيس والنعم والشاء والمروج الخضراء.

ديـار مـن بـنـي الحـسـحـاس قـفـر
تـعـفـيـهـا الـروامـس والـسـمـاء
وكـانـت لا يـزال بـهـا أنـيـس
خـلال مـروجـهـا نـعـم وشـاء

- **الوحدة الثانية:** تشغلها المرأة شعثاء وعلاقة الشاعر بها هي علاقة حلم فقط أما العلاقة الواقعية فقد انقطعت ولم يبق منها سوى طيفها.

فـدع هـذا ولـكـن مـن لـطـيـف
يـؤرقـنـي إذا ذهـب الـعـشـاء
لـشـعـثـاء الـتـي قـد تـيـمـتـه
فـلـيـس لـقـلـبـه مـنـهـا شـفـاء

- **الوحدة الثالثة:** تشغلها الخمر التي ترمز إلى العبث والوهم الذي طالما افتتن به الشاعر وانساق وراءه في مرحلة الفتوة قبل الإسلام:

كـأن خـبـيـئـة مـن بـيـت رأس
يـكـون مـزاجـهـا عـسـل ومـاء

- **الوحدة الرابعة:** وهي الغرض الأساسي الذي يتمثل في الوعيد بفتح مكة والرد على أبي سفيان وهجائه ومدح الرسول ﷺ. وبذلك نكون أمام عالمين متناقضين عالم الزيف والوهم الذي تمثله الخمرة والعشق وعالم الفعل الذي تمثله الخيل.

عـدمـنـا خـيـلـنـا إن لـم تـروهـا
تـثـيـر الـنـقـع مـوعـدهـا كـداء

أما مدح الرسول ﷺ في هذه القصيدة فيتجلي في قول حسان بعد الوعيد بفتح مكة:

وجـبـريـل أمـين الله فـيـنـا
وروح الـقـدس لـيـس لـه كـفـاء
وقـال الله قـد أرسـلـت عـبـدا
يـقـول الحـق إن نـفـع الـبـلاء
شـهـدت بـه فـقـومـوا صـدقـوه
فـقـلـتـم لا نـقـوم ولا نـشـاء

وقوله في معرض هجائه لأبي سفيان:

أتـهـجـوه ولـسـت لـه بـكـفء
فـشـركـمـا لخـيـركـمـا الـفـداء
هـجـوت مـبـاركـا بـرا حـنـيـفـا
أمـين الله شـيـمـتـه الـوفـاء[2]

خاتمة

وهكذا يظهر من خلال دراسة هذين النموذجين أن الشعراء المخضرمين رغم أنهم عايشوا الرسول الكريم ﷺ عن قرب وخبروا خصاله وسجاياه الربانية، فإنهم بسبب هذه المعايشة وبسبب الانشغال بترسيخ ركائز الدعوة الإسلامية ومناقضة الخصوم لم يفصلوا في مدحه، وجاء مدحهم له سريعا مقتضبا في إطار مواضيع وأغراض أخرى، غير أنهم وضعوا اللبنة الأولى لنشأة شعر المديح النبوي الذي عرف بعد ذلك نضجا كبيرا وهو يتطور في الزمان ويمتد في المكان.

الهوامش

١- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق وتخريج وفهرسة: جمال ثابت ومحمد محمود وسيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٤، ص٣٩١-٣٩٥.

٢- نفسه، ج٤، ص٣٢٧-٣٢٨.



د. هدى ميموني
كاتبة وباحثة مغربية
أستاذة مادة التواصل



لا يكاد يخلو كتاب في تاريخ الرياضيات من حديث حول «جبر الخوارزمي»، في دراسات تتفاوت من كتاب إلى آخر من حيث العمق والاتساع، وعلى امتداد أكثر من نصف قرن مضى، وقد نشرت مئات المقالات حول هذا الموضوع في المجلات العلمية المتخصصة، وأقيم حوله الكثير من المؤتمرات العلمية.

«العربية» لغة العلم .. الخوارزمي نموذجا

الخوارزمي عالم رياضيات وفلك وجغرافيا، مسقط رأسه غير معروف، واسمه يدل على أنه قد جاء من خوارزم، ولد سنة ٧٨٠م، وتوفي سنة ٨٥٠م.

درس العلوم والرياضيات التي تضمنت ترجمة المخطوطات اليونانية والسنسكريتية العلمية، وقد أنجز معظم أبحاثه بين عامي ٨١٣م و٨٣٣م في دار الحكمة في بغداد زمن الخليفة العباسي المأمون، وقد استفاد الخوارزمي من الكتب التي كانت متوافرة في خزانة المأمون، فدرس الرياضيات والجغرافيا والفلك والتاريخ، إضافة إلى المعارف اليونانية والهندية، ونشر كل أعماله باللغة العربية، التي كانت لغة العلم في ذلك العصر، وقد ترك العديد من المؤلفات من أهمها «كتاب الجبر والمقابلة» الذي يعد أهم كتبه والذي ترجم إلى اللغة اللاتينية في سنة ١١٣٥م، وقد دخلت على إثر ذلك كلمات مثل الجبر Algebra والصفر Zero إلى اللغات اللاتينية.

يعد كتاب «الجبر والمقابلة» من أشهر كتب الخوارزمي، وهو الكتاب الذي ألفه لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم، وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجارتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرضين، ويعالج الكتاب المعاملات التي تجري بين الناس كالبيع والشراء، وصرافة الدراهم، والتأجير، كما يبحث في أعمال مسح الأرض فيعين وحدة

القياس، ويقوم بأعمال تطبيقية تتناول مساحة بعض السطوح، ومساحة الدائرة، ومساحة قطعة الدائرة، وقد عين لذلك قيمة النسبة التقريبية (ط) فكانت ٢٢/٧، وتوصل أيضا إلى حساب بعض الأجسام، كالهرم الثلاثي، والهرم الرباعي والمخروط، ومن كتبه المهمة أيضا: «الزيج الأول، الزيج الثاني» المعروف بـ «السند هند»، وكتاب «الرخامة»، وكتاب «العمل بالإسطرلاب».

نشر عدة مؤلفين أيضا نصوصا تحت عنوان «الجبر والمقابلة»، منهم أبوحنيفة الدينوري، أبو كامل شجاع ابن أسلم، عبدالحميد بن ترك، سند ابن علي، سهل بن بشر وشرف الدين الطوسي.

إسهامات الخوارزمي

ساهم الخوارزمي في الرياضيات، الجغرافيا، علم الفلك وعلم رسم الخرائط، وأرسى الأساس للابتكار في الجبر وعلم المثلثات. له أسلوب منهجي في حل المعادلات الخطية والتربيعية أدى إلى الجبر وتصنيفاته، كما في الكتاب محل الدراسة.

كتاب الجمع والتفريق بحساب الهند سنة ٨٢٥م، كان مسؤولا بشكل أساسي عن نشر نظام الترقيم الهندي في جميع أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا، وترجم إلى اللاتينية بعنوان Algoritmi de numero Indorum. ومن الخوارزمي أتت الكلمة اللاتينية Algoritmi، التي أدت إلى مصطلح «الخوارزمية».

اعتمدت بعض أعماله على علم الفلك الفارسي والبابلي، والأرقام الهندية، والرياضيات اليونانية. كما نظم الخوارزمي وصحح بيانات بطليموس عن إفريقيا والشرق الأوسط من كتبه الرئيسية كتاب «صورة الأرض»، الذي يقدم فيه إحداثيات الأماكن



التي تستند على جغرافية بطليموس، ولكن مع تحسين القيم للبحر الأبيض المتوسط وآسيا وإفريقيا. كما كتب أيضا عن الأجهزة الميكانيكية مثل الاسطرلاب، والمزولة. وساعد في مشروع لتحديد محيط الأرض، وفي عمل خريطة للعالم للخليفة المأمون، وأشرف على ٧٠ جغرافيا.

وفي القرن الثاني عشر انتشرت أعماله في أوروبا من خلال الترجمات اللاتينية، التي كان لها تأثير كبير في تقدم الرياضيات في أوروبا.

أهم مميزات العلم العربي

الجبر: كلمة عربية وردت في عنوان كتاب «الجبر والمقابلة»، الذي قدم فيه الخوارزمي العمليات الجبرية التي تنظم إيجاد حلول للمعادلات الخطية والتربيعية. ويعتبر هذا الكتاب هو النص التأسيسي للجبر الحديث، حيث يشكل علم الجبر أحد الفروع الثلاثة الأساسية في الرياضيات، إضافة إلى



الهندسة الرياضية والتحليل الرياضي ونظرية الأعداد والتباديل والتوافيق. ويهتم هذا العلم بدراسة البنى الجبرية والتماثلات بينها، والعلاقات والكميات.

والجبر هو مفهوم أوسع وأشمل من الحساب أو الجبر الابتدائي، فهو لا يتعامل مع الأرقام فحسب، بل يصوغ التعاملات مع الرموز والمتغيرات والفئات كذلك، ويصوغ الجبر البديهيات والعلاقات التي بواسطتها يمكن تمثيل أي ظاهرة في الكون. ولذا يعتبر من الأساسيات المنظمة لطرق البرهان.

يتضح من تحقيق هذا المؤلف أن الخوارزمي أطلع على «أصول إقليدس»، كما أنه راجع الأعمال الهندسية لهيرون الإسكندري واستخدامه بعض مسائلها. ويلاحظ أن البحث في فقه المعاملات (الشرع والحقوق) كان من بين الحقول التي استند إليها الخوارزمي في تصوره للجبر وتأليف كتابه، فهو يقول: «ألفت من حساب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا، جعلته حاصرا لطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة إليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسماتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحات الأرضين وجري الأنهار والهندسة وغير ذلك من وجوه وفنونه».

إن كتاب الخوارزمي طبقا لأحدث التحقيقات المدققة من جانب علماء التخصص عمل تأسيسي لـ«علم الفرائض» الذي يقع على ملتقى الرياضيات والعلوم الفقهية. وهذا الكتاب عمل تأسيسي أيضا لأسلوب جديد؛ فلقد أجاز الجبر ما لم يكن بالإمكان تصوره من قبل، وهو توسع تطبيق العلوم الرياضية، بعضها على البعض الآخر، مما أدى إلى فصول علمية جديدة، والمقصود هنا تطبيق

الحساب على الجبر، والجبر على الهندسة، والهندسة على الجبر، والجبر على علم المثلثات.. إلخ.

وبفضل هذا التطبيق، ومن دون تأخير، ظهرت الهندسة الجبرية الابتدائية، وبدأ جبر كثيرات الحدود، والتحليل التوافيقي.. إلخ. ومن بين نتائج هذا التطبيق النتيجة الكبرى المتمثلة في التعديل العميق لموسوعة المعارف الرياضية، التي جعلها إدخال الجبر تتجاوز إطار المجموعة «الرباعية» الشهيرة quadrivium، مجموعة العلوم الأربعة بحسب تصنيف القدماء: الحساب والهندسة وعلم الفلك والموسيقى.



ولم يكن التحول في فلسفة الرياضيات أقل أهمية، فالاطلاع على أعمال فلاسفة مثل الفارابي وابن سينا، يكفي لفهم مدى تأثير هذه المادة الرياضية الجديدة في علمهم وفي تصنيفهم للعلوم. أما لماذا أجاز الجبر مثل هذا التطبيق، فلأنه من حيث تكوينه علم يزاوج بين الهندسة والحساب، مطبقا أحدهما على الآخر، أي بين أسلوبين أحدهما لوغارتمي (حسابي) والآخر برهاني (هندسي).

إن أسلوب تطبيق علم على آخر هو من أهم مميزات العلم العربي، وإنه «بداية حقة للعلم الكلاسيكي»، وهو أسلوب «مناقض لفكرة سادت في التراث اليوناني حول انفصال الأجناس وعدم اللجوء لميدان إلى ما هو ليس من جنسه».

هكذا يمكن القول إن الجبر ولد مع كتاب الخوارزمي، لكن ذلك لا يعني أن التاريخ لم يعرف قبل هذا الكتاب ممارسات أو عمليات يمكن وصفها الآن بأنها جبرية (من حيث تعاملها مع المعادلات والمجاهيل)، فالعديد من المسائل التي تتعامل مع الأعداد أو الأطوال أو المساحات أو غيرها، كانت ومنذ بداية التاريخ، تؤدي إلى مثل هذه الممارسات.

ولكن المعادلات والمجاهيل وكثيرات الحدود لم تعامل بتاتا، قبل الخوارزمي، ككائنات رياضية مستقلة بذاتها، بل كان التعامل معها يتم في سياق حل هذه المسألة المحددة العرضية أو تلك. وكانت ولادة هذه الكائنات الرياضية الجديدة وولادة القوانين التي تحدد تفاعلها والتعامل معها الخطوة النوعية الجديدة التي حددت ولادة علم الجبر.

إن الخوارزمي أرسى القواعد التي لم تزل تعتبر، إلى الآن، أسس الجبر وهدف الجبر، وهي: الحلول الجذرية (أي بالجذور) للمعادلات الكثيرة الحدود، وإجراء الحسابات على كثيرات الحدود.

ولادة علم جديد

هذا الكتاب أسفر عن ولادة علم جديد له تأثيره الواضح في معاصريه وخلفائه المباشرين، فلقد تبنى هؤلاء نظريته من دون تحفظ، وبحماسة مدهشة (نظرا إلى حداثة هذه النظرية)، وأمعنوا في دراستها وتطويرها، كما تبنوا مصطلحاتها.

وهناك عدد من خلفاء الخوارزمي المباشرين، أوردهم ابن النديم في الفهرست، وظهرت كلمة «الجبر» في عناوين أعمال أغلبهم، وطوروا الأبحاث التي بدأوها في مجالات المعادلات التربيعية والحسابات الجبرية والتحليل غير المحدد ومسائل الوصايا والإرث. من بين هؤلاء ابن ترك وسند بن علي، والصيدناني، وسنان بن الفتح، والمصيصي، والاصطخري، وأبو الوفاء الوزجاني.

وقد كان هناك اتجاهان رئيسيان لتطور الجبر العربي، إذ إنه تطور في اتجاهها وهما: اتجاه حسابي واتجاه هندسي، توجد جذورهما على كل حال في كتاب الخوارزمي.

أولا - الاتجاه الحسابي للجبر

يضم هذا الاتجاه عددا كبيرا من الباحثين، من أوائلهم سنان بن الفتح (أوائل القرن العاشر للميلاد) وأبو كامل شجاع بن أسلم المصري (٨٥٠م-٩٣٣م)، وقد تطور الاتجاه الحسابي للجبر إلى أن أصبح مشروعا واضحا في أعمال الكرجي (القرن ١١م)، عبر عنه خليفته وشارح أعماله السموأل بن يحيى المغربي (١١٧٥م)، عندما اعتبر أن الجبر هو «الطريق إلى التصرف في المجهولات بجميع الأدوات الحسابية كما يتصرف الحاسب في المعلومات».

ويتضمن هذا الاتجاه بشكل أساسي المواضيع التالية:

- تطوير الحساب على كثيرات الحدود، والتوسع في قوى المقادير.
- توسيع العمل في معادلات الدرجة

الثانية.

- الحسابات العددية والتحليل العددي: استخراج الجذور النونية، وإيجاد الحلول التقريبية للمعادلات/الحسابات على المقادير الصماء التي نشطتها القراءات الجبرية للكتاب العاشر من الأصول.

- نظرية الأعداد.

- المسائل العددية والمعادلات غير المحددة «السيالة» استنادا بشكل خاص إلى القراءة الجبرية لكتاب المسائل العددية لديوفنطس.

تجدر الملاحظة هنا أن تأثر المجتمع الرياضي بكتاب الخوارزمي جعل قسطا بن لوقا (الربع الأول من القرن ١٠م) ينقل كتاب ديوفنطس المسائل العددية هذا إلى العربية تحت عنوان «صناعة الجبر»، وينقل مسائله بلغة الخوارزمي الجبرية، متسببا في أخطاء لاحقة في المنظور التاريخي للرياضيات، كما تجدر الملاحظة أيضا أن أحد أهم العاملين في هذا المجال وأوائلهم، أبا كامل، لم يكن مطلعا على كتاب ديوفنطس.

ثانيا - الاتجاه الهندسي للجبر

ويمكن تمييز مراحل ثلاث في فترة القرون الثلاثة التي عرفها تطور الجبر في هذا الاتجاه. فخلال مرحلة ما قبل الخيام، تضمنت نشاطات هذا الاتجاه الترجمة الهندسية لمعادلات الدرجة الثانية. كما تضمنت القراءة الجبرية للكتاب العاشر من الأصول، أي تفسير الجبري لنظرية إقليدس في المقادير غير المنطقية، إضافة إلى الترجمة الجبرية لبعض المسائل الهندسية المجسمة الموروثة من الرياضيات اليونانية، أو تلك التي طرحها البحث في مجالات أخرى. وقد لمعت في هذا الاتجاه أسماء، منها ثابت بن قرة (٩٠١م)، والماهاني، الليث، والقوهي، والسنجزي (القرن ١٠م)، وأبو نصر بن عراق (القرن ١١م)، والبيروني (٩٧٣-١٠٥٠م).

وقد مهدت الأبحاث في الاتجاه الهندسي الطريق للعمل الجبري لعمر الخيام (١٠٤٨-١١٣١م)، الذي يشكل «الانطلاقة الأولى للهندسة الجبرية». فمع الخيام لم تعد المسألة مسألة حل هذه أو تلك من معادلات الدرجة الثالثة التي يطرحها بحث ما، بل مسألة مشروع لحل جميع الأصناف الـ ٢٥ للمعادلات من الدرجة الثالثة (وما دون).

الخوارزمي والغرب

وبعد إعلان الخيام أنه لا هو ولا الذين سبقوه استطاعوا حل هذه المعادلات بالجذور، والتعبير عن أمله في أن يأتي اليوم الذي سيحلها فيه أحدهم بهذه الطريقة، أي حل الأنواع الأربعة عشر من معادلات الدرجة الثالثة بتقاطع قطعين مخروطيين يختلفان من نوع إلى آخر، وانتهى الخيام في رسالته إلى فئتين من النتائج المهمة في تاريخ الجبر كثيرا ما تنسبان إلى ديكارت: أما الفئة الأولى فتتعلق بالحل العام لكل معادلات الدرجة الثالثة باللجوء إلى تقاطع قطوع مخروطية، وأما الفئة الثانية فهي تخص الحساب الهندسي الذي أصبح ممكنا نتيجة لتحديد وحدة قياسية للأطوال، على الرغم من بقائه، خلافا لديكارت، أمينا لقاعدة التجانس.

لقد وصل الجبر الهندسي إلى ذروته مع شرف الدين الطوسي (نهاية القرن الثاني عشر) الذي أكمل مشروع الخيام، وقاده مشروعه إلى مسألتين، كانتا غائبتين عمليا في جبر الخيام: الأولى هي وجود الجذور (الحقيقية الموجبة) للمعادلات التكعيبية، والثانية هي الحساب العددي للجذور (عندما توجد).

إن مسألة وجود الجذور جعلت الطوسي يعتمد تصنيفا للمعادلات جعله يدخل مفاهيم تحليلية، ويستخدم طرائق رياضية تنتمي إلى رياضيات ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وفي مجال الحساب التقريبي لجذور المعادلات، عمم الطريقة المنسوبة إلى روفيني هورنر التي سبق أن طبقها الجبريون الحسابيون العرب في استخراج الجذر النوني لعدد ما.

وأدت ممارسته في مجال الحساب العددي للجذور إلى بحث عميق في مجال كثيرات الحدود، أوصله إلى استخدام ما نسميه اليوم «متعدد حدود مهيمنا». وفي هذا المجال أيضا ظهر مجددا تعبير المشتق لبعض التعابير الجبرية والذي كان قد ظهر بشكل منهجي لدى معالجة مسألة وجود الجذور بمناسبة حساب النهاية العظمى.

أما عن تأثير الجبر العربي في الغرب، فحدث ولا حرج، إذ ترجم الخوارزمي إلى اللاتينية ثلاث مرات، ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي، ففي عام ١١٤٥م، ترجمه روبيردوشستر Robert de Chester في سيجوفي Segovie، ثم ترجمه جيرار دو كريمون (Gerars de Crdmone) (١١١٤ -١١٨٧م) في طليطلة، وجيليوم دي لونا (Guillaume de Luna) (١١١٠ - ١١٨٠م)، أما الباحثة هيلين بلوستا فقد أعطت موجزا عن تأثير الخوارزمي وخلفائه المباشرين، وخاصة أبا كامل، في الجبر الذي انطلق في أوروبا اللاتينية في القرن الثاني عشر على يد الرياضي ليوناردو بيزانو، المعروف بـ «فيبوناتشي» Fibonacci (حوالي ١١٧٠-١٢٥٠م)، ويشار هنا إلى أن تصنيف فيبوناتشي للمعادلات التربيعية هو نفسه تصنيف الخوارزمي الذي تبناه لاحقا كاردان Cardan وفييت Viete.



د. أحمد تمام سليمان
أكاديمي بجامعة بني سويف
مصر



(دماء على خيوط الفجر.. نموذجا)

قضايا الوطن في رسالة الشعر

ديوان «دماء على خيوط الفجر» للشاعر محمد فؤاد[1]، ينماز بخصوصية الأسلوب الأدبي، كما أنه يمثل نضجا فنيا إلى حد كبير - رغم أنه الديوان الأول له - مما يشي بأنه تجربة مبشرة بصوت واعد، قد يحقق إضافة في بابه إذا تعهد الشاعر موهبته؛ بصقلها بمزيد من البحث والنظر، ووضعها على محك النقد والتقييم، ومنافستها مع مثيلاتها من المواهب المعاصرة أو المجايلة.

فيحاول الشاعر محمد فؤاد تقديم الشعر بوصفه خطابا يمتلك آلياته ويوجه أهدافه؛ لذلك وردت كثير من عناوين قصائده معبرة عن رسالة الشعر، مثل: (حنانيك يا شعري - أطلق جواد الشعر - جرحي قصائدي - رسالة إلى أهل الشعر)، ولعل رسالة الشاعر تنقسم من ناحية المضمون المعرفي للديوان إلى مجالين، أولهما: استلهام التراث الإسلامي، مثل: (طيف الهجرة - رسالة إلى أبي ذر - عام الحزن - دثريني)، ثانيهما: مسايرة مستجدات الأمة، مثل: (طيوف فلسطينية - رسالة إلى رابين - سمعا يا قدس - سراييفو).

والشاعر يدبج قصائده من خلال تلك العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، محاولا أن يكون الديوان بمنزلة المشاركة الإيجابية منه في رفع نير الظلم عن كاهل أمته، فأضاف إلى البعد الجمالي للشعر بعدا معرفيا آخر هو الرسالة الإصلاحية؛ لذلك يكثر من استخدام كلمة (رسالة) أو ما يؤدي معناها، مثل: (صحوة مسلم - كلمات إلى الوطن المغترب - صوت من النغم المترامي - من غضب الرمال أصوغ نصري)، فمن قصائده التي ينبري فيها للدفاع عن أمته (رسالة ملقاة على الطريق - تكبيرة النصر - عواصمنا العربية)، مما يدفعنا إلى إدراج الديوان تحت «الأدب الإسلامي»؛ لما يهتم به من القضايا المعاصرة للأمة العربية الإسلامية، وتعزيز مقوماتها وتذليل معوقاتها.

وإذا ما توقفنا عند تقسيم الديوان تقسيما موضوعيا، وجدناه يتفرع إلى عدة موضوعات تضمها وحدة عضوية هي هموم الأمة العربية الإسلامية، منها: استدعاء التاريخ الإسلامي، وتمثلها قصائد (طيف الهجرة - رسالة إلى أبي ذر - الذبيح - عد بالجنى والخير يا رمضان)، والقضية الفلسطينية المعاصرة، وتمثلها قصائد (صحوة مسلم - دماء على خيوط الفجر - دعوني لأقذف هذا الحجر - طيوف فلسطينية - شذا النصر- رسالة إلى رابين - سمعا يا قدس)، ومذبحة المسلمين في البوسنة والهرسك، وتمثلها قصائد (لا تبكياه - سراييفو الحبيبة - يا معقل الفاتحين)، وصراع الحرب الأهلية في اليمن، وتمثلها قصيدة (يا أسفي على وطني)، وحرب المسلمين الأفغان ضد الروس، وتمثلها قصيدة (على درب الجهاد). ويقول محمد فؤاد في رسالة الشعر[2]:

أقدمها - وأصدقكم - نصيحة
فلا تبقوا ندائي جريحة
فإني ما حييت حييت حرا
ورأي الحر يستدعي جروحة
وجرح الحر يعطي القلب نورا
يرى فيه الحياة رؤى صريحة
فبعض الناس يبغي الشعر لهوا
لهم في ذاك ألسنة فصيحة
وأما غايتي في الشعر صدق
فشعري بين قلبي والقريحة

ورغم أن ديوان «دماء على خيوط الفجر» يمثل باكورة

شعره، فقد استغرق نظم قصائده زهاء عقد من الزمان، مما حدا بالدكتور عماد الدين خليل أن يسجل رأيا في هذه الانطلاقة المتأنية، حتى تخرج التجربة الشعرية دون أن تفتقر إلى النضج الفني، فيقول: «والبدايات الأولى تكون حادة، صريحة الانحياز إلى حد كبير، فإما الإغراق في الذات، وإما الانغمار في الهم العام، ولقد اختار محمد فؤاد الثانية.. منظوره الإسلامي الموغل في شرايينه، رؤيته الإيمانية للواقع والظواهر والموجودات والأشياء لا تمنحه الخيار، فما يلبث منذ اللحظات الأولى أن يجد نفسه ملتزما، بجعل الكلمة تقاتل هي الأخرى على طريقتها الخاصة، كل قوى الشد والإعاقة والانحراف من أجل أن يفيء الإنسان إلى الصراط، وتسترجع الأمة هويتها الضائعة، فيكون لها في هذا العالم مكان»[٣].

إن قضية الوطن في الديوان هي القضية الكبرى التي يتمحور حولها الكثير من القضايا الفرعية، فمفردة «الوطن» لا تغيب عن عناوين القصائد، مثل: (كلمات إلى الوطن المغترب - يا أسفي على وطني)، كما أنها تمثل تيمة ذات ثقل تكراري في متن قصائده. و«الوطن» في شعره كائن حي، يأنسه الشاعر ويقيم معه حوارا، مستهله إخبار الشاعر وطنه بمجيئه، قائلا في براعة استهلال:

«جئت يا وطني
كي تفاجئني بالنبوءات تلو النبوءات
في ليلك السرمدي
وتذرو علي قليلا من العشق».

ويبث الشاعر وطنه حزنه وشكواه، قائلا:

«فالحزن يا وطني دائم أبدي
وأنت تجيء، وترحل عنا، وتسكن فينا
وليس لنا نحن أن نسكنك».

وهذه الجملة الشعرية الأخيرة تصعد بالمتلقي إلى ذروة المأساة، حيث يحال بين الشاعر وأن ينعم بسكنى وطنه، فيوطئ لاتخاذ (الطير) معادلا موضوعيا للمغترب، قائلا:

«وحين تحدثني عن طيورك يا وطني
أزجر الطير سعدا
فتحترق الطير فوقي، وتأبى السقوط».

ويقف الشاعر في حواريته مع وطنه ساردا له ألوان معاناته، ومبينا في نهايتها عدم تخليه عنه بأنه لم يولِّ الأدبار وإنما حمل الأمانة؛ حتى تقال عثرة الوطن الجريح الذي مازال جرحه راعفا، وقد أفصح الشاعر عن مكنون إرادته في حمل الأمانة؛ وهو البحث عن وطنه، وكأنه يبحث عن ذاته، فأتم هذه التجربة الشعرية قائلا بما يعد حسن خاتمة:

«يا وطني.. حينما فاجأتني جيوش الغزاة على ذروة الحلم.. أسرجت خيلي، وأشهرت رمحي، وأشعلت نار التحدي وألقيت قائدهم في البحار وحين صحوت من الصمت، كنت هنا واقفا والدماء تسابق خيلي، وتخرق كل نواميس كوني فقمت حملت الأمانة... لكنني كنت أحملها... أبحث عن وطن...»[٤].

والشاعر يضم (الاغتراب) إلى (الوطن)، والأصل اللغوي أن الاغتراب يكون من المواطن عن الوطن، فالمواطن هو المغترب، بينما الوطن هو المغترب عنه، لكن الشاعر أطلق صفة المكين على المكان، فقال: (الوطن المغترب)، بدلا من: (الوطن المغترب عنه)، فلعله من المجاز المرسل وعلاقته المكانية، كقول الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف:٨٢)، والمراد بالقرية: أهلها، وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[٥]، أي: مرضي عنها، فالراضي إنما هو العائش فيها.

ولعل الشاعر لما استوقفته فكرة الغربة والاغتراب عن الوطن ربطه بالسفر، فنلمس تأثره بالإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ) الفقيه الشاعر، في الأمر بالسفر وهو من الأمور التي استنها المشرع، في تلك المصاحبة اللغوية التي تجمع (السير) و(النظر)، كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ..﴾[٦]؛ وهو الأصل الأسلوبي في القرآن الكريم لذلك نجده الأكثر شيوعا، فهو سير لأخذ العبرة وإعمال آلة التفكر، أما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ..﴾ (الأنعام:١١)، فهو سير لطلب العلم والعمل مثلا ثم لا يفوتنا أخذ العبرة.

ويدندن الشاعر محمد فؤاد حول هذا المعنى اللطيف[٧]، قائلا:

هو الشعر روض حين تصفو مشاعر
وإن ثار جمر في فؤادك ينضج
تتيه بك الأشعار بين سطورها
كما تزدهي بالبحتريات منبج

فأطلق جواد الشعر إنك فارس
وقل للسان الحق: هل تتلجلج؟!
وسافر في الدنيا عناء ورحلة
فمثلك مأمول إلى القصد يدلج
فإن طريق الله يسطع حوله
مصابيح من هذي المحجة تسرج

إن طبيعة الموضوعات التي يطرحها الشاعر من قضايا عامة وتاريخ أمة، تجعلها لا تقتصر على المعالجة الشعرية فحسب، فيمكن لكاتب مقال أو لخطيب أن يتناولها؛ لذلك كنت أخشى المباشرة في الأسلوب، فالشعر جوهره التخييل، وإن اعتمد الشاعر على مثل هذه الموضوعات فإنه لا يسردها سرد المؤرخ، ولا يعرضها عرض الخطيب، وإنما الشاعر يستلهم ويستشف ويوظف.

كذلك فالشاعر محمد فؤاد يستلهم حادثة «الإسراء والمعراج» لما لرواياتها من زخم في التراث العربي الإسلامي، ولو أنه توقف عند سرد أحداث يوم السابع والعشرين من شهر رجب لكان خطيبا مصقعا! لكنه حاول توظيف بنيتها ودلالتها فيما استجد من أحداث، فيقول:

«هذا عام الحزن..
لم نبصر فيه وميض شعاع
لم تمطر فيه سحاب قط
إن تمطر، لا تروي إلا الأحزان بوادي القلب
يا رب.. أسر بعبدك ليلا من أغلال الحزن
اجعل لي مسرى في هديك
عرج بي يا رب»[8].

فقد استلهم الشاعر الباعث من وراء الحادثة، وهو التسلية عن قلب النبي ﷺ بعدما كذبه أهل الطائف وآذوه، فلاذ بالدعاء العريض الذي شكا فيه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، فكانت رحلة الإسراء والمعراج بمنزلة المدد السماوي؛ لذلك فقد جعلها الشاعر سياقا يضمنه غرض الدعاء، عله يسمع فيجاب، وفي مواضع أخرى من الديوان يستلهم الشاعر الحادثة بوصفها مسرى النبي ومعراجه، وذلك عند حديثه عن القضية الفلسطينية؛ ليعقد المقارنة بين ما كنا عليه وما صرنا إليه!

ويتميز أسلوب الشاعر محمد فؤاد بنقاء لغته، ودقة صياغته، وحسن استعاراته، وامتلاكه حرفية الوزن والقافية، وإن خرج الأسلوب في بعض الأحيان مباشرا مفتقرا إلى خيال الشعراء، كذلك معرفته بالمرويات التاريخية المتعددة، مما ميزه بتنوع موضوعاته، وإن تكررت بعض الموضوعات أو الأفكار فتشابهت بعض القصائد، ولاشك أن تفرد القصيدة يكون أجود، وإلا ما أطلق العرب صفة (اليتيم) على الشيء النادر الذي لا نظير له، فلا يوجد على وجه الأرض من مثله سواء؛ كالدرة اليتيمة والجمعة اليتيمة والشجرة اليتيمة... وغيرها، وفي رأيي أن (اليتم) أو (الفرادة) بهذا المعنى أدخل في الابتكار، الذي يكون الشعراء إليه أحوج من غيرهم.

الهوامش

١- محمد فؤاد محمد علي: شاعر فصحى، مصري، من مواليد محافظة المنيا في ١٩٥٩م، حاصل على بكالوريوس علوم وتربية - جامعة المنيا، ودبلوم تحقيق التراث من كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا، نشرت الكثير من قصائده بالصحف والمجلات الثقافية، وأذيعت بعض قصائده في الإذاعة والتليفزيون، وفاز في الكثير من المسابقات الأدبية، وأصدر ديوانه «دماء على خيوط الفجر»، والذي استغرق نظم قصائده زهاء عقد من الزمن، من شعر الفصحى (القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة)، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- ديوان «دماء على خيوط الفجر»: قصيدة/ رسالة إلى أهل الشعر، ص٨٢.

٣- دراسة الدكتور عماد الدين خليل - جامعة الموصل - العراق: كتقديم لديوان «دماء على خيوط الفجر»، ص٤.

٤- ديوان «دماء على خيوط الفجر»: قصيدة/ كلمات إلى الوطن المغترب، ص٢٢- ٢٤.

ونشرت القصيدة منفردة في مجلة إبداع المصرية - عدد نوفمبر ١٩٨٧م، كما نشرت في جريدة البيان الإماراتية - بتاريخ ٢٨/٣/١٩٩٦م، كذلك أذيعت بإذاعة عمان الأردنية.

وربما دل شيوعها على اتحاد الشأن العربي حول قضية الوطن، وقديما قال أمير الشعراء أحمد شوقي: «كلنا في الهم شرق»، والتي سارت من بعده مسير المثل؛ لأن ساقية الهم العربي ما إن تفرغ حتى تمتلئ من جديد!

٥- تكررت الآية في موضعين، هما: سورة (الحاقة:٢١)، و(القارعة:٧).

٦- تكررت المصاحبة اللغوية التي تجمع (السير) و(النظر) في القرآن الكريم، في غير موضع هي:

صيغة الفعل المضارع مع الاقتران بحرف العطف/ الفاء (يسيروا فينظروا): سورة (يوسف:١٠٩)، و(الروم:٩)، و(فاطر:٤٤)، و(غافر:٢١-٨٢)، و(محمد:١٠).

وصيغة فعل الأمر مع الاقتران بحرف العطف/ الفاء (سيروا فانظروا): سورة (آل عمران:١٣٧)، و(النحل:٣٦)، و(النمل:٦٩)، و(العنكبوت:٢٠)، و(الروم:٤٢).

أما الفصل بينهما بحرف العطف/ ثم (سيروا ثم انظروا)، فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام:١١).

٧- ديوان «دماء على خيوط الفجر»: قصيدة/ أطلق جواد الشعر، ص٤٣.

ونشرت القصيدة منفردة في المجلة العربية - العدد (١٥٨).

٨- ديوان «دماء على خيوط الفجر»: قصيدة/ عام الحزن، ص٤٧.



نصر الدين شردال
قاص مغربي

تضامن

وصلت إلى باب مركز تكوين الأساتذة متأخرا بعشر دقائق، لو لم تكن الحادثة التي وقعت وقطعت الطريق، لكنت الآن داخل قاعة التكوين.

توسلت للبواب، فاحتمى بأعذاره:

ـ بعد خمس دقائق من وقت الدخول أغلق الباب، أنا أنفذ الأوامر فقط، إذا سمحت لك بالدخول فقد يطردني المدير وأنا أب لأطفال، فهل ترضى لي بذلك؟

ـ حسنا، غيابي خير من طردك.

وقفت أمام الباب، وكان الجو باردا والريح تزمجر وتجلد وجوه الغرباء في هذه المدينة الإسمنتية القلب، السيارات تمرق بسرعة البرق، والناس لا يزالون يغطون في نومهم العميق، والمطر الأسود ينهمر بغزارة.

بدأ قميصي يتبلل، فقصدت المقهى المقابل للمركز، تحسست جيبي لأعرف ما بقي لي من مال، فقد استنزف عداد التاكسي الصغير ذخيرتي، وجدت أربعة دراهم، ربما لن تكفي لأرخص مشروب، جلست إلى أقرب طاولة وجاء النادل في مشيته المتباطئة:

ـ ماذا تشرب سيدي؟

ـ ما ثمن أرخص مشروب؟

ـ ستة دراهم.

ـ ليس لي إلا أربعة دراهم، جئت للمركز، ولظروف خاصة لم يبق لي إلا هي.

حدق إليّ النادل الطاعن في السن بلحيته المسدلة الشيباء، حالتي لا تدل على أني أستاذ متدرب، كان بإمكاني أن ألبس وزرتي البيضاء، لكني إذا لبستها خارج المركز فسأصير محط سخرية واستهزاء.

كان صاحب المقهى في «الكونطوار» يتناول فطوره الصباحي، ويحدق إلينا بنظرة باردة، قال لي النادل هامسا:

ـ لا عليك، خذ راحتك سيدي، سأتغاضى عنك.

كانت نظرة صاحب المقهى إلي نظرة قاسية تنفذ إلى الأعماق.. ثم عاد إلي النادل بعد هنيهة، تأهبت للانصراف ظانا أنه سيطردني، لكنه أشار إليّ بالجلوس، وقال لي مرة أخرى بلغة أكثر همسا:

ـ سيدي، ماذا تشرب؟ أنت ادفع دراهمك الأربعة، وأنا أكمل الباقي.

ـ حسنا، قهوة سوداء مضغوطة، بقطعتين ونصف من السكر.

احتسيت قهوتي، وقرأت فصلا من كتاب إلى أن سمعت جرس انتهاء الحصة الأولى، أديت ٤ دراهم، فكرت أن أعطيه بقشيشا لكني مفلس، ووليت وجهي شطر باب مركز التكوين، وأنا أمشي متثاقل الخطى فسمعته يناديني:

ـ أستاذ، أستاذ...

ـ هل نسيت بعض أوراقي في المقهى؟

ودون أن ينبس ببنت شفة، مدني بورقة مالية من فئة مئة درهم... تابعت طريقي، سمعته ينادي بأعلى صوته:

ـ أستاذ، نحن نتضامن، ابني أستاذ متدرب معكم في المركز.

وحين وصلت باب المركز، تذكرت صديقي أحمد، صديقي المجتهد الذي لم يتسن له السفر إلى هذه المدينة لاجتياز امتحان ولوج مركز تكوين الأساتذة.

ـ ماذا لو وجد من يتضامن معه، لكان معي الآن هنا.





رويدا محمد
باحثة تربوية
مصر

العناد عند الأطفال.. كيف نعالجه؟

ليس هناك شيء يعكر صفو الوالدين ويصيبهم بالضيق من الأبناء أكثر من سلوك عدم الطاعة والاعتراض (العناد) الذي يبديه بعض الأطفال. فطاعة الأطفال أمل لكل الآباء والأمهات، ولكن هناك الكثير من شكاوى الوالدين التي تدور حول عناد أطفالهم. فالطفل العنيد -الذي يبدو متصلبا في رأيه جامدا في تفكيره- يثير دهشة المحيطين به، وخصوصا والديه، فقد يصابان بالضيق والحرج لهذا العناد وصلابة الرأي، فهو لا يريد أن يستمع إلى توجيهات الكبار، ولا يحب أن ينفذ إلا ما يريد هو، حتى لو كان غير سليم أو لا يتماشى مع المنطق والعقل. ومثل هذا الطفل العنيد يرفض بشدة تثير الدهشة والحيرة أمورا تمثل له أهمية مثل: النظافة، وغسل الوجه، والاستحمام، وتناول كوب الحليب، والنوم في الموعد المحدد، فيبدو مقاوما متشبثا برأيه لمقاومة توجيهات الكبار، وهذا السلوك المشاكس المعاند يسبب ضيقا وقلقا للوالدين، وهو إذا كان مقبولا في مرحلة الحضانة فهو غير لائق ولا مقبول في مراحل العمر التالية للطفل. وقد يخطئ بعض الآباء والأمهات في تفسير هذا العناد، فيظنون أنه دليل على قوة شخصية الطفل، وتعبير عن تأكيده وحرصه على كرامته، وهم يخلعون على الطفل صفات لا تتماشى مع عناده ورعونته. والحقيقة كما يذكرها علماء النفس والتربية أن هذا السلوك لا يعبر عن هذا التصور الواهم الذي يتصوره بعض الآباء والأمهات، لأن أسلوب العناد غير السوي يعبر عن ممارسات

سلبية تبعد الطفل عن التفاعل الاجتماعي السليم، فليس العناد تعبيرا عن احترام الذات بقدر ما هو أسلوب يعبر عن المشاكسة واختلال العلاقات الإنسانية السليمة. والعناد -كما يصفه علماء النفس والتربية- يعتبر من اضطرابات السلوك الاجتماعية الشائعة بين الأطفال، وقد يظهر العناد على الطفل مثلا في البيت ويختفي في المدرسة أو العكس، وربما يظهر هنا وهناك. ويمارسه الطفل كوسيلة مؤقتة مضمونها عدم تنفيذ الأمر لتحقيق أهداف ومقاصد آنية وسريعة. وقد نجد الطفل -وهو يوظف عناده- يحب أن يقلد الكبار في قسوتهم أو يميل إلى السيطرة والإعلان العنيف عن ذاته. ويعتبر سلوك العناد القوي في الطفولة، بذورا لاضطراب الشخصية في الكبر، ويؤدي بالفرد عندما يكبر إلى فقدان حب بعض الآخرين له، كما يبعده عن التفاعل الاجتماعي بنجاح وتوفيق، وكذا عن التعاون مع الآخرين، وربما أدى به الأمر إلى أن يصبح الصغير العنيد عند كبره شخصية عدوانية أو شخصية جامدة متسلطة. أما سلوك الطاعة العمياء الذي نعوده لبعض أطفالنا، فإنه يعرقل تطور التفكير الخلقي في الطفولة، وربما يمنع تطور ونمو التفكير الخلقي، فنجد الطفل يطيع الأغراب في نفس العمر وربما الأصغر منه مهما كانت الأوامر فيها من سخافة أو رديئة، ويصبح ضعيفا في الدفاع عن نفسه، وغير ملم بالحقوق الاجتماعية لدرجة أن مثل هذا النوع من الأطفال الذين يمارسون الطاعة العمياء حينما يكبرون يطيعون طلبات غير معقولة، وربما غير منطقية... وهناك بعض الإرشادات التي يمكن أن تعالج هذا



السلوك المضطرب وهي:

- ينبغي ألا نقابل مقاومة الطفل بمقاومة مضادة، ولكن علينا أن نتفاهم معه ونحرص على إقناعه، ونشجعه لكي يتدبر الأمر ويفهم كيف يتصرف في كل أموره بصورة سليمة ومنطقية.

- الابتعاد عن أساليب الحماية الزائدة والتدليل المفرط، فهذه الأساليب تعود الطفل على أسلوب المخالفة.

- عدم ارغام الطفل على القيام بسلوكيات معينة في الأكل والملبس أو مراعاة أصول «الإتيكيت» فإن هذا الخضوع المتكلف قد يدفع الطفل إلى الخروج عليه ويقوده إلى التمرد على أصوله وحيثياته.

- عدم تفضيل الأب أو الأم لأحد الأبناء أو البنات، فإن ذلك التفضيل يكون -في غالب الأحيان- سببا في عناد الطفل.

- على المدرسة أن تتابع الأطفال وتشجعهم على العمل الجماعي الذي يؤدي الأطفال فيه أدوارا اجتماعية مشبعة بالتعاون، بحيث تكون حريصة على تأكيد روح المودة والاعتراف بقدرات الآخرين، وتنمية وتبادل الأدوار بين الأطفال حتى يشعر الطفل بالقيادة حينا والتبعية حينا آخر.

- على الآباء والأمهات أن ينتبهوا لأساليبهم في الطلب من الطفل القيام بعمل ما، أو عند إصدار التعليمات، مثل أن تكون نبرة الصوت هادئة، وأسلوب الكلمات لا يؤدي إلى شعور الطفل بالاستياء، ويستدعي المعارضة.

- أعط الطفل خيارا، قل مثلا: إما أن تلعب بهدوء أو تذهب وتلعب في خارج المكان؟ أو قل مثلا: هل تذهب للنوم الآن أم بعد مشاهدة التلفزيون؟

- على الآباء والأمهات ألا يكونوا متسلطين وألا يستخدموا القسوة في توجيه الأوامر وإصدار التعليمات للأطفال، ولا يجب أن يتوقعوا الطاعة الفورية، بل يجب إعطاء تنبيه مسبق للطفل، مثلا (باقي خمس دقائق على النوم).

وفي النهاية يجب على الآباء والأمهات أن يعوا جيدا أن للطفل حقوقا لا يجب إغفالها أو عدم تلبيتها، وهي حقوق تتعلق بالطفولة كمرحلة من مراحل عمر الإنسان، فكثير من الأمور التي يصنفها الآباء والأمهات بأنها حالة عناد من الصغار تكون بسبب ما يتعرض له الطفل من أساليب خاطئة في التربية يظن الآباء والأمهات أنها من مقومات التربية الأفضل أو الأخلاق والتهذيب، لكن الطفل في معارضته أو عناده لوالديه قد يحتاج للتعامل معه ككائن له الحق في التعبير عن رأيه، والعيش كإنسان يمتلك الإرادة والحرية لتحقيق ذاته، وبالتالي يجب أن يتم أخذ كل ما يبديه الطفل من مطالب أو رفض في الاعتبار، ويكون بالحوار والإقناع وهي أفضل طريقة للتعامل مع الطفل العنيد، وعندها سوف يتخلى الطفل عن أساليب العناد ويستجيب لوالديه إذا ما نجح في دعم الجانب الإيجابي لديه، ومساعدته على تقدير ذاته، وهذا يرضيه ويبعث في نفسه الطمأنينة والاستقرار بأن احترامه لذاته يساوي تماما احترام الآخرين له، فيرى أنه هو موضع احترامهم، وأن آراءهما موضع تقدير عنده.

د. خالد محمد راتب
باحث في الشؤون الإسلامية
مصر



الحرمان التربوي عند الأبناء وسبل مواجهته

من أهم واجبات الأسرة المتمثلة في القيادة العليا (الأب والأم) تربية أولادهم تربية إسلامية، وذلك لأن سعادة الفرد وسلامة المجتمع تتوقفان على سلامة هذه التربية. فالتربية الأسرية تعني رفع درجة وعي الفرد من مختلف الأعمار بشتى الظروف والملابسات والنواحي المختلفة المرتبطة بحياة الأسرة من الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والنفسية؛ بغية تحقيق السعادة والاستقرار للأسرة والمجتمع(1).

إن إهمال تربية الأبناء؛ بحجة انشغال الأب والأم، ينتج لنا يتما وحرمانا تربويا، مما يؤثر في نفسية الأبناء وتكوينهم الفكري والعقلي والاجتماعي، ومن ثم يتأثر المجتمع كله بسبب هذا الحرمان التربوي، وذلك عندما يخرج لنا جيل معقد نفسيا وفكريا. يقول الشاعر:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أما تخلت أو أبا مشغولا

ومن أهم مظاهر الحرمان التربوي عند الأبناء الانشغال عنهم، وعدم الجلوس معهم أو اصطحابهم أو مرافقتهم أو مجالستهم أو التقرب منهم أو الحديث إليهم، أو تفهم احتياجاتهم ورغباتهم وميولهم، أو مراعاة مشاعرهم وطبيعة نموهم، أو منحهم الفرصة للتعبير عن الذات أو اتخاذ القرار، أو تعنيفهم أو تقبيحهم أو تقليل شأنهم، أو عدم إعطائهم ما يريدون من الدعم المعنوي أو المادي الذي يخدمهم(2).

مخاطر الحرمان التربوي عند الأبناء

مما لاشك فيه أن الحرمان التربوي أصبح ظاهرة تؤرق الأسر، ومن ثم تؤرق المجتمع كله؛ لأن الأسرة هي العمود الفقري للمجتمع، وأي عطب في الأسرة يحدث شللا



كاملا لحركة المجتمع. ومن مخاطر الحرمان التربوي عند الأبناء:

- يهدد البناء النفسي للأفراد.
- يخلق حالة من التمرد وضعف الانتماء لمجتمعهم وأوطانهم.
- يخرج لنا جيلا معقدا فكريا ونفسيا واجتماعيا.
- يساعد على تشكيل سلوكيات خاطئة (الانحراف السلوكي والأخلاقي).
- فقدان الأبناء أي علاقة اجتماعية.
- يولد حالة من الإشباع غير المشروع.

أسباب الحرمان التربوي عند الأبناء

- التفكك الأسري.
- الطلاق، الذي يؤدي إلى حرمان الطفل من عطف الوالدين والحرمان من الرقابة والتوجيه السليم، الأمر الذي يجعله محبطا وعدوانيا.
- انعدام البدائل التربوية عند فقدان الوالدين أو أحدهما.
- إهمال الأسرة للأبناء ووضع الطفل بمؤسسة مثل حضانة أو مؤسسة اجتماعية أخرى.
- الفهم الخاطئ للحياة الزوجية وضعف المسؤولية.

سبل مواجهة هذا الحرمان التربوي

- الرعاية المبكرة الشاملة لأطفالنا:

رعاية أبنائنا تبدأ قبل مجيئهم إلى الحياة عن طريق اختيار بيئة مناسبة قوامها زوجة صالحة، وزوج صالح، وبيئة حاضنة تتمتع بمقومات الحياة الكريمة على قدر الاستطاعة، مع حماية الأولاد من البيئات غير المناسبة، بإكسابهم مناعة تربوية مستدامة، والمتابعة الدائمة لقرناء الأولاد مع التوجيه غير المباشر.

وبعد تهيئة البيئة الصالحة يأتي دور التربية الإسلامية التي قوامها القدوة والأسوة الحسنة والتربية الشاملة، قال عتبة ابن أبي سفيان لعبدالصمد مؤدب ولده: «ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلّمهم كتاب اللّه، ولا تكرههم عليه، فيملوه، ولا تتركهم منه، فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنبهم محادثة النساء، وروهم سير الحكماء، واستزدني بزيادتك إياهم أزدك، وإياك أن تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك، وزد في تأديبهم أزدك في بري إن شاء اللّه تعالى»[٣].

- إشباع الجوانب الوجدانية والفكرية والاجتماعية لدى الأبناء:

إن الطفل الذي يفقد الجانب الوجداني والعاطفي داخل أسرته سيبحث عن إشباعه خارج حدود أسرته، حيث يبحث عن كلمة يستشعر فيها الحب والقبول، فنجده يلهث وراءها، ويتنازل عن كل قيمه مقابل أن يسمعها ويعيش الأمان في رحابها. وإن كان في داخله ما يشعره أنها قد تكون زائفة. لكن ذلك لم يمنعه من خوض التجربة، بإقامة علاقات منحرفة لأنه طالما بحث عنها في أسرته، فلم يجد نفسه إلا حطاما أمام من يمكن أن يمنحه إياها بصدق[٤].

وإذا كان إشباع الجانب الوجداني مهم، فإن إشباع الجانب الفكري وتنمية القدرات العقلية مهم كذلك، لأن الاهتمام بهذا الجانب يؤمن الطفل ضد الأفكار الشاذة والعنيفة، مما يجعله يأخذ قراراته وقناعته برؤية عقلية متزنة بعيدا عن الإثارة والغضب.

كما أن الاهتمام بالجوانب الاجتماعية لدى الطفل، والتي تنطلق من جلوس الأسرة للتشاور والتحاور والتعاون، ثم يزداد هذا الجانب عن طريق صلة الأرحام، ثم الصلة بالجيران، والزملاء أصحاب الأخلاق، وبالمجتمع من حوله... كل ذلك يجعله سويا اجتماعيا وينمي عنده جانب التفاعل الاجتماعي.

- تأمين العلاقة الأسرية عن طريق: الود والحب والاحترام، والحوار والنقاش، ومد جسور الصداقة مع الأبناء، وتشجيع الأبناء ماديا ومعنويا، وجعل الابن يشعر بذاتيته.
- الحفاظ على تماسك الأسرة وعدم التسرع في مسألة الطلاق، فالزواج ميثاق غليظ، والطلاق قطع لهذا الميثاق، ومن ثم قطع لأواصر المجتمع، ولا يلجأ إلى الطلاق إلا في الضرورة.
- الترشيد الأسري في التعامل مع الإلكترونيات والنت وأجهزة المحمول ومواقع التواصل، وهذا الأمر لا يأتي قهرا أو بين عشية وضحاها، ولكن يحتاج إلى إحداث بدائل لهذه الوسائل، مثل الخروج والتنزه والرياضة والأعمال الاجتماعية... إلى غير ذلك.
- إعطاء مساحة للأبناء من الحرية مع المراقبة والمتابعة عن بعد، فنترك لهم الحرية في اختيار ما يريدون بشرط ألا يكون فيه ضرر عليهم.

الهوامش

١ - دور التربية الأسرية في حماية الأبناء من الإرهاب، د. سارة صالح عيادة، ص:٧.

٢ - الحرمان التربوي.. هل يعد ظاهرة تستحق الدراسة؟! بقلم د. محمود فوزي أحمد بدوي.

٣ - البيان والتبيين، ٢ : ٣٥، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١ : ١٣٩.

٤ - الحرمان العاطفي.. حياة بلا ألوان! عالم الأسرة، ١٦ ربيع أول ١٤٣٦هـ/٧ يناير ٢٠١٥م، موقع لها أون لاين.



د. هانئ محمد
كاتب وباحث تربوي
مصر

تنمية قدرات الطفل على التركيز

النجاح مهم في حياة كل إنسان لأنه يحقق الشعور بالإنجاز والرضا، ويدفع إلى مزيد من العمل والجهد. ولما كان النجاح في مجال التعليم هو مفتاح المستقبل نجد أن كثيرا من الطلاب يبذلون الكثير من الجهد بغرض تحقيق هذا النجاح من خلال تضافر عوامل عديدة، تأتي على رأسها المواظبة والمحافظة على استذكار الدروس والتي تتأثر هي الأخرى بالعديد من العوامل التي تؤثر فيها سلبا أو إيجابا.

والإنسان منا يُولد مزودا باستعدادات وقدرات متعددة يمكن أن تبلغ أقصى حد لها من الجودة والإتقان والكمال إذا وجدت الاهتمام الواعي، والعناية السليمة، وإذا تمت تهيئة الجو النفسي والتعليمي والتربوي والاجتماعي الصالح لها.

كيف تساعد الأسرة أبناءها على المذاكرة؟

على الآباء والأمهات أن ينظروا إلى الأمور بواقعية، وألا يطلبوا من أبنائهم ما فوق طاقاتهم، وتهيئة جو من الاطمئنان والثقة بالنفس لأبنائهم، وتجنب توجيه اللوم باستمرار إليهم، لأن كثرة اللوم تصيب الأبناء بالإحباط الشديد وفقدان الثقة بالنفس. ومن المفيد جدا الابتعاد عن مقارنة أبنائهم بأبناء أقاربهم أو معارفهم لأن المقارنة قد تكون ظالمة، وقد تؤدي إلى الإحساس بالغيرة والحسد، ثم الحقد بعد ذلك، وعلى الآباء والأمهات أن

يعملوا بجدية على حل المشكلات المختلفة داخل الأسرة وتهدئة الأبناء وإزالة القلق والتوتر. ويرى أساتذة التربية وعلم النفس أن هناك عددا من العناصر الفعالة التي تساعد على التفوق العقلي من خلال ذاكرة قوية وقابلة للنمو باستمرار وهي:

الانتباه

الذي يحتل موقعا مهما في منهج تنمية وتطوير الذاكرة.. ويعمل الانتباه بطريقة الانتقاء بالنسبة للموضوعات والأشياء التي يرغب الانسان في أن يتذكرها، فهو يتجه بشدة وفاعلية نحوه. وكل إنسان يحتاج إلى أن يكون منتبها لوقت ما، ويحتاج إلى عقل شديد الحساسية في ظروف معينة. ومن المعروف أن العقل يكون في حالة انتباه كامل بالنسبة للأشياء التي نحبها، ومن هنا يمكن لأي إنسان أن يرفع درجة الإحساس والانتباه في العقل إذا تعلم كيف يحب الأشياء التي يريد أن يحفظها، إما لذاتها أو لأنها ترتبط معه بشيء يحبه ويميل إليه، وعلى النقيض من ذلك يستطيع الإنسان أن يتذكر بدقة ما يفزعه ويثير الخوف في داخله، ويدرك ذلك جيدا هؤلاء الذين شاركوا في - أو شاهدوا - حادثة معينة.

الإدراك

يرتبط الإدراك بالحواس التي يتمتع بها الإنسان، وبأعضاء هذه الحواس مثل: العين، والأذن، والأنف، والجلد... فإذا نظرت إلى شيء ما، فإن حاسة البصر تنشط- ويمكنك أن تجعلها تتحول إلى عملية ملاحظة إذا وجهت إليها درجة أكبر من التركيز والانتباه... ويحدث ذلك الشيء نفسه بالنسبة لحاسة السمع، حيث يمكن أن تتحول عملية الاستماع إلى عملية إنصات عميق إذا وجهت إليه انتباهك الكامل وتركيزك الشديد... وهكذا يمكن أن يتعلم الإنسان كيفية الملاحظة والإنصات.

التفكير

أما عملية التفكير فتعد من أهم وظائف العقل البشري التي تمكنه من الفهم والإدراك والتميز والمعرفة والاستيعاب والاستنتاج وإصدار الأوامر الصائبة. وفي عهد النبي ﷺ كانت هناك مضامين تربوية، وهي أن الرسول ﷺ كان يدرب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على خطوات التفكير المستنير بإعطائهم المثال الحي الذي يمكن الاقتداء به في مختلف عمليات التفكير.

عملية الحفظ

وهي من العمليات العقلية التي تعد من أهم خصائص النمو العقلي، وهي قدرة عقلية يتميز بها الإنسان عمن سواه من الحيوانات التي لا يفوقها في الحفظ وتذكر ما يحفظ فحسب ولكنه ينفرد عنها في قدرته على نقل ما يحفظ إلى الأجيال الناشئة. وعملية الحفظ ضرورية للغاية بالنسبة للحياة البشرية فهي وسيلتها في صون تراثها الديني والثقاف، والحضاري ونقله وتجريده بصفة مستمرة. وترتبط عملية الحفظ بعمليات عقلية أخرى مهمة هي: التذكر والاسترجاع وتركيز الانتباه. وهذه العمليات تؤدي معا إلى تثبيت ما يتعلمه الإنسان وعدم نسيان المعارف والخبرات. وتتم عملية الحفظ وفق أساليب التنويع والتوزيع التي ترعى راحة المتعلم وعدم إرهاقه وبصورة أسرع وأفضل منها في حالة الحفظ المتصل أو المستمر مع ملاحظة عدم إطالة فترات الراحة حتى لا تؤدي إلى النسيان. ولاشك أن اقتران عملية الحفظ بعملية الفهم القائم على التفكير والإدراك والاستيعاب الذي يجنب الحفظ من أن يكون مجرد تزويد لمعلومات محشوة لا يستفيد منها الطالب، بات أمرا ضروريا.

الغذاء والنشاط الرياضي

تعتبر التغذية أحد أهم العوامل المؤثرة في عملية التركيز والاستذكار، فالغذاء الغني بالمواد البروتينية والنشوية والفيتامينات والمعادن التي تمد الجسم باحتياجاته الغذائية يعد أمرا ضروريا لأنه يساعد على التركيز، بعكس قلة الطعام التي تؤدي إلى الشعور بالضعف والوهن وعدم القدرة على التركيز نظرا لقلة الدم الذي يذهب إلى المخ لتغذيته. فالسنة النبوية الشريفة تحمل الآباء والأمهات رعاية الأبناء، وفي مقدمة ذلك حسن رعايتهم الصحية وتربيتهم الجسمية وتوفير الغذاء النافع كما وكيفا.





ياسر علي محمد
باحث ومترجم
مصر

التربية الأخلاقية للطفل

نكاد نجزم جميعا أننا نعيش في عالم مليء بالصراعات، وتطغى عليه المادة المتأصلة بجذور النفعية وأسس البقاء، ولكن تبقى لدينا غريزة أن جميعنا يرغب في أن ينمو أبناؤه ليكونوا مواطنين صالحين يعاملون الآخرين باحترام، ويتصفون بمكارم الأخلاق، ولكن معظمنا لا يعلم كيفية تقديم هذه الأسس الأخلاقية لأبنائهم.

«ولقد وردت بعض النظريات التي تفيد بأن الأخلاقيات عملية فطرية والبعض الآخر يفيد بأن الأطفال لا يمكنهم استيعاب هذه الأخلاقيات حتى يبلغوا سن المراهقة، ففي نظرية «بياجيه Piaget`S Theory» أحد رواد علماء النفس، يؤكد أن الأخلاقيات عملية تنموية، حيث يؤكد أن الأطفال الصغار لا يستوعبون معنى الأخلاقيات بل إنهم يتصرفون طبقا لقواعد وعقوبات، فإنهم يعلمون أنه من الخطأ أن نكذب لأنهم لو فعلوا ذلك فسوف يقعون في المشاكل، وبتقدم العمر بهم تتكون لديهم قدرة الاستيعاب لهذه الأخلاقيات حيث إن الأطفال الأكبر سنا يفهمون أن الكذب ربما يجرح مشاعر الآخرين وأنه مظهر لا يلقى الاحترام من الآخرين ثم يستوعبون لاحقا مفهوم العدالة ويطبقون ذلك في تصرفاتهم الأخلاقية».

المراحل الأخلاقية للطفل

في السبعينيات قام «لورنس كولبيرغ» بتحديد ست مراحل لاستيعاب الطفل للأخلاقيات، ففي المرحلة الأولى يستجيب الطفل للأخلاقيات فقط لتفادي العقاب، وفي المرحلة الثانية فإن الأطفال يطبقون القواعد لمنفعتهم الشخصية وربما يخرقونها لمنفعتهم أيضا، وفي المرحلة الثالثة يبدأ الطفل بفعل الصواب تلبية لما يتوقعه الآخرون منه فهو يتبع القواعد ليكون طفلا مطيعا في نظرهم، وفي المرحلة الرابعة يبدأ الطفل بتحديد الصواب والخطأ بلغة المعايير والقواعد التي يضعها المجتمع لحفظ النظام، وفي المرحلة الخامسة والتي لا تكون قبل سن المراهقة يبدأ الطفل يعي أن مختلف الناس لهم مختلف الأخلاقيات والآراء والقيم، وأن القوانين بمنزلة عقد اجتماعي مما يعني أن المجتمع قد اتفق على أن يتصرف طبقا لمجموعة من المعايير التي من شأنها حفظ النظام أما المرحلة السادسة فهي مرحلة نظرية تتضمن فعل الصواب

من أجل العدالة أو الإنصاف وليس لمجرد التمسك بمعايير المجتمع ويعتقد كولبيرغ أن الغالبية لا تصل إلى هذه المرحلة.

«إن أفضل الطرق لغرس الأخلاقيات في الطفل هي عن طريق ممارستك لها بنفسك فإن الأطفال يتعلمون أفضل عن طريق الملاحظة. فلا تتوقع من طفلك أن يقول الحق لو رآك تكذب»[1]. لذا فإن الآباء بمنزلة المثل الأعلى الذي ينشأ الطفل عليه وينقل منه ويتعلم منه كل شيء بداية من الكلام إلى السلوكيات الحياتية ومن هنا يأتي دور الوالدين في إعداد الطفل إعدادا سليما كي يتمكن من مسايرة تغيرات الحياة.

مهارات التفوق للطفل

توجد مجموعة من المهارات المفترض أن يتعلمها الطفل لكي يتفوق في عالم اليوم سريع التغير، وفي محاولاتنا لمنحهم أفضل شيء في الحياة فإننا نفعل ما بوسعنا لإعطائهم أساسيات هذه المهارات، وفي الوقت ذاته توجد العديد من الدروس الحياتية التي لا يجب على الوالدين إهمالها في تعليم أبنائهم والتي من شأنها أن تساعد الطفل على مواكبة التغيرات في العالم المحيط بكل ثقة ومن أمثلتها أن الأخلاق الحميدة يجب غرسها في الطفل منذ مولده حيث إن هذا سوف يساعد الطفل على التفاعل مع الناس الذين سيقابلهم في حياته بالإضافة إلى أن هذا سيشكل منهم شخصيات مقبولة ومتوازنة، فعليك أن تعلم أبناءك الأخلاق الحميدة منذ نعومة أظفارهم باستخدام بعض العبارات العامة مثل: شكرا لك، من فضلك، عند تعاملك معهم مع الحرص على مداومة ذلك، وجعلها عادة عند كلامك معهم، فبالرغم من أن طفلك ربما لا يتمكن من أن يعبر عن نفسه أثناء بداية حياته إلا أنه يراقب حركاتك وأفعالك ويتعلم ويفهم ما يدور من حوله وكلما زادت النماذج الحسنة التي تقدمها لأبنائك ترسخت في بناء شخصيتهم في المستقبل.

ومن المهم أيضا أن تعلم أبناءك أهمية الأمانة وأن تفسر لهم عواقب الكذب فبما أن الأطفال يتعلمون عن طريق تقليدنا فعلينا ألا نألو جهدا في تعليمهم أهمية قول الصدق فحاول أن تنقل لأبنائك أنهم يجب أن يلجأوا إلى قول الصدق بدلا من اللجوء إلى إرضاء الآخرين عن طريق ما يسمى بالكذبة البيضاء[2].

إن تعليم الصدق للأبناء مثل إضاءة مصباح في غرفة مظلمة. فلو تعود الطفل على الظلام ربما يحتج على النور بل ربما يراه دخيلا عليه أكثر من كونه صديقا يستحق الترحيب. فإنه من الأولى أن يرى الطفل النور قبل أن يتسلل الظلام إليه.

التشجيع والإطراء للطفل

«شجع أبناءك على تقديم يد العون للآخرين حينما تسنح الفرصة لذلك فإن هذا يعلمهم بعض القيم مثل الرحمة والعطف وأن يؤثروا غيرهم على أنفسهم، إلى جانب ذلك فنحن بحاجة إلى أن نعلمهم كيف يحبون غيرهم دون انتظار المقابل وهذا يتضمن قبولهم لغيرهم على طبيعتهم وليس لأجل ما يقدمونه أو ما يستطيعون فعله، وبهذا فإن الطفل سوف يتعلم قيما مهمة مثل قدرته على احترام آراء الغير-حتى ولو تعارضت معه- ويعبر عن نفسه دونما استسلام لما يتوقعه الغير منه»[3].

ولكن يجب علينا ألا ننسى أن الطفل يحتاج إلى شيء من التشجيع حتى يتمكن من معاودة السلوك السوي مرارا وتكرارا، ففي مقال نشرته صحيفة «التايمز»، جاء فيه أن الأبحاث قد أوضحت أن المدح له أثره الأكثر فاعلية عن إعطاء المكافآت المادية حيث إن الأخيرة قد تعني أن الأطفال ربما يكونون عطوفين على غيرهم فقط عندما تقدم إليهم الجزرة (المكافأة)، بينما نجد أن المدح أو الثناء يؤكد على كون المشاركة جديرة في حد ذاتها. ولكن ما نوع المدح أو الإطراء الذي يجب أن نقدمه لأبنائنا؟

إن العديد من الآباء يعتقدون أنه من الأفضل أن نثني على السلوك وليس على شخص الطفل نفسه وبهذا يتعلم الطفل أن يكرر السلوك مرة أخرى بأن نقول مثلا «لقد كان هذا السلوك جيدا منك» بدلا من أن نقول «أنت شخص متعاون».

وهناك بحث أجرته «كارول ويك Carol Dweek»، أستاذ علم النفس بجامعة ستانفورد مفاده أن مدح الأطفال على مجهوداتهم أفضل من تصنيفهم على أنهم أذكياء أو موهوبين، مع الوضع في الاعتبار أن الدرجات ليست ما يحفز الطالب المتفوق على النجاح بل إن هناك عاملا داخليا يدفعه للتعلم.

ولا يجب أن ننسى أن ردود أفعالنا للسلوك السيئ لها نتائجها أيضا، فعندما يرتكب الطفل خطأ فإنه يشعر بالخجل أو بالذنب، ولقد أوضح البحث الذي قام به «جون برايس June Price Tangney»، أن هذين الشعورين لهما أسباب ونتائج مختلفة، إن شعور الطفل بالخجل هو أن يقول لنفسه «أنا شخص سيئ» بينما الشعور بالذنب هو شعور «أنا ارتكبت خطأ»، لذا فإن الشعور بالخزي أو الخجل سلبي في تقييم الذات حيث إنه يجعل الطفل يشعر بأنه صغير وتافه وتكون النتيجة هي تفادي التجربة أو الهرب منها، وعلى النقيض من ذلك فإن

الشعور بالذنب هو شعور منعكس على السلوك نفسه وليس على الذات ويمكن إصلاحه عن طريق السلوك السوي، فعندما يشعر الطفل بالذنب فإنه يشعر بالندم أو التأنيب حيال الشخص الذي قد تمت الإساءة إليه مما يجعله يرنو إلى تصحيحه، فلو أننا أردنا من أبنائنا أن يراعوا شعور الآخرين فعلينا أن نعلمهم الشعور بالذنب بدلا من الشعور بالخزي shame عندما يسلكون سلوكا خاطئا.

وفي بحث يختص بالعاطفة والتطور الأخلاقي قالت عالمة النفس «نانسي إيسنبرغ Nancy Eisenberg»: إن الشعور بالخزي ينبع عندما يعبر الآباء عن غضبهم أو عند محاولتهم فرض أساليب العقاب سواء بالتهديد أو غيره من العقوبات وحينها يبدأ الطفل في الاعتقاد بأنه طفل سيئ.

فلو أنك تريد من طفلك أن يكون مراعيا للآخرين وعطوفا أو أمينا فعليك أن تبدأ بنفسك أولا فإن دروسك سرعان ما تنسى لو أن طفلك رآك مناقضا لما تعلمه إياه.

واعلم جيدا أن عليك أن تذكر طفلك أن الحياة نعمة وأنه ليس كل الناس يمتلكون ما يمتلكه هو من هذه النعم من طعام ومسكن وأصدقاء وملبس.. إلخ، واعلم أن مساعدتك لابنك على فهم هذا سوف تجعله ممتنا شاكرا لما لديه من النعم.

عليك أيضا أن تغرس في طفلك أهمية التسامح حيث إن الذين لا يملكون قدرة على التسامح من الممكن أن يصيروا أشخاصا لا يعرفون معنى للرحمة. حيث إن الناس تتصرف بطريقة سيئة من حين إلى آخر وإنه من المهم أن نظهر لهم التسامح بدلا من الحقد والضغينة. «إن تعليم ابنك أن يتسامح وأن يتغاضى عما قد سلف من شأنه أن يؤثر على تكوين عقليته السليمة فيما بعد. ومن المهم تعليم الأبناء أن يتحملوا المسؤولية نحو سلوكياتهم السوية وغير السوية وهذا من شأنه أن يحول دون تكوين شخصية متذمرة تلقي باللوم على الآخرين» (دكتورة ميشيل بورما).

وعليه فإن من أهم الأسئلة التي توجهها لنفسك كل يوم: «لو أنني المثل الأعلى الوحيد لابني فماذا قد تعلم مني اليوم؟».

عن طريق مراقبتنا والاستماع إلى تعليقاتنا اليومية يتعلم الطفل القيم الأخلاقية، ولقد علمنا أرسطو منذ مئات السنين أن أفضل طريقة لتعليم من حولنا هي عن طريق ضرب المثل الأعلى حيث يقول أرسطو: «تأكد دائما أن السلوكيات التي يتعلمها الطفل هي التي تريد أنت منه أن يقلدها»[٤].

«فعلينا أن نشجعهم على إيجاد حلقة مفيدة (وليس حلقة مفرغة) حيث تؤدي الثقة بالنفس إلى التحفيز ويؤدي التحفيز إلى طريقة تفكير أفضل وأوسع آفاقا، وتؤدي طريقة التفكير الجيدة إلى الثقة بالنفس»[٥].

ولكن هل يبدو الأمر كذلك من وجهة نظر التربية الحديثة؟

يؤكد الباحثان آلان وروبرت ديفيد سون على أن الخطر يكمن في تنشئة أطفال مطيعين يتبنوا في سلبية واستسلام قيم آبائهم وأفكارهم، وبمجرد أن تعترضهم إغراءات بانتهاك تلك القيم لا يملكون القدرة على التصدي لها لأن المعتقدات الداخلية تعوزهم، فتكون النتيجة عند مواجهتهم لموقف معين هي الاستجابات العشوائية والافتراض المتهور.

«يؤمن الآباء والأمهات الناجحون، بأن محاولة التأثير على قرارات أبنائهم الخلقية أو وعظهم بمواعظ معينة هي من أكبر الأخطاء، وهذا لا يعني أنك لا تستطيع أن تشرح وجهة نظرك، بل لابد أن تفعل هذا، هنا يأتي دور الأسلوب المباشر لتعليم الأخلاقيات، لكنه عادة لا يكفي لأن الأبناء بحاجة لمن يعلمهم كيف يعيشون في إطار أخلاقي»[٦].

وأخيرا لا تنس خلال ذلك أن حنانك نحو طفلك له الأثر الأكبر في نمو شخصيته ففي دراسة أميركية وجد أن منح طفلك عددا من العناقات يوميا سوف يساعد على التنفيس عن أي توتر قد يشعر به الطفل. ولقد أوضحت الدراسات التي أقيمت على مجموعة من الأطفال أن الأطفال الذين لا يتلقون أي عاطفة ربما يعانون من أمراض عصبية مزمنة لاحقا. وهذا من شأنه أن يؤثر على بعض أجزاء المخ التي تتعلق بالتركيز والتعلم أو التذكر.

يقول غاندي: «الأخلاق هي أساس كل شيء والحقيقة هي جوهر الأخلاق».

الهوامش

1-Moral Development in children. By Amanda Hermes
www.livestrong.com/article/169968-moral-development-in-childhood/
2-www.mindchamps.org/blog/teach-life-lessonsand-values-children/
10 Life Lessons and Values to Teach Your Children Before They Turn 10
3-/30/1891/ngisne/gro.sdl.www-ruoy-ot-ytilarom-gnihcaet gne=gnal?nerdlihc
4-/21/40/4102/moc.semityn.www-larom-a-gnisiar/yadnus/noinipo lmth.dlihc
٥- آلان وروبرت ديفيدسون: كيف ينشيء الآباء الأكفاء أبناء عظاما؟... ص ٢٥٥
How Good Parents Raise Great Kids: Robert Davidson (Author)
٦- كريستين دورهام: تنمية الإبداع عند الأولاد... ص ٢٩
The Fun of Freeing Your Child>s Imagination. Christine Durham.



د. عبدالمنعم مجاور
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
مصر

ذاكرة المتعلم بين مَلَكة الحفظ وفضيلة الفهم

دأب كثير من المشتغلين بالتعليم، والقائمين عليه عند حديثهم عن تطويره على أن يهرعوا -أول ما يهرعون- إلى «الحفظ» فيعلقون على شماعته ما أثقل كاهلهم من عيوب التعليم؛ كضعف مستوى المتعلم، وقلة تحصيله، وندرة ما لديه من حصيلة سابقة من خبرات التعلم، أو ما يسمّى «بالخبرات التراكمية»، وما دروا -أكرمهم الله- أن في الحفظ علاجا لكل ما ذكروا، ودواء له، وأنّ ما وصفوه بالسم الزعاف، وما وصموه ببيت الداء هو -في الحقيقة- عين الترياق، وأصل الدواء!

إن الخطأ يكمن في تلك الثنائية الحادة «الحفظ والفهم» وذلك بوضع «الحفظ» في كفة، و«الفهم» في الكفّة الأخرى، وليس الأمر على هذه الشاكلة من التصور؛ إذ كيف يكون حفظًا متقنًا إذا تخلّى عنه فهم واعٍ لأبعاد المحفوظ؟! فإذا قلتَ لي: بل إنه حفظ من غير فهم، خاصة في المراحل السِّنية المتقدمة، فكم من أطفال حُفِّظوا قصائد لعمرو بن كلثوم، وللمعري والمتنبي،... وما دروا من معانيها شيئًا إلا بعد أن شبوا عن الطوق، وخطروا في ربيع العمر!

أقول لك: إنّ ما عبتَه عليهم هو عين ما يستوجب مدحهم والثناء

عليهم؛ فقد بقي محفوظهم زادًا في ذاكرتهم يتزودون به في كتاباتهم بعد أن أصبحوا كُتّابا وأدباء لا يُشقّ لهم غبار، وما ذلك إلا لأثر هذا المحفوظ المخزون الذي متحوا من معينه فتميزوا به على غيرهم. إن أهمّ ما كان يميز علماءنا وشيوخنا الأفذاذ هو كثرة مخزون حفظهم الذي ما تخلى عنهم ولا خذلهم قيد أنملة؛ فما استدعوه في موضع إلا أسعفهم بمدده، وأمدّهم بلطائفه من محكم التنزيل، أو من صحيح الحديث الشريف، أو مما جَمُل من الشعر وأمثال العرب وحِكَمهم.

وليس أبناؤنا من طلاب العلم الآن بأقل من أقرانهم في دول الغرب ذكاء متوارثًا فإذا ما جئنا إلى المكتسب منه بان الفرق، وظهرت الهوة، وما ذلك -في رأيي- إلا لقلة ثروتهم اللغوية، وضعف المخزون، وتواري المحفوظ، وما ميّز طالبَ العلم في أجيال النهضة الفكرية والعلمية والأدبية في العالم العربي عن طالب العلم الآن إلا كثرة حفظه الذي يرفد ثروته اللغوية ويغذيها، ويعدد مدلولات كلماتها في ذهنه فيتفتح عقله، وتشحذ قريحته، ويطلق لخياله العنان ليأتي بكل جديد يصعب على قرينه أن يجاريه فيه، وأنّى له ذلك؛ فالأول قد حفظ كتاب الله كاملًا منذ نعومة أظفاره وميعة صباه على يد شيخ مُجاز تلقّى الحفظ والعلم بالرواية ثم أتته من بعد ذلك الدراية، ثم هو بعد ذلك قد حفظ متن الآجرومية أو الشاطبية، وأتى على أبيات الألفية، وحفظ من أشعار العرب ما يستعين به في استشهاده، والوصول في الحديث أو الكتابة إلى مراده.. والثاني خاوي الوفاض، ليس له زاد يتزود به، ولا مذخور يلجأ إليه؛ فإن تكلّم جاء كلامه باهتًا تظهر أمارات اللجلجة على حروفه

تكامل وائتلاف أم تنافر واختلاف؟

وأصواته، وإن كتب لم يجد ما يؤيد به فكرة، ولا ما يدحض به رأيًا، ولا ما يقيم به حُجة أو يفنّد به أخرى، وما إجادة الأول إلا بفضل الحفظ المجني عليه! وما ضعف الآخر إلا بسبب من الأخذ بالرخص والترخص!!

وهل تحسب -رحمني الله وإياك- أن طلاب العلم في الغرب لا يحفظون؟! أو أنهم لا يستظهرون ما يحفظون؟! بل إنهم لكذلك؛ يحفظون ويؤكدون على ما يحفظون، ولو كان عندهم مثل قرآننا وأحاديث نبينا ﷺ لزاد حفظهم، ولاحتفوا به أضعاف ما نحتفي.. إنهم قشّروا كتب شكسبير سطرًا سطرًا، وكلمة كلمة، وفي تراثنا ما يربو كمًا وكيفًا على ما كتب شكسبير وفلوبير وتولستوي وفكتور هوجو وبرنارد شو، وإخوان هذا الطراز، ولكنّ مكتباتنا تنعى الوحدة جرّاء التسطيح الذي تعاني منه مناهجنا تحت زعم التبسيط والتسهيل على الناشئة! وهل غاب هذا التبسيط والتسهيل عن أذهان علمائنا القدامى فخلا منه نتاجهم؟! كلا والله، بل بسّطوا ولم يُخلّوا، وسهّلوا ولم يفرّطوا، ونظموا المقطوعات الخفيفة لتلخيص مسألة، أو لبيان قاعدة فغنّاها النشء وحفظوها، فلما كبروا وعوها وتدبروها، ويطول بي المقام هنا لو استشهدت بكثير منها؛ «فمع المنظومات المطولة في النحو والصرف كان هناك البيتان والثلاثة والأربعة لضبط القاعدة وترسيخها؛ فهذا جمع التكسير ينقسم إلى جموع قلة وإلى جموع كثرة، وللأول أربعة أوزان، وللثاني سبعة عشر وزنًا،

ولصعوبة حصر هذه الأوزان صاغها بعضهم شعرا ليسهل حفظها، فجموع القلة جمعت في قوله:

بأفعُل ثم أفعال وأفعلة
وفِعلَة يعرف الأدنى من العدد
كأفلس وكأثواب وأرغفة
وغلمة فاحفظنها حفظ مجتهد

ومن الضوابط النثرية: «سألتمونيها» لضبط حروف الزيادة، و«سكت فحثه شخص» لضبط الحروف «المهموسة»[1].

إن وضع الفهم ندًّا مقابلًا للحفظ، وخصمًا عنيدًا له لا يجتمعان في قلب طالب علم لهو منطق سقيم، وسبيل معوّجة يكذبها الواقع وتدحضها التجربة.. لقد أصبحت كلمة «حافظ» سُبة في عصرنا ومثلبة، بعدما كانت تاجًا على رؤوس علمائنا ومفخرة؛ إذ الحافظ هو من حفظ الحديث وأتقنه وعرف أنواعه دراية ورواية، وأدرك علله. وانظر إلى الفرق بين مدلول «اللفظ» عندنا وعندهم تدرك بُعد المسافة واتساع الهوة!

يقول ابن خلدون: «ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم، من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضًا في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولُقن العبارة عن المقاصد منهم».

ويقول أيضًا: «وتَعلّم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم



في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».

إن ملَكة الحفظ نعمة من الله عزوجل تدلّ على ذاكرة نشيطة حية، وقلب صاف يتقبل من الخير ما يسوقه الله إليه فيفيد منه، وينفع به الناس؛ فمثله كمثل الغيث الذي يصيب الأرض الطيبة التي تقبل الماء فتنبت الكلأ والعشب الكثير كما جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا...»[٢].

والذاكرة كقطعة الحديد إن استخدمت ووظفتْ شُحذت ولمعت، وإن تُركت وأهملت ثلمت وصدأتْ، وتلك النعمة أو الهبة الربانية ينبغي أن يؤدي المرء شكرها بنشره ما احتفظت به، وينبغي أن يُكرّم صاحبها، ويُعرف له فضلُه، لا أن يُتّهم بضعف العقل والفهم لأن الله قد اصطفاه بذاكرة حاوية، وقلب واعٍ! مع الوضع في الحسبان أن الحفظ وسيلة لصيد العلم والإفادة منه واستدعائه عند الحاجة إليه، وتوظيفه في مواضع تتطلبه، وليس غاية في ذاته، يُغلق المرء عليه عقله، وينزوي به عن محيطه وتأثيره فيه.

ومن فضل الحفظ ما تجده في تراجم المتقدمين من مثل: «وحفظ كذا» «وكان آية في الحفظ» «ولم يبلغ إلا وقد أتقن كذا».. إلخ. أتكون هذه مجرد تجارب محتملة عند العلماء، وقد حفظوا وخبروا مآثر الحفظ وفضائله، فرغّبوا فيه، وحضوا عليه؟!

وإذا كانت طبيعة تعلم اللغات وإتقانها تتطلب الحفظ، فإن ذلك مع لغتنا العربية وتعلمها، وإتقان فنونها أوجب، والحاجة إليه وإتقانه أشد، وقد قيل قديمًا: «الحفظ الإتقان» وما تلك النماذج البارعة، والنصوص المتينة، والمؤلّفات الرصينة إلا من حسنات محفوظات أصحابها، وهل تجد شيئًا من ذلك عند من ليس له من الحفظ حظ أو نصيب؟!

ويكفي الحفظ فضلًا أنه كان أداة كثير من عباقرة العربية العميان، ووسيلتهم «لتسجيل هذا القدر الضخم من المعارف الإنسانية، كالذي نقرأه عند أبي العلاء، وابن سيده صاحب المحكم والمخصص، والإمام الترمذي صاحب السنن، وغيرهم كثير مما ذكره صلاح الدين الصفدي في كتابه الطريف: «نَكْت الهِميان في نُكت العُميان»[٣].

إننا بحاجة إلى أن نربّي أبناءنا الطلاب على تقدير قيمة الحفظ، ولا ننفرهم منه بتصويره على أنه نقيض الفهم، وإنما على المتعلم أن يضع الأمرين نصب عينيه؛ فيتكاملا ولا يتعارضا، مع التأكيد على أهمية اختيار النصوص بعناية؛ بحيث تحمل قيمًا إيجابية تدعو للفضيلة، وتربي ذائقة الطلاب الأدبية، وتخاطب المشاعر والوجدان حسب المرحلة العمرية المخصصة لها، ويقف في طليعة ذلك - بلا منازع - القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ حتى إذا جئنا إلى الشعر اخترنا القصائد المترابطة المتسلسلة التي تجمعها وحدة عضوية وموضوعية في آن واحد. وتراثنا العربي غني بمئات النماذج الصالحة لأداء الغرض مع سهولتها وسلاسة ألفاظها، وعندئذ ستكون الذاكرة جاهزة لتلقي كل ما من شأنه أن يشحذها ويجلوها مما ستحفظه وتفهمه في آن واحد ليجتمع الاثنان ولا يفترقا، ويتعارفا ولا يتناكرا؛ فطوبى لحافظ فاهم، فهم ما حفظ ووعاه.

الهوامش

١- انظر مقالا بعنوان: «الحفظ وأثره في ضبط قوانين العربية»، لأستاذنا المرحوم محمود محمد الطناحي في مجلة الهلال، فبراير ١٩٩١م.

٢- رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم ١/١٧٥، ومسلم كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ، في ٤/٧٨٧ برقم ٢٢٨٢.

٣- من مقال بعنوان: الحفظ وأثره في ضبط قوانين العربية. «بتصرف» للدكتور الطناحي، مجلة الهلال، عدد فبراير ١٩٩١م.



محمد عباس عرابي
باحث تربوي
مصر

دور الأسرة في حل النزاع بين الأبناء

في كثير من الحالات والمواقف يحدث أن يضرب أحد الأبناء أخاه أو أخته ظلما، ويطلب المظلوم حقه، في هذا الموقف يقوم كل من الأب أو الأم بدور القاضي بين الأبناء، إذ بين يديه حالة اعتداء، وعليه الحكم فيها بالعدل والإنصاف، وفيما يلي يتناول هذا المقال ما يجب على الأب أو الأم مراعاته عند التحقيق والقضاء بين الأبناء، والخطوات المتبعة في هذا.

أولا: ما يجب مراعاته عند التحقيق والقضاء بين الأبناء

- على الأب أو الأم عدم الحكم بين الأبناء في كل كبيرة وصغيرة، فإذا حدثت مشكلة بين الأبناء يجب إعطاؤهم الفرصة على حلها بأنفسهم، ويجب مكافأتهم عند حلها.

- عدم الحكم بين الأبناء أثناء الغضب أو الإرهاق، أو العجلة، ففي الحكم بين الأبناء تعب كبير وثواب عظيم، وذكريات جميلة فما نبكي منه اليوم قد نبكي عليه غدا.

- على الأب أو الأم تفهم غضب الأبناء، فقد يكون للابن أحيانا كل الحق في الشعور بالغضب من إخوته، لذا يجب تفهم مشاعره، والسماح له أن يتفاعل مع المشاعر والعواطف الناتجة عن العلاقات الأخوية، وبعد أن يفرغ شحنة الغضب يجب تعليمه كيف يتعامل بخلق كريم مع هذه المشاعر السلبية.

- عدم التعجل في الحكم على الأمور عند سماع النزاع بين الأخ الأكبر والأصغر، ولا نفترض أن الأخ الأكبر هو الطرف المعتدي، ونسرع لإنقاذ الأصغر، إن هذا ليس منصفا على الإطلاق لكلا الطرفين.

- إتاحة الفرصة لطرفي المشكلة من تجهيز شكواهم أو دفاعهم وترتيب أفكارهم وعرض وجهة نظرهم دون مقاطعة؛ ليتعلم الأبناء من هذا أن يكونوا متسمين بالدقة في طرح قضيتهم.

- عدم الانحياز إلى أحد الأبناء ضد الآخر، ويجب إشعار الابن الكبير أن عليه أن يعطف على أخيه الصغير، وتطلب الأسرة منه أن يخبرها فورا إذا كان قد حاول الصبر، ولم يتمالك نفسه.

ثانيا: الخطوات المتبعة في التحقيق والقضاء بين الأبناء

يجب أن تكون الأسرة (الأب والأم) على يقين أن الله (تعالى) سيعينهم ويوفقهم للقرارات المتخذة في التحقيق والقضاء بين الأبناء، ومن أبرز الخطوات التي يجب اتباعها للقضاء بين الأبناء ما يلي:

اعتذار الظالم وعفو المظلوم

بعد أن تتأكد الأسرة من أن الضارب ظالم غالبا، والمضروب مظلوم، نطلب من المعتدي أن يعتذر لأخيه عما فعل، ثم تطلب من المظلوم أن يسامح في حقه الذي يستطيع أخذه من أخيه الآن، وإذا رفض الظالم الاعتذار، أو رفض المظلوم قبول العذر، يجب أن يجلس كل واحد منهما مع نفسه فترة يفكر فيما حدث، ويراجع نفسه، ويتخذ قرارا نهائيا، فإذا انتهى الموقف باعتذار الظالم، وتسامح المظلوم، فالحمد لله، لكن هناك احتمالا أن يرفض الظالم الاعتذار، ويكون الاعتذار صعبا عليه، وهنا يقال له: أنت حر، وعليك أن تتحمل نتيجة ظلمك ورغبتك في عدم الاعتذار، ويتم الانتقال للخطوة التالية، ومن المتوقع أيضا أن يعتذر الظالم بينما يرفض المظلوم قبول الاعتذار قائلا: في كل مرة يضربني ويعتذر، وأنا أريد حقي، وهنا يتم الاضطرار للجوء إلى الخطوة الثانية.

ترضية الظالم للمظلوم

عندما لا يفلح العفو تلجأ الأسرة للخطوة الثانية، وفيها يقوم المعتدي بإعطاء المضروب تعويضا يجعله يسامح، فيعطي الأخ أخاه مثلا هدية أو قلما أو لعبة أو حلوى أو غيرها... هذا كله لنصل للرضا ونغلق القضية.

ترضية الأسرة للمظلوم

عزيزي الأب، أحيانا قد تنظم ابنتك غرفتها لتصبح أجمل ما يكون فيدخل ابنك الصغير ليغيظها، ويوقع لها الكتب من على المكتب، فتجري ابنتك خلفه فتضربه، فيأتيك ابنك باكيا طالبا منك حقه.. وفي هذه الحالة ابنتك مظلومة، وظالمة في الوقت نفسه، وطبعا لا الأسرة تقبل أن يتعود أخوها الأصغر على إفساد ما تنظمه، ولا أن تضرب أخاها الأصغر، وهنا يجب على الأسرة إقناع البنت على مسامحة أخيها، وجعل الأخ يصلح ما أفسده لأخته.

الجزاء: وعند تطبيق الأسرة له بين أبنائها، لا تسمح لأحدهم بضرب أخيه، فإن احتمال العفو ما زال قائما، فإن تم الجزاء يجب الاستفادة منه في غرس قيمة تربوية في نفوس الأبناء وهي عدم الظلم وعدم الاعتداء على الآخرين، حتى لا يكونون عرضة لهذا الموقف.

المراجع

- أسماء محفوظ: موسوعة عبارات طفولية، القاهرة، دار البيان، ١٤٣١هـ.
- عبدالله عبدالمعطي: علم ابنك كيف يحب أخاه، القاهرة، دار الأندلس الجديدة، ١٤٣٠هـ.
- كات كيلي: دليل الآباء الحائرين لإيقاف سلوكيات الأطفال السيئة، الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٠٤م.

تقرير
فهد الشمري





مؤتمر منظمة التعاون الإسلامي ومؤتمر مكة المكرمة

في إطلالة متميزة لمؤتمر منظمة التعاون الإسلامي من عاصمة بوركينا فاسو (واغادوغو) انطلقت فعاليات المؤتمر الوزاري (السابع) العالمي الذي تنظمه منظمة التعاون الإسلامي حول دور المرأة في تحقيق التنمية في الدول الأعضاء في المنظمة، وقد حمل المؤتمر اسما يعبّر عن مكنون مهم تواجهه العديد من الصعاب: (تمكين المرأة في الدول الأعضاء.. التحديات والآفاق)، وذلك انطلاقا من تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة، وتماشيا مع تنفيذ القرار الدولي رقم (١٣٢٥) حول المرأة والسلم والأمن في الدول الأعضاء بمنظمة التعاون الإسلامي.

وقد توافق هذا الانعقاد المهم مع احتفالية العالم السنوية باليوم العالمي لمكافحة جميع أشكال العنف ضد المرأة في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ٢٠١٨م.

وفي الوقت نفسه استضافت مدينة مكة المكرمة مؤخرا مؤتمرا عالميا نظمته رابطة العالم الإسلامي بعنوان (الوحدة الإسلامية.. مخاطر التصنيف والإقصاء)، بمشاركة أكثر من ألف شخصية علمية من مئة وسبع وعشرين دولة، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، الذي أناب عنه مستشار خادم الحرمين الشريفين أمير منطقة مكة المكرمة الأمير خالد الفيصل آل سعود.

وفور انطلاقة فعاليات مؤتمر منظمة التعاون الإسلامي؛ الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين (الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي) دعا الدول الأعضاء في المنظمة، إلى تفعيل جميع الوسائل لمواجهة التطرف في التعامل مع المرأة، واتخاذ ما يلزم من إجراءات وتدابير لوضع حد لهذه الممارسات التي ترفضها تعاليم ديننا الحنيف، كما شدد على حتمية تجريمها.

كما سلط الضوء على دور علماء الشريعة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ودعا إلى دعم هذا الدور وتعزيزه ليتمكن الدعاة من القيام بدورهم في ترسيخ تعاليم الشريعة وتمكينها في النفوس؛ الأمر الذي ينعكس إيجابيا في هذا الجانب الأخلاقي المهم.

ومن جانبها؛ دعت رئيس وفد جمهورية مصر العربية، والتي تشغل منصب رئيس المجلس القومي للمرأة في جمهورية مصر العربية، السيدة الدكتورة مايا مرسي، إلى العمل على إتاحة الفرصة للدول الأعضاء والمؤسسات الشريكة لمناقشة ما تحقق من إنجازات بخصوص قضايا المرأة، وتفعيل خطة عمل منظمة التعاون الإسلامي للنهوض بالمرأة، كما أعربت الدكتورة مايا مرسي عن سرورها في هذا التجمع الإسلامي الدولي الذي يهدف إلى إيجاد الحلول لتذليل العقبات التي تواجه تمكين المرأة وتميزها والقيام بدورها الطبيعي في الدول الأعضاء.

وختمت الدكتورة مايا مرسي بكشفها باعتزاز عن قرار المنظمة في مؤتمرها الوزاري (السابع) القاضي باستضافة بلادها للمؤتمر الوزاري (الثامن) عام ٢٠٢٠م حول: (دور المرأة في التنمية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي)؛ لتنتقل بذلك الرئاسة من دولة بوركينا فاسو إلى جمهورية مصر العربية.

أما الرؤية الجديدة والإستراتيجيات ذات المنهجية الهادفة والواضحة في قضية تمكين المرأة، فكانت المحور الأكثر بروزا في مداخلة رئيس وفد دولة الإمارات العربية المتحدة المشارك في المؤتمر الوزيرة الدكتورة ميثاء بنت



سالم الشامسي؛ حيث أكدت على اعتماد مجموعة من المبادئ والقيم التي تستطيع من خلالها تعزيز قدرات المرأة لمواجهة التحديات والعوائق التي قد تحول دون مواصلة دورها الفاعل.

أما وزير التضامن الوطني والأسرة وقضايا المرأة في الجزائر، الدكتورة غنية الدالية؛ فقد أكدت على تشجيع تولي المرأة لمناصب المسؤولية في الهيئات والإدارات العمومية وعلى مستوى المؤسسات، ضمن إستراتيجية عادلة تمكنها من أخذ حقوقها في الشغل ضمن مجتمعها.

هذا؛ وبموجب القرار الصادر عن الدورة الرابعة والأربعين لمجلس وزراء الخارجية المنعقدة في (أبيدجان)، واعترافا منه بإسهامات النساء الفائزات وتعزيزا لدورهن في عملية التنمية في الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي؛ فقد منح المؤتمر (جائزة منظمة التعاون الإسلامي لإنجازات المرأة) لعدد من المشاركات من مختلف الدول الأعضاء في المنظمة.

وشدد المشاركون في البيان الختامي لأعمال المؤتمر على ضرورة العمل المشترك على مستوى الدول الأعضاء في المنظمة، من أجل دعم تمكين اللاجئات والنازحات والنساء اللواتي يعشن في مناطق النزاعات المسلحة، داعين إلى مكافحة العنف والتحرش والتمييز ضد المرأة، وإلى إعطاء دورها في حل النزاعات وفي تعزيز السلم الاجتماعي حقه.

والجدير بالذكر أن منظمة التعاون الإسلامي تأسست عام ١٩٦٩م، وتعتبر واحدة من أكبر المنظمات الدولية الحكومية في العالم.

وفي مؤتمر مكة المكرمة الذي عقد تحت عنوان « الوحدة الإسلامية.. مخاطر التصنيف والإقصاء» أوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد العيسى أن المؤتمر يعد من أكبر المؤتمرات التي نظمتها الرابطة، مؤكدا أن المشاركين في المؤتمر شددوا على أهمية وضع خطة إستراتيجية شاملة تتصدى لمشاريع الكراهية والصراع الطائفي.

وناقش المؤتمرون العديد من القضايا المهمة، في مقدمتها؛ إيجاد قنوات للتواصل بين أتباع المذاهب الإسلامية، وبناء جسور الثقة والتفاهم والتعاون على المشتركات الإسلامية الجامعة، إضافة إلى محاصرة الخطاب الطائفي والمتطرف، داعين رابطة العالم الإسلامي لإنشاء منتدى عالمي للوحدة الإسلامية يتضمن:

١. مبادرات وبرامج عملية لتعزيز القيم المشتركة في الداخل الإسلامي، مع مد جسور التواصل والتعاون بين أتباع الأديان والثقافات والعمل على مشتركاته.

٢. إيجاد مبادرات وبرامج عملية ضمن مناشط المنتدى العالمي للوحدة الإسلامية، وذلك لتعزيز قيم التسامح والتعايش من أجل السلام والوئام، في أفق ترسيخ الوعي، لاسيما في صفوف الشباب.

٣. تتضمن تلك البرامج رصد وتحليل الأطروحات السلبية كافة، ومن ثم التصدي لها بكفاءة عالية تعتمد الحكمة والمنطق والمتابعة الجادة والواعية، في التعامل معها.

٤. يعمل المنتدى العالمي للوحدة الإسلامية على اقتراح البرامج التأهيلية التدريبية المرسخة لقيم الاعتدال الإسلامي، والمعززة لوعيه، وذلك للأئمة والخطباء والدعاة والمرشدين حول العالم.

٥. يعمل المنتدى على اقتراح المناهج الدراسية الداعمة لأهدافه التوعوية من خلال برامج يشترك في إعدادها نخبة من كبار العلماء والتربويين، عبر مخرجات هذا المنتدى والذي سيعمل فيه كفاءات علمية وتربوية وفكرية متنوعة من المذاهب والمدارس والاتجاهات المحبة للخير، وإسعاد البشرية عن طريق جهودها الصادقة، ومواجهة الأفكار المتطرفة والمثيرة للصدام الحضاري والثقافي.

هذا؛ وأكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن المؤتمر يسعى إلى مناقشة الشراكة الحضارية مع غير المسلمين وسبل مواجهة ما يعرف بـ (الإسلاموفوبيا).

وثيقة مكة المكرمة

أوصى المشاركون في المؤتمر بأن تتولى رابطة العالم الإسلامي تشكيل لجنة جامعة تمثل المكونات الإسلامية المختلفة، لصياغة وثيقة إسلامية جامعة تحت عنوان «وثيقة مكة المكرمة».

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية









سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٧)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «ابن عرفة»

١- علاء الدين بن عرفة (ت:٧١٦هـ):

هو علاء الدين أبو الحسن علي ابن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، ويقال له: ابن عرفة، أديب، متفنن، شاعر، عارف بالحديث والقراءات، من أهل الإسكندرية.

ولد بحلب سنة ٦٤٠هـ، وأقام بدمشق.

من مصنفاته: «التذكرة الكندية» (أدب وأخبار وعلوم)، و«ديوان شعر» وغيرهما.

توفي في شهر رجب بدمشق، ودفن بالمزة[1].

٢- أبو عبدالله بن عرفة (ت:٨٠٣هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، نسبة إلى «ورغمة» (قرية





بإفريقيا)، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره.
ولد بتونس سنة ٧١٦هـ، تولى إمامة الجامع الأعظم سنة ٧٥٠هـ.
من مصنفاته: «المختصر الكبير» في فقه المالكية، و«المختصر الشامل» في التوحيد، و«مختصر الفرائض»، و«المبسوط» في الفقه، و«الطرق الواضحة في عمل المناصحة»، و«الحدود» في التعاريف الفقهية.
توفي في شهر جمادى الآخرة بتونس[٢].

المتفق والمفترق في اسم «اللقاني»

١- عبدالله اللقاني (ت:٧٤١هـ):

هو عبدالله بن علي بن علي بن عبدالعزيز اللقاني المالكي، فقيه.
من مصنفاته: «وثائق»[٣].

٢- ناصر الدين اللقاني (ت:٩٥٨هـ):

هو ناصر الدين أبو عبدالله محمد ابن حسن بن علي بن عبدالرحمن اللقاني، المالكي، فقيه، أصولي، صرفي.
ولد سنة ٨٧٣هـ.
من مصنفاته: «البسملة»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح منظومة ابن رشد»، و«حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه»، و«حاشية على شرح التصريف للزنجاني» وغيرها من المصنفات.
توفي بالقاهرة[٤].

٣- برهان الدين اللقاني (ت:١٠٤١هـ):

هو برهان الدين أبو الأمداد وأبو إسحاق إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي المصري، متكلم، متصوف، نسبته إلى «لقانة» من قرى مصر.
من مصنفاته: «جوهرة التوحيد» (منظومة في العقائد)، و«بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل»، و«حاشية على مختصر خليل» (فقه)، و«نشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر» (تراجم) لم يتمه، و«قضاة الوطر من نزهة النظر»، و«شرح الآجرومية».
توفي بقرب العقبة عائدا من الحج[٥].

٤- عبدالسلام اللقاني (ت:١٠٧٨هـ):

هو عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري المالكي، فقيه، متكلم، صوفي.
ولد سنة ٩٧١هـ.
من مصنفاته: «شرح المنظومة الجزائرية» في العقائد، و«إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد»، و«السراج الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج»، و«ابتسام الأزهار من رياض الأخبار في ربيع الأبرار بمولد الحبيب المختار»، و«حاشية على تذكرة القرطبي».
توفي في شهر شوال[٦].

٥- غرس الدين اللقاني (ت:١١٠٤هـ):

هو غرس الدين أبو مفلح خليل بن إبراهيم بن علي المصري المالكي الشهير باللقاني، محدث، عارف بالرجال.
من مصنفاته: «إتحاف ذوي الإرشاد بتجريد ذوي الإسناد» (في أسماء شيوخه)، و«تنبيه الفهيم بذكر من تسمى باسم محمد الكريم»[٧].

الهوامش

١- ينظر: الدرر الكامنة (١٣٠/٣)، والأعلام للزركلي (٢٣/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٤٣/٧).
٢- ينظر: الضوء اللامع (٢٤٠/٩)، والأعلام للزركلي (٤٣/٧)، ومعجم المؤلفين (٢٨٥/١١).
٣- ينظر: معجم المؤلفين (٩١/٦).
٤- ينظر: كشف الظنون (٥٩٥/١-١١٣٩)، ومعجم المؤلفين (٢٠٣/٩) (١٦٧/١١).
٥- ينظر: الأعلام للزركلي (٢٨/١)، وهدية العارفين (٣٠/١)، ومعجم المؤلفين (٢/١).
٦- ينظر: خلاصة الأثر (٤١٦/٢)، والأعلام للزركلي (٣٥٥/٣)، ومعجم المؤلفين (٢٢٢/٥)، وهدية العارفين (٥٧١/١).
٧- ينظر: هدية العارفين (٣٥٤/١)، والأعلام للزركلي (٣٥٥/٣)، ومعجم المؤلفين (١١٠/٤).

محمد نجم الثاقب ناصري
باحث دراسات عليا جامعة الأزهر
مصر



شخصية الإمام مالك بن أنس

للسنة النبوية مكانة عظيمة في الشريعة الإسلامية، وهي الأصل الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وليس من المستغرب أن يكون إهمال السنة والذهول عنها إضاعة لصرح عظيم من الدين، فقد هيأ الله تعالى لها في كل عصر ومصر رجالا طيبين مخلصين له الدين، اهتموا بها اهتماما عظيما، وبذلوا كل غال ونفيس من أجل المحافظة عليها. فلقد حظيت سنة النبي ﷺ (أحاديثه الشريفة؛ قولا وفعلا وتقريرا) منذ أول يوم بالعناية التامة والحفظ والرعاية والعمل بها من الصحابة الكرام والتابعين الأخيار والعلماء؛ سلفا وخلفا، فحفظت حفظا تاما، ونقلت نقلا دقيقا؛ تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

وكان من بين أولئك الذين خدموا هذا المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي إمام دار الهجرة، أعلم أهل المدينة، وثاني الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري رحمه الله رحمة واسعة.

مولده واسمه ونسبه

مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وإليه تنسب المالكية.

ولد عام ٩٣ من الهجرة، وتوفي ١٧٩هـ[١].

ونسب الإمام ينتهي إلى قبيلة يمنية، وهي ذو أصبح، وهو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي اليمني، واسم أمه العالية بنت شريك الأزدية، فأبوه وأمه عربيان يمنيان[٢].

نشأته وطلبه للعلم

نشأ الإمام مالك في بيت كان مشتغلا بعلم الحديث واستطلاع الآثار وأخبار الصحابة وفتاواهم، فجده مالك ابن أبي عامر كان من كبار التابعين وعلمائهم.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «لقد كانت البيئة العامة للبلد الذي عاش فيه، وأظلته سماؤه، وأقلته أرضه، توعز بالعرفان، وتنمي المواهب، فلقد كانت بيئته مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومهاجره الذي هاجر إليه، وموطن الشرع، ومبعث النور، ومعقد الحكم الإسلامي الأول»[٣].

وطلب الإمام مالك العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدث عنه جماعة وهو حي شاب طري، وقصده طلبة العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات[٤].

شيوخه

كان الإمام مالك، رحمه الله، في معدن العلم فقد جالس العلماء منذ صغره، وكان بالمدينة في حينه عدد من التابعين وجد فيهم مالك المعين الذي لا ينضب، والمنهل العذب المستساغ الذي لا كدرة فيه، فلازم عبدالرحمن ابن هرمز، وأخذ عن نافع، وسعيد المقبري، وعامر بن عبدالله بن الزبير، وابن المنكدر، والزهري، وعبدالله بن دينار.. وغيرهم. وأخذ الإمام عن ابن شهاب الزهري، كما أكثر من الأخذ عن نافع، وقد بدت عليه العناية التامة باستحفاظ الحديث، والحرص عليه في جودة فهم وحسن ضبط[٥].

وقد أحصى الإمام الذهبي، رحمه الله، شيوخه الذين روى عنهم في «الموطأ»، وذكر إلى جنب كل واحد منهم عدد ما روى عنه الإمام مالك ورتّبهم على حروف المعجم. منهم: إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، أيوب بن أبي

تميمة السختياني (عالم البصرة)، أيوب بن حبيب الجهني (مولى سعد ابن مالك)، إبراهيم بن عقبة، ثور بن زيد الديلي، حميد الطويل، داود بن الحصين، ربيعة الرأي، زيد بن أسلم، زيد بن رباح.. وغيرهم[٦].

تلاميذه

قال الإمام الذهبي رحمه الله: وقد كنت أفردت أسماء الرواة عنه في جزء كبير يقارب عددهم ألفا وأربع مئة، فلنذكر أعيانهم، حدث عنه من شيوخه: عمه أبو سهيل، ويحيى بن أبي كثير، والزهري، ويحيى بن سعيد، ويزيد بن الهاد، وزيد بن أبي أنيسة، وعمر بن محمد بن زيد.. وغيرهم، ومن أقرانه: معمر، وابن جريج، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وعمرو بن الحارث، والأوزاعي، وشعبة، والثوري، والليث، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك، والدراوردي، وابن أبي الزناد، وابن علية، ويحيى بن أبي زائدة، وأبو إسحاق الفزاري، ومحمد ابن الحسن الفقيه، وعبدالرحمن ابن القاسم، وعبدالرحمن بن مهدي، ومعن بن عيسى القزاز، وعبد الله بن وهب، ووكيع، والوليد بن مسلم، ويحيى القطان، وذكر آخرين[٧].

محنته

مع أن الإمام مالكا كان بعيدا كل البعد عن الأحداث والفتن التي كانت في عصره، إلا أنه قدر الله أن نزلت به محنة في عهد أبي جعفر المنصور بالعصر العباسي، وقد ضرب في هذه المحنة بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت كتفاه.

وقد اختلف المؤرخون في سبب هذه المحنة على أقوال كثيرة، أرجحها وأشهرها كما يراها الشيخ محمد أبو زهرة هو أنه كان يحدث بحديث «ليس على مستكره طلاق»[٨]، وأن مروجي الفتن اتخذوا من هذا الحديث حجة لبطلان بيعة أبي جعفر المنصور، علما بأن المنصور نهاه عن تحديث هذا الحديث، ولكن دس إليه من يسأله عنه، فحدث به على رؤوس الناس، فوجد الناس فيه ما يدل على أنه يجوز أن يتحللوا من بيعة المنصور وهم يزعمون أنها كانت بالغلب والإكراه، ووجد الكائدون للإمام فرصة للكيد له، فأخبروا والي المدينة بهذا الأمر فضرب وتعرض للمحنة[٩].

مؤلفاته

لم يعرف الإمام مالك بكتاب أكثر شهرة من كتابه «الموطأ»، ولكن له غيره أيضا، فمن مصنفاته:

١- رسالة في القدر كتبها إلى ابن وهب.

٢- مؤلف في النجوم ومنازل القمر.

٣- رسالة في الأقضية.

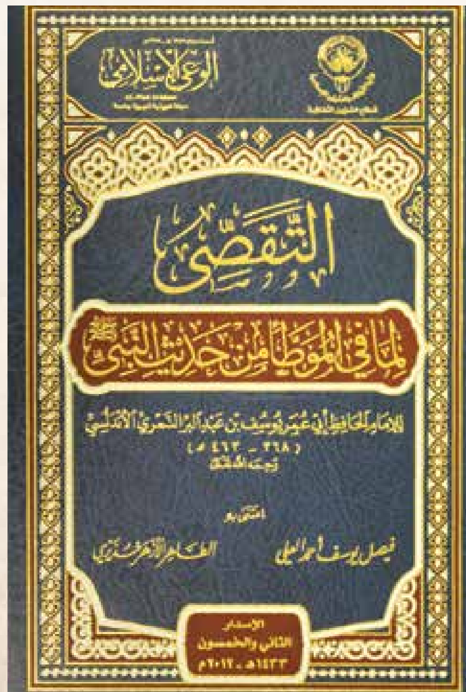
٤- رسالة إلى أبي غسان بن مطرف.

٥- جزء في التفسير.

٦- رسالته المشهورة إلى هارون الرشيد في الآداب والمواعظ[١٠].

مزايا «الموطأ» وثناء العلماء عليه

يعد «موطأ» الإمام مالك إمام دار الهجرة من أكثر الكتب ذيوعا في العالم الإسلامي، وله مزايا كثيرة يتميز بها عن سواه من كتب الحديث الشريف، أتعرض هنا إلى بعضها باختصار:



● أنه تأليف إمام فقيه محدث مجتهد متقدم كبير متبوع شهد له أئمة عصره ومن بعدهم بالإمامة في الفقه والحديث دون منازع.

قال علي بن المديني: «كان حديث الفقهاء أحب إليهم من حديث المشيخة»[١١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أحمد بن حنبل: معرفة الحديث والفقه فيه أحب إلي من حفظه»[١٢].

● أنه من مؤلفات منتصف القرن الثاني من الهجرة؛ فهو سابق غير مسبوق بمثله، إذ هو أول كتاب في بابه، وللسابق فضل ومزية، إذ هو الإمام الذي سن التأليف الحديثي على أبواب الفقه، واقتدى به المؤتمون من ورائه، مثل عبدالله بن المبارك والبخاري ومسلم وسعيد بن منصور وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.. وغيرهم.

● أنه من رواية الفقيه المحدث المجتهد الكبير المشهود له بالإمامة في الفقه والحديث والعربية؛ الإمام محمد ابن الحسن الشيباني تلميذ الإمامين أبي حنيفة وأبي يوسف وشيخ الإمام الشافعي رحمهم الله جميعا، وقد أتقن روايته عن شيخه مالك، وأضاف بعد روايته أحاديث الباب بيان مذهبه في المسألة موافقا أو مخالفا، وبيان مذهب شيخه الإمام أبي حنيفة فيها وموافقته له أو مخالفته، وبيان مذهب شيخه الإمام مالك أحيانا ومذهب عامة فقهائنا أيضا، ويعقب في كثير من الأبواب ببيان معنى الحديث وتوجيهه وما يستحسنه أو يستحبه أو يكرهه من وجوه المسألة، وقد يفصل تفصيلا وافيا الأقوال والفروق بين مذهبه ومذهب شيخه الإمام أبي

حنيفة أو مذهب شيخه الإمام مالك ويبين أحوال المسألة وأحكامها[١٣].

قال الإمام الشافعي: «ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك بن أنس». ويقول: «ما كتاب بعد كتاب الله عزوجل أنفع من موطأ مالك ابن أنس»[١٤][١٥].

وقال الإمام البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر[١٦] وكثيرا ما ورد هذا الإسناد في «الموطأ».

وقال الحافظ الذهبي: «إن لـ «الموطأ» لموقعا في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازنها شيء»[١٧].

لله الأمر من قبل ومن بعد

وقد سبق الإمام مالكا ابن أبي ذئب في تصنيف «الموطأ»، ولكنه اندثر وذهب أدراج الرياح ولم يبق له لا رسم ولا اسم، كما يقول الكتاني: «صنف ابن أبي ذئب (ت١٥٨هـ) في المدينة موطأ أكبر من موطأ مالك، حتى قيل لمالك: ما الفائدة في تصنيفك؟ فقال: ما كان لله بقي»[١٨].

اعتناء العلماء بـ «الموطأ»

لقد اعتنى العلماء بـ «الموطأ»، شرحا وتعليقا ورواية ودراية، حتى ذكر أن له أكثر من مئة شرح، ولكنه نظرا إلى هذا العدد الهائل لا يمكن الخوض في غمارها ثم الإحاطة بجميعها، فأكتفي بأهم الشروح التي تناولت «الموطأ» وهي:

- تفسير غريب الموطأ للإمام حبيب ابن سليمان الأندلسي القرطبي المالكي (ت٢٣٨هـ).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ).
- الاستذكار لابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ).
- المنتقى شرح الموطأ للإمام أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت٤٩٤هـ).
- المسالك في شرح موطأ مالك للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي الإشبيلي (ت٥٤٣هـ).
- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي أيضا.
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك للإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
- أنوار كواكب نهج السالك بمزج موطأ الإمام مالك المعروف بـ «شرح الزرقاني» لإمام المالكية العلامة المحدث محمد بن عبدالباقي الزرقاني (ت١١٢٢هـ).
- المسوى شرح الموطأ للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ).
- أوجز المسالك شرح موطأ الإمام مالك للعلامة المحدث محمد زكريا الكاندهلوي (ت١٤٠٢هـ).

وغيرها من الكتب والبحوث والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه، من المخطوطات والمطبوعات.

سبب تسمية «الموطأ»

«الموطأ» مأخوذ من التوطئة، وهي التهيئة والتسهيل والتمهيد، يقال: رجل موطأ الأكناف، أي: سهل دمث كريم الخلق. أو هو مأخوذ من المواطأة وهي الموافقة[١٩]، لأنه عرضه على أئمة عصره فوافقوه عليه. كما يقول الإمام مالك: «عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ»[٢٠].

ثناء العلماء على الإمام مالك

بلغ الإمام من السنة ذروة، وبلغ من الفقه درجة صار فيها فقيه الحجاز الأوحد، وبذلك جمع بين الحديث والفقه، فهو في المحدثين إمام، ويعد أول من دون علم الحديث، ولقد نال من ثناء العلماء حظا لم ينله عالم قبله، فقد أثنى عليه فقهاء الرأي كما أثنى عليه علماء الحديث، وهو معتبر وموثوق فيه من كلا الفريقين.

قال الليث بن سعد: «علم مالك علم تقي، أمان لمن أخذ عنه من الأنام»[٢١].

وقال الإمام الشافعي: «العلم يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وابن عيينة»[٢٢].

وقال عبدالله بن وهب: «لولا أني أدركت مالكا والليث لضللت»[٢٣].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «قال عبدالرحمن بن مهدي: أئمة الحديث الذين يقتدى بهم أربعة؛ سفيان بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة، ووازن بين الثوري والأوزاعي فقال: الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك إمام فيهما».

وينتهي الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: «وهكذا تجيء شهادات العلماء بغزارة علم مالك، ونزاهته في علمه وتقواه فيه، وإمامته في الحديث والفقه معا، مما لم يتوافر لغيره من العلماء، فهو إن ارتأى في الأحكام رأيا فعن بينة رأى، وإن أخذ بقياس، فعلى أساس من السنة والاتباع أقام قياسه»[٢٤].

روايات «الموطأ»

قال العلامة محمد زاهد الكوثري: ألف عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون (ت١٦٤هـ) كتابا فيما اجتمع عليه أهل المدينة، ولما اطلع عليه مالك بن أنس رضي الله عنه استحسن صنعه إلا أنه أخذ عليه إغفاله ذكر الأخبار والآثار في الأبواب، حتى قرر مالك أن يقوم هو بنفسه بجمع كتاب تحتوي أبوابه صحاح الأخبار وعمل أهل المدينة في أبواب الفقه، فألف «الموطأ» وأخذ يلقيه على أصحابه فيتلقونه منه سماعا، وكان تأليفه الكتاب لنفسه خاصة لئلا يغلط فيما يلقيه على الجماعة كعادة أهل طبقته من العلماء في تآليفهم، ولذا كان يزيد فيه وينقص منه حسب ما يبدو له في كل دور من أدوار التسميع المختلفة، فاختلفت نسخ «الموطأ»؛ ترتيبا وتبويبا وزيادة ونقصا وإسنادا وإرسالا، على

اختلاف مجالس المستملين. ومنازل هؤلاء المستملين تتفاوت؛ فهما وضبطا وضعفا وقوة، فتكون مواطن اتفاقهم في الذروة من الصحة عن مالك، وتكون مواضع اختلافهم وانفرادهم متنازلة المنازل إلى الحضيض حسب ما لهم من المقام في كتب الرجال.

ويقول الكوثري بعد ذكر أسماء الرواة: وهؤلاء أربعة وعشرون راويا من أصحاب مالك. وأحمد يكثر من طريق ابن مهدي، وأبو حاتم من طريق معن بن عيسى، والبخاري من طريق عبدالله بن يوسف التنيسي، ومسلم من طريق يحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو داود من طريق القعنبي، والنسائي من طريق قتيبة ابن سعيد. وأشهر رواياته في هذا العصر رواية محمد بن الحسن بين المشارقة، ورواية يحيى الليثي بين المغاربة.

فالأولى: تمتاز ببيان ما أخذ به أهل العراق من أحاديث أهل الحجاز المدونة في «الموطأ» وما لم يأخذوا به لأدلة أخرى ساقها الإمام محمد في موطئه، وهي نافعة جدا لمن يريد المقارنة بين آراء أهل المدينة وآراء أهل العراق وبين أدلة الفريقين.

والثانية: تمتاز عن نسخ «الموطأ» كلها باحتوائها على آراء مالك البالغة نحو ثلاثة آلاف مسألة في أبواب الفقه. وهاتان الروايتان نسخهما في غاية الكثرة في خزانات العالم شرقا وغربا[٢٥].

مصادر تشريعية عند الإمام

قد اعتمد الإمام مالك في فتاواه على عدة مصادر تشريعية وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب.

وفاته

يقول ابن فرحون: اختلف في تاريخ وفاته، والصحيح أنها كانت يوم الأحد لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة. قال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها فقلنا له: يا أبا عبدالله كيف تجدك؟ قال: ما أدري كيف أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله ما لم يكن في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه. رحمه الله. وقيل: إنه تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد[٢٦].

الهوامش

١- الأعلام للزركلي، ٢٥٧/٥، دار العلم للملايين.
٢- مالك: حياته وعصره - آراؤه الفقهية للشيخ محمد أبي زهرة، ص:١٢، مكتبة الأنجلو المصرية.
٣- المصدر نفسه، ص:١٦.
٤- سير أعلام النبلاء، ٥٥/٨، مؤسسة الرسالة.
٥- مالك، حياته وعصره - آراؤه الفقهية للشيخ محمد أبي زهرة، ص:٢٢، مكتبة الأنجلو المصرية.
٦- انظر، سير أعلام النبلاء، ٤٩/٨، مؤسسة الرسالة.
٧- سير أعلام النبلاء، ٥٢/٨، مؤسسة الرسالة.
٨- لم أقف على نفس الحديث إلا أن ابن الأثير ذكره في جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٨٢/١، في قصة الإمام مالك. وقد علق عليه البخاري بقوله: وقال ابن عباس: «طلاق السكران والمستكره ليس بجائز» انظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما والغلط والنسيان في الطلاق والشرك وغيره، دار ابن كثير.
٩- مالك، حياته وعصره - آراؤه الفقهية للشيخ محمد أبي زهرة، ص:٥٨، مكتبة الأنجلو المصرية.
١٠- انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون، ص:١٤.
١١- الجرح والتعديل للحافظ ابن أبي حاتم، ٢٥/١، باب في اختيار الأسانيد، دار إحياء بيروت.
١٢- مجموع الفتاوى، ٤١٤/٦، دار الوفاء.
١٣- الموطأ - رواية محمد بن الحسن: من مقدمة الشارح، ١٢/١، دار القلم دمشق.
١٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، باب ذكر عيون من أخبار مالك رحمه الله وذكر فضل موطئه، ٧٧/١، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
١٥- وبالطبع هذا قبل وجود صحيحي البخاري ومسلم، فاتفق العلماء على أن الصحيحين أصح الكتب بعد كتاب الله، إلا أن «الموطأ» لم يفقد تلك المكانة المرموقة كمصدر من مصادر السنة. يقول الإمام ابن كثير: قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: «لا أعلم كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك» إنما قاله قبل البخاري ومسلم، وقد كانت كتب كثيرة مصنفة في ذلك الوقت في السنن لابن جريج، وابن إسحق - غير السيرة - ولأبي قرة موسى بن طارق الزبيدي، ومصنف عبدالرزاق بن همام، وغير ذلك. وكان كتاب مالك، وهو «الموطأ»، أجلها وأعظمها نفعا، وإن كان بعضها أكبر حجما منه وأكثر أحاديث. وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع الناس على كتابه، فلم يجبه إلى ذلك، وذلك من تمام علمه واتصافه بالإنصاف، وقال: «إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها». انظر: الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ٣/١، المكتبة الشاملة.
١٦- تهذيب الكمال للإمام المزي، ٤٨٠/١٤، مؤسسة الرسالة.
١٧- سير أعلام النبلاء، ٢٠٣/١٨، مؤسسة الرسالة.
١٨- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة محمد بن جعفر الكتاني، ٩/١، دار البشائر الإسلامية - بيروت.
١٩- القاموس المحيط للفيروزآبادي، فصل الواو، مؤسسة الرسالة.
٢٠- الموطأ - رواية محمد بن الحسن: من مقدمة الشارح، ٢٩/١، دار القلم دمشق.
٢١- مالك، حياته وعصره - آراؤه الفقهية للشيخ محمد أبي زهرة، ص:٦٧، مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٢- سير أعلام النبلاء، ٩٤/٨، مؤسسة الرسالة.
٢٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، باب ذكر عيون من أخبار مالك، رحمه الله، وذكر فضل موطئه، ٦١/١، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٢٤- مالك، حياته وعصره - آراؤه الفقهية للشيخ محمد أبي زهرة، ص:٦٨، مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٥- الموطأ - مقالات الكوثري، ص:٨١-٨٨، المكتبة التوفيقية مصر.
٢٦- انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون.



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي



سلسلة الذخائر

مجلة البيان

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.





وتأتي «مجلة البيان» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي مجلة شهرية أدبية فكرية، تصدرها رابطة الأدباء الكويتيين، وقد صدر أول عدد منها في أبريل، سنة: (١٩٦٦م).
تاريخ الرابطة: تأسست في شهر نوفمبر، عام: (١٩٦٤م). مقرها: العديلية - الكويت.
وكان من أبرز مؤسسيها: يوسف السيد هاشم الرفاعي، عبدالصمد تركي، عبدالمحسن الرشيد، عبدالله سنان، يعقوب يوسف الغنيم..

أهداف الرابطة

تعمل الرابطة على تحقيق الأهداف الآتية:

أ- رعاية الحركة الفكرية والنهضة الأدبية في الكويت والعمل على ازدهارها.
ب- الاتجاه بالأدب اتجاها يخدم المجتمع العربي ويعمل على تنمية الوعي القومي بكل ما تعنيه القومية من معان وطنية وإنسانية رفيعة.
ج- الابتعاد بالأدب عن النزعات الشعوبية والانحرافات الضارة بالكويت والوطن العربي عامة.
د- الحث على الإنتاج النفيس في مجال الأدب والثقافة وتشجيع البحوث والدراسة الأدبية والفكرية وصيانة التراث العربي والدفاع عنه.
هـ- العمل على حماية حرية الفكر في الكويت خاصة والوطن العربي عامة، والمحافظة على حقوق المؤلفين والأدباء بالتعاون مع الجهات المختصة.
و- تشجيع الناشئة من الأدباء في الكويت والعناية بأدبهم المنسجم مع المثل العربية العليا.
ز- تمثيل الكويت في المؤتمرات والندوات الفكرية والأدبية في الداخل والخارج بالتعاون مع الجهات المختصة.
ح- توثيق الأواصر بين الرابطة ومثيلاتها في الوطن العربي وذلك بتبادل المعلومات والمؤلفات وما شابه.

بعض إصدارات الرابطة

لقد أصدرت الرابطة عدة إصدارات أدبية وفكرية، نذكر منها:
- مجلة البيان التي بين أيدينا.
- مجموعة قصصية بعنوان: تحت برج الحمام، بقلم بسام المسلم.
- ديوان نجوم تتلألأ، لمنصور العازمي.
- من العامية الفصيحة في اللهجة الكويتية، لخالد سالم محمد.
- معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين، لطلال سعد الرميضي، وأبرار أحمد ملك.

محتوى المجلة العام

وكما جاء في تعريف المجلة على أنها مجلة أدبية وفكرية فهي لم تخرج في محتواها عن هذا المنهج إلى يومنا هذا، وظلت مواضيعها بين أدبي أو فكري..
فقد جاء في عددها الأول الذي نشر سنة: (١٩٦٦م)؛ موضوع بعنوان: قصيدة لم تنشر للشاعر فهد العسكر (ت:١٩٥٠م)، وهي قصيدة نظمها سنة: (١٩٣٦م) تحية لأول بعثة تعليمية من فلسطين، وكان عنوانها: بسمة ودمعة، وقد جاء في مطلعها:

حي الأساتذة الكرام تحية
تزرى بعرف المسك والريحان

وتناول موضوعها الثاني، فكان بقلم: محمد الصالح الإبراهيم، وقد تناول حياة الشاعر (جرير)، وجاء بشواهد من شعره، وتعرض إلى مواقفه مع الفرزدق، فكان موضوعا شيقا وماتعا، كما تناول أقوال العلماء والشعراء فيه.
أما الموضوع الثالث فكان قصة بقلم: فرحان راشد الفرحان، بعنوان: أحلام فتاة.
بعدها جاءت قصيدة بعنوان: الأدب، للشاعر عبد سنان، وقد جاء في مطلعها:

اليوم قد بعث الأدب
بعزيمة الغر النجب

هذا بعض ما جاء في العدد الأول من ميلاد هذه المجلة الأدبية الماتعة، والتي ما زالت تثري الساحة الأدبية والفكرية إلى يومنا هذا. ولتعلم أن المجلة بقية على نهجها الذي تأسست عليه نذكر بعض ما جاء في عددها: (٥٧٩/ أكتوبر، ٢٠١٨م):
فاستهلت المجلة أولى صفحاتها برثاء أحد أعضائها البارزين، وهو الأستاذ الدكتور: عبدالله أحمد المهنا (رحمه الله)، كما تطرقت لبعض إنجازاته.
بعدها جاء موضوع بعنوان: عناصر الطبيعة الأربعة والحواس الخمس في الشعر العربي، بقلم: فيصل سعود العنزي، حيث بحث في دراسته ذكر عناصر الطبيعة الأربعة والحواس الخمس في الشعر العربي، ويقصد بعناصر الطبيعة الأربعة: التراب، الماء، الهواء، والنار. أما الحواس الخمس فهي: حاسة اللمس، حاسة التذوق، حاسة السمع، حاسة البصر، حاسة الشم.
ومما جاء في هذا العدد أيضا، موضع بعنوان: الثورة الجزائرية في الأدب الكويتي، بقلم: طلال جمعان الجويعد، وجاء بقصائد تمجد وتساند الثورة الجزائرية ضد المستعمر الغازي.
ومازالت المجلة مستمرة في مسيرتها الأدبية والفكرية، وأمنياتنا لها بالتوفيق والنجاح.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة تحوي جميع أعداد مجلة البيان من يوم صدورها أول مرة إلى يومنا هذا، وقد بلغ مجموع أعدادها: (٥٧٩)، عددا، وهي في متناول محبي الأدب والفكر.

إعداد: هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر





صاحب «الرسالة»

أحمد حسن الزيات

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ أحد أئمة النثر الفني في العصر الحديث، وعلم من أعلام الأدب العربي الذين خرجوا من رحم الريف المصري، إذ ولد في قرية كفر «دميرة القديم» (إحدى قرى مركز طلخا)، بمحافظة الدقهلية سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

■ من أرق الناس طبعا، ومن أنصع كتاب العربية ديباجة.. أسلوبه «أوضح من الرافعي، وأسمح من العقاد، وأوجز من طه حسين» (بحسب وصف بعض معاصريه).. إنه الأديب الألمعي أحمد حسن الزيات.

■ للزيات أسلوب خاص دعا إليه في كتابه «دفاع عن البلاغة» يقوم على ركنين:

أولهما: العودة بالبلاغة إلى طابعها العربي الأول من الإيجاز، ورصانة الفواصل وقصرها، وتصفية الألفاظ، كما يتجلى في كتابات الجاحظ وأبي حيان التوحيدي.

والآخر: هو إمداد الفكر العربي الحديث بآثار الفكر العربي، وروائع الآداب العالمية عن طريق الترجمة، ليعايش الأدب العربي الحديث ركب الحضارة المعاصرة.

■ عندما بلغ الزيات الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكُتّاب القرية ليتلقى فيه تعليمه الأوّلي، فأتم حفظ القرآن الكريم وتجويده، ثم أرسله والده إلى أحد علماء قرية مجاورة، ليتلقى على يديه القراءات السبع، فأتقنها في سنة واحدة.

الزيات.. و«الأزهر»

■ في الثالثة عشرة من عمره التحق الزيات بالجامع الأزهر، وظل به عشر سنوات، تلقى خلالها علوم الشريعة والعربية، لكن نفسه التواقة إلى الأدب؛ بسبب النشأة والتكوين، دفعته إليه، فانصرف إليه كلية، وقصد دروس الشيخ المرصفي الذي كان يدرّس الأدب في الأزهر، ويشرح «حماسة» أبي تمام، وكتاب «الكامل» للمبرّد، كما حضر شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي (أحد أعلام اللغة البارزين).

■ ربطه حب الأدب مع مريدين أصبحوا رموزا للأدب العربي فيما بعد، كطه حسين ومحمود حسن الزناتي، إذ كانا مثله يقصدان دروس المرصفي، الذي فتح لهم آفاقا واسعة في الأدب والنقد، وأثّر فيهم تأثيرا قويا. كما كانوا يترددون معا على «دار الكتب المصرية» لمطالعة عيون الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء.

الزيات دارسا ومدرسا

■ في عام ١٩٠٧م اختاره المستشرق الفرنسي الفرير بلاج لتدريس «العربية» في المدارس الفرنسية، وفور إنشاء الجامعة المصرية سنة ١٣٢٩هـ/١٩٠٨م سارع إلى الالتحاق بها، وكانت الدراسة بها مساء، وخلال فترة الدراسة عمل

مدرسا بالمدارس الأهلية، وفي الوقت نفسه يدرس اللغة الفرنسية التي أعانته كثيرا في دراسته الجامعية حتى تمكن من نيل إجازة الليسانس سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

■ استمر بالمدارس الأهلية حتى اختارته الجامعة الأميركية بالقاهرة رئيسا للقسم العربي بها في سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، وكانت الدراسة بها مدتها ثلاث سنوات، أمضى منها سنتين في مصر، والثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

■ ظل بالجامعة الأميركية حتى اختير أستاذا في دار المعلمين العالية ببغداد عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ومكث هناك ثلاث سنوات صنف فيها كتابه «العراق كما عرفته»، الذي احترق قبل نشره.

مناصبه

■ انتخب الزيات عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون، وكان قبل ذلك من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، ولجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، كما رأس تحرير مجلة الأزهر في الخمسينيات.

«الرسالة»

■ عاد من بغداد سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، وهجر التدريس، وقرر التفرغ للصحافة والتأليف، ثم فكّر في إنشاء مجلة تعنى بالأدب الراقي والفن الرفيع.. فكانت مجلة «الرسالة».

■ شهد اليوم الخامس عشر من يناير ١٩٣٣م مولد «الرسالة»، التي قال عنها: «فأهلت على دنيا الأدب قشيبة الثوب مضيئة، قسيمة الوجه وسيمة.. عربية الملامح أصيلة».. وعاشت «رسالة» الزيات عشرين عاما ألحق بها خلالها مجلة «الرواية».

■ في عام ١٩٦٣م فكرت الحكومة المصرية في إعادة إصدار «الرسالة» بعهدة الزيات أيضا، لكن لم تكن لها مكانتها الأولى، فاحتجبت، وانقطع الزيات إلى تحرير مجلة «الأزهر» بين سنتي ١٣٦٤هـ و١٣٧٢هـ.

إرثه العلمي

■ أول ما علت به شهرته كان كتاب «تاريخ الأدب العربي»، ثم كان من كتبه المطبوعة: «دفاع عن البلاغة» و«وحي الرسالة» (في أربعة أجزاء)، و«في أصول الأدب» و«في ضوء الرسالة»، و«العراق كما رأيته».

■ ترجم عن الفرنسية عن «آلام فرتر» لجوته، و«روفائيل» للامارتين، ومختارات من الأدب الفرنسي (ترجمة لقصائد وأقاصيص).

عن «آلام فرتر»

■ في ١٩١٩م قرأ «آلام فرتر»، بعد هوى أصابه، وعبر عن شعوره حين قرأها فقال: «كنت أقرأ ولا أقرأ في الحادثة سواي، وأشعر ولا أشعر إلا بهواي، وأندب ولا أندب إلا بلواي.. فهل كنت أقرأ في خيالي، أم أنظر في قلبي، أم هو الصدق في نقل الشعور، والحذق في تصوير العاطفة.. يظهر قلوب الناس جميعاً على لون واحد».

آراؤه

■ دعا إلى إصلاح الأزهر وتخليصه من المضمضة بالألفاظ الاصطلاحية، والجمجمة بالجمل المعقدة على أنها العلم والأدب، وكانت دعوته جامعة لإصلاح المجتمع بمحاربة الجهل والفقر والمرض بالتخطيط والتشريع والكتابة، كما هاجم الإقطاع والبيروقراطية وربط بين الدين والضمان الاجتماعي، ورأى أن الفقر سبب للاستجداء والاستخذاء والجريمة والرذيلة.

الزيات مكرما

■ لقي الزيات تقدير المجامع والهيئات العربية، فاختير عضوا في المجامع اللغوية في: القاهرة، ودمشق، وبغداد.

■ وفي مصر كرمته الدولة بمنحه جائزتها في الأدب عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م عن كتابه «وحي الرسالة» (مقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلة الرسالة)، ثم كرمته مرة أخرى عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ومنحته جائزتها التقديرية في الأدب، كما اختارته عضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ لم يكن لمثل هذا السابح في بحار الأدب إلا أن تستقطب «الوعي الإسلامي» مداد قلمه لتروي به ظمأ قرّائها، فكتب لها الزيات مقالين، هما: «الإسلام والمبادئ المثالية» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ/يونيو ١٩٦٥م)، والثاني «من تراثنا الأدبي» (العدد ١٤٤، ذو الحجة ١٣٩٦هـ/ديسمبر ١٩٧٦م).

وفاته

■ توفي الزيات في القاهرة صباح الأربعاء ١٦ من ربيع الأول ١٣٨٨هـ/١٢ من مايو ١٩٦٨م عن ٨٣ سنة، وحمل إلى قريته فدفن فيها.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٢ و١٤٤.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤ – شبكة الألوكة.
٥ – موقع أدب.



إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

تأديب الأولاد

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «كم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه؛ ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء».

(انظر: تحفة المودود، ص:٢٤٢)

نور الإيمان

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: «فمن نور الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه، فإن وسوس له عدو بالرزق والمعايش، لم يضطرب قلبه ولم يتحير، لأنه قد عرف ربه معرفة أنه قريب، وأنه لا يغفل ولا ينسى، فكما خلقه محتاجا مضطرا، فإنه سيوصله إليه من حيث يريد الرب تبارك وتعالى، لا من حيث يريد العبد؛ فعامة أهل التوحيد قد أيقنوا بهذا، إيمانا به، وقبولا له، ولم يستقر ذلك الإيمان في قلوبهم حتى إذا كان وقت الحاجة اضطربت قلوبهم وتحيرت، واشتغلت عن خالق الأشياء، ومالك الملوك، وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم، سكنت القلوب، واطمأنت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم».

(انظر: أدب النفس للحكيم الترمذي، ص:١٦)

أحمد بن حنبل

قال أبو عبيد رحمه الله: عن أحمد بن حنبل: «ما رأيت رجلا أعلم بالسنة منه».

(انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٩٦)

المجد الأسمى

قال العلامة الخضر حسين رحمه الله: «كل ساعة قابلة لأن تضع فيها حجرا يزداد به صرح مجدك ارتفاعا، ويقطع به قومك في السعادة باعا أو ذراعا؛ فإن كنت حريصا على أن يكون لك المجد الأسمى، ولقومك السعادة العظمى؛ فدع الراحة جانبا، واجعل بينك وبين اللهو حاجبا».

(انظر: الأعمال الكاملة ١/١٦٢)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

من دلائل رقة القلب

قال ابن القيم رحمه اللّه: «من دلائل رقة قلب المؤمن، أن يتوجع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر، حتى كأنه هو الذي عثر بها، ولا يشمت به».

(انظر: مدارج السالكين ١/٤٣٦)

حظي من أهل الزمان

قال عبدة بن أبي لبابة (ت/١٢٧هـ) رحمه اللّه: «لوددت أن حظي من أهل الزمان أنهم يسألوني عن شيء ولا أسألهم، إنهم يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم».

(انظر: السير للذهبي ٥/٢٣٠)

حسن السؤال

قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: «وقف أعرابي على باب عبدالملك بن مروان، فسلم، ثم قال: أي رحمك اللّه إنه مرت بنا سنون ثلاث، فأما إحداها فأكلت المواشي، وأما الثانية فأنضت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، فإن يك عندك مال اللّه فأعطه عباد اللّه، وإن يك لك فتصدق علينا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِى ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ (يوسف: ٨٨)؛ فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا، ما حرمنا أحدا».

(آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي، ص:٢٤١)

إن النبوغ صبر طويل

قال العلامة الرافعي رحمه اللّه: «سر خطوة خطوة إذا أردت أن تقطع الطريق إلى آخرها، واجعل شعارك هذه الكلمة: (إن النبوغ صبر طويل)».

(انظر: رسائل الرافعي، ص: ١٢٢).

رسول اللّه رأس الصالحين

سأل ابن نجيد أبا جعفر بن حمدان، فقال: «بأي نية أكتب الحديث؟ فقال: ألستم تروون أنه عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة؟ قال: نعم. قال: فرسول اللّه ﷺ رأس الصالحين».

(انظر: علوم الحديث لابن الصلاح، ص: ١٣٣)



إعداد: التحرير



معاناة الآباء في تربية الأبناء

يعاني كثير من الآباء والأمهات من المصاعب والمشاق التي يواجهونها في تربية الأبناء؛ نظرا لكثرة المشكلات التربوية والنفسية التي تصدر من الأبناء من كثرة صراخ وعناد وشجار وفرط نشاط وإتلاف الأشياء، وطول السهر ليلا، وكثرة المكوث أمام التلفاز والأجهزة الإلكترونية، وعدم الرغبة في المذاكرة والقراءة، والرغبة الجامحة في اللعب المتواصل، والغياب عن المدرسة، وكثرة متطلبات الأبناء وتمرد وعنف، والتي يقف كثير من الآباء خاصة كبار السن منهم عاجزين عن علاجها بسهولة.

فإلى كل من يعاني من الآباء في تربية الأبناء ننصحه بأن الأمر بتوفيق الله سهل يسير، وهو يستوجب من الآباء عدة أمور أبرزها: معرفة أسس التربية السليمة للأبناء، ومعرفة خصائص النمو لهم، وتفهم حاجاتهم المادية والنفسية المرتبطة بنموهم؛ فهناك أمور تصدر من الأبناء يظن الآباء أنها خطأ، وهي في حقيقة الأمر أمر طبيعي مثل إتلاف الأطفال للأشياء التي يستكشفون خصائصها، لذا على الآباء البعد عن القسوة والعنف في علاج مشكلات الأبناء.

وعلى الآباء تثقيف أنفسهم حول كيفية تربية الأبناء تربية سليمة، والاستضاءة والاستفادة من آراء ذوي الخبرة في التربية.

وعلى الآباء التصرف بتؤدة وهدوء في المواقف المختلفة أمام الأبناء، والصبر والحكمة في علاج مشكلات الأبناء، والدعاء لهم بصلاح حالهم.

• محمد عباس محمد عرابي



خلق الإنسان

جسم الإنسان هو الشكل المادي للوجود الإنساني، وصحته واستواؤه شرط للحياة السليمة بما فيه من أدوات ووظائف؛ بدءا بمستوى المهارة ووصولا لمستوى اللهو والترويح، مرورا بوظائف العمل والإنتاج والدفاع والأمان.

ولقد جاء في القرآن الكريم ذكره لمادة (جسم الإنسان) في أكثر من آية كريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ (الانفطار:٧-٦)، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:٤)، وفي هذا إشارة واضحة بأن الله تعالى قد خلق الإنسان في أفضل سورة وأحسن حال، وفي اللغة قوَّم الشيء تقويما فهو قويم أي مستقيم، والآية الكريمة تشير إلى استواء جسم الإنسان واستقامته.

والوسطية مبدأ إسلامي هام قائم على التوازن والاعتدال وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال، قال رسول الله ﷺ: «يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل، قلت بلى يا رسول الله، قال فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لربك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزوارك عليك حقا»: (رواه البخاري).

• عبدالله بكر

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







تنفس الوقت.. قوة دافعة للإنجاز

من الضروري فهم الزمن من خلال الأجزاء المكونة له، لأن الحياة الإنسانية لها وقائعها المنتظمة، وتقاس بالأحداث التي تقع فيه وبما يقدمه الإنسان وينتجه طوال حياته. والقيمة الفعلية للوقت وإدارته تفوق فكرة زيادة الربح المادي والإنتاج، فهي أكثر سموا في الإسلام، كونها ترتبط بالجودة والإتقان «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»؛ والإتقان لا يتأتى إلا من خلال التأمل الشديد وأخذ الوقت اللازم.

هذا التأني في الوقت والتنفس بعمق من خلاله، نجده بجلاء في الحكمة الإلهية بإلهام الأنبياء برعي الغنم قبل النبوة، يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم. فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»، وهو ما أكسبهم الصبر والتمرن وأحدث ثورة ذا قيمة مكنتهم من قدرات غيرت جذريا طريقة نظرتهم للأمور. فالعبرة من ذلك أن يدرك المرء طريقة يتنفس بها الوقت لتمنحه القوة لإنجاز موسوم بالإتقان.

ولنا شواهد سجلها التاريخ عن ميزة التروي وتنفس الوقت، فتفرغ ابن خلدون مثلا لأربع سنوات معتزلا الناس أوصله لابتكار وصياغة فلسفة للتاريخ؛ هي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور مؤسسا بذلك علما قائما بذاته «علم الاجتماع». فهذه البصمة المتميزة أوجدتها عملية تنفس الوقت بأخذ ما يلزم منه بالبحث والتنقيب في العلوم الإنسانية. فلماذا لا نتبنى بدورنا وبأسلوب هندسي، وبطريقة تحليلية واستنباطية؛ طرق تنفس بها الوقت؟

• د. جميلة مرابط



السلامة

السلامة أولا عبارة تجدها منتشرة في المباني قيد الإنشاء وفي المصانع التي تعنى بسلامة مرافقها والعاملين فيها على حد سواء.

والسلامة من المكاره أمنية بشرية تحتل في فكر العقلاء أكبر مساحة، وتعني هذه السلامة كيفية تفادي المخاطر كليا أو بأقل الخسائر.

وكلما تقدمت الإنسانية اتسعت دائرة المخاطر التي تصيب الأفراد والمجتمعات والتي يمكن إجمالها فيما يلي: مخاطر تصيب الروح، وأخرى تصيب العقل، وثالثة تصيب البدن، ولعل أعمقها أثرا تلك التي تصيب الروح.

تصاب الروح بالجفاف فلا ترى إلا المادة، ومن ثم تتحول الحياة إلى لهاث مسعور لا يتوقف إلا بالاصطدام بمن هو أقوى وأشرس، وتأتيها المكاره فتعجز عن دفعها لأنها قطعت صلتها بالإله القوي القادر.

ويصاب العقل بالجفاف فيجمد على القديم وإن كان باطلا أو يجمح ليفكر في ذات الله أو يمر على آيات الله في النفس والكون دون أن يعتبر بما فيها.

أما المخاطر التي تصيب البدن؛ فأغلب الناس مشغولون بتجنبها لتعلقهم بالدنيا ومنهم من يتذرع بالقضاء والقدر فلا يتوخى الحذر في مأكله ومشربه وأسلوبه في الحياة.

والسلامة كل السلامة في الحذر من الإعراض عن ذكر الله عزوجل؛ تلاوة وتدبرا وعملا، فذكر الله دواء للروح وتسديد لخطى العقل. وإذا سلمت الأرواح والعقول وصدقت العزائم، سلمت الأبدان وسعد الإنسان.

• د. محمد عطية متولي

مِسكُ الختام

العدل
الذي هو فوق العقول

قضى سبحانه العادل الرحيم بأن يفطر الإنسان فطرة الإسلام والإيمان به والإذعان لربوبيته.

قال ربنا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢)، وفيها أن ربنا فطر كل الخلق على التوحيد والإقرار له بالربوبية.. غشى ربنا البشر جميعا بهذا التوحيد والإقرار وما حرم أحدا منه أبدا..

ولكن ما إن عرضت على ابن آدم الشهوات ودروب وطرقات إبليس العدو المبين، عرج فيها نازعا عنه هذا الغشاء الآمن الذي تلقاه من ربه في واقعة الإشهاد الجبارة التي جمع فيها جميع الخلق بكافة أطواره وأجياله في مكان واحد، كاجتماع يوم الحساب تماما فإنه أشبه بجمع كامل، تلقى فيه الجمع التعليمات، ثم انفضوا، ثم جمعوا للحساب والعتاب، وقد سبق إليهم التنبيه ووالاه بالنذر كلما غفلوا وزاغوا.

ونعرج سويا إلى حقائق لابد من ترسيخها في العقل المؤمن وسط هذا الضباب، لأن الزيف لحقها، فهناك زاعم غافل ينكر واقعة الإشهاد كما زعم وغفل عن واقعة عرض الأمانة من رب العزة وقبول الأمانة والقول الراسخ التام، أن إخبار الرب أصدق من رؤية العيون وإدراك كافة الحواس، بل إن ربنا أرانا شبيها على ذاك، فهل يذكر ذاكر كيف كانت حياته في بطن أمه؟ بالطبع لا، ولكن لا ينكرها أبدا، ويقسم على ذلك أنه مكث في بطن أمه. هذا لطف من الخالق العظيم وتبيان لكل ذي فكر ذاهب في غياهب الشك والتردد.

والشيء المهم الآخر هو ورود براهين ربنا لكل الخلق، وكلٌ على حدة، فإن الإنسان له عقل ومقدرة خاصة لا يعلمها إلا الله، به طباع ونزعات ومقدرة وأحوال شتى، وكلٌ لا يعلمه عنه إلا الله، ويقينا قد وصله برهان ربه كاملا تاما غير منقوص، استنادا على القاعدة الراسخة، وهي أن الله عادل حكيم ولا يظلم ربك أحدا، ولكن كل امرئ قد وصله بيانه هو وحده، ولن ينكره أمام الله العليم، فإنه لا يوجد دليل أو برهان على شيء أتم وأكمل من برهان ربنا على العباد، فلن يحاجج أحد ربه في نقص البيان أبدا.. يقول ربنا العظيم عن أهل النار أعاذنا الله منها: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾(الزخرف:٧٦-٧٨).

وقوله عزوجل: ﴿أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾(الزخرف:٧٨) أي هو واضح بيّن لكم وأنتم رفضتموه وكرهتموه، وهذا إثبات وصول البيان الحق، ولم يقل (تجهلون) أو (لا تعلمون)، لأنه ينبغي ألا يوجد عذاب بجهل وعدم علم أو نقص بيان وحجة، بل قال (كارهون) فالبيان واضح جلي من الله، ولكنكم أنتم ذهبتم سكارى في لفحة الهوى والشيطان فسبحان ربنا رب العالمين.

مصطفى رمضان نصار
كاتب - مصر




www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

alwaeiq8@gmail.com

مواضيع حيوية ومعاصرة

حوارات حصرية مع الشباب المبدعين

مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية

إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير: فهد الخزِّي

Shabab alwaei

@alwaeialshababy

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami
العدد (٦٤٦) جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ - فبراير - ٢٠١٩ م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان



- أميرُ الإنسانيَّة تاريخٌ حافلٌ بالعطاءِ
- التَّجديدُ وتربيةُ الجيل

صباح الخير ... يا كويت

عماد صقر

مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

الأوقافُ الطِّبيّةَ وآثارُهَا التّنمِويّةُ والمجتمِعيّةُ

المُقدّمةُ

إنّ للأوقاف شأنًا كبيرًا في حياة المسلمين، فبسبب توجيه النبي ﷺ إلى هذا النظام سارع الصحابة رضي الله عنهم إليه، ثم تسابقت الأمة إلى هذا الخير عبر العصور، فتنوع الوقف وتعددت أشكاله، حتى شمل كلّ الجوانب المهمة في حياة المسلمين، ومن ذلك الوقف الطبي، الذي قَدّم للناس خدمات جليلة مهمة. ومنذ انحسار الأوقاف؛ بسبب عوامل داخلية وأخرى خارجية، قلّ الاهتمام بالأوقاف الطبية، وهذا البحث محاولة متواضعة لإعادة الاهتمام بها.

مُشكِلَةُ البَحْثِ

١. قلة الأوقاف الطبية في عصرنا
٢. جهل الكثيرين بأنواع الأوقاف الطبية التي كانت في العصور الإسلامية
٣. جهل الكثيرين بما قدمت الأوقاف الطبية من خدمات جليلة
٤. عدم إدراك ما يمكن أن تقدمه الأوقاف الطبية في عصرنا

أَهْدَافُ البَحْثِ

١. التعريف بالأوقاف الطبية عبر التاريخ الإسلامي.
٢. بيان الآثار المجتمعية والتنموية التي حققتها الأوقاف الطبية.
٣. استشراف الآثار التنموية التي يمكن أن تحققها الأوقاف الطبية في عصرنا.
٤. تشجيع إيجاد الأوقاف الطبية في عصرنا.

النَّتَائجُ

١. إن الوقف الطبي أحد أهم منظومات الوقف الإسلامي.
٢. تنوعت أشكال الوقف الطبي.
٣. للوقف الطبي آثاره المجتمعية والتنموية البارزة.
٤. الآفاق المجتمعية والتنموية للوقف الطبي متعددة ومهمة.

التَّوْصِيَاتُ

١. تعرية العوامل التي أثرت على الوقف الطبي وعملت على إخماده، وتقديم الحلول المناسبة لمواجهتها.
٢. العمل على إعادة الوقف الطبي إلى دوره الريادي المطلوب كما كان سابقًا.
٣. إيجاد إستراتيجيات حديثة لتحفيز الوقف الطبي.
٤. إنشاء وقف طبي متكامل يقوم بكل الأعمال الطبية إنتاجًا واستهلاكًا وتوزيعًا.

أَهَمُّ المَصَادِرِ

١. أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الأول (التزام شرعي.. وحلول متجددة). بحوث ومناقشات المنتدى الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الكويت ١١-١٣ أكتوبر ٢٠٠٣م، ط١/١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢. أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني (تحديات عصرية واجتهادات شرعية)، الأبحاث العلمية والمناقشات للمنتدى الثاني الذي نظمته الأمانة العامة للأوقاف بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الكويت ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٣. ثبت المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية (الوقف الإسلامي «اقتصاد، وإدارة، وبناء حضارة»)، الجامعة الإسلامية ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٤. قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية للدكتور راغب السرجاني، ط ١/ ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥. ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في الفترة من ١٢-١٤/١/١٤٢٣ هـ.

المبحثُ الأوّلُ
بيانٌ بالأوقافِ الطّبيّةِ المتنوعةِ عبرَ التّاريخِ الإسلاميّ

وقف المستشفيات العلاجية
- المارستان الكبير بمصر: أنشأه الملك المنصور قلاوون
- المارستان العضدي في العراق: أنشأه عضد الدولة
- المارستان النوري بدمشق: بناه الملك نور الدين زنكي
- المارستان العتيق بمصر: أنشأه الملك أحمد بن طولون

وقف المصحات النفسية
- جناح مستقل في المستشفيات
- صيدلية أحمد بن طولون التي جعلها في مسجده

وقف الصيدليات
- كل مستشفى كانت تحوي صيدلية
- صيدلية أحمد بن طولون التي جعلها في مسجده

وقف المدارس الطبية
- كل مستشفى عبارة عن مدرسة
- مدرسة مهذب الدين الدخوار

وقف المكتبات الطبية
- مكتبة المارستان النوري بدمشق
- مكتبة المارستان العتيق بمصر

وقف المحاجر الطبية
- مستشفى في زقاق القناديل بمصر
- مستشفى في إفريقيا

المبحثُ الثّاني
الآثارُ المجتمِعيّةُ والتّنمِويّةُ للأوقافِ الطّبيّةِ

١ الآثار المجتمعية والتنموية لوقف المستشفيات:
- توفير الرعاية الصحية للمسلمين.
- توفير الرعاية الصحية لأصحاب الحالات الخاصة.
- عضدت مهنة الطب والتمريض.
- أدت وفرة المستشفيات إلى وجود التخصص الطبي.
- حصول الوفرة في الأطباء.
- تقليل انتشار الأمراض، وتوفير البيئة الصحية.
- توفير الطعام، كل بحسب ما وصف له.
- وصول الرعاية الصحية إلى المنازل.

٢ الآثار المجتمعية والتنموية لوقف الصيدليات:
- توفير الأدوية للمحتاجين إليها.
- مواكبة المستشفيات في توفير الرعاية الصحية.
- تعزيز مهنة الطب والتمريض.
- تطوير علم صناعة الدواء.
- تطوير صناعة الكيمياء.

٣ الآثار المجتمعية والتنموية للمدارس والمكتبات الطبية:
- تخريج الأطباء المسلمين.
- تهيئة الكوادر الطبية.
- عضدت مهنة الطب والتمريض.
- تعليم غير المسلمين للطب.
- النهوض بعلم الطب.
- إنشاء كليات الطب.
- تمويل المؤلفات.
- تمويل الدراسات البحثية.

المبحثُ الثّالثُ
الآفاقُ التّنمِويّةُ للأوقافِ الطّبيّةِ

- إنشاء المستشفيات العامة، والمستشفيات التعليمية.
- إنشاء مستشفيات خاصة للأمراض المستعصية.
- إقامة مصانع أدوية في البلدان الإسلامية.
- إنشاء الصيدليات وتزويدها بالأدوية اللازمة.
- إنشاء مختبرات لتطوير البحث الطبي.
- إنشاء مراكز الإسعاف ووقف سيارات لها.
- توفير الأدوية خاصة للأمراض المزمنة.
- وقف الأجهزة الطبية التي تحتاجها المستشفيات.
- الإسهام في تكاليف علاج الحالات المستعصية.
- تقديم المنح الدراسية في المجال الطبي.
- تمويل البحوث الطبية للحد من الأمراض الفتاكة.
- البديل الناجح لمشكلة تأمين الرعاية الصحية.
- الشعور بالأمن الصحي لدى أفراد المجتمع.

إعداد: أ. د. إسماعيل غازي مرحبا
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

معلقات مجلة الوعي الإسلامي، (٣٧)
هدية العدد رقم: (٦٤٥) ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
الكويت - المسجد الكبير - ص ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - بدالة: ١٨٤٤٠٤٤ - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ (٩٦٥ +) - فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥ +)
مجلة الوعي الإسلامي alwaei_alislami alwaeiq8@gmail.com www.alwaei.gov.kw
تصميم وإخراج: حازم صبري

مُعلَّقةٌ ضِمنَ سِلْسلة مُعلَّقات مجلَّةُ الوعي الإسلامي، اعتنت بجانب مُهمٍّ من جوانب الوقف الإسلامي العَريق، وهو: (الوقف الطِّبي)، وركَّز الأستاذ الدكتور إسماعيل غاري مرحبا، فيها على بيان الأوقاف عبر التَّاريخ الإسلامي، وآثارها المجتمعيَّة، وآفاقها التَّنمويَّة؛ لتشكِّل لَبِنةً جديدة ضمن سلسلة معلَّقات مجلَّة الوعي الإسلامي.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

نعم متجددة وعطايا متتابعة

لقد أسبغ الله -سبحانه وتعالى- على الإنسان نعمه المتجددة وعطاياه المتتابعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠). وإن من هذه النعم التي امتن الله بها على الكويت؛ نعمة تحرير البلاد والعباد من براثن غزو غاشم خرب وقتل وشرد، وعبث بالممتلكات والخيرات، هذه الخيرات التي يتقاسمها أهل هذا البلد المسلم المسالم مع كثير من إخوانهم في شتى أرجاء المعمورة.

وفي ظل تكاتف جميع أطياف المجتمع الكويتي الذين أحبوا قيادتهم؛ من الله علينا بالحفاظ على كرامتنا وأرضنا، وسخر لنا أشقاءنا وأصدقاءنا من مختلف دول العالم؛ فطردنا المعتدين، ونعمنا بالوطن بعد التغرب والتشرد، وبالكرامة بعد القهر، وبالأمن بعد الخوف، فما أعظمها من نعمة، وما أجلها من أعطية ما كانت لتتحقق لولا توفيق الله وفضله ومنه!

إن ما من الله به على هذه البلاد من النعم والعطايا يستوجب منا كمال الشكر للمنعم جل جلاله، فشكره هو الطريق الأمثل للمحافظة على هذه النعم واستمرارها وزيادتها؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧).

أما كفر النعم -والعياذ بالله- فإنه يحولها إلى نقم، وكثرة المعاصي تحولها إلى بلايا؛ قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «المعاصي نار النعم، تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياذا بالله من زوال نعمته وتحويل عافيته» (انظر: طريق الهجرتين ١/ ٢٧١).

ولا ريب أن من أبرز النتائج الطيبة لأمن هذه البلاد واستقرارها استمرار الأعمال المخلصة في مجالات البر والإحسان، وذلك من خلال المؤسسات الحكومية واللجان الخيرية، فتتم -بحمد الله وتوفيقه- مساعدة إخواننا من الفقراء والمساكين، وكفالة الأرامل والأيتام، وإغاثة المنكوبين في كل مكان، وإنها لمنة عظيمة أن يسخرنا الله لمساعدة إخواننا وتقديم العون لهم؛ فله -سبحانه وتعالى- الحمد والفضل.

إن هذا البلد المسالم المعطاء يستحق منا أن نقدم له انتماء صادقا، ومواطنة صالحة بمطابقة القول للعمل من خلال الحفاظ على عقيدته وهويته الإسلامية، وبث الخير في نفوس أبنائه والمقيمين على أرضه، وتحقيق قيم العدالة والكرامة والتنمية، ومحاربة الفساد وأهله، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ونبذ الفرقة والوقوف في وجه الفتن التي تؤدي إلى التنازع والتنافر؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)، وقال نبينا ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي).

وختاما: فإنه يجب على كل مسلم الشعور بمسؤوليته تجاه بلده والأرض التي يعيش على ترابها، وتقديم النصح بما يُقوّم الأخطاء، ويصلح الخلل، ولا يثير الفتن، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، قال نبينا ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).

كما ينبغي على كل من أراد أن يرفع شأن مجتمعه وأمته الارتقاء بالعلم وجودته في جميع مراحله، فهو الأساس الذي تقوم به الدول وتنهض به الأمم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٦ / جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
فبراير ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر
هدايت الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



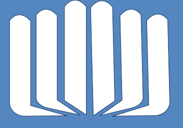
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهام • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمــة العــدد

دولة القدوة تطعم المليارات

من أبرز ما تتميز به دولة الكويت يد العطاء الممتدة إلى العالم بالخير.

رجالات الكويت، وعلى رأسهم سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد تركوا - وما زالوا يتركون بصمات في سجل الإنسانية لا يستطيع كائن محوها. ولعل من أحدثها توجه الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية لتنفيذ حملة تحت عنوان «مليار وجبة لإطعام الجائعين» حول العالم، حتى أصبحت الكويت الدولة القدوة في هذا المجال الإنساني النبيل.

ولعل في تفاعلات الحملة خير دليل، فما إن أعلن مدير الهيئة بدر السميط عن الفعالية، ثم قام بتدشين جدارية لجمع توقيعات المؤيدين والمساهمين فيها في حديقة الشهيد، حتى صرح رئيس مجلس إدارة الهيئة الدكتور عبدالله المعتوق بتأمين تكلفة مليار وجبة، وأصبح التوجه الآن هو لتأمين تكلفة مليار وجبة أخرى! فماذا يعني هذا غير تسابق إلى فعل الخير غير مسبوق.

نسأل الله أن يتقبله ويعيد علينا أيام الكويت الوطنية والخير يعم البلاد والعباد داخلها وخارجها.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

قضايا



إحسان عبدالعزيز الدبش
باحث دراسات إسلامية
سورية

معرفة الغاية من الخلق

سؤال يتبادر إلى ذهن كل إنسان على وجه الأرض وهو: لماذا خلقنا الله عز وجل؟ لم يترك رب العالمين سبحانه وتعالى الإنسان في حيرة من أمره، في أمر جوهري يتعلق بوجوده على الأرض.
من أهم الأسئلة التي تخطر على بال أي إنسان: «من أين أتى جدنا الأول وجدتنا الأولى؟»، و«ما مهمتنا في هذه الحياة ؟»، و«إلى أين سيكون مصيرنا؟»

لقد تناول الإجابة عن هذه الأسئلة فلاسفة، ومفكرون، قديما، وحديثا، لكنهم لم يتفقوا على جواب شافٍ، يُشعر الإنسان بالاقتناع والراحة النفسية، ولن نتطرق لأقوالهم، فهذا أمر يطول بحثه.

لكن الله عزوجل برسالته إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، منذ أن نزل آدم إلى الأرض حتى الرسول محمد ﷺ قد أجاب عن هذه الأسئلة بكل صراحة ووضوح، إن هذه الأجوبة إعلام رباني واضح، إلا أن معرفتها وتذكرها بشكل مستمر يفيدان الإنسان المؤمن في تجديد علاقته مع ربه جل جلاله، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع الناس، وتبين له مهمته على هذه الأرض، وعن الهدف من خلق الإنسان، يبين لنا الله عزوجل في القرآن الكريم ثلاثة أهداف:

الأول: عبادة الله جل جلاله.

الثاني: الابتلاء.

الثالث: عمارة الأرض.

قد يوسوس الشيطان في النفس الأمارة بالسوء من جدوى هذه الأمور الثلاثة، ولكن عندما يتبين أهمية هذه الأمور الثلاثة فلا مجال

للشك حولها.

الأمر الأول: عبادة الله وحده لا شريك له

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، عندما يعترف الإنسان بأن له خالقًا، وأن الخالق هو الله وحده لا شريك له، فهو إذن عبد لخالقه وليس لغيره، فعليه إذن أن يتلقى التعليمات في تفسير وجوده، وفي تنظيم شؤون حياته من هذا الإله الذي خلقه. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، فالله عزوجل أعلم بعباده منهم، ومن غيرهم من مخلوقاته التي يتبعونها والتي قد يعبدونها.

كون الإنسان تبع لربه الذي خلقه، ثم يميته، وهو الذي يرزقه، وهو الذي يمن عليه بنعمه كلها، كما قال إبراهيم عليه السلام عن ربه جل جلاله، والذي كان يُعمل تفكيره في آيات ربه، قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (الشعراء:٧٨-٨٣).

وإذا نظرنا في بقية مخلوقات الله عزوجل في هذا الوجود من أكبر نجم في السماء إلى أصغر كائن حي على الأرض؛ فإن الهدي الرباني يقول لنا إن كل مخلوقات الله تسبح بحمده؛ لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء:٤٤)

والتسبيح بحد ذاته عبادة؛ لأنه تنزيه لله عزوجل عما لا يليق به.

فعندما يعتقد المؤمن أن الله خلقه؛ فهو تبع له وحده في وجوده وليس لغيره، فعليه أن يطيعه ويتبع أوامره؛ لأن معنى العبادة: الخضوع والانقياد، وأصل كلمة «عبد»: أطاع، و«الإله»: هو المعبود، فلو أطاع الإنسان نفسه الأمّارة بالسوء، أي: هواه؛ فقد عبد هواه، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان:٤٣)، فالعلاقة مع الله لكل مخلوقاته أنهم عباد له، فكلهم عليهم أن يعبدوه.

ويظن بعض الناس أن العبادة فقط هي الشعائر التعبدية وحسب، وأهمها دعاء الله وحده لا شريك له، ثم بقية العبادات من صلاة، وصوم، وحج، لكن مفهوم العبادة أشمل من ذلك بكثير، فهو يتضمن تنفيذ كل ما شرعه الله عزوجل لتنظيم حياة الإنسان في جميع المجالات المتعلقة بسلامة الفرد، والأسرة، والمجتمع، والتي يطلق عليها اسم «الشرائع» وما يجب على الإنسان أن يتحلى به من صفات تربوية، وأخلاقية في سلوكه مع ما يحيط به.

كما يقتضي مفهوم العبادة طاعة رسوله ﷺ، واتباع سنته، لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢).

فالعبادة تشمل اتباع كل ما أمر به الله، وترك كل ما نهى عنه.

الأمر الثاني: أن الله عزوجل خلقنا ليبتلينا

ويقال للابتلاء أيضا: الفتنة، أو الاختبار.

ففي سور عديدة في القرآن الكريم يذكر ربنا تبارك وتعالى أنه خلق الإنسان -بالإضافة لعبادته- ليبتليه، وهذا الهدف كثيرا ما تغيّب عن أذهان الناس. فمن ذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك:٢)، وقوله تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان:٢)، وقوله تعالى:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت:٢)، وغيرها من الآيات والأحاديث النبوية الواردة عن الابتلاء، أو الفتنة، منها قوله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر؛ فكان خيرا له» (رواه مسلم).

للوهلة الأولى قد يستغرب الإنسان ذلك، لكن من يتمعن في واقع الحياة الإنسانية يجد أن هذا هو الحق؛ لأن الابتلاء واقع لكل الناس لا محالة، والمؤمن الذي يستوعب ما

أمره الله تعالى ويطبقه هو الفائز.
فإن الناس يصيبهم من عدم السرور والضيق والأذى، بطبيعة مجريات الحياة، أو بسبب ذنوبهم، وأنواع الابتلاء كثيرة إما بسبب مرض أو فقد عزيز، أو خسارة مالية، أو رسوب في امتحان، أو الهجرة من بلده، أو جروح يصاب بها في حرب مع عدو، أو تعرضه لأذى لفظي أو جسمي، هذا النوع من الابتلاء هو من نوع «ابتلاء الشر».
كما أن نوعًا آخر من الابتلاء يصيبه وهو «ابتلاء الخير» بما ينعم الله على الإنسان من نعم لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ من الصحة، ووفرة الرزق، وسلامة الأهل، والنجاح، والأمن في بلده، وغيرها من النعم التي قال عنها ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (النحل:١٨)
وقال تعالى مبيّنا أن الخير ابتلاء أيضا:
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥)، وقال مخبرا عن نبيّه:
﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ (النمل:٤٠)، وردت في قول سليمان عليه السلام لمّا أنعم الله عليه بحضور عرش بلقيس بين يديه في أقل من طرفة عين.
فالابتلاء ليس فقط فيما هو شر، بل بما هو خير أيضا.
هذا البيان الرباني عن الابتلاء يعرّفنا فيه عن مجريات الحياة التي يمر بها كل فرد من بني آدم، وأنه سيتعرض لأمور من الخير، ولأمور من الشر، وهذا فيه تهيئة نفسية للإنسان لمجابهة مصاعب الحياة بشكل معتدل وسليم، فلا هو يصيبه الغرور بابتلاء النعم، فيزعم أن النعم من نفسه، وينسى المنعم الحقيقي، وليحسن التعامل مع هذه النعم بمختلف أنواعها، ولا يصيبه القنوط واليأس بابتلاء الشر، فيفسق أو يكفر. فإن ابتلي بالنعم شكر، وإن ابتلي بالشر صبر، كما يحافظ على صحته النفسية بشكل جيد فلا يصيبه القنوط واليأس.
كما أنه في تعامل الإنسان مع الابتلاء بشكل صحيح يحقق العبودية الحقة لله عزوجل، هذا التعامل السوي يحقق له الفائدة في الدنيا والآخرة. فلا يضجر وينهار في ابتلاء الشر، ولا يصيبه العجب والغرور والبطر في ابتلاء الخير، فتُحسب عليه سيئات. بينما إن صبر وشكر يعيش مرتاح النفس والضمير، وتُكتب له الحسنات.

الأمر الثالث: إعمار الأرض

من مقتضيات وجود الإنسان على الأرض لتأمين حاجياته أن سخر الله عزوجل له ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)
ومن نتائج التسخير؛ الإعمار، قال سبحانه وتعالى ذاكرًا نعمه على قوم ثمود عندما خاطبهم نبيهم صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ (هود:٦١).
ورد في تفسير قوله: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ «أي جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها» (ابن كثير: ٤/٣٣١)، وينقل الألوسي عن زيد بن أسلم قوله: «المعنى أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وحفر آبار وغرس أشجار وغير ذلك». وأغلب التفاسير تدور حول هذا المعنى، ويؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها» (رواه أحمد)، والفسيلة: هي النخلة الصغيرة.
وعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: «سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدا، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها، فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي».
(السلسلة الصحيحة للألباني)
فالإسلام دين التوازن في كل شيء، فمنهجه ليس ماديا، بحيث يكون كل هم الإنسان متاع الحياة الدنيا فقط، ولا إهمال الدنيا كما فعل من ادعى الزهد، كالرهبانية فأهمل الدنيا وإعمارها. لذا قال سبحانه وتعالى مثبتا مبدأ التوازن هذا:
﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).



د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي
الجزائر

وحدة الأمة الفكرية والتحديات المعاصرة

تعتبر وحدة الأمة من أصول مقاصد الإسلام المقررة الثابتة الراسخة. فهي من أهم أسس ومرتكزات الأمة في المنظور الإسلامي، فهي تمثل مظاهر وأمارات القوة والمنعة والعزة في كيانها. ومما لا ريب فيه أن المتأمل في تاريخ المسلمين، يلاحظ أن قضية الوحدة والتكامل والتماسك قد مرت بمراحل متعددة، ولم تكن البتة على مستوى بياني واحد. فقد ظلت في صعود وهبوط، وفي مد وجزر، حسب الظروف المحلية والخارجية التي مرت بها الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية.

ففي مراحل الازدهار الأولى كانت الأمة الإسلامية تعيش حالة حضارية نادرة ونموذجية أيضا، حيث انصهرت في كيانها شعوب وأعراق كثيرة؛ وبالرغم من التمايز والتباين الذي كان يبدو على الصعيد القومي واللغوي والعرقي، إلا أن المدارس الاجتهادية المتنوعة التي ظهرت في أرجاء الأمة الإسلامية، ظلت تنعم بمشاعر الوحدة والتآلف والتقدير المتبادل، نظرا لاستقائها من منابع واحدة والتزامها بضوابط وآليات متفق عليها. وقد كانت الأنظمة السائدة في الأمة سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الآداب الأخلاقية منضبطة بإطار الاعتصام بقيم الأمة الواحدة.

بيد أن ظروفا كثيرة بعضها يعود إلى العوامل الداخلية، وبعضها الآخر يعود إلى العوامل الخارجية، أفضت إلى أوضاع لم تعرفها الأمة في عصور ازدهارها، حيث ظهرت الدولة القومية الحديثة في الغرب، ثم تم فرض نسقها وأنموذجها على الأمة الإسلامية بعد ارتطامها بحركة الاستعمار الغربي وخضوعها القسري للأحكام والمقررات التي فرضها فرضا قهريا. لكن الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر بشتى مكوناته وتوجهاته استشعر خطر التقسيم والتجزئة والإزرام عن الثوابت والأصول، وذلك منذ سقوط الخلافة العثمانية، التي كانت بالرغم من ضعفها ورمزيتها، توفر مظلة وإطارا رمزيا لوحدة الأمة. وكان هذا الإطار يحفظ على الأمة بعض عناصر القوة والهيبة على الصعيد الدولي.

وحدة الأمة في الخطاب الإسلامي

أما بالنسبة لمسوغات أو مبررات مركزية المكانة أو المنزلة التي تحظى بها قضية وحدة الأمة في الخطاب الإسلامي والفكر الإسلامي على إطلاقه، فمن البداهة القول إنها تنبثق من مرجعية الإسلام نفسه ومن معين ثوابته المكينة الراسخة، وفي مقدمتها العقيدة الإسلامية والقيم والخصائص العامة لهوية المذهبية الإسلامية بكل مكوناتها ومقاصدها.

ويمكن لنا أن نثبت هنا -من منظورنا الخاص- أبرز العوامل التي تشكل وتعضد خلفية أهمية وحدة الأمة في الخطاب الإسلامي، وهي تتمثل فيما يلي:

١- مبدأ وحدة الأمة بذرة مباركة طيبة لمشروع إنساني عام يهدف إلى ربط الإنسان المسلم بسنن وضوابط قوامها الحرية واحترام الحقوق المتبادلة وطبيعة الواقع وأعرافه ونواميسه. كما أنه مشروع يراعي ضوابط ومقاصد الشريعة ومقومات سعادة المجتمعات. لذلك فهو ضرورة مؤكدة، وحاجة ملحة في آن واحد.

٢- الأوضاع العامة في الأمة الإسلامية، وكذلك ازدواجية الشخصية على المستوى الفردي للإنسان المسلم، تدل على وقوع ما يشبه حالة من حالات الانفصام والتباعد الفظيع بين المقومات العقدية والفكرية، وبين السلوك والواقع والمعاملة في حياة الأفراد وأيضا في شبكة العلاقات الاجتماعية للأمة في سياقها الواسع.

٣- إحساس الأمة المسلمة بضرورة اللقاء والتناصر والتعاون.. هو إحساس منطقي وواقعي أيضا، لأنه منبثق من أصول معتقداتها ومن مرجعيتها الأولى.. ناهيك عن إدراكها على صعيد الواقع الماثل لمخاطر التفرق والتشرذم الذي أضر بها ضررا فادحا، في عالم لم يعد يعير أي اهتمام للضعفاء ناهيك عن المتخاصمين.

٤- الأمة الإسلامية خلال هذه الانعطافة التاريخية الحساسة، يتعين عليها أن تبادر إلى تصحيح أوضاعها العامة، وأن تدرك عناصر القوة الحقيقية في كيانها، كما يجب أن يكون لها تشخيص صحيح للأسباب التي كانت وراء الواقع السيئ الذي تعيشه، والأهم من ذلك أن تضبط منهجية عمل، من أجل تفعيل عناصر القوة الكامنة في مرجعيتها وفي موروثها العقدي والثقافي، بغية تجاوز وتخطي الواقع السيئ المنظور أو القائم بالفعل، مع السعي الحثيث للقضاء على كل عوامل الضعف والوهن والتراجع الأخلاقي والعلمي والحضاري.

٥- الخطاب الوحدوي في الفكر الإسلامي المعاصر، مشروع حضاري يستند إلى كليات حقائق الوحي ومسلمات الدين والشريعة والسلوك الإسلامي الأقوم.. كما أنه يروم ويتطلع إلى دحض كل ألوان وأوجه التناقضات والسلبيات التي تنخر كيان هذه الأمة، مثل المنازع الطائفية والفئوية والحزبية الضيقة، لأنه انبثاق من جوهر الرسالة والنبوة. فهو في أصله تفكير يهدف إلى تجسيد وحدة الغاية ووحدة المضمون المنبثقين من وحدة النص.

٦- فكرية وحدة الأمة في المنهج الإسلامي تستهدف إعزاز الأمة الإسلامية وإحياء دورها الحضاري الريادي بوصفها أمة شاهدة وأمينة على حقائق ومضامين الوحي كما

تناهى إلى الرسالة الخاتمة. ومن ثم فإن الإطار الجامع الذي تمثله هذه الأسس في حده الأدنى، إنما يؤمن أرضية للقواسم المشتركة بين جميع المسلمين.. فالأسس والمقومات الجامعة من شأنها تقريب أفراد الأمة وتياراتها الفكرية والمذهبية، فضلا عن كونها تمثل جوهر هوية الأمة وفكريتها وأهم القسمات التي تميزها عن غيرها من أمم المعمورة.

٧- المشروع الوحدوي الإسلامي هو مشروع حضاري في المقام الأول. فهو يقدم الإنسان المسلم بوصفه إنسانا مصلحا فاعلا في الواقع وصانعا للحضارة.

٨- للوحدة الإسلامية وفقه التآلف والتقارب مستويات ومفاهيم كثيرة، الأمر الذي قد يتيح أن تكون -في مجال البحوث والدراسات- بابا متخصصا وقائما بذاته في الفكر الإسلامي المعاصر وبحوث التغيرات والصيرورات الاجتماعية.

٩- الخطاب الإسلامي المعاصر في الأغلب الأعم من توجهاته، يعول في استعادة قيم الوحدة الإسلامية وبلورة أطروحتها على الجماهير العامة والنخب الواعية؛ لذلك فهو يمارس التعبئة الفكرية وتعليم المسلمين السلوك الوحدوي. فهذا الخطاب يؤمن بأن الوحدة متى أصبحت مطلبا للجماهير المسلمة، فإنها سوف تتحقق، لأن إرادتها مع المغالبة المستمرة ستنتصر على القوى والعوامل والمنازع المضادة للتوجه الوحدوي.

١٠- ليس من الضرورة في تصورات وكتابات مفكري الفكر الإسلامي المعاصر، مناهضة الدولة القطرية القائمة في المجال العربي والإسلامي، أو استعادة صورة الخلافة الإسلامية وفق صيغها وأشكالها المعروفة في التاريخ الإسلامي. لأن الأهم من ذلك كله، يتمثل في تحقيق أبعاد وأهداف ومقاصد وحدة الأمة وشحذ همم المسلمين، وتعضيد عناصر القوة في كيان الأمة الإسلامية وصون مكاسب هذه الأمة.

تعضيد الوحدة والتآلف

كما سلفت الإشارة فإن قضية وحدة الأمة في هذا العصر، بحاجة إلى عمل وإلى جهود متلاحقة، لا سيما أن الأجيال المسلمة الجديدة واقعة تحت تأثير ثقافي وإعلامي غربي عنيف، يستهدف إبعادها بوسائل الدهاء والختل والتخدير الصامت عن أصولها العقدية وثوابتها التي تكون هويتها الفكرية والحضارية المتميزة؛ ولذلك نرى أن هذه الآليات والوسائل من شأنها الإبقاء على جذوة فكرية وحدة الأمة متقدة حية في النفوس والضمائر مهما ادلهمت الخطوب، ومهما اتسعت التحديات أمام أمتنا ووحدتها وقوتها وتعاونها:



أولا: إنشاء مجلس إسلامي أعلى أو مركز بحثي متخصص في مسائل وحدة الأمة الإسلامية، يضطلع بمتابعة ورصد التحديات التي تواجه الأمة المسلمة، وكتابة دراسات وتقارير دقيقة عنها قصد تحييد آثارها وإضعاف تداعياتها على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ثانيا: إنشاء فضائيات ومحطات إذاعية تعنى بالعمل على توحيد الأمة وتخفف من مسببات التنافر والتباعد والاستقطاب العدائي.

ثالثا: إنشاء «مواقع علمية» على الشبكة العالمية للمعلومات تتكفل بخدمة رسالة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وإشاعة آداب الخلاف وفقهه بين المسلمين. من أجل المساهمة في الحوار وتقريب الآراء ووجهات النظر في المسائل الخلافية التاريخية.

رابعا: تفعيل العمل من أجل الإفادة من المبادرات المتكررة التي بدأت تظهر في ساحات العمل المختلفة مستفيدة من مناخ عودة مفهوم الأمة باعتباره مفهوما جوهريا في تشكيل المشترك الجمعي في أبعاده المختلفة.

خامسا: دعوة الإعلاميين والمفكرين ونشطاء الأوعية والوسائط الاتصالية الجديدة لحسن استغلال واستثمار وسائل الاعلام والاتصال والوسائط والأوعية التقنية المعاصرة، للدعوة إلى وحدة الأمة، وبيان قيمها ومفاهيمها وأهدافها.



د. الحسين بودميع
دكتوراه في العقيدة والفكر
الإسلامي - المغرب

التفكير النقدي.. المفهوم والخصائص

النقد مدخل ضروري من مداخل الإصلاح في كل مجالات الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية.

والتفكير النقدي عصمة لصاحبه من الزلل مع زلل غيره، وتحرير للعقل من ربقة التبعية والتقليد.

وثمار النقد - على صعيد محاصرة الأخطاء والأخطار وإبراز نقاط القوة ومواطن الحسن - لا تقدر بثمن؛ فهو يكشف الستار عن مواطن الخطر وأسبابه، ومواقع الجمال ومظاهره، ويجعلنا قادرين على التمييز بين أصيل الأفكار ودخيلها، وسليم المناهج وشائنها، ويهدينا لأسلم وأخصر السبل للاستفادة من تجارب الآخرين، دون الوقوع في غوائل أخطائهم.

فما مفهوم التفكير النقدي؟ وما خصائصه ومزياه؟

أولا: مفهوم التفكير النقدي

١- مفهوم التفكير: التفكير تفعيل من «الفكر»، وهو في اللغة: فرك الأمور وفحصها. قال ابن فارس: «الفاء والكاف والراء: تردد القلب في الشيء؛ يقال: تفكر؛ إذا ردد قلبه معتبرا»[1]. والتفكير: إعمال العقل وترديد الخاطر في الشيء والتأمل فيه لإدراك حقيقته.

٢- مفهوم النقد: من معاني لفظ «النقد» في العربية: الاستهجان، والتمييز، والاختبار.

قال الزمخشري: «نقد الدراهم: ميز جيدها من رديئها»[٢].

وقال ابن منظور: «النقد والتنقاد: تمييز الدراهم، وإخراج الزيف منها»[٣].

وفي المعجم الوسيط: «نقد الشيء نقدا: نقره ليختبره، أو ليميز جيده من رديئه. يقال: نقد الطائر الفخ، ونقدت رأسه بأصبعي، ونقد الدراهم والدنانير، وغيرها نقدا وتناقدا: ميز جيدها من رديئها. ويقال: نقد النثر ونقد الشعر: أظهر ما فيهما من عيب أو حسن»[٤].

والنقد بمعناه العام: «عملية محاكمة وتقويم تهدف إلى التصحيح والترشيد، من خلال بيان مواطن الخطأ والصواب، بناء على مقاييس متفق عليها جلها أو كلها»[٥].

وأكثر من استعمل لفظ «النقد»؛ باعتباره مصطلحا، الأدباء، ويعني عندهم: «التمييز بين الأصيل والدخيل من الشعر»[٦]، أو «الملكة التي يستطيع الباحثون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء، والجميل والقبيح»[٧]، أو «دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف، والحسن والقبح، وإصدار الأحكام عليها»[٨].

ولا بد -ونحن بصدد التعريف بمفهوم النقد- من التنبيه إلى أن معناه لا ينحصر-كما هو شائع- في إظهار المعايب والمثالب، والدلالة على مواطن الضعف والخلل، لتفاديها، ولكن معناه ينطوي أيضا على إبراز مواطن القوة والدلالة على مواقع الجمال للحفاظ عليها والبناء عليها.

٣- مفهوم التفكير النقدي: عندما ننسب «التفكير» إلى «النقد»؛ فنقول عن تفكير: إنه «تفكير نقدي»؛ فهو: ذلك النمط من التفكير المنهجي الذي يحمل صاحبه ويقدره على محاكمة الأقوال والأعمال والآراء والأذواق.. لمقاييس عقلية أو نقلية أو تجريبية معتبرة بقصد التمييز بين الجيد والرديء، والقوي والضعيف، والحسن والقبيح، والصواب والخطأ، والأصيل والدخيل منها قبل الحكم لها أو عليها بالقبول أو الرفض، أو الاستحسان أو الاستهجان.

ثانيا: خصائص التفكير النقدي

إذا تبين مفهوم التفكير النقدي مما سبق، فخصائصه ومميزاته التي يتميز بها عن سائر أنماط التفكير السطحي الجامد، من أبرزها:

١- طلب الدليل؛ فصاحب الحس النقدي لا يقبل من الآراء والأقوال إلا ما قام عليه دليل من صريح المعقول أو صحيح المنقول أو ثابت التجارب، وديدنه أن يقول - كما يقول القرآن - لكل ذي رأي أو دعوى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة:١١١).

٢- تحري الصحة في النقل؛ سواء كان النقل عن عامة الناس، أو عن العلماء، أو عن صاحب الشرع؛ فالناقد إذا نقل إليه غيره خبرا من أخبار الناس لم يصدقه حتى يتبين صدقه من كذبه، وصوابه من خطئه، خصوصا إن كان المخبر ممن لا يوثق بإخباره؛ وقوفا عند قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات:٦). وإن حدثه محدث عن أحد من العلماء وأهل الرأي بقول أو رأي أو فتوى، استفسر عن موضع ذلك من كتبه، وإن سمع أو قرأ نسبة قول إلى مذهب فقهي أو عقدي سأل عن أي من كتب ذلك المذهب المعتمدة عند أهله ينص على ذلك الرأي، وإن نقل له ناقل خبرا عن رسول الله ﷺ سأل عن مصدره، فإن كان آحادا وورد في غير الصحيحين بحث درجته وتحقق من ثبوته، وإن لم يأنس من نفسه الرشد العلمي لنقده رجع إلى كلام عدول أهل العلم من صيارفة النقد الحديثي، ولم يقبل إلا ما حكموا له بالقبول، ولا يقبل مبهم العبارات من مثل: «ضعفه العلماء» أو «صححه أهل العلم»؛ بل يقول كما قال الأوائل: «سموا لنا رجالكم»، وهكذا فصاحب الحس النقدي لا تجده ممن قد فتحوا عقولهم لكل واردة وشاردة من الأخبار؛ وممن يصدق ويحدث بكل ما يسمع أو يقرأ من الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ على أنه قطعا من سنته.

٣- التحقق من دعوى الاتفاق والإجماع؛ الاتفاق على رأي ما يكسبه قوة قد لا يكتسبها من أي دليل آخر مهما كانت درجة حجيته؛ فالإجماع الأصولي مثلا -وهو: اتفاق جميع مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي- دليل متفق على الاحتجاج به، وهو حجة قطعية لا يدخله النسخ[٩]، ويكفر منكره؛ مما يبوئه

مكانة رفيعة بين الأدلة الشرعية، توجب التثبت والتحقق من ثبوته قبل الإقدام على دعوى انعقاده، وإلا كان مدعيه مجازفا ومخاطرا بدينه، ومتساهلا في التقول على دين الله بما لا يعلم؛ لهذا عد العلماء من تقوى الفقيه وورعه وحياطته لدينه ألا يقدم على إطلاق دعوى الإجماع على حكم من الأحكام، إلا بعد أن يتأكد بيقين من اتفاق جميع الموجودين من مجتهدي الأمة عليه، وهو أمر تعز الإحاطة به على غير الراسخين من العلماء المشرفين على الخلاف، الحافظين لمذاهب فقهاء الأمصار المطلعين على فتاويهم؛ مما يؤكد خطورة الإقدام على إطلاق دعوى الإجماع.

ورحم الله أحمد بن حنبل فلقد صدق إذ حذر من المخاطرة بالإقدام على ذلك، فيما رواه عنه ابنه عبدالله؛ قال: سمعت أبي يقول: «ما يدعي فيه الرجل الإجماع فهو كذب، ومن ادعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا -ما يدريه- ولم ينته إليه، فليقل: لا نعلم الناس اختلفوا»[10].

والمقصود هنا أن صاحب الحس النقدي لا يتلقى دعوى الاتفاق والإجماع على الشيء من مدعيه بالتسليم من غير مراجعة وتثبت؛ لعلمه بأن دعاوى الإجماع «يستعملها بعضهم في قطع الطريق على البحث والمناقشة لبعض الأمور التي يدعي فيها الإجماع، ولا إجماع»[11].

٤- دعوة المحاور إلى تحديد مفاهيم مصطلحاته؛ فصاحب الفكر الناقد لا يقبل من محاوره أن يوظف في محاورته مصطلحات ذات مفاهيم عائمة، أو ألفاظ حمالة ذات أوجه متباينة من غير أن يحدد بوضوح مراده منها؛ فإذا ما سأله مثلا عن موقفه أو حكم الشرع في «الإرهاب» أو «العنف» أو «التشدد» أو «التطرف» أو «التمييز ضد النساء» أو «الحريات الفردية»، أو جادله في شأنها؛ لم يجبه ولم يتماد في مجادلته حتى يستوضح منه مراده منها؛ إذ قد يقصد بمصطلح «الإرهاب» ما هو معلوم من دين الإسلام وجوبه بالضرورة، وقد يستعمل مصطلح «العنف» ويريد به تطبيق حدود الله على من استوجبها، وقد يعد الدعوة إلى إقامة شرع الله «تشددا» و«تطرفا»، وقد يعتبر التفاضل بين الذكر والأنثى المتساويين في القوة والدرجة في الميراث «تمييزا ضد النساء»، وقد يقصد بإقرار «الحريات الفردية» تقنين الشذوذ الجنسي والاعتراف بحق المثليين في ممارسة شذوذهم.

٥- نبذ التقليد، وهو اتباع الغير، فردا أو جماعة، على رأيه أو مذهبه أو دينه أو عاداته من غير معرفة دليله في صواب ذلك؛ فصاحب الحس النقدي لا يتبع أحدا لقوته أو كبر سنه أو شهرته، ولا يردد مع الدهماء عبارات الإطراء والثناء على كل متعلق بحضارة الغالب وثقافته ومناهجه، وعبارات القذع والقدح في كل ذي علاقة بحضارة المغلوب وثقافته ومناهجه، ولا يقول أنا مع الناس إن أساءوا أسأت وإن أحسنوا أحسنت، وإنما يتبع ما قام البرهان على صحته، وإن نابذه الناس جميعا، وينزل كلا منزلته، ويعطي كل ذي حق حقه.

الهوامش

١ - المقاييس في اللغة، مادة «نقد».
٢ - أساس البلاغة، مادة «نقد».
٣ - لسان العرب، مادة «نقد».
٤ - المعجم الوسيط، مادة «نقد».
٥ - فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ط. دار الكلمة، المنصورة، مصر، الطبعة١، ٢٠٠٠م، ص٩٩.
٦ - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط. دار الثقافة، بيروت، الطبعة١، ١٩٧١م، ص٩.
٧ - شوقي ضيف، النقد، ط. دار المعارف، بيروت، (دون تاريخ)، ص٩.
٨ - عبدالعزيز عتيق، في النقد الأدبي، ط. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص٢٦٣.
٩ - لو جاز نسخ الإجماع، لكان الناسخ له إما نصا أو إجماعا أو قياسا؛ أما النص فلا يعقل أن يكون ناسخا له؛ لأن من شروط النسخ تأخر الناسخ عن المنسوخ، والنص متقدم قطعا عن الإجماع، إذ لا ينعقد الإجماع في عصر النبوة كما هو معلوم، ولا نص بعد النبوة؛ فتعين أن يكون النص متقدما على الإجماع، وأما الإجماع فلو جاز أن ينسخ إجماعا آخر، لكان الإجماع الأول خطأ، ولجاز أن تجتمع الأمة على خطأ، وهو باطل، وأما القياس فما ثبت به ظني، والإجماع قطعي، والظني لا ينسخ القطعي.
١٠ - المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لعبدالقادر بدران، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١/١١٥.
١١ - أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الشاطبي، ط. دار الأمان، الرباط، المغرب، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٠٥.

أحمد عبدالمنعم عيد
إمام وخطيب أول
وزارة الأوقاف بدولة الكويت





الكويت وطن

الوطن هو ذلك المكان الذي يعيش فيه الإنسان وينتمي إليه، على أرضه درج ومن مائه شرب، وتنفس هواءه وأكل من خيراته، ومهما بعد الإنسان عنه يحن إليه، يستوي في ذلك الجميع.

فهذا رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة إلى المدينة مهاجرا عبر عن حبه لوطنه بقوله: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» (رواه الترمذي). وأصيب بلال بن رباح بعد هجرته بالحمى فكان إذا أفاق منها جلس معلنا عن شوقه لموطنه الأول بالرغم من العذاب الذي ذاقه فيه فيقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لي شامة وطفيل

فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها واجعلها بالجحفة»(رواه البخاري).

ويقول الرافعي رحمه الله مبينا قيمة الوطن واستحواذه على كل كيانه:

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب إن لم يتيم

وليس من الأوطان من لم يكن لها
فداء وإن أمسى إليهن ينتمي
ومن يظلم الأوطان أو ينس حقها
تجبه فنون الحادثات بأظلم

وللوطن مفهومان:

الأول: باعتبار المكان الذي تحيطه حدود من كل جهاته، كبر أو صغر ويعيش الإنسان فيه وإليه ينتمي.

والثاني: باعتبار تأثيره ونفعه.

فالوطن بالمكان، وبالرعاية والتأثير.

والكويت بالمفهوم الثاني تعد وطنا أوسع وأكبر من مساحته فهو يمتد إلى حيث يمتد أثره، وأثر الكويت يمتد لينال كل مسلم على وجه الأرض.

فلا يستطيع إنسان أن ينكر الدور الإغاثي للمسلمين في كل مكان من خلال المؤسسات الحكومية والأهلية والتي أقيمت لأجل هذا الغرض والممولة من أموال أهل الخير في هذه البلاد مثل صندوق الكويت للتنمية وبيت الزكاة الكويتي والهيئة الخيرية الإسلامية والرحمة العالمية والنجاة الخيرية والإصلاح.. إلى آخر هذه المؤسسات التي وصل نفعها إلى بقاع الأرض.

وكذلك وقفتها مع قضايا الأمة كالقضية الفلسطينية وغيرها.

مما جعل الكويت وطنا يسكن في قلب كل مسلم، وفي كل موقف يحتاج العون والإغاثة تبادر وتسابق إليه يشعر المسلم في لحظتها بأن الكويت هي الوطن.

ولسنا وحدنا من يلمس هذا الدور الإنساني والمساند لقضايا الحق، بل العالم كله يلمس هذا الدور مما حدا بأكبر منظمة في العالم أن تكرم صاحب السمو الأمير صباح الأحمد أمير دولة الكويت كقائد للإنسانية في عام ٢٠١٤م تكريما له وعرفانا بدوره الإنساني المؤثر وتكريما للكويت وأهلها في شخص صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد.

ومازال بفضل الله العطاء مستمراً ومازالت الكويت وطنا في قلب كل مسلم.

متع الله سبحانه وتعالى هذه البلاد بالأمن والأمان وبارك الله في خيراتها وأدام الله نعمه على أهلها وبارك فيها.



إعداد
محمود نصرالدين المعلاوي



أمير الإنسانية .. تاريخ حافل بالعطاء

تأتي ذكرى الاحتفال بالأعياد الوطنية لتذكرنا بالدور الكبير الذي يقوم به صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، في رفع اسم البلاد عاليا في المحافل الدولية ونظرا لتاريخ سموه الحافل بالإنجاز والعطاء في شتى المجالات السياسة والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك الإنسانية، ونتيجة للجهود الهائلة التي تبذلها الكويت بتوجيهات من سمو أمير البلاد في الجانب الإنساني والإغاثي حول العالم عبر إغاثة المنكوبين في حالات الكوارث الطبيعية والنكبات، أو من صنع الإنسان، والحروب والمجاعات، وإيواء وإعانة المتضررين، فقد توج اسم الكويت باختيارها «مركزا للعمل الإنساني» في ٩ سبتمبر ٢٠١٤م ومنح سموه لقب «قائد العمل الإنساني»، وذلك في حفل أقامته منظمة الأمم المتحدة، وكان الأمين العام للأمم المتحدة حينذاك، بان كي مون، قد قال: إن «جهود الشيخ صباح الأحمد مكنت الأمم المتحدة من مواجهة ما شهده العالم من معاناة وحروب وكوارث في الأعوام الماضية». وأضاف في كلمته أثناء احتفالية تكريم الأمم المتحدة لصاحب السمو: إن «مقابل حالة الموت والفوضى التي شهدها العالم، شاهدنا مظاهر كرم وإنسانية من قبل جيران سورية قادتها دولة الكويت أميرا وشعبا».

وأوضح أن «الكويت أظهرت كرما استثنائيا تحت قيادة الشيخ صباح الأحمد ورغم صغر مساحة البلاد إلا أن قلب دولة الكويت كان أكبر من الأزمات والفقر والأوبئة». وأضاف: «نحن مجتمعون اليوم لنشكر سمو أمير دولة الكويت وشعب الكويت، على كرمهم الكبير تجاه السوريين والعراقيين». وأكد أن «المبادرات التي قامت بها دولة الكويت دفعت المجتمع الدولي إلى جمع المزيد من المساعدات بفضل جهود سمو

أمير البلاد، ما ساعد الأمم المتحدة على القيام بوظيفتها الإنسانية وأن الدعم المستمر لسمو الأمير مكننا من ذلك». وقد علق سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد عند تكريمه، قائلا: «إن أعمال البر والإحسان قيم متأصلة في نفوس الشعب الكويتي تناقلها الأبناء والأحفاد بما عرف عنه من مسارعة في إغاثة المنكوب وإعانة المحتاج ومد يد العون لكل محتاج».

ولا يمكن حصر مجالات العمل الخيري والإنساني الكويتي وما قدمته الكويت من مشاريع ومبادرات إنسانية وإنمائية وتعليمية وتدريبية بهدف تنمية الطاقات البشرية واستغلالها والعمل على القضاء على الأمية والجوع والفقر وصولا إلى إعلاء شأن الإنسان وفتح الطريق أمام التقدم والتنمية.

فالكويت ساهمت ولا تزال بتوجيهات من صاحب السمو أمير البلاد في التخفيف من معاناة الشعوب التي تشهد أزمات كبيرة من خلال تقديم المساعدات في أكثر من بلد خصوصا في المنطقة العربية كما في العراق وسورية وفلسطين واليمن وغيرها لتكون بذلك سباقة إلى العمل الخيري الإنساني والتحكم في زمام المبادرات العالمية في هذا الصدد إلى جانب زيادة حجم التبرعات للدول التي تصيبها كوارث طبيعية كما حصل في اليابان والفلبين وتركيا والصومال وغيرها.

وتحتفي الكويت كل عام بذكرى تسمية سمو أمير البلاد «قائدا للعمل الإنساني» في بادرة المنظمة الدولية غير المسبوقة التي تأتي أيضا اعترافا من المجتمع الدولي وتقديرا لجهود إنسانية متواصلة بذلتها الكويت وتتويجا لمبادئ وقيم أصيلة جبل عليها شعبها منذ البداية وقبل أن ينعم الله بالخير على الكويت وقبل ظهور النفط كان شعبها يتقاسم ما يملكه مع أشقائه وجيرانه في محيطه الإقليمي.

وقد أدرك سمو أمير البلاد مبكرا من خلال ثقافته وخبراته التي استلهمها من معايشته لقادة الكويت وحكمائها ورموزها، أدرك أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين ولا بد له أن يؤثر ويتأثر بمحيطه الخارجي وأن الإنسانية لا تتجزأ وأن معين العطاء لا ينضب وأن الفقر والعوز جريمة في حق الإنسانية وأن التكافل والتراحم هما الضمان الرئيسي لاستمرار الحياة وازدهار الحضارة البشرية.

وتعتبر جهود سمو أمير البلاد الإنسانية التي بدأت منذ تسلمه مهام وزارة الخارجية عام ١٩٦٣م حيث حرص على إعلاء مكانة الكويت في العالم وإبراز شخصيتها الإنسانية والخيرية في محيطها العربي والإقليمي والدولي وانتهج ديبلوماسية متميزة تقوم على الانفتاح على العالم وإرساء دعائم علاقات وثيقة ومتوازنة تعتمد على التعاون المتبادل وتحقيق الحياة الأفضل لشعب الكويت وسائر شعوب العالم.

واستثمر سمو أمير البلاد الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الذي أنشأته الكويت بعد استقلالها بهدف تقديم الدعم والمساعدة للدول الشقيقة والصديقة كرافد أساسي في ترسيخ مفهوم ديبلوماسية العمل الإنساني ودعم مسيرة العمل الخيري التي تميز بها صاحب السمو الأمير.

الدور التاريخي

أسس سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد السياسة الخارجية للكويت على أسس ومبادئ وثوابت رئيسية في مقدمتها: التوازن الإستراتيجي، والحياد الإيجابي، والدفاع عن الثوابت القومية، والابتعاد عن الأحلاف العسكرية، إدراكا منه لحساسية وضع الكويت ودقة مصالحها الإستراتيجية العليا التي تفرض عليها انتهاج سياسة خارجية متوازنة ومنفتحة على جميع دول العالم بما يضمن الحفاظ على أمن واستقرار الكويت، وصيانة استقلالها وسلامتها الإقليمية، بعيدا عن التنازعات والتجاذبات الأيديولوجية أو العسكرية التي كانت تحكم العالم إبان الحرب الباردة.

ونظرا لهذه السياسة المتوازنة، استطاعت الحكومة الكويتية بعد الغزو العراقي للكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠م، أن تكسب تعاطف أغلب دول العالم وأن تجعلها تقف مع الشرعية الكويتية ضد الغزو العراقي.

ومما يحسب له أن الديبلوماسية الكويتية استطاعت كسب الاتحاد السوفييتي في إدانة الغزو العراقي ودعم تحرير الكويت، رغم أن السوفييت كانوا حلفاء للعراق وتجمعهم اتفاقيات تعاون وصداقة مع النظام العراقي.

وكانت الديبلوماسية الكويتية قد رتبت للشرعية الكويتية عقد العديد من المؤتمرات التي ساهمت في كسب الرأي العام الدولي الداعم للقضية الكويتية.

قد أدى الشيخ صباح الأحمد حينذاك دورا كبيرا في حشد التأييد الديبلوماسي العربي والدولي لمصلحة دعم ومساندة الشرعية الكويتية استنادا إلى خبرته الديبلوماسية الكبيرة منذ بداية تسلمه حقيبة وزارة الخارجية عام ١٩٦٣م ونجاحه في توثيق علاقات

دولة الكويت بالأمم المتحدة ومنظماتها ودولها الأعضاء، حيث استطاع ربط الكويت ديبلوماسيا وإستراتيجيا بالعالم الخارجي، فاستضافت الكويت على أرضها أكثر من خمس وتسعين ممثلية ما بين سفارة وقنصلية ومنظمة دولية وإقليمية وتبادلت معها التمثيل الديبلوماسي والقنصلي. ونجحت هذه الجهود الديبلوماسية في كسب الكويت مساندة عالمية وأممية من خلال توافق الإرادة الدولية مع قيادة قوات التحالف الدولي لطرد القوات العراقية وتحرير الكويت.

حضور عالمي

والكويت كانت وعلى مدى عقود كثيرة وسنوات طويلة حاضرة بقوة في مختلف الأزمات والكوارث التي ألمت بالعديد من الدول وتطلبت العون والمساعدة وكانت السباقة في إغاثة المحتاجين وكان أميرها دائما في طليعة الزعماء الذين يجزلون العطاء والمساعدة للضحايا والمحتاجين.

وقدم سموه رعاه الله كثيرا من المبادرات بعد تسلمه مسند الإمارة عام ٢٠٠٦م لتعزيز التعاون بين دول العالم من أجل توفير الحياة الكريمة للشعوب كافة، واحتضنت الكويت العديد من القمم التي جمعت بين قادة الدول العربية ونظرائهم في قارات العالم.

ولم يكن غريبا على سمو أمير الحكمة والإنسانية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أن يحشد المجتمع الدولي لتوفير مليارات الدولارات عبر رعايته للعديد من مؤتمرات المانحين التي احتضنتها دولة الكويت لمساعدة ضحايا الحروب والكوارث في كل من سورية والعراق وفلسطين والسودان وتشاد والصومال وغيرها من دول العالم.

وعلى الصعيد ذاته لم يغب لحظة عن الشعب الكويتي أهمية منح سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد لقب «قائد العمل الإنساني» وتكريم الكويت بتسميتها «مركزا للعمل الإنساني» فهو يفتخر بذلك أمام شعوب العالم.

ديبلوماسية العمل الخيري

وأسس سمو أمير البلاد دعائم ديبلوماسية العمل الإنساني المثمرة إذ أتى هذا التكريم الأممي الأبرز من نوعه تقديرا وعرفانا بالدور الإنساني المهم الذي جبلت عليه الكويت وسمو أمير البلاد في دعم مسيرة العمل الإنساني والخيري الممتدة إلى العديد من دول العالم.

وبدوره ساهم الشعب الكويتي منذ القدم بهذه الجهود الإنسانية من خلال الجمعيات الخيرية الكويتية واللجان الشعبية بما قدمه من دعم متواصل للعديد من المشاريع الإنسانية في قارتي آسيا وإفريقية بمبادرات شعبية وأياد خيرة امتدت إلى الكثير من المحتاجين في أصقاع الأرض لاسيما أثناء المجاعات والكوارث الطبيعية.

دور رسمي وشعبي

ورسميا حرصت السياسة الخارجية الكويتية منذ عام ٢٠٠٨م على دعم الدور الإنساني للأمم المتحدة إذ قامت الكويت بتخصيص نسبة ١٠ في المئة من إجمالي مساعداتها الإنسانية للدول المتضررة من الكوارث الطبيعية أو الحروب بالإضافة إلى مضاعفة مساهماتها الطوعية الثابتة لعدد من الوكالات والمنظمات الدولية.

وأضحى العمل الخيري ركيزة من الركائز الأساسية للسياسة الخارجية لدولة الكويت التي عرف عنها ومنذ ما قبل استقلالها مبادراتها الإنسانية التي استهدفت مناطق عديدة في العالم وتوسع نشاطها مع تولي سمو أمير البلاد مقاليد الحكم عام ٢٠٠٦م إذ ازداد حجم المساعدات الإغاثية بشكل ملحوظ وتركت بصمة أكثر واقعية للعمل الإنساني العالمي.

ولطالما دأب سمو أمير البلاد عبر كثير من الفعاليات على جعل الكويت الدولة السباقة إلى العمل الخيري الإنساني وتقديم المبادرات الإنسانية العالمية وأن تكون مركزا رائدا لاستضافة العديد من الأنشطة ذات الصلة، بل حرص سموه على المشاركة شخصيا في المؤتمرات المهتمة بالعمل الإنساني.

ريادة دولية

قادت الكويت مع دول أخرى مجلس الأمن في زيارة رسمية ميدانية لبنغلاديش وميانمار وذلك للاطلاع على وضع أقلية الروهينغيا المسلمة واللاجئين منهم والذين يبلغ عددهم نحو ٧٠٠ ألف شخص إذ هدفت الزيارة الإنسانية إلى النظر في كيفية تحسين أحوال أقلية الروهينغيا وضمان العودة الطوعية الآمنة للاجئين إلى ديارهم سعيا إلى إنهاء هذه الازمة الإنسانية المأساوية.

كما شاركت الكويت الاتحاد الأوروبي في استضافة مؤتمر للمانحين بشأن أزمة لاجئي الروهينغيا بمدينة جنيف السويسرية بالمشاركة مع مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية والمنظمة الدولية للهجرة والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إذ أتت قيادة الكويت لهذا المؤتمر انطلاقا من التزاماتها

الإنسانية الدولية ودورها في خدمة ودعم قضايا العمل الإنساني.

وشهدت الكويت في السنوات الماضية الكثير من الفعاليات الداعمة للعمل الإنساني فبدأت تنظم منذ عام ٢٠١٤م فعاليات «منتدى الكويت الدولي للعمل الإنساني» السنوي بمشاركة جهات حكومية وأهلية ودولية وخبراء محليين ودوليين ومتطوعين لتحقيق أهداف مشتركة لخدمة العمل الإنساني واستكمالا لمسيرة الكويت الإنسانية كمركز للعمل الإنساني ولتعزيز ريادتها في هذا المجال.

وجاءت استضافة البلاد للمؤتمرات الدولية الثلاثة الأولى للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سورية كتأكيد جديد على دور السياسة الخارجية الكويتية الإنساني، إذ أعلن سمو أمير البلاد في المؤتمر الأول الذي عقد في يناير عام ٢٠١٣م تبرع الكويت بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار أميركي بينما ارتفعت قيمة التبرعات الكويتية في المؤتمر الثاني الذي عقد في يناير عام ٢٠١٤م إلى ٥٠٠ مليون دولار وكذلك في المؤتمر الثالث بشهر مارس عام ٢٠١٥م بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار.

ثم شاركت الكويت أيضا في مؤتمر المانحين الرابع الذي استضافته لندن في فبراير عام ٢٠١٦م إذ أعلن سمو أمير البلاد خلال ترؤسه وفد دولة الكويت والمشاركة في رئاسة المؤتمر تقديم الكويت مبلغ ٣٠٠ مليون دولار على مدى ثلاث سنوات.

وخلال مشاركتها في مؤتمر المانحين لدعم العراق الذي استضافته واشنطن في يوليو عام ٢٠١٦م تعهدت دولة الكويت بتقديم مساعدات إنسانية إلى العراق بقيمة ١٧٦ مليون دولار بينما حرصت



الجمعيات الخيرية الكويتية على مواصلة حملاتها الإنسانية التي تقدم الإغاثة للمنكوبين في ذلك البلد.

وشهد المؤتمر زخما واسعا بمشاركة ٧٦ دولة ومنظمة إقليمية ودولية و٥١ من الصناديق التنموية ومؤسسات مالية إقليمية ودولية و١٠٧ منظمات محلية وإقليمية ودولية من المنظمات غير الحكومية و١٨٥٠ جهة مختصة من ممثلي القطاع الخاص.

وبلغت تعهدات الدول المشاركة في المؤتمر ٣٠ مليار دولار على شكل قروض وتسهيلات ائتمانية واستثمارات تقدم للعراق منها مليارا دولار تعهدت الكويت بتقديمها.

وفي اليمن لم يغب الاهتمام الكويتي سياسيا وإنسانيا عن هذا البلد الذي لا يزال يعاني أزمات كبيرة فعلى الصعيد الإنساني أعلنت دولة الكويت عام ٢٠١٥م تبرعها بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لتخفيف المعاناة الإنسانية للشعب اليمني.

أما القضية الفلسطينية فلا تزال تلقى اهتماما كويتيا كبيرا وخصوصا فيما يتعلق بإغاثة الشعب الفلسطيني منذ عشرات السنوات ومنها في السنوات الأخيرة إعلان سمو أمير البلاد في يناير عام ٢٠٠٩م تبرع دولة الكويت بمبلغ ٣٤ مليون دولار لتغطية احتياجات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) إيمانا من سموه بالدور الإنساني للوكالة ولمواجهة الحاجات العاجلة للأشقاء الفلسطينيين كما قدمت الكويت إلى الوكالة مبلغ ١٥ مليون دولار عام ٢٠١٣م.

قد يوصف الإنسان بأنه حليم أو رحيم أو كريم وغير ذلك من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان لكن عندما يوصف بأنه «إنساني» فقد حاز كل صفات الخير وعندما يوصف بأنه قائدها فقد وصل إلى أعلى درجات السمو الإنساني، إنه قائد الإنسانية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح كل هذا غيض من فيض من إنسانية القائد الإنساني حفظه الله للكويت وحفظ الكويت للجميع.

المصادر والمراجع

١- وكالة الأنباء الكويتية (كونا).
٢- جريدة الصباح الكويتية.
٣- جريدة الأنباء الكويتية.

محمد جمال حليم
صحافي مصري



الحب إحساس فطري يتجدد به الكون وتتناغم أركانه، فالعواطف والمشاعر لها سحرها الكامن في تحريك الجبال نحو الأهداف.. وكثيرا ما هانت الصعاب وتنازلت الأطراف المتنازعة عن حقوقها باسم «الحب» و«العاطفة»، حقيقة لا أجد مبررا لسيل التهم التي تلاحق كل من هم بالكتابة أو التلويح بالكلام عن العواطف، فإذا تكلمت عن الحب بمترادفاته ومعانيه، تُتهم للوهلة الأولى بالتسيب والتفلُت، ولهذا يقلع الكثيرون عن الدخول في غمار إقناع الغير بفضيلة هذه المعاني ودورها في إذكاء الوجود.

العاطفة وأثرها في نهضة الأفراد والأوطان

في وقت طغت فيه الحياة بماديتها، ونثرت على ربوع الأرض صلادتها، لم يعد الكلام عن هذه العاطفة من فضول القول، ولا مخرج من هذا إلا بتفعيل طاقات الكون الكامنة في المخلوقات على اختلاف أشكالها وأنواعها؛ فالإنسان وهو وحدة بناء الكون ومستودع أسراره قادر على أن يتجاوز ما يلم به من مدلهمات عصره لو فعّل طاقاته والتي منها، وبلا شك، مشاعره. فالحب كعاطفة يضفي على الوجود إحساسا فطريا ولونا بهيجا، وبدونه تضيق النفوس وتتأفف؛ إذ كيف تتعامل مع من لا تحب؟! كيف تقبل إساءته وتعفو عن خطئه؟! لكن الحب يزيل الفوارق ويقرب المسافات ويساعد على فهم الغير، ومن ثم قبوله، فبالحب إذن نرقى وبه نتراحم ومن خلاله نسود.

الكلام عن الحب كصفة بشرية أودعها الله في الإنسان، لا يعني بالضرورة الكلام عن علاقة بين رجل وامرأة، فهو أعم من ذلك وأشمل، فهو علاقة بين طرفين، وهذان الطرفان يشملان الوجود كله، فلكي يعمر الإنسان الكون لابد أن يحب العيش ويحب الحياة ليقبل عليها، ولكي يطور من عمله وأدائه ويتمايز عن غيره لابد أن يحب عمله أولا قبل كل شيء. ولكي تعيش الأُسر في سلام ووئام لابد من هذه الصفة الجميلة التي بها يتجاوز كل طرف عن خطايا وعيوب الآخر، وبالأعم لا يصل الإنسان إلى ما يريد إلا إذا تحلى بالحب وتفاعل مع الأدوات التي يريدها كي يصل مراده.

مجتمعات متحابة

إن ما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات المتعاونة والناجحة، فما انطلقت الأمم والمجتمعات الناجحة إلا من قاعدة الحب والتعاون لتحقق ما تريد.

فالأساس الذي يعول عليه في قيام

الدول والمجتمعات ليس ماديا خالصا، لكنه مغلف بالعاطفة ومنطلق منها.. وكم من المجتمعات علت بحب أبنائها لها مع قلة الموارد وندرة الأدوات، فالمسؤول والمدير الناجح، كما يذكر خبراء التنمية البشرية، هو من يقنع من تحته بالعمل ويعالج نفسيته ويجعله يحب عمله ليتفانى في أدائه بروح عالية ونفس مقبلة.. وقديما قيل: «أحب ما تعمل حتى تعمل ما تحب»..

وبالنظر لبعض المجتمعات، فهناك أموال تنفق بسخاء لمكافحة جرائم الأفراد ضد الأوطان، وقد كان الأوفق أن توجه في تحبيب الأفراد في الأوطان ودراسة أدوات تفعيل ذلك عمليا؛ فلو أحبوا أوطانهم لكانوا سببا في إعلاء شأنها ورفعة منزلتها، وأقل ما يمكن كسبه جراء هذا (التحبيب) ألا يقف الأفراد موقف العداء من أوطانهم، فالحياة بماديتها بعيدا عن هذه السمة البشرية والعاطفة الفطرية، حياة صلدة صعبة لا يحتمل فيها الإنسان نفسه فضلا عن غيره أيا كانت طبيعة هذا الآخر وعلاقته به.

رؤية شرعية

وبالنظر إلى تعاليم الإسلام نجدها تتماشى مع هذا الاتجاه؛ فلقد دعا الإسلام لتنمية العواطف، ومراعاة الشعور، وحسن الظن بالآخرين، والتلطف مع الآخر، وحسن مجادلة المخالف في الرأي، والتأليف بين القلوب.

من هنا نفهم ارتباط الرسول ﷺ بوطنه حين قال عن مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (سنن الترمذي)، بل إن تشريع الجهاد ضد من يعادي الوطن ويجير عليه، يعكس من وجه هذه العلاقة القوية التي أراد الله تأكيدها بين الأفراد والأوطان.

وإذا كان الإسلام قد راعى حسم مادة النزاع بين المتخاصمين، وإنهاء الخلاف بين المتنازعين اعتمادا على قاعدة التعامل بالحسنى وإبقاء المودة فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤). وكذلك حث على حسن معاملة المخالفين في الدين وأمر ببرهم والتعامل معهم بالقسط والعدل، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وهذه هي العاطفة التي اعتمد الإسلام ترسيخها في علاقة أفراد الأسرة الواحدة؛ حيث جاءت نصوصه صريحة في بيان طبيعة علاقة الأبناء والآباء، وأنها مبنية على الحب والبر، فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (النساء:٣٦).

وكذا علاقة الزوج مع زوجته لتعم بينهما الطمأنينة والسكن فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١)، والعكس، فإن ما تعانيه بعض الأسر المسلمة من تبلد مشاعر أحد الزوجين تجاه الآخر ليؤجج نار الفتنة ويؤصل للفرقة الروحية والنفسية (الطلاق العاطفي) قبل فراق الأجساد (الطلاق الشرعي).. حتى ترسو سفينة بعض الأسر في واد غير ذي زرع مخلفة وراءها ضيعة وعيالا لا ذنب لهم!!

والحقيقة؛ أن ما يبخل به الزوجان، أحدهما أو كلاهما، على الآخر ليحرق قلبه هو قبل صاحبه جراء مشاعره المكبوتة، التي توجهه، في الغالب، إلى حيث تريد هي، لا إلى حيث يريد هو، وهو ما يفسر ارتفاع أعداد الطلاق، ومن ثم تنحصر علاقتهما معا في الجانب الأدائي المادي!!

الرسول نموذجا

وبالتأمل في علاقة النبي ﷺ: بزوجاته تدرك طبيعة هذه العلاقة القائمة على الحب؛ فلقد كانت حياته ﷺ مع زوجاته مثلا لتجسيد هذه الصفة في حياتهم، انظر إليه ﷺ وهو يعبر عن هذه العلاقة السامية بين رجل وزوجته والألفاظ المستخدمة، فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة». قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها». نعم الرسول ﷺ: استخدم هذه اللفظة فقال: «رزقت حبها».

لم تتحاش النصوص الشريفة استخدام هذه اللفظة (الحب)، لكنها اعتمدتها ركيزة بين طرفين في علاقة هي من أسمى العلاقات؛ علاقة الإنسان بربه، واعتبرتها سبب كل خير وفتح ونصر، بل سبب القبول والتوفيق في الدنيا؛ فقال تعالى في الحديث القدسي: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» (رواه البخاري).

فالحب إذن هو الأساس.. فبالحب تنمو الأسر، وتعلو الأوطان، وتتكامل الدول، وتتقدم المجتمعات، ويتناغم الوجود، وبدونه تنهار المبادئ، وتعدم الأسس، ويفسد الكون.



د. محمد أحمد عزب
أكاديمي بكلية العلوم الإسلامية
مصر

الأوطان بين حبها والارتقاء بها

الأوطان هي تلك الأماكن التي لامسها المرء مع أول صرخاته على الأرض، هي تلك الديار التي نشأ فيها وترعرع، هي الديار التي رأى فيها الآباء والأرحام والجيران، هي تلك التي تعلم فيها، هي تلك التي ضحك فيها وبكى، هي التي نام فيها قريرا يحلم ويؤمل.

حين اضطر أهل مكة رسول الله ﷺ إلى ترك وطنه ومغادرته والهجرة منه، وقف يخاطب ما ظهر له منه قبل المسير قائلا: «أما والله لأخرج منك، وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلي، وأكرمه على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»[1].

فقد كان فراق مكة صعبا عليه ﷺ، ولما ذهب أصحابه ﷺ إلى المدينة غالبهم الشوق لأوطانهم التي فارقوها، فقد مرض بلال رضي الله عنه، وأخذته حمى المدينة، فأظهر شدة الحنين لمكة كلما استفاق من الحمى، فأنشد في الحنين إلى رباع مكة وديارها وأزقتها قائلا:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل تبدون لي شامة وطفيل

لم يكن له رضي الله عنه في مكة عقار ولا أموال ولا أرحام؛ لكنه فقط ترعرع وشب فيها بين نظرائه، بل لما شب وأسلم لقي فيها بعد إسلامه الهوان والعذاب، لكنه الوطن والحنين إليه، ولما سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إنشاد بلال وهو محموم أخبرت رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»[2].

لقد لحظ الرسول ﷺ ذاك الشوق الجارف لرباع مكة وديارها في بعض أصحابه، حتى أضحى حنين الواحد منهم لها ليس له حد، فكان أن دعا الله تعالى أن تنزل المدينة من نفوسهم نزول وطنهم الأول؛ إذ كان الأمر يحتاج دعوة لا تحول بينها وبين الله حجاب!

إن حب الأوطان مركوز في الطباع، وهو لا يخص الإنسان وحده، بل في بعض مخلوقات الله الأخرى خصيصة النزوع إلى الوطن مهما غاب عنه.

حين فتح المسلمون الأندلس واستوطنوها تاقت نفوسهم لمعالم العروبة في موطن إسماعيل عليه السلام، فأخذوا يشيدون معالم أوطانهم في الأندلس، حتى أضحت بعض الحواضر الأندلسية هناك كأنها حاضرة من حواضر المشرق، فزرعوا النخيل لتظل عيدانه ترفرف كما كانت في المشرق.

ومن شدة شوق المهاجرين الجدد لأوطانهم التي ولدوا فيها وقف عبدالرحمن بن معاوية، المعروف بالداخل، في مشهد يتخيل فيها أقواما راحلين إلى مسقط رأسه في بلاد الشام حيث غادره في ريعان الشباب، ورغم أنه خرج طريدا وصار في غربته أميرا، وأصبح له في الأندلس الكلمة النافذة والحكم التام؛ إلا أن دمعته على وطنه أبكت كل سامع لها؛ حيث قال:

أيها الراكب الميمم أرضي
أقر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض
وفــؤادي ومـالـكـيـه بـأرض
قـدر البـين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضي

ثم ينفرد بالنخلة التي أدخلها المسلمون لتلك البلاد، يشكو حنينه وشوقه لبلاده التي لن يدخلها قائلا:

يـا نـخـل أنـت غـريـبـة مثلي
فـي الأرض نـائـيـة عـن الأهـل
فـابـكـي وهـل تـبـكـي مـكـمـمـة
عجماء لم تجبل على جبلي
لـو أنـهـا عـقـلـت إذن لـبـكـت
مـاء الـفـرات ومنبت الـنـخـل[٣]

لكن شوق الأمير الجديد لم يمنعه من عمارة ما استوطنه، فلم يجلس كئيبا على مجد ضاع منه اعتزل الدنيا على إثـره، بل بنى وشيد، وصار مضرب المثل في الهمة، بل استحق أن يوصف بأنه صقر قريش على لسان واحد من أكبر خصومه، يقول المراكشي: «لم يزل مستترا ينتقل في بلاد المغرب حتى دخل الأندلس، ودخل، حين دخلها، طريدا وحيدا لا أهل له ولا مال، فلم يزل يصرف حيله ويسمو بهمته والقدر مع ذلك يوافقه، إلى أن احتوى على ملكها، وملك بعض بلاد العدوة. وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر عنده قال: ذاك صقر قريش»[٤].

إن الشوق والحنين للوطن الذي أظهره عبدالرحمن بن معاوية، والهمة التي بنى بها مجده ليعد نموذجا فريدا في الهمة العالية، والإرادة التي لا تلين، والعزيمة النافذة، وهي أدوات المرء ليعمر وطنه، ويشرق به وطنه، وتفخر به أمته.

الهمة في بناء الوطن

إن بعض الناس يعيش على هوامش الحياة، وعلى حواشيها، حتى إذا ذهبت أيامهم ذهبوا فلم يدر بهم أحد، ولم يتركوا خلفهم ما يعيش لهم، أو ينتفعوا به لكن من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دني، قال الشاعر:

ولـم أر فـي عـيـوب الـنـاس عيبا
كنقص الـقـادريـن عـلـى الـتـمـام

فأصحاب الهمم يسعون في الفضائل وطلب المجد، لا يعوقهم عائق ولا تمنعهم الكوابح

ولله در من قال في طالب المجد لنفسه:

إذا غـامـرت فـي شـرف مـروم
فـلا تـقـنـع بـمـا دون الـنـجـوم

إن الهمم العالية تغلي بأصحابها وتدفعهم دفعا لاكتساب الفضائل ونيل المعالي، يقول ابن الجوزي: «اعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب، ولا تخلد إلى كسل، فما فات ما فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم، وإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور»[٥].

وهكذا تحتاج الأوطان إلى أصحاب الهمم الذين لا يقنعون بمجد لا يبلغ بهم عنان السماء. إن الأمم تتيه بأبنائها المجتهدين، وتشرف بهم وتضم مجدهم إلى تاريخها، وإنما تفخر الأمم بعلمائها في كل ميدان، وبمفكريها في كل مجال، وبمبدعيها في كل فن حلال، ولا يبلغ المرء مكانة من تلك ينفع بها أمته إلا بهمة عالية ونفس لا تطلب سوى الكمال، ومهما صادفتها المشاق فإنها سرعان ما تتجاوزها؛ قال الشاعر:

ما ابيض وجه المرء في طلب العلا
حتى يُسوّد وجهه في البيد

إن مما ينفع المرء في تشوفه للمجد، وشوقه لأن يكون عنصرا صالحا في وطنه هو مطالعة سير العلماء والصلحاء، وكيف جابوا الفيافي ووصلوا الليل بالنهار، حتى ظلت ذكراهم العاطرة تقطع الأزمنة، ولا تبليها القرون، ذكر الذهبي عن ابن أبي حاتم أنه قال: «كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل للنسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا. فقالوا: هو عليل. فرأينا في طريقنا سمكا أعجبنا فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئا. لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه! ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد»[٦].

فهكذا هي سير الصالحين، وقتهم أضن به من أن يضيع في إنضاج الطعام، وقد ذكر ابن الجوزي عن الإمام أحمد أنه طاف الدنيا مرتين حتى جمع المسند[٧].

وحين يقلب الإنسان في سير النبلاء، يجد أن من أنبلهم من حمل هموم أمته، وتفاعل مع قضايا وطنه، وكان على ثغور الوطن يسد واحدة منها ما استطاع، فإما سد ثغرة في باب العلوم؛ إما علوم الوحي، وإما علوم المدنية الحديثة، وإما في باب العمل والإتقان، وقد جعل الرسول ﷺ جزاء سهم المجاهد على ثلاثة: فروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله عزوجل يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والممد به، والرامي به...»[٨]، فقد تكون في مصنعك غازيا، وقد تكون في متجرك كذلك، ثم لا تنس أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب، فلن تعدم أجرا عظيما ما اجتهدت واحتسبت، وكان سعيك حلالا ونيتك خالصة.

الهوامش

١- أخرجه أبو يعلى (٢٦٦٢)، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.
٢- متفق عليه.
٣- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لابن بشكوال، ص٢٠٥.
٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، للمراكشي، ص٢٣.
٥- صيد الخاطر، ص١٧٥.
٦- انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/٣٥، بتصرف.
٧- صيد الخاطر، ص٢٥٩.
٨- أحمد في المسند، وقال الأرنؤوط: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.



القاهرة - عبدالله شريف
ومحمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية

الكويت إنسانية وعطاء بلا حدود

يكتسب الخامس والعشرون من فبراير من كل عام مكانة فريدة ليس على قلوب الكويتيين فقط، بل على قلوب شعوب كل البلدان العربية والإسلامية التي انتشرت على أراضيها آلاف المشاريع الخيرية الكويتية، التي لا تفرق في نفعها بين إنسان وآخر، سواء على مستوى المعتقد أو الجنس أو اللون؛ مدارس ومستشفيات وكفالات أسرية ترسم البسمة والأمل وتصنع السعادة لمئات الآلاف من الأسر في شتى البلدان، يجمعها بلد معطاء اتسم دوما بحب الخير للجميع.

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من العلماء والمفكرين الذين تحدثوا عن بلد الإنسانية، ودوره في نشر المحبة والتسامح بين الأمم.

بداية، يوضح سفير دولة الكويت لدى مصر، محمد صالح الذويخ، أن ما وصل إليه بلد الإنسانية من مكانة فريدة بين شتى الشعوب ليس وليد اللحظة، بل هو نتاج جهد متواصل على مدار سنوات طويلة، ضاربا المثل بالعلاقات الكويتية – المصرية التي تجسد المحبة والإنسانية والتسامح، لافتا إلى وجود نحو ٧٠٠ ألف مصري يعملون في الكويت بمنتهى الوئام.

وأضاف أن علاقات الكويت مع الدول العربية والإسلامية راسخة ومتينة، والفضل كله يرجع إلى حرص أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد على كل ما من شأنه دعم استقرار الدول وإزالة الخلافات وتوحيد الشعوب، والمساهمة في تنمية هذه البلدان من خلال المشاريع ذات الطابع الإنساني.


السفير محمد صالح الذويخ


السفير طارق القوني

تكافل وتعاضد

أما مدير المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة إسماعيل عبدالله الكندري، فأكد أن العمل الإنساني والخيري من أهم الوسائل التي تستخدم لنشر المحبة بين الأمم، والنهوض بمكانة المجتمعات، لاسيما في العصر الحالي الذي كثرت فيه الحاجة إلى تدعيم أسس التكافل والتعاضد وكل ما يعلي من شأن الإنسانية دونما تفريق.

وأضاف الكندري أن تعقد الظروف الحياتية فاقم الاحتياجات باستمرار، لذلك كان لا بد من مد يد العون لتلبية تلك الاحتياجات، مؤكدا أن الكويت من الدول السباقة في تعظيم العمل الإنساني والخيري، الذي تعتبره معالجا أساسيا وليس مكملا للعديد من القضايا الحياتية والاقتصادية والثقافية.

وأشار إلى أن العمل الإنساني الذي اتخذته الكويت نهجا لها أصبح ركيزة أساسية في بناء المجتمع ونشر التماسك الاجتماعي.

وأشار الكندري في هذا السياق إلى دور المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في مصر على سبيل المثال، مؤكدا أنه حقق إنجازات انعكست آثارها الإيجابية على جميع القطاعات، والتي تنوعت بين أبنية تعليمية وصحية ودور عبادة ومنشآت خدمية، فضلا عن المساعدات العينية والمالية، ومنها على سبيل المثال «مشروع الأضاحي»، الذي تنفذه دولة الكويت على مدى يتجاوز الثلاثين عاما على التوالي بتمويل من بيت الزكاة والأمانة العامة للأوقاف الكويتيَين.

أيضا يقوم المكتب بكفالة مئات الأسر والأيتام، بالإضافة إلى مساعدة الأسر الكويتية المقيمة في مصر بصفة دائمة، وغيرهم في شتى الحالات التي تتطلب المساعدة، وكذلك في حالات الكوارث مثل الزلازل والسيول يبادر المكتب

السفير الذويخ: علاقاتنا بمصر وكل الدول تجسيد للمحبة والتسامح



بناء مسجد أم سالم الزمانان - البحيرة



تكريم مستحق لجهد أبناء الكويت



بناء مسجد عثمان بن عفان - البحيرة



لوحة افتتاح مسجد أم سالم الزمانان

الكويتي بمد يد العون من دون إبطاء، إضافة إلى الأنشطة الدائمة، مثل: كفالة الأيتام، كفالة طلبة العلم، المشاريع الاجتماعية والعلاجية، المشاريع الموسمية.

وضرب الكندري مثالا بمساهمات المكتب الكويتي في مصر، خلال الفترة ما بين ١٩٨٧م و٢٠١٦م والتي تم خلالها تنفيذ ٤٥١ مشروعا إنشائيا تضمنت: بناء مساجد، ومجمعات إسلامية، ومعاهد أزهرية، ومراكز طبية، ودور أيتام، ومساكن.. كما يتم كفالة نحو ٢٣٤٧ يتيما سنويا، وكفالة ١٠٥٠ من طلبة العلم سنويا، وتقديم مساعدات شهرية لنحو ٥٨٦٠٣ أسر، وخدمات علاجية لأكثر من ٥٤٦٩ مستفيدا.

ولفت الكندري إلى أن الكويتيين المقيمين في مصر ليسوا وحدهم من يحتفلون بمناسبة العيد الوطني، بل يجسد المصريون روح المحبة لبلد الإنسانية والعطاء، فتشهد أي مناسبة كويتية تقام في مصر أسمى آيات الامتنان والتناغم.

تعاون شامل

أما سفير مصر لدى الكويت طارق القوني، فأكد أن العلاقات التاريخية بين البلدين لا يمكن اختصارها في عدد من الكلمات، مؤكدا أن العلاقة بين البلدين، سواء على مستوى القيادة أو الشعبين، هي علاقة أخوة وتعاون شامل في شتى المجالات.

وأضاف أن دور سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد في العمل الإنساني على مستوى العالم يشهد به القاصي والداني، ومحل تقدير من جميع دول العالم، وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة التي اعتبرت أمير دولة الكويت رمزا للإنسانية العابرة الحدود، والتي امتدت لكل المحتاجين عبر قارات العالم.

وعبر السفير القوني عن اعتزازه بإشادة الأمين العام للأمم المتحدة بالدور الريادي لدولة الكويت، خصوصا في المجالات الإنسانية حين قال: «الكويت أظهرت كرما استثنائيا تحت قيادة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، فعلى الرغم من صغر مساحة البلاد فإن قلبها كان أكبر من الأزمات والفقر والأوبئة، وإن المبادرات التي قامت بها حفزت المجتمع الدولي إلى جمع المزيد من المساعدات للمحتاجين في شتى البلدان».

محل تقدير

من جانبها، أشادت وزير الإعلام المصري السابقة د. درية شرف الدين، بدور أمير دولة الكويت في دعم مصر على شتى المستويات، مشيرة إلى أن للكويت وأميرها أيادي بيضاء لا تحصى، ومواقف إنسانية جمة جعلتها تتبوأ هذه المكانة المتميزة في العالم كله، موضحة أن دولة الكويت تنطلق من دبلوماسية الحكمة الرشيدة والحرص على إزالة أسباب الشقاق بين الإخوة، وانتهاج لغة العقل في مجابهة كل الأزمات.

وتابعت: الاتجاه الخيري لدولة الكويت هو عنوان لديبلوماسيتها الناعمة، فهي


عمارة إسلامية بديعة


افتتاح مسجد خالد بن الوليد - البحيرة


مسجد الصحابة - القاهرة

تمد يد العون لكل محتاج من دون تفرقة على أساس اللون أو الجنس أو الدين، الأمر الذي أكسبها مكانة رفيعة بين الأمم، واستحقت عن جدارة أن تكون بلد العطاء، وأميرها أمير الإنسانية.

رمز للعطاء

بدوره، أكد عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف الدكتور أحمد عمر هاشم، أن تاريخ العلاقات التاريخية والإنسانية بين الكويت ومصر لا تحصره كتب ولا يستطيع أي حاقد أن ينال منه، مضيفا أن كل مصري يحب الكويت وكل كويتي يعتز بمصر.

وأضاف أن آلاف الطلاب الكويتيين تخرجوا في كليات الأزهر وآلاف العمال والمعلمين المصريين ساهموا في بناء الكويت القديمة والحديثة، بينما كان للكويت فضل كبير في تطوير الثقافة العربية والإسلامية بشكل عام، فقد ساهمت في دعم آلاف الكتاب المثقفين وطلبة العلم، ومن المشهود للثقافة والدعوة الكويتية أنها تهتم بكل ما يعزز القيم الإسلامية والعربية.

وأوضح هاشم أنه التقى ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح قبل فترة قصيرة، ولمس مدى ما يكنه من حب لمصر والمصريين، وهو مرآة لما يكنه كل كويتي من حب واعتزاز لأرض الكنانة.

وأوضح أن الكويت محفزة وداعمة لكل من يريد أن يقدم الخير في أي بلد، يكفي فقط أن يكون لديك فكرة ما، تجد آلاف الأيدي تمتد لتحقيقها، كل هدفهم بناء الأمم وتجميع العرب ونبذ الخلافات.

وأشاد هاشم بالدور الكبير الذي تبذله بلد الإنسانية في مصر من مشروعات عظيمة تنعكس آثارها الإيجابية على الآلاف من الأسر وطلبة العلم الوافدين، ومن ذلك حرصها على تكريم الطلاب المتفوقين الدارسين في مصر من شتى البلدان، فضلا عما تقدمه من كفالات لطلبة العلم وغيرها من المشروعات التي يتجسد فيها حديث الرسول ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (صحيح مسلم)، وكذلك حديث عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما، ستره الله يوم القيامة» (صحيح البخاري).

مكانة فريدة

أما أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة د. صبري السعدي، فأكد أن الشعبين الكويتي والمصري تربطهما علاقات خالدة وموروثات مشتركة، كلها خير وإحسان وتعاون على التطور والنماء.

وتابع قائلا: «عن العمل الخيري والتعاون الإنساني الذي تبذله دولة الكويت حدث ولا حرج، المصريون يعرفون دور المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة برئاسة إسماعيل الكندري في بناء المساجد والمعاهد الأزهرية والمستشفيات، خصوصا في الريف»، لافتا إلى أن مشروعات الخير والتكافل الكويتية في مصر لا يقتصر عائدها على المسلمين، بل يشمل الإنسانية جمعاء من دون تفريق، وهذا ديدن وروح التكافل الإسلامية التي يبدأ فيها الإنسان المسلم بدائرته الذاتية ثم دائرته الأسرية ثم محيطه الاجتماعي ثم إلى تكافل المجتمعات المختلفة.. وهذا تجسيد حياتي واجتماعي لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

وأضاف أن اليوم الوطني الكويتي هو مناسبة عزيزة على قلب كل كويتي ومصري وعربي ومسلم، فالكويت هي بلد الخير والعطاء بامتياز وتستحق مكانة فريدة في قلوب الجميع.


د. أحمد عمر هاشم


محمد العرابي

تبادل تعليمي

من جانبها، أكدت د. رشا كمال رئيس الإدارة المركزية للطلاب الوافدين في وزارة التعليم العالي المصرية، أن العلاقة في مجال التعليم بين مصر والكويت طويلة وتاريخية، موضحة أن الطلبة الكويتيين يمثلون ١٨,٣ في المئة من إجمالي الدارسين الوافدين في مصر، فضلا عن تبادل الخبرات العلمية والأساتذة الجامعيين بين البلدين، ودعم الباحثين للحصول على المصادر المتاحة لإنجاز رسائلهم العلمية.. وكذلك العمل على اعتماد المزيد من الجامعات المصرية للطلبة الكويتيين.

وأشادت بالدور التنموي الرائع لدولة الكويت على جميع المستويات، ومن ذلك بناء العديد من المدارس والمعاهد، وكفالة طلبة العلم، وتقديم مساعدات شهرية لأسرهم.

تنمية داخلية وخارجية

في السياق، أشاد أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة د. محمد خليل، برؤية الكويت ٢٠٣٥م، مشيرا إلى أنه اطلع على أجزاء كبيرة منها ولفت نظره أنها كما تركز على تنمية الدولة من الداخل، وهذا شيء طبيعي، فإنها تركز أيضا على العمل الإنساني الخارجي بين الدول، وهذا ما يعضده انتشار المكاتب الخيرية الكويتية في عديد من دول العالم.

وتمنى خليل لدولة الكويت وقيادتها النجاح في تحقيق الخطة الموضوعة وأن تنهج معظم الدول هذا النهج المتطور من التفكير وبذل الخير للجميع من دون تفرقة.. ومن ذلك توقيع اتفاقية بين مصر والصندوق الكويتي للتنمية لتمويل مشروع إنشاء أربع محطات تحلية مياه في محافظة جنوب سيناء بقيمة ٨٨٠,٥ مليون جنيه في إطار برنامج تنمية شبه جزيرة سيناء، وهذا المشروع يوفر ٥ آلاف فرصة عمل مؤقتة، مشيرا إلى أن الصندوق الكويتي للتنمية قام بتمويل نحو ٥٠ مشروعا في مجالات النقل والزراعة والكهرباء والصناعة ومياه الشرب والصرف الصحي بقيمة تصل إلى ٣,٥ مليارات دولار تقريبا.

أمير الإنسانية

وزير الخارجية المصري الأسبق السفير محمد العرابي، أكد بدوره أن سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد يعمل طوال حياته على لم الشمل العربي والإسلامي، والإنفاق على كل سبل الخير، وبذل جهود صادقة لنشر التسامح والتراحم بين شتى البلدان والشعوب، لذا استحق عن جدارة لقب أمير الإنسانية.

وأضاف أن العالم كله يشهد لدولة الكويت وأميرها بالعطاء وإغاثة الشعوب، وتحقيق قيم العدالة والتآخي.. كما أن أمير دولة الكويت من أول المدافعين عن حقوق الإنسان في العالم، ومصر لا تنسى مواقفه الداعمة على طول الخط معها، مشيرا إلى أن التعاون بين البلدين الشقيقين يتجاوز مرحلة الأخوة.

العرابي: العالم كله يشهد للكويت وأميرها بتحقيق قيم العدالة والتآخي

عطاء ثقافي

وأخيرا، أشاد د. مصطفى الفقي، مدير مكتبة الإسكندرية، بالعلاقات بين البلدين خاصة في المجال الثقافي، موجها التحية لسمو أمير الكويت على إنجازاته الدولية التي يشهد بها العالم أجمع.

وفي الشأن الثقافي قال: الكويت موجودة دائما في أي حدث ثقافي إبداعي وخيري، وأخيرا احتفل مركز دراسات الخطوط بقطاع البحث الأكاديمي بمكتبة الإسكندرية بمرور عشر سنوات على تنظيم مسابقة الخط العربي وساهم مركز الكويت للفنون الإسلامية في هذه الاحتفالية بمجموعة من الكتب المهداة عن الخط العربي للأطفال والنشء بهدف توزيعها على الفائزين في هذه المسابقة السنوية.

وأشار إلى أن الكويت تطبع مئات الإصدارات القيمة، منها مجلة العربي والعربي الصغير وكتاب العربي وكذلك عالم المعرفة، وبالطبع مجلة «الوعي الإسلامي» الرائدة.

إعداد
عبدالسلام الشبراوي العشري





رسل الخير والعطاء

أياد بيضاء تمتد باسطة الخير في بقاع الأرض، لا تفرق بين البشر على أساس من الجنس أو اللون أو الدين، غايتها إدخال السرور على الجميع.. تمسح البؤس عن الوجوه العابسة، وتطعم الأفواه الجائعة، وتسقي العطشى، وتلبس من لا يجد كساء يدفع به برد الشتاء أو قسوة الحر، وتفتح أبواب الأمل أمام اليائسين.. تبني مدرسة لتعليم الأطفال، وتقيم مراكز لتحفيظ القرآن الكريم وأخرى لمحو الأمية، وتنشئ مستشفى لتقديم العلاج وتخفيف آلام المرضى، وتكفل الأيتام الذين حرموا نعمة الأب في الدنيا فكانت لهم البديل، وتمد يد الغوث للمنكوبين من آثار الزلازل والحروب وقلة الأمطار والمجاعات..

إنها يد «كويت الخير» التي اعتادت العطاء مستحضرة قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩) راجية بعطائها وجه الله.

وتعد الجمعيات الخيرية الكويتية علامة بارزة في ساحات العطاء الإنساني بفضل تحركاتها الميدانية السريعة في جميع المناطق وجهودها التي تندرج كجزء من الواجب الإنساني الذي يعبر عنه الموقف الرسمي للكويت، قيادة وحكومة وشعبا.

ويشمل العمل الخيري الكويتي إنشاء المشاريع التنموية الإنتاجية في المجتمعات الفقيرة بغرض تمكينها من استثمار مواردها البشرية والمالية وثرواتها وتوفير فرص العمل ليتمكن أفراد المجتمع من العيش الكريم معتمدين على أنفسهم. ويبرز عمل الجمعيات واللجان الخيرية الكويتية في الفترة الأخيرة من خلال إغاثة الأشقاء في سورية واليمن والعراق وفلسطين وإقامة المشاريع في الدول الإفريقية الفقيرة وبعض الدول الآسيوية.

وبلغ اهتمام الكويت بالعمل الخيري سعيها لتضمين قيمة التطوع في المناهج الدراسية، عمليا ونظريا، ابتداء من رياض الأطفال مرورا بالمراحل التعليمية الأخرى.

عشرات من الجمعيات الخيرية والمبرات تتوسع في عمل الخير، إضافة إلى بيت الزكاة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والأمانة العامة للأوقاف، وهنا نلقي الضوء على بعض هذه الهيئات والجمعيات الخيرية وما تقدمه من مساعدات



داخل الكويت وخارجها.

بيت الزكاة

توسعت أنشطة بيت الزكاة الكويتي، محليا وإقليميا، عبر تنفيذ العديد من المشاريع الخيرية ككفالة الأيتام وطالبي العلم وموائد الإفطار، وصرف مساعدات مادية وعينية للأسر المتعففة ومشروع الأضاحي وغيرها من مشاريع ترفع راية العمل الخيري الكويتي البيضاء.

ويقدم بيت الزكاة خدمات كثيرة لجمهور المراجعين منها:

١- تقديم المساعدات المالية والعينية للأسر المحتاجة.

٢- المشاريع الموسمية (ولائم الإفطار - مشروع الأضاحي داخل الكويت وخارجها).

٣- تنفيذ المشاريع الخارجية بناء على طلب المتبرعين.

٤- تقديم مساعدات القروض الحسنة.

٥- مشروع كفالة اليتيم.

ويعتبر مشروع ولائم الإفطار من أكبر المشاريع التي ينفذها بيت الزكاة، وينفذ خلال شهر رمضان المبارك من كل عام في ١٦٠ مسجدا وموقعا، ويوفر أكثر من ١٦,٠٠٠ وجبة إفطار يوميا.

بيت الزكاة يكفل ٣٠,٠٠٠ يتيم في ٤١ دولة

ويقدم بيت الزكاة مشروع «كفالة الأيتام»، حيث بلغ عدد الأيتام الذين يكفلهم ٣٠,٠٠٠ يتيم في ٤١ دولة.

ويأتي مشروع كفالة الطلبة ليكفل حوالي ٢٣٠٠ طالب جامعي بالتعاون مع ١٧ هيئة خيرية معتمدة تحظى بثقة سفارات الكويت وتعمل تحت إشرافها في الخارج.

ويهتم بيت الزكاة بالأسر المتعففة داخل الكويت، ويقدم لها مساعدات تتجاوز ٢,٥٠٠,٠٠٠ دينار تستفيد منها حوالي ٦٠٠٠ أسرة. كما ينفذ بيت الزكاة مشروع الكسوة بتكلفة ٣٠٠,٠٠٠ دينار لخدمة ٣٨٧٥ أسرة.

الأمانة العامة للأوقاف

ومن المعهود ألا تغيب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن العمل الخيري، ممثلة في الأمانة العامة للأوقاف، التي تتولى الدعوة للوقف والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك إدارة أمواله واستثمارها وصرف ريعها في حدود شروط الواقفين وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف، وتنمية المجتمع حضاريا وثقافيا واجتماعيا وتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع، ومن أهم أنشطتها:

الصناديق الوقفية

الصناديق الوقفية هي الإطار الأوسع لممارسة العمل الوقفي، ومن خلالها يتمثل تعاون الجهات الشعبية مع المؤسسات الرسمية في سبيل تحقيق أهداف التنمية الوقفية.



وتهدف الصناديق الوقفية إلى المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والتنموية التي يفرزها الواقع من خلال برامج عمل تراعي تحقيق أعلى عائد تنموي وتحقق الترابط فيما بين المشاريع الوقفية، وبينها وبين المشاريع الأخرى التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام، وتشمل:

- الصندوق الوقفي للقرآن الكريم.
- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية.
- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة.

المشاريع الوقفية

وبهدف التوسع في تطوير الأوضاع المؤسسية للعمل والسعي نحو تفعيل دور الوقف في تنمية المجتمع، أنشأت الأمانة العامة للأوقاف مشاريع ذات كيان عملي وتنظيمي مستقل منها:

١- مركز من كسب يدي.
٢- مركز الرؤية.
٣- مركز رعاية طالب العلم.
٤- وقف الوقت.

الاستثمار الوقفي

ويتمثل في الاهتمام بالاستثمار العقاري والمالي وفقا للضوابط الشرعية؛ سعيا لتنمية الوقف وزيادة العائد منه وفق سياسات مأمونة المخاطر وبعوائد مجزية، مما يسهم في توسيع دائرة العمل الخيري بصورة مستمرة ومتواصلة.

«الرحمة العالمية»

وتأتي جمعية الرحمة العالمية كإحدى الجمعيات الناشطة في العمل الخيري لتمد يد العون والمساعدة خارج الكويت، حيث تعمل في قطاعات أربعة: قطاع آسيا - قطاع إفريقيا - القطاع العربي- القطاع الأوروبي.

وتتنوع مشاريعها لتشمل:

١- مشاريع الكسب الحلال (بقرة حلوب - عربة طعام - قارب صيد - ماكينة خياطة - مخبز منزلي - منيحة غنم - القرض الحسن - بناء مخابز).
٢- مشاريع إغاثية (الإغاثات - إطعام - ذبائح - تدفئة شتاء).
٣- مشاريع صحية (بناء مستشفيات- بناء مستوصفات - بناء عيادات ومراكز صحية - عمليات صغرى - كراسي متحركة - حملات طبية - حقيبة طبية).
٤- مشاريع تنموية (بناء مجمعات تنموية - بناء مراكز تنموية - بناء مراكز مهنة).
٥- مشاريع اجتماعية (بناء دور أيتام - بناء سكن طلاب - قرى سكنية - بيوت فقراء - ترميم بيوت فقراء وتأثيثها).





٦- مشاريع تعليمية (بناء مجمعات تعليمية - بناء جامعات ومعاهد - بناء مدارس - تشغيل مدارس - بناء وتجهيز فصول مدرسية - بناء مراكز ثقافية - طباعة الكتاب - تجهيز مكتبات).

٧- مشروع الكفالات (كفالة طالب مدرسي - كفالة طالب جامعي - كفالة طلاب دراسات عليا - كفالة مدرسين- كفالة أيتام - كفالة أسر - كفالة معاقين - الكسوة والعيدية).

جمعية إحياء التراث الإسلامي

تعتبر جمعية إحياء التراث الإسلامي من أبرز الجمعيات الكويتية الناشطة في المجال الإنساني، وتمتد أنشطتها داخل الكويت وخارجها لتشمل مجالات عدة، منها بناء المساجد والمراكز الإسلامية وبناء المستوصفات وحفر الآبار وطباعة المصاحف ومشروع «منيحة العنز» ومشاريع «كسوة الشتاء والحقيبة الشتوية ودفء وعمرة الهداية للمهتدين الجدد»، ومشروع «إطعام أسرة داخل الكويت»، وسقيا الماء وبناء سكن جامعي للطلاب، ومشروع الحقيبة المدرسية وكفالة الأيتام والأسر المتعففة وبناء دور للقرآن الكريم، ومشروع «مساعدة المرضى» و«عمرة المقيمين داخل الكويت» و«سقي الماء»، ومشروع «الدعوة اليومية» وهو عبارة عن دروس ومحاضرات ودعوة إلكترونية ولقاءات وعمرة وتوزيع كتيبات دعوية وحلقات تحفيظ للقرآن الكريم، ومشروع «كفالة داعية» ويهدف لدعوة غير المسلمين إلى الاسلام وتعليم المسلمين أمور دينهم وجولات في أماكن العمال واقامة الدروس الدينية، بالإضافة إلى مشروع «أحسن البيان» لتوزيع المصاحف المترجمة للجاليات المسلمة والمهتدين الجدد داخل الكويت.

تقدم الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية خدماتها دون تمييز أو تعصب

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

تعد «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» واحدة من كبريات المؤسسات العاملة في الحقل الإنساني على مستوى العالم الإسلامي، وهي هيئة خيرية مستقلة متعددة الأنشطة، تقدم خدماتها الإنسانية للمحتاجين في العالم من دون تمييز أو تعصب.

وتعمل الهيئة وفق قيم (التنمية - المؤسسية - الاحتساب - الشفافية - التواصل).

وتشمل مجالات العمل:

المجال الأول: التواصل وشؤون المتبرعين.

المجال الثاني: الاستثمار وتنمية موارد الهيئة المالية.

المجال الثالث: الصرف على المشاريع التنموية والإغاثية والإنشائية من خلال تنفيذ برامج تنموية للمجتمعات المستهدفة.

المجال الرابع: الإعلام والتسويق.

المجال الخامس: العلاقات المحلية والدولية.

المجال السادس: التنمية البشرية والأداء.

مبادرات الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الإنسانية

مبادرة «ابن مدرسة»: تعمل جاهدة لإنشاء والإشراف على تأسيس وإدارة وتوجيه عدد من المدارس في مناطق مختلفة من العالم مثل بنين والنيجر وبوركينافاسو وأوغندا والهند. وبرز نشاط الهيئة واضحا على الصعيد الإقليمي عبر إقامة الندوات والبرامج والمشاريع الإنمائية في تونس والمغرب وإيران، وتنظيم لقاءات مع رؤساء المراكز الإسلامية في آسيا، وإقامة ورش عمل في السودان لإعداد مناهج المدارس القرآنية، وإقامة دورات تدريبية للأئمة والخطباء والمعلمين لتنويرهم بطبيعة التحديات وكيفية مواجهتها.



«مبادرة مشروع الشفيع»: وهي مبادرة تستهدف التميز على مستوى العالم الإسلامي عبر تخريج حفاظ متميزين لكتاب الله عزوجل. ويهدف المشروع إلى تحفيظ القرآن الكريم وعلومه مستفيدا من الوسائل العصرية والتقنيات الحديثة، وامتد هذا المشروع ليصبح عالميا بعالمية رسالته، حتى يعم الخير، ويشع النور.

«مبادرة ادفع دينارين»: مشروع شبابي تعليمي عالمي تابع للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، تتلخص فكرته في: أن يتم التبرع بقيمة دينارين شهريا من خلال الطلاب والطالبات الملتحقين بالمؤسسات التعليمية في الكويت أو أي دولة، حيث يتم استخدام المبالغ المجمعة في البرامج والمؤسسات التعليمية في مختلف دول العالم، التي لا تتاح فرص التعليم لأبنائها بسبب الفقر والحاجة. وتتجسد رؤية المشروع الخمسية في إنشاء ٥ مراكز تعليمية في ٥ قارات مختلفة في العالم خلال ٥ سنوات.

«التنمية المجتمعية»: دشنت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ٣٢ ألف مشروع تنموي وإنتاجي منذ إطلاق برنامج المشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر عام ١٩٩٨م وحتى الآن بقيمة ٣٠ مليون دولار في ٢٧ دولة حول العالم. تتجه الهيئة الخيرية للتوسع في المشاريع التنموية بعد نجاح برنامج التنمية المجتمعية في تحسين أوضاع ٢٦٠ ألف مستفيد ومساعدتهم على إعالة ٥١ ألف أسرة، معيشيا وتعليميا وصحيا، تحت شعار «معا.. لا يعود السائل إلى السؤال».

وقادت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية أربعة مؤتمرات لدعم الوضع الإنساني في سورية، حشدت خلالها عشرات المنظمات الخيرية الكويتية والإقليمية والدولية. وكان لهذه الجهود أثر ملموس في تخفيف معاناة الأشقاء السوريين.

وبلغ إجمالي تعهدات المنظمات غير الحكومية خلال المؤتمرات الأربعة أكثر من مليار و٣٠٠ مليون دولار، تم توجيهها لإنشاء مشاريع إيوائية وصحية وتعليمية وغيرها.

ومتسامية على كل جراحات الماضي ومنتصرة لقيمها ومبادئها الإنسانية والأخلاقية، استضافت الكويت أعمال مؤتمر الكويت الدولي لإعادة إعمار العراق خلال الفترة من ١٢-١٤ فبراير ٢٠١٨م برعاية ورئاسة حضرة صاحب السمو - حفظه الله ورعاه - وتعهدت خلاله الدول المشاركة بـ٣٠ مليار دولار لإعادة إعمار المناطق المتضررة من جراء الحرب على الإرهاب الأسود.

ومتزامنا مع هذا المؤتمر، وبتوجيه كريم من حضرة صاحب السمو، استضافت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية عشرات المنظمات خلال

مؤتمر المنظمات غير الحكومية لدعم الوضع الإنساني، وهو ما أسفر عن تعهدات بتنفيذ برامج تنموية بقيمة ٣٣٧ مليون دولار بغية تخفيف معاناة الأشقاء العراقيين المتضررين جراء النزاعات المسلحة.

تجارب رائدة.. د. عبدالرحمن السميط

كانت بداية رحلة الدكتور عبدالرحمن السميط - يرحمه الله - مع العطف على الفقراء أنه عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية في الكويت كان يرى العمال الفقراء ينتظرون في حر الكويت الشديد حتى تأتي المواصلات تقلهم، فما كان منه إلا أنه جمع هو وأصدقاؤه المال واشترى سيارة قديمة ليوصل هؤلاء العمال مجانا رحمة بهم من حر الكويت. وفي الجامعة كان يخصص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكتيبات الإسلامية ليقوم بتوزيعها على المساجد.

استمرت معه عادته وحرصه على الوقوف إلى جانب المعوزين وأصحاب الحاجة حينما شعر بخطر المجاعة يهدد المسلمين في إفريقية، وأدرك خطر حملات التبشير التي تنتشر في صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، وعلى إثر ذلك آثر أن يترك عمله الطبي طواعية ليجسد مشروعا تنمويا في مواجهة غول الفقر والجهل، واستقطب معه فريقا من المتطوعين الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني، الذي تتمثل معالمه في مداواة المرضى وتضميد جراح المنكوبين ومواساة الفقراء والمحتاجين والمسح على رؤوس اليتامى وإطعام الجائعين وإغاثة الملهوفين.

وبدأ رحلته من ملاوي، حيث قدر له أن يسافر إلى إفريقيا لبناء مسجد لإحدى المحسنات الكويتيات، وهناك رأى ملايين البشر يقتلهم الجوع والفقر والجهل والمرض ويعيشون على مساعدات البعثات التبشيرية، ورأى المبشرين الأوروبيين قد بنوا للسكان عدة كنائس، أما المساجد، إن وجد أحدها، فيكون غالبا صغير الحجم ومبنيا من القش ويتعرض في بعض الأحيان لنهش الأبقار من شدة جوعها، والإمام فيه لا يحسن قراءة الفاتحة والناس غير مستوري العورة في الصلاة، وهناك أناس لا يجدون شيئا يأكلونه؛ فاستمر هو وزوجته في جمهورية ملاوي ثم رحلا إلى أربعين دولة في إفريقية وبنيا فيها المساجد والمراكز ودور الأيتام والمستوصفات.

وكان من أسباب اهتمام السميط بإفريقية دراسة ميدانية أكدت أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة؛ فغالبيتهم -خاصة أطفالهم في المدارس- عرضة للتنصير والتحول إلى المسيحية، وهذا ما حدث بالفعل، فقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف من الدول الإفريقية اعتنقوا المسيحية بينما بقي آباؤهم وأمهاتهم على الإسلام.

ترك السميط حياة الرفاهية، بعد حصوله على شهادة الطب وما تحققه هذه المهنة من دخل كبير، وآثر حياة المخاطر من أجل نشر الإسلام في إفريقيا أفقر قارات العالم وأكثرها توترا، فأسلم على يديه ملايين البشر في قرى نائية في إفريقية، لافتا الأنظار إلى ما تعانيه إفريقية من فقر، فهبت الشعوب المسلمة في مساعدتها، فأصبح اسمه مربوطا بهذه القارة، بعد أن نقل عمله من عمل فردي إلى عمل مؤسسي؛ تمثل أولا في «لجنة مسلمي إفريقية» التابعة لجمعية النجاة الخيرية، ثم استقل بجمعية متخصصة لها صفتها الرسمية الخيرية أطلق عليها اسم «جمعية العون المباشر»، لم يتعذر بالإمكانات المتواضعة في بداية عمله الخيري، بل غامر موقنا أن العمل سيجلب له الإمكانات التي ستعينه، ضاربا مثلا في حب الدعوة ونشرها من خلال العمل الخيري حتى ولو كانت الشعوب المستهدفة شعوبا لا يفهم لغتها ولا يعرف عاداتها وتقاليدها.

كانت له رؤية تتلخص في أن مواجهة المجاعات والكوارث في إفريقية ليست مهمة الدول والصناديق الدولية فقط، بل هي أيضا مهمة الأفراد الذين يسهمون بالقليل من المال، وبهذه القناعة اتجه نحو الجماهير وفتح لهم باب المشاركة فيما كانوا يظنون أنه أكبر من طاقتهم، أقنع السميط تلك الجماهير المانحة بأنهم ليسوا مجرد متفرجين، فالدينار الواحد والريال الواحد والدرهم الواحد والليرة الواحدة والجنيه الواحد والروبية الواحدة.. هذه المبالغ الصغيرة قادرة على تغيير قارة إفريقية ونقلها من الضعف إلى القوة ومن الفقر إلى الغنى، كثيرون كانوا يبتسمون عند سماعه ويعتبرونه مجرد شخص متحمس، لكن ثلاثين عاما من العمل شهدت له بصحة تلك الرؤية، فهذه المبالغ الصغيرة أقامت الجامعات والمدارس، وأغاثت من مجاعات لا حصر لها، وآوت في مراكز الأيتام مئات الألوف من الأطفال الذين يكونون اليوم جيلا كاملا في ٢٨ دولة إفريقية.

كانت الكويت -وستظل إن شاء الله- منارة للعمل الخيري وتقديم العون للمعوزين والمحتاجين في كل مكان في إطار من الأخوة الإنسانية التي دعا إليها الإسلام وعمل على نشرها من خلال رسالته السمحة التي تدعو إلى الحب والتعاون بين الناس في مجالات الخير والبر منطلقة من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (المائدة:٢).



إعداد
علاء عبدالفتاح


المطار الجديد

أبناء الكويت يواصلون الطريق إلى مستقبل واعد

مشروعات على طريق الخير والنماء

تتزامن احتفالات دولة الكويت بأعيادها الوطنية هذا العام مع إنجاز مشاريع وتحقيق بطولات يشهد لها القاصي والداني تصب في خدمة المواطن والمقيم على أرض الكويت، التي تزدان هذه الأيام بأبهى حللها؛ احتفالا بالذكرى الـ٥٨ لعيدها الوطني، وقد تحققت إنجازات كثيرة بفضل من الله ثم بتوجيهات من سمو أمير البلاد إلى إدارة ناجحة من قبل القائمين على المشاريع، سواء في الوزارات والمؤسسات أو في الديوان الأميري، فجميعهم قاموا بتنفيذ عدة مشاريع لمصلحة الوطن والمواطنين، وفي الوقت المحدد لها، وبجودة عالية نفتخر بها. وتنقسم الإنجازات إلى إنجازات مؤسساتية وأخرى فردية، جميعها يؤكد أن الكويت وأبناءها في مسار تقدم حضاري حديث فضلا عن المسار الإنساني الذي عرفت به البلاد منذ نشأتها.

إذا تحدثنا أولا عن الإنجازات الحكومية، فلابد من وقفة عند صرح طبي مهم هو مستشفى جابر الأحمد، ثم صرح على مستوى النقل البري هو جسر الشيخ جابر، إضافة إلى شبكة طرق حديثة. وتبلغ الكلفة المالية الإجمالية لهذه المشاريع نحو ٧ مليارات دينار، وهي مدرجة جميعها ضمن خطة وزارة الأشغال وخطة التنمية للدولة.

أما مستشفى جابر الأحمد فيعد صرحا طبيا جديدا يضاف إلى المباني الصحية في الكويت، إذ يستوعب ١١٦٨ سريرا، ويضم خمسة أبراج ومركزا لاستقبال الطوارئ وأجنحة لكبار الشخصيات المهمة. ويعد المستشفى من أكبر المشاريع في منطقة الشرق الأوسط، وهو مجهز بأحدث ما توصلت إليه علوم التكنولوجيا الطبية، وقد بلغت الكلفة الإجمالية لهذا المشروع حوالي ٣٠٤ ملايين دينار تشمل جميع أعمال المشروع.

أما جسر الشيخ جابر، الذي يربط العاصمة بالمنطقة الشمالية، فيعد رابع أطول جسر في العالم، إذ يبلغ طوله ٣٦ كيلومترا، مشكلا معلما وطنيا جديدا، فهو يقطع المسافة من مدينة الكويت إلى المناطق القليلة السكان الواقعة على حدود العراق مباشرة من دون أي عوائق. ويبدأ مسار المشروع من ميناء الشويخ والمنطقة الحرة، ويعبر جون الكويت غربا مارا بجانب جزيرة أم النمل حتى منطقة الدوحة، ومن ثم يرتبط


استاد جابر


جسر جابر

بطريق الدوحة السريع حتى الصبية.

وبالنسبة إلى المشروع الأخير فهو مشروع شبكة الطرق في الكويت، والتي شارفت على الانتهاء بشكل كبير، وسيكون هذا العام هو العام الأخير للانتهاء بشكل كبير من مشاريع الطرق الضخمة في الكويت، ومن أبرزها طريق الجهراء وجمال عبدالناصر وجسر الشيخ جابر وطريق القاهرة والفحيحيل والطرق الإقليمية التي تربط الكويت من منفذ السالمي مع المملكة السعودية وكذلك من منفذ العبدلي مع العراق.

ووفق تقرير رسمي صادر عن المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية، وهو الجهة المنوط بها دراسة وتخطيط وإقرار المشروعات التنموية الضخمة في البلاد، أفاد موقع «العربي الجديد» أن الحكومة الكويتية تنفذ ثلاثة مشاريع تنموية ضخمة، تتمثل في إنشاء أكبر مجمع للمختبرات العلمية، ومزرعة اقتصادية عملاقة لمحاصيل لم تستطع زراعتها من قبل، ومصنع لإدارة النفايات الإلكترونية، حيث يصل إجمالي كلفة المشاريع الثلاثة إلى نحو ٣,٥ مليارات دولار.

وقال التقرير إن عملية تنفيذ المشروعات الثلاثة ستستغرق من ٣ إلى ٥ سنوات، حيث من المقرر الانتهاء منها

الكويت أدت دورا فاعلا في صيانة السلم والأمن الدوليين

بحلول ٢٠٢٣م بأقصى تقدير.

وبحسب نائب الرئيس التنفيذي لشركة المشاريع الدولية، فيصل الكندري، فإن الكويت مقبلة على مستقبل جديد مع إطلاق مشاريع نوعية لأول مرة على الأراضي الكويتية، والدليل أنه في ٢١ مارس الماضي، كشفت الحكومة خلال ملتقى الكويت للاستثمار ٢٠١٨م عن الانتهاء من ٩ مشاريع تقدر قيمتها بـ٤٩ مليار دولار ما بين إنشاءات جديدة وعمليات تطويرية للبنية التحتية في الربع الأول من ٢٠١٩م، وتأتي ضمن المشاريع المدرجة في الخطة التنموية للدولة.

وسوف تحقق البرامج الحكومية بمشيئة الله أمورا تنموية مفيدة، من حيث تطوير نوعية الحياة والرفاهية، نظرا لنوعية المشاريع التي تقوم بطرحها التي تتواكب مع المتطلبات الحالية من المواطنين.

لدرجة أن الكويت (الحديث للكندري) ستحتاج، على مدار السنوات الـ ١٠ المقبلة على الأقل، إلى وجود ٥٠ شركة وطنية قوية، حتى نستطيع معها تحقيق التنمية المستهدفة.

الوقود البيئي

أعلن، وفق ما ذكرت وكالة الأنباء الكويتية على لسان الرئيس التنفيذي لشركة البترول الوطنية الكويتية محمد المطيري، أن نسبة الإنجاز الكلي في مشروع الوقود البيئي بلغت ٩٦,٩ في المئة في نهاية أكتوبر الماضي، وأن المشروع يعتبر من أضخم المشاريع على مستوى العالم بميزانية تقدر بـ١٥,٢ مليار دولار، مبينا أن المشروع يتكون من جزأين مهمين هما: تحديث وتطوير الوحدات القائمة بمصفاة الأحمدي وميناء عبدالله ومرافق مصفاة الشعيبة. أما الجزء الثاني من المشروع فيختص ببناء وحدات جديدة. وأفاد بأنه يجري حاليا بناء ٢٢ وحدة جديدة في مصفاة ميناء عبدالله، ومن أهمها بناء وحدة تقطير النفط الخام الجديدة بطاقة تقدر بـ٢٦٤ ألف برميل يوميا.

المستوى السياسي

يؤكد مندوب الكويت الدائم لدى الأمم المتحدة السفير منصور العتيبي، أن الكويت حققت «إنجازات دبلوماسية


مستشفى جابر

مهمة» خلال عضويتها في مجلس الأمن الدولي عام ٢٠١٨م بفضل تمسكها بثوابتها ومبادئها في الدفاع عن الأمة العربية وحقوقها وقضاياها إلى جانب جهودها الرائدة في دعم العمل الإنساني وإحلال السلام في الشرق الأوسط.

ووفقا لوكالة الأنباء الكويتية، فإن الكويت عادت إلى مجلس الأمن بعد مرور ٤٠ عاما على عضويتها الأولى (١٩٧٨م إلى ١٩٧٩م) لتتبوأ مقعدا عن مجموعة آسيا والباسيفيك، ولشغل المقعد العربي الذي تتناوب عليه الدول العربية. وذلك بحصولها على ١٨٨ صوتا من أصل ١٩٢ صوتا في الانتخابات التي عقدت في الثاني من شهر يونيو عام ٢٠١٧م، مما يعكس المكانة الدولية المرموقة التي تحظى بها الكويت في المجتمع الدولي وثقة المجتمع الدولي في قدرتها على أن تكون لاعبا فاعلا في صيانة السلم والأمن الدوليين.

واللافت أن الرئاسة الكويتية لمجلس الأمن في فبراير ٢٠١٨م تميزت – كما قال العتيبي – باعتماد المجلس ٥ قرارات و٤ بيانات صحافية، وعقد المجلس ٣٣ اجتماعا، فيما سعت الكويت إلى

الحكومة حددت رؤية لتنمية المناطق الساحلية

إبراز القضايا العربية، لاسيما القضية الفلسطينية، وتوجت هذه الجهود بمشاركة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في جلسة خاصة حول الحالة في فلسطين.

وفيما يتعلق بالملف اليمني، أكد العتيبي «أن الكويت تولي اهتماما خاصا لهذا الملف، لاسيما أنها استضافت جولة من مشاورات السلام اليمنية في عام ٢٠١٦م لأكثر من ٣ أشهر، كما أدت الكويت دورا محوريا في المجلس خلال المفاوضات التي أدت إلى إصدار المجلس القرار ٢٤٥١ حول الوضع الإنساني في اليمن».

المستوى الاقتصادي

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد شهدت بورصة الكويت خلال العام الماضي متغيرات مفصلية، إذ حققت إنجازات مهدت الطريق نحو تحقيق أهداف رؤية «كويت جديدة ٢٠٣٥م» الرامية إلى تحويل الكويت إلى مركز مالي وتجاري إقليمي. وأصبحت البورصة تقف على أعتاب نقلة نوعية بفضل الاستراتيجية التي تتبعها شركة بورصة الكويت التي تدير دفة التطوير فيها لتصبح سوقا أكثر حيوية ونضجا وفي مصاف الأسواق المالية الرائدة.

وتتجه بورصة الكويت في مرحلة التطوير خطوات متلاحقة باعتمادها تقنيات جديدة تتوافق مع المعايير الدولية في عملياتها، مما يشكل فرصا واعدة للمستثمرين من الشركات الأجنبية لكي تزدهر في سوق مالية سريعة النمو. وحققت شركة بورصة الكويت إنجازات وتطورات كبيرة، من بينها تنفيذ عدة مشاريع مهمة لتطوير السوق بشكل عام بغية تحسين البنية التحتية وبيئة الأعمال وإنشاء قاعدة مصدرين متنوعة وواسعة وإطلاق منتجات جديدة لجذب المستثمرين.

ومن بين تلك التطورات والإنجازات إعلان مؤسسة «ستاندرد آند بورز وداو جونز لمؤشرات الأسواق» ترقية بورصة الكويت كسوق ناشئة اعتبارا


مجمع التربية النموذجية


حديقة الشهيد

من ٢٣ سبتمبر ٢٠١٩م وذلك لدورها الفاعل في تنشيط وتحفيز سوق المال الكويتي ومواكبتها لأحدث النظم.

صندوق الأجيال

من اللافت أيضا توجيه موارد الدولة الزائدة إلى صندوق ثروة سيادية تبلغ قيمته نحو ٦٠٠ مليار دولار، مما يوفر ثقلا ماليا للأجيال القادمة. يقول الأمين العام للمجلس الأعلى للتخطيط والتنمية في الكويت خالد مهدي: «الأجيال القادمة تدرك أن مستقبلها لا يمكن بناؤه بالطريقة القديمة نفسها، وسترى مزيدا من الحركة في القطاع الخاص، وقد تعهدت الكويت بإرساء شراكة مع مجتمع الأعمال، وخصصت ١٠٠ مليار دولار للاستثمار في البنية التحتية. وهي تتوسع وتفتح المجال أمام المستثمرين الأجانب الملتزمين باستحداث فرص عمل للمواطنين الكويتيين». ويقول المدير العام للهيئة العامة للطرق والنقل أحمد الحسن، الذي يشرف على تنفيذ الجسر: «يعد هذا الجسر أحد أكبر مشاريعنا ويقدم دليلا دامغا على أنه على الرغم من أن لدينا مؤسسات لديها قوانين وبيروقراطية فقد تمكنا من إنهائه وفقا للتكلفة المحددة».

وقد حددت الحكومة رؤية لتنمية مرحلية في المناطق الساحلية شمالي الكويت، بما في ذلك جزيرة بوبيان، بتكلفة قيمتها عدة مليارات من الدولارات تشمل «مدينة الحرير» و«منطقة الجزر» بمساحة إجمالية ٢٥٠ كيلومترا مربعا، تضم ميناء رئيسيا، ومطارا، ومحمية طبيعية، ومرافق سياحية. وبالتالي تصبح محطة بحرية في مبادرة الحزام والطريق الصينية، التي تهدف إلى إنشاء شبكة نقل عالمية.

الإنجازات الفردية

أما الإنجازات الفردية التي حققها أبناء الكويت فتعد علامات مضيئة على جبين الوطن، ومنها، وفقا للترتيب الزمني من يناير حتى ديسمبر الماضيين: نجاح أول عملية لزراعة قلب صناعي لطفل كويتي بمشاركة فريق طبي ألماني وأطباء كويتيين - حصول الدكتور نواف المطيري على جائزة أكاديمية الصحة العالمية لجهوده المثمرة في مجال البحوث العلمية والطبية - نجاح أول عملية زراعة كبد في الكويت بيد فريق كويتي بقيادة الدكتور محمد جمال - فوز شركة نفط الكويت بجائزة «إنترناشيونال فايننس» لأفضل شركة إنتاج واستكشاف.

كما حصدت جامعة الكويت المركز الأول في بطولة قطر للمناظرات باللغة العربية، بعد فوزها بالجولة النهائية على جامعة الأحفاد السودانية، ومنح الأمين العام لمنظمة الحماية المدنية الدكتور فلاديمير كوفشينوف وكيل الحرس الوطني الفريق الركن المهندس هاشم الرفاعي وسام «الفارس الدولي» تقديرا لجهوده في حماية الأرواح والممتلكات.

كما حصلت وزارة التربية على أربع جوائز تربوية في المسابقة الدولية لجائزة «حمدان بن راشد آل مكتوم» للأداء التعليمي المتميز للدورة العشرين ٢٠١٧م - ٢٠١٨م التي أقيمت في الإمارات.

وكرمت موسوعة «غينيس» العالمية النقيب محمد بوربيع من الإدارة العامة للمرور بحصوله على ٢١ ميدالية ذهبية عالمية خلال ١١ عاما من الاتحاد الدولي للدراجات المائية.

وأعلنت شركة ناقلات النفط الكويتية نيلها جائزة تطوير البنية التحتية في الصناعة البحرية والموانئ.

من ناحية أخرى، منحت جمهورية البرتغال الشاعر الكويتي عبدالعزيز البابطين وسام الجمهورية تقديرا لدوره في نشر ثقافة السلام وجهوده في تحقيق التواصل بين الشعوب.

وحاز فريق الرحالة الكويتي «كوكبنا المشترك» جائزة تقدير رئيسية في مهرجان الرحالة العالمي لعام ٢٠١٨م بمدينة ميلانو الإيطالية.

كما حصد الدكتور مشاري المطيري الجائزة الذهبية في معرض جنيف الدولي للاختراعات في مجال اختراعات البيئة نظير اختراعه تقنية متميزة لتنقية التربة الملوثة بالنفط.



وفازت بلدية الكويت بجائزة التميز الدولية في مجال نظم المعلومات الجغرافية التي تنظمها مؤسسة «ايه. اس.ار.آي» العالمية من خلال مشروع تطوير نظام المعلومات الجغرافية.

وحصلت الكويت على المركز الثالث والميدالية البرونزية في منافسات مسابقة رماية التراب المشترك في بطولة كأس العالم للرماية المقامة في كوريا الجنوبية.

كما فاز الشاعر محمد الحربي بالمركز الأول لجائزة كتارا لشاعر الرسول ﷺ بالشعر النبطي، ونالت الشركة الكويتية لتزويد الطائرات بالوقود (كافكو) المركز الأول بجائزة التميز في إدارة الموارد البشرية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا لعام ٢٠١٨م في فئة أفضل مبادرة لتطوير العمالة الوطنية.

كما حصلت وزارة المالية الكويتية على جائزة أفضل مركز إعلامي وتواصل اجتماعي في القطاع الحكومي لعام ٢٠١٨م من مجلة «أريبيان بزنس».

وفي الوقت نفسه حصلت اللجنة الوطنية العليا لحماية الطفل على جائزة أفضل فريق متعدد التخصصات على مستوى العالم لعام ٢٠١٨م من قبل الجمعية العالمية للوقاية من عنف الأطفال.

وفازت المتطوعة الكويتية منال المسلم بلقب «صانعة أمل» لعام ٢٠١٨م ضمن مبادرة «صناع الأمل» الإماراتية التي أطلقها نائب رئيس دولة الإمارات رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم.

وقد منحت فرنسا الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب علي اليوحة وسام السعف الأكاديمي بدرجة فارس تقديرا لدوره في تعزيز التعاون الثقافي بين الكويت وفرنسا.

أما مركز جابر الأحمد الثقافي ففاز بجائزة أفضل صرح ثقافي تراثي في الخليج لعام ٢٠١٨م من الناحية المعمارية والإنشائية.

وحصل وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الاسلامية الدكتور وليد الشعيب على جائزة الشخصية الإسلامية العالمية لخدمة القرآن الكريم لعام ٢٠١٨م.

ومنحت جمهورية روسيا الاتحادية بدر محمد السعد وسام «الصداقة الروسي» تقديرا لجهوده في تعزيز العلاقات الكويتية الروسية، لاسيما الاقتصادية منها.

كما منحت المملكة المتحدة مدير الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال مارغريت الساير وسام الإمبراطورية البريطانية لجهودها في مساعدة الأطفال المرضى الميؤوس من شفائهم.

وحصد المخترع الكويتي عادل الوصيص الميدالية الذهبية لاختراعه «حزام الأمان» في المعرض الدولي للاختراعات (أيتكس) الذي أقيم في ماليزيا.

في الوقت نفسه فازت هيئة البيئة الكويتية بجائزة الإنجاز العالمية في نظم المعلومات الجغرافية لعام ٢٠١٨م عن مشروع نظام معلومات الرقابة البيئية لدولة الكويت.

ووصل متسلق الجبال الكويتي يوسف الرفاعي إلى أعلى قمة بركانية في قارة أوقيانوسيا تصل إلى ٤٣٦٧ مترا ليرفع علم الكويت ويصبح أول عربي يعتلي هذه القمة.

كما فاز الفنان والرسام الكويتي ناجي الحاي بجائزة التميز الإبداعي في معرض «قوة الفن» الذي أقيم في العاصمة الإيطالية روما.

وعلى المستوى الاقتصادي توج تقرير «غلوبال فايننس» السنوي للمصارف المركزية محافظ البنك المركزي الكويتي الدكتور محمد الهاشل في المركز الأول خليجيا وضمن المراكز الأربعة الأولى


جانب من مشاريع الديوان الأميري

على مستوى الشرق الأوسط وإفريقية.
كما حصلت الكويت، ممثلة في فريق حماية الطفل، على جائزة دولية لدورها وجهودها المتميزة في دعم حقوق الطفل. ومنحت جامعة مستشفى «إراسم» في العاصمة البلجيكية بروكسل الجراح الكويتي حسين الحربي شهادة في تخصص جراحة مناظير مفصل الورك ليصبح أول كويتي يحصل عليها.
وفازت المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية بجائزة التميز وشهادة التقدير في مسابقة منتدى دول آسيا والمحيط الهادي للضمان الاجتماعي (الأيسا) والمقام في ماليزيا.
كما منحت جامعة كاليفورنيا الأميركية المدير العام لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي الدكتور عدنان شهاب الدين جائزة «هاس» الدولية نظير جهوده العلمية في الكويت والوطن العربي.
وفاز مركز الشيخ عبدالله السالم الثقافي بجائزة مؤسسة المباني العالمية كأفضل مشروع هندسي عن فئة المرافق العامة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لعام ٢٠١٨م.
كما فاز المهندس الكويتي مشعل العتيبي بجائزة أفضل بحث علمي في مجال الهندسة المعمارية على مستوى العالم وذلك في مؤتمر أميركا الشمالية للهندسة.
وفازت الهيئة العامة للاتصالات وتقنية المعلومات بمقعد في مجلس الاتحاد الدولي للاتصالات لأربع سنوات مقبلة.
كما حصل الطبيب الكويتي مشعل الجربا على براءة اختراع من المكتب الأميركي لبراءات الاختراع عن اختراعه جهازا طبيا يهدف الى تسهيل العمليات الجراحية.
كما اكتشف علماء الآثار «مدينة المعبد» التي يعود تاريخها الى ٧٥٠٠ عام وذلك في موقع «بحره ١» على الساحل الشمالي لخليج الكويت.
وفاز اللاعب محمد حسين الفضلي بالميدالية الذهبية لفردي مبارزة «السابر» ضمن منافسات بطولة العالم للناشئين للمبارزة التي أقيمت في العاصمة الإيرانية طهران.
أما معهد الكويت للأبحاث العلمية فأعلن عن تدشين أول مركبة كهربائية في البلاد تعمل بواسطة الوقود الهيدروجيني.
وحصل طلاب كويتيون على جائزة أفضل وفد دبلوماسي في مؤتمر نموذج الأمم المتحدة الدولي الذي أقيم في العاصمة الماليزية كوالالمبور.
كما حقق فريق طبي كويتي من مستشفى الأمراض الصدرية نتائج عالمية في علاج الصمام الأورطي عن طريق القسطرة (تافي)، وحصل المتسابق مشاري أحمد الظفيري على المركز الأول في الترتيب العام للمرة الرابعة وعلى لقب بطل الشرق الأوسط للراليات ٢٠١٨م في لبنان.
وكرمت الوكالة الدولية للطاقة الذرية مركز الكويت لمكافحة السرطان تقديرا لجهوده في مكافحة المرض باستخدام أحدث تقنيات الطب النووي.
كما حصل أستاذ التاريخ الكويتي الدكتور عبدالله محمد الهاجري على جائزة شوامخ المؤرخين العرب لعام ٢٠١٨م المقدمة من مجلس اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة.
وأعلنت جامعة الكويت عن تسجيل براءة اختراع كويتي في الولايات المتحدة الأميركية عن جهاز المساعدة في سحب المقطورات الميكانيكي.
كما قلدت فرنسا نائب رئيس الحرس الوطني الكويتي الشيخ مشعل الأحمد الصباح وسام قائد جوقة الشرف.
وفازت المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية الكويتية بجائزة أفضل شراكة استراتيجية لعام ٢٠١٨م.
كما حصل الرئيس التنفيذي لشركة البترول الوطنية الكويتية المهندس محمد غازي المطيري على جائزة أفضل رئيس تنفيذي لعام ٢٠١٨م التي تمنحها مجلة petroleum economist العالمية.
ومنح الرئيس المنغولي خالتما باتولاغ سفير الكويت لدى بولندا والسابق لدى منغوليا خالد الفضلي وسام الصداقة تقديرا لجهوده في توطيد العلاقات بين الكويت ومنغوليا.
وقد فاز عضو مجلس الأمة الكويتي النائب راكان النصف بجائزة التميز البرلماني عن فئة «الأعضاء» التي يمنحها الاتحاد البرلماني العربي.



محمود خليفة
باحث دراسات إسلامية - مصر

الإسلام وحماية البيئة

حثت الشريعة الإسلامية على التنمية المتكاملة بمختلف أنواعها، وعملت على حماية المخلوقات التي تعيش على الأرض، بل أوصت بالإحسان إليها. كذلك أوصت الشريعة الإسلامية الغراء بالاستفادة مما في الأرض من موارد ومقدرات وفق ضوابط خاصة من غير إفراط ولا تفريط، ولم يقتصر دور الشريعة الإسلامية في هذا المجال على إثابة المحسنين للبيئة ومعاقبة المسيئين لها، بل تعدى ذلك إلى جعل أخلاقيات التعامل مع البيئة سلوكا حميدا يجب أن يلتزم به المسلم ويراقب في أدائه ربه.

إن المشكلات البيئية الكبرى التي تعاني البشرية منها حاليا تعود إلى الإنسان نفسه، فلقد أدى غياب الوازع الديني وعدم وضوح أسس العلاقة بين الإنسان والبيئة إلى تفاقم هذه الأزمة واستفحال أمرها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نقول بكل ثقة إننا في حاجة إلى التعامل مع البيئة من منظور إسلامي حتى تتسنى لنا معالجة قضايا التلوث الحالية التي تهدد بيئتنا.

مفهوم البيئة في الإسلام

إن نظرة الإسلام إلى البيئة نظرة واسعة وشاملة لا تتوقف عند النواحي الجمالية أو الاقتصادية لها، بل تتعدى ذلك إلى آفاق أوسع تمتد زمانيا ومكانيا وعقديا أيضا، وهي نظرة تمزج الجوانب المادية للبيئة بالجوانب الروحية التي تربط الإنسان بالخالق وتجعل من حماية البيئة وسيلة من وسائل العمل الصالح الذي يتقرب به العبد إلى مولاه، كما تجعل من الإسراف في استنزاف الموارد الطبيعية لونا ممن ألوان البغي والعدوان والفساد في الأرض[1].

وقد حاول بعض الباحثين وضع تعريف إسلامي علمي للبيئة، حيث عرفها الدكتور زين الدين بن عبدالمقصود بأنها

«كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر أو مكونات طبيعية، حية وغير حية، من خلق الله سبحانه وتعالى، ممثلة في مكونات سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان وصخور وتربة، وعناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط ورياح وتساقط الأمطار والندى، وأحياء برية، نباتية كانت أو حيوانية، تعيش على اليابسة أو المسطحات المائية»[2].

ويتضح من هذا التعريف أن البيئة، بشكل عام، تشمل كلا من السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، بمن في ذلك الإنسان، الذي يعد من بين سائر المخلوقات التي تعج بها البيئة، بل هو من أهم عناصرها ولذلك كرمه الله عزوجل وجعل باقي عناصر البيئة منحة مبذولة له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

حماية الإنسان

الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية الغراء هو محور البيئة، بل البيئة نفسها مسخرة لخدمته. نعم، إنها النعمة المهداة من الله سبحانه وتعالى لبني الإنسان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠)[3].

ولقد حرصت الشريعة الإسلامية على حماية الإنسان وتوفير الأمن له، ويتجلى ذلك الدور من خلال التشريع الإسلامي الحكيم. ونعرض بعض الصور منه في السطور الآتية:

١- نص على أن المسلم لا يتعمد قتل أخيه المسلم ظلما وعدوانا، وأن من يقترف مثل هذه الجريمة يعد في نظر الإسلام من أكبر المنتهكين لحرمات الله والخارجين على حدوده، إذ يقول المولى عزوجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣).

٢- نهى الشارع الحكيم عن قتل الإنسان لنفسه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، كما حرم أيضا وأد الأنثى ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ (التكوير:٨-٩).

٣- حثت الشريعة الإسلامية على إطعام الجائع والإحسان إلى الفقراء والمساكين، بل إن الرسول الكريم حدد ملامح البيئة التي يتكافل فيها أفراد المجتمع فلا يكون بينهم جائع أو عار، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»[4].

وسائل المحافظة على البيئة

إذا عدنا إلى تاريخنا الإسلامي فسوف نجد أن الإسلام قد سبق النظم الأوروبية في استنباط التشريعات البيئية والعمل بمقتضاها ومحاسبة من يخرج عنها، ولو تصفحنا مصادر الفقه الإسلامي لوجدنا نصوصا كثيرة تتعلق بحماية البيئة من التلوث وتحقيق الأمن البيئي بمختلف صوره وأشكاله، ومن ذلك ما يلي:

١- نهى الشارع الحكيم عن إتيان أي سلوك سلبي أو إيجابي يترتب عليه الإضرار بالبيئة، كقيام شخص بإغراق سفينة محملة بالنفايات الخطرة أو بمواد سامة في عرض البحر، إذ يدخل ذلك في عموم النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦).

بل إن ذلك النهي الوارد في الآية يسمح لولي الأمر بأن ينظم الأحكام الخاصة بالجرائم التعزيرية لحماية البيئة من الفساد بشتى صوره وأنواعه.

٢- نهت الشريعة الإسلامية عن جرائم الخطر المجرد، مثل استنزاف الموارد الطبيعية بالإفراط الجائر في صيد نوع معين من الأحياء الحيوانية مما يجعلها على شفا الانقراض، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

٣- أوصت الشريعة الإسلامية بالزراعة والغراسة والاستزراع والاستصلاح حتى ولو في آخر لحظات العمر، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[5].

ولا يخفى على عاقل الدور الكبير الذي تقوم به الرقعة الزراعية في الحفاظ على البيئة وحمايتها من مخاطر التلوث. من هنا نجد أن الشريعة الإسلامية سبقت القوانين الوضعية الخاصة بحماية البيئة من خلال ما تضمنته من أحكام تتعلق بتحقيق الأمن البيئي والحفاظ على عناصر البيئة ومكوناتها.

وأخيرا إن ما في البيئة من ثروات ومتاع محدود، معرض للنفاد بعد أمد لا يعلمه إلا الله، ولا يتنافى ذلك مع ما تقرره آيات القران الكريم بأن الله خلق الأرض وقدر فيها أقواتها وتكفل برزق كل من يحيا فيها. ولما كانت ثروات البيئة معرضة للنفاد، فإن الإنسان مطالب بألا يسرف في استنزاف هذه الثروات، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (الشعراء:١٥١-١٥٢).

الهوامش

١- المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، محمد عبدالقادر الفقي، ص:٣١.

٢- البيئة والإنسان: رؤية إسلامية، د. زين الدين عبدالمقصود، ص:١٣.

٣- المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، محمد عبدالقادر الفقي، ص:٣٧-٣٨.

٤- رواه أبو داود (١٦٨٢).

٥- الألباني: (٣٧١).



عماد الفقي
صحافي مصري

صندوق التنمية الاقتصادية الكويتي.. يعيد ترتيب أوراقنا



حسنا فعلت دولة الكويت عندما أنشأت صندوق التنمية الاقتصادية قبل خمسة عقود، وكذلك عندما مدت مظلته في عام ١٩٧٤م لتشمل فوائده وثماره دولا أخرى غير عربية بصورة أوسع مما كانت تصبو إليه إدارته عند إنشائه في مطلع الستينيات، فقد خرج الصندوق ككيان اقتصادي هدفه دعم وتنمية الدول العربية فقط، ليعود ويوسع رقعة رسالته وأهدافه تزامنا مع القرار الأميري برفع موازنته من ٢٠٠ مليون دينار إلى مليار دينار في عام ١٩٨١م ليضرب المثل والقدوة..

ويصير قبلة لكل من يسعى إلى المساعدة في تكريم البشر دون الالتفات إلى لون جلدتهم.. أو لغتهم.. أو عرقهم، وهو هدف سام يتفق مع نبل رسالة الإسلام السماوية وشفافيتها.

على أن الثناء على الصندوق ليس له محل من إعراب في هذا المقام. فهو صندوق اقتصادي محايد أهدافه تنموية واضحة، يسعى لاستثمار أرصدته في بناء المجتمعات، وتحسين

معيشة المواطن، ومسيرة هذا الصندوق كفيلة بالتحدث عنه، الغرض هنا من اجترار زمن نشأة الصندوق وتذكر أهدافه، وإعادة قراءة أسباب ومبررات نشأته، غرض واحد فقط، غرض قد

يبدو سياسيا، إلا أنه اجتماعي يطرح وجهة نظر ما وتبين من خلال هذا: لماذا لم نستعض بصندوق له هذه الكفاءة والعدالة عن صندوق النقد الدولي صاحب المعايير القاسية؟! لماذا لم نتحاكم إلى وهويتنا -ونحن نسعى إلى تحسين معيشتنا وملاحقة حضارات أخرى لماذا لم تتغلب مصالحنا على انقساماتنا؟!

إن اتخاذ صندوق الكويت للتنمية كنموذج للاسترشاد يكشف عما ينبغي أن تكون عليه بوصلة توجهاتنا الاقتصادية، ويخبرنا بالكثير عن الدائرة المغلقة التي هرمنا على التفكير في مدارها وفلكها ونحن نبحث عن حلول لأزماتنا، وتتوالى الأسئلة.. لماذا نطلب العون من صندوق غربي ونحن لدينا «صناديق» وفي مقدمتها هذا الصندوق العربي ذائع الصيت صندوق له باع وخبرة تجاوزت عشرات السنين ومئات المشروعات؟! إن علامات الاستفهام التي تثيرها تساؤلاتنا تتجلى إجاباتها في الأجواء الشفافة والنزيهة التي تجعل هذا الصندوق حجر الزاوية والأساس في كل منظومة تنموية، تستهدف تحسين حياة الإنسان في عالمنا عموما.. وعند المواطن العربي على وجه الخصوص، والمثير للغموض -والحيرة- أن تغيب نشاطات وأخبار صندوق الكويت عن صفحاتنا الاقتصادية في صحفنا وبرامجنا الإعلامية على اختلاف توجهاتها، بينما أخبار صندوق النقد الدولي تتصدر المشهد الاقتصادي في بلادنا، كما لو كنا نمنح ولا نأخذ، نعطي ولا نتلقى.



إن تجاوز قوائم المستفيدين من الصندوق الكويتي سقف مئة دولة هو دلالة واضحة تقيم بشفافية أداء الصندوق وحجم إنجازاته، فقد وصلت أعداد الدول الحاصلة على قرض الصندوق إلى ١٠٥ دول، ويخرج نصفها عن حدود الخليج والمنطقة العربية، وإذا استشهدنا بلغة الأرقام نجد الآتي.. عدد الدول المستفيدة من قروض الصندوق ١٠٥ دول، ١٦ منها عربية و٤١ دولة إفريقية، و٤٨ دولة من شرق وجنوب ووسط آسيا والمحيط الهادي وأوروبا وأميركا اللاتينية والبحر الكاريبي، أليست هذه الأرقام لها مدلولات واضحة وذات معنى؟!



إن قضايانا العربية -وليست الاقتصادية فقط- تحتاج منا إلى إعادة نظر، كما تحتاج إلى تقييم موضوعي ينبع من إحساسنا بذاتنا والثقة في قدراتنا، إن العصر الحاضر والزمن الراهن هو زمن التكتلات والتحالفات على اختلاف أنواعها وتوجهاتها، وأزعم أنه لن يكون هناك مستقبل لنا دون التسلح بمواردنا والاعتماد على أنفسنا وروابطنا العقدية والفكرية والثقافية، وهذه هي الحقيقة في أبسط صورها ومعانيها إذا كنا ننشد الاكتفاء والاستغناء، وإعادة البريق إلى تاريخ أمتنا العربية والإسلامية، فعلينا إذن إعادة النظر في تقييم قدراتنا.



فهد الشمري

وزير الأوقاف الكويتي فهد الشعلة:
ترسيخ المنهج الوسطي .. ضرورة



دائما ما يؤكد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية فهد الشعلة على ضرورة ترسيخ المنهج الوسطي في المجتمع الكويتي وتقديم الوزارة كل ما لديها من إمكانات للاستمرار على هذا النهج.

ويشير الوزير خلال اجتماع عقده مع قيادات الوزارة ضم كلا من وكيل الوزارة المهندس فريد عمادي والوكلاء المساعدين بمختلف القطاعات إلى أهمية المساهمة في تحقيق قيم الوزارة الخاصة بالوسطية لتعزيز ودعم الروح الوطنية وإشاعة التسامح ونبذ الخلافات في المجتمع.

وقد لفت إلى أهمية تعاون جميع القطاعات بعضها مع بعض من أجل الارتقاء بالعمل وتذليل الصعوبات التي قد تواجه العاملين في الوزارة.

وبحث الوزير خلال الاجتماع أولويات المرحلة المقبلة وسبل تطوير العمل وفق استراتيجية الوزارة وتحقيق رؤيتها للريادة في العمل الإسلامي، مشددا على ضرورة إنهاء التعامل الورقي وتطوير الآليات والدقة في العمل، وتفعيل القوانين، والعمل وفق سياسة العمل المؤسسي والابتعاد عن الانتماءات الحزبية داخل الوزارة، وتقديم أهم المقترحات والعراقيل والمشاريع والشواغر.



ضمن احتفالات الكويت بأعيادها الوطنية

الكويت: استضافة المعرض السعودي «الفهد.. روح القيادة»

تماشيا مع احتفالات دولة الكويت بأعيادها الوطنية، تنظم مؤسسة الملك فهد الخيرية خلال شهر فبراير الجاري، على أرض الكويت، معرض تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود «الفهد.. روح القيادة»، تحت رعاية سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

وأشار صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز، نائب رئيس مجلس الأمناء، ورئيس اللجنة العليا لمعرض وفعاليات تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز، إلى أن المعرض يقدم توثيقا تاريخيا كاملا لمرحلة الملك فهد بن عبدالعزيز، رحمه الله، وإنجازاته على الأصعدة المحلية والخليجية والعربية والدولية، إضافة إلى حياته الشخصية، مضيفا أن هذا التوثيق يتم تقديمه بأسلوب احترافي يراعي التناسق في المراحل والتواريخ والمحتوى، فضلا عن استخدام وسائل التقنية الحديثة للعرض بأسلوب تشويقي للزوار.

وأكد أن المعرض موجه للأجيال الحالية من الشباب للتعرف على سيرة ملوكهم وقادتهم، والظروف التي عاشوها والإنجازات التي حققوها لشعوبهم ودولهم.

وبين الأمير محمد أن دولة الكويت ستستضيف المحطة الخارجية الأولى لمعرض «الفهد.. روح القيادة» وذلك بعد أن تم تنظيم ثلاثة معارض سابقة شهدتها مدن المملكة العربية السعودية، الرياض، وجدة، والظهران، خلال الأعوام الثلاثة الماضية، مشيرا إلى أن اختيار دولة الكويت لتنظيم المعرض جاء نظرا للعلاقة التاريخية التي تربط قيادتي وشعبي البلدين الشقيقين.



السيد محمد المسيري
باحث وكاتب صحافي - مصر

المسلمون في سويسرا.. آمال وتطلعات

تعد سويسرا إحدى دول غرب أوروبا التي لا تزال المأوى التقليدي للمهاجرين لوقوعها في قلب القارة الأوروبية لاتسامها بعلاقات وثيقة الصلة مع الغرب ولعدم انتمائها للاتحاد الأوروبي، ولاتسامها أيضا بالعالمية لنشاطها الكبير في مجال المال، والبنوك، وصناعة الساعات.

ولكونها مركزا لنشاطات «الهيئات الدولية»، ولوجود مبنى منظمة العمل فيها، ولوجود ١٢٢ بعثة ديبلوماسية في جنيف. ولكونها أيضا مقرا لعقد «المؤتمرات الدولية» وملتقى لكل الأفكار، والثقافات الفكرية، والعقائد المتباينة، ونموذجا رائدا في «التعايش السلمي» بين المقيمين على أرضها، ولحيادها السياسي التام عن الحروب خلال الحربين العالميتين في القرن الماضي.

ولذلك، عرفت سويسرا الإسلام مبكرا منذ سنة ٣٢٧هـ-٩٣٩م، وانتشر في أرجائها نتيجة عدله، وسماحته، بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى. والمسلمون فيها ينتمون إلى عدة عرقيات وعدة لغات مختلفة. من هذا المنطلق، وفي إطاره، سنفحص هنا جغرافية هذه الدولة، وعن وصول الإسلام إليها، وعن اليقظة الإسلامية، وطابع الحياة الثقافية، وتحديات وأنشطة المسلمين بها لمساعدتهم من أجل أن يحققوا آمالهم المنشودة، وتطلعاتهم المرجوة التي يأملون تحقيقها حتى يحافظوا على هويتهم الإسلامية، وعلى عقيدتهم الدينية في هذه الدولة الأوروبية.

وصول الإسلام إلى سويسرا

وصل الإسلام إلى هذه الدولة في القرن العاشر الميلادي في عام ٩٣٩م عن طريق المسلمين الذين هاجروا من الأندلس إلى سويسرا، وعن طريق جهود المهندس محمد توفيق أحمد الذي سافر إليها لدراسة الهندسة بها في عام ١٩٢٥م حيث أصدر في مدينة بادن Paden مجلة البريد الإسلامي عن دار تبليغ الإسلام. وأصدر بعد عودته إلى الإسكندرية كتبا ورسائل تحت عنوان «الإسلام دين الجميع» بعدة لغات هي: الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، واليونانية، والتشيكية، والإبرانتو العالمية، والتي يجيد أربعة منها على الأقل. ويقوم بإصدارها، وتوزيعها بالمجان، ووصل الإسلام أيضا إليها عن طريق عمل وجهاد الأستاذ سعيد رمضان رحمه الله، حيث أقام مركزا إسلاميا هناك، والذي لا يزال قائما، ومرتبطا باسم المؤسسة وأقيم هذا المركز في أواخر الخمسينيات في مدينة جنيف. وكان به مكان للصلاة. وكان يصدر مجلة اسمها «المسلمون» ووصل الإسلام أيضا إليها عن طريق الشاعر السويسري «فريشيون شون Frishyon Shown» الذي يعد أول سويسري يعتنق الإسلام، وانضم إلى صفوف الدعاة وصاحب ديوان «الليل والنهار»، والذي هاجر إلى الجزائر، ودرس بها علوم الدين الإسلامي، وعاد إلى موطنه يدعو الشعب السويسري للاهتمام بالإسلام، وضرورة دراسته، واعتناقه باعتباره الدين الخالد الذي يصون كافة الحقوق الإنسانية، وترتب على جهده هذا أن اعتنق حوالي خمسة آلاف سويسري دين الإسلام. وهذا العدد لا بأس به من السويسريين لاعتناقه[1].

طابع الحياة الثقافية في سويسرا

يقطن المسلمون في مدن برن، ولوزان، وبازل، وزيورخ، وسيون، ونيوشاتيل، وجنيف. وأكبر عدد منهم في الأخيرة. ويتكون المسلمون من جماعات مقيمة بشكل مؤقت كالطلاب، والعمال، والديبلوماسيين، والأعضاء المسلمين

في المنظمات الدولية. وهناك مسلمون أجانب يقيمون بشكل دائم كرجال الأعمال وغيرهم. لذا، يظهر الطابع الديني، والثقافي، والإسلامي لهم في المناطق المتقدمة الذكر حيث تسهم المدارس، والمعاهد، والمؤسسات الإسلامية، والجامعات السويسرية في تجسيد تعاليم الإسلام في نفوسهم حتى يكونوا على علم وبصيرة به، وحتى يكونوا المثل الأعلى الذي يحتذى عند الآخرين حتى يؤثروا فيهم وهي محيط بيئتهم الداخلية والخارجية.

تحديات المسلمين في سويسر

يواجه المسلمون في هذه الدولة، وفي معظم الدول الأوروبية تحديات خطيرة تعوق مسيرة عملهم، وتقف سدا منيعا أمام تحقيق آمال تقدمهم وتطلعاتهم، وتكمن في الآتي:

١- زيادة النشاط اليهودي في جنيف التي تمثل مقرا لعشرات الجمعيات، والمنظمات الدولية اليهودية، وجمعية الصداقة الإسرائيلية السويسرية. ويسيطر اليهود على حوالي ٨٠ في المئة من الرأي العام في عام ١٩٦٢م، ويعملون من خلاله على تشويه صورة المسلمين، وصورة إسلامهم.

٢- تعرض المسلمين لحالة من التمييز والتعصب لأسباب دينية سواء كان هذا في البحث عن العمل، أو في موقع العمل. وجاء ذلك في الندوة التي عقدتها جامعة بيرن. وأشير فيها إلى مثل هذا التمييز والتعصب نحوهم عند طلبهم الحصول على الجنسية السويسرية[٢].

٣- انتشار الجماعات التنصيرية في المناطق التي يعيش فيها المسلمون، وخاصة الفقراء منهم لتقديم سائر العون والمساعدة لهم بقصد تنصيرهم بالدين المسيحي. وأن يتركوا دينهم الإسلامي. فضلا عن إساءتهم لهم وله، والتطاول عليهم، وعليه عبر كل آليات إعلامهم الصليبي الملحد.

٤- انتقال الصراعات السياسية والمذهبية، والعرقية، والاجتماعية مع المهاجرين من العالم العربي والإسلامي إلى المجتمع السويسري مما يؤثر هذا الصراع بطبيعة الحال على نظرة هذا المجتمع، والمجتمعات الأخرى إليهم، وإلى دينهم الإسلامي بأنه دين الصراعات، والفرقة، والاختلاف، وليس دين الوحدة، والائتلاف. والمثال على ذلك، صراع بعض جنسيات الجالية الإسلامية في موضوع إقامة مقبرة للمسلمين، وذهابهم إلى رئيس لجنة الحوار القس السويسري. وكل منهم يشترط عدم تولي جنسية أخرى لموضوع المقبرة. وإلا فلن يشارك فيها هذا رغم حاجة الجميع للمقبرة الإسلامية. وتكرر ذلك من أكثر من جنسية مما أحدث ارتباكا لدى القس السويسري[٣].

٥- منع بناء المآذن في المساجد وصدر قانون المنع في ٢ نوفمبر ٢٠٠٩م بنسبة ٥٧في المئة، حيث سعى اليمين مع معظم اليسار بها إلى تحقيق ذلك لكونهم يرون أنها بمنزلة تحد كبير لأبراج كنائسهم في دولة غربية مسيحية علمانية. إلا أن القانون يخالف مادة في الدستور السويسري التي تبرز في مضمونها أن حرية الاعتقاد مكفولة للجميع. ولكل واحد الحرية التامة في اعتناق الدين الذي يريده وأن يمارسه كما يشاء. وهذا المنع يتعارض مع القانون الدولي، ومع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومع الاتفاقية الدولية للتنوع الثقافي، ومع تقرير حوار الأديان والثقافات ويمكن للمسلمين أن يستعيضوا عن المآذن بالقباب الكبيرة التي يعلوها الهلال كما في مساجد تركيا وغيرها.

سويسرا عرفت الإسلام في القرن العاشر الميلادي

الإسلام الدين الثاني في سويسرا رغم عدم الاعتراف به هناك

٦- منع ارتداء النقاب بالمدارس، ومنع النساء أيضا من ارتدائه في أماكن العمل. وما زال هذا المنع ساري المفعول حتى الآن. وبخصوص ذلك، يقول فضيلة الشيخ عبد الله نيكولاس بلانشو رئيس مجلس الشورى الإسلامي السويسري إن هناك استفتاء قادما في محافظة فاليس على حظر الحجاب.

٧- منع الذبح على الطريقة الإسلامية في سويسرا للجزارة الإسلامية لكن الذبح مباح للجزارة اليهودية. أما ذبح الأضحية في عيد الأضحى فهو بمنزلة جريمة يعاقب مرتكبها عليها لكونها في نظرهم اعتداء صارخا على حقوق الحيوان.

النشاط الإسلامي في سويسرا

يقوم المسلمون في هذه الدولة بعدة أنشطة متعددة من خلال إنشائهم لعدة مؤسسات، وهيئات، واتحادات، ولجان إسلامية، والتي تكمن في الآتي:

١- إنشاء المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف:

لقد أقامت المملكة العربية السعودية هذه المؤسسة التي تقوم بجمع شتات المسلمين في هذه المدينة، واهتم بهذا الأمر المغفور له الملك فيصل رحمه الله، والذي كان يهتم بشأن الإسلام والمسلمين ليس في دولة معينة بذاتها، بل في شتى دول العالم. لذا، قام بشراء قطعة أرض في جنيف

بالقرب من المقر الأوروبي للأمم المتحدة لإنشاء هذه المؤسسة لنشر الثقافة الإسلامية على أن تحمل اسم مؤسسة الثقافة الإسلامية. واستغرق بناؤها حوالي سنتين ونصف السنة. وأقيمت في أرقى أحياء جنيف في حي لايوتي سالوني في منطقة لاتوريل وقام بافتتاح هذه المؤسسة المغفور له الملك خالد بن عبدالعزيز طيّب الله ثراه في الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨هـ - الموافق أول يونيو عام ١٩٧٨م. كما قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله، بتخصيص وقف لتغطية نفقاتها. ويتكون مبنى المؤسسة من مسجد كبير يتسع لأكثر من خمسمئة من المصلين، وطابق خاص بالنساء يتسع لمئتين من النساء. ومكتبة ذات ستة فصول، وقاعة للمحاضرات، وأخرى للاجتماعات، ومرافق أخرى تابعة لكل تلك الأقسام. بالإضافة إلى مرافق خاصة بتجهيز الموتى من المسلمين في جنيف لإعدادهم للدفن في المقبرة الخاصة بالمؤسسة أو نقلهم إلى أوطانهم.

وبالتالي، لم تكتف مسيرة عطاء حكومة المملكة العربية السعودية بتشييد هذه المؤسسة فقط، بل أرسل الديوان الملكي السعودي إلى مكتبتها ١٤٠٦ كتب باللغة العربية، وغيرها باللغات الأجنبية في علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتاريخ، والتربية، والاقتصاد بجانب المعاجم، والموسوعات. وتلقت مكتبة هذه المؤسسة أيضا عشرات المؤلفات في علوم اللغة، والتفسير، والتربية، والاقتصاد، والعلوم، والاجتماع من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. كما تلقت هذه المكتبة أيضا كتبا من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بلغ عددها ١٥٤ كتابا نصفها

المملكة العربية السعودية تحقق بناء المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف

تقريبا باللغة العربية، والنصف الآخر باللغات الأجنبية. وتلقت هذه المكتبة أيضا منحة، ودعما كاملا من حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز طيب الله تعالى ثراه. وقامت إدارة المكتبة بشراء ٢٣٩ كتابا باللغة العربية، و٢٨٠ كتابا باللغات الأجنبية في مختلف فروع العلم.

٢- إقامة المؤسسة الثقافية للطفولة والشباب:

تقوم هذه المؤسسة بالحفاظ على أبناء المسلمين، ومتابعتهم حتى تجعل منهم فئة صالحة تدين لربها، وتهتدي برسولها الهادي البشير سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه محبة لأوطانها، نافعة لمجتمعها، مرتوية من مناهل العلم، والمعرفة متشبعة بمبادئ الإسلام وأخلاقه، مدينة لأمتها، وما تواجهه من تحديات في شتى المجالات. لذا، تعد هذه المؤسسة إحدى البذور الطيبة التي تسعى من أجل أبناء كل المسلمين في سويسرا. وهي بالفعل تستحق كل الدعم والتشجيع من أجل تحقيق أهدافها النبيلة، ويرجع الفضل في إنشاء هذه المؤسسة المتقدمة الذكر إلى رابطة مسلمي سويسرا.

٣- إنشاء قسم للدراسات العربية والإسلامية:

سعى المسلمون إلى إنشاء هذا القسم

أربعة مساجد فقط بمآذن في سويسرا

في كلية الآداب في جامعة جنيف. وفي الجامعات السويسرية الأخرى، وذلك لتدريسها للطلاب المهتمين بمثل هذه الدراسات. ويقوم بتدريس هذه المواد كوكبة من أساتذة مصر، وبلدان العالم العربي والإسلامي. وهذا من شأنه أن يعطي الصورة الحقيقية لروح التسامح الإسلامي وسموه، وانتشاره في نفوس ووجدان، وقلوب السويسريين، والجاليات الأخرى.

٤- تشييد مركز زايد الإسلامي في زيورخ:

يعد مركز زايد الإسلامي المركز الرئيسي والأكبر في زيورخ، وأصبح في نفس الوقت صرحا عظيما مضيئا في سمائها، وفي سماء سويسرا برمتها، ومن أهم المؤسسات الإسلامية الأخرى بها، وأصبح يعمل على تحقيق الأغراض التالية:

- توحيد جهود المسلمين، والتنسيق التام بينهم، وبين المؤسسات الإسلامية المشار إليها آنفا.
- العمل على دعوة الناس للأخذ بمبادئ الإسلام، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة.
- تقريب وجهات النظر بين العاملين في الإسلام على مستوى الأفراد، والهيئات، والجمعيات، والمؤسسات.
- إصدار الكتب، والنشرات، وإقامة الندوات، والمحاضرات، والدروس، وتربية أعضاء المركز تربية صالحة.
- تجسيد مفهوم الأخوة الإنسانية الصادقة، والتعاون التام بينهم.
- رعاية الأيتام، والعناية بشؤون المسلمين الجدد.
- تنظيم البرامج الإسلامية لإحياء المناسبات الإسلامية.
- تعليم الأطفال اللغة العربية، وتعليم القرآن الكريم بالمدرسة الإسلامية الملحقة بمسجد المركز.
- إقامة الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة فيها.

٥- هيئات إسلامية أخرى في سويسرا:

من الهيئات التي توجد في هذه الدولة، الهيئات الإسلامية التالية:-

١- المعهد الإسلامي في جنيف.

٢- المعهد الإسلامي في زيورخ.

٣- معهد الطلاب العرب والمسلمين في ليون سيديكس.

٤- الجمعية الإسلامية للناطقين بالألمانية في زيورخ.

تقوم هذه الهيئات المتقدمة الذكر بتوعية المسلمين، ورعاية شؤون حياتهم في مختلف المجالات الحياتية الدنيوية لإعطاء الصورة الحقيقية للإسلام لغير المسلمين، وللرد على الحملات الإعلامية الملحدة التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين الذين ينتمون إليه ويدينون به.

المساجد في سويسرا

يوجد بها أربعة مساجد كل مسجد به مئذنة. المسجد الأول في جنيف والثاني في زيورخ والثالث في فنترتور والرابع في فيغت قرب مدينة أوليتن بالإضافة إلى وجود ١٢٠ مصلى في مختلف أرجاء البلاد، ونحو ١٠٠ مصلى غير رسمي.

الإفتاء في سويسرا

يقول الشيخ نازار فاخوري مفتي زيورخ في سويسرا: إن منصب المفتي في هذه الدولة يختلف عن منصب المفتي في الدول الإسلامية فنحن لا ننشئ أحكاما فقهية جديدة، وإنما نرد على هذه الاستفسارات من واقع اجتهادات مجامع الفقه الإسلامية ومجامع البحوث الإسلامية بالدول العربية والإسلامية. وأضاف أن المسلمين في سويسرا في حاجة إلى معرفة رأي الشرع الإسلامي في معاملتهم اليومية. إلا أننا نتولى تعريف المسلمين بالفتاوى الصادرة عن «دار الإفتاء الإسلامية والعربية»(٤).

١٠٠ مصلى غير رسمي في سويسرا

١٠٠ مركز ومؤسسة إسلامية في سويسرا

مجلس الشورى الإسلامي

أسس هذا المجلس فضيلة الشيخ عبدالله نيكولاس بلانشو في عام ٢٠٠٩م في العاصمة السويسرية برن إثر إصدار قانون منع بناء المآذن، حيث يمثل أكثر من ٤٠٠ ألف مسلم ويضم أكثر من ٢٦٠٠ عضو به، ويدافع فيه عن حقوق المسلمين من خلال ١٧ مركزا في مختلف أنحاء سويسرا لتقتهم الكبيرة به، وليحميهم من الممارسات العنصرية التي يتعرضون لها.

ويضم هذا المجلس أقساما كثيرة منها: قسم الدعوة، قسم مراقبة الحلال، وقسم اللجنة العلمية، وقسم رعاية المساجد والمراكز الإسلامية، وقسم اللجنة القانونية. كما يضم فروعا وأقساما أخرى تضم جميع المجالات والميادين الاجتماعية والدينية، والسياسية مثل القسم الإداري والرئاسي، وقسم الإعلام والعلاقات العامة، وقسم شؤون المرأة، وقسم التربية، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وقسم رعاية الطلبة، والقسم الاجتماعي، وقسم الشباب، وقسم المحجبات(٥).

مستقبل المسلمين في سويسرا

في ضوء مجريات الأمور، وتطور الأحداث الخطيرة التي لا تزال تجري أحداث فصولها على المستوى الدولي والإقليمي، سوف يشهد المسلمون في هذه الدولة، وفي معظم دول أوروبا في الفترة القادمة على المستوى العالمي منعطفا جديدا وخطيرا جدا وهو صراع الوجود أو صراع القيم بقصد التضييق عليهم، وعلى الحصول على حقوقهم المدنية، وعلى منع ارتداء الحجاب في الأماكن العامة، وقد يكون هذا الصراع على حساب الأمن الاجتماعي. وهذا ما أشار إليه فضيلة الشيخ عبدالله نيوكولاس بلانشو رئيس مجلس الشورى الإسلامي السويسري. وسوف يترتب على ذلك صدامات قوية، وممارسات عنصرية تحدث تجاههم، وحتى لا تحدث هذه الصراعات يجب على ممثليهم في مختلف قطاعاتهم المتعددة أن يستعدوا لها استعدادا تاما بتحضير خطط مدروسة، ومطالب محكمة، وحلول فعلية للحوار بموجبها مع سائر الأجهزة الحكومية حتى تسود أواصر التآلف والتعاون بينهم(٦).

الهوامش

١- جريدة اللواء الإسلامي، العدد ٦٤١- القاهرة، الخميس ١٤ من ذي القعدة ١٤١٤هـ، ٥ من مايو ١٩٩٤م، ص١٣.

٢- جريدة العالم الإسلامي، العدد ١٦٣٦ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الإثنين ٢٥ من شوال ١٤٢٠هـ - ٣١ يناير ٢٠٠٠م، ص٦.

٣- مجلة منبر الإسلام، العدد ٧ السنة ١٠ - رجب ١٤٢٢هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠١م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - وزارة الأوقاف، القاهرة، ص٨٠.

٤- جريدة اللواء الإسلامي، العدد ١٠٢٠، القاهرة، الخميس ١٩ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ - الموافق ٩ من أغسطس ٢٠٠٢م، ص١٣.

٥- انظر حوار علاء عبدالفتاح مع نيكولاس بلانشو رئيس مجلس الشورى الإسلامي بسويسرا - مجلة الوعي الشبابي - مجلة «الوعي الإسلامي» - الكويت.

٦- قناة العربية، برنامج بلا قيود عن «انتشار الإسلام وأوضاع المسلمين في أوروبا» الأربعاء ٢٠١٥/٤/٢٩م.

صابر رمضان
صحافي وكاتب مصري





الدكتور محمود حجازي رئيس الجامعة المصرية الكازاخية الإسلامية الأسبق:

محو الأمية أهم أسس النهوض بالأمة الإسلامية

جمع الدكتور محمود فهمي حجازي الرئيس الأسبق للجامعة المصرية الكازاخية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بين الثقافتين العربية والغربية؛ حيث مكث فترة طويلة في ألمانيا لتلقي العلم؛ وكان له الفضل في إدخال اللغة العربية في مناهج التعليم في مدارس ماليزيا وجزر القمر وكازاخستان؛ كما أنه ترجم وحقق العديد من كتب التراث العربية لنشرها في الدول الغربية؛ كما أسهم على مدار ثلاثين عاما في تقديم المشورة لعدد من الدول العربية والإسلامية في مجالات تعليم اللغة العربية لأبناء اللغات الأخرى منها الكويت وقطر وماليزيا ودول أخرى؛ وعمل كبيرا للخبراء اللغويين بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة.

«الوعي الإسلامي» أجرت معه حوارا موسعا؛ حيث أكد حجازي أن انحدار مستوى اللغة العربية نذير وتهديد لصلة العربي بتراثه وواقعه ومستقبله؛ لكن على الجانب الآخر بوصف العربية لغة الإسلام فإنها محفوظة ومستمرة. وأضاف عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن المجامع اللغوية تؤدي رسالتها ودورها لكنه طالب بالمزيد منها؛ مؤكدا أنه لن يتحقق ذلك الانطلاق إلا باستقرار المنطقة وبعمل سياسة لغوية عربية تشارك المجامع فيها بدور كبير؛ فإلى نص الحوار:

• بداية كيف ترى السبيل لتحقيق وحدة الأمة فكريا وثقافيا في الوقت الذي صارت فيه الفرقة والانفصام سمة أساسية في كل قضايانا المصيرية؟

- يتطلب النهوض الفكري والثقافي إتاحة المعرفة الجادة على مستوى عريض، وجعل الثقافة من مكونات وعي الإنسان بذاته ومستقبله. فهناك شعوب عربية كثيرة تعاني من مشكلات سياسية ويركز عدد كبير من المفكرين والكتاب على أمور سياسية، ونأمل أن تنتهي هذه الأزمات السياسية في أقرب وقت وأن تتحول الرؤية إلى ما يدعم الانتماء ويفتح آفاق الرؤية المستقبلية، فالفرقة كارثة، والوحدة الفكرية طريق المستقبل بالتعليم الجاد والثقافة الواعية؛ وقبل هذا كله فإن محو الأمية بشكل كامل من أهم أسس النهوض.

• وكيف ترى واقع اللغة العربية في مجتمعاتنا اليوم؟

- واقع اللغة العربية فيه جوانب إيجابية ينبغي دعمها وجوانب سلبية يجب التخلص منها. ومن الإيجابيات

انتشار التعليم العام الذي أصبح للملايين، ومن السلبيات أن مدارس الصفوة في عدة بلدان عربية تعلم كثيرا من المواد بلغة أجنبية وتجعل اللغة العربية مجرد مادة دراسية. واللغة العربية أصبحت اللغة الدولية السادسة في الأمم المتحدة واليونسكو ومنظمات دولية أخرى. وواقع اللغة العربية من حيث عدد أبنائها هو اللغة الخامسة على مستوى العالم، ولكن المشكلة أن أكثر المجالات في الحياة تتم بالعامية أو بالدارجة المحلية في كل بلد عربي أو بلغة أجنبية. وحجم الإنتاج الفكري العلمي والفكري دون مستوى الطموح العربي. والحل لغوي وعلمي وثقافي.

• تعلم أن اللغة تعاني من ضعف تعليمي فمن المسؤول وما الحلول؟

- الضعف التعليمي أساسه في بعض البلدان العربية ازدحام الفصول، وبذلك لا يمكن التعامل الصفي باللغة العربية السليمة بين المدرس والطالب. والتركيز قليل على المهارات اللغوية: الاستماع والقراءة والتحدث والكتابة، وبذلك تتحول مادة اللغة العربية، وكذلك المواد الأخرى، إلى مجرد مواد تعليمية للحفظ والاختصار والامتحان. والمواد التعليمية المشوقة والجادة محدودة، لا يكاد التلميذ يسمع اللغة العربية إلا من المدرس وفي أوقات محددة. والمناخ العام للوعي اللغوي المنشود ينبغي أن يجعل العربية لغة للحاضر والمستقبل وليست مجرد لغة نصوص قديمة تلقن للحفظ والامتحان فقط، وقبل هذا كله، فإن تدريب المعلمين محدود جدا، ولهذا يظل تطوير العملية التعليمية مرهونا بمستوى المعلمين. فنصوص التراث لها أهميتها ولكن المهارات اللغوية منشودة ويجب العناية بها.

• البعض يرجع تدني المستوى إلى حاجة المناهج للتطوير فما تقييمك لمناهج اللغة العربية؟

- المناهج وتطويرها ليس مجرد تعديل في المقرر، بإحلال نصوص محل نصوص أخرى أو بتعديل بعض مصطلحات النحو والبلاغة. هذا كله مهم ولكنه لا يكفي. التطوير الحقيقي يكون في المناخ التعليمي والثقافة اللغوية التي تجعل التلاميذ يحبون اللغة العربية في تراثها وواقعها ويقبلون على إتقانها كما يتقن التلاميذ الألمان لغتهم الألمانية، وكما يتقن التلاميذ الفرنسيون لغتهم الفرنسية.



• البعض يؤكد أن انهيار العربية يمثل انهيارا للثقافة العربية بكل تاريخها بل إنه يمثل خطرا حقيقيا على الإسلام: العقيدة والشريعة والنص القرآني، فما رأيك في هذا الطرح؟

- العربية لغة القرآن الكريم وهي أيضا لغتنا التي نريدها للحياة والثقافة والعلوم. ولاشك أن اللغة أهم وسائل التعبير عن الثقافة والانتماء وثقة الفرد في نفسه. ومن هنا نجد انحدار مستوى اللغة العربية نذيرا وتهديدا لصلة العربي بتراثه وبواقعه ومستقبله، ولكن الدين عالمي، وأكثر مسلمي العالم ليسوا عربا وهم يؤدون الشعائر بالعربية ويفكرون بلغاتهم. ولا نريد أن يفقد العرب معرفتهم الجادة بلغتهم ويصبحوا أعاجم يستخدمون لهجاتهم المحلية ويحفظون قدرا يسيرا من العبارات والآيات لأداء الشعائر. والعربية بوصفها لغة الإسلام محفوظة ومستمرة، ولكن المشكلة في استخدام العربية في مجالات الحياة والعلم؛ إن التخصص في الدين يتطلب المعرفة بلغة النصوص الدينية الأساسية، ولا يمكن التخصص في العقيدة أو الفقه بدون معرفة عميقة باللغة العربية.

• اللغة هي الهوية والتعبير عن التفكير فكيف تقيم تدني مستوى اللغة والمصطلحات الحديثة الشائعة بين الشباب حاليا؟ وما الحل؟

- عبارات الشباب موجودة في كل العصور، إنها للدعابة أو لإثارة الشعور بالود أو لغير ذلك، وأكثرها يختفي بمضي الوقت ويظهر غيرها، والقليل من هذه الكلمات أو العبارات يستقر في اللهجات المحلية، وقد يدخل في الحوار في بعض الأعمال الأدبية، وفي كل الحالات فإن نشأة هذه الكلمات أو العبارات ترجع في جانب منها إلى قصور في المعرفة اللغوية، ليس الحل أن ندين أو نعاقب هؤلاء، بل الحل في المعرفة اللغوية.

• ترأست الجامعة المصرية الكازاخية الإسلامية «نور» بمدينة ألماطى الكازاخية.. ماذا عن دورها في هذه البقعة من العالم وما الهدف من إنشائها؟

- الجامعة المصرية الكازاخستانية «نور مبارك» جامعة صغيرة متخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية وما يتصل بهما من دراسات

التاريخ والفلسفة ومقارنة الأديان وعلم اللغة العام والمقارن واللغة القازاقية واللغة الإنجليزية. والهدف من إنشائها هو دعم هذه المجالات، وفي هذا الإطار كان للجامعة دور كبير في تعرف تراث كازاخستان باللغة العربية عبر عدة قرون وعلاقات كازاخستان التاريخية بالبلاد العربية. فأكثر المماليك كانوا من هذه المنطقة وأسماؤهم قازاقية، ولذلك يعد عصر سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام تراثا مشتركا مع كازاخستان. وبعض بحوث الطلاب لدرجة الماجستير كانت عن الفارابي المعلم الثاني والفارابي اللغوي وعن سيرة الظاهر بيبرس. وقد نجحت الجامعة في تقديم الصورة الحضارية للإسلام وتكوين متخصصين في مجالات عمل الجامعة، كل الطلاب يتعلمون اللغة العربية بشكل جاد وبعضهم يتخصص في الإنجليزية مع العربية. والجامعة ذات مكانة عالية في المجتمع الكازاخستاني، وبعض خريجيها يعمل في السلك الدبلوماسي والترجمة والتدريس والبحث والوظائف الدينية.

• ما تقييمك لجهود كازاخستان في الحفاظ على الثقافة الإسلامية وإرساء مبدأ الحوار وتصحيح صورة الإسلام لدى غير المسلمين؟

- جهود جمهورية كازاخستان ناجحة بكل المقاييس: وأهمها العودة إلى الدين بدون تطرف والسعي الجاد نحو التقدم بالمعايير العالمية واحترام الدستور والحرص على تطبيق مفهوم المواطنة. كما أنشأت مؤسسة حكومية بهدف دعم حوار الأديان والثقافات، وتعقد بشكل منتظم مؤتمرا دوليا يضم عددا من زعماء الأديان والمفكرين وأصحاب الرأي لدعم حوار الأديان. وكان لكل هذا أثر في ترسيخ فكرة القيم الدينية التي تدعو

انحدار مستوى اللغة العربية تهديد لصلة العربي بتراثه وواقعه ومستقبله

إليها الأديان وأهمية العلاقات على أساس الاحترام المتبادل وترسيخ فكرة أن الإسلام يدعو إلى السلام والحوار وحقوق الإنسان. وهذه الجهود كان لها أثر إيجابي في الاستقرار المجتمعي وتحقيق التقدم.

• كيف ترى دور المنظمات العربية والإسلامية الثقافية في تقديم الصورة الصحيحة للإسلام مثل «الإيسيسكو» و«الألكسو»؟

- دور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) في دعم تعليم العربية في الخارج، إلى جانب اهتمام إدارة التربية بتطوير تعليمها في الداخل، بدأ في أواخر سنة ١٩٧٤م في عهد الدكتور محيي الدين صابر، عندما كلفت بوضع خطة الدراسة والبحوث لمركز الخرطوم لإعداد خبراء في تعليم العربية لأبناء اللغات الأخرى. ونفذت الخطة بشكل جاد، وأضيف إليها إعداد رسالة لمنح الطالب درجة الماجستير. وكان الطموح كبيرا ولكن عواصف السياسة جعلت الانطلاق محدودا.

أما المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) فركزت في البداية على الدورات التدريبية لمدرس العربية في الجامعة. ونفذت لها دورات كثيرة من ١٩٨٤م-١٩٩٤م في ماليزيا وتضمنت تدريب عدة آلاف من المدرسين والموجهين في التدريس الحديث وفي تأليف الكتب وإعداد الاختبارات. وعندما كنت رئيسا للجامعة المصرية الكازاخستانية نفذت الإيسيسكو دورة تدريبية لطلاب الدراسات العليا. ونجحت الإيسيسكو برئاسة الدكتور عبدالعزيز التويجري في هذه الأعمال، إلى جانب حوار الأديان والثقافات. وكل هذه المشروعات تقدم صورة حضارية للإسلام والمسلمين.

• ماذا عن دور الترجمة في نقل علوم الحضارات الأخرى بلغتنا العربية وما ردك على من يقولون: إن الترجمة خيانة للنص الأصلي؟

- كل لغة لها سماتها في الصياغة، ومن المبالغة ترديد العبارة الفاسدة بأن الترجمة خيانة للنص الأصلي. فالترجمة أهم وسيلة لتعرف حضارات الآخرين. فهل يجوز أن ننظر إلى عمل مترجمي العلوم والفكر عند اليونان وغيرهم هذه النظرة؟ إن الإسلام يدعو إلى أخذ العلم من كل مصادره. والفضل لمن يترجم ولمن يدعم الترجمة ولمن يضيف إلى الترجمة بحوثا فيها الجديد والمهم. ولولا ترجمة الأوروبيين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للعلوم عند المسلمين لما حدث عصر النهضة في أوروبا.

• وماذا عن الترجمات المنتشرة في العالم بأسره للقرآن الكريم وهل تسمى قرآنا أم معنى للقرآن؟

- الترجمات التي نشرت في مصر والعالم الإسلامي لا نزعم أنها نقل كامل للنص القرآني، بل هي ترجمات لمعاني القرآن الكريم، إنها نوع من التفسير بلغة أخرى، ولكنها مفيدة للقارئ المسلم غير العربي. وكل الدول تعلم بلغاتها الوطنية كل التخصصات، ولكنها تهتم في الوقت نفسه بتعليم التلاميذ والطلاب لغة أو لغتين أو ثلاث لغات أجنبية. فهناك فرق بين لغة التعليم ولغات البحوث والمراجع.

• ما تقييمك لتجربة سورية في التعريب؟

– تجربة سورية ناجحة، ونجد هذا النجاح في زملائنا الأطباء السوريين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. فالتعليم بالعربية سهل لهم التحصيل، أما قراءة الكتب والبحوث فتكون بلغة أخرى أو بلغتين أجنبيتين، وهذا يتيح لهم الصلة المنشودة بالتقدم العلمي.

● هناك اتهام لمجامع اللغة العربية بأنها لا تعمل ولا تنتج بل تنكفئ على الماضي ولا تساير ركب الحضارة المعاصرة فما تعليقكم؟

– مجامع اللغة العربية منها مجمع القاهرة، الذي يعمل في إنتاج المعاجم العامة ومنها المعجم الكبير وطبعات متجددة للمعجم الوسيط والمعجم الوجيز ومعجمات المصطلحات العلمية والحضارية وبحث كل جديد في اللغة من ألفاظ وأساليب. وكل هذه الأعمال تعرض على مؤتمر المجمع في مارس / أبريل من كل عام. أما المجامع الأخرى فإن لها ظروفها، وهل يمكن مطالبة المجامع اللغوية في سورية وفلسطين وليبيا بتجاوز ظروف تلك الدول أكثر مما تتحمله الحياة العامة فيها؟

● وما أبرز التحديات والعوائق التي تواجهها المجامع اللغوية، وهل أدت رسالتها المنوطة بها بالفعل؟

– المجامع اللغوية تقوم برسالتها ولكننا نطمح إلى المزيد، ولن يتحقق هذا الانطلاق إلا باستقرار المنطقة وبعمل سياسة لغوية عربية تشارك المجامع فيها بدور كبير.

● على الرغم من ضرورة الانفتاح على الآخرين وهي سمة أرشدنا إليها الإسلام لكن كثيرا من المسلمين يلجأون للتقوقع فما سبب ذلك في رأيك وما حدود الانفتاح على الآخر؟

– لم يحقق التقوقع والانكفاء على الذات تقدما في أي بلد. وعلينا، مع الاعتزاز باللغة، الانطلاق لمعرفة ما

الترجمة وسيلة لمعرفة الحضارات الأخرى.. والمجامع لن تؤدي دورها إلا باستقرار المنطقة

عند الآخرين. وهكذا حدث التقدم في الحضارة الإسلامية في العصر العباسي وحدث التقدم الحديث في أوروبا.

● ماذا عن دور الإعلام.. هل يساعد في نشر اللغة أم يعمل على إضعافها خاصة أن البعض يرى أن وسائل الإعلام هي المعول الأول لهدم اللغة بقصد أو بغير قصد؟

– تقنيات الإعلام ترسخ الصيغ والتراكيب عند ملايين المشاهدين والقراء. فقد كان للصحافة والدوريات العربية في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين أثر كبير وحاسم في ترسيخ قدر كبير من ألفاظ الحضارة الحديثة والمصطلحات العلمية. وإلى اليوم تعد الصحافة مصدرا مهما لكل جديد. وللتلفاز دور كبير في هذا المجال. ولهذا من المهم التوعية بدور الإعلام وبأثره في التغير اللغوي وتحديد مسار التغير. في دول أوروبا يعد الأداء اللغوي الإعلامي قدوة وأداة مهمة وحاسمة في ترسيخ النمط اللغوي المنشود.

● هل ترى أن الدول الإسلامية تعاني من غزو ثقافي أثر سلبا على لغتها وهويتها؟

– لم يحضر الأوروبيون والأميركيون اليوم لغزونا ثقافيا، بل نحن طلبنا حضورهم وأنشأنا المدارس. والمشكلة عندنا في عدم وجود سياسة لغوية واضحة، تصنع اللغة العربية في أماكنها الصحيحة، وتهتم إلى جانبها باللغات الأجنبية. وفي كل الأحوال علينا أن يكون التعليم جادا ومنافسا على المستوى الدولي.

● أخيرا.. رسالة توجهها فماذا تقول؟

– اللغة ركن من أركان الدولة الحديثة، ونحن بحاجة إلى وعي لغوي واضح وسياسة لغوية شاملة.

د. حجازي في سطور

- أستاذ علوم اللغة بكلية الآداب جامعة القاهرة.
- عضو المجمع العلمي المصري منذ ١٩٩٥م.
- عضو مجمع اللغة العربية منذ ١٩٩٩م.
- الرئيس المؤسس للجامعة المصرية في ألماطي بكازاخستان (٢٠٠١م-٢٠١٤م).
- تولى رئاسة دار الكتب والوثائق القومية المصرية (١٩٩٤م-١٩٩٧م).
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق منذ ١٩٩٥م.
- عضو اتحاد كتاب مصر منذ ١٩٨٥م.
- أشرف على ما يزيد على ١٥٠ أطروحة جامعية للماجستير والدكتوراه.
- يشارك في إعداد المعجم العربي الألماني.
- حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى من ألمانيا الاتحادية ١٩٩٧م.
- نال جائزة الدولة التقديرية من مصر في العلوم الإنسانية ١٩٩٨م.
- حصل على وسام رئيس جمهورية كازاخستان ٢٠١٣م.
- نال درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة العلاقات الدولية واللغات العالمية بألماطي بكازاخستان.
- كتب المئات من المقالات وألف العديد من الأبحاث في علم اللغة والسياسة اللغوية بالإضافة إلى ما يزيد على ١٢ كتابا وعملا مرجعيا.

عبد القادر حسن يس
إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية





المسجد.. الأخوة.. الدستور أو الوثيقة

دعائم الدولة الإسلامية في المدينة

إن جماعة المسلمين ليست كأي جماعة، يكفيها أن تعيش بأي حياة، عزيزة كانت أو ذليلة، أو يكون هدفها ومقصدها القوت واللذة، لا بل هي أمة لها عقيدتها السامية التي ترشد لها كل مناحي حياتها، وكما أن الأمة الإسلامية متغايرة ومتمايزة عن غيرها من جماعات البشر والأمم المحيطة بها، فكذلك دولتها التي تتبنى على نشر العدل والمساواة بين البشر، لا فرق بين غنيها وفقيرها، ورئيسها ومرؤوسها، وأبيضها وأسودها دولة تقيم التوحيد وتنشر الحرية بمفهومها الصحيح وهذه الدولة أول من أسسها وبنى دعائمها هو الرسول النبي الأمي ﷺ، الذي علم العلماء فلم يكن رجل دين فقط، إنما كان رجل دين ودولة، فهو الذي علم أمته الصلاة، وأيضا علمهم أخلاق الحرب، وهو الذي أمرهم بالصيام، وكذلك هو صاحب الصلح والمعاهدات، ولدى الناس صورة قوية توضح هذا المنهج القوي، والبنيان الراسخ.

إنها صورة الدولة الإسلامية في المدينة النبوية التي قامت بعد هجرة النبي ﷺ، والتي انتظرها، وأمر أصحابه أن يهاجروا إليها، ويقطنوا بها حتى يقيم دولته الجديدة، فمذ هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ووجد كل مقومات الدولة، بدأ بتنظيم أمور دولته، فبدأ ببناء المسجد النبوي في مربد لسهل وسهيل، غلامين يتيمين كانا تحت أسعد بن زرارة، فأرادا أن يهبا للنبي ﷺ المربد فأبى النبي ﷺ إلا بالثمن، وكان في هذا المربد نخل فأمر بقطعه وفيه قبور للمشركين

كانت قد اختفت، فأمر فنبشت، وخراب فسوي ليقوم المسجد بناء بسيطا، لكنه ربى النفوس القويمة العالية الهمم، ومؤدبي الجبابرة، وملائكة البشر. (فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي)، فمنه تخرج البعوث والسرايا والجيوش وفيه وصل العباد برب العباد، وكان مدرسة للعلماء، فهو أهم الأركان والدعائم التي تبنى بها الدولة الإسلامية، ففيه تظهر شمولية الإسلام، والقدوة العملية التي ظهرت في حمل النبي ﷺ للحجارة، وهم ينشدون:

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك منا العمل المضلل

وفيه ظهر الاهتمام بالخبرة والاختصاص، ومنه خرج الشعار الذي يدعو الناس إلى التوحيد، وإلى صلاح دنياهم وأخراهم، وإلى الصلة التي بين العباد وربهم.

وبعد أن ربط النبي ﷺ الناس بربهم انتقل إلى صلتهم بعضهم ببعض، فآخى بين الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار. وهذه الخطوة المهمة ليست أقل من سابقتها وقد قامت الأخوة على رابطة العقيدة والولاء لله ورسوله والمؤمنين، فلم تكن على أصل القرابة أو الوطنية أو القومية أو حتى الاشتراك في الاقتصاد، إنما كانت لله وبالله وفي الله. وقد أعطت الأخوة ثمارها، وفاح عبير زهورها ورياحينها؛ فهذا سعد بن الربيع (الانصاري) يعرض على أخيه عبدالرحمن بن عوف (المهاجري) مشاطرته في ماله وداره وزوجتيه بعد أن يطلق أعجبهما إليه. لكن عبدالرحمن بن عوف لم يستغل بذل وسماحة سعد، بل قابلهما بنبل وعفة. وهذه الأخوة قامت على أثر من العقيدة التي نتج عنها تماسك البناء المجتمعي الذي قام على النصح في الله، ومقابلة الإحسان بالشكر والعرفان. ووصلت الأخوة بينهم إلى أن كان المهاجري يرث الأنصاري، حتى نسخ الإرث بينهم بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (الأحزاب:٦).

وهذه القيم العالية، والمدينة الفاضلة، التي كان يحلم بها أفلاطون، أصبحت حقيقة وواقعا بين أناس لم يكن يجمعهم بهذه الصورة دم أو أرض أو جنس، إنما جمعهم هذا الدين الرباني المنزل من عند الله تعالى.

ولم يخف على النبي ﷺ أن كل دولة مدنية في تعاملها، متطورة في أفكارها، لابد لها من دستور ينص على حفظ رعاياها وحقوقهم، يجمع هذا الدستور كل أطياف الشعب، على مختلف دياناتهم وأجناسهم، فكتب وثيقة، هذه الوثيقة ضمنت حق المسلمين وغيرهم، وبينت أن المرجعية العليا هي لله ولرسوله ﷺ، ومما يدل على هذا من الوثيقة قوله «وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله، وإلى محمد ﷺ» وحددت مفهوم الأمة التى لا يحدها أرض ولا لون ولا قبيلة، إنما كل من يدين بدين الإسلام يحق له أن يعيش فى أي بلد مسلم، ووضحت أن المدينة لها حدودها، وهذه الحدود تتسع مع كثرة الفتوحات، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وضمنت حرية الاعتقاد، وأكدت على حقوق الإنسان، والتي ليست شعارا، وإنما هي حقيقة وواقع مشاهد في كتاب الله، وفي سنة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء:١٠٥).

وعملت الوثيقة النبوية الدستورية على دمج اليهود مع المسلمين، بحيث يسيران كيانا واحدا في مقابل أعدائهم، وجاء في بنود الوثيقة: «إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم أنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته» ومع هذا البيان الدستوري العادل إذا باليهود يخالفون الدستور، ويخونون العهود؛ وذلك لأنهم لم يكونوا جادين، وربطوا وفاءهم بعهدهم على قدر منفعتهم الخاصة، ولا عجب فهؤلاء القوم أصحاب الطبائع الخبيثة، والنفوس الخسيسة، قتلة الأنبياء والمرسلين، ليس هذا مستغربا عليهم، فيا حبذا لو اتعظ أهل زماننا الذين مازالوا متمسكين بالسلام مع اليهود، على أمل التزامهم بالعهود، فهيهات هيهات، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق:٣٧).



د. محمد إبراهيم الحلواني
أكاديمي بجامعة المدينة العالمية
مصر

نماذج جلية من حب الصحابة لخير البرية

طغى حب النبي ﷺ على قلوب الصحابة الأخيار، آثروا رضا الله ورسوله ﷺ على أنفسهم وأبنائهم ونسائهم وأموالهم، قدموا محبته ﷺ على غيره، فلولا رسول الله ﷺ لكنا حيارى في دياجير الظلمات، ولولاه ﷺ لكنا وقودا لنار جهنم، ومحبة الصحابة للمصطفى ﷺ ثمرة المعرفة، وهم بقدره ﷺ ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالي كان حبهم له ﷺ أشد وأكبر.

لا يخفى على أحد من الناس ممن رزقه الله عزوجل عقيدة صحيحة وفقها نافعا في الدين ما للرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه عند أصحابه الأجلاء من منزلة رفيعة ودرجة عالية، والناظر في سير هؤلاء الصحابة يرى عجبا ويقف وقفة إجلال وتعظيم لهذه النماذج الفريدة التي عقمت أرحام الأمهات أن تلد مثلهم، ولا عجب إذا صدر منهم هذا الحب والإخلاص فقد اختارهم الله عزوجل لصحبة نبيه والدفاع عن دينه، ومن أبرز الأمثلة التي تؤكد هذا التفاني والإخلاص مجيء عروة بن مسعود الثقفي قبل أن يسلم ويحسن إسلامه - مفاوضا عن قومه يوم الحديبية حيث جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ وتعظيمهم له، فرجع إلى أصحابه، فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له[1]، فهذه صورة حية لما كان عليه حال الصحابة وما كان من شأنهم في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره والتبرك بآثاره، ولا تتعجب أخي الكريم من سلوك الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم ولا تقل في نفسك: كيف يفعلون ذلك بالنخامة؟ وتظن أنك لو كنت مكانهم لاستقذرت ذلك، لأن الذي عاين وعايش أحوال النبي ﷺ ليس كالذي سمع، وإذا كان عرقه ﷺ مثل حبات اللؤلؤ في جماله وأطيب من المسك في ريحه فلماذا نقيس نخامته ﷺ بنخامة غيره؟

مؤازرة الصحابة للرسول ﷺ عند الشدائد

إن صحابة رسول الله ﷺ لم يتخلفوا عنه في سلم أو حرب، قدموا الغالي والنفيس نصرة لهذا الدين بداية من أموالهم ونهاية بأنفسهم، حيث هانت هذه النفوس الطاهرة في سبيل الله عزوجل فكان الجهاد أحب شيء إليهم، وكان الموت في سبيله أول شيء يحرصون عليه، والوقائع في ذلك أكثر من أن تحصر، ومن أبرز هذه الوقائع ما حدث في غزوة بدر الكبرى حينما خرج أصحاب الرسول ﷺ لاعتراض عير قريش بأمره ﷺ لكن العير قد أفلتت، وخرج المشركون لمحاربة المسلمين، فاستشار الرسول ﷺ صحابته من الأنصار وهم يمثلون الأغلبية قائلا: «أشيروا علي أيها الناس»، وفطن إلى ذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، فقال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فو الذي

بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله[٢]، فالله الله على الرجال الذين يريدون خوض البحار لإعلاء كلمة الله، ما نظروا إلى عدد المشركين أو عتادهم، لا تردد ولا انهزام بل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، أين هذا من تلك الانهزامية وذلك التردد وضعف الولاء عند عدد ليس باليسير من أبناء المسلمين؟

كل المصائب بعد رسول الله ﷺ جلل

لما فرغ رسول الله ﷺ من دفن شهداء أحد، انصرف راجعا إلى المدينة، فخرجت النساء لتفقد أحوال المسلمين، فمر النبي ﷺ بامرأة من بني دينار قتل زوجها وأبوها وأخوها بأحد، فلما نعوا إليها، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه - وكانت لا تعرفه - فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[٣]، سبحان الله، امرأة يقتل أحب الناس إليها ولا تبالي، وغايتها الرئيسية الاطمئنان على رسول الله ﷺ، فلما رأته سالما معافى سكن روعها وهدأت نفسها، أين نحن من هذه النماذج المضيئة التي رفعت راية الإسلام عالية خفاقة؟ هذه القصص وأمثالها توضح مقدار حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ، الحب الإيماني الذي أمر الله عزوجل به والذي يتبعه العمل والتأسي والالتزام بالشرع الذي جاء به.

كراهية أصحاب المصطفى ﷺ إصابته ولو بشوكة

قدم وفد من عضل والقارة على رسول الله ﷺ في العام الرابع الهجري، وقد ذكروا لرسول الله ﷺ أن أنباء الإسلام قد بلغتهم، وأنهم في حاجة إلى من يعلمهم الإسلام ويقرئهم القرآن، فأرسل الرسول ﷺ معهم رهطا من الدعاة يبلغون عشرة رجال يرأسهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة قريبا من هذيل عند ماء يقال له الرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا فجاءوا حتى أحاطوا بهم، فقتلوا عامتهم واستأسروا خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما وباعوهما بمكة وكانا قتلا من رؤوسهم يوم بدر، فأما خبيب فمكث عندهم مسجونا ثم أجمعوا قتله، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم، فلما أجمعوا على صلبه قال: دعوني حتى أركع ركعتين، فتركوه حتى صلاهما، فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا إن ما بي جزع لزدت ثم قال: «اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا»، فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمدا عندنا تضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: لا والله ما يسرني أني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[٤]، انظر أخي المسلم إلى هذا الموقف العظيم، السيف على عنق الصحابي الجليل خبيب بن عدي والرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه بعيد عنهم في المدينة، هل خشي خبيب على أهله؟ هل خشي على ماله؟ هل عرف التاريخ مثل هذه التضحية؟

إنها تضحية نابعة من إيمان عميق وإخلاص شديد، إن المؤمن الحق لا ولن يرضى بالطعن في خير الأنام حتى لو بالكلام، بل يغضب ويتمعر وجهه لأدنى من ذلك، يحزن إذا أصيب أخوه في الدين بمكروه أو أذى، فما بالكم بسيد الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين ورحمة الله للعالمين، قائد الخلق إلى الحق، فلا شك أن العدوان عليه سيكون أشد وأنكى، هذا هو الحب الصادق الذي يتفاعل معه القلب وتتفاعل معه الروح، حتى يصير القلب والروح تابعين لأمر المحبوب كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[٥]، هكذا تكون التربية العقدية، ولا مخلص لنا مما نحن فيه إلا بالعودة إلى هذه التربية القرآنية الإيمانية الخالصة لوجهه تعالى البعيدة عن كل شائبة، فالله أسأل أن يجمعنا مع نبيه الكريم ﷺ وأصحابه والتابعين في جنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢١٦/١١، رقم (٤٨٧٢) عن المسور بن مخرمة، ومروان ابن الحكم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية،١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٢- عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية ١٦٢/٣، دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هجرية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد.

٣- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ٤٧/٤، مكتبة المعارف، بيروت.

٤- محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد ٢١٨/٣، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط: الرابعة عشرة، ١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبدالقادر الأرناؤوط.

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم (١٥)، دار طوق النجاة، ط: أولى، ١٤٢٢ هجرية.



أمين حميد عبدالجبار
شاعر يمني

حيِّ الكويت

حـــيِّ الـكـويـت وأهـلـهـا الأخـيـارا
وانـثـر عـلـى جـنـبـاتـهـا الأزهـارا
واكـتـب لـهـا فـي عـيـدهـا أنـشـودة
تـزهـو بـهـا عـبـر الـزمـان فـخـارا
حـيـيـت مـن بـلـد ومـن شـعـب إذا
نـادى الـمـنـادي الـمـسـتـغـيـثُ أجـارا
فـي كـل أرض لـلـكـويـت مـآثـر
تـزهـو عـلـى سـقـف الـعـصـور مـنـارا
ولـدى كـرام الأرض قـاطـبـة إذا
قـيـل: «الـكـويـت».. تـهـيـبـوا إكـبـارا
حُـبًـا حَـبَـاهُ الله مـن عـهـد الألـى
رفـعـوا الـكـويـت قـضـيـة وشـعـارا
بـوركـت يـا شـيـخ الـكـويـت وآلـه
بـالـخـيـر فـضـتـم فـي الـدنـى أنـهـارا
بـوركـت مـن شـيـخ تـقـاطـر حـكـمـة
وعـلـى جـيـوش الـنـائـبـات أغـارا
آلاؤكـم فـي كـل أرض.. خـيـركـم
يـسـقـي فـلاة الْمُـعْـدَمـيـنَ نـضـارا
حـيـيـتـمـو أرضـا وشـعـبـا أسـرةَ
لا يـرتـضـون عـن الـجـمـيـل خـيـارا



أ. د. عبدالمنعم عبدالله حسن
أستاذ بجامعة الأزهر - مصر

أنا مسلم

أنا مسلم .. الناس تسلم من يدي ولساني
إن اللسان مترجم عما طواه جناني
هبة البيان .. عطية الرحمن للإنسان
فتشف عما في الضمير بأوضح التبيان
أنا مسلم .. نعم الإله تحاط بالشكران
هذا لساني دائما عفٌّ عن العصيان
هو ذاكر رطب بما يتلو من القرآن
فبه نجاتي إن أصنه وعصمتي وأماني
وبه الهلاك إذا طغى في اللغو والبهتان
أنا مسلم .. هيهات يؤذى كائن بلساني
أما يدي فلقد تسامت عن أذى إنسان
مقبوضة كفت عن الإيذاء والعدوان
مبسوطة نحو الورى بالخير والإحسان
تمتد.. تنقذ من هوى بالغوث والتحنان
بيضاء في ليلِ الهموم وفي دجى الحرمان
أنا مسلم.. شكر الجوارح في رضا الرحمن
هذى يدي في الخير تعلي شامخ البنيان
بالحب تحتضن الإخاء بمنهج الإيمان
ولها على رأس اليتيم سياحة بحنان
هيهات من يد مسلم يؤذى أقل كيان
أنا مسلم.. الناس تسلم من يدي ولساني



سها شريف
أديبة سورية

لو علمتم الغيب

صعدنا سيارة أجرة تقلنا إلى مطار دمشق لنودع والدي المسافر إلى الكويت. أدار السائق مقود السيارة بينما كان والدي يدير مقود الأمل لحياة أفضل. داس السائق على البنزين وداس والدي على أحزان الماضي وديونه وآلامه. وضع السائق حزام الأمان ووضع والدي حزام الأمان بالتخلص من قيود الدين وذله، بعد أن أزهرت شجرة الأمل أطيب الأزهار في أعماقه. أطل من نافذة السيارة بعد أن أراح رأسه من عناء التفكير وهو يتأمل الأزهار المتفتحة على طول الطريق. العصافير تتطاير وتتراقص على أنغام الطبيعة الجميلة وتصدح معها الطيور المغردة في حنايا صدره.

كان أمله اليوم بتوقيع عقد مع أكبر شركات النفط العالمية في الكويت يرطب صدره وينير روحه ويضيء ابتسامته. أحببت أن أخرجه من عالم السكوت الذي يضج حياة في أعماقه وأن أشاركه فرحته فقلت له:

«كم أتمنى أن تشركني في ما يجول في خاطرك يا والدي».

فأجابني: «ما يهمني أن أوقع العقد اليوم؛ لأن هناك مرشحين اثنين لا يقلان أهمية عن مؤهلاتي وشهاداتي وخبراتي. أنا أحلم ثملا بما تشربه آمالي بفرج قريب».

ومن نور الأمل المنير بحنايا صدره بدأ يوزع علينا أنوارا من الغبطة ودروسا في التفاؤل.

تسارعت صور الماضي في ذاكرتي كشريط سينمائي؛ تذكرت أوضاع والدي التي أوشكت على الانهيار والأزمات المالية والنفسية والصحية التي أصابته. أصبح يحمل هموما مثقلة بأعباء الحياة، وأرهقته الانكسارات، واكتست أحلامه بالسواد.. وها هي الآن شمس الأمل تسطع من جديد لتزيح كل الصور الضبابية.

نظرت إليه واعترتني رعشة خوف من سحابة غبراء قد تحيل أمله إلى أشلاء. كان يتحدث عن الأمل حين جالت بخاطري حتمية القضاء والقدر فاستوقفتني هاتان الكلمتان: «الأمل» و«القدر». رأيت أن اجتماعهما في قاموس الحياة يعني تناقضا كبيرا. ضمتني الحيرة بوشاحها القاتم وتأرجحت هاتان الكلمتان في نفسي الحائرة. تلبد جو فكري، وثقل دماغي بأفكار راقدة في أعماقي. تسارعت التساؤلات في نفسي وأثارت في داخلي توجسا وقلقا: «هل يموت الأمل ألف مرة على مذبح الرجاء أمام حتمية القدر؟.. ألا نخضع لحكم القدر كما تخضع الشاة لسكين الجزار؟».

ومرت في ذاكرتي صور كثيرة لحتمية القدر. وعلت سطح ذاكرتي صورة صديقتي التي كانت تعد أوراقها للتخصص في الجراحة العامة خارج البلاد. وشاء القدر أن يقلب حساباتها حين صدمتها سيارة مسرعة وأصابتها في رأسها مسببة لها شللا وخمولا عقليا، فتهاوت نغمة الأمل التي تماوجت عبر أثير حياتها في هاوية المقادير، حيث ظفرت البلاهة وتقهقر العقل. لم أدر وقتها كيف أواسيها.

انتزعني من شرودي وظنوني صوت والدي يدعونا إلى النزول فقد وصلنا مطار دمشق.. لتقله الطائرة إلى الكويت.

فتح والدي حقيبة صغيرة بيده وبحث طويلا عن جواز سفره فلم يجده.. طلب منا البحث في حقائبنا ولكن من دون جدوى.. سأل السائق أن يبحث في سيارته.. عاد يجر ذيول الخيبة.. اتصل والدي بأخي في حلب وسأله أن يبحث عن جواز السفر. مرت دقائق وهو يجاهد ليبقى ثابتا متوازنا. وشعر بالأمل كالنحاس الأجوف يرجع صوت الفرح رجيعا حزينا حين جاء صوت أخي ليؤكد بأن جواز سفره قد نسيه بحلب.

ذهب الخبر ببريق عيني والدي واصفر وجهه.. نظر إلى ساعته.. لم يبق على موعد إقلاع الطائرة سوى نصف ساعة.

هبت عاصفة القضاء والقدر مدوية، مقتلعة في طريقها شجرة الأمل التي كانت تعرش بأحلام والدي، وهدمت أعمدة بيت آماله فتناثر غبار الخيبة والألم.

اختلست النظر إلى عينيه قلقة. كان مطرق الرأس بانكسار، بعد أن تراجعت من عينيه نظرة التفاؤل والأمل وتحولت إلى نظرة استكانة للواقع. وإذ بقناعته تتجرأ على حزنه فتعتصر خيبته وتطويها تحت جناحي الصبر والإيمان بالقضاء خيره وشره. وقال بصوت خافت رزين: «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم».

وقفنا نشاهد الطائرة تقلع أمام أعيننا ولم يقلع معها أمل والدي. قلت في نفسي: «الأمل كلمة أوجدناها بلسما لروحنا رغم عجزها أمام القضاء والقدر لأن القدر محتوم».

ثم علمت بأن القدر لم يكن ضد والدي وأن والدي قد كتبت له النجاة عندما سمعنا في اليوم التالي بسقوط الطائرة وتحطمها.



محمود حسانين عبدالرحيم
قاص وروائي
مصر

المظلمة

خوفي منها لم يجعلني أنام، هي نار تحرق فؤادي إذا ما تركتها، وحينما أشعر باقترابي منها، أخاف من أن يذهب يومي ولا أمحو آثارها، هي عندي تزلزل كل خلجات الفؤاد، كيف أتركها وأنام؟ كيف أنساها وأغفو؟

إن مثلها لا يتركها غير إنسان بلا قلب، من نزع الله من جسده قلب الحب وراحة البال، تلك قد تكون مهلكتي؛ كيف لا أجري وراءها وألحقها قبل أن تذهب إلى حيث أبواب السماء، فأنا أعلم إن تركتني وذهبت فلن تعود، ولا تمحى بالسهولة التي يتخيلها إنسان، فكيف يأتي لي قلب أن أغفل عنها، فإن مثلها إن تركها إنسان فلن ترجح له كفة ميزان، أبتهل:

- يا رب أعني على محوها.

أغتسل من ذنوب الحياة، وأحمل بين ضلوعي أثقالا أدعو الله أن يغفرها لي. يعلو من كل أرجائي صوت الضمير، وأرى نجمة في السماء تضيء، وأخرى تهوي في عوالم المجهول، كم أتمنى سقوطها هي أيضا من بين أرجاء كياني، أسمع صوتا كأنه يأتيني في حلمي، يحذرني، يهددني، يأخذ بشمائلي، وهي تدور حولي لتحاصرني، الصوت يبتعد وهو يردد:

تنام عيناك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

أصرخ بأعلى صوتي:

- لم أظلم أحدا.

أراها وهي جلية أمامي بوضوح؛ إنها كلمات رهيبة أقرأها بنفس وجلة، أصحو من نومي فزعا أجد كل ما حولي كما هو؛ غرفتي وأوراقي وكل مكتسبات حياتي، أمسح دمعة سالت على وجنتي، أهدئ نفسي، أحمد الله، أتوضأ لأصلي ركعتين استغفر الله فيهما، وأتوب إليه، أسلم وأرفع يدي بالدعاء أن يغفر الله لي خطاياي.



د. سوسن عبدالكريم بونقيشة
أستاذ مساعد بجامعة حائل
تونس

أهمية إطلاق مجلة متخصصة لتطوير تدريس العلوم الشرعية

قال جل جلاله في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)، فالعلم الشرعي موعود بحفظ الله عزوجل له، ولقد حمل رسالة الإسلام جهابذة العلماء المسلمين الذين تعلموا على يد معلم، فدور المعلم غاية في الأهمية ولا يزال.

وإننا اليوم نعيش دورا لم تعرف البشرية نظيرا له، حيث انتقل العالم إلى نوع جديد من التعليم، غايته تطوير المتعلم وتمكينه من الوصول إلى المعلومة بطريقة مباشرة لضمان ديمومة التطور المعرفي للجميع، وهي من الأمور التي تنبئ بمستقبل متميز ينتظر المجتمع الإنساني.

وقد اعتمد التعليم الجديد على تكنولوجيا التعليم التي أحدثت نقلة نوعية في بناء الدرس، ووجهت عملية التعليم والتعلم من التعليم التقليدي الموسوعي إلى التعليم الكفائي، حيث أصبح الدرس منتظما مسبقا انطلاقا من الأهداف إلى الاستراتيجيات التي سوف يستخدمها المعلم والوسيلة المعتمدة، التي غالبا ما تكون تفاعلية، كالحاسوب، لأن التعليم الجديد هو تعليم تفاعلي بالأساس.

ومن المهم أن ننسب الأشياء إلى أصحابها، فمن المتعارف عليه أن الغربيين هم أصحاب السبق في وضع قواعد التعليم الجديد وأهم طرقه ووسائله[1]، لذلك نجد العلوم التي تدرس عندهم هي المستفيدة الأولى من التطوير، في حين نترجم ما وصلوا إليه.

إن التطور الموجود في مجال تكنولوجيا التعليم مستمر وسريع باعتبار سرعة النسق الابتكاري التنافسي بين الشركات العملاقة المختصة في التكنولوجيات، ولنسأل أنفسنا ولنقيم تجربتنا في مجال تدريس العلوم الشرعية: هل طورنا في تدريسها؟ هل لدينا الكفاءة اللازمة؟ هل ارتقى خريج العلوم الشرعية إلى مستوى غيره من الخريجين في التخصصات الأخرى، أم أنه بقي غريبا عنهم لأنه لا يتكلم لغة عصرهم؟ وهل انتبهنا إلى قيمة هذه العلوم وانعكاساتها على مجتمعنا؟ وهل أعطيت هذه العلوم حقها في التطوير السليم والجيد؟

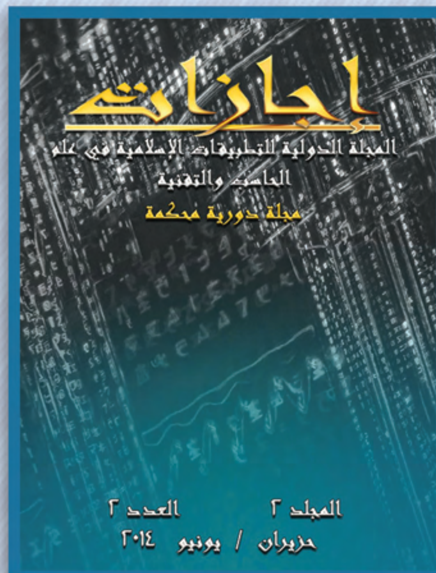
معوقات تطور العلوم الشرعية

ولعل أول ما يلفت الأنظار كثرة المعوقات التي تواجه تطوير تدريس العلوم الشرعية، وتشتت الرؤى حول المسألة، وتأخر معلم العلوم الشرعية عن غيره في تقديم المطلوب استجابة لروح العصر.

ولا أرى أنسب من التطوير الجماعي، ففي القرآن الكريم قوله عزوجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ﴾ (المائدة:٢)، وهو دليل على أن التعاون مبدأ إسلامي أصيل، فيمكننا تخطي عديد العقبات إذا فكرنا معا وطبقنا بعدها ما توصلنا إليه من نتائج.

مجلة العلوم الشرعية

وأظن أنه من أهم الخطوات التي سوف تعين الجميع على تحسين مستوى الأداء إطلاق مجلة متخصصة تعنى بمسائل تطوير تدريس العلوم الشرعية، وذلك من خلال الاطلاع على المستحدثات في التعليم وتجارب الآخرين في استخدامها، والتعرف على جدوى الاستراتيجيات المتنوعة في عملية التعليم والتعلم، ونتائج التقارير المستفادة من المؤسسات التعليمية وغيرها من الأشياء التي ستخدم عملية





التطوير.

إن الدور المنشود لهذه المجلة هو تحفيز المعلم والمتعلم على التطوير الذاتي، والترقي في تدريس العلوم الشرعية إلى لغة العصر بمستوى عالي الجودة، وإثراء دروسها الموجهة إلى طلبة العلم بما يضمن لهم اكتساب مخزون علمي ومهارات تجعلهم قادرين على التكيف مع واقعهم ومع قضايا عصرهم، وهو ما سيخول المؤهلين في العلم الشرعي أن يتبوأوا مكانهم المناسب في المجتمع الإسلامي، وهو تبليغ رسالة الإسلام في كل زمان ومكان بما تقتضيه سنة التغيير.

هذا وتبقى النماذج المعاصرة التي وجهت إلى المتعلم قليلة، ويشمل ذلك تدريس القرآن الكريم وبقية المقررات المتخصصة والعامة، أي المقررات الشرعية الموجهة إلى جميع التخصصات الأخرى.

رسالة عظيمة

أما عن التجارب الرائدة فهي رائعة بأتم معنى الكلمة، حيث نلحظ استجابة الطالب وتأثره الفعلي بالمعلومات التي لم يكن المدرس إلا موجها لها، ومن ثم بحثه واطلاعه ونقاشه ومواظبته على الحضور ونتائجه، كذلك تعليقاته

تدريس العلوم الشرعية تحت مجهر التطور التكنولوجي

وشكره ودعاؤه الذي يترك أثرا لا مثيل له، فهو ينمي روح العطاء لدى المعلم ويرفع عنه تعب تحضير الدرس.

فليتذكر إذن معلم العلوم الشرعية عظيم رسالته ونفعه وتأثيره، إنه يبني جيلا لهذه الأمة.

التكنولوجيا والعلوم الشرعية

وعلى الرغم من الإنجازات المهمة في المجال الخدمي الذي يطوع التكنولوجيا لخدمة العلوم الإسلامية، وخير مثال مجلة إجازات، وهي مجلة دولية للتطبيقات الإسلامية في علم الحاسب والتقنية والمؤتمرات مثل مؤتمر جامعة طيبة في توظيف تقنية المعلومات لخدمة القرآن الكريم، إلا أنه يلاحظ على أهل الاختصاص في العلوم الشرعية تباطؤهم في تفعيل تكنولوجيا التعليم في تدريس العلوم الشرعية، وهو أمر لافت للنظر، وإن وجدت بعض التجارب إلا أنها محدودة.

التطوير الجماعي أنسب السبل لتطوير تدريس العلوم الشرعية

ولا ريب أن وجود مجلة متخصصة في الغرض سيوفر قاعدة للمعلومات هي بمنزلة مرجع لتدريس كل المقررات يستعين بها المبتدئون ويطورها المتمرسون، خصوصا إن كانت مبوبة إلكترونيا بشكل جيد يسهل التعامل معه والنفوذ إليه.

وإننا لا نتنافس الدنيا ولكن نتنافس جنة عرضها السماوات والأرض، وقد قال الله في كتابه العزيز: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين:٢٦).

الهوامش

١- انظر: أصول تكنولوجيا التعليم (كتاب مترجم)، روبرت م. جانييه (جامعة فلوريدا)، النشر العلمي لجامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، المملكة العربية السعودية، الكتاب متوافر آليا على موقع مستحدثات تكنولوجيا التعليم، كتب ومراجع، كتاب التصميم التعليمي، باتريشال، سميثو تيلمن ج.راغن (مترجم)، مكتبة العبيكان، كتاب التقنية التعليمية للتعليم والتعلم، لمجموعة من المؤلفين، مترجم، النشر العلمي لجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة
مصر

تجربتي في السجن!

:من وراء القضبان توجد حياة، ولكن حياة مختلفة، حياة ينقصها أغلى شيء في الحياة، الحرية، إنها حياة بلا حرية، حياة يعتريها شيء من المرارة والنكد، والهموم، لكنها حياة.

والظروف والدوافع للسجن لا شك مختلفة تمام الاختلاف، فبعضها جنائي، وبعضها مدني، وبعضها سياسي، ستجد نفسك أمام طوائف مختلفة الجنسيات، والعلوم والمعارف، والوظائف، والأعمار، والدوافع، وراء كل واحد علامة استفهام قد يطول شرحها.

إنهم فقدوا حرية الانطلاق والحركة والكلام والتنقل بسبب لحظة ضعف قد يقع فيها أي إنسان، نسأل الله العافية للجميع.

بيد أنهم لم يفقدوا المعاني الإنسانية... والتي تنبه لها القائمون على أمر السجون -عامة- وفي دولة الكويت خاصة، حيث مراعاة الشعور والإحساس لهم كبشر لم يفقدوا السمات الإنسانية، بشر في حاجة إلى عناية ورعاية وشفقة ورحمة وحنان، وتوجيه، وارشاد ونصح وإصلاح وتقويم.

إنه دور الدولة في احتضان ورعاية أبنائها وبذل الجهود لتقويم وإصلاح وترميم ما اعوج من السلوكيات.

ساعتها عندما عايشت الناس هناك في السجن أيقنت أن دور الدولة لا يرتكز على الطعام والشراب والكسوة والعلاج، وإن كانت هذه الرعاية ضرورية لحفظ حياتهم، لكن هناك ما هو أهم: التوجيه والإصلاح والتقويم والتهذيب.

من هنا رأينا ذلك الشعار: السجن تهذيب وإصلاح، ربما يقابل هذا الشعار بنوع من التعجب... ولكن الحقيقة هي أن محاولات الإصلاح والتوجيه لتقويم السلوكيات تكاد ترتكز حولها كل الجهود.

ما الذي رسخ في العقول أن السجن عقاب؟

أنا لا أؤرخ للسجن، لكن من قرون والسجن كعقاب أمر مستقر في كل العالم.

والقرآن الكريم ألمح إلى السجن كعقاب، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء:١٥)

وفي قصة يوسف عليه السلام توعدته امرأة العزيز بالسجن، كما حكى القرآن عنها: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف:٣٢).

فهو عقاب نظرا لما فيه من حبس النفس، وحبس الجسد، وتقييد الحرية،

وسقوط الاختيار تقريبا من كل شيء، فتكاد تكون الحياة قهرية في كل شيء. إن الحرمان من الحرية بهذه الصورة يكاد يكون ترويضا وقهرا لهذه النفوس التي بغت وتعدت، وأصبحت في حاجة إلى القهر والكف والصد والحبس للتقويم والإصلاح، ولتعويد النفوس على أن تكون دوما تحت التحكم والسيطرة.

جهود في سبيل الإصلاح

من هنا كانت الجهود المبذولة للتهذيب والإصلاح والتوجيه مختلفة وكثيرة، وتصب في هدف واحد: إصلاح النفوس وتقويمها.

من هذه الجهود: إنشاء المكتبات، وإتاحة الفرصة للقراءة، إنشاء مساجد، ووضع المصاحف والكتب للقراءة والاطلاع، إقامة المحاضرات في المناسبات المختلفة، وممارسة الرياضات المختلفة.

والعجيب أن هناك فرصا للتعليم الانتظامي للمدارس العامة، أو الانتساب الجامعي، أو الدراسة المنتظمة لمحو الأمية، أو دور القرآن التي تشرف عليها إدارة الدراسات الإسلامية والتي تنشر العلم الشرعي، وتثقف الثقافة الإسلامية، وتعلم القرآن تلاوة وحفظا ودراسة.

إنها الآمال والطموحات التي عمل المسؤولون على إيجادها واستزراعها، والدفع بها على أرض الواقع، لإزاحة اليأس والقنوط والاستمرار في السقوط من طريق حياتهم.

إن السجن بهذا مرحلة علاجية لإقالة عثرتهم، ونكون جميعا عونا لهم على الشيطان، وعونا على أنفسهم الأمارة بالسوء.

إنها محاولة لترميم النفوس، وإن شئت فقل محاولة لصناعة إنسان آخر بعد سقوطه وانهياره.

إن السجن ليس نهاية الحياة... بل هو مرحلة من الممكن تخطيها... ولا شك أن الحياة كلها عقبات، فلا بد أن نصنع العزائم وننميها لاقتحام هذه العقبات.

ولا تعجب أن ترى بعض المشاهير من أهل العلم والسياسة كان السجن مرحلة من مراحل حياتهم ومحطة من محطاتها، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام، والإمام أبوحنيفة والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم من الأئمة والأعلام.

لم يكن السجن لكثير من الناس هو النهاية، بل خرج بعضهم من السجن وقد أكمل تعليمه، أو درس دراسات عليا، أو تعلم علوما شرعية، أو لغة من اللغات، أو حفظ القرآن الكريم، أو صنف من الكتب والمؤلفات ما نفع الله به الناس، فالسجن ليس تضييعا للوقت أو إهدارا له أو إمضاء وقت لعقوبة بعض الناس، بل هو حياة يجب أن تستغل الاستغلال الأمثل.

ومن العجيب أن بعض الأصدقاء المقيمين في أميركا أخبرني أن السجون هناك تستعين بالدعاة المسلمين لتوجيه وإصلاح الناس هناك، ولو من خلال الإسلام الذي ليس دين الأغلبية!

وأثبتت الإحصاءات عظيم الفائدة التي تعود على المساجين بسبب الارتقاء بالحالة العلمية والأخلاقية، والسلوكية، والتنمية الوجدانية التي يحتاجها كل إنسان داخل السجن أو خارجه، وأن كثيرا منهم بعد حفظه للقرآن الكريم أو بعض سور القرآن لم يعد مرة أخرى إلى السجن، ولم يعرف للسجن طريقا بعد ذلك... فالقرآن شفاء، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢).

والقرآن من هدايات السماء للخلق، قال سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة:١٨٥).

دور وزارة الأوقاف في المؤسسات الإصلاحية

وهذه بعض جهود وزارة الأوقاف في المساهمة للنهوض سلوكيا وعلميا بنزلاء المؤسسات الإصلاحية التابعة لوزارة الداخلية، حيث:

يبلغ عدد مراكز دور القرآن الكريم في المؤسسات الإصلاحية حاليا سبعة مراكز هي:

- **أولا: مركز الرشاد الرئيسي للرجال (مسائي):**

وهو للدارسين من عموم نزلاء السجن المركزي، ويبلغ عدد الدارسين فيه ما يقرب من ١٠٠ دارس، ويدرسون المنهج الدراسي المقرر في دور القرآن الكريم.

- **ثانيا: مركز الرشاد للرجال (صباحي):**

وهو خاص للدارسين من المحكومين بقضايا المخدرات، ويضم ٢٥٠ دارسا، ويدرسون المنهج الدراسي المقرر في دور القرآن الكريم.

- **ثالثا: المركز العلاجي التأهيلي للمدمنين:**

حيث تقام لهم دورة شرعية لمدة ثمانية أشهر، ويلزمون بالدراسة فيها، ليكونوا مؤهلين شرعيا ونفسيا، للسير في خطى المواطن الصالح، وبعد اجتياز الدورة بنجاح يؤهلون للحصول على العفو الأميري، ويضم هذا المركز حاليا ١٥٠ دارسا.

- **رابعا: مركز الرشد الشرعي:**

وهو للفتيان الأحداث الذين أودعتهم نيابة الأحداث في دور الرعاية الاجتماعية، لمدة تتراوح ما بين ستة أشهر وسنة، وذلك لاختبارهم في انضباط سلوكهم أثناء فترة الإيداع، ولا يمكن التعرف على مدى الانضباط السلوكي إلا بعد خضوعهم جبرا لدورة شرعية بمركز الرشد، ويلزم المركز بتقديم تقارير للنيابة لكل طالب عن الحالة السلوكية والأخلاقية ومدى تجاوبه مع الدراسة الشرعية واجتيازه لها، ويضم المركز حاليا ٥٠ طالبا.



• خامسا: مركز الرعاية اللاحقة للتائبين:

وهو مخصص لمتابعة السجناء التائبين المفرج عنهم بالعفو الأميري بقضايا تعاطي المخدرات، بالتعاون مع وزارة الداخلية ممثلة بالإدارة العامة للمؤسسات الإصلاحية، ويتولى المركز متابعتهم من حيث:

- إقامة المحاضرات الثقافية.
- متابعتهم في دراستهم في دور القرآن الكريم، حيث إنه تم توزيعهم على مراكز دور القرآن في مختلف المناطق وذلك حسب مقار سكنهم، وإعداد التقارير الدورية عنهم.
- بحث الحالات الاجتماعية والمساعدة في حل المشاكل الأسرية والمالية، ومتابعة المفرج عنهم سلوكيا واجتماعيا وفكريا.
- تنظيم رحلات لأداء مناسك العمرة كل ثلاثة أشهر لإحدى المجموعات منهم.
- تنظيم رحلات لأداء مناسك الحج للمنتظمين منهم في الدراسة والسلوك والبرامج.
- إقامة الدورات الرياضية والمسابقات الثقافية والرحلات الأسبوعية والمخيمات الربيعية.
- يضم المركز حاليا ١٥٠ تائبا.

• سادسا: مركز «الهداية» في السجن العمومي - طلحة

أسس المركز عام ١٩٩٧م، ليقوم بدوره في توجيه النزلاء وتثقيفهم شرعيا، ومساعدتهم في حفظ القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد.

ويؤدي المركز رسالته عن طريق إقامة الدورات الشرعية في مختلف العلوم من فقه، وحديث، وعقيدة، وتفسير، وتجويد.

والدارسون في المركز من المحكومين بقضايا الشيكات وممن صدرت بحقهم أحكام، ومددها متفاوتة وقصيرة، وأكثر النزلاء من الكويتيين. ويبلغ عدد الدارسين حاليا ٦٠ دارسا، ومن خلال العلاقات الحسنة بين النزلاء يدخل بعض غير المسلمين في الإسلام، ويتم إمدادهم بكتب التعريف بالإسلام المترجمة بلغاتهم.

• سابعا: مركز دار القرآن في سجن الأحداث «التقويم»

أسس مركز دار القرآن الكريم في سجن الأحداث «التقويم» سنة ٢٠٠٠م، للمساهمة في رعاية فئة الشباب الأحداث الجانحين، ممن يمضون فترات عقوبة متفاوتة، تتراوح ما بين شهر وعشر سنوات، حسب الجريمة «قتل - سرقة - خطف - هتك عرض» ويبلغ عددهم حاليا ما يقرب من ثلاثين شابا.

وينظم المركز لهم دورات في بعض العلوم الشرعية، ودورات في حفظ القرآن الكريم، وتعلم تلاوته، بالإضافة إلى بعض المحاضرات والدروس الدينية، بهدف تقويم السلوك وإصلاح النفوس، علما بأن هذه الفئة الجانحة ليست لديها الرغبة في الدراسة أصلا، لذلك فهم بحاجة إلى رعاية خاصة. (موقع douralquran.com).

إنها تجربتي في السجن!

وقد يتساءل القارئ كيف كانت هذه التجربة التي حدثتكم عنها، كيف حصلت عليها؟ هل دخلت السجن مقيما أو زائرا؟ لا، لقد كنت رسولا للعلم والدعوة في السجن، وخضت هذه التجربة، وأحسست بمرارة السجين في لحظات عملي داخله ودعوت لهم بالعافية.

وأعطيتك فكرة من وراء القضبان حيث الأسوار العالية، والأسلاك الشائكة، وكاميرات المراقبة، والحراسة المشددة، أعطيت فكرة تحمل قليلا من المرارة التي لا تقارن بمن يحسها من وراء القضبان... حتى لا تسول لك نفسك أن تتهور بالخروج عن القانون، وإلا فستكون لك تجربة ولكنها تجربة مختلفة!

د. آندي حجازي
أكاديمية تربوية - الأردن



بما كسبت أيدي الناس

الكثير من الدول العربية تعاني حاليا من الغلاء والبلاء والفقر والبطالة وفقد الأمن والخوف.. والأسباب الظاهرية لذلك معروفة أو مدركة غالبا، لكنني أرى أن هناك مجموعة من الأسباب خفية يجب علينا معالجتها في ذاتنا أولا؛ لأن ما يحدث بعالمنا العربي من تلك الابتلاءات هو غالبا نتيجة لما كسبت أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١). فكلما زادت ذنوب الناس ومعاصيهم ابتلاهم الله تعالى بالأمراض والخوف ونقص الأموال، كالفقر والبطالة والجوع والتشرد؛ وذلك ليعودوا إلى جادة الطريق السوي وطاعة ربهم، وهذه سنة الله تعالى في خلقه.

قد يتساءل قارئ ويقول: وماذا اقترفت أيدي الناس في زماننا لتستحق ذلك؟! انظر حولك يمنة ويسرة وسترى الكثير، فكم من قاطع رحم لا يزور أخاه أو أخته أو عمته وخالته أو عمه وخاله لأسباب واهية أو بحجة الانشغال! وكم من عاق لوالديه إن طلبت أمه طلبا لا يجيبها إلا بعد جهد جهيد، أو يرفع صوته عليها أو يتأفف ويتذمر ولا يعينها في حاجتها، وإن كان يتابع مباراة كرة قدم مثلا وطلبت منه أمه كوبا من الماء فإنه سيؤجل طلبها لحين انتهاء شوط المباراة! فلم نعد ندرك الأولويات.

وكم من غاش لمن هم دونه أو فوقه! وكم من سارق من أموال الدولة ومما هو مؤتمن عليه! وكم من موظف لا يعمل بكامل طاقته ووقته ويعتقد أنه يأخذ مالا حلالا! وكم من مرتش لا يتم عمله إلا إذا أعطي مالا وزادا! وكم من بائع خائن لأمانته في بيعه وشرائه! وكم من وارث للمال ولا يعطي أخواته الإناث نصيبهن استضعافا لهن! وكم من عم مستول على أموال أبناء أخيه ولا يكترث بفقرهم وجوعهم وحاجاتهم مع صغر سنهم! وكم من مهمل لصلاته أو لا يصلي أصلا وكأنه لا ينتمي لديانة الإسلام! وكم من زكاة لا تدفع! وكم من مسرف ومبذر لا يحفظ النعم! وكم من فتاة لا ترتدي اللباس الشرعي ولا تبالي! وكم واحدة ترتدي غطاء للرأس وباقي جسدها تكشف مفاتنه بملابسها الضيقة والجينز وتعتبر نفسها ملتزمة باللباس الشرعي المطلوب الذي يرضي الله تعالى!

وكم من حاسد في زماننا لا يتمنى الخير لغيره، وكم من شخص يعاني من حسد الآخرين وحقدهم فأصيب بأمراض كثيرة نتيجة للحسد! وكم من مضيع للحقوق والأوقات والفرائض والأموال؛ فمثلا كم من شخص لا يؤدي الحج وهو يعلم بفرضيته على الرغم من توفر السبل لديه من مال وصحة وأمن، لكنه لا يبالي بل تراه يسافر في كل عام لدولة جديدة للسياحة بها وينفق المال الكثير هناك ولا يبالي بأداء فريضة الحج وإن ناقشته يدعي أنه لا يملك المال الكافي! لم نعد ندرك الأولويات.

وكم من شخص يأخذ القروض الربوية لشراء بيت أو بناء مبنى غير مكترث أمن حلال أو من حرام بنى بيته أو اشترى شقته! وكم من أم مهملة لأبنائها ولتربيتهم وتؤثر الاستمتاع في وقتها على مواقع التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية وزيارة الصديقات، وتترك تربية أبنائها للخادمة أو للشارع والمدرسة! فينشأ أبناؤها على أخلاق ذميمة يصعب تداركها، وقد قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (أخرجه البخاري ومسلم). وواقع الحال يعكس الكثير من تلك السلوكيات والأخلاق التي عمت وانتشرت، ولا يصلحها إلا التوبة النصوح والعودة لله تعالى، والوقفة الصادقة مع الذات ومحاسبة النفس لتغيير السلوكيات وإجبارها على العمل الصالح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، وأكثر ما يعين على ذلك هو تذكر الخالق بكل وقت وحين، وتذكر الهدف من الحياة وتذكير النفس بهذه الغاية التي خلقنا لأجلها، لوضعها على المسار الصحيح، وتذكير النفس بعظمة الله تعالى وقدرته في خلقه، وتذكيرها بالجنة والنار ترغيبا وترهيبا، وقراءة سيرة الحبيب المصطفى ﷺ وصحابته والتعلم منها والاقتداء بهم.



علياء ناصف
كاتبة وباحثة تربوية
مصر



التجديد في تربية الجيل الجديد

سنوات الطفولة والصبا هي سنون جوهرية في حياة أي إنسان، وعمر المراهقة ما هو إلا لحظات فارقة قد تنسج شخصية إيمانية بناءة لدينها ودنياها، وقد ينكث الغزل فنصير بصدد شخصية مخلخلة هدامة.

ومن هنا تتبين أهمية النشأة الأولى، تلك النشأة التي من الواجب على كل من هو منوط بمهام جسام بها أن يؤدي دوره على النحو المأمول منه لتشكيل وعي ووجدان النشء وفقا لمراد الله وعلى نهج رسول الله ﷺ.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (التحريم:٦)، وقد ذكر القشيري وفقا لما جاء في تفسير القرطبي للآية الكريمة أن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية: يا رسول الله، نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟ فقال: «تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله». ولقد أمر الله بالتحلي بكل ما هو جميل ومحمود من الفضائل، والتخلي عن كل ما هو قبيح ومذموم من الصفات والرذائل، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

ولذلك فإن التحلية والتخلية هما الركيزتان الرئيسيتان لتربية النشء تربية سليمة لا خلل بها ولا نقصان، فمن غير الحكمة أن يأمر الوالد ولده بالصلاة فقط، دون أن يغرس في قلبه وعقله قوله تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ (العنكبوت:٤٥).

ومع التحديات والمتغيرات الثقافية التي تشهدها المجتمعات العربية، من تطور هائل لتكنولوجيا المعلومات التي لها ما لها وعليها ما عليها من الإيجاب والسلب، صار الدور التربوي أكثر صعوبة وأشد وطأة من ذي قبل.

فإذا كان المنوط بهم هذا الدور الجذري في حياة النشء على اختلاف مواقعهم في مواجهة سيل عارم من الغزو الثقافي والتغريب الفكري والانحدار الأخلاقي في منظومة القيم، فيتحتم عليهم التجديد، والبحث عن أفضل وأقصر الطرق سرعة وتأثيرا للوصول إلى الجيل الجديد.



والتجديد أحيانا يتطلب العودة لتدبر آيات الكتاب الحكيم من جديد، والبحث بروية في سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام عن نهجه ومنهجه في الدعوة والتعليم والوعظ، وبها نجد غايتنا وما يختصر علينا الوقت والجهد في قراءة عشرات المجلدات عن التربية الحديثة من المعاصرين الغربيين، وقد لا تفيد.

وما يختصر الطرق مسافة إلى القلوب هو الوعظ اللطيف لا العنيف، والذي هو صميم رسالة الإسلام، وخلق الصادق الأمين في الدعوة إلى الله تعالى، وهو ما لا يهتم به البعض ممن يتولون أمور التربية وشؤون التأديب والتهذيب، خلافا لما أمر به الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (النحل:١٢٥)، أيضا قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وإن سنة المصطفى عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم زاخرة وعامرة بالمعنى المقصود، فها هو فتى شاب يأتي إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، ائذن لي في الزنا؟ فأقبل عليه القوم فزجروه، فقال: «ادنه»، فدنا منه قريبا، قال: فجلس. قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال «أتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال «أتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أتحبه لخالتك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (أخرجه أحمد في المسند).

إن الموعظة اللطيفة تحدث أثرا جميلا في النفس وتعزز من حدوث الهدف المأمول منها، بينما يؤدي العنف إلى النتيجة العكسية الناجمة عن حالة الضجر والضيق من جراء الأسلوب المستخدم في عملية التوجيه والإرشاد.

كما أن الإلمام من جانب المربين والتربويين بأساليب ووسائل حديثة متقدمة لمواكبة التكنولوجيا المتطورة رقميا ومتابعة المدخلات الثقافية والحالة السلوكية من خلالها، والعمل على استخدام هذه الوسيلة ذاتها لمناهضة هذا التأثير السيئ من خلال مدخلات رقمية أخرى ذات مضمون تربوي في أطر تعليمية جاذبة للانتباه ومثيرة للاهتمام، هو أمر لا يمكن التهاون فيه، بل يجب وضع خطط وبرامج بخصوصه على أرفع المستويات العلمية والعالمية.



د. محمد عباس عرابي
باحث تربوي - مصر

فوائد ممارسة الرياضة للأطفال



اهتم ديننا الحنيف بممارسة الكبار والصغار، على حد سواء، الرياضة؛ لفوائدها المتنوعة. لذا، يمارس الجميع الرياضة، خصوصا الأطفال. والطفل الذي يمارس الرياضة منذ الصغر لا يمكن أبدا أن ينساها، ويظل قوي البنيان، حتى وإن ترك ممارسة الرياضة في مرحلة ما من مراحل حياته اللاحقة لظروف العمل مثلا، فإنه من السهولة بمكان أن يعود إلى ممارستها حتى ولو بشكل منفرد، حيث تكون لديه المبادئ الأولية لممارسة الرياضة. وإن كانت الرياضة قد تنوعت هذه الأيام، إلا أن الرياضة الحرة، التي تمارس في الهواء الطلق، تظل هي أفضل أنواع الرياضات من حيث فوائدها. وتتمثل تلك الرياضة في «العدو - المشي السريع - ألعاب القوى بتنوعاتها المختلفة - التمارين الرياضية بتنوعاتها - السباحة».

ويحاول هذا المقال بيان بعض هذه الفوائد، حيث يعرض للفوائد الصحية والعقلية والنفسية والاجتماعية لممارسة الأطفال الرياضة، على النحو التالي:

الفوائد الصحية والعقلية

تعمل ممارسة الأطفال للرياضة على بناء أجسامهم بشكل صحي وسليم، وعلى تنظيم الدورة الدموية وتنشيطها، والحفاظ على حيوية الجسم ونشاطه، وتمنع ترهل العضلات، وتساعد على بناء العقول والتفكير السوي المنطقي المنظم.

وتعلم الرياضة الطفل النشاط، وتقضي على الكسل لديه، وتجعله دائما مستعدا للعمل، فهي تعلمه الاستيقاظ المبكر، وعدم السهر، وتعلمه العمل بجد واجتهاد، والعقل النشيط لا يكون أبدا في الجسم الخامل. وأفضل ما يمكن أن يبقي عقل الطفل



دائما في حالة صحية جيدة وحيوية ونشاط، بعد الاسترخاء، ممارسة تمارين التنفس بعمق، حيث يعمل التنفس بعمق على تنشيط الدورة الدموية، ويعمل على صحة العقل.





الفوائد النفسية

تعمل ممارسة الأطفال للرياضة على بناء الشخصية القوية؛ الشخصية التي تتمتع بالقدرة على مواجهة الصعوبات والتحديات التي يمكن أن يقابلها الطفل في حياته.

وتدفع الرياضة الأطفال إلى النجاح والتفوق، وذلك عن طريق غرس الثقة بالنفس لديهم، وعادة يكونون معتزين بذاتهم، واثقين في إمكاناتهم، متحدين الصعاب التي يمكن أن تواجههم، وهم على ثقة ويقين من الانتصار عليها ومواجهتها بشكل قوي وجاد ومؤثر.

تعمل الرياضة على تفريغ شحنات كبيرة من طاقات الأطفال التي يمكن أن تكون سببا للتخريب غير المقصود، وفرط النشاط، والشجار، حيث تعمل الرياضة على ملء وقت فراغ الطفل.

تعود الطفل على الانضباط؛ فالطفل الذي يمارس الرياضة عادة هو طفل منضبط يحافظ على مواعيده، ويستطيع تنظيم حياته بشكل أفضل، وتكون لديه القدرة على ترتيب أولوياته من الأهم إلى المهم.. وهكذا، مما يساعده على النجاح في التخطيط لحياته بشكل أفضل بكثير ممن لا يمارس الرياضة.

الفوائد الاجتماعية

تعلم الرياضة الأطفال العمل الجماعي واحترام الآخرين، وتعلم العمل بروح الفريق، ومحاولة استيعاب المشاكل التي يمكن أن تنشأ من الاتصال بالآخرين، وهذا يساعد الطفل في الذكاء الاجتماعي، وهو نوع من الذكاء مهم جدا للأطفال، حيث إن الطفل عادة هو قليل الخبرة في هذا المجال بالذات.

كما أن الطفل لديه بعض الصفات من أنانية وحب ذات، وهي صفات طبيعية في تلك المرحلة، والرياضة تساعد على ترشيد تلك الصفات بشكل جيد، واستيعاب الآخرين، والعمل مع الآخر، ومحاولة فهم دوافعه، بل وتفهم مشاعره أيضا، وتحمل بعض أخطائه.

ومن خلال التدريب الفعال يتشرب الطفل من أخلاق المدرب الكثير من الصفات، كلما كان المدرب شخصا متزنا من الناحية الانفعالية والأخلاقية، ولديه القدرة على الاستيعاب والفهم والتعاون مع الآخرين، والبعد عن الأنانية وحب الذات.



حمزة بلقروية
باحث في الفكر الإسلامي
تونس



وسائل التربية في الإسلام

تعتبر التربية فنا من فنون الحياة التي يجب على الوالدين إتقان وسائلها حتى ينجحا في إنشاء جيل صالح للبشرية جمعاء، جيل قادر على بناء مستقبل أفضل للإنسانية، مستقبل ينير طريقه بنور الله ورسالة الإسلام، وما نلاحظه اليوم عدم جاهزية الوالدين لإتقان هذا الفن الراقي، فحلّ مكانه الإهمال مقابل انشغال الآباء والأمهات بأعمالهم، وبما تشتهيه أنفسهم من أنشطة وهوايات، وأصبح تأثير المجتمع وما يتلقاه الطفل من المحيط الخارجي هو أساس التربية عندنا، ومن هنا تظهر أخطار الانحراف والفتن التي قد تجرف أبناءنا وراءها، والإسلام يعتبر البيت هو المدرسة الأولى التي ينشأ فيها الفرد ويبني من خلالها شخصيته ويصقل فيها سلوكياته وأخلاقه، ومنها يتعلم الطفل دينه ومبادئه.

تعتبر التربية مهمة شاقة تتطلب صبرا ويقظة وفطنة من الوالدين، فهي عبارة عن جهاد يبذلانه في أهم مراحل العمر لدى أبنائهما، وليس من العجب أن نجد جزاء هذا الجهد والكد أن يكون النجاة من النار ودخول الجنة، خاصة إن كان الأمر متعلقا بتربية البنات، فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من

كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة ألبتة، قيل يا رسول الله: فإن كانتا اثنتين؟، قال: وإن كانتا اثنتين، قال: فرأى بعض القوم أن لو قال: واحدة، لقال: واحدة»[١]، وكما تعتبر تربية الأبناء من الوصايا النبوية، لأنها أمانة عظيمة يتحمل أعباءها الوالدان بصفة خاصة، فعن الحارث بن النعمان قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[٢].

فأولى وسائل التربية في الإسلام هي التربية بالقدوة، فالأبناء يعتبرون آباءهم وأمهاتهم المثل الأعلى لهم منذ صغرهم ويسعون إلى الاقتداء بهم في تصرفاتهم وأفعالهم وأقوالهم، فلو كان الأب تقيا ورعا لا يراه ولده إلا في الأعمال الصالحة من صلاة ومساعدة للناس وصدق الحديث وحسن الخلق وأداء الأمانة؛ فإن ذلك سينعكس إيجابيا على الأبناء، وقد تفطن رسول الله لهذا الأمر، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا»[٣] ولعل من هذا الخير أن يقتدي الأبناء بوالدهم ويتعلموا الصلاة وأخلاقياتها، وفي المقابل لو ساءت أخلاق الوالدين في تعاملهما بعضهما مع بعض أو مع غيرهما بمشهد من الأبناء، فسترسخ فيهم هذه السلوكيات من كذب وخيانة وفحش، وكذلك لو اعتاد أحد الوالدين فعل المنكر من تدخين أو شرب خمر وغيرهما فإن ذلك سينعكس سلبا على حياة الأبناء وبمرور الوقت ستعتاد قلوبهم على هذه المنكرات، ونجد في السنة النبوية التحذير من استعمال الكذب مع الأبناء حتى لا يتسرب إليهم هذا الخلق السيئ، فعن عبدالله بن عامر رضي الله عنه أنه قال: «دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟، قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة»[٤].

الوسيلة الثانية في التربية هي الموعظة الحسنة التي بها تتأثر القلوب، ورغم أن الموعظة تأثيرها وقتي إلا أنه مع التكرار والوعظ المستمر من الآباء والأمهات لأبنائهم سيؤثر فيهم إيجابا، وتبقى تلك الكلمات الرقيقة المنبثقة من قلب صادق عالقة في آذان الأبناء، وما أجمل أن يكون في كل بيت جلسة إيمانية عائلية بقيادة الوالدين، فيقومان في كل مرة بتقديم موعظة لأبنائهما ويفتحان لهم باب الحوار والنقاش الحر الذي به يتعلم الجيل جديد دينه ومبادئه، بل أروع من هذا أن تكون هنالك حلقة قرآنية داخل كل بيت يترأسها الأب لتعليم أبنائه آيات القرآن الكريم، وتكون الأم سنده الدائم في هذا العمل، ومن أفضل المواعظ للأطفال وأوجزها ما قاله رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وهو دون سن البلوغ عن أبي العباس عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٥]، ولعله من الضروري أن يفقه الآباء هذا الحديث حتى ينقلوا معانيه كاملة وصحيحة لأبنائهم.

ثالث هذه الوسائل التربية بالعقاب، والعقاب يكون معنويا أو جسديا، فبعد أن يستكمل الوالدان وسائل التربية السابقة ويجتهدا في ذلك ثم لم يؤتِ ذلك أي نتيجة؛ يكون العقاب هو الحل، لأن بعض النفوس لا تستقيم إلا به، أما العقاب المعنوي فهو غايته قطع الحب النابع من الوالدين الظاهر في سلوكهما ومعاملاتهما لأبنائهما، بهدف إشعار الطفل بالذنب وبقبح ما فعله من إساءة أو انحراف عن قيم الإسلام، وعندما يضيق الابن بهذا ويشعر بالندم فإن من واجب الوالدين أن يشرحا للطفل قبح فعله وزيادة وعظه حتى لا يعود إليه، وأما العقاب الجسدي فهو التأديب بالضرب غير المبرح كما بينته الشريعة ولا يكون الهدف منه الانتقام من الابن أو التنفيس عما ينتاب أحد الوالدين من غضب، ولا يكون الهدف من هذا العقاب إذلال الابن أمام الناس، بل الهدف من هذا تقويم سلوكه حتى يشب على التقوى والصلاح ويستشعر عظم ما قام به من ذنب، ولا يكون هذا النوع من العقاب إلا بعد التذكير والوعظ والتنبيه، ولذلك نجد أن رسول الله ﷺ لم يجعل ضرب الولد على الصلاة إلا بعد ثلاث سنوات من تذكير وتحبيب وتعليم الوالدين له هذه العبادة، فعن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[٦].

الوسيلة الرابعة هي التربية بالقصص الهادفة والنافعة التي نستخلص منها العبر ويبني بها الطفل شخصيته على

الشجاعة والكرم والصبر والأدب والإحسان، ولو تتبعنا سور القرآن لوجدنا فيها الكثير من القصص التي ساقها الله لنا من باب العبرة والموعظة والإرشاد، ولذلك نجد قوله تعالى تعليقا على هذه القصص القرآنية: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود:١٢٠)، ومن المهم جدا ملء وقت أبنائنا بمطالعة القصص النافعة ويقوم أحد الوالدين بتخصيص وقت دائم يجتمع فيه مع كل أفراد العائلة لقراءة القصص واستخراج العبر منها والمواقف البطولية والتركيز على أخلاق بطل هذه القصة؛ حتى يتأثر بها الأبناء إيجابيا، والأجمل من ذلك أن يخصص الوالدان ركنا في البيت يحتوي على مكتبة متنوعة للأبناء، مع الحذر في اختيار القصص الصالحة الداعية للفضيلة والتقوى، لا القصص التي تجعل المتعدي لحدود الله والمتمرد عليها بطلا لأنه في هذه الحالة تصبح القصة سببا للإفساد والانحراف.

الوسيلة الأخيرة هي التربية بالأحداث والمشاهد التي لها أثر عميق في النفوس لارتباطها بواقعة حدثت، فلو حصل أمر ما على مشاهد الأبناء ومسامعهم كان واجبا على الوالدين استغلال هذه الفرصة لتصحيح المفاهيم وتبيين الخطأ من الصواب لأبنائهما حماية لهم من أن يتلقوا ما حدث أو ما شاهدوه بطريقة سلبية بلا تمحيص، ومن أجل تقريب المفاهيم لهم، حتى تترسخ فيهم القيم والأخلاق السليمة، ونجد في السنة النبوية كيف اغتنم رسول الله ﷺ مشهدا حدث أمام



الصحابة رضوان الله عنهم ليرسخ فيهم صفة الرحمة وليعلق قلوبهم بالله عزوجل فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٧].

تعتبر التربية في الإسلام مسؤولية كبيرة مكلف بها بصفة خاصة الوالدان المطالبان ببذل أقصى جهدهما فيها وإتقان أساليبها، حتى ينشأ الأبناء على التقوى والأخلاق الحسنة، والتربية هي طريق من طرق الإصلاح في مجتمعاتنا اليوم وهي واجبة على الآباء والأمهات خاصة في زماننا هذا، وقد وصف أبو حامد الغزالي عظم هذه الأمانة فقال: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، فإن عود الخير نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه. وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل ويقوى بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم»[٨].

الهوامش

١- مسند الإمام أحمد.
٢- سنن ابن ماجه.
٣- صحيح مسلم.
٤- سنن أبي داود.
٥- سنن الترمذي.
٦- مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود.
٧- صحيح البخاري.
٨- كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.



علي مدني الخطيب
باحث دراسات إسلامية
مصر

وقفة مع النفس



في الوقت الذي يتحرك فيه الظالم بحرية وانتشار تتقيد حركة الآلاف من أصحاب الحقوق وذوي الهمم، وفي الوقت الذي ينام فيه الظالم يبقى الكثيرون ممن قهرهم بظلمه بلا نوم أو راحة، وفي الوقت الذي يمرح فيه ويطوي الأرض تذوب نفوس المقهورين من البشر، وتختنق أرواحهم في صدورهم، ويموتون في اليوم ألف مرة ومرة...

وكلما خلا العصر من وجود هؤلاء كانت حياة الناس أقرب إلى ربهم لأنهم يخلون بأنفسهم وجوارحهم من هواجس التفكير فيما يقض مضجعهم أو ينغص عيشهم ويكدر صفوهم ويجعلهم كالأشباح في صورة الأرواح.

وكلما توجهت إلى مكان من العالم أو بقعة من الأرض خلت من ظالم أيقنت أن الحياة بغير هؤلاء جميلة عظيمة.. جميلة لأن المكدودين يتنسمون عبيرها دونما سخط ولا كدر وهي عظيمة لأنها طريق من طرق الجنان ومفازة يجتازها العبد ليحصل من ورائها على الثمرة الناعمة والنعمة الخالدة والحظ الأوفر الذي لا يمتنع ولا ينقطع.

يا لشقاء قوم وقعوا في قبضة الظالمين؛ لأن الظالم يائس كنود، قاس متمرد، مقاوم للطبع، مصادم للفطرة.

لو كان يعلم هذا الشقي أن الحياة بطولها وعرضها لا تساوي لحظة واحدة من لحظات الشقاء والنكد، وأن العاقل الفائز هو من لا يبيع لذات عمره كلها بلذة وقت قصير عاجل، ومن هنا ندرك السر في أن الظالم يتألم كثيرا في معيشته أو أسلوب تفكيره وفي مخالطته لغيره، وكأنه يقضي أيامه في سجن عالي الأسوار، كثيف الجدران قلما يتركه الألم برهة، وقلما يستريح البتة أو يهدأ ويستقر أو يستشرف للحياة معنى، وتزدهي الألوان أمامه وتتناسق الأشكال لكنها تبقى بلا معنى ولا مبنى فتبدو غير مريحة للروح والنفس، فقد اختلفت الألوان، وتشابكت الخطوط، وضاعت كل المعاني، وبرز الوجه الكالح مشربا بالسواد القاتم المخيف، وانطلقت من الجسد رائحة نتنة تؤذي من حولها، وابتعد الصحاب والرفاق.. وأصبح موتور النفس، شقي الذات، مكدود البدن.. تائه الفكر.. قليل الحيلة.. ضعيف النفس، مردود الرأي، ساقط الهمة، قليل الأعوان، مكروها ممقوتا، مبغوضا مهجورا، يبحث عن موت عاجل بعد أن فاته كل جميل وشريف.

مُرة هي الحقيقة عندما تطل برأسها، وعندما نكون غير مستعدين لها ولا مهيئين لاستقبالها.. خصوصا إن فات أوان القدرة على التصحيح أو مات أولئك الذين لهم دين في أعناقنا، هل يعود الدهر بهم مرة أخرى لنطلب منهم الصفح؟ هيهات.. هيهات.. مضى الزمان وانصرم، وشب الصغير وانفطم.. ومضوا سراعا، ولن نلتقيهم إلا في أرض المحشر.



د. خالد محمد راتب
باحث في الشؤون الإسلامية
مصر

وسائل تربوية خاطئة

الإنسان بفطرته يحتاج إلى سكن وطمأنينة، ودائما ما يبحث عن الراحة والهدوء والسعادة. ولكون الإنسان كائنا اجتماعيا، فإنه يحاول أن يبني علاقة مع غيره، كعلاقة الصداقة وعلاقة الزوجية وعلاقة الزمالة في العمل.. وغيرها من العلاقات، وفي وقت من الأوقات تكون الحاجة أشد لتكوين العلاقة الاجتماعية من خلال الفطرة الإنسانية التي تريد أن تشبع رغباتها في ظل منظومة شرعية، فلا تجد النفس البشرية سبيلا إلى هذا الإشباع الشرعي إلا عن طريق الزواج؛ فالزواج إذا توافرت فيه الشروط، التي حددها الشرع وارتضاها العرف السليم، يحقق للإنسان السكينة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، ثم بعد ارتباط الرجل بالمرأة عن طريق الزواج فإن الرجل، وكذلك المرأة، يبحث عن مكون اجتماعي جديد داخل الأسرة وهو الطفل، وهذا المكون الجديد داخل الأسرة لابد أن يجد بيئة صالحة لاستقباله؛ كي ينشأ تنشئة سليمة، وهذه التنشئة السليمة مقومها وأساسها الأول التربية الإسلامية؛ والتربية كي تكون إسلامية لابد أن تكون في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومعايشة السيرة النبوية، مع مراعاة استخدام الوسائل التربوية السليمة، واجتناب الوسائل التربوية الخاطئة. وقد جاء التركيز في هذا المقال على الوسائل الخاطئة في التربية من باب الوقاية التي هي خير من العلاج، ومن باب قولهم:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

وقد قال حذيفة بن اليمان: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[١].

ومن الوسائل التربوية الخاطئة التي يقع فيها كثير من الآباء والأمهات أثناء تربيتهم لأولادهم، بل ويقع في هذه الأخطاء بعض المربين في المؤسسات التعليمية وغيرها:

١- الإهمال وعدم التقدير الذاتي والعقلي

أي كائن حي على وجه الأرض يحب أن يهتم به من حوله، فما بالنا بالإنسان صاحب المشاعر والأحاسيس الفياضة الذي يتأثر بأقل شيء؟! ومن ثم فإن من أخطر وسائل التربية إهمال المربي لمن تولى رعايته وتربيته وعدم تقدير ذاته وعقله، مما يتسبب في إحداث اضطراب نفسي يفقد الطفل شخصيته، ويفقده التفاعل مع المجتمع؛ بسبب أن هذا الإهمال قد جعله معزولا اجتماعيا، وساعتها سيصبح أداة طيعة في يد من يهتم به، مما يجعله ينفذ توجيهاته حتى ولو كانت خاطئة، وبذلك نكون قد كونا إنسانا إمعة.

٢- العنف والتعسف والاستفزاز

ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه، والعنف والتعسف والاستفزاز، خصوصا مع الطفل ،تولد العناد أو الجبن، وحينئذ يصعب التقويم. ومن الخطأ أن نتعامل مع أبنائنا معاملة الند وننسى أنهم أطفال لهم طبيعة خاصة في التعامل.

٣- السلطوية المفرطة

نحن نرى سلطوية مفرطة من بعض المربين، فيتدخلون في حياة الأبناء تدخلا سافرا، فيحددون لهم الكلمات والعبارات والتحركات حتى الأفكار، ويفرضون أسلوبا وطريقة معينة لأبنائهم من دون مراعاة لعقلهم وفكرهم وشخصيتهم، مما يؤثر سلبيا بعد ذلك على قراراتهم ومنهجهم في الحياة، حيث يصبح موقعهم دائما في الحياة «المفعول والمتأثر والمتلقي» لا «الفاعل والمؤثر».

٤- التدليل المبالغ فيه والحرية غير المنضبطة

إذا كان العنف والتعسف والسلطة المفرطة أمرا مرفوضا، فإن التدليل المبالغ فيه وفتح سقف الحرية من دون ضابط مرفوضان أيضا، فلابد من التوازن والوسطية؛ فالحكمة أن تستخدم العقاب في موضعه بالقدر المناسب والوقت المناسب، ومن الحكمة استخدام الثواب في موضعه بالقدر المناسب في الوقت المناسب، وهذا يجعل شخصية الطفل متوازنة.

٥- الإفراط والتفريط في العقاب

«لا إفراط ولا تفريط» قاعدة حياتية تضبط ميزان المعاملات في كل شيء. ومن الوسائل الخاطئة في التربية الإفراط في العقاب، ومن الإفراط في العقاب المبالغة في التأنيب واللوم والتهديدات والنصيحة، وقد يصل الإفراط في العقاب إلى القتل، وقد رأينا وسمعنا عن آباء وأمهات قتلوا أبناءهم بسبب أنهم أخطأوا!

٦- الإهانة المادية والمعنوية

حرم الإسلام الإهانة بجميع أشكالها، حتى نهانا أن نهين الحيوان، فحرم وشمه واللعب به واتخاذه غرضا وغير ذلك، فكيف يحرم الإسلام ذلك على الحيوان ويمنعنا من إهانته ثم نبيح لأنفسنا أن نهين فلذة أكبادنا؛ هذا الكيان الذي كرمه الله؟! ومن صور الإهانة المادية والمعنوية لأبنائنا: السخرية والشتم، والمن، والانتقاد المستمر لكل صغيرة وكبيرة، والمقارنة بأقرانهم أو بغيرهم، والتلصص وسوء الظن والاتهامات المتكررة.

٧- إظهار الخلافات أمام الأولاد

«الاختلاف في وجهات النظر لا يفسد للود قضية»، خصوصا بين الزوجين، وما من بيت إلا وفيه مشكلات وخلافات، ولكن هذا لا يبيح لنا أن نظهر هذه الخلافات أمام الأبناء ونجعلهم طرفا في المعادلة؛ لأن إظهار هذه الخلافات أمام الأبناء سيفقد الأبوين احترامهما أمام الأولاد، كما أن الأولاد سيصيبهم عدوى التجرؤ على إظهار الخلافات الأسرية أمام الأغراب، مما يجعل البيت سجلا مفتوحا للجميع.

توجيهات تربوية

● استشعار المسؤولية في تربية الأبناء:

إن الله قد حملنا أمانة تربية أطفال الأمة وتأديبهم وتعليمهم ما أوجبه الله عليهم وتهيئتهم للغاية التي خلقهم الله لأجلها، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦)، ولقد حذرنا نبينا من تضييع هذه الأمانة، فقال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» (متفق عليه)، ولفظ البخاري: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»[٢].

● اتباع المنهج القرآني:

اتباع المنهج القرآني في التعامل مع النشء عن طريق:

أ- الاهتمام بالتربية الشاملة؛ فالتربية لها جوانب مختلفة، فهناك التربية الإيمانية، والتربية الخلقية، والتربية الجسمية، والتربية العقلية، والتربية النفسية، والتربية الاجتماعية... وغيرها. كما أن التربية ليست قاصرة على الوالدين فقط، فهناك إلى جانب الأسرة المدرسة، والمسجد.. ووسائل الإعلام[٣].

ب- إظهار الحب والشفقة والاحترام: رغم عصيان ابن نوح، عليه السلام، غير أن دافع الحب والشفقة جعله ينادي على ابنه؛ كي لا يغرق مع الغارقين، وناداه باحترام وتقدير وقال له «يا بني» ولم يقل له «يا كافر»، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (هود:٤٢).

ج- الصبر على تربية الأولاد والاصطبار على ما يصدر منهم من مخالفات، قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ (طه:١٣٢).

د- الوسطية في التربية، وهذا هو منهج الإسلام في كل الأمور، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ (الإسراء:٢٩).

● امتلاك عقلية الذكاء التربوي

كي يمزج بين العاطفة والعقل، الأمر والصبر بل والاصطبار عليه، الانتباه واليقظة مع شيء من التغافل والتغاضي عن الأخطاء، الجمع بين الحزم والرفق، وعدم إقحام أبنائنا في مشاكلنا الخاصة إلا عندما نريد منهم أن يتعلموا من تجارب الحياة، الجمع بين الثواب والعقاب من دون إفراط أو تفريط، ترك مساحة مقبولة للحرية والترويح عن النفس بالضوابط الشرعية وتحكيم العرف والعادات التي اتفق عليها العقلاء.

الهوامش

١- متفق عليه.

٢- رواه البخاري.

٣- تربية الأطفال من منظور إسلامي، هند مرزوق الحمياني، ص:٤، بتصرف وزيادات.



رويدا محمد
باحثة تربوية
مصر

فوائد القراءة للأطفال

﴿اقْرَأْ﴾ (العلق:١) كانت أول كلمة نزل بها الوحي من الله سبحانه وتعالى إلى رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أول أمر إلهي صدر للتأكيد على أهمية القراءة في حياة الإنسان، لأن القراءة هي السبيل الرئيسي للتعلم، وهي أجمل هدية نقدمها للطفل، وكما يقال إن «العلم في الصغر كالنقش على الحجر». فليكن هدفنا الرئيسي من تشجيع الطفل على القراءة هو تثقيفه ليصبح شخصية سوية تتمتع بالتكامل في جميع جوانبها؛ لأن التنمية الثقافية للأطفال جزء من التنمية الشاملة في المجتمع.

وكما أن للطفل في صيرورة نموه الاجتماعي وإدراكه لثقافة مجتمعه حدودا تعرف بحدود النمو؛ بعضها مادي وبعضها معنوي، تندرج ضمن المحددات الثقافية بمفهومها الواسع، فإن نمو وعي الطفل بكل هذه المحددات يمثل علامة صحية؛ لأنها تشعره بذاته وتحميه من التشتت والضياع.

وسائل غرس حب القراءة في الطفل

مادامت الخطوط العميقة في شخصية الطفل تتشكل عبر السنوات الأولى من عمره، ومادام الطفل في هذه المرحلة يتأثر بمن يكون أقرب إليه وأكثر احتكاكا به، فإننا نستطيع أن نقرر أن الأسرة هي التي تبذر في نفس الطفل وفي عقله الميل إلى القراءة والشغف بمصاحبة الكتاب، وهي نفسها قد تتيح له التعود على اللهو واللعب والانشغال بالأمور التافهة. ونظرا لأهمية القراءة في حياة أطفالنا، كان لزاما على الأسرة أن تقوم بتشجيع أطفالها على القراءة وحب المعرفة، كما يجب عليها أيضا أن تفسح المجال لطفلها لتثقيف نفسه بنفسه من خلال دفعه نحو القراءة في



مجلات الأطفال وكتبهم، هذا بالإضافة إلى قيام الأسرة بتكوين مكتبة صغيرة في المنزل تحتوي على كتب الأطفال التي تتضمن رسومات جذابة وقصصا شيقة لتشد انتباه الطفل نحو تصفح الكتب وحب مطالعتها. ويتفق علماء التربية على أهمية غرس حب القراءة في نفس الطفل حتى تصبح عادة ملازمة له يمارسها ويستمتع بها، فالأطفال هم ثروة البلاد وعمادها، ومن أبسط حقوق الطفل أن نوفر له المكتبة، سواء في البيت أو المدرسة أو النادي، فالمكتبة هي التي تلبي حاجاته وميوله تجاه البحث عن المعرفة، والرغبة في الاطلاع على الجديد من العلوم، لأن القراءة حاجة ملحة تمكن الفرد من الاطلاع على كل ما تنتجه القريحة الإنسانية من معارف وعلوم في كل مجالات الحياة. وتعتبر مكتبة الطفل من أهم الوسائل التي تساعد على تزويد الطفل بالمعلومات والمهارات، وتجعل القراءة تصير سلوكا مكتسبا إذا تعود عليها الطفل في الصغر، وتصبح شيئا جميلا يعشقه طوال حياته. وتستطيع المكتبة من خلال ما تضمه من مصادر قرائية متنوعة، ومجموعة البرامج والأنشطة التي تقدمها، الإسهام في صقل ثقافة الطفل خلال مراحل عمره المختلفة، وبخاصة في المراحل الأولى التي تعد من أهم المراحل المؤدية إلى غرس عادة القراءة في نفوس الأطفال، مما يساعد على توطيد الصلة بين الطفل ومصادر المعلومات المختلفة، منها الكتاب... لتكوين شخصية واعية ومستنيرة. إن استخدام الأطفال للمكتبة في سن مبكرة، يغرس فيهم حب القراءة والاطلاع، ويجعل الطفل أكثر استعمالا وترددا عليها في المستقبل، فتزداد ثقافته، وتنمو حصيلته العلمية، ويصبح أكثر قدرة على الفهم والتحصيل.

تشجيع الأطفال على القراءة

إذا ما عرفنا ما يمكن أن تحدثه ممارسة القراءة في حياة الطفل من تغير إيجابي، فإننا سنحفزه عليها من دون شك. ولهذا، فالمطلوب من الآباء والأمهات أن يجعلوا حب أطفالهم للقراءة واحدا من أهم أهدافهم التربوية الثابتة، وذلك لأن الطفل لا يستوعب ما نطلبه منه بالسرعة الكافية، كما أن الأسباب التي تصرفه عن القراءة كثيرة. والمهم دائما ألا نفقد الأمل، وألا نفقد العزيمة على تشجيع الأطفال، وإلى جانب ذلك علينا أن نبحث بعمق في عدم استجابة الصغار للحث على القراءة، حيث إن بعض الآباء والأمهات يتبعون أساليب خاطئة في محاولاتهم تحبيب الكتاب إلى الأطفال، فينفرونهم عوضا عن أن يقربوهم. ولا يكفي وجود الكتب في المنزل لجذب الصغار إلى القراءة والمطالعة، فالملهيات والصوارف عن القراءة كثيرة، ولابد إلى جانب ذلك أن يقوم الآباء والأمهات بترتيب بعض المحفزات الأخرى التي تشد الطفل نحو القراءة، ومنها الجو الأسري الجيد والمحرض على القراءة، وكذلك إعطاء الطفل قصة شيقة ليقرأها، ووعده بجائزة في حال قراءته هذه القصة، وبعد الفراغ من قراءتها تعطى له الجائزة مع وعده بحصوله على جائزة أكبر منها في حال قراءته قصة أخرى.. وهكذا.

وأخيرا نؤكد على أن تشجيع الطفل على القراءة والاطلاع هو أفضل الطرق لتثقيفه، وإن القراءة بمفهومها الواسع هي محاولة لفهم معاني الكلمات ومضامينها. وللقراءة والمطالعة دور مهم في تكوين شخصية الطفل وبنائها، فالقراءة شيء مهم بالنسبة إلى حياة أطفالنا، فهي تثري ذهن الطفل بالكثير من المعارف المتنوعة، فكل طفل يكتسب عادة القراءة يعني أنه سيحب المعرفة والأدب واللعب وسيدعم قدراته الإبداعية والابتكارية باستمرار، وهي كذلك تكسب الأطفال حب اللغة والمعرفة.

دور القراءة في تكوين شخصية الطفل وبنائها



هبة محمد أبو الفتوح
كاتبة وصحافية - مصر

تحقيق الأمان النفسي للطفل

الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي تؤدي دورا فعالا في وضع جذور النمو الاجتماعي والنفسي للطفل، خصوصا في سنوات عمره الأولى، وهي أيضا تلعب دورا خطيرا في حياة الطفل وشخصيته ومستقبله؛ فهي إما أن تسهم في تنمية شخصية الطفل وتطورها، وإما أن تسهم في طمس شخصية الطفل وتحطيمها من خلال عدم توفير البيئة المناسبة التي تحقق النمو النفسي للطفل. وتعد سلامة الطفل النفسية جانبا مهما للطفل في جميع مراحل طفولته المختلفة منذ مولده، ويستمر احتياج الطفل إلى الشعور بالأمان مع أمه وأبيه أو مع من يقومون على رعايته لفترات طويلة.

أهمية الرعاية النفسية للطفل

تعتبر الرعاية النفسية للطفل ذات أهمية كبيرة، فالطفل يحتاج إلى مشاعر الحب والحنان، والشعور بالأمان النفسي من طرف أسرته من أجل استقرار مشاعره ونموه في جميع الجوانب الجسمية والعقلية والروحية، كما أن الأمان النفسي للطفل يتأثر بالبيئة الداعمة وبتشجيعها. وكما يمكن لأحد أن يكسر عظمة طفل، فإنه في نفس الوقت يمكن للمرء أن يكسر روح الطفل، فإن التقليل من شأن الأطفال وإهانتهم والحط من شأنهم والقسوة والصرامة الزائدة في التعامل معهم تقوض من إحساس الطفل بذاته. إن بعض الآباء والأمهات يستعملون العنف الجسدي والنفسي والقسوة في المشاعر مع أطفالهم ظنا منهم أنها أسلوب ناجع للتربية وتأديب الأطفال، وبعضهم يسيئون إلى أطفالهم لفظيا من دون وعي أو إدراك منهم، بأن يوجهوا إليهم جملا وعبارات تحمل الإساءة والاستهزاء بهم، خصوصا عندما يقع الطفل في خطأ ما. وقد لا يقصد الآباء والأمهات أو المربون أو المعلمون في المدارس من هذه الألفاظ وصفهم للأطفال بما تحمله الكلمة من معنى دقيق، بل يقصدون بها التخفيف من غضبهم وتوترهم، وأحيانا تخرج الألفاظ كردة فعل على أخطاء الأطفال الصغار متجاهلين تأثيرها عليهم، ولو أنهم امتلكوا العلم والخبرة والثقافة لأدركوا كيف يحولون تلك العبارات السلبية إلى عبارات إيجابية وتربوية



تحمل التوجيه والإرشاد دون الإهانة أو الإساءة.

آثار الإساءة إلى الطفل

على الرغم من تعدد أشكال الإساءة إلى الطفل، فإن الإساءة اللفظية تعد من أخطر أنواع الإساءات تأثيرا على نفسية الطفل، حيث تصعب إزالة الآثار المترتبة عليها، خصوصا إذا لم تتم معالجتها، فتظل عظيمة التأثير في حياة الطفل ومستقبله. ومما لا شك فيه أن آثار الإساءة إلى الطفل بأي شكل من الأشكال تترك أثرا سيئا على نفسية الطفل، ومن الممكن أن تعرقل بشكل كبير نموه العاطفي والنفسي، أو تسبب له حالة من الاكتئاب الذي يتبلور على شكل عقد نفسية، وتصرفات عدوانية تجاه الآخرين مع افتقاده الثقة بنفسه، ويظهر أثر العنف الجسدي والنفسي ضد الأطفال جليا في اختلال نمو شخصية الطفل وسلوكه اليومي، حيث تؤدي الإساءة اللفظية إلى إساءة عاطفية، ومن ثم إلى سلوكيات انعزالية سلبية، مما قد يدفع بالطفل إلى الهروب من الواقع عن طريق الإدمان على الكحول أو المخدرات، وقد تتكون لديه النزعة العدوانية ضد الغير وضد المجتمع، فالطفل لا يستطيع أن يؤذي أباه أو أمه في صغره، لكنه سيهاجم ويؤذي أطفاله عندما يكبر.

وتوجد دراسات كثيرة أثبتت أن الآباء والأمهات الذين يسيئون إلى أطفالهم لفظيا أو يتشددون في معاملتهم أو يكثرون من زجرهم وتوبيخهم وتأنيبهم بأسلوب قاس، قد يثير مشاعر عدم الثقة بالنفس لدى أطفالهم، وأن جميع ردود الأفعال المستقبلية من تعامل ونحوه، تنعكس على طريقة تعامل الطفل مع غيره بنوع من أنواع الانعكاسات التي تمت في الصغر.

دور الآباء والأمهات

إذا كنا نريد لأطفالنا أن يعيشوا حياة تملأها السعادة والاستقرار النفسي والاجتماعي، ويكونوا صالحين وناجحين، فعلينا أن ننتبه جيدا إلى أسلوبنا في تربيتهم، وأن نكون إيجابيين ومحبين لهم في كل لحظة، وأن نشعرهم بذلك، لأنهم هم امتداد لنا في الحياة، وذلك من خلال اتباع عدة أمور:

أولا - لابد أن نتغاضى عن أخطاء الأطفال في حينها ولا نبدي لهم سوءا، كأن نزجرهم أو نصفهم بسلوك الحيوانات، لكن نبين لهم الخطأ، وأن نغمرهم بالحب، ونتعهدهم بالتوجيه والإرشاد، وأن نمدحهم على تغيير سلوكهم الخاطئ، بل نعدهم بجائزة، ولكن للأسف نجد في بعض الأحيان الآباء والأمهات يفشلون في توصيل الحب لأطفالهم؛ لأنهم يركزون أساسا على أخطائهم ويتناسون محاسنهم، أو يتحدثون عن ميزات للآخرين لا تتوافر في أطفالهم، وهذا خطأ في أسلوب التربية، لأن مدح الطفل له أثر فعال في نفسه، فهو يحرك مشاعره وأحاسيسه، ويجعله يسارع - بكل جدية وارتياح - إلى تصحيح سلوكه وأعماله.

ثانيا - يجب التركيز على الإيجابيات في السلوك الذي يقع من الطفل، وعدم تسليط الضوء على مواطن السلبيات أو تكرارها له إلا في حالة التحذير من السلوك الخاطئ.

ثالثا - إفساح المجال أمام الطفل للنقاش في التعليمات الموجهة إليه، وإعطاؤه الحرية في الاختيار وتشجيع عنصر الاستقلال.

وأخيرا - لابد أن يدرك الآباء والأمهات حقيقة المخاطر والاضطرابات النفسية الناتجة عن سوء المعاملة للأطفال، وما لها من آثار خطيرة على الصحة النفسية للطفل، فيجب أن يدركوا جيدا أن عقاب الطفل على أخطائه يعني تعليما وتهذيبا للطفل، وليس الانتقام منه.



زهير بلحمر
استشاري أسري - المغرب

قاعدة التوارث الاجتماعي

تعد قاعدة التوارث الاجتماعي من القواعد المهمة الواجب استحضارها في مجال الإرشاد الأسري، إذ تفيد المقبلين على الزواج خاصة، والمتزوجين عامة، في الوعي بذواتهم، سواء كانوا رجالا أو نساء، والمؤثرات التي شكلت شخصيتهم أولا، ثم الوعي ثانيا بشخصية شريك الحياة الذي وقع عليه الاختيار.

والمقصود بقاعدة التوارث الاجتماعي هو مجمل التجارب والخبرات التي عاشها الفرد وتأثر بها جراء عوامل التنشئة الاجتماعية المختلفة التي تعرض لها، ويأتي في مقدمتها الأسرة الصغيرة التي عاش فيها، ونقصد هنا الوالدين بالخصوص، ثم العائلة الكبيرة المكونة من الأقارب الذين احتك بهم وكان لهم الأثر في تشكيل شخصيته.

«ولهذا ثبت في الدراسات العلمية أن من يتربون في أسر ناجحة أكثر ثباتا واستقرارا في الزواج، والذين يتربون وسط أسر متصدعة، سواء بالطلاق أو بالخلافات، هم أكثر الناس نقلا

لهذه الجرثومة إلى أسرهم الجديدة».
وذلك لأنك أيها المقبل على الزواج لا تتزوج فردا، إنما أنت تتزوج هذا التاريخ الاجتماعي الذي عاشه شريكك عندما كان طفلا أو طفلة إلى أن بلغ وصار مراهقا ثم أصبح شابا، فأنت ترى في خلال عشرين سنة خبرات مكتسبة من أسرتك، فهذا المخزون المكتسب ستمتلكه، سواء كان ذلك المخزون إيجابيا أو سلبيا؛ هذا الأمر ستكتسبه من والديك سواء في استقرارهما أو في خلافاتهما[1].
ونظرا لتكرار الظاهرة إلى حد كبير في مختلف البيئات والمجتمعات؛ فقد أصبحت من القواعد والبدهيات المسلم بها في علمي النفس الأسري والاجتماع الأسري.
«ذلك أن تماسك الأسرة المصغرة هو شرط تماسك الأسرة الممتدة، وتماسك هذه الأخيرة هو شرط لتماسك العشيرة أو القبيلة»[2].
«فالطفل يتعلم بالنمذجة من والديه وعلاقتهما معا وعلاقتهما بالأولاد في السلب كما في الإيجاب. تغرس في نفسه بذور الاضطراب وصعوبات التوافق العاطفي والعلائقي أو على العكس بذور الطمأنينة ونمو القدرة على الحب والانفتاح والعطاء والالتزام والوفاق الزوجي. فالطفل السعيد هو من يشهد سعادة والديه الزوجية ويعيد إنتاجها في زواجه، كما قد يرث الأبناء من الآباء سمات التسلط والدكتاتورية التي تهدد الوفاق الزوجي، حيث تقود إلى فرض الرضوخ على القرين، مما قد ينتهي بالصراع بينهما»[3].
فالفرد الذي نشأ في أسرة متماسكة متضامنة فالغالب عليه أن يعيد إنتاج ما نشأ فيه ونشِّئ عليه، وكذا الشخص الذي عاش في محيط يتسم بالتفكك والتصدع سيعيد تلك التجارب والخبرات التي علقت بجهازه النفسي إن لم يع خطورة الأمر ويدرك أهميته فيعمل جاهدا من جانبه على تنمية علاقاته الأسرية بهدف البقاء والنماء، أي الاستقرار والاستمرار في هذه العلاقة (الميثاق الغليظ بالتعبير القرآني).
فعلى الرغم من تعقد بنية الإنسان وصعوبة التقعيد له، فإنه هو الآخر يتعرض في حياته إلى مجموعة من العوامل التي هي بمنزلة المدخلات، والتي لا شك تنتج عنها مخرجات تنسجم وتتلاءم مع طبيعة هذه المدخلات التي بصمت شخصيته.
من هنا وجب الفهم الكلي النفسي والاجتماعي للزواج بالإضافة إلى المكون البيولوجي في هذه العلاقة، ولا تختزل في أحد من هذه المكونات الثلاثة.
ووجب الحذر أيضا من تكرار الأخطاء بوعي منا أو من دون وعي منا، التي عشناها في تنشئتنا الاجتماعية أو مورست علينا أو أمامنا من طرف الوالدين أو الأقارب؛ أثناء تكويننا النفسي وصياغة شخصيتنا وتشكلها، ولا نكرر الخبرات والتجارب الاجتماعية السلبية من قبيل الخلافات أو النزاعات أو الصراعات داخل الأسرة أو الطلاق لأتفه الأسباب، ذلك أن تاريخنا يؤثر فينا.
تقول الدكتورة فاطمة الكتاني في هذا الصدد: «فكل من الزوجين قد يعمل على تدمير العلاقة دون شعور منه، لأن تاريخه مع والديه وعائلته مؤلم... وما فعله والدانا بنا وبأنفسهما قد نكرره بأبنائنا وأزواجنا وأنفسنا، فالتاريخ العائلي غالبا يكرر نفسه. مثلا، عندما يكون الوالدان منفصلين بالطلاق تصبح علاقة الأبناء الزوجية مهددة أيضا لأن يحصل فيها حالات طلاق»[4].
والاقتراح العلمي العملي في نظري: هو الوعي بهذه القاعدة الاجتماعية، والاعتراف بها، والتخطيط لتكرار الخبرات والتجارب الإيجابية، وإهمال والتغافل عن كل ما يسبب التصدع أو التفكك لهذه العلاقة/ المؤسسة العاطفية بامتياز، أو ينغص علينا سعادتنا داخل أسرنا، بالبحث عن كل ما يقوي هذه العلاقة ويضمن لها الاستقرار والاستمرار من قبيل المودة والرحمة والسكن، وهي الأساس الذي عليه تقوم كل علاقة زوجية سليمة قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢٠-٢١).

الهوامش

١- وقفة مع أسرتك، أسرتك أمانة، د. حمود القشعان، دار اقرأ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١١م، ص:٧٦.
٢- الأسرة وصحتها النفسية: المقومات - الديناميات - العمليات، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٥م، ص:٤٥.
٣- الأسرة وصحتها النفسية: المقومات - الديناميات - العمليات، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٥م، ص:٢١٩.
٤- لعبة الحياة الزوجية، د. فاطمة الكتاني، الدار العربية للعلوم (ناشرون)، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص:٧٥.

د. أشرف زاهر محمد
أكاديمي بجامعة المدينة العالمية - مصر





المنهج النبوي في إصلاح ذات البين

الإسلام دين واقعي؛ فهو لا يتعامل مع المسلمين باعتبارهم ملائكة معصومين، بل راعى أنهم بشر يتخالطون فيصيبون ويخطئون، وتعتريهم مواقف يضعفون فيها عن كبح جماح النفس، وتغلبهم آثار الضعف، كسرعة الانفعال وقلة الحلم، فيقع بينهم الخلاف، ولأن الإسلام يتطلع إلى بناء المجتمع على المودة والرحمة، فقد عالج الخلاف في كل مراحله، من المجادلة والمشاحنة، مرورا بالهجر والتباعد، وحتى لو وصل إلى الاعتداء والقتال، فالإصلاح هدف دائم للإسلام.

والشقاق بين المسلمين أقوى أسلحة الشيطان الذي يمزقهم بها شيعا وأحزابا؛ ليصبحوا أعداء متناحرين، بعد أن كانوا إخوة متناصرين، ولقطع الطريق على الشيطان فما من فضيلة تزيد ترابط المسلمين إلا رغب فيها النبي ﷺ، وما من شيء يعكر صفو علاقتهم، ويؤدي إلى التنافر والقطيعة، إلا حذر منه ﷺ، فأمر بإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض، ونحو ذلك مما يزيد الود بين الناس، ونهى عن الهمز واللمز والسخرية والتدابر والتهاجر، وما شاكل ذلك مما يسبب الضغائن والخصومات، قال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا»[١].

الترغيب في إصلاح ذات البين

اهتم النبي ﷺ بإصلاح ذات البين اهتماما بالغا، وجسد ذلك بهديه؛ قولا وعملا، حيث أصلح بين المتخاصمين بنفسه، فحين اقتتل أهل قباء حتى تراموا بالحجارة، قال ﷺ: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[٢].

ووردت أحاديث كثيرة ترغب في الإصلاح، وترفع درجته، وتقرنه بأفضل الأعمال، بل جعله النبي ﷺ أفضل من نوافل العبادات؛ لما فيه من نفع متعد ربما يكون سببا في منع سفك الدماء، ونهب الأموال، وهتك الحرمات، قال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين»[٣].

ولأهمية الإصلاح وخطورته أباح النبي ﷺ فيه الكذب؛ لأن مصلحة الإصلاح أعظم من مفسدة الكذب، وقد يحتاج إليه المصلحون للتقريب بين المتخاصمين، كأن يكتمون أمورا من الشر جاءت على لسان الطرف الآخر، ويخبرون أحد الخصمين بأن صاحبه لا يذكره إلا بخير، قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي (أي: ينقل) خيرا أو يقول خيرا»[٤].

كما أباح المسألة للمصلحين، وأن



يعطوا من الزكاة؛ نظير ما تحملوه من غرامة في الصلح، وفي ذلك تقدير لعظيم فعلهم، وسمو دورهم، فعن قبيصة ابن مخارق رضي الله عنه قال: «تحملت حمالة (أي: ما يتحمله الإنسان ويستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين) فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها، ثم قال: يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة» وعد منها: «رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك»[٥].

التحذير من فساد ذات البين

حذرت السنة من التمادي في التهاجر والنزاع وحرمته، وبين النبي ﷺ أن المتخاصمين المتشاحنين محجوبان عن المغفرة حتى يصطلحا[٦].

وأشد من ذلك أن النبي ﷺ أخبر أن فساد ذات البين سبب للهلاك المحقق؛ لأنه يفكك الأمة ويفتت روابطها، قال ﷺ: «فإن فساد ذات البين هي الحالقة»، وزاد الترمذي: «ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»، والحالقة: أي التي من شأنها أن تحلق الدين، وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر[٧].

صفات لازمة للمصلحين

وحتى يؤتي الصلح ثماره، ويلتزم الجميع بأحكامه، فلابد من اتصاف المصلحين بالنية الصالحة والتقوى، والأمانة وسعة الصدر، والخبرة بنفوس الناس وضرورات حياتهم، والتمسك بالعدل والإنصاف، وأن يلتمس الطيب من الكلام، كما في إصلاح النبي ﷺ بين علي وفاطمة، رضي الله عنهما، لحفظ الأسرة من النزاع والشقاق، ولتدوم المحبة والوفاق، فإنه لاطفها في السؤال عن زوجها فقال: «أين ابن عمك؟»؛ استعطافا لها بذكر القرابة، ولما عرف مكانه ذهب إليه في المسجد، فجعل يمسح عنه التراب، ويقول له ملاطفا وممازحا: «قم أبا تراب، قم أبا تراب»[٨].

وينبغي أن يكون المصلح حكيما، وأن يبذل وسعه في تقريب وجهات النظر، وتقديم الحلول التي ترضي جميع المتخاصمين، كما صنع النبي ﷺ حين صالح بين كعب بن مالك وابن أبي حدرد لما تقاضاه كعب دينا له عليه، فارتفعت أصواتهما، ورأى النبي ﷺ المدين لا يستطيع الوفاء، والدائن يلح في الطلب، فأشار لكعب بيده أن «ضع الشطر من دينك» أي: تنازل عن النصف، فقال كعب: «قد فعلت يا رسول الله»، ثم طلب من ابن أبي حدرد أن يعطيه ما تبقى من حقه، فقال: «قم فاقضه»[٩].

كما يجب على المصلح أن يرقق قلوب الخصوم ويذكرهم بالله والدار الآخرة، كما صنع رسولنا ﷺ إذ «سمع صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه في شيء»، أي: يطلب منه أن يضع عنه بعض الدين ويرفق به في الاستيفاء، ولكن الآخر يأبى ويقول: «والله لا أفعل»، فخرج عليهما رسول الله ﷺ، فقال: «أين المتألي على الله، لا يفعل المعروف» أي: الحالف المبالغ في اليمين، فاستحيا الرجل وقال: «أنا يا رسول الله، وله أي ذلك أحب»، أي: لخصمي ما أحب من الوضع أو الرفق[١٠].

ولو أن أمتنا التزمت هدايات السنة وأنوارها في هذا الخلق الكريم، لتفجرت ينابيع الألفة والمحبة، وتماسك المجتمع المسلم، وعاش معتصما بحبل الله، عزيزا، مكينا في الأرض، ولحل الوفاق والوئام محل ما ذاع من الشقاق والخصام، ولبقي المسلمون في الدنيا إخوة متحابين، وفي الآخرة على سرر متقابلين.

الهوامش

١- البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٨).
٢- البخاري (٢٦٩٣).
٣- أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) وقال حسن صحيح. وراجع: تحفة الأحوذي للمباركفوري (٧/ ١٧٩)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤- البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).
٥- مسلم (١٠٤٤)، وراجع: شرح النووي على مسلم (١٣٣/٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية.
٦- مسلم (٢٥٦٥).
٧- عون المعبود للعظيم آبادي (١٧٨/١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية، والحديث أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) وقال حسن صحيح.
٨- البخاري (٤٤١).
٩- البخاري (٤٧١)، ومسلم (١٥٥٨).
١٠- البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧)، وراجع: شرح النووي على مسلم (٢١٩/١٠).



محمد إبراهيم خاطر
كاتب ومدرب معتمد
مصر

المسلم بين العافية والابتلاء

الدنيا دار ابتلاء، ومن ينظر في أحوال الناس في هذه الحياة يدرك أن الابتلاء هو الاستثناء وليس القاعدة. والبلاء ليس خيرا في ذاته فيطلب، أما العافية فهي خير في ذاتها، ولذلك أمرنا بأن نسأل الله عزوجل العافية في الدنيا والآخرة. والمسلم يحمد الله عزوجل على العافية ويسأله دوامها، ويسأله أن يجنبه البلاء، ومن الحمق التفاخر بالابتلاء والركون في مواطنه، وعدم السعي لدفعه بالسنن الكونية وبالأوامر الشرعية.

والابتلاء يكون بالشر والخير، يقول الله عزوجل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥).

والرسول ﷺ، وهو صفوة الخلق وإمام الرسل وخاتم النبيين، كان يسأل الله عزوجل العافية، مع علمه بأن الأنبياء هم أشد الناس بلاء في الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة» (صحيح الجامع:٩٩٣).

والرسول ﷺ علم قرابته وصحابته أن يسألوا الله العافية في الدنيا والآخرة، فعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، علمني شيئا

أسأله الله. قال: سل الله العافية. فمكثت أياما ثم جئت فقلت: يا رسول الله، علمني شيئا أسأله الله. فقال لي: يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العافية في الدنيا والآخرة» (سنن الترمذي:٣٥١٤).

وعن عبدالله بن أبي أوفى، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس خطيبا قال: «أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم» (صحيح البخاري:٢٩٦٥).

ويروي عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «من فتح له منكم باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئا (يعني: أحب إليه) من أن يسأل العافية».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ قال: سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة. ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال: يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك. ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك. قال: فإذا أعطيت العافية في الدنيا، وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن تؤتوا شيئا بعد كلمة الإخلاص مثل العافية فسلوا الله العافية».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية» (صحيح الجامع:٣٦٣٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ كما يروي عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي. اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» (صحيح الأدب المفرد:٩١٢).

وقال الجزري في عدة الحصن الحصين: «لقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظا ومعنى من نحو من خمسين طريقا». وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية».

والسعي نحو الابتلاء منهي عنه، لأن الإنسان قد يتعرض لبلاء لا يطيقه ولا يصبر عليه، وقد يزلزل البلاء عقيدته ويخرجه من دينه، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق» (صحيح الترمذي:٢٢٥٤).

ووقوع الابتلاء في الحياة الدنيا هو الاستثناء وليس القاعدة، لأن عبادة الله عزوجل وعمارة الكون بحاجة إلى العافية التي من دونها يعيش الناس في كدر وهم وغم، والله عزوجل رحيم بعباده ولا يبتليهم إلا ليمحصهم ويرفع درجات من شاء منهم.



وينبغي على المسلم أن يسعى من أجل العافية في الدين والدنيا والمال والأهل والولد، وطلب العافية يتحقق من خلال عدة أمور منها:

أولا - العافية في الدين؛ وتكون بالالتزام بأوامر الله عزوجل، واتباع السنة، والبعد عن مواطن الشبهات.

ثانيا - العافية في الأهل؛ تكون بحسن العشرة، والتربية الصالحة، والتنشئة على الدين وعلى مكارم الأخلاق.

ثالثا - العافية في المال؛ وتكون بالعمل والاجتهاد، وتحصيل الرزق، والاقتصاد في الإنفاق، والادخار واستثمار الأموال.

رابعا - العافية في الدنيا؛ وتكون بالرضا والقناعة، والزهد فيما عند الناس، والتخفف من متاعها الزائل، والاستمتاع بالطيبات في حدود ما أحله الله عزوجل.

وفي الختام نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٩)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «المناوي»

١- ضياء الدين المناوي (ت:٧٤٦هـ)

هو ضياء الدين محمد بن إبراهيم ابن عبدالرحمن السلمي المناوي، قاض من علماء الشافعية، ومصري من أهل منية القائد بجيزة القاهرة.
ولد سنة: (٦٥٥هـ)، وولي قضاء الغربية سنين عدة، وناب في الحكم بالقاهرة.

من مصنفاته: «الواضح النبيه في شرح التنبيه» في فروع الشافعية، و«لباب الصدور» في الحديث، و«الطبقات الكبرى».

توفي بالقاهرة[1].

٢- صدر الدين المناوي (ت:٨٠٣هـ)

هو صدر الدين، أبو المعالي محمد ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي، قاض، وعالم بالحديث.

ولد سنة: (٧٤٢هـ)، ناب في الحكم، وولي إفتاء دار العدل، ثم





قضاء الديار المصرية.

من مصنفاته: «المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح»، وخرج له ولي الدين العراقي مشيخة.

توفي غريقا في نهر الفرات لما ذهب لقتال تيمورلنك[٢].

٣- شرف الدين المناوي (ت:٨٧١هـ)

هو شرف الدين أبو زكريا يحيى ابن سعد الدين محمد بن محمد الحدادي المناوي الشافعي، فقيه أصولي، من أهل القاهرة، وهو جد محمد عبدالرؤوف المناوي.

ولد سنة: (٧٩٨هـ)، وولي قضاء الديار المصرية، وحمدت سيرته ومدحه بعض كبار الشعراء.

من مصنفاته: «شرح مختصر المزني» و«حاشية على شرح البهجة الوردية» (كلاهما في فروع الشافعية)، و«تلخيص بذل الماعون في الطاعون لابن حجر العسقلاني» و«أربعون حديثا»، وله نظم ونثر.

وامتحن مرات، وتوفي في القاهرة[٣].

٤- علي المناوي (ت:٨٧٧هـ)

هو علي بن أحمد بن عثمان السلمي المناوي القاهري الشافعي، فقيه مشارك في بعض العلوم.

ولد في القاهرة سنة: (٨١٣هـ)، ونشأ بها.

من آثاره: «عكاز المحتاج لتوضيح المنهاج»، و«تعليق على الحاوي، وعلى متن أبي شجاع».

توفي في القاهرة في شهر ربيع الأول، ودفن بحوش سعيد السعداء[٤].

٥- زين العابدين المناوي (ت:١٠٢٢هـ)

هو زين العابدين بن عبدالرؤوف ابن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي القاهري الشافعي، متصوف، عالم، مشارك في أنواع من العلوم.

تعلم في القاهرة، وصنف كتبا، من مصنفاته: «شرح تائية ابن الفارض»، و«شرح المشاهد لابن عربي»، و«حاشية على شرح المنهاج للجلال المحلي»، و«شرح الأزهرية»، و«الجواهر المضيئة في الأحكام السلطانية».

توفي في القاهرة[٥].

٦- عبدالله المناوي (ت:١٠٦٠هـ)

هو عبدالله بن أحمد بن أحمد المناوي الشافعي، عالم، أديب، موقت مصري.

من مصنفاته: «الدرة اليتيمة في معرفة الطالع بالفجر ومنزلة الشمس والقمر» (منظومة في الميقات)، و«الأقمار السنية على نظم الكواكب البهية»، و«الكواكب البهية في قسمة الميراث» أرجوزة[٦].

٧- زين الدين المناوي (ت:١٠٣١هـ)

هو زين الدين محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون.

ولد سنة: (٩٥٢هـ)، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر في آخر عمره، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه.

له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير، والتام والناقص، منها: «كنوز الحقائق» في الحديث، و«التيسير في شرح الجامع الصغير»، و«فيض القدير في شرح الجامع الصغير»، و«شرح الشمائل للترمذي»، و«الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية»، و«اليواقيت والدرر شرح مختصر نخبة الفكر» في مصطلح الحديث، و«الفتوحات السبحانية في شرح ألفية العراقي» في السيرة النبوية، و«التوقيف على مهمات التعاريف».. وغيرها.

توفي في القاهرة[٧].

الهوامش

١- ينظر: هدية العارفين (١٥٣/٢)، والأعلام للزركلي (٢٩٨/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٠٦/٨).

٢- ينظر: الضوء اللامع (٢٤٩/٦)، والأعلام للزركلي (٣٠٠/٥)، ومعجم المؤلفين (١٩٢/٨).

٣- ينظر: الضوء اللامع (٢٥٥/١٠)، والأعلام للزركلي (١٦٧/٨)، ومعجم المؤلفين (٢٢٧/١٣).

٤- ينظر: الضوء اللامع (١٧٠/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٠/٧).

٥- ينظر: هدية العارفين (٣٧٩/١)، والأعلام للزركلي (٦٥/٣)، ومعجم المؤلفين (١٩٦/٤).

٦- ينظر: هدية العارفين (٤٧٥/١)، والأعلام للزركلي (٦٩/٤)، ومعجم المؤلفين (٢١/٦) (٣٢/٦).

٧- ينظر: هدية العارفين (٥١٠/١)، والأعلام للزركلي (٢٠٣/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٢٠/٥).



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

«أبو شكيب» التقي

محمد تقي الدين الهلالي

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● محدث، ولغوي، وأديب، وشاعر، ورحالة، وسلفي ظاهري.. نشأ في أسرة علم وفقه؛ فقد كان والده وجده من فقهاء بلاده.

● يكنى «أبو شكيب»، حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان.. إنه الشيخ العلامة محمد التقي بن عبدالقادر بن محمد ابن عبدالقادر بن الطيب بن أحمد ابن عبدالقادر بن محمد بن عبدالنور ابن عبدالقادر بن هلال بن محمد بن هلال.

مولده.. وتعليمه الأولي

● في وادي سجلماسة بمملكة المغرب عام ١٣١١هـ، وفي قرية «الفرخ» (وتسمى أيضا بـ«الفيضة القديمة» وهي من بوادي سجلماسة)، ولد الشيخ الهلالي.

● قرأ القرآن على والده، وحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة. أنهى تعلّمه الأولي ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره. وبعد وفاة والده، تنقل بين القبائل، واستقر في زيان، يؤم الناس في المسجد، ويعلم الأطفال القرآن، وهناك تعلم الأمازيغية الأطلسية.

أشياخه

● لازم الهلالي الشيخ محمد بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي؛ حتى أنابه الشيخ عنه في غيابه.

● بعد وفاة شيخه، توجه إلى مدينة وجدة، قاصدا القاضي أحمد السكيرج، ليخوض معه في اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير.

● في عام ١٣٤٠هـ ولى وجهه شطر فاس ليجلس تحت قدمي الشيخ الفاطمي الشراوي والشيخ محمد بن العربي العلوي، ويحصل على شهادة من جامع القرويين.

● كما تتلمذ على يد طائفة من علماء القرويين وبعض علماء الأزهر.

رحالة في طلب الحديث

● في سعيه لطلب علم الحديث، قصد الأزهر في مصر، وهو في السادسة والعشرين من عمره، ثم التحق بحلقة الشيخ رشيد رضا،

الذي كان سببا في نضجه الفكري، وتحوله عن التقليد إلى البحث الاستقلالي والترجيح.

● كما طلبه في الهند والتقى فيها علماء كبارا، من أهمهم المحدث العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري (صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»)، الذي أجازه؛ كما أجازه أيضا الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني (نزيل الهند آنذاك) الذي قرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأقام عنده.

● وأيضا طلبه في العراق، الذي مكث فيه ٣٥ سنة غير متتابعة (من ١٩٢٤م حتى ١٩٥٩م)، حيث التقى العالم الموريتاني المحقق الشيخ محمد أمين الشنقيطي الزبيري (مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير).

توصيتا رضا وأرسلان

● «إن محمدا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه».. تلك كانت توصية محمد رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، الذي أبقاه في ضيافته لبضعة أشهر حتى عين مراقبا للتدريس في المسجد النبوي، كما عين إماما له، ونقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة، ثم غادر السعودية وتوجه ثانية إلى العراق لِيَدْرُسُ ويُدرّس في الجامعة، ثم ترك العراق وتوجّه إلى الهند، والتحق بالجامعة، فكان دارسا ومدرسا، وكان من بين تلامذته أبو الحسن الندوي.

● عندما قصد ألمانيا لتحضير الدكتوراه، كتب له صديقه شكيب أرسلان توصية إلى أحد معارفه في وزارة الخارجية الألمانية، قال فيها: «عندي شاب مغربي أديب، ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة»، فعين محاضرا في جامعة بون.

● في سنة ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه في جامعة برلين، وكان موضوعها «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها»، فند فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارتمن، وكارل بروكلمان، وكان مجلس مناقشتها مكونا من عشرة علماء، وافقوا بالإجماع على منحه الدكتوراه في الأدب العربي.

● اتصل بالزعيم الألماني هتلر، وأقنعه أن يُنشئَ إذاعة عربية موجهة إلى العرب بلغتهم، فوافق هتلر وصار تقي الدين الهلالي مُعدّ مواد الإذاعة.

العمل الأكاديمي

● عين مدرسا بكلية الملكة عالية في بغداد، ثم بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم بفرعها في فاس. وفي سنة ١٩٦٨م تلقى دعوة من الشيخ عبدالعزيز بن باز (رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة آنذاك) للعمل أستاذا بالجامعة.

مؤلفاته

● كان نشطا في الكتابة، لكن مؤلفاته ألفها في أزمنة مختلفة وبقاع شتى، منها: الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري، الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام، مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، فضل الكبير المتعالي (ديوان شعر)، أسماء الله الحسنى (قصيدة).. وغيرها كثير.

● كما كان نشطا في الترجمة، فترجم إلى الإنجليزية صحيح البخاري، والمجمع للقرآن (إلى جانب محمد محسن خان).

إسهاماته مع «الوعي الإسلامي»

● لم يكن لسحابة العلم هذه أن تمر من دون أن تستمطرها «الوعي الإسلامي»، فكتب لها (كعادته في التأليف على أزمنة عدة) سلسلة من ٤ أجزاء، جاءت في: أهل الحديث ١ (العدد ٣٩، ربيع الأول ١٣٨٨هـ/مايو ١٩٦٨م)، أهل الحديث ٢ (العدد ٧٦، ربيع الآخر ١٣٩٠هـ/مايو ١٩٧١م)، أهل الحديث ٣ (العدد ٨٠، شعبان ١٣٩١هـ/سبتمبر ١٩٧١م)، أهل الحديث ٤ (العدد ٨٣، ذو القعدة ١٣٩١هـ/ديسمبر ١٩٧١م).

وفاته

● توفي يوم الإثنين ٢٢ يونيو ١٩٨٧م بمنزله في مدينة الدار البيضاء ودفن بالسباتة، وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٣٩ و٧٦ و٨٠ و٨٣.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة المناهل

المناهل
تصدرها
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

دولة الكويت
مكتبة
مجلة
الوعي الإسلامي
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

العدد الأول
السنة الأولى

ذو القعدة 1394
نوفمبر 1974

المناهل

1

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة المناهل» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة المناهل: هي مجلة مغربية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية المغربية، تعنى بالتراث العربي خاصة في المغرب. وقد صدر أول عدد منها في شهر ذي القعدة، سنة: (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر نوفمبر، سنة: (١٩٧٤م). وقد أسهمت إسهاما طيبا في إثراء معلوماتنا عن تاريخ المغرب والأندلس وأعلامهما وغير ذلك من الموضوعات الأدبية والفكرية والثقافية العامة التي تناولتها المجلة في أعدادها.

لمحة عن تاريخ صدور المجلة

توالى صدور المجلة بانتظام في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى كان يتعذر الإصدار حتى العدد: (٣٦)، الصادر بتاريخ: (ذي الحجة، ١٤٠٧هـ/ يوليو ١٩٨٧م)، حيث توقفت بعدها عن الصدور لأسباب تقنية، وهذا باعتراف المجلة نفسها، ودام هذا التوقف قرابة السنتين، حتى صدور العدد: (٣٧)، بتاريخ: (شوال ١٤٠٩هـ/ مايو ١٩٨٩م)، وبعد مرور ثلاث سنوات تعثر صدور المجلة مرة أخرى، وذلك بعد عددها: (٤٠)، الصادر بتاريخ: (ربيع الأول ١٤١٣هـ/ سبتمبر ١٩٩٢م).

وإذا درسنا المسار الزمني للمجلة فسنجد أن المجلة لم تكن فصلية ولا نصف سنوية، حيث إنه كان في انتظام صدورها اضطراب، ففي بعض السنوات يصدر منها أربعة أعداد في السنة، وفي سنوات أخرى لم يصدر منها إلا عددان في السنة... وهكذا.

محتوى المجلة بشكل عام

إذا نظرنا إلى موضوعات المجلة بشكل عام، فإننا نجد أن موضوعاتها كانت شاملة لمجالات المعرفة الإنسانية، فكان من محتوياتها المواضيع الأدبية، والتاريخية، والتراجم، ونقد الكتب، وعلوم اللغة، والعلوم الإسلامية، والمخطوطات العربية، والمواضيع الثقافية، إلا أن النصيب الأكبر من المجلة كان للمواضيع الأدبية والتاريخية ثم التراجم...

ونأخذ العدد الأول كنموذج لما احتوته هذه المجلة الرائدة، فقد جاء في عددها الأول بعد التقديم موضوع بعنوان: الشريف الإدريسي أعظم جغرافي أتى بعد بطليموس في القرون الوسطى، بقلم: عبدالله كنون. وهو موضوع في التراجم كما هو واضح من العنوان، حيث تناول حياة الإدريسي من مولده إلى وفاته مرورا بحياته العلمية وبعض أعماله.

ومن المواضيع الأدبية التي نشرت في عددها الأول أيضا، موضوع في فن القصة بعنوان: نظرات في القصة، بقلم: عبدالمجيد بن جلون. تلاه بعد ذلك موضع تاريخي بعنوان: القصر الكبير أول حضارة في المغرب، بقلم: عبدالعزيز بن عبدالله، حيث تطرق إلى أول حضارة عرفها المغرب على يد الفينيقيين، وهو موضوع مناسب لهذا العدد كونه يبحث في أول حضارة وجدت في بلاد المغرب في أول عدد من هذه المجلة. وهكذا توالت موضوعات المجلة بين موضوع أدبي وتاريخي، أو قصة وترجمة.

نسخة مجلة «الوعي الإسلامي»

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه المجلة الرائعة، حيث جمعت أعدادها في (٥٣) مجلدا، وهي في متناول الباحثين عن الثقافة والأدب.

المصادر

● مجلة المناهل.
● كتاب: مجلة المناهل، دراسة ببليومترية وتوثيق منهجي لموادها من العدد الأول حتى العدد الأربعين (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م-١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

يوم من البلاء ويوم من الرخاء

بعث موسى الكاظم رحمه الله إلى الرشيد برسالة من الحبس يقول: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء؛ حتى نفضي جميعا إلى يوم ليس له انقضاء؛ يخسر فيه المبطلون.

(انظر: سير أعلام النبلاء، ٦/٢٧٣).



❖ د. تركي محمد النصر

ميزان الرجال

روى هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: «ما تقول في فلان؟» قال: لا بأس به يا أمير المؤمنين. قال: «هل صحبته في سفر قط؟». قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: «هل جرت بينك وبينه خصومة قط؟». قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: «فهل ائتمنته على درهم، أو دينار قط؟». قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: «لا علم لك بالرجل، إنما رأيت رجلا يضع رأسه في المسجد ويرفعه».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص: ٢١).

قاعدة جليلة

قال الإمام القرافي رحمه الله: قاعدة: تصرفات رسول الله ﷺ تقع بالفتيا؛ لأنه سيد العلماء والأعلام، وبالقضاء؛ لأنه حاكم الحكام، وبالأمانة؛ لأنه الخليفة على الخاص والعام.

(انظر: الذخيرة، ٩/١٦٠).

طالب العلم

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وينبغي -أي لطالب العلم- أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على وجه النصيحة والمذاكرة. وبإرشادهم يبارك له في علمه، ويستنير قلبه، وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عزوجل، ومن بخل بذلك كان بضده، فلا يثبت معه، وإن ثبت لم يثمر».

(انظر: مقدمة المجموع، ١/٣٩).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

ما كان يكفيه قليل الطلب

قال الإمام أحمد بن حنبل: «كانت أقفيتنا أصحاب الحديث، في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع، حتى رأينا الشافعي رضي الله عنه، وكان أفقه الناس في كتاب الله عزوجل، وفي سنة رسول الله ﷺ، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث».

(آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص:٤٢).

تعبير الرؤى

قيل للإمام مالك رحمه الله: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ قال: أبالنبوة يلعب؟ وقال: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها؛ فإن رأى خيرا أخبر به، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت. قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال: إنها على ما أولت عليه؟ فقال: لا.

(انظر: التمهيد لابن عبدالبر، ١/ ٢٨٨).

لا يطلب العالم بعلمه شرف المنزلة

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «من صفته (أي: العالم) أنه لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك، ولا يحمله إليهم صائن للعلم إلا عن أهله، ولا يأخذ على العلم ثمنا، ولا يستقضي به الحوائج، ولا يقرب أبناء الدنيا، ويباعد الفقراء، ويتجافى عن أبناء الدنيا، وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم، ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه، والرفق بمن ساءله واستعمال الأخلاق الجميلة، ويتجافى عن الأخلاق الدنية».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥).

الإخلاص

قال ابن مسعود رضي الله عنه: المخلص لربه كالماشي على الرمل لا تسمع خطواته، ولكن ترى آثاره.

(انظر: جامع العلوم والحكم، ص:٣٠٢).

الدعاء والاستغفار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا وجد العبد تقصيرا في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان؛ فعليه بالدعاء لهم والاستغفار.

(انظر: مجموع الفتاوى، ١١/ ٦٩٨).

بريد القراء



إعداد: التحرير



الآداب الاجتماعية في سورة الحجرات

تعتبر سورة «الحجرات» سورة للآداب الإسلامية والاجتماعية، إذ تناولت آداب التعامل مع الخالق جل شأنه ومع رسوله ﷺ، وكذلك المجتمع. وقد سميت بهذا الاسم لأن الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي؛ وهي الحجرات التي كانت سكنا لأمهات المؤمنين الطاهرات، رضي الله عنهن. وتضمنت السورة الكريمة أيضا العديد من الآداب، منها: أدب الأخوة بين المؤمنين، والآداب الاجتماعية بين المسلمين، وأدب التعامل مع الناس بشكل عام، وأدب الإصلاح بين المسلمين حال وقوع خلاف.

ومن آيات هذه السورة الكريمة التي تحدثت عن أدب التعامل مع الله تعالى قوله سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات:١٧). وفي الآدب مع النبي ﷺ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات:٢-٣). وفي أدب الإصلاح بين المسلمين حال وقوع خلاف يقول تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات:٩).

• **محمد عباس عرابي - مصر**



وتلك الأمثال نضربها للناس

حفل كتاب الله العظيم القرآن الكريم بالكثير من الحكم والأمثال، وقد ساقها لنا رب العزة جل وعلا في كثير من الآيات لكي يفهم معناها ومغزاها أولو الألباب وأصحاب العقول وليتذكر أولو الألباب، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣)، أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم دون غيرهم!

وروى الإمام أحمد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل». وفيما روي عن عمرو بن مرة قال: «ما مررت بآية من كتاب الله عز وجل لا أعرفها إلا أحزنتني؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾».

والأمثال مفردها مثل، والمثل هو الشبه، وتهدف الأمثال إلى إبراز المعنى لسهولة الفهم بالنسبة إلى القارئ أو السامع، ويجب أن يحتوي المثل على أربعة أركان لا تكون في غيره من كلام العرب، هي: الإيجاز (وهو أصل البلاغة اللفظية) ويليه بلوغ ووصول المعنى إلى السامع والقارئ، ثم إتقان التشبيه، ثم الكتابة.

وقد تعددت الأمثال في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم:٢٥)، وقال جل وعلا أيضا: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٥).

محمود مرغني موسى - مصر

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





من شواهد العدل الإلهي



التعبير عن دغدغات النفوس والمشاعر من عجائب وجماليات القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في سورة يوسف عن نبي الله يعقوب عليه السلام مخاطبا أبناءه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف:١٨)، وتكررت الجملة ذاتها في موضع آخر من السورة لهؤلاء الأبناء أيضا، ففي الموضع الأول جاءت هذه الجملة تعبر عن شك يعقوب في أبنائه، بعد أن جاءوا على قميص أخيهم يوسف بدم كذب ليثبتوا لأبيهم صدق حديثهم في ضياع يوسف رغما عنهم، فأقسموا، واحتالوا لظلمهم لأخيهم بالافتراء على الذئب، وهم في طمأنينة من أمرهم بعد بيعهم ليوسف وقبضهم الثمن البخس وتأكدهم من ذهابه إلى مكان بعيد يحول دون عودته إليهم مرة أخرى، مما يؤكد صدقهم عند الشيخ الضعيف الذي له حسابات ربانية لا تدور بخاطرهم؛ لذا ساوره الشك في أمرهم، رغم ما قدموه من أدلة، وقد لازمته مشاعر الشك طوال فترة ابتعاد يوسف عنه إلى أن عبر عن شكه في أبنائه مرة ثانية بالكلمات نفسها: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف:٨٣)، قالها يعقوب عندما أخبروه أن ابنه بنيامين سرق، ولذا أخذه الملك تحت طوع عبوديته استنادا إلى العرف السائد آنذاك. ورغم ما قدمه الأبناء للأب من نبأ صدقهم هذه المرة (اسأل العير، عدم عودة الأخ الأكبر، تحايلهم على عزيز مصر بأن يأخذ أحدهم مكانه حتى يتموا الوفاء بعهدهم لأبيهم)، فإن كذبهم في المرة الأولى كان حائلا بينهم وبين عاطفة الصدق في قلب أبيهم؛ ولذا نعتهم هذه المرة أيضا بسوء النفس، وفداحة الجرم في عدم احترام عاطفة تعلق الأب بابنه، وذكرى تغييبهم ليوسف التي لم تفارق مخيلته.

إن هذا الأمر يؤكد نظرية واحدة وهي: أن الظلم الذي نصنعه ونسعى لتأكيد عدم علاقتنا به بالحيلة والخديعة، تجبرنا الأحداث والأيام على عدم محوه عنا حتى لو قدمنا ما قدمنا من أدلة في مواقف الصدق والسلامة؛ وهذا من شواهد العدل الرباني في الدنيا.

سيد الطيب - مصر

من صفات الرسول ﷺ



بدأ الرسول محمد ﷺ حياته في رعي الغنم، فاكتسب صفات الصبر والرحمة والقناعة، وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره خرج مع عمه إلى الشام للتجارة، فاتسعت مداركه وخبراته، واكتسب صفات التحمل والنظام والإخلاص والصدق والأمانة، فنال ثقة الناس وحبهم.

كما اشتهر الرسول ﷺ بالحكمة، ويتجلى ذلك في حسم النزاع بين أهل مكة حين اختلفوا على من يضع الحجر الأسود في مكانه. وعندما اختير حكما، بسط رداءه ووضع الحجر عليه، وطلب أن تأخذ كل قبيلة بطرف، فرفعوه جميعا، فأخذه الرسول ووضعه في موضعه.

وفي سيرة الرسول ﷺ ما يهتدي به المسلم في حياته فيربح في دنياه وفي آخرته، ولذلك فقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى اتخاذ الرسول أسوة فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

ومن كان خلقه القرآن كان أسوة، وكان قدوة، وكان على خلق عظيم، ومن هنا وصفه الله سبحانه، إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

ويحلو للإنسان في هذا الزمن – وقد ساء فيه الخلق وانتشرت فوضاه، وساد فيه الفساد وعمت بلواه – أن يرجع إلى رسالة الخير والأخلاق والإصلاح. فقد كان الرسول ﷺ حين ينطق ينطق ببصيرة ارتفعت عنها الحجب وسمت على ما في الكتب، وكان ينطق دائما بالحق.

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم:١-٤).

د. محمد محمود العطار - أكاديمي بجامعة الباحة - مصر

مسك الختام



وحدة صفها بسواعد أبنائها

تطل علينا خلال شهر فبراير ذكرى المناسبات الوطنية التي تشهدها الكويت، والتي شكلت محورا مهما في مسيرتها.. ذكريات عزيزة على قلوبنا جميعا تتأكد بها معاني الولاء والانتماء لهذا الوطن، مناسبات يتوقف عندها الجميع لا يجب أن تمر مرور الكرام، فيها العديد من الدروس والعبر والعظات التي عاشها الشعب الكويتي، وهذه المناسبات هي ذكرى يوم الاستقلال ويوم التحرير، إنها مناسبات أكدت على معاني التناغم والتلاحم بين مكونات المجتمع الكويتي الواحد، تلاقت على حب هذا الوطن وهذه الأرض المعطاءة، ذكريات حملت في طياتها العديد من الشواهد على تلاحم الشعب الكويتي في محنته التي مر بها والتضحية والفداء اللذين قدمهما أبناؤه، والتحدي والإصرار منهم لاستكمال مسيرة البناء والتنمية بعد التحرير من العدوان الغاشم، لتكون الكويت في مصاف الدول المتقدمة التي تنعم بالرخاء والحرية بفضل الله عزوجل، ثم بفضل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه.

ومن غير المستغرب أن يكون الاهتمام بفئة الشباب من الأولويات التي تهدف الدولة إلى صياغة الرؤى والأهداف من أجلها، بل الاهتمام بها في شتى المجالات، كما أن حماية الشباب من الوقوع في الظواهر السلبية والانحرافات السلوكية الدخيلة على مجتمعنا الكويتي من أهم المقاصد والأهداف، وتجلى ذلك في خطابات سمو أمير البلاد حفظه الله والنطق السامي له خلال العديد من المناسبات ومنها كلمته خلال افتتاح دور الانعقاد الثالث من الفصل التشريعي الخامس عشر لمجلس الأمة حيث قال: «إن الكويت كانت وستظل بإذن الله تعالى دوما بخير وأمان تحرسها عناية المولى تعالى ثم وحدة صفها وسواعد أبنائها».

إن نشر الوعي المجتمعي وتوطين الولاء والانتماء للوطن بين أبنائنا، وتفعيل مسؤولية ودور المؤسسات الحكومية والأهلية ومؤسسات المجتمع المدني تجاه الأسرة والشباب والعمل على تعزيز استقرارها وتماسكها من أهم الأهداف المطلوب تحقيقها على أرض الواقع، فوحدة صفها بسواعد أبنائها.

دامت الأفراح والمسرات في بلادنا الحبيبة وكل عام وبلادنا الكويت حرة شامخة بأميرها وولي عهده الأمين وشعبها الكريم.

د. ناصر محمد العجمي
مدير إدارة التأهيل والتقويم
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية - الكويت

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .

- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .

- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

كويت جديدة
NEWKUWAIT

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

إدارة التأهيل والتقويم

www.taheel.gov.kw




اهتمـــام .. حمايـــة .. رعايـــة .. تقويـــم


taheel awqaf



Taheel_Awqaf

العدد ٦٤٦ - السنة ٥٦ - جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ - فبراير ٢٠١٩م

العدد (٦٤٧) رجب ١٤٤٠هـ - مارس ٢٠١٩م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

التَّفكُّكُ الأُسَرِيُّ أسبابٌ وَحُلولٌ

- القِراءاتُ القُرآنيّة والأحرُفُ السَّبعَة
- مُكافحةُ الفِكرِ الإلحادي
- الإسراءُ والمِعْراجُ في وجدانِ الشُّعراءِ




موقع مجلة الوعي الإسلامي


alwaeiq8@gmail.com


www.alwaei.gov.kw


مجلة الوعى الإسلامى

جديدنا



مُعلَّقةٌ ضمنَ سلْسلة مُعلَّقات مجلَّةُ الوعي الإسلامي، اعتنت بجانب مُهمٍّ من جوانب الوقف الإسلامي العريق، وهو: (الوقف الطِّبي)، وركَّز الأستاذ الدكتور إسماعيل غازي مرحبا، فيها على بيان الأوقاف عبر التَّاريخ الإسلامي، وآثارها المجتمعيَّة، وآفاقها التَّنمويَّة؛ لتشكِّل لَبِنةً جديدة ضمن سلسلة معلَّقات مجلَّة الوعي الإسلامي.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الأسرة.. نسيج المجتمع وأمانه

إن ترابط الأسرة وتماسكها الاجتماعي ميزة جليلة من مزايا شريعتنا الغراء، وخصيصة عظيمة من خصائص مجتمعنا المسلم، الذي جعل من التواصل لحمته، ومن التكافل سداه.

وإن ضمان أمن المجتمع وتحقيق استقراره وبناء أمجاده وديمومة سعادته؛ تكمن في عقيدته وإيمانه بربه وفق منظومة قيمية متآلفة، بعيدة عن الضغائن والبغضاء، وإثارة الشحناء، وغوائل الجفاء، إلا أن بعض السلوكيات الدخيلة ساهمت في اختلال نظام أمتنا الاجتماعي في بعض جوانبه مما أثر سلبا على جوانب عديدة من المنظومة الأخلاقية الأصيلة، ولعل من أخطر هذه السلوكيات ما يرتبط بالجانب الاجتماعي ويوشك أن يعصف بالكيان الأسري ويهدد تماسك المجتمع.

إن التقلص الملحوظ في وظائف الأسرة، والتهديد المستمر لكيانها، وكثرة الجنوح من أفرادها، إضافة إلى ما يطرأ من عقوق من قبل الأبناء، وتساهل من قبل الآباء، وارتفاع في حوادث الطلاق، وتراكم للمتغيرات الاجتماعية التي تمهد لأسباب الجريمة... كل هذا يدق ناقوس الخطر، وينذر بإشعال فتيل أزمة اجتماعية خطيرة، يجب المبادرة إلى إطفائها والقضاء عليها، بإيلاء قضايانا الاجتماعية حقها من العناية والرعاية والاهتمام، ويدعو لاستنفار كل الجهود للحفاظ على هذا الكيان الأساسي في جسم المجتمع المسلم؛ ألا وهو الأسرة.

إن المحافظة على وشائج الصلة بين أفراد الأسرة الواحدة هي من أبرز أركان حمايتها من أمواج التفكك العاتية، ففي مجتمع ضعف فيه التدين في قلوب الكثيرين، وطغت المادة وقلت أواصر التواصل، وتعددت مظاهر القطيعة؛ فإنه ينبغي الرجوع إلى الوصية القرآنية الخالدة التي تحث على صفة من صفات أهل الإيمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ (الرعد:٢١). هذه الصلة التي هي من أبرز ثمرات الإيمان بالله واليوم الآخر، حيث قال نبينا ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» (أخرجه البخاري في الأدب:٥٩٨٦).

وإذا ما ذكر التفكك الأسري؛ ذكر بجانبه أبرز أسبابه، وهو الطلاق الذي كثر حينما فقدنا زوجا يرعى الذمم، وفقدنا الأخلاق والشيم، واستخف الأزواج بالحقوق والواجبات، وضيعوا الأمانات والمسؤوليات، كثر حينما تلاشت مظاهر المودة؛ ففقدنا زوجا يغفر الزلة ويستر العورة، كثر حينما أصبحت المرأة طليقة اللسان والعنان، كثر حينما تدخل الآباء والأمهات في شؤون الأزواج والزوجات، وحينما كثر النمامون، وكثر الحساد الواشون المفرقون.

لا شك أن الطلاق هو حل مشروع، وعلاج لمعضلة قد استعصت، ولكن لا بد -قبل إيقاعه- من استخارة تقر بها النفس، واستشارة يطمئن بها الخاطر، تردفهما نصيحة من العلماء والحكماء، ثم إذا استقر؛ فلا بد أن يحيطه بسنة المصطفى ﷺ فيما يعتريه من أحكام فقهية وآداب مرعية؛ لكي لا يقع الإنسان في ظلم لنفسه وللآخرين بتعديه حدود الله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ (الطلاق:١).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٧ / رجب ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
مارس ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

أمين حميد عبدالجبار

د. تركي محمد النصر

هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



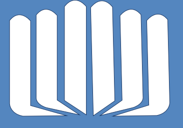
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

حافظوا عليها

الأسرة دعامة المجتمع ولبنته الأولى ومصدر قوته، إذا أقيمت على أسس سليمة وروعيت فيها أحكام الله وحدوده.. في الأسرة أنس ومودة وقرب وسكن ورحمة قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

وقد حمى الله تعالى ذلك البناء، ووضع له من القواعد والأسس والأحكام ما يكفل استقراره واستمراره، إلا أن الظروف قد تتغير والأحوال قد تتبدل بما تستحيل معه العشرة وينقطع الود، وهنا تتدخل يد الشرع كما يتدخل مبضع الجراح ليضع نهاية لهذه الحياة، ولكن في إطار من شرع الله يحمي حقوق كل من الزوجين، ويحوط تلك النهاية بتقوى الله في كل مراحلها مع مراعاة ما كان من العشرة والود والرحمة في السابق ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧).

ولكن تأبى بعض النفوس أن تعيش في هذا الإطار الرباني، فتحول ما كان بالأمس القريب ودا ورحمة وسكنا إلى معركة ساحتها المحاكم والسعي لسلب الحقوق واكتساب أكبر قدر من المغانم ولو على حساب الأولاد الذين يذهبون ضحية تصرفات شاذة لا يقرها شرع ولا دين ولا عرف!

ألا ما أحوجنا إلى العودة للشرع الإسلامي الحنيف لبناء ما تهدم وترميم علاقاتنا الاجتماعية حماية لبيوتنا ورحمة بأولادنا.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. عبدالله رمضاني
باحث وخبير تربوي
المغرب





منهج النبي ﷺ في حوار المخالف

نجد في السيرة النبوية الطاهرة نماذج حية تجسد أنماط وأشكال الحوار المتميز. وتمثل إطارا نظريا وتطبيقيا لكل عمل أو فعل حواري يتوخى التقارب والتفاهم الذهني والوجداني والنفسي. وفي هذا السياق نسوق بعض المواقف والمشاهد الرائعة من أساليب الرسول ﷺ في حواره مع الآخرين، مستخلصين منها الدروس والعبر علنا نجعلها نبراسا نستضيء به في حياتنا الحوارية.

فما أحوجنا إليها اليوم في زمن طغت فيه أساليب وتقنيات لا تمت إلى الإسلام من قريب أو بعيد بصلة، ويعيش فيه المسلم غريبا عن أساليبه وتقنياته الحوارية الأصيلة النابعة من مشكاة النبوة الشريفة.

ونبدأ بأول موقف تعرض له الرسول ﷺ في مسيرته الدعوية إلى الله عزوجل بدءا بعشيرته المقربة ثم إلى الناس كافة. ويتجلى هذا الموقف فيما عرض عليه ﷺ من طرف عتبة بن ربيعة لسان قريش ومفاوضهم الأمثل.

تروي كتب السيرة أن قريشا ضاقت ذرعا بالرسول عليه الصلاة والسلام ولم تطق ما يترامى على أسماعها من أنبائه وأخباره. وكثيرا ما كانت تتصيد الفرص للإيقاع به وتفريق من كان حوله من أتباع وأنصار، لذا كانت

حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة نموذجا

قريش تدعم كل من يناصر قضيتها ومزاعمها، وترحب بصدر مفتوح بكل من يفتتح زمام المبادرة لمفاوضة النبي عليه الصلاة والسلام، ومحاولة إقناعه للكف عن إيذائهم، حسب زعمهم، والحط من قيمة ما يعبدونه من حجارة وما يحملونه من معتقدات وثنية واهية.

فهذا عتبة بن ربيعة يدخل على مجمع قريش، وكأنه كان على موعد معهم، فوجدهم شاحبي الوجوه، مكدرين، كأنهم قد أصيبوا بخطب عظيم. أدرك بالبديهة أن الأمر يتعلق بمحمد ﷺ. في هذه اللحظة العصيبة قال لهم عتبة بن ربيعة: أترضون بي مفاوضا عند محمد ﷺ وإقناعه بالتخلي عما يسوؤكم وإرضاؤه، في مقابل ذلك، بما تشرئب إليه الأعناق وتتوق إليه النفوس وتحلم به العقول. قالوا: والله ذلك أقصى ما نريد الوصول إليه، وأنت به كفء وقدير، وإنا لنراك فينا أحسننا لسانا وعقلا ومنطقا.

تشجع عتبة بن ربيعة واستجمع كل قواه لملاقاة الرسول ﷺ، وعرض عليه ما أجمع عليه كبار قريش.

ولتسليط الضوء على هذا الموقف التواصلي ندع كتب السيرة تروي لنا نص الحوار الرائع الذي دار بين الرسول الأعظم ﷺ وعتبة بن ربيعة، وهو كالآتي:

«... فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع» قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم قال: «فاسمع مني» قال: أفعل. قال: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ (فصلت:١-٥)».

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك». فقام عتبة إلى أصحابه فقال: بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم»(١).

يبدو من كلام عتبة بن ربيعة أنه كان يتميز بحدة الذكاء في مخاطبة النبي ﷺ إذ حاول، حسب زعمه، أن يؤثر في نفسيته بما شحن به خطابه من كلمات وعبارات مفعمة بالاحترام والتقدير، ولفت انتباهه عليه الصلاة والسلام إلى عظيم قدره ومنزلته عند قومه. ففي ظنه أن هذا الأسلوب قد يستميل مخاطبه فيجعله يتراجع عن مواقفه، ويتنازل عن مبادئه. لكن بعد هذا المدخل الإطرائي والمدحي الذي أريد به باطل، ونبينا المصطفى ﷺ في غنى عنه فهو مبجل ومكرم من عند فاطر السماوات والأرض، حاول عتبة بن ربيعة أن ينال من شخصيته ﷺ بطريقة فنية ماكرة فيها مدح وذم في آن واحد. وكأنه يريد أن يقول إن ما تقدم عليه يا محمد ﷺ يتنافى مع أخلاقك وشيمك وما عهدناه فيك من صدق في القول، وإخلاص في المعاملة، ووفاء في الأمانة، وحرص على جمع الشمل ووحدة الصف والكلمة، وحب الخير للجميع. إن ابن ربيعة كان يعي تماما أن الدعوة النبوية الشريفة المبنية على التوحيد وإخلاص العبودية لله الواحد القهار، كانت تربك حسابات صناديد قريش وتفشل خططهم، وتفضح مكائدهم،

وتقوض تدابيرهم الاستعبادية الجشعة، وذلك في نظرهم هو زعزعة لزعامتهم الظالمة، ونسف لكراسي سيادتهم الوثنية المزعومة.

إن هذه الدعوة الربانية كانت، في تصور عتبة بن ربيعة وباقي قومه، مدعاة إلى التفرقة والشتات والتنافر الاجتماعي والعقدي. وهذه نقط سوداء ظالمة ضمنها المفاوض القرشي خطابه الموجه إلى الرسول ﷺ بعد الثناء عليه ومدحه، ويشهد على ذلك كلامه: (... يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم...). هكذا يفعل أعداء الإسلام في كل عصر مع المسلمين وأصحاب المكانة. فهم ينفرون منهم الناس فيقولون مثلا: هم علماء أو عباد أو صالحون ولكن يتشددون ويغالون و، و، وهذا ليس من الإسلام؛ فالإسلام دين يسر وسماحة!

لحظات تأملية في تقنيات حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة:

هذا العرض السافر من قبل مفاوض قريش أبي الوليد تنبه له الرسول ﷺ، كما أدرك خفاياه وخلفياته وما ينطوي عليه من سموم مدسوسة في كلام معسول، حيث ضمنه صاحبه حطاما زائلا وقيما مادية زائفة وشرفا منفوشا سرعان ما تذروه الرياح..

التقنية الحوارية الأولى: السمع

لم يأبه النبي ﷺ بمضامين خطاب عتبة بن ربيعة، لكنه استمع إليه كله دونما مقاطعة أو مؤاخذة أو تعنيف أو سباب. لأن حسن الاستماع يسهل كثيرا من الرد على المخالف وتقريب وجهات النظر. وهذا واضح في إنصات النبي ﷺ لعتبة حتى فرغ، ثم قال له: «أفرغت يا أبا الوليد؟» وهذا دلالة على عدم مقاطعة النبي ﷺ لعتبة في حديثه.

قوله ﷺ «إني أسمع» يعتبر تقنية تواصلية فعالة، من أبعادها:

جعل المتكلم أو المخاطب يشعر بالحفاوة والاهتمام لدى المتلقي أو المخاطب.

التقنية الحوارية الثانية: التأكد من فراغ المحاور من كلامه

لقد منح الرسول ﷺ الفرصة الكاملة لمحاوره لتبليغ ما جاء من أجله وإتمام آخر نقطة في عرضه. وعندما أنهى كلامه وفرغ منه سأله النبي ﷺ متأكدا: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. وفي ذلك إشارة ضمنية إلى أن كل بنود العرض لقيت أذنا صاغية وقد استوعبت جيدا. إضافة إلى ذلك فهو أسلوب راق يجعل المحاور يتهيأ نفسيا وذهنيا لانتظار الرد ووجهة النظر الأخرى؛ أي حصول استعداد نفسي ووجداني لتقبل رؤية الطرف الثاني للقضية المطروحة.

التقنية الحوارية الثالثة: المناداة بالكنية

المناداة بالكنية فيها تعظيم وتقدير للشخص، وقد كانت سارية بين العرب وقتذاك فود النبي ﷺ أن يناديه بأحب الأشياء عند العرب وهو: يا أبا الوليد. وهذه تقنية تواصلية أخرى وظفها ﷺ لتبليغ رسالته ودعوته، وهي وسيلة تجعل المتكلم ينفذ إلى أغوار نفسية مخاطبه، ويؤثر في منحنياتها. فالإنسان يفرح كثيرا عندما تناديه بأعز الأسماء إليه، أو بما اشتهر به بين قومه وعشيرته.

التقنية الحوارية الرابعة: الرد بالقرآن الكريم

إن طبيعة المرحلة الدعوية اقتضت أن يكون الرد بآيات محكمات من القرآن الكريم، فالله تعالى قد علمه كيف يتعامل مع الأحداث، ومتى يستعمل هذا الأسلوب أو ذاك في تحاوره وتواصله مع غيره. لذا كانت هذه التقنية هي الوسيلة الدامغة للرد على مفاوض قريش دون الدخول في جدال عقيم معه أو مراء لا طائل من ورائه.

ولعل الحكمة التي ينطوي عليها هذا الرد القرآني يمكن رصدها فيما يلي:

- الإقرار مسبقا بعدم بشرية القرآن، وأن ما يأتيه ﷺ ليس شعرا ولا سحرا ولا غيره، بل هو وحي يوحى من رب عزيز مقتدر.
- الإقرار بنبوة الرسول ﷺ وصدق رسالته.
- التوكيد والإبانة للمشركين عن أن هدف الأنبياء والمرسلين هو دعوة الناس إلى عبادة الله وحده وألا يشركوا به أحدا، وأنهم لا يريدون من وراء ذلك جزاء ولا شكورا، وأن حطام الدنيا زائل وإلى بوار، وأن ما عند الله خير وأبقى. وفي ذلك إشارة واضحة إلى محاوره أن ما عرضه عليه من مال وجاه وملك ونساء حسناوات.. ليس هو الغاية التي أرسل من أجلها، فما هو إلا رسول قد خلت من قبله الرسل مكلف بتبليغ رسالة ربه لا طمعا في الدنيا وملذاتها وشهواتها، وإنما طمعا في مرضاة الله تعالى وابتغاء الدار الآخرة..

وقد كان من ثمار توظيف هذه التقنية الحوارية أن اعترف عتبة بن ربيعة تلقائيا بصدق دعوته ﷺ، فالفطرة أنطقته بالحق سواء درى أو لم يدر، ويتجلى ذلك:

أولا: حينما ناشد الرسول ﷺ أن يكف عن القراءة، وذلك خوفا على قومه مما تضمنته الآيات من وعيد ماحق وهلاك ساحق. وفي هذا اعتراف ضمني بصدق رسالته ودعوته.

ثانيا: عندما عاد عتبة بن ربيعة إلى

أصحابه وجلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا ما سمعت بمثله قط .. إلى آخر ما قال.

من خلال هذا الاعتراف الصريح أمام وجهاء قريش نتوقف عند مسائل مهمة، يجدر بنا أن نتوقف عندها، وهي كالآتي:

- ذهول ابن ربيعة لما سمعه من الآيات القرآنية المعجزة، إذ لم يسبق له أن تردد على مسامعه مثل هذا الكلام العجيب، خاصة، وهو الإنسان العربي القح العالم بأخبار العرب وأنسابها وأشعارها وحكمها..

- إقراره أمام الملأ، وهذا مما يقطع الشك في أنفسهم، بأن ما ينطق به محمد ﷺ ليس شعرا ولا سحرا ولا كهانة، وإنما هو وحي يوحى. وبذلك يدحض مزاعم قريش التي كانت تظن، رجما بالغيب، أن ما يأتيه ما هو إلا ضرب من الشعر أو مس من الجن..

- نصيحة عتبة بن ربيعة لصناديد قريش بأن يدعوا محمدا ﷺ وشأنه، فهو ظاهر في الناس بالحق ولا محالة، لأن من أوتي بمثل هذا القول والكلام سيكون له شأو عظيم بين العرب وسائر الأمم، ومن أراد العزة والمكانة الرفيعة فليتبعه وليلحق بركبه.

- قوله: (هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم) يبين أن أبا الوليد كان صريحا وواضحا إزاء دعوة الرسول ﷺ، كما كان منطقيا في إصدار حكمه فيما سمع ورأى نصب عينيه من أمر هذا النبي ﷺ. وبعد ذلك ترك الباب مفتوحا على مصراعيه ليختار كبار قريش أي طريق يسلكون، وأي قرار يصدرون. المهم في نظره أنه قد أخلص لهم في النصيحة التي راح إلى التفاوض من أجلها.

- المقارنة الذهنية والنفسية العميقة التي قام بها عتبة بن ربيعة بين العرض الذي تقدمت به قريش والرد النبوي الشريف، جعلته يهتدي إلى أن هناك فارقا جذريا كبيرا بين ما تفكر فيه قريش وما يدعو إليه النبي ﷺ، وبالتالي فلا مجال للمقارنة..

يتبين من خلال ما سبق، أن الآليات الحوارية التي وظفها الرسول ﷺ في حواره جعلت خصمه ينقل عنه صورة واضحة تبين مسعاه السلمي، ورسالته السمحة، وحبه الخير للناس كافة، وتجرده عن كل ما يسعى من أجله غيره من تكالب على الدنيا والطمع إلى ما في أيدي الناس، وحب الرياسة والزعامة إلى غير ذلك من ألوان وأشكال السلطة والسيادة.

إن هذا الأسلوب النبوي في حواره مع المخالفين يعطينا دروسا وعبرا دررية قل مثيلها في زماننا هذا. فما أكثر الدعاة اليوم والمفكرين والباحثين ممن ليس لهم سعة الصدر والتؤدة والتروي وحسن الإنصات والحفاوة، وآداب الكلام حيث لا تجريح ولا سب ولا تعنيف... فنحن اليوم، ترانا نضرب بكلام مخاطبنا عرض الحائط، ولا ندع له الفرصة للتحدث والتعبير عن رأيه، فإننا ننتقده بشدة سلفا، ونغمط حقه فيما ورد في خطابه من آراء وأفكار. وقد يتعدى بنا الحال إلى قذفه بالباطل، وفي بعض الأحيان نسمه بالكفر والنفاق ابتداء، ظلما وعدوانا، حيث تكون لدينا أحكام جاهزة نرميه بها ونلبسه إياها..

إن السنة النبوية الشريفة براء من مثل هذا السلوك غير الحضاري، فلنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث وضع لنا الخطوط العريضة، وسن لنا آليات راقية في تعاملنا مع الآخر، كما خط لنا آدابا عامة في كيفية تواصلنا معه.

إن السيرة النبوية ثرة وغنية بالمواقف الحوارية، وتنطوي على تقنيات حوارية فعالة وهادفة لو استوعبناها وفهمنا مراميها وأبعادها لكنا أرقى الأمم والشعوب تواصلا وتخاطبا، لكن، مع الأسف، ضيعنا أدواتنا ووسائلنا وصرنا نستعيرها من غيرنا، واتخذناه إماما لنا في هذا المجال، ولعل هذا هو الأسى الذي أصبح يحز في صدورنا وأفئدتنا، بعدما كنا نعلم غيرنا كيف.. وكيف.. صرنا اليوم نأخذ الصف لنتعلم الدرس منه، ونتلقى عنه كيف.. وكيف.. بتصوراته وتوجهاته ومناهجه وأساليبه. وهذه وصمة عار في جبين أمة كانت خير أمة أخرجت للناس علما وحكمة وخلقا وعدلا.

الهامش

١- انظر الروض الأنف للسهيلي (٤٦/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٩٣/١)، والسيرة لابن إسحاق ص٩٢، وقد حسنه الألباني في صحيح السيرة النبوية ص١٥٩ وذكره في فقه السيرة ص١٠٦، وقال: حسن.



أ. د. إبراهيم محمد البيومي
أستاذ مساعد بكلية أصول الدين
جامعة المدينة العالمية - مصر

القراءات القرآنية والأحرف السبعة

لم يلق كتاب في تاريخ الإنسانية ما لقيه القرآن الكريم من عناية واهتمام، ولا غرو في ذلك، فهو كتاب رب العالمين، والخالد إلى يوم الدين، وهو إلى الناس أجمعين.. إنه كتاب البشرية جمعاء على مر العصور والدهور واختلاف الأماكن والبقاع، وكان للمسلمين شرف الاهتمام بهذا الكتاب والعناية به؛ تلاوة وحفظا وشرحا وتفسيرا وتعليما، وكان الاهتمام بالقراءات القرآنية جانبا من الجوانب التي شدت انتباه العلماء ودفعت بعضهم إلى الانقطاع وتلقي تلك القراءات وجمعها وتعلمها وتعليمها وتدوينها.

وإن من ضروريات المعرفة بكتاب الله أن يحيط المسلم علما بمقصود القراءات القرآنية التي نزل بها القرآن والحكمة من ذلك حتى يحصل على حصانة وزاد يتأبى على الشبهات، التي قد يثيرها الجهل بثوابت هذا الكتاب الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾.

من المسائل التي يحدث فيها خلط كبير عند البعض: العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؛ فما هي العلاقة بينهما؟ وهل هما شيء واحد؟ وهل القرآن والقراءات بمعنى واحد أم أن القراءات غير القرآن؟

القراءات هي كما عرفها الشيخ عبدالعظيم الزرقاني[١]: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها[٢].

فالقرآن والقراءات بمعنى واحد عند الكثير من العلماء، فمنهم من اعتبرهما بمعنى واحد، وممن قال بأن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد محمد ابن سالم محيسن حيث قال: «أرى أن كلا من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك من تعريف كل منهما ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات»[٣]. وهذا ما أميل إليه وأرجحه بأن القرآن والقراءات شيء واحد، بشرط أن تكون القراءة متواترة، أما إذا كانت شاذة فلا تصح تسميتها قرآنا، ومنهم من اعتبرهما حقيقتين متغايرتين، فنجد الإمام الزركشي يقول: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ بلسان عربي، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تثقيل أو تخفيف وغيرهما»[٤]، فيظهر من كلام الزركشي أنهما متغايران.

أما ابن دقيق العيد فأطلق تسمية القرآن على القراءات ولو كانت شاذة[٥].

الأحرف هي اللغات أو الأوجه التي نزل عليها القرآن

والقراءات هي جزء من الأحرف السبعة، التي نزل بها القرآن. وقد اختلف العلماء في ذلك فهي من المسائل التي يحدث فيها خلط عند غير المتخصصين، حيث يخلطون بين الحرف والقراءة. ولقد آثرت أن أفرق بين الأحرف والقراءات، لأن كثيرين يعتقدون أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع، وهذا خلط كبير، فلقد أجمع العلماء على أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المتواترة، بل إن الأحرف هي اللغات أو الأوجه التي نزل عليها القرآن. وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافا طويلا وصلت فيه الآراء إلى خمسة وثلاثين قولا كما ذكر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن وفي التذكار[٦] نقلا عن أبي حاتم محمد بن حبان البستي.

يقول الشيخ شعبان إسماعيل: «ولم يكن في عصر الرسالة فرق بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، وكان اللفظان يطلقان على سبيل التبادل، وكان القرآن ينزل بأحرفه

القراءات هي كيفية أداء كلمات القرآن مع نسبة كل وجه إلى ناقله

فيسمعونه من رسول الله فيصبح كل حرف قراءة بمجرد السماع»[٧].

ويعني الشيخ شعبان إسماعيل من ذلك أن الحرف حينما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ يسمى قراءة وكل حرف قراءة.

أما بعد تدوين العلوم وتمييز بعضها عن بعض فقد صار مصطلح القراءات يختلف عن الأحرف؛ فالأحرف هي اللغات أو الأوجه التي نزل عليها القرآن.

أما القراءات فهي كيفية أداء كلمات القرآن مع نسبة كل وجه إلى ناقله في القراءة أو الرواة عنهم، فهي جزء من الأحرف وليست هي الأحرف عينها؛ يقول مكي بن أبي طالب[٨] في الإبانة: «وهذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم وصحت روايتها، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه»[٩].

إذن ما هي صلة القراءات العشر بالأحرف السبعة؟

اختلف العلماء حول صلة القراءات بالأحرف السبعة إلى قولين:

القول الأول

القراءات تعتبر حرفا واحدا من الأحرف السبعة التي نزلت على الرسول ﷺ، وقد جنح إلى هذا الرأي أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبو طاهر عبدالواحد بن هاشم (تلميذ ابن جرير). أما الطبري فيعبر عن ذلك ويقول: «الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، كما أمرت إذا هي حنثت في يمين



وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر كانت مصيبة حكم الله، مؤيدة في ذلك الواجب عليها من حق الله، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءاته بأي الأحرف السبعة شاءت، فرأت لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع الحروف»، ثم قال: «فحملهم عثمان على حرف واحد، وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد، وأحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالأحرف الستة».

ثم قال: «فإن قال من ضعفت معرفته كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهم الرسول ﷺ إياها وأمرهم بقراءتها. فقيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض بل أمر إباحة»[10].

أما تلميذ الطبري أبو طاهر فقال: «إن الأمر بقراءة القرآن على سبعة أحرف أمر تخيير إلى أن قال فثبتت الأمة على حرف واحد من السبعة التي خيرت فيها»[11].

القول الثاني

القراءات العشر بعض الأحرف السبعة، وقد جنح إلى هذا القول مكي ابن أبي طالب وأبو العباس أحمد بن عمار المقري وأبو علي الأهوازي.

أما مكي فقال: «هذه القراءات كلها، التي يقرأها الناس اليوم وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه وعلى اطراح ما سواه»[12].

ويقول أبو العباس أحمد بن عمار المقري: «أصح ما عليه الحذاق من أهل النظر في معنى ذلك أن ما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن»[13]، وأما أبو علي الأهوازي فيقول: «ولسنا نقول إن ما قرأه هؤلاء السبعة يشتمل على جميع ما أنزله الله من الأحرف السبعة التي أباح رسول الله ﷺ أن يقرأ بها»[14].

ويرجع سبب الاقتصار على القراءات السبع ما ذكره مكي بن أبي طالب فقال: «كان الناس على رأس المئتين بالبصرة (٢٠٠هـ) على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع. واستمروا على ذلك. فلما كان على رأس الثلاثمئة (٣٠٠هـ)، أثبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب. قال: والسبب في الاقتصار على السبعة – مع أن في أئمة القراء من هو أجل منهم قدرا، ومثلهم أكثر من عددهم – أن الرواة عن الأئمة كانوا كثيرا جدا. فلما تقاصرت الهمم، اقتصروا مما يوافق خط المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة، وطول العمر في ملازمة القراءة، والاتفاق على الأخذ عنه، فأفردوا من كل مصر إماما واحدا. ولم يتركوا مع ذلك نقل الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وعاصم الجحدري وأبي جعفر وشيبة وغيرهم»[15].

الهوامش

١- الزرقاني: هو محمد عبدالعظيم الزرقاني من علماء الأزهر عمل مدرسا بكلية أصول الدين من كتبه «مناهل العرفان في علوم القرآن»، توفي في القاهرة سنة ١٣٧٨هـ/١٩٤٨م.
٢- «مناهل العرفان» للإمام الزرقاني، ج١، ص:٣٤٣، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣- راجع القراءات القرآنية وأثرها في العربية، د. محمد بن سالم محيسن، ص:٢٣، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٤- البرهان للزركشي، ٣١٨/١، طبعة دار التراث من دون تاريخ.
٥- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف د. عبدالهادي الفضلي، ص:٧٤، مركز الغدير للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٦- التذكار في أفضل الأذكار، ص:٣٥، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٧- القراءات أحكامها ومصادرها، الشيخ شعبان محمد إسماعيل، ص:٢٣.
٨- أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، شيخ الأندلس وعالمها ومقرئها وخطيبها، كان من أهل التبحر في العلوم، وكان كثير التصانيف، له نحو أربعين مصنفا، بعضها مشتمل على أجزاء كثيرة، منها: «النهاية إلى بلوغ الغاية» في معاني القرآن العظيم وتفسيره وأنواع علومه في سبعين جزءا، و«منتخب الحجة» لأبي علي الفارسي (ثلاثون جزءا)، و«التبصرة في القراءات» (في خمسة أجزاء)، وكتاب «الكشوف عن وجوه القراءات وعللها» (عشرون جزءا).. وغير ذلك. راجع: «وفيات الأعيان» (٢٧٤/٥)؛ و«سير أعلام النبلاء» (٥٩١/١٧)؛ و«تاريخ الإسلام» (٤٥٢/٢٩)؛ و«معرفة القراء الكبار» (٧٥١/٢). توفي سنة ٤٢٧هـ.
٩- الإبانة عن معاني القراءات لمكي ابن ابي طالب الحموشي القيسي، ص:٨٠-٨١، تحقيق: د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار النهضة للطبع والنشر.
١٠- المرشد الوجيز لأبى شامة، ص:١٣٩-١٤٠، دار صادر بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
١١- المرشد الوجيز، ص:١٤٨-١٤٩، مرجع سابق.
١٢- المرشد الوجيز،١٥١ – الإبانة ٣٢٢. مرجع سابق.
١٣- المرشد الوجيز، ١٤١ مرجع سابق.
١٤- المرشد الوجيز، ص:١٦٠، مرجع سابق.
١٥- الإبانة عن معاني القراءات لمكي ابن أبي طالب الحموشي القيسي، ص:٤٧، بتصرف يسير، تحقيق د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار النهضة للطبع والنشر.



د. نفيسة الزكي
باحثة تربوية
المغرب

تجديد الخطاب الديني



تعتبر قضية تجديد الخطاب الديني من القضايا الأساسية التي نهض بالدعوة إليها دعاة ومصلحون ومفكرون من مختلف أقطار العالم الإسلامي، تجمع بينهم الرغبة في الإصلاح عن طريق فتح باب الاجتهاد، وإشاعة ثقافة كونية مبنية على أسس شرعية وعقلية من أجل النهوض بهذه الأمة والرقي بها إلى مصاف الأمم المتطورة، ومازالت هذه القضية الحيوية (قضية تجديد الخطاب الديني) تستأثر باهتمام الباحثين والمفكرين المعاصرين، خصوصا مع التطور الهائل الذي شهدته مناهج العلوم الإنسانية والنظم الوضعية، التي تروم بدورها تحقيق العدالة الاجتماعية في أحسن صورة وأكملها.

وتجديد الخطاب الديني في كليته «هو فهم النصوص الشرعية في نور المقاصد الكلية للشريعة، بما يلائم واقع الناس، ويحقق آمالهم في الحياة، ويؤهلهم للفوز في الآخرة، وهو يعني أيضا تجديد الطرق والأساليب والقوالب والصيغ والمناهج، ولا يمس الثوابت ولا القطعيات»[1].

«إن تنوع المذاهب الفقهية، واختلاف أبناء المذهب بعضهم مع بعض أحيانا، أو مع رأي صاحب المذهب، كل ذلك في مسيرة الفقه الإسلامي كان آية من آيات تجديد الخطاب الديني، وتفاعل الفقهاء مع المستجدات حسب الزمان والمكان، وكل ذلك كان في إطار من احترام تنوع الآراء لتنوع الوقائع، ولأن النصوص الشرعية حمالة وجوه، مادام ذلك كله في الإطار المشروع»[2].

إن تجديد الخطاب الديني ليس ضرورة دينية خالصة فقط، «وإنما هو ضرورة حياتية مدنية أيضا، فالأمر أكبر من حركة إصلاحية دينية، تتغيا النقاء الديني، دون الارتباط بشروط المعاصرة، سواء في سياق إنتاج الدلالة أو في سياق تفعيلها في الواقع، فالارتباط بهذه الشروط هو الذي يمنح تجديد الخطاب الديني ضمانة حقيقية في تحقيق القدرة على الفعل الإيجابي، كما أنه هو الذي يمنحه مبرر وجوده من

الأساس. إذن، يجب أن يكون تجديد الخطاب الديني نابعا من احتياجات المرحلة التي نعيشها بجميع أبعادها، أي تجديدا على ضوء شروط العصر؛ ليفي باحتياجات العصر، فهو حالة فهم مرحلية ظرفية، لا تزعم لنفسها نهاية تاريخ الفهم، كما لم ترض أن تسلم بذلك لغيرها، فهذه الحالة أشبه بفتح باب اجتهاد، ولكنه اجتهاد يتجاوز آليات الفهم التقليدية، التي تبقي الخطاب أسير ظرف تاريخي خاص، بحيث يكون الاجتهاد دورانا في حلقة مفرغة، لا يخرج الإنسان من حالة تقليدية إلا إلى حالة تقليدية أخرى. اليوم، يتم طرح تجديد الخطاب الديني بقوة، ومن معظم الفاعلين في الخطاب الإسلامي، هناك قناعة بضرورة التجديد من الأغلبية، لكن مجرد القناعة لا تعني الوعي بماهية التجديد الذي يحاول إجراء تحولات في خطاب ما، كما أنها لا تعني القدرة عليه، حتى في حال الوعي به، والقناعة بمساحات التحول الضرورية لدمغه بصفة الجديد»[٣].

فتجديد الخطاب الديني إذن له فوائد عظيمة؛ إذ يكون طريقا «إلى حفظ الدين على صورته النقية بعيدا عن البدع التي أضيفت إليه، أو الأقوال الباطلة التي نسبت إليه، كما أنه يؤدي إلى تآلف القلوب واجتماع الكلمة ووحدة الأمة؛ إذ لا مجال ولا مسوغ للتفرق والاختلاف عند العودة إلى المنابع والأصول، مما يكون له أبلغ الأثر في قدرة الأمة على الصمود أمام المتغيرات»[٤].

وتجديد الخطاب الديني في عمومه يقتضي أولا إعادة تأهيل الدعاة وخطباء المساجد والقائمين على الشأن الديني بصفة عامة «للالتزام بالضوابط العلمية والمنهجية وأصول الخطاب في عملهم، بحيث يتم تدريبهم دوريا على استيعاب معطيات الفكر الديني الوسطي الرشيد، والبعد عن التطرف والغلو والتعصب، وتوسيع مداركهم بالحوار مع علماء الاجتماع والاقتصاد والأدب والفن والثقافة لهضم محصلة التطور الحضاري وتنقية خطابهم من الخرافات والأفكار الخطرة على أمن المجتمع وسلامته، وحثهم على مواصلة البحث العلمي في التاريخ الحضاري للإسلام، وطرح مسابقات بينهم في القراءة المعمقة لأهم كتب المجددين في الفكر الديني لإشاعة روح التنافس الإيجابي في استيعاب أفكارهم وتشجيعهم على الكتابة فيها بنشر الأبحاث والمحاضرات الفائزة والترويج لتداولها بين كل الدعاة والوعاظ»[٥].

كما أن تجديد الخطاب الديني يحتاج أيضا إلى «مبادرات مؤسسية ليس على مستوى الدولة الواحدة فقط، بل على مستوى العالم العربي والإسلامي ككل، حيث يفترض أن توضع خطط متكاملة وفق أجندات زمنية مناسبة وباحثين أكفاء ذوي علم حقيقي لتحريك المياه الراكدة في مسألة الخطاب الديني منذ عقود وقرون مضت، وبما يضمن استئصالا فعليا لجذور التطرف وفق منهجيات موضوعية متفق عليها بين الفقهاء وعلماء الدين الحقيقيين، وبما يحقق هدف استعادة زمام المبادرة من التيارات الدينية المتطرفة التي لا تزال تحتكر الحديث باسم الدين في مناطق ودول شتى»[٦].

وللوصول بالخطاب الديني الإسلامي إلى المستوى الذي يواكب مقتضيات العصر لابد من اتخاذ بعض الإجراءات المهمة أيضا منها[٧]:

- تجديد مناهج الدراسات الإسلامية، بما يكفل تكوين عقلية مستنيرة ومعتدلة تميز بين الثابت والمتغير، والكليات والجزئيات، والأصول والفروع، وتراعي الأولويات.
- تدريس مادة الثقافة الإسلامية في مراحل التعليم العام، والتي تعنى بإبراز جوانب الوسطية الإسلامية القائمة على الخير والرحمة والعدل والمساواة وتطبيقاتها في التشريع الإسلامي.
- الوعي بأهمية الدور الديني في حياة الأمم والشعوب، وعدم الاستهتار بهذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى، وعدم تصدي غير المؤهلين للخطاب الإسلامي.
- ألا يقوم التجديد على الهوى والتشهي، وإنما يكون الدافع إليه تحقيق المصالح المعتبرة التي تعود على الأمة بالخير في أمر الدنيا والآخرة.
- عدم استدعاء الخطابات الإسلامية الجاهزة، وكذا الفتوى من تراث العصور الماضية من دون النظرة التحليلية للواقع المعاصر، لأن ذلك يضر أكثر مما يفيد لعدم مواكبته لحاجات العصر وقضاياه.
- على الدعاة والخطباء ضرورة اعتماد الأدلة والبراهين العقلية من واقع الحياة وتجاربها، بجانب الأدلة النقلية في خطابهم الديني، فإن ذلك أدعى للإقناع والقبول.
- ضرورة تجنب مخاطبة الناس بما يخالف السنن الإلهية في الكون والمجتمع من الخرافات والترهات التي تملأ بعض الكتب الإسلامية وخاصة كتب الوعظ والإرشاد.
- ضرورة تجنب الانتصارات المذهبية، والجمود على الفتاوى الموروثة، التي تغير زمانها، في الخطاب الديني، إذ إن ذلك يؤدي إلى تفتيت وحدة المسلمين، وعدم

تطوير وتجديد الفتاوى التي تناسب مستجدات العصر.

وبالإضافة إلى ما سبق لابد من نشر العلم بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة بفعل الجهل الذي خيم على كثير من مجتمعات المسلمين، أو بفعل التأويل الفاسد الذي أضاع كثيرا من دلالات النصوص، ويكون التجديد في هذه الحالة هو إظهار ما طمس وإحياء ما اندرس، وبالإضافة إلى هذا كله لابد من إزالة كل ما علق بالدين مما ليس منه من أخطاء، أو بدع، أو تصورات وقعت في سلوك بعض الناس، أو أقوالهم، أو عقائدهم، ورد الأمر إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فيكون التجديد في هذه الحالة هو إزالة ما زيد في الشريعة أو أضيف إليها.

إن حاجة الأمة إلى تجديد الخطاب الديني ومراجعة أوضاعها لا يمكن أن ينكرها عاقل، وذلك بغرض تلمس الخلل الذي أدى بها إلى ما وصلت إليه من الضعف والهوان، والحق أحق أن يتبع على أي لسان ظهر، وبأي قلم كتب، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ولا يمكن لمتابع واقع الأمة الإسلامية أن يغفل عن الفجوة الكبيرة بين أحكام الشرع وممارسات المنتسبين إليه، وذلك مما يوجب الدعوة لاستنهاض همم العلماء لردم هذه الفجوة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، والنيل من معينها الصافي، مع الاستئناس بتراثنا الضخم، دون الجمود على بعض الأقوال التي ربما لا تنطبق على واقعنا، ولا تحقق مقاصد الشارع من شرعية الأحكام، نظرا لاختلاف الزمان، وتغير كثير من صفات الوقائع مع بقاء أسمائها، مما يؤدي إلى خلوها من مناط الحكم وعلته.

بقي أن نشير في ختام هذا المقال إلى أن تجديد الخطاب الديني له «ضوابط تحكمه، تنبع من طبيعة الغايات التي يسعى إليها، ومادام التجديد في هذا السياق يتناول الخطاب الديني عموما وفي جميع حقوله، فإن الغاية منه هي تجويد هذا الخطاب شكلا ومضمونا، والارتقاء به، وإكسابه مقومات التكيف مع العصر، من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرسالة الإسلامية، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه، وينفتح على عصره، ويندمج في محيطه، ويحترم من يخالفه في المعتقد والرأي والموقف وأسلوب الحياة، ويتحاور معه، ولا ينأى بنفسه عنه، أو يتخذ منه عدوا له لمجرد أنه يختلف معه في أمور كثيرة، ومن أجل الوصول إلى هذه النتائج مجتمعة لابد من مراعاة الاختصاص، والالتزام بالموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة، والتمسك بالأصول والثوابت، وعدم الاعتماد على نص واحد في الحكم وإغفال بقية النصوص الدينية التي وردت فيه»[٨].

خلاصة القول: لقد أضحت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني الإسلامي ضرورة ملحة لتطوير ومواكبة قضايا العصر، ومفتاحا لتجديد الوعي وفهم الإسلام من ينابيعه الصافية، بحيث يفهم فهما سليما خالصا من الشوائب، بعيدا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، من خلال رجال يحسنون عرض الفكر الإسلامي ويصوغونه صياغة جيدة، تنقي الفكر من الخرافة، والعقيدة من الشرك، والعبادة من البدع والأهواء، والأخلاق من التحلل والانهيار، رجال يتبنون تجديد مشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويدعو إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع.

الهوامش

١- إبراهيم صلاح السيد الهدهد، تجديد الخطاب الديني ضرورة كل عصر، مجلة منار الإسلام، العدد ٤٩٥، مارس ٢٠١٦م، ص:٢٠.

٢- نفسه، ص:٢٠.

٣- محمد بن علي المحمود، تجديد الخطاب الديني.. الإسلام معاصرا، جريدة الرياض السعودية، العدد ١٤٧٢٤، بتاريخ: ١٦ أكتوبر ٢٠٠٨م، ١٦ شوال ١٤٢٩هـ.

٤- محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، سلسلة مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص:٣٣.

٥- أحمد البحيري، وثيقة تجديد الخطاب الديني ورفض التكفير وشعارات الخلافة الكاذبة، موقع جريدة المصري اليوم، بتاريخ: ٢٢/٠٦/٢٠١٦م، الرابط: http://www.almasryalyoum.com/news/details/٩٦٨٧٣٦

٦- سالم الكتبي، جدل تجديد الخطاب الديني، موقع إيلاف، بتاريخ: ٧ أغسطس ٢٠١٥م.

٧- جمال نصار، الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ: ٢٠ مايو ٢٠١٥م، الرابط: http://studies.aljazeera.net/ar/issues/٢٠١٥٥٢٠٦٣٠١٩٠٤٤٨/٠٥/٢٠١٥.html#a٧

٨- انظر: محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأميركاني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص:٧-٨.

أدار الندوة: علاء عبدالفتاح
أعدها للنشر: عبدالسلام الشبراوي
محمود خليفة
تصوير: عمرو طه



ندوة «الوعي الإسلامي» لمكافحة الفكر الإلحادي

استهل رئيس التحرير ندوة مكافحة الفكر الإلحادي بقولة: بداية يسرنا أن نرحب بضيوف ندوتنا الكرام الذين لبوا دعوتنا ويسعدنا أن يكون معنا في هذه الندوة د. محمد العوضي الداعية والمفكر الإسلامي والمدير التنفيذي لمركز رواسخ للدراسات والأبحاث وهو مركز متخصص في مناقشة القضايا الفكرية المعاصرة ومعالجة أطروحات الشكوك والإلحاد، وأيضا يشرفنا أن يكون معنا د. مطلق الجاسر العميد المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ومدير مركز بينات، وهو مركز شرعي يعنى بتعزيز اليقين بأصول الإسلام ونقض شبهات خصومه.

وتعد هذه الندوة هي الندوة الأولى لمجلة «الوعي الإسلامي»، وقد خصصت لمناقشة مسألة الإلحاد وخطورتها وكيفية مواجهتها بالحوار والفكر الوسطي المستنير ونأمل أن تكون ندوتنا الحوارية هذه بداية لسلسلة من الندوات التي تناقش قضايا مهمة تفيد القراء جميعهم وتنير زوايا فكرية ترتفع بها طاقاتنا على العمل في سبيل خدمة الدين والأمة من خلال إستراتيجية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

والآن نترك الكلمة للضيفين الكريمين لذكر نبذة سريعة عن الإلحاد ثم يدير الندوة محرر «الوعي الإسلامي» الزميل علاء عبدالفتاح.

د. محمد العوضي: عند معتنقي الفكر الإلحادي لا يشترط أن يتخذ الشخص موقفا مضادا للدين بل يكفي في نظرهم أن تهتز ثقة المسلم في دينه ويعيش حائرا لديه قابلية لترك الإسلام، وهذه الحالة لا تقل خطرا عن الإلحاد وهي الأكثر انتشارا بين الجيل الجديد الذي تعرض لسيل الشبهات ضد دينه.

د. مطلق الجاسر: في البداية أتوجه بالشكر لمجلة «الوعي الإسلامي» على هذه الدعوة الكريمة كما أخص بالشكر رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» فهد محمد الخزي على إتاحة هذه الفرصة، وبعد.. فإن موضوع الإلحاد لا يقتصر فقط على الجانب الفكري، فهناك عدة زوايا لابد أن ننظر للموضوع من خلالها، كرد فعل الشباب على من يحسب على التيار الديني، وهنا ينبغي أن تلغى الفروق بين الناس لاسيما ما يسمى بالتيار الإسلامي وغير الإسلامي، فهذه التفرقة والفجوة وتصنيف الناس إلى إسلاميين وغير إسلاميين لها الكثير من الآثار السلبية على المجتمع كذلك للجانب النفسي دور في انتشار فكر الإلحاد، وأوضح مثال على ذلك الملحد ريتشارد دوكينز وهو من أشهر الملاحدة المعاصرين فقد تعرض للتحرش الجنسي في طفولته من أحد القساوسة.

علاء عبدالفتاح: سوف نتطرق لمناقشة الموضوع بمشيئة الله وفقا



رئيس التحرير ود. مطلق الجاسر متحدثا





لمحاور الندوة الأربعة وهي:

١- رصد الظاهرة ودوافعها ومدى تناميها.

٢- خطورة انتشار الفكر الإلحادي.

٣- كيفية المواجهة بالفكر المستنير.

٤- نماذج تطبيقية على أرض الواقع وجهود فردية أو مؤسسية لمواجهة هذه الظاهرة.

لكن في البداية نود أن نضبط المصطلح ونسأل ما الإلحاد؟ وليتفضل الدكتور مطلق الجاسر ببيان ذلك أولا.

د. مطلق الجاسر: للوقوف على حقيقة الإلحاد ينبغي أن نتطرق إلى أقسامه وأنواع الملاحدة ومن خلال ذلك نستطيع أن نتبين أن تعريف الإلحاد يعني إنكار وجود الله وهو على ٣ أنواع:

١- الإنكار المطلق وفيه:

- إلحاد إيجابي: وهو الذي يدعي صاحبه أنه يملك الأدلة على عدم وجود الله وهذا النوع لا يدعيه ملحد عاقل لأنه سوف يطالب بالدليل على صحة ما يدعيه.

- إلحاد سلبي: وهو الذي يؤمن صاحبه بعدم وجود الله ولكنه يقول إنه لا يملك الدليل على ذلك.

٢- إلحاد الربوبية: هو الإيمان أو الاعتقاد بوجود قوة خارقة خلقت الكون من العدم لكنها تركت الخلق دون تكليف أو دين ومن أبرز أصحاب هذا الفكر الفلاسفة الإغريق.

٣- اللاأدرية: وهم أكثر الملاحدة عددا وهو الذي ينكر أبسط الحقائق بل بحجة أنه لا يدري.

العوضي: الإلحاد ليس ظاهرة وإنما ظهور ومركز رواسخ خير شاهد

- علاء عبدالفتاح: نتطرق إلى المحور الأول وهو رصد الظاهرة ومدى تناميها فمن خلال رصد بسيط على محرك البحث جوجل لاحظنا وجود العديد من الصفحات المتخصصة في بث الفكر الإلحادي والدفاع عنه مثل صفحة ملحد وأفتخر أو موقع الإلحاد هو الحل وقناة ملحدين العرب وغيرها. وليتفضل الإخوة الحضور بطرح ما يخص هذا المحور من أسئلة على الضيفين الكريمين.

عبد السلام الشبراوي: هل الإلحاد يصل لمستوى الظاهرة أم هو مجرد ظهور؟

د. محمد العوضي: للإجابة عن هذا السؤال نرجع إلى تعريف الظاهرة وهو أن تتنوع انتشارا وتتسارع زمنا إلى أن تستعصي على الحلول النمطية وأن تنتقل من جانب رغبوي إلى تأصيل فكري وبالتالي أرى أن الإلحاد أقرب لكونه ظهورا وليس ظاهرة.

م. محمود صقر: كيف يمكن رصد الأمر؟ هل في مجال كوننا كمسلمين وعرب أم من حيث الانتشار العالمي؟

د. مطلق الجاسر: من الصعب رصد هذه الحالة لأن شبابنا يميل إلى التكتم فبالتالي يصعب رصد انتشار فكر أصحابه يتكتمون عليه.

د. محمد العوضي: أعداء الإسلام حاولوا تضخيم الأمر لطرحه كظاهرة من خلال إحصائيات مبنية على مقاييس ومعايير كاذبة وكذلك على أساس زيادة أعداد المتابعين لتلك الصفحات على صفحات التواصل الاجتماعي من خلال حسابات وهمية.

د. تركي النصر: كإمام في مسجد لا يهمني أن تكون كلمة الإلحاد ظاهرة أم غير ظاهرة فلو ألحد مسلم واحد من أبناء المسلمين لكن ذلك كافيا لاستنفار الجهود.

كمال أمين: ما دوافع الإلحاد؟

د. محمد العوضي: بعض الأسباب تكون كامنة والأخرى واضحة وهي أيضا أسباب متعددة ومختلفة تبعا لاختلاف المجتمعات فقد يكون السبب القدوة السيئة قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة:٥). كذلك قد يكون السبب سقوط النموذج التطبيقي للإسلام فالمواقع الإلحادية تجدها مستندة في تشويه صورة الإلحاد إلى ما يبثه تنظيم إرهابي عبر قنواته.

الجاسر: عدد لا بأس به عاد إلى الإسلام بعد محاورته في مركز بينات

د. مطلق الجاسر: كذلك من هذه الأسباب اتباع الشهوات، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا ما صرح لي به أحد الشباب فقال: إن سبب إلحاده هو هروبه من تأنيب الضمير على الموبقات التي يفعلها واعتقاده أن خروجه من الإسلام سيخفف وطأة ضميره لكونه مسلما ويعصي وهنا يأتي دور الداعية الذي يبعد الناس عن القنوط من رحمة الله.

السؤال للأخ كمال أمين: هل هناك علاقة بين الإلحاد والعلمانية؟

د. مطلق: العلمانية لها علاقة وثيقة وقوية بالإلحاد، فالعلمانية أصبحت ستارا للإلحاد في العالم الإسلامي ففي مجتمعاتنا لا يجرؤ أحد على التصريح بأنه ملحد لكن يستطيع التصريح بأنه علماني.

كما أن العلمانية تفتح باب الإلحاد على مصراعيه إذا ترسخ مفهومها بيننا فالعلمانية هي: فصل الدين عن الحياة وليس فقط عن السياسة وقصر الدين على الشخص نفسه.

علاء عبدالفتاح: ننتقل إلى المحور




د. محمد العوضي



الثاني وهو يثير التساؤل عن مدى خطورة انتشار الفكر الإلحادي ولنستمع إلى رأي الدكتور مطلق الجاسر أولا.

د. مطلق: أخطر ما يشكله الإلحاد هو عدم وجود خطوط حمراء فقد سألني أحد الشباب الذي أقدم على فكرة الإلحاد قائلا: لماذا تمنعون المخدرات؟ فسألته لو كان الأمر بيدك هل كنت أبحتها؟ فأجاب: لو كان الأمر بيدي ما منعت شيئا من هذه المحرمات أبدا، وهذا الكلام يشكل خطراً على مجتمعنا الإسلامي.

د. تركي النصر: عندما يشككون المسلم في عقيدته فإنهم يضعونه في الدونية، وعندما يضعونه في الدونية تتدخل شهوة تقليد الأدنى للأعلى وهو التقليد الأعمى للغرب الملحد.

د. محمد العوضي: أوافقك الرأي فالانبهار يؤدي إلى الانصهار والانصهار يؤدي إلى الاندثار.

حمام الورداني: هل هناك خطورة من مدعي الثقافة بشأن نشر هذا الفكر؟

د. مطلق الجاسر: بالفعل هناك خطورة خاصة مع تنوع وسائل الإعلام والتواصل سواء رسمية أو غير رسمية.

علاء عبدالفتاح: في المحور الثالث نتحدث عن كيفية المواجهة بشكل عام وعلى من يرغب من الحضور طرح الأسئلة في هذا الشأن فليتفضل.

كمال أمين: هل المناهج التربوية في العالم الإسلامي كافية لمواجهة تلك المشكلة المعاصرة؟

د. مطلق الجاسر: أرى أن هذه المناهج غير كافية تحديدا المناهج الشرعية فهناك فجوة بين هذه المناهج وبين الواقع.

حمام الورداني: هل اتسع الخرق على الراقع؟

د. مطلق الجاسر: لا لم يتسع الخرق على الراقع؛ فأمة الإسلام قد تضعف في بعض الأزمنة لكنها لا تموت، وهذه سنة الله في هذا الدين، وهذا وعد الله لنا، وإذا نظرنا للأمر من زاوية إيجابية فسنجد أن فيه خيرا وهو استنهاض همم طلاب العلم والمسلمين والعلماء.

لكن المواجهة ليست سهلة في خضم الحروب الموجهة لخدمة هذا الفكر من خلال وسائل التواصل وكذلك بعض الفنون البصرية كالسينما.

علاء عبدالفتاح: هل أنت مع زيادة الإنتاج السينمائي لمواجهة هذا الفكر؟

د. مطلق الجاسر: نعم لكن وفق ضوابط شرعية خاصة.

د. تركي النصر: هل تجد أننا كطلبة علم في حاجة لدراسة الفلسفة والمنطق لمواجهة هذا الفكر؟

د. مطلق الجاسر: نعم نحن في حاجة لدراسة هذه المواد فهي اللغة التي يتحدث بها الملحدون، لكن لا أدعو جميع طلاب العلم لدراسة الفلسفة وإنما فقط الذي يريد أن يتصدى لهذا الملف.

د. محمد العوضي: أرى كذلك أننا بحاجة لذلك ويمكن أن تدرس الفلسفة عن طريق نظرية المعرفة فالفلسفة التي تدرس للطلاب في المراحل التعليمية المختلفة ما هي إلا تعريفات ونظريات دون وجود



• إن كنت تبحث عن الحق
• أو تعرف من تأثر بالشبهات
• أو راودته الشكوك في أصول الدين
ففريقنا على استعداد لحواره ،
وإعادته إلى فطرته السليمة بإذن الله..

لـرأي المسلم فيها إذن، نعم نحن بحاجة إلى دراسة الفلسفة لكن من منظورنا نحن كمسلمين.

د. تركي النصر: أعداء الأمة اليوم غايتهم الفوضى أكثر مما ينتج عن الفوضى وهذا ما يحاولون زرعه بين صفوف المسلمين والشباب ولهذا ينبغي أن نركز على ردة فعل الكثير من الشباب من طلاب العلم خاصة العلم الشرعي على تغيير كثير من مواقف علماء الأمـة، ففقد الثقة في العلماء يساهم في فقد الثقة فيما يحملون وبالتالي فقد الثقة في الدين، ومن هنا على الكل مراقبة سلوكه.

- علاء عبدالفتاح: اسمحوا لنا أن نختم بالانتقال إلى المحور الرابع وهو يختص بذكر تطبيقات عملية وجهود تتم حاليا بالفعل لمواجهة هذا الفكر ولعل ضيفينا الكريمين يحدثانا عن مركز رواسخ ومركز بينات كنموذجين للمواجهة التطبيقية.

د. محمد العوضي: مركز رواسخ من ضمن المراكز المتخصصة لمعالجة القضايا الفكرية المعاصرة ذات الصلة بهوية الأمة ورد الشبهات الموجهة ضد عقيدتها وفق أسس عقلية وعلمية ومنهجية وذلـك مـن خـلال تأليف الكتب والبحوث التأصيلية وترجمة كتب عالمية وإقامة الندوات وورش الحوار وإنتاج المواد المرئية النوعية ومد جسور التواصل مع الجمهور وخاصة الشباب عن بُعد عبر وسائل التواصل وعن قرب بالزيارات المباشرة لأماكن وجودهم، ومقر المركز في برج الجاز منطقة شرق.

د. مطلق الجاسر: مركز بينات هو مركز شبابي عمره سنتان وهو من باب تكميل الجهود؛ فقد رأينا أن بعض المراكز في العالم الإسلامي اهتمت بالجانب البحثي كتأليف وترجمة الكتب، فقلنا لماذا لا نهتم نحن بالتداخل مع الشباب من خلال خط ساخن نستقبل فيه الأسئلة وطلبات الحوار؟!

مع تخصيص لجنة نسائية لأسئلة السيدات ومن خلال جلساتنا نحمد الله أن عددا لا بأس به عاد إلى الإسلام، وكذلك نقوم بعمل دورات واستضافة متخصصين كما تم في دورة امتدت إلى ٢٢ يوما بعدما كانت مكثفة لمدة ٥ أيام وصدرت عنها كتب وفاعليات كما وصل عدد المسجلين بها إلى ٨٠٠ شخص.

رئيس التحرير فهد محمد الخزي: نشكر الحضور جميعا ونعرب عن سعادتنا بهذه الندوة وبوجود الضيفين الكريمين: د. محمد العوضي، ود. مطلق الجاسر، وأتمنى مزيدا من الحوار لصالح خدمة الدين حتى يكون هناك زخم وقوة يصبان في تيار القضاء على مثل هذه الأفكار المدمرة.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي - مصر

انهيار الأسرة تراجع حضاري

لعل من إحدى الحسنات الباقية في الحالة العربية والإسلامية، رغم ما تبدو عليه من تراجع حضاري بوجه عام، ومن وضع مزر لا يخفى على أحد؛ أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية مازالت تحتفظ بتلك النواة الصلبة «الأسرة»، مع ما يمكن أن يقال عما أصابها من عيوب وأمراض.

إن الأسرة من المنظور الإسلامي ليست مجرد شراكة بين فردين قررا العيش معا، وإنما هي «نواة صلبة» لمجتمع متماسك ينتظر منه أن يمارس دوره، وأن يقوم بوظيفته في المعادلة الحضارية.

ولأن الإسلام يمتلك رؤية مميزة ومتمايزة عن غيره، فيما يتصل بمفهوم «الحضارة»، فإنه بالتالي يمتلك رؤية مميزة ومتمايزة فيما يتصل بمفهوم «الأسرة» ووظيفتها.

ونحن نرى أن في رؤى ومناهج غير الإسلام، تم التحلل من الأسرة ومن شروطها والتزاماتها، التي صار

ينظر إليها باعتبارها عبئا وقيدا، وليست سياجا وحماية.. وحلت «الدولة» محل الأسرة في رعاية الأبناء، من حيث الجانب المادي فقط بالطبع، بل لم يعد مفهوم الأسرة ذاته مجرد علاقة بين رجل وامرأة، وإنما تعددت الأشكال والأنماط (بين رجل ورجل، وامرأة وامرأة)، ولم تعد للأسرة وظيفة ودور بالنسبة إلى الفرد والمجتمع، وإنما أمست تتمحور حول الفرد ونزواته.. وأصبح المجتمع مكونا من مجموعة أفراد لا من مجموعة أسر.. حتى الأسرة التي تبقت هناك- شكلا- فقدت ما يميزها ويجعل منها «أسرة» على النحو المطلوب.

هذا كله، يبين لنا مكانة الأسرة في منظور الإسلام، ودورها المنتظر في البناء الحضاري؛ الذي ليس بناء ماديا فحسب، وإنما يتخذ من المادة سلما للبناء المعنوي الروحي الإنساني القيمي.. فبهذا وحده يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات والجمادات.

وبالتالي، فالطلاق ليس مجرد إنهاء لعلاقة زوجية، كما يمكن أن ينظر إليه على المستوى الضيق؛ وإنما هو ثغرة في هذا الجدار المجتمعي الذي ينبغي أن يكون متماسكا ليتمكن من أداء دوره ورسالته.

نعم، الطلاق أمر وارد شرعا وعقلا، لكنه «أبغض الحلال إلى الله»، كما جاء في حديث ابن عمر[1].. ولكنه أيضا يصلح كمؤشر قوي ومعتبر على حالة المجتمع ككل؛ تماسكا أو تفككا.. ولهذا ينبغي ألا نتناوله بمعزل عن حالة المجتمع ووضعه الحضاري.

فالأسرة والمجتمع بينهما علاقة مستطرقة، ويؤثر أحدهما في الآخر، ولا يمكن إصلاح طرف منهما دون النهوض بالآخر.

من أسباب انتشار الطلاق اختفاء الأسر الممتدة

في الأسباب

هناك الكثير مما يمكن أن يقال عن أسباب انتشار الطلاق والتفكك الأسري، خصوصا في السنوات الأولى من الزواج، التي يكثر فيها الطلاق بنسبة مخيفة كما تشير إحصاءات عدة.. لكنني هنا أريد أن ألفت النظر إلى أسباب محددة أكثر أهمية وتأثيرا، وهي:

أولا: ضعف المجتمع عامة؛ فالمجتمع حينما يكون في حالة تراجع حضاري، وحينما يفتقد البوصلة نحو الأهداف والقيم الكبرى الحقيقية؛ فإن لبنات هذا المجتمع (الأسر) تكون عرضة بدرجة أكبر للتفكك والتحلل.

ثانيا: اختفاء «الأسر الممتدة»؛ أشرنا إلى أن العلاقة الزوجية ليست مجرد علاقة بين فردين وإنما بين أسرتين، ويمكن القول أيضا إنها علاقة بين عائلتين بكل أسرهما الصغيرة.. ومتى كانت الأسرة الصغيرة ممتدة الجذور والفروع داخل العائلة الواحدة أو العائلتين معا، أمكن احتواء ما ينشب بين الزوجين من خلاف ونزاع قبل أن يتفاقما.

ولهذا من المهم أن نعيد اللحمة إلى مفهوم «الأسرة الممتدة»، التي تتجاوز الفردية إلى العلاقات المتشابكة داخل العائلة والعائلتين.

ثالثا: التنشئة الأسرية غير الصحيحة؛ فعدم قيام الأسرة بدورها في غرس القيم والمفاهيم عند الأبناء، يجعل هؤلاء الأبناء غير قادرين على النجاح في الاختبار الأسري، وغير مدركين أصلا لمعنى الأسرة وأهميتها ودورها.

الأسرة ليست علاقة بين فردين لإشباع الغرائز، ولكنها محضن تربوي ونفسي واجتماعي.. ولابد لنجاحها من تشبع الزوجين بمجموعة من القيم والمهارات والسلوكيات؛ على رأسها: قيم المسؤولية، والتفاهم، والإيثار، والتفاعل، والتضحية؛ بجانب إدراك أهمية الأسرة في حياة الفرد والمجتمع، وأنها ضرورة وليست ترفا.

وهنا من المهم التنبيه إلى أن سلوكيات الوالدين بعضهم مع بعض، من حيث التفاهم والاحترام والثقة والحوار وغير ذلك، تنطبع آثارها على الأبناء، ويعيدون تطبيقها تلقائيا في حياتهم الجديدة.. ومن ثم، فعلى الآباء أن يجعلوا من أنفسهم قدوة لأبنائهم منذ الصغر؛ حتى لا يحصدوا الندم بعد ذلك، حين لا يتربى الأبناء على المسؤولية، وعلى احترام شريك حياتهم وإدارة علاقة سوية معه، بل إدارة الخلاف معه بما يحفظ حقوق كل طرف ولا يجور عليها.

الترابط الأسري

لقد جعل الله سبحانه إقامة الأسرة على المودة والرحمة آية من آياته، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

ومـن أجـل تحقيق هـذه الـغـايـة من تكوين الأسرة، وهي أن تكون «سكنا» للـزوجين، شـرع الإسـلام جملة من الآداب والتوجيهات، بدءا من أسس اختيار الـزوجين، وآداب الخطبة، وشـروط الـنـكـاح، وكيفية معاملة الـزوجين بعضهما لبعض، ورعاية أبنائهما، إلى تشريع الطلاق وآدابه، وما يترتب عليه من حقوق مادية ومعنوية تشمل حفظ حقوق الأولاد.. وحتى في حالات النزاع أمر الإسلام إما بـالإمـسـاك واسـتـمـرار العلاقة بـالمـعـروف، أو الـطـلاق والمـفـارقـة بإحسان، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

كل ذلـك يجعل مـن «الأسـرة» التي يسعـى الإسـلام إلـى إقـامـتـهـا في المجـتـمـع، نـمـوذجـا فـاضـلا لعلاقة الرجل بالمرأة، في تكامل ووئام، يشد من تماسك المجتمع المسلم، ويقوي لبناته.

ولـنـا فـي شـهـادات الغربيين الذين أسلموا شاهد قوي على هذا الجانب الذي يتميز به الإسلام، والذي دفعهم للدخول في رحابه.. تقول الأميركية لمياء: «إن أكثر ما يثير إعجابي تلك الروابط الأسرية الوثيقة، التي تجعل الـفـرد مطمئنا بـأن هـنـاك، وعلى الدوام، شخصا ما بالقرب منه، على استعداد لمد يد العون إليه، وتقديم الـرعـايـة لـه؛ ولـذلـك قـلـمـا يـوجـد أي إحـسـاس بـالـوحـدة فـي المجتمع المسلم»[٢].

كما تذكر الفتاة الأميركية هدى ما أعجبها في الإسـلام، فتقول: «لقد أذهلتني شـدة حـرص الإسـلام على علاقة الـزوج بزوجته، وبيان معايير الاختيار السليم... لتكوين الأسـرة التي تسودها المودة والألفة»[٣].

ومما يساعد على إدراك تلك القيم النبيلة الـتـي تـقـوم عليها الأسـرة المسلمة، التـعـرف عـلـى مـا تعانيه المرأة في المجتمع الغربي القائم على الفردية والنفعية، وليس فيه مكان للترابط والـتـراحـم، ولـذلـك تحكي هـدى عـن مـعـانـاتـهـا فـي المجتمع، فتقول: «لقد ضقت بماديات الغرب وجفاف المعاملة بين الناس، حتى في الأسرة الواحدة التي تأخذها مشاغل الحـيـاة، مـن دون أن يشعر بعضهم ببعض؛ فلا مكان للمشاعر إلا من باب المصلحة العامة، في حين يحرص عليها الإسلام كقيمة في حد ذاتها، وكفضيلة تقصد لذاتها»[٤].

النظام الاجتماعي الإسلامي هو الأكثر جذبا للدخول في الإسلام

نظرة مقارنة

إن مـن يـطـالـع شـهـادات أولـئـك الداخلين في الإسلام من الغربيين وغيرهم، يـدرك بجلاء أن «النظام الاجتماعي» هو الأكثر جذبا لهؤلاء مـن بـين نـظـم الإسـلام الأخـرى.. ذلك أن الغرب تحديدا بينما يشهد تقدما في مجالات الحياة المختلفة؛ السياسية والاقتصادية والإدارية... إلـخ، فإنه يشهد تراجعا موازيا في المجال الاجتماعي، في الوقت الذي تـحـرص فيه المجتمعات الإسلامية، ولو بدرجة ما، على القيم الإسلامية، وتسعى نحو ترسيخها.

فتماسك المجتمع الإسلامي والالتزام بالآداب والقيم الإسلامية التي تقوم على الأخوة بين المسلمين، والتسامح مـع غـيـرهـم، وحـفـظ حـقـوقـهـم؛ وتقوم أيضا على الترابط الأسـري المرتكز على المودة والرحمة، وحفظ الأعراض والأنساب.. كل ذلك يقابله تفسخ المجتمعات الغربية، وانهيارها الأسري، وتحللها الأخلاقي، وازدراء المـرأة فـي الـحـقـيـقـة، واسـتـهـجـان المفاهيم الإنسانية مثل: العرض والشرف والبكارة، وإحـلال مكانها مفاهيم «الجندر» و«الأسـرة المتعددة الأشـكـال» ومـا يـسـمـى «حـقـوق الـشـواذ».. إلـى غير ذلك مما تأباه الفطرة السليمة.

فـهـؤلاء الـغـربـيـون حينما ينظرون إلـى المجـتـمـعـات الإسـلامـيـة، رغم أنها تعيش حـالـة تـراجـع حضاري، ويـقـارنـونـهـا بمجـتـمـعـاتـهـم، فإنهم يعجبون بتماسكها، وقـدرتـهـا على الانسجام والتواصل، والتراحم إلى حد ما، ومن ثم يبحثون عن سر ذلك التماسك، فكما قيل: «وبضدها تتميز الأشياء».

ولـذا، علينا أن نعيد التماسك إلى مجـتـمـعـاتـنـا، وأن نـدرك أن هـذا التماسك للمجتمع ككل هو «حزام الأمان» للأسرة الصغيرة من التفكك والـتـحـلـل.. إضـافـة إلـى معالجة الأسـبـاب الـتـي أشـرنـا إلـى بعضها بإيجاز.

بـهـذا، نتجنب بـقـدر كـبـيـر حـالات الطلاق الآخـذة في التزايد، والتي تمثل تراجعا حضاريا علينا أن ننتبه إليه، وأن نأخذه على محمل الجد من دون تهاون.. كما يكون باستطاعتنا أن نعيد لمجتمعاتنا وأسرنا لحمتها الـقـويـة، ونسيجها المـتـرابـط؛ ذلك النسيج الذي يمثل شرطا فاعلا من شروط المعادلة الحضارية.

الهوامش

١- رواه أبـو داود وابـن مـاجـه، وصححه الحاكم، وضعفه الألباني.

٢- «الجانب الخفي وراء إسـلام هـؤلاء»، محمد كامل عبدالصمد، ٣/١٣٦، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٥م.

٣- المصدر نفسه، ٣/٨٧.

٤- المصدر نفسه، ٣/٨٨.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفكر الإسلامي - المغرب

العنف الزوجي وآثاره النفسية

إن المتتبع للشأن العالمي اليوم، سيلاحظ، من دون شك، ما حققه الإنسان من تقدم على جميع الأصعدة، إلا أنه على الرغم من ذلك يبقى هناك الكثير من المظاهر السلبية التي تؤرق العالم، من ذلك ظاهرة العنف الزوجي، الموجه خصوصا نحو المرأة، فهو يمثل ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار، حيث يمارسه الأزواج بأساليب وأشكال متعددة، معتبرين أنه حق من حقوقهم لكن في الواقع يجب التأكيد على أن العنف الزوجي سلوك مرفوض ومجرم في معظم الدول، وذلك لما له من انعكاسات سلبية على كيان الأسرة وسلامة أفرادها وأمنهم وحقوقهم.

مفهوم العنف الزوجي

العنف كما تعرفه موسوعة علم النفس هو «السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه. وهو، عادة، سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا، كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره»(١).

أما العنف الزوجي، فهو «أي فعل يقترفه الزوج وينجم عنه، أو يحتمل أن ينجم عنه، أذى أو معاناة نفسية أو جسمية أو مالية للزوجة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية»(٢).

أشكال العنف الزوجي

يقع العنف الزوجي في أربعة أشكال رئيسية وهي:

١- **العنف النفسي**: وهو أي فعل يقترفه الزوج وينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى نفسي للزوجة، والهدف منه إلحاق الإيذاء المعنوي

بالمرأة والتسبب في معاناتها نفسيا، ويعتبر من أخطر أنواع العنف؛ لأنه غير محسوس ولا يترك آثارا واضحة مادية، وبالتالي يصعب إثباته والاعتراف بوجوده من الناحية القانونية[٣].

وقد ذكرت بعض الدراسات أن العنف النفسي يتجسد في سلوكيات متعددة منها: السخرية، التحرش اللفظي، إطلاق الألقاب التي يقصد منها إشعار المرأة بعدم الكفاءة بغرض إبقائها تحت السيطرة، العزلة التي تفصل المرأة عن محيطها الاجتماعي، الغيرة الشديدة ومراقبة المرأة واتهامها بعدم الإخلاص بشكل متكرر، التهديد اللفظي بالاعتداء أو التعذيب، التهديد المتكرر بالهجر أو الطلاق، تخريب أو تدمير ممتلكاتها الشخصية[٤].

٢- **العنف الجسدي**: وهو أي فعل من قبل الزوج يؤدي أو قد يؤدي إلى إيذاء الزوجة جسديا، ويتراوح هذا الإيذاء ما بين الإيذاء الخفيف والمتوسط والشديد الإصابة، ويعتبر من أكثر أنواع العنف الزوجي وضوحا، وذلك لإمكانية ملاحظته واكتشافه، نظرا لما يتركه من آثار وكدمات ورضوض على الجسم.

٣- **العنف المالي والاقتصادي**: وهو أي فعل من قبل الزوج يؤدي إلى إيذاء الزوجة ماليا واقتصاديا، وقد يتخذ أشكالا متنوعة منها: منع الزوجة من العمل مع عدم إعطائها إلا القليل من النقود وإخضاعها لمراقبة صارمة لمصاريفها، منع الزوجة من الوصول إلى مواردها المادية، إجبار الزوجة العاملة على تسليم صكها البنكي للرجل، استعمال وصرف راتبها دون إذنها أو إعلامها أين تصرف أموالها، الاستيلاء على ممتلكاتها الشخصية مثل الحلي وغيرها، عدم الإنفاق عليها وحرمانها من احتياجاتها الضرورية كالملبس والمأكل والتطبيب وغير ذلك.

٤- **العنف الجنسي**: وهو أي فعل من قبل الزوج يؤدي إلى إيذاء الزوجة جنسيا، ويعتبر أحد مظاهر العنف المزعجة والخطيرة، خصوصا أنه غالبا ما يبقى طي الكتمان نتيجة خجل الزوجة، فهو سلوك يصدر في إطار العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، ويسبب معاناة أو آلاما جسمية أو نفسية[٥].

تختلف العوامل المسببة للعنف بحسب القيم السائدة في المجتمع

العوامل المسببة للعنف الزوجي

يعد العنف الزوجي أحد المظاهر السلبية التي تعاني منها المجتمعات الشرقية والغربية على حد السواء، وتختلف العوامل المسببة له بحسب المجتمع والثقافة والقيم السائدة في ذلك المجتمع، ويمكن أن نجمل العوامل المسببة لحدوثه فيما يلي:

العوامل النفسية: وتتمثل خصوصا في عدم إشباع حاجات الفرد العاطفية مما يؤدي «إلى فشل الزوجين في الاتصال الجيد بعضهما مع بعض، وعدم القدرة على التفاوض بطريقة عقلانية، والإقناع والاستبصار بمشاكلهما، بل يحدث بينهما نوع من الجدال اللفظي بطريقة تقضي على الشعور باحترام الذات، مما ينمي لديهما مشاعر من النبذ والرفض والاستغناء عن الطرف الآخر، الذي يكون السبب المفجر أو المعجل أو السبب المباشر لحدوث العنف، حيث يلجأ الزوج إلى الاعتداء على زوجته»[٦].

وتتمثل العوامل النفسية أيضا في «شعور الرجل بالنقص وفقدانه الثقة في نفسه، مما يدفعه إلى ممارسة العنف ضد زوجته للتعويض عن ذلك الشعور ولحماية نفسه من مشاعر الفشل والإحباط»[٧].

وبالإضافة إلى ما سبق، هناك عوامل نفسية أخرى ممهدة للعنف الزوجي، تتمثل في احتمال أن يكون الزوج «قد تعرض للضرب في طفولته أو اعتاد مشاهدة ضرب أبيه لأمه، وبالتالي يصبح العنف سلوكا متعلما، وهو حصيلة تاريخ سابق ممتلئ باليأس والإحباط»[٨].

العوامل الاجتماعية: هناك عدة عوامل اجتماعية قد تكون هي السبب في تعنيف الزوج لزوجته، في مقدمتها تنشئته الاجتماعية «بحيث يكون تربى في بيئة عنيفة مما شكل لديه شخصية ضعيفة وغير واثقة، وهذا ما يؤدي به في المستقبل إلى معالجة هذا الضعف بالعنف، بحيث يستقوي على الأضعف منه؛ وهي زوجته. بالإضافة إلى أن الزوج قد يلجأ إلى التقليد والمحاكاة؛ حيث يشاهد في صغره العنف الذي يمارسه والده على والدته فينشأ في أسرة لا تحترم المرأة وتستصغرها، وهذا



ما يجعله في المستقبل يقلد هذا النموذج الذي عاشه في أسرته، فيتعامل بعنف مع زوجته وبناته»[٩].

وتتمثل العوامل الاجتماعية المسببة للعنف الزوجي أيضا في «وجود الأطفال بين الزوجين، مما يدفع الزوجة إلى محاولة الحفاظ على وحدة العائلة والتحمل من أجلهم، خاصة إذا كانت تعتقد أنها تستطيع أن تغير الزوج أو أن الصبر والتحمل والزمن كفيلة بتغييره. أضف إلى ذلك عدم وجود بديل آخر أمام الزوجة، فقد تكون ربة منزل وليس لديها عمل أو دخل، فلا تستطيع هجر منزل الزوجية فتتحمل الأذى حفاظا على مصلحة أسرتها وأبنائها. هذا، وقد يكون العنف الزوجي ناتجا عن رغبة الزوج في الزواج بأخرى أو في الطلاق، مما يجعله يسيء معاملتها بدنيا وجنسيا وعاطفيا من أجل إخضاعها لرغبته رغما عنها، واعتقاده الراسخ أنه رب الأسرة وعلى الجميع الخضوع لأوامره، خاصة زوجته إذا ترسخ في وجدانه أنه يتملكها»[١٠].

العوامل الاقتصادية: وتتمثل على وجه الخصوص في الفقر والبطالة، حيث يصعب على الزوج توفير الحاجيات الضرورية لأفراد الأسرة، مما يؤدي إلى الصراع بين الزوج والزوجة التي تطالبه بتوفير حاجيات البيت، وهذا يجعله يعاني من الضغط أو الإحباط نتيجة عجزه عن القيام بذلك.

وتتمثل العوامل الاقتصادية المسببة للعنف كذلك في «الاستقلال الاقتصادي لبعض النساء الذي يعطيهن شعورا بمنافسة الرجل، فالزوجة الموظفة مثلا تشعر بأنها تعمل مثله أو أكثر وتكسب مثله أو أكثر، ولذلك ترفض أي وصاية عليها أو أن يتمتع الزوج بأي ميزة أو سيطرة عليها، وقد يدخل في هذه الخانة أيضا سعي الزوج إلى الاستحواذ على المدخرات المالية أو راتب الزوجة، وحين تواجهه بالرفض يقوم بهجرها وإهمالها إهمالا كاملا أو إيذائها لفظيا وبدنيا»[١١].

العوامل الثقافية: وتتمثل في التفاوت الثقافي والتعليمي أو المؤهلات الدراسية بين الزوجين، خصوصا إذا كانت الزوجة هي الأعلى مستوى، مما يولد التوتر وعدم التوازن لدى الزوج، فيحاول تعويض هذا النقص، باحثا عن المناسبات التي يمكنه فيها انتقاصها واستصغارها بالشتم والإهانة أو حتى الضرب للسيطرة عليها ومنع تفوقها عليه[١٢].

وفي سياق العوامل الثقافية المسببة للعنف أيضا يدخل جانب «العادات والتقاليد المتجذرة في ثقافات الكثيرين، والتي تحمل في طياتها الأفكار الظالمة لحقوق المرأة وتميز الذكر على الأنثى، حيث تصغر حجمها ودورها، وفي المقابل تضخم حجم الذكر ودوره، وتؤيد هيمنة الذكور وتشجيعهم على ممارسة السلطة والعنف على الإناث في الأسرة منذ الصغر، وتعويدهن بالمقابل على الرضوخ وتقبل العنف وتحمله، بالإضافة إلى ضعف الوازع الديني والفهم الخاطئ لمبدأ القوامة وتبرير استعمال العنف ضد المرأة بأنه الطريقة المثلى لتقويم سلوكها»[١٣].

الآثار النفسية للعنف الزوجي

يترتب على العنف الزوجي مجموعة من الآثار الجانبية؛ الجسدية والنفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية، لذلك قد يكون من الصعب حصر هذه الآثار، وعليه سنقتصر في هذا المقام على الآثار النفسية باعتبارها أخطر ما يمكن أن يترتب على العنف الزوجي، إذ إن «تعرض الزوجة للعنف يولد لديها شعورا بالاضطهاد والنقص وقلة الحيلة وانعدام الثقة بالنفس، وقد تتطور هذه المشاعر لتتحول إلى اكتئاب حاد ودائم، وقد يحدث

لديها أيضا ارتداد سلوكي نتيجة للعنف المتكرر والغضب المشحون بداخلها؛ فتلجأ لتصرفات غير مقبولة ضد المجتمع مثلا، كأن تأخذ الأم سلوكا عنيفا ضد أبنائها فتصب غضبها عليهم دون ذنب، إضافة إلى الانقسام في علاقة الأبناء بوالديهم، حيث يميلون إلى واحد منهما دون الآخر، أو يميل الذكور إلى الأب ويتقمصون دوره وشخصيته»[14].

ومن الآثار النفسية السيئة التي تترتب كذلك على العنف الزوجي «اضمحلال شخصية الزوجة وشل قدرتها على اتخاذ أي قرار، بالإضافة إلى الخوف وفقدان الثقة بالنفس مما يشعر الزوجة دوما بعجزها عن تغيير مسار حياتها وتجنب العنف أو إيقافه، واعتقادها أن أي محاولة في هذا السياق ستزيد الوضع تأزما. يضاف إلى ذلك شعور الزوجة المعنفة بالذنب؛ حيث ترد مسؤولية المشاكل والاضطرابات التي تطرأ على الحياة الزوجية إلى عدم قدرتها على إدارة شؤون أسرتها، فيتولد بذلك عندها الشعور بالإحباط واحتقار الذات»[15].

ومما لاشك فيه أن الآثار النفسية للعنف الزوجي تفضي «إلى أمراض جسدية متنوعة تؤثر سلبا على صحة المرأة ومنها: فقدان الشهية، اضطرابات الدورة الدموية، اضطرابات في المعدة والقولون، اضطرابات في إفراز الغدد، الإصابة بمرض السكري، آلام وأوجاع وصداع في الرأس، الأرق، فقدان مؤقت للذاكرة، البرود الجنسي، الاكتئاب، اليأس...،

العنف الزوجي جزء من العنف العام الموجود في المجتمع

وقد تلجأ المرأة المعنفة إلى إدمان المهدئات أو الإتيان بسلوكيات غير سوية للهروب من المشكلات قد تصل في بعض الحالات إلى محاولة الانتحار»[16].

في ختام هذه الدراسة نخلص إلى أن العنف الزوجي هو جزء من العنف العام الموجود في المجتمعات البشرية، حظي في السنوات الأخيرة باهتمام خاص؛ نظرا لاستفحاله وارتفاع مؤشراته، لهذا أصبحت قضيته إحدى القضايا الرئيسية التي تشغل المؤسسات والمنظمات الدولية التي تسعى جاهدة للحد منه، باعتباره أحد أبرز الأمور الهدامة التي تقوض بناء الأسرة أولا؛ ومن ثم المجتمع والأمة.

الهوامش

١- طه فرج عبدالقادر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار الصباح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص:٥٥١.

٢- انظر: منى الصواف، الصحة النفسية للمرأة العربية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص:١٢.

٣- رجاء مكي، سامي عجم، إشكالية العنف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص:٩١.

٤- انظر: زينب درويش، علاقة بعض المتغيرات النفسية والمعرفية والاجتماعية بمستويات تقبل المرأة للعنف الزوجي، دار البشائر للدراسات والنشر، سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص:٢.

٥- سفيان محمد أبو نجيلة، استراتيجيات مواجهة ضغوط الحياة والصحة النفسية، دار المقداد للطباعة، غزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص:١٩٦-١٩٧.

٦- عبدالرحمن محمد العيسوي، الجريمة والشذوذ العقلي، منشورات الحلبي، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص:٤٧٩.

٧- انظر: سلوى عبدالحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص:٢٩٣.

٨- عبدالرحمن محمد العيسوي، الجريمة والشذوذ العقلي، ص:٢٣٥.

٩- سلوى عبدالحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر، ص:٢٩٣.

١٠- السيد عبدالمعطي محمد أحمد بيومي، علم اجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص:٤٥٧.

١١- قدرة عبدالأمير الهر، العنف ضد الزوجة وعلاقته بالصحة النفسية لدى الزوجات العربيات المعنفات في مدينة مالمو بالسويد، ص:٤٨.

١٢- نفسه، ص:٨٥.

١٣- محمد أبو عليا، اتجاهات ومناح لفهم العنف الأسري، مجلة الثقافة النفسية، العدد ٤١، المجلد ١١، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص:١٢.

١٤- هبة علي حسن، الإساءة إلى المرأة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص:١٨.

١٥- أحمد زايد، الأسرة والطفولة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ص:٢٥٠.

١٦- محمد حمدي الحجار، مدخل إلى علم النفس المرضي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص:٧.



د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية



نصائح لتقليل حالات الطلاق

لقد كثرت في مجتمعاتنا العربية قصص التفكك الأسري والخلافات الزوجية وحالات الطلاق، وأصبحنا نسمع أكثر بتلك الأنواع من القصص التي تؤدي في النهاية إلى هدم كيان الأسرة، التي جعلها الله تعالى الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات السوية المتماسكة؛ فكلما كانت الأسرة أكثر استقرارا، كان أفرادها أكثر اتزانا وإنتاجا وسعادة وتماسكا، وكان المجتمع أكثر ترابطا وسعادة.

وتنبع الإشكالية الأساسية اليوم التي تؤدي في النهاية إلى الطلاق أو الانفصال من أن كلا من الطرفين (الزوج والزوجة) لا يقدر أهمية الزواج والحكمة منه وهي استقرار الزوجين وإفضاء بعضهما لبعض والمودة بينهما أولا، ومن ثم إنشاء أسرة والعناية بها وبأفرادها والحفاظ على تماسكها ثانيا.

ولنقرب الصورة أكثر حتى يتضح المغزى من الفكرة السابقة، فمثلا يقدم الكثير من الرجال في زماننا على اختيار زوجته بناء على معيار واحد فقط وأساسي بالنسبة إليه وهو جمال المرأة، فكثيرا ما يبحث الرجل عن المرأة الجميلة التي يراها هو جميلة وتلقى إعجابا من المجتمع حوله، متناسيا المعايير الأخرى، فأحيانا يهمل السؤال عن عائلتها وأخلاقهم، ويتجاهل الجانب الأخلاقي لها. وكثيرا ما ينسى أو يتناسى الاهتمام بالجانب الديني لدى شريكة المستقبل، ويعتبره جانبا سلبيا ومعيقا أحيانا وهو أن تكون زوجته من المتمسكات بتعاليم الدين الإسلامي، فيكون المعيار الأول والأهم لديه هو الجمال وإبراز جمالها وحسنها للآخرين، ثم المعيار الثاني لديه هو تخصصها الجامعي وشغلها ومكانتها في المجتمع، غاضا طرفه عن أخلاقها وسمعتها وسلوكياتها

مع الآخرين ومع الرجال من حولها، فينسى تماما حين يختارها زوجة أنها من ستربي أبناءه!

وهنا نشير إلى الجانب الأهم والجوهري لاستقرار الزواج عند اختيار رفيقة العمر، هو أن يختار ليس من تلبي رغباته الشخصية والجنسية والنفسية فقط، ولكن من ستساعده أيضا على تكوين أسرة سوية منتجة صالحة، أفرادها ذوو أخلاق عالية وثقافة مجتمعية ووازع ديني، يتقون الله ويتذكرون دائما أن الهدف من الحياة هو عبادة الله تعالى وإعمار الأرض: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) فليس الهدف هو الزواج والتزاوج والإنجاب فقط كما تفعل سائر المخلوقات، فالإنسان مكرم عليها ومميز عنها بأنه ينجب أناسا يساهمون في إعمار الأرض وأناسا مسؤولين عن مجتمعاتهم.

ومن هنا أرى أن الكثير من أسباب الطلاق والتفكك الأسري أساسها إما سوء اختيار الزوج والزوجة من البداية بما لا يتوافق مع أهداف الطرف الآخر، أو إن أحد الطرفين أو كليهما لا يدرك إن الهدف الحقيقي من الزواج هو تكوين الأسرة التي هي نواة المجتمعات الطبيعية.

نصائح لتقليل حالات الطلاق

١- اختر زوجتك أو زوجك اختيارا صحيحا:

وهذا يتم منذ البداية، عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم» (حديث صحيح الإسناد أخرجه ابن ماجه في سننه والحاكم في المستدرك). ومعناه

الحوار بين الزوجين وسيلة لحل المشاكل والخلافات الزوجية

اختر الزوجة الصالحة وذات النسب الحسن والمعروفة بالأخلاق الرفيعة لها ولأسرتها، وكذلك العكس للمرأة أن تختار الزوج الصالح المناسب ذا النسب الجيد، لأن العرق دساس، أي إن الجينات ستنتقل من الزوجين إلى الأبناء وكذلك سلوكياتهما وأخلاقهما، فهما قدوة لأبنائهما، فاختر منذ البداية اختيارا صحيحا لا تندم عليه طوال حياتك.

٢- اظفر بذات الدين:

وضح رسول الله ﷺ المعايير التي على أساسها يتم اختيار الرجال غالبا لنسائهم، وجعل أهمها المعيار الديني؛ لأن الدين في الحقيقة حينما يفهم بشكل صحيح فإنه الوازع الأهم في ردع الإنسان عن الأخطاء والأخلاق الذميمة والتسرع بالطلاق، فالدين معين على اتباع الفضائل والتمسك بالأسرة، ولذلك قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه أبو داود والنسائي). وهذا التوجيه الديني من أجمل وأهم النصائح الزوجية التي نحتاج إليها في زماننا.

٣- أهمية الحوار بين الزوجين:

من المهم جدا الحوار بين الزوجين من أجل التفاهم والتوصل إلى حلول للمشاكل والمواضيع المختلف عليها، فلا يجدي الصراخ أو فرض الآراء من أحد الطرفين على الآخر، فلابد من التحاور بهدوء ومحاولة توضيح إيجابيات الفكرة وسلبياتها من أجل إقناع الطرف الآخر. والحوار أسلوب راق للتفاهم وأسلوب صحي مفيد أمام الأبناء يؤدي بهم إلى الاستقرار النفسي ومحبة كلا الوالدين وتقبل المجتمع.

٤- الصبر وتحمل الأخطاء والهفوات:

ننصح كلا الطرفين بالصبر على هفوات وطباع الطرف الآخر التي يمكن احتمالها، فلا يمكن أن يكون كلا الزوجين نسخة من الآخر، فلكل منهما شخصيته وعاداته وطباعه وهي تحتاج إلى وقت ليألفها الطرف الآخر، خصوصا في سنوات الزواج الأولى. فلابد من الصبر والتحمل فلا يمكن للحياة أن تستمر إن كان أحد الطرفين، خصوصا الزوج، شديد العصبية، يهتاج بسرعة، قليل الصبر ويتلفظ بألفاظ الطلاق لأدنى عملية استفزاز، فالمرأة قد تخطئ أحيانا من دون قصد، فعلى الرجل تدارك الأمر والصبر والتحاور.

٥- تذكر الهدف من الزواج:

على الزوجين حين يبدأ الخلاف بينهما التفكير في الهدف الأساسي من الزواج، وهو السكينة والمودة والاستقرار النفسي للرجل والمرأة وتكوين أسرة والمحافظة عليها وذلك قبل الإقدام على قرار الانفصال؛ لأن الخاسر الأكبر سيكون الأطفال، ومن ثم المرأة، ومن ثم الرجل، فلن يتم الطلاق من دون خسائر، وغالبا ما يحدث الندم بعد الطلاق من كلا الطرفين.

٦- التروي قبل إصدار حكم الطلاق:

للأسف نرى أن الكثير من الشباب والشابات يتهاونون في قضايا الزواج



والطلاق، خصوصا من يمتلكون القدرات المالية، فعند أقل محاورة تتطور الأمور إلى مجادلة، ثم صراخ، وأحيانا ضرب وطلاق، ويكون الأمر قد بدأ من نقطة خلاف بسيطة لا تستحق كل هذه التطورات، ولو فكروا قليلا لما وصلوا إلى الخلاف والانفصال وخسارة الأسرة. فترو أيها الشاب، وكوني ذكية أيتها المرأة، فإن رأيت زوجك في قمة الغضب والإثارة فلا تستمري في الكلام والمجادلة حتى يهدأ وإلا فإن الأمور ستتطور إلى ما لا تحمد عقباه.

آثار الطلاق

إن الإقدام على الطلاق يفترض أن يكون هو آخر الحلول بين الزوجين، خصوصا أن أبغض الحلال عند الله الطلاق، لأن الطلاق تدمير للأسرة، وله آثارا سلبية كثيرة، نذكر منها:

١- آثار نفسية على الأطفال:

الطلاق أو الانفصال بين الوالدين يسبب المشاكل النفسية والجسدية والاجتماعية للطفل، فوجد بالدراسات النفسية والأسرية أن الطفل الذي يكون والداه منفصلين يتصف بالعزلة الاجتماعية، وأحيانا العكس، يتصف بالتنمر والعدوانية والعنف، ويتصف بالحزن المستمر والاكتئاب، وقلة الاهتمام بالمظهر والنظافة الشخصية ونظافة الملابس لقلة المتابعة من الأم خاصة، وأحيانا يعاني التلعثم بالكلام وتأخر النطق إن كان صغيرا، وكثيرا ما يتصف بالتوتر والهيجان. ووجد أيضا أن الكثير من هؤلاء الأطفال يتصفون بضعف التحصيل المدرسي، فكثيرا ما تنخفض علاماتهم المدرسية نتيجة انفصال الوالدين والتفكير في مصيره وحاله ومستقبله. ويتصف أبناء المطلقين بحالة من الإحباط والشعور بالفشل والخوف من الآخرين، ووجد أيضا أن الطلاق يؤثر حتى على صحتهم الجسدية فقد يصابون بالهزال، وهو الضعف العام، وقلة النشاط، وأحيانا الأنيميا نتيجة قلة الاهتمام بطعامه، وكذلك وجدت زيادة أمراض ضيق التنفس كالربو وأمراض القلب والنطق.

٢- آثار اجتماعية:

ومن آثار الطلاق على المجتمعات زيادة معدلات الإجرام لدى أبناء المطلقين والمنفصلين، كزيادة حالات السرقة أو القتل أو التنازع مع الآخرين ودخول السجن، وزيادة حالات تعاطي المخدرات والمسكرات والتدخين، ومصاحبة رفقاء السوء ومصاحبة الجنس الآخر.. كلها تزداد نتيجة بعد الوالدين عن الابن أو الابنة، وأحيانا يحاول الابن معاقبة والديه أو معاقبة نفسه من خلال هذه الطريقة. ووجد أيضا أن حالات الانتحار تزداد في الأسر المفككة والمنفصلة، فالتفكك الأسري لا يأتي بخير، والصبر كان خيارا أفضل بين الطرفين، لكن الجهل من الزوجين والعصبية والتعجل وسوء الأخلاق وأحيانا الفقر الشديد أو الغنى الزائد.. هي عوامل كلها تزيد من حالات الطلاق.

٣- آثار على الزوجة المطلقة:

ومن آثار الطلاق السلبية ما يحدث للأم نفسها، حيث تكون راغبة بشدة في الطلاق وتطالب به نتيجة سوء المعاملة من الزوج ونفاد صبرها على معاملته، إلا أنها بعد الطلاق قد تعاني، في مجتمعاتنا العربية، من أن تجد وظيفة تنفق بها على نفسها وأبنائها، خصوصا إن ترك الزوج الأبناء لها ولم ينفق عليهم، وتعاني من كثرة طلبات الأبناء وحاجاتهم من مأكل ومسكن وملبس وتنقلات.. وغيرها، وهي غير قادرة على توفيرها وحدها.

حكمة مشروعية الطلاق

إن الطلاق في الإسلام شرع لحكم، أهمها حل مشكلة كبيرة، وهي تعسر أن تستمر الحياة الزوجية بأي طريقة من

من العادات الخاطئة ترك المطلقة منزل الزوجية فترة العدة

الطرق، وبعد صبر كلا الطرفين على الآخر، وبعد كل محاولات الإصلاح بين الزوجين ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥).

لقد جعل الله تعالى الطلاق صعبا غير مرغوب فيه، وحدده بمرتين فقط وبعد الثالثة لا يمكن العودة إلا بشروط صعبة جدا بأن تتزوج من رجل آخر ويطلقها حتى يتمكن الأول من إرجاعها ومن دون اتفاق مسبق مع الزوج الثاني، وذلك تقديرا لقيمة الحياة الزوجية والالتجاء إلى الصبر.

وقبل الإسلام كان الطلاق يحدث كثيرا من دون تحديد لعدد المرات، فقد يطلق الرجل زوجته سبع مرات أو عشر أو عشرين مرة ويرجعها متى شاء ويتركها متى شاء، مما يشتت الأسرة، ولا يجعل للزوجة والأبناء استقرارا نفسيا، فجاء الإسلام ليجعل من الزواج ميثاقا غليظا لا يمكن التهاون فيه والتفريط به.

ومن الحكم المهمة جدا والعظيمة لمشروعية الطلاق في الإسلام، والتي تتضح أكثر حينما نقارن ما يحدث حاليا في بعض البلاد الغربية التي تمنع الطلاق ولا تبيحه بأي حال من الأحوال، كبعض الطوائف المسيحية التي تحرم الطلاق، وكذلك بعض تشريعات الدول، فأصبح الشباب والشابات في بلادهم يفضلون العلاقات غير الشرعية (الزنا) بدلا من الزواج؛ لأنهم يخافون من فشل العلاقة، وبالتالي عدم قدرتهم على الطلاق وبدء حياة جديدة مع شريك آخر، فيفضلون المصاحبة وعيش الفتاة مع الشاب من دون زواج، مما أدى إلى انتشار الزنا وزيادة أعداد أطفال العلاقات غير الشرعية كما نرى في الدول الغربية كأميركا وكندا وغيرهما. فالطلاق أحيانا به رحمة إن وصل الزوجان إلى طريق مسدود لا يمكن فتحه، ولذلك هو أبغض الحلال ولكنه مسموح غير محرم.

قضايا في الطلاق

هناك فكرة مهمة جدا اشترطها الإسلام حينما يحدث الطلاق ولكن يتهاون بها الناس اليوم نتيجة الجهل الديني والعادات المنتشرة، وهي أن المرأة في فترة عدتها كمطلقة لا يحل لها أن تترك بيت زوجها وتذهب لغيره كبيت والديها، فالأصل أن تقضي عدتها مع زوجها في بيتها ولا تخرج من بيتها كما ذكر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق:١). والحكمة من ذلك أن يراجع كلا الطرفين نفسه قبل أن يعظم الموضوع ويصل إلى أطراف أخرى، وثانيا قد تلين القلوب برؤية شريك الحياة كل يوم فيرى من الزوجة مثلا أمورا حسنة ويشعر بالندم وكذلك الزوجة، فيعود بعضهما لبعض، وهذا ما كان يحدث حينما كانت الأسر الإسلامية تتمسك بهذه الناحية من تعاليم القرآن الكريم فكانت حالات الطلاق أقل.

إن ديننا الإسلامي، ولأنه تشريع رباني، جاء ينظم كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفردية، فقد أوضح تفاصيل كثيرة وأحكاما كثيرة للزواج وشروطه والطلاق وشروطه ومهر الزوجة والإنفاق من الزوج وجعل له القوامة في البيت إن قام بما هو مطلوب منه كالإنفاق على تربية الأبناء وغيره من الأمور، مما أدى إلى تماسك أسرنا العربية بحمد الله وفضله مقارنة بالدول الأجنبية التي تعاني الأمرين اليوم من تفكك الأسر وعدم ترابطها وعدم سؤال الابن على والديه إلا في الأعياد، وعدم اهتمام الوالدين بأبنائهما بعد سن الخامسة عشرة فيخرج الابن أو الابنة من بيت والديه ليعيش وحده أو مع رفيقته أو رفاقه، مما يؤدي إلى علاقات غير شرعية وانحلال أخلاقي كبير وتفكك أسري، وعدم اهتمام بالأبناء، وقد كثرت حالات الإجهاض لديهم والتخلي عن الأطفال، بل وأنشئت دور للأطفال اللقطاء وانتشرت في بلدانهم.

ونحن نحمد الله تعالى أننا طالما تمسكنا بتعاليم ديننا العظيم فإن الأسرة لدينا في مجتمعاتنا الإسلامية ستبقى قوية مترابطة، ولكن إن لحقنا وراء الغرب بأفكارهم الإباحية والسلبية عن الأسرة والمسؤولية في تربية الأبناء، فإننا قد نصل إلى مشاكل كبيرة في زيادة حالات الطلاق نتيجة الجهل الديني والتهاون في قدسية الأسرة التي استمرت لقرون كثيرة منذ نشأة الإسلام، فعلينا دوما العودة إلى ديننا وتثقيف أبنائنا بتعاليمه وأهمية الروابط الأسرية وأهمية العائلة ورضا الوالدين وصلة الرحم وفهم دور الأسرة في نشأة المجتمعات وقوتها.



مياسة النخلاني
قاصة وكاتبة يمنية

مشروع حياة أم نزهة عابرة؟!

حين يتفق طرفان على الشراكة بتأسيس مشروع ما، فمسؤولية الانطلاق بالمشروع ونجاحه واستمراره تقع على كل الأطراف المشاركة، حيث يتحمل الجميع المسؤولية بالدرجة نفسها، ونتيجة لهذا فهما من يجنيان ثمرة نجاح مشروعهما أو يدفعان معا ثمن فشلهما في إدارة المشروع.

مثل شريكين اتفقا على تشييد مبنى تجاري كبير، بطبيعة الحال سينفقان الجهد والمال للبحث عن أرضية مناسبة للمشروع ثم شرائها، ثم جهدا آخر لبناء الأساسات، ورفع الأعمدة وتشييد المبنى النهائي -وهو جهد ليس بالهين- لكن إن اختلف الطرفان في أي مرحلة ولو حتى بعد إتمامه ولأي سبب كان، حينها فإن الجهد الذي بذل منهما سيذهب أدراج الرياح، وقد تكون المحصلة النهائية مجرد أعمدة عارية ستتهاوى يوما ما، مخلفة جرحا لا يندمل وإحساسا مريعا بالفشل قد يصعب التعافي منه.

وهكذا هو الزواج، هو مشروع قائم على الزوجين، لأنهما الركيزة الرئيسية لتشييد الحياة الزوجية واستمرارها، فإن انسحب أحد الطرفين أو تهاون في التزاماته وواجباته، فستكون العواقب وخيمة على هذه العلاقة، لتنهار في نهاية المطاف.

ولأن اتخاذ قرار البدء بهذه الحياة -الحياة الزوجية- كان قرارا مشتركا، ففي حال فشله فإن جميع الأطراف المشتركة ستدفع الثمن، وأكثر الدافعين لهذا الثمن الباهظ هم الأبناء، رغم أنهم لم يملكوا حق اتخاذ القرار للانضمام لهذا المشروع، ولم يكن بيدهم الرفض أو القبول، لكنهم أصبحوا جزءا لا يتجزأ منه، بل هم أكثر طرف بحاجة للحماية، لكن في حال عجز الأبوين عن تحمل تبعات قرارهما فسيفقدون السقف الذي كان يحميهم من الضياع والسير في طريق لا تحمد عقباه؛ لأن صمام

الأمان الذي كان يبقيهم متماسكين وأقوياء قد تلاشى.

ويعتبر البحث عن المثالية الزائدة من المسببات الرئيسية لتلاشي وانهيار بناء الحياة الزوجية، البناء الذي أقيم فقط ليستمر، ففترة الارتباط غالبا ما تطغى عليها المثالية الزائدة، فكون الطرفين غريبين بعضهما عن بعض، وفي محاولة لنيل رضا الطرف الآخر واستحسانه، يبدي كل منهما أفضل ما لديه، وحين تنتهي فترة الارتباط وتبدأ الحياة الزوجية المشتركة تحت سقف واحد، تتلاشى الحواجز وتمتزج حياتهما لتكون حياة واحدة وطريقا واحدا، لكنهما يبدآن هذا الطريق وفي مخيلة كل منهما صورة عن الآخر، هي أقرب ما تكون للمثالية، لأنها مبنية على أفضل الصفات التي وجدها فيه خلال فترة الارتباط، وبسبب البعد والمسافات يتدخل الخيال والعقل الباطن ليزيد هذه الصورة تألقا وبريقا.

وحين تبدأ الحياة المشتركة، ولأن الكمال لله وحده، ولا يوجد إنسان على وجه الأرض منزه عن الخطأ -عدا الأنبياء- ولأن للإنسان ميزات وعيوبا، والبيت هو المكان الوحيد الذي يستطيع أن يأخذ فيه راحته ويتصرف على سجيته، دون تكلف أو تقيد باللباقة المطلوبة في المجتمع الخارجي، ولأن الطرف الآخر هو الشخص الوحيد الذي يعتبر انعكاسا له، يريد أن يكون معه كما هو، حين تبدأ الحياة والحال هذه يتحرر من القيود والتكلف المطالب به مع الآخرين.

لكن هنا -وهنا فقط- تبدأ الصورة المثالية المرسومة في المخيلة عن الشريك بالتصدع، وقد تتلاشى تماما؛ لماذا تغير فهو لم يكن هكذا؟! أين ذهبت اللباقة التي كان يتمتع بها؟! لماذا يتصرف بهذه العشوائية والغوغائية؟! هذا ليس الشخص الذي أحببته أثناء فترة الارتباط!

والحقيقة أنه لم يتغير أبدا، هو فقط تحرر من القيود والتكلف المطلوبين خارج إطار البيت ومع الغرباء، لأنك بمجرد أن بدأت معه هذه الحياة المشتركة لم تعد شخصا غريبا عنه، لذا يتصرف معك براحته التامة، فإن لم يرتح معك فمع من سيرتاح؟! وإن لم يكن البيت -بيته وعالمه الخاص- هو المكان الذي يكون فيه على سجيته فأين يمكن أن يتصرف هكذا؟! هل يختنق فقط لتحافظ أنت على صورته التي رسمتها له في مخيلتك؟! هل كان حبك له مشترطا بأن يكون شخصا مثاليا أم كان حبا خالصا دون قيود أو شروط؟!

البعض تتولد لديه القابلية لتقبل هذا التغيير الذي يلحظه بعد الزواج، فيدرك أن شريكه لم يتغير، هو فقط لم يحصل على الفرصة لملاحظتها قبل الزواج، لكنه يتخلى عن الصورة المثالية التي تشكلت في مخيلته عن الطرف الآخر، ومع الوقت يستبدل الصورة الحقيقية للشخص الذي يعيش معه بها، وكما أحب ميزاته أثناء الارتباط يتقبل عيوبه بعد الزواج، لأن له هو كذلك ميزات وعيوبا ويحتاج من يتقبله، حينها تستمر الحياة بينهما وإن تخللها بعض المنعطفات، لكنها ليست مميتة؛ بل على العكس ربما هي منعطفات أساسية لتصحيح المسار الذي سيقودهما للطريق الصحيح.

المشكلة تكمن في أن البعض يصر على التمسك بالصورة المثالية التي تشكلت في مخيلته عن الطرف الآخر، ويرفض تماما أن يتم المساس بها، ويتحول التمسك إلى عناد وتذمر ونقد مستمر، والعناد لا يقابل إلا بعناد مثله، والنقد -خاصة إن كان نقدا جارحا- يتحول لرفض تام ونفور، وتبدأ المشاحنات التي تقود لمشاكل لا نهاية لها وقد تصل أحيانا لطريق مسدود.

لتجنب الوصول لهذا الطريق، لابد من تعلم فن التغاضي عن الأخطاء وتقبل شريك الحياة كما هو، وإلغاء فكرة تغيير الطرف الآخر، فهو ليس خطا مكتوبا بالقلم الرصاص يمكنك محوه وإعادة كتابته وتشكيله كما تشاء ووقتما تريد، بل هو شخص عاش حياة كاملة ووصل لمرحلة النضج الفكري والوجداني قبل أن يلتقي بك وتختاره أنت بمحض إرادتك، لذا فشخصيته قد تشكلت وأصبح نسيجا متكاملا، فلماذا تهدر الوقت والجهد لمحاولة تغييره وإعادة تشكيله بدلا من بذل بعض الجهد للانسجام معه والتأقلم مع طباعه؟! لأن محاولات تغيير شخص غالبا ما تنتهي بفشل ذريع، وإن نجحت في بعض الحالات فإنها تنتج شخصا متناقضا عما كان عليه وعما يحاول أن يكونه إرضاء لمن يحب، ومهما حاول الصمود لكنه سيتمرد يوما ما وينفجر في وجه من يحاول أن يخرجه عن ذاته الحقيقية؛ لأنه ليس من السهل أن يتخلى الإنسان عن نفسه لأجل الآخرين.

لتجنب انهيار مشروع لا يتم البدء فيه إلا ليستمر؛ لابد من تقبل شريك الحياة كما هو عليه، وتعزيز مهارات الاتصال والتواصل معه والتخلي عن التمسك بالمثالية الزائدة، وعلينا أن نحب الطرف الآخر حبا حقيقيا صادقا غير مشروط، فحين نحب الأشخاص نتقبلهم كما هم، لأننا لا نحبهم كونهم كاملين، بل نراهم كذلك لأننا نحبهم، ولأننا نحن -ونحن فقط- من سيكملهم.



د. هشام طه سليم
كاتب وباحث مصري



التداعيات المجتمعية لهدم الأسرة

الزواج هو أساس النظام الأسري في الإسلام، وعلى أساس ذلك النظام الأسري المترابط يقوم المجتمع مترابطا تجمع بين أفراده مجموعة من القواعد الأخلاقية السامية أساسها المودة والرحمة. ومع ما للزواج من أهمية بالغة لازمة لقيام مجتمع راق فلا شك أن هدم الزواج بالطلاق لهو أمر عظيم لا يمكن اتخاذ القرار بشأنه بسهولة.

إن كان هناك حلال يبغضه الله سبحانه وتعالى، فإن الأبغض عنده سبحانه هو الطلاق، وقد جعله الله سبحانه وتعالى بيد الزوج؛ باعتبار الرجل أقدر من المرأة على قياس الأمور استنادا إلى التفكير العقلي والعاطفي جنبا إلى جنب، وتغليب الجانب العقلي على الجانب العاطفي إذا لزم الأمر؛ تحقيقا لمصلحة الأسرة والأبناء، بعكس المرأة التي غالبا ما تغلب الجانب العاطفي ولو تعارض مع المصلحة الكلية للأسرة.

وبالتالي يكفي الزوج أن يتخيل مدى كون الطلاق أمرا بغيضا إلى الله سبحانه وتعالى حتى يسعى إلى تجنبه وعدم اللجوء إليه إلا عند الضرورة الملحة بعد استنفاد وسائل الإصلاح الأخرى.

الحكمة من الطلاق

الطلاق هو الحل الأمثل في بعض الأحيان التي يصل فيها مشروع الزواج إلى طريق مسدود تستحيل معه العشرة بين الزوجين. تلك التي قد تستحيل لأسباب عديدة منها ما قد يرجع إلى طباع أحد الزوجين لم يتمكن الطرف الآخر من الوقوف عليها إلا بعد مضي قطار الحياة الزوجية، كالبخل الشديد، أو حدة التعبير لدى التعامل مع المشكلات مهما كانت تافهة أو بسيطة، أو عدم الشعور بالمسؤولية نحو الأبناء بما تفرضه من متطلبات، أو عدم الالتزام بأداء الفروض الدينية أو التكاسل عنها... إلى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من الطباع غير المألوفة.

بل إن الطلاق قد يكون حلا لا محيد عنه لدى اكتشاف أحد الزوجين مرضا بدنيا أو نفسيا لم يفصح عنه صاحبه قبل الزواج تستحيل معه استمرارية الحياة الزوجية، فيكون الطلاق هو الحل لإنهاء المشكلة من ناحية ولتحقيق ستر السبب المؤدي إلى الطلاق من دون فضائح من ناحية أخرى.

الحفاظ على الكيان الأسري

بين الله سبحانه وتعالى من خلال الآيات القرآنية الصريحة ما يجب على كل من الزوجين اللجوء إليه من مراحل سعيا إلى رأب الصدع الذي أصاب الحياة الزوجية، وتجنبا للجوء إلى الطلاق كحل أخير، من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

القرآن الكريم ينصح الزوجة بالعمل على الحفاظ على استمرارية الحياة الزوجية:

حرصت الآيات القرآنية الكريمة على توجيه الزوجة إلى السعي إلى الصلح حال إعراض الزوج عنها من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨).

- القرآن الكريم ينصح الزوج بالعمل على الحفاظ على استمرارية الحياة الزوجية:

- جميع الآيات القرآنية التي تتناول منهاج التعامل بين الزوجين، سواء أثناء بقاء الحياة الزوجية أو عند وقوع الطلاق، تأمر بالحفاظ على العلاقة الطيبة والتعامل الراقي بين الزوجين، فينصح الله سبحانه وتعالى الرجال بعدم التفريط في زوجاتهم حتى حال كراهية بعض تصرفاتهن، حيث قد يكون لدى الزوجة صفات أخرى حميدة تكون سببا للخير العميم للأسرة: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء:١٩).

- كما يقول الله سبحانه وتعالى بشأن قوامة الرجل على المرأة وبشأن أساليب ومراحل العلاج التي يتبعها الزوج حال نشوز زوجته عن تنفيذ ما فيه صلاح حال الأسرة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ (النساء:٣٤).

وغير ذلك من الآيات التي تحض على حسن العشرة.

- ثم يأمر الله سبحانه وتعالى أهل الزوجين حال ارتباك العلاقة الزوجية بالتدخل للسعي إلى الإصلاح بينهما بقوله سبحانه: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ (النساء:٣٥).

- ثم تنتهي الآيات الكريمة إلى أمر الأزواج بعدم إخراج النساء من بيوتهن حال الطلاق وقبل مضي العدة؛ عسى أن يسبب الله سبحانه من الأسباب ما يطيب به خاطر كل من الرجل والمرأة فيراجعها، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا

بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾﴾ (الطلاق:١-٢).

التداعيات السلبية المترتبة على الطلاق

يعد الطلاق نتيجة نهائية تعلن فشل مشروع الزواج بين الرجل والمرأة بما يحمله ذلك الفشل من تداعيات هي في غالبها تداعيات سلبية تعود بالضرر على كل أطرافها من زوج وزوجة وأبناء، بل تمتد تلك التداعيات السلبية لتشمل المجتمع كله حال ارتفاع معدلات الطلاق بين أبنائه، ويمكن إجمال أهم تلك التداعيات السلبية الناجمة عن الطلاق فيما يلي:

١- الأضرار الناجمة عن الطلاق بالنسبة للرجل:

- الأضرار المالية الجسيمة التي يتحملها الرجل نتيجة للطلاق:

ذلك أنه فضلا عن التكاليف المالية التي تحملها الزوج بالفعل لإنشاء الحياة الزوجية من خطبة وزواج وإعداد مسكن والتي خسرها بالطلاق، فإن الزوج يتحمل تبعات الطلاق من مؤخر الصداق والنفقة على زوجته السابقة وأبنائه، بالإضافة إلى أنه إذا قرر الزواج مرة أخرى فسيتعين عليه تدبير الموارد المالية اللازمة للزواج من جديد وقد كان في غنى عن كل ذلك إذا حافظ على أسرته وأبنائه الذين أنعم الله سبحانه بهم عليه.

يضاف إلى ذلك المصاريف القضائية ومصاريف المحاماة حال وصول هوة



الاختلاف بين الرجل والمرأة إلى التخاصم أمام القضاء.

- الأضرار النفسية الجسيمة التي يتحملها الرجل نتيجة للطلاق:

حيث لا يستطيع الزوج الهروب من الشعور بالفشل في تحقيق حلمه المبتغى من السعي إلى حياة زوجية مثالية، فضلا عن افتقاده الدفء الأسري والحياة الزوجية، ذلك أن الإنسان بطبعه لا يستطيع العيش منفردا، خصوصا إذا ترتب على الطلاق البعد عن الأبناء بحضانة والدتهم لهم.

كما أن المجتمع سيطارد الزوج بنظراته اللائمة التي تتهمه بالتقصير في الحفاظ على كيان الأسرة، وبالتقصير نحو أبنائه، خصوصا أن قرار الطلاق هو المسؤول عنه.

٢- الأضرار الناجمة عن الطلاق بالنسبة للمرأة:

- الأضرار المالية الجسيمة التي تتحملها للمرأة:

أول ما تخسره المرأة بالطلاق فقدانها للمورد المالي الذي كان يوفره زوجها لها وللأبناء، خصوصا إذا كانت المرأة ربة منزل، مما سيدفعها دفعا إلى السعي نحو إيجاد مهنة تحقق لها دخلا شهريا بما يوفر لها وللأبناء حياة كريمة، خصوصا مع ما يثبته الواقع المؤسف من إهمال الرجال، في الغالب، الإنفاق على نسائهم المطلقات، بل على أبنائهم عقب الطلاق كنوع من الانتقام، على الرغم من أن طاعة الله سبحانه تستوجب غير ذلك، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾ (الطلاق:٦-٧).

وكذلك يخسر الكثير من النساء ما تكبدته هي وأهلها من مصاريف مشاركة الزوج في تكوين بيت الزوجية طبقا لما جرى عليه العرف في الكثير من المجتمعات.

- الأضرار النفسية الجسيمة التي تتحملها المرأة:

نظرا لأن المرأة تحكمها عاطفتها بشكل عام، فإن التأثير النفسي للطلاق يكون أشد وقعا عليها بالمقارنة بالرجل، حيث يطاردها الشعور بالفشل في الحفاظ على حياتها الزوجية، مع الشعور بضعف فرص الزواج المتاحة أمامها بعد ذلك، خصوصا إذا كانت حاضنة لأبناء، حيث يستصعب بعض الرجال تحمل عبء تربية أبناء غيره، لاسيما مع وجود طليق زوجته على قيد الحياة متنصلا من مسؤولياته نحوهم، فضلا عن ذلك، فإن المجتمع يحمل المرأة ذنب عدم استطاعتها تحمل الاستمرار في حياتها الزوجية أيا كان وضعها، وأيا كانت سقطات الزوج التي أدت إلى الطلاق.

٣- الأضرار الناجمة عن الطلاق بالنسبة للأبناء:

الأبناء هم الضحية الأكثر تضررا من الطلاق، خاصة أنهم يتحملون تبعات أخطاء لم يرتكبوها.

فهم بين عشية وضحاها أصبحوا دون عائل ودون مرب، ينتظرهم مستقبل مجهول محفوف بالمخاطر التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، فقد يجدون أنفسهم بين يدي زوجة أب أو زوج أم يفتقر كل منهما إلى الرحمة أو على الأقل لن يعطيهم الحنان الكافي، خاصة مع وجود أبنائه كإخوة غير أشقاء لهم ينعمون بالدفء الأسري الجديد دونهم.

وقد يجد أبناء الأسرة المنهدمة أنفسهم بلا مأوى، حيث لفظتهم الأم المطلقة التي ضاقت بمصاريف تربيتهم، كما لفظهم الأب المطلق الذي تنصل من مسؤوليته ليتزوج بأخرى، فيجدون أنفسهم في الطرقات تفترسهم الذئاب ويحتقرهم المجتمع، أو قد ينتهي بهم الحال إلى دار إيواء فيصبحون أيتاما رغم بقاء والديهم على قيد الحياة.

ومما لاشك فيه أن الطفل الناشئ بعيدا عن حنان الأم وعن رعاية الأب وهو يرى حنانهما ورعايتهما يستأثر بهما غيره، هذا الطفل ينشأ محملا بالصراعات والأمراض النفسية التي تجعله ناقما على المجتمع وعلى حياته، مما ينعكس على سلوكه نحو الآخرين بالسلب.

٤- الأضرار الناجمة عن الطلاق بالنسبة للمجتمع:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن ينشأ المجتمع على أساس أسري مترابط، حيث يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

وبالتالي إذا نشأ المجتمع على غير هذا الأساس، فهو لاشك مجتمع مهدد بالانهيار الأخلاقي والضياع النفسي، حيث يعيش فيه الرجال والنساء دون رباط ديني يجمعهم.. مجتمع ينطلق أفراده على غير هدى، تتخبطهم الأهواء، وتتنازعهم الأمراض النفسية، حيث لا توجد أسرة تجمعهم تحت مظلة من المودة، وإنما يوجد أشباح فقط من رجال ونساء يسعون إلى إشباع غرائزهم فقط دون تحمل مسؤولية هذا الإشباع. كما يوجد أشباح فقط من أطفال لا يعلمون من هم آباؤهم وإن علموهم فهم في شك من أن هؤلاء الآباء والأمهات سيغدقون عليهم الحب والعطف من ناحية، وسيتحملون مسؤولياتهم التربوية والمادية من ناحية أخرى.

فإذا وصل المجتمع إلى هذا المستوى الأخلاقي المتردي ارتفعت نسب الانتحار بين أبنائه، ونسب تعاطي المكيفات، والجرائم بأنواعها، وانعدم الشعور بالأمان.. وهو في النهاية مجتمع مفكك مصيره الفناء.

ختاما ينبغي على كل أب وأم الحرص كل الحرص على بقاء الحياة الأسرية قائمة؛ حرصا على توازنهما النفسي، وحرصا على مصالح أبنائهما وعلى تنشئتهم تنشئة طيبة، ويتحمل المسؤولية بهذا الشأن كل من الأب والأم، غير أن الأب عليه العبء الأكبر باعتباره القيم على صلاح أمر الأسرة، وباعتباره هو من بيده قرار الحفاظ على كيان الأسرة بالحكمة والرحمة أو تدمير أسرته بالطلاق.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» (رواه مسلم).



عبدالله شريف
دار الإعلام العربية
القاهرة



كيف تتجنب أبغض الحلال؟!

رسم القرآن الكريم صورة مضيئة للحياة الزوجية ووصفها بالسكن والمودة والرحمة، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، إلا أن عوامل عديدة قد تضفي قتامة على هذه الصورة، فتذهب بضيائها وسكنها ومودتها ورحمتها، لتنتهي بأبغض الحلال، الطلاق..
وهناك أرقام وإحصائيات مخيفة عن معدلات الطلاق في الدول العربية، تتزايد يوما بعد يوم، ولأسباب أغلبها سطحية، فكيف نبني حياة زوجية مستقرة؟ وما الذي قد يفضي بها إلى الطلاق؟ هذا ما نستطلع حوله آراء عدد من الخبراء في السطور التالية.. فإلى التفاصيل:

نبدأ مع دراسة حديثة أعدتها إدارة الإحصاء والبحوث بقطاع تكنولوجيا المعلومات التابع لوزارة العدل الكويتية عن إجمالي حالات الطلاق في المجتمع الكويتي على مدى السنوات العشر الأخيرة، والتي أوضحت أن نسبة الطلاق بين الكويتيين خلال أولى سنوات الزواج بلغت ٥,٩٪، وأن من بين ١٠٠١٧ حالة خلال الفترة من ٢٠٠٧م إلى ٢٠١٧م بلغ عدد حالات الطلاق ٥٩٢٦ حالة خلال عام الزواج الأول.. وتنبأت الدراسة بأعداد حالات الطلاق خلال الخمسة أعوام التالية لها من عام ٢٠١٨م وحتى عام ٢٠٢٢م، بارتفاعها إلى ٨١٤٥ حالة طلاق في عام ٢٠٢٢م، بمتوسط سنوي ٧٨٦٠ حالة، وبحد أدنى ٦٨١٥ حالة، وبحد أعلى ٨٩٠٦ حالات طلاق.

وعزت الدراسة أهم أسباب الطلاق إلى أمور منها غياب الثقة، سوء المعاملة، العنف، الأوضاع المالية، عدم التوافق، غياب الزوج، اختلاف الأولويات، تدخل الأهل، غياب التواصل، تقصير أحد الطرفين بحق الآخر، ووجود مرض.. إلى غير ذلك من الأسباب التي تتفاوت نسبتها.

أما في الأردن، فتمثل معدلات الطلاق ٢,٦ في الألف من نسبة السكان، أي إن ٦٠ حالة طلاق تقع يوميا، وفي مصر ١,٩ من كل ألف مواطن، أي إن هناك حالة طلاق واحدة كل ٤ دقائق، و٤٠٪ من حالات الزواج تنتهي في غضون ٥ سنوات. وفي لبنان هناك ١,٦ من كل ألف مواطن، أي إن هناك ٨ آلاف و٥٨٠ حالة طلاق عام ٢٠١٧م وفي الجزائر هناك ١,٥ من كل ألف مواطن هناك ٦٨ ألف حالة عام ٢٠١٧م.. وفي السعودية سجلت المحاكم ٥٣٦٧٥

حالة طلاق عام ٢٠١٧م، بمعدل ١٤٩ حالة طلاق يوميا.

ظاهرة كارثية

ولكيفية مواجهة هذه الأرقام المخيفة، يوضح د. محيي الدين عفيفي رئيس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، أن الطلاق أصبح ظاهرة كارثية في المجتمعات العربية، خاصة في جيل الشباب الذين ليس لديهم الجلدة على مواجهة صعوبات الحياة لاسيما في ظل المتغيرات التي طرأت، والضوائق الاقتصادية، وغياب الوازع الديني، فأصبح أمر مواجهة هذه الظاهرة ليس مقتصرا على المؤسسات الدينية، لكن على الأمة كلها.

وأضاف: الإسلام أسس للأسر المسلمة كيفية البناء والعمل في سبيل ذلك، مشيرا إلى أن التغيرات الكثيرة التي شهدتها الأمة أثرت بشكل كبير على طريقة تفكير المسلمين وأولويات حياتهم، داعيا إلى العودة إلى تعاليم الإسلام والفقه المبسط الذي يخلق أمة قوية متماسكة، وليس أمة منحلة متفرقة.

وقال: إن الله عندما تحدث عن الزواج جعله من أهم العقود، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ (النساء:٢٠-٢١).

وأضاف: إن مجمع البحوث الإسلامية فطن إلى هذه الأزمة منذ سنوات، وبدأ أكثر من خطة تربوية لحماية المجتمع، ومنها «خطة ٢٠٢٢م»، التي تهتم بحياة البسطاء من الناس وتعمل على نشر التوعية الدينية والتحذير من الطلاق، وتوعية الشباب بحرمة إفساد البيوت.

وتابع: الجيل الحالي يتعامل مع الطلاق كأنه أمر عادي، عند أصغر مشكلة يبادر الشاب باتخاذ قرار الطلاق، حتى ارتفعت أرقامه وأصبحت مهددة للأمة، إذ تؤثر على تربية الأبناء الذين يتأثرون تأثرا شديدا بانفصال الوالدين، فضلا عن المشكلات الاجتماعية الأخرى.

> **د. عفيفي: متغيرات طارئة وضوائق اقتصادية وغياب الوازع فاقمت الطلاق**

وأشار إلى أنه على المؤسسات المعنية أن تقوم بدورها في التوعية لإيقاف هذا النزيف الخطير، وأن يقوم كبار الأهل ببذل النصح قدر المستطاع.

وأكد أن ارتفاع معدلات تشرد الأطفال والجريمة والسرقة وانحدار الأخلاقيات يقف الطلاق كأحد أبرز أسبابها.

وأضاف قائلا: مشكلات الأمة الإسلامية كثيرة، فعندما استطاعوا غزونا ثقافيا بالأفكار المغلوطة، بدأت الأسر في الانهيار، وفي ذلك انهيار للمجتمع، لذا علينا مواجهة ذلك بغرس أفكار الأسرة والمجموعة والاتحاد وتحمل المسؤولية في عقول الأبناء، حتى نخرج جيلا قادرا على تحمل المسؤولية.

ووجه رسالة للشباب قائلا: عليكم قراءة سيرة رسول الله ﷺ فقد تزوج أكثر من مرة وكان عادلا لا يفرق بين أزواجه ولا يزيد في المبيت عند إحداهن على حساب الأخرى، وكان يقرع بينهن عندما يسافر، والصبر عليهن، وكان يساعدهن، ويبذل الوفاء لهن.

ووجه رسالة للفتيات قائلا: ورد في السنن الكبرى للنسائي عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن خير النساء، قال: «التي تطيع إذا أمر، وتسر إذا نظر، وتحفظه في نفسها وماله». وقال أيضا في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم، فاحرصن على أن تتحلين بهذه الصفات.

زرع قيمة الأسرة

أما د. عباس شومان الأمين العام لهيئة كبار العلماء، فأكد: كان من المفترض أن يزيد التطور التكنولوجي من مفهوم «تأسيس الأسرة» لدى المسلمين، لكننا للأسف أخذنا من هذا التطور ما يهدم الأسرة والمجتمع، فاستخدمنا التلفاز والهواتف المحمولة والحياة المرفهة، في تفرقة الأرحام وليس صلتها، فالأب منشغل بجمع المال فقط، والأبناء منشغلون بمواقع التواصل الاجتماعي وتوافه الأمور، فكان طبيعيا أن يتلاشى فكر الأسرة من عقولهم، وأن نجد أجيالا لا تتحمل المسؤولية.

وأشار إلى أن الأب لا بد أن يجمع أسرته على مائدة العشاء ويخصص وقتا طويلا ليس لجمع المال، لكن لجمع أسرته والتعرف على أفكارهم واهتماماتهم وما يواجهونه من مشكلات أو يتعرضون له من مواقف، ويكون فيصلا فيها بخبرته، ومقوما لأي اعوجاج في سلوكياتهم، مثل هذا الاجتماع البسيط على مائدة الطعام يعلم الصغار مفهوم الأسرة وضرورة التلاحم.

وطالب الأسرة بضرورة مراقبة أفكار الأبناء، ومناقشتهم فيها، وإشراكهم في اتخاذ القرارات، لينشأوا على توقير الحياة الزوجية، ومفهوم بناء المجتمع من خلال الأسرة المتماسكة.

وقال: في السنوات الأخيرة تزايدت الدعوات للتخلص من المسؤوليات

الزوجية بالطلاق، تحت شعارات العيش بحرية، وهذا من الكوارث على الأمة، وباتت الحاجة ملحة لاستعادة الأسرة دورها في تربية أولادها، ومراقبة تصرفاتهم، وتقويمها إذا لزم الأمر.

وأضاف: نحاول دائما في الأزهر الشريف غرس مفهوم الأسرة والحد من أسباب الطلاق، والعمل على المجاهدة، واستيفاء وسائل حل مشاكل الأزواج من التنبيه والوعظ ثم الهجران في الفراش والضرب الخفيف وتحكيم الأهل.

وأشار إلى أن البعد عن الله وترك الصلوات وأصدقاء السوء والنظر المحرم، كلها من الأمور التي تفكك الأسرة، وعلى الشباب التأسي بالرسول ﷺ في التعامل مع زوجاته، وكيف كان مثالا في الرحمة والصبر والود، وقد أمر الله بحسن معاملة النساء فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩)، وقال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «استوصوا بالنساء خيرا» (صحيح رواه الشيخان).

خلل المنظومة الاجتماعية

كيف ندير الأسرة والمجتمع بعيدا عن الطلاق؟ سؤال أجاب عنه د. سعيد المصري، الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة وأستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة، موضحا أن المؤسسات الدينية والاجتماعية في الدول العربية مطالبة بوضع خطط محورية شاملة للتنشئة الأسرية وتأهيل المقبلين على الزواج بأهم الأسس التي ينبغي أن تتوافر فيهم قبل الإقدام على هذه الخطوة المصيرية.

ودعا إلى استغلال وسائل التواصل الاجتماعي للتوعية بخطورة الطلاق على الأمة، والبحث عن أسبابه، وقيام المؤسسات الدينية والاجتماعية بتكثيف جهودها لإيقاف هذه المصائب.



وأضاف: «هناك خلل في المنظومة الاجتماعية كلها، ولا نستطيع تحميل الشباب وحدهم مسؤولية انهيار منظومة الزواج، لأن الشباب يتعرض لضغوط كثيرة منذ بحثه عن العمل حتى الزواج وتكوين أسرة، لذلك لا يمكن محاسبته فقط على أنه انفصل عن زوجته بل يجب محاسبة المجتمع بالكامل، فمثلا الدراما جعلت من العلاقة الزوجية وكأنها حرب بين أعداء يتربص كلاهما بالآخر، وزرعت في عقول المشاهدين أن الطلاق هو الحل السحري للتخلص من هذه الحياة.

وتابع: هناك مشكلة كبيرة في معايير اختيار الشاب لشريكة حياته، فنظرة أغلب الشباب العربي على الشكل والمظهر، مخالفا بذلك الهدي النبوي الشريف، كذلك هروب كثيرين من المراجعة الطبية، والتي ربما تمنع الزواج قبل حدوثه ويليه الطلاق، فضلا عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي تدمر عائلات بأكملها ولا يجدون إلا أبغض الحلال مهربا منها.. فعلى المجتمع أن يقف صفا واحدا لمواجهة هذه الظاهرة وليس الشباب وحدهم.

كما حذر من تزايد انتشار العلاقات المحرمة خارج إطار المنظومة الشرعية، لدرجة أنها أصبحت مرادفا للحرية والتمدن، مشيرا إلى أن هناك أجيالا تأثرت بالنظرة الغربية للزواج، وأصبح لديهم ميول للانحراف بعيدا عن الإطار الشرعي، ما أدى إلى انتشار كثير من الكوارث الأخلاقية، ولا يمكن في هذا الصدد إغفال دور الأسرة في التنشئة السليمة.

وعن العلاقة بين الرجل والمرأة، قال الكاتب والباحث في العلاقات الأسرية، إيهاب معوض: إن العلاقات بين الرجال والنساء في العصر الحالي معقدة، بسبب تداخل الثقافات ولم يعد المجتمع منغلقا على تجارب متشابهة ولا أفكار واحدة ولا حتى أخلاق وقيم أصيلة، فقد سهل الإنترنت معرفة قصص الآخرين وأفكارهم وطموحاتهم، كذلك العلاقات الغربية في أوروبا أو الهندية والتركية أصبحت مؤثرة جدا في المجتمعات العربية، وصارت هناك مقارنات بين كيفية معاملة المرأة هناك وكيفية معاملتها هنا والعكس صحيح.

وأضاف: إن الطلاق نستطيع أن نقول إنه أصبح ظاهرة عالمية وليس في المجتمعات العربية فقط، موضحا أن الاشتباك بين المرأة والرجل على مدار التاريخ لن ينتهي، ولكن في المجتمعات القديمة كان السعي لتكوين روابط وأسر شيئا مقدسا، أما الآن فعلى العكس؛ فكل طرف يميل للبقاء وحيدا، والعيش في واقع افتراضي.

وأشار إلى أن آلاف الأزواج الآن من الشباب يعيشون تحت سقف واحد بلا مشاعر حقيقية ولا هدف، فلم يكن زواجهم إلا لضغط المجتمع عليهم، وعادة ما ينتهي ذلك بالطلاق.

وأضاف: إن نسب الطلاق زادت بشكل مهول في الألفية الجديدة لعدم دراسة الشباب كيف تكون العلاقات القائمة على أساس الاحترام المتبادل وغياب مفهوم تكوين أسرة وإخراج جيل جديد، مضيفا أن: «هناك سمات في الأزواج تساهم في انتشار معدلات الطلاق ومنها الكذب والخداع والخجل والبخل وكلها أمراض نفسيه أصبحت تمس

الشباب العربي.

وقال: إن الشباب لم يأخذوا من الأجيال القديمة إلا الأفكار المغلوطة كالبحث عن السمع والطاعة المطلقة دون مناقشة والبحث عن المتعة تحت أي ظروف، مشيرا إلى أن تفكير فتيات العصر الحالي يختلف عن السابق، موضحا أن عدم التعود والتربية على النقاش والبحث عن حلول مرضية لجميع الأطراف من أهم أسباب بدء المشاكل، لذلك نجد أن ٥٠٪ من حالات الطلاق تكون في السنة الأولى، لذلك يجب أن يربى الأبناء على النقاش والأخذ والرد وإيجاد صيغ مناسبة للتفاوض والحوار، وعدم إجبارهم على أي فعل لأن ذلك يخلق عقدا نفسية وأمراضا غير مرئية لا تظهر إلا عندما يتحملون المسؤولية بمفردهم.

وتابع: «زادت نسبة التمرد بين الفتيات والبحث عن الذات والعمل على إيجاد مكانة علمية وعملية في حياتهن وهذا شيء محمود ولكن يجب أن يعرفن أن هناك قيودا وروابط في الزواج لابد أن يقبلنها، فالحرية لها ضوابط، وكذلك الشباب يجب أن يعرف أنه لم يتزوج لمجرد الشهوة»، وأوضح أن فترة الخطبة في الدول العربية زائفة ويخدع فيها كل طرف الآخر، ويجب استغلال هذا الوقت للتعارف الجاد بين الطرفين وإزالة الأقنعة.

اهتمام واحترام وكتمان وثناء

وعن أبرز نصائحه للمتزوجين من الشباب، قال د. طارق مصطفى، خبير التنمية البشرية: لا بد أن تكون طريقة إقناع الشباب بأهمية الزواج والحفاظ عليه برسائل إبداعية، تغرس فيهم -بجوار توجيهات المنزل والمسجد والمدرسة- قدسية هذا الأمر.

وأضف أن هناك الكثير من النصائح التي يمكن أن تقدم للمقبلين على الزواج منها الحذر من الهجران والخصام المتكرر، أو الإهمال دون سبب، وضرورة اهتمام كل طرف بالأشياء التي تترك صدى لدى الطرف الآخر.

وطالب بأن يكون ميزان العلاقة بين الطرفين كميزان الذهب يقدر كل موقف وأن يكون هناك تبادل للشكر والثناء على كل صغيرة وكبيرة، وألا يستغل أي طرف الآخر، وأن يكون القرب متوازنا، وكذلك الهجران يكون متوازنا.

كما حذر من نقل الكلام وإفشاء الأسرار إلى الأهل والأصدقاء، ولو من مدخل طلب النصيحة، مشيرا إلى أن ذلك من أكبر أسباب الطلاق لأنها تفقد ثقة طرف ما في الآخر وتسبب الكثير من المشكلات.

وأضاف: انتشرت في الجيل الحالي مسألة إشراك طرف ثالث في مشاكل الزوجين ربما يكون صديقا مقربا أو غيره، مشيرا إلى أن ذلك يفاقم المشكلة، ويجب ألا يتدخل أحد في مشاكل الزوجين إلا الأب والأم وبعد طلب الأبناء.

وتابع قائلا: التعبير عن الحب والتهادي من أبرز أسباب الحفاظ على بناء الأسرة، وغرس خصلة حسنة لدى الأبناء، قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا»، موضحا أن المرأة تهتم عادة بالتفاصيل الصغيرة، وإدراك الزوج ذلك من أسباب استدامة الوئام بينهما، كما ينبغي احترام كليهما الآخر، وعدم التسفيه من قدراته وأفكاره.

واختتم بأن ترديد كلمة الطلاق على اللسان باستمرار من أكبر المصائب، مشيرا إلى أن ذلك يقلل من أهمية الأسرة، ويمهد لقبول هذه الكارثة المدمرة.

تراكمات نفسية

بدوره، أكد د. إبراهيم مجدي استشاري الطب النفسي بجامعة عين شمس، أن العصر الحديث يتسم بالوحدة في كل شيء، حتى يمكن أن نسميه عصرا افتراضيا حتى في الأخلاق وعلاقات الناس.

وتابع: قرار الطلاق كان صعبا جدا على النفس في الأجيال السابقة، لكننا الآن أصبحنا نميل إلى الانشغال بالنفس فقط، فهان كل شيء حتى العلاقات المقدسة، ولم يعد يتأثر كثيرون بألم البعد النفسي.

وأكد أن استخدام الشاب العربي للإنترنت وغيره من الوسائل الحديثة يتم بصورة سلبية وغير متعقلة، ما ساهم في زيادة معدلات الخيانة وبالتالي نسب الطلاق.

وأضاف: إن الطلاق يرتبط بالبعد والقهر والتشرد وهدم منزل ظل لسنوات يبنى، لذلك يجب أن يكون الشباب مهيئين منذ الصغر لتحمل المسؤولية وتقدير النساء كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وتابع: «على الشاب قبل أن يفكر في الطلاق أن ينظر كيف ستكون نظرة المجتمع إليه، وإلى أبنائه، ومن ثم عليه أن يسعى وراء كل ما من شأنه أن يجعل الحياة تستمر، كذلك المرأة عليها أن تساعد زوجها على ذلك ما استطاعت.

وأوضح أن التصرفات الخاطئة في العلاقات بين الزوجين على مدار فترة طويلة، وكذلك الصمت الذي يجعل جدران المنزل كما القبور، من الأمراض النفسية التي ينبغي التخلص منها، لما تسببه من تراكمات نفسية معقدة يصعب علاجها بسهولة ومن ثم تكون النتيجة الطبيعية هي الطلاق، لذلك فإن العتاب الهادئ والبحث عن مخرج للأزمات من آن إلى آخر، كفيل بإنهاء هذه الأعباء النفسية، وتنشيط الحياة الزوجية، ومدها بعناصر التجدد والاستمرار.



مصطفى القلاوي
كاتب وباحث إسلامي - مصر



التفكك الأسري.. أسباب وآثار وحلول

من الحقائق التي لا يخالفها عاقل حصيف أن الأسرة عماد المجتمع وأساس بنيانه، لا سيما إذا أسست على دعائم متينة من الدين القيم والخلق الكريم والترابط الحميم، ومن ثم كان صلاح الأسرة وترابطها سبيلا لصلاح الأمة ونهضتها.

ولما كان للأسرة هذه المكانة السامقة أولتها الشريعة الإسلامية الأهمية البالغة، فجاء الإسلام يضع القواعد والمبادئ التي تؤسس عليها الأسرة، بما يكفل لها حياة كريمة، تقوم على السكن والمودة والرحمة، يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

واستمرت الأسرة في ظلال الإسلام تتمتع بقسط وافر من القيم التي ساعدتها على القيام بدور فاعل في حياة الأمة وقوتها ونهضتها، وكان لها السبق الحضاري الذي مهد للغرب طريق العلم والتقدم.

بيد أن رياح التغريب التي هبت على الأسرة المسلمة في الآونة الأخيرة، زحزحتها عن قيمها وخصائصها، حتى أفقدتها ريادة المجتمع وقيادته، ساعدها على ذلك تخلف العالم الإسلامي وغزوه الثقافي.

من هنا ظهرت مشكلة التفكك الأسري التي مزقت لحمة المجتمع وفرقت شمله.

وتتفاوت ظاهرة التفكك الأسري من حيث الحدة والخطورة بين مجتمع وآخر، خاصة في المجتمعات العربية، لكن لا يختلف أحد أنه لا يخلو مجتمع من هذه الظاهرة.

وأسباب هذا التفكك كثيرة من أهمها:

- عدم الالتزام بالضوابط الشرعية في غرس بذرة هذه الأسرة، منذ البدء في تأسيسها بالزواج، واتباع أنماط متنوعة -تخالف منهج الإسلام-

فرضتها تقاليد وأعراف آلت بالأسرة إلى الانحراف عن تحصيل ثمرة هذا الـزواج -من سكن ومـودة ورحمة- التي تتولد من خلال الرغبة الصادقة في إقامة حياة زوجية سعيدة.

من هـذه الأنمـاط: إجبار الفتاة أو الفتى على الارتبـاط بمن لا تأنس إليـه ولا يـأنس إليـهـا، إرضـاء أو تحببا أو خضوعا لطرف خارج هذه المنظومة الزوجية، وهذا ما نهى عنه النبي ﷺ، حيث بين ﷺ أن من حق المرأة -وكذلك الرجل- أن تعترض على مثل هذا النكاح، ولها أن تخالف وليها في ذلك، سواء كان أبا أو أخا أو من قام مقامهما، فقد جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته «فجعل الأمر إليها» قالت: فإني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء» (صحيح رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وغيرهم).

ومنها أيضـا: عـدم التحقق من رؤية الرجل للمرأة -أو العكس- قبل الزواج منها، فمن حق الرجل وكذلك المرأة رؤية أحدهما للآخر قبل العقد، حتى لا يفاجآ بعد العقد بما لا يسرهما، فالرؤية والنظر أحرى بأن تقع الألفة والمحبة والاتفاق بينهما، فعن المغيرة بن شعبة، قال: أتيت النبي ﷺ، فذكرت له امـرأة أخطبها، فقال: «اذهـب فانظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما» قال: فأتيت امرأة من الأنصار، فخطبتها إلى أبويها، وأخبرتهما بقول رسول الله ﷺ، فكأنهما كرها ذلك، قال: فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها، فقالت: إن كان رسول الله ﷺ، أمرك أن تنظر، فانظر، وإلا فإني أنشدك، كأنها عظمت ذلك عليه، قـال: فنظرت إليها: فتزوجتها، فذكر من موافقتها. (صحيح رواه أحمد وابن حبان والترمذي وغيرهم).

من أسباب التفكك الأسري الزواج على غير أسـاس الدين

ومنها كذلك: عدم رغبة الرجل في المـرأة -أو العكس- لـدينـهـا، إنما يطلبها لغرض آخر، فمثل هذا الزواج مجلبة للشقاء والتعاسة، فعن عبدالله ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأمـوالـهـن، فـعـسـى أمـوالـهـن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل» (ضعيف رواه ابن ماجه).

فبين النبي ﷺ أن الزواج من صاحبة الدين فوز كبير ومغنم عظيم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تنكح المـرأة لأربـع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك» (رواه البخاري ومسلم)، وعندما تزوج جابر بن عبدالله، لقيه النبي ﷺ، فقال: «يا جابر تزوجت؟» قال: نعم، قال: «بكر، أم ثيب؟» قال: ثيب، قـال: «فـهـلا بـكـرا تلاعبها؟» قـال: يا رسـول الله: إن لي أخـوات، فخشيت أن تدخل بيني وبينهن، قال: «فذاك إذن، إن المرأة تنكح على دينها، ومالها، وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك» (رواه مسلم).

كـذلك أوصـى ﷺ فـي شـأن تزويج الرجل فقال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فـي الأرض وفـسـاد عـريـض» (صحيح رواه ابـن مـاجـه والترمذي والطبراني).

فكل صور الزواج هذه وما يدور في فلكها، لا تجعل منه حياة مقدسة آمنة، إنما تصنع منه أسرة لا تعرف الاستقرار ولا تأمل في الاستمرار، مادامت تهب في جوانبها ريح الفرقة والشقاء.

- إن الأصل في عقد الزواج أن تنشأ بـين الـرجـل والمـرأة عـلاقـة خاصة مـتـمـيـزة، تـوجـد لـكـل مـنـهـا حقوق تجـب مـراعـاتـهـا، وتـفـرض عليهما واجبات يجب القيام بها، لكن أدت الأمية الدينية لـدى بعض الأزواج، وعـدم تفهمهم لطبيعة هذه العلاقة الحميمة إلى تفكك هذه الحياة وعدم استمرارها.

فـإن نـظـام الأسـرة ينجح ويستمر ويؤتي ثماره إذا علم كل واحد دوره المنوط به وأداه كما ينبغي، فالرجل له دور وكذلك المـرأة، فعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله ﷺ يقول: «.. والرجل في أهله راع وهـو مـسـؤول عـن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها..» (رواه البخاري ومسلم).

- ولقد اقتضت حكمة الله أن تنفرد المرأة بخصائص جعلت رسالتها الأولى فـي الحـيـاة أن تكون أمـا وربـة بيت وعمود دار وصانعة رجال، لكن أمية المرأة بدينها وبمكانة الحياة الزوجية حالت دون ذلك، وكادت المرأة أن تفرغ من رأسـهـا أهـمـيـة عملها فـي بيتها ورعايتها لأسرتها، بحجة حقها في المشاركة في ميادين العمل ومعترك الحياة، بغير عوز منها، وبغير الالتزام بضوابط العمل المشروعة، مما أسفر عن إهمال شنيع، نجم عنه اضطراب وإضعاف لروح الترابط بين الأسرة.

وعمل المرأة ليس وحده الشاغل عن القيام بـدورهـا ورعايتها لأسرتها، فهناك أمور أخرى تأخذها من مهمتها،



وتتسبب في إهمالها لرسالتها، منها الإسراف في العلاقات الاجتماعية التي تكون على حساب حق الزوج والأسرة، ومنها كثرة الزيارات الممتدة في ثرثرة فارغة وأحاديث تافهة، تهمل المرأة بسببها أداء واجبها، وإذا أرادت أن تسد هذا العجز جاءت - أو جيء لها- بخادمة كي تحل محلها في جل المهام، وتصبح ركيزة أساسية لهذه الأسرة الضائعة، كاد أن يختفي بوجودها الاتصال المباشر في التعامل بين أفراد تلك الأسرة، فساعد هذا على اهتزاز علاقة الترابط بينهم، وجعلها عرضة للقطيعة والتنافر.

- وأما عن دور الرجل في أسرته فإنه إذا قصر في القيام بواجبه نحوها، وفرط في أداء المسؤولية -وهي القوامة- التي كلفه الله بها، فهو بهذا يعرضها إلى التمزق والضياع، فالرعية إذا فقدت الراعي ضلت وتشتت وأصبحت مطمعا للصوص والذئاب.

إن القوامة التي وهبها الله للرجل ليست قاصرة على الإنفاق المادي كما يظن البعض، وإنما هي القيام على تلك الأسرة بالحماية والرعاية والولاية والكفاية، والحضور بين أفرادها بالقلب والقالب، والمشاركة الفاعلة لكل ما يهم أفرادها ويحل بهم.

ولا يظن متوهم أن القوامة تجعل له الحرية المطلقة في فعل أو ترك أي شيء دون مراجعة لفعل، أو تصويب لخطأ، أو تنبيه من غفلة، إذ يرى أنه فوق النقاش والمعاتبة فضلا عن التصحيح والمحاسبة، وإذا اضطر لشيء من هذا فر من ذلك عن أسرته، تفاديا لمساءلته عن فعل أو عتابه على تقصير، مما يزيد الفجوة بينهم، بما يؤدي إلى تدمير تلك العلاقة الأسرية.

فإن غياب الرجل عن بيته، يفتح للزوجة وللأولاد بابا فوضويا يلجأون منه إلى فعل كل ما يحلو لهم، فتكثر الزوجة من الخروج من بيتها دون حاجة، وربما عملت على خلق علاقات، تعوض بها هذا النقص الذي تجده من الزوج، فتقوم لها علاقات خارجية تسهم في تدمير علاقتها الزوجية، وتزيد من حدة المشكلات الأسرية.

ويسيح الأولاد في الشوارع والطرقات لا يقصدون فعلا بعينه، ولا يمارسون عملا نافعا، إنما أخرجهم عدم محاسبة من أب يقظ أو أم واعية.

إن تقصير الرجل في حق أسرته، كتقصير سائق الحافلة في الطرق الملتوية، أو كتقصير ربان السفينة عند تركها تلاطمها الأمواج العاتية، ويهاجمها الريح العاصف، فسرعان ما تغرق السفينة، وتصطدم الحافلة بمن عليها.

فهذا مصير لا مفر منه، فيكثر وقوع الطلاق لأوهن الأسباب، وهو ظاهرة خطيرة لها آثارها المدمرة، التي لا تستقيم معها حياة، ويعكس الأمية الدينية التي يعيشها كثير من الأزواج، فيسارعون إلى هدم الحياة الزوجية وطمس نورها، بسبب أو بغير سبب، ما يؤدي إلى تفكك الأسرة وتمزقها، وتحرم المرأة من وجود عائل يقوم على حاجاتها ويشبع عاطفتها، وتتعرض إلى نظرة قاسية مليئة بالتوجس من مجتمع غاشم، تجعلها تنجرف في تيار الانحلال.

وتتسع الهوة بين الآباء والأبناء، وهي مشكلة خطيرة -سماها البعض بصراع الأجيال- تعاني منها معظم الأسر في أغلب المجتمعات، وتمثل عدوانا على القيم الأصيلة والعواطف النبيلة، وتظهر تنكرا لفضل الآباء، وتتهمهم بالتخلف الفكري والحضاري.

ويتشتت الأبناء ويقعون في حيرة في انحيازهم لأي طرف -الأب أم الأم- وربما يستخدمون وسيلة ضغط وانتقام بين الزوجين، يمر الأبناء بعدها بمرحلة قاسية، تترك في وجدانهم انطباعا سيئا عن الحياة الزوجية والجو الأسري، ويخيم عليهم شعور الخوف والاضطراب

وفقد الأمن والهدوء، ما يؤثر عليهم سلبا في الحياة الاجتماعية والتعليمية، وينشأون نشأة غير طبيعية، حيث تترسب في أعماقهم مشاعر الكراهية للآخرين، تقودهم إلى التمرد على القيم النبيلة، وتمتد نحوهم أيد مجرمة، تتخذهم وسيلة لنشر الفساد وفعل الموبقات، فتتحول طفولتهم البريئة إلى وحشية مفترسة، ومحاكم الأحداث خير شاهد ودليل.

ويعد أثر هذا التفكك على المجتمع أخطر من أثره على الأسرة، إذ الأسرة قاعدة البشرية قاطبة، فإذا حدث لها تصدع أو انشقاق، عجزت عن القيام برسالتها في التربية والإرشاد، وتتحول إلى آلة تدمير، تعطل مسيرة العطاء والتنمية، وتصبح عقبة ربما تؤخر وتجذب إلى الوراء بدلا من أن تكون قوة تدفع للتقدم والإصلاح، ما يعرض المجتمع إلى خسارة فادحة.

إن قوة أي مجتمع وسر نهضته تتولد من قوة أفراده وقوة ترابطه، لكن إذا ساد التفكك والتفرق، فقد المجتمع أهم رافد يمده بالقوة والاستقرار، وتمسي العلاقات الاجتماعية أوهن من خيط العنكبوت، تحيط بها المخاطر، وتهددها العواصف، ويصاب أفرادها بكثير من الأمراض، لا سيما الأمراض النفسية المعقدة، التي تمنعهم من خوض غمار الحياة الزوجية من جديد، وتفقدهم التعامل مع الآخرين، مما ينبئ عن خطر يفت في عضد الأمة كلها.

- كما أن الأوضاع الاقتصادية تلعب دورا خطيرا في الحفاظ على بقاء الحياة الأسرية أو إنهائها، فإن المكانة الاقتصادية المتواضعة للزوج -غالبا- تجعل مكانته الاجتماعية والزوجية أقل في نظر زوجته وأهلها، من أجل ذلك وضع الإسلام الكفاءة المادية لكلا الزوجين محل نظر عند إرادة بناء حياة زوجية متكافئة، فقد

حث الفقهاء على مراعاة الكفاءة المادية عند الزواج

استشارت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ في خطبة معاوية بن أبي سفيان لها، فقال لها النبي ﷺ موضحا هذا الأمر بقوله «وأما معاوية فصعلوك لا مال له» (رواه مسلم).

وهنا حث فقهاؤنا على توافر الكفاءة المادية عند الزواج فقالوا: وأما الكفاءة في الغنى فمعتبرة عند أبي حنيفة ومحمد حتى إن الفائقة في اليسار لا يكافئها القادر على المهر والنفقة؛ لأن الناس يتفاخرون بالغنى ويتعيرون بالفقر. (الهداية في شرح بداية المبتدي).

فكون الزوجة أغنى من الرجل قد يؤثر على ممارسة الرجل لحق القوامة ويخل به، فينعكس ذلك على قيام الأسرة واستقرارها، مما يؤدي غالبا إلى تفككها وانفصالها.

- كذلك يعمل الفارق الكبير في السن بين الزوجين على تفريق هذا الشمل وعدم استمراره، لكونه يسبب ضررا أو يخلق مفسدة تعاني منها الزوجة، فجاء الإسلام ووضع قاعدة جليلة هي: «درء المفاسد ومنع الضرر».

وعندما أظهرت الدراسات الطبية والاجتماعية والنفسية، أن الفارق الكبير في السن بين الزوجين يترتب عليه التباين الشديد في القدرة الجنسية، ويوجد هوة كبيرة وفجوة عميقة نفسية وعقلية بينهما، تحول بين تفاهمهما وانسجامهما معا في حياتهما الخاصة، وتلقي بتبعة تربية الأولاد على الأم الصغيرة التي تفتقر إلى رعاية، لأن الزوج أصبح هرما لا يستطيع الاهتمام بهم وبتربيتهم، ما أثر سلبا على معاملة الأولاد، وكان سببا من أسباب تفكك تلك الأسرة.

عندئذ يسود الحياة الأسرية القلق، ويختفي منها الاحترام المتبادل بين الزوجين، وعدم صيانة الأسرار، بسبب انهيار منظومة الأخلاق، وعدم إدراكهما أن الحياة الزوجية قائمة على السكينة والمودة والرحمة، وليست ميدانا للمبارزة والعناد أو للسيطرة والتحكم.

وكثيرا ما يصل هذا الحال إلى امتناع كل من الزوجين عن ممارسة الحياة الزوجية الطبيعية، فحالهما التخاصم والتنافر، وتموت بينهما لغة الحوار، وإن شئت فقل يحدث عندهما طلاق صامت.

وإن أولى سبل الوقاية والعلاج لهذه الظاهرة المدمرة، بناء نفوس مؤمنة، وتنشئتها نشأة تربطها بأصول الإيمان وتعاليمه منذ تمييزها، فتخرج للمجتمع بما تربت عليه.

وقديما قال المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجى، ولكن
يعلمه التدين أقربوه

وبهذا تنشأ شخصية مستقيمة، تملك أدوات تفادي ومواجهة وحل أغلب المشكلات، بإيمان راسخ وعقل مستنير، ولا تفت تلك المشكلات في عضدها ولا توهن قواها.

فإن قيام الأسرة على أسس متينة، والتزام تعاليم الإسلام في تكوينها، يساعد على نجاح مهمتها، ويضمن استمرارها وابتعادها عن كل ما يعكر صفوها أو يحدث خللا في تماسكها.

وهذا ما نرجو..

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
مصر





آيات الله ورحمته في الطلاق

الطلاق تشريع إلهي، والتشريع الإلهي دائما يراعي مصالح العباد، قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ (البقرة:٢٢٩).

لكن هذا الحكم الشرعي تسبقه علاجات ومحاولات دائبة مخلصة لرأب الصدع، ولم الشمل، والحفاظ على هذه الأسرة المسلمة حتى لا ينفرط عقدها.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ (النساء:٣٤).

فالوعظ والتخويف بالنصيحة والحوار، ثم العلاج بالهجر في الفراش للتأنيب والتربية، ثم مرحلة الضرب غير المبرح، وهو ما لم يفعله النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام، ولما وقع الضرب من البعض قال ﷺ: «ليس أولئك بخياركم» (رواه أبو داود).

ثم تأتي محاولة الإصلاح من حكمين من أهل الزوجين في محاولة جادة مخلصة للإصلاح بينهما، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ (النساء:٣٥).

فإذا تناول الناس كل هذه المحاولات وجانبهم التوفيق، يكون الطلاق حلا حاسما، إذا استحالت العشرة لم يبق بد من الطلاق، وكما كانت الحياة الزوجية محفوفة بالمودة والرحمة والمعروف، كذلك كان الطلاق محفوفا بالإحسان، قال تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ (البقرة:٢٢٩).

الطلاق أداة انتقام

الطلاق كممارسة عملية في حياة النبي ﷺ وسلفنا الصالح، كان حكما شرعيا يمارس ويطبق في إطار ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾، ولم يكن أداة انتقام أو سلاحا يشهر في وجه الآخر للتهديد والوعيد.

لقد أصبح الطلاق في كثير من الحالات يستخدم كأداة انتقام وإذلال وحرب شعواء، ونرى في توابع الطلاق أمورا مفزعة، مئات الآلاف من القضايا على مستوى العالم العربي والإسلامي ما بين طلاق وخلع ونفقة.

تشهد أروقة المحاكم اتهامات متبادلة، حتى ربما لا دليل عليها سوى الافتراء المحض، وإرادة الانتقام والتشفي، وصراع المكائد، والتدابير الماكرة للإيقاع بالآخر والانتقام منه.

لقد تحول الطلاق إلى أمر مفزع بسوء الممارسات التي تحدث من استخدامه بغير آدابه وضوابطه الشرعية، محاولة الانتصار وإنزال الخسارة فقط بالخصم، الذي كان يوما ما يعيش مع زوجه في مودة ووئام.

تزيين الشياطين للطلاق

عندما يخيم شبح الطلاق على البيت، وعندما يحل الطلاق الصامت قبل الطلاق الجسدي الصارخ، فإن الشياطين تؤزهم أزا، والأهواء تتلاعب

وتزين حلاوة الفراق والطلاق، وحلاوة التجربة الجديدة المنتظرة التي ربما يعد لها، في عالم يشبه عالم الخيال والأساطير بحثا عن كامل الأوصاف!
إن تجارب الزواج المتكرر تتساوى تقريبا، وربما تكون التجربة الأولى هي الأفضل والأنجح على الإطلاق. تلك هي الحقيقة التي يتغافل عنها بعض الناس.. شغلتهم عن هذه الحقيقة الأماني الكاذبة، وأحلام اليقظة التي تستدرجهم للتخلص من الزواج الحالي والاستعداد للعرس القادم!
إن الجميع من أطراف الأسرتين يجنون مرارة ذلك الطلاق وتوابعه في شكل أحزان وهموم ونكد، والله المستعان.

حقيقة الطلاق

الطلاق ليس انفكاكا ولا انعتاقا ولا تخلصا من الزوجة والأبناء، بل هو حكم شرعي آخر وارتباط بصورة جديدة مع أم الأبناء والأبناء، حيث النفقات المترتبة على الطلاق من مؤخر الصداق، ونفقة العدة، ونفقة المتعة؛ جبرا لخاطرها ورعاية لمشاعرها، ثم النفقة الممتدة للأبناء حتى يبلغوا السعي والقدرة على طلب الرزق، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣)،
وقال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢٤١).
فإذا قطعت العلاقة الجسدية بين الزوجين من عدم الاجتماع والعيش تحت سقف واحد، فإن علاقة أخرى تنشأ بعد الطلاق مع مراعاة الحقوق الشرعية.. فالحقيقة لا خلاص ولا انفكاك، إنما حياة بأحكام شرعية مع الحرمان من آية من آيات الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).
إنها حرمان من العلاقة الأولى على الإطلاق بين الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

آثار الطلاق

إن الطلاق بهذه الصورة يحدث جروحا لا تلتئم، لا أحد يحقق أرباحا ومكاسب من وراء الطلاق. وأول من يتأثر سلبا بالطلاق الزوجان، والأبناء نفسيا وعاطفيا، وتنمو الكراهية بين الطرفين، وتحل محل المودة والرحمة، ويزين الشيطان طرق الانتقام للطرفين بالاعتداء أو الانحراف أو تدبير المكائد.. وغيرها من سلوكيات خاطئة تغضب الله تعالى.
كل من الزوجين يقع أسيرا للتفكير في الماضي الأسيف وما خسره من دفء الأسرة، وآهات الأحزان والتحسر، وربما تحدث إصابات وأمراض عضوية.
فقد أثبتت بعض الدراسات وجود ارتباطات وثيقة بين الطلاق ومعدلات الأمراض المعدية، وأمراض الجهاز الهضمي، والأمراض الطفيلية، وأمراض الجهاز التنفسي، وغير ذلك من الآثار العضوية التي لا يتسع المجال لذكرها.

أسباب الطلاق

كثيرا ما نذكر أسباب الطلاق في المحاضرات والأبحاث والمؤتمرات، غير أني أعتقد أنها غير محصورة وتفوق الحصر والعد.
هناك أسباب قد تكون قوية، وأسباب واهية، وأخرى عجيبة وغريبة؛ ربما يكون أحدها: عدم العثور على فارس الأحلام وكامل الأوصاف، الذي لا وجود له في الواقع، لكن يوجد في الخيال والتفكير العقلي، تماما كالغول والعنقاء والغراب الأبيض.
إن السبب الأوحد والأعظم في الطلاق في اعتقادي هو عدم تقوى الله تعالى في هذه العلاقة المقدسة، ولو عاش كل من الزوجين يتقي الله في معاملاته، ويقدم كل واحد منهما لصاحبه ما يحبه ويرضاه من تفاصيل الحياة السعيدة ابتغاء وجه الله، لتغير حال أمتنا إلى أحسن حال ولكانت بيوتنا واحات وجنات وروضات وبساتين وارفة الظلال.

هل هناك علاج؟

ليكن هناك تكاتف وجهود مكثفة من وزارات وجمعيات خيرية تقف وقفة ملؤها المروءة والرحمة والعدل، لإنقاذ الأمة من هذه القنبلة الموقوتة، وللوقوف أمام هذا الزحف الهائل والسيل الهادر لحالات الطلاق، بالعلاج، والتدخل بالنصح والإرشاد، والأخذ بيد الزوجين حتى لا يتعثرا ويسقطا في الطلاق، بنظام وآلية قانونية وشرعية تحول دون وقوع هذا الأمر، لابد أن تكون قضية رأي عام تتناسق فيها كل الجهود لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.
إنها ليست صيحة نذير من مصلح يسبح ضد التيار الجارف في المجتمع، أو صرخة مبحوحة في واد سحيق من شيخ تعلو صيحاته من فوق المنبر.
إنها خواطر أب؛ والد يخشى على بناته وبنات أمته، صروف الدهر، وتقلبات الزمان.
إن لحظات الزمان تمر وتمضي مسرعة ولن تعود، فلماذا النكد والمشاكل والعناد والمشاحنات؟
لماذا نحرم أنفسنا من لحظات الدفء الأسري والوئام العاطفي والسعادة الزوجية؟
لماذا يقدس بعض الناس في أمتنا النكد والمشاكل والأحزان؟ مع أن القرآن الكريم نزل لرفع النكد والأحزان والشقاء.
قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ (طه:١-٢).



د. خالد برادة
كاتب وباحث أكاديمي

الرحلات العربية ومحاولة اكتشاف العالم الغربي

لن نجانب الصواب إذا قلنا إن الرحلات لا تنفك عن الإنسان، بحيث قد تكون مطمحا له في حياته، فلا يستقر حاله إلا إذا يمم وجهه صوب المصر الذي يتطلع إليه، ولكن الدافع إلى بعض الرحلات قد لا يكون دافعا نزيها، حيث إنك تجد في كثير من الرحلات الغربية أن الدافع التنصيري كان وراءها، ولذا فقد تجشم كثير من الرحالة الأوروبيين الصعاب، كي يمضوا قدما في رحلاتهم لاكتشاف الشرق، وقد يظن أن هدفهم كان اكتشاف العالم الإسلامي، ولكن سرعان ما يتبين أنهم «أرادوا أن يثبتوا تفوق النصرانية على الإسلام»(١)، وكانت نظرة بعضهم إلى المسلمين، نظرة يشوبها العداء، الذي عرفه التاريخ، ويتجلى ذلك في رمي المسلمين بأبشع النعوت والأوصاف، فهذا مثلا (وليام ليثقو) وهو أحد أوائل الرحالة، قد «نظر إلى المسلمين على أنهم كفار»(٢)، ولم تخل رحلات أولئك الرحالة من إعداد تقارير لصالح بلدانهم، تسهيلا لمعرفة العدو الشرقي كما يسمونه، وليسهل عليهم ادعاء ما أرادوا أن يثبتوه، على أنه ما لبث بعضهم أن تطامن للحق، لما استقر الإسلام في نفوسهم(٣).

ولإن كان الحال لدى جل الرحالة الغربيين على النحو الذي أشرنا إليه؛ فإنك تجد بعض الرحلات العربية، كان هدفها هو التزود من علوم الغرب، وذلك بمراسيم دولية، دونك -مثلا- البعثات الطلابية المغربية إلى الديار الفرنسية، ويبدو أن الغاية من إرسالهم، وطلب مكوثهم لسنوات عدة للدراسة في ديار الغرب، كان بهدف أن «تثير في ذهن أعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية»[٤]، وهذا له أسوأ الأثر على الثقافة في المغرب، حيث إن ذلك الوفد الطلابي، سرعان ما عاد ليتبوأ مناصب لها تأثير على ثقافة أهل المغرب، وأخطرها: إنزال النموذج الغربي، في المراحل الدراسية لدى الناشئة، وطلاب الجامعة؛ وهذا مما أضر بالتعليم، حيث لم يكن النموذج الغربي صالحا له، ومن ثم لم يكن من ورائه نفع يرتجى.

ولقد عمد كثير من الطلاب الذين رحلوا إلى الديار الأوروبية إلى تصوير ما اعتمل في نفوسهم إبان الرحلة، من إعجاب بما رأوه، فوصفوا لبني جلدتهم ما أمكنهم وصفه، ويغلب على ذلك إعلاء صورة الآخر، مقابل التهوين من قدر الذات، ومن ذلك ما ذهب إليه عبدالله الفاسي الفهري، من وصفه لرحلته إلى باريس، حيث يرى أن «فرنسا هي الجديرة بما تستحقه من الثناء والإعجاب والفخر الذي ليس على شمسه المنيرة حجاب»[٥]، وينحو هذا النحو السوري محمد كرد علي، الذي عمد بعد رحلته



إلى الغرب إلى طريقة المقارنة بين الغرب والشرق[٦]، لينتقل بعد ذلك إلى التحريض على التخلص من براثن البيئة الخاصة لقبول بيئة أخرى والإقبال عليها، والانخراط في بنية قيم بشرية مغايرة لها صولتها على النفوس.

ويبدو أن هذه الرحلات العربية على النحو الذي أشرنا إليه، لا تعد من الاستغراب في شيء، بل هي داخلة في ما يسمى بـ «الانبهار بالغرب»، حيث يتم التزود بحضارته، للإشادة بها، على حساب التهوين من شأن الحضارة الإسلامية، فالرحلات إلى الغرب، سواء من المغرب أو المشرق[٧]، إذا لم تخضع الغرب للفحص العميق، والنقد الدقيق، فإنه لا يمكن اعتبارها من الاستغراب، بل لا تعدو -إذ ذاك- أن تكون من التغريب؛ فالمحك الحقيقي في تصنيف الرحلات العربية ضمن أبحاث الاستغراب، هي تلك التي كان منطلقها اكتشاف جغرافية الآخر وفكره، لوصفه ثم تمحيصه ونقده.

وننوه هنا ببعض الرحلات التي لم تكن متحيزة إلى الغرب، فاعتمدت على الوصف وحده، ومن أبرزها تلك التي كان هدفها وصف بلاد الروس، كرحلة محمد عياد الطنطاوي، إبان القرن التاسع عشر، حيث إنه «رافق مسيرة الاستشراق الروسي منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر»[٨]، وقد أبدى الطنطاوي دورا بارزا في تدريس اللغة العربية في البلاد الروسية[٩]؛ وسواه ممن تعاقب على تدريس اللغة العربية وآدابها في جامعة بطرسبورغ، ونذكر من بينهم «سليم نوفل، وعبدالله كلزي، وجمال الدين الأفغاني،»[١٠].

ويجدر بنا الآن أن نقدم صورة مشرقة لما كان عليه الرحالة المسلمون، الذين جابوا الأقطار منذ عهد مبكر، ونذكر من بينهم: أحمد ابن فضلان، الذي رحل إلى (بلغاريا)، ورسم صورة واضحة عن تلك البلاد، وحضارة أهلها وعاداتهم[١١]؛ فضلا عن وصفه للعجم والأتراك، والروس والصقالبة؛ هذا ما عدا الرحالة الذين زاروا تلك البلاد بعد ابن فضلان، ولكن معظمهم لم يدون عنها شيئا يذكر؛ ورحل أبوالريحان البيروني (ت:٤٤٠هـ) إلى بلاد الهند، حيث وقف موقف المؤرخ في كتابه: تاريخ الهند؛ وإذا ذكرنا الرحلة إلى الهند، فإنه لزاما علينا أن نشير إلى الرحالة الشهير محمد بن بطوطة (ت:٧٧٩هـ) الذي رحل إليها كذلك،

ووصف عادات الناس هناك، كما أنه وطئ بلاد الصين[١٢]، وذكر أن للمسلمين امتيازات بها، ومفاد ذلك في أن أمور المسلمين «ترجع إلى شيخ لهم، تكون أمورهم راجعة إليه، وقاض يقضي بينهم»[١٣].

ويعتبر ما قام به أبو الحسن محمد ابن جبير (ت:٦١٤هـ) من رحلات مدخلا إلى فهم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، حيث «نبه إلى ما كان من مودة وعلاقات تجارية بين أفراد المسلمين والمسيحيين»[١٤]، مما يعتبر إسهاما معرفيا داخلا في علم الاستغراب، وإن لم يعرف وقتذاك بهذا الاسم؛ حيث بدأ المسلمون في تدوين أخبار البلدان التي رحلوا إليها وجاسوا خلالها، وخبروا أهلها، ومن بينهم اليعقوبي (ت:٢٨٤هـ) في كتاب البلدان، والإصطخري (ت:٣٤٦هـ) في صور الأقاليم، والمسعودي (ت:٣٤٦هـ) في مروج الذهب ومعادن الجوهر.

ومن يطالع كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) يجد أن صاحبه -ابن فضل الله العمري (ت:٧٤٩هـ)-، قد أرخ لتاريخ الحضارة الإسلامية، التي امتدت إلى الأمصار والأقطار كافة، مثل الهند، وإيران، وبلاد الترك، والصين، والروم، وسواهم من البلدان في كل صقع ونجع؛ ولم يقتصر عمل (ابن فضل الله العمري) في كتابه على الذي ذكرناه، بل تعداه إلى استعراض العمران عند الشعوب، مع قيامه بمقارنة بين الشرق والغرب.

إن اكتشاف هؤلاء للبلدان، وخاصة لديار الغرب، لم يكن بباعث التنائي عن ديارهم، لتسلية نفوسهم، بل إن السفر إذاك لم يكن هينا، حيث كان تجشما للصعاب، ومن همتهم أنهم لم يكتفوا بالارتحال برا، بل سافروا كذلك بحرا؛ والذي حدا بهؤلاء إلى الرحلة إلى ديار الغرب، كان بهدف معرفته عن قرب، ومن ثم تقديم وصف كاشف عنه لأقوامهم، يحدوهم في ذلك هدي سلفهم، ولا يعزب عن ذاكرة التاريخ ما هدى الله إليه الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث إنه «طلب من حكيم معاصر له أن يصف له المدن وجوها ومنازلها وأثر المناخ على سكانها»[١٥].

ولقد كان للتقاعس عن دراسة الأمم الأخرى أسوء الأثر في ابتعاد المسلمين عن تحصين ذاتهم منه؛ مما سهل الغزو الصليبي، والاستعمار العسكري والغزو الفكري، فأدى ذلك إلى التبعية للغرب، ومرد ذلك إلى تقاعس المسلمين عن تجشم الصعاب واقتحام الأهوال، للرحلة إلى بلاد العجم -وإن رحلوا فلا تعدو أن تكون بعثات طلابية تغريبية- بحثا عن فهم طبيعة عيش القوم هناك، ومعرفة عاداتهم، والأهم من ذلك هو اكتشاف طريقة تفكيرهم، ومعرفة دينهم الذين يدينون به، ونظرتهم إلى المسلمين.

الهوامش

١- صراع الغرب مع الإسلام: استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، آصف حسين، ترجمة: د. مازن مطبقاني، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ، ص٥١.

٢- المرجع نفسه، ص٥٢. (بتصرف)

٣- راجع في ذلك ما أورده الدكتور علي إبراهيم النملة في كتابه: الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص١٤٠، ١٤٧.

٤- مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٧٦.

٥- حديقة التعريس في بعض وصف ضخامة باريس، عبدالله الفاسي الفهري، نقلا عن: الرحالة العرب ودهشة اكتشاف الغرب، د. عبدالنبي ذاكر، سلسلة شرفات، العدد٥١، ضمن منشورات الزمن، المغرب، فبراير ٢٠١٥م، ص٥١.

٦- انظر: غرائب الغرب، محمد كرد علي، المكتبة الأهلية، مصر، ط٢، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص١٧٠، ١٧١.

٧- لم أشأ أن آتي على رحلات المشارقة في العصر الحديث، وما جر ذلك إلى تفتحهم على الثقافة الغربية، كرفاعة الطهطاوي، وفرح أنطون، وجبران خليل جبران، وأمين الريحاني، وإيليا أبو ماضي، وسواهم؛ مما ترك أثره العميق في الجانب الفكري والفني، خاصة في الأدب العربي، حيث وجدنا نشوء جمعيات عربية في المهجر، كالعصبة الأندلسية، والرابطة القلمية؛ مما أدى إلى التأثر الكبير بتلك البيئات الغربية، على الدراسات الأدبية.

٨- الاستشراق الروسي: دراسة تاريخية شاملة، د. سعدون محمود الساموك، دار الناهج، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٠٨.

٩- انظر: المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساته عنه منذ ألف عام حتى اليوم، نجيب العقيقي، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٦٥ (بتصرف يسير).

١٠- إضاءات على الاستشراق الروسي، د. فاطمة عبد الفتاح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص٣٩، ٤٠. (بتصرف).

١١- لمزيد من الاطلاع على وصفه لبلاد البلغار، يفيد الرجوع إلى كتاب: رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزرج والروس والصقالبة، أحمد بن فضلان، تحقيق: د. سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق.

١٢- شكك بعض النقاد في أن ابن بطوطة لم يصل إلى بلاد الصين. انظر: حديث السندباد القديم، حسين فوزي؛ وكذلك الشأن بالنسبة لرحلته إلى الهند، حيث لم يسلم ابن خلدون في مقدمته، بالأخبار التي أوردها ابن بطوطة عن الهند، واستبعد أن يكون ابن بطوطة قد زار تلك البلاد. انظر: تاريخ ابن خلدون، ج١، ص١٨١، ١٨٢.

١٣- انظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، المطبعة الخيرية، ط١.

١٤- انظر: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، ٢٠١٣م، ص٦٤.

١٥- انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن المسعودي، المكتبة العصرية، ج٣، ص١٢٣.



إيمان بازرباشي
قاصة وكاتبة
سورية

بيوتات جنات

لطالما أكرمها زوجها وعاملها بالحسنى، لكنها دائما كانت تجد سببا لخلق النكد والمشاكل! كان يتمنى لو يسمع منها كلمة حلوة، لكنها ما كانت لتحقق له أمنيته، كان كبرياؤها المبالغ به يمنعها.. رغم أنها بلغت من العمر عتيا! أمضى حياته معها نكدا بنكد، رغم أن الله أنعم عليهما بكل شيء، المال والولد والصحة وكل ما يتمناه كل إنسان، كنت أحاول بحكم معرفتي لها أن أنصحها، وأقول لها: عيشي حياتك مع زوجك بحب وسعادة بلا مشاكل، الله أنعم عليكما بكل شيء فلم المشاكل، لم النكد؟! سامحيه إن هو أخطأ واغفري له إن هو قصر بعض الشيء، لا تنكدي عيشه لأجل أمور تافهة، أسعديه وأفسحي له المجال ليسعدك.. لا تضني عليه بكلمة حلوة، بضمة حانية، لكنها كانت تسمع نصائحي ثم تضرب بها عرض الحائط، وتمضي في أسلوبها ذاته مع زوجها، رغم أنها كانت تظهر لي أن نصائحي تعجبها، لكن تغير الطباع ليس بالأمر السهل، الأمر يحتاج إرادة قوية وعزيمة صلبة..

أصيب زوجها بمرض القلب واضطر لعمل جراحة القلب المفتوح ناهيك عن إصابته بمرض ارتفاع التوتر الشرياني جراء نمط الحياة المترع بالنكد الذي يعيشه ومع هذا لم تغير من أسلوبها في الحياة معه! إلى أن حانت تلك الساعة الموعودة! أصيب الرجل بجلطة دماغية أفقدته القدرة على الحركة في شقه الأيمن ناهيك عن فقدانه القدرة على النطق وتشتت كبير في الذاكرة! كانت الصدمة كبيرة عليها! فالزوج الذي كان يساعدها في أعمال المنزل ويجتهد في إرضائها رحل! وباتت أمام رجل آخر! رجل مشلول شللا نصفيا يحتاج إلى خدمة وعناية مستمرة! الرجل الذي كان يكلمها كلاما طيبا بات فاقدا لأي قدرة على الكلام ومهما بكت وندمت لن تسمع منه كلمة واحدة بعد اليوم! فالأطباء أخبروهم أن الجلطة التي أصابته كانت احتشاء كاملا، واحتمال الشفاء يكاد يكون ضئيلا جدا..

انقلبت حياة المرأة رأسا على عقب وباتت كثيرة البكاء والنحيب والندم على ما فات، وعاشت ما تبقى من عمرها على أمل أن يشفى زوجها ويعود إلى سابق عهده وعاهدت نفسها إن شفي زوجها ألا تعود لسابق عهدها في النكد واختلاق المشاكل، بل ستقدره وتحترمه وتعيش معه بكل ود ومحبة..



د. محمود حسني
كاتب مصري

الآفـــة



جاءتهم الأخبار من أطراف القرية، تحمل الخوف والفزع للجميع: الآفة تهاجم مزارع الفاكهة هناك بلا رحمة أو هوادة، تقضي على تعب أصحابها وحلمهم بربح وفير يفعلون به ما يريدون. «يجب علينا مقاومة هذه الآفة، والقضاء عليها، قبل أن تأتي إلينا بالخراب».. بهذا انطلقت حناجر أصحاب المزارع المتأهبين للدفاع عنها، وكما نصحهم مندوب الوحدة الزراعية؛ تحصنوا من الآفة بأعتى المبيدات قوة وأغلاها ثمنا؛ علها تُقهر وتُرد مخذولة مدحورة.. ولكن الآفة خيبت أملهم، إذ لم يكن لها راد ولا مانع، جاست خلال مزارعهم، وكأنها وحش يلتهم كل ما يقابله، أحسوا أمامها بالهزيمة المرة، فشهور من التعب والعناء ذهبت أدراج الرياح، آخذة معها ما أنفقوه من مال على هذه المبيدات العقيمة التي لم تترك لهم إلا الخيبة والخسارة.

ماذا سيقولون للتجار الذين سيأتون إليهم لشراء ثمار مزارعهم الناضجة التي ليس لها مثيل؟ فبسبب مذاقها الطيب وشكلها الذي يسر الناظرين يبيعونها خارج البلاد، إنها حقا مصيبة كبيرة، نزلت على رؤوسهم.

لم يكن هذا فقط هو ما يشغلهم، بل شغلهم وحيرهم أمر مزرعة الحاج شيخون، التي لم تصب بسوء، بل

على العكس، أثمرت له الخير الوفير، أضعاف ما كانت تنتجه الأعوام الماضية، على الرغم من أن المزارع المنكوبة بالآفة تحيط بها إحاطة السوار للمعصم.. إنهم لم يشهدوه قط يحصن أرضه بالمبيدات كما حصنوها؟.. كما لم يكن موجودا مثلهم في مزرعته ليعزل الفاكهة المصابة، ويراقب توحش الآفة، وتوغلها كما كانوا يفعلون متحسرين.
ماذا فعل كي يحصن أرضه؟
تردد هذا السؤال على ألسنة أصحاب المزارع المنكوبة كثيرا، وراحوا يوجهونه بإلحاح إلى الحاج شيخون الذي كان يبتسم في وجه سائليه دون أن يجيبهم بشيء؛ ما جعل أمر مزرعته لغزا محيرا، تحوم حوله التخمينات والأقاويل، وإن رجح الكثير منهم أن يكون الحاج شيخون قد وصل إلى علاج شاف من هذه الآفة، وهو يحتفظ بسره لنفسه؛ حتى تكون مزرعته وحدها ذات الفاكهة الطيبة المذاق والشكل؛ حتى يتهافت على شرائها التجار؛ بل يزايدون فيما بينهم للفوز بها.
لابد أن يجيبنا الحاج شيخون عن: كيف نجت مزرعته من هذه الآفة الملعونة؟ وإن لم يجب قاطعناه جميعا وعاديناه.. لأنه بذلك يريد الاستئثار بالخير لنفسه دوننا.
هذا ما عقد عليه العزم كل أصحاب المزارع المنكوبة، وأرسلوا به سيد العطار، أحد المقربين من الحاج شيخون؛ ليبلغه إياه، عله يأتي لهم بالخبر اليقين.
ذهب سيد العطار إلى الحاج شيخون طالبا منه إجابة شافية عن سؤال جيرانه.
قال له الحاج شيخون: في الأمر سر عاهدت نفسي بكتمانه.
وبعد برهة من الصمت والتردد، وإلحاح سيد في السؤال، أجابه الحاج شيخون: السر خاص بالخفير عمران.
قال سيد وملامحه تنطق بالاستغراب: وما حكاية الخفير عمران؟
بدأ الحاج شيخون يروي لصديقه سيد حكاية عمران الخفير، وكيف أفنى عمره في حراسة بيوت أصحاب المزارع الأثرياء، خاصة أيام جمع ثمار الفاكهة وبيعها للتجار؛ إذ بعد أن امتلأت خزائنهم بالمال الوفير، صاروا يتعالون على الفقراء، ويحتقرون السكنى بينهم، متعللين بالخوف على أموالهم من السرقة إذ ظلوا بين هؤلاء الفقراء؛ ما جعلهم يتخذون من الربوة العالية في أطراف القرية مكانا لسكناهم، ورأى كبيرهم إحاطة بيوتهم بسور عال له بوابة كبيرة، وبذلك يصبحون آمنين بأقل التكاليف.
كان الخفير عمران واحدا من ثلاثة خفراء يتناوبون حراسة السور، وتأمين ما بداخله من بيوت، إلى أن جاء يوم قامت فيه عاصفة هوجاء متربة بمحاصرة القرية من كل جانب، واستغل بعض اللصوص -الذين تجرأوا على تحدي هياج العاصفة- الفرصة للسطو ليلا على بيوت الأثرياء، وكان الخفير عمران في نوبة حراسته، وقد حاول التصدي لهم؛ لكن جلبة العاصفة الهوجاء غطت على صرخات استغاثته بالأثرياء.. وحتى يتمكن اللصوص من الفرار، قام أحدهم بضرب الخفير عمران ضربة قوية على رأسه.. أفقدته القدرة على تحريك الجانب الأيسر من جسده بعد ذلك. وعلى الرغم مما فعله؛ ألقى له الأثرياء بعضا من المال لا يقيم صلبا، ولا يلبي حاجة، ولا يكفي لملء فم هذا المرض المرعب، الذي أجبر زوجة الخفير عمران على طرق أبواب من ضحى بعافيته من أجلهم، لكنهم تهربوا منها، تاركين إياها إلى العمل والاستدانة؛ لتلبية حاجة أولادها وزوجها الذي مات مريضا، مخلفا وراءه خمسة أفواه جائعة، وتركة من الديون؛ تهدد أرملته بالسجن من حين إلى آخر.
وفي هذا الوقت ظهرت بوادر هذه الآفة الملعونة في مزارع القرية، وكان الحاج شيخون يستعد كغيره من جيرانه لشراء المبيدات لتحصين مزرعته الصغيرة.. وإذا به وهو في طريقه تصدمه رؤية الشرطة تقتاد أرملة الخفير عمران إلى السجن؛ لعدم سداد ما عليها من ديون؛ يشيعها بكاء أطفالها الخمسة، وكان أصغرهم متعلقا بذيل ثوبها.
لم يحتمل الحاج شيخون ما رآه؛ فذهب إلى دائنيها مسددا لهم ما عليها من ديون؛ لتعود إلى صغارها اليتامى؛ جاعلا ما فعله سرا ابتغاء مرضاة الله.. مضحيا في ذلك بما ادخره ليقي به زرعه وأولاده شر الآفة؛ تاركا أمرهم وأمرها على من سعى لابتغاء مرضاته.
لقد أدرك أخيرا أصحاب المزارع بعدما عرفوا ما فعله الحاج شيخون مع أرملة الخفير عمران، أن هذه الآفة تذكرة من الله نزلت بهم ليكفروا عما اقترفوه في حق الفقراء، وبخاصة الخفير عمران وأرملته، موقنين بأن إنفاق ما رزقهم به الله ابتغاء مرضاته وشكر نعمه، يقيهم شر ما تأتي به الأيام.



مصطفى عكرمة
شاعر وكاتب سوري

أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه

أبو بكر إمام المتقينا ... وأولهم وأصدقهم يقينا
وأول من تسموا راشدينا ... وأعبدهم لرب العالمينا

أبو بكر هو الصديق حقا ... يفوق الناس إيمانا، وصدقا
إذا قال الرسول تراه لبى ... وكم قد نال في الخيرات سبقا!

بحب المصطفى سيظل فردا ... وفي تصديقه كان الأشدا
وكان على هدى الإسلام ثبتا ... فلم يخلف لرب العرش عهدا

تجسد فيه إيثار، وجود ... وليس على تواضعه مزيد
على المرتد والعاصي شديد ... وبين صحابه سمح، ودود

جيوش الفتح أرسلها سريعا ... لكي يلقى عدو الدين ريعا
ويأبى في الشريعة أي نقص ... ولو قبلت به الدنيا جميعا

ولو لم يثبت الصديق حقا ... لعانى المسلمون أذى، وسحقا
وليس سواه بعد الرسل حر ... نرى إجلاله حقا، وصدقا



د. أبو زيد بيومي
عضو اتحاد كتاب مصر

جف الكتاب

غدت الديار كأنها أطلال	غطى نضارة وجهها الإمحال
من بعد أن راق المقام لأهلها	زالت وهاهم أهلها قد زالوا
لو أن تلك الدارسات تكلمت	لبكت بعين دمعها سيال
ليت الذين ترجلوا قد أفصحوا	ليت الذين بجوف قبر قالوا
غفلت عيون ساهرات قد سعت	ألا يجيء بقربها إغفال
لكن أتتهم رقدة مادت بهم	فتبدلت بالساهرين الحال
ظنوا مقاما قد يطول فشيدوا	دورا بثوب بنائها تختال
من بالديار الآن يسكن جوفها	هلكوا وتهلك بعدهم أجيال
من هالك آل المتاع لهالك	سنن الفناء على الدوام مآل
أين العشيرة أين من نزهو بهم	أين الأقارب أين أين الآل
كم طاولوا عبر الليالي أنجما	حتى كأن فناءهم لمحال
كم سابقوا خطو الرياح بخطوهم	صالوا بعز في الحياة وجالوا
لكنهم بلغوا نهاية سعيهم	جف الكتاب وأحصيت أعمال
مروا كطيف فوق وجه زمانهم	فالدهر درب والسنون ظلال
لم تبق بعد العابرين بقية	وكأن دهر العابرين خيال
فتعثرت آمالهم من فورها	لما دنت من حتفها الآجال
والآن هاهم في التراب تقلبوا	وتبعثرت تحت الثرى أوصال
من بعد فوت للأوان تبينوا	أن المصائر في الحياة زوال
يا ويح نفس توقها نحو البقا	أرزت بها فوق الطريق رحال
يا كم تمنت أن يطول بقاؤها	ما زال شيء لم يطله نوال
ويد المنون تحول دون نوالها	إذ ليس في مقدورها الإمهال
ما بين شمس أشرقت وزوالها	هي هكذا دول الأنام تدال
فلم التقلب في وجوه سرابها	ويد الحقيقة صفعها ينهال
فانظر إلى أمم تقوض عهدها	ضربت بها وبغيرها الأمثال
سوى التراب جميع من حلوا به	كل عليه من التراب يهال
هذي عظام للذين استضعفوا	هذي لقوم قد علوا واختالوا
لو أفصحت هذي اللحود لأخبرت	أن الذين تكبروا جهال
ليت الذين ترجلوا قد أفصحوا	ليت الذي تحت التراب يقال



د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي
الجزائر

البناء الثقافي وضرورة الارتباط بالمصادر

إن الثقافة العميقة المؤسسة تأسيسا علميا ومنهجيا صحيحا، مدينة، بصورة أو بأخرى، لفضل كتب المصادر أو الكتب التأسيسية القديمة. ومن ثم فنحن لا نجد في واقعنا مثقفا واسع الثقافة راسخ المعرفة مبتوت الصلة بكتب المصادر؛ ولعل إلقاء نظرة على ما خطه هؤلاء المثقفون الراسخون في المعرفة، خصوصا في سيرهم الذاتية، تؤكد لنا هذه المسألة.

فهذه المعلومة الثمينة مرت بي أثناء مطالعاتي في كتب سير ومذكرات كبار الأدباء والعلماء والمثقفين، أمثال العقاد وأحمد أمين وطه حسين والمازني وعبدالعزيز الخويطر ومحمد البشير الإبراهيمي ومحمد الغزالي وغيرهم؛ ولذلك فإني أرغب في نقلها إلى أجيالنا الجديدة للإفادة منها والعمل بها فيما يتعلق ببناء عالمهم الثقافي والفكري.

بين المصدر والمرجع

المصدر هو الكتاب الذي نلقى بين طياته عادة المعارف والمعلومات الصحيحة المحققة، أو المضبوطة منهجيا من الناحيتين العلمية واللغوية، أي إن المصادر كتب شاملة في مجالها، ومعالجتها للموضوع مركزة، كما أنها مرتبة بشكل معين أو محدد لتسهيل عملية إيجاد المعلومات بسرعة ويسر. ومن وجهة نظر لغوية، اشتق المصدر من الصدر؛ أي: هو شيء له مكان الصدارة لأهميته وشدة الحاجة إليه.

أما المرجع فهو كتاب أو وعاء ثقافي ثانوي، أو هو كتاب يساعد في شأن إكمال المعلومات والتثبت من بعض المسائل، بيد أن المعلومات التي يحتويها تقبل الجدل والأخذ والرد غالبا بخلاف المصدر فإن مساحة الجدل حول مضامينه محدودة. ولعله من الأفضل في هذا السياق أن نعرض بعض الأمثلة كي يتضح البون أكثر بين كل من المصدر والمرجع.

إن ديوان الشاعر ابن الرومي مصدر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه البتة لكل من يود دراسة حياة وأدب ابن الرومي. أما كتاب الأديب الكبير عباس محمود العقاد «ابن الرومي حياته وشعره» فهو مرجع يرجع إليه الباحث الذي يرغب في استكمال المعلومات التي تتعلق بابن الرومي وبعض خصائص شعره. ذلك أنه يتضمن دراسة استندت إلى المصدر

الأول وهو «ديوان ابن الرومي»، إلا أن هذا المرجع يحوي كثيرا من الآراء ووجهات النظر التي يمكن أن يعترض عليها الآخرون أو على أقل تقدير يناقشوها ويقارنوها بغيرها أملا في الاهتداء إلى تقييم أكثر أهمية من جهة الوزن العلمي.

كذلك يعتبر كتاب «الكتاب» لسيبويه مصدرا رئيسيا للنحو وقواعد اللغة العربية، أما كتاب الدكتور شريف محسن محمود «دليل مفاتيح الإعراب الميسر» فهو مجرد مرجع في النحو والقواعد؛ لأنه استند إلى ما تم إقراره من قواعد وأقيسة وأبنية في كتاب «الكتاب»، كما أنه ليس شاملا في علم النحو، مثل كتاب «الكتاب»، بل هو يتناول محورا محددا فحسب وهو طرق تعلم الإعراب وتيسيرها لطلاب اللغة العربية.

ولاشك أن هذين المثالين من شأنهما أن يدفعا القارئ إلى إدراك البعد التأسيسي والرسوخ العلمي والمعرفي لكتب المصادر، وبالتالي إلى الاعتناء بها أكثر وإحلالها المنزلة التي تليق بها فيما يتعلق ببناء مساره العلمي والفكري والثقافي.

إن كتب المصادر تعتبر بحق الركيزة الذهبية في المكتبات وهي أيضا قلبها النابض؛ ولا نبالغ إذا قلنا بأن امتياز مكتبة على مكتبة أخرى إنما يكون أولا بما تحتويه من كم كتب المصادر وعددها. ولقد أدرك الباحثون والمحققون قيمة كتب المصادر فأطلقوا عليها عدة أسماء منها «الكتب الأصول» و«الكتب الأمهات» (الأصح «الكتب الأمات» أو «أمات الكتب»)، و«الكتب الأساسية» و«ركائز العلم».. إلخ.

أما أسلافنا المسلمون فقد أولوا كتب المصادر أهمية خاصة وأتاحوا فرصة إعارتها والإفادة منها لكل راغب ومقبل على العلم دون أي مقابل مادي، وفي هذا الصدد يذكر ياقوت الحموي، رحمه الله، أنه كان موجودا في مدينة «مرو»، وهي من مدن خراسان، وذلك في أواخر القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع، وكان يستعير من مكتبات «مرو»، البالغ عددها عشر مكتبات آنئذ كثيرا من الكتب، حتى إن بيته لم يكن يخلو من مئتي كتاب، في الوقت الذي كانت فيه المكتبات في أوروبا والغرب عامة معدومة أو نادرة، وفي حال وجودها فهي، كما يذكر المؤرخون، ملحقة بالأديرة والكنائس، كما أنها مقصورة على الرهبان ورجال الدين وخدام المعابد والأديرة، كما كانت تشد بسلاسل فولاذية إلى الجدران، كي لا يمكن إخراجها خارج هذه الدور، ولم تكن كتبا منوعة من حيث محتوياتها المعرفية، بل كانت في عمومها لا تخرج عن الطابع الديني اللاهوتي فحسب.

كتب المصادر تعتبر الركيزة الذهبية في المكتبات وقلبها النابض

مصنفات اعتنت بكتب المصادر

كما أشرنا فإن المكتبة العربية والإسلامية غنية ومترعة بكتب المصادر، فما بالك لو أتيح لنا استعادة التراث المخطوط الذي يوجد في كبرى مكتبات الغرب، مثل مكتبة الكونجرس في أميركا، ومكتبة الأسكوريال في إسبانيا، والمكتبة الوطنية في فرنسا، ومكتبة فيينا الوطنية في النمسا.. وغيرها كثير، بل إن المخطوطات الإسلامية موجودة في العديد من مدن إفريقيا ما وراء الصحراء، وخير مثال على ذلك: المخطوطات العربية والإسلامية بمدينة «تمبكتو» في دولة مالي.

ويسرنا أن نسوق للقارئ الكريم هذه العناوين الموسوعية التي اهتمت وأرخت للمصادر العربية والإسلامية، المطبوع منها والمخطوط على السواء، مع تفاوت في طرائقها المنهجية:

١- كتاب الفهرست لابن النديم.
٢- مفاتيح العلوم للخوارزمي.
٣- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري.
٤- خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور لسركيس عواد.
٥- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لإدوارد فنديك.
٦- إحصاء العلوم للفارابي.
٧- فهرس الخزانة التيمورية، من إعداد: دار الكتب المصرية.
٨- قاموس عام لكل فن ومطلب لبطرس البستاني.
٩- فهرست المخطوطات المصورة للطفي عبدالبديع.
١٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.
١١- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.
١٢- فهرست المخطوطات العربية، إعداد مكتبة الأسكوريال في إسبانيا.

ولا بأس أن نضيف إلى هذه النماذج والأمثلة: دوائر المعارف، مثل دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الألمانية، ودائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي، ودائرة معارف بطرس البستاني.. وغيرها كثير.

• بقي أن أذكر بأن بعض القراء يعتقدون بأن المصادر القديمة صعبة الاستيعاب وأسلوبها غير مفهوم، وأسارع إلى القول إن هذا مجرد وهم استدعاه عدم التعود على التعامل مع هذه الكتب، ومن يقرأ كتب الجاحظ مثلا فسوف تحببه في العودة إلى كتب المصادر وسوف تكون فرصة ذهبية للارتقاء بثقافته ولغته وذوقه.

ولا ريب أن انعكاسات التعود على الاستقاء من هذه الأوعية التأسيسية في ثقافتنا العربية والإسلامية تتجلى بعد ذلك في حديث المتحدث وكتابته على السواء.



د. خالد صلاح حنفي
أكاديمي تربوي
جامعة الإسكندرية - مصر

الترجمة إلى العربية
الماضي والحاضر.. وآفاق المستقبل

تمثل الترجمة قاطرة التقدم التي تقود الأمم إلى الأمام في معاركها ضد التخلف، وتحقيق أهداف التنمية، ولذلك لم يكن غريبا أن يحتفل العالم باليوم العالمي للترجمة سنويًا لما لها من أهمية في نقل المعرفة بين الشعوب على مر الحضارات العالمية، التي هي سلسلة تتداخل حلقاتها وتترابط إنجازاتها فتأخذ كل حضارة من سالفتها لإكمال مسيرة الإنسان في مهمته الكبرى في الحياة.

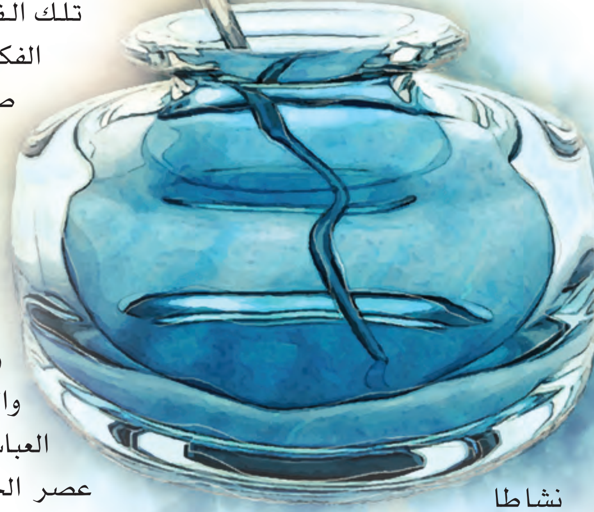
وكما يقول الكاتب الإنجليزي أنتوني برجس: «ليست الترجمة كلمات تنقل بل ثقافة تفهم».

ومن خلال السطور الآتية نعرض نشأة حركة الترجمة وتطورها إلى اللغة العربية عبر العصور المختلفة، بداية من عصور ما قبل الإسلام حتى العصر الحالي، ومجالاتها، وروادها، وكيف أثرت في الثقافة العربية ككل، وأخيرا مقترحات النهوض بحركة الترجمة العربية.

نشأة وتطور حركة الترجمة العربية ومجالاتها وروادها

تاريخيا احتك العرب قديما، بحكم العلاقات التجارية، بالفرس والروم والأحباش، وتعاملوا مع السريان والأنباط الذين كانت لغتهم قريبة جدا من اللغة العربية. وبعد الفتوحات الإسلامية واحتكاك العرب المسلمين بشعوب وثقافات جديدة نشطت حركة الترجمة؛ بهدف التعرف على ثقافات الشعوب الأخرى وعلومها.

ويرى محمد نافع العشيري أن تاريخ حركة الترجمة إلى اللغة العربية بدأ



نشاطا فرديا لبعض أمراء بني أمية في القرن الأول الهجري على يد خالد ابن يزيد بن معاوية (٨٥هـ)، الذي أنفق من ماله كثيرا على ترجمة الكتب اليونانية. وفي أيام الحجاج بن يوسف الثقفي تم نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية، ويعد أهم عمل ترجمي في ذلك العصر.

ويعد العصر العباسي الأول أزهى العصور الإسلامية في الترجمة في عصر الخليفة المأمون، حيث أعقبت تلك الفترة حالة من التراخي الفكري الذي تصاعدت فيه صيحات الصحوة بين حين وآخر.

وكان الاهتمام بالترجمة اهتماما فرديا في البداية، ثم تبنته الدولة الإسلامية فيما بعد وشجعته لمصلحة الدولة والسلطان. ورعت الدولة العباسية حركة الترجمة منذ عصر الخليفة أبي جعفر المنصور (١٥٨هـ/٧٧٥م)، وقد بدأ التقدم في حركة النقل والترجمة عند إنشاء «خزانة الحكمة» التي عمل بها كبار العلماء من أمثل الفضل بن نوخبت (الفارسي الثقافة)، ويوحنا بن ماسويه (كان مسيحيا سريانيا عالما يكتب اليونانية).

وقد ازدهرت الترجمة في عصر المأمون وكان شغوفا بالعلم وعقد المناظرات والمناقشات العلمية، وقد بعث الهدايا إلى ملوك أوروبا لإرسال كتب اليونان وأمر بترجمتها ونشرها بين الناس. وكان يساوم أعداءه ضمن

المعاهدات التي يبرمها معهم على اقتناء أو استنساخ كتب العلم، حيث قام بذلك مع ملك الروم وصاحب جزيرة قبرص، وأثرت هذه الترجمات على الحياة الفكرية في الدولة الإسلامية.

وكانت اللغة العربية قبل العصر العباسي لغة أدب، فلم تكن لغة للعلم، بل تصدرت لغات أخرى هذه المكانة، وقد نقل المسلمون عن السريانية والفارسية والهندية مباشرة إلى اللغة العربية لمعرفة العرب بلسان هذه الشعوب، كما نقلوا المعرفة اليونانية من السريانية، التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية، كما عرف العرب بعض أسرار الفراعنة عن طريق الأقباط.

ولعل أكثر الكتب التي ترجمت من اليونانية إلى العربية هي كتب الفلسفة والطب، وكانت تسمى كتب الحكمة. ومن العلماء اليونانيين الذين ترجم لهم أفلاطون وأرسطوطاليس وجالينوس وأبقراط وديموقريطس وفيثاغورث وأرخميدس. واشتهرت أسر كاملة بالترجمة من اليونانية إلى اللغة العربية، ومنهم آل بختيشوع، وآل حنين وهم من المسيحيين، وآل ماسرجويه من اليهود، وآل ثابت بن قرة من الصابئة.

وقد شكل حنين بن إسحاق علامة فارقة في الترجمة العربية، حيث كانت قبله تتم الترجمة بصورة حرفية، أما هو فاعتمد على فهم مضمون الجمل وترجمة معناها المجمل، كما قام بما يطلق عليه اليوم تحقيق النصوص عن طريق مقارنة المخطوطات ومراجعة الترجمات السابقة. وكان حنين يجيد اليونانية والسريانية والفارسية، وكان رئيس بيت الحكمة في عصر المأمون، وقد نقل ٣٩ من مؤلفات جالينوس إلى العربية. وترجم سبعة من كتب سقراط، وترجم التوراة من اليونانية إلى العربية، ونقل مئة كتاب إلى اللغة السريانية. وترك ٢٧٠ كتابا مترجما و١٥ كتابا من تأليفه. ومن تلامذته حبش بن الحسن الأعسم، الذي ترجم عددا من كتب جالينوس، وترجم إسحاق بن حنين إلى اللغة العربية كتب الطب والفيزياء والفلسفة اليونانية، وامتازت ترجماته بالدقة والفهم العميق لفكر أرسطو.

وتأثر العرب بالفرس ثقافيا وفنيا، فترجموا في فنون الشعر والقصص والنثر، وكان من أشهر المترجمين عبدالله بن المقفع وأحمد بن يحيى البلاذري. وترجم ابن المقفع كتاب «التاج» وهو عن سيرة أنوشروان، وكتاب «الأدب الصغير»، و«الأدب الكبير»، وكتاب «رسالة الصحابة»، وكتاب «خداي نامة» الذي يتحدث عن تاريخ الفرس، وكتاب «آيين نامة» الذي يتناول عادات الفرس ونظمهم وشرائعهم، كما ترجم كتب أرسطو في المنطق.

أما عن اللغة الهندية فقد اهتم العرب بترجمة كتب الحساب والطب والفلك والصيدلة، واهتم الخلفاء العباسيون بالفلك ومعرفة الطالع وأسرار النجوم. ومن أشهر الكتب المترجمة عن الهندية كتاب «السند هند»، وهو تحريف لاسم «سادهانتا» (أي المعرفة)، ومن أشهر الأطباء الهنود الذين ترجموا إلى العربية بازيكر وقليرقل وسندباد وابن دهن وابن وحشية.

العصر العباسي الأول أزهى عصور الترجمة

وعندما سطع ابن رشد في الأندلس وتم تداول كتبه، بدأ التغيير في الفكر العالمي من خلال ترجماته لكتب أرسطوطاليس، وكان لابن رشد فضل كبير في الحفاظ على أفكار أرسطو. وكان منهج ابن رشد يعتمد على مخرجات الإبداع الإنساني العلمي والفكري، ومن خلالها يتم بناء المنظومة الفكرية للحاضر والمستقبل بما يتوافق وروح العصر الجديد. وقد استفاد علماء الغرب من هذا المنهج الفكري، وبنوا عليه منهجا جديدا يتواكب وروح العصر، فتطورت دولهم وتقدمت، ومازلنا نحاول حتى الآن العودة إلى عصورنا الزاهرة.

وفي نهاية القرن العاشر برز من المترجمين متى بن يونس، وسنان بن ثابت، لكن عملية الترجمة دخلت في جمود خلال عصور تدهور الدولة الإسلامية، لتبدأ من جديد مع حركة التعريب والترجمة عن اللغات الأوروبية في عصر النهضة العربية. واهتم المترجمون العرب بالعلوم كالطب والطبيعة، خصوصا خريجي مدرسة الألسن التي أدارها الطهطاوي، وترجم الطهطاوي الدستور الفرنسي، وتُرجم عدد من الأعمال الطبية والتاريخية والفلسفية والجغرافية، بواسطة تلاميذه مثل أحمد الراشدي وخليفة محمود ومحمد مصطفى البياع وأفراد من سورية ولبنان، حيث ترجم سليمان البستاني «الإلياذة» لأول مرة إلى العربية، كما ترجم مروان النقاش الأعمال المسرحية، ومنها مسرحية «البخيل» لموليير، وقام أنطون الجميل بترجمة كثير من فنون الآداب

الأوروبية، وقام العقاد بالتعريف بمذاهب الغرب وفلسفاته وعباقرته في كتبه، ومنها كتاب «ساعات بين الكتب»، وقام المنفلوطي بترجمة روائع الأدب الغربي «ماجدولين» و«الشاعر» و«الفضيلة».

آثار الترجمة العربية على الثقافة واللغة العربية

لقد أثرت حركة الترجمة في العالم العربي فظهر العديد من الفنون في الأدب كالروايات والقصص وشعر التفعيلة، وأنشئت مؤسسات للاطلاع على الثقافة الغربية، كدار الكتب المصرية سنة ١٨٧٠م، كما أنشئت مصانع الورق والمطابع الأهلية.

ويرى الباحثون أن الترجمة أثرت في اللغة العربية في الجوانب الآتية:

١- إدراج كثير من المفردات الغربية بعد تعريبها في اللغة العربية كأسماء المخترعات والآلات والنظريات.

٢- ترجمة كثير من المفردات الأجنبية الدالة على معان خاصة تتصل بمصطلحات العلوم والفلسفة والأدب إلى مفردات عربية كانت تستعمل من قبل في معان عامة، فتجردت هذه المفردات من معانيها العامة القديمة وأصبحت مقصورة على المدلولات الاصطلاحية.

٣- التأثر بأساليب اللغات الأجنبية ومناهج تعبيرها وطرق استدلالها في المؤلفات العلمية والقصصية والأدبية وفي الصحف والمجلات.

٤- اقتباس الكثير من الصور والتشبيهات في اللغة العربية.

٥- وقد أدى كل ذلك إلى ظهور ما أطلق عليه الباحثون اليوم «العربية المعاصرة»؛ وهي عربية ممتلئة بالمصطلحات المعربة أو الدخيلة وبُنى جديدة تخرق أحيانا قواعد التركيب العربي الفصيح.

مرونة اللغة العربية وتأثرها وتأثيرها في اللغات الأخرى

ولم تكن الترجمة إلى العربية في كثير من محطاتها التاريخية مسألة اعتباطية تهدف إلى نقل المعارف والخبرات والثقافات إلى اللغة العربية، بل كانت في كثير من الأحيان مشروعا سياسيا أو فكريا أو ثقافيا. فمثلا يرى كثير من الباحثين أن ابن المقفع كان أكبر مروج وناشر للقيم الفارسية وأيديولوجيا الطاعة في الساحة الثقافية العربية والإسلامية، ليس بسبب كثرة ما ترجم ولخص ونقل فقط، ولكن بسبب صياغته العربية التي اعتبرت مثلا أعلى في الفصاحة والبلاغة، فكانت تؤخذ كنماذج لتعليم الكتابة ومن ثم تتسرب قيمها إلى الثقافة العربية والفكر بهدوء وعلى غفلة من وعي قارئها.

الترجمة وآفاق المستقبل

لقد أدرك العرب اليوم أهمية الترجمة لتنشط عملية ترجمة العلوم والثقافة والأدب في العصر الحديث والمعاصر، وعلى الرغم من المحاولات الجادة من بعض الدول العربية لإنشاء مؤسسات خاصة بالترجمة ونقل العلوم والثقافة من أمهات الكتب الأجنبية، ومنها المركز القومي للترجمة في مصر، ومركز التعريب التابع للألكسو، ومؤسسة محمد بن راشد وغيرها من عشرات المؤسسات بجهود كبرى في الترجمة، فإن أثرها مازال محدودا قياسا إلى الترجمة.

ولا يزال هناك الكثير من الخطوات أمام الدول العربية لتحقيق النهضة العلمية المنشودة والارتقاء بالثقافة العربية ويمكن أن يكون ذلك من خلال:

١- الاستمرار في دعم المؤسسات العربية والإقليمية المتخصصة في الترجمة والتعريب وزيادة ميزانياتها وتنسيق خطط الترجمة إلى العربية لتشمل فروع العلوم المختلفة.

٢- عقد المؤتمرات وتشجيع حركة البحث العلمي في الترجمة إلى العربية ودعم المترجمين والباحثين في ذلك السياق بصورة فعالة.

٣- عقد المسابقات بين المترجمين لترجمة أمهات الكتب في فروع العلم المختلفة، وتوفير المكافآت والحوافز المناسبة، واستقطاب الأكفاء منهم للتصدي لترجمة الكتب.

٤- التوجه نحو تعريب فروع العلم المختلفة ولغة التدريس في المراحل التعليمية المختلفة، وبالأخص المرحلة الجامعية والتدريس باللغة العربية إلى جوار اللغة الأجنبية على الأقل وحتى تعود اللغة العربية لغة العلم وليست مجرد لغة للأدب.

٥- التوعية في القنوات الإعلامية المختلفة بأهمية اللغة العربية ومكانتها، وأهمية الترجمة إلى العربية كأساس للنهضة العلمية والبحث العلمي، ولا يتم الاكتفاء باستخدام الإنجليزية في التعامل مع الكتب والمراجع الأجنبية.

٦- تبني مشاريع تطوير برمجيات وتطبيقات حاسوبية للترجمة العربية المتخصصة في كل المجالات بدلا من الاعتماد على المعاجم والقواميس بصورتها الورقية التقليدية.



د. إبراهيم سند الشيخ
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم
مصر



اختلاف اللهجات العربية ثروة لغوية

لقد تعددت اللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية، واختلفت خصائصها اللغوية من قبيلة إلى أخرى، وقد أشار الأقدمون في مؤلفاتهم اللغوية إلى بعض هذه اللهجات، ومنها: (لهجة أهل الحجاز، ولهجة بني تميم، ولهجة بني أسد، ولهجة قيس، ولهجة بلحارث بن كعب، ولهجة بلعنبر، ولهجة بكر بن وائل، ولهجة بني قشير، ولهجة طيء، ولهجة أهل اليمن،...) وغيرها الكثير والكثير من اللهجات العربية التي استوعبت المستويات اللغوية المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية).

نتائج تعدد اللهجات

إن من نتائج تعدد اللهجات العربية واختلافها في المستويات اللغوية ما يأتي:

١- اختلاف اللهجات في بنية الكلمة الواحدة؛ ومن ذلك اختلافهم في بنية الفعل (يستحي) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة:٢٦)، فيستحيي (بياءين) لغة أهل الحجاز، أما بنو تميم فيقولون: يستحي

(بياء واحدة)[1]، وفي قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًا﴾ (البقرة:٦٠) بنو تميم يكسرون الشين وأهل الحجاز يسكنونها[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة:٦١)، الفوم: لغة قديمة، وهي: الحنطة والخبز، والعرب تبدل الفاء بالثاء؛ فيقولون: جدث وجدف، والأثاثي والأثافي، وكثير من بني أسد يسمي (المغافير): المغاثير[3]، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ (العاديات:٩)، يقول الفراء: «سمعت بعض أعراب بني أسد قرأها؛ فقال: بحثر، وهما لغتان: (بحثر وبعثر)»[4].

٢- اختلاف اللغويين في المسألة الصرفية الواحدة، ومن ذلك اختلافهم في تذكير أو تأنيث بعض الكلمات العربية، فأهل الحجاز يؤنثون (الصراط، والطريق، والزقاق، والسبيل، والسوق)، وبنو تميم يذكرون هذا كله، وبنو أسد يؤنثون: الهدى[5]، وبقية اللهجات يذكرونها.

٣- تعدد المعاني الصرفية للصيغة الواحدة، فمثلا صيغة (أفعل) تدل على التعدية، نحو: أقمته وأقرأته، (فالفعل في أصله لازم، فلما دخلت عليه الهمزة صار متعديا)، والدخول في الشيء مكانا أو زمانا كأصبح وأمسى، أي: دخل في الصباح والمساء، والاستحقاق كأحصد الزرع، أي: استحق الزرع الحصاد، والتعريض كأرهنت المتاع، أي: عرضته للرهن، والسلب والإزالة كأعجمت الكتاب، أي: أزلت عجمة الكتاب بنقطه، ومصادفة الشيء على صفة، كأكرمت زيدا، أي: صادفته كريما[6].

٤- تعدد الصيغ الصرفية للمعنى الواحد، فمثلا: المطاوعة معنى صرفي تدل عليه بعض الصيغ الصرفية، مثل صيغة: (انفعل)، و(افتعل)، و(تفعل)، و(تفاعل)، و(أفعل)، ومعنى المشاركة تدل عليه صيغ صرفية، مثل: (فاعل)، و(تفاعل)، و(افتعل).

٥- اختلاف اللغويين في بعض المسائل النحوية (نتيجة اختلاف اللهجات على المستوى التركيبي)؛ ومن ذلك الاختلاف في المطابقة بين الفعل والفاعل، فإذا أسند الفعل إلى فاعل ظاهر (مثنى/جمع) جرد في اللغة المشهورة من علامة التثنية أو الجمع، وقد تلحق الفعل علامة التثنية أو الجمع، وهذه اللهجة نسبها النحويون إلى لغة (أكلوني البراغيث)، وقد حكاها النحويون عن طيء، وحكاها



بعضهم عن أزد شنوءة، وحكاها آخرون عن بني الحارث بن كعب[7]، وعلى هذه اللهجة جاءت بعض الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (الأنبياء:٣)، وقوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[8] بإلحاق الفعل علامة الجمع (واو الجماعة).

وإن اختلاف اللغويين في المسائل الصرفية والنحوية -كما في (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري)... وغيره من كتب الخلاف النحوي- يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، وحرص كل فريق من النحاة على عرض شواهده لإبراز حجته اللغوية، وتدعيم موقفه النحوي؛ فيعتمد كل فريق على أقوال العرب ولهجاتهم؛ وبذلك فإن اختلاف اللهجات العربية وتعددها سبب في كثرة المدونات اللغوية في مسائل الخلاف النحوي.

٦- ثراء المعاجم العربية بالمادة اللغوية حول اللهجات ولغات القبائل، ومثال ذلك ما جاء في لسان العرب لابن منظور: «فاظت نفسه (بالظاء) لغة قيس، وفاضت (بالضاد) لغة بني تميم، قال أبو حاتم: سمعت أبا زيد يقول: بنو ضبة وحدهم يقولون فاضت نفسه، وحكى المازني عن أبي زيد: كل العرب تقول فاظت نفسه إلا بني ضبة فإنهم يقولون فاضت نفسه، وأهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت دمعته، وزعم أبو عبيد أنها لغة لبعض بني تميم يعني فاظت نفسه وفاضت»[9].

٧- كثرة المدونات اللغوية في غريب اللغة، مثل: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ)، والعشرات في غريب اللغة لأبي عمر الزاهد (ت: ٣٤٥هـ).. إلخ.

٨- تعدد المعاني الدلالية للكلمة الواحدة، أو بعبارة أخرى: اتساع معاني اللغة، فمثلا كلمة: (الضبس)

معناها: في لغة تميم: الخب، وفي لغة قيس تعني: الداهية[10]، والسدفة في لغة بني تميم تعني: الظلمة، وفي لغة قيس تعني: الضوء، وحكى الجوهري عن الأصمعي: «السدفة في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة غيرهم: الضوء، وهو من الأضداد»[11].

٩- كثرة المؤلفات في النوادر اللغوية التي تعنى بتفسير غريب اللغة ونوادرها وإيضاح معانيها، مثل: النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، والنوادر لأبي مسحل الأعرابي.

نشأة ظواهر لغوية جديدة

وقد نشأ عن اختلاف اللهجات العربية وتعددها بعض الظواهر اللغوية، مثل:

١- ظاهرة الأضداد، ويراد بها: «الكلمات التي تؤدي معنيين متضادين بلفظ واحد، ككلمة (الجلل) تطلق على الحقير والعظيم»[12]، فالأضداد ظاهرة لغوية تجمع بين لفظين متضادين في الدلالة، وقد كثرت فيها المؤلفات اللغوية، مثل: الأضداد للأصمعي (ت: ٢١٥هـ)، والأضداد لابن السكيت (ت: ٢٤٤هـ)، والأضداد للسجستاني (ت: ٢٥٥هـ)، والأضداد لابن الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، والأضداد لأبي الطيب اللغوي (ت: ٣٥١هـ).

٢- ظاهرة المثلثات، تحدث هذه الظاهرة اللغوية في الأسماء بتغيير حركة فاء الكلمة أو عينها (إلى الفتح أو الكسر أو الضم)، فيما يكون التثليث في الأفعال بتغيير حركة عين الفعل فقط، فإذا تغير المعنى كان المثلث مختلف المعنى، وإذا لم يتغير المعنى كان المثلث متفق المعنى، وهذه الظاهرة تعود في أصلها إلى تعدد اللهجات العربية واختلافها من قبيلة إلى أخرى، فإذا كانت بعض القبائل العربية تميل إلى الفتح فإن هناك قبائل عربية أخرى تميل إلى الكسر أو الضم، أي إن: هناك قبائل تستعمل اللفظة بالفتح بالتوازي مع وجود قبائل أخرى تستعمل اللفظة نفسها بالكسر أو الضم، فقد جاء في معاجم اللغة[13] أن (الربوة) فيها ثلاث لغات (بفتح الراء وكسرها وضمها)، وقد نسبت لغة الضم إلى أهل الحجاز، ونسبت لغة الفتح إلى بني تميم.

٣- ظاهرة المثنيات، وهي من إبداع اللهجات العربية، وتقوم على الإيجاز في الكلام، والتعبير بألفاظ جديدة عن المعاني التي يقصدها المتكلم، مثل: (العمران) لأبي بكر وعمر، و(الأبوان) للأب والأم، و(القمران) للشمس والقمر، و(البائعان) للبائع والمشتري، و(البصرتان) للبصرة والكوفة.

٤- ظاهرة (فعلت وأفعلت)، وهي توضح «ما تكلمت به العرب على لفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى واحد، وما تكلمت به العرب بلفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى مختلف، وما جاء فيه فعلت وحده، وما اقتصر على (أفعلت) فحسب»[14]، وقد تعددت المؤلفات في هذه الظاهرة اللغوية؛ نتيجة اختلاف اللهجات العربية التي أدت إلى تعدد البنى الصرفية للمعنى الواحد، أو تعدد المعاني للبنية الصرفية الواحدة، ومن هذه التآليف: فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٤٨هـ)، وفعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، وقد اهتم اللغويون بهذه الظاهرة اللغوية (فعلت وأفعلت) لأنها أحد مظاهر اللهجات العربية.

إذن فاختلاف اللهجات يدل على قوة اللغة العربية ومرونتها وثرائها وقدرتها على النمو والانتشار، واستيعاب المعاني الجديدة؛ وبذلك فإن اللهجات العربية تعد ثروة لغوية.

الهوامش

١- ينظر: معاني القرآن للأخفش، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، (٥٨/١)، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢- ينظر: معاني القرآن للأخفش (١٠٤/١).

٣- ينظر: معاني القرآن للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرين، ط١، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.

٤- معاني القرآن للفراء (٢٨٦/٣).

٥- ينظر: معاني القرآن للأخفش (١٨/١).

٦- ينظر: شذا العرف في فن الصرف، تأليف: الشيخ أحمد الحملاوي، صـ٣٥، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧- ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، (٧٣٩/٢)، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ومغني اللبيب لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، (٤٧٨/١)، ط٦، الناشر: دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٥م.

٨- صحيح البخاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، (٤٢٧/٤) حديث رقم: (٧٤٢٩)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٩- ينظر: لسان العرب لابن منظور (٢١١/٧-٢١٢)، ط٣، دار صادر بيروت لبنان، ١٤١٤هـ.

١٠- ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٣٥/١١)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ولسان العرب لابن منظور (١١٦/٦).

١١- ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٦/٩).

١٢- الأضداد لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، مقدمة المحقق صـ (أ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٣- ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٧٣/١٥)، ولسان العرب لابن منظور (٣٧٧/١٤).

١٤- فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، ص ٤٥-٤٦، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.



وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية للإبداعات المنشورة

في العددين السابقين (قصص الوعي)

١- لو علمتم الغيب
للكاتبة سها شريف (سورية)

تتناول القصة ثنائية قد تبدو متناقضة في حياتنا البشرية، إنها ثنائية «القدر/ الأمل»، وهل هناك تناقض فعلي بين القدر الذي قدره الله للإنسان منذ الأزل وبين الأمل في أمر قد لا يتحقق؟! وهل يقف القدر بالمرصاد لآمالنا العريضة كما يظن بعض قاصري النظر؟ أم أن الإنسان يأمل في أمر يراه بعلمه المحدود عن الإدراك خيرا وهو في الحقيقة شر محض؟!

- استهلت الكاتبة قصتها على لسان «الراوي» (وهي ابنة الرجل المسافر) بمشهد مثير للانتباه ومحفز للقراءة، وهو مشهد صعود الأسرة سيارة أجرة في طريقها من مدينة حلب إلى مطار دمشق لتوديع رب الأسرة المسافر إلى دولة الكويت بغرض العمل.
- استخدمت الكاتبة التقابل البلاغي بين مشهدين: أحدهما ظاهر والآخر باطن خفي؛ تقول: «أدار السائق مقود السيارة بينما كان والدي يدير مقود الأمل لحياة أفضل. داس السائق على البنزين، وداس والدي على أحزان الماضي وديونه وآلامه. وضع السائق حزام الأمان، ووضع والدي حزام الأمان بالتخلص من قيود الدين وذله»، وهنا يبرز التزامن بين «المسافر» و«السائق»؛ فالسائق يدير السيارة للانطلاق، والمسافر يدير مقود الأمل لينطلق نحو حياة أفضل، ويدوس السائق على البنزين، في حين يدوس المسافر على الماضي الحزين الذي شهد صورا عديدة من المعاناة.
- استخدمت القاصة تقنية التذكر داخل القصة؛ فبينما كانت السيارة تشق الطريق إلى المطار إذا بالابنة تسترجع مشاهد الماضي المؤلم وتستدعي بعض تفاصيله، وكيف كان القدر -من وجهة نظرها القاصرة- صخرة تحطمت عليها الآمال الكبيرة، تقول: «تسارعت صور الماضي في ذاكرتي كشريط سينمائي؛ تذكرت أوضاع والدي التي أوشكت على الانهيار والأزمات المالية والنفسية والصحية التي أصابته».

ثم تواصل سرد المعاناة التي كان يعيشها المسافر وأسرته، وكيف كانت هذه المعاناة دافعا للبحث عن فرصة سفر تنتشل الرجل وأسرته من دوامة الفقر والعوز.

ومن المشاهد التي استدعتها ذاكرة الراوية مشهد صديقتها التي كانت تعد أوراق السفر لاستكمال تعليمها في إحدى كليات الطب بالخارج؛ لكن تقدير الله لها كان على غير ما تمنت، حيث تعرضت لحادث مروري أقعدها.

- وبينما توشك السيارة على الوصول إلى المطار يتجلى عنصر المفاجأة في القصة، حيث يكتشف المسافر فقد جواز سفره، وهنا بدأت آمال الرجل في التبخر شيئا فشيئا؛ فظنه وأسرته أن نجاتهم جميعا في هذا السفر الذي سيحقق لهم حياة أكرم وأرغد كغيره ممن سبقوه إلى السفر.. فهل يقف القدر بالمرصاد أمام الآمال الكبيرة كما يظنون؟!
- وتمضي الكاتبة في سبيل الخوف على البطل وجذب القارئ، حيث يجري البحث عن جواز السفر وينتهي الأمر بالعثور عليه؛ لكن في الوقت الضائع. وهنا يتسرب إلى القارئ وقوف القدر بالمرصاد أمام الآمال العريضة للأسرة الكادحة؛ لكن تأتي لحظة التنوير في القصة حين تعلم الأسرة فيما بعد بسقوط الطائرة التي كان من المقرر أن تقل المسافر، ويتأكد في النهاية أن قضاء الله -وإن ظهر في ثياب الشر والبلاء- ففيه الخير المحض؛ ولكن الإنسان بعلمه القاصر لا يرى الأفق البعيد.
- لم تكن الكاتبة موفقة بشكل كبير في اختيار عنوان قصتها، فجاء العنوان وعظيا يتناص مع المقولة السائرة «لو علمتم الغيب لاخترتم الواقع»، وكان ينبغي عليها أن تصبر على اختيار عنوان أنسب من هذا العنوان المباشر.
- إن القصة في مجملها جيدة من حيث الفكرة والتقنيات السردية، وجاءت صياغتها سهلة رشيقة الألفاظ سليمة اللغة، وهو ما يعني أن الكاتبة تملك كثيرا من أدوات الكتابة الإبداعية؛ لكن عليها أن تبذل جهدا أكثر في القراءة والكتابة.

٢- المظلمة
للكاتب محمود حسني (مصر)

تعالج هذه القصة موضوع المظالم وثقلها على النفس البشرية السوية، وكيف تكون المظالم مصدرا من مصادر القلق والاضطراب النفسي، لاسيما عند أصحاب الضمائر السليمة



د. محمد أبو السعود الخياري
أكاديمي وناقد مصري

والنفوس اللوامة.

● القصة -وإن غلب عليها جانب الوعظ- تحمل في طياتها معنى بديعا، ونجد في ألفاظها حمولة روحية كبيرة.

● تبدأ القصة بداية وصفية غير تقليدية يصف فيها الراوي اضطراب مشاعره، يقول: «خوفي منها لم يجعلني أنام، هي نار تحرق فؤادي إذا ما تركتها، وحينما أشعر باقترابي منها؛ أخاف من أن يذهب يومي ولا أمحو آثارها».

● يستمر البطل في مناجاة خالقه -سبحانه وتعالى- بإلحاح ليعينه على محو هذه المظلمة التي تؤرقه في صحوه كما تؤرقه أثناء نومه، وهو لم يبين في الوقت ذاته ماهية هذه المظلمة ولا شيئا من تفاصيلها، وهو أمر يشحذ الأذهان ويدعو إلى التفكر.

● يغرق الكاتب في الخيال، حيث يجعل من المظلمة التي تؤرقه هاتفا يراوده أثناء نومه، مرددا في تناص واضح البيت المعروف الذي ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي يقول فيه:

تنام عينك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

● ادخر الكاتب لحظة التنوير أو الكشف إلى نهاية النص، حيث يتضح أن القصة في مجملها كانت كابوسا يطارد صاحبه في أثناء نومه؛ وليست مناجاة حال اليقظة كما يتوقع القارئ.

● وأخيرا؛ فالقصة جيدة؛ لكنها تحتاج إلى الابتعاد عن الوعظ المباشر، كما تحتاج إلى تكثيف أكثر، واهتمام بالصياغة والمفردات اللغوية، وهذا أيضا لا يكون إلا بكثرة مطالعة كتب الأدب الأصيل والقصص الراقية.

٣- من ضيق الذات إلى سعة الوجود..

في قصته المعنونة «تضامن»، المنشورة في المجلة بالعدد ٦٤٥، وظف القاص المغربي نصر الدين شردال تقنية الراوي الشخصية في بث سرده المكثف.

ولعل مطالعة الحكاية في وهلتها الأولى تستلهم العبارة المهمة التي ساقها فرانك أوكنور في كتابه عن القصة القصيرة «الصوت المنفرد»، حيث قال في نصائحه لكاتب القصة: «تذكر أنه دائما هناك أناس بالقرب».. فكاتب القصة على الدوام تحيل عيناه المألوف إلى مدهش، وترى ذوات الناس التي تعميها الألفة عن رؤيتهم.. تحيلهم إلى كائنات مدهشة تملأ الحياة بالبهجة والأمل.. وأحيانا بالمشكلات.

وتطوف الحكاية حول تلك اللحظة الإنسانية التي يشعر فيها المرء بوخز الألم والوحدة، وتضاؤل إرادته في مواجهة تخلي الآخرين عنه... تلك اللحظة الوجودية التي يفجرها التخلي، وتلك الدائرة التي تظل مفتوحة حتى يجبرها غيرهم من ذوي المروءة والعطاء.

لم يكن موقف تأخر الشخصية المحورية عن موعد عمله عشر دقائق، وفشله في إقناع الحارس بإدخاله، ومن ثم اضطراره لاتخاذ المقهى المجاور لمحل العمل مسرحا يقتل فيه وقته ليمكنه الدخول بعد انقضاء الحصة الأولى... لم يكن ذلك همه الوحيد؛ بل إن إفلاسه جعله يسير وجلا نحو المقهى المنقذ لوحدته، بيد أنه لقي ما لم يتوقعه من تعاطف وتقدير، بل ومساعدة مالية أسداها له ذلك الرجل الذي يقف بالقرب، والذي رآه فرانك أوكنور.. لم يكن ذلك المنقذ سوى عامل المقهى.

ولقد استطاع من خلال السرد بضمير المتكلم، عبر تقنية الراوي الشخصية، أن يمنح الراوي هذا النفس الشخصي الحميم، وذلك البوح الصادق المؤثر، ومعه أيضا يجد المروي عليه نفسه متفردا بالتعرف على الحكاية؛ لا يشاركه فيها أحد، ويكتسي السرد ذلك الثوب الفرد الذي يشعر معه المتلقي بأن السرد يتوجه إليه وحده، ويخاطبه دون غيره.

أما الزمان والمكان فقد تراجعا قليلا لمصلحة الفكرة التي بدت واضحة متمكنة من الواجهة السردية؛ فلقد اختزل السرد حديثه عن المكان بإشارته إلى «الباب» فقط من مكونات «مركز التكوين» كما لم يدع السرد فرصة للوصف لنرى عبره سمات المقهى الذي استضاف الشخصية. كذلك جاء الزمان السردي خافتا في إشارة الراوي لمدة تأخره (عشر دقائق) ثم في إشارة البواب لغلق الباب بعد انقضاء وقت الدخول بـ «خمس دقائق».

فكرة تقدير الآخر ومساعدته أو التضامن معه إذن هي بطلة القصة؛ وهو تقديم للفكرة (الأيديولوجيا) جاء متوازنا بحيث لم يضر بالفن، ولم يثقل كاهل القصة التي بدت رشيقة هادئة الإيقاع، زادتها اللغة الشعرية البليغة بهاء ووضاءة من مثل:

- «توسلت للبواب فاحتمى بأعذاره».
- «حسنا، غيابي خير من طردك».
- «والريح تزمجر وتجلد وجوه الغرباء في هذه المدينة الإسمنتية القلب».

بقي القول إن عنوان القصة كان سيكون أكثر جمالا إن غادر المباشرة والوضوح.



د. مصطفى عطية جمعة
أستاذ مشارك الأدب العربي والنقد
مصري

(قصائد الوعي)

٤- قصائد متفرقة

إذا كان البعض يأخذ على الأدب الإسلامي قضية المباشرة والخطابية، فإننا نقول إن هذا مطلوب في مناسبات عديدة، عندما يتعلق الأمر بما نسميه في النقد الأدبي بـ «التنوير» و«التوعية» و«الحث والإرشاد». كما أن هناك غاية أخرى لا تقل أهمية، تتمثل في الجانب الفكري والسلوكي، ألا وهي الغاية الجمالية للشعر، فبيت من الشعر ينبض بالجمال، أفضل من ألف كلمة مسهبة شارحة.

وفي هذا الصدد تناقش قصيدة «أنا مسلم» للشاعر الدكتور عبدالمنعم عبدالله حسن (مصر)، فإن الشاعر يعدد سمات المسلم وخصاله النابعة من هويته الإسلامية، فلا عجب أن تحمل القصيدة عنوان «أنا مسلم»، ويقول في مطلعها:

أنا مسلم.. الناس تسلم من يدي ولساني
إن اللسان مترجم عما طواه جناني
هبة البيان، عطية الرحمن للإنسان
هو ذاكر رطب بما يتلو من القرآن

إذا تأملنا في هذه السمات، سنلاحظ أنها تصوغ السلوكيات الإسلامية في ضوء إرشادات القرآن والسنة المطهرة، فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، وإذا نظرنا إلى بنية القصيدة، سنجد أن البيت الأول يمثل مقولة جامعة، وتأتي بقية الأبيات شارحة موضحة، فيما نسميه بلاغيا «التفصيل بعد الإجمال»، فقد أشار إلى اليد واللسان، وجاءت الأبيات الثلاثة التالية موضحة كيف أن اللسان مفتاح لدخيلة النفس وما حوته الجنان/ القلوب، مثلما هو سبيل للفصاحة والإثابة، عندما يحرك المسلم لسانه بالقرآن والذكر والصدق.

ثم ينتقل الشاعر إلى اليد، فيقول:

أما يدي فلقد تسامت عن أذى إنسان
مقبوضة كفت عن الإيذاء والعدوان
مبسوطة نحو الورى بالخير والإحسان

فاليد قد تكون علامة على الإيذاء والعدوان، أو وسيلة للخير والإحسان، بإعطاء الصدقات، ومساعدة الناس، وكف الأذى عنهم. وحسنا فعل الشاعر أن جعل السمات بين اليد واللسان، فاليد ترمز للبطش أو العطاء، واللسان يرمز للبيان والذكر أو رذائل المنطوق من كذب وبهتان ونميمة وغيبة.

ويجدر بنا أن نشير إلى قصيدة الشاعر اليمني «أمين حميد عبدالجبار»، والتي صاغها في ذكرى احتفالات الكويت بأعيادها الوطنية (٢٥، ٢٦ فبراير) من كل عام، وعنوانها «حي الكويت»، تزخر قصيدته بصور مبدعة عن صفات وعطاءات الكويت: الشعب والوطن والدولة، فيقول:

حييت من بلد ومن شعب إذا
نادى المنادي والمستغيث أجارا
في كل أرض للكويت مآثر
تزهو على سقف العصور منارا

فشعوب العالم قاطبة تشهد بعطايا الشعب الكويتي لها، في الأزمات والمحن، ومتى سمعت الجمعيات الخيرية ورجال الكويت المحسنون استغاثة ما؛ إلا ويسارعون بإجابة نداء المستغيث. أما أرض الكويت فهي عنوان المآثر والمجد طيلة العصور.

ثم يتوجه الشاعر إلى أمير الكويت المفدى، صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد، ثم إلى شعب الكويت، فيقول:

بوركت من شيخ تقاطر حكمة
وعلى جيوش النائبات أغارا
آلاؤكم في كل أرض.. خيركم
يسقي فلاة المعدمين نضارا
حبيتمو أرضا وشعبا أسرة
لا يرتضون عن الجميل خيارا

فأمير الكويت يتحلى بالحكمة، وهو مقصد للمشورة من قبل الحكام وعموم الناس والشخصيات، واستطاع الانتصار على نوائب الدهر، وما أكثر إحسانه، الذي يجعل الأرض الفلاة خيرا وعمرانا، وما أجمل ما حظاه الله به من شعب كريم السجايا!



نسيبة محمود طالب
كاتبة وقاصة
سورية

حدث على مواقع التواصل الاجتماعي

كلكم راع

قال رسول اللّه ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» (أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر).

استوقفني منذ أيام سؤال كتبته سيدة على إحدى المجموعات النسائية في مواقع التواصل الاجتماعي، تطلب فيه من المشتركات في المجموعة أن يرشحن لها مسلسلا تركيا جميلا لتقوم بمتابعته مع ابنتها ذات السبع سنوات، وقالت في سؤالها إنها تريده أن يكون مسلسلا ممتعا وسهل الفهم بالنسبة لابنتها الصغيرة.

وسرعان ما قام أعضاء المجموعة بالرد على سؤالها بأن رشحن لها عددا من المسلسلات التي برأيهن ستناسب الأم والطفلة على السواء. وقد لاحظت من خلال قراءتي للأسماء التي ذكرت أنها مسلسلات، لا صلة لها بالطفولة أو الأطفال لا من قريب ولا من بعيد، فغالبها كان اسمها مقترنا بالحب والعشق سواء كان أسود أو أبيض أو مبيعا أو مأجورا.

فبادرت السائلة بشكرهن على مساعدتها بينما تمنين لها طيب المشاهدة لها ولابنتها.

توقفت عن الاطلاع على الردود وقد اعتراني استغراب شديد مما قرأت، ولم يكن استغرابي من السؤال بأقل شدة من استغرابي من الإجابة. ولم يكن أمامي سوى أن أوجه هذه الرسالة والتي أقصد بها كل أم تفكر بهذه الطريقة أو ترى أن ما تقوم به تجاه أبنائها هو الصواب، ورسالتي هي:

عزيزتي الأم.. هل ترين أن ابنتك في سن تؤهلها لمتابعة المسلسلات سواء كانت تركية أو هندية أو أيا كانت جنسيتها؟!

ألا تعلمين أن هذه الفترة العمرية التي تمر بها ابنتك هي الفترة الذهبية في عمر الطفل؟!

فالطفل في هذه السن يعد كالتربة الخصبة التي يجب علينا استغلالها بغرس أجود أنواع الغراس لتصبح في المستقبل أشجارا باسقة تعطي أينع الثمار.

فهذا العمر بالنسبة للطفل هو الأنسب لنزرع فيه القيم والأخلاق، ونعلمه المبادئ وحسن السلوك وطيب الكلام.

ولذلك قد أمرنا النبي ﷺ بأن نأمر أبناءنا ببدء الصلاة في هذا العمر. لأنه عمر يكون به الطفل قد أصبح يفهم ويعي جيدا معنى العبادات.

عزيزتي الأم.. أطفالنا أمانة قد وضعها اللّه بين أيدينا فمن واجبنا أن نرعى الأمانة ونصونها ولا يكون ذلك إلا بحسن إرشادهم إلى مكارم الأخلاق وحسن الخصال، وتوجيههم لما فيه خيرهم وخير أمتهم ودينهم.

فلماذا نقضي على طفولة أبنائنا وبراءتهم في هذه السن المبكرة عن طريق سماحنا لهم بمتابعة مسلسلات أو برامج لا تناسب سنهم ولا مستوى تفكيرهم؟! ولا ندري ما قد تتركه في نفوسهم من آثار سلبية وفي عقلهم من أفكار خاطئة، خصوصا أن ما يدخل عقل الطفل في هذه الفترة يستقر ويترسخ.

إن الأولى بنا في هذه السن أن نستغل وقت فراغ أطفالنا بأن نسرد لهم قصة فيها حكمة، وحكاية فيها عبرة لنزرع في قلوبهم حب الخير والصلاح. وما أعظم أن نروي لهم مواقف من سيرة رسول اللّه ﷺ، وقصصا من حياة الصحابة الكرام ليجدوا فيها المتعة والفائدة، وبذلك يكون الرسول ﷺ وصحابته الكرام هم القدوة والمثل لأبنائنا، ويعود ذلك عليهم بخير ونفع لن ينالوه مهما تابعوا من مسلسلات. أو أن نشجعهم على أن يمارسوا رياضة نافعة أو هواية ممتعة. وبذلك نكون قد حفظنا أبناءنا وصنا الأمانة ووضعنا أقدامهم على الطريق السليم. وليبق دائما أمام أعيننا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).



عزة أحمد حامد
كاتبة مصرية



البيت السعيد

السعادة ركن رئيسي من أركان الصحة، فإن غابت عن البيت يصبح الطريق ممهدا أمام المرض لكي يتسلل إلى البيت ويحل محلها، بل يطردها ويمحوها.
ليس في العالم كله مكان يضاهي البيت السعيد جمالا وراحة، فأينما سافرنا وأينما نزلنا، لا نجد أفضل من البيت الذي يخيم عليه ظل السعادة؛ فالسعادة والبيت مترادفان معنى إذا عرف رباه: الأب والأم، العيش عيشة هنية صحيحة.

إن البيت السعيد هو ذلك البيت الذي لا خصام فيه ولا نزاع، ولا يسمع فيه كلام لاذع قاس ولا نقد مرير، هو البيت الذي يأوي إليه أفراد العائلة ليجدوا فيه الراحة والهدوء والطمأنينة.

كثيرا ما يهدم البيت طبع حاد أو لسان لاذع، وكثيرا ما تختفي السعادة بسبب حب التسلط وعدم الإخلاص من قبل أحد الوالدين، فينشأ الأولاد وهم يراقبون حياة الوالدين على النهج نفسه: خصام وكلام لاذع. ومتى نشأ أفراد العائلة على هذه الخصال والطباع زال كل أثر للسعادة في البيت. والعكس صحيح، إذا عاش الوالدان بإخلاص ومحبة وصدق، ينشأ الأطفال على الخصال نفسها محبين للسلام ويجلبون السعادة لأنفسهم وللمحيطين بهم.

كن قدوة حسنة لأبنائك

لا نستطيع خداع أبنائنا، لأنهم يطلعون على دقائق تصرفاتنا وسلوكنا داخل البيت وتجاه الآخرين. إنهم يقتدون بنا أو يحكمون علينا حكما ما ويطبقونه على الآخرين أيضا. وإذا قلت ثقتهم بنا، قلت ثقتهم بمن حولهم الآن ومستقبلا.

من الجهل أن نسمح لأسباب تافهة بسيطة أن تقلقنا وتثيرنا فنغضب لأمور لا طائل منها. إن عدم الاحترام والتلفظ بما لا يليق، سواء من الزوج أو الزوجة، يعصفان بكيان الأسرة.

حكت لي معلمة شابة أنها على حافة الهاوية مع زوجها الأستاذ الجامعي، وقالت إنها تعرضت لضغط نفسي شديد وأطفالها الصغار عندما كان يدرس زوجها للحصول على الدكتوراه من خارج البلاد، وإنه لم يقدر وقوفها بجانبه في الغربة. فسألتها: مم يشكو؟ فقالت: دائما يقول لي تحدثي بأسلوب مهذب.

فنصحتها أن تستخدم كلمات: «من فضلك، لو سمحت، وشكرا» في حديثها معه. وبعد فترة من الزمن

اتصلت بي وهي في قمة السعادة تشكرني على نصيحتي لها.
أحيانا نجد الكثير من الأزواج غاية في المرح وخفة الظل خارج المنزل، وبمجرد عودته لمنزله يتحول إلى شخص آخر غاية في العبوس، صامت طول الوقت إلا من رحم ربي. وإذا تحدث للزوجة والأبناء كان كلامه وعباراته فظة قاسية.
ألم يعلم هذا الزوج أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها). إذن فالزوجة والأولاد أولى الناس بالمداعبة وإدخال السرور عليهم.

الانشغال المستمر

ومن أسباب اختفاء السعادة من بيوتنا الانشغال المستمر، بل إن شئت فقل «التشاغل». لقد سيطرت التكنولوجيا الحديثة وشبكة الإنترنت على حياة الأسرة وأحكمت قبضتها عليها. فباتت الأسرة مشتتة بين شاشات الهواتف والأجهزة الحديثة، وأصبح كل فرد من أفراد الأسرة يعيش عالمه الخاص مع أجهزته الحديثة. فبعض الآباء والأمهات عندما يأتي إليهم أحد الأبناء ليتحدثوا معهم نجدهم لا يرفعون أعينهم عن شاشة الهاتف ليسمعوا أو يردوا، وهنا يشعر الأبناء بعدم الاهتمام، بل الإهمال. فتكون النتيجة المحزنة هي الشعور بالغربة داخل البيت، وبالتالي فتور العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة. وهذه النماذج للآباء والأمهات لم تفهم قوله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول» (رواه أبو داود ومسلم).
تأتي السعادة إلى المنزل وتستقر فيه متى كان كلا الطرفين (الزوج والزوجة) حريصا عليها وشعر باحتياجات الطرف الآخر؛ فالزوجة والأم تحتاج إلى نزهة بسيطة مع الزوج والأبناء من آن إلى آخر شريطة ألا تطلب هي ذلك، بل يجب أن يكون هذا التصرف نابعا من الزوج الذي يفعل ذلك تقديرا لمجهودها في المنزل ومع الأبناء.
إن دور الزوجة في المنزل حيوي ومهم للغاية، فإذا دخل الزوج المنزل وبدت عليه آثار التعب والإجهاد، فلا ترهقه بالأسئلة أو سرد كل ما حدث مع الأبناء، ولكن يجب عليها الانتظار حتى يهدأ ويستريح ثم تسأله. لماذا لا نقتدي بأمهات المؤمنين؟ لماذا لا نتذكر موقف السيدة خديجة، رضي الله عنها، عندما نزل الوحي على رسولنا الكريم أول مرة وعاد إلى البيت يرتجف ويقول زملوني زملوني؟ فما كان منها إلا أن غطته حتى ذهب الروع عنه، وقال ﷺ: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت أم المؤمنين قولتها المشهورة: «كلا، والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر». انظر كيف كان سلوكها: لم تسأله لماذا تنتفض؟ أو ماذا حدث؟ أو أين كنت؟ بل نفذت أوامره بأن غطته حتى هدأ روعه وبدأ يقص عليها ما حدث. فواجب الزوجة، خصوصا في هذه الأيام، التي كثرت فيها الضغوط والأعباء المادية على رب الأسرة، أن تسلك السلوك نفسه بأن تتحلى بالصبر والطاعة. ثم انظر ماذا فعلت السيدة خديجة، لقد انطلقت بالرسول إلى بيت ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان ورقة على دراية باليهودية والنصرانية وكان شيخا كبير السن، فقالت له: «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك»، وحكى النبي ما حدث لورقة. ونلاحظ هنا أن أم المؤمنين السيدة خديجة، رضي الله عنها، لم تتدخل وتقص هي ما حدث، بل تركت النبي يسرد ويقص بنفسه.. أجل، إنه الاحترام، أن تترك الشخص يعبر عما بداخله، وانظر ولا تقاطع، ثم تنطلق معه لمن يساعده ليطمئن قلبه.
لكن ما يحدث الآن مع الأسف يخالف ما ذكرنا، فالكثير من الأزواج يبدأ الحديث مع الزوجة ولا يكمله أبدا؛ لأنه يكون من طبعها المقاطعة وإبداء الرأي المسبق المتعجل دون انتظار نهاية رواية زوجها. وتعد هذه المسألة على وجه الخصوص أحد أسباب حالة الخرس الزوجي الذي تعاني منه الكثير من الأسر في وقتنا الحاضر.

الحوار سعادة

ونقصد بالحوار هنا الهادئ المثمر، وليس حوار الصوت العالي وتبادل الإهانات والاتهامات، ومن ثم الوصول إلى طريق مسدود يعقد الأمور.
إن الحوار الهادئ ومنح الطرف الآخر الفرصة لسماع رأيه يؤديان إلى التفاهم الذي يقود إلى الاحترام. وبالنسبة إلى الأبناء فالحوار بصوت منخفض يمنحهم الثقة بالنفس والقدرة على التعبير عن رأيهم بحرية. وعلى العكس، فإن الصراخ وعلو الصوت يجعلانهم ينزوون ويتجنبون النقاش مع الوالدين. كما أن التأنيب المستمر للأبناء يجعلهم يلتزمون الصمت. وقد يخيل للأب أنهم مهذبون يسمعون كلامه، لكنهم في الحقيقة صموا آذانهم عما يحدث من حولهم.
فلنبذل جهدا أيها الآباء والأمهات للحفاظ على كيان أسرتنا وعلى قرة أعيننا أبنائنا، ولنصمت أحيانا، ونغض الطرف أحيانا أخرى لتستقر الأمور ونحيا حياة هادئة هانئة.

د. عمر خويا
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
المغرب



رعاية الطفل جسديا



لا أحد يماري في أن مسؤولية الأسرة عن جسد الطفل ثابتة، ففيها يولد وفي محيطها يترعرع ويشب ويكسب الخبرات، ومنها ينطلق لممارسة دوره في المجتمع. من هنا نستطيع كشف سبب عناية الإسلام البالغة بالأسرة، حيث خصها بتشريع يبدأ ببنائها؛ فحث على تزكية الذات وتعهدها الدائم بالمحاسبة والإصلاح ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس:٩)، وحض على حسن اختيار الزوج حيطة للنفس والنسل من التهلكة بسبب الأمراض الوراثية والانحرافات الخلقية، ووضع ضوابط صارمة لنجاح الحياة الزوجية واستمرارها، كما عني بالجنين أيما عناية فأقام له حرمته، ففي حديث الغامدية أنها قالت: «يا رسول الله، طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز ابن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت: إنها حبلى من الزنى، فقال: «آنت؟» قالت: نعم، فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك»، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ، فقال قد وضعت الغامدية، فقال: «إذن لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار، فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها» (صحيح مسلم).. وجعل للمعتدى عليه عقوبة مقدرة، عن المغيرة بن شعبة، قال: «ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط وهي حبلى، فقتلتها، قال: وإحداهما لحيانية، قال: فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عصبة القاتلة، وغرة لما في بطنها، فقال رجل من عصبة القاتلة: أنغرم دية من لا أكل، ولا شرب، ولا استهل، فمثل ذلك يطل؟ فقال رسول الله ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب؟» قال: وجعل عليهم الدية» (صحيح مسلم).. وأكد على الغذاء الجيد للحامل، فأباح لها الإفطار في رمضان، بل أوجبه عليها إن خافت على نفسها، قال الشربيني في كتابه مغني المحتاج: «(وأما الحامل والمرضع) فيجوز لهما الإفطار إذا خافتا على أنفسهما أو على الولد، سواء أكان الولد ولد المرضعة أم لا (...) وسواء أكانت مستأجرة أم لا، ويجب الإفطار إن خافت هلاك الولد»[1].

والطفل بعدما يولد يثبت له حق الرضاع، سواء كان على الأم أم على الأب، حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣). وللرضاع آثار محمودة على نمو الطفل نفسيا وجسديا، إذ إن حليب الأم غذاء متكامل وضروري باتفاق الأطباء، حيث أثبتوا تغيره من فترة لأخرى حسب تغير حاجيات الرضيع، وكيف للرضاعة الاصطناعية أن تعوضه في شيء، خصوصا ما تبثه الأم في نفسية الطفل من عواطف خلال عملية الإرضاع، وتلذذها بإرضاع وليدها والغبطة به لوفور شفقتها، لذلك فهي أولى بحضانته من الأب وغيره حال التفريق بينهما.

وتجب النفقة على المولود من الوالد ديانة وقضاء حتى يقدر الذكر على الكسب وإعالة نفسه، ومددها الشرع للبنت حتى تتزوج، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، وقال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لهند لما بخل عليها

حرص الإسلام على التنشئة القوية لبنية الطفل

زوجها أبو سفيان بالنفقة: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (صحيح البخاري). بل رغب الإسلام في التوسعة على العيال، وجعل ذلك من أقرب القربات إلى الله تعالى، قال النبي ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك» (صحيح مسلم)..

وحض على ختان المولود، فهو سنة حسنة للرجال ومكرمة طيبة للنساء، فهذا رجل حديث عهد بالإسلام يعلمه النبي ﷺ قائلا: «ألق عنك شعر الكفر واختتن» (سنن أبي داود).. ومن محاسن الختان: الطهارة من الخبث الناتج عما قد يبقى في فضول الجلد من نجاسة، وتزيين الخلقة بإزالة الزوائد المشوهة عن الجسم، وتعديل الشهوة بين الإفراط والتفريط، خاصة عند المرأة.

وجمع الإسلام بين الحرص على توجيه الطفل ليتمرس على بعض الأعمال الفاضلة حتى ينشأ قويا مكتمل النمو؛ فقد حثه على الصلاة في بداية سن التمييز، وأمر الوالدين بالاصطبار في تعويدهم عليها ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه:١٣٢) بل جعلها من الأولويات من خلال الآية وأمر بتأديبهم إن هم تركوها «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» (مسند أحمد).، ولم يأمره بالصيام إلا ما كان منه عن رغبة وتطوع، شفقة ورحمة بجسده الضعيف.

ومما يحفظ صحة الطفل أيضا: بعض العادات التي ينبغي أن يتعود عليها وهو مازال برعما في كنف والديه وأسرته، وتلازمه طوال حياته كجزء من كيانه ومنها:

- الالتزام بآداب الأكل والشرب، درءا لكل ما قد يصيب البدن من أمراض، وموافقة لهدي النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، حسبك يا ابن آدم لقيمات يقمن صلبك، فإن كان لا بد فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس» (صحيح ابن حبان)..

- النوم وفق السنة النبوية الشريفة: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به» (صحيح البخاري).، وفي الوضوء تطهير الجسم من الأوساخ التي قد تجد فرصة الإضرار بالجسم أثناء فترة النوم، كفضول الطعام في الفم واليدين. ومن السنة أيضا التفريق بين الأطفال في المضاجع، والقصد وقايتهم من عدوى الأمراض التي قد يصاب بها بعضهم، ثم تجنيبهم ما قد ينشأ عن هذه الحالة من عادات سيئة قد تضر بالبدن والنفس، كاللواط والزنا والسحاق.

- مزاولة الرياضة النافعة بانتظام، لاسيما الفروسية والرمي وركوب الخيل، قال رسول الله ﷺ: «ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا» (مسند أحمد).، والأمر النبوي يفهم منه الإعداد البدني للطفل كي يقدر ويقوى على تحمل مسؤولياته في المجتمع عندما يكبر، وأي رياضة مشروعة تحقق القصد فهي مرغوبة في الدين.

- التزام النظافة؛ فهي من الدين، والمراد نظافة البدن والمكان والثوب، وهي من شروط صحة الصلاة، فلا تقوم صلاة من غير وضوء لمستطيعه. ومن سنن الشرع الاغتسال يوم الجمعة للصلاة. ومن الأدلة الكثيرة على ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه حين قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرا في منزلنا، فرأى رجلا شعثا، فقال: «أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره»، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه» (صحيح ابن حبان)..

- الابتعاد عن العادات الذميمة؛ كالتدخين والمسكرات والمخدرات والزنا واللواط والصحبة السيئة... فكلها منهي عنها شرعا لضررها الصحي والنفسي والعقلي على الفرد والمجتمع.

ومن وسائل تحقيق هذا المطلب: القدوة الصالحة، واختيار البيئة السليمة للعيش وتربية الأبناء، لأن البيئة الموبوءة تعدي أهلها خاصة فئة الصغار الذين تتبلور شخصياتهم في ظلالها.

وحاصل الكلام أن العناية بجسم الطفل من المسؤوليات الكثيرة التي يجب أن يضطلع بها الآباء في تربية الأبناء. وكيف لأمة ضعيف أفرادها أن تعتلي منصب الشهادة على الأمم وتحوز شرف الخيرية وحمل القيادة الذي يستلزم القوة في البدن والعقل والروح؟ قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (صحيح مسلم).

الهامش

١- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ج٢، ص١٧٤.



د. محمد السيد علي بلاسي
باحث في التاريخ الإسلامي
مصر

القدس عربية إسلامية

القدس مدينة الإسلام والسلام، مدينة العرب القدماء، بناها العرب اليبوسيون - الكنعانيون في الألف الثالثة قبل الميلاد، وهم فرع من الكنعانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستقروا في فلسطين منذ أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد؛ لذلك سميت المدينة باسم منشئيها الأوائل «يبوس» وهكذا ورد اسمها في التوراة «يبوس هي أورشليم» و«أورشليم مدينة اليبوسيين»[1].

و«يبوس» أو القدس كان من ملوكها «سالم اليبوسي»؛ ولذلك أطلق عليها بلد «يورسالم» والتي أصبحت «يورشليم»[2]، فأورشليم ليست اسما عبريا، بل كلمة كنعانية آرامية (عربية)، أطلقها العرب على القدس قبل أن تكون لبني إسرائيل لغة، وعندما أسماها داود -عليه السلام- مدينة داود، لم يجد لها اسما غير الاسم الكنعاني؛ لأن اللغة العبرية لم تكن قد عرفت بعد[3]!

في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد دارت معركة مهمة بين اليبوسيين والعبرانيين (اليهود)، انتهت بانتصار العبرانيين على يد داود -عليه السلام- الذي كون أول مملكة يهودية في فلسطين في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد. وخلفه في حكم المدينة ابنه سليمان -عليه السلام- وفي عهده تم بناء المعبد الذي أطلق عليه (هيكل سليمان)،

تاريخ القدس طويل وحافل بالأحداث الكبار

ولكن اليهود لم يوقروا حرمة هذا البيت في عهودهم المختلفة؛ لذا يسجل التاريخ عنهم أنهم «اعتدوا على حرمة هذا المعبد وأضاعوا بهاءه ورونقه؛ إذ حولوه إلى سوق للبيع والشراء، ويتزاحم في ساحته تجار الثيران والكباش والحمام وأصبح مربطا للأنعام! «وهكذا غطى خوار البقر وثغاء الأنعام على صلوات الكهنة وتراتيل اللاويين؛ لذا تنبأ المسيح -عليه السلام- بنهاية هذا البناء وقال لتلاميذه: «أترون هذه الأحجار العظيمة؟ لا يترك حجر على حجر إلا وينقض». وقد تحققت نبوءته واختفى هذا الصرح!»[4].

ولم تستمر هذه الدولة العبرانية طويلا، فقد انقسمت في عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما:

«إسرائيل، ويهوذا»، حيث اتخذت مملكة يهوذا من القدس عاصمة لها وتعرضت المملكتان للتدمير الشامل. فقد قام الآشوريون بتدمير مملكة إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد وأسروا سكانها «السبي الأول». وتحطمت المملكة الثانية في عام ٥٨٧م –القرن السادس قبل الميلاد– على يد «نبوخذ نصر» الذي حطم هيكل سليمان، ومدينة القدس، وأخرج سكان المدينة منها وهو ما أطلق عليه «السبي الثاني»؛ وأخذهم أسرى إلى بابل، بعد أن ذبح قائدهم وقتل أبناءه.

وبذلك ينتهي عصر السيادة اليهودية على فلسطين، وهو في مجموعه لم يزد على ٣٠٠ سنة تقريبا[٥].

ولعل بداية السيطرة النصرانية على المدينة ترجع إلى وقت اعتناق الإمبراطور الروماني «قسطنطين» للنصرانية في القرن الرابع الميلادي وإعلانها دينا رسميا للدولة عام ٣١٣م، وإلى قيام والدته الإمبراطورة «هيلانة» بزيارة المدينة عام ٣٣٦م وحصرها للأماكن التي شهدت دعوة المسيح، ثم إقامتها لكنيسة القيامة التي يعتقد النصارى أن المسيح مدفون فيها!.

القدس في ظل الإسلام

لقد بدأت علاقة الإسلام بمدينة القدس حين أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وفي سنة ١٥هـ (٦٣٧م) تسلم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة بيت المقدس بنفسه وكتب وثيقة الأمان التي عرفت فيما بعد بـ«العهدة العمرية»، وفي العهد شرط خاص اشترطه القساوسة على الخليفة عمر بن الخطاب وهو أن يعطيهم عهدا بعدم السماح لليهود بالإقامة بالمدينة، ولقد كان هذا الشرط بسبب ما لاقاه النصارى من شر اليهود.

المدينة أسسها «اليبوسيون» وهم كنعانيون نزحوا من جزيرة العرب

وقد سقطت القدس في أيدي الصليبيين سنة ٤٩٢هـ – ١٠٩٩م، وحررت على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ – ١١٨٧م. وفي اليوم التالي أشرف الملك المظفر صلاح الدين الأيوبي على عملية غسل الحرم ورشه بماء الورد؛ لتطهيره.

ولم تنقطع السيادة الإسلامية الفعلية على مدينة القدس منذ الفتح الإسلامي طيلة الأربعة عشر قرنا الماضية باستثناء فترة الحملات الصليبية –أي نحو مئة عام– والاحتلال البريطاني (١٩١٧–١٩٤٨م)، ثم الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧م.

يتضح لنا من كل ما تقدم أن تاريخ العرب في فلسطين يرجع إلى ما قبل ستة آلاف سنة – وتؤكد ذلك الكشوف الأثرية الحديثة، كما تؤكدها الكتب الإسلامية السماوية والتوراة خاصة؛ أي قبل أن يهاجر إبراهيم عليه السلام من العراق إلى مصر مرورا بفلسطين والقدس، وقبل ٢٦٠٠ سنة من ظهور اليهودية، كما اتضح لنا أن تاريخ القدس تاريخ طويل وحافل بالأحداث العظام وفيها تمثل صراع الحضارات والثقافات والعقائد المختلفة.

وإذا كانت السيطرة تعتبر أساسا لادعاء الملكية من الناحية التاريخية فإن العرب هم الأولى بأحقية السيادة على القدس.

ويؤكد التاريخ أن حكم اليهود للقدس لم يدم أكثر من سبعين سنة متواصلة، وذلك في عهد داود وسليمان عليهما السلام، كما حكموها لفترات متقطعة لم تتجاوز ٤٠٠ سنة، وفي مقابل ذلك حكم العرب القدس لأكثر من ٤١٦٥ سنة، إضافة إلى أنهم هم الذين أنشأوها، أما بقية الفترة التي تدنو من ١٨٢٢ سنة، من عمر المدينة الذي يتجاوز الستة آلاف سنة، فقد كان الحكم فيها لغزاة من الآشوريين والفرس واليونان والرومان والصليبيين؛ وبذلك يبقى الحكم العربي للقدس هو الأصل وغيره هو الاستثناء، ذلك أنه في كل الفترات تواصل الوجود العربي في فلسطين ولم ينقطع قط.

والقدس هي المدينة التي اختارها الله مهدا لرسالة التوحيد؛ إذ بعث فيها داود وسليمان وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم جعلها قبلة المسلمين الأولى وصلى فيها الرسول ﷺ بالأنبياء إماما ليلة الإسراء والمعراج.

الهوامش

١ – سفر القضاء: ١٢/١.

٢– فلسطين.. أرض عربية إسلامية، د. كامل سلامة الدقس، مجلة «أرض الإسراء»: العدد ١٣٠ ص٣١، شوال ١٤٠٩هـ.

٣– القدس، د. زيد بن عبدالمحسن الحسين، ص٥.

٤– المركز القانوني الدولي لمدينة القدس، أ. د. جعفر عبدالسلام ص٢٣–٢٥.

٥– المرجع السابق: ص٢٥.



إعداد: التحرير

محطات في تاريخ القدس

- يعود تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وهي بذلك تعد واحدة من أقدم مدن العالم.

- الكنعانيون، الذين هاجروا إليها في الألف الثالثة قبل الميلاد، أسموها «أورساليم»؛ وتعني مدينة السلام أو مدينة الإله ساليم. واشتقت من هذه التسمية كلمة «أورشليم» التي تنطق بالعبرية «يروشاليم»؛ ومعناها البيت المقدس.

- سكنت قبيلة اليبوسيين (أحد البطون الكنعانية العربية) المدينة حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م فأطلقوا عليها اسم يبوس.

- خضعت مدينة القدس للنفوذ المصري الفرعوني بدءا من القرن ١٦ ق.م. وفي عهد الملك إخناتون تعرضت لغزو «الخابيرو»؛ وهم قبائل من البدو، وعادت مرة أخرى للنفوذ المصري في عهد الملك سيتي الأول (١٣١٧-١٣٠١ق.م).

- دام حكم اليهود للقدس ٧٣ عاما طوال تاريخها، الذي امتد إلى أكثر من خمسة آلاف سنة. فقد استطاع النبي داود السيطرة على المدينة في عام ٩٧٧ أو ١٠٠٠ ق.م وسماها مدينة داود، وشيد بها قصرا وعدة حصون، ودام حكمه ٤٠ عاما، ثم خلفه من بعده ولده النبي سليمان الذي حكمها ٣٣ عاما.

- احتل الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني مدينة القدس، بعد أن هزم آخر ملوك اليهود (صدقيا بن يوشيا) عام ٥٨٦ ق.م، ونقل من بقي فيها من اليهود أسرى إلى بابل، بمن فيهم الملك صدقيا نفسه.

- سمح الملك الفارسي قورش عام ٥٣٨ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل بالعودة إلى القدس.

- استولى الإسكندر الأكبر على فلسطين بما فيها القدس عام ٣٣٣ ق.م، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة، واستولى عليها في العام نفسه بطليموس وضمها مع فلسطين إلى مملكته في مصر عام ٣٢٣ ق.م، ثم في عام ١٩٨ ق.م أصبحت تابعة للسلوقيين في سوريا.

- استولى قائد الجيش الروماني بومبيجي على القدس عام ٦٣ ق.م وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية.

- شهد الحكم الروماني للقدس، الذي استمر حتى عام ٦٣٦م، حوادث كثيرة، ففي الفترة من ٦٦ إلى ٧٠م قام اليهود في القدس بأعمال شغب وعصيان مدني قمعها الحاكم الروماني تيطس بالقوة فأحرق المدينة وأسر كثيرا من اليهود.

- نقل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة، وأعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة، فكانت نقطة تحول بالنسبة إلى المسيحيين في القدس، حيث بنيت كنيسة القيامة عام ٣٢٦م.

- انقسمت الإمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥م إلى قسمين متناحرين، مما

شجع الفرس على الإغارة على القدس ونجحوا في احتلالها في الفترة من ٦١٤م إلى ٦٢٨م، ثم استعادها الرومان مرة أخرى وظلت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م.

- في عام ٦٢١م تقريبا، شهدت القدس زيارة النبي محمد ﷺ، فقد أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم صعد به إلى السماوات العلى.

- دخل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس سنة ٦٣٦م/١٥هـ، بعد أن انتصر الجيش الإسلامي بقيادة الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح، واشترط البطريرك صفرونيوس أن يتسلم عمر المدينة بنفسه فكتب معهم «العهدة العمرية»؛ وهي وثيقة منحتهم الحرية الدينية مقابل الجزية. وغير اسم المدينة من إيلياء إلى القدس، ونصت الوثيقة على ألا يساكنهم أحد من يهود.

واتخذت المدينة منذ ذلك الحين طابعها الإسلامي، واهتم بها الأمويون (٦٦١م-٧٥٠م)، والعباسيون (٧٥٠م-٨٧٨م)، وشهدت نهضة علمية في مختلف الميادين، ومن أهم الآثار الإسلامية في تلك الفترة مسجد قبة الصخرة، الذي بناه عبدالملك بن مروان في الفترة من ٦٨٢م-٦٩١م، وأعيد بناء المسجد الأقصى عام ٧٠٩م، وشهدت المدينة بعد ذلك عدم استقرار بسبب الصراعات العسكرية التي نشبت بين العباسيين والفاطميين والقرامطة، وخضعت القدس لحكم السلاجقة عام ١٠٧١م.

- سقطت القدس في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م، بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي؛ نتيجة صراعات على السلطة بين السلاجقة والفاطميين وبين السلاجقة أنفسهم. قتل الصليبيون فور دخولهم القدس قرابة ٧٠ ألفا من المسلمين وانتهكوا المقدسات الإسلامية.

- استطاع صلاح الدين الأيوبي استرداد القدس من الصليبيين عام ١١٨٧م، بعد معركة حطين، وعامل أهلها معاملة طيبة، وأزال الصليب عن قبة الصخرة، واهتم بعمارة المدينة وتحصينها.

- نجح الصليبيون في السيطرة على المدينة بعد وفاة صلاح الدين في عهد الملك فريدريك (ملك صقلية)، وظلت بأيدي الصليبيين ١١ عاما إلى أن استردها نهائيا الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٤م.

- تعرضت المدينة للغزو المغولي عام ١٢٤٣م/١٢٤٤م، لكن المماليك هزموهم بقيادة سيف الدين قطز والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت عام ١٢٥٩م، وضمت فلسطين بما فيها القدس إلى المماليك الذين حكموا مصر والشام بعد الدولة الأيوبية حتى عام ١٥١٧م.

- دخلت جيوش العثمانيين فلسطين بقيادة السلطان سليم الأول بعد معركة مرج دابق (١٦١٥م-١٦١٦م) وأصبحت القدس مدينة تابعة للإمبراطورية العثمانية. وقد أعاد السلطان سليمان القانوني بناء أسوار المدينة وقبة الصخرة. وفي الفترة من عام ١٨٣١م-١٨٤٠م أصبحت فلسطين جزءا من الدولة المصرية التي أقامها محمد علي ثم عادت إلى الحكم العثماني مرة أخرى. وأنشأت الدولة العثمانية عام ١٨٨٠م متصرفية القدس، وأزيل الحائط القديم للمدينة عام ١٨٩٨م لتسهيل دخول القيصر الألماني وليام الثاني وحاشيته أثناء زيارته للقدس. وظلت المدينة تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى التي هزم فيها الأتراك العثمانيون وأخرجوا من فلسطين.

- سقطت القدس بيد الجيش البريطاني في ٨-٩ ديسمبر ١٩١٧م بعد البيان الذي أذاعه الجنرال البريطاني اللنبي، ومنحت عصبة الأمم بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وأصبحت القدس عاصمة فلسطين تحت الانتداب البريطاني (١٩٢٠م- ١٩٤٨م)، ومنذ ذلك الحين دخلت المدينة في عهد جديد كان من أبرز سماته زيادة أعداد المهاجرين اليهود إليها، خصوصا بعد وعد بلفور عام ١٩١٧م.

- أحيلت قضية القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، فأصدرت الهيئة الدولية قرارها في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م بتدويل القدس.

- في عام ١٩٤٨م أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب في فلسطين وسحب قواتها، فاستغلت العصابات الصهيونية حالة الفراغ السياسي والعسكري وأعلنت قيام الدولة الإسرائيلية. وفي ٣ ديسمبر ١٩٤٨م أعلن ديفيد بن غوريون (رئيس وزراء إسرائيل) أن القدس الغربية عاصمة للدولة الإسرائيلية الوليدة، في حين خضعت القدس الشرقية للسيادة الأردنية حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م التي أسفرت عن ضم القدس بأكملها لسلطة الاحتلال الإسرائيلي.

المصادر

- مصطفى مراد دباغ، بلادنا فلسطين.
- القدس.. قصة مدينة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ط١، ص:٢٤؛ والعسلي، الموسوعة الفلسطينية، المجلد ....، ص:٨١٣.
- التغيرات الجغرافية والديموغرافية، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، ١٩٩٦م، ص:٨٣٣.
- التكوين التاريخي لفلسطين، التقرير الأسبوعي «قضايا دولية»، العدد ٢٦١، ٢/١/١٩٩٥م.
- موقع منظمة التحرير الفلسطينية على الإنترنت.
- الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، القدس.
- موقع الجزيرة نت https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/59e265f3-e0ae-3b9d9c17541c-41a6-ab70.



د. خالد راتب
باحث دراسات إسلامية
مصر

الإسراء والمعراج.. وعالمية الإسلام

إن رحلة الإسراء والمعراج ليست مجرد رحلة مملوءة بالمعجزات فحسب، ولا مجرد قصة يقص أحداثها القصاصون والخطباء، ويتأمل دروسها وعبرها المفكرون والأدباء، ولكنها أوسع نطاقا من ذلك، فهي رحلة الروح والجسد، التي تخطى من خلالها الرسول ﷺ برسالته حاجز المكان والزمان، ليثبت للعالم كله أن رسالته لم تكن في يوم من الأيام مقصورة على قريش الذين وقف بعضهم ضد دعوة الهدى والنور والهداية.. دعوة الإسلام، ولكنها الرسالة العالمية؛ فالانتقال من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس ليلة الإسراء والمعراج هو نقلة للرسالة من حيزها الإقليمي إلى حيزها العالمي، كما أن من دلائل عالمية الإسلام في حادثة الإسراء والمعراج انتقال القيادة إلى الرسول الخاتم وأتباعه إلى يوم الدين، وقد سلم بذلك أنبياء الله صلوات الله عليهم، وصلوا خلفه ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة[1]. وإذا عيسى ابن مريم، عليه السلام، قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم، عليه السلام، قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم»[2].

إن الرسالة المحمدية بدأت عالميتها منذ اللحظة الأولى، ولم يمنع عالميتها الاضطهاد والتضييق من مشركي قريش الذين أحاطوا الدعوة الإسلامية من جميع الجهات، حيث بلغ العذاب مبلغه، فقد كان يشوى المؤمن المتمسك بدينه على النار الموقدة، فما يطفئ النار إلا ودك ظهره (أي دهن الظهر)، ووسط هذه المضايقات والاضطهادات يبشر الرسول ﷺ أصحابه بتمكين دين الله في الأرض وعالمية الإسلام، حيث قال خباب بن الأرت: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فشكونا إليه، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو الله لنا؟! فجلس محمرا وجهه فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»[3].

والغريب أن هذه البشارات من رسول ﷺ بعالمية الإسلام تأتي وقت المحن والتضييق على الدعوة الإسلامية وأصحاب الرسالات النبيلة، وقد تكرر هذا الأمر كثيرا، فعند هجرة النبي ﷺ من مكة إلى



المدينة ومطاردة سراقة له وقد أرصد المشركون مبالغ طائلة لمن يأتي به حيا أو ميتا، يقول لسراقة بن مالك، الذي رأي الحماية الربانية للرسول ﷺ وصحبه، حيث ساخت فرسه أكثر من مرة في الرمال: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟»، قال فلما أتي عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، وكان سراقة رجلا أزب (كثير شعر الساعدين) وقال له ارفع يديك فقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس، وألبسها سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج ورفع بها عمر رضي الله عنه صوته»[٤].

ولو تأملنا في حادثة الإسراء والمعراج لوجدناها أيضا جاءت في الظروف نفسها (ظروف المحن والاضطهادات، خصوصا بعد موت زوج النبي ﷺ خديجة، رضي الله عنها، وعمه أبي طالب)، حيث جاءت البشارة من الله لنبيه ﷺ بهذه الرحلة المباركة التي تؤكد أن رسالة الإسلام لم تنحسر في المحراب، وأن الصلة بين العبد ودينه لم تكن صلة الرهبانية المبتدعة، فكان من الممكن أن يفرض الله الصلوات الخمس عن طريق الوحي من دون صعود النبي ﷺ ونزوله في الإسراء والمعراج، ولكن ليذكر الأمة والعالم أن هذا الدين الإسلامي دين يربط بين المقدسات، وأن القدس ومكة وغيرهما من مقدسات الإسلام تربطهما عالمية الإسلام، وعالمية الصلة بالله في

أخلاق الإسلام موزونة بميزان التقوى

فرض الصلوات الخمس، وأنه يجب توسيع الصلة بين العبد وربه وبين العباد جميعا، فالصلاة التي فرضت في الإسراء والمعراج تأمرنا أن نكون عالميين في تبليغ ديننا، وعالميين في أخلاقنا ومعاملاتنا، فهي ليست صلاة إصلاح النفس فقط ولكنها صلاة العلم بالله وبدينه وبرسالته ورسله، صلاة النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي والعدوان، فلا يصل من المصلي فحش ولا منكر ولا أذى لأي إنسان على وجه الأرض، ولكن يرسل رسالة الإسلام كاملة؛ قولا وعملا، أدبا وخلقا، أمنا وإيمانا.. صلاة تنشر المحبة والسلام بين العالم، وتقف بالمرصاد لكل من تعدى على دين الله ورسله ووقف في طريق وحدة الأمة.

إن المسلم يجب عليه أن تكون رسالته رسالة كاملة لا تقف عند الحدود الجغرافية ولا الزمانية، بل هي رسالة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، رسالة الرحمة والإنسانية مع البشرية كلها دون نظر لعنصرية ولا معتقد، إلا من خرج عن نطاق الرحمة والإنسانية فلنا له معاملة خاصة، وهي: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ (البقرة:١٩٤).

إن أخلاق الإسلام من هذا المنطلق تتسم بالعالمية؛ لأنها لا يتم وزنها إلا بميزان: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات:١٣).

وأخلاق عالمية لأنها في حيز التطبيق لا تقتصر على الإنس فقط، بل يتعامل بها مع الحيوان، حيث كافأ الإسلام امرأة بغيا سقت كلبا يلهث من العطش، وعاقب أخرى بسبب قسوتها على هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض.

فما أعظم رسالة الإسلام رسالة الرحمة والإنسانية والعالمية.

الهوامش

١- كأنه من رجال شنوءة: أي في طوله وسمرته. وشنوءة بفتح الشين المعجمة وبعد النون المضمومة همزة مفتوحة فهاء، تأنيث قبيلة من قحطان. (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٧٨/٥، للقسطلاني).

٢- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.

٣- أخرجه أبوداود، وأحمد، والحديث صحيح، انظر: حديث رقم: ٤٤٥٠ في صحيح الجامع.

٤- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء١/ ٢٧٠،لأبي الربيع سليمان ابن موسى الكلاعي الأندلسي.





د. أحمد إسماعيل عبدالكريم
دكتوراه في العلوم اللغوية
مصر

رحلة المصطفى في وجدان الشعراء

رحلة الإسراء والمعراج من الأحداث التاريخية المهمة في حياة الأمة الإسلامية، بل في تاريخ الدعوة إلى الله عزوجل من لدن آدم عليه السلام، إلى الرسالة الخاتمة، فقد أضاءت هذه المعجزة الخالدة جنبات الدعوة الإسلامية، ولقنت المسلمين الذين استجابوا لدعوة ربهم أنهم هم المنصورون، وأن نصر الله لهم قريب، وأن الله عزوجل ينصر من ينصره، وأنه عزوجل يتولى رسله وتابعيهم برعايته وتأييده، وهو سبحانه كما يختار رسله يختار لهم أصحابهم، ومؤيديهم ليكونوا أساسا شامخا يقاوم كل صور الضعف والخنوع والانحلال، وقد كانت معجزة الإسراء والمعراج ابتلاء من الله سبحانه؛ ليكشف صدق المؤمنين وزيف الكافرين، وكانت هذه الرحلة تقوية لرسول الله ﷺ ورفعا لروحه المعنوية، إذ تحمل هذه الرحلة في طياتها –مما تحمل– أن سعة كون الله عزوجل بما فيه لن يضيق أبدا برسول الله ﷺ فإذا كانت الأرض وأهلها قد ضاقوا به وبرسالته، وتكالب عليه أهل الشرك، وتحامل عليه الكفار بكل ما يملكون من السبل والدروب في شتى صور السفاهات، فقد فتحت له السماء أبوابها، فكانت المعجزة التي ألهبت قرائح الشعراء، وفتقت أحاسيسهم، وها هو ذا شاعرنا «رفعت المرصفي»[1]، يقول: (الكامل)

المعجزات عظيمة الأنباء
في ليلة المعراج والإسراء
حملت لنا الأخبار عن خير الورى
هادي الخلائق سيد العظماء
سبحان من أسرى به ليلا إلى
أرض النبوة مهبط الكرماء

ويناجي الشاعر «رشاد محمد يوسف» رسول الله ﷺ بقصيدته «يا صاحب الإسراء»[2]، وقد صور الشاعر مدى الحفاوة العظيمة التي أحيطت بالمصطفى ﷺ، والتكريم الذي حظي به، وقد استقى الشاعر الكثير من الآيات القرآنية التي نزلت عليه في سورة النجم، حيث تضمنت الأبيات الكثير من الآيات: (الكامل)

حتى إذا شاء الكريم تفتحت
لقدومه الأبواب والأستار
يرقى على اسم الله تأنس روحه
ويحيطه التكريم والإكبار
يدنو فتمتلئ الجوانح بالهدى
والضيف يملأ قلبه استبشار
والله ما كذب الفؤاد ولا طغى
كلا ولا زاغت به الأبصار[3]
والله ما ضل الرسول ولا غوى
كلا ولا جمحت به الأفكار[4]
والله ما نطق الرسول عن الهوى
فالقول فصل والحديث منار[5]
أوحى إليه الله ما أوحى فلا
زيف ولا لغو لديه يثار[6]
ورأى من الآيات ما يسع الورى
علما به تتواتر الأخبار[7]

ولا يفوت الشعراء الذين استجاشت هذه المعجزة قرائحهم المتوهجة، الإشارة إلى المبررات والأسباب التي كانت وراء هذه الرحلة من الأرض إلى السماء، حيث كانت بمنزلة الفتح العظيم للرسالة، إذ حدثت هذه المعجزة في فترة عصيبة مرت بها الدعوة، فقد عانى المسلمون من مقاطعة اقتصادية قاسية، وأقاموا في شعب بني هاشم، لا يكادون يجدون ما يكفي حاجاتهم الأساسية، وفي آخر تلك السنوات توفي عمه أبوطالب وزوجه الوفية السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها، وبفقدهما في هذا العام فقد قلبا حنونا، فقد تحملا معه سنوات قاسية عاشها ﷺ في مكة، فطالما حالا بينه وبين أعدائه حتى وصل الأمر إلى أن يصطلح على هذا العام «عام الحزن» ومما زاد الأمر سوءا خروج الرسول ﷺ يطلب النصرة من ثقيف في الطائف على الرغم من المعاناة التي يتجشمها، والبلاء الذي بلغ ذروته في الطائف وكأن قريشا قد لقيت

الطريق مفتوحا لمحاولة النيل من الدعوة والرسول ﷺ، وتدفع كل هذه المواقف شاعرنا «رفعت المرصفي»[8] ليقول: (الكامل)

فهو الذي أحزانه اشتعلت
وبدت عليه همومه الحرى
فخديجة السلوى قد ارتحلت
وهي التي كانت له ذخرا
والعم مات وكان ينصره
ضد العدا ويهون الأمرا
وثقيف قد رفضت شريعته
لما أتاها بالهدى نهرا

وقد وصف الشاعر «رفعت المرصفي»[9] مراسم الرحلة المقدسة، التي احتفت بها الدنيا، وقد اكتست السماوات حلة ضافية من البهاء والعزة والجلال بروحانية بشرى ملائكة السماء ورسل الله عزوجل كلهم بهجة لقدومه ﷺ: (الكامل)

في عتمة الليل البهيم مضى
فوق البراق يحقق البشرى
في القدس حط الركب مبتهجا
والأنبياء تجمعت فخرا
وهناك في ساح الرضا سكنت
منه الشجون وأشرقت بشرا
حياه رب العرش مكرمة
سبحان من بحبيبه أسرى

وقد احتفى الأنبياء بالمصطفى ﷺ وأحسنوا استقباله، وأكرم الله عزوجل وفادته، وأضفى عليه من نعيمه وأسبغ عليه من كرمه، ففاضت قلوبهم له بالحب والإخلاص وتعانقت أرواحهم وقلوبهم بحبل من الله تعالى، ورفعوا راية التوحيد، حيث توطدت علائقهم بالرسالة الخاتمة التي ابتعثهم الله عزوجل بها وأرسلهم لتبليغها، فكانوا بمنزلة البناة، الذين تعاونوا على بناء صرح التوحيد، وهداية الخلائق لعبادة الله وطاعته، والسير على منهاجه وتشريعه الذي قدره لتستقيم به حياتهم، وعندما اكتمل البناء في دعوة الله عزوجل المنزلة على حبيبه محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، احتفوا به في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت هذه الاحتفالية بمنزلة المبايعة لرسول الله ﷺ إمامته للأنبياء، فصلى الله عليه وعلى أنبيائه ورسله ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، يقول الشاعر «رشاد محمد يوسف» في قصيدته «يا صاحب الإسراء»[10]:

والقدس محراب الصلاة كأنها
عند اللقاء الروضة المعطار
المرسلون وهم حداة مسيرة
هي خير ما جادت به الأقدار
يستقبلون محمدا وقلوبهم
يطغى عليها الحب والإيثار
صلى بهم فتعانقت أرواحهم
أبناء آدم إخوة أبرار

ويشير الشاعر «محمدي الشافعي» إلى المكانة السامقة التي لم يصل إليها أحد من العالمين، غير نبينا خاتم المرسلين ﷺ، والمقام الرفيع الذي بلغه فيقول الشاعر: (الكامل)

من مثل «أحمد» حاز قدرا عاليا
وسما سموا فوق كل سماء؟
ودنا دنوا حيث كلم ربه
ورأى مشاهد نوره اللألاء؟

ويشير الشاعر «محمدي الشافعي» إلى إطلاع الله عزوجل رسوله على كثير من الأمور الدنيوية والأخروية، حيث أراه ما أراه من الآيات وقد ضمن الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ (النجم:١٨) حيث يقول الشاعر: (الكامل)

والله -جل جلاله- أسرى به
وأراه من «آياته» العصماء

وعند سياحته ﷺ في السماوات السبع رأى أنبياء الله عزوجل ورسله، واحتفوا به جميعا وأسدوا إليه النصح والإرشاد وقدموا له خلاصة تجاربهم مع المبعوثين فيهم من بني البشر، وأراه الله عزوجل من آياته الكبرى، حيث أطلعه سبحانه على الأمم السابقة وأخبار الأمم اللاحقة، وأراه النار وأهلها والذنوب والمسالك والدروب التي تقود الناس إليها، وأراه الجنة ونعيمها والمسالك التي تقود الناس إلى نعيمها المقيم، فيقول الشاعر «محمد راجح الأبرش» وقد ألمح إلى بعض ما أراه الله تعالى[11]: (الكامل)

أبصرت قوما ينهشون لحومهم
والنار تلعب في عرى الأحشاء
من هؤلاء؟ يقول جبريل له:
أهل الأذى والطعن بالشرفاء

وإذا كان الله عزوجل قد أنعم على رسوله ﷺ بهذه المعجزة، فأسرى به إلى هذه البقعة المباركة والأماكن المقدسة، وعروجه منها إلى سدرة المنتهى، فقد امتن الله على أمته برحلة العروج إليه، لكل من أسلم وجهه لله وآمن بالرسالة العصماء، والرسول الخاتم ﷺ حيث شرع في هذه الرحلة، المعجزة المقدسة، وأهدى المسلمين هذا الشرف والتكريم بتشريعه عزوجل للتوجه إليه سبحانه بالصلاة في اليوم خمس مرات فرضا بعد أن كانت خمسين، ترى هل بعد هذا تكريم لأمة الإسلام؟ يريد الله عزوجل أن يحتفي بالمسلمين في الملأ الأعلى خمسين مرة في اليوم! بل جعل باب العروج مفتوحا لكل مسلم أين ومتى أراد! يقول الشاعر «محمد راجح الأبرش» في قصيدته «نامت صوارم أحمد في أمتي»[12]: (الكامل)

وحملت من عالي السماء فريضة
ترقى النفوس بها إلى العلياء

اللّه خـص بـهـا الـعـبـاد تـكـرمـا
والمـرء يـسـمـو فـي هـدى ودعـاء
فـتـعـلـمـي يـا نـفـس مـن هـذي الـرؤى
وتـمـسـكـي بـالـشـرعـة الـسـمـحـاء

ويؤكد الشاعر «راجح الأبرش» شرف هذه المعجزة وعظمتها، فهي تاج فخر لكل مسلم يستظل براية الإسلام، فيناجي الشاعر الرسول ﷺ مستحضرا هذه المعجزة التي لا تشيخ، ولا تتأثر بعوادي الزمن إذ إن معجزات الرسالة الإسلامية خالدة بخلود رسالة التوحيد «إن الدين عند اللّه الإسلام» وهي باقية ببقاء القرآن الكريم الذي تكفل اللّه سبحانه بحفظه، وقد اختص اللّه هذه المعجزة بسورة تقرأ إلى أن يشاء اللّه[١٣]: (الكامل)

عـد يـا رسـول اللّه حـدث بـالـذي
شـاهـدتـه فـي الـرحـلـة الـغـراء
خـبـرهـم الـنـبـأ الـيـقـين ولا تـنـي
واصـبـر عـلـى الـفـجـار والجـهـلاء

ويصف الشاعر مدى دهشة الكفار وذهولهم، ومحاولاتهم المستميتة للنيل من الدعوة، وقد أرادوا أن يجندوا هذه الحادثة للنيل من الرسالة والرسول ﷺ، فخانهم الحظ حين أرادوا أن يستقطبوا أبا بكر ويستغلوا هذه المعجزة التي أذهلت عقولهم التي لا تتخيل أبعد مما تراه العين المجردة، ولا تتوقع إلا حدود الماديات الضيقة[١٤]: (الكامل)

فـتـعـجـبـوا ممـا يـقـول المـصـطـفـى
وأتـــوا أبـــا بـكـر بـلا اسـتـحـيـاء

ولكن أبا بكر يفحمهم ويقطع عنهم كل السبل والمسالك التي توقفهم عند حدود استيعابهم المحدود، وأخبرهم أنه يصدقه في أبعد من ذلك، فكيف لا يصدقه في هذا الأمر الذي هو أهون من نزول وحي السماء ذاته، ومن ثم حصل أبو بكر إزاء هذه المعجزة بشرف وسام الصدق، فلقب بالصديق، فرضى اللّه تعالى عنه[١٥]: (الكامل)

إن قـالـهـا هـو صـادق ومـصـدق
مـا قـالـه حـق بـلا اسـتـثـنـاء
مـــاذا أحـــدث والمـشـاهـد جـمـة
أعـيـت لـعـمـرك ألـسـن الـفـصـحـاء

وبعد مئات السنين التي مرت على هذه الذكرى، هل ثمة منكر لها وقد فوجئوا بسفن الفضاء التي تبحر في تلك العوالم الفسيحة؟ وهل بقي في عقولهم بصيص من إنكار؟ وها قد انقشعت الغشاوة التي رانت على قلوبهم فأضلتهم عن رؤية الحق وأعمت بصيرتهم؟ فيقول الشاعر «رشاد محمد يوسف» في قصيدته «يا صاحب الإسراء»[١٦]: (الكامل)

مـاذا يـقـول المـنـكـرون وقـد حـنـت
أوهـامـهـم وتـبـدد الإنـكـار؟
ورأوا عـلـى مـتـن الـفـضـاء سـفـائـنـا
تـسـري وتـبـحـر فـي المـدى الأقـمـار
هـل يـدركـون مـصـيـرهـم ومـسـيـرهـم؟
هـل يـدركـون الـكـون كـيـف يـدار؟

ويعيد الشاعر استقراءه للتاريخ وأحداثه، ويصف للأمة العلاج الناجع والدواء النافع، والوسائل الشافية من كدها وآلامها التي تضمن صلاح الأمة وتحفظ لها ماء وجهها، فيقول الشاعر «محمد راجح الأبرش»[١٧]: (الكامل)

لا نـهـج كـالإسـلام يـصـلـح حـالـنـا
أعـظـم بـه مـن مـنـهـج بـنـاء

وهكذا استطاع شعراؤنا تصوير معجزة الإسراء والمعراج التي عضدت بنية الرسالة وأضاءت خطوط مسيرها، وقد كشف الشعراء عن مكامن المواقف الإعجازية التي تكمن في سياق المعجزة، فهي بكل ما فيها تؤكد عظمة الإسلام ومدى ما عاناه المسلمون الأوائل في سبيل الدعوة، وتدفعنا إلى أن نكون مثلهم ونقتفي أثرهم، كما تؤكد هذه المعجزة لنا أن الإسلام سيظل قويا إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، فما أشبه تلك الفترة العصيبة التي مر بها المسلمون ورسولهم المبعوث رحمة للعالمين بتلك الفترة الحرجة التي يعيشها المسلمون في أقطار المعمورة؛ حيث تكالبت عليهم قوى البغي والعدوان من كل حدب وصوب تحاول النيل منهم بكل ما تملك من وسائل تنكرها شريعة الغاب! وإن غدا لناظره قريب، وستعود أمجاد المسلمين ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

الهوامش

١- قصيدته «يا صاحب الإسراء معذرة»، مجلة المنهل، ع٥٦١، ص٣٥.
٢- مجلة الأزهر، ج٧، س ٦٢، رجب ١٤١٠هـ، ص٧٠٨.
٣- وقد تضمن صدر هذا البيت قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم:١١).
٤- وتضمن صدر هذا البيت قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم:٢).
٥- وضمن الشاعر صدر هذا البيت قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ (النجم:٣).
٦- وضمن الشاعر صدر هذا البيت قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ (النجم:١٠) وقد تضمنت أعجاز الأبيات المذكورة، قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ (النجم:٤).
٧- وضمن الشاعر هذا البيت ما أطلع اللّه عزوجل حبيبه عليه من أخبار وتنبؤات في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ (النجم:١٨).
٨- قصيدته «يا صاحب الإسراء معذرة»، مجلة المنهل، ع٥٦١، ص٣٥.
٩- قصيدته «يا صاحب الإسراء معذرة»، مجلة المنهل، ع٥٦١، ص٣٥.
١٠- مجلة الأزهر، ج٧، س ٦٢، رجب ١٤١٠هـ، ص٧٠٨.
١١- مجلة منار الإسلام، ع ٧/ ١١ رجب ١٤٠٦هـ، ص١٠١.
١٢- السابق.
١٣- السابق.
١٤- السابق.
١٥- السابق.
١٦- مجلة الأزهر، ج٧، س ٦٢، رجب ١٤١٠هـ، ص٧٠٨.
١٧- مجلة منار الإسلام، ع ٧/ ١١ رجب ١٤٠٦هـ، ص١٠١.



عادل محمد أبو الهيثم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف
مصر

السير ليلاً أعقبه صعود

كانت حادثة الإسراء -ولا تزال- معجزة باهرة، ومعلما بارزا من معالم النبوة، وواحدة من خصوصيات النبي ﷺ، فلم يقع لأحد من الأنبياء أن أسري به وعرج إلى السماء، فهي بحق معجزة ساطعة، ومكرمة ناصعة، وسوف تظل هذه الحادثة المباركة مصدر هدى، ومنبع يقين، لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، فسبحان من طوى الزمان لنبيه، فأسرى به وعرج، وعاد النبي ﷺ إلى بيته ولا يزال فراشه دافئا، وما أحوجنا نحن المسلمين في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن، وادلهمت فيه الخطوب، إلى أن نتذكر صعابا قاساها النبي ﷺ وفتنا حاصرته وأصحابه حتى سألوه: «ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

وهذه الرحلة الخالدة لا ينكرها إلا ضعيف الإيمان فليس لجاحد أن ينكر، ولا لحاقد أن يستكثر، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

فوائد وفرائد من الإسراء والمعراج

ودروس الإسراء والمعراج أكثر من أن تحصى أو تستقصى، لكنا نقف أمام

بعضها نستلهم العظات ونفهم العبر، وستظل حادثة الإسراء والمعراج منهلا عذبا لكل الواردين إلى سيرة المصطفى، من هذه الفوائد والعبر:

الفائدة الأولى: لم يرد في تحديد تاريخ الإسراء والمعراج مستند عليه، ولهذا كثرت الآراء في المسألة، وتعددت الأقوال فيها، ومن أروع ما قيل فيها ما أورده القسطلاني -رحمه الله تعالى: «وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف. ولذلك لم يعينها النبي ﷺ لأصحابه، ولا عينها أحد من الصحابة بإسناد صحيح، ولا صح إلى الآن ولا إلى أن تقوم الساعة فيها شيء، ومن قال فيها شيئا فإنما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استأنس به، ولهذا تصادمت الأقوال فيها وتباينت، ولم يثبت الأمر فيها على شيء، ولو تعلق بها نفع للأمة -ولو بذرة- لبينه لهم نبيهم ﷺ»[٢] والذي عليه الأكثرون والمحققون من العلماء أنهما كانا في شهر ربيع الأول، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رجب، وهو المشهور بين الناس اليوم، والذي تركن إليه النفس بعد البحث والتأمل أنهما كانا في شهر ربيع الأول في ليلة الثاني عشر منه أو السابع عشر منه، وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أثرا عن جابر وابن عباس -رضي الله عنهما- يشهد لذلك، قالا: «ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر»[٣].

وقفة مع زمان الإسراء والمعراج

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما، وبذلك كانا علاجا، مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل، إن رؤية طرف من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض، لها أثرها الحاسم في توهين كيد الكافرين، وتصغير جموعهم، ومعرفة عقباهم[٤].

الفائدة الثانية: إن الظروف العامة للدعوة الإسلامية وقت أن تحققت معجزة الإسراء والمعراج كانت بالغة الصعوبة، وكان عدد المسلمين ثابتا من فترة غير قصيرة، ولم ينضم إليهم مؤمنون جدد، وتكالب المشركون على تعذيب ضعاف المؤمنين، وتعنتوا في طلباتهم الحسية المادية الملموسة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾ (الإسراء:٩٠-٩٣)، ومما زاد الأمر تعقيدا أنها ليست معجزة محسوسة تلبي تطلعات المكذبين، وقد تمت خفية بليل، ولم يشهدها أحد من الصحابة، ويصعب على عقولهم استيعابها، فلم تكن رحلة الإسراء مناسبة في هذا التوقيت -بحسابات البشر-[٥] لكن الحق جل وعلا أراد أن يسري به ويعرج ليبشره عمليا بما يحب ويزيل من نفسه القوية عوامل الأسف والحزن والأسى، فالإسراء والمعراج بمنزلة مرسوم إلهي تم الإعلان فيه لرسول الله بما سيحدث له من فرج قريب[٦]، ولو تدبر أولئك الذين كذبوا الرسول ﷺ في قصة الإسراء واستبعدوا وقوعه -قديما وحديثا- وكبر حظ هؤلاء من الروية والأناة لفطنوا إلى أن اختلاق هذه القصة يدخل في نطاق المستحيل عادة، إذ كيف يتصور اختلاق مثل هذه القصة من رجل يواجه من قومه وعشيرته بالتكذيب صباح مساء، حتى إنهم كانوا يجادلونه في بدهيات الأمور[٧]. إن الإسراء والمعراج وقعا في زمن لم يصل فيه العلم إلى ما وصل في عصرنا الحاضر، إن العلم نقل إلينا الأصوات والصور والرسائل من الأثير بالإذاعة المرئية والمسموعة، وأجهزة الهواتف الذكية، وحقق العقل البشري طفرة في ميادين المعرفة، وكلما امتدت الحياة بالإنسان وسارت المكتشفات في ركاب العلم تطالع الناس بالحقائق الدفينة التي مازال يراها العالم أطياف أحلام أو نسج خيال، وإذن فرحلة الإسراء والمعراج حدثت وفق القوانين التي كشفها العلم أو وفق قوانين أخرى لم يكتشفها العلم، وكل ذلك بقدرة الله تعالى[٨].

الفائدة الثالثة: الحياة الدنيا دار ابتلاء وشقاء ولا راحة إلا في الجنة: من المعلوم أن سنن الله في الحياة أنها دار بلاء وشقاء، فمن الصعب أن يخلو المرء من كوارث وبلايا تحل بساحته، فكم يخفق له عمل، أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال، ولله در من قال:

جبلت على كدر وأنت ترومها
صفوا من الأقذار والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار[٩].

ورسول الله ﷺ عانى من صعاب الدنيا ولأوائها، وقفت قريش عقبة كأداء في طريق الدعوة الإسلامية، وأسرفوا في إيذاء النبي ﷺ وصحبه الكرام، استكبارا في الأرض، فأضحت الدنيا ضيقة في عين رسول الله ﷺ رغم اتساعها، وفي هذه الغمرة من المآسي والأحزان، وصدود القوم عن الإيمان، ومحاربة الدعوة الإسلامية بكل

الوسائل والطرق، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة؛ كان الإسراء والمعراج من رحمة الله بعبده وحبيبه، فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعاين من أمارات العناية الإلهية به وبدعوته ما زاده يقينا إلى يقين بإنجاح دعوته، وتبليغ رسالة ربه، ونصره على أعدائه، وأطلعه الله سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ نفس الرسول ﷺ رضا عن الله، وقلبه نورا وطمأنينة، وصدره ثلجا وانشراحا [١٠].

ثمانية لابد تجري على الفتى
ولابد أن تجري عليه الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة
وعسر ويسر ثم سقم وعافية

الفائدة الرابعة: الأمل في الله مطية المؤمن:

ما أجمل الحياة في كنف التفاؤل، وانبساط القلب في كرم الله تعالى، وتلمس الفرج من خلال نظر دقيق في كتاب العمر، وسجلات الزمان، وأحداث البشر، ولولا ما بثه القرآن ووضعته السنة فينا من تفاؤل لضاعت الحياة سدى، وانقطع العمر هباء، ولله در من قال:

أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

التفاؤل وقود الحياة، والدعاء والتذلل لله طريق النصر والفرج، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ (الأنبياء:٨٧-٨٨).

وما أروع هذا التعقيب الذي يشمل كل المؤمنين إلى يوم الدين ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ليبقى الأمل مصورا أمام أنظارهم، فلا يقنطون [١١].

الفائدة الخامسة: في المحنة تكمن المنحة: وفاة أبي طالب وخديجة في عام واحد: رسالة لأمة الإسلام جميعا: ترى، ما الحكمة في أن يتعجل قضاء الله تعالى في استلاب أبي طالب من الحياة، قبل أن يشتد ساعد المسلمين في مكة ويتكون لهم شيء من المنعة؟ ومعلوم أنه قد كان يحمي الرسول -قدر الإمكان- من كثير من المصائب والشدائد، وما الحكمة في أن يتعجل القضاء باستلاب زوجته خديجة رضي الله عنها، وقد كان يجد عندها أنسه وسلواه، وينفض بمساعدتها عن كاهله كثيرا من أحاسيس الشدائد والآلام؟ لو أن أبا طالب بقي إلى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة وريثما ينجو الرسول من أذى المشركين وقبضتهم، لكان في ذلك ما قد يوهم بأن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة، وأنه هو الذي كان يدفعها إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه، لقد قضت حكمة الله أن يفقد الرسول ﷺ عمه أبا طالب وزوجته خديجة بنت خويلد، ويفقد من حوله من كان في الظاهر حاميا له ومؤنسا، حتى تتجلى حقيقتان مهمتان: أولاهما: أن الحماية والعناية والنصر، إنما يأتي كل ذلك من الله عزوجل. ولقد تعهد الله أن يعصم رسوله من المشركين والأعداء، فسواء كان ثمة من يحميه من الناس أو لم يكن، فهو معصوم من الناس وستبلغ دعوته منتهاها من النصر والتوفيق.
ثانيتهما: ليس معنى العصمة من الناس ألا يرى منهم إيذاء أو عذابا أو اضطهادا، وإنما معنى العصمة التي تعهد الله عزوجل بها في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)، العصمة من القتل ومن أي صد أو عدوان من شأنه إيقاف الدعوة الإسلامية، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يذوق الأنبياء من ذلك قدرا غير يسير، وذلك لا ينافي العصمة التي وعد بها أنبياءه ورسله. ومن الحكم الجليلة التي قضت بها سنة الله عزوجل، أن يلاقي الرسول ما لاقى من المحنة في طريق الدعوة، حتى يستسهلها ويستخف بها عامة المسلمين في كل عصر ممن أنيطت بهم مسؤولية الدعوة الإسلامية، فلو أن النبي ﷺ نجح في دعوته بدون أي مشقة أو جهد، لطمع أصحابه والمسلمون من بعده بأن يستريحوا كما استراح، ولاستثقلوا المصائب والمحن التي قد يجدونها في طريقهم إلى الدعوة الإسلامية. أما والحالة هذه فإن مما يخفف وقع المحنة والعذاب على المسلمين شعورهم بأنهم يذوقون مما ذاقه رسول الله ﷺ وأنهم يسيرون في الطريق ذاتها التي أوذي فيها رسول الله ﷺ، ومهما أصابهم من ألم السخرية بهم وإهانة الناس لهم، فإن ذلك لا يفت في عضدهم بعد أن رأوا رسول الله ﷺ قد ألقي التراب على رأسه في السوق حتى اضطر الى أن ينقلب إلى بيته لتقوم إحدى بناته فتغسل عن رأسه التراب، مع أنه حبيب الله وصفوته من خلقه [١٢].

الفائدة السادسة: التسليم بما حدث في الرحلة من خوارق العادات، والإيمان به، فقدرة الله لا يحدها حد ولا يحيط بكنهها علم، وتتجلى مظاهر قدرة الله في كل ما حدث في هذه الرحلة المباركة، قال ابن حجر -رحمه الله تعالى: «وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم به دون التعرض لصرفه عن حقيقته،

لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك(١٣). والسرعة العجيبة في الرحلة تمثل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ (القمر:٥٠)، ولمح البصر علميا يستغرق ١/١٠٠ من الثانية، إلا أن أمر الله ليس مثل لمح البصر، ولكنه كلمح البصر، أي أقل من ١/١٠٠ من الثانية، لأن أمر الله تعالى لا يجوز عليه زمن، وقريب من ذلك ما حدث بين سليمان وبلقيس وقصة حمل عرشها ونقله من أقصى الجنوب من اليمن إلى أقصى الشمال من الشام، قال آينشتاين: إن الزمن في الكون مختلف تماما عن الزمن في الأرض، بل إن السماوات العلى لا زمن فيها[١٤]، وها هم رواد سفن الفضاء قد تغلبوا على هذه المشكلة -إن صح أن تسمى اليوم مشكلة- بل على ما هو أشكل منها، وأعظم خطرا، ويختزنون معهم من الهواء ما يكفيهم للتنفس، ويحفظ عليهم حياتهم أياما لا ساعات، فإذا تمكن الإنسان، على عجزه وقدرته المحدودة، من أن يتغلب على ذلك، أفنستبعد على قدرة الله أن يحفظ حياة نبيه في الطبقات التي ينعدم فيها الهواء بأي وسيلة من الوسائل؟! لا، إنه على كل شيء قدير[١٥].

الفائدة السابعة: لماذا الإسراء قبل المعراج؟

الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من قبل اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- إلى محمد خاتم النبيين ﷺ، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا، وكأنما أريد بهذه الرحلة الكبرى إعلان وراثة الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، واحتضانها لها، وحمايتها لها، وارتباط هذه الرسالة بتلك الأماكن جميعها، فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان، وتشمل آمادا وآفاقا أوسع من الزمان والمكان[١٦].

الفائدة الثامنة: ترحيب أهل السماوات به:

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «قول الملائكة للنبي في الإسراء «مرحبا به» أصل في استعمال هذه الألفاظ وما ناسبها عند اللقاء نحو: (أهلا وسهلا، ومرحبا، وكرامة)، ووقع الاقتصار منها على لفظة مرحبا وحدها؛ لاقتضاء الحال لها، فإن الرحب هو السعة، وكان قد أفضى إلى أوسع الأماكن، ولم يطلق فيها سهلا لأن معناه وطئت مكانا سهلا، والنبي ﷺ محمولا إلى السماء»[١٧].

الفائدة التاسعة: ليميز الله الخبيث من الطيب:

الإسراء والمعراج حادث لا يعزب جلاله عن القلوب، ولا يجف مداده من الأذهان، فهو شاخص على الدوام في قلوب المؤمنين، وماثل في أذهانهم، به يعرفون أن الله أكمل تربية نبيهم، وأعد قواه النفسية والعقلية والجسمية، ومحص أتباعه، وميز الخبيث من الطيب، لتحمل أعباء الرسالة العامة، ومتاعب الهجرة الشاقة، وتبعات الأخوة الدينية التي ستفرضها الأحداث ومشاق الجهاد في سبيل الله، وهؤلاء الذين صدقوا برحلة الإسراء والمعراج هم الخلص المصطفون الأخيار[١٨]. إن العالم ليس محصورا فيما يقع تحت الحس الإنساني فقط، ومن زعم ذلك فقد حد من قدرة الله، بل إنه لم يؤمن به؛ ولذلك وصف الله المتقين بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٣)، أي يؤمنون بما أخبرهم به الأنبياء مما خرج من إدراك البشر بقواهم المحدودة، فليس للمؤمن الذي يؤمن بالغيب مندوحة عن تصديق ما أخبر الله به ورسوله، وإن عجز عقله عن إدراك حقيقة ما آمن به وكل علمه إلى عالمه[١٩].

الفائدة العاشرة: منزلة نبينا محمد ﷺ والحفاوة به: ومن مظاهر هذه الحفاوة والاهتمام والتكريم:

أ- سجل هذا التكريم في القرآن الكريم حتى تبقى هذه المأثرة لا تدرس ولا تزول ذكراها ولا يضعف تأثيرها، يتعبد الناس بتلاوتها، حتى يقوم الناس لرب العالمين، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

ب- إن الأنبياء -عليهم السلام- قد اجتمعوا لرسولنا محمد ﷺ في بيت المقدس يستقبلونه بحفاوة وتكريم في السماوات العلى ويأتمون به في بيت المقدس، وفرحت الملائكة بمقدمه ومن قبله ببعثته، فصلت معه، يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «ولهذا جمعوا له هنالك كلهم، فأمهم في محلتهم، ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين»[٢٠].

الفائدة الحادية عشرة: إن لصاحب الحق مقالا:

لقد كان إخبار النبي ﷺ لقريش عن حادثة الإسراء والمعراج شيئا يعجز الإنسان عن وصفه، فقد أبان النبي ﷺ عن شجاعة نادرة، وقوة في الحق لا يخشى فيه أحدا من الخلق، إذ وقف ﷺ بالحِجْر يخبرهم عن قصته بكل ثبات، وبكل ثقة، لا يبالي من صدقه أو كذبه، فهو يخبر بقضية عاشها بكل ذرات جسده، عاشها بكل لحظاتها، فانطلق يصفها

بكل تفاصيلها، وقد أكرمه الله برفع الحجب بينه وبين بيت المقدس وجلاه له ينظر إليه ويصفه لهم[٢١].

الفائدة الثانية عشرة: آيات الإسراء: وقفات وعظات:

١- البداية والختام: افتتحت السورة بالتسبيح، إشارة إلى أن الإسراء من المعجزات العظيمة التي تثير دهشة السامع وإعجابه، فلا يملك إلا أن يسبح الله تعالى، تنزيها له عما ينسبه الجاهلون له[٢٢]، وفي ابتداء السورة بالتسبيح وختمها بالتكبير دليل على أن العبد مهما بلغ في تنزيه الحق سبحانه وتمجيده واجتهد في عبادته وحمده يبقى مقصرا في القيام بحقه جل وعلا[٢٣].

٢- اختصار حديث الإسراء في آية واحدة: من حيث الزمان والمكان والمعطيات، فالله تعالى قادر على تسهيل الرحلة لعبده واختصارها له، وفي ذكر الليل بعد الإسراء تأكيد للحادث، وكذلك في التحديد المكاني بعد الزماني، والمعطيات التي تثبت قلب المصطفى وتسليه بما يحف برسولنا من ألطاف الله ونعمه[٢٤].

وبعد: فالسيرة النبوية كالفلك مشحون بالعبر التربوية، والمعاني الإيمانية، يعيها من نظر إليها نظرة متدبر، عظات تثبت المؤمنين عند الملمات، وترشدهم إلى التعامل مع المدلهمات، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود:١٢٠).

الهوامش

١- رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦١٢.

٢- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري، (المتوفى:٩٢٣هـ)، (٢/٤٣١) المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٣- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط:٨، ١٤٢٧هـ (١/٤١٨).

٤- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى:١٤١٦هـ)، دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ، ص١٤٢.

٥- الإسراء والمعراج، دراسة موضوعية، أبو المجد حرك، ص٢٠٤، الدار المصرية اللبنانية، ط٣، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٦- المرجع السابق، ص٢١١.

٧- فقه السيرة، د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ص٢٥٠-٢٥١، دار التدمرية، ط ٨، ١٤٣٢هـ.

٨- الإسراء والمعراج في ضوء الدين والعلم، سليمان التهامي، مجلة «الوعي الإسلامي»، الكويت، السنة الثالثة عشرة، العدد (١٥١) رجب ١٣٩٧هـ، يوليو ١٩٧٧م، ص٣١ بتصرف يسير جدا.

٩- ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الربيع، الناشر: مكتبة المعارف، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٣٠٨.

١٠- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط:٨، ١٤٢٧هـ (١/٤٠٧).

١١- صناعة الأمل، عبدالحميد محمد الدرويش، دار المعراج، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٤م، ص٦٠-٦١.

١٢- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط٢٥، ١٤٢٦هـ.

١٣- فتح الباري، ابن حجر، باب المعراج (٧/٢٠٥).

١٤- الأحداث الثلاثة العظمى في الدعوة الإسلامية (البعثة، الإسراء والمعراج، الهجرة)، أحمد شوقي إبراهيم، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ١٤١٩هـ، القاهرة، ص١٣٩-١٤١، الإسراء والمعراج والعلم الحديث، محمد أمين جبر، رسالة الإمام، تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد السابع عشر، شعبان ١٤٠٧هـ، أبريل ١٩٨٧م، ص٦٣.

١٥- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط:٨، ١٤٢٧هـ (١/٤٢١).

١٦- الإسراء والمعراج.. معجزة وحقائق.. أسرار وفوائد، خالد سيد علي، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، لبنان، ص٢١١.

١٧- بدائع الفوائد (بتصرف يسير): (٣/٧٢٢).

١٨- من توجيهات الإسلام، محمود شلتوت، ط دار الشروق، ط٨، ٢٠٠٤م، ص٣٨٠.

١٩- جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر، أحمد محمد شاكر، عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن حماد العقل، دار الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٢/٧٣٤).

٢٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٥/٥).

٢١- صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، د. محمد بن صامل السلمي أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، د. عبدالرحمن بن جميل قصاص الأستاذ المشارك في قسم الدعوة، د. سعد بن موسى الموسى أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك د. خالد بن محمد الغيث أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، ط مكتبة روائع المملكة - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص١٤٠.

٢٢- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله محمد الصديق الغماري، ط مكتبة القاهرة، ص٥٢.

٢٣- المواجهة والتثبيت في سورة الإسراء، من موضوعات سور القرآن الكريم، عبدالحميد محمود طهماز، دار القلم - دمشق، ص١٤.

٢٤- حول الإسراء والمعراج، د. توفيق محمد شاهين، مجلة التضامن الإسلامي، وزارة الحج، مكة المكرمة، السنة ٤١، الجزء الأول رجب ١٤٠٦هـ، أبريل ١٩٨٦م، ص٢٩.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية









سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٨)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الجويني):

١- أبو عمران الجويني (ت: ٣٢٣هـ):

هو أبو عمران موسى بن العباس بن محمد الجويني النيسابوري، من كبار المحدثين. سمع من يونس بن عبدالأعلى وأحمد ابن يوسف السلمي وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم، وروى عنه الحسن ابن سفيان النسوي وأبو سهل الصعلوكي وأبو أحمد الحاكم وغيرهم.

من مصنفاته: (المسند الصحيح) على هيئة صحيح مسلم، توفي بجوين[1].

٢- أبو محمد الجويني (ت: ٤٣٨هـ):

هو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني الشافعي، من علماء التفسير واللغة والفقه، وهو والد إمام الحرمين.

ولد في جوين (من نواحي نيسابور) وسكن نيسابور.

من مصنفاته: (التبصرة والتذكرة) فقه، و(الوسائل في فروق المسائل)، و(الجمع والفرق) في فقه الشافعية، و(موقف الإمام والمأموم) وغيرها.







توفي في شهر ذي القعدة بنيسابور[٢].

٣- أبو الحسن الجويني (ت: ٤٦٣هـ):

هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، المعروف بشيخ الحجاز، صوفي.

من مصنفاته: (السلوة في التصوف).

توفي في شهر ذي القعدة بنيسابور[٣].

٤- أبو المعالي الجويني (إمام الحرمين) (ت: ٤٧٨هـ):

هو أبو المعالي، ركن الدين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي.

ولد في جوين سنة: (٤١٩هـ)، ورحل إلى بغداد، ثم مكة والمدينة فأفتى ودرس، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها.

من مصنفاته: (غياث الأمم والتياث الظلم) و(العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية)، و(البرهان في أصول الفقه)، و(نهاية المطلب في دراية المذهب) في فقه الشافعية، و(الشامل في أصول الدين)، و(الإرشاد في أصول الدين)، و(الورقات في أصول الفقه)، و(مغيث الخلق) وغيرها من المصنفات.

توفي بنيسابور[٤].

٥- أبو عبدالله الجويني (ت: ٥٣٠هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن حمويه بن محمد الجويني، صوفي، مفسر، مؤرخ، فقيه، أصولي، من أهل خراسان.

ولد سنة: (٤٤٩هـ)، روي عن موسى بن عمران الأنصاري، وقرأ الفقه والأصول على إمام الحرمين، وأخذ التصوف عن أبي الفضل علي بن محمد الفارمذي، وحج مرات.

من مصنفاته: (لطائف الأذهان في تفسير القرآن)، و(سلوة الطالبين في سيرة سيد المرسلين)، و(مصنف في التصوف).

توفي ودفن في داره في إحدى قرى جوين[٥].

المتفق والمفترق في اسم (ابن المبرد):

١- أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٦هـ):

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدي، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار.

ولد بالبصرة سنة: (٢١٠هـ)، أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه نفطويه وغيره.

من مصنفاته: (الكامل)، و(المذكر والمؤنث)، و(المقتضب في النحو)، و(شرح لامية العرب)، و(إعراب القرآن)، و(طبقات النحاة البصريين)، و(نسب عدنان وقحطان) وغيرها.

توفي في شهر ذي الحجة ببغداد[٦].

٢- شهاب الدين بن المبرد (ت: ٨٩٥هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي المعروف بابن المبرد، فاضل، من أهل دمشق.

أخذ عن أخيه جمال الدين يوسف الآتية ترجمته، ووالده والشيخ ابن الصفي وغيرهم.

من مصنفاته: (أخبار بشر الحافي) وكتاب (المحبة والمتحابين في الله)، و(الترشيح في فضل التسبيح)، و(الزهر الفائق في الدعاء الرائق)، وغيرها من المصنفات.

توفي في شهر رجب، وصلي عليه بالجامع المظفري[٧].

٣- جمال الدين بن المبرد (ت: ٩٠٩هـ):

هو جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبدالهادي الصالحي، المعروف بابن المبرد، علامة متفنن، من فقهاء الحنابلة، من أهل الصالحية بدمشق.

ولد بدمشق سنة: (٨٤٠هـ).

من مصنفاته: (مغني ذوي الأفهام عن الكتب الكثيرة في الأحكام) في فقه الحنابلة، و(النهاية في اتصال الرواية)، و(العقد التام فيمن زوجه النبي عليه الصلاة والسلام)، و(محض الشيد في مناقب سعيد بن زيد)، و(محض الخلاص في مناقب سعد بن أبي وقاص)، و(محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) وغيرها من المصنفات الكثيرة.

توفي في شهر المحرم بدمشق[٨].

الهوامش

١- ينظر سير أعلام النبلاء (٢٣٥/١٥) والأعلام للزركلي (٣٢٤/٧) ومعجم المؤلفين (٤١/١٣).
٢- ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٠٨/٣) والأعلام للزركلي (١٤٦/٤) ومعجم المؤلفين (١٦٥/٦).
٣- ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/٤) وهدية العارفين (٦٩١/١) ومعجم المؤلفين (٢٦٦/٧).
٤- ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٤٩/٣) والأعلام للزركلي (١٤٠/٤) ومعجم المؤلفين (١٨٤/٦).
٥- ينظر شذرات الذهب (٩٥/٤) والأعلام للزركلي (١١٠/٦) ومعجم المؤلفين (٢٧٣/٩).
٦- ينظر بغية الوعاة (٢٦٩/١) والأعلام للزركلي (١٤٤/٧) ومعجم المؤلفين (١١٤/١٢).
٧- ينظر السحب الوابلة لابن حميد (ص١٢٠) والأعلام للزركلي (١١١/١)، ومعجم المؤلفين (٩١/٦).
٨- ينظر الأعلام للزركلي (٢٢٥/٨) وهدية العارفين (٥٦٠/٢) ومعجم المؤلفين (٢٨٩/١٣).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الإرشاد

الإرشاد

عدد 5 السنة (26)

صفر 1419 هـ/ يونيو 1998 م

الإرشاد

مجلة شهرية تعنى بالتثقيف الشعبي والتوجيه الاسلامي

تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلام

ثمن العدد 0,50 درهم

العدد الاول – السنة الاولى – ربيع الاول 1387 – يونيه 1967

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الإرشاد» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة الإرشاد مجلة شهرية تعنى بالتثقيف الشعبي والتوجيه الإسلامي، تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. صدر أول عدد منها في ربيع الأول، سنة ١٣٨٧هـ، الموافق لشهر يونيه، سنة ١٩٦٧م.

تعريف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية

بعد إعلان استقلال المغرب انتقلت مؤسسة الوقف من نظارة النظار وبنيقة الأحباس -كما كان يطلق عليها خلال فترة الاستعمار- إلى مرتبة الوزارة ضمن أول هيكلة عصرية لحكومة مختصة بتسيير الشأن العام، وعرفت هذه الوزارة بوزارة الأحباس، من: (٢٧ يناير ١٩٥٥م) إلى (٢٧ أكتوبر ١٩٦٣م)، أي خلال العهد الذي تولى فيه شؤونها محمد المختار السوسي، ثم تلتها بعد ذلك فترة فراغ لم يعين خلالها أي وزير، وإن كانت المؤسسة استمرت قائمة، وامتدت هذه الفترة إلى حدود سنة ١٩٦٣م، عندما ضمت إليها وزارة الشؤون الإسلامية وأصبحت تعرف باسم «وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية».

محتوى المجلة العام

لقد غلب على المجلة الطابع الديني، فقد احتوت صفحاتها على مواضيع في مختلف العلوم الإسلامية، التفسير، الحديث، السيرة، الأخلاق. فأول ما نشر على صفحتها في عددها الأول -بعد تقديم لمعالي وزير عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد: أحمد بركاش- موضوع في التفسير، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل٩٠). للعميد الأستاذ: الرحالي الفاروقي. ثم تلاه مقال أيضا في التفسير، وهو تفسير سورة الانفطار، بقلم الأستاذ: عبدالله كنون. بعده جاء مقال بعنوان «سماحة الإسلام»، وهو شرح لحديث النبي ﷺ: «بعثت بالحنفية السمحة». بقلم الأستاذ: عبدالرحمن الدكالي. كما كتب الأستاذ: محمد الطنجي مقالا بعنوان: الاعتدال بين الحقوق والواجبات في نظر الإسلام. وكتب الدكتور: تقي الدين الهلالي مقالا بعنوان «من مآثر الرسول ﷺ»، وهكذا كانت مواضيع المجلة في بقية أعدادها، إلا أنه قد يتغير تقسيم المجلة من حين إلى آخر، ففي عددها الخامس من سنة ١٩٩٨م، وهو آخر عدد للمجلة في مكتبة «الوعي الإسلامي» كان تقسيم المجلة على الشكل الآتي:

- الافتتاحية.
- دراسات إسلامية: ويندرج تحته عدة مواضيع منها: ذكر الله- بعض أحكام التوبة.
- تربية وثقافة: ويندرج تحته عدة مواضيع منها: التوجه الإسلامي في رعاية الطفل.
- نماذج وعبر: ويندرج تحته عدة مواضيع تتحدث عن شخصيات إسلامية مميزة، مثل: عمر بن الخطاب رضي الله عنه - القاضي عياض.

ولكن برغم هذا التغير في التقسيم والشكل إلا أن مسارها ومنهجها الإسلامي بقي ثابتا لم يتغير ولم يحد.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة من هذه المجلة الإسلامية الرائعة، من أول عدد لها إلى العدد الخامس من السنة (٢٦) من صدورها، أي إلى عدد صفر من سنة ١٤١٩هـ، الموافق لشهر يونيو من سنة ١٩٩٨م. وهي في متناول القراء الكرام.

المصدر:
مجلة الإرشاد.



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الموسوعة الحية
الشيخ حمد الجاسر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..

وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ علامة ومؤرخ.. جغرافي ورحالة.. باحث وإعلامي.. عاشق للغة العربية ومحب للتاريخ.. مهتم بالأنساب.

■ له أسهم في الحياة الثقافية لوطنه، إذ خلف تركة معرفية متنوعة، من مصورات تاريخية وجغرافية، مرورا بأدب الرحلات وكتب السيرة، إلى طبعات نقدية لبعض النصوص التراثية.

■ «نجدي» الأصل، وتحديدا من قرية «البرود»، التي وُلد فيها عام ١٣٢٨هـ، لأسرة بسيطة فقيرة، يعيلها والده من عمله بالفلاحة، ويمتد نسبها إلى قبيلة «حرب»؛ إحدى أعرق قبائل العرب... إنه الشيخ الأستاذ حمد بن محمد بن جاسر.

تعليمه

■ رأى أبوه أن ابنه لن يكون بمقدوره مساعدته في إعالة الأسرة، إذ كان ابنه ضعيف البنية، فألحقه بـ «كُتّاب القرية» لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن.. ولما رأى أمارات النبوغ والنباهة تطفو على صفحة وجهه ولمس مدى شغفه بالعلم ذهب به عام ١٣٤٠هـ إلى قريب له في مدينة الرياض يطلب العلم، فتعلم شيئا قليلا من الفقه والتوحيد.

■ لم يطل مكثه لدى قريبه أكثر من سنتين، إذ توفاه الله، فعاد أدراجه حزينا إلى قريته، ولم يكد يلتقط أنفاسه حتى مات أبوه، فكفله جده لأمه.

نفس تواقة للعلم

■ ساعد جده في إمامة أهل القرية، ثم اشتغل معلما لصبيانها إلى أن نُدب عام ١٣٤٦هـ مرشدا لفخذ من قبيلة عتيبة يصلي بهم رمضان، ويعلمهم أمور دينهم.

■ مع نهاية العام نفسه، تاقت نفسه مرة أخرى لطلب العلم على مشايخه في الرياض، فقصدها وقرأ شيئا من المتون كـ«الآجرومية» لابن آجروم، و«الأصول الثلاثة»، و«آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبدالوهاب و«ملحة الإعراب» للحريري.

■ في سنة ١٣٤٨هـ، قصد مكة للالتحاق بالمعهد العلمي السعودي (أول مدرسة نظامية تنشأ في العهد السعودي)، لتبدأ معها مرحلة مهمة من حياته.

حياته العلمية ومناصبه

■ بعد أن أنهى المعهد متخصصا في القضاء الشرعي، عمل في ينبع (من ١٣٥٣هـ حتى ١٣٥٧هـ) مدرسا فمديرا للمدرسة، ثم انتقل إلى القضاء فعمل قاضيا في ضبا عام ١٣٥٧هـ.

■ لكن شوقه إلى المعرفة كان في اتقاد مستمر، فقرر السفر إلى مصر عام ١٣٥٨هـ والالتحاق بكلية الآداب في جامعة القاهرة، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية أحال بينه وبين إتمام دراسته.

■ عاد من القاهرة، وعمل مرة أخرى بالتدريس، وجاب مناطق عدة بالمملكة، وشغل مناصب تربوية مختلفة.

■ في عام ١٣٦٩هـ تولى إدارة التعليم في نجد، وخلال فترة إدارته أنشأ «مكتبة العرب»، التي كانت أول مكتبة وقتها تعنى بعرض المؤلفات الحديثة.

■ كان أول مدير لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض اللتين كانتا النواة لإنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

■ كان عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان، وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية في عمان، والمجمع العراقي في بغداد، والمجمع العلمي في الهند.

إنتاج الشيخ الثقافي

■ إنتاج الجاسر البحثي والأدبي والتاريخي والثقافي يجعلنا نعده موسوعة حية ودائرة معارف متنقلة؛ فمؤلفاته، لاسيما ما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية؛ بلدانها وأعلامها وأنسابها، مرجع للمحققين ومقصد للباحثين.

■ رمى الشيخ في كل فن من فنون الأدب بسهم، فكتب في الرحلات: «إطلالة على العالم الفسيح»...، وفي الأنساب: «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (جزآن)...، وفي تحديد المواضع: «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» (مقدمة المعجم - جزآن)...، وفي تاريخ البلدان: «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»...، وكتب عن الخيل: «معجم أسماء خيل العرب وفرسانها»...، وفي التراجم: «رحالة غربيون في بلادنا»...، وفي المباحث اللغوية: «نظرات في كتاب تاج العروس».. وكثير غيرها.

■ كما حقق العديد من الكتب: «الأماكن» للحازمي (جزآن)، «الإيناس في علم الأنساب» و«أدب الخواص» للوزير المغربي.. وغيرها.

تكريمه

■ منح جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ؛ ووسام التكريم من مجلس التعاون الخليجي عام ١٤١٠هـ، ووسام الملك عبدالعزيز عندما اختير الشخصية السعودية المكرمة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) عام ١٤١٥هـ، والدكتوراه الفخرية عام ١٤١٦هـ من جامعة الملك سعود؛ وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام ١٤١٦هـ، وجائزة سلطان العويس الأدبية من الإمارات العربية المتحدة عام ١٤١٦هـ، وجائزة الكويت للتقدم العلمي عن كتاب «أصول الخيل العربية الحديثة» عام ١٤١٦هـ.

تواضع جم

■ رغم ما عرف عنه من قوة حفظ وشمولية اطلاع وانقطاع إلى العلم وشدة تقلب في الجزيرة العربية؛ بحثا وتنقيبا عن المعلومات، فإنه رفض وصف الدكتور عبدالله الهدلق له في إحدى كتاباته قائلا: «عالم الجزيرة الشيخ حمد الجاسر»، طالبا من الهدلق حذفه بقوله: «جزيرة أنا عالمها جزيرة جاهلة».

أول صحيفة.. وأول مطبعة

■ لا تزال السعودية تدين بالفضل لجهود الشيخ في نشأة الصحافة والطباعة فيها، ففي عام ١٣٧٢هـ أنشأ أول صحيفة (اليمامة) تخرج من مدينة الرياض، كما أنشأ أول مطبعة فيها باسم «شركة الطباعة والنشر الوطنية» في عهد الملك سعود رحمه الله.

■ وفي عهد الملك فيصل، رحمه الله، عاد إلى الرياض (بعدما أقام فترة في لبنان أنشأ خلالها «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر»)، ومنح - مع آخرين- امتياز إنشاء «مؤسسة اليمامة الصحافية» التي تصدر عنها جريدة «الرياض» اليومية، ومجلة «اليمامة» الأسبوعية، و«رياض ديلي» باللغة الإنجليزية، و«كتاب الرياض»، ثم لظروف خاصة تخلى عن العمل في المؤسسة، وأصدر مجلة «العرب» الشهرية في رجب سنة ١٣٨٦هـ.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمتان في المجلة: الأولى «رحلة إلى طيبة (١)» كانت مع العدد ٣٧ (محرم ١٣٨٨هـ/مارس ١٩٦٨م)، بينما كانت الثانية «رحلة إلى طيبة (٢)» في العدد ٣٨ (صفر ١٣٨٨هـ/أبريل ١٩٦٨م).

وفاته

■ في يوم الخميس ١٦ رجب ١٤٢١هـ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٠٠م، فقدت المكتبة العربية علما من أعلامها الأفذاذ، إذ توفي الشيخ حمد الجاسر عن عمر يناهز ٩٣ عاما، بعد حياة حافلة بالعطاء.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٣٧ و٣٨.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤ - موقع معرفة.
٥ - موقع الاثنينية.

فوائد الكتب

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: هذه الكتب إذا تناولها ذو العقل الذكي؛ لم يعدم منها نفعا جليلا، وإذا أخذها ذو العقل السخيف؛ أبطلته وبلدته وحيرته؛ فليتناول كل امرئ حسب طاقته.

(انظر: التقريب لحد المنطق بتصرف، ص:٩)



إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

أحمد بن محمد بن حنبل

أحمد بن محمد بن حنبل هو شيخ الأئمة ومزكي الأمة، وأوحد الملة ورفيع القدر والهمة، صيرفي الأخبار وقدوة العلماء في معرفة الآثار، إليه في فنونها الرد والقبول، وله في عيونها الغرر والحجول، إمام الأنام مفتي الأمة في الحلال والحرام، في علم الحديث بحر زخار، وفي علم الفقه سماء مدرار، وفي الزهد والتقوى الحسن البصري، وفي الرقائق والدقائق ذو النون المصري، وفي الورع سفيان الثوري، مالك أزمة العلوم في عصره، القائم بإحياء الدين ونصره، عز بمكانه التقى، وتحصن في جنابه الهدى، واعتدل ميل الإسلام برأيه، أقوى من ضرب في عصره عن بيضة الدين بالحسام المرهف.

(انظر: منازل الأئمة الأربعة، ص:١١)

لقاء العلماء

قال وهب بن منبه رحمه الله: «لقي رجل رجلا فوقه في العلم، فقال: كم آكل؟ فقال: ما فوق الجوع، ودون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك، على ألا يسمع صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تمل أن تبكي من خشية الله. قال: فكم أخفي من عملي؟ قال: حتى لا يراك الناس أنك تعمل بحسنة. قال: فكم أظهر من عملي؟ قال: حتى يأتم بك الحريص، ويؤمن عليك قول الناس».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٢٢)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

الابتلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: والله سبحانه يبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه، وقد ذم سبحانه من لا يتضرع إليه، ولم يستكن له وقت البلاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

(انظر: عدة الصابرين، ١/٣٦).

خطورة اللحن

قال العلامة ابن الصلاح رحمه الله: قال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم - إذا لم يعرف النحو - أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (رواه البخاري)؛ لأنه ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه حديثا ولحنت فيه؛ كذبت عليه. قلت: فحق على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما.

(انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص:١١٨).

صفة مجالسة العلماء

قال العلامة الآجري في صفة مجالسة طالب العلم للعلماء: «فإذا أحب مجالسة العلماء؛ جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبده الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه، فإذا استفاد منهم علما أعلمهم: أني قد أفدت خيرا كثيرا، ثم شكرهم على ذلك. وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم...، لا يناظرهم مناظرة يريهم: إني أعلم منكم. وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم، مع حسن التلطف لهم، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء، يحسن التأني للعلماء مع توقيره لهم، حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهما في دينه».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٠).

الصحابة رضي الله عنهم

نقل الإمام الخطيب البغدادي شيئا من فضائل الصحابة، رضي الله عنهم، ثم قال: على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع بعدالتهم، والاعتقاد في نزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.. هذا مذهب العلماء كافة ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

(انظر: الكفاية للخطيب البغدادي، ص:٤٩).

إعداد: التحرير

الملاذ الآمن

صار من المألوف أن تجد بعض الناس يعلقون على باب بيوتهم وفي سياراتهم خرزة زرقاء، وأن تلجأ بعض النساء إلى ارتداء اللون الأزرق، خصوصا عندما يمن الله عليهن بنعمة ما؛ فبدل أن يتوجهن إلى الله بالحمد والشكر الجزيل تبدأ مخاوفهن من الحسد والعين تشغل الحيز الأكبر من تفكيرهن، وتكون وسيلتهن هي ارتداء اللون الأزرق أو تعليق تميمة على هيئة عين بشرية حول أعناقهن!

كما يلجأ آخرون إلى تعليق أكف صناعية على الأبواب أو رفع الأكف البشرية في وجه من يخافون منهم عند التحدث عن نعمة أو ذكر منة من الله! والقرآن الكريم به من صريح الآيات ما ينهى نهيا قطعيا عن اللجوء إلى غير الله تعالى لجلب خير أو دفع شر، مثل الآية الكريمة: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ (يس:٢٣).

وقوله عزوجل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء:٥٦).

وعن عبدالله بن حكيم مرفوعا أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال: «من تعلق شيئا، وكل إليه» (رواه أحمد والترمذي). فمن اعتقد في تميمة أو غيرها جلب خير أو دفع ضر فلينتظر، ولكن عليه أن يوقن أنه لن ينتظر غير الخسارة المحققة في الدين والدنيا.

إن الوسيلة الوحيدة لتحصين المرء نفسه وما يخاف عليه وما يخشى وقوعه من أذى وضر، هي أن يلجأ إلى الله وحده لا شريك له، ويوقن أن الملاذ الآمن من كل ما يساوره من خوف وهواجس أن لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه سبحانه وتعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف:٦٤).

علياء ناصف - كاتبة وباحثة تربوية - مصر

البرنامج اليومي

قد تستقبل اليوم في الصباح بذهن خال، فليس أمامك برنامج واضح المعالم، هناك الغداء والعشاء وما بينهما فراغ لا تدري عنه شيئا، وهذه حالة مزعجة؛ فمن لا يعرف مقدما ماذا يصنع في يومه يضطر إلى ارتجال أفعاله بوحي اللحظة، وتحت ضغط الظروف.

ولهذا ننصح لك أن تضع في مفتتح كل يوم برنامجا بما ستنجزه، وتعين لكل مرحلة من مراحل اليوم جزءا من تلك المهام، وتسجل ذلك البرنامج في مفكرتك اليومية كي ترجع إليها في آخر اليوم وتعرف ماذا أنجزت، ومدى توفيقك فيه، وأسباب تعثرك أو تراخيك.

وإذا كانت أمامك مهمة واحدة كبيرة في ذلك النهار، فيجمل بك أن تقسمها إلى أجزاء متلاحقة، حتى تراقب تقدمك في إنجازها، ولا يسرقك الوقت في بعض من مراحلها فلا تدرك الغاية في وقتها المرسوم.

وهذه الطريقة مصدر عون كبير، لأنها تمنحك مزيدا من الشجاعة والهمة كلما نجحت في مرحلة من المهمة، وذلك أن تجعل لنفسك جائزة رمزية على كل نجاح جزئي، ولا شك أن ختام اليوم على هذه الوتيرة سيحمل إليك شعورا بالرضا عن نفسك.. شعورا معززا بالدليل الملموس على مبلغ تقدمك وتفوقك في هذا اليوم على نفسك في أمسك القريب.

فتذكر أن سعادتك الشاملة رهن بتكيفك مع وجوه نشاطك اليومي وأنت تسعى نحو أهدافك، وآمالك ومثلك العليا.

محمود الزوكي قدري - استشاري تدريب وتطوير - مصر

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





التربية الحوارية للأبناء ضرورة عصرية

يهتم التربويون بالحوار؛ بوصفه أسلوبا تربويا له أثره الوقائي والعلاجي الإيجابي المهم، خصوصا في عصر المتغيرات المتلاحقة الذي أصبح فيه للإنترنت وألعاب الكمبيوتر والهاتف النقال دور كبير في تكوين مدارك الإنسان وثقافته وتشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها.

ونظرا لما قد يتعرض له الأبناء من مؤثرات خارجية عديدة، قد تؤثر في شخصياتهم وفي نوعية القيم التي يتبنونها، فإن الحاجة إلى تفعيل أسلوب الحوار بين الآباء وأبنائهم تبدو ملحة؛ حرصا على إصلاحهم، وتهذيب سلوكهم، وتمكينهم من اتخاذ موقف إيجابي فيما يعرض لهم من أفكار وآراء وثقافات بدلا من الرفض الكامل لها، أو الانسياق التام وراءها، ومن أجل تعويدهم على مواجهة القضايا والمشكلات الحياتية المختلفة.

إن من أبرز متطلبات التربية الحوارية وأهمها، وتعزيز الحوار بين الآباء والأبناء، كما يعددها التربويون: الإيمان بأهمية الحوار، والاقتناع بجدواه، وترسيخ ثقافة الحوار لدى الأبناء عن طريق التربية بالقدوة، وتعليم الأبناء آداب الحوار، وتشجيعهم على ممارسته، والاهتمام بخصائص النمو، وإشباع دوافعه وحاجاته لديهم أثناء الحوار معهم، وتنويع أساليب الحوار معهم وتجديدها، وعدم الجمود على نمط وطريقة واحدة، والتعرف على طريقة تفكيرهم وما يشغلهم من موضوعات، ومنح الأبناء الثقة الكافية في تصرفاتهم، والتخلص من الشعور بالفوقية أو الدونية عند الحوار مع الأبناء.

فالحاجة أصبحت ضرورية للتربية الحوارية للأبناء؛ فهي تسهم في الوصول إلى قلوب الأبناء وعقولهم، وتقوي علاقة الوالدين بأبنائهم، وتسهم في تنمية القدرة العقلية، وتحقيق الاتزان النفسي لديهم.

د. محمد عباس عرابي - باحث تربوي - مصر



البدايات والنجاحات

ما بين البدايات والنتائج ارتباط عظيم، فكل بداية صحيحة مبنية على رؤية سليمة تحتاج من صاحبها إلى صبر ومثابرة لكي يصل إلى أعظم النتائج المرجوة.

وكل بداية خاطئة توصل دائما إلى نتائج مخيبة للآمال، لذلك كان لزاما على كل عاقل أن يصحح منطلقاته التي يبدأ منها في الحياة. وإننا لنعجب من طلاق زوجين دامت العشرة بينهما سنين طويلة ثم تفرقا لم يحل بينهما وبين وقوع أبغض الحلال أبناؤهما وبناتهما، وما وقعت هذه الواقعة المؤسفة إلا لأن البداية لم تكن بحثا عن السكن الذي جعله الله تعالى غاية من الزواج مصداقا لقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ (الروم:٢١).

كما نستغرب من صحبة مرت عليها أيام وأعوام؛ لكنها قامت على أساس تبادل المصالح، فما أن تذهب المصالح حتى يتبخر الود وتنقلب المحبة إلى عداوة. ونندهش من حوار يدور لساعات وساعات لا تصل فيه الأطراف المتحاورة إلى نتيجة، لأن البداية كانت رغبة في الانتصار أو مجرد تمضية الوقت.

ومع البداية الصحيحة يحتاج الإنسان إلى طلب التوفيق من الله، فالطريق ممتلئ بالعقبات كما هو ممتلئ بالفتن التي تنحرف بالسالك عن هدفه، كذلك يحتاج إلى جرعات منتظمة من حسن الظن بالله حتى لا يتسرب اليأس إلى النفوس، كما يحتاج إلى تخطيط مسبق؛ فالنجاح لا يعرف العشوائية. وقد بيّن رسول الله ﷺ أهمية ما قبل الخطوة الأولى في كل عمل حين قال صلوات الله وسلامه عليه: «إنما الأعمال بالنيات» (متفق عليه)، وفهم العلماء أهمية وضوح الغاية فقالوا الأمور بمقاصدها.

د. محمد عطية متولي - إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف - مصر

مسك الختام

قرة العين

قرة العين هي رضاها وراحتها وسعادتها؛ وعباد الله الصالحون -عباد الرحمن- يسألون الله تعالى أزواجا وذرية تكون لهم قرة أعين: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان:٧٤).

- والزوجة التي هي قرة عين لزوجها هي تلك التي تؤدي فرض الله وتطيع زوجها في الخير والمعروف؛ وتحسن تربية أبنائها.. هي تلك التي تتفقد ما يحبه زوجها فتأتيه، وما يكرهه فتتركه.. هي تلك التي تقدس العلم وتخلص العمل، وترضى برزق الله. تاجها الحياء، ورأس مالها القناعة، وسر جمالها الرضا. روحها آسرة، وقلبها محب لخلق الله. إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته.. ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء:٣٤).

- والزوج الذي هو قرة عين لزوجته هو ذلك الذي يعاشر زوجه بالمعروف، ويثني على عشرتها خيرا.. هو ذلك الضحاك البسام الذي يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفهم وكأنهم لا يعرفونه.. يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى.. لا يضرب الوجه ولا ينطق القبيح؛ لطيف مع أهله، عف اللسان واليد.. فإذا حدث منها ما يعكر صفو الحياة لم يهجرها إلا في البيت.. سأل رجل رسول الله ﷺ: عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» رواه أبو داود ٤٥/٦ وأحمد ٤٨٣/٤٠.

- أما الذرية التي هي قرة عين، فهي تلك الذرية التي تنشأ في طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الرحم وتخالق الناس بخلق حسن.. إنها الذرية النهمة في طلب العلم، العطوفة على الضعفاء والمساكين، المصاحبة للأتقياء، التي تقول الحق وإن كان مرا، وتصل الأقارب وإن قطعوا، ولا تخاف في الله لومة لائم.

تلك هي الذرية الطيبة كيحيى عليه السلام الذي وهبه الله تعالى لنبيه زكريا عليه السلام كذرية طيبة، وقال في صفاته: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم:١٣) وعيسى عليه السلام الذي بشرت به الملائكة مريم عليها السلام، وقال الله تعالى عنه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم:٣١).

أما محمد ﷺ فهو نسمة الرحمة العامة، وعبير الحب الشامل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).. وهو المنة العظيمة التي من الله تبارك وتعالى بها على عباده المؤمنين ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

ختاما ندعو بدعاء عباد الرحمن ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان:٧٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نجاح عبدالقادر سرور
باحث وكاتب إسلامي - مصر









www.alwaeialshababy.com

www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com



مواضيع حيوية ومعاصرة

حوارات حصرية مع الشباب المبدعين

مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية

إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير: فهد الخزّي



Shabab alwaei



@alwaeialshababy

alwaeiq8@gmail.com

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٦٤٨) شعبان ١٤٤٠ هـ - أبريل ٢٠١٩م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

المَرأةُ.. رَمزُ العَطاء

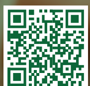


- صِناعَةُ الحَلال ومُتَطَلَّباتُ العصر
- الأربعُونَ النَّوويَّة.. دِراسَةٌ نَقدِيَّةٌ
- القِصَّةُ القَصِيرَةُ في مَجلَّةِ الوَعْي الإسلامِي
- الخَطُّ العَرَبِيُّ.. تارِيخٌ مُضِيءٌ ومُستقبلٌ وَاعِدٌ

هدية العدد: معلقة أسس التربية الإسلامية


مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا

أُسُسُ التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّة

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تعريف التربية

التربية لغة

التربية اصطلاحًا

أهداف التربية الإسلامية

مصادر التربية الإسلامية

مصادر ثابتة

مصادر متغيرة

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية المطهرة

١- التراث الإنساني

٢- الزمان

٣- المكان والأشخاص

أسس التربية الإسلامية

١- الأساس العقدي

٢- الأساس التعبدي

٣- الأساس العلمي الإبداعي

٤- الأساس الأخلاقي

٥- الأساس الصحي

من أين نتلقى التربية

١- البيت

٢- المدرسة

٣- المسجد

٤- الأصدقاء

٥- وسائل الإعلام المتنوعة

أخطاء تربوية شائعة

من كتب التربية

أساليب التربية

١- التربية بالقدوة

٢- التربية بالتحفيز

٣- التربية بالترغيب والترهيب

٤- التربية بالتدرج

٥- التربية بالحوار

٦- التربية بالتطبيق العملي

٧- التربية بتفريغ الطاقة وشغل أوقات الفراغ

٨- التربية بالعبرة

إعداد: زهف حسين أسد

تصميم وإخراج: حازم صبري

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

alwaei_alislami

معلَّقةٌ مهمَّة من معلقات مجلَّة الوعي الإسلامي، تقدِّمها المجلة لقرائها الكرام كمساهمة في المنظومة التربوية الإسلامية، وقد حرص مُعدُّها على تعريف التربية، وعدَّد مصادرها الثابتة والمتغيِّرة، وأهدافها ومصادرها وأسسها، ثم عرَّج على أساليبها وختم بأهم الكتب والمراجع التربويّة، وجاءت هذه المعلقة لتحمل رقم: (٣٨) في سلسلة معلقات مجلة الوعي الإسلامي.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

صانعة الأجيال

لا ريب بأن الإسلام قد كفل للمرأة حقوقها كافة، ومنحها المكانة التي تستحقها سواء أكانت أما، أو زوجة، أو بنتا، أو أختا، فلها ما لها من الحقوق وعليها ما عليها من الواجبات، بل وأعطاها ميزات إضافية عن الرجل -في كثير من الظروف- بأن جعلها الأم التي تستوجب تمام البر والإحسان، وأولاها رعاية بيتها وتهيئته على أحسن وجه، ومساندة زوجها والوقوف معه في السراء والضراء، وتربية أولادها وإعدادهم ليكونوا لبنة صالحة لمجتمعاتهم.

لقد ساوى الإسلام المرأة مع الرجل في العديد من المعاملات الاجتماعية والتكاليف الدينية والقضائية؛ فهي تساوي الرجل في: «أصل الخلقة، والمسؤولية الجنائية والثواب والعقاب، وغيرها»، وكل ما يترتب على هذه الأسس للتساوي فهما فيه سواء، لا فرق لأحدهما عن الآخر، وفيما عدا ذلك تبقى الخلافات والفوارق الخلقية بين الرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

المرأة في ظل الشريعة الإسلامية السمحة لها حرية العقيدة، فلا تكره المرأة غير المسلمة على اعتناق الشريعة الإسلامية حتى إذا تزوجت من الرجل المسلم، ولها عليه المعاملة بالمعروف، ودعوتها إلى الإسلام بالتي هي أحسن. كما ضمن الإسلام للمرأة الحرية في زواجها إنشاء وإنهاء، فلابد من موافقتها على اختيار زوجها موافقة صريحة لا إكراه فيها ولا إجبار، قال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» قالوا يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت» (رواه البخاري: ٥١٣٦). وكما أعطى الإسلام للرجل حق فسخ الزواج بالطلاق، فقد أعطى للمرأة حق فسخه بالخلع الذي هو من حقوقها الشخصية في ظل عدم إمكانية استمرار حياتها الزوجية ورفض الرجل طلاقها.

كما ضمن الإسلام للمرأة حق التملك وحريتها في التصرف بما تملكه في إطار ذمة مالية مستقلة عن الرجل مهما كانت صفته.. كل هذه الحقوق وغيرها؛ في وقت تعيش فيه المرأة كسلعة رخيصة في كثير من المجتمعات غير المسلمة التي تنادي بحريتها وتجهر بها ليل نهار، والمرأة في هذه المجتمعات لا تملك أن تحتفظ باسم عائلتها أو ملكيتها لكثير من حقوقها.

هذه المرأة التي أعدت لتكون عضوا فاعلا في مجتمع هي اللبنة الأساسية فيه، فهي كالبذرة التي تنتج ثمارا تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها؛ لذا كان لزاما ألا نغفل عن دور المرأة في المجتمع، وأن نمنحها كرامتها التي كفلها لها الإسلام، كما يجب على المؤسسات التعليمية الاهتمام بالجانب التربوي الذي تحمل المرأة على عاتقها أكثره، وتنميه وتطوره، فبالنهوض بثقافة المرأة ننهض بالأمة؛ فهي التي تبني الأجيال ليحافظوا على حضارتهم وينهضوا بها، ويصنعوا مستقبلا واعدا لمجتمعاتهم وأوطانهم.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد٦٤٨ / شعبان ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
أبريل ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح

أمين حميد عبدالجبار

د. تركي محمد النصر

هدايت الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



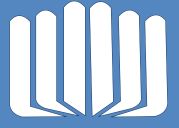
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣– ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

المرأة في الإسلام

اهتم الإسلام بالمرأة اهتماما كبيرا لم يسبق إليه، فلقد كانت المرأة في الجاهلية سلعة ومتاعا، لا كينونة لها، ولا رأي حتى في أخص أمورها، كانت في صغرها عارا على أبيها يعد «نصرها بكاء وبرها سرقة»، فإذا تركها على قيد الحياة حتى تكبر زوجها بغير إذنها، وإذا مات زوجها تورث كما يورث المتاع لمن سبق من بني زوجها وطرح ثوبه عليها، فهو أحق بها من سائر إخوته.. جاء الإسلام الحنيف فأبطل كل هذه العادات الجاهلية المقيتة وجعل للمرأة مكانتها، فهي العالمة المحدثة عن رسول الله ﷺ، وهي التي تشير فيقبل النبي ﷺ مشورتها ويأخذ برأيها، وهي من لها الحق في قبول الزواج أو رفضه، وهي صاحبة الذمة المالية المنفصلة، ومن لها حق الإرث وربما حجب بها الذكور من قراباتها.

هكذا أعلى الإسلام شأن المرأة وجعل لها دورا في بناء الأسر والمجتمعات والأمم؛ فهي مربية الأجيال وصانعة الرجال وعليها يقع العبء الأكبر في التربية والتوجيه، وهي الدرع الحصين لبيتها وللمجتمع، وصاحبة الإسهامات الكبيرة في بناء الأمة.

و«الوعي الإسلامي» تخصص ملف العدد لإسهامات المرأة؛ اعترافا بدورها الكبير وتأكيدا على المكانة التي حباها بها الإسلام.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧،٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



د. سعيد عبيدي
باحث دراسات إسلامية
المغرب

منظومة القيم الأخلاقية في القرآن الكريم

لقد أجمعت الدراسات على أن الأخلاق هي أساس الفلاح والسعادة في الدارين، كما أنها أساس قيام المجتمعات وبقائها، إذ ليس زوال الحضارات -قديمها وحديثها- كامنا في ضعف وقصور إمكانياتها المادية أو منجزاتها العلمية، وإنما في قصور قيمها الأخلاقية التي تسودها وتحتكم إليها، فالأخلاق هي مادة بناء كل أمة وأساس تقدمها، ورمز حضارتها وثمرة عقيدتها ومبادئها، وعليه تتفاوت الأخلاق بين الأمم قليلا أو كثيرا، بيد أنها تتقارب إلى حد ما، بحكم ما بينها من قواسم مشتركة، قد تكون دينية -مثلا- نلمسها إذا ما دققنا النظر في القضايا الخلقية في الشرائع السماوية.

لقد جاء الدين «لتهذيب السلوك وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ومقاومة الفوضى والفساد، بل إن له وظيفة إيجابية أعمق أثرا في كيان الجماعة، ذلك أنه يربط بين قلوب معتنقيه برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة»[1]، ولذلك كان من الطبيعي أن تصير هناك صلة قوية بين الدين والأخلاق.

بعث الله الرسل وأنزل الكتب من أجل إسعاد الناس في الدارين، ولا يكون ذلك إلا بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الطيبة المحمودة، وبهذا نزل الوحي وجاءت الشريعة، ولابد أن ننبه على أن الأخلاق تقوم على أساس الترغيب والترهيب، على الترغيب في الخير

وحسن الخلق، وعلى الترهيب من الشر وسوء الأعمال، لذلك كان الحديث عن القيم الأخلاقية حديثا لابد منه، لأن كثيرا من المشاكل الراهنة تعود في النهاية بعد تحليلها -على الأغلب- إلى الأزمة الأخلاقية التي يعانيها العالم المعاصر، فالقيم الأخلاقية تتبوأ حيزا مهما في حياة الإنسان، إذ هي ذات تأثير مباشر على سلوكه وأفعاله، لذلك كانت مهمة الأنبياء عموما هي تحقيق هذه القيم وتثبيتها في الأقوام التي أرسلوا إليها، وبذلك توطدت العلاقة بين القيم الأخلاقية والمعتقد الديني الذي يكون في الأساس منطلق هذه القيم وما يرتبط بها.

كانت التعاليم السماوية ولا تزال هي الموجه الأساسي لسلوك الأفراد والجماعات تحثهم على كل محمود وتحذرهم من كل مذموم، وعليه فإن البحث في مسألة القيم الأخلاقية في القرآن الكريم هدفه هو معرفة التعاليم والتوجيهات الأخلاقية التي جاءت فيه، والتي قد تكون هي النبراس الحقيقي الذي يقود المؤمن نحو شاطئ النجاة.

والقيم في اللغة جمع قيمة، وأصل القيمة الواو، ومنه: قومت الشيء تقويما، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك[٢]، فأصلها قوم، قال ابن فارس: «القاف والواو والميم صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس (قوم وأقوام) وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم (قام قياما)»[٣].

ويطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما «يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال كانت قيمته مطلقة، وإن كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين كالوثائق التاريخية كانت قيمته إضافية»[٤]، كما أن «القيمة تصور واضح أو مضمر، يميز الفرد أو الجماعة، ويحدد ما هو مرغوب فيه، بحيث يسمح لنا بالاختيار من بين أساليب متغيرة من السلوك والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل»[٥].

ومصدر الأخلاق الإسلامية ونبعها هو القرآن الكريم، والتطبيق الكامل الرائع النموذجي للأخلاق الإسلامية هو أخلاق الرسول ﷺ، فقد كان خلقه القرآن، وقد كان قرآنا يمشي على الأرض[٦]، لم لا وهو الذي أنزل القرآن الكريم على قلبه وفيه آيات قرنت بين العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فالفضائل تتداخل وتتشابك ويفضي بعضها إلى بعض[٧]، يقول الله جلت حكمته:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧).

فالقرآن الكريم بوصفه حافظا لما سبق واستمرارا له «تميز بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، والذي كان متفرقا في تعاليم القديسين والحكماء، الذين تباعد بعضهم عن بعض زمانا ومكانا، وربما لم يترك بعضهم أثرا من بعده، وهذه سمة بارزة من سمات القرآن، وإن كانت ليست أهم سماته ولا أكثرها أصالة»[٨]، فالقرآن الكريم نزع من الشرائع السابقة «ما كان إفراطا وتفريطا، وحقق وضع التعادل في ميزانها، بحيث صار واجبا أن ينسب عن حق مجموع هذه الأخلاق إلى القرآن الكريم»[٩]، فالقرآن الكريم إذن جمع أخلاق الأولين والآخرين وجملها لتصير أخلاقا إلى الأبد، كمنهاج كامل للحياة العملية يستتير به كل طالب للفضيلة والرقي، وأداة للتمييز بين الخير والشر.

إن المتصفح للقرآن الكريم ليجد فيه الكثير من الآيات التي تأمر بمكارم الأخلاق «وتدعو إلى التمسك بالقيم الخلقية العظيمة مثل الصبر، وكظم الغيظ، والإيثار، والعفو، وبر بالوالدين والإحسان إليهما، وحسن القول، واجتناب الكثير من الظن، وترك التجسس والغيبة والنميمة والشح والبخل والنفاق والرياء والكذب والاختيال والفخر والغرور»[١٠].

فالقرآن الكريم أكد على أن الإنسان لا يسمى إنسانا «لأجل جسمانيته وحيوانيته، بل لأجل صفاته الخلقية، وليس مما يميز الإنسان عن غيره من الموجودات في هذا العالم أنه يحتاج إلى محل يحله، أو لأنه يتنفس ويأتي بالنسل والولد، بل الميزة التي تفرق بينه وبين سائر الموجودات وتفضله عليها جميعا، وتجعله مستقلا عنها وخليفة الله في الأرض أيضا، إنما هي حيازته للصلاحية الخلقية وتفرده بها»[١١]، فالآيات القرآنية الكريمة من بدايتها إلى منتهاها إنما جاءت من أجل الرقي بالإنسان من الدونية

والبهيمية، لما احتوته من توجيهات أخلاقية «والتي هي جوهر الإنسانية وملاك أمرها، فلابد من الإقرار بأن الأخلاق لها القول الفصل في صلاح الحياة الإنسانية وفسادها، وأن القوانين الخلقية هي التي تسيطر على رقي الإنسان أو انحطاطه»[١٢].

وفي هذا المقام لابد أن نذكر بأن القرآن الكريم في عرض الآداب والأخلاق له «طريقان أو أسلوبان متميزان، أحدهما عرض الآداب والتوجيه والأخلاق عن طريق الوصايا والحكم، والثاني عرضها عن طريق الوصف التقريري لحال المؤمنين الصالحين المتجملين بأجمل الأخلاق وأحسن الآداب»[١٣]؛ فمن الأسلوب الأول قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١).

ومن الأسلوب الثاني نذكر قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ (المؤمنون:١-١١).

هذا وإنك لتجد في كثير من آيات القرآن الكريم دعوة إلى أصل من أصول الخلق الحسن، و«تجد كل مبدأ إسلامي يرشدك إلى نمط من أنماط مكارم الأخلاق...، ولقد كانت مهمة محمد ﷺ مهمة أخلاقية أولا؛ وهي تزكية النفوس وتطهيرها من أدران الفساد وأوزار الوثنية»[١٤]، اقرأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

لقد أكد القرآن الكريم في معظم آياته على تمثل الأخلاق الحسنة والتحلي بها، فبداخله نجد آيات وافية شافية فيها الرحمة والعناية والحفاظ على مال اليتيم، وفيها التأكيد على مسؤولية العهد والوفاء به، سواء كان عهدا لله أو لأحد من الناس، وفيها الدعوة إلى إتمام الكيل بالميزان السوي فذلك أحسن مآلا، وفيها النهي عن تتبع عورات الناس، وفيها إعلام وإعلان عن مسؤولية السمع والبصر والقلب وماذا فعل بها صاحبها، وفيها النهي عن الكبر والخيلاء، وفيها التأكيد على أن أحدا لن يخرق الأرض ويثقبها حتى يبلغ آخرها بكبره وخيلائه، وفيها الأمر الصريح بالتواضع وحسن السلوك، وفيها الدعوة إلى التعاطف وحسن التعامل مع الناس لتزداد علاقات الإنسان بقومه متانة ولتشتد رسوخا وسلاما وتكاملا، وفيها الدعوة إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، وفيها التأكيد على عدم الإسراف، وصلة الأقارب والأرحام.

ومما يجب التنبيه عليه أيضا هو أن القرآن الكريم لم يقصر القيم الأخلاقية على جوانب معينة، وإنما «بثها بثا واسعا في أوجه الحياة الإنسانية الظاهرة والباطنة، الفردية والاجتماعية، المحلية والعالمية، بل ربما كان أكثر إلزاما وتأكيدا لأمر الأخلاق في النواحي التي تواضعت واتفقت مجتمعات البشر على تجريدها من الالتزام الخلقي كالسياسة، وشؤون الحكم، والاقتصاد، والحروب، والمواجهة في مواقع الخصومات، ومعاملة المخالفين في الدين وغير ذلك، وقد أضافت الرسالة القرآنية للأخلاق بعدا جديدا تمثل في إقامة دولة عالمية على أساس أخلاق متينة، فكان ذلك شيئا فريدا في بابه أن يستوي الحاكم بالمحكوم، وأن يقيد الحاكم من نفسه لأدنى رعاياه، وأن يعف عن أموال الدولة أو المجتمع، وأن يحرم الغدر ولو بالأعداء، وأن تحترم المعاهدات معهم وغير ذلك كثير مما لم يكن للدول به عهد ولا اعتبار»[١٥].

إن بناء الأخلاق على أساس عقدي يشكل ضمانة قوية لثباتها واستقرارها وعدم العبث بها، كما أنه يعتبر في الوقت نفسه نتيجة طبيعية لهذه العقيدة، وقد جعل الإسلام الأخلاق الحسنة سببا في الفوز برضوان الله تعالى، يقول عزوجل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

﴿لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ (آل عمران:١٣٣-١٣٤).

لقد جاء القرآن الكريم بمنظومة متكاملة من القيم الأخلاقية زكاها رسول الله ﷺ بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١٦]، فالغاية من بعثته ﷺ قصرها على الأخلاق الصالحة الحميدة، فهي الثمرة الحقيقية للعقيدة والعبادة، والتدين الحقيقي يورث الأخلاق القوية السديدة، بل الإسلام كله عقيدة وشريعة وعبادات وأخلاق. فالشرائع السماوية جميعها في صيغتها الأصلية دعت إلى مكارم الأخلاق، وأكدت على أهميتها المتمثلة في جلب السعادة في الحياة الدنيوية وفي الحياة الأخروية، كما أنها تعد عنصرا أساسيا من عناصر قيام المجتمعات وبقائها، ومقوما جوهريا من مقوماتها، فهي تسعى إلى تنظيم العلاقة بين الفرد وربه من جهة وبين الأفراد بعضهم مع بعض من جهة أخرى.

وفي ختام هذه الدراسة نخلص إلى أن القرآن الكريم دعا صراحة إلى مكارم الأخلاق؛ فما من خلق حسن إلا وقد حض عليه وحشد له كل قوى النفس والعقيدة، وعبأ حوله كل طاقات العبادة والأسوة، وبعث له كل حوافز التنفيذ، وحاطه بالبيان والتفصيل والتشريع، وجعله مسؤولية عامة للفرد والأمة والدولة، وما من خلق سيئ إلا وأتبعه ذما وتحقيرا وتنفيرا، وأشبعه لوما وتقريعا، وحدده وأطلق عليه أيضا قوى الأمة والسلطة لمطاردته ومنعه، فضلا عن قوى النفس والاعتقاد والضمير، فالحديث عن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم إذن حديث يطول، فقد أفردت له مجموعة من الأصول، وخاض فيه كثير من العلماء، إلا أن إجماعهم إنما كان على القول بأن القرآن الكريم يعتبر بحق دستور الأخلاق الذي يرسم للمرء المنهج القويم والطريق السديد الذي ما إن تمسكنا به لن نضل أبدا.

الهوامش

١- محمد عبدالله دراز، الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ص:١٠١.

٢- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ج٥، ص:٤٣.

٣- نفسه، ج٥، ص:٤٣.

٤- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص:٢١٣.

٥- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص:٥٠٢.

٦- محمد عبدالله الشرقاوي، الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص:١١١.

٧- السيد أبو ضيف المدني، الأخلاق في الأديان السماوية، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص:٤٢.

٨- محمد عبدالله دراز، مختصر دستور الأخلاق في القرآن، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص:٢.

٩- نفسه ص:٢.

١٠- يعقوب المليجي، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص:٢٨.

١١- أبو الأعلى المودودي، الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م، ص: ١٩-٢٠.

١٢- نفسه، ص:٢٠.

١٣- السيد أبو ضيف المدني، الأخلاق في الأديان السماوية، ص:٥٥.

١٤- محمود فياض، الإسلام منهج أخلاقي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص:٢٩ بتصرف.

١٥- عبدالستار سعيد، المنهاج القرآني في التشريع، دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص:٤١٥.

١٦- أخرجه الإمام البخاري في كتاب شرح صحيح الأدب المفرد، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ج١، ص:٢٨١، باب حسن الخلق.



د. أشرف زاهر
أكاديمي في جامعة المدينة العالمية
مصر

علوم الحديث مفخرة لأمتنا



استقر عند المسلمين منذ أمد بعيد أن السنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الإسلام بعد القرآن الكريم، وأنها وحي من الله عز وجل، إذ يقول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم:٣-٤).

ولما كانت السنة بتلك المنزلة، تفضل الله عز وجل على أمتنا فقيض للسنة رجالا عكفوا على حفظها والعناية بها؛ كي تصل إلى المسلمين نبعا صافيا لا يشوبه كدر، كما تلقاها الصحابة من النبي ﷺ.

وتواصلت جهود علماء المسلمين على صيانة السنة جيلا بعد جيل، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وإن الدارس لعلم الحديث ليجزم بيقين أن المحدثين بذلوا أقصى ما يمكن أن تبذله طاقة البشر في سبيل بناء علم يكون ميزانا لضبط الأخبار، والوثوق من صحة نسبتها إلى قائليها، وقد وصلوا إلى أدق وأرقى ما يمكن أن يتوصل إليه علم النقد في القديم والحديث، فكان بحق مفخرة لهذه الأمة، ونجما لامعا في سمائها، حتى شهد غير المسلمين بعبقرية هذه العقول المبدعة، فهذا المستشرق

مرجليوث على الرغم من عدائه للإسلام فإنه لم يسعه إلا الإشادة بصنعة المحدثين فقال: «ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم»[1].

وتفرعت عن هذا العلم علوم كثيرة للحديث، عد منها ابن الصلاح في «مقدمته» خمسة وستين علما، وزاد غيره بعده أنواعا، حتى بلغت عند السيوطي في «تدريب الراوي» ثلاثة وتسعين نوعا.

الرواية الصحيحة خصيصة للأمة

عرفت الرواية عند العرب قبل الإسلام، إذ كانوا يحتاجون إلى حفظ أنسابهم، وتاريخهم، ومآثرهم، ولما كانوا أمة أمية فلم يكن بد من الاعتماد على الحفظ والذاكرة، والعناية بالرواية، بيد أن مروياتهم لم تكن من الخطورة بحيث يعنون فيها بالتمحيص والتدقيق كما هو الحال بعد الإسلام؛ فقد كان للسنة من القداسة والأهمية ما ليس لغيرها، ولذلك شددوا في روايتها، ووضعوا الضوابط التي تكفل تناقلها صحيحة عبر الأجيال؛ رغبة فيما ندب إليه النبي ﷺ فقال: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2]. ورهبة من تحذير النبي ﷺ في قوله: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار»[3].

ومضى عهد النبوة ولم يكن هناك إشكال في رواية الحديث؛ لأن النبي ﷺ بين أظهرهم، يسمعون منه مباشرة، أو يحدث بعضهم بعضا بما سمعوه منه، وكلهم عدول لا يكذب بعضهم بعضا، وظل الحال على ذلك حتى ظهرت الفتن، وخافوا على سلامة نقل السنة، وعندها طلبوا الإسناد ممن يحدث عن النبي ﷺ (بأن يذكر الواسطة التي سمع الحديث منها، فيقول: حدثني فلان عن فلان، إلى أن ينتهي إلى النبي ﷺ)، واهتموا بالإسناد اهتماما بليغا، وفتشوا عن أحواله ورجاله، يقول عبدالله بن المبارك: «الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».

ويقول ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم»[4].

ومن ثم حفظوا الأسانيد، ونقلوا كل ما يتعلق برسول الله ﷺ: أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، وتعامله مع الصغار والكبار، والكذبة والأخيار، وفي سلمه وحربه، وسفره وحضره، ورضاه وغضبه، ونهاره وليله، فلم يتركوا شيئا حتى الحركات والإشارات، وميزوا الصحيح من غيره، فكانت خصيصة لأمتنا؛ لم تعرف عند أمة من قبل، يقول ابن حزم: نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال في الإسناد، خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل، وأما مع الانقطاع في الأسانيد فيوجد في كثير من نقل اليهود، بل هو أعلى ما عندهم، إلا أنهم لا يقربون فيه من موسى عليه السلام كقربنا من محمد ﷺ، بل يقفون حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا، في أزيد من ألف وخمسمئة عام، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط، على أن راويه كذاب[5].

وقال أبو حاتم الرازي: «لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»[6].

بل إن الإنصاف يقتضي الاعتراف بأن هذه المعايير العلمية التي وضعها المحدثون لضبط الرواية لم يتوصل إليها أحد، حتى في عصر التقدم الذي نعيشه؛ فلم يشترط أحد في الأخبار ما اشترطه المحدثون لصحة الحديث، ولذا فإن الروايات التي تتناقلها وكالات الأنباء كثيرا ما يظهر عدم صحتها بعد زمن يسير؛ بسبب رواتها المجهولين أو المجروحين.

السنة بين كيد أعدائها وعقوق أبنائها

منيت السنة النبوية قديما وحديثا بأعداء من المستشرقين وغيرهم، ركزوا سهامهم المسمومة عليها؛ لتشكيك المسلمين فيها، بزخرف من القول وباطل من أشباه الأدلة، موقنين أن انهيارها سيكون سببا في ضياع الإسلام، وهيهات، ومما يؤسف له أن بعض بني جلدتنا لم يساهموا في صد تلك الهجمات الشرسة على السنة، بل تلقفوا هذه الشبهات، وألبسوها أثواب التنوير والتطوير وحرية الفكر والتجديد، فردوا أحاديث صحاحا اتفقت الأمة عبر القرون على تلقيها بالقبول، كالصحيحين (البخاري ومسلم)، ودعوا إلى التخلي عن الأصول القديمة في هذا المضمار؛ بسبب تعارضها (على حد زعمهم) مع العقل! وما أشبه هؤلاء بقول الشاعر:

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به العذب الزلالا

أدلة على إتقان منهج المحدثين

ومن أبرز الأدلة الموضوعية الناصعة التي تدحض شبهات المشككين في طريقة المحدثين، وتبرهن على أن علوم الحديث مفخرة للأمة:

١- الشمول والإحاطة في مقاييس قبول الحديث: اشترط المحدثون في الراوي الذي تقبل روايته شرطين أساسيين: الأول: العدالة، وتثبت بالإسلام، والبلوغ، والعقل، والبراءة من أسباب الفسق وخوارم المروءة. الثاني: الضبط: وهو الحفظ، أو ملكة اختزان ما يسمعه ويشاهده في ذاكرته، واستحضاره عند الحاجة إليه.

واشترط المحدثون لصحة الحديث ثلاثة شروط أخرى: الأول: اتصال الإسناد بسماع كل راو في الإسناد من شيخه الذي نقل عنه الحديث، بلا انقطاع في الإسناد. الثاني: ألا يخالف الراوي من هو أوثق منه إذا شاركه في الرواية، وإلا عدوه شاذا. الثالث: سلامة الحديث من العلة القادحة، وستأتي الإشارة إليها، ومن ثم جاء مقياسهم لقبول الراوي والرواية شاملا للعوامل الدينية والنفسية والعقلية والاجتماعية، مما يبعث على الاطمئنان بصحة الحديث. ونلاحظ في شروط الراوي ما يدل على براعة التفكير؛ حيث اشترطوا ألا يكون الراوي مخروم المروءة، بمعنى: ألا يأتي من الأقوال أو الأفعال ما يعاب به عرفا، فضلا عما يذم به شرعا، فلم يكتفوا بالتقوى لتحقيق الطمأنينة في صدق الراوي وأمانته، بل راعوا العرف الاجتماعي، ونلاحظ كذلك أنهم اعتبروا قدرة الراوي على الحفظ لا تقل أهمية عن التقوى، وهو ما يمكن أن نسميه في لغتنا المعاصرة بـ «الكفاءة المهنية» لمهمة نقل الخبر، وبناء على ذلك ردوا رواية من لم تتحقق أهليته للرواية، وإن كان في غاية الصلاح والتقوى، يقول مالك ابن أنس: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين (وأشار إلى مسجد الرسول ﷺ) يقولون: قال رسول الله ﷺ، فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان به أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن»[٧].

٢- التجرد والموضوعية: تميز المحدثون بالأمانة في الوصف، والنزاهة في الحكم؛ فيذكرون للراوي ما له، وما عليه، ولا يمنعهم من ذلك شيء، لدرجة أن يقول الناقد في أبيه أو بنيه أو صاحبه أو أخيه: إنه ضعيف؛ أداء للأمانة ورعاية للشريعة، فهذا علي بن عبدالله المديني لا يروى عنه حرف في تقوية أبيه، بل يروى عنه أنه ضعفه[٨]. ويروى مثل ذلك عن وكيع في والده، وعن أبي داود والذهبي في ابنيهما[٩]. وعن زيد ابن أبي أنيسة في أخيه[١٠]. وعن يحيى بن معين في صديق له[١١]، بل إن المحدثين أنصفوا الحق ولو على أنفسهم، فهذا شعبة بن الحجاج روى حديثا، فقيل له: خالفك سفيان الثوري، فقال: دمغتني، كان سفيان أحفظ مني[١٢].

٣- الدقة والمنهجية المحكمة: سبر المحدثون أخبار الرواة، وتفاصيل حياتهم، وميزوا درجاتهم؛ للتفريق بين الثقات والضعفاء، وجمعوا ذلك في سجلات حافلة بأخبار كل من اشتغل بالرواية، وما قيل فيهم من مدح وقدح أو تعديل وجرح، مما لا نظير له عند أمة من الأمم، ومن الشبهات التي يثيرها المشككون في هذا المجال: أن الإنسان مهما بلغ في الحفظ والتثبت فإنه سيقع حتما -بحكم الطبيعة البشرية- في الخطأ، فكيف نثق بهؤلاء الرواة، وهم غير معصومين؟!

والجواب عن ذلك أن علماء الحديث لم يغفلوا هذا الجانب الخطير، بل كان نصب أعينهم، بدليل اشتراطهم لقبول الحديث ألا يكون فيه علة، أي: سبب غامض يقدح في صحته، وإن كان ظاهره السلامة، ووضعوا لذلك علم علل الحديث، وهو أدق أنواع علوم الحديث؛ ولذا لم يتكلم فيه إلا جهابذة النقاد الكبار، حيث تجمع الطرق والروايات باستقراء، مع بيان وجوه الاتفاق والاختلاف بينها، ومن ثم تمييز من أخطأ -وإن كان في أعلى مراتب التوثيق- ومن لم يخطئ، ولو طالع المشككون كتب العلل لوقفوا مبهوتين أمام هذا العلم الفائق الإتقان، البالغ الإحكام.

٤- علو الهمة وبذل النفس والنفيس: ضرب المحدثون أروع الأمثال في قطع الفيافي الواسعة؛ لاستماع الحديث ممن يحفظه، أو من أعلى مصدر حي له، أو بغية التثبت مما يحفظه، وهاهو كتاب «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي زاخر بالأمثلة على ذلك، كما أنهم أسهروا ليلهم، وأفنوا أعمارهم في طلب الحديث، حتى إن الحافظ ابن كثير فقد بصره في آخر عمره بسبب كثرة كتابة الحديث، حيث كان يؤلف «جامع المسانيد»، وقد تعب فيه تعبا عظيما فأكمله إلا بعض مسند أبي هريرة، وفيه قال: «لازلت أكتب فيه في الليل والسراج ينونص (يخفت ضوؤه ثم يعود) حتى ذهب بصري معه»[١٣]. وبذلوا كذلك أموالهم بسخاء في تحصيل الحديث، لدرجة أن يحيى بن معين ترك له أبوه ميراثا

ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم (مليون وخمسون ألفا)، فأنفقه كله على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه[14].

٥- سعة الحفظ وقوته: المطالع لسيرة أهل الحديث يرى أنهم رزقوا سعة وقوة في الحفظ تشبه حواسيب عصرنا، مع فطنة وذكاء، حتى إنهم يحفظون الكلام فور سماعه لأول مرة، وقد كانوا على مراتب في الحفظ، فمنهم «المسند»، ومنهم «المحدث»، ومنهم «الحافظ»، ولم يكونوا يطلقون هذه الألقاب إلا على من ثبت حفظه للقدر الذي تعارفوا عليه لكل لقب، ومما ورد في حفظهم: أن أحمد بن حنبل كان يحفظ ألف ألف حديث[15]. وكان أبو زرعة الرازي يحفظ ستمئة ألف، وكان إسحاق بن راهويه يملي سبعين ألف حديث حفظا[16]. وقال البخاري: «أحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح»[17].

ومن حفظ منهم لا ينسى، بل هو حفظ متين لا يعتريه التردد، قال أبو زرعة: «أحفظ مئة ألف حديث كما يحفظ الإنسان سورة قل هو الله أحد»[18].

ولا إنكار في هذه الأعداد؛ فهي تشمل أقوال الصحابة، والتابعين، ويدخل فيها الأسانيد والطرق المتعددة للحديث، فلو جاء الحديث الواحد من خمسين طريقا فإنهم يعدونه خمسين حديثا[19].

وختاما، فهذا غيض من فيض الجهود المبهرة في صيانة الحديث، وبيان لجانب يمثل لؤلؤة في تاج حضارتنا التي أبدعت في رسم المنهج الصحيح لضبط الخبر، على يد أهل الحديث الذين حملوا الأمانة وأدوها، فرعوها حق رعايتها، وكانوا أحق بها وأهلها، وهي جهود لا ينكرها إلا جاحد أو مكابر، مثله كمثل من ناداهم الشاعر فقال:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

الهوامش

١- المقالات العلمية، ص:٢٣٤، نقلا عن تقدمة المعلمي اليماني لكتاب الجرح والتعديل للرازي، (ص ب)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط. الأولى.

٢- أخرجه أبو داود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٨) بلفظه، وبرقم (٢٦٥٧) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٢٣٢).

٣- أخرجه البخاري برقم (١٢٩١)، ومسلم برقم (٤).

٤- مقدمة صحيح مسلم (١/١٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٦٨-٧٠)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، ص:٤٣، دار إحياء السنة، أنقرة.

٧- ويروى مثل ذلك عن أبي الزناد، ويحيى القطان، وغيرهم. الكفاية للخطيب البغدادي، ص:١٥٨-١٥٩، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٨- شرف أصحاب الحديث، ص:٤١، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (٤/٣٥٦)، مكتبة السنة، مصر، ط. الأولى.

٩- فتح المغيث (٤/٣٥٦).

١٠- مقدمة صحيح مسلم (١/٢٧).

١١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/٥١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

١٢- أخرجه أبو داود برقم (٣٣٣٨-٣٣٣٩).

١٣- المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزري، ص:٢٣، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٠هـ.

١٤- تاريخ بغداد (١٤/١٨٣).

١٥- سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/١٨٧)، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة.

١٦- المدخل إلى كتاب الإكليل للحاكم، ص:٣٥، دار الدعوة، الإسكندرية.

١٧- تاريخ بغداد (٢/٢٥).

١٨- تدريب الراوي للسيوطي (١/٤١)، مكتبة الكوثر، الرياض، ط. الثانية.

١٩- سير أعلام النبلاء (١١/١٨٧)، مقدمة ابن الصلاح، ص:١٦٣، دار المعارف، القاهرة.





محمود خليفة
باحث دراسات إسلامية
مصر

الإسلام
دين الوسطية والاعتدال

تميز الدين الإسلامي الحنيف، منذ بزوغ فجر دعوته، بالتوسط والاعتدال والسماحة واليسر ودفع المشقة ورفع الحرج في جميع الشرائع والأحكام، سواء في العبادة أو الأخلاق وكذا في المعاملات والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فالوسطية والاعتدال من خصائص هذه الأمة العظيمة، وهي سبب خيريتها، ولا تزال الأمة بخير ما حافظت على هذه الخاصية.

ونظرا لما يتعرض له الإسلام والمسلمون في الوقت الحالي من اتهامات بالتطرف والغلو والعنف، فإننا في حاجة إلى إبراز وسطية الإسلام وسماحته في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

مفهوم الوسطية

الوسطية في اللغة: مأخوذة من مادة «وسط». والوسط من كل شيء أعدله وأفضله، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم:٢٨) بمعنى أعدلهم[1].

والوسطية عرفها الدكتور أحمد الشرباصي بأنها: «تجنب الإنسان الميل يمينا وشمالا، وإن فعل ذلك فقد توسط واعتدل، لأن الزيادة عن المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة، والخيار هو الوسط»[2].

والخلاصة أن الوسطية هي: كل ما يصدر عن المسلم في شأن من شؤون حياته وكان أساسه الاعتدال والتوازن والموافقة للرأي الشرعي من غير إفراط أو تفريط.

الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أولا - الوسطية في القرآن الكريم:

وردت الوسطية في القرآن الكريم بمعناها الصريح تارة وبألفاظ تدل ضمنيا على مشروعيتها تارة أخرى وبيان ذلك على النحو التالي:

١- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣). ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله «وسطا» في هذه الآية الكريمة أي جعل من خصوصيات هذه الأمة أنها أمة وسط في الخُلق والخلق والعلم وفي الشريعة التي شرعها لهم، وقد جاء وصف الأمة في هذه الآية بالوسطية وصفا صريحا[3].

٢- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء:١٧١)، نهى الله عز وجل في هذه الآية الكريمة عن مجاوزة الحد المعتدل في الدين، وهو ما أشار إليه بالغلو المذكور في الآية، وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط التي التزمت الصراط المستقيم والنهج القويم الذي أمرنا الله عز وجل باتباعه.

٣- قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ (البقرة:٢١٣).

فالله سبحانه وتعالى من على عباده المؤمنين أن هداهم إلى الصراط المستقيم، الذي هو سبيل الرسول ﷺ ومن يتبعه، والصراط المستقيم هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الأمة الإسلامية أمة وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة[٤].

ثانيا - الوسطية في السنة النبوية المطهرة:

عندما نتأمل نصوص السنة الشريفة نلاحظ دعم النبي ﷺ وتشجيعه لمنهج الوسطية وحثه على التوازن والاعتدال ونبذ الغلو والابتعاد عن التكليف بما لا تطيقه النفس البشرية. ونسوق في السطور التالية بعض الأمثلة التي توضح ذلك الأمر وتؤكده:

١-عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر. فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يقولون كيت وكيت؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (صحيح مسلم).

ففي هذا الحديث الشريف حدد النبي ﷺ معالم الشريعة الإسلامية الغراء في الحفاظ على توازن الإنسان المسلم، سواء في جانب العبادة كالصيام والصلاة أو في جانب المعيشة كالأكل والنوم والنكاح، وفي هذا تأكيد على خط الاعتدال الذي هو سمة هذا الدين.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» (صحيح مسلم).

فعندما نتأمل هذا الدعاء نجده يكشف عن توازن عجيب بين الدنيا والدين، فهو لا يطلب الحياة الدنيا على حساب الآخرة، ولا الآخرة على حساب الدنيا، فلا تطرف ولا إفراط ولا تفريط، ولكنها الوسطية والاعتدال.

أهمية الوسطية للمجتمع المسلم

نظرا لما طرأ على المجتمع المسلم في الوقت الحالي من تغيرات في سلوك بعض الأفراد وظهور تلك الدعوات التي تدعو إلى التعصب والتشدد، وما يروج له أصحاب الفكر التكفيري من استباحة الدماء والاعتداء على المقدرات والمصالح العامة من دون أي سند شرعي، دعت الحاجة إلى إبراز وسطية الإسلام وسماحته واعتداله، وتتجلى أهمية إبراز منهج الوسطية من خلال ما يلي:

١- التوعية ونشر وسطية الإسلام وتعاليمه يؤديان إلى فهم التكاليف والأعمال على بصيرة مستنيرة، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨)، فيكون الفهم متوازنا دون تشدد أو تفريط، فيضع كل تكليف في منزلته، فلا يقدم ما حقه التأخير ولا يؤخر ما حقه التقديم.

٢- منهج الوسطية نموذج حي يتم من خلاله عرض الإسلام على أنه مشروع حضاري عصري حديث يتصف بالتكامل والشمول.

٣- منهج الوسطية له دور مهم في تحقيق الأمن الفكري والسلوكي للمجتمع وتحصينه من الانحرافات الفكرية والجرائم الإرهابية.

٤- إبراز وسطية وسماحة الدين الإسلامي يساهم في إبعاد شبابنا المسلم عن التعصب والتفرق الذي يضعف من قوة الأمة وعزتها، كما يساهم أيضا في تربية جيل حريص كل الحرص على المحافظة على أمن الأمة واستقرارها[٥].

ومن هنا تتجلى أهمية إبراز وسطية وسماحة الدين الإسلامي الحنيف، الذي يقدم منهجا متوازنا مرتبطا بالزمان والمكان والإنسان، موصولا بالواقع، مشروحا بلغة العصر، جامعا بين النقل الصحيح والعقل الصريح من غير إفراط أو تفريط.

الهوامش

١- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص:١٣-٢١.

٢- موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، ط٤، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص:٩٩.

٣- تفسير عبدالرزاق لأبي بكر عبدالرازق الصنعاني، ص:١/٢٨٨.

٤- بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو للدكتور ناصر عبد الكريم العقل، ص:٢٥.

٥- رسالة بحثية في الوسطية ومظاهرها في القرآن الكريم، إعداد عصام صالح راجح، ص:٣٠.



نذير نسارك
باحث في الاقتصاد
والعلوم الإسلامية - الجزائر

الآثار السلوكية للتربية الإيمانية

تقوم التربية الإسلامية على أساس من الأخلاق الحميدة التي جاء الحث عليها والأمر بها في الكتاب والسنة، وأشار علماء المسلمين السابقين واللاحقين إلى أهمية الخلق في حياة الإنسان، ويرتبط التخلق بمكارم الأخلاق ارتباطا وثيقا بالإيمان، فكلما قوي الإيمان قوي التمسك بمكارم الأخلاق، وذلك أن الإيمان هو القوة العظيمة التي تتأسس عليها التربية الشخصية، فهذا أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ يجعل أساس المحبة بينه وبين الآخرين بمقدار حسن الخلق فيقول: «أحبكم إلينا أحسنكم أخلاقا»[١]. وقد بين ذلك النبي ﷺ في قوله: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[٢]، فالإيمان القلبي الاعتقادي تصدقه الجوارح بالأعمال واللسان بالكلام. وهذا ما عناه النبي ﷺ حين قال عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٣]، قال ابن حجر: وقال النووي: «معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك، لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائما يراك، فأحسن عبادته وإن لم تره، فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك، قال: وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، فكيف بمن لا يزال مطلعا عليه الله في سره وعلانيته»[٤].

ومن بين تلك الآثار السلوكية ما يأتي:

أولا: تنقية النفس من الأخلاق السيئة

إن بناء الخلق الحسن في النفس لابد أن يصاحبه تنقيتها مما ترسب لديها من الأخلاق السيئة، أو ما يسمى بالتخلية ثم التحلية؛ ذلك أن الشاب قد ينشأ في بيئة يغلب عليها الخلق السيئ، أو يصحب صحبة غير صالحة فيألف الخلق السيئ ويصبح جزءا من طبيعته، ومن ثم لابد من جهد يبذل في اقتلاع هذه الصفات وتنقية النفس منها. فحين جاء رجل إلى النبي ﷺ وسأله أن يوصيه بقوله: «لا تغضب»، فاستقل هذا الرجل هذه الوصية وكرر سؤاله، فكرر عليه النبي الوصية نفسها: «لا تغضب»[٥] ورددها مرارا.

ثانيا: تحقيق العفة والبعد عن الفواحش

وهو هدف له أهميته وخطورته، فقد حذر النبي ﷺ من شأن الفواحش، وبين خطورتها على الأمة، وأنها أشد الفتن التي تركها بعده، فعن أسامة ابن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[٦]، ولعظم شأن حفظ الفرج جعل النبي ﷺ ذلك مما تضمن به الجنة، فعن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٧]. ويتأكد هذا الجانب والعناية به في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن وفتحت أبوابها، وصارت وسائل الإغراء والإثارة تلاحق الشباب والفتيات في كل موطن، وعليه فإن الطريقة الصحيحة للتعامل مع هذه المشكلة تتمثل في سلوك أسباب الوقاية منها قبل وقوعها، ومن ذلك:

التوعية بمخاطر الانسياق للشهوات من غير ضابط شرعي، وخطورة الفواحش وآثارها كما بين ذلك النبي ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[٨]، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»[٩].

سد الذرائع التي توصل وتقود إلى ارتكاب الفاحشة، وقد عني بذلك الشرع، ومعظم آيات سورة النور تضمنت هذا الجانب[١٠]. فسورة النور من السور المدنية، التي تتناول الأحكام الشرعية، وتعنى بأمور التشريع، والتوجيه، والأخلاق، وتهتم بالقضايا العامة والخاصة، التي ينبغي أن يربى عليها المسلمون أفرادا وجماعات، وقد اشتملت هذه السورة على أحكام مهمة، وتوجيهات عامة تتعلق بالأسرة التي هي النواة الأولى لبناء المجتمع الأكبر[١١]. فوضحت السورة الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتمسك بها المؤمنون في حياتهم الخاصة، والعامة، كالاستئذان عند دخول البيوت، وغض الأبصار، وحفظ الفروج، وحرمة اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات، وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة، والبيت المسلم من العفاف والستر، والنزاهة والطهر، والاستقامة على شريعة الله؛ صيانة لحرمتها، وحفاظا عليها من عوامل

التفكك الداخلي، والانهيار الخلقي، الذي يهدم الأمم والشعوب. وقد ذكرت في هذه السورة الكريمة بعض الحدود الشرعية التي فرضها الله كحد الزنى، وحد القذف، وحد اللعان، وكل هذه الحدود إنما شرعت تطهيرا للمجتمع من الفساد والفوضى، واختلاط الأنساب، والانحلال الخلقي، وحفظا للأمة من عوامل التردي في بؤرة الإباحية والفساد، التي تسبب ضياع الأنساب، وذهاب العرض والشرف[١٢]. وباختصار؛ فإن هذه السورة الكريمة عالجت ناحية من أخطر النواحي الاجتماعية، هي «مسألة الأسرة» وما يحفها من مخاطر، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل، تؤدي بها إلى الانهيار ثم الدمار، هذا عدا ما فيها من آداب سامية، وحكم عالية، وتوجيهات رشيدة إلى أسس الحياة الفاضلة الكريمة.

ومما يعين الشباب على تحقيق ذلك غض البصر، وقد أمر الله تعالى به، وأمر النبي ﷺ أصحابه بغض أبصارهم، ونهاهم عن إطلاقه، والنظر الحرام هو البداية الأولى، وهو الشرارة التي توقد نار الشهوة.

ثالثا: حفظ اللسان والمنطق

لقد أعلى الشرع منزلة حفظ اللسان، ويكفي في ذلك قوله: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»[١٣]. قال ابن حجر رحمه الله: «فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام.. وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر»[١٤]. وفي هذا قال ابن أبي زيد القيرواني: «ومن الفرائض صرف اللسان عن الكذب والزور والفحشاء والغيبة والنميمة والباطل كله»[١٥].

وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في وصيته لابنه: «يا بني قل الحق لك وعليك تستشار من بين أقربائك، كن للقرآن تاليا، وللسلام فاشيا، وللمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلا، ولمن سكت عنك مبتدئا، ولمن سألك معطيا، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في القلوب»[١٦]. وحفظ اللسان يحتاج إلى ترويض النفس ومجاهدتها، وتعويد لها على المنطق الحسن، واختيار الألفاظ والبعد عن الفحش، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة، قال ابن القيم: «ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة، يطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله ما لا يعلم، وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام، والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة؛ لا يبالي بارتكاب الحرام»[١٧].

الهوامش

١- ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٩٨.

٢- رواه أبو داود في كتاب السنة، حديث رقم ٤٦٨٢.

٣- صحيح البخاري، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، حديث رقم ٥٠، ص٣٣.

٤- ابن حجر، فتح الباري، م١، كتاب الإيمان، ص١٥٩.

٥- صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم ٦١١٦، ص ١١٨٠.

٦- رواه البخاري، كتاب النكاح، حديث رقم ٥٠٩٦، ص ١٠١٠.

٧- رواه البخاري، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٤٧٤، ص١٢٤٢.

٨- الترمذي، السنن، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم ٢٠٠٤.

٩- الترمذي، السنن، حديث رقم ٢٠٠٤.

١٠- محمد الدويش، كتاب تربية الشباب، الأهداف والوسائل، ص٩١.

١١- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط٤، ١٩٨١م، دار القرآن الكريم، بيروت، م٢، ص٣٢٤.

١٢- وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ط٢، ١٤١٨هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، م١٨، ص ١١٩. طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، م١٨، ص١٤٠.

١٣- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، حديث رقم ٦٤٧٤.

١٤- ابن حجر، فتح الباري، م١١، ص٣١٥.

١٥- ابن إدريس، علي، عبدالله بن أبي زيد القيرواني، من أعلام التربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، م٢، ص ١٣٧.

١٦- الديوه جي، سعيد، ابن مسكويه، من أعلام التربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، م٢، ص ٢٣٣.

١٧- ابن القيم، عدة الصابرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٧٠.



تغطية
علاء عبد الفتاح
فهد الشمري

دورة تخصصية أهدتها «الأوقاف الكويتية» لطلاب العلم

صناعة الحلال ومتطلبات العصر



هي دورة تثقيفية عن المنتجات «الحلال» وكيف تصل إلى المسلمين، أهدتها «وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية» بالكويت مجانا لكل طالب علم، بل ولكل محب للمعرفة العامة، والأهم لكل راغب في تحري الحلال في مطعمه ومشربه وملبسه، وقد اعتمدت الدورة التي عقدت في نهاية الأسبوع الأول من مارس الماضي بمقر الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على محاضرين اثنين هما: العميد المساعد للشؤون الطلابية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية د. مطلق الجاسر والباحث بمعهد الكويت للأبحاث العلمية والمتخصص في دراسات الحلال منذ نحو أربعين عاما وأكثر، ود. هاني المزيدي حيث تكلم الأول عن الجانبين الشرعي والفقهي بينما ركز الآخر على القضايا الفنية.

حضر الدورة عدد كبير من أئمة المساجد وموظفي وزارة الأوقاف إلى جانب عدد آخر من المهتمين بالدراسات الإسلامية والإعلاميين، وقد منحت الوزارة شهادات اجتياز الدورة في يومها الثالث والأخير لمن واظب على الحضور تشجيعا لنشر العلم النافع المفيد الملتصق بقضايانا المعاصرة.

بعد تلاوة من الذكر الحكيم للقارئ د. رضا منتصر، افتتح وكيل وزارة الأوقاف المهندس فريد عمادي هذه الدورة التي أقامتها إدارة الإفتاء بعنوان

«صناعة الحلال ومتطلبات العصر» مؤكدا أن الصناعات المتعلقة بمسائل الحلال تطورت تطورا هائلا، مما جعل الاهتمام بها ضرورة شرعية، وقد بات من الضروري وضع القوانين الضابطة وإيجاد البدائل والحلول الشرعية لها، ومعرفة مدى تطابق الأوضاع الحالية مع المعايير الشرعية والقوانين الفقهية.

وأضاف: إن منتجات الحلال في عصرنا الحالي باتت تأخذ حيزا كبيرا من الاهتمام لدى المنتجين والتجار، حتى بلغ حجم صناعة الحلال ومنتجاته أكبر من تريليون دولار أميركي، يبلغ نصيب السوق الأوروبية منها ٦٦ مليار دولار تخص فقط الأطعمة الحلال دون المنتجات الأخرى.

وأوضح عمادي أن الواقع يثبت ويؤكد أن الشريعة الإسلامية بمرونتها استطاعت حل الكثير من المشكلات المعاصرة، وأوجدت حلولا للعديد من المستجدات التي طرأت على حياة البشر، ومن جملة ذلك ما يتعلق بصناعة الحلال وخدماته، من مأكل، ومشرب، وملبس، ودواء، ومستحضرات تجميل، وأدوات تنظيف، وغيرها.

وقال عمادي: لقد كان لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت دور بارز في الاهتمام بصناعة الحلال وخدماته، وذلك من خلال رعايتها لثلاثة مؤتمرات في صناعة الحلال خلال الأعوام ما بين ٢٠١١م - ٢٠١٤م، هذا بالإضافة إلى ما تقدمه قطاعات الوزارة وإداراتها المختلفة من مشاريع وبرامج تنشر الوعي الديني لعموم المسلمين، وتعزز فيهم ثقافة الحلال، وفق رؤى واضحة، وأهداف طموحة، لاسيما في هذا الزمن الذي غلبت فيه الماديات، والرغبة في تحقيق الكسب السريع على نمط حياة البشر، حتى أضحى كثير منهم لا يراعي في ذلك حلا ولا حرمة.


وكيل الأوقاف م. فريد عمادي
ومدير إدارة الفتوى تركي المطيري

الكلمة الثانية كانت لوكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية عيسى العبيدلي، قال فيها إن من محاسن الشريعة الإسلامية التي تميزت بها عنايتها الفائقة بالنفس البشرية، وحرصها على سلامة تلك النفس واستقامتها، وصونها عن كل أذى يلحق بها، لذا عمدت تلك الشريعة المباركة إلى بيان وتفصيل ما تحتاجه النفس البشرية في هذه الحياة، بما يضمن لها طيب دنياها وسعادة أخراها، ولقد كان من الأمور العظيمة التي أولتها الشريعة عنايتها، واهتمت بها اهتماما بالغا ما يتعلق بمطعوم الإنسان ومشروبه.

وأضاف العبيدلي أن عصرنا الحالي شهد دخول التكنولوجيا والتقنيات الحديثة إلى هذا المجال، وأحدثت فيه تغييرات


وكيل الأوقاف المساعد عيسى العبيدلي

جوهرية، قد يترتب عليها تغير الحكم الشرعي لتغير علته وسبب تحريمه، مؤكدا الحاجة إلى اهتمام كبير يوازي هذه التغيرات، ويواكب تلك المستحدثات، من إقامة للمؤتمرات والندوات العلمية والورش التخصصية والبرامج النوعية الموجهة، وإصدار النشرات والدوريات وإنشاء التطبيقات والمواقع الإلكترونية.

مدير إدارة الإفتاء في الوزارة القائمة على هذا الجهد الطيب تركي المطيري أوضح أن برنامج الدورة على مسرح الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، في الفترة المسائية، سوف يشمل ثلاثة أيام؛ الأول بمحاضرة للدكتور مطلق الجاسر، والثاني يحاضر فيه الدكتور هاني المزيدي، والثالث حلقة نقاشية يتم فيها مناقشة أبرز ما طرح في اليومين الأول والثاني، ثم استقبال أسئلة الجمهور.

وأضاف أن الدورة جاءت ضمن مشروع سلسلة الدورات العلمية التي عكفت الإدارة على إقامتها والتي من شأنها أن تبحث بعض القضايا التي تهم المجتمع، وجاءت هذا العام لتؤكد على أهمية صناعة الحلال وتوعية المجتمع وطمأنته لما هو قادم إليهم من الدول المصدرة للأغذية عموما والذبائح خصوصا.

وأكد المطيري أن الدورة هذا العام جاءت ضمن عدة محاور قامت الإدارة على صياغتها، فهي تعالج قضايا التعريف بمصطلح صناعة الحلال الذي أضحى مصطلحا عالميا يقدر بمليارات الدولارات، وأهمية هذا المصطلح في السوق العالمي ومتطلباته، وكيف يصل المنتج من الدول المصدرة إلى الأسواق الخليجية والمستهلك الخليجي، مرورا بمراكز الحلال التي لها دور المراقبة على هذه المنتجات، وسوف يتعرف على واقع المراكز المانحة لشهادات الحلال في هذه الدول المصدرة؛ من حيث آلية المراقبة لديها، والقوة والضعف في المراقبة، ومدى الاعتراف بها في الدول المصدرة، وتعاون سفارات دول الخليج مع هذه المراكز.

حال عدم الاستعداد التقني لمنظمي الدورة دون عرض فيلم تعريفي بإدارة الإفتاء، ومنجزها تم الإعلان عنه على الملأ، فضلا عن عدم تمكن المحاضر الأول د. مطلق الجاسر من عرض تقديمي توضيحا لمحاضرته، ولكن سريعا ما تجاوز الرجل الأمر وبدأ يطالب الجمهور بالاعتماد على المخيلة ذاكرا أن ذلك أفضل.


تركي المطيري

بـدأ د. الجـاسـر محـاضـرته بالحديث عن احتمال صلة بين الآكل والمأكول ذاكرا ما قيل عن اكتساب الحـرارة والأنـفـة لحم الإبل المعروفة بهاتين الصفتين وما قد يكتسبه آكل لحم الخنزير مـن صـفـات معـروفـة يمتلكها ذلك الحيوان المحرم لحمه في الإسلام.

لكن المهم -حسب قول الجاسر- هو أننا لا نأكل إلا الحلال طاعة لله واحترازا من النار التي تلتهم الأجساد التي تنبت من حرام أو الوقوع في خطر عدم الاستجابة للدعاء، وقال الجاسر: سأقدم خارطة لما يحل وما يحرم عبر تقسيم للأطعمة بين حيوانية ونباتية ويندرج تحت «الحيوانية» المائية والبرية وما يطير وهناك خمسة شروط لكي يكون أكل أي


د. مطلق الجاسر

منها حلالا هي: عدم وقوع ضرر على من يأكلها، وعدم إسكاره، وألا تكون نجسة، أو مستقذرة، وأخيـرا ألا تـكـون ملـكا لآخـر مأخوذة بغير حق منه.

وأضـاف الجـاسـر أن الإبـاحـة لها شروط أربعة هي: ألا يكون الحيوان له ناب كالسباع، أو له مخلب كالعقاب، أو آكلا لجيفة «إلا إذا حبس ثلاثة أيام يأكل فيها الطيب من الطعام»، وأخيرا ألا يكون الآكل محرم أو جرى الصيد في أرض الحرم.

ورشـح الجـاسـر كـتـاب طبعته «الوعي الإسلامي» تحت عنوان «الأشربة والأطعمة» لمجموعة من الباحثين وكتاب «الأطعمة وأحكام الصـيـد والـذبـائـح لـ/ صالح الفوزان لمن يريد الاستزادة».

ثـم خـتـم د. الجـاسـر حديثه بتوضيح شـروط التزكية وهي أربـعـة: أهلية من يقوم بالذبح، وأن تكون الآلة قاطعة، وأن يقطع الحلقوم والمرئ «والودجين عند البعض»، والتسمية.

واستكمالا لليوم الأول تحدث د. هـانـي المزيـدي الناشط في مجال الحـلال منذ عام ١٩٨١م عن المحرم والمشبوه مثل المكونات المشتقة مـن الخـنـزيـر، والـدم، والميتة على اعتبار أن ما ذبح لم يراع في ذبحه اشتراطات الذبح


د. هاني المزيدي


مداخلة أحد الحضور
(عادل حسين إمام وخطيب)

الإسلامي، فيعتبر ميتة محرما وكذلك الأجزاء المأخوذة منها، ومستحضرات التجميل، ودخولها أسواقنا وبيوتنا وقال المزيدي: إن الأصل في اللحوم التحريم، أي عند ورود شك في الذبح يغلب الشك على اليقين ويرجع إلى الأصل وهو التحريم مع كل ما يأتي من الذبيحة: اللحم، والدهون، والجيلاتين، والمنفحة.

وأضاف: التوعية بالحلال موضوع يجب على كل مسلم أن يتسلح به في المنتجات الغذائية وغير الغذائية والخدمات المتعلقة بها سواء في المكونات أو في أساليب الإنتاج.

وقال: يعتقد البعض أن الحرمة تنطوي فقط على ما يستهلكه المسلم من الطعام بينما أيضا تنطوي على ما يستهلكه أو يستخدمه على الأيدي أو الجسد سواء كان ذلك دواء، أو مرهما، أو مستحضرا تجميليا، أو منتجات صحية (مثل الفيتامينات، وأغذية الرضع والرياضيين)، ومنتجات العناية بالبشرة (مثل الصابون، والشامبو، واللوشن) إذا كانت طريقة إنتاجها أو مصدر مكوناتها من مصدر حرام، ولفت المزيدي إلى أن من المضافات الغذائية E470-E479 مستحلبات من أصل دهون مجهولة الهوية، وحتى لو كان الملصق مكتوبا عليه: من أصل نباتي؛ فإنه يجب التحقق منه من قبل طرف ثالث (هيئة حلال معتبرة).

وكذلك E542 وهو فوسفات العظام ويستخدم كمانع تكتل لبعض الأغذية المسحوقة مثل: مسحوق الكاكاو، ومسحوق القهوة، ومسحوق الحليب.

وشدّد المزيدي على وجوب أن يكون واضحا أن الذبح بالطريقة الحلال أو الشريعة الإسلامية هو السبب الفعلي لموت الحيوان أو الطير وبواسطة سكين حادة تذبح فقط بحدها لا بثقلها وليس متزامنا مع مسبب موت آخر.

أما أدوات الصعق (إذا استعملت قبل الذبح) فقد تشترك في تسببها في موت الحيوان أو الطير.

وبالتالي وكأساس وقائي: يجب ألا يسمح لأي تدخلات أخرى لذبح الحيوان قبل موته لوجود

خطر تأخر زمني بعد الصعق أو وجود خطر صعق ثاني قد يؤدي إلى الموت قبل الذبح.
وبالنسبة للماشية والغزلان وفي بعض الأحيان الأغنام: يتم صعقها عن طريق إطلاق رصاصة تقليدية أو قضيب فولاذي من الصلب على رؤوسها (طريقة الطلقة على الرأس). وتخترق الرصاصة أو القضيب الفولاذي الجمجمة فتجرح المخ بشكل دائم وتسبب له في النهاية الموت. وهنا الحيوان قد مات وإخراج الدم من مخارجه بعد مماته بسبب القتل (وليس الذبح) لا يجعل منه حلالا.
ولفت المزيدي إلى أن الطيور تعلق في بعض مسالخ الغرب رأسا على عقب وبعد ذلك تتلقى صدمة كهربائية عن طريق غمر رؤوسها في حوض ماء مكهرب أو تتعرض رؤوسها إلى تيار كهربائي مباشر.
بعد أن تصعق الطيور، تذبح من حلقومها ويسمح لها بالنزف. أحيانا يتم صعق الطيور خنقا باستخدام غاز ثاني أكسيد الكربون ممزوجا بالأرجون حتى تفقد وعيها تماما وذلك أثناء فترة نقلها إلى المسلخ.
وفي الجزء الثاني والأخير من محاضرته ركز المزيدي على التحديات المعاصرة فقال: من حق المستهلك أن يعرف، ويتم عمدا جعل المستهلك لا يعرف.
وقال: تقريبا في جميع البلدان، يعتبر موضوع الحلال قضية دينية. وبالتالي، فإن أي دولة لن تتدخل بشكل عملي. وفي أحسن الأحوال، يتم تقنين موضوع الحلال من خلال ملصق العبوة. وبالتالي، فإن شهادات الحلال يقوم بها العديد من (الهيئات، الجمعيات، المجالس، الاتحادات)، وما إلى ذلك، على أساس الثقة ومن دون أي نوع من السيطرة، وحتى الآن لا يوجد معيار حلال أو شعار حلال موحد.
مؤكدا أن سوق الحلال هو عالمي، ولكن الحلال يفسر بشكل مختلف في كل بلد، وهناك تصور سلبي للحلال وتخوف من الإسلام في البلدان غير الإسلامية، يجعل من تحقيق الحلال الحقيقي تحديا آخر لا يزال يشكل تحديا في البلدان غير الإسلامية. والتحدي الأكبر نحو تحقيق الحلال الحقيقي هو أن عامة الناس، وصناع القرار، وهيئات الإفتاء، وعلماء تكنولوجيا الأغذية لا يتوافر فيهم الحس الكافي حول المسائل المتعلقة بالحلال.

الحل

وعن الحلول المقترحة قال المزيدي: يجب توحيد تعريف الحلال، وتصبح واضحة جدا، وصريحة، وتمارس بقوة من قبل أصحاب المصلحة في الحلال، وتعد أهمية وجود مبادرات حكومية مكرسة لنشر ثقافة الحلال من أهم عوامل التصدي لهذا الخلل وذلك في جميع مؤسساتها، كما يجب تثقيف المفتين في مواضيع الحلال وجعلهم يتكلمون بصوت واحد ما هو الحلال الحقيقي؟ كما يجب أن تكون الفتاوى الدينية المتعلقة بالحلال موحدة بما يتماشى مع ما يحدث حاليا في المسالخ ومعامل التجهيز بحيث تكون خالية من الصعق، وخالية من الذبح الميكانيكي وخالية من الكحول، وخالية من ذباحين غير المسلمين، وخالية من مكونات محرمة نجسة، أو مكونات مستحيلة. وكل ذلك مكتوب بشكل واضح.
وختم بقوله، تعتبر ندرة مختبرات الحلال المعتمدة تحديا كبيرا أمام الحلال الحقيقي خاصة ندرة الفنيين من المسلمين المؤهلين لأداء تحاليل الحلال، ومما يزيد الأمر تعقيدا هو عدم وجود بروتوكولات تحليل حلال معتمدة، وهذا مهم لتوحيد نتائج تحليل الحلال.
وقبل فتح باب المناقشة أمام الجمهور والرد على الأسئلة بما يشرح الصدور ويريحها، طلب مدير إدارة الإفتاء الكلمة وأثنى على جهد د. هاني المزيدي لكنه أبدى تحفظا على بعض ما قيل، مطالبا إعطاء المتخصصين في الفتوى حقهم كاملا وعدم التدخل في عملهم باعتبارهم يستعينون بأهل العلم قبل إبداء الفتاوى.

ملف العدد



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي
مصر

تفعيل دور المرأة.. رؤية إسلامية

مازالت قضية المرأة تطرح نفسها على واقعنا الفكري والاجتماعي في العصر الحديث، منذ أن انتبه المسلمون لواقعهم الأليم، ولضرورة خروجهم من هذا السبات الحضاري الذي طوق مسيرتهم لعدة قرون.
فجاءت قضية المرأة لتمثل مع مجموعة قضايا أخرى حزمة مشكلات أو ملفات تستدعي المراجعة والتصويب والتفعيل.

وهذا الموضوع من الاتساع، ومن التشابك، ومن التعقيد، بحيث لا يمكن لمقال أو دراسة أن تلم به؛ واقعا وآفاقا، وإنما يكفينا أن نشير إلى عدة موضوعات أو أفكار تصلح لتكوين رؤية عامة «بانورامية» لهذه القضية المهمة والملحة.

الانتقال من التنظير إلى التطوير

وأول ما يقابلنا في قضية المرأة، خصوصا ونحن نريد الانطلاق مع المنظور الإسلامي، هو الانتقال من التنظير ومن المفاخرة برؤية الإسلام المتميزة لدور المرأة، إلى التطوير الفعلي والالتفات الحقيقي إلى ما تعانيه المرأة في واقعها.. حتى لا يكون دورنا محصورا في المباهاة برؤية الإسلام، والدوران في كلام نظري.

نعم، جاء الإسلام برؤية متفردة لدور المرأة، سبقت ما كان مطروحا في واقعها، بل وما طرح فيما تلاها من أزمنة.. لكن جاء دور الانتقال من النصوص إلى الواقع، ومن المباهاة إلى وضع اليد على أصل الداء وجوانب المعاناة.. وهكذا ينبغي أن تكون معالجاتنا لكل ما يطرح علينا من قضايا وإشكاليات.

الانتباه الحقيقي لأهمية دورها

ليس دور المرأة هامشيا في المجتمع، ولا أمرا ثانويا يمكن الاستغناء عنه، بل هو دور محوري ويقع في القلب من الحركة المجتمعية؛ لأن المرأة كما يقال في التعبيرات، التي صرنا نحفظها

ولا نلتفت إلى مضمونها بما يكفي، تمثل نصف المجتمع وتلد وتربي النصف الآخر.. فكأنها المجتمع كله! تلك حقيقة علينا أن ننتبه إلى أهميتها، وبالتالي ننطلق منها ونعمل على تفعيلها.. وعلينا أن نعي جيدا أن أي تهميش لدور المرأة إنما هو تهميش للمجتمع ككل، وتعويق لحركته وتطوره؛ وهو، أي المجتمع، يشبه حينئذ من يتحرك على ساق واحدة، ولا يكون قادرا على المنافسة! ولهذا رأينا دور المرأة يتجلى في تاريخ الإسلام ومنذ اللحظة الأولى؛ حينما كان النبي ﷺ يتعبد في غار حراء وجاءه جبريل، عليه السلام، وقال له: «اقرأ».. ودار بينهما الحوار المعروف، ثم عاد النبي ﷺ مسرعا إلى بيته، وأخبر زوجه السيدة خديجة، رضي الله عنها، فأخذت تهدئ من روعه وتثبته وقالت له: «كلا، والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

ثم رأينا دور المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل في مختلف ميادين الحياة بعد ذلك؛ في الغزو والجهاد، في المسجد والعبادة، في السوق، في حلقات العلم.. بما كان تطبيقا عمليا لتلك الرؤية المتميزة التي أرساها الإسلام بمثل قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»[2]. قال الخطابي في «معالم السنن»: «أي نظائرهم، وأمثالهم في الخلق، والطباع؛ فكأنهن شققن من الرجال. وفيه من الفقه: إثبات القياس، وإلحاق حكم النظير بالنظير، وأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابا للنساء، إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها»[3].

ولهذا كان التوجيه القرآني حاسما وقاطعا في الدلالة على هذا المعنى، حين نسب «العمل» إلى كل من الرجل والمرأة، وقرر أن هذا «العمل» محفوظ لا يضيع؛ أي إن المرأة لها دور مثل الرجل في توجيه حركة الحياة وإصلاح المجتمع.. فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ (آل عمران:١٩٥).

ولعلنا نلاحظ أن الآية الكريمة تطرقت إلى الهجرة، وإلى ما عاناه المسلمون في سبيل نشر الإسلام من الإخراج من الديار، ومن احتمال الأذى النفسي والبدني، ومن القتال والتضحية بالنفس.. وتلك محطات صعبة في تاريخ الإسلام، اشترك في إنجاحها والقيام بها على الوجه الأمثل كل من الرجل والمرأة.. فما بالنا بما دون ذلك من محطات؟!

تعليم المرأة وعملها

لم يعد ممكنا الحديث عن دور فاعل للمرأة في الحياة، وعن إسهام وحضور جيد لها في المجتمع، من دون التطرق إلى تعليمها.. نعم، أصبحت المرأة الآن في كثير من المجتمعات العربية والإسلامية تحظى باهتمام كبير في هذا الجانب، ولكن مازالت هناك أفهام مغلوطة لا تنتبه جيدا لأهمية تعليم المرأة.. كما أن مناهجنا التعليمية والتربوية بحاجة إلى المراجعة حتى تكون قادرة على تشكيل وعي المرأة ووجدانها بما هو مطلوب منها.

وهنا أجد من المهم أن نلفت النظر لأمرين:

الأول: أن الهدف من تعليم المرأة ينبغي أن يكون أكبر من مجرد هدف الحصول على وظيفة تدر عليها راتبا شهريا.. فالمرأة تتعلم لنفسها أولا حتى تستطيع فهم الحياة فهما جيدا، وتعرف دورها في ذلك.. وحتى يمكنها القيام بوظيفة التربية ورعاية الأبناء خير قيام.

الثاني: أن وظيفة المرأة الأساسية هي تربية الأجيال، وليست هناك وظيفة أعظم من تربية النشء وتكوين الأجيال.. ولا يعني ذلك عدم خروجها إلى سوق العمل، أو حبسها بالبيت والتقليل من شأنها.. وغاية ما نريد قوله إن للمرأة أن تقوم بأي عمل مما يناسب طبيعتها، لكن على ألا يجور على وظيفتها الأساسية، وأن وظيفتها في تربية النشء لا يدانيها عمل آخر؛ فإذا تعارض عمل المرأة في أي مهنة من المهن فعليها ألا تتردد في الانحياز إلى وظيفتها الأساسية.

وهذا الأمر نستطيع أن ندلل عليه بعشرات الشواهد ومئات التجارب، ومن قلب الحياة الاجتماعية الغربية نفسها، التي قد تخطف ببريقها عيون الكثيرين، وقد يروج باسمها مفهوم مغلوط لـ«العمل» يحصره فقط في العمل الذي يدر ربحا ويكون خارج البيت، أما عملها في تربية الأجيال فليس بـ«عمل» في نظر البعض!

ينبغي أن نتحرر من أسر المفاهيم الخاطئة، ومن ضغوط الواقع التي

تفرض أنماطا معينة، وأن نكون ملتفتين دائما إلى ما يقرره الإسلام وما يتفق مع الفطرة.

لهذا كله، من الضروري أن يكون التعليم معينا للمرأة على فهم دورها ووظيفتها، ومساعدا لها في القيام بواجباتها، سواء في البيت أو المجتمع.

وما أجمع ما ذهب إليه العقاد في هذا الشأن حين قال: «ما خلق الجنسان ليكون كل منهما مساويا لصاحبه في طراز واحد من المزايا والملكات؛ وإنما خلقت لكل منهما مزاياه وملكاته ليكمل بها صاحبه، ويزيد بها ثروة النوع كله من خصائص النفس وألوان الفهم والشعور. وعلى هذه السنة الطبيعية الاجتماعية، من تقسيم العمل وإتقان كل عامل لضرب من ضروبه، يتعاون الزوجان كل فيما هو أصلح له من مطالب الحياة: على الرجل شطر الكفاح في سبيل الرزق وكفاية أهله مؤونة الكدح في مضطرب الزحام والصراع، وعلى المرأة شطر السكن الأمين وكلاءة الجيل المقبل في نشأته الأولى. وليس بالشطر الزهيد حضانة الغد وإعداد مستقبل الإنسانية مرحلة بعد مرحلة على الدوام»[٤].

ترابط دور المرأة والرجل

من المهم أيضا، ونحن بصدد الحديث عن تفعيل دور المرأة في الحياة، أن ندرك أن دور المرأة؛ تفعيلا وتطويرا أو تهميشا وجمودا، يرتبط ارتباطا وثيقا بدور الرجل؛ أي لا يمكن إحداث تغيير في دور واحد منهما من دون إحداث تغيير في دور الآخر؛ فواقعهما واحد، ومعاناتهما متماثلة، وطموحاتهما أيضا ليست بعيدة بعضهما عن بعض.

كما أن المجتمع، أي مجتمع، إنما يسير كوحدة متكاملة، حتى لو كانت هذه الوحدة مركبة من عناصر متعددة.. ومن الخطأ أن نتعامل مع كل عنصر من هذه الوحدة بمفرده. فمن يرد تفعيلا لدور المرأة فعليه أيضا أن يقوم بتفعيل دور الرجل، وأن يتعامل مع المجتمع ككل بهذا المنظار الشامل لكل عناصره.

ولهذا أصاب مفكر الحضارة مالك بن نبي، رحمه الله، كبد الحقيقة، حين نظر إلى قضية المرأة بهذا المنظار الشامل الجامع، فقال: «ليست مشكلة المرأة شيئا نبحثه منفردا عن مشكلة الرجل؛ فهما يشكلان في حقيقتهما مشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع»[٥].

بين نموذجين

في كثير من قضايانا نعاني من التطرف يمينا أو يسارا، ومن الإفراط أو التفريط.. وقضية المرأة هي مثال جلي لهذه المعاناة؛ فنحن نقع بين جامدين لا يرون دورا للمرأة ويسعون إلى تهميشها، وقد ينطلقون في ذلك من رؤية تعتمد على النصوص الإسلامية.. في مقابل آخرين يريدون «تحرير» المرأة من أي قيود، حتى من ذاتها هي! ولا يجدون حرجا من الذهاب بهذا «التحرير» إلى أبعد مدى، حتى لتصبح المرأة عندهم مجرد سلعة يتفننون في كيفية توظيفها لجني الأرباح وإشباع الغرائز!

بالقطع، ليست الرؤية الإسلامية أو الفطرة السوية ترضى بهذا أو بذاك.. وعلينا أن نلتزم بمقررات الفطرة وضوابط الشرع؛ حتى نحقق رؤية وسطية تحفظ للمرأة كرامتها، وتكفل حقوقها، وتعمل في الوقت نفسه على تفعيل دورها وإثراء حركة المجتمع من خلالها.

يقول الشيخ الغزالي، رحمه الله، مشيرا إلى أهمية هذه الرؤية الوسطية: «بين الإفراط والتفريط خط وسط نريد التعرف عليه والتزامه؛ وهو خط لا يتطابق مع وضع المرأة الإسلامية في أغلب المجتمعات، وكذلك لا يتطابق مع تقاليد الفرنجة التي تستمد من وثنية الرومان ومن فلسفة الإغريق. إن أفلاطون في مدينته (الفاضلة) يجعل المرأة مشاعا بين الآخرين، فما تكون إذن المدينة الدنسة؟ على أن عقلية السجان هي الأخرى لا تقيم أمة راقية الفكر زاكية القلب. وتعاليم الإسلام الصحيحة هي الأمل في بناء عالم متراحم مصون»[٦].

بهذه الأفكار وغيرها نستطيع أن نجعل دور المرأة فاعلا في الحياة وعلى كل المستويات.. فذلك حق للمرأة لا يجوز تعطيله أو تأجيله، كما أنه هو ضرورة للمجتمع لا ينبغي إهمالها أو الحط من شأنها..

الهوامش

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي.

٢- رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد، وحسنه الألباني.

٣- «سنن أبي داود ومعالم السنن»، ١/ ١١٩، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧م.

٤- «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه»، عباس محمود العقاد، ص:١٣٥-١٣٦، نهضة مصر، ط٤، ٢٠٠٥م.

٥- «شروط النهضة»، مالك بن نبي، ص:١١٤، دار الفكر.

٦- «مئة سؤال عن الإسلام»، الغزالي، ص:٢٧٥، دار ثابت، ط١، ١٩٨٤م.



محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص مصري

قدرات المرأة في الإسلام

خرجت آلاف النساء إلى شوارع مدينة نيويورك الأمريكية في عام ١٨٥٦م مطالبات بحقوقهن في عمل إنساني يناسبهن؛ وهو ما دفع الشرطة للتصدي لهن وتفريقهن؛ ومع استمرار وجود أزمة عمل المرأة بدون ضوابط إنسانية في الولايات المتحدة الأمريكية، اضطرت النساء إلى الخروج مرة أخرى في ٨ من مارس ١٩٠٨م في المدينة نفسها، وخاضت عاملات الغزل والنسيج مظاهرة أخرى رفعن فيها الخبز اليابس بالإضافة إلى الورود؛ في دلالة إلى أنهن يردن حقوقهن وأولها لقمة العيش، مع مراعاة طبيعتهن الإنسانية المختلفة عن الرجل، من حيث ضرورة تخفيض عدد ساعات العمل لهن، مع منحهن حق الانتخاب أو الاعتراف بوجودهن على الساحة السياسية.

أطلق على المسيرة التظاهرية النسائية الأمريكية اسم «مسيرة الخبز والورد»، واستغرق الأمر ٦٩ عاما كي تقر الأمم المتحدة يوم ٨ من مارس ١٩٧٧م يوما عالميا للمرأة؛ بخاصة مع سابق مشاركة أوربيات في الدعوة نفسها نتيجة لمعاناتهن المستمرة هن الأخريات؛ وبالتالي رغبتهن في جعل العالم مكانا أفضل لحياة النساء.

ورغم طول الفترة الزمنية؛ سواء بين تظاهرة الأمريكيات الأولى في ١٨٥٦م، واضطرارهن للتظاهرة مرة

أخرى بعد نحو ٥٢ عاما، واستمرار معاناتهن، بل اعتراف الأوربيات بالمتاعب نفسها، واستجابة الأمم المتحدة لهن بعد قرابة ١٢٠ عاما من تظاهرة نيويورك الأولى، إلا أنه يبقى أن الفجوة بين معاملة الرجال والنساء في المجتمعات الغربية؛ وبالتالي الحقوق التي تفرضها تلك المجتمعات للمرأة؛ وفق المعايير الغربية نفسها.. يبقى أن الفجوة لا تزال قائمة على أرض الواقع حتى لا يتبنأ المؤتمر الاقتصادي الدولي (دافوس) بأنها لن تغلق إلا بمجيء عام ٢١٨٦م[١]!

الإسلام والنظرة المنصفة للمرأة

رفعت المرأة الأمريكية وتلتها الأوروبية شعار رغبتهن في العمل والمساواة السياسية مع الرجل، لكن مع مراعاة طبائعهن وتكوينهن؛ اللذين لا يسمحان لهن بالاستمرار لساعات العمل نفسها؛ وهو تماما ما راعاه الإسلام قبل قرابة ١٢ قرنا كاملا على أول تظاهرة للمرأة في نيويورك، ولم تكن التظاهرة إلا تعبيرا عن غبن وظلم شديدين عانت المرأة الأمريكية منه على مدار مئات السنوات؛ وأدت المعاناة إلى حياة آلاف من الغربيات في محن متعاقبة؛ سواء وجدن لقمة العيش وعملن وجاء هذا على حساب حياتهن الأسرية، أو وجدن فرصة عمل ولم يجدن شريكا مستمرا للحياة؛ وبالتالي بقائهن وحيدات حتى نهاية العمر بلا أسرة، أو شعور بدفء معنوي اجتماعي يهون مسيرة الحياة خاصة قرب نهايتها، أو وجدن الأسرة بمعناها المقيم ولم يجدن العمل؛ أو حتى لم يجدنهما معا.

فرق الإسلام منذ بعثة الرسول ﷺ، من نحو بدايات القرن السابع الميلادي بين تكوين المرأة المختلف عن الرجل وبين حقوقها الأساسية ومنها السياسية، والأخير ما عانت المرأة الغربية من عدم تحققها لها حتى وقت غير بعيد؛ فأنصف القرآن الكريم النساء من مثل قول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران:١٩٥).

أقرت الآية الكريمة بالمساواة في الثواب الأخروي بين الرجل والمرأة؛ وهذا الثواب هو أعز وأغلى ما يسعى إليه أفراد المجتمع المسلم، إذ إنهم بحركتهم وعمارتهم الأرض يسعون لتحقيق الأهداف والغايات المجتمعية الدنيوية؛ لكن مع انتظار الأجر الأكبر والثواب الأعم الأوفر من الله تعالى في الحياة الدائمة الممتدة في الآخرة، وهكذا أقر الإسلام بوضوح بحق المرأة في بناء المجتمع الإسلامي الأول، من الهجرة من ظلم أهل مكة إلى المدينة، وتحمل الإيذاء في سبيل ذلك، بل القتال في سبيل إعلاء كلمة الحق في الدار الأولى؛ مع الاحتفاظ لها بحقها كاملا في الأجر والثواب والجنة في الآخرة.

مجتمع مسلم بدعائم مساواة إنسانية

يعرف المسلم وتعرف المسلمة جيدا أن هدفهما عبادة الله تعالى والتقرب إليه عزوجل بالعبادة ثم العمل الصالح؛ ومنه العبادة والإصلاح المجتمعي؛ ورفعة الحق وإعطاء كل ذي حق نصيبه المفروض؛ وبذلك يكسب المسلم وتكسب المسلمة ثوابي الدنيا والآخرة؛ وتعرف البشرية الرفعة الحقيقية وتزاد إنسانيتها وتتلألأ.

ومن المنطلق الأعم السابق جاء حرص الإسلام على أن تكون المرأة شريكة للرجل في بناء المجتمع المسلم الأول، الذي سيظل رمز بناء وقدوة كل المجتمعات التالية له والسائرة على دربه إلى يوم القيامة، ولذلك قال الرسول ﷺ من حديث عائشة، رضي الله عنها: «.. إنما النساء شقائق الرجال» (رواه أبو داود).

ومعنى الشقائق: أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع، وقال العالم الأزهري الراحل «نوح علي سلمان»: «ويفهم من هذا تبعا -حديث الرسول ﷺ- أنهن مستويات مع الرجال في الكرامة الإنسانية، أما الحقوق والواجبات فموزعة بحسب فطرة الله التي فطر كلا من الرجال والنساء عليها لتتم عمارة الكون»[٢].

نساء إلى جوار الرسول العظيم

في سبيل بناء أسس نهضة وازدهار المجتمع الإسلامي الأول كانت السيدة «سمية بنت خياط» تعاني في مكة قبل الهجرة؛ كما عانى المستضعفون من المسلمين، بل إنها بذلت روحها في سبيل رفعة ونصرة الإسلام فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولما كانت المفاضلة بين دينها والتضحية بجسدها في سبيل الله فضلت الأمر الأول؛ لتنال مكانة الشهيدة العالية

في الجنة؛ وتثبت أن المرأة ليست أقل قدرة على التضحية والثبات على الدين حتى الممات من الرجل.

وبعد استشهاد السيدة «سمية» رضي الله عنها لم يحل النبي ﷺ دون الصحابيات ودون مشاركته الغزوات، فكن يقمن بالدور اللائق بهن من مداواة الجرحى والعناية بهم، وطبخ الطعام، ولا تزال أسماء صحابيات عظيمات قمن بهذا الدور باقية على مر الأزمان؛ مثل السيدة «رفيدة الأسلمية أو الأنصارية»، رضي الله عنها، فعن «محمود بن لبيد» رضي الله عنه قال: لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل، حولوه عند امرأة يقال لها: رفيدة، وكانت تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح: كيف أصبحت؟ فيخبره» (أخرجه البخاري في الأدب المفرد).

أما في السلم ووضع لبنات تنظيم أرجاء المجتمع وبناء أركانه فكان الرسول ﷺ في المدينة حريصا على لقاء النساء المسلمات في مجالس علم؛ فيسألنه في أمور الدين حتى قالت السيدة «عائشة»، رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين» (رواه البخاري).

احترام قدرات المرأة

أما ما افتقده الغرب حتى عصرنا فهو معاملة المرأة بحسب قدراتها وإمكانياتها؛ ومراعاة التخصصات والأعمال المناسبة لتكوينها؛ فلا تنجرف الطبيعة التي خلقها الله بها إلى العمل في عمل بعيد عن قدراتها وإمكانياتها، مما يجعلها تعاني، أو يطيح عملها بقدرتها على العطاء ومسؤولياتها في المنزل، تلك نقاط نظام فارقة اعتنى الإسلام بها عناية فائقة فلا تقوم امرأة بما يفوق إمكانياتها في الأوقات الطبيعية العادية؛ اللهم إلا لو لاقت شدة تتطلب منها أن تقوم بالدور المنوط بالرجال؛ مثل دور عمة الرسول ﷺ «صفية بنت عبد المطلب»، رضي الله عنها، وكونها «يوم الخندق» في حصن «حسان بن ثابت» رضي الله عنه، ومرور اليهودي بهم فيما المسلمون في القتال لا يزالون؛ وقال «حسان» رضي الله عنه لها: «غفر الله لك؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا» أي قتل اليهودي؛ لما طالبته السيدة صفية -رضي الله عنهما بقتله- فقتلته، رضي الله عنها بعمود[٣].

وإذا أرادت المرأة العمل لم يكن في الإسلام ما يمنعها من ذلك؛ بشرط أن يناسب العمل وقتها وإمكانياتها وقدراتها، مع ضرورة المحافظة على المجتمع الإسلامي أيضا، فلا تضيع المرأة حياتها ودورها في بيتها من أجل عملها فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه» (رواه مسلم).

والحديث الشريف الأخير يقر بعظم دور المرأة في بناء بيتها، ومن ذلك دورها البالغ الأهمية مع الأب في تنشئة الابن المسلم على التوحيد.

ويبقى -مع الفارق- على المرأة الغربية الموازنة الصعبة بين مراعاة حسن تربية الابن وبذل الجهد والوقت اللازمين لذلك، والعمل والمساهمة في المجتمع؛ بحيث لا تصبح قرابة نصف النساء الأمريكيات ممن تجاوزن عمر ٧٥ عاما، على سبيل المثال، يعشن بمفردهن؛ فيما يتخلى عنهن الجميع في النهاية؛ أو تصبح ١٠ ملايين امرأة أمريكية يعلن ويكفلن بيوتهن مع غياب الرجل الكامل عنهن[٤]، وبذلك يكون الإسلام قد سبق الغرب بقرون في الانتصار لحقوق المرأة في الحياة والعمل والبيت.. مع المحافظة عليها في جميع الحالات.

الهوامش

١- تعرف على اليوم العالمي للاحتفال بالمرأة، عماد البليك، العربية نت، ٩ من مارس ٢٠١٧م.

٢- «فتاوى الشيخ نوح علي سلمان» (فتاوى الحياة العامة/ فتوى رقم/٢٦) - الإفتاء الأردنية على الشبكة العنكبوتية «الإنترنت».

٣- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، نسخة على الشبكة العنكبوتية، الإنترنت.

٤- دائرة الإحصاءات الأمريكية، نقلا عن موقع طريق الإسلام بعنوان أرقام قطيعة عن حياة الغرب، إبراهيم بيدون.



د. مصطفى البعزاوي
باحث في الدراسات الإسلامية
المغرب

إسهامات المرأة في الحضارة الإسلامية

ساهمت المرأة المسلمة بنصيب وافر في بناء الحضارة الإسلامية وذلك من خلال أدوارها المختلفة في المجتمع، أمثال أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- التي كان بيتها جامعة ومدرسة لتعليم العلم والعلوم. كما أسهمت في الطب والصيدلة في الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون مع النبي ﷺ. ونذكر كذلك رفيدة الأنصارية، أول طبيبة في الإسلام والتي كانت تداوي الجرحى في المعارك والغزوات.

في المجال العلمي

يقول العلامة السيد سليمان الندوي: «بَنَتْ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مجدا باذخا لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام، بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل. فلا نجد في عبقرية الرجال والنساء في تواريخ الأمم ما يداني مكانة أم المؤمنين رضي الله عنها[1]».

كان لملازمة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ دورها في نقل الكثير من أحكام الدين الإسلامي والأحاديث النبوية، حتى قال الحاكم في «المستدرك»: «إن ربع أحكام الشريعة نقلت عن السيدة عائشة»، وكان أكابر الصحابة يسألونها فيما استشكل عليهم. فقد قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث فقط فسألنا عائشة، إلا وجدنا عندها منه علما». أضف إلى ذلك أنها رضى الله عنها كانت تتميز بالفصاحة والبلاغة، ما جعل الأحنف بن قيس يقول، سمعت خطبة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي



ابن أبي طالب -رضي الله عنهم- والخلفاء وهلم جرا إلى يومي هذا فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من عائشة رضي الله عنها».

كما تمتعت رضي الله عنها بذاكرة قوية مكنتها من رواية الكثير من الأحاديث عن النبي ﷺ إلى جانب حفظها الكثير من الشعر والأمثال، بالإضافة إلى كثرة سؤالها للنبي ﷺ فكانت تصحح للصحابة ما أخطأوا فيه، فقد بلغها يوما أن عبدالله بن عباس رضي الله عنه. أفتى بأن من أهدى هديا حرم عليه ما يحرم على الحاج حتى ينحر هديه فقالت: ليس كما قال ابن عباس أن فتلت قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدي، ثم قلدها رسول الله ﷺ بيديه ثم بعث بها مع أبي، فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيء أحله الله له حتى نحر الهدي[٢]».

وقد ألف بدر الدين الزركشي -رحمه الله- كتابا ذكر فيه كل المسائل التي قيل إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها استدركتها على الصحابة، وسماه «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة». فكانت -رضي الله عنها- مقصد الطلاب من الصحابة وعامة الناس.

في المجال الطبي

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان الرسول ﷺ يغزو بأم سليم -رضي الله عنها- ومعها نسوة من الأنصار يسقين الماء، ويداوين الجرحى». وكذلك الشأن بأسماء بنت يزيد السكت التي كان يقال لها: خطيبة النساء، من المبايعات والمجاهدات، بأن لها شأنا كبيرا يوم اليرموك حيث لم تقتصر على القتال بل عملت على مداواة الجرحى وسقي العطشى حتى أنها -رضي الله عنها- قتلت بعمود خبائها تسعة من الروم[٣].

كما هو الشأن بالنسبة لأم عطية نسيبة بنت الحارث الأنصارية التي رافقت النبي ﷺ في عدة غزوات، حيث تقول رضي الله عنها: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى»[٤].



الهوامش

١- سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ص٩.

٢- صحيح البخاري: «كتاب الحج» باب من قلد بيده. رقم ١٦١٣.

٣- أخرجه البخاري، في كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، رقم ٤٠٧٥.

٤- أخرجه مسلم، في كتاب الجهاد والسير - باب النساء الغازيات. رقم ١٨١٢.



عبدالله شريف
دار الإعلام العربية
القاهرة

المرأة.. رمز العطاء

احتفت الشريعة الإسلامية بالمرأة، وأعلت قدرها، فأفرد الخالق للنساء سورة كاملة، وذلك لما لها من إسهامات قيمة، وعطاءات متتابعة.. وقد حفل التاريخ الإسلامي بنماذج مضيئة لنساء فضليات أثبتن أنهن شقائق الرجال كما قال المعصوم ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» رواه أبو داود، ومربيات الأجيال، وليست المرأة -كما يحاول البعض اعتبارها في الوقت الحاضر- سلعة، أو محصورة في نطاق غرائزي.

وأكد علماء لـ «الوعي الإسلامي» أهمية استعادة الدور الأصيل للمرأة المسلمة، والعمل على ذلك من خلال تعهدها بالأخلاق الحميدة منذ ميلادها، لتنعكس تاليا بأدوارها الإيجابية في المجتمع المسلم.

نبدأ مع المؤرخ إبراهيم عناني، عضو اتحاد المؤرخين العرب، الذي أكد على أن التاريخ الإسلامي حافل بنماذج مشرفة للمرأة المسلمة والفقيهات اللاتي أتقن الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات، ولم تمنعها ظروف المجتمع الذي يتسم آنذاك بالقسوة من أن تكون فقيهة أو أن تعمل بالوعظ والإفتاء والتعليم الشرعي.

نماذج مشرفة

وأضاف عناني قائلا: إن من النماذج المشرفة للمرأة المسلمة، الفقيهات اللاتي أتممن دراسة الأحكام الشرعية، وأصبحن مؤهلات للتصدي للمشاكل والخلافات التي تعرض عليهن، ويملكن القدرة على استنتاج الأحكام من أدلتها الشرعية، والفقيهات اللاتي درسن الشريعة في المؤسسات التعليمية، إضافة إلى الواعظات اللاتي اعتمدن على القرآن والحديث لتوجيه النصائح للناس وتذكيرهم بمسؤولياتهم الدينية، وتعليم الأبناء التلاوة والذكر فضلا عن القيام بإدارة شؤون الدار.

وأوضح أن المرأة عملت في مجال الدعوة منذ العهد النبوي، وكان أبرز النماذج أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، التي كان يلجأ إليها المسلمون لمعرفة ما كان يقوم به الرسول ﷺ في تفاصيل حياته اليومية.

وفي القرن الثاني الهجري بدأ المسلمون طلب المشورة ممن تميزوا بالعقل والتقوى

والعدل والعلم الواسع، المعزز بالأحكام الشرعية حتى أصبحت صفات أساسية في المفتي الذي تقبل فتواه بعد أن كان عمله حرا لأي شخص، ومن أبرزهن (خديجة بنت سحنون بن سعيد التنوخي التي توفيت سنة ٢٧٠هـ)، واكتسبت شهرة واسعة في القرن الثالث الهجري في بلاد المغرب، علمها والدها الذي يعد من قيادات المذهب المالكي في المغرب، وكان يدربها على المشورة في كل شيء.. إضافة إلى (أم عيسى الحربي - توفيت سنة ٣٣٨هـ) و (أمة الواحد بنت القاضي أبي عبدالله بن إسماعيل المحاملي - توفيت عام ٣٧٧هـ) التي لقبت بحافظة الفقة الشافعي، وكانت أستاذة في مسائل المواريث، يأتيها الناس من كل مكان لمناقشة مسائل خلافية عن الميراث.

وكانت تفتي مع الفقيه الشافعي أبي علي الحسن بن أبي هريرة.

وأشار عناني إلى أن المرأة ظهرت كفقيهة بداية من القرن الأول حتى القرن الثاني عشر للهجرة، وأقدمهن (زينب المخزومية - توفيت سنة ٧٣هـ)، و(هجيمة بنت حيي الوصابية؛ أم الدرداء الصغرى من دمشق توفيت سنة ٨١هـ)، و (عمرة بنت عبدالعزيز - توفيت سنة ١٠٠هـ).

ولفت عناني إلى أنه في القرنين الخامس والسادس الهجريين برزت عائشة الكيساني، وفاطمة بنت محمد أحمد السمرقندي وكانت مصدرا للأحكام الشرعية في حلب؛ وفي القرنين السابع والثامن الهجريين ظهرت فاطمة بنت أحمد الرفاعي الكبير وأم البقاء خديجة بنت حسن وخديجة بنت القيم البغدادية وفاطمة بنت عياش بن أبي الفتح البغدادية وابنتها زينب، وأم العز نصرة بنت أحمد، وفي القرن العاشر الهجري برعت

إبراهيم عناني: تاريخنا حافل بنماذج مشرفة للمرأة في العلم والإفتاء

عائشة الباعونية الدمشقية الأديبة العالمة العاملة، ووفدت إلى القاهرة وأجيز لها بالإفتاء والتدريس وألفت مجموعة كتب، بعد ذلك بدأ اختفاء تدريجي في الفقيهات بلغ ذروته في القرن الثاني عشر الهجري.

غرس قيم الإسلام

أما د. عبدالفتاح عبدالغني، عميد كلية أصول الدين بالقاهرة، فيؤكد أنه لا يمكن الحديث عن كيفية الاهتمام بإسهامات المرأة الحالية وإغفال التاريخ المشرق للإسلام في انتشال المرأة من عادات الجاهلية إلى نور البيان والحق، حتى ظهر منهن الفقيهات والعالمات وقائدات ومربيات المجتمع.. فقد حرصت عقيدة الإسلام على حفظ كرامة المرأة، واحترام شخصيتها، وسوتها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء.

وأكد أن الإسلام أثبت للمرأة ذمة مالية خاصة فهي تحت مظلة الإسلام

د. عبدالفتاح عبدالغني: غرس قيم الإسلام ونشرها وجعلها أساس كل بيت مهمة المرأة

مكرمة منذ ولادتها.

وأضاف أن القرآن الكريم تناول الكثير من الأمور التي تهتم بالمرأة وشؤونها وتحث على ذلك ببيان تام واضح، فسورة البقرة تناولت الحياة الشخصية ومسائل الزواج والطلاق والمحيض والرضاع، وسورة النساء شرحت وبينت الميراث وتضمنت مسائل الزواج، وحماية المرأة، وفي سورة النور وضعت تشريعات حماية المنزل من الزنا.

وتابع قائلا عن إسهاماتها على مدار التاريخ نستطيع القول: إن هناك أوجهًا عديدة نذكر منها، أن لها دورا كبيرا في تنمية قيم الإسلام ونشرها، فالمرأة تبني البيت المسلم ولها دور كبير في وضع أساس أي منزل، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه.

أضاف د. عبدالفتاح: «من مسؤوليتها الاهتمام بالأطفال وتنشئتهم تنشئة طيبة، فهي التي تعلم النشء مفاهيم الدين وواجباته، تربي البنات مثلا على الأخلاق الحسنة وفرضية الحجاب، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله:

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١) شققن مروطهن واختمرن بها».

وأضاف أن المرأة هي المعينة للرجل على مصاعب الحياة، فتستطيع

تنظيم حياته، وحثه على الخير، وكف يده عن الشر، قال تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٖ﴾ (الطلاق:٦)، وهذه من الإسهامات التي تبني المجتمعات وتعلي من شأنها، أيضا قصة امرأة عمران في القرآن خير دليل على ذلك.

وتابع: «المرأة حجر أساس في توثيق الروابط الأسرية وصلة الأرحام التي أمر الله بها، فهي من تحث زوجها على زيارة أقاربه، ولها صبر وجلد على جمع الأسر ونقل طيب الكلام حتى تتعاظم الروابط الاجتماعية.

وأشار إلى أن ما سبق يتناول إسهامات المرأة في محيطها وبيتها وأسرتها وجيرانها، وهنا نقول إن للمرأة إسهامات عظيمة على مدار التاريخ في التفقه في الدين، ونقل العلم، والتدرج في الوظائف المهمة، وقد حث الإسلام الرجال والنساء على التعلم، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٤).

وعن دورها في الجهاد، قال إن النساء في عهد رسول الله ﷺ وما تلاه كان لهن دور عظيم في الجهاد في سبيل الله، فمن لا يتذكر موقف «الخنساء» التي أرسلت أولادها الأربعة إلى معركة القادسية واستشهدوا جميعا ثم قالت «الحمد لله الذي شرفني بهم»؟! وموقف نسيبة المازنية وأم أيمن في غزوة أحد، إذ وقفتا دفاعا عن الرسول ﷺ؟!

وطالب د. عبدالفتاح الآباء بتدريس القصص المشرفة لنساء الإسلام للأطفال منذ الصغر حتى يتعلموا فضل المرأة ودورها وكيف كرمها الإسلام.

مكانة خاصة

في السياق ذاته، قال الشيخ محمد عزالدين وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة، إن الإسلام وضع النساء في «مكانة خاصة» فهن شقائق الرجال، مضيفا أن الإسلام الدين الوحيد الذي ركز في كل تفاصيل المرأة حفاظا على حقها ومراعاة لها ولدورها الذي لا يقل أهمية عن دور الرجل.

وأكد أن التكاليف على المرأة كما هي على الرجل، باستثناء بعض التكاليف التي منعت منها صونا لها وحماية وكرامة.

وتحدث عن إسهامات المرأة في الحياة العامة ودورها، قائلا: «حث الإسلام المرأة على المشاركة في الحياة العامة بكل شكل يحفظها ويصونها ويحافظ على التزامها وعلاقتها بربها، ومن ذلك حثها على التعلم، وتأسيس النشء على طاعة الله، ولنا نماذج عظيمة في التاريخ الإسلامي فياضة بالإسهامات، فهذه السيدة خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ، التي وقفت إلى جواره في بداية الدعوة وصدقته يوم أن كذبه الناس، وكانت عونه وسنده إلى أن توفيت رضي الله عنها.

ولنا في قصص أمهات الأئمة: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي والإمام مالك العظة، فكُنّ لبنة للعلماء الذين حفظوا الدين ووصلوه لنا، كان الإمام أحمد يقول: «حفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات».

محمد عزالدين: إسهاماتها مشرفة في الفقه والأدب والفكر

وأشار إلى أن من ضمن أدوار المرأة في الحياة العامة طرح المشورة، فهذه أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها، استشارها رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، فأشارت عليه بأن يتحلل من الإحرام حتى يتحلل الناس ويرجعوا للعمرة في العام التالي.

واستشهد بحديث لأم عطية -رضى الله عنها- قالت: بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا ﴿أَلَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (الممتحنة:١٢)، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة منا يدها، فقالت: أسعدتني فلانة، وأنا أريد أن أجزيها. فما قال لها النبي ﷺ شيئا، فانطلقت ورجعت فبايعها فما وفت امرأة إلا: أم سليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ، وامرأتين، أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ» (صحيح البخاري).

وقال إن للمرأة إسهاما كبيرا في مجالات الأدب والفكر والتفقه في الدين، وقد ترجم الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة»، لكثير من النماذج المشرفة عبر التاريخ الإسلامي لفقيهات ومحدثات وأديبات، ولهن في أم المؤمنين عائشة القدوة الحسنة، قال هشام بن عروة: «ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة».

كما ساهمت نساء في كتابة سيرة رسول الله ﷺ ومنهن فاطمة بنت الحسين بن علي، اعتمد على روايتها كل من ابن اسحاق وابن هشام.

وقال: إن في التاريخ الإسلامي والعصر الحالي نساء فضليات لابد أن يعرف الناس كيف عبرن غمار الحياة وكيف أثرن في الأمة كلها،

فلو سألت شابا عن أسماء سيدات أثرن في تاريخ الإسلام لا تجده يعرف سوى بعض أسماء لصحابيات رسول الله ﷺ ولا يعرف دورهن من الأساس.

وطالبت وزارات التعليم في الدول العربية بالتركيز على قصص النساء في التاريخ الإسلامي لتستفيد الأجيال الحالية والمقبلة منهن ويتخذن منهن القدوة الصالحة بدلا من الاقتداء بنماذج لا يصح أن يقتدي بها بنات الإسلام.

رسائل مجتمعية

أما د. نجوى خليل، وزير التأمينات المصرية السابقة وعضو المجلس القومي للمرأة، فأكدت على أن المرأة في العصر الحالي تعاني من مشكلات هائلة تعوقها عن الإسهام في مجالات عديدة، والنساء في المجتمعات العربية اللاتي يظهرن وينجحن في مجال ما يكون ذلك بجهد مضاعف ومواجهة عادات وتقاليد تفرض عليها أمورا ليست من الدين في شيء.

وقالت: إن أغلب النساء في العصر الحالي يؤدين دورهن في رعاية الأطفال والأسرة اقتصاديا واجتماعيا، مضيفة أن على المجتمع أن يحميهن ويزيد من ثقتهن في أنفسهن للقيام بدور أكبر.

د. نجوى: على الإعلام توجيه رسائل مجتمعية تركز على قصص نجاحها

وطالبت وسائل الإعلام بتوجيه رسائل إلى المجتمع لتحسين أوضاع النساء والتركيز على قصص النجاح في ظل هذه الظروف الصعبة.

وأشارت إلى أنه لو ركز الإعلام على القصص الناجحة للنساء بالضوابط الدينية المعروفة لأفدن المجتمع بما يملكنه من قدرة وطاقة وجلد.

استعادة مكانتها

أخيرا، توضح د. هاجر سعد الدين أول سيدة مصرية تتولى منصب رئيس إذاعة القرآن الكريم، أن العقلية العربية والنظرة للمرأة مازالت أقل بكثير مما كان عليه عصر الإسلام الأول في إعلائه من شأن المرأة.

وأضافت: إن تغيير النظرة السلبية حاليا يحتاج إلى جهد إعلامي كبير، وإلى بحوث ودراسات لمعرفة لماذا ينظرون إلى المرأة بهذه الطريقة، رغم أنها حققت نجاحا كبيرا في العصرين الحديث والقديم على السواء.

وأشارت إلى تجربة شخصية عانت منها، مؤكدة أنها واجهت هجوما وانتقادا شديدا عند توليها منصب رئيس إذاعة القرآن الكريم لكونها امرأة، وقالت: إن إتقان العمل والإخلاص فيه أثبت أن المرأة لا تقل شيئا عن شقيقها الرجل.

وقالت: إن الإسلام كرم المرأة ودعا إلى حفظها وصيانتها، مشيرة إلى أن المجالات المتاحة حاليا لتقوم بدور يخدم المجتمع كثيرة جدا، تحتاج فقط إلى الإخلاص والجهد والمثابرة، وأن تفكر البنات في مستقبل الأمة كلها لأنهن يقمن بدور في إنشاء البيت وبناء أجيال تستعيد أمجاد أمتنا.

د. هاجر: نتعرض لغزو ثقافي ويجب علينا إستعادة مكانة المرأة المضيئة

وأكدت أنها تحزن حزنا شديدا عندما تجد فتاة سلكت طريق الانحلال، مشيرة إلى أن كل بنت تضيع يضيع معها بيت كامل وأسرة.

وقالت: إن الغزو الثقافي أصبح حقيقة نشاهدها في أخلاق الشباب وتصرفاتهم، وعلينا مواجهة هذا الغزو ليس بالكبت والمنع، لكن بتعاليم الإسلام الحنيف الذي يدعو المرأة لبناء الأجيال والتعلم والتفقه في الدين ومساعدة الرجل ودعمه، فعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم.

وأضافت: إنه يمكن من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى الوسائل التقليدية من تعليم وأسرة وتربية دينية تغيير الصورة النمطية عن النساء في العصر الحالي، واستعادة مكانتها المضيئة التي تميزت بها على امتداد التاريخ الإسلامي.. مصداقا للحديث الشريف: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خيارهم لنسائهم» (رواه الترمذي).



ياسر بن فضل القاضي
باحث في الفقه المقارن وعلوم السنة
مصر

«الأربعون النووية».. دراسة نقدية

إن من فضل الله على الأمة أن جعل في كل عصر من يجدد هذا الدين، فينفي عنه تحريف الغالين وتفريط المتهاونين، يعرف لعلمائنا حقوقهم ولا يغالي في تقليدهم، يذب عن عرضهم ويتوسط في تشريفهم ولا يحط من قدرهم.

وقد كان النووي من العلماء الذين ذاع صيتهم وانتشرت مؤلفاتهم، ومن أشهر كتبه «الأربعون النووية»، اهتم به القاصي والداني؛ من حافظ للمتن ومن شارح ومعلق، حتى إن الأطفال حول العالم يحفظونه في كتاتيبهم مع القرآن الكريم وتحفة الأطفال، فصار شرفا لمن حفظه أن أصبح في جوفه مع القرآن الكريم الحديث النبوي الشريف، فاجتمع له الوحيان في صدره، ومن هنا كانت الأهمية العظمى ليهتم بالكتاب كل دارس ومدرس.

في الحقيقة لم يكن النووي أول من كتب في الأربعينات[١]، بل صنف العلماء، رحمهم الله، في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات. يقول النووي: فأول من علمته صنف فيه: عبدالله بن المبارك، ثم محمد ابن أسلم الطوسي العالم الرباني، ثم الحسن بن سفيان النسائي، وأبو بكر الآجري، وأبو بكر بن إبراهيم الأصفهاني، والدارقطني، والحاكم، وأبو نعيم، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو سعيد الماليني، وأبو عثمان الصابوني، وعبدالله بن محمد الأنصاري، وأبو بكر البيهقي.. وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين، ثم إن من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب (ا. هـ). ولقد وقع لي ما يربو على الأربعين مصنفا كلها في الأربعين، منها الأربعون في دلائل التوحيد للهروي (ت٤٨١هـ)[٢]، «والأربعون البلدانية»: أربعون حديثا لأربعين شيخا من أربعين بلدة[٣] «والأربعون في الحث على الجهاد» كلاهما لابن عساكر (ت:٥٧١هـ)[٤]، والأربعون التيمية لابن تيمية (ت:٧٢٨هـ)[٥]، والأربعون في صفات رب العالمين للذهبي (ت:٧٤٨هـ)[٦]، والأربعون من رواية مالك



عن نافع للسيوطي (ت:٩١١هـ[٧]) وما لا يخفى أنه لم يشتهر كتاب في الأربعينات اشتهار «الأربعون النووية».

أول من جمع أحاديث في قواعد الدين

وكذا لم يكن النووي أول من جمع أحاديث في قواعد الدين كله، بل سبقه لذلك ابن الصلاح، بل تستطيع أن تقول إن الكتاب الذي بين أيدينا وضع نواته ابن الصلاح، يقول ابن رجب: «وأملى الإمام الحافظ أبوعمرو ابن الصلاح مجلسا سماه «الأحاديث الكلية» جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثا. ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحيى النووي، رحمة الله عليه، أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثا، وسمى كتابه بالأربعين»[٨].

والأصل في تأليف الأربعينات حديث ذكره النووي في مقدمة كتابه عن جمع من الصحابة (علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ ابن جبل، وأبو الدرداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهم) من طرق كثيرات بروايات متنوعات: أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء»[٩]، وفي رواية: «بعثه الله فقيها عالما»، وفي رواية أبي الدرداء: «وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا»، وفي رواية ابن مسعود، قيل له: «ادخل من أي أبواب الجنة شئت»، وفي رواية ابن عمر: «كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء». يقول النووي: «واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه» (ا. هـ)، وهو كما قال: والحديث إن كثرت طرقه ولم يقو بعضها بعضا زادته كثرة الطرق ضعفا ومن تتبع طرقه يجد فيها من اتهم بالوضع والمتروك والمنكر والمدلس.

آراء العلماء في العمل بالحديث الضعيف

يقول النووي في مقدمة «الأربعون»: «وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال» (ا. هـ)، وفي دعوى الاتفاق نظر فقد اختلف العلماء في العمل بالحديث الضعيف على أقوال ثلاثة:

الأول: لا يعمل به مطلقا، لا في الأحكام، ولا في الفضائل، حكاه ابن سيد الناس عن يحيى بن معين ونسب إلى أبي بكر بن العربي. وهو مذهب البخاري ومسلم.

الثاني: يعمل به مطلقا إذا لم يوجد في الباب غيره، ولم يوجد ما يدفعه، ولم يشتد ضعفه، لأن شديد الضعف متفق على عدم العمل به، روي ذلك عن أحمد وأبي داود وغيرهما، وقيل إن أحمد قصد بالضعيف ما نسميه في عصرنا «الحسن» أو «الحسن لغيره»، فيرجع هذا القول إلى القول الأول.

الثالث: يعمل به في الفضائل والمستحبات والمكروهات، وعليه جمهور العلماء، لكن بشروط ثلاثة أوضحها الحافظ ابن حجر وهي:

أ – أن يكون الضعف غير شديد.

ب – أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.

ج – ألا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

والحقيقة أن الحديث ضعفه شديد، وقد افتقد شرطا للعمل به في فضائل الأعمال مما جعل النووي يعدل إلى شيء آخر يعتمد عليه. يقول النووي: ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»، وقوله ﷺ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها».

براعة الاستهلال وحسن الختام

ومما تجدر الإشادة به روعة الإمام النووي وبصمته الفائقة في براعة الاستهلال وحسن الختام، فقد افتتح أحاديثه بالنية واختتمها بسعة رحمة الله تعالى، فقال بلغة الإشارة إن من عالج النية وعمل بالأحاديث السالفة الذكر يعرض نفسه لرحمة الله تعالى إذا ابتعد عن الشرك بالله «يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

يقول النووي: «ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم» (ا.هـ)، وقد انتقدوا على النووي أحاديث ضعيفة، قد اختلف أهل العلم في

تصحيحها وتضعيفها، والصواب أنها ضعيفة، جزم بذلك كثير من المعاصرين حتى قال الألباني: «ولعل عذر المؤلف في وقوع هذه الأحاديث الضعيفة في كتابه مع حرصه على الاقتصار فيه على الأحاديث الصحيحة، إنما هو اعتماده غالبا على تصحيح أو تحسين الترمذي، وسكوت أبي داود على الحديث، ولم يتفرغ هو بنفسه لإجراء التحقيق عليها، وإلا فلو أن النووي توجه أو تيسر له النظر في أسانيد تلك الأحاديث، لتبينت له إن شاء الله عللها وضعفها»[١٠] (ا. هـ).

وممن انتقد النووي الحافظ ابن رجب الحنبلي، فقد تكلم في أسانيد بعض هذه الأحاديث، وبين ما فيها من ضعف، ومن الأحاديث التي تكلم عنها:

١- الحديث الثاني عشر: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

٢- الحديث التاسع والعشرون: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم».

٣- الحديث الثلاثون: «إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء، فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها».

٤- الحديث الحادي والثلاثون: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

٥- الحديث التاسع والثلاثون: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه».

٦- الحديث الحادي والأربعون: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به».

وللوقوف على سبب ضعفها وما في أسانيدها من علل يراجع كتاب «جامع العلوم والحكم» للحافظ ابن رجب الحنبلي، فقد أفاد وأجاد في هذا الأمر.

جمع العلماء ما يربو على الأربعين مصنفا في الأربعينات

أخطاء في المتن

ومن الأخطاء التي وقعت في المتن الذي بين أيدينا لفظة «نطفة» في الحديث الرابع، فقد ذكرها النووي ثم نسب الحديث إلى البخاري ومسلم، ومن يراجع الكتابين لا يجد اللفظة فيهما، بل ولا في الكتب الستة، فقد روى الحديث البخاري هكذا: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك...»، ولفظ مسلم: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك...»، وذكره النووي هكذا: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك...».

ولقد شككت أن يكون الخطأ من غير النووي، وأن التحريف ناتج عن التحقيق والطباعة، فالنووي هو شارح مسلم، ولأني وجدت طبعات خلت من كلمة «نطفة»، لكن وقعت في يدي مخطوطة لـ«الأربعون النووية» ووجدت فيها هذه اللفظة، مما يؤكد أن الخطأ منذ عصر النسخ، وأنه قديم، ولم تتيسر لي مخطوطة الكتاب بخط المؤلف لنعرف من أين نتج الخطأ.

والذي يرجح لي أن الخطأ من النووي، غفر الله له، أني نظرت إلى الحديث في رياض الصالحين فوجدت كلمة «نطفة» موجودة فيه، ثانيا أن النووي لم يلتزم بألفاظ من نسب الحديث إليه من أصحاب الكتب. وخلاصة الأمر أن اللفظة وردت في القرآن الكريم ووردت في حديث ابن مسعود خارج الكتب الستة في كتاب القدر لعبدالله ابن وهب المصري (ت:١٩٧هـ)[١١] برقم ٣٧، ومسند ابن الجعد (ت:٢٣٠هـ)[١٢] برقم ٢٥٩٤، والقدر للفريابي (ت:٣٠١هـ) برقم ١٢٨[١٣]، والسنة للخلال (ت:٣١١هـ) برقم ٨٩٢[١٤]، ومستخرج أبي عوانة (ت:٣١٦هـ) برقم ١١٥٦١[١٥]، والمسند الشاشي (ت:٣٣٥هـ) برقم ٦٨٢[١٦]، والمعجم الصغير للطبراني (ت:٣٦٠هـ) برقم ٤٤٢[١٧]، وشرح السنة للبغوي (ت:٥١٦هـ) برقم ٧١[١٨]، وكذا لفظة «نطفة» موجودة في حديث غير ابن مسعود فهي في المتفق عليه عن أنس[١٩] وعند مسلم من حديث حذيفة بن أسيد[٢٠]، لكن ما أثار حفيظتي أن شراح «الأربعون النووية» جميعا على ما وقع لي من شروح لم ينتبهوا لهذا الخطأ.

توصيات

وفي الأخير لا بد لمن يتصدى لتحفيظ الناشئة هذا المتن أن يتلاشى هذا الخطأ، وكذا من البديهيات أن يقرأ المتن قراءة صحيحة مضبوطة، وقد تيسر، ولله الحمد، في عصر المعلومات كثير من العلماء يقرأون الأربعين بأصواتهم أو تقرأ عليهم بأصوات تلاميذهم، والخطأ على النبي في الفتح والكسر من التقول على النبي ما لم يقل، أسأل الله السلامة لي وللقارئ العزيز[٢١].

وأستحسن لدور التحفيظ والحضانات والكتاتيب أن تقرر المتن

على أن يكون قبله كتاب في قصار الأحاديث التي لا يتعدى متنها سطرا واحدا ثم «الأربعون النووية» وبعده «الأربعون» من رواية مالك عن نافع للسيوطي[٢٢] أو السلسلة الذهبية[٢٣]، وكلا الكتابين يمتاز على «الأربعون النووية» بميزتين، أولا: ذكر سند واحد يتكرر في كل الكتاب فيحفظ مرة واحدة وهو قصير للغاية «مالك عن نافع عن ابن عمر»، وفائدته أن يتعلم الطالب أن لكل حديث سندا يعرف به صحته من ضعفه، والثاني: أن أحاديثهما من أصح الأحاديث سندا، ويتفوق عليهما النووي باختيار الأحاديث بعناية.

أما طلاب الحديث الكبار نسبيا فقد درج المعاصرون على البداية بمتن «الأربعون النووية»، ثم عمدة الأحكام للمقدسي، ثم بلوغ المرام لابن حجر، ثم المنتقى للمجد ابن تيمية، ثم ما اتفق عليه الشيخان، ثم البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما انفرد به أبو داود السجستاني، ثم ما انفرد به الترمذي، ثم ما انفرد به النسائي، ثم ما انفرد به ابن ماجه.

الهوامش

١- الأربعينات: بغير ياء النسب: عدة وحدات، كل منها يتكون من أربعين عنصرا. أما الأربعينيات: للأعوام من الأربعين إلى التاسع والأربعين.

٢- الناشر: المدينة المنورة.

٣- مكتبة القرآن - القاهرة.

٤- دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

٥- مؤسسة الريان للتراث، بيروت - لبنان.

٦- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٧- الصحابة للتراث - طنطا.

٨- مقدمة جامع العلوم والحكم لا بن رجب الحنبلي (ت:٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٩- حلية الأولياء (١٨٩/٤) لأبي نعيم الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)، السعادة، ١٣٩٤هـ، وشعب الإيمان برقم (١٥٩٦) لأبي بكر البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط١، ١٤٢٣هـ، وجامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٤) لابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ) تحقيق أستاذي أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٤هـ.

١٠- مقدمة الشيخ الألباني لكتاب «رياض الصالحين»، ص:٦.

١١- دار السلطان - مكة المكرمة.

١٢- مؤسسة نادر - بيروت ط١، ١٤١٠هـ.

١٣- أضواء السلف - السعودية ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٤- دار الراية - الرياض ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٥- الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤٣٥هـ.

١٦- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٧- المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت عمان، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٨- المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٩- البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

٢٠- مسلم برقم (٢٦٤٤)، حدث به حذيفة من قول ابن مسعود.

٢١- أفضل طبعات الأربعين النووية: طبعة دار المنهاج - الغوثاني، دمشق - دار السلام، القاهرة - دار ابن القيم، دمشق - الدار الدمشقية - دائرة المكتبة الوطنية الأردن - دار السلف الصالح القاهرة - دار الفردوس والصميعي.

٢٢- الصحابة للتراث - طنطا.

٢٣- جمعها الشيخ عمرو السروجي طبعة أصحاب الحديث.



د. خالد راتب
باحث في الشؤون الإسلامية
مصر



الأمن المجتمعي فريضة شرعية وضرورة حياتية

الأمن الفكري في مواجهة العنف والإرهاب



إن قضية العنف والإرهاب والتطرف تشغل جميع دول العالم في الوقت الحاضر، وعلى الرغم من أن الإرهاب بصفته جريمة ليس بالقضية الجديدة إلا أن الجديد في موضوع الإرهاب في الوقت الحاضر هو أن الإرهاب أصبح ظاهرة عالمية لا ترتبط بمنطقة أو ثقافة أو مجتمع أو جماعات دينية أو عرقية معينة، وما يحدث الآن في البلاد العربية والإسلامية، وكذلك الغربية من تفجيرات وقتل عنصري وطائفي خير شاهد على ذلك.

مفهوم العنف والإرهاب

العنف: «هو الممارسات السلوكية العدوانية البدنية واللفظية، والرمزية المباشرة، وغير المباشرة، والتي تتسم بعدم الرفق لإلحاق الأذى بالذات، أو الآخرين، والممتلكات بشكل مندفع، ومتهور تغلب فيه قوة الجسم، والسلطة اللسانية على قوة العقل، وأخلاقيات الإنسانية»[1].

أما الإرهاب: فقد اضطربت الآراء والمصطلحات في تحديد مفهومه، وأن كثيرين من الباحثين ذكروا تعريفات تزيد على مئة تعريف إلا أنها تخلو كلها من تحديد مفهوم الإرهاب تحديدا دقيقا يستطيع القارئ أن يفرق به بين الإرهاب وغيره، ولكن من الممكن أن نصل إلى تعريف أقرب إلى الصواب من خلال اللغة والشرع.

• تعريفه من حيث اللغة العربية

الإرهاب مصدر أرهب يرهب إرهابا من باب أكرم وفعله المجرد (رهب)، والإرهاب والخوف والخشية والرعب والوجل كلمات متقاربة تدل على الخوف إلا أن بعضها أبلغ من بعض في الخوف، وإذا تتبعنا هذه المادة في القرآن الكريم مادة رهب أو أرهب وجدناها تدل على الخوف الشديد

قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة:٤٠) أي خافوني، وقال تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ (الأنبياء:٩٠) أي طمعا وخوفا، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ (الأنفال:٦٠) أي تخيفونهم.

• أما مفهوم الإرهاب في الشرع: فهو قسمان

أولا: قسم مذموم ويحرم فعله وممارسته وهو من كبائر الذنوب ويستحق مرتكبه العقوبة والذم وهو يكون على مستوى الدول والجماعات والأفراد، وحقيقته الاعتداء على الآمنين بالسطو من قبل دول مجرمة أو عصابات أو أفراد بسلب الأموال والممتلكات والاعتداء على الحرمات وإخافة الطرق خارج المدن والتسلط على الشعوب من قبل الحكام الظلمة من كبت الحريات وتكميم الأفواه ونحو ذلك.

ثانيا: وقسم من قبيل إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠) فهذه الآية الكريمة نص في أنه يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يرهبهم العدو ويحسب لهم ألف حساب.

أشكال العنف والإرهاب

صور وأشكال العنف والإرهاب متعددة، ويمكن إجمال هذه الصور والأشكال في قسمين:

١- عنف وإرهاب قولي: ويكون باللسان كالشتم والسب والتهديد، والاستهزاء، وغير ذلك من البذاءات القولية.

٢- عنف وإرهاب فعلي: ويتم باستخدام البدن بهدف تحقيق ضرر مادي ومعنوي، كالضرب والقتل، والإيذاء البدني، ولا يعد من قبيل العنف والإرهاب تأديب المجرمين عند الحاجة لذلك، ولا تأديب الآباء لأبنائهم عند ترك الصلاة بعد تجاوز سن العاشرة، قال النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»(٢).

أسباب ظاهرة العنف والإرهاب

تتعدد وتتداخل العوامل والأسباب التي تسهم في رفع درجة معدل ظاهرتي العنف والإرهاب، ولكن هناك بعض الأسباب التي تسهم بدرجة أكبر من غيرها في إحداث هاتين الظاهرتين، ومن هذه الأسباب:

١- الجهل والغباء الفكري

يعد الجهل سببا رئيسا في انتشار العنف والإرهاب، وخصوصا عندما يستغل الدين استغلالا خاطئا من فئة ترى قتل الأبرياء جهادا في سبيل الله، فلا مصيبة أعظم من الجهل، فالجهل سبب لإضاعة الدين والدنيا، فالتطرف والتشدد في الدين والغلو فيه إنما سببه الجهل بدين الله، فهذه الجماعات التي تستبيح الدماء والأموال والأعراض إنما قادها لارتكاب هذه الموبقات ولاشك جهل بالدين بلغ الغاية، ولا يغرن أحدا ما يرددونه من آيات الكتاب العظيم أو نصوص السنة النبوية، فقد حفظوها وغاب عنهم ما تدل عليه، فهو جهل مركب يجهلون الدين ويجهلون أنهم جاهلون.

٢- ضعف الوازع الديني والبعد عن منهج الله

إذا ضعف الإيمان، وابتعد الناس عن منهج الله، ولم يقفوا عند حدوده ظهر العنف والإرهاب في شتى المجالات، فإنه من لم يردعه دينه، وخوفه من الله، فقد يبطش ويظلم ويقتل ويكره ويحقد ويحسد ويسب ويشتم، وغير ذلك من السلوكيات المنحرفة، لذا قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»(٣).

٣- الظروف الاقتصادية السيئة

الظروف الاقتصادية السيئة تشكل عائقا في طريق بناء الشخصية السوية، وأول تلك المشكلات انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة، حيث يسهم في ظهور العنف والإرهاب لدى الأبناء وذلك لما يترتب عليه من فشل في إشباع حاجاتهم النفسية مما قد يدفعهم إلى البحث عن أساليب وطرق ملتوية لإشباع رغباتهم وحاجاتهم، ومن المشكلات الاقتصادية التي تعد سببا رئيسا لمشكلة العنف والإرهاب مشكلة انتشار البطالة، فالبطالة تؤدي إلى خلق الشخصية العدوانية المضادة للمجتمع، وقد أشار العديد من باحثي علوم الجريمة –وتؤيدهم الإحصائيات الجنائية على مستوى العالم– إلى أن الكثير من مرتكبي جرائم العنف والإرهاب لا ينتمون فقط إلى أسر متدنية الدخل الاقتصادي، بل ويعانون أيضا من حالة البطالة(٤).

٤- ضعف التنشئة الأسرية الصحيحة

الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين شخصية الأبناء، وهي صاحبة الدور الأساسي في بناء وتقويم وتهذيب سلوكه، وهي كذلك صاحبة الدور الأكثر تأثيرا في الانحراف والعنف والإرهاب، فكل مولود يولد على الفطرة، ولكن الانتكاسة عن الفطرة تكون بسبب التنشئة الخاطئة، عن أبي هريرة أنه كان يقول قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ (الروم:٣٠)»(٥).

٥- الرفقة السيئة

الصحبة السيئة لها دور كبير في عنف وانحراف الشباب؛ لذلك فإنك تجد أكثر من أودع في السجون والإصلاحيات لديهم أصدقاء

منحرفون، فالمرء على دين خليله، وهذا ما بينه رسول الإسلام ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[٦]، وقد أشارت معظم الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع الرفاق وعلاقتهم بالانحراف إلى أن معظم المنحرفين المقبوض عليهم والمودعين في المؤسسات الإصلاحية كانوا على علاقة بأصدقاء آخرين منحرفين[٧].

٦- التوجه الإعلامي الخاطئ وغير المسؤول

لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة دور رئيس في شيوع العنف والإرهاب؛ وذلك لما يحتوي عليه مضمونها من عرض لمواد عدوانية ومشاهد عنف تؤثر على سلوك الذي يتابع هذه المواد والبرامج الإعلامية، وهذه المشكلة مشكلة عالمية طالت آثارها العالم كله، كما أن هذا الإعلام يبث فكرا إرهابيا، ويلبسون على الناس دينهم.

٧- الاستخدام السيئ لشبكات الإنترنت

إن لشبكات الإنترنت أثرا بارزا وقويا في بروز سلوك العنف والإرهاب، فسوء استخدام الإنترنت من قبل الأطفال والشباب وغيرهم من غير ضبط وتوجيه وفي غياب الرقابة لدى الآباء وأولياء الأمور له عواقب وخيمة، فقد يتلقف الناس لكثرة ترددهم على المواقع المختلفة أفكارا شاذة وخطيرة تؤدي بهم إما للغلو واستباحة دماء المسلمين، أو إلى الاستهانة بالمحرمات واستمراء الوقوع فيها، فيغيب الوازع الديني الذي يردعهم عن ارتكاب الكثير من الأمور المحرمة، التي يشوبها العنف والظلم.

٨- الفكر الأحادي وضيق الأفق وتقديس الآراء

ظهرت فرق كثيرة اعتقدت امتلاك الحقيقة، ووظفوا معتقداتهم لصالح هيمنتهم الأيديولوجية وبدا أن هناك نهوضا لفتاوى التجريم والمروق من الدين، وهذا الفكر الأحادي يمهد لإحداث سلسلة حافلة بالأخطاء ويعطي المبرر الشرعي والغطاء الرسمي لتكريس ظاهرة العنف تحت ذريعة المعتقد والمذهب والدين، وهذا التعصب الفكري والعقدي ينفي حق وجود الآخرين من الأساس ويغلق الحديث عن التفاهم والتواصل، ولا يعرف أصحاب هذا الفكر إلا لغة العنف والإرهاب.

٩- الخلل في التكوينات النفسية

إن العنف والإرهاب لا يلجأ إليه بذاته اللهم إلا تعبيرا عن حالة نفسية أو مرضية على المستوى الشخصي وهو ما يعرف بالـ(Pathological Terrorism) (الإرهاب المرضي).

١٠- غياب الحوار

إن فتح قنوات الحوار أمر إيجابي يسحب دعاة التعصب من سراديب السرية ويضع أمامهم خيارات التفكير بصوت عال من ناحية، ويضع فكر ومعتقدات التطرف تحت مطارق النقد والمصارحة والمكاشفة من ناحية أخرى.

١١- إضفاء الشرعية على الممارسات الإجرامية

الأعمال الإرهابية التي تمارس ضد الأفراد والمجتمعات يحاول أصحابها إضفاء الشرعية عليها، فقد خطب زياد بن أبيه في أهل البصرة عندما قدمها عاملا عليها لمعاوية فقال: «أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا».

سبل مواجهة العنف والإرهاب

من أهم العوامل التي تقضي على العنف والإرهاب تحقيق الأمن الفكري، ويتحقق الأمن الفكري بعدة وسائل منها:

١- تحقيق الاحتياجات الأساسية والنفسية للنفس البشرية: وهذه نقطة مهمة جدا في علاج العنف والإرهاب؛ لأن البحث في الحاجات الأساسية والنفسية للنفس البشرية تسهم بشكل مباشر في صياغة حياته وشخصيته والحفاظ على كيانه وكلما انتهكت هذه الحاجات أدى إلى الانتقاص من آدميته وأضرت بحقوقه وأصبحت الفرصة مهيأة لانتحاء الأشخاص نحو ممارسة سبل أقرب للعنف وهذه الحاجات تتحقق بالآتي:

- **العدل السياسي:** ونعني به الاعتدال وعدم تجاوز الحد في العلاقة بين كل من الراعي والرعية، وفي سلوك كل منهما تجاه نفسه وتجاه الآخرين من غير الرعية بحيث يلتزم كل طرف بحقوقه وواجباته، على النحو الذي يؤدي إلى خلق التوازن والطمأنينة داخل المجتمع وخارجه.
- **العدل الاجتماعي والاقتصادي:** ونعني به تمكين كل إنسان من أن يعيش عيشة كريمة غير مقطوع ولا ممنوع، وليس معنى العدالة الاجتماعية محو الفقر، فإن الفقر والغنى حقيقتان ثابتتان في الوجود، لا يمكن محو أحدهما، إنما العدالة الاجتماعية والاقتصادية تقتضي محو التفرقة بين الطبقات.. حيث تتوافر العيشة الكريمة لكل فرد[٨].
- **المشاركة:** المشاركة هي الأرضية الأساسية لحياة اجتماعية مشرقة مستقرة، حيث تظهر المشاركة قدر

الفرد وقدرته على القيام بواجباته وتحمل مسؤولياته بضمير حي وروحية صافية، وإرادة ثابتة، وتقوم الثقافة بمختلف مستوياتها -وعلى رأسها الثقافة الإسلامية- بدور مهم في مجال المشاركة الاجتماعية، فالثقافة هي همزة الوصل بين الفرد والواقع الاجتماعي. منها نتعلم أصول العلاقات الإنسانية ونستدل على سبل التعايش الإنساني والاجتماعي السليم. فلابد من المشاركة الوجدانية والعملية كي تتحقق سعادة الفرد، فكل فرد يكمل الفرد الآخر لإقامة بنيان واحد، دل على ذلك أحاديث نبوية كثيرة مثل: «ذمة المسلمين واحدة، تتكافأ بها دماؤهم، وهم يد على من سواهم»[٩]، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[١٠]. وهكذا تنمي الشريعة في نفس كل مسلم الشعور بالمسؤولية الجماعية، وتدفعه إلى المشاركة العملية بباعث المشاركة الوجدانية أو الإيمان الذي يربطه بإخوته في العقيدة برباط متين لا تنفصم عراه. فيتضامن جميع الأفراد في سبيل تحقيق سعادة المجموع، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

• **التسامح:** التسامح ممارسة يمكن أن تكون على مستوى الأفراد والجماعات والدول، وهو مبدأ ينبثق عنه الاستعداد للسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي تتعارض مع أفكارنا ومصالحنا. ويمكن تعريف التسامح بأنه: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة، وإن المجتمع الإنساني ينطوي على درجة كبيرة من التباين والتوحد في الوقت نفسه، يتجلى التباين في العدد الكبير من الأعراق والأجناس والأديان والقوميات التي تحمل قيما ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة، ويتجلى التوحد في أن كل أعضاء هذه الجمعيات يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم وعلى ذلك، فإن ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم، ولكن لماذا العنف والصراع والحقد والكراهية التي يشهدها العالم اليوم؟! وفي العصر الحالي فإن احتكاك المجتمعات بعضها ببعض وتشابك المصالح بينها نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات والمواصلات جعل من التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لا بد منها لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها. إن العالم بحاجة إلى التسامح. ومتى انعدمت أو قلت هذه القيم السابقة في مجتمع ما، كان عرضة لبروز التعصب والعنف والإرهاب.

٢- الفهم الصحيح وتكريس الأصول المعرفية بمفاهيم الحرية والتعددية وتحديد معالم الفكر الصحيح:

إن الفهم الصحيح -وخصوصا عندما ينطلق من رؤية شرعية سليمة- يدعم مشاركة الفرد في القيام بمسؤولياته وهو أيضا يشترط الالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير والاهتمامات الاجتماعية ومقاومة الضغوط وتنسيق الجهد الشخصي التعاوني، كما يشمل التقارب الفكري والمساهمة في المناقشة المتعقلة وتحديد النقاط التي يجب اعتمادها للوصول إلى الغاية التي تخدم المصلحة العامة؛ وذلك لأن التعاطي العقلاني يجعلنا نواجه الأزمات مواجهة مسؤولة، وحين يكون استعدادنا لتحمل المسؤولية الاجتماعية معتمدا على القوى الذاتية (العقل والعاطفة والتكامل النفسي) يعطي ثماره الجيدة، كما أن الفهم يعني إدراك الفرد للظروف المحيطة بالعمل الجماعي، كما يقتضي تقدير المصلحة العامة والدفاع عن دينه ووطنه والعمل على رفعتهما وازدهارهما.

كما أنه يجب تصحيح بعض المصطلحات التي تنطلق منها جماعات العنف والتطرف كالحاكمية، والجاهلية، والتقسيم الخاطئ للديار ..وغير ذلك، وهذا التصحيح المعرفي يجب أن تسارع إليه المؤسسات الدينية وعلى رأس هذه المؤسسات الأزهر الشريف.

٣- الإيمان والعمل الصالح: جاء ذكر الإيمان مع العمل الصالح في القرآن الكريم كركيزتين مهمتين في تحقيق الأمن والطمأنينة والسكينة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله من الأمن والسكينة والتمكين حقيقة ضخمة، تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط، وبناء وإنشاء، موجه كله إلى الله؛ لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، فهو

الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه. وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعا.

٤- فتح حوار مع المتطرفين لمعرفة الأغلوطات العقدية والفكرية والقيام بعملية تصحيح ومراجعات فكرية كسبيل لوقف تماهي التطرف فيهم.

٥- سد الذرائع المفضية إلى العنف والإرهاب والنهي عن ترويع النفس:
حيث حرصت الشريعة الإسلامية على سد الذرائع المفضية إلى العنف والإرهاب، فحرمت حمل السلاح على المسلمين قال النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[١١]، ونهى النبي ﷺ عن الإشارة بالسلاح على أحد من الناس، ولو بغير قصد الإيذاء، فقال ﷺ: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار»[١٢]، ونهى كذلك ﷺ عن الخذف[١٣] لأنه قد يكسر السن أو يفقأ العين، فعن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أنه رأى رجلا يخذف فقال له لا تخذف فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال: «إنه لا يصاد به صيد ولا ينكأ به عدو ولكنها قد تكسر السن وتفقأ العين»[١٤].

كما نهى الإسلام عن الترويع وإن كان من باب الفكاهة، فعن عبدالرحمن ابن أبي ليلى أنهم كانوا يسيرون مع النبي فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع، فقال النبي: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما»[١٥]، وقال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديده، فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأمه وأبيه»[١٦]. والحديث يؤكد على عصمة الدم، وهذا التحريم يشمل المسلم وغير المسلم.

٦- العقوبات الإسلامية والمواجهة المباشرة عند فشل المحاورات والمراجعات الفكرية: تسعى الشريعة الإسلامية إلى غرس المثل العليا والأخلاق الفاضلة في النفوس، والحث على التربية الذاتية والمراقبة لله -تبارك وتعالى- ولكنها قد تلجأ إلى العقوبات للحاجة إلى ذلك، ولا تلجأ الشريعة الإسلامية إلى العقوبات إلا في أضيق الحالات حفظا لنظام المجتمع، ولدرء الفساد عنه فإنه لا يخلو مجتمع من أناس تستحكم فيهم الغفلة ويشتط بهم الغضب فلا يتعقلون الأمور وربما يستهتر بعضهم ويتساهل بالعقاب الأخروي لكونه غير محسوس وغير حاضر، فيقدم على القتل الاعتداء على المسلمين؛ لذا شرع الله سبحانه عقوبة دنيوية حاضرة تزجر من أراد سفك الدم الحرام بغير حقه[١٧].

فالعقوبات الإسلامية شرعت صيانة للأنفس المعصومة؛ وحفظا لدماء وأعراض وكرامة الناس وإن تطبيق العقوبات الإسلامية من إقامة للحدود والقصاص والتعزير، له أعظم الأثر في منع العنف والإرهاب، وتحقيق الأمن في المجتمعات، وصيانة الأنفس من القتل والإيذاء والتعدي، بالإضافة إلى المواجهة المباشرة عند فشل المحاورات والمراجعات الفكرية لردع هذا الإرهاب الأسود الذي لا يفرق بين ديانة وأخرى، ولا بين مدني وغيره، فيقتل الصغير والكبير دون رحمة ولا رأفة.

الهوامش

١- فعالية الإرشاد الانتقائي في خفض مستوى سلوك العنف لدى المراهقين دراسة تجريبية رسالة دكتوراه، إعداد: / عبدالله بن علي أبو عراد الشهري، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم علم النفس، ص: ٦٧.

٢- رواه أحمد في مسنده، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، وقال الإمام النووي في رياض الصالحين ١/١٢٠ (رواه أبو داود بإسناد حسن).

٣- أخرجه البخاري - كتاب المظالم والغصب - باب النهبى بغير إذن صاحبه وقال عبادة بايعنا النبي ﷺ ألا ننتهب.

٤- انظر: العلاقة بين العنف الطلابي وبعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، خالد بن حميد الخطابي، ص: ٣٤، والعلاقة بين العنف الأسري والعنف المدرسي لدى عينة من طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة جدة، مسفر محمد المليص الغامدي، ص: ٣١.

٥- أخرجه مسلم- كتاب القدر- باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

٦- رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال الترمذي: (حديث حسن).

٧- العلاقة بين العنف الأسري والعنف المدرسي لدى عينة من طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة جدة، رسالة ماجستير، مسفر بن محمد المليص الغامدي، ص: ٢٨.

٨- خاتم المرسلين للشيخ أبي زهرة ص ٦٥٣ بتصرف.

٩- متفق عليه.

١٠- متفق عليه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

١١- أخرجه البخاري من حديث عبدالله بن عمر، كتاب الفتن، باب من حمل علينا السلاح.

١٢- أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الفتن، باب من حمل علينا السلاح.

١٣- الخذف: الرمي بالحصى الصغار أو نواة بأطراف الأصابع، انظر: لسان العرب، مادة حذف (٢٣/٥).

١٤- أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب الخذف والبندقة.

١٥- أبو داود: كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٥٠٠٤).

١٦- مسلم عن أبي هريرة: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

١٧- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د.محمد سعد بن أحمد اليوبي، ط ١، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ، ص: ٢١٢.



القاهرة
محمد عبدالعزيز يونس
دار الإعلام العربية





الباحث: محمد عبدالناصر العنتبلي

نال بها العنتبلي «الدكتوراه»

القصة القصيرة في مجلة «الوعي الإسلامي»

«القصة القصيرة في مجلة الوعي الإسلامي من العام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .. دراسة تحليلية وفنية».. تحت هذا العنوان، كان موضوع رسالة الدكتوراه للباحث المصري محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، المدرس المساعد بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر الشريف، والتي تمت مناقشتها أخيرا بالكلية ذاتها، وانتهت بقرار لجنة المناقشة باستحقاق الباحث درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى، وأوصت بطباعة الرسالة، وتداولها بين الجامعات مع الإشادة بما تقدمه مجلة «الوعي الإسلامي» من مضامين هادفة في شتى أبوابها، ومن بينها مجال القصة القصيرة الذي كان مناط الرسالة.

لجنة المناقشة - التي تكونت من الأساتذة: د. علي أحمد عبدالهادي الخطيب، أستاذ الأدب والنقد المتفرغ وعميد كلية اللغة العربية للبنين بجرجا سابقا، مشرفا أساسيا، د. عصمت محمد أحمد رضوان أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا، مشرفا مشاركا، د. حنفي محمود مصطفى شطير أستاذ الأدب والنقد المتفرغ بكلية اللغة العربية بجرجا، مناقشا داخليا، د. محمد طه عصر أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة وأمين سر اللجنة العلمية لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالجامعة، مناقشا خارجيا - عبرت عن أملها في أن تحذو المجلات الأخرى حذو مجلة «الوعي الإسلامي» في تقديم الفكر والثقافة النافعين لكل قارئي العربية على اختلاف ثقافاتهم.



القصة القصيرة فن الفنون

أما الباحث محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، فقد استعرض أهم جوانب رسالته، بادئا بحمد لله، والصلاة والسلام على خير من اصطفاه من بريته، سيدنا محمد أفصح العرب لسانا، وأحسنهم بيانا، وأعذبهم منطقا، وعلى آله وصحبه، وذريته.

وأوضح أن القصة القصيرة جنس أدبي يعالج القضايا معالجة دقيقة، وأنها فن يجمع من كل الفنون... ففيها من القصيد بناؤه وتماسكه، ومن الرواية الحدث والشخوص، ومن المسرح الحوار ودقة اللفظ وإحكام اللغة، وفيها من المقالة منطقية السرد ودقته، وهي بذلك تأخذ من كل فن أدق وأجمل ما فيه لتقدم لنا إمتاعا فنيا راقيا يضعها في مصاف فنون الكتابة التي ازدهرت في القرن العشرين فهي باقة ورود جميلة، حوت من كل بستان زهرة، لتكون بين يدي المتلقي من أجمل وأمتع الفنون الأدبية.

وتابع قائلا: لا عجب إذن أن تكون القصة القصيرة في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية هي محور هذه الأطروحة العلمية التي عنوانها «القصة القصيرة في مجلة «الوعي الإسلامي» من العام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .. دراسة تحليلية وفنية».

أضاف الباحث قائلا: من يطالع القصة القصيرة في مجلة «الوعي الإسلامي» يلحظ أنها قد ضمت حكما تمثل خلاصة تجارب الحياة. وعلى الرغم من أن نصوص تلك القصص أتت في إيجاز، إذ لا تتجاوز كل قصة الصفحة أو الصفحتين، إلا أن نصوص هذه القصص نسجتها يد صانع ماهر، ولا غرو في ذلك؛ فناسجها وبانيها، ومحدث الصور في معانيها هم نخبة من خيرة كتاب العالم العربي.

وعدد الباحث أسباب اختياره لهذا الموضوع فيما يلي: منه ما تتميز به قصص المجلة من قيم جمالية وفنية، إضافة إلى قلة الدراسات الأكاديمية التي عنيت بالأجناس الأدبية النثرية داخل المجلة لا سيما القصة القصيرة.

ربط بين المنهجين التحليلي والاستقرائي

وعرض الباحث منهجه في الدراسة وأنه قائم على الربط بين المنهج الفني التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والاستفادة منهما، في تحليل بعض الآراء ونقدها.

موضحا أنه قام بعزو الآيات القرآنية إلى سورها، وخرج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها، ووثق الأبيات الشعرية من مصادرها ونسبها إلى بحورها وقائليها ما أمكن ذلك، كما ترجم لأغلب الأعلام التي وردت في البحث، وعرف بالمواضع والبلدان وغريب المعاني، ثم ذيل البحث بفهارس فنية متنوعة تتيح للقارئ سهولة الوصول إلى ما أراد داخل البحث.

وتناول في المحور الأول من التمهيد تعريفا بمجلة «الوعي الإسلامي»، ودورها الثقافي، وفي المحور الثاني إطلالة موجزة على نشأة القصة القصيرة، وتطورها، وارتباطها بالصحافة.

وأشار إلى الباب الأول الذي جاء بعنوان «المضامين الفكرية للقصة القصيرة في مجلة الوعي الإسلامي» واشتمل على خمسة فصول، تناول في الأول منها المضمون التاريخي، وفي الثاني المضمون الاجتماعي، وفي الثالث المضمون السياسي، وفي الفصل الرابع تناول المضمون العجائبي، وفي الخامس المضمون الفلسفي.

بينما جاء الباب الثاني بعنوان «الظواهر الجمالية والفنية للقصة القصيرة في مجلة الوعي الإسلامي» واشتمل على خمسة فصول - أيضا - تناول في أولها الحديث عن الشخصية، وفي الثاني الحدث، وفي الثالث الزمان، وفي الرابع المكان، أما الفصل الخامس فأفرده للغة، ثم بعد ذلك جاءت الخاتمة وفيها رصد الباحث أهم النتائج التي خلص إليها، أردفها بثبت المصادر والمراجع ثم الفهرس.

وأثنى الباحث على خالقه الذي لا تحصى نعمه، الذي وفقه لإنجاز بحثه قائلا:

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله
على نعم ما كنتُ قط لها أهلا
إذا زدت عصيانا تزيد تفضلا
كأني بالعصيان أستوجب الفضلا

كما أثنى على أساتذته أعضاء اللجنة، ووصفهم بورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

مؤكدا أن بحثه حظي بإشراف كوكبة كريمة من العلماء الأفاضل، والاساتذة الأجلاء، وقدم لهم من الشكر أجزله، ومن الثناء أعطره.. مستذكرا في الوقت ذاته روح والده الذي زرع فيه حب العلم وحرصه الشديد، وأمنيته الكبيرة في أن يبلغ أعلى مراتب التعليم، ولو كلفه ذلك ما لا يطيق.

وختم الباحث حديثه بعهد أمام الجميع:

سأظل أزرع ما حييت وإن أمت
قبل الحصاد ففي الجنان حصادي
أنا لست أعجل بالحصاد فنظرتي
فيما زرعت فسيحة الأبعاد

مجلة هادفة

بدأ د. محمد طه عصر أستاذ الأدب واللغة بكلية اللغة العربية أمين اللجنة العلمية لترقية أساتذة الجامعة والأساتذة المساعدين، كلامه بشكر الحاضرين والترحيب بهم، ثم الثناء على البحث والباحث، ومجلة «الوعي الإسلامي» ودورها الرائد في بناء المجتمعات، كذلك خلوها من الهفوات اللغوية، أو الأخطاء المنهجية في التحليل، وأكمل حديثه بأن الباحث نواة لباحث جيد نشيط، ظهر ذلك من خلال حرصه على اختيار موضوع جديد، ومجلة قوية هادفة تتميز بالمنهجية والانضباط، والحرص على جمع كل المادة العلمية من مصادرها الأصلية، كذلك الجهد المبذول في الرسالة من تطويع للأدوات الفنية واستخدامها في التحليل والعرض.

إلا أن د. عصر توقف عند بعض مصطلحات التحليل النفسي التي سردها الباحث في رسالته، وطلب منه الإفصاح عن مفهومها والفروق الدقيقة بين كثير منها أمام الحاضرين: كالخوف، القلق، الاكتئاب، الانسحاق، الاغتراب، الذكاء، الفطنة، الغرائبي، والعجائبي، فعرفها الباحث، وطلب د. عصر من الحاضرين تحية الباحث، ثم عقب قائلا: من أين لك هذا؟ وأنت لم تدرس علم النفس، فأجابه الباحث العنتبلي قائلا: درست بعضا منه في مرحلة الدراسات العليا بالقاهرة، كذلك من خلال القراءة لكثير من المؤلفات التي تهتم بالتحليل النفسي للأدب، وهذا اتجاه تفرد به الباحث عن غيره.

واختتم د. عصر كلامه قائلا: البحث رائع لباحث رائع ولجنة إشراف أروع تستحق كل التحية والتقدير.

نشر الوسطية

بدوره، عدد د. حنفي محمود مصطفى شطير محاسن الرسالة، ومن أهمها اختيار الموضوع الهادف، وأشار إلى أنه كان من ضمن اللجنة التي وافقت على تسجيل الموضوع منذ بدايته، وأوضح للحاضرين أنه من قراء مجلة «الوعي الإسلامي» بصفة دائمة، وأن جميع أعداد المجلة موجودة معه، لما تتميز به من دقة في اختيار الموضوعات.

وأشار إلى ضوابط النشر الخاصة بالمقالات والكتاب أنفسهم، وقام أيضا بالثناء على المجلة ودورها الهادف في نشر الوسطية في المجتمع، كما أثنى على الرسالة وخطتها المحكمة، والمنهج المتبع فيها، وأسلوب الباحث في التحليل، وخلوها من الأخطاء اللغوية، وحسن تنسيق صفحاتها، وتمكن الباحث من أدواته، وترجمته للأعلام الواردة في الرسالة.

ثم استطرد معلقا على طول المدة التي ترصدها الدراسة والتي قاربت الخمسة والثلاثين عاما بما يعني أن الباحث طالع ما يقرب من أربعمئة وواحد وعشرين قصة قصيرة في المجلة، واستطرد سائلا كيف جمعت كل المادة العلمية الخاصة برسالتك؟ ومن أين لك بها؟

فأجاب الباحث بأنه بعد التواصل مع هيئة تحرير المجلة عن طريق كتاب موجه من الباحث يطلب فيه التعاون معلوماتيا، أرسل إليه القائمون على المجلة كل ما أتيح لهم من معلومات، وأشار إلى أنه قام بتحميل جميع أعداد المجلة من موقعها الإلكتروني على شبكة الإنترنت بصيغة pdf موافقة للمطبوع، ما سهل له قراءة كل نتاج القصة القصيرة في المدة قيد الدراسة.

لجنة الحكم

خلت اللجنة للمداولة نحو خمس دقائق في غرفة مجاورة للقاعة، ثم عادت لتعلن النتيجة أمام الحاضرين بحصول الباحث: محمد عبدالناصر محمد العنتبلي المدرس المساعد بقسم الأدب والنقد بالكلية على درجة الدكتوراه في اللغة العربية قسم الأدب والنقد بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالطبع والتداول بين الجامعات.



مياسة النخلاني
قاصة يمنية

يد أمي الدافئة

بعد يوم مرهق عدت إلى البيت، فتحت الباب على وجه أمي الجالسة على كرسيها المعتاد في الصالة، جلست بجانبها بعد أن ألقيت السلام.

- هل أنهيت عملك؟

سألتني من دون أن ترفع عينيها عن شاشة التلفاز.

- نعم.

أجبت وأنا أمني نفسي أن تواصل الحديث معي، لكنها لم تفعل. التفت ناحيتها، فإذا بتركيزها منصب كله على برنامجها المفضل. التفتت إلي فجأة وهي تقول: «كدت أنسى، هل أحضرت رسوم دراسة أخيك، فغدا آخر موعد لتسليم الرسوم؟».

- نعم، فعلت.

تنهدت وفوضت أمري إلى الله، فمنذ أن أصبحت المسؤول عن البيت، افتقدت حنانها واهتمامها بي كما في السابق، وبت أشعر أني مجرد آلة لا يتذكرها الآخرون إلا عندما يحتاجون إليها.

أخرجني من شرودي صوت الباب وهو يفتح لتهرع أمي ناحية أخي الصغير الذي دخل للتو، حملت عنه حقيبته وهي تعيد ترتيب شعره وملابسه.

- كيف كان يومك؟ سألته باهتمام.

- أنا جائع. رد عليها بلا مبالاة.

أجلسته على الكرسي وتحركت بخفة نحو المطبخ غير عابئة ببرنامجها الذي يوشك على الانتهاء.

(ليتها سألتني كيف كان يومي) تمتمت وأنا أتوجه إلى غرفتي. توقفت فجأة وسألت بعصبية مبالغ فيها:

- هل أنا كيان غير مرئي في هذا البيت؟!

- ماذا؟! (سألت أمي وهي تطل من باب المطبخ).

- لا شيء، اعتني بأولادك جيدا. قلتها ودخلت غرفتي موصدا الباب بقوة.

رميت بجسدي المنهك على السرير، وارتمى على صدري ثقل منعني من التنفس؛ يتضاعف شعوري بالمرارة كلما دخلت البيت، تتحول جدرانه إلى قضبان حديدية تكتم أنفاسي: لماذا يستند علي الجميع ولا أجد من يسندني ويهتم

بي؟! لماذا علي أنا أن أتحمل هذا الثقل وحدي؟! ولماذا علي أن أخسر ذاتي كي أوفر حياة كريمة لمن لا يشعر بي؟!
أنهكتني الأسئلة المتزاحمة في رأسي، حاولت أن أنام لكني عجزت، فثمة ما يشتعل في صدري ورأسي، وبرد خفي يتغلغل في مسامات جسدي، تدثرت جيدا، أغمضت عيني وانزلقت في متاهة لا نهاية لها، تارة أغرق في بحر بارد كالثلج وتارة أجدني وسط نار مشتعلة.
حين فتحت عيني كان شعوري بالبرد والحر قد اختفى، وثمة شيء بارد على جبهتي، حاولت رفع يدي لكن ثقلا ما ثبتها على السرير، رفعت يدي المتحررة فأمسكت بمنشفة مبللة وضعت بعناية على رأسي، أبعدتها وحركت رأسي لجانبي فإذا أمي تمسك بيدي وتريح رأسها على ذراعي، شعرت بدفء عذب يتسلل من راحة يدها القابضة على يدي، ابتسمت لهذا الشعور الذي افتقدته منذ وقت طويل، سحبت يدي برفق فرفعت رأسها على الفور:
- هل صحوت؟! هل أنت بخير؟! سألت وهي تضع راحة يدها على جبهتي.
- ما الذي حدث ولماذا أنت هنا؟ سألت بصوت ناعس.
- كنت تئن أثناء نومك.
- حقا؟!
- لماذا لم تخبرني أنك مريض؟ سألت دون أن تنتظر مني إجابة، إذ قامت على فورها وتوجهت إلى الباب، وقبل أن تغلقه رأيت أخي واقفا فعلمت أنها ستذهب لتعد له الفطور.
- لا يهم. واسيت نفسي وأنا أحاول مغادرة السرير.
- أين ستذهب؟! سأل أخي الذي دخل للتو وهو يضع الحقيبة على الأرض ويجلس بجانبي.
- لعملي.
- هل كنت جادا بما قلته لوالدتنا البارحة؟!
- لا تهتم.
اقترب مني وهو يقول:
- هل حقا لم تنتبه أم أنك تدعي الغباء؟
- أنتبه لماذا؟!
- أمي لا تعتني بسواك.
- أنا متعب، اذهب إلى مدرستك واتركني لشأني.
- سأفعل. قالها وهو ينهض ثم أكمل: ألم تنتبه أن أمي حين تكون في البيت لا تغير قناة الأفلام الوثائقية؟!
- وما شأني أنا بها؟!
- ما شأنك؟! هي لا تغير القناة إلا حين تضع مفتاحك على الباب ولن تغيرها مهما حدث إلا عندما تخرج.
- لماذا؟!
- هل نسيت شغفك بالتصوير الفوتوغرافي؟! كم حدثت أمي بهذا الشأن وكم بكيت لتحصل على كاميرا احترافية ولم يهدأ لك بال حتى اشتراها لك والدي رحمة الله عليه.
- كان هذا في الماضي.
- لكنها تشعر بالذنب كلما رأتك تغرق نفسك في العمل، تريد منك أن تخفف عن نفسك قليلا وتخصص من وقتك لحلمك، تتمنى لو أن هذه البرامج تثير رغبتك لاحتراف التصوير مجددا.
- بدليل أنها لا تبعد عينيها عن الشاشة كلما جلست إلى جانبها.
- تدعي الاهتمام لعلك تهتم.
- ربما!
- يا أخي، ألا تراها تلاقينا عند الباب كلما دخلنا البيت؟!
- بلى.
- مجرد أن ندخل تهمس لنا بأنك متعب وعلينا أن نلتزم الهدوء، فالبيت موجود فقط كي يكون هادئا لأجلك.
- لكنها لا تؤخر شيئا يخصكم.
- كي لا تتذمر فنزعجك.
- ربما.
- مجددا ربما. كما تشاء.
حين رحل كانت أمي قد أعدت لي الفطور، أكلته وغادرت رغم إصرارها علي أن أبقى في البيت، ربما كان أخي على حق!
حين عدت كانت أمام شاشة التلفاز كعادتها، لكني ركزت بالفعل أنها غيرت القناة بمجرد دخولي، جلست إلى جانبها.
- هل تحبين البرامج الوثائقية؟! سألتها دون أن أرفع عيني عن الشاشة.
- أنت تحبها (أجابت بحزم).
تابعت معها بصمت، حين دخل أخي هرعت كعادتها إليه، ولاحظت إشارة التحذير التي بادرته بها (يبدو أنه على حق).. تمتمت وأنا أشعر بالخجل، كنت قاسيا عليها البارحة، بل قاسيا عليهم جميعا، لشهور طويلة شيدت سدا منيعا من الغضب والقهر بيني وبين عائلتي، مستندا إلى شعور مخادع بأني الضحية الوحيدة للوضع الراهن، نظرت فقط لما أقدمه أنا وغذيت شعوري بالظلم والقهر على حساب حبي لهم، فابتعدت عنهم دون أن أشعر، ولو فتحت قلبي قليلا لأدركت أننا جميعا بنفس المعاناة، وكل واحد منا يتنازل عن بعض حقوقه حتى لا يختل المركب ويستمر في الإبحار بثبات وتماسك.
قمت من مكاني متجها إلى غرفتي.
- ألن تأكل؟! سألت والدتي وهي تطل بوجهها من باب المطبخ.
- سأغير ملابسي وأعود.
- لا تتأخر.
أومأت برأسي ودخلت غرفتي، فتحت دولابي وأخرجت الكاميرا التي اشتراها لي والدي بعد إلحاح طويل، تفحصتها ووضعتها على السرير، غيرت ملابسي وخرجت لتناول الغداء، ولأول مرة تابعت برنامجي المفضل برفقة أمي التي كانت تختلس النظر ناحيتي من وقت إلى آخر.



فاطمة الزهراء لحسن أودمجان
كاتبة وقاصة مغربية

لسعات عقرب

«لحظات أمل تدمرها دقات الساعة المتسارعة. مهلا أيتها الأيام، فسرعتك تجلب اليأس مهلا! ما بك تجرين، ألم تكوني إلى البارحة مملة؟! ويحك، رويدا؛ فذاكرتي الصغيرة لا تستطيع التحمل، كفاك تسارعا رجاء ارحمي بطئي». كتبت هند كلماتها وأغلقت مذكرتها.. كانت متعبة جدا.

- ربما سآخذ قسطا من الراحة ثم أقوم لأذاكر.

أطلقت صرخة مدوية أيقظت كل من كان في البيت، استيقظت وهي تتصبب عرقا، كاد قلبها أن يخرج من مكانه، هرولت الأم باتجاه غرفتها ودلفت مسرعة..

- ما بك يا ابنتي، ماذا حدث؟ (الأم متسائلة).

- لا شيء، كان مجرد حلم.

- حلم!.. ماذا رأيت؟ ولم هذه الصرخة؟

- لا أدري، كان كابوسا مزعجا.
رفعت رأسها فرأت الساعة ثابتة على جدار الغرفة، خيل إليها للحظة أنها ترمقها بنظرات ثاقبة كأنها تراقبها، أغلقت عينيها مسرعة، وارتمت في حضن أمها كأنها تطلب اللجوء خوفا من شيء ما.

- ماذا رأيت في الحلم يا بنيتي؟

- كان حلما غريبا جدا.. تلك الساعة في البداية كانت تحمل قوسا وكنانة وفي حزامها سيف صقيل، وأنا كنت ألبس لباس المحاربين وأحمل بيدي ترسا وجنة وللحظة ظننتني محاربا وتقدمت إلى المعركة بكل شجاعة، لكن ما إن اقتربت حتى وضعت عن كاهلها القوس، ظننت للحظة أنها أوقفت المعركة فما لساعة وآدمي وأي حرب بينهما؟ تنفست الصعداء وشكرت الله أن كفاني شر القتال، ثم وضعت ما بيدي وعدت إلى مكاني، سمعت صوتا عجيبا فاستدرت لأرى تلك الساعة قد حدث معها أمر عجيب! تحولت إلى عقرب سوداء مخيفة، تحولت عقاربها يا أمي إلى أرجل تجري بها مسرعة، أما العقرب الأصغر فصار ذيلا طويلا وكانت تطاردني تريد لسعي، لم أفهم شيئا، ولم يكن لدي وقت لأفهم أطلقت العنان لقدمي علهما تنقذاني من تلك الورطة، ولما اقتربت مني صرخت.

- (ضاحكة) خيرا وسلاما بنيتي، اقرئي القرآن وعودي إلى النوم.

- أكرهها يا أمي، سأكسرها يوما وسترين.

- لا تقلقي، كل ما في الأمر أن ضغط مدة الامتحانات أثر في نفسيتك كثيرا.

- (ثم أردفت محذرة) ولا تنسي: أبوك يحبها كثيرا.

قالت الأم كلماتها وعادت إلى غرفتها لتنام، كثيرا ما سألتها عن سبب حب أبيها لتلك الساعة، فتجيب أنها تذكره بأيام الطفولة، ما أصعب معادلات هذه الحياة: ساعة تذكر شخصا بطفولته، وستتسبب لآخر شيخوخة وخرفا.

رغم أن هذا الحلم أزعج الأم وأقض مضجع هند، فإنها أحست بوارد للكتابة، فأخذت القلم تسكب المداد غير مبالية بهدر دم القلم المسكين، خاطبت القلم: «لا أريد أن أعود إلى النوم مجددا فحتما تلك الساعة ستنجح في قتلي هذه المرة».

نسيت للحظات أن الغد يوم الامتحان، ظنت أن الليل لا يزال طويلا، كانت واثقة من أن القلم يخط ما شاء، وحتى المذكرة طاوعتها تقلب الأوراق بكل سخاء كلما أحست أن القلم أنهى الزخرفة على تلك الورقة فتهبه أخرى يبدع في ملء بياضها بحروف مكتوبة بمداد أسود أخاذ؛ زخرفة كأنها البدر ليلة تمامه حسنا، لا أدري فيم كانت تفكر؟ لعلها كانت متلازمة الكتابة أو جنون الإلهام (كما تحب أن تسميه) أصابها في ذاك الوقت المتأخر، ظل القلم يتراقص على الورقة بشكل متناغم جدا؛ يسرع في الكتابة تارة ويبطئ أخرى، يتقن الكتابة حتى إنك لتجد للحروف ظلا، ولكم كانت أناملها سعيدة، كانت تغدو وتروح سعيدة وتتراقص فوق الورقة كأنها تعزف لحنا شاعريا. أما الوقت فكان آخر شيء تفكر فيه في تلك اللحظة.

وكان أشد ما يزعجها في أيام المذاكرة تلك، صوت دقات الساعة؛ تصدر صوتا مزعجا مع كل ثانية، تحدث صريرا صاخبا في جمجمتها يفقدها كل الانتباه، ولكم ودت أنها لم تكن غالية على أبيها فتكسرها، فلكأن نبضاتها تعزف على أوتار أعصابها، صراع دائم بينهما، وغالبا ما كانت في فترة المراجعة تضع الهاتف جانبا وحتى النافذة تغلقها لكيلا يظهر لها تقدم اليوم، أما تلك الساعة فكلما اختلت بها كانت تدفع ثمن إزعاجها لأسبوع بطوله فتسكتها وتنزع بطاريتها اللئيمة بكل برود.

وللحظة أحست بشيء غريب كأن انقباضا في صدرها لم تحس بمثله قبل اليوم، ظنت أن قلمها قد تعب، أو لعل مكروها أصابه، كان يرسل ذبذبات إلى قلبها تنبئ بحدوث مكروه ما، تساءلت: «هل للأقلام حاسة سادسة كذلك؟ أم أن لها مجسات تتنبأ بها حدوث مكروه ما؟».. وفجأة سقط القلم من يدها، لتتزامن سقطته مع رنين الساعة.. كنت أرى في نظراته خوفا ثم انتبهت إلى الساعة تملأ الدنيا صراخا.

- أنا مستيقظة بالله عليك ارحميني من ضجيجك (قالت كلماتها وهي تنزع بطارية الساعة).

وعم الهدوء المكان...

لحظات هدوء وضعت فيها القلم جانبا وأدخلت المذكرة في الدرج من غير أن تقرأ ما كتبته كعادتها. كانت تنوي أن تعود إلى النوم قليلا، اطفأت الأنوار ووضعت رأسها على الوسادة ولا هم لها إلا أن تنام لتستيقظ نشطة مستعدة للامتحان.

ما أجمل السكينة!

غاصت في لحظة راحة، وما أن اتصل رأسها بالوسادة حتى فقهت ما حدث:

- إنه الصباح! نعم، إنه الصباح، الساعة التي رنت منذ لحظات كانت تخبرني أن الوقت حان لأذهب إلى المدرسة.

- لكن أين الليل؟ هذا ظلم أنا لم أنم، يجب أن أنصف، فلا يمكنني أن اجتاز الامتحان من دون الحصول على فترة نوم كافية، وكيف وصل الصباح بهذه السرعة؟

- ألم تجهزي نفسك بعد؟! تأخرت يا هند؟ (الأم مستفسرة).

- لماذا يا أمي؟! لا يزال الوقت ليلا وأنا لن أذهب إلى المدرسة حتى يأتي الصباح.

- ألا ترين أن الشمس قد طلعت يا بنيتي! لا أدري ماذا أصابك هذه الليلة؟!

- أنت قلتها بنفسك «هذه الليلة»، لا يزال الوقت ليلا، أنا ضحية خداع يا أمي وقبل أن أنصف لن أذهب إلى المدرسة (أردفت هند وهي تجر الغطاء فوق رأسها).

-عن أي خداع تتحدثين يا هند؟! هيا قومي ودعيني أوصلك إلى المدرسة.

- وأين الوقت؟ الوقت يا أمي لقد نزعت بطارية الساعة لكيلا يتحرك الوقت.

- وهل تظنين كل ساعات القوم توقفت لأنك نزعت بطارية ساعتك؟! قومي فأنت تضيعين المزيد من الوقت، والاختبار سيبدأ بعد دقائق.

طوال الطريق حاولت هند أن تقنع نفسها أن الأمر كان مجرد حلم، لكن شيئا ما يخبرها أنها كانت إشارة ما..

وصلت الأم وابنتها إلى المدرسة في آخر لحظة، ودلفت هند إلى الفصل مسرعة، بعد أن أخبرتها المدرسة أنها بتأخرها اللامعهود ستعاقب.

حاولت هند جاهدة أن تركز في ورقة الامتحان، لكن الحلم ظل يراودها ويفقدها التركيز.. مر نصف الوقت ولم تكتب شيئا، لاحظت المدرسة شرودها، ثم رمقت ابتسامة صغيرة على ثغرها.

«لن تسببي لي خرفا فحسب أيتها المقيتة، أظنك ستكونين سببا في رسوبي كذلك» قالت هند كلماتها في حزم وقررت أن تجيب عن الأسئلة وتترك الحرب مع الساعة إلى وقت آخر، نظرت إلى الساعة المثبتة في قاعة الدرس وتوعدتها بالانتقام، لم تدر هند أن الحرب كانت لمصلحتها منذ الوهلة الأولى التي تحدت فيها نفسها وأجرت الاختبار بعيدا عن وطأة الحلم، وبعد الامتحان اتجهت هند وأمها صوب البحر لينعما بلحظة الغروب، كان اقتراحا جيدا من الأم، أما هند فجعلتها لحظة بداية النهاية، نهاية الجبن والخوف، نهاية الصراع مع تلك الساعة المقيتة.

«عقارب تجري بلا توقف، ومع كل حركة تلسع وتلسع.. مئات الغافلين أردتهم صرعى، وملايين تتربص بهم. ولعمري إن لدغة العقرب المسموم أحلى من لدغتك أيتها الساعة المسرعة، وكأنك جلاد لا يرحم.. وإذا ما تأملنا الحال فسنجدها هكذا دائما، وتستمر الحياة، وتتوالى الساعات غير مبالية بنا.. تجدني أحملق فيها لساعات ولا تبالي، لا تحمر خجلا ولا تزمجر غيظا، ولا تحرك ساكنا، فلكأنها تنبئنا أنها ستستمر في حركتها. فليست نبضات قلوبنا من تحركها وليست أنفاسنا وقودا لها.

تمضي مسرعة ونحن الغافلون لا نبالي.. في لحظات الملل والانتظار تمر الساعات طوالا، فلكأن الانتظار يحد من سرعتها فتصير الساعة دهرا واليوم عمرا وكأن همومنا أثقلت كاهل عقاربها.

فإذا ما أتى الفرج أسرعت وكأن الفرح وقود فعال لعقاربها، تلك العقارب المسمومة التي ما فتئت تقتلنا ببطئها المقيت.. لحظات الحزن وسرعتها الفتاكة في هنيهات السعادة، فتحول الكون إلى صرعى بفعل مكرها الفتاك، فلا السعداء يشبعون ولا التعساء يرتاحون».

كتبت هند في مذكرتها هذه الكلمات عازمة على التغيير، على الوقوف وجها لوجه أمام مخاوفها، علمت أن ذلك الحلم ما هو إلا تحذير من محب، وكم من صفعة حملت من الحنان ما حملت.

وصلت الأم وابنتها إلى شاطئ البحر، واتجهتا إلى مقعد ألفتا الجلوس عليه لمشاهدة الغروب.

- هل استرحت قليلا يا عزيزتي؟

- نعم، الحمد لله يا أمي، وشكرا على هذا الاقتراح.

- أراك تحملين هاتفك يا هند! ما الذي تغير؟

نظرت إلى هاتفها الذي أطفأته كعادتها لتستمتع بمنظر الغروب، فتحته ونظرت إلى ساعته الإلكترونية للحظات.

نظرت إلى أمها وقالت بحزم: لن أطفئه بعد اليوم يا أمي، من اليوم سيشاهد معي لحظات الغروب وكل اللحظات.

كان المكان مزدحما بمن يعشقون مشاهدة الغروب، ووصل إلى أذني هند كلمات لأغنية مشهورة: قال فيها الشاعر: «ما أنا إلا بشر...».

هنا قالت هند:

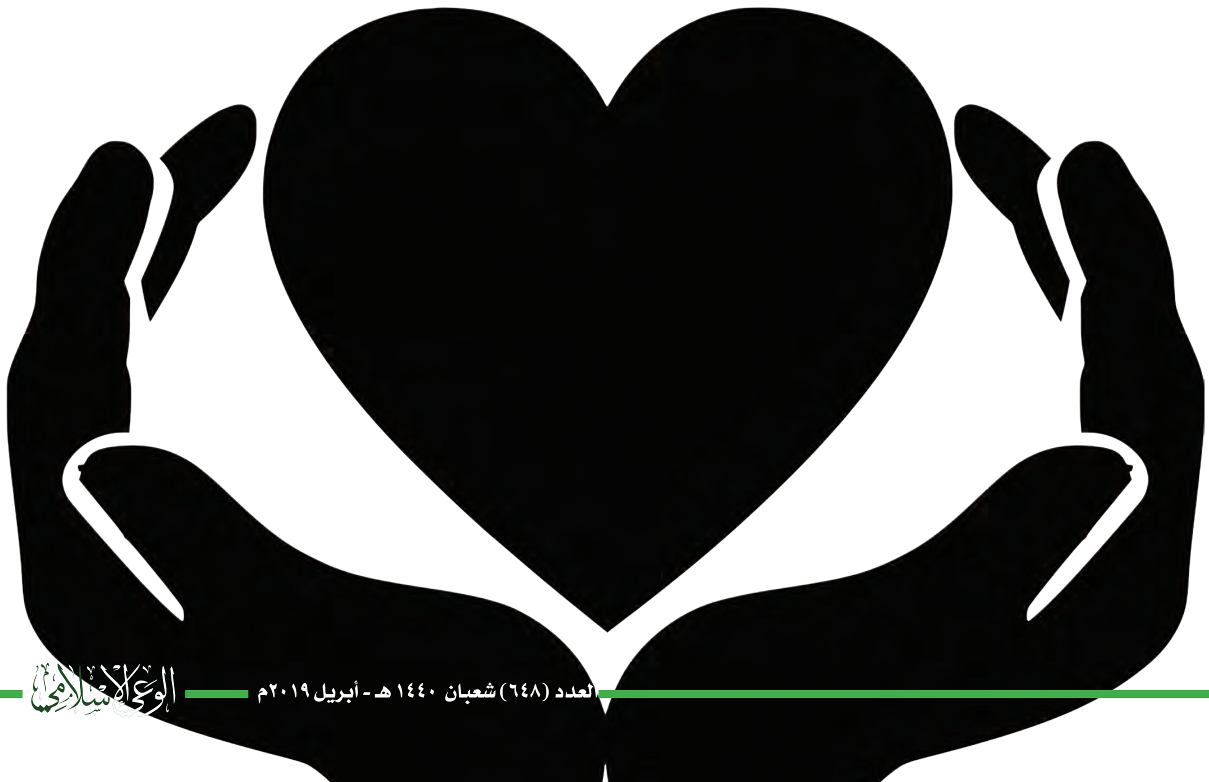
يقولون ما أنا إلا بشر! لا ما أنا إلا مجموع ثوان من الآلاف، ما أنا إلا لدغات عقرب مسموم أحسنت استغلالها، ما أنا إلا ضحية سباق بين عقرب الثواني وظله الملازم له.. ولا أظن نهاية السباق إلا تلك اللحظة التي يتوقف فيها تسارع الدماء في عروقي، لذلك مرحبا أيتها الساعة، مرحبا بك رقيبا يذكرني أني مجرد أيام، مرحبا بك فقد ولى زمن الجهل.



عادل محمد أبو الهيثم
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
مصر

أنين القلوب

ما للمساجد خاويه   أين العيون الباكيه؟
أين الذين تحفهم   تلك الملائك زاكيه؟
أين القلوب وخوفها   من هول تلك الغاشيه؟
أين الشباب المتقي   يخشى ويرجو العافيه؟
أين الذين تشوقوا   سكنى الجنان العاليه؟
أين الذين تعهدوا   تلك البقاع الغاليه؟
خافوا الذنوب وشؤمها   طلبوا الحياة الباقيه
هذي المساجد روضة   فيها النفوس الراضيه
فيها الصلاة سكينة   تأتي وتدبر هاديه
فيها النفوس ربيعها   عطر القلوب الساجيه
فيها التطلع للجنا   ن فيا لنعم العافيه
قلبي يئن تمزقا   لمساجد هي خاليه
أين الرجولة يا أخي   أم أنها في هاويه؟
كيف العبادة تختفي؟   أين العقول الوافيه؟
نور المساجد عمنا   نور يزيد العافيه
هدي الصلاة سبيلنا   حتى ننال الباقيه
إبليس، نفسي، والهوى   سرقوا الخلال العاليه
شيطان لهو جاثم   فوق العقول الغافيه
شغل القلوب جميعها   إلا القلوب الراضيه



وليد عبد الماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر



قراءة نقدية لإبداعات العدد الماضي (العدد ٦٤٧)



١- بيوتات جنات؛ للكاتبة السورية إيمان بازرباشي

يتناول هذا النص مشكلة مهمة في حياتنا الاجتماعية وهي العلاقة المتوترة والمضطربة بين الزوجين، ويلقي الضوء على الجفاف العاطفي وتصلب المشاعر وما يترتب على ذلك من آثار سلبية تضرب كيان الأسرة في مقتل، وهي مشكلة فاشية في المجتمع وليست بالنادرة أو العارضة.

ولعلها تكون فرصة لنؤكد على رسالية الأدب وهادفيته؛ فما أهمية الأدب إذا لم يتناول مشكلات المجتمع الذي يعيش فيه؟! ومن يقوم على توعية المجتمعات وتقويمها أفرادا وجماعات إذا لم يضطلع الأدباء والمفكرون بهذه المهمة السامية التي هي مهمة الأنبياء والمصلحين؟! إن الأديب ينبغي عليه ألا يعيش في برج عاجي بعيدا عن مجتمعه الذي هو جزء منه؛ بل عليه أن يخالط الناس ويكتب عنهم ولهم.

● اتخذت الكاتبة لقصتها عنوان (بيوتات جنات)، والمشهور في الجمع هو (بيوت)؛ لكن إيمان خلافا للمشهور استعملت في العنوان الجمع غير المشهور (بيوتات) الذي يطلق في اللغة العربية ويراد به تلك البيوت العريقة ذات النسب الرفيع، وربما أرادت الكاتبة هنا تعظيم تلك البيوت التي تقوم على الألفة المتبادلة بين الزوجين ورفعها إلى مصاف البيوتات ذات المكانات والأحساب.

● بدأت الكاتبة قصتها بعبارة فيها من براعة الاستهلال، وهو ما يشجع القارئ بلا شك على المضي قدما في قراءة القصة وإتمامها؛ تقول بازرباشي عن هذه المرأة التي لم تقابل الإحسان كما ينبغي بالإحسان: «لطالما أكرمها زوجها وعاملها بالحسنى؛ لكنها دائما كانت تجد سببا لخلق النكد والمشاكل»؛ فنحن إذن إزاء قصة لزوجة تقابل إحسان زوجها بالإساءة، حتى يصير النكد أصلا والسعادة أمرا مستهجنا، وما أكثر هذه النماذج في حياتنا!.

● جاء النص مباشرا واضحا لا لبس فيه، وخلت العبارات من الرمزية، لذلك فالكتابة إلى المقال أقرب من القصة الأدبية.

● يغلب الطابع الخطابي على النص، ويبدو ذلك في عدة مواضع منها نصيحتها لتلك الزوجة التي تحسن صناعة النكد، تقول الكاتبة: «وأقول لها: عيشي حياتك مع زوجك بحب وسعادة بلا مشاكل، الله أنعم عليكما بكل شيء فلم المشاكل، لم النكد؟! سامحيه إن هو أخطأ واغفري له إن هو قصر بعض الشيء، لا تنكدي عيشه لأجل أمور تافهة، أسعديه وأفسحي له المجال ليسعدك.. لا تضني عليه بكلمة حلوة، بضمة حانية»، هذا هو النص كما ورد في القصة؛ ولو تجردت الكاتبة من هذه الروح الخطابية لكان النص أكثر ثراء من الناحية الأدبية.

● كان بإمكان الكاتبة أن توظف علامات الترقيم توظيفا على وجه أفضل من هذا؛ فاستخدام العلامات بشكل احترافي يضفي على النص بهاء ورونقا، وقد رأينا في السنوات الأخيرة كيف أتقن بعض القصّاص استخدام هذه العلامات فجاء النص ناطقا ومائزا.

● إذا كنا قد أشدنا ببراعة استهلال

القصة؛ فهذا لا يمنعنا من الحديث عن نهاية القصة، فالقصة تبدو مبتورة؛ وليست من النهايات المفتوحة التي يعمد إليها بعض القصاص، نعم وصلت رسالة القصة؛ لكن لابد من مراعاة بعض الأمور المتعلقة بتقنية السرد حتى تؤدى الرسالة على أكمل وجه.

● إيمان بازرباشي كاتبة تملك كثيرا من أدوات السرد، وتتمتع كتابتها بكثير من الهادفية ونبل المقصد؛ لكنها في الوقت ذاته تحتاج إلى قراءة كثيرة ومتأنية لأدباء القصة المعروفين بجودة أعمالهم حتى تكتسب ملكة السرد، كما تحتاج إلى إثراء معجمها اللغوي وزيادة حصيلتها من اللغة العربية عن طريق القراءة المتواصلة في كتب الأدب القديمة والحديثة على حد سواء.

مع دعوات كثيرة بالتوفيق والسداد

٢- الآفة
للكاتب المصري محمود حسني

هذا النص الريفي -رغم بساطته- يقدم كثيرا من الرسائل المخبوءة ذات الفوائد العميمة على النحو الذي يجده القارئ الكريم منذ أن يبدأ في مطالعته.

● اختار الكاتب للنص عنوانا مباشرا خاليا من الرمزية معبرا عن محتوى القصة (الآفة)، ومن كلمة واحدة، فجاء بسيطا بعيدا عن التركيب.

● اتخذ محمود حسني من الريف المصري مسرحا لقصته بالتزامن مع انتشار بعض الآفات الزراعية في الفترة الأخيرة بشكل غير مسبوق، الأمر الذي جعل الفلاحين يتساءلون عن سبب ظهور هذه الآفات التي لم تكن موجودة من قبل؛ وتساءلوا أيضا إن كان لظهورها علاقة بسلوك الإنسان العدائي تجاه البيئة وتجاه أخيه الإنسان؟! أم أن هذا الأمر نتيجة لبعد المسلم عن تعاليم دينه وخالقه؟!

● بدأ الكاتب قصته بعبارات مشوقة على هذا النحو: «جاءتهم الأخبار من أطراف القرية، تحمل الخوف والفزع للجميع: الآفة تهاجم مزارع الفاكهة هناك بلا رحمة أو هوادة، تقضي على تعب أصحابها وحلمهم بربح وفير، يفعلون به ما يريدون»، ثم يبدأ في سرد آثار هذه الآفة وما سببته من قلق للفلاحين قبل أن يتطرق إلى الحديث عن المزرعة المستثناة من الآفات وكيف كانت مثار جدل ودهشة بين أصحاب المزارع الأخرى التي أصابتها الآفات.

● بنى محمود حسني قصته وادخر عقدتها بغرض تشويق القارئ، حتى جاءت لحظة التنوير وهي النقطة التي تتقاطع فيها كل علاقات القصة القصيرة، ويبرز معناها ومغزاها في آن واحد، فقد ظل أصحاب مزارع الفاكهة يتساءلون في دهشة واستغراب عن تلك المزرعة المصونة التي لم تصبها الآفات مثل بقية المزارع الأخرى؛ وكان لابد لهم من الإلحاح على صاحبها الحاج شيخون لمعرفة العلاج الناجع الذي استعان بها في مواجهة الآفة.

● وبرأيي لو أن الكاتب ادخر تفاصيل صدقته واكتفى بالتعريض بعيدا عن اسم الخفير أو الحارس لكان خيرا؛ لأن الإعلان قد يتضمن إساءة للأسرة الفقيرة، نعم قال تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (البقرة:٢٧١)؛ لكن هذه حالة يجب فيها الستر؛ ويدل على ذلك قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ وكان من الممكن أن يكتفي الحاج شيخون بإخبار الناس بأنه استعان بالصدقة كعلاج في مواجهة الآفة، وفي الوقت نفسه يخبر زوجته مثلا أو أحد المقربين بحقيقة الأمر؛ فينكشف الأمر للقارئ.

● هناك بعض التعبيرات التي تتناص مع القرآن الكريم في عدة مواضع منها: «مخذولة - مدحورة» و«جاست خلال» وكلها ألفاظ قرآنية وردت مجتمعة في سورة واحدة هي سورة الإسراء في الآيات (٢٢ - ١٨و٣٩ - ٥)، وهذا دال على ثقافة الكاتب الدينية.

● أسهب الكاتب في قصته كثيرا، وكان بإمكانه أن يقتصد في كتابته فتكون القصة أكثر تركيزا وتشويقا مع الاهتمام ببلاغة السرد أكثر من هذا، فانتقاء الكلمات المناسبة ووضعها في تعبيرات بلاغية يجعل النص أنفذ إلى عقل القارئ وعاطفته.

● جاءت نهاية القصة وعظية ومباشرة؛ وكان من الواجب على الكاتب أن يوصل رسالته بعيدا عن الخطاب الوعظي الذي يضيق به بعض القراء.

● القصة جيدة في مجملها؛ لكن محمود حسني يحتاج هو الآخر إلى قراءة واطلاع على المنجز القصصي لكثير من أعلام القصة حتى يكون أكثر قدرة على التعبير البلاغي، وأكثر قدرة على صناعة الحبكة القصصية التي تجعل القارئ مشتاقا إلى إتمام النص.

والله من وراء القصد.



د. مصطفى عطية جمعة
أستاذ مشارك في الأدب العربي والنقد
مصر

(قصائد الوعي)

٣- قصيدة "الصدّيق للكاتب السوري مصطفى عكرمة"

في هذا العدد نناقش قصيدة تفيض بالروح الإسلامية، فهذا هو الشاعر السوري «مصطفى عكرمة»، يعدد خصال أبي بكر الصديق وسماته، في قصيدة حمل عنوانها اسم «الصديق»، بوزن شعري يطرب الأذن، وقافية يسهل ترديدها، تتميز الصورة الشعرية عند كاتبنا بالمباغتة الذهنية، إذ يعمل تقديم الخبر على المبتدأ في معظم الأبيات على إشراك القارئ في العمل الإبداعي من خلال إعادة ترتيب الجملة ذهنيا، وقصيدة كهذه ربما تحتاج إلى مساحة أكبر لبيان جمالياتها من حيث البناء الشكلي المعتمد على أكثر من بنية موسيقية تصب جميعها في مقطوعة واحدة.

لقد أوجز الشاعر في أبياته القليلة كثيرا من المآثر التي تروى عن الصديق أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فما من عبادة أو خير أو صدقة دعا لها الرسول ﷺ، إلا وسابق أبو بكر الصحابةَ فيه، وكان في طليعتهم، بجانب الأعمال المستترة التي كان يقوم بها الصديق مع الفقراء والضعفاء والمساكين. فقد كان أبو بكر مبرَزا في كل أبواب الخير؛ الجهاد والصدقة والصيام والصلاة بما لم يبرز فيه غيره، وكأنه منقطع لكل منها، فيدعو له الرسول راجيا من الله أن ينادى عليه فيدخل من جميع الأبواب.

أما عن حب الصديق للمصطفى ﷺ، كما أشار الشاعر في البيت الثاني، فكلنا يعلم أن من مناقب أبي بكر أنه أول من أسلم من الرجال، وكان يصدقه إذا كذبه سفهاء قريش ومشركوها، وفي حادثة الإسراء والمعراج، أعلن تصديقه للرسول عندما أخبروه عن مجريات الحادثة؛ الإسراء ليلا إلى الأقصى، ثم العروج إلى السماء، معللا ذلك بأنه يصدقه عن الوحي والقرآن الذي يأتيه من السماء.

أما البيت الثالث ففيه إشادة لثبات أبي بكر وحزمه، وقد أشار شاعرنا لهذا بقوله:



لغة وأدب

مصطفى عكرمة
شاعر وكاتب سوري

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه

أبو بكر إمام المتقينا ... وأولهم وأصدقهم يقينا
وأول من تسموا راشدينا ... وأعبدهم لرب العالمينا

أبو بكر هو الصديق حقا ... يفوق الناس إيمانا، وصدقا
إذا قال الرسول تراه لبى ... وكم قد نال في الخيرات سبقا!

بحب المصطفى سيظل فردا ... وفي تصديقه كان الأشدا
وكان على هدى الإسلام ثبتا ... فلم يخلف لرب العرش عهدا

تجسد فيه إيثار، وجود ... وليس على تواضعه مزيد
على المرتد والعاصي شديد ... وبين صحابه سمح، ودود

جيوش الفتح أرسلها سريعا ... لكي يلقى عدو الدين ريعا
ويأبى في الشريعة أي نقص ... ولو قبلت به الدنيا جميعا

ولو لم يثبت الصديق حقا ... لعانى المسلمون أذى، وسحقا
وليس سواه بعد الرسل حر ... نرى إجلاله حقا، وصدقا

على المرتد والعاصي شديد
وبين صحابه سمح ودود
جيوش الفتح أرسلها سريعا
لكي يلقى عدو الدين ريعا
ويأبى في الشريعة أي نقص
ولو قبلت به الدنيا جميعا

في البيت الأول من المقطع السابق، نلمح المقابلة البلاغية التي توضح شخصية أبي بكر وطبيعتها، فهو في الأخلاق ومع الناس سمح ودود عطوف رقيق، ولكن ينقلب إلى الشدة عندما يقرر مواجهة المرتدين والعصاة، فأرسل جيوش الإسلام سريعا، إلى اليمن ضد الأسود العنسي، وإلى اليمامة ضد مسيلمة الكذاب وسجاح، ليكبح جماح فتنة كادت تعصف بعقيدة التوحيد، فلا مفاوضة مع حق من حقوق الله تعالى.



إعداد التحرير



الشعلة: الموسوعة الفقهية مفخرة الكويت ودرتها العلمية

أعلن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت فهد الشعلة، أن وزارة الأوقاف، ممثلة في إدارة الإعلام، حريصة على تفعيل كل قيم وأهداف وغايات خطة وزارة الأوقاف الإستراتيجية، ولهذا ارتأت إدارة الإعلام إنتاج فلاش تلفزيوني (إنفوجرافيك) لتسليط الضوء على حياة الرسول ﷺ وذكر محاسنه وفضائله وأفعاله وأقواله.

وقال الشعلة إن هذا الفلاش التلفزيوني يأتي تفعيلا لغايات إستراتيجية وزارة الأوقاف، التي دعت إحداها إلى الإلمام بحياة الرسول ﷺ والصحابة الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم، ولهذا كان هذا العمل التلفزيوني يركز على ما قاله المستشرقون عن الرسول ﷺ.

وبناء عليه؛ تم اختيار «الرسول في عيونهم» اسما لهذا الفلاش؛ حتى يكون نابعا من أصل محتواه.

وأكد الشعلة على أن الوزارة انتهت من إنتاج ٣٥٠٠ حلقة جديدة من الموسوعة الفقهية الإذاعية التي يعتبرها العلماء مفخرة للكويت ودرة لإنتاجها العلمي.

وقال الوزير في بيان صحافي: إن الموسوعة الفقهية ستبقى مبعث فخر واعتزاز على مر العصور، حيث تعتبر بأجزائها الـ٤٥ من أعظم الإنجازات الفقهية في العصر الحديث، من خلال ضمها لما لا يقل عن ٣٠٠٠ مصطلح فقهي في نحو ٢٠ ألف صفحة بجهود مئتي باحث وعالم قدموا عصارة فكرهم وخبرتهم على مدى أربعين عاما.

وقال الشعلة، وفق ما نشره موقع الوزارة: لم يفت وزارة الأوقاف، وفي جميع أعمالها وأنشطتها وفعالياتها، أن تراعي اتباع الوسطية منهجا، وذلك انطلاقا من سماحة ديننا الإسلامي الحنيف وتطبيقا لتوجيهات ورغبة صاحب السمو أمير البلاد

إنتاج فلاش تلفزيوني للتذكير بفضائل سيد المرسلين

الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، في جعل الكويت مركزا عالميا للوسطية والاعتدال.

وأشار الشعلة إلى أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تهدف من فكرة إعداد الأعمال المرئية والمسموعة والمقروءة إلى نشر الدعوة الوسطية والمعتدلة عن ثوابت ديننا الإسلامي وقيمه، ولكي تكون أعمالنا مرآة عاكسة لقيم وأهداف وغايات إستراتيجية وزارة الأوقاف.

ودعا الشعلة جميع قطاعات وإدارات وزارة الأوقاف إلى السير قدما نحو تحقيق الريادة عالميا في العمل الإسلامي والرقي والتقدم في تنمية قدرات العاملين في وزارة الأوقاف لتحقيق جميع الأهداف والغايات والقيم التي تضمنتها إستراتيجية وزارة الأوقاف.

أدار الندوة: علاء عبدالفتاح
أعدها للنشر: عبدالسلام الشبراوي





الخط العربي تاريخ مضيء ومستقبل واعد

في ندوتها الشهرية الثانية استضافت مجلة «الوعي الإسلامي» بالتعاون مع مركز الكويت للفنون الإسلامية بمسجد الدولة الكبير مجموعة من الباحثين والمشتغلين بفن الخط العربي من تركيا والعراق والمغرب والكويت وقد تناولت محاور الندوة تعريفا بالحضور وتخصصاتهم ثم مواطن جماليات الخط العربي ومميزاته وسبل المحافظة عليه، ثم الخط من الناحية التاريخية مع كيفية تعريف العالم بالفن الإسلامي، وأخيرا العمارة الإسلامية وكيف السبيل إلى استعادتها في الوقت الحالي؟ فإلى تفاصيل الندوة:

علاء عبدالفتاح: نرحب بالسادة الحضور جميعا حللتم ضيوفا كراما على الكويت وفي مقر مجلة «الوعي الإسلامي» العريقة لمناقشة موضوع مهم يتعلق بهويتنا الإسلامية والعربية كل من خلال تخصصه.

ويشرفنا ويسعدنا أن يكون من بين الحضور رئيس مركز الكويت للفنون الإسلامية في المسجد الكبير بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الفنان فريد العلي الذي يؤكد دائما على أن الاهتمام بفن الخط العربي ضرورة، باعتباره إحدى ركائز الهوية العربية، في ظل هجمة طمس الهوية العربية والإسلامية ولنبدأ بتعريف القراء بالسادة الحضور وتخصصاتهم يتفضل بذلك مشكورا الفنان فريد العلي.

فريد العلي: مجلة «الوعي الإسلامي» لها تاريخ حافل ثري في إبراز الفنون الإسلامية والعربية وانتشار واسع في معظم أنحاء العالم وقد شرفنا بالحضور اليوم د. سليمان برق من (تركيا) حاصل على دكتوراه في مواطن الجمال بالخط الثلث والطغراء وهو تلميذ للخطاط مصطفى راقم ونشر العديد من الكتب في مجال الخط ترجمت إلى العديد من اللغات ولديه باع طويل في تنسيق وترتيب معارض الخط داخل تركيا وخارجها.

ود. هاشم شيت علي العبيدي من الموصل (العراق) وهو باحث مستقل

في الكتابة والخط العربي ويعمل طبيب أسنان اختصاصيا وهو من المهتمين بالخط العربي وجمالياته.

و د. صلاح الدين شيرزاد من (العراق)، حاصل على دكتوراه في تاريخ الفن الإسلامي جامعة إسطنبول بتركيا ١٩٩٦م، وبكالوريوس في الشريعة والآداب من كلية الآداب جامعة بغداد، وحاليا يقوم بتدريس تاريخ الفن الإسلامي والعمارة الإسلامية بالإضافة إلى تأسيس مجلة «حروف عربية» وأيضا مجلة «فنون إسلامية» وهو رئيس تحريرها، وشارك في جميع المعارض والمسابقات المحلية وحصل على جوائز فيها، كما شارك في مسابقات إرسيكا «IRCICA» للخط العربي وحصل على جوائز في جميع دوراتها الأولى، كما حصل على جوائز في المسابقات المحلية.

وكذلك د. محمد عبدالحفيظ من (المغرب)، رئيس المركز المغربي للدراسات التاريخية لفنون المصاحف وتقاليد المراسلات السلطانية في «فاس» حاصل على دكتوراه في التاريخ وباحث في قضايا التراث والوثائق المخطوطة والخط العربي.



مواطن الجماليات

علاء عبدالفتاح: ننتقل إلى المحور الثاني، ونبدأ مع الدكتور سليمان برق ليحدثنا عن مواطن جماليات الخط العربي ومميزاته وسبل المحافظة عليه، فليتفضل.

د. سليمان برق (يقوم بترجمة حديثه من التركية إلى العربية د. صلاح الدين شيرزاد): كلنا نعرف أن انتشار الخط العربي سببه ارتباطه بالقرآن الكريم وكتابة المصاحف، فبعد ضبط الإملاء والكتابة بدأ الخطاطون بتحسين صورة الكتابة وقطعوا شوطا كبيرا في هذا المضمار، ومنذ البداية كان وجود هذه الكتابات في شكل تبليغ لكلام الله وأحاديث الرسول ﷺ، وبعد ذلك أدخلت عناصر جمالية على الخط العربي حتى ظهر في شكل عناصر جمالية تزين العمائر، كما أن أسلافنا في العصر العباسي وما بعده كانوا يهتمون كثيرا بهذه الكتابات التي كانت منتشرة في العمائر بوعي وبصورة جمالية، وظهر في كل عصر من استطاعوا أن يعطوا زخما جديدا ودفعا لهذا الخط إلى مرحلة متطورة عن المرحلة التي سبقتها، فسعوا إلى تزيين كلام الله سبحانه وأحاديث الرسول ﷺ، وذلك انطلاقا من قول رسولنا الكريم: «إن الله جميل يحب الجمال»، وهو ﷺ الذى أوصانا بالإحسان في كل شيء حتى وصل الأمر إلى تحسين شكل الدفن حفرا وتغطية وغير ذلك من أدق التفاصيل.


د. هاشم شيت علي

الناحية التاريخية

علاء عبدالفتاح: كيف نشأ الخط العربي وتطور حتى وصل إلى هذا التنوع والتعدد الموجود الآن؟

د. هاشم شيت علي: هذا الجانب لم تركز عليه الدراسات العربية، وهو جذور الخط العربي قبل الإسلام، فالخط العربي كانت له جذور سابقة قبل الإسلام



وجاء الإسلام فتبناها، فقد بدأ استخدام الخط العربي بفنونه في الأنبار، ثم في الجندل ثم شاع بعد ذلك استخدامه في مكة، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستخدمون أنماط الخط العربي في مختلف كتاباتهم ومخاطباتهم.

أما عن السؤال؛ الفن العربي تاريخيا وفنون العمارة الإسلامية فإن الحضارة الإسلامية استوفت الاحتياجات وأعطت الملامح فصارت عمارة للمسلمين لكن بعد حدوث الثورة الصناعية نخشى أن يؤثر ذلك على فنون البناء الإسلامي عن طريق التأسي بالغرب الذي أثرت فيه الثورة الصناعية؛ لذا ينبغي أن تمتع مبانينا بالاستقلالية، فالغرب كان الفاعل الكبير في تغير نظامنا المعماري.

عبدالسلام الشبراوي: من المعلوم أن الخط العربي في بدايته كان خطا واحدا وبانتقاله من مكان إلى مكان كانت يضاف إليه بعض التحسين والتطوير حتى نشأت أنواع من الخطوط.. نريد إلقاء الضوء على العصر الذي ازدهر فيه الخط العربي والأشخاص الذين برزوا في هذا الجانب.

د. هاشم: (مازحا) سألت سؤالا طويلا.. تعددت أنواع الخطوط وبرزت بشكل كبير ومؤثر في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري في بغداد، بدأت الخطوط اللينة (الثلث، النسخ، المحقق... إلخ) في الظهور، وكان من أبرز الخطاطين في هذا العصر الضحاك بن عجلان وإسحاق ابن حماد وكان هذان الخطاطان يخطان الخط «الجليل» وعلى أيديهما تنوعت الخطوط وتفرعت، ومن هؤلاء الخطاطين إبراهيم الشجري الذي طور خط «الجليل» إلى خط «الثلثين» ثم «الثلث»، ثم جاء بعدهم الوزير «ابن مقلة» ثم ابن البواب، فياقوت المستعصمي، وكان هؤلاء الثلاثة من أبرع من جود في الخط العربي.

علاء عبدالفتاح: دكتور محمد عبدالحفيظ هل الخط فن فقط أم هو فن وعلم له قواعده وأصوله؟

الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فالخط للأسف الشديد ظل إلى عهود قريبة مرتبطا بالفن، وهذا نوع من التقزيم والتحجيم، فهل الخط فن فقط أم علم؟ إنه سؤال عريض يحتاج إلى إجابة، وبحكم انتمائي إلى شعبة التاريخ فهذا الأمر من الإشكاليات التي واجهتني في بحثي، وأنا أرى أن الخط علم له قواعده وأصوله، ويتجلى ذلك من خلال ارتباط الخط بغيره من العلوم الأخرى، كارتباط الخط بالنحو، حيث كان يكتب النص من دون نقط، فكان الإصلاح الأول الذي أدخله أبو الأسود الدؤلي لضبط الآيات القرآنية وصيانة كلام الله من التحريف، هو الحركات الإعرابية، ثم أدخل تلاميذه من بعده نقط الحروف زيادة في حفظ القرآن الكريم.

لذلك ينبغي دراسة الخط العربي بمقاربة علمية جديدة على أنه علم وليس فنا فقط. صحيح هو فن في الجانب الجمالي، ولكن في الجانب الوظيفي هو علم، له ارتباط بعلم التحقيق و«الأبدجرافيا» التي ظلت مرتبطة بالحرف اللاتيني.

ومن أهم العلوم التي ارتبط بها الخط «السلوجرافيا»، وهو من أخطر العلوم، ويعتني هذا العلم بأختام السلاطين، فأمر السلطان لا يكون نافذا إلا بتوقيع السلطان عليه أو ختمه أو علامته، وقد عرفت هذه العلامات باسم «الطغراء»، الذي يعبر عن سيادة الدولة ونفوذ السلطان، فالطغراء كان عبارة عن بديل التصوير في الإسلام.

علاء عبدالفتاح: دكتور سليمان هل لديكم تعقيب؟

نعم، في العهد العثماني كان الطغراء عبارة عن علامة مرسومة للحاكم، ولكن لم يصل إلينا أي وثيقة سلجوقية أو عثمانية ورد فيها الطغراء إلا للسلطان أورخان، ومن بعدها أصبح الطغراء أجمل يوما بعد يوم، وأجملها ما رسمه الخطاط الكبير سامي أفندي، وقبل سامي أفندي كان الخطاط مصطفى، فهو أول من رسم الطغراء بشكل جميل، حتى أصبح الطغراء ناضجا، خصوصا طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، ولا يمكن إنكار أن هناك تراكما في الفن الإسلامي يمتد إلى ١٥٠٠ عام، فالفن الجميل الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية يعتمد حتما على ما قبله.

د. هاشم: لقد فصل السادة الحضور في الطغراء، وهو من المواضيع القديمة، ولم يتطرق أحد


د. صلاح الدين شيرزاد

إلى الفرق ما بين الطغراء والختم، فالرسول الكريم كان له خاتم يلبسه ويختم به الكتب وكذا الخلفاء الراشدون من بعده ثم انتشر إلى مصر والمغرب.

الخط والتقنية

عبدالسلام الشبراوي: في عصرنا الحالي عصر الثورة والتقنية أصبح هناك بديلا للخط من خلال استعمال الكتابة الإلكترونية ونخشى تأثير ذلك على تعامل الأجيال القادمة مع الخط العربي، فكيف نستغل هذه التقنيات ونجعلها أداة بناء لتطوير الخط العربي؟


د. محمد عبدالحفيظ

د. محمد عبدالحفيظ: هذه التقنيات سلاح ذو حدين، فهي من ناحية قدمت إضافة كبيرة عن طريق اختزال المراحل التي كان يقطعها الخطاط لكتابة النص، ففي السابق كان الخطاط يكتب الحرف بدرجة إجادة معينة ويكرر كتابته مرات كثيرة مما يستغرق وقته وجهده، أما الآن بعد دخول الحاسوب في حياتنا فإنه يمكنه نسخ الحرف واستخدامه كلما احتاج إليه. أيضا يساعد الحاسوب في تركيب اللوحات بشكل بديع ويغطي جانب الملاءمة بين الكتلة الخطية والفراغ، لأن التحدي المفروض على مستوى الخط هو كيفية الملاءمة بين الكتلة والفراغ، فالخطاط المسلم -في رأي البعض- كان يخشى من الفراغ، لذلك تجد أنه -سواء في العمائر أو اللوحات- يلجأ لشغل الفراغ بالرسم أو الزخرفة، وقد أسهمت البرامج الحاسوبية في إحداث هذه الملاءمة.

أما من الناحية السلبية فقد سهلت البرامج الحاسوبية تزوير اللوحات وسرقة جهود الآخرين بحيث يأتي الخطاط إلى بعض حروف كبار الخطاطين الرواد كسامي أفندي ومصطفى راقم أفندي ويركب منها لوحة مستعينا بالبرامج الحاسوبية، وقد اكتشف في معرض ارسيكا IRCICA الذي ينظم كل ثلاث سنوات تزوير بعض اللوحات بهذه الطريقة.

فلا بد من توعية الخطاط وتربية الجانب الإيماني في شخصيته حتى ينأى بنفسه عن سرقة جهود غيره.

د. سليمان: هذه التقنيات المستحدثة سهلت أمور الإنسان وبالتأكيد لها



فوائد في التخطيطات المعمارية ومن أهم فوائدها السرعة في رسم الخرائط والتراكيب، وما ذكره زميلنا من الجوانب السلبية لهذا الأمر موجود بالفعل، والخطاط قد يستفيد من الحاسوب في عمل التكوينات والرسم على الرخام وتسريع العمل لكن بشرط أن يلتزم بالجانب الأخلاقي ولا يسرق الحروف من خطاطين آخرين وينسبه لنفسه، ولكن يجب أن يكتب الخطوط بيده، ويأتي دور الحاسوب في اختصار الوقت وإضافة العنصر الجمالي للتراكيب.

تعقيب الدكتور هاشم: ما تحدث عنه الزملاء الأفاضل هو الجانب الفني في استخدامات الحاسوب، لكن الجانب العملي هو أنواع الخطوط الموجودة في الحاسوب، فبعد دراسة

الخطوط الحاسوبية أشكال مشوهة للخطوط العربية

لهذه الخطوط لوحظ أنها أشكال مشوهة للخطوط العربية، فهي خطوط عوجاء وملولبة وليست من أصول الخطوط المضبوطة، إضافة إلى أشكال الحروف التي اخترعت ولا علاقة لها بأصول الخط العربي، وقد وضُعت خطة في «الموصل» تم العمل عليها لمدة ثلاث سنوات من قبل شباب متخصصين في الحاسوب، أنتجوا نسخة من الخطوط العربية خاصة بالحاسوب، لكن بسبب الأحداث السياسية التي مر بها العراق ضاعت تلك الجهود للأسف ولم تخرج إلى النور. أعتقد في لندن أيضا ظهرت محاولة لتخليص الخطوط الموجودة في الحاسوب من المشاكل، لكنها لم تنجح. وإذا بقينا نستعمل هذه الخطوط المشوهة، فإن الأجيال الجديدة ستنسى الخطوط الأصيلة وتضيع مع الزمن، لذلك أطالب المتخصصين في الخطوط وفي الحاسوب بوضع أنماط خطوط عربية صحيحة حتى لا تضيع هوية الخط العربي.

الدكتور صلاح: عند الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نفرق بين الجانب الوظيفي للخط؛ كتابة وإملاء، وبين الجانب الفني للخط العربي؛ جمالا وفنّا وذوقا وإبداعا، فعلى الجانب

الوظيفي يؤدي الحاسوب دورا كبيرا ونافعا للخط العربي، خصوصا في الأمور التوثيقية العادية وتيسير الحياة اليومية للناس، وهذا الدور لا يخيفنا، بل ينبغي أن نوظفه بطريقة علمية وصحيحة. أما من ناحية استخدام الحاسوب في الجانب الفني والجمالي، فهو بالفعل سلاح ذو حدين يتوقف على أمانة مستخدم هذه التقنية كما ذكر الزملاء الأفاضل.

التبادل الثقافي

علاء عبدالفتاح: إذا تحدثنا عن الترجمة ودورها والحاجة إلى التبادل الثقافي بيننا وبين الآخر.. نريد إلقاء الضوء على أهمية ترجمة المؤلفات الخاصة بالخط العربي والفنون الإسلامية والجهود المبذولة في هذا الصدد ومدى كفايتها. وهل لكم جهد في مجال تعريف العالم بالفن الإسلامي؟

د. صلاح الدين شيرزاد: نعم، بالفعل نلقي عدة محاضرات للتوعية وسأحاضر خلال الأيام المقبلة حول ما يخص هذا الجانب؛ وهو إظهار العمارة الإسلامية وكذلك الخط وكل ما يمثل التراث الإسلامي.

د. محمد عبدالحفيظ: أعددنا دراسة علم الخط في المدارس على غرار المدارس التراثية المرينية، وهي تجربة جديدة، وهذه السنة سوف تتخرج الدفعة الأولى للطلبة، وشهادتها تعادل درجة الدراسات العليا، حيث لا يسمح بالدراسة فيها إلا بعد الحصول على درجة الليسانس أو البكالوريوس، وبها عدة تخصصات كالزخرفة والخط يختار الطالب ما يرغب وأنا أدرس مادة تاريخ الخط في هذه المعاهد وأساليب كتابة المصحف الشريف.

كذلك أيضا تم تأسيس المركز المغربي للدراسات التاريخية في فنون المصاحف وتقاليد المراسلات السلطانية في فاس، وتلك فكرتي مع بعض أساتذة جامعيين، وأيضا تتم دراسة الوثائق السلطانية التي كان متسترا عليها ونخضعها للتنقيح والبحث.

- د. سليمان برق: لتطوير تعليم الفنون الإسلامية، خصوصا فنون العمارة الإسلامية، قمنا بالتالي:
- في عام ١٩٨٢م بعد تبديل قانون التعليم العالي والعام تم دمج هذه الفنون في التعليم، خاصة فنون العمارة الإسلامية.
- بعد عام ٢٠٠٠م أصبح هناك مجال للبحث في الدراسات العليا في الفنون الإسلامية ولاقت اهتمام عدد كبير من الباحثين.
- بعد عام ٢٠٠٢م تمت صيانة وترميم ما يقرب من ٥٠٠٠ أثر إسلامي، وذلك تحت رعاية رئيس الجمهورية آنذاك، كما يتم عقد المؤتمرات والندوات وطباعة وتوزيع الكتب مجانا.
- في عام ٢٠١٠م نُظِّم معرض كبير في متحف الآثار الإسلامية تحت رعاية رئاسة الدولة، ولقد كان لهذا المعرض دور كبير في ترقيم عدد كبير من الآثار ووضع عدد كبير منها في المعرض، وتمت طباعة كتاب ككتالوج لهذه الآثار.

د. هاشم شيت علي: قديما في العراق قامت الكتاتيب في مرحلة الضعف بنشر هذه التعاليم، والآن تم استحداثها بنظام مراكز ودور القرآن في كل مدينة، وأنا أقترح تأسيس مراكز لتعليم الفنون الإسلامية في كل حي أو مدينة على غرار مراكز تعليم القرآن الكريم.

وفي كل صيف هناك دورات مجانية لتعليم الطلاب الخط لمن يرغب في تعلمه يعقدها الخطاطون شمال العراق بالموصل، وأقترح تعميم هذا الأمر في كل بلادنا العربية على المستوى الشعبي.

ختام الندوة

علاء عبدالفتاح: ختاما نشكركم جزيل الشكر ونترك الكلمة للفنان فريد العلي.

الفنان فريد العلي: ختاما أتقدم بالشكر لكم جميعا وخاصة مجلة «الوعي الإسلامي» على هذه الاستضافة وأوكد على أن ما قيل في هذه الندوة سيثرى معلومات القراء، فهذه الندوة قيمة مضافة لقراء «الوعي الإسلامي»، ونحن نحتاج مثل هذه الندوات التي تضيف للمتلقى معلومات جديدة، وقد لمسنا في تلك الندوة مواطن الألم التي يعاني منها الفن الإسلامي لتكون انطلاقة للتعاون بين الدول والمؤسسات في هذا المجال حتى نحافظ على تراثنا الإسلامي الراقي من الاندثار.



إعداد: التحرير

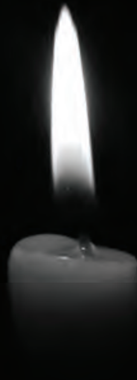


إخواننا في نيوزلاندا.. قلوبنا معكم

اعتصرنا الألم على فراق الأبرياء الركع السجود في مسجدين بدولة نيوزلاندا يوم الجمعة الموافق الثامن من رجب، الخامس عشر من مارس الماضي، وأصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت -ومعها مؤسسات العالم الإسلامي بل والإنساني عامة- بيانات الأسى والشجب والتنديد ضد هذا العمل الإرهابي الخسيس الذي قام به من تطرف فكره وضاقت به نفسه وغرق في كراهية الآخر تاركا «الإسلاموفوبيا» تنهش إنسانيته.

من جانبه استنكر وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية رئيس اللجنة العليا لتعزيز الوسطية فهد الشعلة هذا الحادث البشع الذي أدى إلى مقتل ٥٠ مصليا إضافة إلى جرح العشرات منهم.

وقال الشعلة في بيان صحافي إن الإرهاب أصبح آفة عالمية تطل علينا في كل مكان من شتى بقاع الأرض بوجهه القبيح الذي يستهدف الأبرياء الآمنين، الأمر الذي يضع المسؤولية أمام الجميع من مختلف الديانات



لكشف أصحاب الأفكار المنحرفة والضالة، مؤكدا أن الإرهاب لا دين ولا وطن له.

وأضاف الشعلة أنه لابد من تضافر الجهود والمساعي وتوحيد الصفوف لوأد يد الإرهاب وقطع دابر أفكاره حتى تتم محاصرته وخذلانه، بالإضافة إلى العمل على نشر الوسطية والاعتدال حتى يعم الأمن والأمان بين الناس في كل مكان.

كذلك أدان وكيل الوزارة، الأمين العام للجنة العليا لتعزيز الوسطية فريد أسد عمادي الحادث الجبان، داعيا إلى تضافر الجهود لمحاربة الإرهاب بأشكاله كافة.

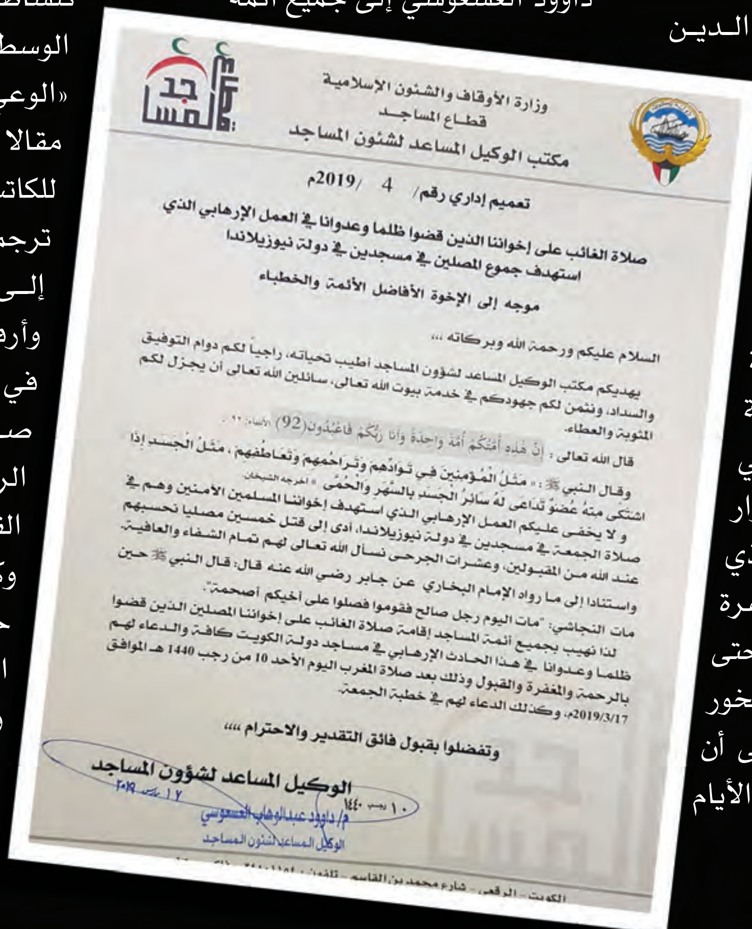
وقال عمادي في بيان صحفي: «ندين بشدة أي اعتداء على الأنفس البريئة مهما كانت





الدوافع، كما نستنكر العبث بأمن المجتمعات وترويع الآمنين تحت أي ذريعة»، واصفا الهجوم على المسجدين بالعمل الإرهابي الجبان الذي يتنافى مع الشرائع والأعراف والقيم الإنسانية كافة، مؤكدا أن الحاجة باتت ماسة لوضع خطة شاملة لمحاربة الإرهاب والتطرف. ويبقى نشر وسطية الدين الإسلامي الحنيف، وعمل كل من ينتسب إلى الإسلام كقدوة حسنة، مع رفع مستوى الوعي خاصة عند الغربيين ممن تأثر فكرهم بنشر الوسائط (الميديا) المعادية للإسلام، لتكون بمثابة وسائل لمحاربة التطرف في الغرب في محاولة لمنع تكرار ما حدث، خاصة أن الذي أجرم في حق دمائنا الطاهرة ما نفك يكرر عنصريته حتى وهو في المحاكمة بأنه فخور بما فعل وأنه حريص على أن يسلك أتباعه مسلكه في الأيام المقبلة.

إن المتتبع لنشاط وزارة الأوقاف يرى بوضوح هذا الجهد الكبير في متابعة الأحداث وتعزيز التلاحم بين المسلمين كافة مع ضبط السلوك ورفع الوعي، ومن ذلك التعميم الموجه من مكتب الوكيل المساعد لشؤون المساجد م. داوود العسعوسي إلى جميع أئمة المساجد بأداء صلاة الغائب على إخواننا الذين قضوا ظلما وعدوانا في العمل الإرهابي.



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع المساجد
مكتب الوكيل المساعد لشئون المساجد

تعميم إداري رقم/ 4 /2019م

صلاة الغائب على إخواننا الذين قضوا ظلما وعدوانا في العمل الإرهابي الذي استهدف جموع المصلين في مسجدين في دولة نيوزيلاندا

موجه إلى الإخوة الأفاضل الأئمة والخطباء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

يهديكم مكتب الوكيل المساعد لشؤون المساجد أطيب تحياته، راجياً لكم دوام التوفيق والسداد، ونثمن لكم جهودكم في خدمة بيوت الله تعالى، سائلين الله تعالى أن يجزل لكم المثوبة والعطاء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(92) الأنبياء: ٩٢.

وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» أخرجه الشيخان.

و لا يخفى عليكم العمل الإرهابي الذي استهدف إخواننا المسلمين الآمنين وهم في صلاة الجمعة في مسجدين في دولة نيوزيلاندا، أدى إلى قتل خمسين مصليا نحسبهم عند الله من المقبولين، وعشرات الجرحى نسأل الله تعالى لهم تمام الشفاء والعافية.

واستنادا إلى ما رواه الإمام البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: "مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة".

لذا نهيب بجميع أئمة المساجد إقامة صلاة الغائب على إخواننا المصلين الذين قضوا ظلما وعدوانا في هذا الحادث الإرهابي في مساجد دولة الكويت كافة والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والقبول وذلك بعد صلاة المغرب اليوم الأحد 10 من رجب 1440 هـ الموافق 2019/3/17م، وكذلك الدعاء لهم في خطبة الجمعة.

وتفضلوا بقبول فائق التقدير والاحترام ،،،

الوكيل المساعد لشؤون المساجد

١٠ رجب ١٤٤٠
١٢ مارس ٢٠١٩
م/ داوود عبدالوهاب العسعوسي
الوكيل المساعد لشئون المساجد

الكويت - الرقعي - شارع محمد بن القاسم - تلفون ...

أيضا قدم د. صالح السعيد الاثنين الثامن عشر من مارس بديوان د. فهد ابن صبح محاضرة قيمة عن «تحصين الأبناء من الإرهاب» كنشاط جديد لمركز تعزيز الوسطية، ويذكر أن مجلة «الوعي الإسلامي» نشرت مقالا عن الإسلاموفوبيا للكاتب محمد شتوان ثم ترجمته في العدد نفسه إلى اللغة الإنجليزية، وأرفق المقال مترجما في ملزمة خاصة (١٦) صفحة تتحدث عن الرسول ﷺ موجهة إلى القارئ الغربي.

وكلها فعاليات تؤكد حرص وزارة الأوقاف الكويتية بقطاعاتها وإداراتها المختلفة على مكافحة كل تطرف وكل فكر هدام.



أميرة الشناوي كيوان
مدرس أول بوزارة التربية والتعليم المصرية

البيان فيما ورد من صيام شعبان

لقد جعل الله تعالى بحكمته لكل شيء تهيئة واستعدادا، فالصلاة يجب أن يتقدمها الوضوء والطهارة، والحج يجب أن يتقدمه الاستعداد القلبي والنفسي والتحلل من المظالم، والزكاة لا تدفع إلا إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب، وشهر رمضان جعل الله له مقدمة عظيمة هو شهر شعبان، الذي كان رسول الله ﷺ يخصه بمزيد من الصيام والقيام ما لا يخص غيره من الشهور، عدا شهر رمضان، وذلك لقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان»[1].

ولقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بالصوم في هذا الشهر الكريم، منها ما يتعلق بفضل الصوم فيه مطلقا، ومنها ما يتعلق بالنهي عن الصيام بعد منتصفه، أو النهي عن صيام يوم الشك، وهو اليوم الأخير منه، وأحاديث وصل شعبان برمضان وغيرها.

ونبين هنا المنهج الذي كان يترسمه رسول الله ﷺ في صيام شهر شعبان؛ روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله يصوم حتى نقول إنه لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياما منه في شعبان»، وفي رواية لمسلم «كان يصوم شعبان كله»، وفي رواية أخرى له «كان يصوم شعبان إلا قليلا».

وقد رجح العلماء أن النبي ﷺ ما صام شهرا كاملا إلا رمضان، وهو ما بينه عبدالله بن عباس بقوله: «ما صام رسول الله شهرا كاملا غير رمضان» (رواه البخاري ومسلم).

قال ابن حجر: «كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه، وكان يصوم معظم شعبان»[2].

وقال الإمام الصنعاني، بعد أن ذكر هذا الحديث: «وفيه دليل على أنه كان يخص شهر شعبان بالصوم أكثر من غيره»[3] وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سأل رسول الله عن كثرة صيامه في هذا الشهر الكريم، فقال: «قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب



ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[٤]، فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أن رسول الله كان يصومه أو يصوم أكثره.

وقوله ﷺ: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» إشارة إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان (الشهر الحرام وشهر الصيام) واشتغل الناس بهما، صار مغفولا عنه، مما حدا ببعض العلماء، ومنهم ابن رجب الحنبلي، أن يذهب إلى تفضيل صيام شهر شعبان على الصيام في الأشهر الحرم، وعلل ذلك بقوله: إن أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان؛ قبله أو بعده، تكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب، مع الفرائض قبلها وبعدها، وهي تكملة لنقص الفرائض وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده. فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بعد عنه[٥].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «أصمت من سرر شعبان؟ قال: لا. قال: فإذا أفطرت فصم يومين»[٦]. وسرر (بفتح السين وكسرها)، المراد بها آخر الشهر، سميت بذلك لاستسرار القمر فيها؛ أي استتاره[٧]. هذا الحديث مخالف للأحاديث الواردة في النهي عن صيام النصف الآخر من شعبان، والنهي عن تقدم رمضان بصيام يوم أو يومين.

وأجيب عن ذلك: بأن هذا الرجل كان معتاد الصيام آخر الشهر، وتركه خوفا من الدخول في النهي عن تقدم رمضان بصوم، فبين له النبي ﷺ أن الصوم المعتاد لا يدخل في النهي، وإنما ينهى عن غير المعتاد[٨].

أقوال العلماء في صيام آخر شعبان

لقد فصل العلماء صيام آخر شعبان على ثلاثة أقوال:

الأول: أن يصام احتياطا لرمضان؛ وهو منهي عنه لقول رسول الله ﷺ: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم»[٩]. يقول ابن عبدالبر: «ولا يجوز لأحد صيام يوم الشك، خوفا من أن يكون من رمضان»[١٠]. والمشهور من المذهب المالكي أن النهي للكراهة[١١].

الثاني: أن يصام بنية النذر أو الكفارة أو قضاء رمضان، حكمه الجواز[١٢].

الثالث: أن يصوم تطوعا، وقد أجازه الإمام مالك بناء على قوله ﷺ: «لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوما فليصمه»[١٣]. يقول ابن عبدالبر: «بعد أن بين النهي عن صيام يوم الشك احتياطا، فإن تيقن أنه من شعبان جاز صيامه تطوعا»[١٤]، وقال النووي: «فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصيام يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة له فهو حرام، هذا هو الصحيح من مذهبنا»[١٥]، وإذا حال غيم أو سحاب دون رؤية الهلال ليلة الثلاثين، أكمل عدة شعبان ثلاثين يوما، ثم صامه ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غم، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله وهذا أمره، ولا يناقض هذا قوله ﷺ: «فإن غم عليكم فأقدروا له»[١٦]، فإن القدر هو الحساب المقدر، والمراد به الإكمال، إكمال عدة الشهر الذي غم، وقال ﷺ: «الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين»[١٧].. هكذا يتضح أن شهر شعبان له فضل عظيم، يكفي في شأنه أن رسول الله ﷺ كان يكثر فيه من الصيام، وينبه أصحابه إلى أنه شهر يغفل الناس عنه، فهو مقدمة لرمضان. وعلى المسلمين أن يجتهدوا فيه بالتزام الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات، حتى تروض أنفسهم وتؤهل لصوم هذا الشهر الكريم، على الوجه الذي يرضي المولى عزوجل.

الهوامش

١- أخرجه مسلم.
٢- فتح الباري، ٢٥١/٤.
٣- سبل السلام، ٣٤٢/٢.
٤- رواه أحمد والنسائي.
٥- لطائف المعارف، ٢٥٠ و٢٥١.
٦- رواه البخاري ومسلم.
٧- تاج العروس للمرتضى الزبيدي، ٢٩٣٨/١.
٨- شرح النووي على صحيح مسلم، ١٨١/٤.
٩- رواه البخاري.
١٠- الكافي في فقه أهل المدينة، ١٢٨.
١١- مواهب الجليل، ٢٩٩/٣.
١٢- التاج والإكليل لمختصر خليل، ١٨٧/٣.
١٣- رواه مسلم.
١٤- الكافي مرجع سابق، ١٢٨.
١٥- معالم السنن للخطابي، ٨٥/٢ باختصار.
١٦- رواه البخاري ومسلم.
١٧- رواه مسلم.



د. إبراهيم محمد بيومي
أكاديمي بكلية أصول الدين
جامعة المدينة العالمية - مصر

شعبان والحياء من الله

يتميز شهر شعبان بمميزات عديدة وفضائل كثيرة فهو شهر يحبه رسول الله حتى أطلق عليه شهر الحبيب، وهو شهر الحياء من الله، فلقد كان النبي ﷺ يكثر فيه من الصيام والأعمال الصالحة حتى ترفع أعماله إليه وهو صائم.

شهر شعبان من المواسم المعدودة والأزمنة المحدودة لزيادة الأعمال والطاعات والعبادات فيها، والتقرب من الله تعالى، والتي كان النبي ﷺ يكثر فيها من العبادات والقربات، فهو شهر من الأشهر المباركة التي يتشعب فيها الخير، ويكثر فيها الأجر وترفع فيها الأعمال لذلك كان النبي ﷺ يكثر فيه من الصيام، روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهرا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله»[1].

لقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- حريصا على الطاعة والعبادة في شهر شعبان ويخصه بمزيد من الأعمال الصالحة، وقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبي ﷺ عن سبب تخصيصه هذا الشهر بمزيد من الأعمال والعبادات، روى النسائي وأحمد واللفظ له عن أسامة بن زيد قال: «كان رسول الله ﷺ يصوم الأيام يسرد حتى يقال لا يفطر، ويفطر الأيام حتى لا يكاد أن يصوم إلا يومين من الجمعة، إن كانا في صيامه وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من شهر من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله، إنك تصوم لا تكاد أن تفطر، وتفطر حتى لا تكاد أن تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك وإلا صمتهما. قال: «أي يومين؟» قال: قلت: يوم الاثنين ويوم الخميس، قال: «ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» قال: قلت: ولم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[2].

ومن حياء النبي من ربه أنه كان يحرص على الصيام وقت رفع الأعمال، لذلك كان يواظب على صيام يومي الإثنين والخميس لأنهما ترفع فيهما الأعمال، ولا تعارض بين رفع الأعمال في يومي الاثنين والخميس ورفعها في شعبان، فإن عمل العام يرفع في شعبان كما أخبر النبي ﷺ أنه ترفع فيه الأعمال، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم. ويعرض عمل الأسبوع يوم الاثنين والخميس، وإذا انقضى الأجل رفع عمل العمر كله، وطويت صحيفة العمل.

يوضح النبي ﷺ في هذا الحديث الحكمة من تخصيص شهر شعبان بالصيام ومن ذلك:

أنه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، يشير إلى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان (الشهر الحرام وشهر الصيام) اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولا عنه.

ومنها حياؤه من الله تعالى أن يرفع عمله إليه وهو على غير طاعة، ويتجسد حياء النبي ﷺ من ربه ونظره إليه في قوله «فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» ففي الحديث كمال حياء النبي ﷺ من ربه، فالحياء من أخلاق النبوة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[3].

قال الخطابي: «قال الشيخ: معنى قوله «النبوة الأولى» أن الحياء لم يزل أمره ثابتا، واستعماله واجبا منذ زمان النبوة الأولى، وأنه ما من نبي إلا وقد ندب إلى الحياء وبعث عليه، وأنه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يبدل فيما بدل منها»[4].

لقد حرص النبي ﷺ على أن يرفع عمله إلى الله وهو في أكمل أحواله الإيمانية وأحبها إلى الله، حياء من الله سبحانه وتعالى، وحرصا منه على أن يكون كما يريده خالقه ومولاه، لأنه من استحيا من الله استحيا الله منه.

يتجسد الحياء من الله في شعبان في أن تستحي من أعمالك وهي تعرض بين يدي الله تعالى وأنت على غير طاعة، أن تستحي من كل ما كتبه الملائكة في صحيفتك من سوءات وعورات، وهي تعرض على الله في هذا الشهر فلو عرضت وأنت على طاعة غفرها الله لك وتجاوز عما كان فيها من ذنوب وعصيان، وهذا أعظم أنواع الحياء: الحياء من الله، ويكون ذلك بعمل الطاعات، والبعد عن السيئات، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

قال أبو الحسن الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين»: الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه:

أحدها: حياؤه من الله تعالى

والثاني: حياؤه من الناس

والثالث: حياؤه من نفسه.

فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره، وأما حياؤه من الناس: فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح، وأما حياؤه من نفسه، فيكون بالعفة وصيانة الخلوة[٥].

وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك، فمن عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر، ومن عظمت عنده نفسه استحيا منها أكثر من استحيائه من غيره.

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

لقد كان النبي حييا شديد الحياء حتى لقد وصفه مخالطوه بأنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كان هذا حاله مع الناس فحياؤه من الله أشد، فالله أحق أن يستحيا منه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء»، قال: قلنا: يا رسول الله، إنا نستحيي والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[٦].

قال ابن رجب شارحا لهذا الحديث: «يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان عن المحرمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرم الله، ويتضمن أيضا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عزوجل اللسان والفرج»[٧].

الحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان، فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه وعندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي أو ترى حمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق، فاعلم أنه حي الضمير، نقي المعدن، زكي العنصر، وإذا رأيت الشخص صفيقا بليد الشعور، لا يبالي ما يأخذ أو يترك، فهو امرؤ لا خير فيه وليس له من الحياء وازع يعصمه عن اقتراف الآثام وارتكاب الدنايا.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة
والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها
إن الذي خلق الظلام يراني

قال ابن القيم: «خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرا وأكثرها نفعا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء»[٨].

فمن استحيا من الله في الدنيا بالبعد عن المعاصي استحيا الله منه في الدنيا إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا، واستحيا أن يعذبه يوم القيامة حين تعرض أعماله عليه.

الهوامش

١- رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، حديث رقم ١٩٧٠.

٢- أخرجه النسائي (٢٠١/٤، ٢٠٢) كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ، وأحمد في المسند (١٠٢/٥).

٣- البخاري كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت (٥٧٦٩).

٤- معالم السنن للخطابي، ٤-١٠٩.

٥- أدب الدين والدنيا، الماوردي، ص٢٥٠.

٦- سنن الترمذي - صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٨)، مسند أحمد - مسند المكثرين من الصحابة (٣٨٧/١).

٧- جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص٤٦٤.



د. مجدي فتح الباب
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
مصر

تحـــويل القبلـــة..
عظمة الحدث وتهافت النقد



ما وجه التعجب والاستغراب الذي قوبل به هذا الحدث العظيم (تحويل القبلة)؟! مع أن التشريعات السابقة لأهل الكتاب إذا تأملنا فيها وجدنا العقل قد لا يصل إلى الحكمة منها، بيد أننا ننظر إليها كتشريع إلهي للناس، ربما تقصر عقولنا عن إدراك الحكمة منه، وقد حكى القرآن طرفا منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (الأنعام:١٤٦).

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٣).

ومما شرعه الله لنا التصدق قبل مناجاة النبي ﷺ، ثم نسخ ذلك، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٣﴾ (المجادلة:١٢-١٣).

والتشريع الإلهي واسع يفيض بكثير من هذه الأمثلة، وحكم الله بالغة لا يدركها العقل البشري في كثير من الأحوال، والتشريع قائم على مراعاة مصالح العباد، وربما يكون عقابا على جرم اقترفته أمة من الأمم، أو للتوسعة على الفقراء والمساكين، أو مجرد التعبد بالأوامر الإلهية، أو اختبارا للعباد، أو غير ذلك من حكم إلهية.

فيجب ألا تبادر العقول للتعجب والاستغراب، والألسن إلى الخوض والطعن والهمز واللمز، فما هكذا ينظر العباد إلى التشريع الإلهي.

لكن بني إسرائيل قوم بُهت لديهم

لدد في الخصومة، وقد تعودوا سوء الأدب مع الله تعالى، ومع أنبيائه عليهم السلام، فسلوكهم عدواني، وينظرون إلى الآخر نظرة دونية.

فالأمر لا يحتاج إلى تعجب واستهزاء، بل يحتاج إلى أدب وتسليم وطاعة لأمر الله تعالى، فهم كانوا يقولون: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ (البقرة:٩٣) وأمة الإسلام تقول: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥).

إن كل الجهات لله، وقد فضل سبحانه بعض الجهات على بعض، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ (البقرة:١٤٢). كما فضل أزمانا على أزمان وكتابا على كتب، ورسلا على رسل، وهو سبحانه القائل: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (القصص:٦٨).

إيحاءات الحدث العظيم

لقد كان توجه النبي ﷺ وأصحابه إلى المسجد الأقصى مركز هذا الحدث، ثم كان الأمر بالتوجه للمسجد الحرام ليرسخ ذلك مبدأ من المبادئ القرآنية، ألا وهو ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ (الجن:١٨).

يبين الحدث أهمية المسجد الأقصى لدى المسلمين، فيجب أن يحظى بعناية الأمة، ويجب على الأمة أن ترعاه وتوليه اهتماما، وتدافع عنه، وأكدت هذه الأهمية رحلة الإسراء إليه ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

فهو إسراء وقبلة تم تحويلها، مع بقاء الفضل له كبقعة مباركة، فقد بناه الأنبياء، وصلى فيه الأنبياء، فالمسجد الأقصى جزء من تاريخنا التشريعي، وجزء من شعائر الله تعالى.

هذا الحدث أبرز الطاعة والتسليم لأوامر الله تعالى عند أهل الإيمان الصادق، لا مناقشة ولا مجادلة ولا استغراب للأحكام التشريعية، فهي لا ريب لا يدرك العقل البشري حكمها، ومراد الله تعالى منها.

لقد كان هذا الحدث اختبارا من الله تعالى للعباد بما شاء من أحكام وتشريعات، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ (العنكبوت:٢).

وأبرز ما في الحدث البعد بالأمة عن التشبه أو المشاركة لأهل الكتاب أو غيرهم في التوجه لقبلة أو التشارك فيها، لتكون أمة الإسلام في ثوبها القشيب، في وجهتها، وشعائرها، وأحكامها، وتشريعاتها، لتتم لها السيادة والريادة على الأمم، فالقرآن الكريم مهيمن على الكتب السابقة، أي: شهيد وحاكم على ما قبله من الكتب، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ (المائدة:٤٨)، -مهيمنا- على الكتب السابقة، وأمتنا شاهدة على الأمم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ (البقرة:١٤٣)، ونبينا ﷺ شاهد كذلك على الأمم ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾ (النساء:٤١).

شبهات حول تحويل القبلة

كل الأمم لها عباداتها وشعائرها فلماذا استنكروا تحويل القبلة على المسلمين؟!

كما حكى القرآن عنهم ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة:١٤٢)، والمراد بالسفهاء في هذه الآية: المنافقون واليهود والمشركون[١]، قال الزجاج: نزلت هذه الآية في كفار قريش لما أنكروا تحويل القبلة، وقالوا: قد اشتاق محمد إلى مولده، وعن قريب يرجع إلى دينكم. ومعنى السفه: خفة الأحلام والعقول[٢]، وقالوا: إن هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم فلم رجع عنه؟[٣].

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة مكث ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا يصلي متوجها إلى بيت المقدس، وقد فرحت اليهود بذلك، فلما استقبل المسجد الحرام ارتاب اليهود، وأذاعوا مقولتهم: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟[٤]، وقالوا: التبس أمره وتحيره، وكذلك أرجف المنافقون بمثل هذه الأقوال المثيرة للريب بين الناس، واستهزأوا بالمسلمين، وأما المؤمنون فلما بلغهم الأمر بتحويل القبلة تحولوا وهم ركوع إلى الكعبة، وهذا يدل على كمال طاعتهم وانقيادهم لأمر الله[٥].

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى

الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة:١٤٤) فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة:١٤٢)، فصلى مع النبي ﷺ رجل ثم خرج بعدما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة[٦].

ولكن أهل الإيمان تساءلوا ما حال إخواننا الذين ماتوا قبل تحويل القبلة؟ ففي الصحيح عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس. فقال الناس ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (البقرة:١٤٣)[٧].

إن الله تعالى خص كل أمة بنبي، وعبادات، وشعائر، كذلك خصهم بجهة يتوجهون إليها، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة:١٤٨).

ولكل أهل الكتاب قبلة يرضونها؛ لليهودي وجهة، وللنصراني وجهة، وهدي أهل الإيمان إلى المسجد الحرام قبلة لهم.

وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ (المائدة:٤٨)[٨].

فلماذا ذلك الاستفزاز الفكري، وهذا الترويج الحاد للشائعات والأقاويل المناقضة للعقل؟ مع أن الإيمان الحق يتطلب من المؤمنين الانقياد والتسليم.

إن السر في هذا الهجوم هو الحسد لأمتنا على ما حباها الله من هدايات وكمال الدين وتمام النعمة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يعني في أهل الكتاب: «إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة الذي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين»[٩].



تحويل القبلة حفاظا على الهوية

لقد كان النبي ﷺ يتطلع للتوجه إلى البيت الحرام، ليسد الطريق المؤدية إلى المشاركة أو المشابهة في الشعائر لأمة الإسلام مع أهل الكتاب أو غيرهم، حفاظا على هوية الأمة.

وقد تأكد نهي النبي ﷺ عن التشبه في عدة أحاديث منها قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[١٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[١١].

لقد تم إغلاق هذا الطريق ليتحقق للأمة الاستقلالية والتميز في العقائد والشعائر، إن القضية ليست في استقبال جهة أو التحول عن جهة، إنما جوهر القضية في الامتثال والانقياد والتسليم لأوامر الله.

وقد حسم القرآن الكريم هذه المسألة في قوله سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧).

لذلك تحول أصحاب النبي ﷺ وهم ركوع إلى الكعبة دليلا على كمال طاعتهم وانقيادهم لأوامر الله[١٢].

فلتمض الأمة على هذا الدرب، درب الطاعة والتسليم والانقياد لله تعالى.

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٠.
٢- المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٣٥.
٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٥.
٤- السابق ١/ ١٨٩.
٥- السابق ١/ ١٩٢.
٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري / ٣٩٠، سنة النشر ١٩٨٦ م دار الريان للتراث.
٧- أخرجه الترمذي عن ابن عباس - ابن كثير ١/ ١٩٢.
٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٤.
٩- مسند الإمام أحمد.
١٠- رواه أبو داود (اللباس/٣٥١٢).
١١- رواه البخاري ٧٣١٩، ومسلم ٢٦٦٩.
١٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٠.



عبدالحميد محمد الراوي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

على أبواب رمضان



شهر رمضان موسم ليس كأي موسم ففيه يشرف الزمان بحلل التجلي الإلهي وفيه تنطفئ جذوة الشر في النفوس وفيه يعتلج الشوق للقاء الروح مع خالقها بروحانية القرآن الذي أنزل فيه وفيه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، وهو موعد زمني اتصلت فيه السماء بالأرض في ليلة مباركة وفيها مقادير الحراك لجولة الإنسان السماوية مع ربه ومع الناس، ولقد كان الصالحون يتشوقون لبلوغ الشهر ويتشوفون هلاله لإدراكهم قيمة الشهر وأهميته.

آلية الاستعداد للظفر بمنزلة الشهر

من أخطر أنواع التحول في استقبال رمضان، الانقلاب في الاستعداد له بالطاعات والعبادات إلى التسلية باللهو ومشاهدة المسلسلات.

ولقد كان الصالحون يستعدون له بالتهيئة النفسية لاستقبال الشهر وإدراك عظيم فضله بكثرة الصيام في شعبان وبذل المال فيه للفقراء كي لا يتكلفوا عناء القوت في الشهر فيعيقهم عن الطاعة فرمضان لا يسع غيره.

وقد تحول الاستعداد لرمضان إلى سباق لملء البطون عند الفطر وتسلية للعيون في الليل.

وتلك ثقافة تنم عن قصور في إدراك مقاصد الشهر الكريم ومكانته، فكيف نستعد له؟

الاستعداد النفسي والسلوكي

ويتحقق ذلك بتهيئة النفس لشهر رمضان قبل دخوله بذكره ووضع

اللمسات التي يريد الصائم تحقيقها في رمضان وذلك من خلال ما يأتي:

- منح الشهر حيزا من التفكير فيه والشوق إليه وفي طريقة صيامه وقيامه، ولقد كان رسول الله ﷺ يتشوق لرمضان ويترقب بلوغه، فعن أنس قال، كان النبي ﷺ إذا دخل رجب قال «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان»[1] .

- استشعار الخصوصية للشهر: خصوصيات ينبغي للمقبل على الشهر أن يستحضر فضلها إذا بلغه الله رمضان، ومنها خصوصية الثواب على العمل بأبسط الأجور، ومنها استواء الإنسان طيبا في كل أحواله «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه»[2].

- المقارنة بين سلوكياته الحالية وما يتمنى تحقيقه في الشهر من تطور إيجابي، وقد حفز رسول الله ﷺ لذلك بالتحفيز الإيجابي لذكر مميزات الشهر وخصوصياته فقال: «أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عزوجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[3].

- المقاربة من الشهر باتخاذ بعض القرارات السلوكية والأخلاقية قبل الدخول في شهر الصيام، وكان رسول الله ﷺ يستعد لذلك بكثرة الصيام لتطويع النفس على اغتنام رمضان، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول إنه لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان»[4].

إن هذه اللمسات من شأنها أن تمكن المسلم من التعايش مع الشهر من الناحية النفسية دون اكتئاب في أول الشهر أو آخره، فبعض الناس يفجعه انقطاع العادة في المطعم والمنام فكان لابد من تأهيل النفس قبل ولوجها الشهر.

الاستعداد الروحي

شهر رمضان هو شهر لتنزل التجليات وتواصل الرحمات ولابد لتلك الفيوضات أن تجد روحا مؤهلة لتلك الرحمات بما يمكنها من نيل الغفران والدخول إلى العشر ثم التتويج بليلة القدر، ولتحقيق ذلك لابد من التحرر من دنس المعاصي وقد خص الله عباده في هذا الشهر بمزية تعينهم على براءة أرواحهم من دنس المعاصي، فصفد الشياطين كي يأنس الخلق بطاعة ربهم بعيدا عن نزغ الشيطان ونفثه ووساوسه، فقال ﷺ: «تغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين»[5].

الاستعداد الأخلاقي

إن من أعظم مقاصد الشهر الكريم تحقيق البناء الأخلاقي للمسلم في رمضان وغيره، إلا أنه في رمضان يستعد استعدادا أخلاقيا يليق بعطايا الخالق في الشهر، فهو إن كان له أن يواجه الاعتداء بمثله ولا يظلم، ففي رمضان يتغاضى عن ذلك حبا في الله تعالى ألا يدنس صيامه بما لا يليق وهو ما أوصى به رسول الله ﷺ في قوله: «إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم»[6].

المراجعة الحقوقية

الحقوق على نوعين حق لله تعالى وحق للعباد وحتى يدخل المسلم الشهر بلا معوقات عليه أن يتخلص من كل التبعات التي بينه وبين العباد وبينه وبين الله تعالى، فلا قيمة للصيام في نفس تأكل أموال الناس أو تظلمهم، وقد حث رسول الله ﷺ على أن يتصالح الناس قبل دخول الشهر، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا مشرك أو مشاحن»[7].

الاستعداد المعرفي

للصيام فضل عظيم لكن فضله في رمضان يأتي من وجهين، الأول كونه في زمن قدسه الله تعالى وهو رمضان ذلكم الشهر الذي فضله لنزول كلامه الخالد.

والثاني لأنه ركن من أركان الإسلام والاحتفاء به احتفاء بشطر من الدين، وقد أشار الله تعالى لفضل هذا العمل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[8] ولذلك وجب على المسلم أن يتزود بمعاني الصيام التي تحدد المقصد الأخلاقي وتوصل إلى الظفر بأجره وثوابه ولعل من أبرز هذه المعاني ما يلي:

تربية النفس بسياسة المنع فالصيام إمساك وامتناع، وهذا الامتناع على نوعين، صيام أبدي بالامتناع عن المعاصي والإمساك عن كل ذميم.

وصيام مؤقت بالإمساك عن المباح والطيبات فإذا كان المنع أحيانا عن الضرر وما هو فاسد فهو في صيام رمضان يكون عن المباحات والطيبات أيضا تحقيقا لتهيئة النفس للانضباط الأخلاقي فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات تغلغلت في المحظورات.

- كسر التأثير الطبعي لهيمنة النفس فإذا كان الشيطان مغلولا في رمضان فإن النفس على ما عودتها، وقد اختار النبي ﷺ حرمانها بالتجويع حتى تكون أكثر طواعية

- أثر المطعم في بلوغ المقاصد والثمرات: من أخطر ما يتهدد الصائم ويفوت عليه مقاصد الشهر وجمال الطاعات، وتذوق التجليات هو إثقال النفس بكثرة الطعام عند الإفطار، فالعبرة ليست بحرمان النفس ثم التعويض بإتخامها، فالبطن إذا امتلأ اشتعلت فيه كوامن الغريزة، ولذا قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٩].

فإثقال البطن بما يملؤه خنق للروح أن تستعذب حلاوة الطاعة، لذا كان بعض السلف يقول «لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا»[١٠] وكان طعام رسول الله ﷺ لا يزيد على لقيمات يتقوى بها على عبادة ربه فيفطر على تمرات.

- استشعار معاني العبودية فخصوصية العبد تكمن في تضحيته بالاستسلام لما يؤمر به وينهى عنه، وقد أحل الله لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، والصيام في رمضان إمساك عما أحله الله لنا من الطيبات ساعات النهار مع ما حرمه حبا في الله وطاعة له ولذلك يقول الله في الحديث القدسي: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»[١١].

الليل عنوان الصيام

يجتهد بعض الناس في صيام النهار في رمضان ويتراخى عن اجتهاده في الليل، والحق أن الليل هو قطاف النهار ولذا يجب اغتنامه كما يأتي:

الليل هو مضمار الصائم وميدان العطاء: ومشكلة الناس ظنهم أن العبادة في نهار رمضان بالامتناع عن الأكل والشرب، فإذا ما انتهى الغروب فقد حل للمسلم كل ما منع عنه، وله أن يرتع في الليل ويلهو كما يشاء، وهذا قصور في الفهم يتنافى مع مقاصد الصيام وأهدافه، فمع دخول الليل تبدأ العطايا من العتق وفتح أبواب الجنان، فالصيام بالنهار إعداد من أجل القيام بالليل، فما قدمته من تضحية من ترك المطعم إنما تكافأ عليه بالوقوف بين يدي ربك بالقيام والدعاء، وتلاوة القرآن، بذلك يفاخر الله بك ملائكته وتظفر بشفاعة الصيام والقرآن.

وقد أكد النبي ﷺ على حسن الصحبة بين القرآن ورمضان في أخلاق المسلم، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول القرآن رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ويقول الصيام رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه فيشفعان»[١٢] وهذا يدل على أن حدود الله لا تقف عند الإفطار بل تمتد لتشمل الليل.

الليل فلك المناجاة

اعلم أيها الصائم أنك إذا أحسنت إلى صيامك بالنهار، وأتبعته بحسن القيام في الليل فإن الله قد يصطفيك في مناجاته في آخر الليل، وهي قمة العطاء فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا فيقول، هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر»[١٣].

العمل على إدراك الغنيمة

كثيرة هي المغانم في هذا الشهر المبارك وأقربها ما جاء الوعد به في ثنايا آيات الصيام فقال تعالى واصفا أهل الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، ومن أجل المغانم التي يرجوها الصائم العتق من النار، فإذا أقبل الغروب ونادى المنادي فلا يشغلك المطعم عن استثمار الدعاء والتفت إلى موعود الله بجواب سؤالك وسله العتق من النار فإنه المغنم لصيامك، وإذا أقبل الليل فلا يصدنك لهو عن مناجاة ربك فإنه أقرب ما يكون منك في شهره فبادر بالقرب إليه وتوسله بالدعاء لنفسك وأهلك ومن تحب.

الهوامش

١- مسند البزار ١١٧/١٣ برقم ٦٤٩٦، قال الهيثمي رواه البزار والطبراني في الأوسط.
٢- متفق عليه.
٣- سنن النسائي ٢١٠٦.
٤- صحيح البخاري ٣٨/٣ برقم ١٩٦٩.
٥- سنن النسائي برقم ٢١٠٧.
٦- رواه مسلم برقم ١١٥١.
٧- سنن ابن ماجه برقم ١٣٩٠.
٨- متفق عليه.
٩- رواه البخاري برقم ١٨٠٤.
١٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفى جزء ١ / ٨٥.
١١- رواه البخاري ١٧٩٥.
١٢- أخرجه أحمد (٦٦٢٦).
١٣- صحيح مسلم.



محمد جباري
باحث في التاريخ
المغرب

تكتيك جديد في مسار المشروع الصهيوني

الاستعراب الإسرائيلي على وســـــ

نقف في هذه الورقة على أحدى صور التطور في السياسة والإستراتيجية الإسرائيلية تجاه العالم العربي، الأمر يتعلق بعملية «قصف العقول»، التي باتت تمارسها الآلة الإسرائيلية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي على الشباب العربي، في مسعى لتغليط الوعي العربي الشاب حيال القضية الفلسطينية، والترويج للرواية الصهيونية المزعومة، في اتجاه تحصيل اعتراف وتطبيع عربي مع الكيان الدخيل.

أولا- إسرائيل من احتلال الأرض إلى احتلال الواقع الافتراضي

على الرغم من المكاسب غير المشروعة، التي حققها الكيان الصهيوني على الواقع منذ إعلانه دولة، فإن الغربة والانعزالية في الوطن العربي لا تزال تؤرق الساسة الإسرائيليين. لذلك، فطنت إسرائيل إلى توظيف الواقع الافتراضي لخدمة الاحتلال وإصباغ المشروعية التي يفتقدها، وفي هذا السياق، سخّرت إسرائيل خلايا ومراكز بحث وصحفيين ومدونين يتقنون العربية وأحدثت مواقع خاصة لذلك، بهدف خلق تواصل مع الشباب العربي ثم استمالته إلى جانب الدعاية الإسرائيلية، التي تحاول تغيير الحقائق وتزوير التاريخ وبالتالي نسف العقيدة والموقف العربي تجاه الصهاينة.

إن إسرائيل بتوجهها الجديد هذا، تحاول اختراق القاعدة والمستقبل العربي (الشباب)، لتحقق حلم اعتراف العالم العربي بإسرائيل كدولة طبيعية، وتطبيع علاقته بها. وإذا كانت هذه الطموحات لم تستطع تحقيقها في الواقع الحقيقي، فإنها رفعت التحدي إلى العالم الافتراضي علها تتمكن من إقناع الوعي العربي/الشاب، بأنها ذلك الكائن الوديع البريء المحب للسلم والسلام، وأنها لا تطلب إلا هو، لكن جيرانها العرب لا يسمحون لها بمحاولة العيش. وهكذا تكسب ود وتعاطف المتلقي العربي البريء و«الساذج» بقضايا السياسة والتاريخ، مع الأطروحة الصهيونية المحبوكة، فيصبح هذا الموقف المتحقق افتراضيا مكسبا وورقة ترافع بها الدبلوماسية الإسرائيلية على الواقع الحقيقي.

تكمن خطورة هذا التوجه والانعطاف في الإستراتيجية الصهيونية نحو فلسطين والعالم العربي عموما، في أن المخاطَب هنا، لا يملك وعيا كافيا بالقضية الفلسطينية، حيث إن هذه الفئة (الشباب) ذات ثقافة هشة ومستوى تعليمي متواضع، لا يسعف في تكوين إلمام بالتاريخ والقضية الفلسطينية وما يتعلق بها من حيثيات وقضايا.. ولعل هذا يحيلنا إلى أن أي تغليط أو زيغ في موقف هذه الفئة، يمثل خطورة على مستقبل الموقف العربي حيال القضية الفلسطينية. من هذا المنطلق، نلاحظ أن إسرائيل تنبهت إلى هذه النقطة، فوجدت فيها «ثغرة» مواتية لتتسرب إلى الوعي العربي، ومداعبته بـ«ديماغوجيتها» على أمل التأثير فيه وزحزحة مبادئه

ـــــــائل التواصل الاجتماعي

وتمثلاته تجاه القضية الفلسطينية.

ثانيا- نحو وعي شبابي مضاد للقصف الصهيوني

في سياق حديثنا عن الانعطاف الخطير الذي أخذت تسلكه الدعاية الصهيونية تجاه العقل العربي، وإثارة البال للخطورة التي ينطوي عليها هذا التكتيك الجديد، لا بد من تسجيل ملاحظة مهمة مفادها: استغلال الكيان المزعوم للظروف الحرجة التي تعصف بالمنطقة العربية، من فوضى وصراعات سياسية وإثنية ومذهبية.. وانقسامات وانهيار حكومات ودول، لذلك فإن إسرائيل رأت في هذه الاضطرابات فرصة سانحة لتمرير مخططها المذكور، ذلك أن العالم العربي يعاني فراغا سياسيا ومنشغلا بمشاكله، مما يفوت عليه الالتفات لتحركات إسرائيل وإحباط مشاريعها.

وفي هذا الصدد، لا مندوحة من تدخل جميع الأطراف المعنية بالملف الفلسطيني والقادرة على المساهمة في النضال الفلسطيني بشكل من الأشكال -ضد سرقة الأرض والإبعاد القسري للإنسان الفلسطيني ليعيش الشتات والتسول.. في المنافي القريبة والبعيدة، في زمن التشدق بحقوق الإنسان وغيرها من المقولات الرنانة التي يطلقها الغرب بين الحين والآخر- من مؤرخين وسياسيين ومختصين بالشأن الفلسطيني والإسرائيلي، لتوعية الشباب العربي الصاعد بخطورة هذا الأمر، وتمكينه من ثقافة صحيحة حول القضية الفلسطينية وتاريخها وتطوراتها وتبيان الحقائق من الادعاءات والمزاعم الكاذبة التي تحاول الصهيونية استنباتها في الوعي العربي للشباب واستمالته لتبني موقفها.

وفي هذا السياق المتعلق بالحيلولة دون التمكين للمآرب والأهداف الإستراتيجية المرسومة، نقترح تأسيس مواقع ومنتديات عربية مضادة على وسائل التواصل الاجتماعي، ينخرط فيها الشباب العربي بهدف فتح حوار وتواصل ونقاش مع خلية من المتخصصين لهذا الغرض، وذلك لتنمية معارفه وإلمامه بالقضية الفلسطينية، وتعميق وعيه بإشكالاتها، وبالحق الفلسطيني المسلوب والهوية الفلسطينية الضائعة، علاوة على إقرار مشروعية المقاومة الفلسطينية، التي تحاول إسرائيل تشويهها ونعتها بالإرهاب.

هكذا إذن يبدو أن الدبلوماسية الإسرائيلية الصهيونية، رغم كل الخرجات والزيارات والتحركات التي لا تتوقف عن القيام بها في الخارج، لم تظفر بعد بالقبول والمشروعية التي تفتقدها، ولعل هذا الطموح هو ما حاولنا إثارته في هذا المقال، حيث وقفنا على محاولة التسويق الجديدة للصورة «الإيجابية» لإسرائيل والتعريف الذي تريده لنفسها لدى المتخيل العربي، وذلك عبر مطية الواقع الافتراضي كمنصة لغزو الوعي العربي الشاب، والتلاعب به بطرق «ناعمة» لزرع ما تريده من روايات ومواقف.



حسن أبو الخير
باحث متخصص في التراث
مصر



لماذا التراث؟

هذه الكلمة مأخوذة من مادة (ورث) التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه؛ من ولد أو قريب أو موص أو نحو ذلك. وفي الكتاب العزيز: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل:١٦).

وأجمع اللغويون على أن (التراث): ما يخلفه الرجل لورثته، وأن تاءه أصلها الواو، أي: (الوراث). وله نظائر أخرى منها: (التجاه) أصلها (الوجاه)، و(التخمة) أصلها (الوخمة)، و(التهمة) أصلها (الوهمة)، و(التكلان) أصلها (الوكلان).. إلخ.

وجاءت الكلمة في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ (الفجر:١٩): كانوا في جاهليتهم يمنعون توريث النساء وصغار الأولاد، فيأكلون نصيبهم، ويقولون: لا يأكل الميراث إلا من يقاتل، ويحمي حوزة القوم، وكانوا يلمون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام، ويسرفون في إنفاقه[١].

وجاءت في السنة في أكثر ما دعا به النبي ﷺ عشية عرفة في الموقف: «اللهم لك الحمد كالذي نقول، وخيرا مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي، ولك رب تراثي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح»[٢]. أي: مالي الذي أخلفه فإنه لله تعالى، فبين أنه لا يورث وأن ما يخلفه صدقة لله.

وجاءت في الشعر القديم في قول سعد ابن ناشب، وهو شاعر إسلامي، كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره؛ لأنه أصاب دما في قوم:

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها
تراث كريم لا يبالي العواقبا

وجاءت في كلام العرب: في قول عوانة الكلبي: لم يؤيد الملك بمثل كلب، ولم تعل المنابر بمثل قريش، ولم يطلب التراث بمثل تميم، ولم ترع الرعايا بمثل ثقيف، ولم تسد الثغور بمثل قيس، ولم تهج الفتن بمثل ربيعة، ولم تجب الخراج بمثل اليمن[٣].

والمراد بـ(التراث) في الاصطلاح: هو التراث الفكري، وهو كل ما خلفه العلماء مكتوبا في فروع المعرفة المختلفة. ولهذا فالتراث ليس محددا بتاريخ معين؛ إذ قد يموت أحد العلماء في عصرنا هذا، فيصبح ما خلفه مكتوبا تراثا بالنسبة لنا[٤].

والتراث العربي يتناول كل ما كتب باللغة العربية، فهو:

١- من نعم الله عزوجل على هذه الأمة، فقد فضل الله المسلمين على الكافرين بنعم عظيمة، وآلاء جسيمة، من أجلها «نعمة التراث» في شتى العلوم والمعارف الإسلامية، مما خطته أقلام المسلمين، وانفتقت عنه المفاهيم في نصوص الوحيين الشريفين، وما تفرع عنهما، وما دلا عليه من علوم شتى، ومعارف جلى، بقي منها على الرغم من عاديات الأيام نحو ثلاثة ملايين «مخطوط» في نحو ألفي مكتبة من مكتبات العالم. ويوجد مجموعة كبيرة من فهارس هذه المكتبات في



المكاتب العامة بالجامعات، والمجامع العلمية.

٢- من ميزات هذه الأمة، فهذا العدد التقريبي للتراث الإسلامي المحفوظ في خزائن العالم تميز به المسلمون مع تطاول القرون على أمم الأرض كافة. فهو في تميزه يكون في حياة من ألفه، وانفتقت عنه قريحته دينا يتقرب به إلى الله تعالى، وعلما ينتفع به من شاء الله من عباده «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، و«رب مبلغ أوعى من سامع»، وحملا للدعوة إلى الله تعالى، وبلاغا إلى قوم آخرين. ولم يحصل لهم هذا التميز إلا بعد جهد جاهد من الطلب والتحصيل وسعة معارفهم وعلومهم، وتعددها، محفوفة بسداد كلامهم، وسلامة منهجهم (رحمة الله عليهم أجمعين).

٣- يكون هذا «التراث» في حياة المسلمين: أمانة تحت أيديهم هم مستحفظون عليها، ولعلمائهم العاملين حق القوامة عليها بحملها وتبليغها من بعدهم؛ لقول النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» (رواه أحمد).

٤- هذا التراث هو الذي شكل وجدان الأمة، وهو الذي صان وحدتها على مر العصور، وفي ظله تهاوت الحدود الجغرافية والفوارق العرقية، وفي تياره امتزجت العروبة والإسلام امتزاجا رائعا، فالإمام البخاري مثلا استقر في ضمائرنا وأصبح أحد مكونات نسيجنا الثقافي، دون أن يخطر على بال أحد أن يفكر في جنسيته أو موطنه، ودون أن يتساءل أحد: هل هو عربي أو غير عربي، فقد ذابت العروبة في بوتقة الإسلام، كما ذابت جنسيات أخرى كثيرة ولغات أخرى كثيرة، وبقي ذلك الرحيق المصفى الذي يطلق عليه التراث العربي المخطوط، والعروبة هنا عروبة لغة ولسان لا عروبة عرق أو مكان[٥].

٥- هذا التراث هو الرصيد الحضاري للأمة، وذاكرتها التي تحيا بها، وهو رمز الأصالة، وبه تصطبغ الأمة ويدرك شخصيتها المتميزة، والتنكر له هو في الحقيقة تنكر لذاتنا وانسلاخ عن جلدتنا.

٦- هذا التراث كنز من كنوز الأمة، وهو مصدر عزها ومجدها في الحاضر والمستقبل، فالتطور المدني والتقدم الحضاري المرجو حصوله، لا بد أن تسبقه نهضة علمية قوية تبين الطريق وتضع العلامات والمنارات لسالكيه، والنهضة العلمية لا تأتي إلا بمعرفة ودراسة الإرث القديم، الذي هو ذاكرة الأمة، والأمة التي لا ذاكرة لها لا مستقبل لها.

فلا بد من العودة لتراثنا العربي الموءود وبعثه من جديد دون تباطؤ أو تخاذل، مع أخذ ما وصل إليه غيرنا من تقدم في جميع العلوم المادية دون استنكاف أو خجل، وإن كثرت العقبات في هذا أو ذاك، ولكنها المحاولة ومنازلة الصعاب لعلنا نظفر بما يرضي ربنا ويعلي شأننا.

٧- التراث العربي جزء لا ينفصل عن تراث الإنسانية عامة، ووجه من وجوهه المشرقة، التي اقترن فيها العلم بالقيم، والمعرفة بالتجربة.

وتراث هذه منزلته الكبيرة، ودرجته الرفيعة، كم يفرح المسلم إذا فتحت خزائن الكتب في ديار المسلمين، وجلبت إليها المخطوطات، أو مصوراتها من أنحاء العالم. وكم يبتهج إذا وضعت الفهارس لمكتبات العالم، وطبعت وصار ما تناثر منها في أرجاء الدنيا في زاوية من مكتبته. وكم ينعم المسلم إذا رأى لافتة هيئة تساعد المحققين على حرفتهم الشاقة، ورحلتهم المضنية في إخراج التراث. وإذا رأى مطبعة، تديرها أيد غنية، قادرة، أمينة. وإذا قامت مصلحة حكومية، أو خيرية، تعتني بتمويل الكتاب ونشره للناس.

أما إذا نفض غبار الزمن عن «مخطوط»، وتداوله الناس مطبوعا، فهذه نعمة كبرى، تحوي مجموعة آلاء:

١- إنقاذ المخطوط ونشر ما فيه.

٢- واستشعار عظمة الماضين.

٣- وانتفاع من شاء الله من عباده به.

٤- وتقوية إعداد الأمة في الحاضر.

٥- ومد آمالها المستقبلية على جسور من العلم والمعرفة.

٦- وتحريك الهمم وشحذ الأذهان بالعلم والبحث[٦].

الهوامش

١- التراث العربي، عبدالسلام هارون، ص(١٩-٢٢).

٢- الترمذي (٣٥٢٠) وقال: حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي. وقال ابن الأثير في جامع الأصول (٣٢٣/٤): وجاء في رواية أخرى (ثوابي).

٣- الإشراف في منازل الأشراف (٢٣١).

٤- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، رمضان عبدالتواب، ص(٨).

٥- المخطوطات والتراث العربي، عبدالستار الحلوجي، ص(٩، ١٠).

٦- الرقابة على التراث، ص(٢٧٩-٢٨٠).



نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير الأهرام
مصر

خطوات مجربة لتغير ناجح

يكتفي الكثيرون بالشكوى مما يحرمهم من النجاح في الحياة، ويحسم القليلون أمرهم ويغيرون ما يستطيعون تغييره لإسعاد أنفسهم وليتمكنوا من إسعاد من يحبونهم وليؤدوا أدوارهم في الحياة بأفضل ما يمكنهم..

يشمل التغيير تحسين النواحي الدينية والاجتماعية والنفسية والعمل وكل ما يمس الحياة.

يخاف البعض من التغيير، والخوف من التغيير مطلوب؛ لمنع التسرع ولحسن التخطيط، ومرفوض إذا كان بسبب الخوف من الفشل أو للشعور بصعوبته أو لأنه سيكون مجهدا..

والمؤكد أن التغيير للأفضل عندما ينجح «يذيب» أي مجهود تحملته لتفوز به وهو «المهر» الذي تقدمه لنفسك لتتنفس النجاح في حياتك والرضا «الذكي» عن نفسك.

التغيير يعني التخلي برغبتك عما اعتدته من تفكير وتصرفات واستبدال ذلك بما يفيدك..

يبدأ التغيير بالعقل أولا حيث تزرع الاحتياج الشديد له وتكره الرجوع عنه.

ولا يعني التغيير أنك لم تنجح ولكن السعي لتكون أفضل مطلوب دينيا ودنيويا ويتجدد في كل مراحل العمر فدوما تستطيع بعون الله بالطبع أن تتحسن.

وإليك الخطوات المجربة لتغيير ناجح:

- جدد دائما الاستعانة بالرحمن والتبرؤ من حولك وقوتك ثم اليقين في نجاحك.
- لا تتغير لإرضاء أحد حتى لا تتوقف عندما لا تجد رد فعل يرضيك ممن تتغير لأجله بل افعل ذلك لنفسك ولأنك «تستحق» التغيير.
- اكتب أهدافك من التغيير ولا

تخبر بها أحدا، واقرأها يوميا لتجدد حماستك ولتقوي معنوياتك ولتتعامل بمسؤولية عند تنفيذك لها.

● افرح بمزاياك حاليا –وإن قلت– واحتفل بإنجازاتك –وإن كانت لا ترضيك– واعتبرهما وقودا لمزايا وإنجازات أكثر.

● لن تتغير في يوم وليلة وستستغرق وقتا مع الاهتمام بالمتابعة، فكن صبورا.

● لا تحاول التغيير في الكثير من جوانب حياتك في وقت واحد فلن تتمكن وستحبط نفسك.

● اختر أهم ثلاثة أمور تريد تغييرها وركز عليها حتى تنجح ثم انتقل لغيرها.

● اكتب لنفسك ما تريد تغييره فكلنا لدينا أساليب في التفكير أو تصرفات نريد تغييرها أو الاثنان.

لا تحرم نفسك

● كافئ نفسك معنويا وماديا عند أي تحسن ولو كان بسيطا؛ فالمكافأة ستمنحك الانتعاش وتجدد عزيمتك ولكن لا تكتف به أبدا.

● عندما تتراجع –وهذا يحدث كثيرا– لا تعتبره النهاية وسارع بالبدء من جديد لأنك تستحق حياة أجمل ولن يصنعها غيرك بالطبع.

● اسعد بأنك «تسعى» للتغيير وأنك تحارب السلبية واحترم ذلك وستتضاعف قدراتك بإذن الوهاب واشكر الرحمن فسبحانه هداك لذلك.

● البعض يكتفي بتحقيق هدف صغير وآخرون لا يلتقطون الأنفاس إلا بعد الانتهاء من الأهداف الكبيرة وكلا الموقفين خطأ.

خطوات واقعية لحياة أفضل تستحقها

● السعي من أجل التغيير ليس سهلا والأصعب «حرمان» النفس منه والندم لاحقا.

● ستتراجع كثيرا ليس لصعوبة التغيير ولكن «لاعتيادك» على القديم فتنبه وعد للتغيير بحماس ووعي ويقظة أكبر ومثابرة.

● حتى تحسن اختيار أولويات التغيير؛ راقب نفسك جيدا وتعرف على أهم مزاياك لتزيدها وأهم عيوبك –وكلنا لدينا عيوب– لتقلل منها برفق بالنفس وبحزم أيضا.

● اكتب المواقف التي «تخسر» فيها بسبب التفكير أو التصرفات واعمل على تقليلها ما استطعت؛ كالعصبية، وكثرة تناول الطعام، والمبالغة في الاختلاط أو العزلة.

● لا تنس التعرف على أهم أحلامك وأهدافك في الحياة لتضع كل ذلك في خطط:

الأولى قصيرة وتتضمن القليل من التغيير في كل مجال ولتكن مدتها من ٣ إلى ٦ أشهر.

والثانية متوسطة تتراوح بين عام وعامين.

والثالثة تتراوح بين ٣ أعوام و٥ أعوام.

● احرص على أن تشمل الخطط الثلاث الاهتمام بنفسك دينيا وصحيا ونفسيا لتتحسن قدراتك الذهنية والعقلية ويقل الإرهاق وتزداد فرصك بتغيير ناجح.

اربح واسعد

● تذكر الاهتمام بتحسين مظهرك فهو «سفيرك» الذي يقدمك للآخرين وسيسعدك الفوز بمظهر جيد.

● قم بتغييرات بسيطة ببيتك أو مكتبك أو حجرتك وستدخل البهجة لقلبك وتشعرك برضا جميل تستحقه.

● لا تكلف نفسك ماديا فوق طاقتك فتجهد نفسك وتعطل التغيير.

● لا تمارس التغيير بجدية زائدة ولا تتهرب من مسؤولياتك؛ كن وسطا لتربح وتسعد.

● لا تنس؛ التغيير ممكن في كل الأعمار وفي جميع الظروف وبدرجات متفاوتة بالطبع؛ وما لا يدرك كله لا يترك كله.

● لا تنتظر ولا تبحث عمن يدعمك، هي حياتك –وحدك– قد يساعدك شخص يوما ثم يفتر حماسه أو يفرض عليك شروطا لا تحبها، الأهم أن اعتمادك على الدعم الخارجي «يقلل» من ثقتك بنفسك ومن عزيمتك.

● استعن بالله ولا تعجز أبدا.

● لا تبحث عمن يشاركونك الرغبة في التغيير لتبدأوا معا فقد يتراجع بعضهم ويقلل حماستك وقد يسبقك آخرون فتتألم وقد تسبقهم ويتضايقون وتخسرهم إنسانيا.

● لا تؤجل التغيير؛ فالتأجيل يقلل الحماس ويجعل الرغبة تتراجع ويضعف إرادتك.

● لا تنتظر تحسن بعض ظروفك

لتبدأ التغيير وابدأ فورا ولو ببداية بسيطة وستتحسن معنوياتك وتتسع حياتك.

لا تستسلم

● التغيير كالزرع لابد من رعايته والمبالغة في الري تفسده كالجفاف.

● لا تبالغ في أهمية التغيير وكأنك ستنتقل من الأرض للسماء؛ حتى لا تحوله لعبء، ولا تقلل من أهميته؛ فستهمله ولو بعد حين، وكن وسطا.

● لا تتوقع نجاحك بالتغيير دون عقبات أو انتكاسات فهذا غير واقعي، ولا تقابلهما بالاستسلام بل واصل بعزيمة أقوى.

● اهتم بنصيبك من الراحة والترفيه يوميا والتنفس بهدوء من الأنف فقط مع إغلاق الفم لبضع دقائق وسيفيدك كثيرا.

● لا تتوقف عند أمور لا يمكنك تغييرها وتجاهلها وركز على ما يمكنك تغييره حاليا وارض بصدق.

● مثال؛ لا يمكنك تغيير عملك ولكنك تستطيع طرد الضيق منه والحصول على دورات تدريبية تساعدك مستقبلا على تغيير عملك، أو ممارسة عمل آخر بعد الدوام يرضيك أو ممارسة هوايات أو عمل تطوعي يشبعك نفسيا.

● ضع في قائمة التغيير تحسين صحتك الجسدية بالأكل الصحي والقيلولة والابتسام وممارسة الرياضة والحفاظ على الرشاقة أو استعادتها تدريجيا.

● ستتحسن صحتك النفسية أيضا وتستمتع بالرضا الجميل عن نفسك، وبالثقة بالنفس وسيقودك لنجاح أفضل مع تغييرات إيجابية أخرى.

● ضع تصورا ليومك من بدايته لنهايته واجعله مفيدا وناجحا ولا تبالغ في الصرامة فالتغيير رحلة وليس سجنا تؤلم به نفسك.

● تخلص من عاداتك الضارة: التدخين، إدمان الإنترنت، تضييع الوقت، العصبية، الإسراف، الكسل.

ارفض وستنجح

● الرضا عما يمكن تغييره -ولو بعد حين- «خيانة» للنفس.

● لا تظلم «نفسك» بمحاولة تغيير الآخرين في عملك، أو أسرتك فستبذل مجهودا بلا جدوى وستخسر أغلبهم إنسانيا؛ فلا أحد يغير سوى نفسه.

● عندما تغير ردود أفعالك على تصرفات الآخرين ستتغير تصرفاتهم معك ولو بعد حين، والأهم أنك ستقلل من غضبك منهم أو من تفسير أي خطأ منهم وكأنه كارثة أو عدوان وستكون أهدأ «داخليا» وستتمكن من تقليل «ضيقك» منهم وستحسن إدارة علاقاتك.

● القدرة على التغيير موجودة داخلك؛ ارفض أي انتقاد داخلك أو من الآخرين ينتقص من قدراتك.

● لا تضيع وقتك بالرد؛ تصرف بما يخالف الانتقاد واجعل ردك عمليا ليس لتتحدى من قالوه ولكن لإسعاد نفسك.

● ففي الأولى ستحمل نفسك عبئا نفسيا وستنتهي رغبتك في التغيير للأفضل بعد فوزك على من انتقدوك، وهذا انتصار زائف



فالانتصار الحقيقي هو استكمال ما بدأته ليرضى عنك الرحمن ثم لتسعد نفسك.

● وفي الثانية ستزرع داخلك الرغبة في الاستمرار فحياتك غالية وتستحق الأفضل دوما.

● أغلب الناس يسارعون بالاستسلام في محاولات التغيير، فلا تكن منهم.

● مثال، عند إنقاص الوزن يتراجع الكثيرون وآخرون ينتكسون بعد إنقاصه «ويختارون» العودة للبدانة وقليلون «يحافظون» على الرشاقة وينعمون بمزاياها النفسية والصحية.

● كن من الفائزين دوما.

جدد اليقين

● كن شغوفا بالتغيير للأفضل وتذكر دوافعك له ونتائجه الرائعة لتعيد شحن حماسك.

● تذكر دائما خطواتك للتغيير واجعلها جزءا من يومك وجدد اليقين بقدرتك على التغيير.

● ارفض وبقوة كل ما تريد تغييره «واكره» استمراره ولكن لا تكره نفسك ولا تنتقد نفسك لسماحك سابقا به؛ حتى لا تضعف إرادتك وتقلل من تقديرك لنفسك وهو قوة مهمة للتغيير.

● لا تخبر أحدا؛ البعض سيسخر وسيحبطك آخرون أو يرونك رائعا بما يكفي وليس هناك أحد لا يحتاج أن يكون أفضل، وغيرهم سيتابعونك وربما يكون أسلوبهم غير جيد.

● لا تنس الاحتفال بنفسك عندما تنجح في التغيير، وإذا تراجعت فلا تستسلم وعد للتغيير بحماس يكبر ولا ينقص.

● تذكر دوما أن التغيير ليس سهلا فالأسهل العودة لما تريد تغييره ليس لأنه الأفضل ولكن لاعتيادك عليه.

● لا تكن عبدا لعاداتك الضارة، كن سيدا على حياتك.

● أنت لا تحتاج لمن يشجعك عندما تتناول شيئا تحبه أو تتنزه عن شيئ تبغضه، ولابد من الاقتناع بأن التغيير سيجعلك تفوز بما تحب وعندئذ - فقط- لن تحتاج لمن يشجعك.

● دائما أفضل العون عون النفس بعد الاعتماد على الرحمن بالطبع.

● لا تسرف في التوقعات من نفسك؛ واعتدل وامنح نفسك وقتا «كافيا» لتتغير كثيرا حتى لا تصنع إحباطك الذي قد يدفعك للتراجع وللشعور بالمرارة.

● ابدأ بالأسهل لتفرح بالتقدم ولتثق بنفسك أكثر وليزيد حماسك لتتغير أكثر.

● الحماس للتغيير سيتناقص أحيانا؛ لا تفزع عندئذ ولا تتهم نفسك بالتخاذل وترفق بنفسك واحصل على استراحة محارب وجدد عزيمتك بحب واحترام لنفسك ولعمرك.

تأكد ولا تخف

● مفتاح التغيير هو النظر للجزء الإيجابي في حياتك والفرح به وشكر الرحمن عليه ثم تقبل ما لا يمكن تغييره برضا.

● اصنع التغيير بتدرج، وراجع خطواتك من وقت لآخر لتتأكد أنك تسير في الطريق الصحيح.

● لا تخف وقل: سأقهر الخوف وابدأ بداية جديدة أستحقها ولن أتراجع أبدا فالبديل مؤلم جدا.

● لقهر الخوف من الفشل ثق بإمكانية التغيير وتذكر أن حسن الظن بالرحمن أهم سلاح في التغيير واطرد أي إحساس بقلة الحيلة، وقل لنفسك: أستطيع التعامل جيدا مع كل ما يحرمني من حياة أفضل أستحقها، «وسأتدرب» على ذلك وسأنجح بفضل الرحمن، وتخيل مكاسبك منه لتمدك بعزيمة، وتذكر خسائرك لتتفرك من التراجع..

● أن يتعب الإنسان من نفسه ويرغب في التغيير فهو سلاح ذو حدين: فهو رائع وإيجابي عندما يكون «وقودا» للتغيير وإغلاقا لكل أبواب التراجع.

وهو ضار ومؤذ عندما يجعلنا نستسلم للتعب ونزرع داخلنا صعوبة التغيير وأحيانا استحالته.

● لا تقل أبدا الكلمات المسمومة مثل: لن أستطيع أو لا فائدة وقل: سأنجح بفضل الرحمن، وابتسم لنفسك ولا تقْسُ عليها وسارع بالتغيير الذي يسعدك.

● إذا حاولت التغيير ولم تنجح، فلا تيأس واكتب لنفسك المعوقات التي قابلتك وأعد المحاولة ولا تكرر أخطاءك.

● تذكر دوما الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١).

● ستتغير عندما تثق بذلك وتحسن الظن بربك.

● تستطيع -بفضل الرحمن- أن تكون من القلائل الذين أناروا أعمارهم بتغييرات ناجحة فتذكر ذلك وجدد الاستعانة بالرحمن ثم باليقين بنجاحك كما ندعو لك. وفقك ربي وأعانك وأسعدك.



د. نجلاء محمد سويف
باحثة في طب الأسرة
مصر

التوحد اضطراب نمائي له علاج

التوحد كلمة مترجمة عن اليونانية وتعني (العزلة أو الانعزال)، ويعرف بالعربية بمصطلح (الذاتوية) وعرفته المراجع الإنجليزية بمصطلح أوتيزم (Autism)، والتوحد اصطلاحا هو اضطراب في النمو يظهر في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل.

ويمكن تعريف التوحد ببساطة بأنه قصور في المهارات الاجتماعية والتواصل اللفظي وغير اللفظي، ويحدث نتيجة اضطراب في الجهاز العصبي مما يؤثر على وظائف المخ؛ حيث يؤثر على الطريقة التي يتم من خلالها جمع المعلومات ومعالجتها بواسطة الدماغ، مما يؤدي إلى تغيير في السلوك يشمل ثلاث نواح أساسية هي: خلل في التفاعل الاجتماعي، خلل في التواصل والنشاط التخيلي، السلوك المتكرر آليا وبطريقة نمطية[1].



ووجود طفل توحدي في الأسرة يغير مناخ هذه الأسرة، ويسخرها لعلاجه حتى إنه قد يكون سببا في تغيير كثير من عادات الأسرة للتكيف وتهيئة الجو الصحي المناسب لهذا الطفل حتى يصل لمرحلة الشفاء والتكيف مع المجتمع المحيط به.

وقد تحدثت الكثير من المصادر والمراجع، واجتهدت في تعريف التوحد وأسبابه وطرق وأساليب علاجه، ومن أفضل ما كتب عن التوحد كتاب (رحلتي مع التوحد - قصة شفاء) للكاتبة (كارين سيروسي)، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يمثل تجربة شخصية ترويها كارين مع طفلها (مايلز) الذي شخص من قبل الخبراء بإصابته باضطراب التوحد، وفي هذا الكتاب تروي كارين التجارب والمحن التي مرت بها وإصرارها على البحث عن علاج وصلها بالنهاية إلى بر الشفاء لابنها؛ فالكتاب عالج اضطراب التوحد من ناحية علمية وحياتية يسهل للجميع تفهمه والتعامل معه.

ولا يوجد حتى الآن سبب محدد للإصابة باضطراب التوحد، ولكن من واقع تجارب شخصية ودراسة لبعض الحالات المصابة باضطرابات التوحد، تبين لي أن من الأسباب الرئيسية في هذا الاضطراب هي نمط الحياة الأسرية واضطرار الأم إلى الغياب عن أطفالها خلال ساعات العمل الطويلة، بالإضافة إلى مشاكل اجتماعية

نفسية تتمثل في كيفية تعاملنا مع أولادنا، والطامة الكبرى تركهم أمام وسائل التكنولوجيا الحديثة كالتلفاز والتابلت والهواتف المحمولة وغيرها والتي تشكل ناقوس خطر؛ بما تعرضه هذه القنوات من برامج لا تكون في غالبها خاضعة لمعايير الصحة النفسية، والتي أثرت سلبا على الأطفال وجعلتهم متلقين فقط وبالتالي أفقدتهم روح التواصل والتفاعل والاندماج، مما أدى إلى الإصابة باضطراب التوحد أو على الأقل اكتساب بعض سمات التوحد أو ما يعرف بطيف التوحد، وجعلت الطفل يفضل الانعزال والجلوس بمفرده، وأفقدته القدرة التعبيرية، وما نتج عن ذلك من ظاهرة تأخر النطق لدى الأطفال مع ما يصاحبها من عوارض أمراض نفسية وعصبية على غرار التوحد وتشتت الانتباه وفرط الحركة وغيرها وعدم قدرته على التواصل والتفاعل الاجتماعي مع العالم المحيط وللأسف هذا ما تعانيه معظم الأسر.

طرق علاج التوحد

هناك طرق شائعة كثيرة لعلاج التوحد تشمل؛ العلاج السلوكي، وعلاجات أمراض النطق واللغة كبرامج بيكس (تبادل الاتصال عن طريق الصور PECS) وبرنامج البورتاج (PORTAGE) وغيرها، فضلا عن العلاج التربوي التعليمي، بالإضافة إلى العلاج الدوائي الذي يختلف من حالة إلى أخرى، بالإضافة إلى الحلول التي يقدمها الطب البديل (Alternative medicine). وسأعرض هنا بعض الطرق التي اتبعتها من واقع تجارب شخصية لي، وجاءت نتائجها بفضل الله رائعة.

في البداية لابد من الاستعانة والتوكل على الله عزوجل والرضا بقدره والصبر والاستغفار والدعاء باستمرار، وإدراك أن الأطفال المصابين بالتوحد أو بعض أعراضه على هم أطفال مبدعون متميزون عن الأطفال العاديين في بعض الأمور التي لو تم التركيز عليها فسيصبحون متميزين في المستقبل، كما يجب تغيير مسمى ذوي الاحتياجات الخاصة إلى ذوي القدرات الخاصة، وهم بالفعل ذوي قدرات خاصة عن أقرانهم، وهذه القدرات تحتاج من ينميها ويوجهها للطريق الصحيح، ومن ضمن الوسائل العلاجية التي وجدت لها أثرا كبيرا ومفعولا عظيما ما يلي:

١- القرآن الكريم

فقراءة القرآن أو حتى سماعه مفيد جدا لأطفال التوحد؛ حيث يساعد على زيادة التركيز كما أن معانيه ومفرداته تقوي الحصيلة اللغوية، وتزيد من قوة مخارج الحروف، وتربطهم بقصص الأنبياء وقصص الحيوان في القرآن؛ وبالتالي فهو ينمي عندهم الحس التخيلي وكذلك يغرس فيهم قيم الخير والصفات الحسنة.

٢- توعية أفراد الأسرة بماهية التوحد وكيفية التعامل معه

وهذا هو الركن الأساسي الذي من خلاله يستنير الطريق أمام علاج الطفل؛ فهذا الطفل يحتاج لأسرة واعية متفهمة متقبلة لحالة طفلهم؛ يحتاج لأبوين يتشاركان بكل قوة في تثقيف نفسهما حول حالة طفلهما، ولا حرج من تبادل الأدوار في سبيل الدخول إلى عالم طفلهما ومناقشة المختصين حول حالته وعمل دراسة وافية قدر المستطاع من خلال الدورات وورش العمل التي ينظمها المتخصصون من أساتذة الطب النفسي والتربية الخاصة، والأهم في ذلك إدراك أن طفل التوحد إنما هو منحة ربانية وهبة من اللّٰه عزوجل، وأنه شيء مميز لديه قدراته الخاصة وعالمه المميز.

٣- الاحتواء والحب

وأعني بذلك حبا مليئا بالتضحيات بأن يكون الدخول لعالم هذا الطفل محور اهتمام أساسي لمن يعالجه لأسرته ولأخوته، وقد وردت حكمة على لسان طفل صغير كان يسأل عمته عن ابنها التوحدي لماذا لا يلعب معنا؟ فردت عليه قائلة لأنه يعيش في دائرة أو قوقعة مغلقة؛ فكان جواب الطفل عليها يلخص علاج الحالة بكل بساطة حيث قال: هيا ندخل معه الدائرة وندخل أمي وأبي ونحتويه حتى تتكسر دائرته ويخرج معنا، ولن يحدث ذلك إلا بالحب والاحتواء والاهتمام[٢].

٤- العلاج الحركي

أثبتت الدراسات والتجارب الحديثة أهمية الحركة لنمو وتطور الطفل كأحد العلاجات الجديدة لاضطرابات التوحد، والعلاج الحركي مظلة تحوي في ظلالها أنواعا عديدة منها العلاج بالحركات الدرامية والعلاج بالتمارين الحركية الرياضية التي باتت أسلوبا متبعا في علاج التوحد أبرزها مدرسة هيجاشي في اليابان التي انتهجت هذا النوع من العلاج في برنامج طلابها اليومي الأساسي منذ عام ١٩٨٢م.

وتؤثر الحركة على الطفل عقليا وحسيا كما تمثل جلسات التمارين الحركية مناخا مناسبا لتطوير مهارات اللغة والتواصل من خلال تدعيم حركة التمارين بالكلمات المناسبة فتأتي الحركة مصاحبة للكلمة فيساعده على النطق والاستجابة والتواصل[٣].

وأخيرا نصيحتي لنفسي وللآباء والأمهات، ضرورة محاورة أطفال التوحد يوميا لمدة ساعة على الأقل وتكون على فترات، وقراءة القصص لهم بصوت مرتفع وبطيء والتركيز على مخارج الحروف وتكرار الجمل، وإشراكهم مع مجموعة من الأطفال في اللعب، مع اعتماد فترات للتلوين، مما سيكون له أثره الكبير في زيادة تركيز الأطفال والإقلال من فرط الحركة لديهم وتغيير حالتهم النفسية؛ وبالتالي خلق فرص الإبداع والتميز لديهم.

الهوامش

١- حازم خالد، التوحد: الأسباب الأعراض، العلاج، ص٦.

٢- أحمد حمادة جوهر، التوحد العلاج باللعب، مطبعة السنة المحمودية، ص٨٦.

٣- علي إسماعيل وطفة، التوحد عند الأطفال، ص ٢٠ -٢٣.

محمد علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية
مصر



صاحب المدونة الأسدية وفاتح صقلية أسد بن الفرات

إنه نسيج وحده، وطراز خاص قلما يتكرر، ويعز وجود مثله في زمننا.

هو أبو عبدالله الحراني، القيرواني، أسد ابن الفرات، القاضي الإمام الفقيه، أمير المجاهدين ومقدمهم (صاحب المدونة الأسدية وفاتح صقلية).

من ذاك الطراز الأول الذي جمع بين العلم والعمل، والفقه والجهاد؛ فهو فقيه عالم ومجاهد، يغزو في سبيل الله، ويقود الجيوش، ويخترق الصفوف، ويلتحم مع العدو.

عندما تسمع أسمه يتبادر إلى ذهنك ابن تيمية، والعز ابن عبدالسلام، وعبدالله ابن المبارك، وأمثال أولئكم الربانيين الذين جمعوا بين العلم والجهاد في سبيل الله.

أسد بن الفرات اسم على مسمى، فهو أسد من أسود هذا الدين؛ حقا وصدقا، وإمام مقدم في الفقه والجهاد معا، ويشهد له الميدان فارسا بطلا شجاعا قائدا مقداما، يذكر بابن الوليد وأبي عبيدة والنعمان بن مقرن وأمثالهم، رضي الله عنهم، وهو في مصاف القادة الأمراء الكبار، بتقدير خبراء العسكرية الإسلامية، كصلاح الدين الأيوبي، والسلطان نور الدين محمود زنكي، والسلطان أورانك زيب، ويوسف بن تاشفين، والملك المظفر قطز، ومحمد الفاتح، وأمثالهم.. زحف إليه ملك صقلية في مئة وخمسين ألفا، قال من حضره: فلقد رأيت أسدا، وبيده اللواء يقرأ سورة يس، ثم حمل بالجيش فهزم العدو، ورأيت الدم وقد سال على قناة اللواء وعلى ذراعه ودرعه.

وكان أسد يفتخر باسمه، فيقول: أنا أسد، وهو خير السباع، وأبي فرات وهو خير المياه، وجدي سنان وهو خير السلاح.

قضى أسد بن الفرات شطرا من عمره في طلب العلم من منابعه؛ يرتحل في تحصيله من مصر إلى آخر، ويطوف على الراسخين في العلم وأئمته الكبار في المدينة، حيث إمام دار الهجرة مالك، والعراق حيث أصحاب أبي حنيفة الكبار، ومصر حيث ابن القاسم الذي صحبه زمنا طويلا وأفاد منه علما جما.

وكطلبه العلم واجتهاده في تحصيله، طلب أسد عدوه حثيثا في الثغور والجبهات حتى أدركه أجله وهو في ساح الوغى أميرا للمجاهدين وعمره يناهز السبعين، ولنعم الختام.

ولد في حران من ديار بكر، سنة اثنين وأربعين ومئة[1]، وأصله من خراسان من نيسابور، وحمله أبوه الفرات بن سنان معه إلى بلاد المغرب، وكان من أعيان الجند في جيش الأمير محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي بعثه المنصور لاستعادة السيطرة على بلاد المغرب من الخوارج بقيادة أبي الخطاب المعافري[2]، فقضى عليه، وأخمد الفتنة، وطهر البلاد منهم، بعد سلسلة طويلة من المعارك المظفرة، ثم بعد ذلك دخل القيروان، سنة مئة وأربع وأربعين للهجرة، ودخل معه أسد وأبوه، وكان عمره سنتين، فأقاما فيها.

في قرية على وادي مجردة بتونس، تعلم أسد القرآن وهو صغير حتى خالط شغاف قلبه، ثم اختلف إلى الإمام علي ابن زياد التونسي (وهو من أكبر علماء المغرب ولم يكن في عصره بإفريقية مثله)، فلزمه أسد وتعلم منه وتفقه بفقهه، وكان يقول: «إني لأدعو الله لعلي

ابن زياد مع والدي، لأنه أول من تعلمت منه العلم». فما أحوج طلاب العلم اليوم إلى هذا الأدب، ولتكن لهم أسوة في أسد وعلماء السلف الصالح، رحمهم الله، فإن عقوق المعلمين كعقوق الوالدين.

رحلته في طلب العلم

كان أسد بن الفرات نهما في العلم لا يشبع منه، ولذلك رحل إلى المشرق في طلب الحديث والفقه (سنة ١٧٢هـ) وهو في الثلاثين من عمره، فجمع من مالك بن أنس موطأه، ثم فارقه قاصدا العراق، فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأسد ابن عمرو، كذلك روى عن يحيى بن أبي زائدة، وسمع منه عشرين ألف حديث، وهشيم، وسمع منه اثني عشر ألف حديث، والحسيب، وأبي شريك، وأبي بكر بن عياش، وجرير بن عبدالحميد.. وغيرهم. وأخذ عنه الإمام أبو يوسف القاضي موطأ مالك، وهو شيخه.

وقد انتفع في رحلته هذه بأصحاب أبي حنيفة، وأخذ عنهم علما جما، خصوصا محمد بن الحسن الشيباني أستاذ الأساتيذ، الذي لازمه في السفر والحضر، حتى إنه كان يبيت عنده، فيسمع منه، وكان شيخه إذا رآه نعس ينضح وجهه بالماء[٣]، فأي معلم مثله؟!

المدونة الأسدية أساس الفقه المالكي

وبعد أن غلب على أسد علم الرأي وجمع علم أبي حنيفة وكتبه، جاء نعي مالك وهو في العراق فارتج لموته. قال أسد: فوالله ما بالعراق حلقة إلا وذكر مالك فيها؛ كلهم يثني عليه ويأسى لفقده، فقلت لمحمد بن الحسن أختبره: ما كثرة ذكركم لمالك، على أنه يخالفكم كثيرا؟! فالتفت إلي، وقال لي: اسكت. كان والله أمير المؤمنين في الآثار. فندم أسد على ما فاته من فقه مالك وتركه إياه، وجمع أمره على الانتقال إلى مذهبه، وقال: إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه، فقدم مصر، فلقي من أصحاب مالك ابن وهب، وأشهب، وكانا من بحور العلم، فلم يرويا غليله، فدخل بعدهما على ابن القاسم عالم الديار المصرية، ومفتيها، ومن كبار أصحاب مالك أيضا، فقال: هذه كتب أبي حنيفة. وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فأجابه بما حفظ عن مالك بقوله، وفيما شك قال: أخال وأحسب وأظن به، ومنها ما قال فيه، سمعته يقول في مسألة كذا وكذا، ومسألتك مثله، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك، وتوسع له، وأجابه عن كل مسائله حتى انقطع أسد في السؤال. فقال له ابن القاسم: زد يا مغربي. فقام أسد في المسجد على قدميه، وقال: معاشر الناس، إن كان مات مالك، فهذا مالك. فكان يسأله كل يوم، حتى دون عنه ستين كتابا. روى أسد بن الفرات أن ابن القاسم كان يختم كل يوم وليلة ختمتين. قال: فنزل لي حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم.

ورغب أهل مصر إلى أسد في هذه الكتب المدونة، فنسخوها منه، وتسمى هذه المسائل: «الأسدية»، واحتملها معه إلى تونس بعد ما يقرب من عشر سنين من فراقها أنفقها في الطلب والتحصيل العلمي (١٧٢-١٨١هـ)، وحصلت له بمدونته رياسة وإمرة، وأخذ الناس عنه، وتفقهوا به.

ثم إن سحنون بن سعيد ظفر بالمدونة الأسدية فنسخها، وارتحل بها إلى ابن القاسم في مصر، فعرضها عليه، وفسر له ابن القاسم ما غمض منها، وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك، وأجابه فيه على رأيه، واستدرك فيها أشياء كثيرة، لأنه كان قد أملاها على أسد من حفظه، فهذب سحنون هذه الكتب مع ابن القاسم، ثم قفل راجعا إلى تونس.

أما علم أبي حنيفة فقد تفرد أسد ببثه، وكان أعلم الناس به في القيروان كافة، وانتفع به خلق كثير، وسمع منه علماؤها ووجوهها سحنون بن سعيد وأمثاله من المدنيين، وأصحابه المعروفون به، كعمرو بن وهب وسليمان بن عمران، وابن المنهال، وسائر الكوفيين سمعوا منه كتب أبي حنيفة، وبسببه ظهر العلم بإفريقية.

كان أسد من أوعية العلم وكنوز العمل، حوى في صدره علم المدنيين وعلم العراقيين، وكان إذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشايخ المدنيين: أوقد القنديل الثاني يا أبا عبدالله. فيسرد أقوال المدنيين.

أسد قاضيا وقائدا

ولى صاحب تونس زيادة الله الأغلبي أسدا القضاء شريكا للقاضي أبي محرز الكناني، سنة ثلاث ومئتين، وكان بينهما تباعد وجفاء، وكانا على تباعدهما لا يستحل أحدهما من صاحبه ما لا يحل، ولا يختلفان في الحق، وهذا من أمارات الورع والتقوى.

وأخبار أسد في الفتوى والقضاء كثيرة لا يتسع المجال لبسطها، وهي تدل على مكان أسد من العلم والفضل والسنة.

الهوامش

١- الأعلام للزركلي، (٢٩٨/١).

٢- تاريخ دمشق لابن عساكر، (١٣٤/٥٢).

٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (٢٩٣/٣).



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الجواد السخي

الشيخ عبدالعزيز علي المطوع

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ من قبيلة السهول. ولد مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين؛ وتحديدا في أكتوبر ١٩١٠م. وكأهل بلده، ولد مجبولا على سلك ضروب العمل الخيري، متغييا التقرب إلى الوهاب، ومتنافسا مع أهلها في بذل المعروف لمن في الديرة ومن خارجها، حتى ازدحمت بالإحسان سيرته العطرة.

■ نشأ نشأة دينية وأدبية في بيت كريم يرعى حدود الله.. وفي المدرسة الأحمدية، التي تعلم فيها، اشتهر بذكائه الحاد وفطنته، وقد تخرج فيها وعمره أحد عشر عاما، وكان ترتيبه الأول عليها، وهو ما جعله محط إعجاب أساتذته في ذلك الوقت.. إنه الشيخ عبدالعزيز علي المطوع.

سماته الشخصية

■ على الرغم من أنه خفيف الروح بشوش الوجه، فإنه حين يتحدث عن أحوال المسلمين ومآسيهم والمصائب التي حلت بهم.. تسبق دموعه كلامه؛ إذ كان، رحمه الله، رقيق الحاشية، طيب المعشر، مرهف الشعور، شديد التأثر بالمواقف الإنسانية.

■ كثرة تأمله في آيات الله عزوجل، وتدبره في القرآن الكريم، وشغفه بالقراءة.. جعلته صاحب نظرات عميقة، وتأملات فاحصة، وتوجيهات صائبة، وآراء سديدة.

■ لم يزده المال والثراء إلا تواضعا، فكان نموذجا واقعيا صادقا لترجمة الإسلام؛ قولا وعملا، لم يغتر بزخارف الدنيا التي أتته راغمة.. كان سباقا في فعل الخير؛ سرا وعلنا، ولا يتردد في دعم أي مشروع خيري إذا اطمأن لأحقيته، ووثق بالقائمين عليه، واقتنع بأهميته وضرورته.

ثراؤه مطيته

■ اتخذ من مهنته (التجارة) سبيلا لخدمة الدعوة الإسلامية، فتوسل الإنفاق على الفقراء والمساكين، وبناء المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام، وحفر الآبار.. ليتاجر مع الله.

■ لم يغفل، رحمه الله، عن المسلمين الفقراء في أقاصي الأرض، فترك آثارا طيبة في كل من مصر، والعراق، وبلاد الشام، والجزيرة، والخليج، وكثير من البلاد التي بها أقليات مسلمة، فكانت له صولات وجولات تكشف عن نفاسة معدنه، وعمق تجربته، وقوة إيمانه، وسماحة نفسه، وجزالة عطائه؛ فقد كان سخيا في وجوه الخير لا يتردد أبدا، ولا تعلم شماله ما تنفقه يمينه؛ فأنشأ الدور والجمعيات الخيرية والمكتبات والمعاهد.

نشاطه في الدعوة

■ أول من أرسى أسس العمل الإسلامي المنظم في الكويت، فبالتعاون مع عبدالعزيز يوسف المزيني وبعض المحسنين، أنشأ جمعية الإرشاد الإسلامية، التي افتتحت في عهد المرحوم الشيخ عبدالله السالم، والتي خرج من رحمها مجلة «الإرشاد»، ومدرسة «الإرشاد»، ومكتبة «الإرشاد»، وكلها شواهد ناطقة وآثار واضحة على جهده الدؤوب، وعطائه السخي.

■ تشارك مع رجالات الكويت الأول في بناء نهضتها بمختلف أشكالها، خصوصا الجانب التعليمي منها؛ فكان عضوا في مجلس المعارف في عهد الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وعضوا في المجلس البلدي سنة ١٩٥١-١٩٥٤م.

■ نشط في التواصل مع العلماء والدعاة في كل مكان، وحرص على تكريمهم والاحتفاء بهم؛ قاصدا التعاون معهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان عضوا في مجلس الأمناء بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، وأنشأ لجنة تتولى الإنفاق على الطلبة الأفارقة الراغبين في التعليم وابتعاثهم إلى مدارس وجامعات مصر وذلك على نفقته الخاصة.

■ كان، رحمه الله، واسع الاطلاع، عميق الفهم، ألف عددا من الكتب العلمية منها: «الرأس والبنكرياس»، و«خواطر باحث».

إحسان يتجاوز الحدود

■ امتدت يده بعد حرب ١٩٦٧م، لتداوي أسر الشهداء والأسرى الفلسطينيين، فأسس «اللجنة الإسلامية لمساعدة الفلسطينيين وأسر الشهداء» التي تكفلت بإعالتهم على نفقته الخاصة كما تكفلت بتعليم أبنائهم.

■ وفي مصر أنشأ «جمعية مصطفى محمود الخيرية» ولها عدة فروع في الأماكن التي تكثر فيها الكثافة السكانية لتقديم العلاج المجاني للمرضى الفقراء ومساعدة المساكين، كما ساهم في إعادة بناء مستشفى قصر العيني. كما لم يحرم نفسه ثواب إعانة المسنين والتخفيف عنهم، فأنشأ دارا لرعايتهم بالتعاون مع وزارة الشؤون المصرية... مما دعا الرئيس المصري، آنذاك، السادات، إلى توجيه الشكر له على مساهماته الخيرية. كما أهداه الرئيس الأسبق مبارك وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى في ٤ أكتوبر عام ١٩٨٢م.

■ ولما كان، رحمه الله، حبه للبذل والعطاء جارفا لا ينقطع، وسعيا منه لتوفير سبل الحياة الكريمة وتهيئة فرص عمل للشباب المصري، اشترى أرضا وأنشأ عليها مركزا للتدريب المهني جهزه بالمعدات الفنية والتقنية، ثم أعاد تجديده مرة أخرى عام ١٩٨٧م ملحقا به دارا لتحفيظ القرآن الكريم ومركزا طبيا لعلاج الفقراء بالمجان، مما دعا مبارك إلى تكريمه مرة ثانية وتقليده وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في ١٥ مارس ١٩٨٨م.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، جاءت تحت العناوين الآتية: «الإيمان» (العدد ٢، صفر ١٣٨٥هـ/يونيو ١٩٦٥م)، «بين الفقه والولاية» (العدد ٣، ربيع الأول ١٣٨٥هـ/يوليو ١٩٦٥م)، «أعمال تذكر فتشكر» (العدد ٤، ربيع الآخر ١٣٨٥هـ/أغسطس ١٩٦٥م)، «لا تحتقر الطين» (العدد ٥، جمادى الأولى ١٣٨٥هـ/سبتمبر ١٩٦٥م)، «في رحاب القرآن(١)» (العدد ٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ/يناير ١٩٧٢م)، «في رحاب القرآن(٢)» (العدد ٨٥، محرم ١٣٩٢هـ/فبراير ١٩٧٢م)، «في رحاب القرآن(٣)» (العدد ٨٦، صفر ١٣٩٢هـ/مارس ١٩٧٢م)، «نظرات في سورة الإخلاص» (العدد ٩٨، صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م).

وفاته

■ بعد تلك الرحلة المباركة من البذل والعطاء والإحسان، توفي الشيخ عبدالعزيز المطوع، رحمه الله، في السابع عشر من ذي القعدة ١٤١٦هـ الموافق للسابع من أبريل ١٩٩٦م.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٢-٥، ٨٤-٨٦، ٩٨.

٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٣- الموسوعة الكويتية المختصرة، حمد السعيدان، ج٣، ط٣.

٥- محسنون من بلدي، إصدار بيت الزكاة، ج١، ص: ٩٧-١٠٢.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٣٠)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «ابن عابدين»:

١- ابن عابدين (ت: ١٢٥٢هـ):

هو محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره.

ولد بدمشق سنة: (١١٩٨هـ).

من مصنفاته: (رد المحتار على الدر المختار) فقه حنفي، ويعرف بحاشية ابن عابدين، و(رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار)، و(العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية)، و(نسمات الأسحار على شرح المنار) أصول، و(حاشية على المطول) في البلاغة، و(الرحيق المختوم) في الفرائض، و(حواش على تفسير البيضاوي) التزم فيها ألا يذكر شيئا ذكره المفسرون، و(عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) وهو ثبته.

توفي بدمشق[1].







٢- علاء الدين بن عابدين (ت١٣٠٦هـ):

هو علاء الدين محمد بن محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الحسيني الدمشقي، فقيه حنفي، من علماء دمشق.

ولد بدمشق سنة: (١٢٤٤هـ)، ولي كثيرا من مناصب القضاء، وسافر إلى الآستانة، فكان من أعضاء لجنة وضع (المجلة)، وولي القضاء بطرابلس الشام، وعين رئيسا ثانيا لمجلس المعارف بدمشق.

من مصنفاته: (قرة عيون الأخيار) أكمل به حاشية والده على (الدر المختار) في فقه الحنفية، و(معراج النجاح شرح نور الإيضاح) فقه، و(الهدية العلائية)، و(رسالة في زلة القارئ).

توفي بدمشق، ودفن بمقبرة الباب الصغير[٢].

٣- ابن عابدين (ت: ١٣٠٧هـ):

هو أحمد بن عبدالغني بن عمر المشهور بابن عابدين، فقيه حنفي.

ولد بدمشق سنة: (١٢٣٨هـ)، تولى الإفتاء في بعض المدن الصغيرة، ثم عين أمينا للفتوى.

من مصنفاته: (تبرئة الشيخ الأكبر مما نسب إليه من القول بالحلول والاتحاد)، و(شرح العقيدة الإسلامية للحمزاوي)، و(شرح قصة المولد لابن حجر المكي) ونحوها.

توفي بدمشق[٣].

٤- أبو الخير بن عابدين (ت: ١٣٤٣هـ):

هو أبو الخير محمد بن أحمد بن عبدالغني المعروف بابن عابدين، فقيه حنفي، من أعيان دمشق.

ولد بدمشق سنة: (١٢٦٩هـ) وعاش بها، وولي مناصب متعددة، منها الإفتاء.

من مصنفاته: (التقرير في التكرير في حكمة تكرير القصص في القرآن الكريم)، و(تحرير الأقوال في أخذ الحقوق من سائر الأعمال).

توفي في بيروت، ودفن بدمشق[٤].

٤- أبو اليسر عابدين (ت: ١٤٠١هـ):

هو أبو اليسر محمد بن أبي الخير محمد بن أحمد المعروف بعابدين، فقيه حنفي، مفتي الشام في عصره.

ولد بدمشق سنة: (١٣٠٧هـ) وعاش بها، وتتلمذ على أبيه وتعلم منه، وبعد وفاة مفتي الشام الشيخ شكري الأسطواني انتخب مفتيا للإفتاء الأعلى سنة: (١٩٦٣م).

من مصنفاته: (أغاليط المؤرخين)، و(أحكام الوصايا)، و(إرشاد الأنام إلى أحكام الصيام)، و(أكاذيب مسيلمة الكذاب الذي عارض به كلام الله تعالى) وغيرها من المصنفات.

توفي في دمشق ودفن فيها[٥].

المتفق والمفترق في اسم «ابن الأعرابي»:

١- أبو عبدالله بن الأعرابي (ت٢٣٠هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن زياد الكوفي، المعروف بابن الأعرابي، من موالي بني هاشم، كان نحويا عالما باللغة والشعر، وهو ربيب المفضل بن محمد صاحب المفضليات.

ولد بالكوفة سنة: (١٥٠هـ).

من مصنفاته: (أسماء الخيل وفرسانها)، و(تاريخ القبائل)، و(تفسير الأمثال)، و(شعر الأخطل)، و(معاني الشعر)، و(أبيات المعاني).

توفي بسامراء(٦).

٢- أبو سعيد بن الأعرابي (ت: ٣٤٠هـ):

هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر بن درهم بن الأعرابي، مؤرخ من علماء الحديث، من أهل البصرة.

ولد بالبصرة سنة: (٢٤٦هـ)، تصوف وصحب الجنيد، وانتقل إلى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي.

من مصنفاته: (المعجم) في أسماء شيوخه، و(طبقات النساك)، و(تاريخ البصرة)، و(الاختصاص في ذكر الفقر والغنى)، و(الإخلاص ومعاني علم الباطن)، و(العمر والشيب)، و(معاني الزهد وأقوال الناس فيه وصفة الزاهدين). توفي بمكة[٧].

الهوامش

١- ينظر هدية العارفين (٣٦٧/٢) والأعلام للزركلي (٤٢/٦) ومعجم المؤلفين (٧٧/٩).

٢- ينظر هدية العارفين (٣٨٨/٢) والأعلام للزركلي (٢٧٠/٦) (٧٥/٧) ومعجم المؤلفين (١٩٣/١١).

٣- ينظر الأعلام الشرقية (٨٠/٢) والأعلام للزركلي (١٥٢/١) ومعجم المؤلفين (٢٧٧/١).

٤- ينظر فهرس الفهارس (١٠٩/١) والأعلام للزركلي (٢٢/٦) ومعجم المؤلفين (٢٧٧/٨).

٥- ينظر تاريخ علماء دمشق (٩٦٨/٢) وعرف البشام (ص/٢٢٩).

٦- ينظر تاريخ بغداد (٢٨٢/٥) وبغية الوعاة (١٠٥/١) والأعلام للزركلي (١٣١/٦) (٧٥/٧).

٧- ينظر تذكرة الحفاظ (٦٦/٣) والأعلام للزركلي (٢٠٨/١).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الهداية



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الهداية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة الهداية هي مجلة إسلامية دورية، تصدرها وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف البحرينية. وقد صدر أول عدد منها في ربيع الأول، سنة: (١٣٩٨هـ)، الموافق لشهر فبراير، سنة: (١٩٧٨م).

وقد سميت بالهداية تيمنا بمستقبلها ومواصلة لما عرف عن سكان البحرين منذ فجر التاريخ الإسلامي من ارتباط بهذا الدين الحنيف. وشعارها: فكر إسلامي معتدل يدرك الواقع ويستشرف المستقبل.

تعريف وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرينية

تعد وزارة العدل والشؤون الإسلامية في مملكة البحرين إحدى حلقات التواصل المجتمعي، حيث تعمل الوزارة على خدمة كتاب الله تعالى، ونشر الثقافة الإسلامية بوسطية واعتدال، والعناية بالمساجد وتنمية الأوقاف وموارد الزكاة والحفاظ على أموال القاصرين، وتطوير القضاء، كما تعمل الوزارة على تحقيق التكامل مع وزارات ومؤسسات المجتمع لنشر الوعي الصحيح وغرس الأخلاق والآداب الإسلامية بين كل أفراد المجتمع وشرائحه.

الأهداف العامة للوزارة

- خدمة القرآن الكريم والاهتمام بالحفّاظ وتوجيههم لنشر مفاهيم القرآن وآدابه بين أفراد المجتمع.
- تفعيل دور المساجد والاهتمام بعمارتها وصيانتها.
- الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية للمجتمع البحريني.
- العمل على وحدة المجتمع وتماسكه.
- المشاركة الإيجابية في حركة النمو والتطور الحضاري للمجتمع.
- تحقيق التكافل والتعاون مع كل مؤسسات المجتمع وقطاعاته لمواجهة المشكلات والتحديات.
- توجيه الساحة الفكرية بما يعمق ربط الأمة بتراثها ومواكبة معطيات العصر ومستجداته في إطار من الوسطية والاتزان.
- تحديث لغة الخطاب الإسلامي لمواكبة المستجدات وفتح آفاق الحوار الحضاري مع الآخر.
- الارتقاء بالقضاء وتسهيل إجراءات المتقاضين.
- تنمية الأوقاف والزكاة وأموال القاصرين.

محتوى المجلة العام

مجلتنا التي بين أيدينا مجلة إسلامية، لم تخرج في محتواها عن مسماها، فكانت مواضيعها دينية على اختلاف أساليبها (شعرية، أدبية، تاريخية...). وسنستعرض بعض ما جاء في عددها الأول:

فبعد كلمة وزير العدل والشؤون الإسلامية في ذاك الوقت الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة، افتتحت المجلة بقصيدة عن ميلاد النبي ﷺ، للشاعر أحمد محمد آل خليفة. وافتتاح المولود الأول لهذه المجلة بهذا الموضوع فيه تناسب رائع، وتيمن بدور هذه المجلة ومستقبلها في الدعوة إلى هذا الدين الحنيف وتبليغ رسالته.

بعده جاء موضوع في ذكرى ميلاده ﷺ، بعنوان: «فجر من جزيرة العرب لكل الآفاق»، بقلم: مأمون ياسين.

ثم تلاه موضوع قديم متجدد، ومازال أعداء الفضيلة يثيرونه كلما خمد، وهو الدعوة إلى تحرر المرأة من أخلاقها وفضيلتها، فكان عنوان المقال: «ليست دعوة للتحرر إنها دعوة للمهانة» بقلم الشيخ: يوسف الصديقي.

جاء بعده موضوع شيق له علاقة وطيدة باسم المجلة وعنوانه: «الهداية في القرآن والسنة» بقلم الشيخ: عبدالأمير منصور الجمري.

وهكذا توالت مواضيع المجلة إلى يومنا هذا، ومازالت المجلة تصدر مع تطور كبير في شكل المجلة وطريقة الإخراج والتصميم، كما أنها متوافرة على موقع وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرينية: https://www.islam.gov.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة من هذه المجلة الإسلامية الماتعة، من أول عدد لها إلى العدد: (٣٤٨) للسنة: (٣٩) من صدورها، أي إلى عدد شعبان من سنة: (١٤٣٨هـ)، الموافق لشهر مايو من سنة: (٢٠١٧م). وهي في متناول القراء الكرام.

المصادر

- مجلة الهداية.
- وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرينية عن طريق موقعها الإلكتروني: https://www.islam.gov.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأبو بكر الصديق كان أقوى الصحابة قلبا، وأربطهم جأشا، وأعظمهم ثباتا، وأشدهم إقداما، وأبعدهم عن الجزع والضعف والجبن».

(انظر: جامع المسائل، ٣/٢٥٠).



إعداد / د. تركي محمد النصر

محمد بن إدريس الشافعي

قال محمد بن الفضل البزار: سمعت أبي يقول: «حججت مع أحمد بن حنبل، ونزلت في مكان واحد معه، وخرج أحمد بن حنبل باكرا، وخرجت أنا بعده، فلما صليت الصبح درت المسجد، فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسا مجلسا؛ طلبا لأحمد بن حنبل، حتى وجدته، عند شاب أعرابي، وعليه ثياب مصبوغة، وعلى رأسه جمة، فزاحمته حتى قعدت عند أحمد، فقلت: يا أبا عبدالله، تركت ابن عيينة وعنده من الزهري، وعمرو ابن دينار، وزياد بن علاقة، والتابعين ما الله به عليم؟! فقال لي: اسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول، لا يضرك في دينك، ولا في عقلك أو في فهمك، وإن فاتك أمر هذا الفتى، أخاف ألا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي. قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي».

(آداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص:٤٥).

العلم حياة القلب ودواؤه

قال أحدهم: أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت. وصدق؛ فإن العلم طعام القلب وشرابه ودواؤه، وحياته موقوفة على ذلك. فإذا فقد القلب العلم؛ فهو ميت.

(انظر: مفتاح دار السعادة، ص:٣٤٤).

مشاركة: يعقوب الجناع

التوليد من النص

هو قيام المؤلف بتأليف كتاب يستمده ويستولده من كتاب سابق له، وتسمى مجموعة الكتب المولدة من الكتاب الأساسي: «الكتب الشقيقة».

ومن أمثلة المؤلفات التي ولد منها مؤلفها كتبا أخرى:

١- تاريخ الإسلام للذهبي (وهو أساس مؤلفاته)، وقد ولد منه بعض مؤلفاته مثل: العبر في خبر من غبر، والإشارة إلى وفيات الأعيان، والمنتقى من تاريخ الإسلام.

(انظر: عبقرية التأليف العربي، ص: ٤٧٨-٤٧٩)

وصف أهل الزهد

وصف الحسن البصري أهل الزهد بوصف بديع قال فيه: «إن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة وهم مخلدون، وكمن رأى أهل النار في النار معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وحوائجهم عند الله مقضية، وأنفسهم عن الدنيا عفيفة، صبروا أياما قصارا لعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافة أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم، ربنا ربنا، وأما النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: قد خلطوا، وقد خالط القوم أمر عظيم».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٢٧).

تعامل العلماء في المسائل الشائكة

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول: لا أعلم. وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب، ومما يورث الفتن بين المسلمين؛ استعفى منها، ورد السائل إلى ما هو أولى به، على أرفق ما يكون. وإن أفتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها. وإن قال قولا فرده عليه غيره - ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه - فعلم أن القول كذلك؛ رجع عن قوله. وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها قال: سلوا غيري».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥).

دهاء وفطنة

استودع تاجر بالكوفة رجلا من أهلها مالا جزيلا، وتوجه إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، فلما عاد طالب الرجل بماله؛ فأنكره. فانطلق التاجر إلى الإمام أبي حنيفة ﵁ وأخبره بذلك، فقال له الإمام: لا تكلم أحدا بجحوده. وكان عرف الرجل من جلسائه، فقال له وقد خلا لهما المكان: إن القوم بعثوا يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء، وقد اخترتك لهذا المنصب الرفيع... فلما انصرف الرجل، جاء الإمام صاحب الوديعة، فقال له: ارجع إلى صاحبك وذكره لاحتمال أن يكون ناسيا، فرجع إليه فما احتاج معه إلى إشارة، بل دفع إليه ماله، ثم ذهب الرجل إلى أبي حنيفة يذكره بوعده، فقال له الإمام: إني نظرت في أمرك، فأردت أن أرفع قدرك ولا أسميك حتى يحضر ما هو أنفس من هذا.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ١١٦٩/٣)

إعداد: التحرير

الفيتامينات تضر أحيانا

يعتقد كثير من الناس أن الفيتامينات مصدر النشاط والحيوية والصحة، لذلك تجدهم يسرفون في تناول الطعام والشراب، ويفرطون في تناول حبوب الفيتامينات، ويداومون على حقن الفيتامينات، وهم لا يعلمون أن الفيتامينات تضر أحيانا، وأن الجرعات الزائدة منها تؤذي الجسم، وقد يصل الأمر إلى التسمم. والفيتامينات مواد عضوية ضرورية لصحة الإنسان، لا يستطيع الجسم أن يصنعها، ولابد من وجودها في الغذاء. وأترك الحديث لواحد من أشهر العلماء، وهو الأستاذ الدكتور/ وليام جانونج أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة كاليفورنيا حيث يقول في كتابه القيم «الفسيولوجيا الطبية»: الجرعات الكبيرة جدا من الفيتامينات التي تذوب في الدهن -وهي أربعة فيتامينات تجمعها كلمة ADEK- تؤدي إلى حالة من التسمم، الزيادة في نسبة فيتامين (A) في الدم وهو ما يطلق عليه Hypervitaminosis A تؤدي إلى فقدان الشهية، والصداع، وتضخم الكبد والطحال، والتوتر، والتهاب الجلد المصحوب بتكون قشور، وتساقط الشعر، وألم بالعظام.

تسمى فيتامين A وصف لأول مرة بواسطة الرحالة الذين اكتشفوا القطب الشمالي، حيث أصيبوا بالصداع والإسهال والدوخة بعد تناول كبد الدب القطبي، حيث إن كبد هذا الحيوان غني بفيتامين A. الزيادة في نسبة فيتامين D وهو ما يطلق عليه Hypervitaminosis D مرتبطة بفقدان الوزن، وتكلس العديد من الأنسجة الرخوة في الجسم، الإسراف في تناول فيتامين D يؤدي في النهاية إلى الفشل الكلوي. الزيادة في نسبة فيتامين ك (K) في الدم تؤدي إلى اضطرابات الجهاز الهضمي، والأنيميا. كثير من الناس يفرطون في التداوي بفيتامين ب، معتقدين أنه يخلصهم من التهاب الأعصاب والمفاصل، على الرغم من أن الجرعات الزائدة من فيتامين ب ٦ (بيريدوكسين) تؤدي إلى اعتلال الأعصاب الطرفية.

سبحان الله العظيم الذي أرشد الناس إلى ما ينفعهم فأمرهم بالاقتصاد في الطعام والشراب، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١).

د. يحيى محمود سنبل
طبيب وكاتب - مصر

خطورة الجرأة على الفتوى

إن للفتوى مكانة مهمة في الشريعة الإسلامية، وهي وظيفة من وظائف رسول الله ﷺ في البيان عن الله تبارك وتعالى، وتوقيع العلماء عن كلام رب العالمين، فبقدر شرفها هذا وأجرها، يعظم خطرها لمن يتولاها بغير علم.

وقد ورد في شأن ذلك أحاديث نبوية كثيرة بالتهديد والوعيد، منها: عن ابن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهّالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» (أخرجه البخاري).

وعن مسلم بن يسار قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال: رسول الله ﷺ: «من قال علي ما لم أقل، فليتبوأ بيتا في جهنم، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه» (أبو داود).

ولهذا المقام الخطير للفتوى، كان السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، يجتنبون الخوض في غمارها، وكان من أراد أن يصدر فتوى، لا يقدم عليها، إلا بعد استخارة واستشارة وتدبر، وكان هذا حال إمامنا مالك، رضوان الله عليه، قال ابن القاسم: «سمعت مالكا يقول: إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن» (ترتيب المدارس للقاضي عياض).

ومن خلال ما سبق لابد أن يتصدر لمقام الفتوى من هو أهل لها، حتى ينزل الأحكام الشرعية أحسن تنزيل مع مراعاة أحوال المستفتين من حيث الزمان والمكان والحال والعوائد والأعراف، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا لمن له أهلية في الاجتهاد إن على مستوى الأفراد أو المؤسسات المعنية.

د. مصطفى البعزاوي
باحث في الدراسات الإسلامية - المغرب

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com







التصرف في الطعام الفائض عن الحاجة

تعاني الكثير من شعوب العالم اليوم نقصا كبيرا وحادا في الغذاء والماء ولقد أصبح الجوع يهدد الملايين من البشر في عدة دول من العالم ولكن الأمر اللافت اليوم هو وجود عائلات بأكملها تعاني الجوع والخصاصة في مجتمعاتنا العربية المسلمة ولذلك برزت في السنوات الأخيرة العديد من المبادرات الفردية وكذلك الحكومية لوضع حد لمشكلة الإهدار الكبير للطعام ولقد تكونت جمعيات وهيئات تقوم بمهمة جمع الطعام الزائد قبل إهداره من الأسواق المحلية والمطاعم والمنازل وتعيد توجيهه وتوزيعه على الأسر المحتاجة والفقيرة والتي لا تستطيع شراء احتياجاتها من المواد الغذائية من الأسواق وذلك بعد أن يتم التحقق من أن الطعام غير منتهي الصلاحية وأنه صالح للاستهلاك.

ولقد أكدت تقارير حديثة أن ظاهرة إهدار وإتلاف الطعام تسود في الكثير من الدول العربية والنامية وكذلك المتقدمة على حد سواء في الوقت الذي لا يزال مواطنو بعض تلك الدول ومن كل الأعمار يعانون الجوع والفقر والفاقة.

ولقد أرجعت منظمة الفاو ظاهرة إهدار الأطعمة سواء في الدول النامية أو الدول الغنية إلى عدة أسباب ولعل من أهمها وجود أخطاء في التخزين وكذلك في النقل إضافة إلى بعض العادات والتقاليد وحتى الطقوس السيئة والمرتبطة باستعمال الأطعمة واستهلاكها.

وفي سعي منها للحد من هدر الطعام وتقديم الفائض منه لمن يحتاجونه أسست عدة دول ما يعرف ببنك الطعام وهو يعتبر مؤسسة غير ربحية حيث يقوم بجمع فائض الطعام من الفنادق والمطاعم وأسواق بيع منتجات الأغذية ومحلات السوبر ماركت والمزارع وغيرها ويتم توزيعها على المحتاجين داخل الدولة وخارجها وذلك بالتعاون مع شبكة من المؤسسات الإنسانية والخيرية المحلية والدولية وهذه الفكرة قد تم تطبيقها في عدة دول من العالم مثل المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية والدنمارك ولقد اعتبرت تجربتها رائدة وناجحة في وضع حد لإهدار الطعام.

ولقد شكل بنك الطعام في عدة دول منظومة إنسانية واجتماعية واقتصادية وحضارية متكاملة ذات بعد محلي وإقليمي ودولي وهو يعمل على تقليص الهدر المفرط في الطعام وتكريس قيم الاستدامة من خلال تطوير الوعي المجتمعي بأهمية المحافظة على موارد الدولة والوصول إلى أكبر عدد من المحتاجين في الداخل والخارج.

ويبقى للأعمال التوعوية داخل المجتمع دور كبير في الحد من الإهدار الغذائي وذلك من خلال الكشف عن الطرق المناسبة لحفظ الطعام والاستفادة من فائض الأطعمة والتسوق وفق الاحتياجات اليومية للأسرة إضافة إلى الحرص على قراءة تاريخ صلاحية المنتجات الغذائية قبل شرائها وكذلك التوعية بأهمية التبرع بفائض الأطعمة للمحتاجين والجمعيات الخيرية المتخصصة في حفظ الطعام.

حسن بن محمد
كاتب وباحث - تونس



واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله

متى نسي المسلم يوم الرحيل من الدنيا والرجوع إلى الله والمآلات فيه، وهرب للشتات والتيه، تضيع منه معالم الطريق، ويصير صيدا سهلا لشياطين الإنس والجن، ويفقد السيطرة على رغباته الجامحة، ثم يغرق في بحر الشهوات وهو بحر لا قاع له ولا حتى شطآن، ثم يتنازل عن آدميته، وربنا سبحانه كرمه فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠)، والغريب أن مثل هذا الصنف من الناس عندما يغرق في المعاصي لا يبحث عن منقذ كي ينتشله من مستنقع الوحل، وإنما يبحث عن مبرر لما هو فيه كأن يقول: «اتركها لله – لحظة ضعف – سأتوب – ربنا غفور رحيم – عش يومك – تحرم نفسك ليه – الإيمان في القلب – من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» وغير ذلك من أقوال توهم أصحابها أنهم ما أخطأوا.

إن الحق سبحانه يهبك العطايا كلها لكن بحقها أي بالحلال والمشروع.

احذر أن تعود إلى الله ورصيدك صفر خالي الوفاض، واحذر التسويف والتغافل ولا يخدعنك المال أو الجاه أو الولد، إنك راجع إلى الله في لحظة قسرية لا رجعة بعدها.

محمد الشحات - كاتب وقاص- مصر

مسك الختام

عندما يرحل المكان!

أشعر، وأبناء جيلي، أننا مدينون، فيما نحن عليه الآن من هوية ثقافية معرفية متواضعة تعدت أكثر من نصف قرن، إلى عوامل عدة، أهمها وعلى رأسها «حصة المكتبة المدرسية»، التي كانت تحت إشراف «الأستاذ» مدرس اللغة العربية، الذي علمنا كيف نقرأ، وماذا نقرأ، وكيف لا ننسى ما نقرأه.

كانت حصة المكتبة الأسبوعية تسبقها لهفة الانتظار والشوق الجارف لهذا المكان، الذي ما إن كنا نشرف بدخوله حتى نعيش عالم الرهبة وقداسة الكتاب ومتعة القراءة، مما يفرض على الجميع الصمت الرهيب، وكأن الجميع، حقا، على رؤوسهم الطير. تعرفنا على إبداعات رموز الفكر، وقرأنا لفحول الشعراء والأدباء بعصورهم وبيئاتهم، فأخذنا ننهل من المورد العذب ما يطفئ نار الظمأ رغم صغر السن وحداثة العهد بالكتاب، بعد أن عرفنا «الأستاذ» على نظام الاستعارة، ومن هنا بدأت صداقتنا وعلاقتنا بالكتاب والتي لم تتوقف لحظة حتى يومنا هذا.

تدريجيا.. تقلص دور المكتبة المدرسية، بعدها اختفت الحصة تماما من خطة الجدول المدرسي؛ اغتالتها الأيدي الخفية الآثمة التي تخطط لقتل الفكر وحرمان العقول من الوجبة اللذيذة التي اعتادت عليها العقول كل أسبوع، اختفت كذلك المكتبة المدرسية من الكيان المدرسي، صارت المكتبة أطلالا، والكتب أشباحا مخيفة، تقوست أغلفتها فوق رفوف تئن تحسرا وندما وأسى على ما آلت إليه من حال.

أحيلت المكتبة المدرسية إلى التقاعد المبكر جدا؛ قسرا وجبرا، بعض المدارس احترمتها قليلا فجعلتها حجرة للمدرسين والاجتماعات، والبعض الآخر أفقدها هويتها، فصارت مخزنا للكتب وقديم الأثاث البالي ومأوى ومرتعا للحشرات والحيوانات بمختلف أصواتها وحركاتها وأحجامها.

رحلت المكتبة المدرسية إلى مثواها الأخير بعد أن طحنتها الشيخوخة وذل الأسقام، رحل منهل الثقافة المجانية وطريق الفكر والإبداع.. جفت منابع الثقافة والمعرفة.. رحلت المكتبة المدرسية ورحلت معها متعة البحث ولذة القراءة.. اختفى المكان وغاب «الأستاذ» ولم يبق سوى اللوحة التي تعتلي باب المكتبة من الخارج، وقد غطاها التراب، ونسج العنكبوت حولها خيوطه.. لكنها ما زالت شامخة تيها وفخارا تحمل رائعة المتنبي «وخير جليس في الزمان كتاب».

حدقت في اللوحة، فلم أجد ما أقوله على استحياء شديد للشاعر العظيم المتنبي سوى «عفوا.. المكان خارج الخدمة».

عثمان إسماعيل حسين
باحث وكاتب مصري





www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير: فهد الخزّي



Shabab alwaei

@alwaeialshababy

alwaeiq8@gmail.com

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٦٤٨ - السنة ٥٦ - شعبان ١٤٤٠هـ - أبريل ٢٠١٩م

عدد خاص

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٤٩) رمضان ١٤٤٠ هـ - مايو ٢٠١٩ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

المسجد.. عِمارةٌ ورسالة

- الكويتُ تهدي العالمَ عشرين منارةً قرآنيّة
- اغتِنامُ شهرِ الصِّيام

هدية العدد: معلقة: أثر قاعدة الضرورات تبيح المحظورات في بيان حكم النوازل الطبية

مجلة الوعي الإسلامي  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 

جديدنا

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

أثر قاعدة
الضَّرورات تُبيحُ المحظورات
في بيان حُكم النوازل الطِّبيَّة

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

المُقدِّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد، لقد تعددت المسائل الفقهية النازلة وكثرت، واختلفت الفتاوى وتشعبت، لأسباب متعددة ومنها الاختلاف في إعمال القواعد الفقهية ووضعها في مكانها المناسب. لذا فمن الأهمية بمكان العمل على وضع القواعد الفقهية في موضعها الصحيح السليم، والتوجيه نحو الكيفية الصحيحة للاستنباط منها.

الفصل الأول في دراسة قاعدة الضَّرورات تُبيحُ المحظورات

أولاً: معنى القاعدة:

انه إذا نزلت بالمكلّف نازلة لا مدفع لها بحيث يبلغ حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب، فإن ما انتهض فعله سبباً للذم شرعاً بوجه ما من حيث هو فعل له، يُسوّى بين فعله وتركه في تلك الحال من غير مدح يترتب عليه ولا ذمّ.

ثانياً: صيغ القاعدة:

لهذه القاعدة صيغ متعددة لا تخرج عن المعنى العام للقاعدة، فمن ذلك:

١- الضرورات أو الضروريات تبيح المحظورات.
٢- الضرورات أو الضروريات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها.
٣-الضرورات ترفع الأحكام. ٤- الأعذار ترفع الأحكام.
٥-قد يُباح في الضرورات ما لا يباح في غير الضرورات.
٦-ما يبيح المحذورات تارة يكون بإكراه وتارة بمرض.
٧-لا واجب مع عجز ولا حرام مع ضرورة.

ثالثاً: القواعد ذات الصلة:

هي قواعد ذات صلة بهذه القاعدة وهي ذات أثر كبير في توضيحها وتنزيلها في مكانها المناسب، ولا يمكن تطبيق القاعدة التطبيق الصحيح بعيداً عنها، لذا كان لا بد من ذكرها هنا، وهي:

قاعدة: (الضرر يُزال) وهي القاعدة الأم التي تندرج تحتها هذه القاعدة.
قاعدة: (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها).
قاعدة: (ما جاز لعذر بطل بزواله).
قاعدة: (الاضطرار لا يُبطل حقّ الغير).
قاعدة: (الضرر لا يزال بالضرر).
قاعدة: (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب اخفهما).
قاعدة: (الحاجة تُنزّل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة).

الفصل الثاني نماذج لتطبيق القاعدة في النوازل الطِّبيَّة الفقهيَّة المُعاصِرة

أولاً: يجوز نقل الأعضاء نقلاً ذاتياً:

يجوز نقل الأعضاء نقلاً ذاتياً في حالات الضرورة وذلك كأخذ جزء من وريد سليم من المريض، وغرسه مكان التالف من أوردة القلب؛ لأن (الضرورات تبيح المحظورات)، وفي حالات الحاجة غير الضرورية؛ كأخذ جلد من بدن المريض من غير مكان الإصابة، ووضعه على مكان الإصابة في بعض الحالات؛ لأن (الحاجة تُنزّل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة).

ثانياً: لا يجوز نقل عضو تتوقف عليه حياة المتبرع، أو يعطل زواله وظيفة أساسية من حياته:

يحرم نقل العضو أو الأعضاء في هذه الحال، تقييداً لقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، حيث إنها وإن كانت كذلك ولكن (الاضطرار لا يُبطل حقّ الغير) وهو المنقول منه، و (الضرر لا يُزال بالضرر) فضرر الشخص المريض لا يُزال بضرر يلحق بالمنقول منه.

المسألة الثالثة: هل يجوز نقل الأعضاء من الميت؟

فالقول بالجواز من أدلته قاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، بينما استدل القائل بعدم الجواز بقاعدة: (الضرر لا يُزال بالضرر) وفي نقل العضو ضرر بيّن بالمنقول منه حالاً ومآلاً، والضرر محرم في الإسلام، والضرر لا يُزال بالضرر. ولكن الذين قالوا بالجواز لم يُسلّموا هذا مستدلين بقاعدة: (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب اخفّهما)، حيث وقع التعارض بين مفسدة أخذ العضو من الميت بالتشوّه الحاصل في جثته، وبين مفسدة هلاك الحيّ المتبرع له، ولا شك أن مفسدة هلاك الحيّ المتبرع له -المريض- أعظم من المفسدة الواقعة على الشخص الميت، فتُقدّم حينئذ لأنها أعظم ضرراً وأشد خطراً.

المسألة الرابعة: يجوز نقل الدم:

مع أنه توجد محاذير كبيرة في عمليات تخزين الدم ونقله، فقد اتفق أهل العلم المعاصرون على جواز نقل الدم، وأنه لا حرج فيه على المريض ولا على الأطباء ولا على المتبرع، وهنا تجلى جلياً أثر قاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة: (الضرر يُزال)، في بيان جواز نقل الدم إلى الشخص المريض. كما اشترطوا لجواز التبرع وجود الحاجة أو الضرورة، فقدروا الضرورة بقدرها لأن (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها). وأيضاً لم يجيزوا التبرع مطلقاً، بل أجازوه لشخص صحيح لا يؤثر أخذ الدم منه سلباً على صحته ولا يصيبه بضرر، إعمالاً لقاعدة: (الضرر لا يُزال بالضرر).

المسألة الخامسة: هل يجوز إنشاء بنوك للحليب البشري؟

هنا نجد في هذه المسألة أن الذين قالوا بمنع إنشاء بنوك الحليب البشري لم يروا وجود الضرورة الداعية لإنشاء بنوك الحليب البشري، لوجود ما يغني من العلاقات الاجتماعية والحليب المجفف، لذا منعوا من إنشاء هذه البنوك بالنظر إلى المفاسد التي تترتب على إنشائها، ولم توجد الدواعي الملحة التي من أجلها يمكن غض النظر عن تلك المفاسد. أما الذين قالوا بالجواز نظروا إلى أن هناك مجموعة من الأطفال حالتهم الخاصة تجعلهم مضطرين إلى حليب بشري، والقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات) و (الضرر يُزال) فأجازوا إنشاء مثل هذه البنوك.

المسألة السادسة: حكم التلقيح الصناعي:

في هذه المسألة كان لقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) أثر في توضيح ما يجوز وما لا يجوز من عمليات التلقيح الاصطناعي المتنوعة والمتعددة:
مع وجود عدد من المحظورات الواقعة والمتوقعة في عملية التلقيح الاصطناعي الداخلي والخارجي، ولكن ذلك لم يمنع العلماء المعاصرين من القول بجواز بعض أشكال تلك العمليات، وإنما كان ذلك نظراً وإعمالا لهذه القاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة: (الحاجة تُنزّل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة) وقاعدة: (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما).

المسألة السابعة: العلاج الوراثي (الجيني):

يشمل العلاج الوراثي نوعين من الخلايا الآدمية:
١-الخلايا الجسدية (Somatic cells). ٢- الخلايا الجنسية (Grem cells).
واستند القول بجواز العلاج الوراثي في الخلايا الجسدية إلى قاعدة: (الضرر يزال)، وقاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، فإنه وإن كان للعلاج الوراثي ما له من أمور تدعو إلى حظره إلى أنه يمكن تجاوزها لأجل ضرورة العلاج. ولكن ومع ذلك اتفق العلماء على تحريمه في الخلايا الجنسية فيما إذا كانت المورثات من شخص آخر غير المريض، فـ (الضرر لا يزال بالضرر)، و (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما). والله تعالى أعلم.

المسألة الثامنة: عمليات سحب وحقن الشحم:

إذا كانت الدواعي لهذه العمليات دواع علاجية ولم يمكن معالجتها بغير جرح الجسم وشقه، فإنه يجوز إجراء مثل هذه العمليات لأن (الضرر يزال). وإن كانت الدواعي غير علاجية فهنا تُعمل قاعدة (الضرر لا يزال بالضرر) نظراً للأضرار المتوقعة، والفرق بين الأمرين أنه في الدواعي العلاجية وُجد العذر المبيح لإجرائها، أما في غير الدواعي العلاجية لم يوجد العذر والقاعدة تقول: (ما جاز لعذر بطل بزواله). والله أعلم.

إعداد: أ. د. إسماعيل غازي مرحبا
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

معلقات مجلة الوعي الإسلامي. (٣٩)
هدية العدد رقم: (٦٤٩) ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م
الكويت - المسجد الكبير - ص ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - بدالة: ١٨٤٤٠٤٤ - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ (٩٦٥ +) - فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩ (٩٦٥ +)
www.alwaei.gov.kw alwaeiq8@gmail.com alwaei_alislami مجلة الوعي الإسلامي
تصميم وإخراج: حازم صبري

معلقة: أثر قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) في بيان حكم النوازل من المعلقات المهمة في آثار هذه القاعدة الأساسية في الفقه الإسلامي، وبحثت في دراسة القاعدة، والنماذج المعتبرة لتطبيق القاعدة في النوازل الطبية الفقهية المعاصرة. وقد قسَّمها مُعدها إلى عدَّةِ مسائل كل مسألة تعالج قضية معينة. وقد حملت المعلقة الرقم: (٣٩).



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

أشرف البقاع ومنبع الفضائل

لا ريب أن أشرف البقاع على ظهر الأرض هي بيوت الله -المساجد-؛ فقد أكد القرآن الكريم نسبة المساجد إلى الله عزوجل؛ مما منحها الفضل الكبير والمنزلة العالية الرفيعة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨). وهي بيت كل مؤمن تقي؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لتكن المساجد بيتك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المسجد بيت كل تقي» (رواه البزار). ولهذا كان تشييدها من علامات الإيمان، والعناية بها من سبل الرشاد، وعمارتها نبراس الهداية؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

ومكانة المسجد في الإسلام تظهر بوضوح وجلاء في كون النبي ﷺ لم يستقر به المقام عندما وصل إلى قباء حتى بدأ ببناء المسجد، ثم شرع بوضع الأسس الراسخة فور وصوله -مهاجرا- إلى المدينة المنورة؛ فكان المسجد أول هذه الأسس للدولة التي أراد الله لها أن تكون نواة الإسلام الأولى، ليس هذا فحسب، بل صار المسجد محور نظامها، وسر قوتها، ومصنع رجالها، ومنارة علمها؛ ففي ساحاته انعقدت مجالس التعليم، وكان دوما على مدى فترات العز محرابا للعبادة، وقاعدة للحكم، ومنطلقا للفتح، ومركزا للقضاء، وجامعة للعلم والثقافة.. بل إنه ﷺ ما نزل منزلا في سفر أو حرب إلا اتخذ فيه مسجدا يصلي فيه بأصحابه، ثم استمر أصحابه رضوان الله عليهم على نهجه؛ فقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ولاته أن يبنوا مسجدا جامعا في مقر كل إمارة.

إن عمارة المساجد لا تقتصر فقط على بنائها وتشييدها؛ بل تكون العمارة بالصلاة فيها وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل، وجعلها واحة للآمنين، وملجأ للخائفين، ومدرسة للمتعلمين، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لها، وعمارة بذكر الله وعبادته فيها، والأخير أشرفها، ومن هذا المنطلق يبرز دور القائمين على المساجد بالبنيان المعنوي للمجتمع من خلال المساجد.

في هذا البيت المبارك يتطهر المسلم من الأثرة والأنانية، وحب النفس، ويصبح محبا للناس، يسعى في الخير لعباد الله جميعا، فإذا كان المسلمون قد أنشأوا الجامعات والمؤسسات العلمية والتربوية والتعليمية والقضائية؛ فإن روح المسجد ورسالته التربوية والأخلاقية والتوجيهية، ينبغي أن تسري في المدارس، والجامعات، والمؤسسات كلها؛ توجيها وتعليما ومناهج وسلوكا؛ لأن الإسلام لا يعرف الفصل بين الدين والدنيا، أو بين العبادة والتعليم، أو بين مطالب الروح ومطالب الجسد.

وختاما: كان -ولا يزال- أفضل مكان للتشاور بين المسلمين، في كل شأن من شؤون دينهم ومعيشتهم؛ لأن المسلم في المسجد يكون بعيدا عن هوى النفس ونزغات الشيطان؛ قال ﷺ: «عليكم بالجماعة والعامة والمسجد» (رواه أحمد). ومن هنا كانت العناية به والعمل على تطوير أدائه وتحقيق أدواره المنشودة، وتنظيم العمل فيه والرقي بالعاملين فيه من أجل المقاصد وأعظم الغايات.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد٦٤٩ / رمضان ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
مايو ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



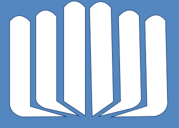
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمــة العـــدد

المسجد حاضنة تربوية

كان المسجد على عهد النبي ﷺ مكانا لأداء الصلوات، وبعث البعوث، وإرسال السرايا، وعقد الألوية للجهاد، والفصل بين المتقاضين، وتعليم الناس أمور دينهم.. وامتد هذا الدور في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وللمسجد دوره التربوي المهم في بناء شخصية الشباب، ففي المسجد كان يُربى الناشئة ويتعلمون مبادئ الإسلام وأصوله، وكان أيضا المحضن التربوي للشباب المسلم لحفظهم من الضياع والانحراف

وربطهم بالرفقة الطيبة الصالحة ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور:٣٦-٣٧).

ولا شك أن إهمال دور المسجد في تربية الشباب يعرض المجتمع لمخاطر كثيرة ومخاوف جمة، من أبرزها احتمال الارتباط بالصحبة السيئة خارج المسجد، التي شبهها النبي ﷺ في الحديث بنافخ الكير الذي لابد أن يصيب المرء منه أذى، فهو إما أن يحرق ثيابك أو تشم منه رائحة خبيثة، وكذلك صاحب السوء إما أن يقود صاحبه إلى التدخين أو شرب المخدرات أو غيرهما من الموبقات، وإما أن يؤثر في أخلاقه سلبا وانهيارا، والخاسر في النهاية ليس الشاب وحده بل المجتمع كله.

و«الوعي الإسلامي» تفتح هذا الملف تزامنا مع شهر رمضان المبارك تأكيدا على أهمية دور المسجد في تنشئة سوية للشباب المسلم الذي هو عماد الأمة وسر نهضتها.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



علاء عبدالفتاح
عبدالسلام الشبراوي

جائزة دولية برعاية سامية من أمير البلاد

الكويت تهدي العالم ٢٠ منارة قرآنية



قبل عشرين يوما من بزوغ هلال شهر القرآن كرمت دولة الكويت عشرين فائزا من حفاظ كتاب الله في فئات جائزة الكويت الدولية الأربع لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته في نسختها العاشرة وذلك تحت رعاية وحضور سمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وكبار رجالات الدولة كما حضر تلك الفعالية المباركة رئيس البرلمان الماليزي محمد عارف يوسف.

ألقى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية السيد فهد علي الشعلة كلمة رحب فيها بسمو أمير الكويت والحاضرين وثمن دور لجنة التحكيم في دقتها وحسن اختيارها للفائزين، وأثنى على الفائزين الذين اجتازوا اختبارات هذه المسابقة وحصلوا على الجوائز الخاصة بها، كما شكر اللجان القائمة على تنظيم وإدارة المسابقة.

وأعلن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد أسد عمادي نتائج التصفيات النهائية للجائزة وأسماء الحائزين المراكز الأولى في كل فرع من فروع الجائزة الخمسة.

في قاعة البركة داخل فندق شهير قريب من مطار الكويت الدولي حلت بركة القرآن الكريم حفظه وفهمه والعمل به إن شاء الله، حيث جلس ضيوف الكويت الدوليون والمحليون جميعهم ينالون شيئا من رزق السكينة والخشوع حيث تلاوة أو اختبار أو استماع.

عشرات المتسابقين يتوجهون في كل يوم من إجمالي ١٤٥ متسابقا و٧٥ دولة إلى مقعد التلاوة أمام أعضاء لجنة التحكيم الخمسة يجلسون، بينما الحضور ينصت البعض يتفكر والبعض يجهش بالبكاء.

الكريستال الأزرق والمحددات الخشبية لكل جناح، والزخرفة الإسلامية تضيف فوق الجمال جمالا.

شاشات عارضة للأنشطة في كل ركن والورد والتمر والقهوة العربية سفراء للكرم الأصيل، علو سقف القاعة يتناسب مع علو همة المنظمين.


سمو الأمير يكرم الشيخ الطبلاوي


سمو الأمير وقيادات الدولة

من أروع المشاهد التي تبهج القلب تحرك وفود المدارس بالزي المدرسي حيث توزع الهدايا على كل طالب أو طالبة، فتراهم يحملون حقائب مملوءة من صنوف العلم والنشرات والهدايا.

عندما صعد القارئ الشاب عدنان بسري ماي إلى المنصة واثق الخطى عليه وقار الحافظ.. تلا وارتقى وأجرى الدموع من الأعين بتلاوته الصادرة لا من الحنجرة وإنما من أعماق القلب الواعي السليم.

وعلى هامش المسابقة كان المعرض القرآني حيث أجنحة روسيا والأردن والمملكة العربية السعودية وماليزيا وإندونيسيا ومصر وتايلاند وقطر وبالطبع أجنحة خاصة لمراكز من الكويت وقد التقى محرر «الوعي الإسلامي» مع غالبيتهم لنقل صور حية من نشاطاتهم.

وقد أشاد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد أسد عمادي بالمستوى التنظيمي لجائزة الكويت الدولية العاشرة التي تأتي ضمن الدور الريادي والحضاري الذي تتبناه الأوقاف ويشهد له الجميع، معتبرا النجاح الذي تحقق تتويجا للجهود القرآنية المباركة للكويت في مجالات حفظ القرآن الكريم ونشر علومه.

أما عريف المسابقة د. تركي النصر الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف وعضو تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» فيقدم الحفاظ واحدا واحدا في صوت رخيم وسلاسة ربط.

«المنابر القرآنية»

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من المشاركين في المعرض القرآني:

ذياب أبو سارة، مدير الموقع الإلكتروني لجمعية المنابر القرآنية، الذي أكد على حرص جمعية المنابر القرآنية على المشاركة في هذا المعرض كل عام، للاستفادة من الخبرات المشاركة والاطلاع على أحدث إنجازاتهم، وأشار إلى بعض المشاريع الخاصة بالجمعية المتمثلة في تطبيق خيركم وهو «التفسير الميسر للصم»: وهو تطبيق جديد أنجز منه الجزء الثلاثون (جزء عم) المصمم خصوصا للصم بلغة الإشارة وهو يعتبر سبقا لجمعية المنابر القرآنية، كذلك مشروع مواهب القلوب لدعم ذوي الاحتياجات الخاصة في مجال تعليم القرآن الكريم ونشره وتوفير المعينات السمعية والبصرية من أجل أهل القرآن بالإضافة إلى مشروع أم الكتاب، يقول ذياب: ذلك من أهم مشاريعنا ويستفيد منه حوالي ١٧ ألف مستفيد، ويقوم على تنقل مدرسين ومشايخ إلى الميادين العامة ليصححوا للناس قراءة سورة الفاتحة باعتبار صحة قراءتها أساسا في صحة الصلاة.

كذلك مشروع عالية القراءات، حيث تمت استضافة العلامة محمد السحابي من المغرب، وأيضا د. غانم قدوري وهو عالم في ضبط ورسم


جانب من الحضـور


عريف الحفل د. تركي النصر

المصحف وعقد دورة بخصوص هذا المجال.

وفي الختام قال ذياب: بهذه التظاهرة التي تنعقد للسنة العاشرة على التوالي، فالله عزوجل سيكرم أهل الكويت بإكرامهم لأهل القرآن ورعايتهم.

رابطة العالم الإسلامي

أما فهمي عبدالله من الهيئة العالمية للكتاب والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي والذي أتى من المملكة العربية السعودية فقد أوضح أن الهيئة تقوم بتعليم القرآن الكريم بأكثر من ٦٠ دولة حول العالم، ومن أفضل البرامج التي تضيفها الهيئة تأسيس المعاهد القرآنية بنظام دراسة من سنتين إلى ثلاث سنوات، يحفظ الطالب خلالها القرآن الكريم ويتعلم قواعد اللغة العربية والعلوم الشرعية، بعدها يتخرج الطالب حافظا متقنا لكل هذه العلوم، ثم يرجع هذا الطالب إلى قريته أو مدينته لتحفيظ طلاب هذه المنطقة التي يعيش بها، وبهذا ينتشر نور القرآن الكريم في جميع مناطق البلد، وأضاف: الحمد لله تخرج عدد كبير من الدارسين في هذه الهيئة، وتقوم هذه المعاهد بتقديم المنح الدراسية للطلاب المتميزين والراغبين في استكمال دراستهم الجامعية من خلال المنح الدراسية في الكثير من العلوم حتى يحصلوا على درجة الليسانس والبكالوريوس وأيضا الماجستير، وكذلك تقوم الهيئة بعقد المسابقات القرآنية في العديد من دول العالم..

من ماليزيا واندونيسيا

والتقت «الوعي الإسلامي» كذلك محمود يوسف عفيف من «مؤسسة رستو ومجمع ناشونال قرآن» وقد أتى من ماليزيا حيث أفاد بأن مؤسسة رستو متخصصة في كتابة المصحف الشريف وزخرفته من خلال الفنون الإسلامية، وهي تعمل على كتابة المصاحف يدويا وزخرفتها، لافتا إلى أنه يعرض في جناح المؤسسة المصحف الماليزي المميز بتلك الزخرفة.

أما أفندي أنور من المركز العثماني لتعليم القرآن الكريم بجاكرتا- إندونيسيا فقد أشار إلى أن المركز تأسس عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ويبلغ عدد الطلاب الدارسين فيه حاليا: ٤،٧٠٣ طلاب، وعدد المدرسين ١٣٤ مدرسا، بينما بلغ عدد الخريجين ٣٧٦١ خريجا من المركز كلهم يحفظون القرآن الكريم كاملا.


الأمير مصافحا وزير «الأوقاف»

وأوضح أن تعليم الصغار يتم عن طريق «القاعدة العثمانية» وهي طريقة في تعليم الحروف الهجائية من خلال الأناشيد، وهناك أيضا مجموعة من الدورات لإعداد مدرسي القرآن الكريم ورفع كفاءتهم داخل جاكرتا وخارجها، وقال كذا نقوم بالاتفاق مع بعض المؤسسات والشركات ونرسل لهم مدرسا ليحفظهم ما تيسر من القرآن الكريم.

فعاليات وورش علمية

على هامش الجائزة هناك جو مفعم بالروح العلمية يستضاف فيه جمع من أهل العلم لتقديم الندوات وورش العمل ليستفيد منها الحاضرون والمشاركون، ومن هذه الفعاليات:

ورشة علمية حول كتاب «التبيان في آداب حملة القرآن»، قدمها الشيخ إيهاب فكري من جمهورية مصر العربية.

محاضرة نسائية بعنوان «تهذيب هوى النفس في ضوء دراسة قرآنية» قدمتها الدكتورة ابتسام بنت بدر الجابري، من المملكة العربية السعودية.

ورشة مهارات الحفظ والمراجعة وقدمها الشيخ عبدالله بن صالح


لجنة التحكيم الموقرة بعدسة محمد عبده

صنعان من المملكة العربية السعودية، بين فيها طريقة تهيئة الطالب لحفظ القرآن الكريم وفضائل القرآن وحملته.

ورشة عمل عن الذكاءات المتعددة في الحفظ والمراجعة لحفظة القرآن قدمها الدكتور محمد محمود حوا من جمهورية تركيا، وشارك الحاضرون في طرح أساليب متنوعة للتعامل مع كل نوع من أنواع الذكاءات: (اللغوي - المنطقي - الحركي - الذاتي-التأملي - الاجتماعي - المكاني - الطبيعي - النغمي).

ورشة ثقافية نسائية قدمتها الدكتورة فاطمة بنت صالح الجارد من السعودية بعنوان «تطبيق سورة الفاتحة في حياتنا».

أنشطة مصاحبة

وقد أقامت اللجنة المنظمة عددا من الزيارات والرحلات الترفيهية إلى بعض معالم دولة الكويت لتعريف المتسابقين عليها والترفيه عنهم، ومن هذه الزيارات:

- زيارة متحف «بيت العثمان» في منطقة حولي، والتعرف على التراث الكويتي القديم.
- زيارة أبراج الكويت، وقد صحبهم في هذه الزيارة وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية السيد داود العسعوسي.
- زيارة حديقة الشهيد، مارسوا خلالها الألعاب الرياضية والترفيهية واستمتعوا بهذا المكان المميز.
- زيارة مدينة الأطفال «كيدزانيا».

زوار الجائزة

كان على رأس زوار جائزة الكويت الدولية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد فهد الشعلة، وقدم له عبداللطيف الكندري رئيس معرض جائزة الكويت الدولية العاشرة نسخة من إصدار المعرض الخاص بمناسبة مرور عشر سنوات على عمر الجائزة، وهذا الإصدار تحت عنوان «حكاية جائزة» يحتوي على صور من تاريخ الجائزة خلال مسيرتها ويسلط الضوء على الفائزين وضيوف الجائزة ولجان التحكيم.

وزار المعرض أيضا وكيل وزارة الأوقاف المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية نائب رئيس اللجنة العليا للجائزة د. وليد عيسى الشعيب وقام بجولة في معرض الجائزة برفقة عدد من الضيوف.

وخلال زيارة الشيخة أوراد جابر الأحمد الصباح المعرض القرآني التقتها «الوعي الإسلامي» حيث صرحت بأنها فخورة بهذا الإنجاز الحضاري برعاية صاحب السمو، وقد استمعت إلى متسابق من الصومال وتمنت له الفوز (وقد فاز بالفعل) وقالت: إن هذه المسابقة تعتبر إنجازا


الشيخة أوراد الصباح متحدثة إلى محرر «الوعي الإسلامي» علاء عبدالفتاح


قيادات الأوقاف مع الشيخ ناصر الصباح

على مستوى العالم كله وتأتي تحت رعاية سمو أمير البلاد وبجهد محمود من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مضيفة: فخورة أنا بهذا العرس القرآني، وتوقفت الشيخة أوراد عند جناح المكرمة الأميرية وتمت استضافتها في الأجنحة الأخرى، وتمنت لمجلة «الوعي الإسلامي» المزيد من الازدهار وتبوؤ مكانة عالية.

استكمال مسيرة الأوائل

أكد رئيس اللجنة الإعلامية لجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته العاشرة عبدالحميد المطيري، أن الجائزة تأتي استكمالا لمسيرة الكويتيين الأوائل في الاهتمام بكتاب الله، حيث كانوا يخصصون الأوقاف لخدمة القرآن الكريم وتحفيظه وتجويده وتعريف الناس بأحكامه.

وأوضح أن القائمين على الجائزة، منذ انطلاقتها، حددوا أهدافها بدقة، وتتمثل في: إشاعة روح التنافس الإيجابي في حفظ القرآن الكريم، والتشجيع على بذل مزيد من الجهد والوقت في الحفظ والتلاوة، وتحفيز الأجيال على مختلف مستوياتهم للالتزام بتعاليم الدين وإدراك واجباتهم نحو العقيدة الإسلامية السمحة، إضافة إلى رعاية حفاظ القرآن الكريم من الجيل الصاعد وتحفيزهم وصولا إلى زيادة عددهم وتكريمهم والعناية بهم، كما تسعى إلى إبراز دور أئمة القراءات وعلوم القرآن المحققين في هذه الفنون، وإبراز الوجه الحضاري للكويت كراعية للقرآن الكريم على مستوى العالم، فضلا عن إبراز القراء المتميزين للقراءات على مستوى العالمين الإسلامي والعربي.

وكانت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قد أطلقت جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته في نسختها العاشرة في التاسع من شهر أبريل ٢٠١٩م.

وقال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية فهد الشعلة: إن الرعاية السامية خير دليل على حرص سمو الأمير على دعم ومساندة حفظ القرآن وتشجيع وإكرام حفظته.

وأكد الشعلة أن الكويت كانت وما زالت تؤدي دورا رياديا كدولة راعية لشؤون القرآن الكريم من خلال تنظيم جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته، والتي كانت أهم أهدافها الريادة والتميز في الارتقاء والاهتمام بحفظة القرآن الكريم والقائمين عليه؛ أفرادا ومؤسسات، سواء كانوا داخل الكويت أو خارجها.

وأضاف الشعلة: إن جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته تهدف كذلك إلى تعريف الأمة الإسلامية والعربية بالقراءات القرآنية، وإبراز دور أئمة القراءات وعلوم القرآن المحققين، وترغيب الأجيال المسلمة من حفظة كتاب الله في دراسة علم القراءات، وإبراز المجيدين من القراء المتقنين لهذه القراءات على مستوى دول العالم، وإشاعة روح التنافس الإيجابي في حفظ القرآن الكريم، والتشجيع على بذل المزيد من الجهد والوقت في الحفظ والتلاوة، بجانب رعاية حفاظ القرآن الكريم من الجيل الصاعد وتحفيزهم، وصولا إلى زيادة عددهم



جانب من المعرض القرآني

وتكريمهم والعناية بهم، يضاف إلى ذلك إبراز الوجه الحضاري لدولة الكويت كراعية للقرآن الكريم على مستوى العالم، وتميزها في تكريم الشخصيات القرآنية البارزة التي تقوم على خدمة القرآن الكريم على مستوى العالم، وترسيخ القيم الإسلامية من المنظور القرآني من خلال فعاليات الجائزة، وكذلك السعي لجذب واستقطاب شباب الأمة نحو كتاب الله واستشعار علو قيمه وسمو معانيه وشرف مكانته، كما أنها تهدف في الدورة العاشرة إلى تقديم النموذج الأمثل في خدمة كتاب الله تعالى وزيادة عدد المشاركين لتعميم الفائدة على أكبر قدر ممكن من حفظة القرآن الكريم.

وكشف الوزير الشعلة عن جملة من الإنجازات التي حققتها الجائزة خلال مسيرتها والتي جعلتها الأكثر تميزا بين قريناتها من الجوائز الدولية وأبرزها: وجود فروع متميزة غير موجودة في الجوائز الدولية الأخرى؛ مثل: فرع القراءات العشر، وفرع أفضل مشروع تقني يخدم القرآن. فيما ستقدم الجائزة هذا العام إضافة جديدة وهي فرع صغار الحفاظ.

وقال: فاز بالمركز الأول في فرع القراءات العشر المتسابق الليبي أحمد ناجي الرحال سعد وحقق نسبة ٩٧,٣٣ في المئة، وجاء المتسابق الصومالي حنفي بشير محمد المطير في المركز الثاني بنسبة ٩٧ في المئة، فيما كان الثالث اليمني صادق عبدالله علي النهاري ٩٦,١٧ في المئة، وقد


زيارات المدارس للمعرض

حجب المركزان الرابع والخامس في القراءات العشر لأنهما كانا دون مستوى ٩٠ في المئة.

وفي فرع حفظ القرآن الكريم كاملا مع التجويد فقد فاز النيجيري مامودو حسن عمر بالمركز الأول بنسبة مئة في المئة وجاء الجزائري أحمد حركات في المرتبة الثانية بنسبة ٩٩,٨ في المئة والأميركي عدنان بسري ماي في المركز الثالث بنسبة ٩٩,٦، وجاء في المرتبة الرابعة النيجيري أمينو عثمان محمد بنسبة ٩٩,٦٧ في المئة، وجاء التركي أبو بكر قاجان في المرتبة الرابعة مكرر بنسبة ٩٩,٦٧ في المئة، وجاء الليبي محمد محمود الحبيب الدروقي في المرتبة الخامسة والمتسابق الصومالي مبارك خليف يوسف الخامس مكرر.

وفي فرع التلاوة حصد المركز الأول الماليزي عبدالله فهمي بن شي نور بنسبة ٩٦ في المئة وفي المركز الثاني الإندونيسي قدر أسمادي رشيد بنسبة ٩٥ في المئة وفي المركز الثالث حاج أوانغ محمد فكري من بروناي دار السلام بنسبة ٩٤ في المئة وفي المركز الرابع فاز من إيران السيد سيد حميد مقدسي بنسبة ٩٣,٥ في المئة وفي المركز الخامس أنوي عبدالله علي من تايلند.

وفي فرع حفظ القرآن الكريم كاملا لصغار الحفاظ فاز بالمركز الأول من غينيا كوناكري سانو آدم بنسبة ٩٩,١٧ في المئة وجاء السوداني أبو بكر هنو مطر عبدالكريم بنسبة ٩٨,٦٧ في المئة وجاء الكاميروني عيسى عبدالله آدم في المرتبة الثالثة بنسبة ٩٨,٣٣ في المئة وكذلك المركز الرابع الباكستاني محمد سديس رشيد الله بنسبة ٩٦,٨٣ في المئة وجاء الأردني ريان رائد محمد صيداوي في المرتبة الخامسة بنسبة ٩٦ في المئة.

وأما أهم الشخصيات القرآنية التي كُرمت في جائزة الكويت الدولية فهم: فضيلة الشيخ يحيى أحمد محمد الحليلي من اليمن والشيخ محمد محمود الطبلاوي من جمهورية مصر العربية، فيما تم تكريم الجهة القرآنية المكرمة في الجائزة وهي إذاعة القرآن الكريم من دولة الكويت وشبكة الهداية القرآنية العالمية من المملكة العربية السعودية.

جنود مجهولون

من ضمن اللجان التي يعمل أفرادها بكل همة ونشاط لجنة استقبال وتسكين ولجنة إعلامية وأخرى تنظيمة ولجنة إدارية من مهامها طباعة هويات المتسابقين والضيوف.

محمود نصر الدين المعلاوي





الخزّي تسلم جائزة الإدارة المتميزة

«الوعي الإسلامي» تحصد المركز الأول في معيار العمليات

حصدت إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» جائزتين متميزتين على مستوى إدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عن عام ٢٠١٧/٢٠١٨م.

وتسلم رئيس تحرير المجلة فهد محمد الخزي الدروع التذكارية في حفل أقامته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خاص بجائزة الإدارة المتميزة تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية فهد الشعلة، وبحضور وكيل الوزارة م. فريد عمادي والوكيل المساعد لشؤون المساجد إبراهيم الخزي، والوكيل المساعد لشؤون التخطيط الاستراتيجي وليد العمار، والوكيل المساعد لشؤون الإفتاء عيسى العبيدلي.

وأكد الخزي أن «الوعي الإسلامي» حرصت على تطبيق معايير الأداء بأسلوب علمي وإداري ممنهج تحت إستراتيجية الوزارة المعروفة بنهجها الوسطي.

وأضاف: تطبيق سياسة التنافس المثمر عبر جائزة الإدارة المتميزة السنوية يضمن التطور في أساليب العمل والنجاحات التي تحققها الإدارات المختلفة، لافتا إلى أن المركز الأول في جائزة معيار العمليات كان من نصيب «الوعي الإسلامي»، إضافة إلى المركز الثالث (فئة ج)، مما يؤكد أننا نسير على النهج السليم.



وختم بأن مجلة «الوعي الإسلامي» تعد القراء والمتابعين بمزيد من الجهد وفق خطة منهجية مدروسة لتحقيق أقصى ما يمكن من إنجازات.



فهد الشمري

مؤتمر الإعجاز العلمي في جامعة الجنان اللبنانية



استضافت جامعة الجنان في مدينة طرابلس اللبنانية فعاليات المؤتمر الدولي السنوي الأول للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تحت رعاية وحضور مفتي الجمهورية اللبنانية الدكتور عبداللطيف دريان، والدكتور عبدالله المصلح، الرئيس الشرفي لجمعية الإعجاز العلمي المتجدد، والأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، والدكتور علي فؤاد مخيمر، رئيس جمعية الإعجاز العلمي المتجدد بمصر.

وافتتح المؤتمر بكلمة للدكتور عبدالله المصلح، أكد فيها أن أهم أهداف المؤتمر توضيح الحقيقة وخدمة الإنسانية في البحث عما ينفع الناس ويمكث في الأرض، وإثبات أن الدين الإسلامي دين علم ومعرفة وصناعة حضارة، من أجل حضارة إنسانية كريمة يسودها العدل.

وأضاف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة: نأمل من العلماء والباحثين الالتزام بالمنهج العلمي وضوابط البحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، التي لا تقبل النقض والتغيير، ووجوب دلالة ظاهرة على تلك الحقيقة في كتاب الله، أو ما صح عن رسول الله ﷺ ودلالة النص والربط بين الحقيقة ودلالة النص بأسلوب سهل وميسر، وأن تكون تلك الدلالة وفق مفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

من جانبه، أشار الدكتور علي فؤاد مخيمر، رئيس جمعية الإعجاز العلمي المتجدد بجمهورية مصر العربية، إلى أن جمعية الإعجاز العلمي المتجدد بمصر، أنشئت عام ٢٠١٣م ،وتهدف إلى إعداد دورات تدريبية متخصصة لإعداد باحث في مجال الإعجاز العلمي، وعقد مؤتمرات وندوات علمية، ونشر الأبحاث المتعلقة بالإعجاز العلمي، والرد على الشبهات وإصدار مجلة إعجاز لنشر ما هو جديد في مجال الإعجاز العلمي.

وكشف الدكتور مخيمر أنه تم عمل بروتوكول تعاون مع وزارة الأوقاف المصرية، للتدريس وإلقاء محاضرات لأئمة الأوقاف بجميع محافظات مصر، وتم عمل بروتوكول مع جامعة الأزهر لإلقاء محاضرات علمية في الكليات المختلفة، مثل كلية الدراسات الإسلامية والطب والعلوم والدراسات العليا بكلية الدعوة تخصص الإعجاز العلمي، كما تم إنشاء مقر للإعجاز العلمي بألمانيا ومنه الانطلاقة إلى أرجاء أوروبا.

ثم ألقيت محاضرة للأستاذ الدكتور يحيى حسن وزيري، تحت عنوان: «الإعجاز العلمي في توسط مكة لليابسة»، ثم محاضرة للدكتور مصطفى صلاح الشيمي، تحت عنوان «الإعجاز التشريعي في العلوم الإنسانية والاجتماعية.. الزكاة نموذجا»، أتبعها مناقشة علمية مع الحضور.

أ. د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك - جامعة المدينة - مصر





تجديد الهمة

أشرقت علينا شمس رمضان وطلع علينا هلاله، فكأن الدنيا من حولنا أضاءت في كل أركانها، فالكيس الفطن يصارع فيه اللحظات، ويتمنى ألا تمر ساعاته سراعا؛ حرصا على أن يهتبل لنفسه المزيد من الحسنات.. تتزين المساجد وتزدان؛ كأنها تستقبل الوافدين لأول مرة، بعد أحد عشر شهرا لا يؤمها فيها إلا نفر قليل.

لا شك أن لحظات رمضان هي الأفضل والأعظم في العام كله، إذ تتجدد الروح، وتتجدد النفس. وللصوم ميزة وخصيصة دون غيره من العبادات، فمن فضله أن أضافه الله تعالى لنفسه، وجعله دون غيره كفارة يكفر بها، المظاهر والحالف... وغيرهما، فلا تجزئه الصلاة ولا الزكاة ولا الحج عما لزمه من تقصير؛ بل الصوم جابر لبعض أعمال الحج، لازم في بعض الأحيان لبعض التقصير في مناسكه.

ثم إن رمضان هو المشفى الحقيقي للأمراض التي توطنت في النفس على مدار عام، والكابح لشهوات أدمنها بعض الصائمين، بعضها مباح، وبعضه دون ذلك.

إن شهرا واحدا يمثل في حياة الإنسان فرصة سانحة لجبر قصور مر عليه في أحد عشر شهرا، وفرصة للاقتراب من الله بشوق ينبع من داخل النفس، ينعكس على الأخلاق وسائر التصرفات، وهو فرصة لأن تتجدد النفس، فتبدو في تعايشها كأبهى من الربيع في إزهاره، وأثمر من الشجر حين يكون جناه، ولقد كان رسولنا ﷺ عظيما في كل أمره، وكانت عظمته تزداد وتزداد في رمضان: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان

أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

من هنا كان رمضان فرصة ليكون الصائم حريصا على كل تكبيرة إحرام في الصلوات الخمس خلف الإمام، حريصا على العيش مع القرآن؛ مهيئا أسباب اللقاء مع كتاب الله تعالى تارة بالتلاوة، وتارة بالسماع.

ثم على الصائم أن يديم الدعاء، ولا يربط ديمومته بحصول المطلوب؛ فالدعاء في ذاته عباده، ثم إن رمضان فرصة ليبلغ العبد المدى في الأذكار، لاسيما الاستغفار، وهو فرصة ليكون المرء مع من حوله من الناس مؤثرا ما يعم نفعه من العبادات، كالصدقات وعون المحتاج بأوجه العون، على ما يقتصر نفعه، وليعلم أنه إن انشغل بحوائج الناس وقضائها فالله معه في كل مسعى يسعاه، وليس في سعيه في الحوائج يكون مضيعا لحظ نفسه من رمضان، بل هو آخذ بسبيل عظيم من سبل الفوز.

ورمضان أيضا منحة عظيمة لتعويد النفس كريم الخلق، وإكسابها خلة كظم الغيظ؛ التي تستوجب جنة عرضها السماوات والأرض، وهو فرصة لصون الضمير من نزغات السوء، وصون الفؤاد من أمراض الشيطان كالحسد والغل.

إن طريق المغفرة ميسور مرسوم في رمضان، ويكفي الصيام شرفا أن أجره مضاف إلى ربه، وموكول إليه تعالى، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، قيل: الصابرون هم الصائمون[2]، فإذا كان أجر قراءة الحرف في القرآن بحسنة[3]، وأجر بعض الأعمال بسبعمئة[4]، وأجر الصلاة في جماعة بخمس وعشرين[5]، فإن أجر الصائم لا يعلمه إلا الله؛ كما في الحديث القدسي: «الصيام لي، وأنا أجزي به»[6]، فهنيئا لمن بادر بالصوم، وعمل في رمضان بما عرف قدره من الأعمال الأخرى، فخرج منه بغير ما دخل فيه، وكانت نفسه في استدباره غير نفسه في استقباله، وقلبه في شعبان غير قلبه في شوال، وصار كأنما ولد بالصيام من جديد.

المرأة في رمضان

والمرأة في الدنيا ينبوع الحنان الفياض وزهرة البيوت المستقرة، وظلها الوارف، ينبغي ألا تكون في ليلها ونهارها مغالية في الانشغال بمائدة الإفطار، وما تعده لأهل البيت، بل لا يفوتها حظها من العبادة مهما كان يومها، وأن يكون لها ورد مع الكتاب العزيز لا تتخلف عنه؛ مهما داهمتها المشاغل، ولتحتسب في كل عملها الذي تقوم به، ومن الحسن أن تحرص على أن تطعم الطعام بأن ترسل به لمحتاج، وأن تنأى عن ضياع الوقت فيما لا يعود عليها بالنفع، آخذة في كل هذا بحسن التبعل، تبتغي وجه الله وما أعده للمتقين.

الشباب في رمضان

الشباب هم عنوان المستقبل، وربيع المجتمعات، والأمم قوتها بكثرة شبابها وتفوقهم على أهل الشيب، فالأعمار تمضي لا يحتسب منها إلا ما عاد بالفائدة على صاحبه، ويكفي أن الشاب العابد واحد من سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وفي الحديث: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»[7]، والصبوة هي الميل للحرام، قال العجلوني: كان السلف يعجبهم أن لا يكون للشاب صبوة[8]، قال ابن الجوزي: «لا تخل نفسك من موعظة تسمعها، وفكرة تحادثها بها، فإن النفس كالفرس المتشيطن؛ إن أهملت لجامه، لم تأمن أن يرمي بك»[9]، فهذا هو الحري بالشاب.

وليعلم أن إقباله على ربه وإحجامه عن المعاصي لا يعنيان أنه لا يعيش الزمان كبقية الشباب، أو أنه يعيش حياة الكهول والعجائز. كلا فإنه ما من ساع في الحياة، أو ضارب في مفاوز الأرض إلا وهو طالب للسعادة، راغب في حصولها، ومن فاته حظه من ربه، وحظه من الإقبال عليه، فسعادته وهم، وفرحته مؤقتة، يوشك أن يستفيق عن قريب منها، فرمضان نفحة عظيمة وفرصة سانحة لمن رغب أن يصير من الشباب إلى الله بلا صبوة، فليتدبر ما يفعل، وليعزم ألا يفوته خير وإن قل، فالسعيد من أدرك لا من فرط وسوف وأجل ما ينبغي اليوم إلى الغد؛ فربما جاء الغد وقد وهنت منه القوى، وخارت العزائم.

وما أشقى من كان كل حظه من رمضان دعوة عليه من خاتم الرسل ﷺ إذ يقول: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له»[10]، من أجل هذا كان رمضان فرصة لرفع الهمة، وتطهير القلب.

الهوامش

١- البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).
٢- الهداية الى بلوغ النهاية (٩٧٢/٢).
٣- الترمذي (٢٩١٠)، وقال حسن غريب.
٤- البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).
٥- البخاري (٦٤٨)، ونحوه في مسلم (٦٤٩).
٦- البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
٧- أخرجه أحمد (١٧٣٧١).
٨- كشف الخفاء (٢٧٩/١).
٩- صيد الخاطر، ص:٢٠٦.
١٠- الترمذي (٣٥٤٥) وقال حسن غريب.



د. محمد بن محمد الحجوي
أستاذ التعليم العالي
المغرب

دروس من الصيام

كل فريضة في شريعة الإسلام السمحاء في العبادات والمعاملات والسلوك والأخلاق تجد فيها رحمة الله الشاملة بالإنسان وبكل المخلوقات، هذه الرحمة قد تكون جلية يشعر الإنسان بها ماديا ومعنويا بما تجلب له من راحة وسعادة وطمأنينة نفس يظهر أثرها على جسمه ونفسه وعقله وأمنه، وقد تكون خفية لا يدركها إلا حينما تشمله ألطاف الله في الطوارئ والحوادث الجسام التي تعترض سبيله فيعرف آنذاك أن ألطاف الله معه لا تفارقه أينما حل وارتحل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة:١٨٦)، ولذلك أوجب الله عزوجل على عباده الشكر الدائم والحمد والإقرار بالنعم ظاهرها وخفيها ليكون قريبا من خالقه، فلا نعم إلا من الله عزوجل القادر على كل شيء ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل:١١٤). وقوله عز من قائل في بيان نعمه الوافرة: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (النحل:١٨) فعناية الله بالإنسان دائمة ومسْتمرة شريطة قربه من خالقه وشكره على نعمه واعترافه بكل ما أعطاه.

والصيام من الفرائض التي أراد الله بها الرحمة الشاملة للإنسان، فيما يوفر له به من سعادة وراحة وطمأنينة نفس وصحة جسم وصفاء روح ومغفرة ورضوان أكبر في الآخرة. قال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ (البقرة:١٨٣،١٨٤).

فريضة فيها رحمة بهذا المخلوق سواء كان قادرا على أدائها جسميا ونفسيا أو غير قادر نتيجة حدوث مرض أو سفر يجد فيه مشقة أو أسباب أخرى فوق قدرته وطاقته، لأن القاعدة العامة في الإسلام هي التيسير والتخفيف.

لكن إذا زالت تلك الأسباب فلا يحق لهذا المخلوق التمرد على أمر الله، لأنه لو تدبر ما فرضه عليه في العبادات والمعاملات لوجد فيها كل الخير لنفسه ولمجتمعه ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، إن الإنسان حينما يتأمل بدقة معاني الآية الكريمة يجد فريضة الصيام مشمولة برحمة واسعة من الله بالإنسان في حياته الدنيا وفي حياته الأخرى، فليس المقصود منها حرمانه من الطعام والشراب والملذات والشهوات التي أحلها الله له، وإنما وراءها غايات نبيلة وفضائل سامية تحقق للفرد والمجتمع كل الخير والسعادة والطمأنينة والتضامن والأمن الاجتماعي؛ إن الطب الحديث أثبت بما لا مجال فيه للشك والجحود أن أعضاء كثيرة في جسم الإنسان تتخلص من أمراض عديدة عن طريق الصيام، إذا لم يكن الفرد مصابا بمرض مزمن يمنعه من القيام بهذه الفريضة، فالخير كل الخير في الصيام للذين لهم القدرة على ذلك من الناحية الجسمية ولم تكن هناك أسباب داعية للإفطار. وحتى الذين أعطيت لهم رخصة الإفطار تجد في هذه الرخصة رحمة الله بالعباد ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ فتتحول هذه الرخصة إلى وجهة أخرى فيها بر وإحسان بالفقراء والمساكين وذوي الحاجات عن طريق «الفدية» التي يعود نفعها على فئة كبيرة في المجتمع؛ إن الفدية والزكاة والنفقات الدائمة يتحقق بها الاستقرار والتضامن والتكافل الاجتماعي في أبهى كماله وأبدع صوره، وهو ما تسعى إلى تحقيقه كل المجتمعات التي تريد السلم الاجتماعي، والشريعة السمحاء حث المسلمين على الإكثار من الإنفاق

القاعدة العامة في التشريع هي التيسير ورفع الحرج

في شهر رمضان لينال العبد رضوانا من الله أكبر وأوسع، وهو صائم قد استجاب لأمر ربه، وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ، فقد كان كثير العطاء والجود والإحسان في سائر الأيام، ويزداد ذلك في هذا الشهر الكريم شهر التوبة والمغفرة والرحمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (رواه البخاري). وكل فريضة في الإسلام حينما يتأمل الإنسان ما فيها من رحمة فإنه يجد الرحمة تشمله جسميا أو نفسيا أو أخلاقيا أو اجتماعيا، فقد حث الشريعة على وجوب المحافظة على سلامة الأجسام بتناول الطعام الجيد وعدم الإسراف فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ (البقرة:١٦٨)، وطلبت منهم الشريعة أن يبتعدوا عن كل ما يضر جسمهم ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ (البقرة:١٧٣)، فالابتعاد عن كل ما يضر الجسم في المأكل والمشرب مطلب تحث عليه الشريعة بقوة لأن الإنسان خلق لأداء غايات سامية، والحفاظ على الأجسام هو السبيل لتحقيق تلك الغايات، وها

هو شهر الصيام يحقق للإنسان هذه الرغبة ليبتعد عن كل ما كان يتناوله في أوقات أخرى لاسيما الخمور والسجائر وآفة العصر الحديث وهي المخدرات التي تفتك بالأجسام والعقول. وديننا السمح يحث المسلم على الخلق الحسن والسلوك المرضي مع الناس جميعا في القول والفعل والمعاملات التجارية ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة:٨٣). وقوله عز من قائل ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (الإسراء:٥٣). وقال ﷺ: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» (سنن الإمام أحمد). وهذا الشهر الكريم يزيد في تثبيت هذه الفضيلة في خلق المسلم، فيحرص وهو صائم ألا يصدر منه إلا الطيب من القول والحسن من الفعل والمرضي من السلوك ليقبل الله صيامه ويكتب له الأجر العظيم والثواب الكبير والمغفرة الواسعة. بل تجد المسلم في هذا الشهر يراجع كل ما كان يصدر منه من قبل من أخطاء وما يرتكب من رذائل تضر نفسه وأسرته ومجتمعه، فيقف موقف حزم لكي لا يعود إليها في هذا الشهر الذي يضاعف الله فيه الحسنات وقد جعل له ليلة هي خير من ألف شهر في كل ما يقوم به من عبادات وسلوك ونفقات ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ (القدر:١-٣)، أفلا يحق للمسلم أن يسعى بكل جهده في هذا الشهر وفي ليلة القدر خاصة لينال الأجر العظيم والثواب الجزيل من خالقه الذي لا يخلف الوعد؟

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧). لقد جعل الله عزوجل لكل مسلم هذا الشهر لكي يفكر في كل ما يصدر منه ويبحث عن الأعمال الصالحة التي تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، فلا شياطين تمنعه من ذلك، قال رسول الله ﷺ «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» (رواه البخاري). ورسولنا عليه السلام أسوتنا في العبادة والمعاملات، فقد روت السيدة عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ «كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ الأهل وشد المئزر» (رواه البخاري).

فهذا رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو سيد الخلق أجمعين وإمام الرسل وحبيب الله يجتهد في هذا الشهر الكريم لينال الأجر العظيم عند الله، وحينما يسأله الصحابة الكرام عن سر ذلك الاجتهاد يقول ﷺ: أفلا أكون عبدا شكورا؟ فأين نحن من مثل هذه المواقف لمن صلى الله عليه وملائكته؟

إن الله عزوجل خلق الإنسان وزوده بأعضاء متكاملة في ظاهر جسمه وباطنه لكي يقوم بواجبه في العبادات وفي إصلاح نفسه وأسرته وبناء مجتمعه وفي الحفاظ على هذا الكون، وكل ما فرض الله علينا من عبادات تحثه على استغلال ما وهبه ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ (البلد:٨-١٠) إنها أعضاء تحتوي على حواس ومشاعر ينبغي أن يستغلها هذا المخلوق الضعيف في كل مناسبة لفعل الخير والعمل الصالح، وعبادة الصيام تحقق للمسلم استغلال كل الأعضاء والحواس والمشاعر ليحافظ على جسمه من الأمراض نتيجة الإسراف في الطعام أو تناول ما حرم عليه من خبائث، ولتصفو روحه وتتهذب نفسه ويسمو إلى المعالي وذلك حينما يقبل وهو صائم على عبادة خالقه بكل مشاعره وحواسه، ويناجيه بقلب خاشع وعين دامعة ونفس تائبة، فهو أقرب إليه في تلك اللحظات الروحية، فيستجيب له فيما دعاه في سلامة جسمه وفي توجيهه إلى الطريق الذي ينال به المغفرة والرحمة؛ فيحس أن وجوده في هذه الحياة الدنيا يحمل دلالات خلقية وإنسانية وتربوية تدعوه ليسارع في الخيرات وليبتعد عن الشرور والآثام؛ هكذا يجعل الله عزوجل كل فريضة تقرب الإنسان إلى الفضائل والمثل العليا والأخلاق النبيلة، فلا يرى الصيام عطشا وجوعا وحرمانا من الشهوات التي أحلها الله له وإنما يرى فيه الطهر والصلاح في العبادة وفي المعاملات والاجتهاد في العمل الذي يرضي خالقه.



الصيام فرصة للإقلاع عن المحرمات

إن الدعوة إلى التأمل في حقيقة العبادات في الإسلام بمنهج علمي وعقل واع ونفس مطمئنة قد يجعل الكثير من العيون العمياء تتفتح لترى هذا النور الذي جاءت به الشريعة، والنفوس المريضة التي انساقت للشهوات بدون حدود تعود لصوابها ورشدها، والآذان الصماء تسمع نداء الحق بدون حواجز وحجب. بهذا النهج تنفض العقول ما تراكم عليها من غبار حجب عنها حقيقة شريعة الإسلام التي جاءت لتنقذ الإنسان من الضلال، وتبني المجتمع على أسس متينة، وتسير الإنسانية بخطوات ثابتة، ويدرك كل مغرور بدون غلو وأوهام أن هذه الشريعة هي التي ينبغي أن تتشبث بها الإنسانية لاسيما في هذا العصر الذي اختلطت فيه الأمور فانحرف الناس عن مسالك الخير وسبل الإحسان وطرق المحبة التي تؤلف بين القلوب وتوحدهم جميعا للعمل في كل ما يسعدهم في دنياهم وينجيهم من عذاب يوم القيامة.



د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
مدرس بالأزهر الشريف
مصر

الصيام وسمو النفس

إن صيام شهر رمضان يشكل نقطة تحول نحو التغيير ويؤسس لبداية قوية للإصلاح في حياة المسلم، حيث يخلصه من الكثير من السلبيات التي تشوه كيان الإنسان وتظهره عاجز الإرادة منساقا لنوازع نفسه خاضعا لأهوائها، ولا يحدث ذلك إلا إذا أدركنا ما يتجلى في صيام ذلك الشهر الكريم من قيم سامية وما فيه من عطايا ربانية تهيئ النفس لاستقبال ما يسمو بها ويطهرها ويزكيها ويفتح لها أبواب الخير والفلاح، وأيضا إذا سعينا بنية خالصة إلى السير على النهج الذي تألفه النفوس المؤمنة في رحاب ذلك الشهر المبارك، ولم تقتصر رؤيتنا للصيام على أنه امتناع

عن الطعام والشراب دون أن تصوم بقية جوارحنا عن الولوج إلى ما نهى الله عنه، يقول ميمون بن مهران: «إن أهون الصيام ترك الطعام والشراب»[1]، ويقول الشيخ محمد الغزالي: «شرع الصيام للناس فطاما لأنفسهم عن شهواتها المألوفة؛ وقهرا لعاداتها المستحكمة؛ وتدريبا للإرادة في صراعها مع الغرائز السفلى؛ وإطلاقا للروحانية الحبيسة في سجن الضرورات المتكررة أبدا»[2].
وإذا نظرنا إلى المنافع التي يبقى أثرها في النفس من الصيام سنجدها كثيرة منها:

الرغبة في العطاء

يعدد ابن رجب الحنبلي فضائل الصيام فيذكر منها «أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك»[3]. فالصيام إذن وسيلة إيقاظ وتنبيه تلفت الأذهان وترقق القلوب وتبعد الغفلة عن النفوس التي من الله عليها بسعة الرزق، فتستشعر نعمة الله وفضله، وتعايش ألم الجوع الذي يعانيه الفقراء معايشة واقعية تولد الرحمة وتدفع للمواساة، وتفجر أنهار العطاء والتكافل في مجتمعنا المسلم، يقول الرافعي: «ومتى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير، أصبح للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسي على المادة؛ فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول: «أعطني» ثم لا يسمع منه طلبا من الرجاء، بل طلبا من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه»[4].

رمضان شهر الجود والتكافل بين المسلمين

وقد ارتبط شهر رمضان في تراثنا بالزيادة في الجود والحرص على التكافل والسعي إلى إدخال السعادة في نفوس المحتاجين، وإن كان التكافل الاجتماعي في قوته واتساقه وديمومته يعد من المزايا البارزة لمجتمعاتنا الإسلامية في كل زمان ومكان فإنه في رمضان يكون أكثر حضورا وتنوعا ويكون الناس عليه أكثر حرصا وتطوعا ويكونون أوسع فيض بالعطاء، وهذا هو نهج السلف الصالح الذين كانوا يقتدون بالنبي ﷺ الذي كان «أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان» (رواه البخاري). و«كان كثير من السلف يؤثر بفطوره وهو صائم ويصبح صائما، منهم: عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وداود الطائي، وعبدالعزيز بن سليمان، ومالك بن دينار، وأحمد بن حنبل وغيرهم. وكان ابن عمر لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين، وربما علم أن أهله قد ردوهم عنه فلم يفطر في تلك الليلة. ومنهم من كان لا يأكل إلا مع ضيف له، قال أبو السوار العدوي: كان رجال من بني عدي يصلون في هذا المسجد، ما أفطر أحد منهم على طعام قط وحده، إن وجد من يأكل معه أكل، وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس، وأكل الناس معه.
وكان منهم من يطعم إخوانه الطعام وهو صائم، ويجلس يخدمهم ويروحهم، منهم الحسن وابن المبارك»[5].

الصوم وسيلة للسمو بالنفس

الأخلاق الفاضلة

الصوم يمثل طريقا للسمو بالنفس عبر تعويدها على صيانة الجوارح ومقاومة الرغائب، فمع الجوع والعطش وما لهما من ضغوط على الجسد والنفس يطالب المؤمن بألا يرد الإساءة بمثلها بل يعفو ويصفح ويقابل ما يواجهه بالحكمة والتروي، وإن من يستطيع كبح جماح نفسه وهو صائم لا شك أنه أقدر على ذلك في فطره، ولذلك «قالت الحكماء: إنما كان الصوم نصف الصبر لأن في الإنسان قوى ثلاث: قوة شهوية كالتي في البهائم، وقوة غضبية كالتي في السباع، وقوة روحية كالتي في الملائكة، فإذا تغلبت قوته الروحية على إحداهما كان ذلك نصف الصبر، وفي الصوم يتغلب المسلم على قوته الشهوانية والغضبية»[6]، وهذا هو السلوك الذي يريد الإسلام أن يغرسه في ضمير المسلم ويعوده ويمرنه عليه في اللحظات التي تحتاج إلى طاقة أقوى وعزيمة أشد ليصبح له منهج حياة يتبعه في سائر مواقفه، قال ﷺ: «والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم». (رواه البخاري).
ويحذر النبي ﷺ أولئك الذين لا يرون من الصيام سوى الجانب الحسي الذي يتمثل في الامتناع عن الطعام والشراب ويغفلون النواحي الروحية التي تصفو بها

النفس وتجمل الطباع وتصنع الصورة المثلى للمسلم الذي يستقي منهجه في الحياة من تعاليم دينه ليكون داعية بأخلاقه ومبادئه قبل أقواله ومواعظه، يقول ﷺ: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» (رواه أحمد)، فالصيام والقيام يرتقيان بهذا الجانب ويتجاوزانه إلى غاية أسمى ليكون الصيام امتناعا عن كل ما يعكر فطرتنا ويتنافى مع مبادئ عقيدتنا ويكون القيام رغبة في القرب من الخالق بعد التخلص من كل ما يمكنه أن يكون سببا في بعدنا عنه، ويقول ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

ولقد كان الخوف من الوقوع فيما يمنع ذلك الرقي الأخلاقي الذي هو سلاح المؤمن الأقوى في الحياة منهج السلف الصالح في رمضان مما جعلهم يحرصون على أن يكون صيامهم امتناعا عن كل ما يبعدهم عن التقوى التي هي الرجاء الأول والغاية الكبرى من الصيام، وكانوا -رضي الله عنهم- يستعظمون أن يتجرأ أحد في رحاب ذلك الشهر على الوقوع في المعاصي خاصة تلك التي يستهين بها البعض وتصبح جزءا من عاداتهم، مثل الكذب والغيبة والنميمة والسخرية، دون أن ينتبهوا لحرمتها ودون أن يتيقظوا لمضارها وخطورتها على صيانة المجتمع وتآلفه وتعاضد أهله، فهي تفجر عوامل التفتت وتزرع الضغائن وتضعف الثقة بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما يأباه الإسلام وينفر منه أصحاب الفطرة الإنسانية النقية والنبيلة، روي عن سفيان الثوري قوله: «لو رميت رجلا بسهم كان أحب إلى من أرميه بلساني، لأن رمي اللسان لا يكاد يخطئ»(7) ويقول سيدنا عمر: «ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب، والباطل، واللغو، والحلف»(8).

ورحم الله القائل:

إذا لم يكن في السمع مني تصامم
وفي مقلتي غض، وفي منطقي صمت
فحظي إذن من صومي الجوع والظما
وإن قلت: إني صمت يوما فما صمت

الفرح والبشرى

يعلمنا الصوم أن فرحة الوصول إلى الغاية تزيل متاعب الطريق ومشقة البعد، وأن عاقبة من يرفضون الخضوع ويقررون الصبر ويتحلون بالإرادة أمام رغبات النفس هي قطف ثمار النجاح والامتلاء من متعة الشعور بالفوز.

يقول النبي ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (رواه البخاري)، إنها بشرى نبوية ليست للصائم عن الطعام والشراب فحسب بل هي كذلك للمؤمن الذي يظل قويا أمام مغريات الحياة المادية بكل أنواعها لا يرضى لنفسه أن يقع في شراك المحرمات، وأن يدنس نفسه في شرار الموبقات وإن أثقلته متاعب الحياة وإن أتعبته مشاعر الحرمان، فإشراقات الأمل تتجدد مع إطلالات شهر رمضان وما يحمله للمؤمنين من بشريات، وما يغرسه في النفوس من طاقات، وطريق الصبر وإن طال فعاقبته فيوضات من الخير والبركة والفرح تتوالي في الدنيـــا وتأتي الفرحة الكبرى يوم لقاء الله عزوجل.

الهوامش

١- ابن حزم الأندلسي: المحلى بالآثار، بيروت: دار الفكر بدون تاريخ، ج٤، ص٣٠٧.
٢- الشيخ محمد الغزالي: معاني الصوم وذكرياته، منبر الإسلام - مجلة المسجد، رمضان ١٣٧٣هـ، ص٢٢.
٣- ابن رجب الحنبلي: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، بيروت: دار ابن كثير ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص٢٩١.
٤- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٨.
٥- ابن رجب الحنبلي: اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، الكويت: مكتبة دار الأقصى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ص٧٨، ٧٩.
٦- محمد مبارك: بستان رمضان، الرياض: الجمعية العربية للثقافة والفنون ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ١٣٦، ١٣٧.
٧- أبو بكر الخرائطي: مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تقديم وتحقيق: أيمن عبدالجابر البحيري، القاهرة: دار الآفاق العربية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص١٣٧.
٨- أبو بكر بن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ، ج٢ ص٢٧٢.



عبد الناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية
المغرب



من علامات شرف الشيء تعدد أسمائه وأوصافه، فكثرة المسميات دليل على شرف المسمى، ولأجل ذلك مازال الناس في كل عصر يتخيرون لرمضان من الأسماء الجليلة والصفات الجميلة ما يناسب شرفه وقدره، فوسموه بشهر المغفرة، وشهر الرحمة، وشهر الطاعة، وشهر التوبة، وشهر العتق من النار، وشهر الصيام والقيام، وشهر التقوى، وشهر النصر والتمكين وغير ذلك من الأوسمة الشريفة والمعاني العظيمة الصادقة التي لها دلالتها ورمزيتها ونصيبها من هذا الشهر المبارك الذي اصطفاه الله تعالى لهذه الأمة، وجمع فيه من البركات والخيرات ما تفرق في غيره، فلا يحرم فضله إلا محروم.

شهر النصر والتمكين

شاء الله تعالى لهذا الشهر الكريم أن يكون شهر ولادة هذه الأمة المؤمنة وأن يكون شاهدا على بداية نصر عظيم بارز، غير تاريخ البشرية جمعاء، تجلى في نزول القرآن، ونصر آخر مادي تجلى في الهزيمة النكراء التي ألحقها المؤمنون بأعدائهم في غزوة بدر الكبرى، حيث علت بهذا النصر راية الإيمان وسقطت راية الكفر والعصيان، وارتفع صوت الحق وخفت صوت الباطل، وأشرقت شمس الهدى وزالت ظلمات الدجى، وها نحن نجلي ذلك هنا ببعض البيان.

كان النصر في غزوة بدر الكبرى تأييدا من الله تعالى لأمة تربت على القرآن الذي أنزل في رمضان ليكون فرقانا بين الحق والباطل، قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فلقد مثل نزول القرآن العظيم في هذا الشهر على رسول الله ﷺ في غار حراء بداية بناء تصورات سليمة عن الله والإنسان والحياة مستمدة من وحي السماء، تغاير تماما ما كان سائدا في الجاهلية منذ عهود طويلة من تصورات ومعتقدات باطلة؛ فالله الواحد الأحد المنزه عن صفات النقص والعيب المتصف بجميع صفات الجمال والكمال كما يخبر بذلك القرآن الكريم، يخالف تصور الناس في الجاهلية عن هذا الإله، فلا وجود للإله الواحد عندهم، بل الآلهة متعددة من حجر وشجر وبعدد ما كانت تمليه عليهم أنفسهم وتوسوس به شياطينهم. كما هو مسجل عنهم في غير موضع من القرآن بنحو قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص:٥). كما أن الإنسان في الجاهلية يختلف عنه في القرآن، فنظرة الناس في الجاهلية للإنسان الأسود والمرأة على سبيل المثال، والتي كانت نظرة دونية يدل عليها الوأد والاستعباد آنذاك، هي غير نظرة القرآن لهما، القائمة على المساواة بين الناس على اختلاف لونهم وجنسهم، إلا على أساس

واحد وهو التقوى. ولا تصورهم للحياة الدنيا هو تصوير القرآن لها حيث كانوا يرون أنها أساس الوجود: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ (الجاثية:٢٤)، في حين يصورها القرآن بأنها متاع الغرور ودار الابتلاء، ولا تنفك أن تزول لينتقل الناس بعدها إلى دار الخلد والبقاء، حيث جنة أبدا أو نار أبدا، حسب ما قدم كل واحد منهم في دنياه من عمل صالح أو طالح.

إن هذا التعارض الشديد والتباين الكبير في التصورات والمعتقدات بين الجانبين كان من شأنه أن يوقع صداما حادا بين الفريقين حتى يتميز الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ولا شك أن معسكر الإيمان والقرآن كان صاحب الحجة الدامغة والبرهان الساطع على صدق تصوراته ومعتقداته، وذلك راجع لتلاؤمها التام مع الفطرة الإنسانية، وتناسبها الكامل مع الآيات الكونية.

فكان من الطبيعي إذن أن يستجيب الناس لهذه الدعوة الإيمانية من الوهلة الأولى، وهو ما حصل فعلا حين صدع رسول الله ﷺ بدعوة الحق، وكان من الطبيعي أيضا ألا يأتي الكفار بشبهة ليدفعوا بها تصورات القرآن إلا آتاهم الله من الآيات ما يرد شبههم بحيث لا تقوم على ساق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان:٣٣)، ولعل في ورود هذه الآية في هذه السورة بالتحديد دلالة خاصة عند التأمل، وذلك للتناسب التام الموجود بين مدلول الآية واسم السورة، الذي هو «الفرقان» أي: القرآن لتفريقه بين الحق والباطل، والهدى والضلال. وهذا الفرقان بين سبيل الحق وطريق الباطل وهو أحد مقاصد تنزيل القرآن كما نبه الله عليه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥).

فعلى هذا الأساس كان نزول القرآن في رمضان هو أول بشائر النصر والتمكين وبداية اضمحلال معتقدات الجاهلية وضلالاتها، وكشف زيفها وبطلانها بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة.

لكن هذا النصر الذي حققه المؤمنون بالقرآن في مكة لم يكن كافيا وحده لردع صناديد قريش وكبراء القوم عن كفرهم وطغيانهم لما كانت عليه نفوسهم من العلو والاستكبار عن قبول الحق، رغم استيقانهم في قرارات أنفسهم بصدق ما جاء به النبي ﷺ عن ربه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام:٣٣). وقد كان من المتوقع أن يسلك هؤلاء الطغاة طريق القوة والعدوان بعد فشلهم في مقارعة القرآن بالحجة والبرهان.

ولم يملك طغاة قريش وهم يرون معتقداتهم تتهاوى أمام حجج القرآن الدامغة ويرون تسارع الناس إلى هذا الدين الجديد إلا أن يبذلوا جهدهم في التنكيل بمحمد ﷺ وصحبه، وتعريضهم إلى ألوان العذاب لعلهم يكفرون بالله تعالى، ومازال الحال كذلك إلى أن أذن الله لرسوله ﷺ ومن آمن معه بالهجرة إلى المدينة ليتسنى لهم بذلك النجاة بدينهم وإقامة دولتهم.

ورغم هجرة النبي ﷺ ومن معه إلى المدينة وشروعه في إقامة دولة الإيمان إلا أن أمر الجزيرة العربية بقي خاضعا لغطرسة قريش وكبريائها؛ كونها قلب الجزيرة العربية ومحضن البيت المعظم الذي تهوي إليه أفئدة الناس ويقصده العرب من كل حدب وصوب، حيث تجتمع هناك الجماهير وتقام الطقوس والحفلات، وتعقد ألوية الحروب، وتشد رحال الصيف والشتاء، وتعقد مجامع الشعراء والبلغاء، وتذكر مآثر الأجداد وأمجاد الأحفاد! فلم يكن هنالك من صوت يعلو في جزيرة العرب على صوت قريش.

ومازال أمر قريش هكذا إلى أن كان رمضان من العام الثاني للهجرة حين التقى الجمعان ببدر، جمع المشركين وجمع المؤمنين، فهزم الله جموع قريش بعددها وعتادها وصناديدها، ونصر جمع المؤمنين على قلتهم كما وعدهم بذلك في محكم التنزيل: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٥)، وقد كان يوم بدر هذا أعظم أيام المؤمنين وأكثرها بركة، لما ترتب عليه من نتائج عسكرية وسياسية واقتصادية عظيمة لم تكن تخطر على بال أحد منهم، على الأقل في ذلك الحين، ولكنه نصر الله وتأييده، فنعم المولى هو ونعم النصير، ناهيك عن تأثير هذا النصر على نفوس هؤلاء المؤمنين الذين كانوا بالأمس القريب مستضعفين مضطهدين.

فقد كان يوم بدر بحق يوم الفرقان كما سماه الله تعالى في سورة الأنفال، وذلك أنه نصر فيه أهل الحق والإيمان على أهل الكفر والعصيان، لينطلقوا في العالمين، داعين إليه سبحانه وتعالى غير قلقين ولا خائفين، وقد كان شهر رمضان شاهدا على هذا النصر والتمكين، والحمد لله رب العالمين.



الطبيب أديب
أديب وكاتب
عضو اتحاد كتاب مصر

احتفاء السلف بشهر رمضان

إذا أقبل شهر شعبان استعد الصحابة والسلف الصالح -رضوان الله عليهم- لشهر رمضان المعظم، اقتداء بنبيهم ﷺ ليعودوا أنفسهم على الصيام والقيام وتلاوة القرآن الكريم، فلا يجدون مشقة في رمضان. وقد روى الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي سلمة قال: «سألت عائشة -رضي الله عنها- عن صيام رسول الله ﷺ، فقالت: كان يصوم حتى نقول قد صام، ويفطر حتى نقول قد أفطر، ولم أره صائما من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا»[١].

وكان من دعاء السلف الصالح: «اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا»[٢]. وقال أبوبكر الوراق البلخي: «شهر رجب شهر الزرع وشعبان شهر السقي للزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع». وقال بعضهم: «السنة مثل الشجرة، وشهر رجب أيام توريقها، وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قطافها، جدير بمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة في هذا الشهر وبمن ضيع عمره في البطالة أن يغتنم فيه ما بقي من العمر»[٣]. وقال سلمة بن كهيل: «كان يقال شعبان شهر القراء». وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: «هذا شهر القراءة».

وكان عمر بن قيس الملائي «إذا دخل شعبان أغلق حانوته، وتفرغ لقراءة القرآن»[٤].

شهر القرآن

وعند قدوم شهر رمضان المعظم، كان الصحابة والسلف الصالح يفرحون بقدوم الشهر، ويبتهلون إلى الله بالدعاء أن يبلغهم رمضان ويتقبله منهم، وكانوا يغتنمون أيامه بالصلاة والقيام وختم القرآن الكريم والإكثار من الصدقات وإفطار الصائمين والمسارعة في الخيرات.

وأنشد أحدهم فقال:

أتى رمضان مزرعة العباد ... لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا ... وزادك فاتخذه إلى المعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها ... تأوه نادما يوم الحصاد

وقيل للأحنف بن قيس -رحمه الله- عندما كبر في السن: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك. فقال: «إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه»[٥]. وحرص الصحابة والسلف الصالح على قراءة القرآن الكريم، وكان بعضهم يختم القرآن كل يوم مرة، وروى الذهبي في السير «أن سعيد بن جبير كان يختم القرآن في كل ليلتين»[٦].



وروى الذهبي في سيره: «أن الإمام الشافعي -رحمه الله- كان يختم في رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة»، قال الربيع: «كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة»[٧].

أفضل الصدقة

روى الترمذي عن أنس مرفوعا: «أفضل الصدقة صدقة في رمضان»[٨]. وروى زيد ابن خالد عن النبي ﷺ أنه قال: «من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»[٩]. وكان الصحابة والسلف الصالح لا يكثرون من الطعام في الإفطار، وكان بعضهم يحب أن يفطر مع المساكين، مواساة لهم، كما روى ابن رجب في لطائف المعارف فقال: «كان عبدالله بن عمر -رضي لله عنهما- يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه، أخذ نصيبه من الطعام وقام، فأعطاه السائل، فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة، فيصبح صائما ولم يأكل شيئا»[١٠]. وروى الذهبي في سيره عن العالم والفقيه التابعي، حماد بن سليمان -رحمه الله- فقال: «وكان حماد بن أبي سليمان يفطر كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنسانا، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا ثوبا»[١١] وأما العالم الزاهد داود بن أبي هند فقال عنه الذهبي في سيره: «صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، فقد كان خزازا يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشيا فيفطر معهم»[١٢].

العشر الأواخر

وكان الصحابة والسلف الصالح -رضوان الله عليهم- يجتهدون في العشر الأواخر من رمضان اقتداء بسنة النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[١٣]، رغبة في بلوغ هذه الليلة المباركة، التي كانوا يستعدون لها استعدادا خاصا، فكان بعضهم يغتسل ويتطيب في ليلة السابع والعشرين، التي رجح بعض العلماء أنها ليلة القدر، فيقضونها بين صلاة وقيام وقراءة قرآن، وتضرع لله -تعالى- داعينه أن يعتق رقابهم من النار. وروى البخاري -رحمه الله- عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[١٤].

وروى الترمذي -رحمه الله- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر؛ ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني»[١٥].

وما أحوجنا للاقتداء بسنة نبينا الكريم ﷺ وصحابته والسلف الصالح رضوان الله عليهم.

الهوامش والمصادر

١- صحيح مسلم، باب الصوم ١١٥٦.
٢- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ص٣١٤.
٣- لطائف المعارف، المرجع السابق ص٢٦٥.
٤- لطائف المعارف، نفس المرجع السابق، ص ٢٩٠.
٥- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، باب الصوم، ١/٥.
٦- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٣٢٥/٤.
٧- سير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ٣٦/١٠.
٨- الجامع الصغير، السيوطي ٥٠/١.
٩- الجامع الصغير، المرجع السابق، ١٨٣/٢.
١٠- لطائف المعارف، المرجع السابق نفسه ص ٣٥٣.
١١- سير أعلام النبلاء، المرجع السابق نفسه، ٣٧٨/٦.
١٢- سير أعلام النبلاء، نفس المرجع السابق، ٢٣٨/٥.
١٣- صحيح مسلم، المرجع السابق٣٩/٦.
١٤- صحيح البخاري، ٢٠١٧.
١٥- صحيح الترمذي، ٥٣٤/٥.



علاء الدين حسن
شاعر وكاتب - سورية

في رمضان

في رمضان، هذا الشهر الكريم، تتعلم الإنسانية معناها الأصيل، وتصدق الأرواح مع ذاتها، وتنبثق المحبة أقمارا تضيء سماء النقاء، وتزيح الظلم والجور.. في هذا الشهر المفضال، تخلع الأجساد أثوابها المزركشة لترتدي ثوب الإيمان وهي تتصاعد في سماء العطاء سابحة في فضاء الإخلاص وتجديد النفس.

في رمضان أبواب الخير وفيرة، وفرص التوبة كبيرة، وروافد الإيمان كثيرة.

ومن مقاصد الصيام أنه يأتي بأجمل المواهب، لعل من أروعها حال القلب التقي النقي الذي يقبل على الله؛ فيصل وصولا سريعا، ويمنح عند وصوله تاج العبودية.

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[1].

وفي رمضان نتعلم أن للزمن حركة لا تتوقف عند محطات، ولا تتخلف الساعات عن الدوران، فهي تمضي وفق أجل مكتوب، والعاقل النبيه هو من يستنهض عزيمته، ويوقد فورة نشاطه، فيسعى لإدراك المعالي، وبلوغ قممها الشماء، واجتلاء الغايات المرتجاة، والتمسك بأسبابها وشروطها، وارتقاء مدارجها بخطى ثابتة على السداد والرشاد.

والعاقل الحكيم هو من يلج منازل العقلاء الفصحاء، ويلازم الحكماء ذوي الألباب، ويجالس أصحاب البصائر النبهاء، ويقتفي آثار أرباب العلوم النيرات، والمعارف المنتقاة، والآداب المبهرات، ومن ملكوا الأساليب البديعة في التربية والتهذيب

وحسن الإلقاء، ومن انتهجوا طريق الجادة في السلوك، واتبعوا طريق الهداية في أقوالهم، وأفعالهم، وأحوالهم، وسيرتهم. والعاقل اللبيب هو من يعض بنواجذه على خطى أهل التقى والعفاف، ويسترشد بمصابيح ذوي الاستقامة والصلاح، ويهتدي بسلوك العلماء العاملين، المتصفين بالعدالة والنزاهة والإنصاف، وكانوا أهلا للاقتداء.

الأتقياء الأنقياء

وما أحوجنا اليوم إلى الأتقياء الأنقياء، هؤلاء الذين لا يعرفون الانتقام، ولا التشفي، ويتجاوزون عن الهفوات والأخطاء، يتثبتون ولا يتسرعون.. سليمة قلوبهم، نقية صدورهم، يحبون العفو والصفح وإن كان الحق معهم.. لا يسبون ولا يشتمون، يمتازون بصفاء السيرة ونقاء السريرة.. دعاؤهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحشر:١٠).

إننا ربما نسمع من يطعن في سيرة بعض إخواننا أمامنا، فنجامل، ونتناسى قول رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله و عرضه»[٢]. والصحيح أن يحس كل واحد منا أنه محام عن أعراض إخوانه، في أي مجلس كان، وأمام أي كائن كان.

يقول ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا»[٣].

ويقول ﷺ: في حديث آخر: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا»[٤]، وشبك بين أصابعه.

ولقد ضرب الصحابة، رضي الله عنهم، أروع الأمثلة في سلامة القلوب ونقاء الصدور، فكان لهم من هذه الصفة أوفر الحظ والنصيب.. لقد كانوا، رضي الله عنهم، صفا واحدا، يعطف بعضهم على بعض، ويرحم بعضهم بعضا، ويحب بعضهم بعضا، كما وصفهم جل وعلا بذلك حيث قال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩).

ومن فضائل سلامة الصدر أنها صفة أهل الجنة الذين هم خير أهل ومعشر قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء:٨٨-٨٩).

هذا وإن من طرق إصلاح القلب وسلامة الصدر إفشاء السلام، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[٥].

وقد أجاد من قال:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم
ود فيزرعه التسليم واللطف

ومن أسباب سلامة الصدر الابتعاد عن سوء الظن؛ فإنه بئس سريرة الرجل. قال النبي ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»[٦].

وعن عبدالله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف»[٧].

وقال ﷺ: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده»[٨].

صفات الصائم

من هذه الأحاديث النبوية الشريفة وغيرها، نستنتج الصفات التي يجب أن يلتزم بها المؤمن في شهر رمضان، ومنها:

- إطعام الطعام: وهو أحد مبادئ التكافل الاجتماعي التي وضعها الشرع. وإطعام الطعام يعني هنا مشاركة الأهل وذوي القربى والجار والمحتاج مما يملك الفرد، وبالتالي نستغرب أن نجد بائعا يحتكر الطعام ويستغل حاجة الصائمين له؛ فيغالي في ثمنه.
- تجنب الإساءة إلى أي فرد من المجتمع عن طريق الغيبة أو الشتائم أو الأذى الجسدي.
- محبة الخير للآخرين، وتحقيق معنى الإخاء، وعدم إلحاق الأذى بأحد.

الصوم رابطة الإخاء قوية
وحبال ود الأهل والأصحاب
الصوم درس في التساوي حافل
بالجود والإيثار والترحاب

هذه الصفات النبيلة تظهر بين أبناء مجتمعنا الطيب خلال شهر رمضان المبارك، وتظهر عند صاحب القلب النقي الذي يتصل مع الله.

يقول الله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر:١٥).

وهذا الافتقار هو شعور العبد بأنه محتاج إلى الله تعالى في كل طرفة عين. وبالافتقار وصل أهل التقوى لأشرف المنازل.. فما أجمل الذل إذا كان لله، وما ألطف الافتقار إذا كان للعزيز الغفار.

مقاصد عديدة

من مقاصد الصيام أنه يقوي الإرادة والعزيمة.. وقد أدرك السابقون الأولون مقاصد وأهداف الصيام والقيام..

لقد صامت قلوبهم فامتلأت بنور الله، وتسامت وتعلقت بما عند الله.. فهل صامت قلوبنا؟

وصامت آذانهم عما يغضب الله، فما سمعوا كلاما منكرا ولا لغوا ولا فجورا.. فهل صامت آذاننا؟

وصامت أعينهم عما لا يرضي الله، فغضت عن محارم الله، وكثيرا ما بكت من خشية الله.. فهل صامت أبصارنا؟

وصامت ألسنتهم فتركت الكذب والزور والفحش والبهتان.. فهل صامت ألسنتنا؟

وصامت أيديهم عما حرم الله، فما غشت ولا دلست ولا زورت، فهل صامت أيدينا؟

وصامت أنفسهم فأقبلت على الصيام والقيام، وعرفوا مكانة مجالس العلم فحفتهم الملائكة، وعرفوا قيمة الجود والسخاء في شهر القرآن، فأكثروا من العطاء والبذل والإحسان.. فهل صامت أنفسنا؟

لقد وعوا حقيقة الصيام، فكان شهر رمضان عندهم غنيمة يتسابقون فيه لنيل أكبر قدر من الثواب والأجر العظيم.

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٩].

وفي الحديث القدسي الجليل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[١٠].

ففروا إلى الله

فلنقبل على الله سبحانه وتعالى.. إلى رحابه؛ طلبا لرضوانه.. والله جل في علاه يطالبنا بأن نفر إليه لا منه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات:٥٠).

والفرار إلى الله يعني العمل بطاعته، والنفور من معصيته.. الفرار إلى الله، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى التوحيد.. الفرار إلى الله، فرار من الغفلة إلى اليقظة، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة.. الفرار إلى الله، فرار من الضيق إلى السعة، ومن الكدر إلى الصفاء..



الفرار إلى الله، نقلة من الرياء إلى الإخلاص.. ومن الخلق إلى الخالق، ومن الأرض إلى السماء..

الفرار إلى الله، انتقال من ضيق الصدر إلى طمأنينة القلب وقرة العين.. ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.

إن الفرار إلى الله بصدق، ينقلنا مباشرة إلى السماء؛ بل إننا حين نصدق في الفرار إلى الله تعالى نجد أنفسنا في يسر، نستعلي على زخارف الدنيا، ونرقى فوق كل الصغائر..

حقيقة الفرار إلى الله.. أن نشحن أنفسنا بالنور حتى تصبح كالكوكب الدري يوقد من شجرة مباركة، أعني: أن تستوقد قلوبنا أنوارا من شجرة الوحي حتى تتوهج.

وبعد..

قد زارنا شهر كريم ليله
ونهاره قد خص بالنفحات
يا رب فاقبل صومنا وقيامنا
يا رب واقبل سائر الطاعات

الهوامش

١- أخرجه ابن ماجه في الزهد من حديث عبدالله بن عمرو برقم ٤٢١٦، وسنده لا بأس به.

٢- رواه مسلم، حديث رقم ٢٥٦٤.

٣- أخرجه البخاري في الأدب من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم ٦٠٦٥، وأخرجه مسلم في البر والصلة برقم ٢٥٥٩.

٤- أخرجه البخاري في الأدب من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه برقم ٦٠٢٧، وأخرجه مسلم في البر والصلة برقم ٢٥٨٥.

٥- حديث حسن، جامع الترمذي، ٢٤٣٤.

٦- أخرجه البخاري في الأدب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٦٠٦٦، وأخرجه مسلم في البر والصلة برقم ٢٥٦٣.

٧- رواه مسلم، ١/٦٥.

٨- رواه أحمد في المسند: ج٢، ص:٢٢٤، ح رقم ٧٠٨٦.

٩- رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم ١١٥٣.

١٠- رواه البخاري في الصوم عن أبي هريرة، حديث رقم ١٩٠٤.



د. محمد حسن بدرالدين
دكتوراه في العلوم الإنسانية
تونس

الصيام والتوازن الإنساني



تهدف جميع العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده، إلى تحقيق تمام العبودية. وفي تحقيق العبودية تمام الحرية، حيث يتحرر المسلم من جميع المظاهر التي تكبل ذاته، ومن جميع القيود التي تحيط بحياته. والصيام يمثل هذا المنزع التحرري الذي أراده الإسلام لأتباعه، باعتباره انعتاقا من الضغوط المادية، ورغبات الجسد الجامحة.

إن الحرية في معناها العميق تقوم على مبدأين هما: القدرة على الاختيار، والتحرر من القيود. وتأكيدا لهذه الحقيقة ربط الإسلام تعاليمه بهذين المبدأين، فالإنسان المكلف شرعا هو القادر على الاختيار والتمييز، ولذلك فالمجنون والصبي والنائم، غير مكلفين، لأنهم لا يملكون هذه القدرة. قال ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه، وعن الصبي»[1].

ذلك أن مناط التكليف في الإسلام، كما قرر علماء أصول الفقه، هو القدرة على الاختيار. أما التحرر من الضغوطات فمدلوله يتعلق بقدرة الإنسان على التحرر من كل ضغط داخلي أو خارجي. أما الضغط الداخلي فيشمل رغبات الجسد وهوى النفس وانفلاتها نحو نوازع الشر، وتحقيق ما يحلو لها من رغبات وشهوات، استجابة لطغيان الغرائز، وهي الموصوفة في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ (الشمس:٧-١٠).

وأما الضغط الخارجي فيتعلق بالقوانين والقواعد التي تتحكم في علاقات الإنسان بغيره، في محيطه الاجتماعي، المحكوم بكثير من الموانع والعوائق، الموصوفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)﴾ (الصافات:٦٩-٧١).

فكثير من الناس يحيطون أنفسهم

بمجموعة من الموانع والأعذار، التي تعطل رسالة العقل والتفكير، وتمنع من الوصول إلى الحق. قال عباس محمود العقاد مجليا رسالة الإسلام في تحرير الإنسان من الضغط الخارجي: «إن الإسلام ليأبى على المرء أن يحيل أعذاره على آبائه وأجداده، كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا، من أولئك الآباء والأجداد، وإنه لينعى على الذين يستمعون الخطاب، أن يعفوا أنفسهم من مؤونة العقل، لأنهم ورثوا من آبائهم وأجدادهم، عقيدة لا عقل فيها»[٢].

ومن المتفق عليه أن حرية الإنسان لا تعني أبدا الانطلاق وراء الأهواء والرغبات، والخروج على القوانين والقواعد الاجتماعية، بحجة التحرر والحرية المطلقة، فهذا مسلك لا يقول به أي عاقل. ولكن تمام الحرية أن يتحرر الإنسان من قيود نفسه التي بين جنبيه، المتمثلة أساسا في الرغبات والشهوات. فإذا ما سيطر عليها كان حرا بالفعل وسيدا لنفسه، تمشيا مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١﴾ (البقرة:١٧٠-١٧١).

سفينة النجاة

إن المطلب الأساسي من رسالة الصيام، هو تحرير الإنسان من أعباء المادة، وأن يسيطر على هواه، وينتصر على ما يكبله حقا من قيود. فهو عندما يرى الأكل ولا يأكل، يكون بالفعل متميزا عن الحيوان، الذي لا يمتلك مقومات الحرية والتحرر والعزم. ولذلك يمكن الجزم بأن في الصيام تمام الحرية والانعتاق، وأن رمضان هو بحق شهر القوة والتمكين الروحي.

قد يفهم بعض الناس كبارا أو شبابا، أن الحرية هي انطلاق وراء الأهواء والرغبات المحرمة، فيفعل الواحد منهم ما يشاء، ويأكل متى أراد. وهذه في الحقيقة عبودية، ولكنها لغير الله: عبودية النفس الضعيفة، التي لا تقوى على مجابهة الصعاب، ولا تلتزم الصواب. فضلا عن كونها فوضى، تضر بالأفراد والمجتمعات، ولا يقبلها عقل ولا نظام. فلو أن كل إنسان سار على حسب هواه، دون ضوابط وقواعد، لفسدت المجتمعات والحياة.

وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى طبيعة الحدود الفاصلة بين الحرية والمسؤولية، حين ضرب لنا مثالا بالسفينة ذات الطابقين. فلو أن الركاب في أسفل تلك السفينة قالوا: نريد أن نخرق في مكاننا خرقا، نأخذ منه الماء الذي نحتاجه من البحر، «فإن تركوهم وما أرادوا، هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعا»[٣].

إنه مثال عظيم من أستاذ الإنسانية ومنقذ البشرية، وضع فيه الضوابط الحضارية بين الحرية الشخصية، التي لا تؤذي أحدا، وبين الحرية التي تعرض المجتمع للانهيار والفناء.

وعلى هذا الأساس، ومن منطلق الإصلاح النفسي والاجتماعي، كان الصوم تدريبا عمليا على الالتزام بالحرية المسؤولة، عن طريق التعود على مجاهدة رغبات النفس والجسد، من أجل تقوية الإرادة، كي تسير في النهاية في مسالك النفع العام، الذي يبني المجتمعات السديدة، وينشر القيم الرشيدة، ولكي يكون السير في النهاية خالصا لله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

يبدو أن المقصد الأسمى لهذه الآية الكريمة من سورة الأنعام، هو تأكيد أن جميع العبادات والفرائض الإسلامية، التي أرساها الدين في الواقع الاجتماعي للعباد، إنما تهدف في التقدير النهائي إلى دعوة الناس إلى الدخول في رحمة الله، والإخلاص له، والتحرر من جميع العبوديات التي شكلت على الدوام، مشكلة خضوع الإنسان للإنسان، أو ترديه في مهاوي الشرك والانحراف.

بناء الذات

يعتبر الصيام من وجهة نظر التحليل الديني، أكبر ممارسة عملية لمفهوم العبودية الخالصة لله تعالى. فالصلاة على سبيل المثال، رغم ما تمثله من أهمية في حياة المسلم، باعتبارها عماد الدين، إلا أنها يمكن أن تكون غير خالصة لله، بمعنى أن تخضع لأنماط من الرياء وحب الظهور، أو مخادعة الناس. أما الصوم فبحكم كونه باطنيا، لا يمكن أن يخالطه أي لون من الخداع أو الغش والرياء. فالصائم عندما يصوم، لا يظهر عليه صومه، ولا يمكن أن نتأكد من التزامه بالصوم. ولذلك فهو إن صام لا بد أن يكون خالصا لله وحده، ولا مجال للشرك فيه البتة. ولذلك اعتبر بحق، من وجهة نظر الدين نفسه، عبادة

مخصوصة لله وحده. ولذلك جاء في الأثر عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ، قال الله: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع الطعام، والشراب، وشهوته من أجلي»[٤].

وإلى جانب هذه الخصوصية المتفردة لفريضة الصيام، فإن له جوانب تربوية على درجة كبيرة من الشمول والالتزام، منها أنه مجاهدة لرغبات النفس والجسد، وتقوية أكيدة للإرادة الإنسانية، التي تقود إلى كبح جماح الغرائز والأهواء، التي تتصارع في شخصية الإنسان. وخاصة في هذا العصر، الذي كثرت فيه المغريات المادية، وضعفت فيه وسائل التسامي الروحي. بل إننا لا نجد للإنسان المعاصر أي باب من أبواب التمكين التي تفسح له مجالات هذا الصفاء الروحي، وتدربه على القيم الأخلاقية والمبادئ الرفيعة، مثل الصبر والقناعة والإيثار والسماحة ومشاركة الآخرين همومهم وأحزانهم.

إن العصر الحديث بما أفاءه على العباد من إمكانات البذخ والترفيه والإشباع المادي، جعل من الإنسان كائنا أنانيا همه الأساسي تحصيل الكماليات المادية والاستهلاكية، دون تفكير البتة في تقوية ذاته، أو بناء روحه، مما تسبب في نشوء فراغ روحي كبير ملأته التقليعات الغربية وحب المغامرة، وانتشار الجريمة، والقلق والتوتر، وغيرها من الأمراض النفسية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ (طه١٢٣-١٢٤).



فسر الشيخ محمد سيد طنطاوي المعيشة الضنك بأنها معيشة ضيقة، مليئة بالهم والغم والأحزان وسوء العاقبة، حتى ولو ملك المرء المال الوفير، والحطام الكثير، في مقابل المعيشة الطيبة التي تكون مع طاعة الله، وامتثال أمره، واجتناب نهيه. قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧)[٥].

أما الإمام ابن كثير، ففسر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾. أي: في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة[٦].

من المؤكد أن هذا العطش الروحي، يمكن للصوم أن يرويه، وأن هذا التوتر النفسي يمكن أن يداويه، بفضل ما يحمله من علاج متوازن ومتكامل، يصب في بناء الذات البشرية، وتكوين الشخصية الإسلامية، وملء الفراغ بصنوف من ألوان التربية على الصبر والجوع والعطش، والتحمل والذكر والتلاوة، التي تمثل في مجموعها سلاحا فعالا، وحلا رشيدا لإعادة توازن الإنسان، من خلال شهر كامل من التدريب على تربية الجوارح، وتهذيب النفوس.

الهوامش

١- النسائي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١١ه/١٩٩١م. ج٥، ص٣٤٦.
٢- عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت،١٣٩١ه/١٩٧١م. ص٢٨
٣- الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، ط٢، بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ج١، ص٣١٠.
٤- صحيح ابن خزيمة (ت:٣١١هـ) تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ج٢، ص٩١٦.
٥- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٨م، ج٩، ص١٦٤.
٦- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ج٤، ص٦٠١.



السيد محمد المسيري
باحث دراسات إسلامية - مصر

اغتنام شهر الصيام

تطل علينا، نفحات وروحانيات شهر كريم على قلوبنا جميعا، ألا وهو شهر رمضان المعظم؛ شهر القرآن والقيام والركن الرابع للإسلام، شهر تربية الروح وتزكية النفس والصبر والمواساة، شهر المصالحة مع الله، شهر التنافس في فعل الخيرات وإكثار القربات وعمل الطيبات ومساعدة الفقراء واليتامى والأرامل والمساكين، شهر فرضه رب العالمين على عباده المسلمين، وسن رسولنا الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ قيامه؛ فصيام هذا الشهر الكريم من أعظم العبادات نفعا، لكونه يحفز الصائمين على أفعال خير كثيرة، وأعمال بر متعددة، ومن هذه الأفعال التي يجب أن نستعد لها بالنية الصافية وبتقسيم الأوقات وتخصيصها:

١- فعل الواجبات، وكف جميع الأعضاء عن المحرمات. قال النبي ﷺ: «رب صائم حظه من صومه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» (رواه الطبراني بسند حسن). وسر هذا أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكتمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات.

٢- حفظ اللسان عن كل لغو وهذيان وخصومة وغيبة ونميمة وكذب وقول الزور، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر رب العالمين وتلاوة القرآن الكريم. قال رسول الله ﷺ: «الصيام جنة ما لم يخرقها. قيل: بم يخرقها؟ قال: بكذب أو غيبة» (رواه النسائي بإسناد حسن وابن خزيمة والطبراني).

٣- كف بقية الجوارح عن الآثام، وكف البطن عن أكل الشبهات وقت الإفطار؛ فلا معنى للصوم عن الطعام الحلال، ثم الإفطار على الحرام. وقال رسول الله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (رواه النسائي وابن ماجه).

٤- ضرورة تعجيل الفطر وتأخير السحور؛ كان ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن فتمرات، فإن لم يكن حسا حسوات من ماء. قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إن أحب عبادي إلي أعجلهم فطرا» (رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وحسنه). وقال أيضا رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» (رواه الشيخان).

٥- الدعاء عند الفطر، قال رسول الله ﷺ: «للصائم عند فطره دعوة مستجابة» (رواه النسائي).



وكان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: «بسم الله، اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» (سنن أبي داود)، «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله» (رواه أبو داود والنسائي).

٦- ضرورة المواظبة على صلاة التراويح، قال رسول الله ﷺ (وقد ذكر رمضان بفضله على الشهور): «من قام رمضان إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه النسائي).

٧- استحباب كثرة الإنفاق في سبيل الله تعالى وفي طاعته والتصدق على المحتاجين والمعوزين، والتوسعة عليهم، وإدخال الفرحة في قلوبهم، والسرور على نفوسهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر. عن ذلك يقول أحكم الحاكمين في كتابه المبين: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٦٠)، ويقول الله تعالى أيضا: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ (الإنسان:٨-١١). وكان الحبيب المصطفى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يسابقهم في الصدقات، وفي تقديم الطعام للصائمين؛ عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أفطر صائما كان له أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (رواه الترمذي). وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير. وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل. وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة» (رواه البخاري ومسلم).

٨- ضرورة تجديد التوبة إلى الله تعالى، والمداومة على الاستغفار، والاجتهاد في العبادة، خصوصا في العشر الأواخر من رمضان، والاعتكاف فيها لكون هذا الاعتكاف يربي الجوارح على العبودية لله تعالى وحده.

ولذلك، فالاعتكاف يؤدي إلى تأصيل الإيمان في قلب المؤمن؛ روحيا وجسديا، وإلى ترسيخ أواصر التآخي في الله؛ لكون هذا التآخي هو السبيل الأمثل إلى التعاون لبناء المجتمع الإنساني الفاضل.

٩- اغتنام ليلة القدر، وهي قمة الليالي في الشهر الكريم، والتي شرفها الله بنزول القرآن فيها، وضاعف ثواب قيامها، وأنزل ملائكته يشاركون عباده في حفاوتهم بها، ويسلمون عليهم، ويزفون البشرى من الله لهم. وهي سلام مع الله بما وفق إليه المخلصين من عباده لطاعته، وسلام مع الناس فليس للشيطان سبيل على من اشتغل بربه. وعلمنا الرسول ﷺ ما ندعو به في هذه الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وذلك ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: يا رسول الله، إن علمت ليلة القدر ماذا أقول فيها؟ فقال ﷺ: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»، ويشير إلى أنها في الوتر من العشر الأواخر من الشهر لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

١٠- الإكثار من تلاوة القرآن، فقد ورد أن أبا حنيفة والشافعي كان كل منهما يختم القرآن كثيرا في رمضان، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف. وكان للنساء نصيب في زيادة الطاعة وتلاوة القرآن في رمضان، فهذه عائشة أم المؤمنين تعودت أن تبدأ يومها بتلاوة القرآن من المصحف، وتختم ليلها بالقيام، وتكثر من الإحسان، وكذلك كانت زوجاته الطاهرات، وكثير من نساء أصحابه.

نخلص مما سبق إلى أن الصيام في رمضان أنفع العبادات في البذل والعطاء في التواصل، والتراحم، والتكافل، والتآلف؛ لكونه فرصة للعاصين أن يتوبوا إلى خالقهم، ولكون هذه العبادة بمنزلة كف وامتناع ورقابة وحماية من الوقوع في الشهوات، ولارتباطها الوثيق بالتقوى؛ لكونها سرية بين العبد وربه، ولكونها أيضا هدية من المولى عز وجل لعباده في ليلة القدر، ليلة الشرف لسمو منزلتها ولعلو قدرها ولنزول القرآن فيها على رسولنا الصادق الأمين سيدنا محمد ﷺ.

لذا، على الصائمين في هذا الشهر الكريم أن يغتنموه ويغتنموا هذه العبادة؛ لكونها من أسمى القربات، ومن أجل العبادات في تزكية النفوس، وإحياء الضمائر، وإصلاح القلوب، وحفظ الجوارح من الفتن، والفوز بأعلى الدرجات، وأن يكثروا من قراءة القرآن والاستغفار والتوبة بالدعاء الخالص إلى خالقهم، وأن يكثروا أيضا من زكواتهم وصدقاتهم وزياراتهم لجيرانهم وأرحامهم حتى تحفز هذه العبادة في نفوسهم وفي وجدانهم وفي قلوبهم خلق التقوى وروح الإخلاص وحس المراقبة، حتى يحظوا برضوان ومرضات الله تعالى عليهم أجمعين.



د. محمد عبدالسلام سالم
دكتوراه في الحديث وعلومه
مصر

القراءة من المصحف في صلاة القيام والتهجد

يتساءل بعض الناس عن حكم الصلاة مع القراءة من المصحف في القيام والتهجد.. هل هي جائزة أم لا؟ وكالعادة تجد كثيرين يتجرأون على الفتيا بغير علم وما يحملهم على ذلك ليس الحمية للدين، بل للنفس وشهوة الظهور في كثير من الأحيان!! وهناك فئة أخرى حسنة النية تفتي بناء على الاستحسان الشخصي؛ ما يترتب عليه إضلال الناس وزعزعة قلوبهم وولادة جيل بعيد عن البحث العلمي المنصف غير المتحيز.

ومن أهم الكتب التي أفردت لهذا الكلام بابا وتحدثت عن هذه القضية باستفاضة؛ كتاب «المصاحف» لأبي داود السجستاني سليمان بن الأشعث، وكان كلامه في هذا هو العمدة حتى إن الإمام ابن حجر وصل من

طريقه ما علقه البخاري في باب إمامة ذكوان لعائشة من المصحف في شرحه للبخاري (فتح الباري ١٨٥/٢). ولم يقل واحد من العلماء إن القراءة من المصحف في الصلاة حرام، بل كان مدار كلامهم على الكراهة والإباحة ومن كره فعلل بعلل هي خارجة أصلا عن القراءة في المصحف ذاتها، وسنعرض فيما يلي لأهم ما جاء في هذا الكتاب حول هذه المسألة:

القائلون بالكراهة

ممن كره القراءة من المصحف في أثناء صلاة التهجد والقيام: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، ومجاهد ووافق فيه شيخه النخعي وسويد بن حنظلة البكري وأبي عبدالرحمن السلمي، وقد دارت كراهتهم حول كون القراءة من المصحف تشبها بأهل الكتاب، وإذا كان مع الإمام أو المصلي شيء من القرآن يقوم به ليله فلا يقرأ من المصحف.

وزاد الإمام أبو حنيفة علة أخرى: هي كثرة تحركه في الصلاة؛ بل قال وتفسد به الصلاة، قال السرخسي في المبسوط (٢٠١/١): ولأبي حنيفة رحمه الله تعالى طريقان؛ أحدهما أن حمل المصحف وتقليب الأوراق والنظر فيه والتفكر فيه ليفهم عمل كثير وهو مفسد للصلاة، كالرمي بالقوس في صلاته، وعلى هذا الطريق يقول: «إذا كان المصحف موضوعا بين يديه أو قرأ بما هو مكتوب على المحراب لم تفسد صلاته».

أما كونه تشبها بأهل الكتاب، فليس كل تشبه بأهل الكتاب ينكر؛ قال الشافعي كما ذكره صاحب المبسوط: «ما نهينا عن التشبه بهم في كل شيء فإنا نأكل كما يأكلون».

أما ما تعلق به من قال إن من معه شيئا من القرآن فليقرأ به؛ ليس دليلا على منعه من القراءة في المصحف إن أراد، خصوصا إن كان ذلك أجمع لقلبه بحيث يفرغ قلبه فلا يتشاغل عن القراءة بما بعدها، خاصة إذا كان غير متقن، أو لم يجد خلفه من يصوب له إن أخطأ.

وأما تعليل أبي حنيفة بفساد صلاته من كثرة حركته فهذا وإن كان كذلك فلا بأس به؛ لأنه تحرك لمصلحة الصلاة وإلا فإن كون المصحف على الحامل لا يكاد معه صاحبه يتحرك، خاصة مع الطباعة الحديثة وما هي عليه من الجودة والإتقان ووضوح الخط والشكل، فلا يحتاج معه الإنسان إلى كثير حركة بل قد لا يحتاج إلى الحركة أصلا.

القائلون بالجواز

والقائلون بالجواز هم عائشة والحسن، وقال ابن شهاب لم يزل الناس يفعلون ذلك منذ كان الإسلام. وابن شهاب: من أعلم الناس بأحوال أهل المدينة ومن علماء التابعين المشهود له بالفضل والعلم والتحري.

وقال الإمام مالك لا بأس به إذا اضطر الإنسان إليه، وقال بالجواز الشافعي ومحمد وأبو يوسف، وعلل أبو يوسف ومحمد جواز القراءة على هذا النحو بأن النظر في المصحف عبادة.

كذلك قال بجوازه الإمام البخاري، حيث قال الحافظ في كتاب «فتح الباري» (ج٢/ص١٨٥) في باب إمامة العبد والمولى: «وكان ذكوان يؤم بعائشة في المصحف»، وقد استدل بذلك على جواز قراءة المصلي من المصحف.

والخلاصة: إن القراءة من المصحف في صلاتي القيام والتهجد لم يقل أحد بتحريمها ولا بكراهتها لذاتها، وإنما من قال بالكراهة ذكر علتين:

الأولى: أن فيها تشبها بأهل الكتاب.

الثانية: تكثر معه الحركة ويشغل عن الصلاة. والعلة الأولى أرى أنها ضعيفة إذ ليس كل ما يفعله أهل الكتاب يكون مكروها عندنا، وإنما كان ذلك من العلماء على سبيل المبالغة في المخالفة. أما العلة الثانية: فإنها منتفية أصلا لما عليه طباعة المصاحف من الجودة والإتقان وهو ما لا يحتاج معه لكثير حركة بل قد يقرأ ولا يحتاج حتى لأن يحرك الصفحات.

د. سليمان علي سليمان
دكتوراه في الفقه المقارن
مصر



رحمة الإسلام في الصيام





الإسلام دين الرحمة وهذا مما لا يشك فيه عاقل علم عن الإسلام القليل أو الكثير؛ والرحمة ظل وارف على كل مبادئ الإسلام وتشريعاته وتعاليمه.

وتتجلى هذه الرحمة في كتاب الله عزوجل وبين طيات صفحاته واصفة رب العزة بالرحمة وكتابه ورسوله بالرحمة؛ فيقول الحق تبارك وتعالى مفتتحا كتابه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:١)، وعن كتابه يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل:٧٧)، وعن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وإذا نظرنا إلى الأحكام الشرعية وجدناها رحمة في أدائها ليس فيها اعوجاج ولا مشقة يتحملها الإنسان بوجه عام ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦). قد تبدو بعض الأحكام والتشريعات التي نزل بها القرآن الكريم للوهلة الأولى شاقة وثقيلة على النفوس المطبوعة على الضعف والقصور؛ لكن الله عزوجل الذي خلق الخلق أعلم بما يصلح أحوالهم، فهو عليم بعباده وبضعفهم.

فلربما لا يستطيع الإنسان الصلاة لتعب ألم به؛ فأحل له الإسلام الصلاة جالسا أو حتى مضطجعا حسب قوته واستطاعته. أو لربما لا يستطيع إخراج الزكاة لقلة ذات اليد فأسقط عنه الإسلام هذا الفرض حتى يبلغ النصاب، وكذلك الحج أسقطه الشارع الحكيم عن العاجز والفقير وجعله لمن استطاع إليه سبيلا.

ومن العبادات والتكاليف الشرعية التي شرعها الله عزوجل وتبدو شاقة فريضة الصيام، فالنفوس تستثقلها؛ لأنها عبادة يمتنع فيها المسلم عن الطعام والشراب والشهوات، فالصيام حرمان للنفس من أحب الأشياء إليها.

ولنعلم أن الصيام كما كتبه الله علينا كتبه على من كان قبلنا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، وإن كان يختلف صورة وشكلا. وإذا نظر العاقل منا في آيات الصيام لوجد أن الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وهو تقرير لقاعدة شرعية عامة كلها رحمة ورأفة ولطف؛ فالله عزوجل يريد التيسير والتخفيف على العباد في كل ما يشرعه ويأمر به.

ومن غاية الرحمة واللطف أن تأتي هذه القاعدة الشرعية العامة في ثنايا أحكام الصيام، فهي تضفي على الآيات ظلال المودة ونسمات الأنس بمحبة الله اللطيف الرؤوف بعباده المؤمنين؛ إذ إن هذه القاعدة تنفي كل ما قد يخامر القلب من إحساس بثقل هذه العبادة التي كلف بها، وتزرع الثقة بأن كل أحكام الله يسر ورحمة، وأن الله سبحانه لا يشرع ما فيه العسر والمشقة على العباد، كيف يكون ذلك وهو أرحم الراحمين؟!

غاية الصوم

وإذا نظرنا بعين البصيرة إلى آيات الصيام لوجدنا أن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣)؛ فذكر الله الغاية من الصوم، وهي حصول التقوى، وهي أعظم ما يتمناه المؤمن وغاية ما يسعى إلى تحقيقه، ويجهد لبلوغه. فإذا علم المؤمن أن الصوم قائد إلى تلك الغاية الغالية أقبل إليه مسرعا؛ فالنفس تقبل على الأمر الذي يكون له هدف واضح ومرغوب وتتردد أمام الأمر الذي لا تعرف حكمته ولا هدفه.

ومن رحمة الله بعباده أن يبين لهم علة التكليف وغايته التي تعود على المكلف

إباحة الفطر لأصحاب الأعذار رحمة من الله بعباده

نفسه بالنفع. ومن فضل الله علينا أنه لم يجعل الصيام طول العام ولا أكثر أيامه، فجعل الله الصيام «أياما معدودات»، فيظهر من تلك اللفظة القرآنية لمحة من لمحات رحمات الله وهي: تقليل مدة الصيام. قال ابن كثير: «بين الله مقدار الصوم وأنه ليس في كل يوم لئلا يشق على النفوس، فتضعف عن حمله وأدائه»[١].

أصحاب الأعذار

ومن فضل الله علينا كذلك أن جعل رخصة لمن لا يستطيع الصيام ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة:١٨٤).

فهذه الرحمة للمريض والحائض والنفساء والحامل والمرضع والمسافر، تدل على أن الشارع الحكيم لم يرد بفرض الصيام علينا أن يجوعنا ويعطشنا ويعذبنا، وإلا لعم الجميع، وفرض علينا المواصلة في الصوم، ولكن الله بخلقه عليم رحيم.

فالمريض خفف الله عنه وأذن له بالفطر حتى يبرأ من مرضه؛ وذلك حتى لا يهلك المسلم نفسه لأن رب الأرباب الرحيم قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، فإن برئ وعوفي وجب عليه قضاء هذه الأيام المعدودات. أما إن كان المرض مزمنا لا يستطيع المسلم معه الصيام فقد بين لنا الشرع الحكيم بأن عليه الفدية، فعن ابن عباس، قال: «رخص للشيخ الكبير أن يفطر، ويطعم على كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه»[٢].

ويشمل هذا الأمر المسافر الذي لا يقوى على الصيام، وقد كان الرسول ﷺ قدوة لأصحابه ومعلما لهم في هذه الرخصة، فقد ورد عنه أنه قال: «ليس من البر الصوم في السفر»[٣]، بل لقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنا الصائم ومنا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر، فإن ذلك حسن»[٤].

والمرأة الحائض والنفساء أذن الله الرحيم لهما بالإفطار حتى وإن استطاعتا الصيام، وإن صامتا لا يقبل منهما ولا يجزئ عنهما، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ ثم نطهر، فيأمرنا بقضاء الصوم، ولا يأمرنا بقضاء الصلاة»[٥]. أما الحبلى والمرضع فمن رحمة الله بهما أن خفف عنهما.

النهي عن الوصال

ومما يؤكد أن الشارع لم يقصد تعذيب المرء نفسه بالصيام؛ نجد أن الرسول ﷺ نهى عن الوصال في الصيام، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم»، فقالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقين»[٦].

فعندما يرحم الله عزوجل الكبير الطاعن في السن، ويقول لمن لا يستطيع الصيام بأن يفطر، ومن كان عنده عذر ينتظر حتى يزول العذر ثم يقضي فقط، يا لها من رحمات متتاليات من رب رحيم لأمة مرحومة لعلنا نتعلم أن نتراحم فيما بيننا ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ (الرحمن:٦٠).

ويلزم كل صائم أن يكون رحيما مع غيره فلا سباب ولا فسوق ولا قتال ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم»[٧].

وبذا نكون أخذنا ثمرة الصيام ونتعلم أن الإسلام دين رحمة لا تكلف فيه ولا عناء ولا مشقة كما يجب أن نتراحم فيما بيننا... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، ط: دار الغد العربي، ١/٢١٣.

٢- سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ٣/١٩٥، والحاكم في المستدرك على الصحيحين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ١/ ٦٠٦.

٣- صحيح البخاري رقم (١٩٤٦)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ك:الصوم، ب: قول النبي ﷺ: لمن ظلل واشتد عليه الحر، ط: دار الغد العربي، ٦/٣٣٦.

٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ للإمام مسلم النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، (رقم ١١١٦)، ك: الصوم، ب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢/٧٨٧.

٥- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، وقال حديث حسن، ك الصوم، ب: ما جاء في قضاء الحائض الصيام دون الصلاة، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ٣/١٤٥.

٦- صحيح البخاري، رقم (١٩٦٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ك: الصوم، ب: الوصال، ٦/٣٧١.

٧- صحيح البخاري، رقم (١٩٠٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ك: الصوم، ب: هل يقول إني صائم إذا شتم.



د. خالد محمد راتب
باحث في الشؤون الإسلامية
مصر

هداية عالمية وانطلاقة حضارية

يعد شهر رمضان الميلاد الحقيقي للأمة كلها؛ لأنه مهد الرسالات، فكل الرسالات نزلت في شهر رمضان، حيث أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»[1].

وقد ختمت الرسالات برسالة النبي ﷺ العالمية، هذه الرسالة بمنزلة الروح التي تسري في أوصال الأمة، وهي نور الحياة، وغيابها أو تعطيلها يتسبب في فساد العالم، ولو فتشنا في السبب الحقيقي وراء هذا التأثير الهائل لرمضان في النفس البشرية لوجدناه يتلخص في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)، فالقرآن كما بينت الآية الكريمة هدى للناس، فهدايته ليست قاصرة على المسلمين أو المؤمنين، بل هي هداية عالمية للناس كلهم، وهذا يتفق مع المقصد الأسمى للبعثة المحمدية العالمية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

إن رحمة القرآن وهدايته أشرقت على الكون كله، وظهرت معالم هذه الهداية على الكائنات كلها حتى الجبال الراسيات، والجمادات، قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:٧٤).

فإذا كانت الجبال الصم والجمادات لو سمعت كلام الله وفهمته، لخشعت وتصدعت بل هبطت من خشيته فكيف تأثيره على قلوب وعقول وتصرفات وأخلاق البشر؟!

إن رمضان يمثل للبشرية كلها أملا جديدا؛ لأنه يقي وينقي النفس البشرية من شرور وسيئات أعمالها، ويجعلها نفسا ملائكية إذا التزمت بصيام التقوى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، وصيام الإيمان والاحتساب: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

لقد جاء رمضان ليصنع أنموذجا للإنسانية الفاضلة التي استطاعت أن تحرم نفسها مما أحل الله، لفترة محدودة؛ لتكون أقدر على أن تفطم نفسها عن الحرام وما يغضب الله ورسوله ﷺ بعد ذلك.

شهر رمضان الذي فيه يعتق الإنسان نفسه من وساوس الشيطان وسلطان الشهوات؛ ليكون حرا متنعما في محراب العبودية وميدان العمل، يتقرب إلى ربه بأَجَلّ الطاعات ويسارع إلى مرضاته، فقلبه ينبض بحب الله، ونفسه مطمئنة بأحسن الحديث كتابا متشابها مثاني، وجوارحه خاشعة خاضعة: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣).

كما أن رمضان يوجه الأمة إلى مسؤوليتها الإنسانية التكافلية، وضرورة التلاحم بين طبقات المجتمع، وإعانة المحتاج، وأن هذه الإعانة تعد حقا واجبا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ (المعارج:٢٤-٢٥)؛ لذا كان ﷺ أجود من الريح المرسلة في رمضان.

كما أن رمضان هو انطلاقة حضارية بمفهومها الشامل، فهو يهذب الإنسان ويحافظ عليه من منزلقات الشهوات التي تهدم البنيان الحضاري: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»[٣]، وفي الوقت نفسه يحافظ على ممتلكاته الفكرية والعقلية، عن طريق تدبر المنهج الإلهي: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص:٢٩).

وأكبر انطلاقة للإنسان في رمضان عندما تعرج روحه -هذه الروح التي عكفت واعتكفت في محراب التقوى والإيمان، والقرآن، والذكر، والصدقات...- فرحا بلقاء ربها، هذه الروح التي أصبحت مؤهلة لهذا المعراج الإلهي، قال رسول الله ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[٤].

لكن هذا الصعود الإيماني وهذا الترقي الإنساني لابد له من مقومات واستعدادات وتجهيزات: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (الكهف:١١٠).

كما يحتاج هذا الصعود الإيماني وهذا الترقي الإنساني إلى التخطيط والتنظيم، فرمضان من أنفس لحظات العمر، ومما يجعل الإنسان لا يفرط في لحظة منه أن يتذكر وصف الله له بأنه (أياما معدودات)، وهي إشارة إلى أنها قليلة وأنها سرعان ما تنتهي، وإنما يفوز فيه من كان مستعدا له مستيقظا إليه. فإذا أدرك الإنسان قصر وقت رمضان علم أن مشقة الطاعة سرعان ما تذهب وسيبقى الأجر وتوابعه، ومن هنا نستطيع أن نفهم قول السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن حال رسولنا ﷺ: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[٥].

فالتخطيط المسبق لكل ما تريد إنجازه خاصة في هذا الشهر يحقق لك الربح في رمضان وغيره، ويتم ذلك بالآتي:

- وضع أهداف واضحة محددة لكل الأعمال التي تريد أن تعملها في هذا الشهر وفي كل يوم.
- عمل جدول للأعمال وأوقاتها والقدر المطلوب إنجازه، وهل تم في وقته أم لا؟
- تنظيم مواعيد النوم والاستيقاظ والراحة والعمل والفراغ.
- تحديد الأولويات، وما الأعمال التي ينبغي أن تقدم؟ والأعمال التي يمكن أن تؤخر؟ وإياك والتسويف، فإنه من جند إبليس، فقد يحال بينك وبين إنجاز العمل.
- الاستفادة من أي وقت ولو دقيقة واحدة، فقد يحصل الإنسان على أكثر من خمسمئة حسنة في هذه الدقيقة، وذلك بقراءة سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن.
- المحاسبة، حيث لا يتأتى الإصلاح الشامل للفرد والمجتمع إلا في ظل المحاسبة، والنظر في عيوب النفس لتحديد العلة: هل هو شح مطاع، أو هوى متبع، أو سرعة غضب، أو تحكم وسيطرة شهوة، أو ضعف إرادة، أو تكاسل عن الطاعة..؟! بعبارة وجيزة: أين الخلل؟ وبعد معرفة الخلل يستطيع الإنسان أن يصل إلى العلاج؛ لأن معرفة الداء طريق للوصول إلى الدواء، ومن أجل ذلك جعل الله المحاسبة واجبة ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الحشر:١٨)، فيجب على كل إنسان أن يحاسب نفسه.. هل حقق الهداية لنفسه ولمجتمعه وعالمه الذي من حوله؟ فالكل في حاجة ماسة لهداية القرآن الذي أنزل في رمضان هدى للعالمين، ومن هنا يكون رمضان انطلاقة للنفس البشرية.

الهوامش

١- الطبراني في معجمه الكبير ج٢٢/ص٧٥، ١٨٥.
٢- متفق عليه.
٣- متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
٤- متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
٥- مسلم رقم: ١١٧٥.



راوية السيد محمد
باحثة في القانون الجنائي الإسلامي- مصر

تاريخ من العزة

كانت أولى بركات شهر رمضان بنزول القرآن الكريم على نبي الأمة محمد ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة:١٨٥)، فكان القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية وهاديها إلى الصراط المستقيم، وحينما تمسك به المسلمون الأوائل صاروا سادة على من سواهم من الأمم، لا يشق لهم غبار.

وفي شهر رمضان المبارك انتصر المسلمون -على قلة عددهم- في أولى الغزوات الفاصلة بين التوحيد والشرك في غزوة بدر الكبرى، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران:١٢٣)، وكانت هذه الغزوة في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية[1]، وفيها نزلت الملائكة تؤيد المؤمنين وتؤازرهم، يقول تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ (آل عمران:١٢٤-١٢٦)، وكان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلث عدد المشركين، ومع ذلك كتب الله لهم النصر والعزة بقوة إيمانهم وتمسكهم بعقيدتهم، وقد امتن الله تبارك وتعالى على المؤمنين بهذا النصر المبين المؤزر؛ فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال:٢٦).

ثم كان الفتح الأعظم في الثالث والعشرين من شهر رمضان في السنة الثامنة من الهجرة النبوية بفتح مكة المكرمة[2]، وقد دخل النبي ﷺ مكة هو وصحبه الكرام مهللين مكبرين، وهو يشير إلى الأصنام قائلا: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:٨١)؛ فتسقط الأصنام الواحد تلو الآخر، وتنتهي بذلك عبادة الوثنية في أرض الله الحرام، وقد سميت (سورة النصر) بهذا الاسم ذكرى لهذا الفتح المبين، يقول تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ (النصر:١-٣).

فالمسلمون في شهر رمضان قد انتصروا أولا على أنفسهم، وتغلبوا على شهواتهم، فنصرهم الله على عدوهم، وسدد خطاهم، وصوب رميهم، ورفع رايتهم، وأعلى كلمتهم على من سواهم، ليس في شبه الجزيرة العربية فحسب، بل تخطوا

حدود المكان، وسابقوا الزمان؛ فوصلوا إلى أقصى الأرض وأدناها، وعبروا المسافات، وقطعوا الفيافي لا بشيء إلا بإخلاصهم في دينهم، واجتهادهم في طاعة ربهم حتى طوى الله لهم الأرض شرقا وغربا، فانتقلت كلمة التوحيد وراية الإسلام في ربوع الأرض، وعبر المسلمون قارة أوروبا؛ فكان فتح بلاد الأندلس على يد طارق بن زياد يوم الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢هـ[٣]، وارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة في بلاد أوروبا، ترفرف في سماء الدولة الأندلسية.

وفي السابع عشر من شهر رمضان عام ٢٢٣هـ كان فتح مدينة (عمورية) استجابة لاستغاثة امرأة مسلمة بالخليفة العباسي (المعتصم بالله) حينما ضربها رجل رومي فصرخت بأعلى صوتها (وامعتصماه)[٤]، فما كان من المعتصم بالله إلا أن جهز جيشا قويا إلى مدينة عمورية (إحدى المدن البيزنطية)؛ ليحرر تلك المرأة من الأسر، ويخلصها من رق العبودية.

ثم كانت معركة (عين جالوت) في أرض فلسطين يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ[٥] ضد جيوش التتار الزاحفة صوب بلاد الشام ومصر بعد أن قضت على الخلافة العباسية ودمرت حضارة بغداد؛ فتصدى لها الجيش الإسلامي بقيادة سيف الدين قطز، وأنهى النفوذ المغولي في ديار الإسلام، وقضى على وحشية التتار إلى الأبد؛ فشتت شملهم في البلاد، وفرق جمعهم في غياهب الأرض، فعادت للمسلمين مكانتهم ومجدهم بين الأمم، وأصبحت لهم اليد العليا مرة أخرى في حكم البلاد بعد أن ذاقوا مرارة الذل والهوان على يد التتار.

وفي العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ كانت هزيمة اليهود على يد الجيش المصري بمؤازرة إخوانهم العرب في حرب أكتوبر ١٩٧٣م؛ وبهذا النصر الرباني انتهت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وتفوق المصريون على اليهود بقوة إيمانهم قبل سلاحهم؛ فكان شعارهم في عبور القناة (الله أكبر) يزلزل الأرض تحت أقدام عدوهم، ويبث الرعب في قلوبهم؛ فسطر جنود الإيمان أروع البطولات القتالية في أرض سيناء بفضل إيمانهم وقوة يقينهم في نصر ربهم.

والقارئ للتاريخ الإسلامي يجد العديد من انتصارات المسلمين على عدوهم في شهر رمضان المبارك؛ فقد كانت معظم الفتوحات والانتصارات الإسلامية للمسلمين –منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة حتى وقت قريب– على أعدائهم في شهر رمضان المبارك؛ وذلك لالتفاف المسلمين حول شريعتهم، وتغلبهم على شهواتهم، والتزامهم بأوامر ربهم.

ويهل علينا شهر رمضان المبارك ١٤٤٠هـ فيتذكر المسلمون هذه الانتصارات الرائعة، ويتبادر إلى الأذهان هذا السؤال: لماذا انتصر المسلمون في أكثر الغزوات والمعارك في شهر رمضان؟

ذلك أن المسلم يكون قريبا من ربه، ملتزما بالنهج الإسلامي في حياته؛ فيكون النصر حليفه، وإذا أرادت الأمة الإسلامية العزة والنصر والتمكين فعليها أن تمتثل لأمر ربها القائل في كتابه العزيز: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣)، فقوة الأمة الإسلامية تكون بالاعتصام بحبل الله المتين، والامتثال لأوامر النبي الكريم؛ تحقيقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧)، فلابد للأمة الإسلامية أن تعود إلى هدي نبيها ﷺ، حتى يعود إليها سلطانها بين الأمم.

ولقد وعد الله تبارك وتعالى المؤمنين بالنصر إن هم نصروا دين ربهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧)، فنصر المسلمين على أعدائهم مرهون بنصرهم لدين ربهم، ولابد للمسلمين أن يعودوا إلى سابق عهدهم ومجدهم، ولن يكون ذلك إلا بعودتهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي»[٦]، وقد جاء رمضان فرصة للتائبين العابدين ليتصالحوا مع أنفسهم أمام ربهم؛ فيكونوا قدوة صالحة للأبناء والأجيال القادمة.

الهوامش

١- ينظر: تاريخ الطبري (٤٤٦/٢)، الطبعة الثانية، الناشر: دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٦٦/٣)، تحقيق: د.أحمد أبو ملحم وآخرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢- ينظر: تاريخ الطبري (٦٩/٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٧٧/٤).

٣- ينظر: تاريخ الطبري (٤٦٨/٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٨٨/٩).

٤- ينظر: تاريخ الطبري (٥٧/٩)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٩٩/١٠).

٥- ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٤/١٣).

٦- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، (١٧٢/١)، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.



د. أمان محمد قحيف
مفكر إسلامي
مصر

أخلاق الصائمين

الإنسان ذو الخلق النبيل عملة نادرة في عوالم إنسانية تسيطر عليها ماديات الحياة وتستغرقها مطالب الوجود الإنساني في هذه الدنيا.. ولاشك أن تعدد وتنوع وتنامي متطلبات الوجود الإنساني يؤثر سلبا في الأخلاق الفطرية السوية التي أودعها الله -تبارك وتعالى- في النفس الإنسانية.. وإذا كانت الأديان قد جاءت لتحقق العديد من الأهداف التي تساعد الإنسان على أن يحيا حياة هانئة مستقرة من خلال تقويم ما اعوج؛ من فطر الناس فإنها قد اتخذت من التكريس للقيم الأخلاقية في النفس الإنسانية منهجا وسبيلا إلى تحقيق ذلك.

من هنا كان تعزيز الأخلاق ودعمها والدعوة إليها أحد الأهداف والغايات المهمة التي حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيقها والوصول إليها؛ لذا يلاحظ المرء أنه لا تخلو كل التشريعات التي شرعها الإسلام الحنيف من بعد أخلاقي بحال من الأحوال.

فالناظر المتأمل في مكنون وجوهر كل شعيرة إسلامية جاء بها دين الله الحنيف يتبين أن بها العديد من التوجيهات والإرشادات التي تعزز وتكرس للجانب الأخلاقي في الحياة الإنسانية، هذا الجانب الذي يؤدي -في حالة توافره في سلوكيات البشر- إلى تجنب الحياة الإنسانية للعديد من مشاكلها ومشكلاتها التي لا تنفك تقض مضاجع الكثيرين من بني الإنسان.

لا غرابة بعد ذلك إذن في أن يكون البعد الأخلاقي حاضرا بكثافة ووضوح شديدين في مختلف الأطروحات التي أقرها أو أمر بها دين الله الحنيف.. بالتالي فإن التسامي والارتقاء بأخلاق المسلمين يعد هدفا أساسيا وأصيلا من الأهداف التي جاء الدين الإسلامي من أجل دعمها وتأكيدها في نفس الإنسان أينما كان وحيثما كان.. والحق أنه لا غرابة ولا اندهاش من ذلك لأن النبي الكريم ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم (وفي رواية: صالح) الأخلاق»[1].

فالعمل على إتمام مكارم الأخلاق هو أحد الأهداف الأساسية والمطالب الرئيسية التي تسعى الشريعة الإسلامية إلى إدراكها وتعزيز موقعها في النفس الإنسانية، ولقد قال القرآن الكريم في حق النبي المصطفى ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) في إشارة واضحة جلية إلى أن من مقاصد القرآن العليا دعم وتزكية الجانب الأخلاقي لدى الإنسان أينما كان وحيثما كان.

وغني عن

البيان أن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في سياق الحض على مكارم الأخلاق هي من التعدد والكثرة والتنوع بحيث لا يوجد مجال لجاحد أو منكر أن ينكر على التشريعات الإسلامية أن من أهدافها السامية ومقاصدها النبيلة زرع وتكريس القيم الخلقية الطيبة في كل النفوس وفي جميع الضمائر.

ومن هنا فلا غرو أن نذهب إلى أن لفريضة الصوم في الإسلام أهدافها التي تتعلق بالأخلاق الراقية وترتبط بالقيم النبيلة، شأنها في ذلك شأن جميع التشريعات التي أقرها الإسلام وأمر بها وحض المسلمين على الالتزام بمتطلباتها.

وغني عن البيان أيضا الإشارة إلى مكانة الصوم في الإسلام فهو «ربع الإيمان؛ إذ هو نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان... ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان»[٢] يؤخذ ذلك من قول الله تعالى في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به.. الحديث»[٣].

والحق أن نظرة فاحصة إلى حقيقة وجوهر مفهوم الصوم وقيمه وآدابه التي يدعو إليها تجعلنا نضع أيدينا على بعض النقاط والملامح الخلقية والأخلاقية التي يساعد الصوم على غرسها في النفس الإنسانية.. ونشير إليها على النحو التالي:

أولا: ذكر الله تبارك وتعالى

إن من أهداف الصوم وغاياته زرع التقوى في النفوس المسلمة والقلوب المؤمنة، قال عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

وغني عن البيان أن تحقيق التقوى في النفس المؤمنة هو هدف أسمى للعبادات الإسلامية بشكل عام، فالصلاة -مثلا- تجعل المسلم تقيا بأن تنهاه عن فعل الفحشاء، وتدعوه إلى تجنب المنكر وعدم الإقدام عليه في أي صورة من صوره، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

وإذا انتقلنا إلى فريضة الحج نجد في الهدي الذي يقدمه الحاج -وكذا الأضحية التي يقدمها غير الحاج- سبيلا إلى تحقق التقوى في النفس المسلمة، يقول تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (الحج:٣٧).

الشاهد هنا أن كل شعائر الإسلام تهدف إلى زرع التقوى في نفوس المسلمين، وتعمل على تعزيزها في قلوبهم وضمائرهم، فما أنزل الله تعالى الدين إلا لجعل عباده أهل تقوى وأهل صلاح.

ومعلوم لدى كل عاقل أن «التقوى» لا تتحقق تمام التحقق -بحال من الأحوال- في قلب المؤمن من دون أن يكون صاحب خلق رفيع، ولديه حرص على أن يسلك السلوك الحسن -الذي يُرضي الله تعالى عنه- في كل المواقف والأحداث.

ولا نبتعد عن الصواب إذا قلنا: إن الأخلاق الطيبة تعد من العناوين الدالة والمؤكدة على الخوف من الله تعالى، فالأخلاق الكريمة هي أحد المؤشرات الأساسية المعبرة عن التقوى.. وفي المقابل تعد «التقوى» بمنزلة الباب الملكي لاكتساب وتمثل وممارسة الأخلاق الرفيعة في الأقوال والأفعال؛ إذ التقي لا يقول إلا خيرا ولا يفعل إلا معروفا، وتلك هي مواصفات أفعال الأخلاقيين من بني البشر.

ثانيا: كثرة الدعاء

إن من المحفزات على الأخلاقيات العالية والسلوكيات الراقية أن ينشغل الإنسان بأمر التقرب إلى الله تعالى بالعبادة والطاعة: معروف أن مما يقرب الصائم إلى الله عزوجل كثرة الدعاء والمداومة عليه، يؤخذ ذلك من أن الله تعالى أورد آية مهمة عن الدعاء في معرض حديثه تعالى عن الصوم.. ولا يجب أن يمر علينا ورود هذه الآية في هذا الموضع من دون أن ننتبه إلى أنه ثمة إشارة من الله عزوجل إلى أن على الصائم أن يكثر من الدعاء ولا يغفل عن الابتهال إلى الله تعالى -ما استطاع إلى ذلك سبيلا- طوال شهر الصوم، فما جاءت هذه الآية المباركة في هذا السياق إلا لعلة معينة

وإلا لتحقيق غاية ما، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦). بهذا المعنى يجب أن يكون الصائم مشغولا بالعبادة ومشغولا بالدعاء ليل نهار، فلا مجال عندئذ لإتيان أي فعل أو قول لا أخلاقي، لأن الصائم في حالة دائمة من التعبد والتضرع إلى مولاه.

ثالثا: حفظ اللسان

من الأخلاق الراقية للصائم الملتزم مع الله تبارك وتعالى أنه لا يرفث، ولا يدخل في مشاحنات، ولا يرد الإساءة بمثلها، فقد ورد عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[٤].

وإذا كان عدم الشتم وعدم التطاول بالقول والفعل على الآخرين صفة ثابتة من صفات أخلاق الإسلام والمسلمين في كل وقت وحين فإنها ألزم ما تكون في شهر رمضان الذي يعد موسما من المواسم الكبرى للطاعات، تلك المواسم التي ينتظرها المسلمون وتشرئب أعناقهم إليها طوال العام.

وفي شريعتنا أن نبينا ﷺ لم يبعث سبابا ولا لعانا، ولنا فيه كمسلمين الأسوة والقدوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). من هنا فمن أخلاق الصائمين الابتعاد عن السب واللعن والفجور والتخاصم والتناحر في كل وقت وحين من حياتهم، وعلى الأخص في مواسم الطاعات التي يأتي شهر رمضان -كما ذكرنا- على رأسها وفي مقدمتها.

رابعا: ترك قول الزور والعمل به

إن من القيم الأخلاقية السامية التي يسعى الدين الإسلامي الحنيف إلى غرسها في نفوس المسلمين وقت صيامهم -بل وفي غير أوقات صيامهم- خُلق التخلي عن قول الزور أو العمل به.

بل إن الإسلام أراد للمسلم أن يتخلى عن مختلف أنواع الرذائل قاطبة مع الالتزام بالتحلي بفضائل الأخلاق وأجملها، وأراد له أن يكون فاضلا في كل وقت وحين، وأن يكون أخلاقيا في أقواله وأفعاله ما تيسر له ذلك، خاصة في أيام شهر رمضان الكريم.

ولقد نبه الرسول ﷺ الصائمين بل حضهم على ضرورة التخلي عن كل ما هو مرذول من الأخلاقيات الشاذة والسلوكيات المنحرفة، مع الالتزام بالفضائل النبيلة والشمائل الحسنة؛ وإلا فلا حاجة لله تعالى في تخليهم عن طعامهم وشرابهم طوال النهار، قال النبي ﷺ في ذلك: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٥].

من هنا حق لنا أن نتوقف لنؤكد أن الصوم -كشعيرة من شعائر الإسلام- يرتفع بالصائم إلى أعلى المراتب الأخلاقية وأسماها، ويطهره من جميع الموبقات والآفات الأخلاقية والسلوكية التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية، فالصوم يقي الإنسان من ممارسة الرذيلة بكل أنواعها وأشكالها ودرجاتها، ويدفعه دفعا نحو تمثل أخلاق الأنبياء والصالحين ومن سار على دربهم من أهل الهداية والرشاد.



الهوامش

١- قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ٧٥/١: رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٧٣)، وابن سعد في الطبقات (١٩٢/١)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وأحمد (٢/ ٣١٨). وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

٢- راجع في ذلك: الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة عبدالوكيل الدروبي، دمشق، جـ١، ص٢٠٧.

٣- رواه البخاري ومسلم.. وغيرهما.

٤- متفق عليه.

٥- صحيح البخاري (١٩٠٣).



عثمان إسماعيل حسين
باحث وكاتب
مصر

عظمة الاستنفار وروعة الاستثمار

المتأمل في فريضة الصوم يجد أنها تجمع بين (عظمة الاستنفار وروعة الاستثمار) لهذا الشهر الكريم، وذلك لأن قيامه أساسه «التقوى» والتي لا يعلمها إلا الله كما جاء في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة..». ومن هنا كانت روح التنافس بين العبد وذاته في الظفر بقبول الصيام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

ومن هنا تبدو الهجرة الرمضانية في طريقين تولت العناية الإلهية تمهيدهما وتجميلهما كي يتلذذ المسلم بالسير فيهما وهما كما ذكرنا سابقا «عظمة الاستنفار وروعة الاستثمار». حيث تتجلى عظمة تلك الهجرة في أنها ملجأ المسلم وملاذه، وقبلة التائب ومحرابه. وبذلك وجبت المبادرة في قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ (الذاريات:٥٠).

ويبدأ «طريق الاستنفار» والذي أساسه بعث الهمة ورفع أقصى درجات التأهب والاستعداد فرحا ببلوغ هذا الشهر الكريم عسى أن تكون المنحة والرخصة التي امتن بها الله على عباده، حيث تبدأ الفرحة برؤية هلال هذا الشهر الكريم. عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال رشد وخير..»[2].

وتبدو ظاهرة الالتزام بشعائر رمضان اليومية في ممارسة الإرادة واستنفار الذات تعلقا بالله تعالى وإرضاء له. فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ الأهل وشد المئزر..»[3].

فطريق الاستنفار شعاره عند المسلم الحق «وسارعوا» «وسابقوا» فقد آن الأوان أن تستنفر النفس المسلمة قواها لتجديد نضرتها وشبابها خاصة وقد تهيأت لها الظروف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين..»[4]. هنا تستطيع النفس وقد تهيأت تماما أن تعيش في معية رمضان أيامه ولياليه وشعائره ومناسكه، وأن تسلك من طريق الاستنفار طريقا آخر وهو طريق «الاستثمار» الذي يبدو واضحا في قوله تعالى ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧)

ومن مظاهر الاستثمار الرمضاني فعل الخيرات، ومنها مساعدة ومساندة الفقراء والمحتاجين تأسيا برسول الله ﷺ وبما كان يفعله من مظاهر الجود والكرم في هذا الشهر الكريم، فعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل.. وكان أجود بالخير من الريح المرسلة..»[6].

ومن أروع ما يتقرب به المسلم في نهاية صومه لهذا الشهر الكريم هو إخراج زكاة الفطر.

قال ﷺ: «صوم رمضان معلق بين السماء والأرض، لا يرفع إلا بزكاة الفطر..»[7].

فهنيئا لمن يتقن مظاهر هذا الاستثمار عن قناعة ورضا وطيب خاطر، حبا في الله ورسوله والتزاما بتعاليم دينه الإسلامي الحنيف.

وإذا كان هذا الاستثمار يهدف إلى تحقيق الأبعاد الاجتماعية؛ فإن هناك من الاستثمار الرمضاني ما يزيد المسلم تقربا إلى الله تعالى، وهي حلية ليالي رمضان وزينتها، ألا وهي «قيام الليل وقراءة القرآن الكريم».

إن ألوان الاستثمار الرمضاني تؤكد أن رمضان ليس شهر انقطاع عن المأكل والمشرب وألوان الملذات، ولكنه ترفع وزهد وترك ملذات الدنيا وتفرغ لله عزوجل تقربا وعبادة. فهل آن الأوان أن تدرك النفس المسلمة المؤمنة بالله حقا قيمة هذا الشهر الكريم وتلك الرخصة والمنحة والنفحة التي مَن بها علينا عزوجل، وندرك رحمته الواسعة التي بها نعيش في كنفه ورعايته؟!

الهوامش

١- رواه البخاري، كتاب الإيمان (٣٧).
٢- رواه الترمذي وأحمد وصححه الشيخ الألباني في الصحيح (١٨١٦).
٣- رواه البخاري (٢٠٢٤)، كتاب صلاة التراويح.
٤- رواه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٩).
٥- رواه أحمد والترمذي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٤١٥).
٦- رواه البخاري.
٧- رواه ابن شاهين بسند جيد.
٨- رواه البخاري (٨) كتاب الإيمان.

مناسبات



سعيد الشوية
باحث دكتوراه في الفقة الإسلامي
المغرب

المقصد من سكوت الشارع عن تعيين ليلة القدر

اعتمد الشارع الحكيم السكوت مسلكا من مسالك حث الناس على تحصيل المصالح، وأسلوبا من أساليب ترغيبهم في الإقبال عليها، كما هي الحال في ليلة القدر؛ فمعلوم أن القرآن الكريم سكت عن تعيينها وترك تحديدها من بين أيام رمضان، إذ ذكرها من دون بيان عينها في موضعين اثنين: الأول في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ (القدر:١-٣)، والثاني في قوله عزوجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان:٣).

لكن الرسول ﷺ أمر بالحرص على طلبها والاجتهاد في تحصيلها في أواخر رمضان، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[1]. وفي حديث آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع

الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»[٢].

وقد ثبت عن النبي ﷺ رفع بيان علم عينها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي، فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر[٣]»[٤]. وفي لفظ آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج ليخبر بليلة القدر، فتلاحى[٥] رجلان من المسلمين، فقال: «إني خرجت أخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التسع والسبع والخمس»[٦][٧]. ففي هذين الحديثين، خصوصا الأخير منهما، دليل واضح على أن النبي ﷺ وقف على ليلة القدر بعينها، ثم خرج ليخبر الناس بها فرفعت، أي: رفع بيان علم عينها[٨]، وهذا ما تفطن إليه الإمام البخاري حين ترجم لهذا الحديث بـ «باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس». وواضح من قوله ﷺ: «وعسى أن يكون خيرا لكم»، أن في رفعها، وقصد الشارع الحكيم السكوت عنها، وترك تحديدها خير ومصلحة للعباد في آجلهم وعاجلهم، وهذا ما أكده القاضي عياض بقوله: «ليجتهدوا في طلبها، ويكثروا العمل، ولا يتكلوا على عملهم فيها فقط إذا تعينت لهم». وكذا ابن رجب الحنبلي حين قال: «وإنما رجا النبي ﷺ أن يكون ذلك خيرا؛ لأن إبهام ليلة القدر أدعى إلى قيام العشر كله، أو أوتاره في طلبها، فيكون سببا لشدة الاجتهاد وكثرته»[٩].

ومما لا شك فيه أن العلماء اختلفوا في زمان ليلة القدر اختلافا كبيرا، بلغ ثلاثة عشر قولا[١٠]، وقيل: خمسة عشر قولا[١١]، وقيل: ستة وأربعين قولا[١٢]؛ لاختلاف الآثار الواردة في بيانها، لكن الملاحظ أن عددا كثيرا منهم ذهب إلى القول بعدم تعيينها، وإن اختلفوا في محلها[١٣]، فذهب جمهور الفقهاء: مالك والثوري والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وأبو قلابة وإسحق وأبو ثور.. وغيرهم، إلى أنها تنتقل، والغالب كونها في العشر الأواخر من رمضان؛ جمعا بين الأحاديث؛ لأن كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها[١٤]. كما أشار الإمام البخاري في «صحيحه» إلى رجحان كون ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان لا في ليلة منه بعينها، وبالضبط في أوتارها، وهذا ما يفهم من ترجمته للباب الثاني من كتاب «فضل ليلة القدر» بقوله: «باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر»، وفي الباب الثالث بقوله: «باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[١٥]. وهذا ما ذهب إليه كذلك الإمام الغزالي[١٦]، ورجحه الحافظ ابن حجر العسقلاني[١٧]، ونحوه صححه الإمام البغوي[١٨]، وبه قال الإمام الشوكاني[١٩].

غير أن جل من ذهب إلى القول بعدم تعيينها علل سكوت الشارع عن ذلك وتركه تحديدها، بمقصد الاجتهاد في الطلب والإكثار من العمل ودرء مفسدة الاتكال، وهذا ما أشار إليه الحافظ ابن حجر العسقلاني، بعد أن ذكر أقوال العلماء في تعيينها بقوله: «قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد في التماسها، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها... وهذه الحكمة مطردة عند من يقول إنها في جميع السنة وفي جميع رمضان أو في جميع العشر الأخير أو في أوتاره خاصة، إلا أن الأول ثم الثاني أليق به»[٢٠]. ويظهر هذا جليا من خلال أقوال جملة من العلماء، منهم:

- الإمام البغوي: الذي قال: «وفي الجملة: أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة»[٢١].

- وجار الله أبو قاسم الزمخشري: إذ قال رحمة الله عليه: «ولعل الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها، فتكثر عبادته، ويتضاعف ثوابه، وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفرطوا في غيرها»[٢٢].

- والقاضي أبو بكر بن العربي: فبعد أن ذكر، رحمة الله عليه، مذاهب العلماء في تعيين ليلة القدر، خصص مسألة لبيان الصحيح فيها وترجيح سبل النظر الموصلة إلى الحق منها، فانتهى، رحمة الله عليه، من خلال الجمع بين الأحاديث إلى نتيجة صرح بها مع بيان مقصد الشارع منها، بقوله: «فعلمنا أنها تنتقل في الأعوام، لتعم بركتها من العشر الأواخر جميع الأيام، وخبأها عن التعيين ليكون ذلك أبرك على الأمة في القيام في طلبها شهرا أو أياما،

فيحصل مع ليلة القدر ثواب غيرها، كما خبأ الكبائر في الذنوب وساعة الجمعة في اليوم»[٢٣]. وبهذا يكون، رحمة الله عليه، قد خالف شيخه أبا بكر الفهري الطرطوشي في محلها وإن وافقه في مقصدها، وذلك حين استشهد الشيخ لصحة انتقال ساعة الإجابة في يوم الجمعة بانتقال ليلة القدر في ليالي الشهر، ولم يخصصها بالأوتار الأواخر[٢٤]. وهو بذلك يميل إلى القول بأن ليلة القدر تنتقل في ليالي رمضان كلها، بينما يذهب تلميذه إلى القول بأنها تنتقل في أوتار العشر الأواخر من رمضان.

- والإمام أبو جعفر الطوسي: الذي قال: «وإنما لم تعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل في سائر الليالي»[٢٥].

- والشيخ أبو علي الطبرسي: حيث نص، رحمة الله عليه، على أن: «الفائدة في إخفاء هذه الليلة أن يجتهد الناس في العبادة، ويحيوا جميع ليالي شهر رمضان، طمعا في إدراكها»[٢٦].

- والإمام ابن الجوزي: قال رحمة الله عليه: «فأما الحكمة في إخفائها فليتحقق اجتهاد العباد في ليالي رمضان طمعا منهم في إدراكها، كما أخفى ساعة الجمعة، وساعة الليل، واسمه الأعظم، والصلاة الوسطى، والولي في الناس»[٢٧].

- والإمام فخر الدين الرازي: قال، رحمة الله عليه، مبينا المقصد من سكوت الشارع عن تعيين ليلة القدر: وكأن الله تعالى يقول: «إني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها، فيكتسب ثواب الاجتهاد»[٢٨].

- والإمام النيسابوري: حيث قال رحمة الله عليه: «الحكمة في إخفاء ليلة القدر في الليالي كالحكمة في إخفاء وقت الوفاة ويوم القيامة؛ حتى يرغب المكلف في الطاعات، ويزيد في الاجتهاد، ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل»[٢٩].

- والعلامة أحمد الصاوي المالكي: ففي سياق كلامه، رحمة الله عليه، عن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه السالف الذكر، خصوصا في مناسبة حديثه عن قوله صلى الله عليه وسلم: «وعسى أن يكون خيرا لكم»، تساءل، رحمة الله عليه، تساؤلا افتراضيا، بيّن من خلال جوابه عنه مقصد الشارع الحكيم من ترك تحديد ليلة القدر وسكوته عنها، وذلك بقوله: «إن قلت: فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة؟ وما هو الخير الذي حصل؟ قلت: الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد في خصوصها، والخير الذي حصل، هو الحرص على التماسها حتى يحيي ليالي كثيرة. وفي الجملة قالوا: أخفى الرب أمورا في أمور لحكم: ليلة القدر في الليالي لتحيا جميعها...»[٣٠].

- والشيخ محمد متولي الشعراوي: فقد أشار، رحمة الله عليه، إلى أن الشارع الحكيم أخفاها لينتبه كل منا ويعرف أن هناك فرقا بين الشيء لذاته، والشيء الذي يبهم في سواه؛ ليكون كل شيء هو الشيء فيؤدي ذلك إلى طلبها في أيام وليس في يوم واحد. «فإبهام الشيء إنما جاء لإشاعة بيانه؛ ولذلك أبهم الله ليلة القدر للعلة نفسها وللسبب نفسه، فبدل أن تكون ليلة قدر واحدة أصبحت ليالي أقدار»[٣١].

فهؤلاء العلماء وغيرهم ممن ذهبوا إلى القول بسكوت الشارع الحكيم عن تعيين ليلة القدر وترك تحديدها، اتفقوا - في الغالب - على أن المقصد من ذلك السكوت والترك هو حث العباد على الاجتهاد في جميع الليالي، خصوصا العشر الأواخر منها، والإكثار من العمل فيها؛ تحصيلا لعظيم ثوابها وأجرها؛ «فإذا أراد العبد تحصيل ليلة القدر فليقم الحول على رأي ابن مسعود، أو الشهر كله على رأي آخرين، أو العشر الأواخر على رأي كل أحد»[٣٢]. أما تحديدها في ليلة السابع والعشرين؛ فيجعل الكثير من الناس يقصدون تلك الليلة بالاجتهاد ويفترون في غيرها؛ لأنهم يعتقدون أن ليلة القدر هي يقينا تلك الليلة، ولكن هي في الحقيقة في العشر الأواخر من رمضان، خصوصا في الوتر منها، والراجح أنها في السابع والعشرين منه. والله أعلم بغيبه وأحكم.

وخلاصة القول، فما ترك الشارع الحكيم تحديده وسكت عن تعيينه، وكان من الأحكام الثابتة التي لا تتغير مناطاتها بتغير الزمان والمكان والأحوال؛ لزمنا معرفة مقصده من هذا الترك، وغايته من ذلك السكوت؛ لنسعى إلى إدراكه ونتخذه قبلة لنا نتوجه إلى تحقيقه ونقصد إلى تحصيله، ولا نفرغ طاقتنا ونرهق أنفسنا في تحديده وتعيينه، وقد نخالف بذلك قصد الشارع من تركه ذلك وسكوته عنه. فترك الشارع الحكيم تحديد ليلة القدر مثلا، التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نسيها؛ كان القصد من ورائه - كما تفطن إليه هؤلاء العلماء - الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان. وسكوت الشارع

عن تعيين الصلاة الوسطى، كان القصد منه الاجتهاد في المحافظة على الصلوات جميعها.

الهوامش

١- أخرجه الإمام البخاري، حديث رقم:٢٠٢٠.
٢- أخرجه الإمام البخاري، حديث رقم: ٢٠١٥.
٣- العشر الغوابر هي العشر البَواقي، وغبر من الأضداد، ولهذا قد يقع في بعض المواضع بمعنى مضى، غير أنه يحتاج إلى قرينة بيان، لكن الأشهر في كلام العرب المعنى الأول. ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (ت:٣٢٨هـ): ٢/٣٣٦، ومجمل اللغة لابن فارس، مادة: «غبر»، وتفسير غريب ما في الصحيحين للحميدي (ت:٤٨٨هـ)، ص:١٨٣.
٤- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: ١١٦٦.
٥- تلاحى الرجلان لَحْوا ولَحْيا، أي: تخاصما وتجادلا وتشاتما، وأصله من لَحَوْتُ العود، كأنهما يتقاشران في الشتم؛ ومن ذلك أيضا قالوا: لحاه الله، أي: قشره. ينظر: جمهرة اللغة لابن دُرَيْد، مادة: «حلو».
٦- سأل المحدث الفقيه أبو نَضْرَةَ أبا سعيد الخدري عن معنى قوله ﷺ: «التاسعة والسابعة والخامسة» فقال رحمة الله عليه: إذا مضت واحدة وعشرون، فالتي تليها ثنتين وعشرين وهي التاسعة، فإذا مضت ثلاث وعشرون، فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة. ينظر: صحيح الإمام مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها، حديث رقم: ١١٦٧.
٧- أخرجه الإمام البخاري، حديث رقم: ٢٠٢٣.
٨- ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤/١٥٦.
٩- فتح الباري لابن رجب: ١/٢٠٣.
١٠- ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤/٣٣٠.
١١- ينظر: الذخيرة للقرافي: ٢/٥٤٩.
١٢- ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٤/٢٦٣- ٢٦٤- ٢٦٥- ٢٦٦.
١٣- قال جماعة: هي منتقلة تكون في سنة في ليلة، وفي سنة أخرى في ليلة أخرى.. وهكذا، وبهذا يجمع بين الأحاديث، ويقال: كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها، وقالوا: وإنما تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، وقيل: بل في كله، وقيل: إنها معينة فلا تنتقل أبدا بل هي ليلة معينة في جميع السنين لا تفارقها، وعلى هذا قيل: في السنة كلها، وقيل: بل في شهر رمضان كله، وقيل: بل في العشر الوسط والأواخر، وقيل: في العشر الأواخر، وقيل: تختص بأوتار العشر، وقيل: بأشفاعها، وقيل: بل في ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، وقيل تطلب في ليلة سبع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين. ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٤/١٤٣- ١٤٤- ١٤٥، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٤/٣١٢.
١٤- ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤/٣٣٣، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض: ٤/١٤٣- ١٤٤، زاج الميسر في علم التفسير لابن الجوزي، ص:١٥٧٢، والذخيرة للقرافي: ٢/٥٥٠، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٤/٣١٢، وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين: ٤/٤٨٩- ٤٩٠.
١٥- ينظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، ترجمة البابين الثاني والثالث.
١٦- ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: ١/٥٤٥.
١٧- فتح الباري لابن حجر: ٤/٢٦٥.
١٨- ينظر: معالم التنزيل للبغوي: ٨/٤٩٠.
١٩- ينظر: نيل الأوطار للشوكاني: ٨/٢٤١.
٢٠- فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ٤/٢٦٦.
٢١- معالم التنزيل للبغوي: ٨/٤٩٠.
٢٢- الكشاف للزمخشري، ص:١٢١٤.
٢٣- أحكام القرآن لابن العربي: ٤/٣٣٣.
٢٤- ينظر: المصدر نفسه: ٣/١٣٧.
٢٥- التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ١٠/٣٨٥.
٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ١٠/٧٨٩.
٢٧- زاد الميسر في علم التفسير لابن الجوزي، ص:١٥٧٢.
٢٨- مفاتيح الغيب للرازي: ٣٢/٢٩.
٢٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري: ٦/٥٣٧.
٣٠- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: ٤/٤٨٩.
٣١- تفسير الشعراوي: ٢/١٠٢٥.
٣٢- أحكام القرآن لابن العربي: ٣/١٣٧.



نادر أبو الفتوح
صحافي مصري
القاهرة

المحافظة على الطاعات

رمضان شهر العبادة والعمل والعطاء والخير، يحمل للمسلم الكثير من المنح، وقد حثت الشريعة الإسلامية على ضرورة اغتنام أيام رمضان في الصيام والذكر والعبادة وحضور مجالس العلم، ويعد الحفاظ على الوقت في رمضان، من أهم ما يجب أن يحرص عليه المسلم، فالتردد على المساجد وتخصيص وقت لقراءة القرآن الكريم، يجعلان المسلم في طاعة طوال اليوم، وصلاة التراويح في المسجد تجعل المسلم في طاعة طوال الليل، ويأتي دور الأسرة في تدريب الأطفال على الصيام، كأهم مسؤوليات الزوج والزوجة في هذه الأيام الكريمة.

وقد حث الإسلام على أن تسود قيم العطف والرحمة في كل الأوقات، لكن في رمضان يجب أن تظهر هذه القيم، فالصيام هو عبادة تطهر القلب، وتجعل المسلم يشعر بالفقراء والمحتاجين، ويقدم لهم ما يسد احتياجاتهم، ويدخل عليهم البهجة والسرور في هذه الأيام الكريمة، كما أن الصلح بين المتخاصمين ورعاية الأيتام وصلة الأرحام من أفضل الطاعات، ويجب أن يحرص المسلم على كسب الحسنات، لأن الحفاظ على الطاعات يؤدي لمزيد من الأعمال الصالحة.

تنظيم الوقت

ووجه الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر في حديثه لـ«الوعي الإسلامي» رسالة للصائمين وطالبهم بضرورة الحفاظ على الوقت، وأن يرتبط ذلك بأداء الصلاة في جماعة، وحضور دروس العلم في المسجد، وتخصيص وقت لقراءة القرآن الكريم، ويوضح أن يوم الصائم يجب أن يبدأ من تناول طعام السحور وأداء صلاة الفجر في المسجد، والذهاب للعمل في نشاط وبذل الكثير من الجهد، لأن رمضان هو شهر العمل والعبادة، كما شدد على أهمية أداء صلاة العشاء والتراويح في المسجد، وعدم إضاعة الوقت أمام الشاشات، والمؤكد أن الصائم عندما يلتزم بذلك، سوف يحافظ على الطاعات، وسيكون قد أدى الكثير من العبادات طوال رمضان.

البعد عن الغيبة والنميمة

وحذر الشيخ الأطرش من الأخطاء التي قد تفسد الصيام، وطالب بضرورة أن يحافظ المسلم على الصيام، وألا يقوم بأي تصرفات قد تفسد العبادة، وتجعل صيامه مجرد جوع وعطش، كما حذر من الغيبة والنميمة، لأنها من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الإنسان، وحتى يبتعد الصائم عن هذه التصرفات والسلوكيات المرفوضة، عليه أن يشغل وقته بالذكر والعبادة والعمل وحضور دروس العلم، كما أن التواجد في

المسجد يجعل المسلم في طاعة وعبادة مستمرة، ولذلك من المهم أن يركز الأئمة والدعاة وخطباء المساجد على الأخطاء التي يقع فيها الصائم في رمضان، وأن تكون هناك خواطر ودروس بين ركعات التراويح، وذلك لتوعية المسلم بهذه الأخطاء التي قد تفسد الصيام.

تدريب الأطفال على الصيام

كما طالب الشيخ الأطرش، بضرورة تدريب الأطفال على الصيام في رمضان، وأن تحرص الأسرة على غرس القيم الدينية والفضائل لدى الأبناء، وذلك حتى يتعود الأطفال على الصيام، وكذلك ضرورة اصطحابهم إلى المساجد، لحضور دروس العلم ومعرفة الحكمة من الصيام، لأن شهر رمضان يحمل مواقف تؤثر على الأطفال والشباب في حياتهم، وهناك دور مهم يقع على عاتق الأسرة في حث الأبناء على اكتساب الطاعات، وهذه الطاعات ليست فقط في العبادات، لكن في المعاملات أيضا، ولذلك فإن الإسلام حث على الصلح بين المتخاصمين ورعاية الأيتام وصلة الأرحام، ولذلك يجب أن يكون شهر رمضان فرصة لغرس هذه القيم لدى الأبناء، وأن نعودهم على الحفاظ على الطاعات والعبادة، بجانب غرس قيم المعاملات التي حثت عليها الشريعة الإسلامية.

العطف على الفقراء

يشير الدكتور محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة في حديثه لـ«الوعي الإسلامي» إلى أن الفقراء والمحتاجين في حاجة للرعاية طوال العام، لكن في رمضان

المحافظة على الصلاة في جماعة والاجتهاد في العمل

يحتاج هؤلاء لمزيد من العطف، ولذلك على الأغنياء بذل المزيد من العطاء من أجل رعاية الفقراء، وهناك صور طيبة للتكافل الاجتماعي في هذا الشهر الكريم، من خلال الموائد التي تنظم لإفطار الصائمين، لكن من المؤكد أن هناك فقراء يحتاجون لمن يذهب إليهم،

تدريب الأطفال على الصيام واصطحابهم إلى المساجد مسؤولية الأسرة

ويمنحهم المال ويقدم لهم ما يكفي حاجاتهم، وكل إنسان عليه أن يبدأ بمن هم أقرب، فالصدقة تكون للأقارب والجيران من الفقراء والمساكين، ويجب أن تسود هذه القيم طوال العام، لأن هذه هي أخلاق الإسلام، والتكافل الاجتماعي من سمات المجتمع المسلم.

البعد عن الإسراف والتبذير ضرورة.. والعطف على الفقراء واجب

وحذر الدكتور عوضين، من السلبيات التي تنتشر في رمضان، فالبعض قد يتعلل بالصيام ويتكاسل في العمل، وهذه سلبيات مرفوضة، لأن رمضان هو شهر العمل والعبادة، والمؤكد أن الأئمة والدعاة وخطباء المساجد يتحملون مسؤولية كبرى لتصحيح هذه المفاهيم، وبيان أن العمل عبادة، وأنه لا يجب أن يظل الصائم نائما طوال اليوم، لكن عليه أن يذهب للعمل ويجتهد، أما النوم طوال اليوم فهو أمر مرفوض، كما أن الغضب في نهار رمضان والتعلل بأن ذلك يرجع للصيام، أمور مرفوضة ولا تعبر عن حقيقة الصيام، الذي هو عبادة تطهر النفس والقلب، وتجعل المسلم في طاعة مستمرة، وتجعله يتعامل بأخلاق الإسلام، ويتقرب إلى الله بالعبادات والعمل الصالح.

الإسراف مرفوض

ومن جانبه قال الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع جامعة الأزهر لـ«الوعي الإسلامي» أن الإسراف والتبذير منهي عنه شرعا، وحذر من السلبيات التي تقع فيها الكثير من الأسر، لأن البعض يسعى لتخزين السلع، وشراء كميات كبيرة من الطعام، وكأن رمضان هو شهر المأكل والمشرب، رغم أن الحكمة من الصيام هي الشعور بالمحتاجين والفقراء، وننصح بأن يكون هناك توازن في نفقات الأسرة وعدم تخزين السلع، لأن هذا قد يؤدي للاحتكار ويلحق الضرر بالناس، وننصح بعدم الإسراف والتبذير في المأكل والمشرب، سواء في رمضان أو غيره من الشهور، وأن يكون هناك تنظيم في احتياجات الأسرة.



د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفكر الإسلامي
المغرب

الدراسات الغربية المنصفة لرمضان

الباحث في الكم الهائل من الدراسات التي خلفها المستشرقون سيجد دون شك بعض الكتب التي تناولت الدين الإسلامي وشعائره ومصادر تشريعه بروح علمية صادقة، حيث لم يمنع أصحابها التعصب أو الهوى من قول كلمة حق سطرها التاريخ في حقهم بمداد من ذهب، وكان من بين القضايا التي أولاها هؤلاء أهمية كبيرة شعيرة الصيام؛ حيث بينوا مزاياها الدينية والدنيوية، كما بينوا فضل شهر رمضان وقيمته بين سائر أشهر السنة؛ لذلك ارتأيت في هذه الدراسة أن أسرد شهادات هؤلاء الغربيين المنصفين الذين لم يعمهم الحقد والتعصب الديني عن الجهر بالحق، وقول كلمات ما زالت خالدة في كتبهم وتراثهم إلى اليوم.

- جاك ريسلر: رمضان شهر التكفير عن الخطايا

هو باحث وأكاديمي فرنسي له مجموعة من الأبحاث والدراسات التي تناول فيها الدين الإسلامي، يرى أن شهر الصيام هو مناسبة للتكفير عن الخطايا والآثام؛ يقول في كتابه «الحضارة العربية»: «يحتفل الصائم بذكرى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ويجب على المسلم أن يمتنع عن الطعام والشراب أثناء شهر رمضان من الفجر حتى الغروب. ويمكن أن ينظر إلى هذا التقشف الشديد على أنه عمل يقصد به وجه الله ونوع من التكفير عن الخطايا، وبذلك يكون عملا توسليا شافعا أمام الله، لكنه يهدف كذلك إلى تقوية الإلزام الاجتماعي وإلى إشعار المسلمين بتضامنهم وتماسكهم. وكثيرا ما يلجأ العامة من المسلمين إلى تجريح أولئك الذين لا يحترمون هذه العادة»[1].

- إدوارد وليم لين (١٨٠١م-١٨٧٦م): رمضان شهر صيام أمة خير الأنام

وهو مستشرق ومؤرخ إنجليزي، أقام مدة طويلة بالقاهرة حيث رصد جوانب عديدة من حياة المصريين، وبطبيعة الحال لم يغفل الحياة الدينية بهذا

القطر الإسلامي، وصف في كتابه «عادات المصريين» الأجواء التي ترافق شهر رمضان؛ يقول: «تعرف الليلة التي يتوقع فيها بدء شهر رمضان -وهو شهر الصوم والشهر التاسع في السنة الهجرية- بليلة الرؤية؛ أي رؤية الهلال، ويتوجه في فترة بعد ظهر اليوم السابق أو قبلا العديد من الأشخاص الثقات إلى الصحراء حيث يصفو الهواء النقي، لرؤية هلال القمر، ويبدأ الصوم في اليوم التالي بعد رؤية الهلال، وإذا استحالت رؤية القمر نتيجة لتلبد صفحة السماء يبدأ الصوم عند انقضاء ثلاثين يوما من بداية الشهر السابق، وتكفي شهادة مسلم واحد في رؤية الهلال لإعلان الصوم. وينطلق المحتسب وشيوخ التجار وأرباب الحرف، والطحانون والخبازون والجزارون والزياتون والفكهانية، وتتقدم الموكب فرقة من الجنود، ويمضي الموكب حتى ساحة بيت القاضي، ويمكثون بانتظار من ذهبوا لرؤية الهلال، وعندما يصل نبأ ثبوت رؤية هلال رمضان، يتبادل الجميع التهاني ثم يمضي المحتسب وجماعته إلى القلعة بينما يتفرق الجنود إلى مجموعات، يحيط بهم الدراويش، يطوفون بأحياء القاهرة وهم يصيحون: يا أمة خير الأنام صوموا صوموا، أما إذا لم تثبت الرؤية في تلك الليلة، يكون النداء: غدا متمم لشهر شعبان»[٣].

- هارولد ديكسون (١٨٨١م-١٩٥٩م): رمضان شهر اليسر

هو مستشرق ومؤرخ بريطاني، ألف عدة كتب عن الجزيرة العربية من بينها كتابه «عرب الصحراء» والذي اعتبر فيه شهر رمضان من الأشهر التي تحل فيها البهجة واليسر، يقول: «يعتبر شهر رمضان من الأشهر المقدسة لدى المسلمين، وترتيبه التاسع في ترتيب الأشهر القمرية، ويتغير سنويا بالنسبة لأشهر السنة الشمسية، نظرا لاختلاف التوقيت القمري عن الشمسي. ومن المعروف أنه خلال الصيام يمنع شرب الماء أو تناول الطعام. ووقت الصيام يمتد من قبل ساعتين من شروق الشمس حتى غروبها، وهذه القاعدة ثابتة أينما كان، وليس فقط الأكل والشرب من الممنوعات فهناك التدخين، وشرب القهوة، ويحق للمرأة الحامل والمرأة المرضعة الإفطار، إذا كانت تقتضي حالتها الصحية بشرط إعادة الصيام في أيام أخر. كذلك إذا كان أحدهم على سفر أو في مرض فله حق الإفطار أيضا مع عدة من أيام أخر، ففي الصيام ترفع المشقة وتحل محلها البهجة واليسر»[٣].

-توماس أرنولد (١٨٦٤م-١٩٣٠م): رمضان شهر الانتصار على الملذات

هو مستشرق بريطاني أظهر إعجابا كبيرا بالإسلام وخاصة بنبينا محمد ﷺ، خلف مجموعة من الدراسات والأبحاث منها كتاب «الدعوة الإسلامية» الذي صرح فيه بأن شهر رمضان هو شهر الانتصار على الملذات، يقول: «ما دخلت مسجدا قط دون أن تهزني عاطفة حادة، أو بعبارة أخرى، دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلما، كان من اليسير أن ندرك كيف أن منظر التاجر المسلم في صلاته، وسجداته الكثيرة، وعبادته للإله الذي لا يراه، في سكينة واستغراق، قد يؤثر في الإفريقي الوثني...، وإن معارف الإسلام التي عرفها الناس على هذا النحو قد تجذب أحيانا فردا يدخل في الإسلام، كان من الممكن أن ينصرف عنه لو أنه قدم إليه على صورة لا يرغب فيها، باعتبارها هبة حرة، ولا حاجة إلى القول بأن صيام شهر رمضان جزء من دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مراودتهم في ملذاتهم الشخصية...، فأركان العقيدة الإسلامية تلقى دون انقطاع تعبيرا ظاهرا في حياة المؤمن؛ ومن ثم نجدها، بعد أن أصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكا لا سبيل إلى الفكاك منه، تجعل المسلم الفرد إماما ومعلما لعقيدته، أكثر إلى حد بعيد مما هي الحال مع أنصار معظم الديانات الأخرى»[٤].

- غوستاف لوبون (١٨٤١م-١٩٣١م): رمضان شهر يورث السعادة

هو طبيب ومفكر فرنسي لم يخف إعجابه بالإسلام وشعائره، يقول في حق شهر رمضان: «تأثير دين محمد في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنا، أجل، قد تجد بين المسلمين عددا قليلا من الزنادقة والأخلياء، ولكنك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتثال لتعاليمه الأساسية كالصلاة في المساجد وصوم رمضان الذي يراعي جميع المسلمين أحكامه بدقة مع ما في هذه الأحكام من صرامة كما شاهدت ذلك في جميع الأقطار الإسلامية التي زرتها في آسيا وإفريقيا...، وعلى من يرغب

في فهم حقيقة أمم الشرق، التي لم يدرك الأوروبيون أمرها إلا قليلا، أن يتمثل سلطان الدين الكبير على نفوس أبنائها، وللدين ذي التأثير الضئيل فينا نفوذ عظيم فيهم، وبالدين يؤثر في نفوسهم... حقا إن مثل تلك المعتقدات تورث الجموع عنوان السعادة، والجموع تبصر من خلالها نعيم الآخرة الذي لا ترى مثله في هذه الحياة الدنيا، وهي تصونها من الوقوع في اليأس وما يجر إليه اليأس من الفتن الشديدة»[٥].

- طوماس كارليل: رمضان شهر تلجم فيه الشهوات

هو فيلسوف ومؤرخ أسكتلندي، من أهم مؤلفاته كتاب «الأبطال»؛ وهو كتاب اختار فيه أرقى النماذج الإنسانية، وكان مما سلط عليه الضوء فيه شهر رمضان الذي اعتبره شهرا تلجم فيه الشهوات، يقول بهذا الخصوص: «وأي دليل أشهر ببراءة الإسلام من الميل إلى الملذات من شهر رمضان، الذي تلجم فيه الشهوات، وتزجر النفس عن غاياتها، وتقرع عن مآربها؟ وهذا هو منتهى العقل والحزم، فإن مباشرة اللذات ليست بالمنكر، وإنما المنكر هو أن تذل النفس لجبار الشهوات، وتنقاد للرغبات، ولعل أمجد الخصال وأشرف المكارم هو أن يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان، وأن يجعل من لذاته لا سلاسل وأغلالا تعيبه إذا هم أن يصدعها، بل حليا وزخارف متى شاء فلا أهون عليه من خلعها، ولا أسهل من نزعها، وكذلك أمر رمضان سواء أكان مقصودا أو كان وحيا فهو والله نعم الأمر»[٦].

- ريتشارد بيرتون (١٨٢١م-١٨٩٠م): رمضان شهر الوقار والسكينة

هو عالم ورحالة إيرلندي زار مصر سنة ١٨٥٣م وخص شهر رمضان بفصل كامل من كتابه «رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز» حيث كتب يقول: «تراعي الطبقات الدنيا والوسطى شعائر هذا الشهر بإخلاص شديد رغم قسوتها، فلم أجد مريضا واحدا اضطر ليأكل حتى لمجرد الحفاظ على حياته...، والأثر الرئيسي لهذا الشهر الفضيل على المؤمنين الحقيقيين هو ذلك الحزن الوقور الذي يغلف طباعهم...، ومع اقتراب وقت الإفطار يطل الناس من النوافذ والمشربيات، وبعض الناس يصلون ويبتهلون، وآخرون يسبحون، بينما آخرون يتحلقون في جماعات أو يتبادلون الزيارات حتى يجلجل صوت المؤذن جميلا داعيا الناس إلى الصلاة ثم إلى الإفطار»[٧].

هكذا إذن وبعد استقراء شهادات هؤلاء الدارسين حول شهر رمضان والذين صدحوا بالحق ولم يؤسسوا أفكارهم على الباطل والشبهات، يمكن أن نقول بأن الغربيين ليسوا سواء؛ إذ منهم من نظر إلى الإسلام وشعائره بموضوعية وحياد، بل أكثر من ذلك هنالك من دفعته دراساته وأبحاثه إلى اعتناق هذا الدين، لذلك كان من الواجب تسليط الأضواء على أمثال هؤلاء الذين قالوا بشهادات منصفة، من شأنها أن تعدل من الصور الذهنية النمطية حول الإسلام والمسلمين، وتقيم جسور التعارف والتعايش والتعاون.

الهوامش

١- جاك ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص:٣٥.

٢- إدوارد وليم لاين، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ص:٤٨٨-٤٨٩.

٣- هارولد ديكسون، عرب الصحراء، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص:٥٣٥.

٤- توماس أرنولد، الدعوة الإسلامية: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسين إبراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين وإسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، ص:٤٥٩-٤٦٠.

٥- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، طبعة ٢٠١٣م، ص:٤٢٩-٤٣٠.

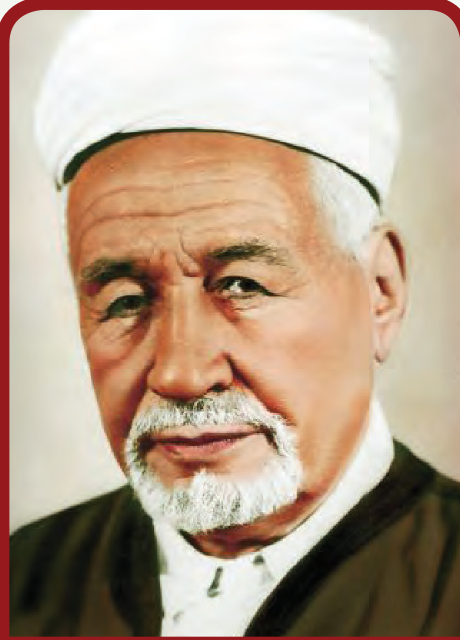
٦- طوماس كارليل، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، دار الكاتب العربي للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ص:٨٧.

٧- رتشارد بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبدالرحمن عبداللطيف الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ج١، ص:٧١-٧٢.

مناسبات



د. إبراهيم نويري
باحث دراسات إسلامية
الجزائر



رمضان في فكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

منذ سنوات طويلة، عندما يقترب حلول الشهر الفضيل، شهر رمضان المعظم، أجد في نفسي دافعا داخليا لكتابة مقال يليق بمقام هذه المناسبة الجليلة المتصلة بفريضة من أجَلّ فرائض الإسلام الحنيف.

وفي هذا العام عنت لي فكرة تناول حضور رمضان وما يندرج من قضايا تتصل بحال المجتمع الإسلامي خلال هذا الشهر في فكر وآثار الشيخ الأديب الجزائري محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله. وعند عودتي لبعض آثاره العلمية النفيسة، فوجئت بأن مادة الموضوع غزيرة، مما حتم اختصاره في هذه المساحة الورقية الخاصة بمجلة «الوعي الإسلامي» الأثيرة الغراء.

يعد الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله (١٨٨٩-١٩٦٥م)، من أعمدة النهضة الفكرية والأدبية والإصلاحية المعاصرة في الجزائر؛ يقول عنه أحد تلامذته النجباء الأستاذ أحمد بن ذياب: «الشيخ الإبراهيمي مفخرة الجيل، ومنة الدنيا على العربية وأدبها وفلسفتها، وأحد العباقرة الذين يفرضون خلودهم على الأيام، فهو العالم الديني المتلئ الجوانب من روح الشريعة وفقه أسرار الدين، وهو الفيلسوف الاجتماعي الذي لا يشق له غبار، وهو المربي الخبير بمواطن الرشد ومزالق الغي، إما التاريخ وقصصه وعبره، وإما الأدب وعصوره وشعره ومنثوره، وإما اللغة وغريبها ومأنوسها وتاريخ أطوارها، فهو في كل هذه حدث عن البحر ولا حرج، وقد تم الله عليه نعمته فآتاه حافظة موعية وذاكرة واعية، وأكمل

له أدوات العالم الأديب الفيلسوف».
ثم يستتلي في ثنائه وإطرائه قائلا: «فأنت كلما أصغيت إليه يخطب أو وهو يحاضر، أو قرأت له ما يكتب، أو جلست إليه في حلقات الدروس هالك منه الأسلوب الرائع والبرهان الساطع، ولم تعد تدري من أي النواحي يتملكك العجب، أمن فصاحة لسانه؟ أم من بلاغة كلامه؟ أم من أزهار المعاني تتفتق عنها أكمام الألفاظ المنتقاة؟ أم من طواعية اللغة للسانه وطواعية لسانه للغة؟ ورأيت كيف يستخدم الأدبُ الفلسفةَ، وكيف تستعين الفلسفة بالأدب، فيجريان كفرسي رهان من شباة قلم الإبراهيمي الجبار[١]، أو من لسانه القؤول الصؤول[٢]، ورأيت كيف تكون روعتهما مسخرين لخدمة الحق، مؤيدين للحقيقة، ناصرين لجنود الخير، ولقلت معي: سبحان الذي يؤتي الحكمة وفصل الخطاب من يشاء، ويحرمهما من يشاء»[٣].
فهذه الكلمات القليلة تقرب للقارئ منزلة الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتعطي صورة تقريبية لريادته الأدبية والإصلاحية.

تصويب السلوكيات الخاطئة

أثناء عودتي لبعض آثار الشيخ الإبراهيمي ألفيت تركيزا شديدا على معالجة الأخطاء والظواهر السلبية التي تنتشر في المجتمعات الإسلامية، وهي في عمومها تقاليد لا صلة لها بهدايات الإسلام ومقاصد شريعته؛ وبخصوص تلك السلوكيات التي كثيرا ما نشاهدها خلال شهر رمضان، يذهب الشيخ الإبراهيمي إلى أنها متعددة وأنها بحاجة إلى ترشيد وتوجيه وإصلاح. وفي البدء يسجل بأن التقصير في حق الشهر الفضيل يبدأ من محطة إطلاق أوصاف ظاهرية سطحية عليه، بينما هو زمن مبارك، قمين بأن يقترن بأوصاف تغوص إلى المقاصد التي يرومها هذا الركن الجليل، فيقول: «يسمي الناس هذا الشهر العظيم بشهر الصوم، أو شهر الإمساك، فيقتصرون على الظاهر من أمره، فيبتدئ التقصير منهم في جنبه من تسميته بأهون خصائصه، ووصفه بأيسر صفاته، ووزنه بأخف الموازين؛ وشيوع هذه المعاني السطحية بين الناس يفضي بالنفوس إلى تأثرات باطنية، تبعدها عن الحقائق العليا، وتنزل بها إلى المراتب الدنيا..»[٤].
ثم يلجأ إلى تصوير الباعث الذي دفع به إلى توجيه هذا النقد الذي لا بد منه، في سبيل تصحيح العلاقة بين المسلمين بدينهم وعباداتهم وشعائرهم؛ إنه باعث ضعف أثر أو مردود ما يزاوله المسلمون في المشارق والمغارب من عبادات وفرائض، وفي نظر الشيخ أن ما هون العبادات في واقع المسلمين «وصيرها عادمة التأثير، تفسيرها بمعاني الدنيا، وتفصيلها على مقاييسها، فالخوف من الله كالخوف من المخلوق، والرجاء في الله على وزن الرجاء في غيره، والتوكل كالتوكل، والقرب كالقرب.. وعلى هذه الأقيسة دخلت في المعاملات مع الله معاني التحيل.. فذهبت آثار العبادات وبقيت صورها، فلم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر، ولم يهذب الصوم النفوس، ولم يكفكف من ضراوتها، ولم يزرع فيها الرحمة ولم يغرها بالإحسان»[٥].
وهذا أمر جلل ينبغي أن يحظى باهتمام وعناية ومتابعة من كل مسلم حريص على فهم دينه فهما عميقا معززا بالأدلة، ومعضدا بإدراك الأهداف والغايات والمرامي، إذ من البداهة أن يكون «لكل عبادة في الإسلام حكمة أو حكم، يظهر بعضها بالنص عليه أو بأدنى عمل عقلي، ويخفى بعضها إلا على المتأملين المتعمقين في التفكير والتدبر، الموفقين في الاستجلاء والاستنباط؛ والحكمة الجامعة في العبادات كلها، هي تزكية النفس، وتطهيرها من النقائص وتصفيتها من الكدرات، وإعدادها للكمال الإنساني، وتقريبها للملأ الأعلى»[٦].
وفي موضع آخر من كتابات الشيخ البشير النفيسة، نجده ينعى بحرقة ومرارة وألم، على المسلمين المعاصرين شدة مبالغتهم وإسرافهم في تنويع الأطعمة والأشربة والملذات المختلفة، وفي نظر الشيخ فإن هذا الاستعداد المتناهي، أو المبالغ فيه «الذي يستعده مسلمو اليوم لرمضان بالتفنن والاستكثار من المطاعم والمشارب مخالف لأوامر الدين، مناف لحفظ الصحة، مناقض لقواعد الاقتصاد، ولو كان هؤلاء متأدبين بآداب الدين لاقتصروا على المعتاد المعروف في طعامهم وشرابهم، وأنفقوا الزائد في طرق البر والإحسان التي تناسب رمضان.. ولو فعل الأغنياء والمسرفون ذلك لأضافوا إلى قربة الصوم قربة أخرى ذات قيمة عظيمة عند الله، وهي الإحسان إلى المعدمين، وذات مزية في المجتمع، لأنها تقرب القلوب في الشهر المبارك، وتشعر الصائمين كلهم بأنه شهر إحسان ورحمة وتوكيد للأخوة الإسلامية»[٧].
إن الإمام البشير الإبراهيمي –حسب قراءتي لآثاره– يفرق بين حقيقة

الصوم، وبين مجرد الإمساك، فما أكثر المسكين -في رأيه- وما أقل الصائمين؛ وخلفية هذا التفريق، حرصه الأكيد على الارتقاء بتصورات المسلمين لعباداتهم وشعائر دينهم، فإن العبادات والفرائض إذا مورست في غفلة، بمنأى عن إدراك مقاصدها، تتحول إلى صورة من صور العادات، كما أن ثمارها وآثارها في حركة الحياة وفي شبكة العلاقات الاجتماعية، تكون محدودة أو شديدة الضعف، وهذه معضلة حقيقية، ينبغي التشديد على علاجها.

وحدة المطالع

ومن بين القضايا التي تصدى الشيخ البشير لها أيضا، وبذل فيها جهدا -كما يبدو في عدة مواضع من كتاباته- قضية اختلاف المطالع، التي تفضي في الكثير من الأحيان، إلى اختلاف المسلمين، سواء في بدء صوم أيام الشهر الفضيل، أو في بدء فرحة العيد، وهي كذلك من المشكلات التي تضعف وحدة الأمة الإسلامية وتؤثر سلبا في النسيج النفسي للمشاعر الإسلامية. وفي مقال له يوجه هذا النداء الذي يتفطر ألما وحرقة، لما في هذه المسألة من فرقة لصف المسلمين ومن إضعاف لدينهم ووحدتهم الروحية: «أيها المسلمون: في كل عام تفتنون في دينكم مرتين، فتختلفون في الصوم اختلافا شنيعا وتتفرقون في الإفطار تفرقا أشنع، وكلما جاء شهر رمضان الذي تصفد فيه الشياطين، انطلقت من بينكم شياطين تدعوكم إلى التفرق في شعيرة لم تشرع إلا للجمع، وتزين لكم الاختلاف في الدين باسم الفقه في الدين»[٨].

ولا يتناسى الإمام الإبراهيمي التذكير بلذة الاتحاد والوحدة في المناسبات الإسلامية، خاصة في رمضان والعيد الذي يعقبه لأنها من أجل المقاصد. فيقول «يضاعف جمال العيد وجلاله اتحاد المسلمين عليه، وكم لاتحاد المسلمين في أعيادهم من معان، وكم له من مزايا، أجلها أنه يغذي قوة المسلمين الروحية، ويمد قوتهم المادية بأمداد التحابب والتعاطف»[٩]؛ ثم يتطلع الشيخ إلى أن يفهم حق الفهم في تركيزه على هذه المسألة، لاسيما بالنسبة لقرائه المسلمين البعيدين عن وطنه بعدا جغرافيا لا روحيا، لأنه تصدى لهذه المشكلة في ظروف خاصة مر بها وطنه -إبان مرحلة الاستعمار الغاشم- فنجده وكأنه يلتمس بعض العذر في قوله: «لعل قراء البصائر من إخواننا في الشرق والغرب ينكرون علينا ولوعنا بهذه القضية، ويعدونها أهون من هذا الترديد لها، وتكرار القول فيها، وربما ينزل بمكانة البصائر في نفوسهم هذا الأنين المتصاعد من هذا القلم المتألم.. ويا ويح الشجي من الخلي[١٠]، ويمينا لو اطلعوا على الحقيقة، أو لو ابتلوا ببعض ما ابتلينا به لقام لنا عندهم عذر، أو لكان لنا منهم شفيع»[١١].

هذه قراءة مقتضبة لبعض قضايا شهر رمضان وعلاقة المسلمين بهذه الفريضة الجليلة في كتاب الأديب الأريب الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي «عيون البصائر»؛ هذا الكتاب المتميز في عطاء الإبراهيمي الفكري والأدبي، الذي قال فيه أمير شعراء الجزائر «محمد العيد آل خليفة» رحمه الله في قصيدة طويلة بعنوان «مشاعل حكمة»:

«عيون» بها تجلو «البصائر» نورها
علينا كما يجلو الكواكب مرصد
تجلى بها نور الهداية فاجتلى
بها هدف الإصلاح من هو أرمد
وأطلعها فكر «البشير بأفقه»
فما هي إلا أنجم تتوقد
ولا أدعي أني أقدم سفره
فذلك شأو عن بياني يبعد

الهوامش

١- شباة الشيء: حد طرفه، وشباة العقرب: إبرتها.
٢- القؤول الصؤول: الواسع الصول والتخوض في كل ضروب القول وأفانين الكلم.
٣- أحمد بن ذياب، صحيفة البصائر، العدد ١٢٤، السنة الثالثة من السلسلة الثانية للصحيفة، ١٩ يونيو ١٩٥٠م.
٤- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ١٩٨١م، ص٥٧٢.
٥- المرجع نفسه، ص٥٧٣.
٦- المرجع نفسه ص٥٧٤.
٧- المرجع نفسه، ص٥٧٥.
٨- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، الجزء الثالث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ١٩٨١م، ص١١.
٩- المرجع نفسه، ص٣٢١.
١٠- مثل عربي، استعمله أبو تمام في بيت من شعره، والشجي هو المهموم الحزين؛ أما الخلي فهو فارغ البال أو من لا هموم تقض مضجعه.
١١- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ص ٤٢٠.

د. أشرف زاهر محمد
أكاديمي بجامعة المدينة العالمية
مصر



أسرار وأنوار الشهر الكريم

خلق الله تعالى الإنسان لغاية عظيمة، وأخذ عليه العهد والميثاق أن يقوم بهذه الغاية، وهي عبادة الله تعالى، وحذره من عدوه الرجيم إبليس، فقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ (يس:٦٠-٦١)، ولما كان الإنسان مخلوقا ضعيفا تحيطه الملهيات كإبليس والدنيا والنفس والهوى، مما يعوقه عن طاعة ربه، تفضل الله تعالى على عباده بأن منحهم مواسم للخير والطاعة يجددون فيها وبها إيمانهم وعهدهم مع الله تعالى، ويطهرون قلوبهم، ويزكون نفوسهم، وعلى رأس هذه المواسم شهر رمضان، الذي جعله الله تعالى منحة ربانية لأمتنا، خير الأمم، تتوالى فيه النفحات والبركات، وتغفر فيه الزلات والسيئات، وتتضاعف فيه الأجور والحسنات، لاسيما أنها أمة قصيرة الأعمار قياسا بغيرها من الأمم.

ورمضان أفضل الشهور على الإطلاق؛ فلم يرد في غيره من الشهور ما ورد فيه من المناقب والخيرات، واستجابة الدعوات، ورفعة الدرجات، ولذا كثرت أسماء هذا الشهر؛ ومنها أنه «شهر الصبر» كما ورد في بعض الأحاديث[1]، و«شهر المواساة» كما ورد في حديث ثان[2]، و«سيد الشهور» كما ورد في حديث ثالث[3]، وسماه بعض السلف بـ«المطهر»؛ إذ تكثر فيه الرحمة والمغفرة، فيتطهر الناس من الذنوب والآثام.

ومن أسف أن فئاما من الناس غلبت عليهم حياة المادة، فذهبوا في إشباعها كل مذهب، حتى سيطرت على أرواحهم، فغفلوا عما في رمضان من معاني الإيمان، ولذا كان من الواجب أن نذكر في رمضان، أسراره وأنواره، خصائصه وفضائله، ونحاول فيما يلي أن نقطف بعض الثمار الدانية من رياض رمضان.

فتح أبواب الجنان

رمضان شهر العطايا الإلهية،

والفيوضات الربانية، فلا عجب أن يستقبله الكون استقبالا حافلا، حتى إن الجنة والنار يختلف شأنهما فيه عن سائر الشهور، قال النبي ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٤].

وفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار، يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، فيكون علامة لدخول الشهر، وتعظيما لقدره، وكذلك تصفيد الشياطين -أي شدها بالأصفاد، وهي الأغلال- ليمتنعوا عن إغواء المؤمنين في رمضان، ويحتمل أن يكون الحديث ليس على ظاهره، ففتح أبواب الجنة تعبير عما يفتح الله على عباده من الطاعات في هذا الشهر مما ليس في غيره، وفي ذلك أسباب لدخول الجنة، وكذلك المعنى في تغليق أبواب النار، وأما تصفيد الشياطين فعبارة عما ينكف عنه المؤمنون من المخالفات في هذا الشهر، والشغل بفعل الخير، فتكون الشياطين كالمصفدة؛ إذ يقل إغواؤهم[٥].

ورجح كثيرون حمل الحديث على ظاهره؛ إذ لا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن حقيقته[٦]، ومما يؤيد ذلك رواية أكثر تفصيلا: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب»[٧].

وهنا يثور سؤال وهو: إذا كانت الشياطين قد سلسلت عن الإغواء، فلماذا نرى المعاصي والشرور في رمضان؟ والجواب أنه إنما يغل الشيطان عن الصائمين الذين يحافظون على شروط الصيام وآدابه، أما غيرهم فلا يغل عنهم، ولوقوع الشر أسباب أخرى غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، وشياطين الإنس، والمراد بالتصفيد غالب الشياطين والمردة منهم، وتقليل الشرور[٨].

معسكر للإيمان

إن أصحاب الحرف والمهن يعقدون كل حين دورات يتدرب فيها أصحاب الوظيفة الواحدة على أعمالهم؛ لرفع كفاءتهم، وتجديد طاقتهم، وما أشبه رمضان بمعسكر، أو دورة إيمانية كبيرة، تعقد للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ ليتدربوا على وظيفتهم في الدنيا، وهي العبادة، في دورة مكثفة شهرا كاملا كل عام، فيزدادون إيمانا وقربا من الله تعالى.

وفي هذا المعسكر الإيماني الكامل يجاهد المسلمون نهارا بالصيام، ثم يجاهدون ليلا بالقيام، حيث اختص رمضان بصلاة التراويح التي يناجي المسلمون فيها ربهم، فتحيا القلوب، وتنتعش الأرواح، كما سن النبي ﷺ الاعتكاف في رمضان، وهو الخلوة المشروعة لهذه الأمة، خصوصا في العشر الأواخر، وقد كان النبي ﷺ يفعله حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده[٩]، والمعتكف يحبس نفسه على الطاعة من الصلاة، والذكر وقراءة القرآن، فيعكف بقلبه وجوارحه على خالقه، وليس له هم إلا أن يرضي خالقه.

ومن أعظم النعم في هذا الدورة الإيمانية ليلة القدر، وهي أرفع المنح؛ لأنها أفضل ليالي العام، والعمل فيها خير من العمل في ألف شهر ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ (القدر:٣)، وفيها تتنزل الملائكة إلى الأرض، ويقدر الله تعالى فيها أقدار العباد وأرزاقهم وآجالهم، كما يمتن الله تعالى برحمته فيغفر لعباده الذين قاموا هذه الليلة إيمانا واحتسابا.

تحرير الإرادة الإنسانية

اختار الله عزوجل لفريضة الصيام أفضل الشهور وأكرمها؛ وذلك لأن في الصيام تكريما للإنسان، وتفضيلا له على سائر المخلوقات؛ إذ في حبس النفس عما تألف سمو بالجانب الروحي على الجانب المادي، وإذا كان الطعام والشراب مما لا يستغني عنه الإنسان بحكم خلقته، كشأن ما يدب على الأرض من أحياء، إلا أن الإنسان أكرم من كل هذه المخلوقات، ومن لوازم تكريمه ألا يكون أسير شهوة عارضة أو لذة فانية، فكلما جاع أو عطش أكل أو شرب، وهذا ما يتجسد في الصيام فتراه يجوع ويعطش، لكنه يصبر عن المفطرات رغم توافرها بين يديه، ولا يستجيب لنوازعه، بل يحد من نهمة نفسه، وانطلاقها في الشهوات والملذات، وهذا كله لأن إرادة الإنسان قد تحررت بالصيام، فلم تصبح رهينة متطلبات جسده، بل هي رهينة لأمر الله تعالى ونهيه، فيمتنع عن المفطرات إيمانا واحتسابا، ومن ثم يستعصي على الشيطان، ويعتاد على مقاومته، ويرقى بنفسه عن حضيض الحيوانية، ويسمو إلى

درجات الملائكية، وتحرير الإرادة وضبط المرء لنوازع النفس هو ما يحقق التقوى، وهو الذي يفرق بين الحر والعبد، بل بين الإنسان والحيوان.

شهر القرآن

امتاز رمضان على بقية الشهور بأنه الشهر الذي نزل فيه القرآن، وهو معجزة الأمة الباقية، ومنهجها الذي ارتضاه الله تعالى لها حيث قال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقد نزلت في رمضان أيضا كتب سماوية أخرى، ففي الحديث: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان»[١٠].

وهذا يدل على شرف رمضان ورفعة منزله، ولذا شرف الله تعالى الأعمال فيه، وضاعف ثوابها، فالعمرة في رمضان تعدل ثواب حجة مع رسول الله ﷺ كما في الصحيحين[١١]، وسئل النبي ﷺ أي الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة في رمضان»[١٢]، وفي عموم القربات في رمضان روي قوله ﷺ: «من تقرب فيه بخصلة من الخير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»[١٣].

ولما كان رمضان شهر القرآن رأينا سلف الأمة يتفرغون فيه لتلاوته، فمنهم من يختمه في كل عشر ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل ثلاث، بل بلغ بعضهم في اجتهاده في رمضان مبلغا عجيبا، فهذا الأسود بن يزيد كان يختم القرآن كل ليلتين، وكان قتادة يختم القرآن كل ثلاث ليال، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان البخاري يختم في نهار رمضان كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة، وكان ابن عساكر يختم كل يوم، وكان الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة[١٤].

وليس في هذه الأخبار مخالفة للنهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث؛ لأن النهي يكون في حال المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، أو في الأماكن المفضلة، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم[١٥].

وختاما فإن رمضان فرصة عظيمة لمغفرة الذنوب ومحو الخطايا والآثام، حتى قيل إنه سمي رمضان؛ لأنه يرمض الذنوب، أي: يحرقها أو يغسلها بالأعمال الصالحة، ولله در ابن الجوزي حيث شبه الشهور الاثني عشر بأولاد يعقوب عليه السلام، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته، وبفضل يوسف غفر الله لإخوته، وكذلك بفضل رمضان يغفر الله تعالى برحمته ذنوب سائر الشهور، وكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب، فكذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب[١٦].

ولكل هذه الفضائل والمكرمات، وما يفتح الله للناس فيه من صنوف الطاعات والقربات، فإنه لمحروم حقا من انسلخ من رمضان، دون أن ينهل مما فيه من الرحمات والرضوان، وقد باء بالحسرات والخسران، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الأعمال الصالحات، والعفو عن السيئات، وأن يرفع أمتنا في أعلى الدرجات.

الهوامش

١- النسائي (٢٤٠٨)، وأحمد (٧٥٧٧) بإسناد صحيح.
٢- ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٣٦).
٣- عبدالرزاق (٧٨٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٦٥).
٤- البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩) واللفظ له.
٥- إكمال المعلم للقاضي عياض (٤/٥-٦)، دار الوفاء، مصر، ط. الأولى.
٦- فتح الباري لابن حجر (٤/١١٤)، دار المعرفة، بيروت، وإتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام، للهيتمي ص:٤٢، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط. الأولى.
٧- الترمذي (٦٨٢)، ابن ماجه (١٦٤٢)، والحاكم (١٥٣٢) وصححه.
٨- شرح السيوطي على مسلم (٣/ ١٨٣)، دار ابن عفان، السعودية، ط. الأولى.
٩- البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).
١٠- أحمد (١٦٩٨٤)، وأورده الهيثمي في المجمع (١/١٩٧)، وأفاد بأن فيه راويا مختلفا فيه، وبقية رجاله ثقات.
١١- البخاري (١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦).
١٢- الترمذي (٦٦٣).
١٣- ابن خزيمة (١٨٨٧)، والبيهقي في الشعب (٣٣٣٦).
١٤- سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥١)، (٥/٢٧٦)، (١٠/٣٦)، (١٢/٤٣٩)، (٢٠/٥٦٢)، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة.
١٥- لطائف المعارف لابن رجب ص١٧١، دار ابن حزم، ط. الأولى.
١٦- بستان الواعظين لابن الجوزي (ص:٢٢٧، ٢٣٠-٢٣١)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الثانية.



حمزة بلقروية
باحث في الفكر الإسلامي
الجزائر

نحو التغيير

تعيش أمتنا اليوم تمزقا كبيرا فيما بينها وأصبحت أراضي بعض بلاد المسلمين في أزمة مدمرة ولكن جاء رمضان ليبعث فينا الأمل من جديد وينثر بيننا رياح التغيير ويذكرنا بهويتنا المطموسة ويعيدنا للإيمان الذي أصابه الضعف في قلوبنا وليقول للأمة عودي لمبادئك وعودي لمنهجك القويم الذي به بنى أسلافنا حضارة لم يعرف لها التاريخ نظيرا.

وجاء رمضان ليكون إعلانا لثورة نفسية هدفها ترسيخ مكارم الأخلاق وحث النفس على الكرم والعطاء والصبر والثبات على الحق مع تطهير المجتمعات من الرذيلة والفساد والفحش والأنانية.

تعتبر الغاية الكبرى من الصيام في رمضان هي تحقيق التقوى التي اقترنت في القرآن بعدة مبادئ وقيم تشمل حياة الفرد والجماعة المسلمة، فمن التقوى أن يؤدي الواحد فينا الأمانات التي وكل بها ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (آل عمران:٧٥) وسياق هذه الآية يتحدث عن اليهود الذين ينظرون نظرة استعلاء للأمم الأخرى ولا يؤدون الأمانات التي عليهم فيجحدون حقوقهم ظنا منهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فجاء القرآن ليصحح المفاهيم ويثبت أن أداء الأمانات لأهلها هو واجب على كل الأفراد والجماعات وأنه لا قيمة للإنسان وللأمم إلا بمدى قربها من الله وهذا درس لنا بألا نغتر بانتمائنا لأمة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام فنترك العمل بمقتضى الإيمان بل علينا أن نسارع في الالتزام بأمر الله ورسوله وقد نبهنا الله إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ (النساء:١٢٣-١٢٤)، ومن أعظم الأمانات التي علينا القيام بها أمانة الدين، فنحن مطالبون بإقامة ديننا في واقع حياتنا وأن نلتزم به وأن نبلغه لغيرنا ونخدم رسالته، وما نعيشه اليوم هو انفصام في شخصية الأمة المسلمة مع الإساءة لديننا بإيصاله ناقصا أو مشوها للغير، فكانت النتيجة تراجعنا وانهزامنا في كل مجالات الحياة وانتشار الكفر والإلحاد في أرجاء العالم، وكم نحن بحاجة اليوم شعوبا وحكاما إلى تصحيح مسارنا بأن نعيش بديننا وأن نكون دعاة له، ومن التقوى أيضا الالتزام بمبدأ العدل مع كل الناس مهما اختلفت أجناسهم وأنسابهم ومعتقداتهم ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨)، والظلم نقيض العدل فأينما وجد حل الخراب وانعدم الأمن والاستقرار، ولن تعرف مجتمعاتنا الراحة والسلم الاجتماعي إلا بالعدل، وعلينا أن نراجع أنفسنا في معاملاتنا مع الصديق والعدو، ومع المؤمن والكافر، ومع القريب والبعيد، هل التزمنا معهم بالعدل أم ضللنا السبيل؟ ورمضان فرصة لنا لتصحيح المسار وتدارك هفواتنا، ومن التقوى أن نلتزم جميعا بالصدق حتى لو كان سببا في إحراجنا، فالمؤمن لا يكذب ولا يخادع غيره، وأعلى درجات الصدق هي أن يكون الواحد منا صادق القلب مع ربه فيخلص له أعماله ويجعل قلبه مرتبطا به في كل حركاته وشؤونه اليومية مع أهله أو في عمله أو مع أصدقائه وأعدائه، ويظهر ارتباط التقوى بالصدق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩)، إن التقوى صفة ملازمة للأفراد والجماعات وهي حالة نفسية يستشعر الفرد فيه مراقبة ربه له ومدى قربه منه، وجاء رمضان ليقرر هذه الصفة ويذكرنا فيها حتى تنهض الهمم من جديد وتصبح التقوى طابعًا لكل مجتمعاتنا المسلمة.



د. آندي حجازي
كاتبة تربوية
الأردن

من ثمرات الصيام

صيام شهر رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فقد جاء الصيام بجميع الشرائع السماوية وإن اختلفت بعض تفاصيله، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣). والله سبحانه وتعالى من لطفه تدرج في الحكم فبدأ بأنه كتب علينا الصيام كما فرض على الأمم السابقة، ثم بيّن أنه شهر فقط من كل عام، ثم رخص لمن لا يستطيع صيام بعض أيام من شهر رمضان لمرض شديد ألم به أو بسبب السفر فإنه يستطيع الإفطار، وعليه القضاء لاحقا، وهذا من رحمة الله بخلقه.

وهو الهدف الجوهري من الصيام، هو تعويد النفس على صوم الجوارح وتهذيب النفس والاستمرار فيما بعد رمضان على هذا المنوال، فمن لم يستطع الانتصار على شهواته في رمضان فهيهات أن ينتصر على مفاتن الحياة وإغراءاتها وصعوباتها. فالصوم شرعه الله تعالى لأهداف إيمانية روحية وتربوية ونفسية واجتماعية وصحية وليس لمجرد الجوع والعطش، فالله تعالى غني عن عبادة الناس؛ فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، ولكن هناك ثمارًا تعود على الصائم المسلم بالخير، ارتأيت أن نورد بعضا من تلك الثمار والحكم بما فتح الله علينا بإيجاز.

حكم مشروعية الصوم وثماره

١- تحصيل التقوى

كما أكد الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣). فأنت تشعر بالتقوى وتتدرب عليها حيث تصوم عن الطعام والشراب في حين لا يراك الناس، بل يراك رب الناس وخالق الأكوان. تتدرب وصولا إلى اتقاء كل ما يغضب الله تعالى من قول أو فعل، وفعل كل ما أمر به من قول أو فعل، فالتقوى هي ألا يفقدك الله حيث أمرك، وألا يجدك حيث نهاك. ومن ثمار التقوى تيسير الأمور وتوسيع الرزق والخير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣).

٢- ضبط النفس وصوم الجوارح

كما ذكرنا سابقا الصوم يساعد على السيطرة على النفس وتعويدها الابتعاد عن المحرمات وما يغضب الله تعالى، والتركيز على العبادات والطاعات وما يرضي الله تعالى، وليس فقط التوقف عن الطعام والشراب.

يقول أحد الصالحين: إذا صمت فليصم سمعك ولسانك عن الكذب والحرام، ولتصم يدك ورجلك عن أذى الأصحاب والجار، وليكن عليك السكينة والوقار، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء. فإن لم تفعل فستكون كما قال رسول الله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[١].

٣- السمو الروحي للصائم

حينما يستطيع الإنسان كبح جماح نفسه وكسر شهواتها والسيطرة على شهوات البطن والفرج لساعات طوال ولمدة شهر كامل؛ فإن روح الإنسان تسمو إلى الأفق الأعلى، ويبدأ يشعر بأن روحه خفيفة قريبة من خالقها ترغب بالطاعة وتقبل عليها، ولذلك تكثر الصلوات في المساجد وتكثر أعمال الخير والصدقات، حيث يذوق الإنسان حلاوة العطاء والقرب من الله تعالى والسمو الروحي. ففي الصوم تخلية للقلب للفكر وللذكر لله، وتقوية للروح من إسار الجسد، وقد قيل: «من جاع عظمت فكرته، وفطن قلبه».

٤- تعليم الصدق والأمانة والوفاء بالعهود

الصوم عبادة مستورة بين العبد وربه لا يعلم حقيقة أدائها وصدق العبد في الوفاء بذلك العهد إلا الله تعالى، وإذا تعود الإنسان الصدق مع الله تعود الصدق مع الناس في أمور حياته. «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»[٢]. لأنه عبادة بينه وبين الله تعالى ولا يعلم مدى الجهد والمشقة والصدق بها إلا خالق البشر. فالصوم نوع من العهد مع الله والالتزام به والوفاء له يعلم الإنسان الوفاء بالعهود والمواثيق مع البشر كإخلاصهم في أعمالهم مثلا ورد الحقوق والديون لأصحابها.

٥- تقوية الإرادة وتعليم الصبر

وقد قال رسول الله ﷺ: «الصيام نصف الصبر»[٣]. وكثير من أمور ومشاكل الحياة تحتاج الصبر؛ والصوم خير وسيلة لتدريب الإنسان عليه. فالصائم يجوع وأمامه شهي الطعام والشراب، ويعف عن معاشرة زوجته، من الفجر للمغرب، ولا رقيب إلا الله ولا يسنده بذلك إلا إرادته القوية، ويتكرر ذلك يوميا ولشهر كامل، فهذه مدرسة الصوم تعلم الصبر وتوجه الإرادة وتقويها. وهذا هدف الصيام تعويد الإنسان الصبر والتحكم بإرادته ومغالبة شهواته والدوافع النفسية الدنيوية لتغليب الدوافع الأخروية والعمل لأجل الآخرة.

٦- الإكثار من العبادات وأبواب الخير والحسنات

فرمضان شهر النفحات والطاعات والشياطين مصفدة وعداد الحسنات مستمر في شهر رمضان لمن عرف كيف يغتنمه، من خلال الصيام والصلاة والقيام والإكثار من قراءة القرآن الكريم وتدبره، والإكثار من الصدقة وإطعام الفقراء وتفطير الصائمين، قال رسول الله ﷺ: «من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»[٤]. والاعتكاف في العشر الأواخر وتحري ليلة القدر والاجتهاد بكل العشر، أو الليالي الفردية منها، وروت أم المؤمنين السيدة عائشة: «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده»[٥]. وقال بعض التابعين: عجبا من الناس كيف تركوا الاعتكاف، وقد كان رسول الله ﷺ يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض.

٧- اتحاد المسلمين وإظهار ذلك للعالم

وتظهر الوحدة في عبادة مشتركة بين جميع المسلمين في العالم وفي نظام موحد لساعات الطعام والصيام وأوقات الفطر والسحور وصلاة القيام، مع التسليم الكامل للعبودية لله والفرح بهذه الوحدة التي تشعر المسلمين بقوتهم وعزتهم بين الأمم، والتي لا أمة أخرى يوحدها شيء كما توحدنا شعائرنا وعباداتنا؛ فانظر إلى صفوف المصلين في المسجد الحرام وإلى ملايين الحجاج كل عام في صعيد واحد وإلى شهر رمضان، فهل من دين يجمع كل تلك القلوب والعقول والأهداف غير دين الإسلام العظيم ودين رب العالمين الأوحد.

الهوامش

١- مسند الإمام أحمد، ج٢، ص:٤٤١.
٢- صحيح البخاري، ج٢، ص:٢٢٦.
٣- سنن ابن ماجه، ج١، كتاب الصيام٧، باب٤٤، ح١٧٤٥.
٤- سنن الترمذي، ج٣، كتاب الصوم٦، باب٨٢، ح٨٠٧.
٥- صحيح البخاري، ج٢، كتاب الاعتكاف ٣٨، باب١، ح١٩٢٢.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي
مصري

محطة إشعاع حضاري

يمتاز الإسلام من بين حقائق كثيرة يمتاز بها، أنه يجعل حياة المسلمين كلها تدور في نسق واحد؛ لا ينفصل فيه السوق عن المسجد، ولا الحياة الخاصة عن العامة، ولا إدارة شؤون المجتمع عن ضبط السلوك الفردي، ولا تنعزل فيه مجريات الحياة عن مصائر الآخرة.

ذلك أن الإسلام جاء للحياة، وجاء بالحياة؛ ولم يأت لينعزل بين جدران أربعة، ولا لينحصر في سلوك فردي مهما بلغ صاحبه من زكاة النفس واستقامة الخلق: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

و«المسجد» الذي أقامه الإسلام ليكون موضع سجود المؤمنين وعبادتهم، جاء على نحو يميزه عما عرفه الناس من دور العبادة في غير الإسلام؛ واستمد معناه الأساسي من هذا المعنى الذي يتميز به الإسلام نفسه؛ وهو أنه دين للفرد والمجتمع، للأولى والآخرة، للقلب والعقل والروح والجوارح.. وهكذا كان المسجد في حياة المسلمين.

فلم يكن المسجد بناء من جدران وسقف، يلتقي فيه الناس للعبادة - بمعناها الشعائري - ثم ينصرفون؛ وإنما كان نقطة إشعاع للحياة والحضارة في مختلف الجوانب المادية والروحية، الفردية والاجتماعية.

كان المسجد، كما يقول الشيخ الغزالي «قلب المجتمع الإسلامي، وملتقى المؤمنين بالغدو والآصال؛ لأداء حقوق الله، واستلهام الرشد، واستمداد العون منه جل شأنه. وهو مصدر طاقة عاطفية وفكرية بعيدة المدى، خصوصا أيام الجمع عندما تنصت جماهير المصلين في سكينة وخشوع للإمام؛ وهو يشرح لهم تعاليم الإسلام، ويبين لهم حدود الله، ويفقههم على ما في الكتاب والسنة من عظات وآداب»[١].

فلم يكن المسجد مكانا للانعزال عن الحياة، بل محطة للتزود بما يعين على توجيهها وحسن إدارتها.. ولم يكن بناء يستأثر بالنور والهداية، بحيث يجد فيه المسلم سعادته وحضوره ثم يترك الدنيا على ما فيها من غبش؛ وإنما كان طاقة للإشعاع بحيث يمتد نوره للأرجاء كافة، حتى تصير الأرض كلها مسجدا وطهورا.

ولعل الحديث الشريف الذي يعدد ما خص به النبي ﷺ من منح وعطايا، التي منها: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[٢].. لعل هذا الحديث يشير بذلك إلى أن الأرض ينبغي أن تكون كلها مسجدا؛ لا من حيث إباحة الصلاة في أي بقعة منها فحسب، وإنما من حيث أن تهتدي الأرض بهداية المسجد، وأن تستنير بنور الإيمان الذي ينبعث منه.. حينها، تصير الأرض كلها مسجدا من حيث المبنى والمعنى!

وقد وقف الرافعي بقلمه البليغ، وتأمله العميق، عند هذه المعاني المكثفة في ذلك «البناء المسجدي»؛ فرآه بقعة من النور تصلح العالم، وتنفي عن الحياة أسباب زيغها، وتعيد للصف المجتمعي سلامته وإنسانيته، فيقول رحمه الله: «فما المسجد بناء ولا مكان كغيره من البناء والمكان؛ بل هو تصحيح للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب؛ فإن في الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها، وهذه كلها يمحوها المسجد؛ إذ يجمع الناس مرارا في كل يوم على سلامة الصدر، وبراءة القلب، وروحانية النفس؛ ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزهة مسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر، الذي يسمى الوضوء؛ كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد».

كما يوضح الرافعي دور المسجد في تحقيق الإنسانية والمساواة بين الناس، فيقول: «ثم يستوي الجميع في هذا المسجد استواء واحدا، ويقفون موقفا واحدا، ويخشعون خشوعا واحدا، ويكونون جميعا في نفسية واحدة؛ وليس هذا وحده، بل يخرون إلى الأرض جميعا ساجدين لله؛ فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز؛ ومن ثم فليس لذات على ذات سلطان، وهل تحقق الإنسانية وحدتها في الناس بأبدع من هذا؟ ولعمري أين يجد العالم صوابه إلا ههنا؟».

كما يبين الرافعي أن «المسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع؛ هو فكر واحد لكل الرؤوس، ومن ثم فهو حل واحد لكل المشاكل؛ وكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئه لا تتقدم، يقام المسجد، فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله»[٣].

إذن، المسجد ليس بناء للعزلة وإنما للتزود من طاقاته، وليس ملجأ للهرب من المجتمع وإنما لمعاودة إصلاحه ونشر النور بين جنباته.

في التجربة النبوية

كما تدلنا أحداث السيرة النبوية المعروفة، فقد كان للمسجد دور محوري في الحياة الجديدة التي أرساها الإسلام في المدينة المنورة،

حيث كان بناء المسجد من أولى المهام التي اضطلع بها المسلمون، وشكل مع إقامة السوق، ومع الإخاء بين المهاجرين والأنصار، تلك الثلاثية ذات الجذور الراسخة والجوانب المتعددة التي يقوم عليها المجتمع المسلم: جذر روحي يمثله المسجد، وجذر اجتماعي يمثله الإخاء، وجذر اقتصادي يمثله السوق.

ثم لم يكن المسجد يعكس الجذر الروحي فحسب؛ بل كان صورة مصغرة من حركة الحياة، ومجتمعا نابضا بالحيوية.

وتم بناء المسجد النبوي في حدود البساطة؛ فراشه الرمال والحصباء، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه، وقد تفلت الكلاب إليه فتغدو وتروح. لكن هذا البناء المتواضع الساذج، هو الذي - كما يقول الشيخ الغزالي - ربى ملائكة البشر، ومؤدبي الجبابرة، وملوك الدار الآخرة.

ولهذا، يؤكد الغزالي أن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي، تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي؛ فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب. وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هي لباب الإسلام، لكن الناس -لما أعياهم بناء النفوس على الأخلاق الجليلة- استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة، تضم مصلين أقزاما! أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها؛ فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام[٤].

في الحضارة الإسلامية

لقد كانت تجربة الحضارة الإسلامية في تفعيل دور مكان العبادة تجربة رائدة، واستطاعت أن تحول المسجد إلى مكان نابض بالحياة؛ بمختلف مجالاتها وأبعادها.

وإذا كان المسلمون قد عنوا بإنشاء المؤسسات التي قامت على أكتافها الحضارة الإسلامية، فإن المساجد كانت -كما يشير د. مصطفى السباعي- من أولى المؤسسات الخيرية التي كان المسلمون يتسابقون إلى إقامتها ابتغاء وجه الله؛ وكان الملوك يتنافسون في عظمة المساجد التي يؤسسونها.

ويضيف السباعي: «كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في حضارتنا؛ فلم يكن مكان عبادة فحسب؛ بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة؛ ثم أقيم بجانب المسجد الكتّاب، وخصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضة. وكان الكتاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر، وكان من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ثلاثمئة كتاب في مدينة واحدة من مدن صقلية.. ثم قامت المدرسة بجانب الكتاب والمسجد؛ وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية في عصرنا الحاضر، وكان التعليم فيها مجانيا ولمختلف الطبقات».

أي إن المساجد كانت نواة للحركة العلمية التي شهدتها حضارتنا، بل ونواة لنشاطات أخرى مثل الفتيا والقضاء.. حتى غدا المسجد ليس «بيت الله» فحسب، كما عبر الحديث الشريف[٥]، وإنما «بيت الجماعة» كما يلاحظ د. حسين مؤنس في دراسته الرائعة المفصلة عن المساجد.

ويلفت مؤنس إلى سبب مهم جعل المسلمين يتخذون من المسجد مكانا للقضاء والفصل في الخصومات، وهو حرصهم على تحقيق استقلال القضاء، فيقول: «المسجد هو بيت الله، وهو أيضا بيت الجماعة وبيت كل واحد منها على حدة؛ وهو الشيء الوحيد الذي كانت تملكه الجماعة مشتركة، وإن كان الذي بناه هو السلطان أو الخليفة أو الدولة. ولهذا فقد استخدمته الجماعات الإسلامية في تسيير شؤونها العامة مستقلة بذلك عن سلطان الدولة؛ وأظهر مثل لذلك هو استخدام المسلمين لمساجدهم دورا للقضاء، لا لأن الدول كانت عاجزة عن إنشاء دور للقضاء؛ بل لأن القضاة وأهل الورع أرادوا أن يسير القضاء في طريقه بعيدا عن تأثير الدولة ورجالها، فجلسوا في المساجد -وهي ملك الجماعة- واتخذوها مقرا للقضاة ومكانا للتقاضي»[٦].

وبعد أن يفصل د. مؤنس في دور المساجد وأثرها في بناء المجتمع الإسلامي، ينتهي إلى عدة حقائق مهمة، منها:

أولا: إن المساجد كانت مراكز اتصال بين أفراد الجماعة الإسلامية الكبرى، وفيها كان الغرباء من أبناء الجماعة الإسلامية الكبرى يتلاقون، ويتعرف بعضهم إلى بعض، ويشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة هي أمة الإسلام؛ وبفضل المساجد لم يكن المسلم يشعر بأنه غريب في بلد إسلامي.

ثانيا: إن المساجد -في أحيان كثيرة جدا- كانت «النواة» التي نشأت حولها جماعة إسلامية جديدة؛ فكان بعض التجار أو المهاجرين المسلمين إلى بلد غير إسلامي ينشئون «زاوية» تجتذب أهل البلد إلى الإسلام، فتنشأ جماعة إسلامية حول هذه الزاوية.. وبهذه الصورة انتشر الإسلام في نواح كثيرة جدا من إفريقية المدارية والاستوائية، وفيما يلي الهند شرقا من بلاد آسيا(٧).

المساجد.. رؤية معاصرة

بعد هذا التطواف الموجز في الدور المهم الذي قامت به المساجد في صناعة الحضارة الإسلامية، وتقوية نسيج المجتمع؛ لعل سؤالا مشروعا يطرح نفسه عما بقي للمساجد من دور، بعدما انتقلت وظائف كثيرة كانت تؤديها إلى مؤسسات حديثة أكثر قدرة على القيام بهذه الوظائف؛ التي تشعبت واتسعت مع تشعب حركة الحياة المعاصرة واتساعها.

وهذا صحيح لا ريب، لكن من المهم أن ندرك أنه حتى بعد استقلال هذه المؤسسات بأبنية وهياكل أكثر اتساعا -مثل مؤسسات التعليم، والصحة، والقضاء- فمازال للمساجد دور مهم يمكن أن تضطلع به. وهذا الدور سيكون جزءا من دور أعم، هو دور المجتمع المدني -باللغة المعاصرة- الذي يأتي مهما ومتكاملا مع دور الدولة في النهوض بالمجتمع.

فمع قيام مؤسسات حديثة بمهام كثيرة، كان المسجد قديما يقوم بها، إلا أن هناك مساحات تظل شاغرة تنتظر من يقوم بها؛ نظرا لاتساع حاجات الناس، ولقصور الدولة -أي دولة- عن الوفاء بكل متطلبات المجتمع.. وهنا يأتي دور المجتمع المدني، الذي يمثل المسجد بملحقاته أساسه وركيزته الكبرى، حسب الخبرة الحضارية الإسلامية.

فمثلا، الدولة الحديثة نظمت التعليم في مدارس ابتدائية فإعدادية فثانوية فمعاهد وجامعات.. لكن قد تتسرب فئات من التعليم، أو تحرم منه أصلا.. وهنا للمسجد دور في إنشاء فصول محو الأمية، خصوصا إذا قامت على جهد تطوعي. فنكون بهذا الجهد التطوعي قد سددنا خللا في خريطة التعليم، ووظفنا طاقات في المجتمع، من اليسير توظيفها إذا احتسبت عملها عند الله تعالى.. وما أيسر أن يشيع هذا الخطاب الباعث على التطوع، من خلال المسجد، كمنبر وحاضن، بل هذا دور أساسي له.. والتجارب تدلنا على أن التطوع قد يكون أكثر فاعلية في الإنجاز.

وقل مثل هذا في قطاع الصحة؛ فنرى في بلاد كثيرة قيام عيادات أهلية في ملحقات المسجد، تغطي مساحة كبيرة من حاجة المجتمع الطبية، لاسيما أن هذه العيادات الملحقة بالمساجد تكون مجانية أو بأجر رمزي، فتستفيد منها الشرائح غير القادرة.

كما أن ذلك، يصدق على الدور التكافلي في المجتمع؛ من خلال لجان الزكاة والصدقات.. ويصدق أيضا على الدور الاجتماعي المتصل بالحفاظ على الأسرة؛ من خلال إنشاء لجان تختص بالتوعية الأسرية وفض النازعات، من دون اللجوء إلى المحاكم وإرهاقها بما يمكن تداركه..

ولا يغيب عن بالنا أن ذلك لابد أن ترافقه عناية بتطوير أداء الدعاة والخطباء، وتحسين مستواهم المعرفي والثقافي؛ حتى تكون خطب الجمع والدروس منارات هداية، وتتماس مع واقع المجتمع ومشكلاته وتطلعاته..

وهكذا نرى أن للمساجد دورا فاعلا يمكن أن تؤديه، وفي مجالات شتى؛ وأن قيام الدولة الحديثة لا يغني عن الانتباه لما في المساجد من طاقات وإمكانات ينبغي تفعيلها وتوظيفها.

المساجد في خبرتنا الحضارية لم تكن أبدا مجرد دور عبادة -بالمفهوم الشعائري- وعلينا أن نبحث عن هذه الامتدادات في واقعنا المعاصر.. وما أيسر ذلك، وما أشد حاجتنا إليه..!

الهوامش

١- «مئة سؤال عن الإسلام»، الغزالي، ٢/١٥٢، دار ثابت، ط١، ١٩٨٤م.

٢- عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة» (متفق عليه).

٣- «وحي القلم»، الرافعي، ١/٣٠٤.

٤- «فقه السيرة»، الغزالي، ص:١٩٠، دار الكتب الحديثة، ط٦، ١٩٦٥م.

٥- عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن بيوت الله في الأرض المساجد، وإن حقا على الله أن يكرم الزائر»، أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبدالله بن يعقوب الكرماني، وهو ضعيف».

٦- «المساجد»، د. حسين مؤنس، ص:٣٠، سلسلة عالم المعرفة.

٧- المصدر نفسه، ص:٣٧.



عبدالله شريف
دار الإعلام العربية
القاهرة

المسجد وصلاح المجتمع

لم يكن المسجد في يوم من الأيام مكانا لأداء الصلوات فحسب، بل كان إضافة إلى ذلك مركزا لخدمة المجتمع ورفده بالسلوكيات القويمة، وإعداد أجيال تجمع بين الدين والدنيا، العلم والثقافة، جلاء الروح وصقل النفس مع تحصيل أسباب الدنيا وإعمارها. وفي شهر الخير، الذي أنزل فيه القرآن، تستعيد المساجد ألقها، وتمتلئ بعمارها، فتفيض عليهم من خيرها، فلا يخرجوا منها إلا وقد زكت نفوسهم، وتبصروا في شؤون دينهم ودنياهم، فيستقيم المجتمع ويعرف سبيل الخلاص من شوائبه.. هذا ما يؤكد عليه عدد من العلماء حول أهمية المسجد في التنشئة الاجتماعية؛ لنتابع.

بداية؛ يؤكد د. محمد مهنا، مستشار شيخ الأزهر، المشرف السابق على الرواق الأزهري، أن المسجد هو «أعظم مدرسة عرفتها البشرية»، مشيرا إلى أن التنشئة في المساجد أثمرت الكثير من قادة العالم الإسلامي الذين جابوا الدنيا بالعلم والخير والحق، مضيفا أن حرص الآباء على ربط أطفالهم بالمسجد واجب ديني واجتماعي، لأنه يسهم في ترك أثر قوي داخلهم يقوم سلوكهم الاجتماعي، ويصلح علاقتهم مع خالقهم، فالمسجد كفيل بإصلاح العلاقة مع كل الناس إذا ما صلحت العلاقة بينك وبين ربك.

مسار حياة

ويصف مهنا مفهوم المساجد، مؤكدا أنها أشمل وأوسع من كونها مجرد بيت للصلاة والتجمع لأداء العبادات، بل هي مواقع للجهاد والعلم وتسيير حياة الناس، فلم يكن المسجد في يوم من الأيام منفصلا عن واقع الناس وحياتهم وتفاصيل معيشتهم، بل ظل دوما المصحح لمسار حياتهم، وعلاقاتهم البينية، ومقوما لأي خلل أو اعوجاج.

وأشار إلى أن المسجد هو المحدد الحقيقي لـ «هوية المسلم»، التي تميزه عن غيره من الثقافات، يخرج من بيته إلى مسجده يتعلم ليصبح إنسانا صالحا، محبا لوطنه ومجتمعه، فاعلا للتغيير القويم، تعكس أخلاقه مصداقية صلته بربه، قال رسول الله ﷺ: «البر حسن الخلق» (صحيح مسلم)، وقال أيضا: «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (أخرجه أبو داود).

وتابع قائلا: «نواجه الآن جيلا شرسا مشوها لم يتعلم في البيت أو المسجد أو المدرسة أي شيء يعكس هويته، كل ثقافته وتعليمه مقتبس من الإنترنت والفضائيات»، لذلك يجب إعادة النظر في منظومة الأخلاق في المجتمع العربي، بأن يعود المسجد لقيادة المجتمع، فمن خلاله يمكن ضبط الأطفال وتهيئتهم نفسيا وتفهيمهم المراد من الدين الإسلامي، وكيف يخرجون للحياة مفيدين لدينهم ومجتمعهم ووطنهم وللإنسانية جمعاء، فقد ربى الرسول ﷺ أصحابه في المسجد، وعلمهم وهذب سلوكياتهم، فخرجوا قادة للعلم والرأي والجهاد، ونحن في الأزهر الشريف نحاول من خلال مشروع الرواق الأزهري إحياء دور المسجد، ليكون مصلحا للمجتمع.

أدوار عديدة

في السياق ذاته، قال د. عبدالمنعم فؤاد، عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين، والمشرف الحالي على رواق الأزهر، إن الله نسب المساجد إلى نفسه في القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨)، وهذا تشريف وتكريم وتعظيم لبيوت الله، وبالتالي لدورها العظيم على مدى التاريخ.

ووصف المساجد «بالمؤسسة الدينية المركزية»، فحولها تدور كل مؤسسات المجتمع الأخرى، فيها تزرع روح الأخوة بين الناس، وشتى الأخلاق الحميدة، فهي أساس حياة المسلم، بيوت الله في الأرض، ومدرسة العلم ومشفى الأبدان، ملتقى العلماء، ومنصة إعلان لكل ما يهم الفرد والمجتمع.

مهنا: للمسجد دور رائد في تصحيح مسار الناس وتقويم أي خلل أو اعوجاج

ويمكن تلخيص دور المسجد على مدار التاريخ في خمسة أمور: الأول أنه كان مكان التعليم الأول، يأتي إليه المسلمون للنهل من العلم الشرعي وتعليم الأطفال أساسيات الدين، وفي العصر الحالي لا يمكن القول إن المسجد هو المكان الوحيد الذي يعلم الأجيال أساس الدين، لكن دوره ما زال قائما، من خلال خطب الجمعة وحلقات العلم، خاصة مع انشغال الناس في أمور الدنيا.

أيضا للمسجد دور مهم في الرعاية الاجتماعية، فقد كان النبي ﷺ يدعو إلى الصدقة ويأمر بالزكاة ويجمع الغنائم ويفرقها في المسجد،

د. عبدالمنعم فؤاد: بيوت الله مشفى الأبدان.. ملتقى العلماء ومدارسة العلم

وفي الوقت الحالي تنتشر الجمعيات الخيرية وأماكن جمع الصدقات والزكاة الرسمية، لكن يمكن حث النشء على الصدقة في المسجد لإعمار بيوت الله، أو مساعدة المحتاجين لكي نزرع فيهم حب الخير والعطاء.

أيضا كانت المساجد في العصور الأولى للإسلام مكانا لاستقبال جرحى الحروب والمصابين، فكان يؤدي دور المستشفى، أيضا استخدمت المساجد في عقود الزواج حتى اليوم، وإصلاح ذات البين، كما كانت ملاذا لقضاء حوائج الفقراء، وهو الأمر الذي تقوم به الآن مؤسسات أخرى.

وطالب فؤاد بتعظيم دور المسجد في نفوس الأبناء وتنشئتهم على حب الذهاب والصلاة في جماعة.

داخل المسجد وخارجه

أما د. أحمد زايد، أستاذ علم الاجتماع، فيقول: إن من بين الأدوار الاجتماعية للمسجد تقوية الوازع الديني لدى الفرد ما يجعله ملتزما بقيم عظيمة أصيلة تدعوه لحماية الدين والوطن، والحفاظ على البشرية والإنسانية كلها.. فهذا الوازع الديني هو إستراتيجية ضبط لمقاومة أي انحراف، فكما ينبغي أن تضبط سلوكياتك عند دخول المسجد، أيضا فمن ثمار المسجد على الإنسان أن يضبط نفسه وسلوكياته تجاه مجتمعه، ففي الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (البخاري ومسلم).

وتابع د. زايد أن دراسات كثيرة

أجريت على تأثير المسجد على أفراد المجتمع، يمكن تلخيصها في أن انعكاس الأخلاق في المسجد على خارجه، وضرورة الالتزام، ومساعدة المحتاج وغض البصر وحماية المرأة والإحسان إلى الغير، وعدم كراهية الآخر.. منذ الصغر يسمع الطفل هذه التوجيهات، فتتكون لديه شخصية وهوية مسلمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحب الخير وتسعى إليه طالبة الأجر من الله، لكن في العصر الحالي هناك تقصير كبير من جانب من يوصل هذه التوجيهات من أئمة المساجد، الذين ينبغي أن يكونوا قدوة، وقادة يستطيعون التأثير وتوصيل الإسلام الحقيقي، وطالب د. زايد المؤسسات الدينية بالعمل على تكثيف المحاضرات والاجتماعات حول تعليم الشباب كيفية التسامح والتعاون وأن تنعكس قيمنا على سلوكياتنا خاصة في تعاملنا مع الغير، وفي ذلك إنماء للمجتمع وتقوية للحمته.

وأكد أن للمسجد آثارا على داخليه يجدها المصلي مثلا في سلوكياته، فالهدوء وخفض الصوت وتقديم الكبير والنظافة الشخصية، كلها من السلوكيات الحميدة التي تنعكس على المجتمع بصورة إيجابية.

كما أن المسجد مكان للتعارف وتبادل الثقافات وتبادل الرأي حول أمور شرعية، وهذا يعظم فكرة الاختلاف وقبول الآخر وألا فرق بين مسلم وآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).

ودعا أستاذ الاجتماع الآباء إلى تعويد أبنائهم على الذهاب إلى المساجد ليتعلموا الخصال الحميدة ويجتمعوا على الخير، مشيرا إلى أن على وسائل الإعلام مواجهة الأفكار التي تخوف من المساجد.

د. أحمد زايد: سلوكياتنا مع الآخر مرآة لنجاح دور المسجد في المجتمع

تسامح وانتماء

في سياق متصل، أكد د. محمد الفاتح، أستاذ علم النفس بجامعة الأزهر، أن المسجد هو المربي الثاني لنفسية الأطفال بعد الأسرة، من خلاله يخرج الطفل سويا عاقلا، مشيرا إلى أن الأئمة والعاملين في المسجد إذا قاموا بدورهم على أكمل وجه فسيخرج الطفل والإنسان عامة سويا مفيدا لمجتمعه.

وتابع: «في الوقوف بين يدي الله راحة خاصة حين ينثر الفرد حموله وهمومه، ويترك الدنيا وراءه وهذه مشاعر علينا تعويد الشباب عليها، عندما تأتي الدنيا على أحد فلا يجد أمامه إلا المسجد للتقرب من الله، والتضرع بين يديه، وارتباط الشاب بذلك يجعله يصبر على كل متاعب الدنيا، ويجب على الآباء أن يربوا أبناءهم على حب المساجد، بداية من سماع الأذان والتبكير بالذهاب إلى المسجد وتعلم السكينة والوقار، وإجلال الكبير، وخفض الجناح للمسلمين».

د. محمد الفاتح: يعزز مفاهيم الرحمة والرفق والعدل والتسامح والانتماء

وأشار د. الفاتح إلى أنه بداية من الخروج من المنزل لأداء الصلاة وحتى العودة إلى البيت يربي ذلك في الشاب نفسية سليمة تدعو إلى الخير، فيترك كل شيء من أجل الله، يتطهر ويحسن مظهره، يذهب إلى لقاء ربه، يتعلم القرآن ويتدارسه، يسمع أحاديث رسول الله ﷺ ويحرص على الامتثال لما فيها من أوامر ونواه.. كل ذلك يعين النفس على حب الدين والمسجد، والتكافل ونشر المحبة والتسامح بين الناس، وإذابة الشحناء ونبذ الفرقة والتعصب.. ذلك أن المسجد يخلق في النفس الشعور بالسكينة والهدوء وراحة البال، والإحساس بالقوة وبالجماعة حوله والانتماء للجماعة، فضلا عن تأصيل مفاهيم الرحمة والرفق والعدل.

وأكد أن المسجد يدرب الأطفال على المشاركة الاجتماعية وتعليم أخلاق الشجاعة والتواصل، كذلك الترتيب والتنظيم والحفاظ على المظهر من خلال رؤيته تراص الصفوف وترتيب المصاحف، كما يتعلم من اتباع الإمام فيما يقوله، لأنه قائد المكان ويتعلم احترام الكبير وآداب سماع القرآن والأحاديث، كذلك يستشعر مراقبة الله له وتحذيرات الناس له من



التصرفات الخاطئة فتكمن في نفسه.
وطالب بتهيئة الطفل نفسيا لحب الذهاب إلى المسجد، وسرد أهم الأحداث التي شهدها وكيفية البناء والتزيين، فضلا عن ربط الذهاب إلى المسجد بشيء يحبه كالذهاب للأقارب أو شراء حلوى، مع ضرورة تعليمه آداب المسجد.

في معية الصالحين

أخيرا، يؤكد د. عبدالصبور فاضل العميد السابق لكلية الإعلام بجامعة الأزهر، أن المسجد كان المنبر الصادق لاستقاء المعلومات في وقت كانت تنتشر فيه الشائعات في مجتمع المدينة المنورة، فكان الخبر اليقين يعلن في المسجد، كان أداة دقيقة لتوصيل المعلومة للناس، مشيرا إلى أن دوره تراجع كثيرا في العصر الحالي لأسباب كثيرة.
وأضاف: «المنبر وسيلة شديدة القوة والأهمية لتنشئة الأجيال، لذا علينا تهيئة الأئمة والعلماء لكيفية إيصال المعلومات الشرعية الصحيحة لهم، وعلى الأئمة أن يحببوهم في المسجد، وأن يتعلقوا بإمام يعلمهم الخير ويدعوهم إليه ويجيب عن تساؤلاتهم بعلم وصدق».
وأضاف: إن المسجد من أهم المؤسسات التي تؤثر على الشباب وقادرة على رفع وعيهم بشكل أفضل وأسرع من وسائل الإعلام، لأن عملية التواصل في المسجد تتم بشكل مباشر.
وطالب الإعلام بأن يوجه للآباء حملات اجتماعية تثهم على اصطحاب الأبناء إلى المساجد والفوائد التي تعود عليهم من خلال ذلك وهي كثيرة، منها تعليمهم مبادئ الدين الحنيف ووحدة المسلمين في الصلاة أمام رب واحد بحركات وأذكار واحدة.. مشهد اصطفاف لا فرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (صحيح البخاري).
وقال: إن تعويد الطفل على ارتياد المسجد منذ الصغر يجعله يواظب عليه في الكبر، ويتعلق قلبه به

د. عبدالصبور فاضل: المنبر وسيلة شديدة الأهمية لتنشئة الأجيال على الخير

حتى يدخل في زمرة من يظلهم الله في ظله، قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه والذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب، وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (البخاري ومسلم).
وأضاف د. عبدالصبور الشباب الآن يفتقدون مبادئ الثقافة الدينية السليمة، يأخذون من هنا وهناك معلومات خاطئة غير موثقة، وحضور الطفل دروس العلم في المسجد وحلقات تحفيظ القرآن ينمي لديه ثقافة تحميه من الغلو والتطرف والتفريط أيضا.. كما يجنبه رفقة السوء ويجعله في معية الصالحين.



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية - مصر

تنمية الوعي في بيوت الله

يعد المسجد إحدى أهم المؤسسات التي تشكل وعي المسلم الروحي والثقافي والاجتماعي. وقد كان المسجد، ببنيانه ورسالته، أحد أبرز المعالم في الحضارة الإسلامية، ومازال قادرا على أداء دوره في إصلاح النفس والمجتمع والعمل على التنشئة السليمة للفرد، التي تقوم على البناء الروحي والعقلي وتمكنه من التعاون مع إخوانه في الدين وشركائه في الإنسانية لما فيه خير الكوكب الأرضي وسكانه.

ولا شك أن صاحب أحد الأدوار الكبرى في منظومة التنشئة الاجتماعية هو إمام المسجد، الذي يشعر بمسؤوليته نحو مجتمعه فيعمل على مد جسور الترابط والتفاهم بين جمهوره على اختلاف طبقاتهم، ويسعى إلى خلق حالة من الوعي الاجتماعي بالقضايا المهمة والحث على الرشد السلوكي الذي يحافظ على البنيان المرصوص من أن تمتد إليه يد تكدر السلم وتبث روح الفرقة بين أفراده.

طابع خاص وميزة متفردة

وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية تقوم بها عدة مؤسسات تبدأ بالأسرة، ومعها المدرسة والأصدقاء والإعلام؛ المقروء والمسموع والمرئي، ووسائل التواصل الاجتماعي، فإن أوضح الآثار وأبقاها -لو أحسنا استغلالها- تلك التي توضع بذورها وتتم رعايتها في المسجد؛ لأنها تقع في أطهر رحاب وفي ظروف تتهيأ فيها النفوس للطهر والبعد عن أدران الأحقاد والسعي إلى السمو.

وإذا نظرنا إلى عملية التنشئة الاجتماعية على أنها مستمرة لا تتوقف بانتهاء مرحلة زمنية معينة أو مستوى تعليمي محدد، وأن الانسان قابل للتعليم طالما بقي فيه نفس يتردد وعقل يفكر ونفس تتوق إلى الكمال، وجدنا أن هذه الديمومة لا تتوافر في مؤسسة كما تتوافر في المسجد.

ومما يميز المسجد عن غيره من محاضن التربية أنه المكان الذي يسعى إليه كل الناس وهم مستعدون لتلقي النصح والإرشاد أيا كان مستواهم العقلي والعلمي والاجتماعي.

أولويات التوعية الاجتماعية

ويمكن للمسجد أن يقوم بالتوعية في عدة قضايا مهمة تنصلح بها أحوال

المجتمعات وتستقيم أمورها وترتفع بين الأمم، منها:

١- تنمية الشعور بروح الجماعة

في عالم تتقطع فيه الروابط الأسرية والاجتماعية ويتعالى الشعور بالأنانية المفرطة، ينبغي توجيه المصلي إلى أنه فرد في أمة؛ يقوى بقوتها ويضعف بضعفها، يمدها بالعمل فتمده بالأمن والرخاء، يعطيها شبابه فتحنو عليه وعلى أولاده في كبره وشيخوخته.

يتلمس المسلم هذه المعاني وهو يناجي ربه مع غيره من المؤمنين في صلوات الجماعة بفاتحة الكتاب فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ (الفاتحة:٥-٦).. إنه فرد فلماذا يخاطب ربه بأسلوب الجمع؟ أجاب الإمام ابن كثير رحمه الله: «المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد، والمصلي فرد منهم، ولاسيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير»[١]، إنه يصلي وحده أو في جماعة ويخاطب ربه سبحانه، ولا ينسى أنه فرد في أمة تمتد عبر الزمان والمكان.

ما أجدر هذه المعاني أن تترسخ في نفسه وهو يسمع الإمام يقول: «تراصوا»؛ اقتداء برسول الله ﷺ الذي كان يقبل على أصحابه بوجهه قبل أن يكبر فيقول: «تراصوا، واعتدلوا، فإني أراكم من وراء ظهري»[٢].. يتراص مع إخوانه المصلين في صفوف الصلاة بين يدي الله كما يتراص معهم في ميادين الخير التي يحتاج إليها المجتمع. إن من نشأ على مثل هذه المعاني السامية، لن يدخر وسعا في السعي لما فيه خير مجتمعه وأمته، سواء ذكره الناس أو نسوه، وسواء شكروه أو قصروا في ذلك

٢- غرس روح المسؤولية

تعلمنا الصلاة تحمل المسؤولية؛ فالمسلم مسؤول عن أدائها في أوقاتها، بل هي أول ما يحاسب عليه العبد، قال ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد المسلم يوم القيامة الصلاة المكتوبة، فإن أتمها، وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع. فإن كان له تطوع أكملت الفريضة من تطوعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك»[٣].

وهو مسؤول مع إخوانه من المصلين عن تسوية الصف الذي يقفون فيه بين يدي الله للصلاة، فلا يتقدم عن الصف أو يتأخر، بل عليه أن يقف بحذائهم، عن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يأتينا فيمسح على عواتقنا وصدورنا، ويقول: «لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، أو الصفوف الأول»[٤]، فإن خالف بين صف الصلاة كان سببا في اختلاف قلوب المصلين.

يمكن لمؤسسة المسجد أن تقوم بدور فاعل في غرس الشعور بالمسؤولية، بدءا من مسؤولية الانسان عن نفسه؛ بدنا وروحا، حفظا وتنمية، ومسؤوليته عمن يعول، قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢)، أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها.. وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أمته، وأهل بيته على التخصيص. وكان عليه السلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي، رضوان الله عليهما، فيقول: «الصلاة»... وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي وهو يتمثل بالآية[٥]. إن مسؤولية المسلم عن أهله توجب عليه أن يأمرهم بالصلاة وأن يكون قدوة لهم في أدائها والمحافظة عليها وإتمام ركوعها وسجودها.

الإنسان الذي يدرك مسؤولياته نحو نفسه ونحو أهله ويقوم بها، إنسان ناضج قادر على القيام بأعباء مسؤولياته نحو مجتمعه، أما من لا يتحمل المسؤولية ولم ينشأ على ذلك لا في البيت ولا في المسجد، فماذا ننتظر منه غير أن يكون شخصية ضعيفة تعلق أخطاءها على شماعة الآخرين، وتنتظر المعونة من الجميع من دون أن تمد يدها بإحسان أو نفع حتى لنفسها ولأقرب الأقربين.

٣- السلام النفسي باب للسلام الاجتماعي

ينبغي أن تحتل قضية السلام النفسي مكانتها اللائقة بها في دروس الإمام وخطبه وتوجيهاته للمصلين؛ لأن افتقاد الانسان هذا النوع من السلام يدفعه للصراع الداخلي ويبقى هذا الصراع في داخل النفس الإنسانية مكبوتا أو يظهر في الكلام والتعاملات مع بقية المجتمع، فالنفس التي تشعر بالقلق وتعاني من الاضطراب لا يمكن أن تنعم بالسلام ولا أن تترك غيرها ينعم بالسلام.

ومن سبل تحقيق السلام الداخلي للإنسان:

أ- إقامة الصلاة واستشعار أنها مناجاة لله تعالى. ولنأخذ التشهد مثالا على ما تبثه الصلاة في نفس



المؤمن من سلام ينعم به ويسعد به من حوله ففي التشهد يقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[٦].. «السلام علينا» إيحاء للنفس بحلول السلام ومع تكراره يستقر فيها. وفي قوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» إلقاء للسلام على كل عبد قائم بحق الله وبحقوق الآخرين، سواء كان من الإنس أو الجن أو الملائكة، ليكون السلام -باستشعار هذه الكلمات- روحا تسري في الكون تنتقل من كائن إلى كائن، ثم يسلم عن يمينه وشماله ثم تتصل الأرض بالسماء بهذه الكلمات: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»[٧].

ب - الحديث عن الآخرة في الخطب والمواعظ التي تلقى في المسجد بطريقة تؤدي إلى إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه وتطرد القلق والسخط والقنوط، وذلك:

أن الجزاء الأوفى ليس في هذه الدنيا إنه هناك في الآخرة، والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب، فلا ندم على خير فعله المسلم أو جهد بذله في سبيل تحقيق رضا الله ونفع الناس، ولا قلق على أجر، إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس فسوف يوفاه بميزان الله، ولا يأس من العدل إذا نال من لا يعملون أكبر الحظوظ في الدنيا، فالآخرة عند ربك للمتقين وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا.

وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة، وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة العمر القصير المحدود[٨]، واستثمار الخطاب الديني لهذه المعاني يخفف من حدة النزاعات التي تقع بين الناس، ويملأ النفس بالسلام الداخلي، ومن ثم تنطلق في سعيها نحو الحق متعاونة مع غيرها لا متشاكسة.

٤- السلم المجتمعي

في رحاب بيوت الله يجتمع الناس على اختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم والفروق العلمية والاجتماعية والمالية.. يقفون جميعا بين يدي الله وبينهم ما بينهم من الخلاف والاختلاف. والعبادات المتنوعة التي تتم في المسجد قادرة على تخفيف الأحقاد وتوفير الفرصة الملائمة لنزع فتيل الخلاف، الذي لو بقيت شرارته لأحرقت القلوب بالحقد، والعلاقات بالقطيعة، وأصابت الجميع بالوهن، فيمكن لجماعة المسجد تتبع مثل هذه الخلافات بين أفرادها والمجتمع من حولها، ومحاولة رأبها بالتعاون مع إمام المسجد من خلال لقاءاتهم في الصلوات الخمس وتحلقهم في حلق الذكر والعلم، حيث تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله فيمن عنده، حين ذلك ترق القلوب وتكون أكثر استعدادا للتسامح وأقدر على تجاوز الخلاف والسعي نحو التآلف الذي تسعد به المجتمعات ويكون مقدمة للتعاون لما فيه خير الفرد والأمة والوطن.

في ظل تعدد المؤسسات التي تتسابق للتأثير على الأفراد والمجتمعات يبقى للمسجد دوره في تقديم الوعي، الذي يجب أن يسبق السعي نحو الأهداف الكبرى التي يسعى إليها كل مجتمع يبحث لنفسه عن مكان بين المجتمعات القوية المتآلفة الساعية نحو المجد والرخاء والتقدم.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير، (١/١٣٥).
٢- مسند أحمد، ط: الرسالة، (١٩/٢٧٨).
٣- صحيح ابن ماجه، (١١٨٠).
٤- صحيح ابن خزيمة، ط: ٣، (١/٧٤٨)، وقال محققوه: إسناده صحيح.
٥- تفسير القرطبي، (١١/٢٦٣).
٦- الصحيحان، أورده البخاري من حديث عبدالله، كتاب: الأذان، باب: التشهد في الآخرة، ص:١٣٥؛ ومسلم كتاب: الصلاة، باب: التشهد في الصلاة، ص:١٧١.
٧- صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، ص:٢٣٩.
٨- الإسلام دين السلام العالمي وحاجة الإنسانية إليه، د. سعد المرصفي، ١/١٣، ١٤ بتصرف.



د. أيمن حسن حجاب
كبير باحثين بدار الكتب المصرية

المسجد عمارة ورسالة

المسجد مكان لإقامة الشعائر الدينية والصلاة والمسجد يعني الموضع الذي يسجد فيه، وقد قال رسول الله ﷺ «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» (رواه البخاري)، وأول مسجد بني في الإسلام مسجد قباء ويعرف بمسجد التقوى قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:١٠٨)، ويطلق لفظ الجامع – نعتا للمسجد وذلك لأنه علامة الاجتماع لإقامة الصلوات الجامعة.

وبناء المساجد أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، وعمارة المسجد من أفضل القربات إلى الله، حيث يقول النبي ﷺ: «من بنى مسجدا كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة» (رواه ابن ماجه، (٧٣٨) وصححه الألباني)، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة». (رواه البخاري (٤٥٠) ومسلم (٥٣٣)).

الوظيفة والرسالة

كان أول شيء قام به الرسول ﷺ بعد قدومه إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، بيد أن القرآن الكريم قد حدد وظيفة المسجد الأساسية قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:٣٦-٣٨)، وقد كان للمسجد أثره الكبير في إقامة المجتمع الإسلامي على آداب الإسلام وتعاليمه، فلم يكن المسجد مكانا لأداء الصلاة فقط، وإنما كان مركزا للحكم والإدارة والدعوة والتشاور، كما كان محلا للقضاء والإفتاء والعلم والإعلام، ومكانا للتربية وللمناسبات الإسلامية، فقد كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين في المسجد أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه.

وكان ﷺ يقضي بين الناس في المسجد، وكانت تعقد فيه ألوية الحرب وتوجيه الرسل إلى الملوك والحكام، وإدارة شؤون الدولة الإسلامية، وكان المسجد مكانا لعلاج المرضى وإسعافهم سواء في وقت السلم أو الحرب، وغير ذلك من أمور الدين والدولة، ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين. وظهرت هذه المهام في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وهكذا يظهر دور المسجد في بناء الدولة

الإسلامية وحضارتها.
ولاريب أن المساجد كانت حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية ومن أهمها المسجد الحرام في مكة، والمسجد النبوي في المدينة، والمسجد الأقصى في القدس، والمسجد الأموي في دمشق، ومسجد عمرو بن العاص، والجامع الأزهر في مصر، ومسجد القيروان في تونس، ومساجد أخرى كثيرة خرجت لنا أجيالا مسلمة واعية استخدمت العلم في خدمة الإسلام ورفع شأن حضارة المسلمين.

التصميم والتخطيط

وكانت البساطة في أداء فرائض الإسلام عاملا أساسيا في وضع تصميم للمسجد سهل لا تعقيد فيه ولا تكلف في توزيع وحداته أو أسلوب بنائه، حيث لم يتطلب ذلك أكثر من جدران بسيطة تقام بأي مواد إنشائية تحدد محيط المسجد وتحفظ حرمته وأيضا سقيفة أو ظلة أو أكثر يحتمي بها المسلمون أثناء اجتماعاتهم.
ويخضع التصميم المعماري للمسجد لبعض القواعد الوظيفية والعقائدية، فهو المكان الذي ينتظم فيه المسلمون لأداء الصلاة قال رسول الله ﷺ «أقيموا الصفوف، فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل، ولينوا في أيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله تبارك وتعالى، ومن قطع صفا قطعه الله تبارك وتعالى» (رواه أحمد)، لذا يفضل أن يكون المسقط الأفقي للمسجد مستطيلا ويكون محوره الرئيس موازيا لاتجاه القبلة مما يسمح بتوافر أكبر عدد من المصلين في الصف الأول وبالتالي الصفوف الأولى، وهو ما لا يوفره المسقط الأفقي والدائري أو المثمن أو حتى المربع، والإسلام يحض على أن تستمر صفوف المسلمين دون انقطاع، ومن ثم فليس من المستحب أن تكون العُمُد التي تبنى عليها سقيفة مسجد عاملا على إيجاد هذا الانقطاع حتى لا تنقطع الصفوف ويستطيع المصلون رؤية الخطيب في صلاة الجمعة لاسيما في المساجد الكبيرة دون عوائق من البناء مما يوفر اتساعا أكثر للبناء، وبناء على ما سبق فيلزم تطويع النظم الإنشائية للأوامر والنواهي الشرعية.
ويعتبر تصميم مسجد الرسول ﷺ النواة والنموذج الرئيس الذي شيدت عليه المساجد والجوامع في كل بلاد المسلمين ولا سيما في القرون الأربعة الأولى بعد الهجرة، كما صار أهم الطرز المعمارية لبناء المساجد في العصور والأقطار الإسلامية المختلفة، مع بعض الاختلاف في طرق الإنشاء ومواد البناء والمؤثرات الإقليمية وكذلك التفاصيل من ناحية عدد الظلات وكبر المساحة أو صغرها وكذلك عدد الأروقة الذي يختلف في ظلة القبلة وفي الظلات الأخرى على جوانب الصحن كما كان – يختلف اتجاه صفوف الأعمدة أو البائكات التي تفصل بين الأروقة، أو بمعنى آخر فإن كل مسجد كان يتفق مع المساجد الأخرى في المميزات الرئيسة والتخطيط العام ويختلف في التفاصيل الصغيرة، فكان كل مسجد منها يتميز بشخصية قائمة بذاتها.
وكان تخطيط مسجد الرسول ﷺ في أول الأمر عبارة عن فناء مربع طول ضلعه سبعون ذراعا تحيطه جدران أربعة ارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف المتر وكان أسفلها مبنيا بالحجارة وأعلاها باللبن ووضعت القبلة في الجدار الشمالي ولم يكن للمسجد في أول الأمر أي ظلة فأمر الرسول ﷺ بأن تقام ظلة عند جدار القبلة وقد جعلت الظلة من عوارض وخصف متمركزة على سوار من جذوع النخل صفت على أبعاد متساوية، وكانت الظلة تشتمل على ثلاثة صفوف من السواري موازية لحائط القبلة وكان بكل صف ست سوار، ثلاث إلى يمين المنبر وثلاث إلى يساره، وقد أضيف إلى مسجد الرسول ﷺ في خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥-٤١هـ /٦٥٦-٦٦١م) ثلاث ظلات مجاورة للقبلة ومقابلة لها لوقاية المسلمين من حرارة الشمس، وصار المسجد منذ ذلك الوقت يشتمل على أربع ظلات في جوانبه الأربعة تحيط بصحن مكشوف وأكثرها عمقا ظلة القبلة.
وكان ظهور المساجد الجامعة مع فتوحات المسلمين للبلدان المختلفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء الأجناد في الشام فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده.

طرز البناء

ومع اعتبار تصميم مسجد الرسول ﷺ بالمدينة نموذجا للمساجد والجوامع التي أسسها المسلمون في البلاد المفتوحة، نجد مسجد البصرة أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات الإسلامية (١٤هـ/٦٣٥م) كان عبارة عن صحن مربع يحيطه حاجز، وتطور التخطيط في مسجد الكوفة الذي أسسه سعد بن أبي وقاص (١٥ أو ١٧هـ/٦٣٦ أو ٦٣٨م) حيث كان أول نموذج في الإسلام للمساجد ذات الصحن الكبير المكشوف المحاط بأربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، ثم كان التخطيط الأول لمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط (٢١هـ/٦٤٢م) متأثرا بتخطيط المسجد النبوي

الشريف وكان عبارة عن مساحة من الأرض تحيطها أربعة جدران وظلة عند القبلة ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع طريق عرضه ثلاثة أمتار ونصف، ثم كان تصميم مسجد عقبة بن نافع بالقيروان (٥٠ هـ/٦٧٠م) عبارة عن صحن مربع به ظلة واحدة جهة القبلة، وقد استخدم التصميم الذي يتكون من صحن أوسط مكشوف يحيطه أربعة إيوانات في المساجد حتى جامع أحمد بن طولون (٢٦٥ هـ/٨٧٩م)، وقد أضيف إلى التصميم في العصر الفاطمي مقبرة أصبحت جزءا منه واستمر هذا الأسلوب في تصميم المساجد حتى العصر المملوكي كما في جامع المؤيد شيخ والسلطان حسن بالقاهرة.

ثم ظهر طراز ثان لبناء المساجد ربما تطور عن تصميم المدرسة، وهو يشتمل على صحن أو فناء مربع قد يكون مكشوفا أو مسقوفا تحيط به أربعة إيوانات في شكل متعامد أكبرها إيوان القبلة، وسقف الإيوان عادة على شكل قبوة ترتكز على جدران الإيوان، ونشأ هذا الطراز في إيران، ومن المحتمل أنه تطور عن الطراز الأول الذي كانت المساجد المبكرة في إيران تشيد على نمطه.

كما يتضح في مسجد دمغان الذي يرجع إلى القرن الثاني بعد الهجرة (حوالي منتصف القرن الثامن الميلادي)، وكذلك في جامع نايين الذي شيد في القرن الرابع الهجري (١٠م) ثم تطور هذا الطراز في إيران، وذلك بتزويد رواق القبلة بقبة، وظهر ذلك في جامع أصفهان.

وفي العصر العثماني ظهر طراز جديد لعمارة المساجد مشتق من تصميم أيا صوفيا بإسطنبول، ومتأثر في الوقت نفسه بطراز المساجد السلجوقية في آسيا الصغرى، وفي هذا الطراز كان المسجد يسقف بقبة كبيرة تحف بها قباب صغيرة أو أنصاف قباب، ويقام في كل ركن من أركانه الأربعة مئذنة ممشوقة عالية مسننة القمة، ويتقدمه صحن فسيح مستطيل ربما تحف به أروقة ذات بلاطة واحدة. وانتشر هذا الطراز في مختلف أنحاء الدولة العثمانية، ومن نماذجه: جامع بايزيد، وجامع سليمان، والسلطان أحمد في إسطنبول، ومسجد أبي الذهب، ومسجد الملكة صفية، ومسجد محمد علي بالقاهرة.

ويزود المسجد عادة بمئذنة أو أكثر، ومن أهم أثاثاته منبر على يمين المحراب الذي يعين اتجاه القبلة، ودكة المبلغ في رواق القبلة، وميضأة في وسط الصحن عادة، وقد يلحق بالمسجد منشآت أخرى، واشتملت بعض المساجد الجامعة التي كان يدرس بها على أروقة لإقامة الطلاب الغرباء مثل الجامع الأزهر.

والمسجد هو مركز ترابط الجماعة المسلمة وهيكلها المادي الملموس فلا تكتمل الجماعة المسلمة إلا بمسجد يربط بين أفرادها، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم، ويلتقون فيه مع رؤسائهم، أو يتجهون إليه لمجرد الاستمتاع بالقعود في ركن من أركانه كما يفعل الناس عندما يزورون حديقة ليروحوا عن أنفسهم، فالمسجد على هذا ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة لجماعة المسلمين جملة.

لذا يجب أن تترك المساجد منطلقة تؤدي وظيفتها ورسالتها دون قيود لتكون حائط صد ضد كل ما يعكر الصفو داخل المجتمعات المسلمة، مع التحذير الشديد لمن يقفون حجر عثرة أمام المساجد لإعاقتها عن أداء وظيفتها ورسالتها حيث توعدهم الله عزوجل في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:١١٤)، ومن هنا ارتبطت نهضة الأمة الإسلامية وحضارتها بقيام المساجد بدورها على الوجه الأكمل.

المراجع

١- أيمن حسن حجاب: دراسة التأثيرات البشرية المتلفة لبعض الآثار الإسلامية وطرق صيانتها بمدينة القاهرة القديمة تطبيقا على أحد المباني الأثرية الإسلامية المختارة بمدينة القاهرة القديمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢- حسن الباشا (دكتور): المسجد الجامع، موسوعة المفاهيم الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١٠م، قرص مدمج.

٣- حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام ١٩٩٤م.

٤ – حسين مؤنس (دكتور): المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، الكويت، يناير ١٩٨١م.

٥- سعاد ماهر (دكتورة): العمارة الإسلامية على مر العصور، الجزء الأول، دار البيان العربي، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٦- علي بن نايف الشحود: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، الجزء الأول، موقع صيد الفوائد الإلكتروني.

٧ – فهمي عبدالعليم (دكتور): جامع المؤيد شيخ، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨- محمود عبدالهادي الأكيابي: التحكم البيئي في العمارة وتأثير الدين عليها خلال العصر الفرعوني والإسلامي في مصر، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، ١٩٧٥م.

٩- منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضاري في العصور الإسلامية دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، مكة المكرمة، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.



محمد ثابت توفيق
قاص وكاتب مصري

صنائع المعروف

لا يـزال الحـاج «كـامـل» مـعـروفـا في الـسـوق بـالـحـرص على تحـري وطلب الحلال، ولكن مع عدم التهاون في حقه في الوقت نفسه.

إنـه صاحب أحد أكبر وأشـهـر بائعي الأجهزة الكهربائية في العاصمة؛ ومن الطبيعي أن يقصده الراغبون في زواج الأبناء والبنات.

وهو خارج من مكتبه اليوم لتلبية نداء الحق لصلاة الظهر استوقفه صوت سيدة تقول في صوت أعلى من المعتاد وإن كان أقل من الصراخ:

ـ هذا لا يرضي الله.. تأخرت في آخر قسطين من أقساط أجهزة زواج ابنتي التي توفي أبوها قبل أن يراها، وأجيء اليوم لأدفع أحدهما رغم ضيق ظروفي المالية فور زواج ابنتي فتقول لي قدمتم الشيكين للنيابة.. أين إمهال الناس وإنظارهم إلى حين ميسرة.. إن ضاقت بهم الأحوال؟.. أين مكتب الحاج «كامل» لأذكره بالله؟!

فلما رأته مـارا أمامها قالت بصوت متهدج.. وهي تمنع نفسها من البكاء:

ـ أتـريـد سجني يـا حـاج لأن حيائي منعني –عند موعد سداد أول الشيكين الأخيرين– من مقابلتك وشرح ظروفي لك.. وجئت أسدده اليوم؟

أتريد أن أدخل السجن بشيك القسط الثاني.. وقد زفت ابنتي من أسبوعين فحسب؟

اتق الله يا حاج «كامل»!

الـحـاج المـعـروف بـعـدم لـين الـطـرف، بل بقوة الشخصية.. وعـدم التراجع إن أقدم على أمر مهما كـان.. الحاج المعروف بعدم الصمت على كلام أحد إن لم يرق له أو يعجبه.. توقف وأطرق إلى الأرض وشعر بأن تيارا كهربائيا يسري في جسده بالكامل.

تعجب كل من في المحل حينما رأوا الحاج «كامل» يتوقف ويقول للمرأة في صوت خافت تسمعه بالكاد:

ـ أختي الفاضلة.. هل تأذنين بانتظاري حتى أعود من الصلاة؟

ـ وهل ستحل المشكلة يا حاج عندها؟!

ـ بإذن الله.

قادها أقرب مساعديه إلى مكتبه وقدم لها واجب الضيافة فأبت أن تتناوله.

وحين عاد الحاج بعد دقائق قال لها:

ـ مـا رأيـك فـي تـنـازلـي عـن الشيكين الباقيين وسحب الدعوى من النيابة.. هل يجعلك هذا تسامحين؟

قالت على الفور:

ـ لا يا حاج.

ـ لماذا إذن؟!

ـ لأن هناك من هم في حالتي وأشد.. وحـضـرتـك لـم تـعـد تـقـبـل بـإقـراض المعسرين بعد حالتي وتـأخـري عن الدفع.. أفلا تضع نفسك مكان الناس؟

ـ عفوا ـ يا حاج.

صـمـت الـحــاج ثـم اسـتـدعـى مـديـر الشركة.. فيما خرجت المرأة مبتسمة بعد دقائق بوجه متهلل.

في المساء كان على الحاج أن يسافر لقرابة أربعمائة كيلومتر حتى يصل إلى العاصمة التجارية لبلده أو الثغر الذي يتسلم منه بعض الأجهزة المستوردة لتخليص جماركها في الصباح بعد المبيت في فندق.

ولإرهـاقـه الـشـديـد صـار يـركـز في الطريق وتوقف في استراحة مرة بعد أخرى لاحتساء القهوة.

وبعد قرابة منتصف الطريق التحمت عينا الحاج فنام وهو يقود السيارة.. ولم يستطع التغلب على الرغبة الشديدة في بعض الراحة ولم يدرك كلية أنه ينام معرضا نفسه للخطر الشديد، ولكنه تنبه –لدهشته– إلى صوت المرأة التي زارت مكتبه في الصباح وهي تقول بنبرة غير خافتة ولا صارخة:

ـ اتق الله يا حاج..

ومع تهدج الصوت واقترابه من تدفق الدموع شعر بأنه يوشك أن يغرق في ماء جارف.. فتململ.. ولكن بعد ثوان قليلة.. كانت المرأة نفسها تضحك بعين دامعة ـ كما كانت بعد صلاة ظهر اليوم ـ وهي تقول له:

ـ تريد مني إبلاغك كلما أرادت حالة معسرة زواج ابن أو ابنة لتتيقن من سوء حاله أو حالها بنفسك ثم تهديهم ما يريدون من الأجهزة دون أن يدفعوا شـيـئـا؟.. تـذكـر حـديـث الـرسـول ﷺ عن أبي أمامه: «صنائع المعروف تقي مـصـارع الـسـوء» (رواه الطبراني في الكبير).

لكن انتبه يا حاج.. انتبه يا حاج..

كانت تكرر الكلمات بصوت صارخ غير الراضي الذي حدثته اليوم به..

ماذا يحدث لها..؟

ـ انتبه يا حاج.. انتبه..

الكلمات الأخيرة تصرخ فيه بقوة.

أفـاق، ضغط على الـفـرامـل بسرعة شديدة..

كان نصف السيارة الأمامي يتجه نحو ماء النهر.. فيما الإطارات مغروسة في طينه..

لقد أنجاه الله من غرق محقق..

خرج من السيارة يفرك عينيه.. متأكدا من أنه لن يخطئ في حق معسر بعدها.. بل لن يدعه مادام عرف بحاله.



د. عمر محمد إبراهيم
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

باب الكريم



وقفت على باب الكريم أناجه ... لعلي ألاقي العفو منه وأسبق
له الحمد والتمجيد والشكر كله ... وإياه أدعو والملائك ترمق
أسيء ويعفو منة وتفضلا ... ويرحم تبارك منعم مترفق
حياتي له والطيبات لأجله ... فرحماك ربي بالأسير فيعتق
وبالليل آهات فيا رُب قانتٍ ... يطير إلى الأشواق فيها يحلق
يخاف ويرجو والفؤاد مذبذب ... ويخشى الذنوب المهلكات ويخفق
فيا رب لا تخذل قلوبا جريحة ... هموم وأحزان تمور وترهق
وبالنفس تحنان إلى كل رائق ... فها قد وعت أن المعان موفق
كذا القلب تواق إلى كل محسن ... ليشفع له يوم الحساب فيلحق
لك الحمد يا الله في الأمر كله ... من القلب أدعو والجوارح تنطق

وليد عبد الماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر



قراءة نقدية لإبداعات عدد شهر شعبان

(العدد ٦٤٨)


لغة وأدب

لسعات عقرب

١- لسعات عقرب؛ للكاتبة فاطمة الزهراء لحسن أودمجان

في قصتها (لسعات عقرب) تلقي فاطمة الزهراء لحسن أودمجان الضوء على موضوع من الموضوعات المهمة في حياة البشر، لاسيما أولئك الذين يؤمنون بأهمية الوقت وأنهم لم يخلقوا عبثا، وأن الحياة ما هي إلا دقائق وثوان كما قال الشاعر أحمد شوقي:

دقات قلب المرء قائلة له:
إن الحياة دقائق وثواني

● اختارت الكاتبة عنوانا مركبا مشوقا لقصتها وهو (لسعة عقرب) لتحفيز المتلقي وشحذ ذهنه لقراءة القصة والولوج إليها، لكنه عندما يقرأ القصة سيتبين له مجازية العنوان حيث لا عقارب ولا لسعات؛ وإنما هي الرمزية المقبولة في التعبير.

● تستهل الكاتبة قصتها الرمزية بحديث متخيل مشوق بينها وبين الوقت الذي يمر سراعا، فها هي عقارب الساعة تتسارع إثر بعضها كما لو كانت أبطالا في حلبة السباق، إن العقارب تتسارع دون هوادة وهي لم تنجز شيئا في ليلتها، تقول: «لحظات أمل تدمرها دقات الساعة المتسارعة.. مهلا أيتها الأيام؛ فسرعتك تجلب اليأس.. مهلا! ما بك تجرين؟! ألم تكوني إلى البارحة مملة؟ ويحك! رويدا؛ فذاكرتي الصغيرة لا تستطيع التحمل، كفاك تسرعا!...»، ثم كانت صرخة البطلة المدوية في سكون الليل التي أيقظت كل النيام؛ لقد كانت في حرب مع الساعة المجهزة بعتاد الحرب (سيف، قوس، سهام... كأن الكاتبة تريد أن تجسد المقولة الشهيرة: الوقت كالسيف)، بينما كانت البطلة تواجهها بترس يحميها من ضربات السيف والسهام النافذة، وسرعان ما استحالت الساعة عقربا سوداء مخيفة.

● احتشد النص بالتعبيرات المجازية الجميلة والألفاظ الرشيقة من ذلك قولها: «ظل القلم يتراقص على الورقة بشكل متناغم، يسرع في الكتابة تارة ويبطئ أخرى، يتقن الكتابة حتى إنك لتجد للحروف ظلا»، ومثل هذه التعبيرات ترضي القارئ العاشق للغة العربية الجميلة وتأخذ بلبه.

● اعتمدت الكاتبة في هذا النص على التنويع بين الوصف والحوار؛ فالاعتماد على الوصف وحده قد يشعر القارئ بالملل؛ لذا فوجود الحوار داخل النص أمر مهم يضفي عليه مزيدا من الحيوية لاسيما في هذه القصة التي تسجل أحاديث واقعية بين البنت وأمها، وأحاديث خيالية بين بطلة القصة وساعة الحائط التي تقف لها بالمرصاد.

● في النهاية تتغلب البطلة على هواجس الخوف من الوقت، فالساعة لم تعد بالنسبة إليها عدوا؛ لكنها صارت رقيبا عليها لابد من أخذه في الحسبان «فمرحبا أيتها الساعة الجميلة، مرحبا بك رقيبا يذكرني أني مجرد أيام، مرحبا بك فقد ولى زمن الجهل».

٢- يد أمي الدافئة: للكاتبة مياسة النخلاني

تحاول الكاتبة من خلال هذه القصة التأكيد على معنيين رئيسين:

المعنى الأول: أن بعض الظن إثم، ولا يليق بالإنسان المتصالح مع نفسه أن يأخذه سوء الظن بحيث يعكر عليه صفو حياته ويفسد علاقاته مع الآخرين فتحل الكراهية محل المودة ويسود الاضطراب علاقات الناس ببعضهم.

المعنى الثاني: أن الأم ستظل هي اليد الحانية والشجرة الوارفة التي تظلل الجميع وتمنحهم الحب، ولا تفرق بين أحد منهم، وإن أظهرت في بعض الأحايين ميلا هنا أو هناك.. وهل يوجد من يعطي في الحياة بلا مقابل مثل الأبوين؟!

● تجري أحداث القصة في بيت من بيوتنا، وتبدأ بمشهد دخول الابن المنزل بعد يوم شاق من العمل ليجد أمه منشغلة عنه بالتلفاز الذي يملأ عليها أقطار نفسها كما يظن في نفسه، ثم يبدأ الصراع النفسي وتدور الرحى بين الابن ونفسه، فلماذا تهمله الأم كل هذا الإهمال؟! ولماذا تنشغل عنه بالتلفاز الذي لم يكن يوما من عاداتها؟! ولماذا تفرق بينه وبين أخيه في المعاملة فتبدي لهذا اهتماما وتنصرف عن هذا؟! ولم يجد البطل بدا من الصياح في وجه الأم:

● هل أنا كيان غير مرئي في هذا البيت؟!

● ماذا؟!

● لا شيء؛ اعتني بأولادك جيدا.



يمرض البطل فتكون فرصة ليرى كيف تحنو الأم على وليدها ويحس بدفء يديها التي ظلت طيلة الليلة تطببه دون كلل أو ملل، وتخرج الأم من الحجرة فيعود إلى البطل سوء ظنه عندما يلمح أخاه الصغير الذي هو محور اهتمام الأم.

● لكن ظن البطل يخيب حيث تأتي لحظة التنوير في القصة فيكتشف أن الأم لم تكن بالمنشغلة عنه بالتلفاز؛ لكنها حريصة على لفت انتباهه إلى الأفلام الوثائقية التي كان يتابعها بشغف، إنها تتمنى أن تخفف عنه الوثائقيات غلواء الحياة والعودة إلى هوايته في التصوير بعد رحيل والده.

● القصة مكتوبة بلغة سهلة خالية من التعقيد اللغوي تعتمد على الوصف والحوار معا في ضفيرة، ويتنوع الحوار فيها بين الحوار الداخلي مع النفس، والخارجي مع شخوص القصة (الأم - الأخ).

● والقصة في مجملها جديرة بالقراءة فالكاتبة تملك كثيرا من أدوات السرد؛ لكنها تحتاج إلى قراءة كثيرة لإبداعات القصص العربي والعالمي للوقوف على تقنيات أخرى للسرد، كما أن معجمها اللغوي في حاجة إلى إثراء أكثر.



● وفي ضوء قراءة القصتين ثمة أمر مهم لا يلتفت إليه كثير من الأدباء رغم أثره البالغ في نفس القارئ أو المتلقي وهو حسن توظيف علامات الترقيم، فاستخدام العلامات بشكل دقيق يزيد النص بهاء ويضفي عليه رونقا، وقد رأينا في السنوات الأخيرة كيف أتقن بعض الأدباء استخدام هذه العلامات فجاء النص ناطقا ومجسما.

عبد القادر أمين
عضو اتحاد كتاب مصر- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية



(نقد قصيدة-٢)

«أنين القلوب».. بين ألم البوح ورغبة التحليق

بداية.. لا أستطيع تجاوز عتبة القصيدة وأعني عنوانها الذي يعكس زفرة نفس قلقة، وروحا ممزقة يشكل الإيمان أنفاسها، وينسج الحلم فيها خيوط القرب والسمو، والميل إلى التحرر من ربقة الواقع المرير وقيوده.

وإذا حاولنا أن نلخص الموقف العام للنص، فلا يبدو أننا نستطيع أن نتجاوز أمرين اثنين؛ الأول: هذا الإنسان الحالم البسيط «الذات الشاعرة» بما يحفه من نقاوة وطهارة وحنين لرحابة المساجد في زمن لا يصفو لأحد، بل يقف حجر عثرة لتكسير سلم الوصول؛ والثاني: هذه الحالة الإبداعية الواعية، والتي تقدر على صناعة عالمها، المقرونة فيه المادية البحتة بمدلول اللفظ «أنين» مع الاستناد إلى أسلوب الاستفهام البسيط المتكرر بمدلول الأداتين «أين؟ وكيف؟»، وإن الصيغة الاستفهامية هنا ليست ذات معطى محدد، بل صيغة تجمع ظلال معان عدة لتضاف إلى التساؤل عن: أين العيون؟ أين القلوب؟ أين الشباب المتقي؟ أين الرجولة؟ كيف العبادة؟، كل هؤلاء يدخلون ضمن إطار المعنيين بالإجابة. ولقد كان الشاعر موفقا وهو يصور بالاستفهام المباشر خلجات نفسه، وما يحير وجدانه من أسئلة لا تجد إجابة إلا في الرياح الهوجاء، والبحر الذي لا يستقر على حال.

لقد ظهر جليا على امتداد القصيدة حفاوة بالغة بمعجم: الصلاة، والملائكة، والنفوس، والعبادة، والمساجد؛ مختلطا بمعجم: الخوف، والهول، والأنين، والتمزق، واللهو الجاثم؛ مما يجعلني متحققا من انطلاقه -أي الشاعر- في تعاطيه الشعري من نافذة الانتماء الكامل للصدق حتى حين صناعة الصورة التخيلية الصادقة حين تحف الملائكة مرتادي المساجد، انظر إليه حين يقول: «أين الذين تحفهم تلك الملائك زاكية؟».

إننا هنا نجد نبلا يتلاءم مع رغبة التخليق للعمل والمنظور القيمي الأخلاقي في رفضه للواقع المرير في غياب: الشباب المتقي، المتشوقون للجنان، خوف القلوب من هول القيامة، بكاء العيون، اختفاء العبادة.. من هنا بدت ضبابية إدراك كيفية الخلاص وتلمس سبيل الصلاة، والركض لروحانية التحليق المسجدي، وهو ما يجعلنا نتساءل: هل ما وصل إليه الواقع هو مظهر من مظاهر الائتناس بغواية النفس؟ أم أنها تعقب لحركة النفس الهاربة أو النازعة إلى الدعة والركون بما يجسد مأساوية انشطار الشخصية؟!



القصيدة آهة مرسلة ممتدة تبدأ في أول السطر، ولكنها لا تنتهي بآخره.. فهي تدور حول أفكار كثر، تتضام لتشكل فكرة رئيسة هي مركز النص، إنها فكرة الحرب على المجافاة واللهو الجاثم، واستحواذ الشيطان على المرء؛ فإن هذه الأبنية قد استطاعت أن تقدم تجربة شعرية متكاملة، جاءت في ذروتها حين يبدو التساؤل في بدايته طافحا بالمرارة، حين يتساءل: أين القلوب الخائفة من هول تلك الغاشية؟!

نحن هنا مجبورون على ألا نعزل القصيدة عن ملابسات المكان والزمان.. اللذين يؤكدان -رغم محاولة الشاعر أن يجسد عالما جديدا خاصا- تيمة الرفض لما يعكر أو يخل بالمعادل الإنساني المتعارف بين الأنقياء.

ورغم ما تحفل به القصيدة من وجع إلا أنها جاءت ممهورة ببشرى الخلاص والنجاة من سوداوية الحياة بين هؤلاء البشر، وذلك فقط لمن وصلوا إلى حد الرضا. فيقول: شغل القلوب جميعها.. إلا القلوب الراضية.

ولكني أعيب على الشاعر بعض أمور؛ لعل منها: التقريرية المباشرة والتي قد لا تناسب كثرتها طبيعة الشعر، مع تضييقه لدائرة أدوات الاستفهام والتي كانت على تنوعها ستخلق روحا جديدة للنص تحلق به في سماء الوصف، إلى جانب تكرار مفردات بعينها مثل: القلوب (٤)، المساجد (٤)، العقول (٢)، الصلاة (٢)؛ مما يستلزم اهتمامه بزيادة معجمه اللغوي.. وكذلك تقارب بعض المعاني من مثل: الهادئة، الساجية.



نهى الفخراني
كاتبة وباحثة مصرية

أطفالنا و الصيام



أطفالنا شديدو الذكاء والملاحظة.. فتراهم يلحظون متى ننشغل عنهم وإن بدا أننا نجلس معهم في المكان ذاته ونرى أفعالهم.. ولعل من الأمور التي يعيها الأطفال بوضوح مدى اهتمامنا بالشهر الفضيل، فهو ليس كالشهور العادية، فكثير من بيوت المسلمين تحتفي بقدومه وتزين بيتها؛ ترحيبا بهذا الضيف الكريم، وهو ما يثير شغف الأطفال وتساؤلهم، لم كل هذه الحفاوة؟ ولماذا نصوم؟ ولماذا لا يجب أن نأكل حتى نستمع إلى الأذان؟

هذه الأسئلة يجب على الآباء والأمهات الرد عليها بشكل سليم لا يخلو من المرح لإيصال الإجابة بشكل مبسط؛ يسهم في تأسيس عقيدتهم بشكل سليم.

لهذا سيسعى هذا المقال للرد على هذا التساؤل لكن بعد أن نعرفهم بالشهر الفضيل -بالطريقة التي تتناسب مع أعمارهم- ليس هذا فحسب بل سيطرح المقال بعض الأفكار التي من شأنها إيصال كم كبير من المعلومات الدينية التي ترسخ فكرة الصيام في أذهانهم بطريقة ممتعة ومبسطة.

معلومات عن رمضان يا بني...

- صيام شهر رمضان المبارك هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.
- وصوم رمضان هو (الركن الرابع)

من أركان الإسلام، ومعنى (أركان) أنها الأسس التي يبنى عليها ديننا، ولكي تكون مسلما مطيعا لله فعليك تنفيذ هذه الأركان.

● فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة، وقد صام الرسول ﷺ تسع رمضانات إلى أن توفاه الله، وصام معه المسلمون.

● شهر رمضان هو الشهر التاسع في التقويم الهجري يأتي بعد شهر شعبان. ويعد هذا الشهر مميزا عند المسلمين عن باقي شهور السنة الهجرية؛ لأن الذي يصوم هذا الشهر بالطريقة التي أمرنا الله بها (إيمانا واحتسابا)، يغفر الله له ما تقدم من ذنبه.

اختار الله شهر رمضان من بين الشهور لإنزال القرآن العظيم فيه؛ تعظيما لهذا الشهر.

● في شهر رمضان ليلة خير من ألف شهر وهي (ليلة القدر).

● الصيام كان مفروضا على الأمم التي سبقت المسلمين، فلم يكن المسلمون أول الأمم التي صامت لكن للصيام تاريخ قديم جدا، فكان كثير من الأمم يصومون لمعرفتهم فوائد الصيام.. لكن هذا الصيام كان يختلف عن شكل صيامنا الحالي، يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

● يحثنا الرسول ﷺ في رمضان على تناول وجبة السحور؛ لأن بها بركة وهي تساعدنا على الصيام دون تعب، ثم نمتنع عن تناول الأكل والشراب من أذان الفجر حتى أذان المغرب.

لكن لماذا نصوم؟

يا بني.. الغرض الرئيسي من الصيام ليس التجويع وتعذيب النفس، والدليل على ذلك أن المريض والمسافر الذي لا يستطيع تحمل مشقة الصيام يجوز له أن يفطر في رمضان.

ونحن نصوم استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى، فقد أمرنا الله بصيام رمضان، فتجب الطاعة والاستجابة لله فيما أمر، وهذه الطاعة لله تجعلنا قريبين جدا من الله تعالى، كما تجعلنا نطمع في أن يغفر لنا ذنوبنا في هذا الشهر الكريم، ولكي نتم هذه الطاعة بالشكل الأمثل فليس المطلوب منا عند الصيام أن نمتنع فقط عن المأكل والمشرب.. لكن أيضا نمنع أعيننا عن مشاهدة ما يغضب الله، ونمنع ألستنا عن الكلام السيئ، ونتحكم في غضبنا، لا لشيء سوى طاعة الله وتنفيذ أوامره.

وإذا صام المسلم بهذه الطريقة سيتحكم هو في عقله.. وسيتعلم الصبر الذي هو من الأمور المهمة في حياته، ولن يستطيع الشيطان السيطرة عليه، وبالصوم يصبح الإنسان قويا وصلبا، والله يحبنا أقوياء، وهذه القوة نستمدها منه سبحانه وتعالى لأنه يكافئنا؛ لأننا التزمنا بأوامره، ولأننا تقربنا منه سبحانه وتعالى، حتى عندما نختلي بأنفسنا ولا يرانا أحد فإننا بداخلنا نعلم أن الله يرانا، فلا نعصيه ولا نأكل ولا نشرب إذا بعدنا عن أعين الناس!

قيم رمضانية

- يعد (الصبر على الطاعة) والتعويد عليها، و(مراقبة الله لنا)، من معاني رمضان الجميلة التي يجب أن يدركها الأطفال، فالتعويد على الصوم يقاس على التعويد على الصلاة، لذا فهو يبدأ لسبع ويتم التأكيد عليه لعشر.

- وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على فعل ذلك، فكانوا يصومون أبناءهم في هذه السن، بل ويشجعونهم على الصيام، وبهذا يصبح الصيام تدريبا عمليا للأطفال على ترك ما يحبون من طعام وشراب، مع التأكيد على أنهم (رقباء على أنفسهم)، وأن الله هو الرقيب عليهم وهو الذي يراهم، وأنهم يمتثعون لله، لا للامتثال لرغبة الأب والأم؛ لهذا ولكي يحب أبناؤنا الطاعة بالأخص الصيام فيجب التدرج في العبادة، وأن يتم تعويدهم بالترغيب لا بالترهيب.. ولو بلغ بهم التعب مبلغه مع الصيام فيجب ألا نجبرهم على إتمام الصيام؛ لئلا يكرهوا هذه العبادة.. فالطفل يجب أن يتعود على الصيام حسب عمره وقوة تحمله.

- إن قيمة (العطاء)، من القيم التي يجب أن يدركها الطفل خاصة في الشهر الكريم، وذلك بتحريك معنى (الشفقة) في قلب الطفل للمحتاجين، مع محاولة تدريبه عمليا بأن يأخذ بعض الأموال ويمنحها للمسكين، مما يفهمه عمليا معنى (الصدقة)، ويحببها إلى نفسه خاصة بعدما يرى أنه أدخل السرور على قلب المحتاجين.

- ويعد شهر رمضان بيئة خصبة لتقوية العلاقة بين الأطفال والقرآن الكريم، خاصة أن المساجد في هذا الشهر تتبارى في عقد المسابقات القرآنية وصرف المكافآت لهم، وكذلك الحال مع بعض الأسر التي تحرص على إهداء أولادهم بعض الهدايا في حال التزامهم بقراءة الجزء المتفق

عليه معهم.

ويجب أن يشعر الأطفال بأنه لا مكان للكسل والخمول في هذا الشهر، وأن الأوقات فيه غالية ثمينة، لاسيما أن شهر رمضان يعلمنا قيمة احترام الوقت، فنحن نبدأ الصيام منذ أذان الفجر ونفطر بعد أن نسمع أذان المغرب، ويجب علينا كمسلمين احترام هذه الأوقات والالتزام بها حتى يصح صيامنا (لكن هذا لا يعني حين تعويد الصغار ألا نسمح لهم بالإفطار بعد صيامهم نصف يوم مثلا.. فالتدرج مطلوب مع الصغار).

- ولعل من الأمور المهم تعلمها في رمضان هي معاونة الأم والخادمة في تجهيز مائدة الإفطار وبعض المهام المنزلية، لكي يتعلم الإحساس بالغير، ولا يصبح كسولا متواكلا.

- إن إقبال الأطفال على مشاركة والديهم في الصيام يحمل معنى تربويا مهما، فهو يغرس الثقة في نفس الطفل، وينمي لديه الشعور بإثبات الذات، والإحساس بالمسؤولية، عندما يحس بأنه يقوم بأعمال لا يمارسها إلا الكبار، ولعل هذا الشعور هو ما يفسر لنا الإصرار والحماس الذي يدفع بعض الأطفال لأن يصوم هذا الشهر كاملا مع صغر سنه، وهو أمر له أثره الإيجابي على سلوكيات أبنائنا وعباداتهم ومعاملاتهم.



بالمرح يحب الأطفال رمضان

وسط انشغال أبنائنا بالألعاب الإلكترونية التي تسرق أوقاتهم وتؤثر سلبا على عقولهم.. تجد كثيرا من الأهل يتساءلون، ما الانشطة التي يمكن أن نؤديها مع أولادنا بالمنزل لكي نشجعهم على الصيام؟

لقد قامت إحدى الأمهات المتميزات بعمل نشاط رمضاني رائع تم نشره على «مدونة تفنن» بعنوان: «أخبرني هلال رمضان» حيث قامت الأم بعمل لوحة مرسوم عليها ٣٠ سحابة زرقاء لابنتها ومرقمة من رقم ١ حتى رقم ٣٠ بعدد أيام الصيام، وفي كل يوم تتلقى ابنتها رسالة من هلال رمضان وتكون الرسالة إما حديثا أو معلومة عن الصيام ورمضان أو تشجيعا على الصدقة والصلاة وعمل الخيرات، ومع كل يوم تصوم الطفلة الوقت المقرر لها تقوم بلصق رسمة هلال بلون اصفر فوق السحابة الزرقاء ثم تحصل على المعلومة.

أمثلة لرسائل هلال رمضان

١- أنا هلال رمضان صوموا لرؤيتي وأفطروا لرؤيتي (يعني نصوم حين نرى الهلال في السماء وينتهي رمضان عندما نرى الهلال مرة أخرى في آخر رمضان).

٢ - إلى الهاتف حالا لتكلم شخصا تحبه وتهنئة بحلول شهر دمضان (الكلمة الطيبة صدقة).

٣- هناك طفل يريد أن يفطر صائما ويجمع الكثير من الحسنات (نذكرهم بالحديث الشريف: من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء «رواه الطبراني»).

٤- رمضان شهر القرآن، استمع لآيات الصيام.

٥- الله يحب الصائمين، الله يحبك وأنا أحبك وأحب صيامك...... وغيرها من المعلومات الدينية والحياتية المفيدة للأطفال.

هناك أفكار كثيرة للأنشطة الرمضانية ويمكن من خلال القليل من البحث على شبكة الانترنت الوصول إلى أفكار وأنشطة مفيدة يمكن تطويرها أو تنفيذها كما هي، ولعل من الأنشطة المحفزة على الصيام هي عمل علبة مغلفة توضع داخلها رسائل تشجيعية وهدايا رمزية مثل: بالون، رسالة أنا فخور بك، قطعة حلوى.. يحصل عليها الطفل كمكافأة لإتمام صومه أو لحفظه لمعلومة أو حديث.. كما أن من المهم كذلك مشاركة أولادنا في تزيين غرفهم ببعض الأهلة والأنوار التي تبعث على البهجة وتربط في وجدانهم رمضان بالسعادة والسرور.



د. عبدالمنعم مجاور
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
مصر

صور من تربية الأبناء

لشهر رمضان الكريم حضور وبهجة في نفوس الصغار والكبار، وهذه من بركة الشهر الفضيل، وهو فرصة للتربية، وتعديل سلوك الأبناء، فإذا كان الآباء مشغولين بأعمالهم عن أبنائهم في سائر أيام العام فلا يكادون يجالسونهم على طعام، أو يحادثونهم في شؤونهم الخاصة أو العامة تحت وطأة عجلة الحياة المتسارعة فإنه بمجرد أن يهل هلال رمضان يترقب الجميع الخير، ويتجهز الأطفال لاستقبال هذا الزائر العزيز الذي لا يزورنا إلا مرة واحدة كل عام؛ لذا يحب الجميع قدومه، فهو زائر خفيف ما يكاد يهل هلاله حتى يؤذن بالترحال ﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ (البقرة:١٨٤)، وكل زائر خفيف الزيارة محبوب، تنتظر زيارته، ففي الأثر: «زر غبا تزدد حبا»، والغيث يسأم ويمل إذا زاد وكثر وتكرر، وهو نفسه يسأل بالأيدي، ويتضرع إلى الله في طلبه؛ لذا تطمح النفس إليه، وتتوق للقياه بعد طول غياب، وكذلك الحال مع شهر رمضان الفضيل.

وفي فرح الأطفال به، وسعادتهم ببلوغه فرصة للآباء عليهم أن يقتنصوها فيقدموا لأبنائهم مع أطباق الحلوى ألوانا من التربية، ومع طعام البطون غذاء القلوب والعقول، فكما تحرص الأم -مشكورة- على إعداد ما لذ وطاب من صنوف الطعام المرتبطة بهذا الشهر حرصا على إدخال السعادة والفرحة على أبنائها فإن

عليها أن تعي أن السعادة في الفوز برضا الله في الآخرة، فتعد على مائدة الإفطار قصة ذات قيمة تعزز سلوكا إيجابيا، أو تنفر من سلوك سلبي، والأم أدرى بجوانب القوة والضعف، والحسن والقبح في سلوك أبنائها، لذا عليها أن تختار الوقت المناسب لبث هذه القيم، وهل هناك أنسب لنصيحة غالية من وجود طبق من الحلوى يفضله الابن أو الابنة؟! وتلك كانت سنة النبي الكريم ﷺ مع صحابته الكرام؛ فعن ابن مسعود، قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»، لذا على الأبوين أن يتخولوا أبناءهم بجميل المواعظ، وطريف القصص مما يروق أبناءهم، ويشحذ هممهم نحو الفضيلة، وقد علم الرسول الكريم ﷺ عمر بن أبي سلمة وهو جالس معه على مائدة الطعام، قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد؛ (متفق عليه).

وانظر إلى قوله: «فما زالت تلك طعمتي بعد» فالصغير يتأثر بما يسمع وما يرى خاصة إذا كان ذلك مرتبطا في ذهنه بحدث ينتظره، أو بشيء يحبه، وينطبع هذا في ذهنه فيسهل عليه تعويد نفسه على الخير إذا عود عليه من الصغر، وهذا تؤيده مقولة: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، كما يؤيده قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا
على ما كان عوده أبوه

هذا، ولا يقف الأمر عند حدود فرع بعينه من فروع التربية أو نوع محدد من أنواعها وإنما يشملها بكل فروعها وبجميع أنواعها؛ فيأخذ الابن من أبويه التربية الدينية الخلقية مع كل حكاية تحكى، أو قصة تروى، كما يتمتع بالصحة النفسية التي يستشعرها من تلك التربية النفسية العملية النابعة من تواؤم الأبوين وتوافقهما، واتفاقهما على أنماط تربية أبنائهما وأسلوبه، فينشأ مسلما سويا، بعيدا عن أي اعوجاج في السلوك، أو نشاز في التصرف، ومن أين له ذلك وقد وجد الاستقامة ماثلة أمام عينيه في أب يرعى، وأم تحنو؟! وعلى تلك المائدة العامرة بالقيم والرحمات وأساليب التربية قبل صنوف الطعام تهتم الأسرة وتعتني كذلك بصحة أبنائها الجسدية، ويعينها الصيام على ذلك حيث ينتظر الجميع -على أجنحة الشوق- أذان المغرب كي يفطروا، ولا يكون الإفطار بعيد الأذان إلا تمرات وشربة ماء فيكون ذلك أفيد صحيا للجسم المحروم طوال النهار من الغذاء، حتى إذا أديت الصلاة في المسجد عاد الأبناء مع أبيهم إلى البيت ليتناولوا وجبتهم الإيمانية التربوية مع وجبة الإفطار.

أما عن الجوانب الحضارية النابعة من تلك القيم الإيمانية التي يبثها الأبوان لأبنائهم على مائدة الإفطار فحدث ولا حرج؛ فالأبوان يرسخان كثيرا من القيم، ويعلمان كثيرا من الدروس بقصد وبغير قصد، ويكون القصد فيما يتفقان على بثه لأبنائهم مما سبقت الإشارة إليه ومن غيره مما يتماشى مع مبادئ ديننا الحنيف، أما ما يبث من غير قصد فكثير، وهو وإن كان بسيطا لكن أثره كبير، من إفساح الأم المكان للأب ترسيخا لقيمة الإيثار والاحترام، ومن تعاون الأبناء في إعداد مائدة الإفطار فيتعلمون قيم الإيجابية والتعاون، ومن مساعدة الأم في حمل أواني الطعام وأطباقه، وقيام كل فرد بغسل الطبق الذي تناول فيه طعامه ترسيخا لقيمة الاعتماد على النفس وعدم الكسل والاتكالية. كل هذا وغيره مما حبانا الله عزوجل به -نحن المسلمين- من قيم ومبادئ وأخلاق وسلوك دليل على أن مائدة الإفطار في رمضان ليست مجرد مائدة لتناول الطعام والشراب بقدر ما هي مائدة عامرة بالإيمان وبالقيم ليتبقى لشهر رمضان بركته وخصوصيته، وروحانياته الثرة التي تتعدد مصادرها وتتنوع من صلاة وذكر ودعاء، وصدقة وبر وإحسان.. إن هذا كله ما هو إلا نفحة من نفحات آية واحدة من القرآن الكريم تتجلى فيها عظمة التشريع، وجلال التكليف مع روعة الأسلوب وإعجاز البيان، ولطف الختام بالشكر النابع عن إكبار المؤمن لربه بعد هدايته إياه، قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).



ياسر علي محمد
باحث ومترجم
مصر

الفوائد الصحية للصيام

**وعلى الرغم من أن الصوم امتناع عن الأكل والشراب لفترات محددة من الوقت، إلا أنه قد تبين أن للصوم العديد من الفوائد الصحية بداية من نقصان الوزن إلى كفاءة عمل المخ.
لقد وضحت العديد من الدراسات أن الصيام يحسن من كفاءة التحكم في نسبة السكر في الدم عن طريق تقليل مقاومة الأنسولين، والذي يفيد الذين يعانون من مرض السكر بصفة خاصة.**

أجريت دراسة على عشرة أفراد من الذين يعانون من النوع الثاني من السكر Type 2 Diabetes سكري النمط الثاني والذي كان يدعى سابقا بداء السكري غير المعتمد على الأنسولين أو سكري البالغين وهو اضطراب يتميز بارتفاع معدل السكر في الدم في سياق مقاومة الأنسولين ونقص الأنسولين النسبي، وهو على النقيض من داء السكري من النوع الأول الذي يتصف بنقص الأنسولين المطلق بسبب تدمير خلايا الجزر في البنكرياس، وقد تبين أن الصوم لعدة ساعات يقلل من منسوب السكر في الدم[١].

وفي الوقت ذاته تبين أن الصوم له نفس فاعلية الحد من السعرات الحرارية في تقليل مقاومة الأنسولين مما يسمح بتحويل الجلوكوز من مجرى الدم إلى الخلايا بفاعلية، وهذا بدوره يحافظ على ثبات نسبة السكر في الدم ويمنع حدوث أي طفرة في مستوى السكر في الدم[٢].

كشفت بعض الدراسات أن الصوم يساعد في التقليل من حدة الالتهابات عن طريق مقاومة الالتهابات الجسدية مما يسهم في تحسين الصحة، حيث إن حالات الالتهابات المزمنة ربما يكون لها العديد من العواقب الوخيمة على صحة الفرد، وبين البحث العلمي أن حالات الالتهابات ربما تتسبب في الكثير من الحالات المزمنة مثل أمراض القلب والسرطان والروماتويد[٣].

والجدير بالذكر أن هناك دراسة أكدت أن الصوم لمدة شهر بالتحديد يقلل من مستويات الالتهابات وأجريت هذه الدراسة على خمسين شخصا بالغا (٢١ رجلا و٢٩ سيدة) أثناء صومهم لشهر رمضان، وتبين أن نسبة الدهون أصبحت أقل بصورة واضحة أثناء شهر رمضان عما كانت عليه قبل الشهر الكريم. وتبين النتائج أن صيام شهر رمضان يقلل من حالات الالتهابات في الجسم عن طريق منع مؤشرات الالتهاب في خلايا السيتوكين Cytokines (وهو بروتين سكري يستخدم في عمليات نقل الإشارة والتواصل بين الخلايا) وتقليل نسبة الدهون في الجسم[٤].

وعلى هذا فقد وضحت الدراسات أن الصوم على هذا المنوال، كما هو الحال في شهر رمضان له بعض النتائج الايجابية في تقليل مخاطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية (Cardiovascular diseases) وارتفاع نسبة الأحماض الأمينية (Homocysteine)[٥].

ولتحسين أداء القلب عن طريق تحسين ضغط الدم ونسبة الكولسترول والدهون الثلاثية، والمعروف أن أمراض القلب تعتبر المسبب الرئيسي لحالات الوفاة حول العالم حيث تمثل ٣١,٥ في المئة من حالات الوفاة عالميا[٦].

وأثبتت الدراسات الحديثة أن الصوم يعد مفيدا لصحة القلب، وأن ما يعادل ثمانية أسابيع من الصوم يقلل من معدلات الكولسترول والدهون الثلاثية بمعدل ٢٥ في المئة وقد تصل في بعض الأحيان إلى ٣٢ في المئة[٧].

ولقد أجريت دراسة أخرى على أكثر من مئة فرد بالغ يعانون من السمنة «Obesity»، أن الصيام لمدة ثلاثة أسابيع تحت إشراف طبي قد يساهم بصورة واضحة في تقليل ضغط الدم ومنسوب الدهون الثلاثية والكولسترول[٨].

بالإضافة إلى دراسة أخرى أجريت على

ما يقرب من ٤٦٢٩ شخصا تبين فيها أن الصيام وثيق الصلة بتقليل الإصابة بالشريان التاجي (Coronary Heart Diseas).

والصيام يزيد من كفاءة عمل المخ ويمنع الاضطرابات العصبية، وله تأثير كبير على صحة المخ، كما أوضحت التجارب على الحيوانات أن الصيام يحافظ على سلامة المخ ويزيد من الوظائف المعرفية، حيث إن الصوم من شأنه أن يمنع حالات التهابات الخلايا وهذا بدوره يمنع حالات الاضطراب العصبي أو خطر الإصابة بالزهايمر ففي تجربة أجريت على الفئران تبين أن الصيام لمدة أحد عشر شهرا يحسن من وظائف وتركيب المخ(٩).

«إن أحد الأبحاث العلمية في جامعة كاليفورنيا عام ٢٠١٤م، أشار إلى أن الصيام لمدة ثلاثة أيام شريطة الحصول على أقل من ٢٠٠ سعر حراري (calories) في اليوم، من الممكن أن يساهم في تقليل الضغط على الجهاز المناعي، وقد لاحظ العلماء مقدمو البحث، أن الخلايا عندما لا تحصل على معدلاتها من الوقود أو الطاقة من الوجبات اليومية فإن الجسم بدوره يتحول إلى ما يسمى بحالة التعايش من أجل البقاء (Survival Mode)، مما ينتج عنه قتل الخلايا البيضاء القديمة التالفة لتوليد الطاقة منها، وعند إمداد الجسم بالطعام فإن الخلايا الجذعية ترنو إلى دفع وتزويد الجهاز المناعي بدفعة جديدة من الخلايا السليمة في بعض الأماكن والأعضاء مثل الأمعاء والمخ، مما يؤدي إلى تقليل الإصابة بتصلب الأنسجة بسبب تجدد الخلايا أو استبدالها بأخرى.

وهذا يؤدي بدوره إلى بعض التغيرات الإيجابية، والتي من شأنها أن تحسن من الذاكرة مما يدفع بالتعلم إلى الأمام قدما، بالإضافة إلى أنها تقدم أسلوب حماية ضد بعض الأمراض مثل الزهايمر، كما أن ذلك يؤدي إلى تقليل مخاطر إصابة القلب ببعض الأمراض حيث إن الجسم يتخلص من الدهون المعوية والتي تعتبر من أكثر الأنواع خطورة»(١٠).

الصيام رياضة صحية

إن الصيام يساعد على تقليل الوزن عن طريق الحد من السعرات الحرارية وتحفيز عملية الأيض الغذائي (Metabolism)، والامتناع عن تناول بعض الأطعمة والمشروبات يقلل من السعرات الحرارية، وهذا بدوره يؤدي إلى فقدان الوزن على مر الزمن وأوضحت بعض الدراسات الحديثة أن الصيام يساعد على تحفيز عملية الأيض «التمثيل الغذائي -Metabolism» عن طريق زيادة منسوب إفراز الناقلات العصبية (neurotransmitters)، مما يؤدي إلى نقصان الوزن، وبينت الدراسة أن الصوم يقلل الوزن إلى قرابة ٩ في المئة، ويقلل الدهون على مدار «١٢-٢٤» أسبوعا.

وفي دراسة أخرى وجد أن الصيام على مدار «٣-١٢» أسبوعا يزيد من كفاءة نقصان الوزن وتقليل كتلة الدهون أو تراكمها إلى ما يقرب من ٨ في المئة وقد يصل ذلك إلى ١٦ في المئة، هذا إلى جانب المحافظة على النسيج العضلي للجسم(١١)

والصيام يزيد من إفراز الهرمون اللازم للنمو وعملية الايض وفقدان الوزن وصلابة العضلات، إن هرمون النمو البشري Human Growth (Hormone(HGH هو نوع من الهرمونات الروتينية، المسؤولة عن العديد من الجوانب الصحية، ولقد وأوضح البحث العلمي أن هذا الهرمون هو المسؤول الرئيسي عن النمو والتمثيل الغذائي «الأيض»، وفقدان الوزن وصلابة العضلات أيضا. والصيام يزيد من إفراز هذا الهرمون، وفي دراسة أجريت على أحد عشر فردا بالغا تبين فيها زيادة ملحوظة في هذا الهرمون، حيث إن الصوم لمدة يومين فقط يؤدي إلى زيادة تصل إلى خمسة أضعاف معدلات إفراز هذا الهرمون، بالإضافة إلى أن الصيام يحافظ على ثبات نسبة السكر في الدم ونسبة الأنسولين وهذا ينظم من مستويات هرمون النمو(١٢).

الهوامش

1-World J diabetes: effects of fasting on health markers April 15.2017
2-US National library of medicine. National institutes of health (June 12.2014)
3-the inflammation theory of disease : EMBO.Rep.by : Philip Hunter (Nov 11.2013)
4-Intermittent fasting during Ramadan attenuates proinflammatory Cytokines and immune cells (Dec، 2012)
5-Biochemical Parameters during prolonged intermittent fasting
Ann Nutr Metab (March 19.2007)
6-Heart disease and stroke statistics : A Report from the American Heart Association»
7-Obesity (Silver Spring): improvements in coronary heart disease risk indicators (Nov.18.2010)
8-Srp Arh Celok lek : The effects of three-week fasting diet on blood pressure : US National library of medicine (July-Aug 2007)
9-Chronic fasting improves cognitive functions in mice : US National library of medicine (June 2013)
10-RAWLS MD.com/health-articles/can-fasting-renew-your-immune-system
By:Beth Janes (172018/5/)
11-intermittent versus daily calorie restriction :Barnosley AR ،Hoddy K (Oct،2014)
12-J Clin Metab :Augmented growth hormone(GH)during a two-day fast (April 1992)



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٣١)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (ابن حجر):

١- ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، المعروف بابن حجر، من أئمة الحديث والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين.

ولد بالقاهرة سنة: (٧٧٣هـ).

ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره.

من مصنفاته: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، و(لسان الميزان)، و(بلوغ المرام من أدلة الأحكام)، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(تقريب التهذيب)، و(نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر)، و(فتح الباري في شرح





صحيح البخاري) وغيرها من المصنفات القيمة.
توفي بالقاهرة[1].

٢- ابن حجر الهيتمي (ت:٩٧٤هـ):
هو شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن علي الهيتمي السعدي الأنصاري، المعروف بابن حجر، فقيه باحث مصري، أصله في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر، وإليها نسبته.
ولد بمصر سنة: (٩٠٩هـ)، وتلقى العلم في جامع الأزهر.
من مصنفاته: (مبلغ الأرب في فضائل العرب)، و(الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة)، و(تحفة المحتاج لشرح المنهاج) في فقه الشافعية، و(الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان)، و(فتح المبين لشرح الأربعين النووية)، و(أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل)، و(المنهج القويم في مسائل التعليم)، و(كف الرعاع عن استماع آلات السماع)، و(الزواجر عن اقتراف الكبائر)، وغيرها من المصنفات.
توفي بمكة[2].

المتفق والمفترق في اسم (ابن القطان):

١- ابن القطان (ت:٣٤٠هـ):
هو أبو الحسن علي بن محمد ابن عبدالملك الحميري الفاسي، المعروف بابن القطان، من حفاظ الحديث ونقدته، من أهل فاس.
ولد سنة: (٥٦٢هـ)، أقام زمنا بمراكش، ثم ولي القضاء بسجلماسة، فاستمر الى أن توفي بها، من مصنفاته: (بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام) انتقد به كتاب (الأحكام) لابن الخراط، و(النظر في أحكام النظر)، و(مقالات في الأوزان)، وغيرها من المصنفات.
توفي بمراكش[3].

٢- ابن القطان (ت:٣٥٩هـ):
هو أحمد بن محمد بن أحمد بن القطان البغدادي. فقيه شافعي أصولي، من أهل بغداد، درس فيها، وأخذ عنه العلماء، له مصنفات في أصول الفقه وفروعه.
توفي ببغداد[4].

٣- ابن القطان (ت:٨١٣هـ):
هو شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن علي بن محمد السمنودي المصري، المعروف بابن القطان، من فقهاء الشافعية.
ولد بالقاهرة سنة: (٧٣٧هـ)، من مصنفاته: (السهل) في القراءات السبع، و(تسهيل السهل)، و(ذيل على طبقات الإسنوي)، و(شرح ألفية ابن مالك)، و(جمع الشمل) في الفرائض والحساب، و(المشرب الهني في شرح مختصر المزني)[5].

٤- ابن القطان (ت:٨٨٥هـ):
هو محب الدين أبو الوفاء محمد بن محمد بن علي الشافعي المعروف بابن القطان المصري.
من أهم مصنفاته: (رفيق الطريق وطريق الرفيق) في الفقه، و(سباق المرتاح وسياق الممتاح) في المدائح النبوية، و(عرف النهر وغرف الزهر) في الأدب، و(منارة المنازل وزهارة المعازل)، و(كشف البيان عن صفات الحيوان)[6].

الهوامش
١- ينظر: الضوء اللامع (٣٦/٢) والأعلام للزركلي (١٧٨/١) ومعجم المؤلفين (٢٠/٢).
٢- ينظر: خلاصة الأثر (١٦٦/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٤/١) ومعجم المؤلفين (١٥٢/٢).
٣- ينظر: شذرات الذهب (١٢٨/٥) والأعلام للزركلي (٣٣١/٤) ومعجم المؤلفين (٢١٣/٧).
٤- ينظر: تاريخ بغداد (٣٦٥/٤) والأعلام للزركلي () ومعجم المؤلفين (٧٥/٢).
٥- ينظر: الضوء اللامع (٩/٩) والأعلام للزركلي (٢٨٧/٦) ومعجم المؤلفين (٥٧/١١).
٦- ينظر: هدية العارفين (٢١١/٢) وإيضاح المكنون (٢/٢) ومعجم المؤلفين (٢٥٢/١١).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

مجلة الهلال

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الهلال» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة الهلال: هي مجلة علمية تاريخية أدبية مصرية شهرية تصدر عن دار الهلال، أسسها جرجي زيدان سنة: (١٨٩٢م)، وصدر عددها الأول في: ١ سبتمبر من العام نفسه، وهي بذلك تعد أول مجلة ثقافية شهرية عربية، ومازالت تصدر حتى اليوم. وهي المجلة الوحيدة التي تصدر بصفة منتظمة منذ أكثر من مئة سنة.

سبب تسميتها بالهلال

ذكر جرجي زيدان ثلاثة أسباب جعلته يسمي هذه المجلة بهذا الاسم:
أولها: تبركا بالهلال العثماني الرفيع الشأن شعار «دولتنا العلية أيدها الله».
وثانيها: «لأنها تظهر كل أول شهر كالهلال».
وثالثها: «تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تكتمل بدرا».
وقال زيدان أيضا: «نرجو أن تصادف خدمتنا استحسانا لدى حضرات القراء».

التعريف بصاحب المجلة

جرجي حبيب زيدان: ولد في بيروت في ١٠ جمادى الآخرة، ١٢٧٨هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٨٦١م، أديب وروائي ومؤرخ وصحافي لبناني. أجاد فضلا عن اللغة العربية؛ اللغة العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية. أصدر مجلة الهلال التي كان يقوم بتحريرها بنفسه في ربيع الأول، سنة: (١٣١٠هـ) الموافق لعام: (١٨٩٢م)، ونشر فيها كتبه.
توفي جرجي زيدان فجأة وهو بين كتبه وأوراقه في: (٢٧ شعبان، سنة ١٣٣٢هـ، الموافق: ٢١ يوليو، سنة: ١٩١٤م).

مؤلفاته: له عدة مؤلفات نذكر منها:
العرب قبل الإسلام – الجزء الأول، طبع في مصر سنة: (١٩٠٨م).
تاريخ التمدن الإسلامي (خمسة أجزاء) طبع في مصر: (١٩٠٢-١٩٠٦م).
تاريخ مصر الحديث (جزآن) طبع في مصر: (١٨٨٩م).
الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية – بيروت: (١٨٨٩م).
تاريخ آداب اللغة العربية (أربعة أجزاء) مصر: (١٩١١م).
اللغة العربية كائن حي – بيروت: (١٩٨٨م).

كما أن له العديد من الروايات نذكر منها:
سلسلة روايات تاريخ الإسلام.
أرمانوسة المصرية: قصة فتح مصر على يد عمرو بن العاص.
الحجاج بن يوسف: الأحوال السياسية في العصر الأموي.
فتح الأندلس: قصة فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد. وغيرها كثير.

محتوى المجلة بشكل عام

سنستعرض بعض ما جاء في عددها الأول من سنة (١٨٩٣م)، حيث إن مكتبة مجلة الوعي لا تحتوي على السنة الأولى من صدور المجلة. فقد استهل هذا العدد بصفحة: أشهر الحوادث وأعظم الرجال، حيث احتوى على مقال بعنوان: ابن رشد. وهو القاضي أبو الوليد محمد ابن أحمد بن رشد المالكي (٥١٤هـ-٥٩٥هـ)، حيث تعرض إلى حياته ومؤلفاته.
ثم جاء بعده تحت صفحة باب المقالات مقال بعنوان: خليج القاهرة وتاريخه، وهو مقال كتب بمناسبة افتتاح خليج القاهرة.
وتحت صفحة: باب المراسلات، جاء مقال بعنوان: السكة الحديدية في سورية ومضارها، بقلم: أسعد عفيش.
ثم تلاه مقال تاريخي بعنوان: تاريخ إنجلترا، حيث تكلم عن نشأتها وسكانها وبيئتها الجغرافية.
تبعه بعده مقال تاريخي أيضا بعنوان: الدولة الرومانية من الفتح الروماني سنة: (٥٥ ق.م إلى سنة: ٤١٠م).. وهكذا تنوعت مقالات المجلة ومواضيعها بين أدبي وتاريخي وعلمي.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة شبه كاملة من هذه المجلة، حيث تحتوي على نسخة من هذه المجلة بداية من آخر أربعة أعداد من سنة: (١٨٩٣م إلى سنة ٢٠٠٥م)، وهي مجموعة تقارب ١٤٠ مجلدا، وهي في متناول الباحثين عن الثقافة والأدب.

المصادر

- مجلة الهلال.
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

القارئ والمربي والمعلم الشيخ عبدالله خياط

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ وهب صوتا عذبا وذاع صيته حتى ملأ الآفاق.. تلا القرآن فأبكى، إذ لا تكلف في قراءته ولا تقليد.. كان نسيج وحده في التلاوة.. وأوتي علما واسعا؛ فخطب فأسمع، وكتب فأمتع.

■ بجمال صوته وبلاغة خطبه وسعة علمه أمتع المصلين.. شرّفه الله بإمامة المصلين في بيته العتيق، فقضى بين أروقته جل عمره؛ تلميذا وإماما ومعلما، ولطالما أصغت وخشعت المسامع والمدامع، وربما الطيور، لسماع صوته وهو يتلو كتاب الله العزيز في الحرم أو عبر أثير إذاعة صوت الإسلام من مكة المكرمة.. إنه الشيخ عبدالله بن عبدالغني بن محمد خياط.

■ عاش مجاورا لبيت الله الحرام، إذ ولد في أم القرى في التاسع والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٦هـ، لبيت متوسط الحال (ينتهي نسبه إلى قبيلة قضاعة) محب للعلوم الدينية والأدبية؛ فوالده كان ملما ومطلعا على الفقه الحنفي والتفسير وعلوم الحديث النبوي الشريف.

■ في مدرسة الخياط بمكة المكرمة، تلقى تعليمه الابتدائي.. وفي المدرسة الراقية (على عهد الحكومة الهاشمية) درس المنهج الثانوي.. وفي المدرسة الفخرية حفظ القرآن الكريم كاملا.. وتخرج في المعهد العلمي بمكة المكرمة عام ١٣٥٠هـ.. كما درس العلوم الشرعية على يد علماء المسجد الحرام.

عن الشيخ

■ كان إمام المقرئين في زمانه؛ حافظا وقارئا مجيدا للقرآن، وكان عالما بارزا شديد التمسك بمنهج السلف، ورائدا تربويا ربى أجيالا كثيرة؛ منها الحاكم والمحكوم والطالب والأستاذ الجامعي، متواضعا زاهدا.. أخلاق الإسلام وآدابه تراها واقعا في أفعاله وأعماله، وأديبا فهو من أنشط كتاب المقالة الدينية.

أشياخه وتلامذته

■ هيأت له نشأته في أم القرى، ومجاورته للبيت الحرام، فرص الالتقاء بأكبر عدد من علماء الدين

الذين يفدون إلى الحرم المكي، سواء للزيارة أو للمكوث فيه طلبا للعلم الشرعي أو لتدريسه، فرُزق الشيخ، رحمه الله، فرص الجلوس تحت أقدام كوكبة من العلماء يتلقى العلم منهم مباشرة.. وممن تتلمذ الشيخ على يديهم: الشيخ عبدالله ابن حسن آل الشيخ (رئيس القضاة في الحجاز)، والشيخ عبدالظاهر محمد أبو السمح (إمام المسجد الحرام وخطيبه والمدرس فيه)، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة (إمام المسجد النبوي وخطيبه والمدرس فيه - صاهره الشيخ ولازمه)، والشيخ المحدث مظهر حسين (المدرس بالمسجد الحرام)، والشيخ إبراهيم الشورى (مدير المعهد العلمي السعودي)، والشيخ تقي الدين الهلالي (المدرس بالمسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي).... وكثير غيرهم.

■ أما تلامذته فأكثر من أن يحصروا، إذ تتلمذ على يديه -رحمه الله- العلماء والقضاة والأمراء والساسة والوزراء ورجال الدولة وصناع القرار.

تواريخ ومناصب

■ في عام ١٣٤٦هـ، عين الشيخ الخياط إماما للمسجد الحرام بموجب أمر ملكي. وفي عام ١٣٤٧هـ، وبموجب أمر ملكي ثان، عين عضوا في هيئة الأمر بالمعروف. وفي عام ١٣٥٢هـ، عين مديرا للمدرسة الفيصلية بمكة المكرمة. وفي عام ١٣٥٦هـ، اختاره الملك عبدالعزيز ليكون معلما لأنجاله وعينه مديرا لمدرسة الأمراء بالرياض.

■ في عام ١٣٧٣هـ، وبعد وفاة الملك عبدالعزيز، عين الشيخ مستشارا للتعليم في مكة المكرمة. وفي عام ١٣٧٥هـ، أسندت إليه، بالإضافة إلى عمله مستشارا، إدارة كلية الشريعة بمكة. وفي عام ١٣٧٦هـ، عين إماما وخطيبا للمسجد الحرام. بعدها وفي عام ١٣٨٠هـ، صدر أمر ملكي بتعيينه رئيسا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بيد أن الشيخ اعتذر وطلب إعفاءه لظروف خاصة، فاختير بعدها في عام ١٣٨٢هـ ليكون عضوا في مجلس إدارة كليتي الشريعة والتربية بمكة المكرمة.

■ في ١٣٨٤هـ، اختير عضوا في لجنة من مجلس التعليم الأعلى لوضع سياسة عليا للتعليم في المملكة. وفي عام ١٣٩١هـ، ومع بداية تأسيس هيئة كبار العلماء، صدر أمر ملكي باختياره عضوا فيها واستثنائه من النظام وعدم إحالته إلى التقاعد مدى الحياة.

وفي عام ١٣٩٣هـ، رشح عضوا في مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته

■ خلف الشيخ بعد وفاته إرثا علميا متعدد المشارب، حيث كتب في: العقيدة والفقه والحديث والسيرة، كما كتب في: الأدب والسير والمذكرات والتراجم. ومن أهم كتبه: «التفسير الميسر» في ثلاثة أجزاء، و«الخطب في المسجد الحرام» في ستة أجزاء، و«دليل المسلم في الاعتقاد»، و«اعتقاد السلف»، و«ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه»، و«المصدر الثاني للتشريع الإسلامي»، و«حكم وأحكام من السيرة النبوية»، و«الربا في ضوء الكتاب والسنة»، و«الحدود في الإسلام»، و«شخصيات إسلامية» و«قال لي محدثي»، فضلا عن مشاركات علمية ودعوية متعددة في مختلف وسائل الإعلام، كما كان للشيخ محاضرات وندوات ودروس وقراءات مسجلة من المصحف الشريف في الإذاعة.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة في المجلة، جاءت تحت عنوان «الحلال والحرام» (العدد: ٧، رجب ١٣٨٥هـ/ نوفمبر ١٩٦٥م).

وفاته

أمد الله في عمر الشيخ حتى شاهد كتبه تملأ المكتبات العربية والإسلامية، ويتسابق إليها العلماء، ويحتفى بها طلاب العلم في بقاع العالم الإسلامي، ورأى تلامذته يملأون فضاء الجامعات والكليات والمعاهد العلمية والأدبية. وفي صباح يوم الأحد السابع من شهر شعبان عام ١٤١٥هـ، توفي الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط عن عمر يناهز التاسعة والثمانين.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد: ٧.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤ - جريدة الرياض.
٥ - المكتبة الشاملة.

الصوم عموم وخصوص

الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص. فصوم العموم: هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة. وصوم الخصوص: هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. وصوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية.

(انظر: المستطرف للأبشيهي: ١/ ٢٨)



إعداد/ د. تركي محمد النصر

خصوصية الصوم

قال العلامة ابن عبدالبر: كفى بقوله: «الصوم لي» فضلا للصيام على سائر العبادات، وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به»، مع أن الأعمال كلها له، وهو الذي يجزي بها، على أقوال؛ أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، قال العلامة القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله، فأضافه إلى نفسه. وقال أبو عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها، فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب؛ وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات، إلا الصوم فإنما هو بالنية التي تخفى على الناس.

(انظر: أسرار المحبين في رمضان، ص: ١٨)

الصوم الصالح الصحيح

الصيام جنة من النار، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا، ولا كان صوم هذا صالحا وصحيحا.

(انظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص: ٨٦)

ذللوا أخلاقكم

قال حكيم العرب أكثم بن صيفي رحمه الله: ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر.

(انظر: أخبار العرب: ١/ ١٢)

مشاركة: يعقوب الجناع

عشرة من الفطرة

قال العلامة أبو الوفاء بن عقيل البغدادي رحمه الله: عشرة من الفطرة، خمس في الرأس وخمس في الجسد. فالتي في الرأس: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وإعفاء اللحية. والتي في الجسد: حلق العانة، ونتف الإبطين، وتقليم الأظفار، والاستنجاء والختان.

(فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة، ص:٤٤)

أول من سن قيام رمضان

الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، يضرب بعدله المثل، تولى الخلافة بعد الصديق رضي الله عنه وبعهد منه، وهو أول من عس بالمدينة المنورة ليلا، وهو أول من حمل الدرة وضرب بها، وهو أول من سن قيام شهر رمضان، وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجري، وهو أول من قدر رواتب العمال وحددها.

(انظر: الأوائل لأبي هلال العسكري، ص:٢١٤)

سلطان العلماء

وقع في البلاد غلاء فاحش أيام العز بن عبدالسلام رحمه الله، حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل، فأعطته زوجته ذهبا وقالت: اشر لنا بستانا نصيف فيه، فأخذ الذهب وباعه، وتصدق بثمنه، فقالت: يا سيدي اشتريت لنا؟ قال: نعم بستانا في الجنة. إني وجدت الناس في شدة، فتصدقت بثمنه، فقالت المرأة: جزاك الله خيرا.

(انظر: طبقات الشافعية، ص:٢١٣)

أدب النفس

إن النفس بلهاء، فإذا مرت في الحلال فتمكنت منه؛ سلست في الحرام إذا لم يكن في القلب ما يقيد النفس عن الحرام ويقويها حتى لا تسلس، ولا بد للعبد أن يجاهد نفسه، ومن جهاده أن يروض نفسه فيؤدبها. وأدب النفس أن يمنعها بعض الحلال، حتى لا تطمع في الحرام، وذلك أن النفس قد اعتادت لذة التكلم بالكلام، فإذا لم يلزمها الصمت فيما لابد منه، حتى تعتاد السكوت عن الكلام فيما لابد منه، فقد ماتت شهوة الكلام، فاستراح وقوي على الصدق، فلا يتكلم إلا بحق، فصار سكوته عبادة، وكلامه عبادة، لأنه إن نطق نطق بحق، وأن سكت سكت بحق، لأنه سكت مخافة الوبال.

(انظر: رياضة النفس للحكيم الترمذي، ص:٣٨)

مسك الختام

يا باغي الخيــر أقبل

شهر رمضان ضيف كريم يزورنا في كل عام مرة، فنتزود خلاله بشحنة إيمانية للعام بأكمله من صيام وقيام وتلاوة قرآن وإطعام الطعام واعتكاف وعمرة وصلة رحم وأجواء إيمانية يستمر أثرها في رمضان وخلال العام بأكمله ولسان حالنا يقول: ياليت السنة كلها رمضان، وما يأتي رمضان المقبل إلا والمسلمون متلهفون لقدومه، وهو شهر فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وينادي: ياباغي الخير أقبل وياباغي الشر أقصر، فيه ليلة خير من ألف شهر، وكان الرسول ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، فكان يصوم نهاره ويعارضه جبريل القرآن في كل رمضان، وفي العام الذي قبض فيه عارضه جبريل القرآن مرتين، وكان ﷺ أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان، فيكون أجود بالخير من الريح المرسلة.

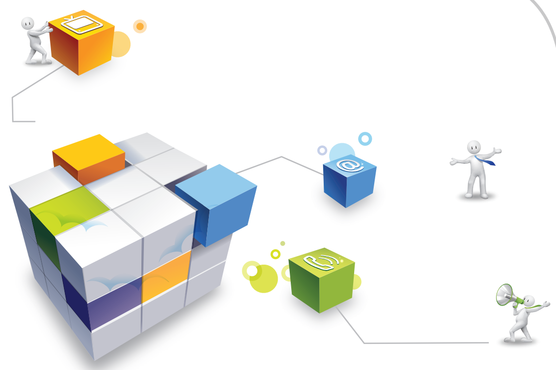
وشهر رمضان شهر التغيير، يتعود المسلم فيه على الصيام والقيام وتلاوة القرآن والبذل والإحسان، ليستمر بعد ذلك طوال العام، فصيام التطوع مشروع طوال العام كصيام ستة من شوال والأيام البيض من كل شهر، ويومي الإثنين والخميس، وصيام شهر الله المحرم وعاشوراء والإكثار من صيام شهر شعبان. كما أن قيام الليل مشروع أيضا، وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وجاء في الحديث: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» (أخرجه أبو داود)، وجاء أيضا في الحديث: «أوتروا ياأهل القرآن، أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر» (مسند أحمد)، كما يستحب تلاوة القرآن وختمه في كل شهر من السنة، فقد جاء في الحديث: «اقرأه في شهر»، فلذلك يُسن ختم القرآن في كل شهر، وجميع العبادات المشروعة في رمضان مشروعة في غيره، فشهر رمضان هو من يشعل الجرعة الإيمانية المتوقدة في صدر المؤمن، وهو بمنزلة دورة إيمانية مكثفة يتعود المسلم فيها على فعل أوجه الخير.

ويقول علماء التربية إن الإنسان إذا تعود على عمل أو عادةً لمدة ٢١ يومًا فإنه يتعودها ويألفها، وبعضهم يقول «٣٠ يوما»، فلله الحكمة البالغة من هذا الشرع الحكيم الذي يتضمن من الأسرار التي تكشف بديع صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه. ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤). فلله الحمد والمنة على هذا الشرع العظيم الذي منّ علينا به فأكمله لنا وأتمه علينا ورضيه لنا، فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣).

محمد ناصر العليم
وكيل الوزارة المساعد للإعلام
والعلاقات الخارجية ندبًا
وزارة الأوقاف - الكويت






www.alwaeialshababy.com


www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فهد الخزّي



Shabab alwaei
@alwaeialshababy
alwaeiq8@gmail.com







الرسول ﷺ في عيونهم

فلاش يلخص آراء الفلاسفة والمفكرين المستشرقين المنصفين في خير النبيين والمرسلين .. فماذا قالوا في حقه ؟

 @kwt_awqaf  @kwt_awqaf  Kwt.awqaf

العدد ٦٤٩ - السنة ٥٦ - رمضان ١٤٤٠ هـ - مايو ٢٠١٩م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٦٥٠) شوال ١٤٤٠ هـ - يونيو - ٢٠١٩ م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

القُدسُ مدينةُ المِيزانِ الحضارِي

- الأوقافُ الكويتيّة أنارت المراكز الرّمضانيّة
- التّخطِيط المِعْمارِيُّ الإسلامِيُّ
- العِيدُ في الإسلام

هديّة العدد: مطويّة أئمّة المذاهب الفقهيّة الأربعة




مجلة الوعي الاسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الاسلامي



جديدنا

أئمة المذاهب الفقيهة الأربعة

من إصدارات مجلة الوعي الإسلامي
يتضمن ترجمة لأئمة المذاهب الفقهية الأربعة التي تلقتها الأمة بالقبول، مع ذكر أبرز شيوخهم.
وتلاميذهم ومصنفاتهم، وأصول مذاهبهم، ثم الكتب التي ترجمت لهم.
وتحمل هذه المطوية رقم (٤) ضمن سلسلة مطويات مجلة الوعي الإسلامي.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

القدس.. المنطلق والموعد

لقد خلق الله - سبحانه - الخلق، ثم شاء أن يفاضل بينهم؛ فاختار من الأمكنة بقاعا شرفها وفضلها على ما سواها؛ فأفضل هذه البقاع: مكة ثم المدينة، وقد جعل - سبحانه - أفضل المساجد المسجد الحرام، ثم المسجد النبوي، ثم المسجد الأقصى، وجعل للصلاة فيها فضلا على ما سواها من المساجد؛ فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الصلاة في ... مسجد بيت المقدس خمسمئة صلاة» (أخرجه البيهقي في «الصغرى»، رقم: ١٨٢١).

أما القدس فهي شامة الدنيا من غربها إلى شرقها الأقصى، المفضلة في القرآن الكريم بقوله تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٢١)، فهي مهاجر خليل الله إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١)، ومن هذه الأرض المقدسة المباركة عرج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى في حادثة الإسراء والمعراج، فما من نبي من الأنبياء إلا ولد فيها، أو هاجر إليها، أو وطئت قدماه أرضها، وفي جنبات مساجدها تخرج كبار العلماء، وبرز قادة نجباء، فهي محط رحال الصالحين، ومقصد الزهاد والعابدين، وإذا فسد أهلها؛ فلا خير فيمن بقي من المسلمين.

لا غرو؛ فالقدس أولى القبلتين، ومسجدها ثاني المسجدين في البناء، وثالث المساجد في المنزلة الرفيعة الشماء؛ ففي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة» (البخاري، رقم: ٣٣٦٦). هذا المسجد الذي تعددت فضائله؛ فمن صلى فيه خرج من خطاياه كيوم ولدته أمه؛ فقد أخبر نبينا ﷺ: «أن سليمان بن داود... سأل الله عزوجل حين فرغ من بناء المسجد (الأقصى) ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه» (النسائي، رقم: ٦٩٣). وتلك الأرض المقدسة مكلوءة بحمى الرحمن، وتحرسها ملائكته، وهي مأوى الإيمان عند وقوع الفتن في آخر الزمان كما صحت بذلك الأخبار.

إن أرضا هذه مكانتها وفضائلها، وهذا شأنها وديدنها؛ لحقيقة أن يبذل لها الغالي والنفيس؛ لتطهر من براثن الصهاينة ودنسهم، بل لزام على كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يهب لنصرة إخوانه في بيت المقدس؛ ليكون من هذه الزمرة التي اختارها الله لنصرة دينه، لأننا على ثقة ويقين تامين بأن نصر الله - لا محالة - قادم، كما أخبر بذلك الذي لا ينطق عن الهوى نبينا محمد ﷺ. وقد أحسن من قال واصفا مكانة القدس:

القدس في القلب لن يهنأ لنا بال — حتى تقول الدنا: من أفسدوا زالوا
القدس في القلب محراب ومئذنة — وقبة في فضاء الكون تختال
القدس في القلب بستان ولؤلؤة — العطر من قلبها والنور ينثال
مسرى النبي لها من طيبه عبق — ومن سناه لها فخر وإجلال

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٥٠ / شوال ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
يونيو ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري

طلال عثمان العثمان

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك

أبوراوش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



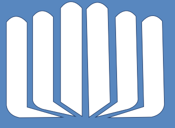
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

لا إقصاء للأقصى

كيف يمكن لغرس القلب أن ينزعه نازع من جذور؟! بل كيف يمكن لمستقر في أعماق النفس أن يبور؟! وكيف لعقيدة مسلم قوي أن تتبدل مهما كانت مرارة النكبة وذكراها؟! نناديك فلسطين الأقصى .. نناديك فلسطين القدس.. نناديك فلسطين العزة والجهاد، ونقول لك –ونحن نحتفل بعيد جعله الله فرحة لنا بعد شهر مجاهدة النفس– إننا ما نسيناك ولن ننساك وستظلين في القلب وستظل ذكرى النكبة وقودا يشعل تنور العودة للأرض والسيادة للمعنى والكرامة، ومهما تفننوا في عقد صفقات ومهما كادوا بمكائد الأبالسة فلا إقصاء للأقصى، والله ناصرك بهذا الجيل أو بجيل مقبل من بعده. ولحين تحقيق الأمل لا نملك إلا أن نردد قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج:٤٠).

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



سهير أبوبكر الشاذلي
كاتبة مصرية

العيد في الإسلام

جاءت الأديان من أجل خير الإنسان وسعادته؛ لذلك اشتملت على أعياد يحتفل بها أصحابها لاسيما أنها من الأمور الإيجابية التي تعين الإنسان على التزود بطاقة جديدة تدفعه لمواصلة كفاحه اليومي لكسب قوت يومه. وقد لبى الإسلام هذه الرغبة الفطرية لدى أتباعه فجعل لهم عيدين؛ عيد الفطر وعيد الأضحى، يُحتفل بهما في كل عام. وارتبط هذان العيدان في الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة، فعيد الفطر يرتبط بشهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى يرتبط بمناسك الحج.

ويأتي عيد الفطر بعد آخر يوم من أيام شهر رمضان، حيث يذهب المسلمون إلى المساجد وساحات الصلاة لأداء صلاة العيد بعد شروق شمس يوم العيد، وفي طريقهم للصلاة يهنئ بعضهم بعضا فرحين مكبرين في خشوع: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.. الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا».

أما عيد الأضحى الموافق لليوم العاشر من شهر ذي الحجة، فيأتي بعد يوم عرفة الذي يقف فيه الحجاج المسلمون بصعيد عرفات الطاهر لتأدية ركن الحج الأعظم في صورة من أبهى صور التلاحم والاتحاد بين المسلمين الكل في مكان واحد، بلباس واحد، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، يلهجون بالدعاء ويتضرعون للخالق عزوجل لنيل رحمته ومغفرته وعفوه. ومن أعظم الأعمال في عيد الأضحى لغير الحاج ذبح الأضحية بعد أداء صلاة العيد، وتوزيع لحمها على الأقارب والفقراء بعد ادخار ثلثها لبيته، ومن هنا جاءت تسمية هذا العيد بعيد الأضحى.

وعن أنس بن مالك قال: «كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال: كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى» (رواه أبو داود: ١١٣٤، والنسائي: ١٥٥٦).

والعيد في اللغة: اسم لما عاد من شيء في وقت معلوم، وهو السرور العائد. ويقال يوم العيد: إشارة إلى اليوم الذي يحتفل به ويظهر فيه الناس السرور والبهجة من تزاور ولهو بريء وتوسعة على العيال. والعيد: مشتق من العود، وذلك إما لتكراره كل عام، وإما لعود السرور بعوده ولكثرة عوائد الله فيه على العباد. والعيد أيضا مشتق من العود أي أنه يعود على المسلمين بعد شهر رمضان وبعد أداء مناسك الحج من كل عام. وعند شيخ الإسلام ابن تيمية: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك»[١].

وقال ابن عابدين: «سُمي العيد بهذا الاسم، لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة على عباده في كل يوم، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر، وإتمام الحج بطواف الزيارة، ولحوم الأضاحي، وغير ذلك، ولأن العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور»[٢].

وليس في الإسلام أعياد إلا عيدي الفطر والأضحى. وقد شرعت صلاة العيدين في السنة الأولى من الهجرة، وهي سنة مؤكدة واظب عليها النبي ﷺ وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا إليها كما يستحب التطيب ولبس أجمل الثياب فيهما، فعن الحسن رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأجود ماء وأن نضحي بأثمن ما نجد» (رواه الحاكم).

أما لفظ العيدية: فهو لفظ اصطلاحي أطلقه الناس على ما كانت توزعه الدولة من نقود في موسمي «عيد الفطر» و«عيد الأضحى» كتوسعة على أرباب الوظائف، وكانت هذه «العيدية» تُعرف بالرسوم في أضابير الدواوين

ويُطلق عليها اسم «التوسعة» في وثائق الأوقاف.

أعمال ليلة العيد

ومن السنة إحياء ليلة العيد «الفطر والأضحى» فعن رسول الله ﷺ قال: «من أحيا ليلة الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (رواه الطبراني في الأوسط والكبير). وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «بلغنا أنه كان يقال: إن الدعاء يُستجاب في خمس ليال: في ليلة الجمعة، وليلة الأضحى، وليلة الفطر، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان.. وأنا أستحب كل ما حكيت في هذه الليالي من غير أن يكون فرضاً»(٣). والإحياء يكون بالذكر والصلاة وقراءة القرآن الكريم وغير ذلك من الطاعات.

يوم العيد

ومن السنن والأعمال الواردة في يوم العيد أيضا الاغتسال قبل الذهاب للمُصلى، وأكل تمرات وترا قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر وتأخير ذلك في عيد الأضحى حتى يرجع من المُصلى فيأكل من أضحيته إن كان له أضحية، قال أنس: «كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا» (رواه أحمد والبخاري).

وفي عيد الأضحى يستحب تعجيل الصلاة ليتسع الوقت لذبح الأضحية لمن أراد الذبح في أول أيام العيد، بينما في عيد الفطر يستحب تأخيرها ليتسع الوقت لإخراج صدقة الفطر.

كذلك فإن من أعمال يوم العيد الذهاب للصلاة من طريق والعودة من طريق آخر، ويجوز أداء صلاة العيد في المسجد؛ لكن أداءها في المصلى والساحات المخصصة لذلك أفضل.

ويخرج المسلمون إلى الصلاة رجالا ونساء وصبيانا؛ امتثالا لأمر النبي ﷺ حيث قال فيما روته حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: «أمرنا الرسول ﷺ أن نُخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق الحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب قال النبي ﷺ: لتلبسها أختها من جلبابها» (رواه مسلم).

والتكبير في أيام العيدين سنة، ففي عيد الفطر قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وفي عيد الأضحى قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وقال جل شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ (الحج:٣٧).

ويستحب تهنئة المسلمين بعضهم بعضا بالعيد، فعن جبير بن نفير قال «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقولون لبعضهم: تقبل الله منا ومنكم»(٤).

الحكمة من العيدين

شرعت الأعياد في الإسلام تذكيرا بنعم الله وفضله وتأليفا لقلوب المؤمنين بالتقائهم في صعيد واحد يتبادلون فيه التعاطف والتواد والتراحم والتهنئة والتبريك وتقربا إلى الله تعالى بتوزيع الصدقات وإطعام الفقراء والمساكين وصلة الرحم، ولذلك شرعت زكاة الفطر وتوزيعها قبل صلاة عيد الفطر؛ ليستوي الناس جميعا في الاستمتاع بالبهجة والحبور والشعور بالأخوة الرحيمة.

وفي العيد تربية للمسلم على مبدأ الاتحاد الذي يربط بينه وبين إخوانه المسلمين في كل مكان حينما يعيشون هذه المناسبة المباركة في زمن واحد وفرحة واحدة.

محاذير

وإذا كان الإسلام قد أباح للمسلمين أن يفرحوا ويبتهجوا بالعيد، ويعبروا عن ذلك بالزينة والمرح والترفيه عن النفس في الحدود المقبولة، فإنه لا يجوز الانحراف بهذه البهجة إلى أمور سلبية تفسدها، سواء كان ذلك بالإسراف في تناول الأطعمة بطريقة تصيب الإنسان بالتخمة وتضر بصحته، أو بعادات وتقاليد تثير الأحزان والهموم كزيارة القبور، على سبيل المثال، أو بأفعال تتنافى مع تعاليم الإسلام السمحة وقيمه النبيلة التي تهدف كلها إلى خير الإنسان وسعادته في دنياه وأخراه.

فالعيد في الإسلام ليس مناسبة للانطلاق أو التحرر من المسؤوليات، بل هو مجال للتدبر وإعادة النظر فيما مضى، وهو مجال لشكر النعمة التي أنعم الله بها علينا. فقد كانت الأعياد في الأمم الماضية لهوا ولعبا ومجونا وفسقا، بل إن بعض الأديان السابقة كانت تتخذها سبلا إلى الإباحة المستهترة والفوضى الخلقية الماجنة، إلى أن بزغ فجر الإسلام وأشرقت شمس الرسالة المحمدية على العالم فأصبح للأعياد طعم آخر، فهو وسطي لم يوغل في فكرة المادية ولم يغرق في التزمت الرهباني.

فهنيئا لنا بأعيادنا أعادها الله علينا جميعا بالخير واليمن والبركات..

الهوامش

١. اقتضاء الصراط المستقيم (١ /٤٤١).
٢. حاشية ابن عابدين (٢ /١٦٥).
٣. «الأم» للشافعي (١/٢٦٤).
٤. قال الحافظ ابن حجر إسناده حسن- فتح الباري (٢/٥١٧).

علاء الدين حسن
شاعر وكاتب سوري



وداعا رمضان

بالأمس أقبل مشرق الميلاد
شهر التقاة وقبلة العباد
في موكب الأفراح حط رحاله
وأقام في بشر وفي إسعاد
واليوم شد إلى الرحيل متاعه
قد زود الدنيا بخير الزاد
رمضان تأتي والوجود منور
وتجيء إثرك بهجة الأعياد

مضى شهر رمضان، ومرت نفحاته مر السحاب، ولم تبق إلا دروسه، فدوام الحال من المحال، وكل شيء إلى زوال.. لقد وجدنا في رحابه أنقى الأيام، وأروع الليالي.

رمضان.. أيام مضت، صفحات طويت، حسنات قيدت، صحائف رفعت.

مضى شهر الرحمة والمغفرة، ولا ندري إلى أي مدى كان وفاؤنا بواجب العمل، وإلى أي حد كان تحقيقنا لفسيح الأمل.

لقد كان شهر رمضان ملء أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا.. شهر رمضان، كان حديث منابرنا، وزينة منائرنا، وبضاعة أسواقنا، ومادة موائدنا، وحياة مساجدنا، واليوم، صار رمضان في ذمة الماضي، بعد أن كان حقيقة تملأ السمع والبصر، وبعد أن كان حديثا يروى وخبرا يؤثر، وستمضي أيام الحياة كلها إلى أجل لا ريب فيه.

مضى رمضان، وشهد على المحسن بإحسانه، وشهد على المسيء بإساءته، وتحصل كل من الفريقين على ما قد قسم له من ربح أو خسران، فيا هناءة من قد ربح، ويا حسرة على الخاسر.. رحل رمضان، ومضى مسرعا وكأنه طيف خيال.. رمضان كان مدرسة للرحمة، والرحمة من صفات الله وأسمائه، وهي الصفة الغالبة لدعوة الإسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

رمضان موسم عالمي للعبادة والذكر والتلاوة والمغفرة.. رمضان شهر الذكريات.. فيه جرت غزوة بدر التي فصلت بين الحق والباطل. وفيه تم فتح مكة المكرمة في العام الثامن من هجرة رسول الله ﷺ.. وفي رمضان ليلة القدر المباركة التي أوصلت الأرض بالسماء.

قفز مع النسمات

رمضان شهر يحتوي أحلامنا العظيمة، ويعلمنا أن الغايات النبيلة والمقاصد الحسنة تجعل للأحلام وجودا فسيحا، فتتحقق في ذاكرة تنفك عن القيود، وتقفز خلف الجسور، فتتنفس نسمات الحرية في عبوديتها الخالصة لله، وتحيا ضعف الحياة، وضعف الفصول والأيام.

ويعلمنا رمضان أن للأحلام حياة رحبة، تسع الخلائق جميعا، على اختلاف أجناسهم وقبائلهم، وتنوع لغاتهم وألوانهم، تتنفس فيها الأرواح عبير الحقيقة، يسري إليها مسك أنفاسها، فتتوحد قلوبها على كلمة سواء، هي كلمة التوحيد، وكلمة العبودية، وكلمة الخضوع، والتكبير، والتعظيم.

ولصيام رمضان أثره الواضح على القلب والعقل والحواس، يتجسد في الاستقامة الشعورية والفكرية والسلوكية التي تغذيها العبادات والإيمان، ولئن كانت مرضاة الله هي المبتغى، فمن الغبن أن يتناقص هذا الرصيد ويتلاشى بعد انقضاء رمضان، إنما الوضع الطبيعي اعتبار هذا الشهر محطة وقود تجدد الطاقة لمواصلة السير الحثيث في الطريق إلى الله، وشتان بين المحطة التي تعطي الدعم القوي، وبين الفترة الزمنية التي تنتهي من غير أن تترك أثرا.

الصوم مدرسة لكل فضيلة طول المدى
هو روضة للسائرين إلى الإله ومنتدى
هو واحة للجود للخيرات كان المعهدا
يشفي الصدور فما يكون لصائم أن يحقدا

والمؤمن بعد صيام رمضان وقيامه، يقف وقفة لا يعجب فيها بنفسه، إنما يحمد الله على أن وفقه لطاعته. أما أهل المعصية فلهم الندامة..

غدا توفى النفوس ما عملت
ويحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وإن أساءوا، فبئسما صنعوا

والثبات على الطاعة من أخلاق المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت: ٣٠-٣١).

فالعاقبة الطيبة للراسخين في الإيمان، المثابرين على العمل بطاعة الرحمن، فمن آمن بالله واستقام على طاعته، تنزلت عليه الملائكة عند المهمات الدنيوية بما يشرح صدره، ويدفع عنه الهم والحزن، وقالت له: لا تخف من الموت وما بعده، ولا تحزن على ما خلفت من أهل وولد، وأبشر بالجنة التي وعدك الله إياها، إكراما من الله كما يكرم صاحب المنزل ضيفه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الأحقاف: ١٣-١٤).

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم»[1].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله». ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»[2]. ثم تلا قول الله عزوجل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (الأنعام:١٥٣).

معان مستفادة

مضى رمضان بعد أن ربانا على قوة الإرادة والإيمان.. فيا أيها الذي كان يمر باللغو كريما يقابل السيئة بالحسنة، ويبادل القطيعة بالصلة.. ويامن رأيناك في رمضان عائدا إلى الله، محافظا على طاعة الله.. لماذا لا تبقي نفسك في عداد عباد الرحمن الطائعين؟

ويا أيها الغني الذي استطعت أن تخفف عناء الفقر عن فقير، وقدرت أن تدفع محنة الحاجة عن محتاج، لماذا لا تشعر بأن للسائل والمحروم حقا لا يتقيد أداؤه بشهر أو يوم؟.

إن الذين أدركوا قيمة رمضان؛ سيستمرون في امتثال آدابه وتذكر ذكرياته التي أثبتت بأن جولة الباطل ساعة، وأن جولة الحق إلى قيام الساعة.

سلام عليك يا شهر القرآن وضياء المساجد.. يا شهر الذكر والمحامد.. سلام عليك يا شهر التراويح.. يا شهر الغفران الصريح..

سلام على شهر الصيام فإنه
أمان من الرحمن كل أمان
لقد كنت يا شهر الصيام منورا
لكل فؤاد مظلم وجنان

لقد هذبت نفوسنا، وأذهبت ما قد ران على قلوبنا.. أما من كان عاصيا، فهو ليس في عيد، ولو لبس الجديد! فسعادة الإنسان مرتبطة بطاعة الله، وبالدعوة إلى دين الله، وما عمت الجهالة، ولا ظهر الفساد إلا حين ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3].

والتغيير باليد يكون لولاة الأمور ولمن يسند له القيام بذلك، والتغيير باللسان يكون للعلماء بما حباهم الله من حكمة وموعظة حسنة، وأوامر الشرع مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن غفل عن تطبيق هذه القاعدة، كان فساده أكبر من صلاحه.

عظة وعبرة

ولنا في انقضاء رمضان بهذه السرعة الفائقة عبرة وعظة، فقد كنا نعيش روعة أيامه وأنس لياليه، ثم انقضت تلكم الأيام وتلكم الليالي، وكأنها ملمح خيال، مضت تلك الأيام وتلك الليالي؛ لنقطع بها مرحلة من حياتنا لن تعود إلينا أبدا، وإنما يبقى لنا ما أودعناه فيها من خير أو شر، وهكذا الأيام التي تمر علينا تنقص من أعمارنا، وتقربنا من آجالنا. قال الحسن البصري رحمه الله: «ابن آدم! إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم

مضى بعضك».

تزود من الدنيا فإنك راحل
وسارع إلى الخيرات فيمن يسارع
فما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بد يوما أن ترد الودائع

حب وإخاء

وفي العيد، يلتقي المسلمون على الحب والإخاء، ويحمدون الله على نعمة الإسلام التي شدت بعضهم إلى بعض، فأصبح مثلهم في التسامح والتعاطف مثل الجسد الواحد أو البناء المرصوص. ولو كبرت قلوب المسلمين كما تكبر ألسنتهم لكان لهم أعظم الشأن، ولو تصافحت نفوسهم كما تتصافح أيديهم لكانوا خير أمة.

وإن فهمنا للعيد ينبغي أن لا يكون فهم لهو وعبث تقتحم فيه الحرمات، إنما ينبغي أن يكون فهم توفيق بين مطالب المادة والروح.

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان»؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم خيرا منهما؛ يوم الأضحى ويوم الفطر»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر -في يوم عيد- وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان، فقال: أمزمور الشيطان في بيت رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا أبا بكر! إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا»[٥].

وبعد؛ لقد ذبلت رياض رمضان الندية، ورحلت أيامه الشذية، وانقضت مساءاته المضيئة، وغادرت ساعاته البريئة.

أيكون لي بعد ارتحالك رؤية
ويكون من بعد الوداع تلاقي؟
بالله عد لي يا حبيب ولا تزد
بالبعد من وجدي ومن أشواقي
فسناك يا رمضان يملأ خافقي
وشذاك دوما ساكن أعماقي

مضى رمضان، وها هو العيد قد أقبل مع عود حميد، بعد رحلة حلقت بها الروح في فضاء الصفاء، فعانقت هناك نجوم السمو الروحي؛ فاقتبست من أنوارها مشاعل هداية ممتدة.

ولا نجاة من الكرب العظيم إلا بالإيمان والعمل الصالح، في رمضان، وبعد رمضان.

مضى رمضان، وأقبل العيد، والعيد ولادة جديدة من رحم شهر التربية والاستقامة؛ فيخرج منه المؤمن بقلب جديد.

تتسارع أفئدة المؤمنين إلى أحب البقاع، وتلهج ألسنتهم بذكر الله، وعلى وجوههم ترتسم البسمة، وفي قلوبهم تكبر المحبة.

تتلاقى الأعناق، وتتصافح الأيدي، وتزهر بينهم عبارات التهنئة.

في العيد تبتهج النفوس، وتتداح دائرة السرور، فأكمل الناس حظا من أدخلوا المسرة إلى قلوب البؤساء، يمسحون دمعة يتيم، ويخففون وجد أرملة، ويمدون أغصان الإحسان إلى مسكين، فينبعث من أكفهم السخاء، ويسمع من نواطقهم قول المعروف.

هؤلاء الأسخياء، هم الذين تتم لهم الأسبقيات، وتكتمل في قلوبهم ووجوههم البهجة؛ فأسعد الناس من أسعد الناس. «والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»[٦].

وفرحة العيد إنما هي لأهل الاجتهاد في رمضان، الذين بذلوا وقدموا وصبروا، فحق لهم أن يبتهجوا بيوم الجوائز للفائز، وكأن حالهم في هذا اليوم كحال المؤمنين يوم القيامة؛ الذين صبروا ابتغاء وجه الله في الدنيا، وعملوا لذلك اليوم، فهنيئا لهم أن يقال لهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(النحل:٣٢). فيطير الواحد منهم فرحا، ولسان حاله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ (الحاقة:١٩-٢٤).

أخيرا؛

بكت القلوب على وداعك حرقة
كيف العيون إذا رحلت ستفعل
لا يستوي من كان يعمل مخلصا
هو والذي في شهره لا يعمل
رمضان لا أدري أعمري ينقضي
في قادم الأيام؟ أم نتقابل!

الهوامش

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم ٣٨.
٢- مسند أحمد، حديث ٤٢٢٥.
٣- رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان النهي عن المنكر، رقم ٤٩.
٤- رواه أحمد ٣/١٠٣، والنسائي، ك١٩، ب ١.
٥- رواه البخاري في صحيحه: ٢/ ٢.
٦- رواه مسلم عن أبي هريرة، ك: الذكر والدعاء والتوبة، ح٧٠٢٨.



عبدالكريم عبو
باحث دكتوراه بكلية الآداب
المغرب

مقاصد القرآن الكريم
من خلال سياقاته المقامية والمقالية



تعيش الأمة الإسلامية نهضة قرآنية متميزة في طريقها للاهتداء بهداية القرآن. وتختلف إسهامات الدارسين والباحثين تجاه هذه النهضة، وتتعدد زوايا نظرهم في كيفية إحلال الدين في الواقع، فمنهم من يرى الانطلاق من المصطلح الأصل، ومنهم من يرى بأنه لا سبيل إلى النهضة الحضارية إلا عن طريق التنزيل العملي للقرآن، حتى تشاهد أخلاقه في حياة الناس، في كل المجالات؛ سياسية كانت أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية، ومنهم من ينظر إلى تلكم النهضة من زاوية علم أصول الفقه وتجديده، ومنهم من يروم النظر إلى القرآن من زاوية المقاصد، وغير ذلك من الدعوات العلمية.

ولا إشكال في أن تختلف أو تتعدد الرؤى نحو كتاب الله تعالى، فهو دستور الأمة، وكتاب هداية، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزلت آياته على العرب وأعجزت شعراءهم وخطباءهم وبلغاءهم، وهم أهل فصاحة وبيان، فآمن منهم من كان يبتغي الحق فسعد، وبقي من أخذته العزة بالإثم فشقي وخسر، ومع ذلك فقد كتب الله لدينه أن ينتشر، ولكلامه أن يخالط القلوب وينير الدروب.

فالناظر في القرآن الكريم بعلمية وبإخلاص، قد تبدو له بعض منطلقات تلكم النهضة، كل بحسب

تخصصه وتوجهه العلمي ومستواه الأخلاقي؛ ونحن من خلال توجهنا العلمي المتواضع نرى بأن السبيل للإسهام في تلك النهضة الحضارية للأمة، هو الوقوف عند السور القرآنية، والدخول إليها من باب التدبر، لأنه الباب الوحيد والكفيل بتلمس الهدى المنهاجي -كما أسماه الدكتور الشاهد البوشيخي [1]- نعم؛ لا بد من الوقوف عند سوره وقفة مقصدية تراعي جلب المصالح ودرء المفاسد، وقفة شمولية تستدعي النظر إلى القرآن من خلال إعمال السياق المقامي والمقالي لاستنباط مقاصد سوره؛ ذلك أن كل سورة تشكل شخصية منفردة عن غيرها، كما أن كل سورة تتميز بخصائص لا توجد في غيرها، ولكل واحدة منها مقصدا أو مقاصد تسعى لتحقيقها.

وحينما نقول استقلال سورة بمقاصدها عن سور أخرى فهذا لا يعني الاستقلال التام، وإنما هناك استقلال داخلي، وترابط خارجي مع السورة التي قبلها ومع ما بعدها. يقول الدكتور الشاهد البوشيخي في لطيفة مهمة وهو يجيب عن سؤال «لماذا حسب السور؟»: «لا يمكن أن ننسى أن الله عزوجل عندما تحدى الناس بالقرآن جملة، وتحداهم بعشر سور، ثم تحداهم بسورة وهنا وقف. ولم يتحدهم بآية، فإذن القرآن مبين بالشكل التالي (...) فالسور فيها سر، وذلك السر هو الذي تم به التحدي والإعجاز، فإذا أردنا أن نفهم آية أو نستنبط هدى فإننا نستنبطه في إطار السياق الخاص داخل كل سورة بدون إغفال إطار السياق العام الذي هو كتاب الله عزوجل، ولكن السياق القريب مقدم على السياق البعيد، لأن كل سورة بمنزلة خلقة سوية، لها شخصيتها المستقلة، لها بداية ولها نهاية، ولها وحدة عضوية لا تقبل أن يقتطع منها شيء أو أن يفصل منها أي شيء»[2].

وعندما نمعن النظر في التراث التفسيري المستحضر للأغراض، والمعتمد على التفسير المقاصدي، نلحظ أنهم اعتمدوا وسائل وأدوات ترشد إلى المقاصد التي من أجلها نزلت السور؛ أي: ماذا يريد الله تعالى من هذه السورة أو تلك؟

ومن الوسائل التي اهتدى بها العلماء -رحمهم الله تعالى- في الكشف عن مقاصد القرآن الكريم، نجدهم يعمدون إلى تأمل سياق الآيات فينظرون إليها من زاويتين هما: زاوية المقام، وزاوية المقال.

فالسياق يعد من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا، لأن غاية علوم اللغة هي الوصول إلى المعنى، وللوصول إلى هذه الغاية قامت نظريات عدة، أهمها النظرية السياقية الاجتماعية التي تزعمها الإنجليزي فيرث في العصر الحديث متأثرا بمن سبقوه، ومنهم العالم الأنثروبولوجي مالينوفسكي، وهؤلاء كان لهم بالغ الأثر فيمن جاء بعدهم. لكن العناية بالسياق لم تظهر مع هؤلاء، وإنما اهتم به المسلمون منذ أمد بعيد، فهذا الإمام العز بن عبدالسلام (٦٦٠هـ) يقول: «السياق يرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بالوضع كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾(الدخان:٤٩)[3].

كما نجد تنوع اهتمام الدارسين بالسياق بحسب مجالات تخصصهم، فالإمام الشافعي -وهو شيخ الأصوليين- تحدث عن السياق في رسالته وعنون بابا بقوله: «باب الصنف الذي يبين سياقه معناه»[4]، أما من اللغويين فنجد عنايتهم بالسياق لا نظير لها أمثال: سيبويه وأبوبكر الأنباري، وابن جني، وابن السراج وغيرهم كثير، أما المفسرون فلهم الحظ الوافر من الحديث عن السياق عند دراستهم لكتاب الله تعالى والبحث عن مراده عزوجل عند نزول الآيات وما لحقها من أسباب وظروف وأحوال مقامية وأخرى مقالية.. وقبل كل هذا وذاك نجد في القرآن الكريم ألفاظا كثيرة متشابهة ومكررة ولكن معانيها تختلف تماما بحسب سياقات الآيات التي ورد فيها المصطلح أو اللفظ.

وعن اهتمام العلماء بالسياق يقول الدكتور إبراهيم أصبان: «ولقد اهتم الأصوليون والمفسرون واللغويون بدلالة السياق الذي يعول عليه في فهم استعمالات اللفظ في سياقه، وإن لم تكن تشهد لها استعمالات لغوية أخرى خارج السياق في بعض الأحيان»[5].

ومن هنا يمكن القول بأن السياق أصل من أصول التفسير التي يجب الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله تعالى.

فالسياق المقامي يرشدنا إلى مقاصد القرآن الكريم من خلال قصص القرآن الكريم وتتبع مواقعها داخل سوره، وأسباب نزول الآيات، والمكي والمدني، وتتبع أحداث السيرة النبوية في علاقتها بكتاب الله عزوجل وغزواته ﷺ المذكورة في القرآن.. كل ذلك يرشد ويوجه إلى مقاصد القرآن الكريم.

أما السياق المقالي فإنه يتم من خلال النظر إلى السورة نظرة كلية انطلاقا من مفتتحها ومختتمها، وفي علاقتها بالسورة التي قبلها والتي بعدها وهو ما يعرف بعلم المناسبة، وترتيبها داخل المصحف، وترتيب آياتها. كل هذا وذاك يتضافر نحو استكشاف مقاصد القرآن الكريم.

وهكذا يتضافر السياقان المقامي والمقالي لاستخراج مقاصد القرآن الكريم، وتحقيق هذا الغرض ليس مقصدا في حد ذاته وإنما هو لتوظيفه في تجاوز الخلافات الفقهية، والصراعات المذهبية، والجزئيات الفرعية، التي يمكن أن تنشأ بسبب تعدد الرؤى، وبسبب النظر إلى نصوص الوحي نظرة تجزيئية وتفكيكية.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد عبادي مبرزا أهمية البعد المقاصدي في فهم النصوص الشرعية، ومؤكدا ما أسلفنا ذكره عن السياق: «ويتجلى البعد الوظيفي للمقاصد أكثر، انطلاقا من كون العلم بالمقصد المراد من الحكم الشرعي، يكتسي أهمية قصوى في فهمه الفهم السليم من جهة، وكذا في تنزيله التنزيل الرشيد والناجع من جهة أخرى؛ بناء على أن كل مسألة تفتقر إلى نظرين: أحدهما في دليل الحكم، والآخر في مناط الحكم؛ وضابط ذلك أن تنزيل الحكم الشرعي بعد ثبوته بمدركه يتوقف على عدة أمور في مقدمتها؛ الوعي بسياق التنزيل «سياق الحال أو المقام»، ثم دراسة مناطه تحققيا في نطاق النوع «تحقيق المناط العام»، وتصديقا في نطاق العين «تحقيق المناط الخاص»، وهو أخص وأدق من سابقه»[6].

نعم لقد استنبط العلماء الأجلاء مقاصد للقرآن الكريم، إلا أن هذه المقاصد لم يتم الحسم فيها لحد الساعة -حسب علمي- ولم يتم الحديث عنها والنقاش بصددها. فلا يستحسن -في نظري- التعامل معها باعتبارها مقاصد نهائية، على اعتبار أن عطاءات القرآن الكريم ليست محدودة، فالباب مازال مفتوحا لاكتشاف أسراره ومعانيه، والنظر في السياق القرآني واحد من بين الأبواب الكفيلة بتحقيق تلكم الغاية.

وفي هذا السياق يبين الدكتور أحمد عبادي جمالية النص القرآني من خلال مجموعة من المداخل إذ يقول: «ولا شك أن الذي يقرأ القرآن المجيد من مدخل الجرس أو من مدخل الفواصل، أو من مدخل الاختصار، أو من مدخل الالتفات، أو من أي مبحث بلاغي أو بديعي أراد أن يدخل منه، سوف يقضي العجب كيف أن الحرف يرتب، والكلمة ترتب، والجملة ترتب، والمعنى يرتب، والسورة ترتب، في نسقية معجزة، تزري بجمالية الماس الأصفى؛ لأن الأنوار التي تبثها هذه المفردات بحروفها، وبفواصلها لا يمكن أن يحيط بها وصف واصف أبدا»[7].

ومن هنا نقول إن دراسة القرآن الكريم ينبغي أن تأتي من باب المقاصد الكلية التي من أجلها نزل هذا الكتاب الحكيم، لتندرج تحتها كل المقاصد الجزئية المتفرعة عنها، وذلك لجمع شمل أمتنا ولحمايتها من الوقوع في الزلل والزيغ. وبهذا نكون قد أسهمنا بحلقة علمية في إرساء دعائم النهضة القرآنية التي استهللنا بها مقالنا هذا، ونكون قد رسمنا الطريق أمام أمتنا لتستأنف سيرها لأداء وظيفتها التي بعثت من أجلها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتحقيق الشهود الحضاري؛ ولا يتحقق هذا الأمر إلا بالقيام بواجب الاستخلاف وعمارة الأرض وعبادة الله الواحد القهار.

الهوامش

١- انظر كتاب «نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم من خلال السور حسب ترتيب النزول» للدكتور الشاهد البوشيخي، جمع وترتيب الدكتور محمد البنعيادي، طبعة ٢٠١٥م، مطبعة آنفو برانت/ المغرب.

٢ - نظرات في الهدى المنهاجي في القرآن الكريم، للدكتور الشاهد البوشيخي، إعداد الدكتور محمد البنعيادي، ص: ٣٠-٣١، مطبعة آنفو برانت ٢٠١٥م، المغرب.

٣- البحر المحيط، الزركشي، الجزء الثامن، ص: ٥٤.

٤- الرسالة، الشافعي، ص: ٦٢.

٥- مجلة الإحياء، مقال: السياق بين علماء الشريعة والمدارس اللغوية الحديثة، الأستاذ إبراهيم أصبان، العدد٢٥، ص: ٥٣.

٦- الوحي والإنسان، أحمد عبادي، ص: ٢٠٦.

٧- الوحي والإنسان، أحمد عبادي، ص: ١٥١.

د. خالد راتب
باحث في الشؤون الإسلامية مصر



جوانب حضارية من سيرة خير البرية

لا يستطيع أحد أن يجمع الجوانب الحضارية للسيرة النبوية في سفر واحد ولو توافر له مداد البحار، وسطر ذلك على صفحات الكون كله وليس صفحات القرطاس؛ وذلك لأننا نتحدث عن أعظم إنسان على وجه الأرض بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء، وقد وضع مايكل هارت نبينا ﷺ الشخصية الأولى في كتابه العظماء مئة[1].

إن شهادة الأعداء لنبينا محمد ﷺ متصلة السند، وليست وليدة الحاضر، حيث تواترت هذه الشهادة قديما وحديثا، فالذين كذبوا الرسالة التي أنزلت على رسولنا ﷺ شهدوا لحاملها بالأخلاق والصفات الكريمة والمعاملة الحسنة، فهذا النضر بن الحارث، من سادة قريش، من أكبر المعارضين للنبي ﷺ، ألقى يوما خطابا في جمع من قريش، وقال: «يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم به بحيلة بعد، كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم خلقا، وأصدقكم حديثا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاء بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر،

لقد رأينا السحرة وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه وزجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقة، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم...»[٢].

هذه الاعترافات من غير المسلمين -قديما وحديثا - على أهم جانب من الجوانب الحضارية في سيرته ﷺ وهو جانب الأخلاق غيض من فيض، ولقد بدأت بها لأثبت أولا أن الخطوط العريضة لهذه الرسالة المحمدية هي الأخلاق: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣]. وثانيا: أن أي حضارة بغير أخلاق مصيرها الدمار، يقول أحمد شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن الجوانب الحضارية في سيرة خير البرية لم تقتصر على الجانب الأخلاقي فقط، بل كان المنبع الأساسي لهذه الجوانب الحضارية العلم والإيمان، وقد برز ذلك في أول لقاء لأمين الوحي جبريل عليه السلام مع أمين الرسالة ﷺ عندما قال له مباشرة عند اللقاء: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:١).

فالعلم والإيمان تزكية للأمة في عقلها وفكرها وحياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وجميع جوانب الحياة؛ لذا طلب إبراهيم -عليه السلام- من ربه أن يبعث رسولا تعتمد رسالته على العلم والإيمان، فهما أسس كل حضارة باقية، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

العمل والتطبيق

ومن أهم الجوانب الحضارية في سيرته ﷺ أنها حضارة العمل والتطبيق وليست حضارة الكلام والجدال والكسل والاهتمام بالمظهر دون الجوهر، فقد حول ﷺ منطوق الرسالة (كتابا، وسنة) إلى واقع مترجم، فقد كان ﷺ قائدا في المحراب قرة عينه في لقاء ربه وقائدا في ميدان الحرب والجهاد لإعلاء كلمة لا إله إلا الله، وكان مربيا ومعلما وأبا وزوجا ينشر المودة والمحبة والسكينة في بيوت أزواجه، وينشر الأخوة بين أصحابه، وينشر التسامح والأمن والسلام بين العالم كله فكان رسول الإنسانية برسالته العالمية وبالوحي الذي لا ينطق عن الهوى.

اهتمام شامل

ومن الجوانب الحضارية في سيرته النبوية أنه ﷺ وسع نطاق الاهتمامات الإنسانية لتشمل الحيوانات والجمادات، وكلنا نعرف قصة المرأة البغي التي سقت كلبا فغفر الله لها وأدخلها الجنة، ونعرف كذلك قصة المرأة التي حبست الهرة ولم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض فكان مصيرها العذاب.. إنها الحضارة النبوية التي أشفقت على جذع النخلة عندما سمع ﷺ حنينه إلى الذكر، وذلك عندما استبدل بالجذع المنبر، إنها الحضارة النبوية التي أمرت ألا يقطع الشجر والثمر إلا لمأكلة حتى ونحن نواجه من صوب السلاح تجاه صدورنا؛ ليعلم العالم كله أن الشريعة الإسلامية كما تحافظ على أتباعها تحافظ على غيرها.

الواقع والوحي

فالجوانب الحضارية في سيرة النبي ﷺ تشمل الجانب الإيماني والفطري في الإنسان، وتشمل الجانب الأخلاقي، والمعاملات، والتشريعات. تهتم بالروح والجسد، والدنيا والآخرة، فهي حضارة الواقع والوحي صالحة لكل زمان ومكان، ولكل الأشخاص والأحوال، ولقد لخص ميلر -الكاتب البريطاني - أهم الجوانب الحضارية للسيرة النبوية واصفا إياها بالشمولية والتكاملية والصلاحية الزمانية والمكانية والإنسانية بقوله: «إن بعض الديانات تهتم بالجوانب الروحية من حياة البشر وليس لديها في تعاليمها أي اهتمام بالأمور السياسية والقانونية والاجتماعية، ولكن محمدا ببعثته وأمانته الإلهية كان نبيا وكان رجل دولة وقد اشتملت شريعته على أحكام وقوانين مدنية وسياسية واجتماعية»[٤].

الهوامش

١- مع تحفظي على أن تقارن وتحاكى شخصيته ﷺ لأن الذي أدبه وعلمه وتولى رعايته هو الله سبحانه وتعالى.

٢- انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ص٣٤٥.

٣- رواه أحمد ومالك والبخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم والبيهقي في «الشعب»، وعند بعضهم: «لأتمم صالح الأخلاق».

٤- انظر: كتاب شخصية الرسول ﷺ لنزار أباظة.



د. محمد إبراهيم الحلواني
أستاذ مشارك في الحديث وعلومه
مصـر

منهج النبي ﷺ في قتال الأعداء

لا خلاف بين أهل العلم أن الجهاد فُرض في المدينة المنورة، ولم يأذن الله تعالى للمسلمين بالقتال في الفترة المكية، ولكن أمرهم بالصفح والعفو وجهاد النفس، نظرا لقلة عددهم، ولكي يتمكن الإيمان في قلوبهم. والجهاد في الإسلام ليس مقصودا لذاته، فقد شُرع الجهاد لغايات عظمى ومقاصد سامية؛ أعلاها تبليغ دين الله عزوجل ودرء العدوان، ولما وضع المسلمون هذه الغايات نصب أعينهم نالوا الرفعة في الدنيا ورضا الله في الآخرة.

أوجب الإسلام الوفاء بالعهود والمواثيق، وطبقه رسول الله ﷺ في جميع عهوده امتثالا لقول الله عزوجل: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل:٩١)، ومن صور التزامه بالعهود والمواثيق وفاؤه بالوثيقة التي عقدها مع اليهود عندما هاجر إلى المدينة المنورة، فإن لم يحدث غدر وخيانة وتم الصلح بين المسلمين وبين أعدائهم، وفق معاهدة ذات شروط إلى مدة محددة، وجب على المسلمين الوفاء بتلك المعاهدة، ولا يجوز نقضها دون علم الطرف الآخر، ومن الشواهد على وجوب إعلام العدو بالحرب عند نقض العهود والمواثيق ما رواه سليم بن عامر، قال: كان بين معاوية وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة، فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا، ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء»[1]، قال: فرجع معاوية بالناس. ففي هذه الحادثة دليل على وجوب الوفاء بالعهد مع الكافرين ما دام أمده باقيا.

العفو عن المغلوب

كان من هديه ﷺ العفو عن المغلوب تأليفا لقلبه وطمعا في إيمانه وترغيبا له في هذا الدين، ومن أبرز الأدلة على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى

قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» قال: فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقال: «من يمنعك؟» قال: كن خير آخذ، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى رسول الله ﷺ سبيله فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس»[٢]، إن ذلك بلا ريب أمر خارق للعادة لأن السيف تنقبض عليه اليد في وقت إرادة الضرب ثم يسقط من يده على غير إرادة منه، وقد اعتزم الشر ودبره، فلما حانت ساعته خانته يده[٣]، وهذه الحادثة تؤكد أيضا أهمية العفو والصفح امتثالا لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣)، ودل الحديث على شجاعة النبي ﷺ وقوة قلبه وثباته، ولهذا عندما سل الأعرابي السيف قائلا: من يمنعك مني؟ لم يجزع ولم يسأله العفو، وإنما قال: الله، قال الحافظ ابن حجر: وكأن الأعرابي لما شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبين تحقق قصده وعلم أنه لا يصل إليه، ألقى السلاح وأمكن من نفسه[٤].

التحذير من قتل الأطفال

إن الإسلام لا يهدف إلى إبادة النساء والأطفال والمستضعفين، بل يقاتل لأجلهم ويذود عنهم، فهدف الإسلام الرئيسي إخراج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادته سبحانه وتعالى، فالقتال فرض لحماية الحق وتأمين الدعوة والدعاة وانتشار العقيدة دون عقبات تخالف حق الإنسان في أن يعتقد ما يشاء، وقد اتسم ديننا بالعدل والرحمة والمساواة حيث وضع الضوابط اللازمة عند مواجهة الأعداء، هذه الضوابط لا يشاركه فيها أي جيش في العالم، فلا قتال دون سابق إنذار، ولا قتال يتسم بالعنف الهمجي الذي يزهق الأرواح بحق وبغير حق، فلا يجوز قتل الأطفال والشيوخ والنساء أو التمثيل بجثثهم، قال رسول الله ﷺ: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا»[٥]، هذه هي سنته في الحروب، حروب لا تشن إلا لضرورة ولخير الإنسانية، وحين تنشب تسير في اتجاه حكيم وفي دائرة مغلقة لا تتجاوز أهل العدوان والطغيان وتترفق بالضعفاء والولدان، فالحرب في الإسلام ضرورة تخضع لقانون العدل والإنصاف واحترام آدمية الإنسان، وليست لإكراه الناس على الإيمان، إنها حرب تعمير لا تدمير، وهي في جوهرها ترسي دعائم السلم الدائم بين الناس، لأنها تنقذهم من تجار الحروب والطامعين في خيرات الشعوب، وأولئك الذين يكرهون سواهم على ما لا يبتغون، وبهذا يضع رسولنا الكريم ﷺ دستورا أخلاقيا للحرب التي يظن الناس أن لا علاقة لها بالأخلاق، وينفذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصية الرسول الكريم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فيوصي جنوده بهذه الوصايا عند قتاله للمرتدين، ويسير علي بن أبي طالب رضي الله عنه على هذا المنوال عند قتاله للخوارج فلم يرمهم بالكفر أو النفاق، بل قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا[٦]، فقد منع جنده من تعقب فاريهم، والإجهاز على جريحهم، ولم يسبهم، ولم يغنم أموالهم[٧]، صلاة وسلاما عليك سيدي يا رسول الله، سبقت وصاياك وتعاليمك القوانين والمواثيق الدولية، وصارت تعاليمك مصباحا مضيئا يهتدي به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

الهوامش

١- أخرجه الترمذي في السنن، كتاب السير، باب ما جاء في الغدر، رقم (١٥٨٠)، وقال الترمذي: حسن صحيح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٢- أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي والسرايا، رقم (٤٣٢٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى، ١٩٩٠م وصححه الذهبي في التلخيص.

٣- محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، خاتم النبيين ٦٧٤/٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

٤- أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري ٤٢٧/٧، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو، (١٧٣١/٣) عن بريدة بن الحصيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ٢٩٠/٧، مكتبة المعارف، بيروت.

٧- أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين ص٤٨٦، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: أولى، ٢٠٠٩م.



حاوره: علاء عبدالفتاح

أستاذ الشريعة بجامعة أم القرى د. الصواط لـ«الوعي الإسلامي»:

أبحاث الدكتوراه تلامس الواقع

ليس كل ما يتمنى المرء يدركه، ولقد تمنيت لو أقضي مع ضيف «الوعي الإسلامي» الجليل وقتا طويلا لأنقل من علمه وخبرته وأستزيد من سماحته وحسن خلقه ما ينفع القراء، فالرجل الذي أتى إلى الكويت بدعوة كريمة من «المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية» للمشاركة في مؤتمر متخصص في الفقه والطب والشريعة كان كحال سائر العلماء الأجلاء منشغلا ومأخوذا إلى واجبات عدة.

تواضعه أول ما يجذبك لشخصيته ثم هدوؤه وحصافته.

يتأمل سؤالك بصبر ثم يجيبك بتؤدة وتركيز وبساطة.

حاز الأستاذية في تخصصه وفي التعامل مع الآخرين.

يولي جل اهتمامه للشباب الدارس الباحث ولذلك يشجع فيهم الابتكار والدرس الجاد فيما ينفع الأمة.. لا ينتمي لجماعة أو حزب أو فرد إنما إلى الدين نفسه..

إنه الدكتور محمد عبدالله الصواط (أبو فيصل) الذي كان لنا معه هذا الحوار، فإلى التفاصيل:

- إذا أحببنا تعريف القارئ بفضيلتكم فماذا نقول؟

فقط أستاذ جامعي في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، متخصص في الفقه وأصول الفقه، وعضو في المجلس العلمي للجامعة وبعض المجالس العلمية الأخرى.

- ما المناهج التي تدرّسها؟

أدرّس منهج القواعد الفقهية لطلبة البكالوريوس، ومنهج معاملات مالية لطلاب الماجستير، ومنهج قضايا فقهية معاصرة لطلبة الدكتوراه.

- ما أبرز هذه القضايا الفقهية وكيف يتم تناولها؟

من هذه القضايا «الخطأ الطبي» و«أسرار المريض» و«الموت الدماغي» وغيرها، وكل عام نتناول قضيتين أو ثلاثا، وتمر الدراسة بثلاث مراحل:

الأولى: جمع كل ما كتب عن هذه القضية.

الثانية: يبحث كل طالب في جانب من جوانبها.

والثالثة: جمع ما تم بحثه، ثم عقد ندوة علمية تنقسم إلى جلسات يحضرها أعضاء هيئة التدريس ولفيف من المهتمين المتخصصين.

- ياحبذا لو ضربت لنا مثالا على ذلك.

مثلا تناولنا أخيرا قضية معاصرة وهي «المسؤولية الطبية في الشريعة الإسلامية»، فهناك من كتب عن الخطأ في العمليات الجراحية، وهناك من اختار السر الطبي أو الإذن في العمليات الطبية وهكذا.. وكل طالب تابعناه، ثم في ندوة حضرها الفاضل العميد وأعضاء هيئة التدريس تمت المناقشة على ثلاث جلسات، وكل جلسة كان يديرها عضو هيئة تدريس، ويدلي فيها الطالب بدلوه موضحا ما توصل إليه أمام زملائه وأمام جمهور من المهتمين، ثم كتب الطلاب بيانا به ملخص ما دار في الندوة والتوصيات التي خرجنا بها.

إفادة المجتمع

- ما الفائدة المباشرة على المجتمع؟ وكيف تربطون المادة العلمية بالواقع المعيش؟

- في الحقيقة نحن أردنا من هذه الندوات العلمية تحقيق عدة أهداف:

أولا: ألا يكون الفقه جامدا في قاعة


رئيس التحرير فهد محمد الخزّي مرحبا بضيف «الوعي الإسلامي» أ. د. محمد عبدالله الصواط

الدرس فقط، إنما يبحث الطلاب في قضايا تهم المجتمع خاصة في مرحلة الدكتوراه قضايا أسرية طبية وفكرية تلامس الواقع، وبحمد الله كان لهذه الطريقة الأثر البارز، فسجلت لدينا رسائل عن «التسويق في الأدوية» و«امتناع الطبيب عن العلاج وأثره» و«طرق تحسين النسل واختيار جنس الجنين»، وهكذا ابتكر الطلاب حلولا لموضوعات تعالج قضايا المجتمع ونوازل آنية، وقد حرصنا على أن يختار الطلبة موضوعاتهم بعيدا عن الموضوعات المكررة.

ثانيا: تعويد الطلاب على إلقاء المحاضرات أمام الحضور، ومنهم قامات مثل السيد العميد، حيث يدلون بدلوهم ويعرضون الموضوع ويتقبلون النقد كما يعتادون على التحليل والتشويق.

أيضا من الأهداف، مد جسور الصلة مع أعضاء هيئة التدريس ليكون هناك تواصل مع أساتذة آخرين غير المشرف على الرسالة العلمية، فما لم يجده الطالب عندي قد يجده عند غيري.

إضافة إلى أن هذه الندوات تحدث حراكا ثقافيا، فالطلاب عادة يتلقون العلم، لكن هنا في الندوات يصبحون محاضرين، لأن الطالب في رأيي هو محور العملية التعليمية، فندعه في مرحلة الدكتوراه على الأقل يقدم شيئا يرد به الجميل للجامعة.

درس ميداني

- بعض الدراسات النظرية تكون جامدة وبعضها يكون حيويا فهل زاوجتم بين الأمرين؟

بالفعل نخرج أحيانا من إطار الجامعة كما فعلنا عندما وقفنا أمام حالة موت دماغي في المستشفى، وكان معنا الطبيب يشرح لنا كيف نعرف أن شخصا ما مات موتا دماغيا، فكان لتلك الزيارة أكبر الأثر في نفوس الطلاب الدارسين لهذا الموضوع.

- البعض يتهم أساتذة وباحثين وكُتابا بالجمود والنقل عن منقول، وإن كان في إجاباتكم السابقة يبدو الرد الشافي، فهل لديكم المزيد لنوضح للعامة أن الباحثين هنا ليسوا بعيدين عن الابتكار؟

الجمود آفة، والعلماء قد اشتكوا منها قديما وحديثا، وهذا يعتبر خللا في تكوين الباحث، ولذلك كانت لنا هذه المحاولات الإشرافية لكي ينطلق الباحث بحرية منضبطة بالأصول الشرعية في بحثه من خلال قضايا المجتمع ولا يكون في برج عاجي يتحدث عن قضايا انتهت تنظيريا أو قضايا لم يعد لها حاجة للنقاش.

ولذا أنصح طالب العلم بمعايشة الناس وتلمس مشكلاتهم وتدوينها، ثم صياغة هذا كله على شكل مسألة بحثية تتطلب حلا فقهيا، وهذا يكون بالاحتكاك بالخبراء كل في مكانه، لأن الخبير يضع يده على موضع الداء، سواء الاقتصادي أو الطبي.

نريد حلولا في قضايا لم نجد لها حتى الآن حلا فقهيا شافيا، وذلك لن يكون إلا بالتواصل مع الهيئات العلمية وهيئات البحوث، إذ ينبغي للباحث


محرر المجلة محاورا د. الصواط

التواصل معها لتعينه على ألا يبدأ من الصفر، بل من حيث انتهى الآخر مستعينا بجهود من سبقوه.

- ما المعوقات التي تصادف الأكاديمي والباحث بشكل عام والتي صادفتك شخصيا؟

في البداية ينبغي القول بأننا نجد تعاونا كبيرا ومحفزا من الإدارة بالجامعة لكن بشكل عام من أهم المشاكل التي يصادفها الباحث «البيروقراطية»، فكثير من المعاملات تدخل في دهاليز إدارية وتتوقف عند بعض الموظفين الذين ليس لديهم هذا الهم التطويري، وقد لاحظنا أن الجديد دائما يحارب لأن الناس يتوجسون من كل جديد.

أيضا من المعوقات نقص الدعم المادي في بعض الأحيان، فكنا نتمنى أن تكون هناك مرونة في الصرف المادي، لأن ما يصرف لا يصرف تبذيرا إنما بإشراف جهات علمية مرموقة.

القراءة أساس

- في عصر الفيديو والصورة كيف نستعيد القراء ليقرأوا أبحاثكم بعيدا عن متابعة الأخبار السريعة في وسائل التواصل؟ بمعنى آخر: كيف نجعل المادة المقروءة جاذبة للجمهور العام؟

هذه قضية ومشكلة لا تحل في لقاء صحفي، بل في نقاش مجتمعي متخصص، فيه جميع التخصصات.

هذا السلوك الذي نراه من انصراف عن القراءة سيكون له تأثير سلبي على الأجيال التالية، وقد لاحظنا أن هناك ضيق نفس في القراءة (خمس دقائق عند البعض)، وفي المقابل يستطيع هؤلاء الجلوس أمام فيلم ساعة أو ساعتين أو قضاء ٧٠ في المئة من الوقت أمام «السوشيال ميديا»، ومن ليس لديه هواية القراءة ينبغي أن يراجع نفسه، ولابد في رأيي من تغيير طريقة القراءة وطريقة البحث الفردي بزيادة أندية ومجاميع القراءة، لكن العبء الأكبر يقع على عاتق الوالدين، فالأسرة لها دور في ضبط الأجهزة الإلكترونية الخاصة بالتواصل الاجتماعي المزعوم، بحيث يكون الوقت الأول للبناء الذاتي عن طريق القراءة، لكن ترك الحبل على الغارب للأبناء يسبب الضرر فكريا وثقافيا، وأرى أننا نحتاج ورش عمل لنصل إلى حلول.

التشويق وأسلوب الكاتب

- بعض الكتاب ينظرون للكم وليس للكيف، ومنهم من يسترسل ويكتب ما هو معروف وغير ذي قيمة في عين القارئ، ولا يكثف ما يريد قوله فتصبح القراءة مملة.. ما رأيك؟

هناك الكتابة المتخصصة للقارئ المتخصص، وهذا وضع معروف، لكن إجمالا أنا معك في أن الكاتب ينبغي أن يتميز في أسلوبه وطريقة العرض، وتكون المعلومة مرتبة وشيقة مصحوبة كلما أمكن بـ«الإنفوغرافيك»، لكن أعود وأكرر أن الأسرة والبيت هما الأساس، فالطفل الذي تفتحت عيناه وهو يرى في بيته مكتبة سيكون قارئا، عكس الآخر.

- ماذا عن مشاريعكم المستقبلية؟

ثمة مشاركة في بعض المجامع الفقهية وإخراج بعض البحوث وطباعة الكتب مستقبلا على شكل مقرر دراسي، منها «القواعد الفقهية والمعاملات المصرفية».

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسم الكـاتب واسـم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



د. آندي حجازي
كاتبة تربوية - أردنية

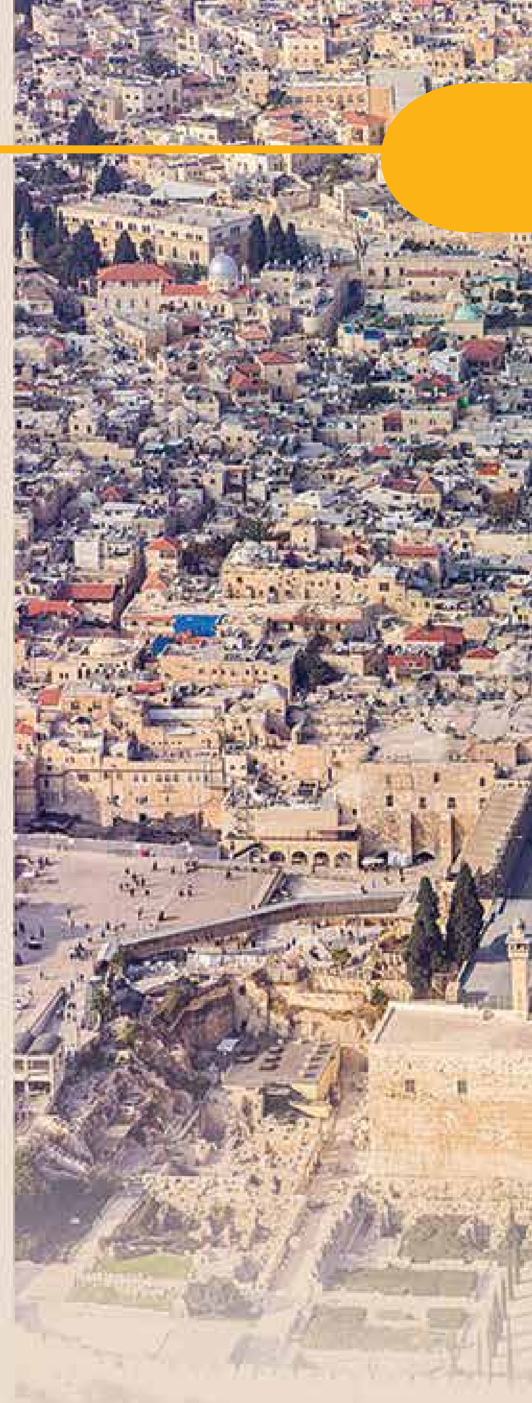
مكانة المسجد الأقصى

قد يتساءل البعض ويتعجب من المحبة والمكانة اللتين يحتلهما المسجد الأقصى في النفوس المؤمنة وفي العالم الإسلامي وعلى مر الأزمان والعصور، والحقيقة أن للمسجد الأقصى فضائل وميزات تجعل له مكانة عظيمة مميزة في نفوس المسلمين بكل أنحاء الأرض؛ ما يجعلهم يقدسونه ويدافعون عنه ويفدونه بأرواحهم ومهجهم، فهو مسجد مقدر مشرف من قبل الله تعالى منذ أن خلق الخلق وحتى يوم القيامة؛ فالله تعالى أعطاه تلك المنزلة كما يتضح من خلال آيات كريمة وأحاديث شريفة نقف على بعض منها موضحين مكانته.

والحقيقة أن أرض فلسطين كلها وهي ما عرفت قديما وفي القرآن الكريم بـ(الأرض المقدسة) هي أرض مشرفة مرغوبة لدى أتباع الشرائع السماوية ولأجلها حدثت معارك كثيرة عبر الزمن من أجل السيطرة عليها من قبل أتباع تلك الديانات، ومازال الصراع عليها مستمرا وقد يستمر إلى يوم الدين.

فضائل المسجد الأقصى

إن المسجد الأقصى هو ثاني بيت لله بني على الأرض بعد الكعبة المشرفة كما ورد في الأحاديث الشريفة؛ فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه»[1].



والمسجد الأقصى هو بقعة مقدسة وأرض مباركة منذ الأزل قد باركها الله تعالى بالنص القرآني وبمرور جميع الأنبياء عليها أو سكنهم بها.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وقد اختص الله بيت المقدس وفلسطين كلها بأن جعلها الأرض المقدسة، وقد قال تعالى واصفا إياها على لسان سيدنا موسى حين طلب من قومه من أهل الكتاب أن يدخلوا فلسطين ولكنهم رفضوا خوفا من قوة أهلها: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المائدة:٢١-٢٢). وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨١).

والمسجد الأقصى هو مكان إسراء ومعراج رسول الله محمد ﷺ، وقد اختاره الله تعالى لمكانته المقدسة عنده ليكون مكان استقبال رسوله الكريم خاتم الأنبياء في رحلة قدومه على البراق من مكة المكرمة وصولا إلى القدس الشريف في ليلة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

ومن ثم جعل الله تعالى من المسجد الأقصى بوابة مفتوحة إلى السماء للعروج إليها وصولا إلى السموات السبع تكريما لرسولنا الحبيب محمد ﷺ، في رحلة خالدة عظيمة توقف بها الزمان لرسول الله ﷺ وطويت له المسافات حتى يشاهد السماوات وجمال الكون والجنة والنار والأنبياء والحضرة الإلهية وما لم يره أحد من قبل، وقال تعالى: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (النجم:١٢-١٨).

وقد اختار الله تعالى المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ليكون مكان اجتماع الأنبياء كلهم برسول الله محمد ﷺ في رحلتي الإسراء والمعراج حيث أنزل الله تعالى له جميع الأنبياء من السماوات العلا وصلى بهم إماما في تلك الليلة، متخذا من المسجد الأقصى المصلى لهم، ولم يجعل ذلك حتى للكعبة المشرفة! ما يدل على عظمة وقدسية المسجد الأقصى ومكانته الرفيعة عند الله تعالى. وهذه الصلاة بالأنبياء ثابتة بالأحاديث الصحيحة ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني: نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم»[٢]. عن ابن عباس قال: «فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فما انصرف جيء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القدح: أصبت الفطرة»[٣].

ويعتبر المسجد الأقصى وأرض

فلسطين (الأرض المقدسة) أرض الأنبياء، حيث يشير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والكتب التاريخية إلى أن أغلب أنبياء الله تعالى قد زاروا فلسطين أو مروا بها أو عاشوا جزءا من حياتهم بها؛ كآدم ونوح وصالح وإبراهيم عليهم السلام وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب ولوط وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى... وبعضهم قد دفن بها كإبراهيم الخليل المدفون في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل، وقبر سيدنا إسحق ويعقوب عليهما السلام في الحرم الإبراهيمي وقيل يوسف أيضا وغيرهم، ومن الأنبياء من ولد بالأرض المقدسة كعيسى عليه السلام وأمه مريم فقد ولدا بها وعاشا بها مع زكريا ويحيى عليهما السلام.

والمسجد الأقصى هو أولى القبلتين في الإسلام؛ حيث كان المسلمون يصلون في مكة المكرمة باتجاه المسجد الأقصى وبيت المقدس واستمر ذلك لسنوات طويلة، ولكن رسول الله ﷺ عندما انتقل إلى المدينة المنورة كان يتوق شوقا لبلده مكة المكرمة فأمره الله تعالى وبعد عدة أشهر بتحويل القبلة إلى مكة المكرمة. قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة:١٤٤).

وقد خص سيدنا محمد ﷺ ثلاثة مساجد فقط في الإسلام بإمكانية الرحيل إليها والسفر إليها بقصد العبادة وابتغاء الفضل من الله تعالى ولا يجوز ذلك لغيرها، وثالث تلك المساجد المسجد الأقصى. وهي مرتبة بالفضل وفق الحديث الشريف؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»(٤).

وخص الله تعالى المسجد الأقصى بالثواب العظيم وهو مضاعف مرات كثيرة عن عامة المساجد، وذكر ذلك رسول الله في أحاديث عديدة ومنها، عن أبي الدرداء وجابر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة، وفي مسجدي هذا ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمئة صلاة»(٥). وبعض الأحاديث جعلت الصلاة بالمسجد الأقصى بألف صلاة.

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا: حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لأحد من بعده وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فقال النبي ﷺ: «أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة»(٦).

أيضا اختص الله تعالى فلسطين بأن جعلها جزءا من أرض المحشر التي هي بلاد الشام وذلك بأحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون- ثلاثا: ركبانا، ومشاة، وعلى وجوهكم» وأشار بيده إلى بلاد الشام(٧). وقال ابن حجر: من شك أن المحشر هاهنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ (الحشر:٢)، قال لهم النبي ﷺ: اخرجوا بنا قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»(٨). والشام تشمل جميع بلاد الشام بما فيها أرض فلسطين.



وعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس. قال: «أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه؛ فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره». قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «فتهدي له زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»(٩).

وامتدح رسول الله ﷺ أهل المقدس بقوتهم وقوة إيمانهم وصبرهم وثباتهم على الحق حتى في زمن الفتن إلى يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «لا تزال طائفة



من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[١٠].

ومن فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس أن قصة فتح بيت المقدس من قبل المسلمين ووصف فاتحه خليفة المسلمين عمر بن الخطاب قد وردت في كتاب النصارى المقدس ما جعلهم يستسلمون له ويتصالحون معه ويخضعون لحكمه ويسلمونه مفاتيح بيت المقدس وفقا للعهدة العمرية الشهيرة، فقد وافق البطريرك (صفرونيوس) على الصلح والاستسلام للمسلمين، بشرط قدوم الخليفة الراشدي، وفي عام ١٦هـ سافر الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدس لتسلم مفاتيح المدينة المقدسة، فكان وصفه رضي الله عنه كما ورد في كتابهم.

كما أن الحرب الفاصلة بين المسلمين واليهود والتي ستكون عند ظهور علامات الساعة الكبرى وخروج المهدي ومن ثم المسيح الدجال والقتال بينهما ومن ثم نزول المسيح عيسى عليه السلام وقتله للدجال، ستكون تلك المعركة الفاصلة في فلسطين وفق الأحاديث الصحيحة، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله»[١١]. حيث لم يجتمع اليهود يوما في بلد واحد إلا اليوم في فلسطين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود»[١٢].

وأخيرا نعقب بكلمة؛ فإن كان للمسجد الأقصى والأرض المقدسة كل تلك المكانة العظيمة عند الله تعالى وفي نفوس المسلمين، فكيف لهم اليوم أن يتركوا المسجد الأقصى والأرض المقدسة بين أيدي اليهود الغاصبين؟! الذين لا يتوانون في الإيقاع بالمسلمين ومحاربتهم بكل الطرق، وتاريخ اليهود منذ نشأتهم وقبل الإسلام وبعد الإسلام وحتى اليوم حافل بالغدر والخيانة وقتل الأنبياء والتخريب والإفساد والإيقاع بين الناس، حتى إنه ما عرفهم أحد من حكام الإمبراطوريات السابقة إلا أجلاهم عن فلسطين ومنعهم العيش بها، واستمر الحال بهم منبوذين مشردين حتى زماننا الحالي حيث لفظتهم أوروبا ورفضهم هتلر، فأخلاقهم ومكائدهم أساس علاقاتهم وحياتهم. ثم أرادت أوروبا التخلص منهم وإخراجهم من أراضيها فأسكنتهم فلسطين ودعمت هجرتهم إليها! وما زالت تدعم تلك الدولة المسماة «إسرائيل» والتي لم تكن موجودة يوما! ولكن الحق يبقى لأصحاب الأرض الأصليين ولا يمكن التخلي عنه مهما طال الزمن.

الهوامش

١- صحيح البخاري، باب أحاديث الأنبياء ح (٣٣٦٦)، وصحيح مسلم، باب المساجد ومواضع الصلاة/ ح (٥٢٠).
٢- صحيح مسلم، باب كتاب الإيمان/ ح (١٧٢).
٣- مسند الإمام أحمد حديث ٤/٩٣، إسناد صحيح. ورواه ابن كثير في تفسير القرآن الكريم، ح ٥/٢٥، إسناد صحيح.
٤- صحيح الألباني، باب أحكام الجنائز/ ح (٢٨٩)، إسناد صحيح. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى/ ح (١٤٣٠).
٥- الجامع الصغير للسيوطي/ ح (٥٨٥٠)، حديث صحيح. والصحيح الجامع للألباني/ ح (٤٢١١)، حديث صحيح.
٦- صحيح ابن ماجه/ ح (١١٦٤). وسنن النسائي/ح (٦٩٣). وسنن ابن ماجه/ ح (١٤٠٨). حديث صحيح.
٧- رواه معاوية بن حيدة القشيري، أخرجه الترمذي/ ح (٣٠٠١). وابن ماجه/ ح (٤٢٨٨) مختصرا، والنسائي في السنن الكبرى/ ح (١١٤٣١).
٨- فتح الباري للبخاري/ ح (٣٨٠)/ جزء١١. ورواه عبدالله بن عباس، في ميزان الاعتدال للذهبي/ ح (١٥٨/٢).
٩- كتاب فضائل الشام لابن رجب/ ح ٢٨٣/٣.
١٠- رواه أبو أمامة الباهلي، في السلسلة الصحيحة للألباني/ ح ٥٩٩/٤ بإسناد ضعيف. ورواه الباهلي في مجمع الزوائد للهيثمي ح ٧/ ٢٩١.
١١- صحيح البخاري/ ح (٣٥٩٣). وصحيح مسلم/ ح (٢٩٢١).
١٢- صحيح مسلم / ح (٢٩٢٢).



عثمان إسماعيل حسين
باحث وكاتب مصري

القدس عربية إسلامية.. لحما ودما



إن ما تعيشه مدينة القدس الطيبة المباركة أرضا وبشرا من محن وخطوب قاسية على امتداد عشرات السنين وحتى تلك اللحظة؛ لهو أكبر دليل على أنها ضحية تلك الشرذمة ذات التاريخ الأسود التي لا هم لها إلا الحقد والضغينة لكل الشعوب والأمم.

وما يحدث للقدس من انتهاك العرض والأرض وآدمية البشر ما هو إلا نتيجة سياسة اليهود الدموية وأساليبهم الملتوية ومؤامراتهم الدنيئة وادعاءاتهم الكاذبة والمزيفة والتي تأنف صفحات التاريخ من مجرد سماعها لا الكتابة عنها، ونسي هؤلاء بل تناسوا أن التاريخ يقف لهم بالمرصاد، يفند أكاذيبهم ويتصدى لادعاءاتهم الباطلة ويأبى أن تفتح لهم صفحاته زورا وبهتانا، فالتاريخ لا ينسى ما فعله هؤلاء على مر السنين منذ احتلالهم الغاصب والقبيح لمدينة القدس وصفحاتهم الملوثة بالدماء وسفك الأرواح بدءا بمذبحة دير ياسين ١٩٤٨م ومرورا بمذبحة ناصر الدين، وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، ومذبحة الأقصى، والحرم الإبراهيمي، ومذبحة قانا، ومذبحة المسجد الأقصى ٢٠٠٠م، حيث راح ضحية تلك المذابح آلاف الشهداء الأبرياء وهم عُزل لا حول لهم ولا قوة. ولا يملكون إلا حناجرهم وحجارتهم، ورغم ذلك لم تفلح صرخاتهم واستغاثاتهم مع تلك الشرذمة التي لا ترحم بشرا ولا أرضا، بل راحت تعيث في مقدسات مدينة الأنبياء فسادا وإفسادا.

إنها مدينة القدس التي وهبها الله تعالى البركة والقداسة والطهارة.. فهي مجتلى عين موسى، ومهوى قلب عيسى، ومسرى ومعراج نبينا محمد ﷺ. فعلى أرضها صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماما، ومنها عرج به إلى السماوات العلا حيث كانت رحلة الإسراء والمعراج وتشرف بلقاء الأنبياء برفقة جبريل عليه السلام.

وفيها فرضت الصلاة على أمة الإسلام عبادة وطهارة وتقربا الى رب العالمين

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١) فكانت القدس ولا تزال جوهرة المدائن ودرتها وزينتها وحليتها على مر التاريخ.

والقدس «عربية خالصة» دما ولحما مهما حاول هؤلاء المزيفون ومن يساندونهم سواء كانت قوى عالمية أو قوى خفية.. فهم لا يستطيعون طمس حقائق التاريخ الذي تخبرنا صفحاته الصادقة بأن تلك المدينة أنشأها العرب الكنعانيون قبل ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عام قبل الميلاد حسب ما تؤكده الدراسات التاريخية والأثرية، وأن العرب الكنعانيين أتوا إلى مدينة القدس على هجرتين وأقاموا بها حضارة وحياة وتفرع عنهم بطون عدة فكان منهم الآراميون والفينيقيون واليبوسيون والعموريون مما أدى إلى ترسيخ الأصول العربية وغلبة الطابع العربي حياة ووجدانا وعادات وتقاليد، فالدلائل التاريخية تؤكد أن أهل فلسطين كانوا ينتمون إلى الجنس العربي، وأن اللغة العربية كانت لغتهم التي أخذوها عن بني كنعان الذين كانوا يتحدثون بها مما زاد من عراقة وأصالة عربيتهم وصقلها بطابع الوجدان العربي الخالص.

ثم جاء الفتح الإسلامي للقدس (١٦هـ - ٦٣٧م) حيث نجح جيش المسلمين تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح في حصاره للقدس، وكان من نتائج هذا الحصار استسلام البطريرك صفرنيوس شريطة أن يعطي مفاتيح المدينة لخليفة المسلمين. وبالفعل ذهب الخليفة الفاروق ﵁ إلى القدس وقابل البطريرك صفرنيوس على جبل الزيتون وتسلم مفاتيح مدينة القدس.. وكانت العهدة العمرية المشهورة حيث أعطى الفاروق ﵁ أهل إيلياء (القدس) أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، فلا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم. وورد في هذا العهد نص في غاية الأهمية وهو ألا يسكن بإيلياء أحد من اليهود. ومعنى هذا أن اليهود غرباء عنها ولتؤكد حقيقة أن القدس إسلامية.

وتؤكد الوثائق التاريخية أنه لما حانت صلاة الظهر عندما زار الخليفة الفاروق كنيسة القيامة أشار عليه صفرنيوس ومن معه أن يؤدي خليفة المسلمين الصلاة داخل الكنيسة، لكن عمر ﵁ رفض ذلك حتى لا يتخذها المسلمون مسجدا من بعده. وبذلك يضرب الفاروق ﵁ المثل والقدوة في الوسطية الدينية ديانة وعبادة وحياة. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القدس مدينة إسلامية واكتسبت روح الطابع الإسلامي، وأصبح العنصر الإسلامي على مر السنين هو العنصر الغالب والأكثر بكل ما يحمله من طابع حضاري وديني.

وإذا كانت مكة المكرمة كرمها الله تعالى وشرفها ببيته الحرام والمدينة المنورة شرفت برسول الله ﷺ فمدينة القدس الطاهرة شرفت بالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال ومنه عرج برسول الله ﷺ في أشرف رحلة في تاريخ الوجود رحلة الإسراء والمعراج.

والمسجد الأقصى له جلاله وعظمته ومكانته في وجدان المسلمين، وليس أدل على ذلك مما ورد من أحاديث شريفة. فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» (رواه البخاري ومسلم).

إنه الشرف والتشريف الرباني الذي نالته تلك الأرض الطاهرة والمدينة المقدسة.. إن إثبات أن القدس عربية إسلامية لا يحتاج إلى دليل، وكيف نأتي بالدليل والقرآن الكريم يؤكد والحديث الشريف يوضح وصفحات التاريخ تشهد وتعترف أن عروبته وعراقته تسرى في دمائه وجلاله وعظمته وروحه الطاهرة وقداسته تشهد بسماء إسرائه ومعراجه؟

لكن الأهم أن مدينة القدس وما آلت إليه الآن أرضا وبشرا وحياة تحتاج إلى أن يعيد المسلمون حساباتهم تجاه ما يفعله اليهود على أرض الرسالات أرض الأقصى، أرض الإسراء والمعراج أرض القبلة الأولى للمسلمين، أرض الديانات والأنبياء، وأن تكون صرخاتهم أفعالا لا أقوالا ولا تكون شجبا واستنكارا، أن تتيقظ الهمم من سباتها وغفلتها إحياء لفكرة الجهاد التي رسخها صلاح الدين الأيوبي وآمنت بها قلوب المؤمنين حقا، فطردوا بها الصليبيين شر طردة وانتصروا عليهم وكان تحرير الأقصى.

إن صرخات أهل القدس وانتهاك أعراضهم مسؤولية كل مسلم على ظهر البسيطة، وإن ما يفعله أولئك الشراذم ما هو في حقيقة الأمر إلا لضعف المسلمين وتفرقهم واختلاف آرائهم.

فالدماء التي تسيل كل يوم، كل لحظة، والنساء اللاتي تهتك أعراضهن والأطفال الذين يعلو صراخهم البريء الموجع .. كلها تنادي المسلمين؛ أن يشحذوا الهمم ويضعوا تلك المدينة التي اصطفاها الله نصب أعينهم وأن تتوحد الكلمة إرضاء لله وإنقاذا لإخواننا الذين لا حول لهم ولا قوة.

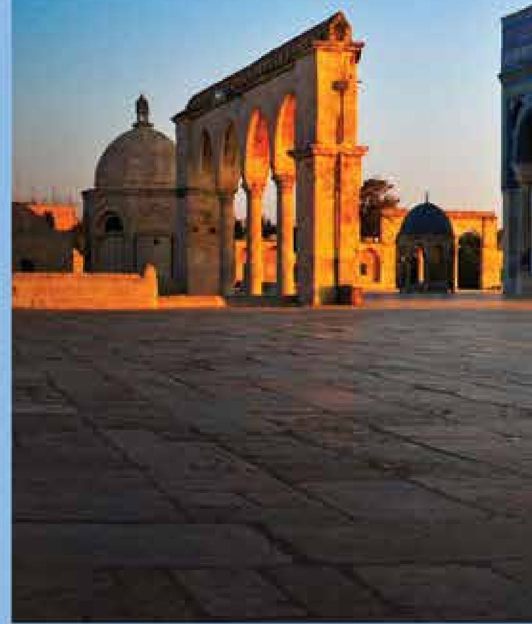


أ. د. يحيى وزيري
أستاذ العمارة الإسلامية - مصر

الأقصى .. حدودا ومكانة

إذا كان المسجد الحرام هو أهم مساجد الأرض وأعلاها منزلة عند المسلمين، فإن للمسجد الأقصى أيضا مكانة كبرى في قلوب المؤمنين، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد ربط بين المسجدين برباط روحي ومادي، فالمسجد الحرام هو أول مسجد وضع للناس، والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد التي بنيت للعبادة، كما أن رحلة الإسراء بدأت من المسجد الحرام وانتهت عند المسجد الأقصى، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

إن أهمية الحديث عن مفهوم ومكانة المسجد الأقصى المبارك تنبع من عدة أشياء مهمة، يأتي في مقدمتها أنه القبلة الأولى التي توجه إليها المسلمون في صلاتهم، كما أنه ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال بعد الحرمين الشريفين «المسجد الحرام والمسجد النبوي»، وتزداد هذه الأهمية في الوقت الحالي بالذات لما يتعرض له من اعتداءات وانتهاكات من جانب الاحتلال الإسرائيلي، الذي يوافق احتلاله لمدينة القدس الشريف وفرض سيطرته عليها وعلى مسجدها المبارك.. اثنان وخمسين سنة تماما في شهر يونيو من عام ٢٠١٩م، إلى جانب إعلان منظمة الإيسيسكو اختيار مدينة القدس عاصمة للثقافة الإسلامية



لهذا العام أيضا.

أولا: مفهوم المسجد الأقصى

كان لابد قبل الحديث عن مكانة المسجد الأقصى، أن نقوم بتوضيح ما هو مفهوم وحدود المسجد الأقصى من الناحية الشرعية، لأنه يحدث خلط ولبس كبيران بخصوص هذا الشأن، حيث يعتقد الكثيرون أن المسجد الأقصى هو فقط الجامع المبني جنوبي قبة الصخرة، وهو الذي تقام فيه الصلوات الخمس الآن.

وحقيقة الحال أن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد، وهو ما دار عليه السور وفيه الأبواب والساحات الواسعة، والجامع وقبة الصخرة والمصلى المرواني والأروقة والقباب والمصاطب وأسبلة الماء وغيرها من المعالم، وعلى أسواره المآذن، والمسجد كله غير مسقف، سوى بناء قبة الصخرة والمصلى الجامع الذي يعرف عند العامة بالمسجد الأقصى، وما تبقى فهو في منزلة ساحة المسجد، وهذا ما اتفق عليه العلماء والمؤرخون، وعليه تكون مضاعفة ثواب الصلاة في أي جزء مما دار عليه السور، وتبلغ مساحته ١٤٠٩٠٠ متر مربع[١].

فالمسجد الأقصى الشرعي الوارد ذكره في كتاب الله الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء، هو البقعة المباركة التي يطلق عليها الآن الحرم القدسي المحاطة بالسور العظيم وما بني فوقها، وحكم السور حكم المسجد المحاط به وهو منه، لما اتفق عليه الفقهاء على أن جدار المسجد من المسجد، ذلك هو المسجد الأقصى الشرعي[٢].

وعلى ذلك فإن المسجد الأقصى «الشرعي» والحرم الشريف هما مسميان لمكان واحد، وقد تم إطلاق مسمى الحرم الشريف في العصور المتأخرة.

يقول الشيخ عبدالحميد السائح وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية السابق بالأردن عن مفهوم المسجد الأقصى: «.. وقد كان مفهوم المسجد الأقصى، المقدس لدى عموم المسلمين، إنما يعني جميع ما أحاط به سور المسجد الأقصى وفيه الأبواب، يدل على ذلك:

١- ما ورد في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ حين أخبر قومه بالإسراء واستنكروه أرادوا أن يمتحنوه بالاستيضاح عن صفة المسجد، فأخذ يصفه لهم ويعد أبوابه بابا بابا، وقد كانوا يعرفونه فتحققوا صفة الوصف.

٢- ما جاء في كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب أ. س. مرمرجي الدومنكي، أحد أساتذة المعهد الكتابي والآثاري في القدس الشريف وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق، أن المتعارف عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة، يقصد الجامع المبني في صدر الحرم الشريف، الذي فيه المنبر والمحراب، وحقيقة الحال أن الأقصى اسم لجميع المساجد مما دار عليه السور.

٣- الفتوى الدينية التي أصدرها علماء المسلمين في الضفة الغربية عام ١٩٦٧م، وصرحوا فيها بذلك أيضا استنادا إلى نصوص دينية وتاريخية موثقة.

وقد أيد هذه الفتوى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف الذي عقد عام ١٩٦٨م» [٣].

ثانيا: مكانة المسجد الأقصى لدى المسلمين

تحدثت العديد من الكتب والمؤلفات عن مكانة وفضائل المسجد الأقصى، وقد استرشدنا بالعديد منها، واضعين في اعتبارنا الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، لتوضيح وإبراز فضائل ومكانة هذا المسجد المبارك عند

المسلمين.

١- فضل المسجد الأقصى وبيت المقدس في القرآن الكريم:

ورد ذكر فضل المسجد الأقصى في العديد من الآيات القرآنية، سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة، كما ورد ذكر مدينة القدس بمسميات متعددة، ومن أهم هذه الآيات:

❖ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (البقرة:١٤٢)، فالمقصود بالقبلة في هذه الآية الكريمة أي بيت المقدس والمسجد الأقصى، فالمسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين، حيث اتجهوا اليه في صلاتهم حوالي ستة عشر أو سبعة عشر شهراً[٤]، قبل تحويل القبلة إلى مكة المكرمة حيث المسجد الحرام.

❖ أوضح القرآن الكريم أن الرسول ﷺ قد أسري به، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة الإسراء والمعراج، مصداقا لقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، وقد أكدت الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى قد بارك حول المسجد الأقصى، لذلك فإن المسلمين يطلقون عليه «المسجد الأقصى المبارك» تصديقا بما جاء في هذه الآية الكريمة.

❖ كما وردت الإشارة إلى المسجد الأقصى في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ (الإسراء:٧)، جاء في تفسير الآية[٥]: «وليدخلوا عليكم» أي على بني إسرائيل، «بيت المقدس» فيخربوه، كما خربوه أول مرة، وليدمروا كل ما وقع تحت أيديهم تدميرا كاملا»، وبالطبع فان المقصود «بالمسجد» في الآية هو المسجد الأقصى.

❖ وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ (ق:٤١)، وتفيد هذه الآية الكريمة بأن أحد الملائكة ينادي ليوم البعث من مكان قريب من الأرض، والمكان القريب، كما ذكر معظم المفسرين هو: صخرة بيت المقدس والتي هي جزء من المسجد الأقصى، فصخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء، وهي بوابة الأرض إلى السماء[٦].

❖ وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:٧١)، وهذا حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام في هجرته الأولى إلى بلاد الشام وبيت المقدس[٧].

❖ كما جاء ذكر مدينة القدس باسم «الأرض المقدسة»[٨] في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١).

❖ كما أطلق على مدينة القدس اسم «القرية»[٩] في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾ (البقرة:٥٨).

٢- فضل المسجد الأقصى في السنة الصحيحة:

الأحاديث النبوية التي ذكرت في فضل ومكانة المسجد الأقصى كثيرة، ولكننا سنذكر أهمها فيما يلي:

❖ المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني في الأرض لما في الصحيحين[١٠] عن آبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال: المسجد الحرام. قال: قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه».

❖ قوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى»[١١]، أي لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها، ولا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع لاختصاصها بما اختصت به.

❖ ومن فضائله أن الصلاة فيه أفضل من خمسمئة صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي، فقد ورد عن أبي الدرداء: قال ﷺ: «الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمئة صلاة»[١٢].

❖ ما ورد عن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: «يا نبي الله افتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر» (رواه أبوداود)[١٣].

❖ كما قال ﷺ من حديث أبي ذر:

«.. ولنعم المصلى هو» (أي المسجد الأقصى)، (رواه الطبرني)[١٤].

❖ ومن فضائل بيت المقدس بصفة عامة، أن النبي ﷺ نصح بسكناها، فقد وردت أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ نصح صحابته بسكنى الشام، وبيت المقدس جزء منها، من ذلك قوله ﷺ لحذيفة ومعاذ، رضي الله عنهما، وهما يستشيرانه في المنزل، فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام، ثم قال: «عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله عزوجل يسكنها خيرته من خلقه، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله»[١٥].

❖ ومن فضائل بيت المقدس أن أهلها طائفة الحق الظاهرين عليه، لما روي عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم.. قالوا: فأين هم؟، قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[١٦].

الخلاصة

المسجد الأقصى الشرعي الوارد ذكره في كتاب الله الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء، هو البقعة المباركة التي يطلق عليها الآن الحرم القدسي المحاطة بالسور العظيم وما بني فوقها من مبان وآثار، ويأتي على رأسها المسجد القبلي (المغطى) وقبة الصخرة.

للمسجد الأقصى مكانة كبرى عند المسلمين بناء على ما ورد في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وهي تعطي فكرة صادقة عن مكانة المسجد الأقصى ومدينة القدس الشريف عند المسلمين، وبناء على ذلك يمكن أن نخلص لما يلي:

١- المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين هو ثاني مسجد بني في الأرض على الإطلاق، بعد المسجد الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض.

٢- المسجد الأقصى هو أولى القبلتين حيث صلى إليه المسلمون ستة عشر أو سبعة شهرا على أرجح الأقوال، كما أنه هو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال.

٣- الصلاة في المسجد الأقصى مضاعفة وتبلغ خمسمائة صلاة.

٤- المسجد الأقصى هو مسرى رسولنا الكريم ﷺ، وصخرة بيت المقدس هي أقرب موضع من الأرض إلى السماء، لذلك فقد عرج منها الرسول ﷺ إلى السماء، في ليلة الإسراء والمعراج.

الهوامش

١- عن الموقع الإلكتروني لإدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية، انظر:
❖ www. Islam. gov. kw/ thaqafa.

٢- مصطفى عبدالقادر (٢٠٠١م). وثائق اليهود السرية للاستيلاء على المسجد الأقصى. المؤلف نفسه، الإسكندرية، ص١١.

٣- عبدالحميد زايد (٢٠٠٠م). القدس الخالدة. سلسلة تاريخ المصريين (١٩٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٨١.

٤- انظر تفسير الآية (١٤٢) من سورة البقرة في «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير.

٥- التفسير الميسر (١٤١٩ هجرية). وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، ص٢٨٢.

٦- عكرمة سعيد صبري (٢٠٠٤م). الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى المبارك. أوراق المؤتمر الدولي الثاني بعنوان: حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، عمان ٢٣- ٢٥ نوفمبر، انظر الموقع الإلكتروني للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو): www. Isesco. org. ma

٧- محمد بن عبدالله الزركشي (١٩٩٩م). إعلام الساجد بأحكام المساجد (ط٥). المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص٢٨٦.

٨- محمد عيسى صالحية (٢٠٠١م). مكانة القدس في الإسلام. كتاب ندوة «القدس»، جامعة اليرموك - إربد، الأردن، ص٣٨.

٩- محمد بن عبدالله الزركشي: مرجع سابق، ص٢٨٦.

١٠- البخاري ومسلم.

١١- صحيح البخاري.

١٢- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الكبير، رجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن، ونسبه ابن حجر في فتح الباري إلى البزار، وقال: حسنه البزار، منقول عن سعدي حسين جبر، انظر الموقع الإلكتروني التالي:
❖ www. Alaqsa-online. com

١٣- جمعية إحياء التراث الإسلامي (٢٠٠٠م). إصدار خاص بمناسبة أسبوع الأقصى الثاني، نوفمبر ٢٠٠٠م، ص٧.

١٤- المرجع نفسه: ص٨.

١٥- (الترغيب والترهيب للمنذري- وصححه الألباني)

١٦- رواه أحمد ابن حنبل في المسند، وقال الهيثمي في المجمع إن رجاله ثقات.



د. عبدالله المودن
دكتوراه في الشريعة

شهادة الشيخ ابن العربي المعافري دليلا

مدينة القدس.. فضاء للتناظر والحوار

لا نبالغ إذا قلنا في مطلع هذا المقال إن الحديث عن مدينة القدس خاصة وبلاد فلسطين عامة (تاريخها، أمجادها، واقعها في الوقت الحاضر)، أصبح ضرورة تستدعيها مجموعة من المقتضيات الدينية والتاريخية والواقعية مستفادة من النصوص الشرعية (القرآن الكريم والسنة النبوية والمصنفات التاريخية، ومن فقه واقع الشعب الفلسطيني وما يتعرض له يوميا من تهجير وتشريد وقتل وغيرها من أفعال إجرامية هدفها إبادة شعب بأكمله.

هدفنا من هذا الحديث الكشف عما كان سائدا في المجتمع المقدسي إبان الخلافة الإسلامية من تسامح وتعايش وتعاون وسلام بين مختلف مكوناته التي كانت متعددة ومتنوعة من حيث انتماءاتها ومرجعياتها الدينية والمذهبية.. فإلى جانب المسلمين، كان يعيش هناك المسيحيون واليهود في سلم وسلام، وإلى جانب الفقهاء المالكية كان نظراؤهم من الشافعية والحنفية وغيرهم يعيشون فيه مساهمين كلهم في حل معضلاته محافظين على وحدته وتماسكه وقوته.

على أن من الشخصيات العلمية التي تتيح لنا إمكانات التدليل على ما ذهبنا إليه من سيادة التسامح والتعايش والتعاون والسلم والسلام في المجتمع المقدسي، شخصية العلامة ابن العربي المعافري (ت:٥٤٣هـ)، وما خلفه من تراث علمي يحمل في ثناياه براهين قوية تثبت عكس ما أصبح ينعت به الإسلام اليوم من أوصاف سلبية مجانية (تطرف - إقصاء الآخر - إرهاب..)، فهي نعوت باطلة لا يسندها دليل.

وعليه، سنقسم مقاربتنا لهذا الموضوع إلى مراحل ثلاث:

أولاها: نخصصها للشيخ ابن العربي المعافري؛ بوصفه أحد أعمدة الثقافة الإسلامية في القرن السادس الهجري.

ثانيتها: نورد فيها النصوص والأدلة المختارة المثبتة لما نريد الوصول إليه.

والأخيرة: نعمد فيها إلى استخراج الدلالات واستخلاص العبر.

١- قيمة النصوص المختارة من مكانة صاحبها

كثيرة هي المصادر التاريخية وغير التاريخية والدراسات العلمية/ الأكاديمية التي أشادت بالمكانة العلمية المرموقة لهذا العالم، الذي اعتبره من تعرض لسيرته فقيها حافظا عالما متقنا، أصوليا محدثا مشهورا، أديبا رائق الشعر، رئيس وقته[١].

أفاد ابن العربي من مدن زارها أهمها القدس

فالشيخ أبو بكر بن العربي شخصية علمية قوية، لم يكن من زمرة من يقصر نفسه على الرواية واستظهار الكتب، بل كان له رأي ونظر، فكان لا يقبل من الأقوال ويرد إلا بحسب الدليل لا بحسب تقليد هذا أو ذاك، وكانت له جرأة عظيمة وشجاعة نادرة وعارضة قوية، وما هداه إليه فصاحة بالغة وثقة بالنفس بما ترجح عنده أنه الحق؛ فأهله ذلك كله ليبلغ درجة الاجتهاد، كما جاء في تذكرة الحفاظ[٢].

ويرجع تفوقه العلمي، الذي أهله لأن يكون كذلك (فقيها - مجتهدا - مناظرا - قاضيا صارما..)، إلى أسباب كثيرة، نذكر منها رغبته القوية في تحصيل العلم والمثابرة على ذلك، يقول عنه القاضي أبو القاسم: وكنا نبيت معه في منزله بقرطبة، فكانت الكتب عن يمين وشمال، وكان لا يتجرد من ثوب. كانت له ثياب طوال يلبسها بالليل وينام فيها إذا غلبه النوم، فمهما استيقظ مد يده إلى كتاب والمصباح لا يطفأ[٣]. كما نذكر سببا آخر يتعلق برحلته إلى المشرق وتتلمذه على شيوخ كبار كالغزالي والشاشي والطرطوشي وغيرهم، ما مكنه من العودة إلى إشبيلية بعلم كثير، كما يقول الحميدي[٤].

على أن ما يهمنا من تكوينه ورحلته، شهادته ومعاينته، بل استفادته مما كان يسود المدن الإسلامية التي زارها (تونس - عسقلان - بغداد - القدس..) من سلم وسلام وتعايش بين مكوناتها.. شهادة لا يمكن ردها أو إنكارها بأي حال لأنها صادرة عن عالم كبير معروف بتقواه وصرامته في قول الحق والتشدد فيه.

٢- النصوص المختارة من تراث العلامة ابن العربي

نشير في البداية إلى أن هذه النصوص مأخوذة من مؤلف الشيخ ابن العربي (قانون التأويل)، الذي هو من أهم مؤلفاته العلمية، يقول عنه محققه الأستاذ السليماني: «ومن أهم مؤلفاته «قانون التأويل»، وهو يتناول القواعد المنهجية لطلاب العلوم الشرعية»[٥].

كما نشير إلى أن محورها الرئيسي وموضوعها المركزي هو المناظرات التي حضر الشيخ في مجالسها أو أتيحت له فرصة المشاركة فيها.

النص رقم ١: يقول متحدثا عن دخوله بيت المقدس: «فدخلنا الأرض المقدسة وبلغنا المسجد الأقصى، فلاح لي بدر المعرفة فاستترت به أزيد من ثلاثة أعوام»[٦].

النص رقم ٢: ويقول عن المناظرات التي حضر في مجالسها:

- «وحين صليت بالمسجد الأقصى فاتحة دخولي له، عمدت إلى مدرسة الشافعية بباب الأسباط، فألفيت بها جماعة علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي الرشيد... وهم يتناظرون على عادتهم»[٧].
- «وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف، لا تلهينا تجارة، ولا تشغلنا صلة رحم، ولا تقطعنا مواصلة ولي، وتقاة عدو. فلم تمر بنا إلا مدة

يسيرة حتى حضر عندنا بالغوير – ونحن نتناظر– فقيه الشافعية عطاء المقدسي»[٨].

- «وكنا نفاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود، وكان لليهود حبر بها منهم يقال له: التستري؛ لَقِناً فيهم ذكيا بطريقتهم، وخاصمنا النصارى بهـا، وكـانـت الـبـلاد لـهـم: يكـرون ضياعها، ويلتزمون أديارها، ويعمرون كنائسها»[٩].
- «وقد حضرنا يوما مجلسا عظيما فيه الطوائف، وتكلم التستري الحبر اليهودي على دينه فقال: اتفقنا على أن موسى نبي مؤيد بالمعجزات، معلم بالكلمات، فمن ادعى أن غيره نبي فعليه الدليل. وأراد عن طريق الجدال أن يرد الدليل من جهتنا حتى يطرد له المرام وتمتد أطناب الكلام. فقال له الفهري: إن أردت بموسى الذي أيد بالمعجزات وعلم الكلمات وبشر بأحمد فقد اتفقنا عليه معكم وآمنا بـه وصدقناه. وإن أردت بـه موسى آخـر فـلا نعلم مـا هـو، فاستحسن الحاضرون ذلك، وأطنبوا في الثناء عليه، وكانت نكتة جدلية عقلية قوية، فبهت الخصم وانقضى الحكم»[١٠].

٣- النصوص المختارة: الدلالات والعبر

يلاحظ القارئ للنصوص المختارة – وهي جزء قليل من كثير للقاضي ابن العربي وغيره من العلماء المسلمين– أنها غنية بمختلف المعارف والأصول العلمية المتعلقة بعلوم شتى، منها ما يتعلق بعلم المناظرة، كما أنها دالة دلالة قوية على ما كان يسود المجتمع المقدسي من مناظرات ومحاورات من جهة، وما يربط بين مكوناته المتعددة والمتباينة من حيث مرجعياتها الدينية والمذهبية (الكلامية والفقهية) من علاقات أساسها التعايش والتعاون بفضل اعتمادها على أسلوب التناظر والتحاور للإقناع والوصول إلى الحقيقة من جهة أخرى. وللتدليل على بعض ما ذكرناه نورد ما يلي:

١،٣. المناظرة مصطلح مركزي في تلك النصوص

اعتبرنا المناظرة مصطلحا مركزيا نظرا لتكرارها في أماكن كثيرة ومختلفة في مؤلف الشيخ ابن العربي (قانون التأويل) وفي غيره من مصنفاته، كقوله مثلا: «فألفيت بها جماعة علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة.. وهم يتناظرون على عادتهم». كما استعمل مصطلحات تفيد معنى التناظر كقوله «وكنا نفاوض الكرامية»، وغيرها من الألفاظ والاستعمالات الدالة على أن التناظر والتفاوض في الحواضر الاسلامية عامة والقدس خاصة هو الأسلوب المعتمد لإقناع الطرف المخالف في الآراء، وبالتالي التعاون معه للوصول إلى الحقيقة والأخذ بها للعيش في سلم وسلام حتى تتحقق عمارة الأرض كما هو مأمور به شرعا. على أن المناظرة بمفهومها العلمي تتيح ذلك لأنها هي تلك «المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف له لدى ظهوره»[١١]. فالقصد من التناظر هو الوصول إلى الحق، لا إسكات الخصم المخالف وإلا سميت جدلا[١٢]، وأدت إلى التنازع، بل الهدف منها وأساسها هو إقناع الآخر والتعاون معه للوصول إلى الحق والاعتراف به من قبل الجميع.

٢،٣. التعايش بين جميع مكونات المجتمع المقدسي بدليل وقوع التناظر بينها

يستفاد من النصوص السابقة أن المجتمع المقدسي يتكون من عناصر مختلفة من حيث مرجعياتها الدينية والمذهبية. فإلى جانب المسلمين كان اليهود والنصارى أيضا يعيشون فيه في أمن وسلام، متمتعين بحقوقهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية؛ بدليل قول الشيخ ابن العربي: «وقد حضرنا يوما مجلسا عظيما فيه الطوائف، وتكلم التستري الحبر اليهودي». وقوله أيضا: «وكانت البلاد لهم –أي النصارى– يكرون ضياعها ويلتزمون أديارها ويعمرون كنائسها». كما كانت تعيش فيه مختلف المذاهب الإسلامية –الكلامية والفقهية– وتتعايش، يقول ابن العربي في هذا الصدد: «وكنا نفاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة»، ويقول أيضا: «وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظر بين الطوائف».

٣،٣. الاعتماد على التناظر وإتقان قواعده لإبطال وجهة نظر المخالف

إذا كانت الطوائف السابقة الذكر، المكونة للمجتمع المقدسي، ليست على عقيدة واحدة إلى درجة أن هناك من لا



يعترف بنبوة الرسول محمد ﷺ مثلا، فإن ذلك لم يكن يدعوهم إلى الاقتتال وسفك الدماء، بل كانوا يعمدون إلى استعمال أسلوب التناظر والتفاوض والتحاور المؤسس على قواعد علمية متفق عليها من قبل الجميع والمطلوب إتقانها، كما هو الشأن حينما أنكر الحبر اليهودي التستري نبوة محمد ﷺ بشكل ضمني، فرد عليه العالم المسلم الفهري على نحو دال على إتقانه لتلك القواعد؛ بدليل قول الشيخ ابن العربي في حقه بعد رده على الحبر اليهودي: «فاستحسن الحاضرون ذلك وأطنبوا في الثناء عليه، وكانت نكتة جدلية عقلية قوية، فبهت الخصم وانقضى الحكم»[١٢].

من خلال ما ذكرناه نخلص إلى بعض الاستنتاجات هي على النحو الآتي: الدين الإسلامي هو دين للإنسانية جمعاء، هدفه إقامة مجتمع عادل تسوده قيم التعارف والتعايش، خصوصا بين المسلمين من أتباع الشرائع السماوية من اليهود والمسيحيين تحت ظل الراية الإسلامية. وهذا ما ساد المجتمعات الإسلامية حينما كان الإسلام هو



المرجع لما يقع داخل دار الإسلام، فكان من يعيش فيه ممن ذكرناه يتمتع بجميع حقوقه، كما كانت تعقد فيه مجالس علمية للتناظر والتفاوض، منطلقها إبداء وجهة النظر، وأساسها التعاون مع الطرف المخالف للوصول إلى الحقيقة عند ظهورها، وغايتها الأخذ بالحق عند ظهوره عن طريق الإقناع بعيدا عن التعصب وإقصاء الطرف المخالف في الرأي.

حاجة المجتمعات الإسلامية، التي من بينها المجتمع المغربي، إلى اعتماد أسلوب التناظر والتفاوض والتحاور، وإتقان قواعده من قبل نخبها الفكرية والسياسية وغيرها من الفعاليات بعيدا عن التعصب وإقصاء الآخر من جهة، وبعيدا أيضا عن كل ممارسة جدلية سجالية عقيمة هدفها ليس هو الوصول إلى الحقيقة والأخذ بها، وإنما إفحام الطرف المخالف والانتصار عليه فيتعمق التنازع ويسود الحقد والحسد والبحث عن سبل أخرى للانتقام، بدل التعاون والتعايش والتوحد.

ونقول أخيرا، إن مجتمعاتنا في أمس الحاجة إلى اعتماد أسلوب التناظر والتحاور في تدبير أمورها الخلافية أولا، وإلى إتقان قواعدهما وآدابهما العلمية والشرعية باستيعاب أسسها ومقاصدها ومنافعها.. بالرجوع إلى الكتاب والسنة النبوية وتراثنا العلمي من جهة، والاستفادة من الحضارات الأخرى القديمة والحديثة من جهة أخرى. وهذا يقتضي، مما يقتضيه، التعجيل «بوضع خطة تربوية دقيقة وشاملة توفر لمجتمعنا الناهض تكوينا متينا في منهجيات الحوار وأخلاقياته»[١٣]، كما يقول الدكتور طه عبدالرحمن.

الهوامش

١- العلامة الضبي أحمد بن يحيى ابن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، الورقة:٢٢.
٢- الحافظ الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م٢، ج٤، ص:١٢٩٦.
٣- الضبي، مصدر سابق، الورقة:٢٢.
٤- العلامة محمد الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب والنباهة والشعر، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ص:٤.
٥- الشيخ ابن العربي، قانون التأويل، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٠م، ص:١٦.
٦- الشيخ ابن العربي، المصدر السابق، ص:٩١.
٧- الشيخ ابن العربي، المصدر السابق، ص:٩١.
٨- الشيخ ابن العربي، المصدر السابق، ص:٩٤.
٩- الشيخ ابن العربي، المصدر السابق، ص:٩٥-٩٦.
١٠- الشيخ ابن العربي، المصدر السابق، ص:٩٦.
نذكر مثلا: ترتيب الرحلة يوجد ضمن كتاب: الأنساب أو مفاخر البربر، مجهول المؤلف - الخزانة العامة - الرباط - ك ١٢٧٥.
- أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
١١- د. عبدالرحمن الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق.
١٢- د. طه عبدالرحمن، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، ص:٧.
١٣- المصدر نفسه

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي مصري



مدينة الميزان الحضاري

لعلنا نلاحظ من خلال تأمل تاريخ مدينة القدس، أو بيت المقدس، أنها مدينة توافر لها ما لم يتوافر لسواها من المدن، وأنها حظيت بالكثير من الأحداث والمعارك والسجالات مما جعلها رمزا ومحورا وعلامة بارزة. فهي مدينة اجتمعت لها الصبغة الدينية والصبغة الحضارية معا، وبوضوح شديد؛ بحيث لم يعد الدفاع عنها مجرد دفاع عن مدينة لها صبغة دينية -عند المسلمين أو غيرهم- وإنما صار الدفاع عنها جزءا من التدافع الحضاري الواسع بين الشرق والغرب، وصار وجودها بيد طرف من طرفي المعادلة دالا على أن من يحوزها قد رجحت كفته في ميزان الصراع أو التدافع الحضاري.. إضافة إلى أن طريقة هذه الحيازة تدل هي الأخرى على ما بلغه أصحابها من رقي وتحضر.

الإسلام يرث المدينة المقدسة

إنها مدينة عجيبة حقا..! اكتسبت أهمية دينية كبرى عند أصحاب الرسالات السماوية جميعا.. والأمر هنا يحتاج لتوضيح مهم:

فيما يتصل باليهودية: ينبغي أن نشير إلى حقيقة كاشفة، وهي أن نبي الله موسى عليه السلام لم يدخل بيت المقدس، ولم يرها، فضلا عن أن التوراة لم تنزل عليه فيها[1]؛ وهذا أمر له دلالته المهمة بلا شك.

أما بعد موسى عليه السلام، فقد دخل بنو إسرائيل القدس، وأقاموا فيها مملكة لهم؛ وكان هذا في عهد داود وابنه سليمان عليهما السلام. وقد عاشت هذه المملكة الإسرائيلية في القدس سبعين سنة فقط، وهي فترة قصيرة جدا من تاريخ القدس،

الذي يضاهي في طوله تاريخ مصر- أقدم بلاد العالم- والذي يتكون من مراحل طويلة؛ كل مرحلة منها دامت مئات السنين؛ فبعد المرحلة العربية الأولى -التي جاءت فيها قبائل كنعان العربية، واستوطنت فلسطين وزرعت أرضها وبنت فيها القرى، وهي مرحلة طويلة استمرت زهاء ألفين من السنين- تعاقب على غزو فلسطين وحكمها والإقامة فيها، أمم عديدة؛ هي أمم الآشوريين والبابليين والفرس والمصريين واليونان والرومان. وقد أقام كل من هؤلاء مرحلة تاريخية، أطول من السنوات السبعين التي عاشها بنو إسرائيل في القدس، دون أن يدعي أحد منهم ما تدعيه إسرائيل، في زماننا هذا، من أن لها حقها التاريخي في القدس وفلسطين جميعا!»[٢].

أما الوجود المسيحي في القدس: فضارب في عمق التاريخ؛ ففي (بيت لحم)، القريبة من القدس، كانت ولادة السيد المسيح؛ وفي المدينة المقدسة كانت انطلاقة الدين المسيحي، الذي تعرض أتباعه للاضطهاد، مما جعل من المسيحية عقيدة سرية إلى أن أُعلنت دينا عاما للإمبراطورية الرومانية الواسعة في عهد الإمبراطور قسطنطين، وزيارة أمه الملكة هيلانة للقدس سنة ٣٢٠م، حيث شيدت كنيسة القيامة[٣].

لكن مع ذلك، «ظل الرومان المسيحيون يعاملون الفلسطينيين المسيحيين معاملة الحاكم المتجبر للمحكوم المقهور؛ بدعوى أن الرومان يقولون إن مسيحية أهل فلسطين تختلف عن مسيحية روما في بعض التفاصيل؛ بل لم يكن الرومان يسمحون للفلسطينيين، ولا للمصريين المسيحيين، بأن يبنوا كنيسة يصلون فيها»[٤].

ثم جاءت اللحظة الفارقة بظهور الإسلام، وتحديدا بحادثة الإسراء والمعراج، التي جاءت لتؤكد انتقال المدينة المقدسة إلى رحاب الإسلام، من خلال عدة إشارات: يتمثل أولها في أن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن رأسا من المسجد الحرام، دون المرور بالمسجد الأقصى.. وإنما جاء الإسراء إلى هذا المسجد المبارك، ليكون ذلك إشارة إلى انتقاله إلى حوزة الإسلام..

وجاءت الإشارة الثانية متمثلة في إمامة النبي ﷺ إخوانه الأنبياء بالأقصى؛ فكما أنه النبي الخاتم الذي ختمت رسالته ما سبقها من رسالات، فإن شريعته ورثت الوصاية على هذا المسجد المبارك.. ولهذا لم يكن غريبا أن يتجه المسلمون إليه أولا في صلاتهم، عدة سنوات قبل الهجرة، وستة عشر أو سبعة عشر شهرا بعدها.

وتم الفتح الإسلامي لبيت المقدس في عهد الفاروق عمر سنة ست عشرة من الهجرة، وقيل خمس عشرة. وكتب عمر لأهلها «العهدة العمرية» التي اشترطت ألا يقيم في القدس يهود، وذلك بناء على طلب البطريرك صفرونيوس، الذي كان يمنعهم من السكن في المدينة؛ فقد كان وجود اليهود فيها وجودا همجيا حافلا بالقسوة والعنف والحقد. ومنذ أن قادهم موسى من مصر إلى أرض فلسطين، اعتبروا شعبها من الفلسطينيين عدوا لهم[٥].

وبدخول بيت المقدس إلى رحاب الإسلام، استقرت المدينة في حيازة الأمة الخاتمة الشاهدة، وعرفت المعنى الحقيقي للتسامح والتعايش بين أهل الملل المختلفة؛ ولم يشذ عن ذلك إلا السنوات التي شهدت الحملات الصليبية قديما، والهجمة الصهيونية حديثا.. مما يجعلنا نسمع أنين تلك المدينة المقدسة وحنينها للعودة إلى رحاب الإسلام من جديد.

مدينة ذات مركز حضاري

كما أشرنا، فمدينة القدس ليست مجرد مدينة عريقة من تلك المدن التي عرفها التاريخ الإنساني فحسب، وإنما هي مدينة ذات مركز حضاري قلما يتوافر لغيرها؛ بحيث يكون الصراع عليها صراعا ممتدا وعميقا ومتجاوزا بكثير للدائرة الجغرافية الضيقة التي تدور حولها.

ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى أمرين:

الأول: أن الحروب الصليبية التي استهدفت بيت المقدس، وشهدت هذه المدينة عدوانا سافرا على البشر والحجر؛ إنما كانت جزءا من محاولات تطويق العالم الإسلامي من جهتي الشرق والشمال، وفي أوقات متزامنة؛ بحيث هدفت تلك المحاولات إلى القضاء على العالم الإسلامي فلا تقوم له قائمة.

ففي أثناء اشتداد الحروب الصليبية أرسل البابا إنوسنت الرابع مندوبه إلى منغوليا، ليعمل على تكوين حلف صليبي مغولي ضد العرب. وعندما جاء لويس التاسع ملك فرنسا على رأس حملته الصليبية المشهورة لاحتلال مصر، نزل في قبرص وجاءته من خاقان التتار وفود تحمل هدايا، وعندما عادت البعثة إلى بلاد التتار أرسل لويس

التاسع معها بعض رجاله. وخطط التتار للزحف على المشرق العربي، وخطط الفرنسيون للزحف على مصر؛ ولكن فشل لويس التاسع في موقعة المنصورة. ومع ذلك، سعى لتحقيق هذا الحلم، فأرسل رجل الدين «جليوم ربروك» عام ١٢٥٢م إلى بلاط خان المغول. وانتهى الحال بقيام هولاكو بحملة دمر فيها بغداد. وقد كان هولاكو متزوجا من مسيحية نسطورية، كما أن قائد هولاكو الذي هُزم أمام الظاهر بيبرس في «عين جالوت»، وهو كتبغا، كان مسيحيا. واستثنى هولاكو من مذابحه في بغداد السكان المسيحيين، كلون من ألوان التحالف بين المغول والصليبيين[٦].

أما الأمر الثاني: فهو أن لويس التاسع وهو في طريقه لغزو مصر، أرسل رسالة –وهو مازال في عرض البحر بعيدا عن ساحل دمياط– إلى الصالح أيوب حاكم مصر، مليئة بالتهديد والوعيد، ويذكره فيها بالمصير البئيس الذي يلاقيه المسلمون في الأندلس!!

فيقول لويس في رسالته: إن المسلمين هناك يحملون إلينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء، ونستأثر البنات والصبيان ونخلي منهم الديار[٧].

إذن، كان الصراع حول بيت المقدس غير محصور في النطاق الجغرافي الضيق للمدينة؛ وإنما كان ممتدا إلى أقصى الشرق حيث الغزو التتري الهمجي، وإلى أقصى الغرب حيث التطهير العرقي بحق مسلمي الأندلس، والذي فاق الخيال في قسوته وساديته!

الميزان الحضاري

ذكرنا في المقدمة، أن مما اختصت به مدينة القدس، ويجعلنا نسميها «مدينة الميزان الحضاري»؛ أن وجودها بيد طرف من طرفي المعادلة يدل على أن من يحوزها قد رجحت كفته في ميزان الصراع أو التدافع الحضاري.. إضافة إلى أن طريقة هذه الحيازة تدل هي الأخرى على ما بلغه أصحابها من رقي وتحضر.

فالمسلمون حينما تكون لهم اليد الطولى في المعادلة الحضارية، نراهم وقد بسطوا سلطانهم على المدينة، ولم يسمحوا لمحاولات الغزو أن تتسلل إلى رحابها، وتعكر صفوها.. أما حين يضعفون، ويختل ميزانهم الحضاري؛ فإن المدينة تتفلت من بين أيديهم، أو تُنتزع من سلطانهم!

بجانب هذا، فإن طريقة دخول المدينة والاستيلاء عليها من جانب المنتصر –سواء في الفتح الإسلامي، أو الغزو الصليبي أو الصهيوني– تعكس الفارق الحضاري هنا وهناك، وتبين بجلاء جدارة المسلمين وحدهم بأن يكونوا أمناء على ميراث الأنبياء.

فواقع المدينة اليوم، بعد أن وقعت في الأسر منذ ما يزيد على سبعة عقود، لا يخفى على أحد، ولم يَسلم فيه حجر ولا بشر؛ تغيرت المعالم، وتضاعفت المعاناة، وزُرعت الجدران التي قطعت أوصال فلسطين، وحيل بين المسجد الأقصى والقدس ومحبيهما..!

وأما ما ارتكب بحق المدينة من مجازر ومذابح حين سقطت في الحملات الصليبية، فأمر سارت به الركبان، ونطق به حتى المنصفون من غير العرب والمسلمين!

لقد كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ، الموافق للخامس عشر من يوليو سنة ١٠٩٩م، يوما حزينا، ليس في تاريخ فلسطين والقدس فحسب، وإنما في تاريخ الإنسانية عامة! فما بالك بيوم شعر فيه سفاكو الدماء أنفسهم بـ«التقزز»، من كثرة ما ارتكبوا من مجازر وأسالوا من دماء..! وما عسانا نقول عن الضحايا حينئذ..!

لندع المؤرخ المسيحي وليم الصوري يوجز لنا جانبا من المأساة، إذ يقول: كان اليوم الجمعة.. ضم الدوق ومن معه قواتهم بعضها إلى بعض، وانطلقوا هنا وهناك وعليهم دروعهم ومعافرهم، وراحوا يزرعون شوارع المدينة مشرعين سيوفهم، فاتكين بكل من يصادفهم من الأعداء، لا يراعون في ذلك عمرا ولا وضعا؛ فكان في كل ناحية مذبحة مروعة، وفي كل ركن أكوام من الرؤوس المقطوعة؛ حتى استحال السير في كل الأماكن، أو الانتقال من موضع إلى آخر إلا على جثث القتلى. وكان الزعماء قد شقوا طريقهم إلى وسط المدينة سالكين طرقا مختلفة، ومرتكبين من المذابح في أثناء تقدمهم ما لا يُمكن التحدث عنه. ونهج نهجهم جمع من الناس الظامئين إلى دماء العدو، والذين لا قصد لهم سوى التدمير.

ويتابع: ودخلوا المدينة دون أن يلقوا أدنى مقاومة، من جانب العدو (وصفُ «العداء» هنا عائد على أهل المدينة!)، وما كادوا يرون أنفسهم

بها حتى فتحوا البوابة الجنوبية التي كانت أقرب الأبواب إليهم على مصراعيها، وأدخلوا بقية الناس. ومشى القادة والجنود الصليبيون وحــدة واحـــدة، مسلحة تمام التسليح، وانتشرت في كل ناحية من نواحي وسط المدينة ليس لها من هدف سوى بث الدمار المخيف. وشهدت أرجاء المدينة مذبحة فظيعة الشناعة، وكان الدم المسفوح مخيفا، حتى إن المنتصرين أنفسهم ساورهم الإحساس بالخوف، وشعروا بالتقزز. وفر الجانب الأكبر إلى فناء المسجد؛ لوقوعه في موضع قاصٍ من المدينة كان محصنا أشد التحصين بسور وأبراج وأبواب؛ لكن فرارهم إلى هناك لم يسعفهم بالخلاص؛ إذ سرعان ما اقتفى «تانكريد» أثرهم على رأس معظم رجال الجيش، الذين اقتحم بهم المسجد؛ وأعمل مذبحة شرسة حمل بعدها معه كميات كبيرة من الذهب والفضة والجواهر.

ثم يوضح أن القادة الآخرين قد ترامى إلى علمهم -بعد فتكهم بكل من صادفهم في شتى نواحي المدينة- أن الكثيرين فروا إلى أطراف المسجد الطاهر؛ فأسرعوا كما لو كانوا على اتفاق فيما بينهم، وانطلقوا يتعقبونهم، ودخل المسجد حشد من الفرسان والمشاة، فذبحوا ذبح الشاة كل من لجأ إلى هنا يبتغي الحماية، وأعملوا القتل فيهم، لم تأخذهم رحمة بأحد ما، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا[8].

ويكفي حتى نعرف «الفارق الحضاري»، الذي تجليه لنا «لحظة دخول المدينة المقدسة»؛ أن نقارن بين هذا السلوك غير الآدمي من الصليبيين، الذين لم يراعوا حرمة الإنسان ولا المكان، وهم الذين خرجوا في مهمة دينية كما زعموا.. وبين سلوك صلاح الدين الأيوبي حين دخل المدينة فاتحا..!

ولندع مؤرخا غربيا آخر، يقارن لنا، حتى لا يكون الكلام موضع شك أو اتهام. فيقول غوستاف لوبون: «تم طرد الصليبيين من القدس على يد صلاح الدين الأيوبي الشهير؛ وذلك أن صلاح الدين دخل سورية بعد أن أصبحت مصر وجزيرة العرب والعراق في قبضته، وأنه غلب ملك القدس الأسيف (غِي دولوزينيان) وأسره، واسترد القدس في سنة ١١٨٧م. ولم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش، فيبيد النصارى عن بكرة أبيهم؛ فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم، مانعا سلب شيء منهم»[9].

هكذا رأينا مدينة القدس ميزانا حضاريا لا يختل.. ميزانا على حالة المسلمين الحضارية؛ تقدما أو تأخرا، تماسكا أو تشتتا.. وعلى الفارق الحضاري الكبير بين سلوك الفاتحين المسلمين حين دخلوا المدينة، وسلوك غيرهم حين لم يراعوا حرمة للإنسان ولا المكان..!

إن كل تلك المعاني التي تختزنها مدينة القدس في تاريخها الحضاري الممتد، لتستحثنا أن نستجمع شتاتنا، وأن نسترد وعينا، وأن نلملم شعثنا، ليس لنزيح الركام الذي أثقل كاهل المدينة تحت وطأة الاحتلال، فحسب؛ بل لنعيد ميزاننا الحضاري الذي لن يعتدل إلا إذا عادت القدس إلى رحاب الإسلام..

وحتى تعود القدس إلينا، يجب أولا أن نعود نحن إليها.. نعود إليها وعيا بتاريخها ومكانتها ورمزيتها.. وإرادة وتصميما على تصحيح المسار، وتدارك مواطن التفريط.. والتزاما وسلوكا بقيمنا ومبادئنا الإسلامية التي تمنحنا -وحدها- الوقود في هذا التدافع الحضاري..

فكأن مدينة القدس هي من نحتاجها، بأكثر مما تحتاجنا.. وهي من تحررنا بأكثر مما نحررها..

إنها مدينة الميزان الحضاري..

الهوامش

١- راجع: «القدس الشريف.. صراع له تاريخ»، د. محمد عمارة، ضمن «دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس»، تحرير د. محسن صالح، ص:٣١، مركز الزيتونة، ط١، ٢٠١٠م.

٢- «القدس: الفتح الإسلامي، الغزو الصليبي، الهجمة الصهيونية»، عبدالحميد الكاتب، ص:١٦٠، ١٦١، طبعة مكتبة الأسرة ١٩٩٨م.

٣- «الممتلكات والأوقاف المسيحية في القدس»، فادي شامية، ضمن «دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس»، ص:٢٤٧.

٤- «القدس»، عبدالحميد الكاتب، ص:٥٦.

٥- «القدس الخالدة»، د. عبدالحميد زايد، ص:١٧٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٠م، بتصرف يسير.

٦- المصدر نفسه، ص:٢٦٩، ٢٧٠.

٧- «القدس»، عبدالحميد الكاتب، ص:١٤٦.

٨- «الحروب الصليبية»، وليم الصوري، ٢/ ١٢٤- ١٢٧، ترجمة د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

٩- «حضارة العرب»، لوبون، ص:٣٢٩، ترجمة عادل زعيتر، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.



عبدالسلام الشبراوي

الأوقاف أنارت المراكز الرمضانية بالقرآن

من الجهود المميزة التي قامت بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال شهر رمضان تجهيز ١٨ مركزا رمضانيا موزعة على محافظات الكويت الست، بالإضافة إلى المسجد الكبير الذي وضعت له خطة متكاملة لاستقبال المصلين خلال شهر رمضان المبارك.

وفي هذا السياق لفت وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير الدولة لشؤون البلدية فهد علي الشعلة إلى أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ممثلة في قطاع المساجد نفذت ١١٨٧ نشاطا مختلفا ومتنوعا خلال شهر رمضان فيما بين المحاضرات والدورات العلمية والمجالس الفقهية والمسابقات الرمضانية والخواطر والدروس الإيمانية بالإضافة إلى استضافة ٩٠ قارئا وإقامة ٣٥ معتكفا موزعة على محافظات الكويت الست.

وأضاف الشعلة قائلا: إن الوزارة تنطلق وفق إستراتيجيتها الرامية إلى الشراكة مع الآخر ولهذا عملت بالتعاون مع جميع وزارات ومؤسسات الدولة كوزارة الداخلية والصحة والإعلام والبلدية والأشغال والكهرباء والماء والإدارة العامة للإطفاء واتحاد

الجمعيات التعاونية وجمعية الهلال الأحمر والإدارة العامة للدفاع المدني، وذلك بهدف توفير الأجواء الملائمة أمام جمهور المصلين في ليالي رمضان المبارك.

وأشاد الشعلة بدور قطاع المساجد في تطوير تطبيق «مساجد الكويت» وتمكينه من تغيير الأوقات بين الأذان والإقامة، وذلك حسب ظروف كل مسجد، بالإضافة إلى ظهور المعلومات الخاصة بشهر رمضان وتحديد مساجد المراكز والمعتكفات الرمضانية على الخريطة لكي يتمكن المصلون من معرفة المعلومات بكل سهولة ويسر.


وزير الأوقاف فهد الشعلة

وأكد الشعلة على أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عملت على توفير كل متطلبات واحتياجات المصلين خلال شهر رمضان، ولهذا تم تجهيز ١٨ مركزا رمضانيا منها ٣ مراكز في كل من محافظتي العاصمة والأحمدي، أما في محافظتي الجهراء وحولي فتم تجهيز ٤ مراكز رمضانية في كل منهما، وفي محافظتي مبارك الكبير والفروانية تم تجهيز مركزين رمضانيين في كل محافظة لاستيعاب المصلين وتهيئة الأجواء الروحانية لهم.

وأشار إلى أن جميع إدارات المساجد في المحافظات وإدارة المسجد الكبير أدت دورها خلال الشهر الكريم بالتنسيق مع القراء الأفاضل أصحاب الأصوات المتميزة التي تحظى بالقبول عند جمهور المصلين.





د. عبدالوهاب القرش
مدير مركز الطبري للدراسات
مصر

التخطيط المعماري الإسلامي

إن مجرد ظهور عمارة إسلامية يطرح مسألة مهمة، وهي أن الأشكال والأساليب الفنية المعمارية التي استخدمت في العمارة الإسلامية أتت كلها من حضارات غير إسلامية بالغة التنوع، وبما أن الحضارة الإسلامية نفسها كانت منذ البداية وحدة قائمة بذاتها، فهل كانت العمارة التي أنشئت من هذه العناصر نوعا من اللغة التوفيقية المصطنعة؟ أم عددا من الطرز المعمارية الإقليمية المنفصل بعضها عن بعض لم تصبح إسلامية إلا بطريقة عرضية؟ أو هل حدث بالفعل تعديل إنشائي في كل أساليب المعمار في الشام ومصر، على نحو أتاح ظهور عمارة إسلامية ذات معنى كامل وجذور إسلامية عميقة عن طريق تغييرات محددة أدخلت على عدد كبير من الطرز المعمارية السابقة والمعاصرة للعمارة الإسلامية، والتي تختلف بعضها عن بعض؟

لقد تأثرت منطقة الشام بالفنون السابقة قبل العصر الإسلامي، خاصة الفنون الإغريقية وما تلاها من فنون رومانية وبيزنطية وأثرت أيضا فيها، وقد أشار الدكتور فريد شافعي إلى أن الطراز المسيحي المبكر، والطراز البيزنطي، يكاد يكون كل منهما صورة طبق الأصل من الطراز البيزنطي، من حيث التخطيطات والتفاصيل المعمارية والزخرفية[1]. والسؤال هنا: ما أسلوب التخطيط المعماري البيزنطي؟ وهل نقلته الحضارة الإسلامية كاملا أم اقتبست بعضه؟ وما التغيرات التي حدثت إن كان هناك اقتباس؟

لقد مكث الوجود البيزنطي بحضارته وتفاصيله المعمارية في الشام ومصر اللتين تأثرتا به أكثر من خمسمئة عام قبل الفتح الإسلامي. وإن هذه الفترة كفيلة بقطع الصلة بين هذه العمارة البيزنطية في الشام ومصر، وبين أصولها في القسطنطينية، فلم يصل من التأثير المعماري البيزنطي سوى القليل النادر الذي لا يظهر إلا بعد جهد وعناء في محاولة العثور عليه، وهو تائه مختف في خضم التقاليد الإسلامية التي صهرت كل ما جاء في طريقها من التخطيط في العمارة الإسلامية.

لم تتأثر العمارة الإسلامية بالعمارة البيزنطية إلا بما وافق طبيعة التقاليد الإسلامية الجديدة، فلم تأخذ العمارة الإسلامية إلا العناصر والوحدات المعمارية والزخرفية التي تصلح لأغراضها، ولكنها مع ذلك لم تأخذها كما هي إلا في حالات نادرة جدا، أما معظمها فإن العمال المسلمين كانوا يعالجونها إما بطريقة خاصة جعلت لها ملامح إسلامية، أو يدخلونها مع عناصر ووحدات أخرى ضمن تكوينات صيغت في قالب وذوق إسلامي[٢]، ومن الممكن أن نتتبع هذه التفاعلات بتحليل الآثار الباقية من العصر الأموي، وتوضيح بعض التأثير البيزنطي الطفيف على النحو التالي:

أولا: المساجد

تطورت عمارة المساجد تطورا كبيرا في العصر الأموي بعد مشاهدة الأمويين ما ببلاد الشام من عمائر مسيحية ضخمة، وإن اختلفت في الفكرة، كما سنذكر، وعلى أي حال فقد ظهر التغيير في عهد عبدالملك ابن مروان، وازدهر في عهد ابنه

بين التأثير البيزنطي والتطبيع الإسلامي

الوليد، وتظهر في تلك الفترة مساجد فخمة لا تزال قائمة حتى الآن أهمها «قبة الصخرة» التي شيدت في عهد عبدالملك بن مروان عام ٧٢هـ/٦٩١م.

ويتكون المسجد من بناء من الحجر مثمن الأضلاع، ويقع بكل ضلع من أضلاعه الخارجية عقود مدببة، تعلوها نوافذ، ويتوسط هذه الأضلاع المقابلة للجهات الأربع الأصلية من المثمن أربعة أبواب، ويتوسط المبنى الصخرة المقدسة، وتحيط بها الأعمدة والدعائم[٣]، ويبلغ عددها أربعة، ويقع بين كل دعامتين ثلاثة أعمدة، وتحمل هذه الدعائم واجهة أسطوانية يوجد بها ست عشرة نافذة، ويرتكز على هذه الأسطوانة قبة خشبية، ويفصل جدار المثمن الخارجي عن الجزء الدائري مثمن أوسط يتكون من دعائم وستة عشر عمودا رخاميا، ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود، ولقد نتج من تشييد هذا المثمن الداخلي وجود رواقين: داخلي وخارجي، ويغطي هذين الرواقين سقف من الخشب، ويوجد بقبة الصخرة محراب أملس غير مجوف[٤]، وينسب إلى عبدالملك بن مروان، ومحراب آخر يعرف بقبلة الأنبياء.

ويتضح من دراسة تصميم تخطيط قبة الصخرة أنه يعتمد على رسم دائرة داخل مثمن.

والملاحظ أن تخطيط قبة الصخرة يختلف تماما عن تخطيط كنيسة الصعود ذات المثمن الواحد داخل دائرة، ولأن تخطيط قبة الصخرة به زيادة عن تخطيط الكنيسة، لأنه يتكون من مثمنين: خارجي وداخلي، وهو أمر به إضافة جديدة، أضف إلى ذلك الفارق الكبير في الدعائم، والنوافذ ودقتها في التنسيق لتوزيع الأحمال وتخفيفها، وهو ما ليس له وجود في تخطيط كنيسة الصعود.

أما عن تخطيط المسجد الأموي بدمشق فقد شيده الوليد بن عبدالملك بين عامي (٨٨ و٩٦هـ/٧٠٧ و٧١٤م) فوق أساسات كنيسة القديس يوحنا التي أمر بهدمها وكان المسيحيون قد شيدوا هذه الكنيسة على أنقاض معبد وثني روماني له أبراج مربعة فوق أركانه، ولا يزال أحدها قائما في الركن الجنوبي الغربي حيث أبقى المسلمون عليه واستخدموه في الأذان. ويتكون هذا المسجد من مساحة مستطيلة يتوسطها صحن مكشوف، ويحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، والذي يقع في الجهة الجنوبية، وهو مكان للعبادة ويتكون رواق القبلة من ثلاث بلاطات «البلاطة: هي المساحة المحصورة بين أربعة أعمدة» طولية موازية لجدار القبلة، أما الأروقة الثلاثة فتتكون من بلاطة واحدة، ويقع المدخل بالرواق الشمالي، ويتعامد على منتصف رواق القبلة رواق قاطع ينتهي بالقبلة التي تتوسط الجدار الجنوبي، ويغطي منتصف هذا التقاطع قبة حجرية أضيفت في عصر متأخر، ويقل ارتفاع سقف الأروقة الطويلة عن الرواق القاطع، ويغطي هذه الأروقة

سقف خشبي منحدر تدريجيا على هيئة جمالون[٥]، وتظهر بالجدران المحيطة بصحن المسجد عقود تشبه حدوة الحصان محمولة على دعائم من النوافذ لتخفيف الثقل عليها، وهي موضوعة بحيث يعلو كل عقد نافذتان.

ويرى كريزويل أن مخطط مسجد دمشق قد اقتبس تصميمه من مخطط الكنيسة المستطيل، مع تصرف في بعض التفاصيل بطريقة عكسية.

رفض جرابار رأي كريزويل السابق، ويرى أن التصرف الذي حدث في طول أضلاع مدخل بيت الصلاة في المسجد، ليس اتباعا لنهج الكنيسة البيزنطية، بل يعد إنجازا معماريا لم يسبق له مثيل. وحتى إذا لوحظ أن تلك القاعة ذات الأعمدة تشبه أروقة الخطابة الرومانية: الفوروم Forum أو البازيليكا في الكنيسة البيزنطية، فإن مجال الشك قليل في أن صحون المسجد ذات الأعمدة لم تتأثر بأي طراز معماري آخر سابق عليها، وإنما كان هذا الطراز ابتكاريا إسلاميا خالصا.

كما أنه لم يكن في العالم الذي فتحه المسلمون ومن ضمنه الشام منشآت معمارية حية يمكن للمسلمين استعمالها مباشرة أو بتعديلات طفيفة لخدمة مطالبهم. حقيقة إن التفاصيل الإنشائية الخاصة بعمارة المسجد تعود كلها إلى أصول نشأت قبل الإسلام، فالعقد والدعامة والعمود، وترتيب البلاطات وطريقة عمل السقوف، وإنشاء الأبراج، كانت جميعها موجودة قبل الإسلام، ولكن العمارة الإسلامية تميزت بنجاحها في خلق تعبير معماري جديد عن طريق تشكيل وتنظيم العناصر التركيبية الإنشائية التي وجدت في العمائر القديمة، ولم تستغرق العملية سوى عشرات قليلة من السنين، وكان الشام ضمن مراكزها الرئيسية، ومن الطبيعي أن هذا الإنجاز المعماري يدل على إمكانيات تلفت النظر للأسلوب المعماري الذي يرجع إلى العصر البيزنطي، ولكن يشهد أيضا بتلك الطريقة الفذة التي تمكنت بها الجماعة الإسلامية الأولى الوثيقة الترابط من المحافظة على شخصيتها والتعبير عنها معماريا فتستخدم فيها نفس العناصر الموجودة في حضارات الشرق الأدنى السابقة، وذلك لعدة أسباب أولها: أن المجاز القاطع الذي يقسم البائكتين[٦] اللتين تسيران من الشرق إلى الغرب، والذي يقع محوره على المحراب، يعد ظاهرة جديدة لم توجد في الكنائس من قبل ثانيا: أن الأروقة كلها في ظل القبلة متساوية في العرض بينما يمتاز الرواق الأوسط دائما في الكنائس بأنه أعرض كثيرا من الأروقة الجانبية وذلك في جميع الكنائس بلا استثناء ثالثا: لم يحدث أن شيدت كنيسة يبلغ حجمها كله ما يقرب من مساحة ظل القبة في مسجد دمشق[٧]، ويذكر حرابار أن إمكانية تعديل شكل بما يتفق وحاجات الجماعة ظاهرة حديثة بصورة ملحوظة لم تكن معروفة في العمائر السابقة أو المعاصرة.

وقد أمكن في إطار هذه المرونة في التعديل إدخال عناصر ثابتة قليلا أو كثيرا على عمارة المساجد لكل منها تاريخها ومشاكلها، ولم يتم التوصل إلى تحليل مرض إلا للقليل منها ونذكر بعضها على سبيل المثال: فمنها الصومعة، مثل منارة المعبد القديم التي ما زالت قائمة في المسجد الأموي: وقد ذكر أن معاوية بن أبي سفيان أمر مسلمة بن مخلد واليه على مصر بتشييد صوامع للأذان، فجعل مسلمة للمسجد الجامع (جامع عمرو بن العاص) أربعة صوامع في أركانه، ويعد ذلك أول مرة يأتي فيها ذكر الصوامع في تاريخ العمارة الإسلامية. ولم تكن الصوامع معروفة قبل العصر الأموي، وربما اقتبست فكرتها من الأبراج الملحقة بأماكن العبادة في الشام، كذلك فإن المحراب من العناصر المعمارية الكنسية التي كانت موجودة قبل العصر الأموي، واقتبسها المسلمون، وأدخلوها في المسجد، ولكنهم عدلوا في موضعه بحيث جعلوه يوجد في جدار القبلة جهة الكعبة[٨].

ثانيا: القصور

أراد الأمويون الجمع بين حضارة سكان المدن وترف أهلها، وحبهم للبادية فاقتبسوا في هندسة هذه القصور الموجودة بالصحراء من كل موقع تحت أيديهم من مشيدات حضرية. ولكنهم حوروها لتأخذ الشكل المعروف بالأموي فمثلا أحاطوا هذه القصور بأسوار منيعة تشبه أسوار القلاع الرومانية والبيزنطية ذات الأبراج المربعة، ولكنهم حوروها لتأخذ الشكل الأسطواني، كذلك اقتبسوا الكثير من العناصر المعمارية الموجودة في الأديرة البيزنطية، ثم أضافوا إليها الكثير من الأساليب المعمارية كما هو الحال في قُصير عمرة[٩] الذي بناه الوليد بن عبدالملك. وقصير عمرة يبدو أنه من أهم قصور الاستجمام والاستراحة في رحلات الصيد، وتتكون مباني قصير عمرة من قسمين الأول: قاعة الاستقبال وهي غرفة مستطيلة الشكل يتصدرها إيوان[١٠] مغطى بسقف نصف دائري يقع في الجهة الجنوبية على محور المدخل، ويحف هذا الإيوان إيوانان

جانبيان توجد بمؤخرتهما غرفتان للنوم بهما نوافذ، ويغطي كلا من هذه الغرف أيضا سقف نصف أسطواني، والقسم الثاني: هو مبنى الحمام، ويحتوي على ثلاث غرف صغيرة؛ الأولى: الغرفة الباردة للهواء البارد مغطاة بسقف نصف دائري، ومدخلها من قاعة الاستقبال، والثانية: الغرفة الدافئة، ويتكون سقفها من قبوتين متقابلتين، والثالثة: الغرفة الساخنة، وتعلوها قبة نصف دائرية محمولة على أربعة مثمنات ويحتوي هذا الحمام على مغطس للماء البارد وآخر للماء الدافئ، ويغطي أرضية الحمام بلاط من الرخام تمر من تحتها مواسير البخار الساخن.

ومن المرجح أن فكرة الحمام بوحداته الثلاثة الملحقة في قصير عمرة، قد جاءت من حمامات عثر على بقاياها في الشام، وتؤرخ بعصر سابق للإسلام، كلها صور للحمامات البيزنطية، وتتكون من ثلاث قاعات: الباردة والدافئة والساخنة، وكان الحمام قائما بذاته لكن الجديد في العصر الأموي أن الحمامات في قصير عمره أصبحت جزءا عضويا من البناء، ونتج من ذلك نموذج جديد للتخطيط ليس له شبيه فيما سبق من عصور.

والبناء في قصر المشتى[١١] الذي يرجع تاريخه إلى نحو عام ١٢٥هـ/٧٤٣م مصمم على مساحة مربعة يحيط بها سور محصن بالأبراج نصف الدائرية، وهو هنا يتشابه مع العمارة السابقة على الإسلام في بلاد الشام، وتوجد بأركان السور الأربعة أبراج مستديرة، ويوجد برجان على شكل نصف دائري مثمنات يقعان عند المدخل بالجهة الجنوبية، وهو تحوير لما كان موجودا في العمارة البيزنطية في بلاد الشام. ولقد قسمت المساحة



المربعة إلى ثلاثة أقسام متساوية، وتقع المباني في الجزء الأوسط من المسطح، أما القسمان الجانبيان فلم تشيد فيهما مبان، أما الجزء المبني في الجنوب يقع فيه المدخل، والجزء الشمالي يقع به مباني القصر الرئيسية، ويفصل بينهما فناء كبير مربع، ويؤدي مدخل القصر إلى قاعة مستطيلة توصل إلى بهو مربع، وعلى يمين المدخل حنية بالجدار الجنوبي مما يدل على أنها كانت تستخدم كمسجد، أما مبنى القصر الرئيسي فتكون مدخله من قاعة مستطيلة مقسمة إلى ثلاثة أروقة على الطراز البازيليكي، وتنتهي هذه الأروقة بقاعة العرش أو وحدة الاستقبال المزودة بثلاث حنيات كبيرة نصف دائرية: واحدة في الصدر وواحدة في كل من الجانبين، وقد وجد هذا التوزيع قبل الإسلام في كثير من العمائر الدينية في الشام ويسبقها أمثلة من عصور بيزنطية، كذلك توجد وحدة سكنية على جانبي وحدة الاستقبال أو قاعة العرش السابق ذكرها.

وضمن تلك الوحدات توجد مساجد ومصليات وحمامات وقاعات استقبال، وكل وحدة من هذه الوحدات يمكن أن تقوم بنفسها كمنشأة معمارية منفصلة، مثل الحمام المفرد في قصير عمره، وهو أمر جديد لم يحدث من قبل في أي عمارة سابقة على الإسلام؛ وكانت القصور تمثل ميدانا أوسع بكثير من المسجد لتشجيع الزخرفة فكانت تستعمل الفسيفساء والتصاوير الملونة والمنحوتات الحجرية أو الجصية[١٢] من أجل تحقيق أهداف زخرفية.

الهوامش

١ - فريد الشافعي: العمارة العربية في مصر الإسلامية: عصر الولاة ص١٨٤.

٢ - المصدر السابق: ص٨٧-٨٨.

٣- جمع دعامة وهي خشبة أو حجر أو عمود مكون من قطعة واحدة أو من عناصر بنائية مختلفة يدعم حائطا أو يحمل سقفا.

٤- المحراب هو صدر بيت أو قاعة أو مجلس أو مصلى، وهو أرفع مواضعها وأكرمها.

٥- الجمالون: مبنى على شكل سنام مائل من طرفيه، لجأ إليه البناؤون في البلاد الممطرة أو المثلجة لتغطية الأبنية حتى لا تتراكم عليها الثلوج.

٦- البائكة: هي مجموعة الأعمدة المتباعدة على خط مستقيم والموصلة بأقواس من أعلاها لتحمل السقف.

٧ - العمارة العربية في مصر الإسلامية: ص١٨٤.

٨ - الانتصار لابن دقماق: ٦٢/٤.

٩-يقع على بعد حوالي خمسين كيلومترا شرق عمان، واكتشفه عالم الآثار الوموزيل عام ١٨٩٨م.

١٠- الإيوان: قاعة متفوقة بثلاثة جدران فقط ودائما بلا أبواب.

١١- قصر المشتى يقع على بعد ٣٢كم جنوب عمان بالأردن، وقد اكتشفه الأستاذ لايارد عام ١٨٤٠م.

١٢-الجص: يعرف بالجبس، وهو من مواد البناء، واستعمل حجارة بعد تعريضه للحرارة في أماكن خاصة تسمى الجصاصات ويذاب مسحوقا في الماء وتطلى به الأبنية من الداخل والخارج.



د. الحسين حامد قريشي
دكتوراه الفلسفة في التربية
مصر



العقيدة والأمن الفكري

تمثل العقيدة الدينية صلة إلهية ومنهجا إنسانيا يتسم بالبساطة والوضوح والقوة، وهي تتخذ طريقها إلى قلب الإنسان شاملة الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته وكل نواحي العبادة لله، فالعقيدة قوامها رفع مستوى الإنسان حتى يؤدي وظيفته في الوجود على نحو يتفق مع شرف نسبه وأصل خلقته[1].

والعقيدة الدينية هي البداية الأولى التي ينطلق منها وإليها الإنسان في كل زمان ومكان، إذ هي التي تملأ فراغ قلبه، وتسيطر على جوارحه، وتوجه سلوكه، وتريح نفسه، وتطمئنه على تصرفاته، يرى أنه يعيش بها ولها، حيث هي هدفه، وغايته، لأن الإنسان لا يسمى إنساناً، إلا بمقدار ما يملك من عقيدة، وما يؤمن به من دين، وهي فطرة في الإنسان، لا يستغني عنها، فهي تربطه بغيره، حيثما كان وفي أي ظرف وجد، سواء أكانت هذه العقيدة حقا أم باطلا[2].

فالعقيدة الدينية هي التي تسمو بالروح الإنسانية، وتدعو إلى الفضائل والأخلاق الحميدة، وتبني شخصية الفرد وفكره الآمن، وتنظم سلوكه ووجدانه، وتقوي روابط الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، مما يمكنهم من خدمة المجتمع والنهوض به في شتى مجالات الحياة.

وعلى ذلك، فإن العقيدة الدينية هي المحور الأساسي الذي تدور حوله بقية جوانب الدين ومحاوره، كالعبادة والنمو الروحي والأخلاق، والقيم الاجتماعية

وغيرها، لأن اعتقاد الفرد أو الجماعة في عقيدة ما، توجه التصرفات، فتأتي متفقة مع مبادئ وتوجيهات هذه العقيدة[٣].

ولم يقف الأمر في العقيدة الدينية الإسلامية عند حد الإيمان بالله ووحدانيته، وإنما تضمن البناء العقدي جوانب وأركان أخرى لها أثرها في تشكيل الإنسان على هذه الأرض، ومنها المعرفة بالملائكة، والمعرفة بالكتب الإلهية، والمعرفة بالرسل، والمعرفة باليوم الآخر والقضاء والقدر[٤].

وعلى ذلك ينظر إلى الأمن الفكري على أنه حال الفرد الذي يكون فيه العقل سليما من الانحراف عن الاستقامة عند تأمّله، وأن تكون نظرة التأمل تلك متفقة مع منهج الشريعة الإسلاميّة وعلى خطى السلف الصالح، بحيث يكون المجتمع آمناً على ثقافته المستندة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولابد أن تكون هذه العقيدة في عصرنا الحديث هدفها إقامة بناء عقدي وفكري متكامل تستطيع على أساسه تصحيح ما حدث من انحراف وتشويه وتبديل للدين لدى الشباب، وتستطيع دحض التيارات الثقافية الوافدة في عالم اليوم وذلك على أسس شاملة من خلال[٥]:

- معرفة الله والإيمان به من خلال الكون.
- معرفة الله من خلال الإنسان وتركيبة عقله.
- معرفة الله من خلال حركة التاريخ البشري.
- إدراك معنى عبودية الله وحده ورفض عبادة ما سواه.

وبذلك يكون الهدف من حماية الإنسان للعقيدة كحماية الوطن للعقيدة، فالعقيدة هي الأساس لفكر الشباب وبدونها ستفقد أركان الإسلام جدواها في الإنسانية الحديثة.

ومن دواعي الاهتمام بترسيخ العقيدة الدينية الإسلامية في عصرنا الحالي ما يلي[٦]:

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة تحمي الشخصية المسلمة من الذوبان في غيرها، وتبعدها من أن تذوب في زحام الحياة المعاصرة، خاصة أنها مستهدفة من قبل العناصر المناوئة للإسلام، ولما كان الإسلام دينا منفردا، فإن المؤمنين به يجب أن يكونوا منفردين في العقيدة، وفي العلم، وفي الخلق.. إلخ.

إنّ الوقت المناسب لغرس هذه العقيدة، وإنمائها من الناحية التعليمية، إنما هو فترة التعليم العام، لأن الطالب في هذه المرحلة يميل إلى التعمق في أسرار الكون، وفي سنن الله الكونية وإلى التوسع في الاتصال بالأشياء لمعرفة العالم وارتياده، كما نجده متحمساً للإصلاح والتطوير، وتبدأ تظهر ميوله واتجاهاته الخاصة، ويهتم إذ ذاك بالمسائل الدينية والعلمية، والمثل العليا.

يساعد ترسيخ العقيدة الإسلامية في تأكيد المدخل العلمي في فهم تطور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى تصبح هذه المظاهر عملاً وسلوكاً موجهاً لطلاب هذه العقيدة في تسيير أمورهم وحل مشكلاتهم.

إنّ ترسيخ العقيدة لدى النشء يحول الإسلام والمسلمين إلى قوة كيفية، ويردهما إلى سابق عهدهما لقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٤٩). فالكثرة لا تجدي ولا تفيد فضررها أكبر من نفعها، وهذا يؤدي إلى تكوين العقيدة في نفوسهم وحثهم على الاهتمام بالعمل وعلى التقدم والإصلاح مستقبلاً.

إنّ ترسيخ العقيدة الدينية في نفوس الشباب منفعة للدين والدنيا معاً، والحفاظ عليها تماسك للمجتمع ضد الأخطار التي تواجه من خلال التهديدات الموجهة لأمنه وثقافته الدينية، والتي تستهدف النيل من ديننا وعقيدتنا بزرع أفكار مشوهة ومفاهيم مغلوطة عن الدين والإنسان والكون والحياة، وما يتصل بالأمور الروحية والغيبية وحقيقة الخالق ووحدانيته، فالعقيدة الراسخة هي التي تواجه كل هذه البدع والانحرافات والأباطيل، وذلك بنشر قيم الدين الحنيف ومبادئه وأخلاقياته، وتعمل على التنشئة الدينية السليمة للشباب في ظل التغيرات المعاصرة، والانفتاح على الثقافات العالمية حتى يتم تحقيق الأمن الفكري لدى الشباب في ضوء التحديات الموجهة إلى العقيدة الدينية في عالمنا المعاصر.

الهوامش

١- محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام؟ (٤٣)، الطبعة الثانية، (القاهرة: النهضة مصر للطباعة والنشر، أكتوبر ٢٠٠٤م)، ص١٩-٨٠.

٢- إبراهيم محمد عطا، المرجع في تدريس التربية الإسلامية، (القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٥)، ص٢٣١-٢٣٢.

٣- سعيد إسماعيل القاضي، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤)، ص١٦٨.

٤- سعيد إسماعيل علي، نظريات في التربية الإسلامية، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٩م)، ص١٠.

٥- عبدالحليم عويس، موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر- الجزء الأول العبادات، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م) ص٢٨-٢٩.

٦- إبراهيم محمد عطا، مرجع سابق، ص٢٣٤-٢٣٥.



د. مصطفى عطية جمعة
محاضر في كلية التربية الإسلامية
مصر

نظرية
مالتوس الاقتصادية والانفجار السكاني
(رؤية إسلامية)

تختلف الرؤية الإسلامية للزيادة السكانية عن رؤية الفلسفات الوضعية المادية التي تنظر إلى البشر بمفهوم عددي، وتقارن بين الموارد المتاحة والأفواه الجديدة التي جاءت وملأت الدنيا بكاء وتريد اقتسام الطعام مع من سبقوها، يظهر ذلك بوضوح في نظرية توماس روبرت مالتوس (١٧٦٦م-١٨٣٤م)، وهو رجل دين وأستاذ جامعي، وقد كتب مقالته عن السكان، التي نشرت عام ١٧٩٨م، ثم صدرت طبعاتها اللاحقة بعد ذلك لتدعم وتوضح هذه النظرية. وتعد المقالة الأولى القنبلة التي أظهرت حقيقة النمو السكاني ونتائجه، ومنظور مالتوس هو أقرب النظريات التي حددت أسباب النمو السكاني، لأنه يعتقد أن غريزة التكاثر هي سبب نمو السكان، وهي الغريزة التي تدفع الكائنات إلى إعادة نسلها وزيادته كجزء من قانون الطبيعة. ولكن المشكلة الأساسية هي أن الغذاء المتاح لا يواكب سرعة النمو السكاني، فإذا لم توجد ضوابط على النمو السكاني وإمكانات البشر البيولوجية، فسيصل عدد السكان إلى عدد لا نهائي، مما يشكل ضغطا على موارد البيئة المحدودة.

لقد تأسست نظرية مالتوس على فكرة «الانفجار السكاني» الذي يتمثل في التحذير من الزيادات الكبيرة في أعداد المواليد، بالمقارنة مع الموارد المتاحة.

فإذا كانت مساحة معينة من الأرض يعيش فيها عشرة أشخاص مثلا، وكمية الماء والغذاء في هذه الأرض -فيما يسمى بالسعة الحاملة للأرض- تكفي تسعة أشخاص فقط، فإن هذه المنطقة تعاني من زيادة في الكثافة السكانية.

أثارت هذه النظرية غضبا واستفزازا، فكل النتائج التي خلصت إليها كارثية، لأنها ترسم مستقبلا أسود للإنسانية، وتقدم حلولا لاإنسانية لمشكلة إنسانية، وإن معظم الحلول التي جاءت بها هذه النظرية فيها تعسف وظلم إنساني، وقد رفضتها المجتمعات بقوة وعصبية، لأنها ببساطة تناصب العداء لأي



مواليد جـدد[1]، وتنطلق من رؤية أرضية دنيوية شديدة الضيق.
فقد رفض مالتوس زيادة المواليد مطالبا بالحد منها وتقنينها، وكان منبع نظرته فلسفة مادية غربية بحتة. وللأسف، فإن هذه النظرية تمثل مرجعية في الفكر الاقتصادي المعاصر، الذي يعتمد على منظور محدود، يقيس الأمور بما هو متاح، ولا ينظر إلى عظم الموارد على الأرض، فإذا كان مالتوس ينظر إلى مساحة الأرض التي تحتوي على عشرة فقط، ويتساءل كيف نستقبل عليها مزيدا من المواليد؟ نقول له: مدد نظرتك قليلا، فستجد أن هناك مساحات شاسعة من الأرض، غير مستغلة، وفيها من الموارد الكثير، تحتاج إلى الأيدي العاملة فقط، لكي تحيي الأرض بعد موتها.
والمثال على ذلك أن جملة المساحة المزروعة في العالم هي ٧ في المئة من جملة الأراضي القابلة للزراعة في الكرة الأرضية، بما يعني هدر ٩٣ في المئة من الأراضي والمياه. ومع ذلك، فإن هذه المساحة الصغيرة، كافية لإطعام عشرين مليار نسمة من البشر إذا اعتمدت الوسائل الحديثة في الزراعة والري[2].
ومع أن مالتوس كان رجل دين، إلا أنه طبق العلمانية المادية في تفكيره، فتعامل مع الإنسان على أنه جزء من الطبيعة، وليس مخلوقا ربانيا مكرما من الله سبحانه، بعكس المنظور الإسلامي؛ فالإنسان خليفة الله في الأرض، وعليه مناط عمرانها واستثمار خيراتها، فوجب عليه تطوير نفسه، وتثمير الأرض حوله، واكتشاف الثروات الهائلة فوق سطحها أو في أعماقها.

إننا إذا تمعنا في جوهر هذه النظرية، فسنكتشف كما هائلا من اللاإنسانية واللارحمة، والعنصرية، وضيق الأفق، والتعالي على الفقراء والمستضعفين.
فمالتوس يقول ببساطة: بحكم قانون طبيعتنا هذا الذي يجعل الغذاء ضروريا لحياة الإنسان، فلابد من الإبقاء على تساوي النتائج على هاتين القدرتين غير المتساويتين، وهذا يتضمن عائقا قويا باستمرار على منع زيادة السكان عن طريقة صعوبة العيش، وهذه الصعوبة يجب أن تحل في مكان ما، ولابد حتما أن يشعر بها فريق كبير من الجنس البشري.
والمثال الذي يسوقه مالتوس على ذلك هو حسابي رقمي: فالبشر على الأرض يتكاثرون بصورة لن تتحملها قدرات الطبيعة ولا مواردها، ويتم هذا بمتوالية حسابية تتضاعف بشكل هائل (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢... إلخ)، بينما الغذاء يزداد بشكل حسابي بسيط (١، ٢، ٣، ٤، ٥... إلخ)، وسيأتي يوم لن يكفي الغذاء للأفواه الجائعة، مما يؤدي إلى انتشار الحروب في سبيل الغذاء والماء. هذا بالنسبة إلى العلاقة بين الشعوب والأمم. أما العلاقة في المجتمع الواحد، فأساسها البقاء للأصلح (أو بالأدق للغني الأقوى)، وسوف ينتشر الفقر والمرض. ليخلص مالتوس في النهاية إلى حتمية الحروب بين الأمم، بناء



على حتمية الفقر بين أبناء المجتمع الواحد. وإننا مهما فعلنا في سبيل تخفيف حدة الفقر، فإن الفقر سيبقى مادام الإنسان يزداد بهذه الصورة. والحل الوحيد الذي قدمه هو الدعوة إلى تحديد نسل الفقراء، حتى يستطيع أحدهم كفالة عائلته بصورة كريمة، لأن الفقراء يعتقدون أن التخلص من الفقر يكون بزيادة النسل، وهذه جريمة كبرى برأي مالتوس، لأن زيادة أولاد الفقراء تؤدي إلى زيادة أعدادهم، ويكونون عالة على المجتمع، وبالتالي زيادة الفقر والمرض الصحي بجانب أمراض المجتمع الأخرى من سرقة وقتل وانحراف وجريمة[٣].

استند مالتوس في تنظيراته إلى عنصرية طبقية، تنحاز إلى الأغنياء، الذين لا مشكلة لديهم في إنجاب الأطفال، وتناسى مبدأ كفالة المجتمع للفقير قبل الغني، فأمراض المجتمع ستصيب الجميع بلا استثناء، كما أن هناك حقوقا للفقراء على الأغنياء، تتمثل في الزكوات والصدقات والأوقاف والمشاريع وسائر دروب الخير التي نجدها جلية في المنظومة الإسلامية.

ثم يقرر مالتوس نظرية النفعية اللاإنسانية، بتحديد من سيكون له البقاء، وذكر أنه للأصلح، والحقيقة أن البقاء في منظوره سيكون للأقوى: على مستوى السلطة والمال والنفوذ في المجتمع، وسيضيع الفقراء في خضم الجشع الإنساني المادي داخل المجتمع الواحد، أما على صعيد الدول والمجتمعات، فإن الحروب ستكون نتيجة مباشرة للضغط السكاني الذي يعاني منه.

تعامل مالتوس مع الفقراء باستعلاء؛ لكونه منتميا إلى عائلة ثرية، فلا ضير أن نجده داعيا إلى زيادة معدل الوفيات بين الفقراء، معتبرا أن جميع الأطفال «الذين يولدون فوق حاجة المجتمع عليهم أن يموتوا»، مؤكدا أنه يجب علينا التصرف من خلال تسهيل عمل الطبيعة بدلا من الحماقات التي نرتكبها في إعاقة عمليات الطبيعة وزيادة معدل الوفيات، وإذا كنا نخشى المجاعات المتكررة، فعلينا تشجيع الأشكال الأخرى من الدمار. وبدلا من تنظيف أحياء الفقراء علينا أن نعمل على تضييق الشوارع، «وحشر المزيد من البشر في البيوت لعل الطاعون يتفشى فيهم فيهلكون». ويضيف أن على الدولة وضعهم قريبين من البحيرات الملوثة، وتشجيع السكن في جميع المستنقعات والأماكن الضارة، مطالبا الأطباء أيضا بعدم معالجة الأمراض[٤].

هل هذه رؤية اقتصادية أم هي دعوة صريحة لإفناء طوائف من الشعب، حتى تخلو الأرض من الفقراء، وينعم الأغنياء بالراحة والاستقرار؟

وقد جاءت الردود على هذه النظرية من زوايا عديدة، أولها: أن المشكلة كامنة في النظام الرأسمالي نفسه، وفي التفاوت الاقتصادي والتركيز في المداخيل على فئة بعينها، وعدم توزيعها توزيعا عادلا. واعتُمد في ما يتعلق بتزايد السكان على إحصائيات الولايات المتحدة التي كان سكانها في ذلك الوقت يتزايدون لا بسبب الولادات وحدها، وإنما بسبب الهجرة من البلاد الأخرى. كما لا يوجد دليل على أن المواد الغذائية تتزايد بمتوالية حسابية، إذ لم يأخذ مالتوس بعين الاعتبار التقدم العلمي والتكنيكي الذي حدث في الآونة الأخيرة، وما يمكن أن يؤدي إلى زيادة الإنتاج من المواد الغذائية حتى من المركبات الكيميائية[٥].

كما دعّم مالتوس فكرة الاحتكار الطبقي، من خلال انحيازه للأغنياء، وشنه الحرب الشعواء على الفقراء، وبالأخص مواليدهم الذين يشكلون عبئا على موارد الدولة. وهو ما تسرب إلى الفكر الاقتصادي الرأسمالي، فيما يسمى «احتكار القلة»، والمقصود بها الأغنياء، الذين اجتهدوا وامتلكوا المال والاستثمارات، فصار الاحتكار هو القاعدة، وهو ما دعّمها الاقتصادي هربرت سبنسر، الذي تبنى مفهوم الداروينية الاجتماعية، بمعنى أن الأغنياء في المجتمع هم نتاج طبيعي للعملية الداروينية، فهم يجسدون التفوق البيولوجي، ولا التزام عليهم نحو الفقراء، وهو ما أقره منظرو الاقتصاد، ففي أوروبا كان التقسيم بين المحظوظين والتعساء على أساس الطبقات، أما في الولايات المتحدة فالتقسيم على أساس الأفراد، فهناك الأغنياء الذين يعتمدون على أنفسهم، وفي مكان أدنى منهم توجد الحافة البائسة (الفقراء)[٦].

ولننظر إلى المحصلة لما قاله مالتوس، وفي الدول الأوروبية ذاتها، حيث تشير الإحصائيات إلى نتائج مفزعة على صعيد التركيبة السكانية. فقد خلصت دراسة أجرتها وكالة «أوروستات» الإحصائية إلى أن الدول الأوروبية كلها، ما خلا فرنسا وبريطانيا، ستبلغ مرحلة الانحسار السكاني في العقد المقبل. إذ سينخفض عدد سكان ألمانيا في عام ٢٠٥٠م إلى ٦٠ مليون نسمة، وفي العام نفسه يتوقع أن تخسر دول الاتحاد الثماني والعشرون ٤١ مليون نسمة من مجمل سكانها الذين بلغ عددهم ٥٠٧ ملايين نسمة في

٢٠١٤م، في وقت يرتفع عدد سكان المعمورة أكثر من ملياري نسمة (٢,٣ مليار). وبين ٢٠١٥م و٢٠٣٠م، وذلك إذا أوصدت أوروبا أبواب الهجرة، زاد عدد المتقاعدين ٣١,٧ مليون متقاعد، وتقلص عدد الشباب ممن هم في سن بين الـ٢٠ والـ٤٥ عاما والأكثر اطلاعا على مستجدات العصر، إلى ٣٠,٢ مليون نسمة. وأظهرت إحصائيات أن ثلث سكان أوروبا تجاوزوا سن الـ٥٠ عاما بحلول عام ٢٠١٥م، وفي شكل هدد نمو هذه المجتمعات على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي. وأكدت دراسة نشرها المجلس الأوروبي أن الشعوب الأوروبية ستصبح شعوبا مسنة، بنسبة تتراوح بين ١٣ و٢٣ في المئة بحلول عام ٢٠٥٠م، وتتمثل أسباب مشكلة أوروبا الديموغرافية في تراجع معدلات نمو المواليد، وارتفاع نسبة المسنين، أي إن المجتمع الأوروبي يشيخ ويتناقص عدد أفراده في آن واحد، بسبب تفضيل أكثر الأوروبيين الزواج المتأخر، وإنجاب عدد قليل من الأطفال، وفي أحيان كثيرة عدم الإنجاب أبدا، وهو ما أدى إلى احتلال أوروبا أدنى مرتبة في العالم من حيث الخصوبة[٧].

وبتحليل الأرقام السابقة، نكتشف أن أوروبا قارة عجوز، أهلها مسنون، وشبابها متراجعون، وأطفالها يقلون، وكل هذا نتيجة تطبيق رؤية مالتوس، بجانب منظومة الحياة نفسها، التي جعلت الشباب والشابات لا يفضلون تكوين أسر، ويتجهون أكثر إلى الاستمتاع بالحياة، من دون أعباء الأطفال وطلباتهم؛ على الرغم من أن الدول الأوروبية تعطي حوافز كبيرة للأسر التي تنجب المزيد من الأطفال، بل تعاقب الشباب ماديا الذين لا يقبلون على الزواج. ومع ذلك، القارة تتراجع على مستوى الخصوبة والسكان، في حين تصعد دول أخرى بسكانها وشبابها وقوتها العاملة الهائلة، التي يتم تصديرها إلى القارة الأوروبية، وبمرور الوقت فإن أوروبا ستتغير التركيبة السكانية فيها لمصلحة المهاجرين الذين لا ينتمون إلى مجتمعات ثقافية وسلالات مختلفة.

وإلينا مثال من الشرق، ألا وهو الصين، التي اعتمدت سياسة قوامها الطفل الواحد للحد من التكاثر السكاني، فاختارت الأسرة إنجاب ذكر، عبر الكشف المبكر بأجهزة الأشعة، ليتم التخلص من الأجنة الأنثوية.

وكم كانت المحصلة مؤلمة: فقد حدث خلل في نسبة الإناث والذكور (١١٦ ذكرا مقابل ١٠٠ أنثى)، وتعاظمت مشكلة شيخوخة السكان في مجتمع صناعي يحقق أعلى نسبة نمو في العالم (٩ في المئة)، واستمرت هذه السياسة لحوالي ٣٥ عاما أنتجت عمليات لا حصر لها من الإجهاض القسري، وتزايد الدعوات المحذرة منها من خبراء في وكالات رسمية صينية أو معاهد أبحاث.

فتم اتخاذ قرار في أكتوبر ٢٠١٥م، بوضع حد لسياسة الطفل الواحد والسماح لكل عائلة صينية بإنجاب طفلين، وفق ما أفاد به بيان صادر عن الحزب الشيوعي الصيني ونقلته وكالة أنباء الصين الجديدة، من أجل علاج الخلل السكاني الرهيب[٨]، وليهنأ السيد مالتوس في قبره، بما نادى به.

إن المجتمعات تجدد نفسها سكانيا بشكل طبيعي، وضمن المنظومة الربانية السائرة منذ خلق الله تعالى الإنسان على الأرض، وفي حالة تدخل الإنسان بعقله وغروره وماديته، فإن المنظومة تفسد وتتعاظم سلبياتها.

الهوامش

١- نظرية مالتوس عن حتمية الفقر، سلمان محمد شناوة، مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٤٣٨١، بتاريخ ٣/٢/ ٢٠١٤م.

٢- أرقام، محمود المراغي، مجلة العربي الكويتية، أبريل ١٩٩٧م، ص:٥٦.

٣- نظرية مالتوس عن حتمية الفقر، م س.

٤- الاكتظاظ السكاني خرافة، دراسة أجراها معهد البحوث السكانية، دمشق، تقرير امتنان الصمادي، جريدة الحياة، لندن، ٤/١١/٢٠١٥م.
http://www.alhayat.com/Articles/

٥- التقرير السابق.

٦- تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، جون كينيث جالبرث، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م، ص١٨٢-١٨٤.

٧- أوروبا بين كابوسن: الشيخوخة والهجرة، أحمد دياب، جريدة الحياة، لندن، الاثنين، ٤ مايو ٢٠١٥م، http://www.alhayat.com/Articles/٨٩٦٨٠٨٢.

٨- انظر: الصين تنهي سياسة «الطفل الواحد» وتسمح بإنجاب طفلين، موقع العربية نت، http://www.alarabiya.net/ar/last-page/٢٠١٥/١٠/٢٩.

د. أحمد عبدالباقي حسين
إخصائي تعليم بهيئة
تعليم الكبار - مصر



جزر القمر .. امتداد للعالم الإسلامي

جمهورية جزر القمر الإسلامية دولة بحرية تقع في المحيط الهندي شرق القارة الإفريقية، وهي تتألف من أرخبيل من الجزر يتجاوز عددها ٢٨ جزيرة، أهمها أربع جزر بركانية مأهولة بالسكان وهي: جزيرة القمر الكبرى أو الأنجزيجا Grande comore وهنزوان Anjouan والميوتة Mayotte والموال Moheli، أما الجزر الباقية فهي جزر صغيرة غير مأهولة بالسكان.

ويقع أرخبيل جزر القمر في جنوب غرب المحيط الهندي، في الطرف الشمالي لقناة موزمبيق وفي منتصف المسافة بين جزيرة مدغشقر والساحل الشرقي لقارة إفريقيا تقريبا، وكان هذا الأرخبيل بمنزلة جسر يربط جزيرة مدغشقر بالسواحل الإفريقية وموقع متقدم للثقافة الإسلامية والتجار العرب على الساحل الشرقي لإفريقيه[1].

وتشكل هذه الجزر في العصر الحالي جمهورية جزر القمر الإسلامية، ونظرا

لموقعها الإستراتيجي باعتبارها حلقة ربط بين دول الجنوب الإفريقي مع دول الجنوب الآسيوي، وكذلك النفط الذي يمر من خلالها متجها إلى الدول الغربية. هذه الأهمية جعلتها هدفا لدول غربية كثيرة ابتداء من البرتغال في سنة (١٥٠٢م)، مرورا ببريطانيا وفرنسا التي ما زالت تسيطر على جزيرة مايوته الإستراتيجية منذ عام (١٨٤٣م)، وامتد نفوذها فاحتلت جزيرة موهيلي عام (١٨٨٦م)، وأصبحت الجزر الأربع في عام (١٩١٢م) مستعمرات فرنسية.

ولم تكشف المصادر التاريخية عن اسم آخر لهذه الجزر ولكن الأرجح أن العرب هم الذين أطلقوا تلك الأسماء على هذه الجزر الأربع، وقد اختلف البعض في تسمية هذه الجزر بجزر القمر، فبعضهم يسميها بالقمر نسبة إلى القمرة -بالفتح ثم السكون- لأن القمر كان بازغا عند اكتشافها، والذي يرى أن سكانها بنوا مساكنهم عند سفح جبل يعرف بالقمر فكانت تسميتها بهذا الاسم[٢]، وهناك من يرى نسبتها إلى طائر يعرف بالقمر -بالضم ثم السكون- ينتشر بكثرة في هذه الجزر[٣].

ويستخدم أهل جزر القمر لهجتين دارجتين هما:

الشنغازيجا **Shi-Ngazidja** والشنزواني **Shi-Nzwani** وتنتميان إلى مجموعة لغات البانتو وتشبهان اللغة السواحلية في أنهما تحتويان على عدد كبير من الكلمات العربية، وما زالت اللهجتان تكتبان بالحروف العربية.

والسكان مسلمون على المذهب الشافعي، وهم بذلك يشكلون الحدود القصوى للعالم الإسلامي من جهة الجنوب.

وينتمي سكان جزر القمر بفضل الهجرات المتوالية إلى أصول عرقية مختلفة؛ فهم مزيج من العرب والجاويين والشيرازيين والإفريقيين، فالجاويون هم الذين نزلوا بالقمر قبل أن يسكنها أحد من الناس، ويسمى المحل الذي نزلوا به باسم بلدتهم الأصلية وهي جاوة[٤].

أما الإفريقيون، فكان العرب والجاويون يجلبونهم من جهات سواحل إفريقية؛ ليقوموا بمساعدتهم في أعمال الفلاحة، وامتزجت هذه الجالية الإفريقية حتى صارت جنسا واحدا، ومنهم جماعات البانتو الذين أتوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقي، ومنهم المدغشقريون الذين هاجروا إلى ميوته في أوائل القرن التاسع عشر، وما زالوا يحتلون قرى بأكملها.

ونزل بالقمر العرب من بني يعرب المناذرة، وغيرهم من قبائل عمان، وبخاصة أهل صور من عمان، ثم توالى نزول جماعات سنة بعد سنة من عرب اليمن وحضرموت[٥].

ثم إن منهم العرب الجنوبيين الذين هاجروا من حضرموت إلى جزر القمر بشكل مباشر أو عن طريق غير مباشر عبر ساحل إفريقية الشرقي[٦]؛ لذا نجد من القمريين من ينحدر من إحدى القبائل العربية، ومنها باعباد في هنزوان، وبافضل في هنزوان، وباشراحيل في القمر الكبرى، وبامختار في مايوته، وآل بني سعد في هنزوان، وآل ودعان في القمر الكبرى، وبامرزوق في هنزوان، والبوسعيدي في موهيلي، وآل عقيل ابن أبي طالب في هنزوان، وآل الخطيب في هنزوان، وآل المنذري في مايوته، والحميدي في القمر الكبرى، وآل كلدي في هنزوان.

وهاجر أيضا إلى هذه المنطقة من قبائل السادة العلويين الحضرميين، السادة آل المسيلي، وينتسبون إلى الإمام عبدالله الشهير بباعلوي بن علوي بن الفقيه، ومقر هذه القبيلة الأصلي حضرموت، بمدينة تريم خاصة، ثم هاجروا منها إلى شرق إفريقيا عبر الصومال، ثم انتقل بعضهم إلى كينيا وبعضهم إلى زنجبار، وبعضهم إلى جزر القمر منذ القرن العاشر الهجري.

وعند تتبع أنسابهم نجدهم يتفرعون من السيد علوي الشيبة بن عبدالله ابن الإمام عبدالله باعلوي، وهم ثلاث فخائذ، إحداها تنتسب إلى أبي بكر ابن علي بن أحمد بن عبدالله المسيلي ابن محمد بن علوي الشيبة، وهم الذين يقيمون بجزر القمر وخاصة جزيرة هنزوان، وقد تولوا السلطة بها.

ثم إن هؤلاء السادة لا يعرفون في هذه البلاد باسم آل المسيلي بل يعرفون باسم (باعلوي)، فيقولون: فلان ابن فلان باعلوي هكذا حتى اليوم[٧].

وما زالت دوافع العرب في العصور القديمة للاتجاه إلى ساحل إفريقية الشرقي غير معروفة، وإن كان هناك من يرى أن هذه الهجرات بدأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد عقب انهيار سد مأرب، وكذلك هناك من يرى أن هذه الهجرات نجمت عن الجفاف الذي أصاب الجزيرة العربية، مما



دفع السكان إلى أن يولوا وجوههم شطر البحر، وكان الجفاف الأخير في القرن الثالث الميلادي، وبلغ ذروته في بداية القرن السادس الميلادي(٨).

وإن كنا نرى أن هذه الهجرات والحركة السكانية فيما بعد ظهور الإسلام وسيطرة الدولة الإسلامية على مساحات شاسعة، إنما هو ناجم عن السيطرة التجارية وعلى البحر في هذه المنطقة، حيث كانت السفن العربية لها اليد الطولى في منطقة غربي المحيط الهندي بغية التبادل التجاري بين الخليج العربي والساحل الجنوبي للجزيرة العربية إلى ساحل إفريقية الشرقي، وقد استمرت هذه السيطرة حتى ظهور البحارة البرتغاليين والذين عرفوا طريق إفريقية الجنوبي بيد البحارة العربي (ابن ماجد).

وكان للعوامل الجغرافية اليد الأولى في قوة هذه الاتصالات؛ إذ إن حركة الرياح والتيارات البحرية صيفا وشتاء هي أساس الحركة التجارية بين الطرفين.

فالرياح هي التي تؤثر في حركة الملاحة شتاء من نوفمبر إلى مارس، وهي التي تسمى بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية، بينما تسود الرياح الموسمية الجنوبية والغربية ما بين مايو وسبتمبر، أما شهرا أبريل وأكتوبر فهما شهرا انتقال ما بين الصيف والشتاء، لا تأخذ فيهما الرياح اتجاهات محددة يعول عليها في الملاحة.

ولم يقتصر الأمر على هجرات العرب إلى جزر القمر بل انضم إليهم بعد دخولهم في عباءة الإسلام، أفواج من الفرس الشيرازيين، ويحتمل أن الفوج الأول من الشيرازيين هاجر إلى جزر القمر في أواسط القرن العاشر الميلادي، فعقب سيطرة بني بويه(٩) على إقليم الجبال وبغداد(١٠) وشيراز فر بعض المنهزمين عن طريق البحر، ومنهم من استقر به الأمر في جزر القمر داعيا للإسلام.

ومع بداية القرن الرابع عشر الميلادي شهدت جزر القمر موجة جديدة من المهاجرين الشيرازيين.

ويبدو أن هؤلاء المهاجرين من عرب وشيرازيين قد اندمجوا مع السكان الأصليين لجزر القمر بطريق المصاهرة، وكانت لهم اليد الطولى في تولي أمور إدارة جزر القمر، فكان منهم سلاطين جزر القمر من أصول عربية وشيرازية.

الهوامش

١- الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي - إقليم شرق إفريقيا، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٩م، مج١٠، ص٧٧٥.

٢- تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ج١، ص٩٦.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، ج٤، ص٣٩.

٤- الشيخ سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق: محمد علي الصليبي، ط٤، ٢٠٠١، ص٥٢٦.

٥- الشيخ سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص٥٢٧.

٦- جرنوت روتر: جزر إسلامية على شاطئ إفريقية الشرقية، ص٧.

٧- هاشم بن محمد باعلوي: المفاخر السامية في ذكر سلاطين جزر القمر، تحقيق: محمد منير الشويكي، دمشق، الدار العالمية، ٢٠٠٩م، ص١٠.

٨- عبدالله بن مصبح الصوافي: السلوة في أخبار كلوة، تحقيق: محمد علي الصليبي، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي، ١٩٨٥م، ص٨.

٩- ذكر حمزة الأصفهاني، وهو أكثر المؤرخين معرفة بأصول ملوك الفرس، أن ابن بويه كان زعيما لإحدى قبائل الديلم، تسمى شيرذيل أوندن، تقيم في منطقة الديلمان. تاريخ سني ملوك الأرض، بيروت، مكتبة الحياة، ص١٧٥.

١٠- في سنة ٣٣٤هـ- ٩٤٥م تمكن أحمد بن بويه من السيطرة على بغداد، فلقبه الخليفة المستكفي بمعز الدولة، ولقب أخاه علي بعماد الدولة، وأخاه الحسن بركن الدولة. ابن مسكويه: تجارب الأمم، تحقيق: سيد كسروي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٢٧٥.



د. محمد جمعة الدربي
باحث معجمي ومحقق لغوي
مصر

الجهود اللغوية لعلماء القدس

القدس الشريف أكبر مدن فلسطين التاريخية المحتلة مساحة وسكانا، وأكثرها أهمية دينيا واقتصاديا وسياسيا، وتسميها إسرائيل رسميا بـ«أورشليم» Jerusalem، ونظرا لمكانة القدس ومسجده الأقصى المذكور صراحة في مفتتح سورة الإسراء من القرآن الكريم، تزخر المكتبة العربية والإسلامية بمئات -أو آلاف- البحوث والمقالات والكتب التي تتحدث عن فضائل القدس وتاريخه ومكتباته ومدارسه وأوقافه الإسلامية وشهدائه والتحديات الكبرى التي تواجهه، ولكن المكتبة العربية والإسلامية تفتقر إلى المؤلفات التي تكشف عن جهود علماء هذه البقعة المقدسة، لاسيما الجهود اللغوية صوتا وصرفا ونحوا ومعجما ودلالة، تلك الجهود التي تبرز أثر مراحل السلم والاستقرار في تلك البقعة المقدسة على الحركة العلمية واللغوية.

وربما كان الاهتمام بالحركة اللغوية في المراكز العلمية الكبرى مثل البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والأندلس سببا في انشغال الباحثين عن الجهود اللغوية لعلماء القدس الشريف، وقد تكون هجرة كثير من علماء القدس إلى البلاد الأخرى نتيجة الظروف السياسية التي مر بها القدس؛ من أسباب انصراف الباحثين عن جهود هؤلاء العلماء.

ولا شك أن مكتبات القدس الشريف، مثل المكتبة الخالدية والمكتبة الصالحية ومكتبة المسجد الأقصى -رده الله ردا جميلا- تضم كثيرا من جهود هؤلاء العلماء، لاسيما المتأخرون منهم، تلك الجهود المبثوثة في بطون مؤلفاتهم المطبوعة والمخطوطة أو في بطون مؤلفات تلاميذهم ومن نقل عنهم.

ويحتاج كل مقدسي التعريف بكتبه وجهوده اللغوية وأثر الظروف السياسية في القدس على حياته العلمية وفكره اللغوي، ومن علماء القدس الذين يستحقون جمع جهودهم اللغوية يمكن التمثيل ببعض علماء القرن الحادي عشر وحده -حسب الوفاة- مثل: رضي الدين يوسف بن أبي اللطف (ت:١٠٠٦هـ)، الذي كتب تعليقة عظيمة على تفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم»، وشرح قصيدة البردة في مجلد كبير، ومحمد ابن يوسف ابن أبي اللطف الحنفي (ت:١٠٢٨هـ) الذي كتب شرحا لكتاب «جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر» لبدر الدين الغزي، وحاشية على «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ومرعي بن يوسف الكرمي (ت:١٠٣٣هـ) الذي تصدر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر، ثم تولي المشيخة بجامع السلطان حسن، وقد وضع عددا من الكتب والرسائل التي عالج أكثرها موضوعات محددة كانت تشغل أهل عصره، منها مثلا «أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة» و«إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين»[1] و«تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام».

وتظهر الجهود اللغوية جلية عند محمد ابن موسى العسيلي (ت:١٠٣١هـ) الذي وضع حاشيتين، الأولى على «قطر الندى» لابن هشام، والأخرى على شرحه المعنون «مجيب الندا» لأحمد الفاكهي المكي، ثم نظم متن القطر المذكور، وألف مرعي بن يوسف الكرمي (ت:١٠٣٣هـ) «البرهان في تفسير القرآن»، و«توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان»، و«دليل الطالبين لكلام النحويين»، و«قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود»، و«القول البديع في علم البديع»، وعني أحمد بن مفرح بن عيسى المقدسي (ت: بعد١٠٩٣هـ) بالمنظومة النحوية التي وضعها ابن الوردي؛ فشرحها بعنوان «الهدية الغربية على التحفة الوردية»، وصنف حسن بن محمود (ت: زهاء١١٠٠هـ) الحواشي على «شرح المفتاح في المعاني والبيان»، وكتب عبدالرحيم بن أبي اللطف (ت:١١٠٤هـ) كتابا في الاشتقاق سماه «خلاصة الاشتقاق» ثم شرحه، وكان لبعض العلماء المقدسيين اهتمامات أدبية مثل مرعي بن يوسف الذي كتب «تسكين الأشواق بأخبار العشاق»[2].

الهوامش

١- كذا في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (ت:١١١١هـ)، دار صادر، بيروت (د. ت) جـ٤/٣٥٩، وفي هدية العارفين للبغدادي (ت:١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ط/١٩٨٢م. جـ٦/٤٢٦ بلفظ «إيقاظ» بالظاء.

٢- خلاصة الأثر للمحبي، ج١/٣٩٤، جـ٤/٣٥٨-٣٥٩، وهدية العارفين للبغدادي، جـ٥/١٦٣،٢٩٥،٥٦٤، جـ٦/٢٧١- ٢٧٢، ٤٢٦-٤٢٧.



د. خالد برادة
شاعر وباحث أكاديمي
المغرب

أجمل مولود

أميلاد الرسول حللت عيدا ... بوافر بهجة تثري الوجودا
سمت دنيا الورى وبه تباهت ... وفاحت عنبرا مسكا وعودا
وقامت باسمه الأيام فرحى ... يزينها ويهديها الورودا
تولى الله نشأته وزكى ... وأصفاه النبوة والخلودا
تجلت فيه آيات حسان ... هي الأخلاق تيجانا عقودا
أطل على البرية من سناه ... فأسفر نوره قمرا وليدا
فما كسرى إذا فخروا بكسرى! ... وما الأيام إذ أفنت لبيدا!
هنا مهد، أراد الله حفظا ... له، فانساب مخترقا حدودا
سرت نسماته في الكون مسكا ... أظل الخلق قد نشر المزيدا
هنا سر الحياة، هنا هداها ... هنا الحق الذي قاد الوجودا
هنا فجر بأمر الله أضحى ... يبيد جهالة، كسر القيودا
أمولد أحمد ذكراك تترى ... تحيل تجهم الأيام عيدا
كفى بالسنة الغراء هديا ... فما للخلق تبتدر الصدودا؟!
أهذا النور تحجبه غيوم؟! ... أهذا الحق نجزيه الجحودا؟
شفت نفسي بمدح قدر جهدي ... فما وفيت مدحا أو نشيدا
ولكن غنت الدنيا ابتهاجا ... بمولده فأزجيت القصيدا



أ.د. عبدالمنعم عبدالله حسن
الأستاذ بجامعة الأزهر
مصر

للعيد فرحته

فرح الأنام وكبروا ... وتهللوا واستبشروا
لبسوا الجديد لعيدهم ... وتزينوا وتعطروا
للعيد فرحته التي ... في كل وجه تظهر
صلوا به أرحامهم ... وتآلفوا وتزاوروا
سعدوا بطاعة ربهم ... ومن اتقى فسيؤجر
بالأمس صاموا شهرهم ... والعيد جاء فأفطروا
للصائمين بفطرهم ... فرح يذاع وينشر
فرحوا.. وإن سرورهم ... يوم القيامة أكبر



مياسة النخلاني
كاتبة وقاصة
اليمن

أحاديثكم سلوان قلبي

بعد يوم مرهق عاد للبيت، انتظر لحظات قبل أن يفتح الباب، أخذ نفسا عميقا، صفى ذهنه وترك جانبا كل ما كان يشغله، فمنذ أن تزوج عاهد نفسه أن الساعات التي سيقضيها في البيت هي من نصيب زوجته وأطفاله فقط، لا شيء يشغله عنهم، ولا شيء يؤثر على علاقته بهم، مهما كان ضغط العمل أو مشاغله فلن يتركها تأخذه عنهم.. أراد أن يكون أبا حقيقيا، وزوجا مخلصا، صحيح أنه وجد الأمر صعبا في البداية، فمهما حاول لابد أن تأتي لحظة تفلت منه نفسه لينفجر غاضبا في وجه أحدهم، ليس لشيء ولكن الضغط الذي يرزح تحته يفقده القدرة على التحكم في نفسه، لكن مع الوقت ومع تدريب نفسه تمكن أخيرا من الفصل بين العمل والبيت، فما إن تطأ قدمه عتبة الباب،

فإنه لا يكون سوى الأب والزوج فقط.
شيء واحد فقط هو ما ينغص عليه راحته، «حسنا لا داعي للتمادي أكثر بأفكارك السلبية» وبخ نفسه وهو يضع المفتاح في الباب وتجاوزه وهو يرسم على وجهه ابتسامة بشوشة ويصيح بأسماء أطفاله الذين ما إن أحسوا بوجوده حتى تركوا ما بأيديهم وتسابقوا نحوه فرحين بعودته، بعد أن عانق كل واحد منهم على حدة، حملوا عنه الأغراض التي أتى بها، ثم تجمعوا حوله في غرفة الجلوس.

- هـا.. احكوا لي كيف كان يومكم؟! طرح عليهم سؤاله اليومي المعتاد.

- كان جيدا. أجابوا كلهم بصوت واحد.

- ألم تواجهكم أي مشكلة في المدرسة؟!

هز الجميع رأسه نفيا.

- أليس لديكم شيء أساعدكم به؟!

مجددا هزوا رؤوسهم نفيا. وقبل أن يطرح سؤاله التالي كانت زوجته قد أعدت الغداء فتحلقوا جميعا حول المائدة. كان لديه الكثير من الأسئلة، لكن إجاباتهم المقتضبة منعته من طرحها.

- ليتهم يشرحون صدري بأحاديثهم المطولة. تمتم بصوت خفيض.

- هل تقول شيئا؟! سألت زوجته فهز رأسه نفيا.

- أمي؛ غدا لدي اختبار رياضيات، وأريدك أن تساعديني فيه. قالت الابنة الصغرى وهي تمضغ الطعام.

- سأشرح لك لاحقا. ردت الأم وهي تسكب لها صحنا آخرا.

لم تكد الأم تنهي جملتها حتى تبعها الآخرون، كل يعرض مشكلة يواجهها مع مادة ما، أو يحكي عن شجار خاضه مع أحد زملائه في الفصل.

تناول طعامه بصمت، مكتفيا فقط بالاستماع لكل ما أراد سماعه سابقا ومشاركته إيـاه، لكن مع فـارق بسيط أن الحديث يوجه لشخص آخر، تمنى أن يكون طرفا في الحوار، أن يطلب منه أحدهم أن يشرح له درسا، أن يستشيره في مشكلة مع أحد أصدقائه، أو حتى يحكي له عن موقف طريف حدث له أثناء يومه، ولو كان تافها، لا يهم، المهم أن يشعروا بوجوده بينهم، أن يتوقفوا عن التعامل معه بتحفظ مبالغ فيه أحيانا، فهو هنا لأجلهم .. ولأجلهم فقط.

أنهى طعامه وقام بينما استمروا هم في إفراغ ذاكرتهم في حضن والدتهم التي كررت عليهم مرارا أن يختصروا لتذهب وتكمل عملها.

«مع أني طلبت منهم أن يستفيضوا لكنهم يكتفون بهز رأسهم أمامي» تمتم لنفسه وهو يستلقي على سريره، لديه استعداد أن يحاورهم حتى الصباح، لكنهم لا يرتاحون في الحديث إلا لأمهم وكأنه غير موجود في البيت، وكأن حضوره بالنسبة إليهم ينتهي بمجرد أن يقوموا باستقباله على عتبة الباب، تنهد بعمق وهو يسوي وسادته، طرق خفيف على الباب جعله يعتدل، دخلت ابنته الصغرى على استحياء وهي تحمل كتاب الرياضيات وبصوت متلعثم قالت له.

- أخبرتني أمي أنك تشرح الرياضيات أفضل منها.

- لا أحد أفضل مني بالرياضيات.

- حقا؟!

- أحضري كتابك وسترين.

- لكنك مرهق بعد العمل؟!

- لا عليك فأنا بخير.

أخذ يشرح لها وبين الحين والآخر يجاذبها أطراف الحديث، في البداية كانت تكتفي بهز رأسها ثم انفجرت في الحديث دون توقف، حكت له عن يومها عن صديقتها التي تتنافس معها على المركز الأول في الفصل، وعن معلمتها التي تضع لها دائما ملصقات جميلة على دفتر إجاباتها، بل إنها أخرجت دفترها وعرضت عليه الملصقات بفخر واعتزاز.

- أبي انتظرني لحظة سأعود بسرعة.

خرجت وبعد لحظات عادت مع بقية إخوتها.

- ما الأمر؟ سأل مستفهما.

- أخبرتهم أن المذاكرة معك ممتعة.

- حقا!

- طبعا.

- حسنا لننتقل إلى مكان أوسع.

أمضى الوقت معهم مستمعا أكثر منه متحدثا، ومع نهاية اليوم كانوا قد تجـاوزوا الإجابات المقتضبة وهز الـرأس، واستفاضوا في الحديث معه دون توقف، تركهم بعد أن انتهى من شرح دروسهم وذهب ليرتاح، ولأول مرة نام منهكا بالكامل لكنه لم يكف عن الابتسام حتى غلبه النوم.



ياسر عرفة توفيق
كاتب وقاص
مصر

التاجـر

ألقى بثقل جسده المنهك على أقرب كرسي وقد أحس أن التعب الذي يحمله طوال اليوم جلس معه، فقد كان يوما ليس كأيامه السابقة، فهو عائد لتوه من عزاء حبيبه وسنده والده الحبيب التاجر المعروف الحاج عبدالرحمن، وكان مشهدا عظيما؛ فوالده من التجار المعروفين المؤسسين لتجارة العطارة والأعشاب في هذا الحي الشعبي الكبير، وكان دكانه العتيق ملتقى الرائح والغادي، بل كان يقصده أهل المناطق البعيدة؛ حتى إنه يتذكر أنه رأى مرارا مرتادين من جنسيات عربية مختلفة؛ ذلك لما تمتع به والده من حسن سمعة وأمانة، ومن

ناحية أخرى مهارة؛ فكل ما تطلبه من أصناف أصلية تجده عنده لا غش فيها ولا تقليد، لاسيما وصفات الأعشاب المشهورة لعلاج الأمراض المستعصية.

كان قد فرغ من تلقي العزاء، الذي لم ينقطع طوال النهار والساعات الأولى من الليل، فقد كان والده الحاج عبدالرحمن صاحب علاقات اجتماعية مميزة، فقد كان لا يفوته واجب ولا تراه إلا مشاركا في المناسبات المختلفة، وكم تدخل في الإصلاح بين الناس؛ لذا كانت جنازته حاشدة، ومن فاتته الصلاة والجنازة حرص على أن يكون ضمن المعزين، الذين راحت ألسنتهم تلهج بمحاسن والده وخصاله الطيبة، وكم قص منهم مواقف شخصية محمودة حدثت معه أو كان شاهدا عليها.

انصرف المعزون، وانصرف عائدا لبيت والده وهو يظهر التجلد محاولا أن يبدو متماسكا حين يلقى والدته، ولكنه لم يفلح.. فما أن رآها حتى تلقفته يداها وقد دس وجهه يشهق باكيا وهي تربت عليه موصية إياه بالصبر والتجلد: ولدي إنما الصبر عند الصدمة الأولى ولنا في مصابنا بفقد رسول الله ﷺ الصبر والسلوان.

يعز علي فراقه يا أماه. راحت تهدئه: ومن مثل أبيك في الرجال يا بني؟! لكننا لا نملك إلا التسليم لأمر الله وقضائه، هيا كي تستريح يكفيك تعبك أيام العزاء الثلاثة وكي تستيقظ غدا وتعاود فتح دكان أبيك. لكن يا أمي... لكن ماذا يا بني؟ لن تقف الحياة بفقد عزيز، كما أن هناك ارتباطات وعقودا أبرمها والدك رحمه الله، وأيضا هناك عمال جعل الله دكان أبيك سببا في جريان رزقهم ورزق من يعولون، توكل على الله يا بني.

كانت والدته صالحة تقية، ألِف منذ صغره أن يراها قائمة صائمة مطيعة لوالده الذي أحسن عشرتها فمضى البيت هادئا مستقرا.. هو الماهر الأمين في تجارته التي تتسع يوما بعد يوم، وهي تتولى شؤون بيته وتربيته، وهو ابنهما الوحيد الذي رزقهما الله فمضت الحياة بأسرتهم هانئة مستقرة وقد نشأ في كنف والديه، ولكن اليوم ها هي الأسرة تهتز بوفاة العائل المعين.

أيقظته والدته صباحا في الميعاد نفسه الذي تعود والده أن يذهب فيه إلى دكانه الواسع وهي تظهر الاستسلام لأمر الله وقضائه قدر المستطاع.. خطا خطواته فالدكان ليس بعيدا عن المنزل، وطوال الطريق لم يخل من مواس مترحم على الوالد حتى وصل إلى دكان أبيه فوجده مفتوحا وقد دبت الحركة فيه.. فتمتم إنها الوالدة بحسن تدبيرها قد أرسلت تعلم من كان يعتمد عليهم والده وفيهم ثقته بأن تعود الأمور طبيعية كما كانت، ولم تكن في حاجة إلى أن توصيهم أن يكونوا خير معين لولدها، وقد حافظت هي على عاداتها اليومية كما كانت تفعل مع والده، فكانت ترسل إليه طعام الإفطار وطعام الغداء، كما كانت تخصه والعاملين معه بما تتقنه من صنوف الطعام.. استتبت الأمور في دكان والده، وعادت إلى سابق عهدها، ولم تنس والدته أن توصيه ألا يقطع ما كان أبوه يجريه من إحسان لبعض اليتامى والمحتاجين.

وكان يزوره من آن إلى آخر في دكانه بعض من أصحابه، وكان منهم أصحاب تجارة ملابس وسيارات وغيرهما، فعرض عليه أحدهم يوما، وكان تاجر ملابس قد ازدهرت تجارته ونمت بعد أن افتتح فروعا عدة، إلى أن استورد ماكينات للخياطة والتطريز، إلى إقامة مصنع ملابس، إلى التصدير إلى صاحب علامة تجارية.. عرض عليه صاحبه أن يغير نشاط تجارته، فدكان أبيه في منطقة مشهورة ومساحته واسعة، فقط يلزمه بعض التغييرات في الديكورات الحديثة ليصبح مركزا تجاريا لا يضاهى للملابس، وكصاحب له سوف يحضر إليه البضاعة بأسعار وجودة لا تضاهى، وحدثه عن تجربته كيف بدأ وكيف صار ولم يكن بحاجة إلى أن يذكر له ذلك، لأنه من الملحوظ لكل من يعرف صاحبه ما وصل إليه من ثراء.

لاحظت أمه الشرود والتفكير اللذين صارا يغشيانه خلال الفترة الأخيرة، فلم تتدخل ولم تشعره أنها تلاحظ ذلك، بل تركته وهي تراقبه من بعيد تنتظر ما يسفر عنه الصراع الذي يحتدم داخله.

من حقي أن أواكب التغيرات التي ألمت بالأسواق! ما لي وتجارة العطارة والأعشاب؟! لا، ليس في تركها عقوق لوالدي رحمه الله، أليس من حقي أن ألحق بأصحابي ويكون لي مثل تطلعاتهم وثرائهم؟! لا، ليس في تغيير نشاطي التجاري مساس بمشاعر والدتي، فهي يهمها أن تراني في أحسن حال وأنا وحيدها.

أصابه الصداع من كثرة التفكير، وطرأ عليه الفتور من الدكان حتى إنه صبيحة اليوم التالي لم يستيقظ كعادته في مواعيد ذهابه لدكان والده، ولما تفقدته أمه أجابها بأنه متعب قليلا، فراحت تعد له فطوره وترسل تخبر من يعملون معه بأنه

سوف يتأخر قليلا اليوم فلا يقلقوا عليه حتى يحضر إليهم بعد ساعات، جهزت له والدته عصيرا طازجا كان يحبه، وصنعت لنفسها كوبا معه وحملت العصير إليه، راحت تربت على كتفه بحنانها المعهود: هيه ياولدي لم تحسم الصراع داخلك؟ لا تظن أنني لم ألاحظ حيرتك وانشغالك بأمر تعالجه داخلك، ألم تقرر بعد؟! نظر إلى والدته بنظرات الاستجداء طالبا مساعدتها وقد غلبه الهم.. ابتسمت وقالت: يابني، أنا أثق في رجاحة عقلك وحسن تدبيرك، وعلى هذا ربيتك أنا ووالدك، رحمه الله، فزن الأمور واستخر يا بني واستشر، فما خاب من استخار وما ندم من استشار، هيا لتعاود عملك فهم هناك في انتظارك.

لم يذهب على التو إلى دكان العطارة، بل قصد المقابر يزور قبر أبيه مترحما عليه داعيا له، وعاد إلى دكانه، وعندما عاد مساء وجد والدته قد أعدت له العشاء ولم تشغل نفسها بسؤاله، بل تعمدت أن تشعره أنها غير مهمومة به بصورة ظاهرة.

على غير عادته خلد إلى النوم مبكرا ليستيقظ قبل صلاة الفجر وراح يتهيأ للوضوء ليصلي ركعات عسى الله أن يلهمه رشده ويفتح عليه بما يزيل همه ويريح باله، وقد رأى والدته على سجادة صلاتها، كعادتها، تمسك مسبحتها ما بين التسبيح والدعاء والصلاة.

صلى ركعتين أفرغ فيهما همه وبث فيهما لمولاه شكواه سائلا أن يلهمه رشده وينير بصيرته ويهديه لما فيه الخير وقد بدأت نسمات الفجر تهب، وراحت أقدام الساعين إلى المسجد تقرع الطريق في سكون السحر وهدأته، راحت أقدامه تسابق



الساعين حتى انتظم بينهم مصطفا مناجيا سائلا راغبا، شعر بالسكينة والاطمئنان، بعد أن فرغ من الصلاة وأذكارها وما بين المسجد والبيت راح يتمتم بما فتح الله عليه من أذكار الصباح مستبشرا، استلقى على سريره وراح يوازن بين الأمور، فالمكانة التي وصل إليها والده في دكان العطارة كانت حصيلة سنوات طويلة من الجد والاجتهاد والأمانة والإتقان حتى صار اسما معروفا ومقصدا معلوما، فهل يغامر بهذه السمعة ويغامر بما علمه والده إياه من أسرار هذه الصنعة ومهاراتها؟ هل يغامر بهذه الثقة التي صنعها والده مع كبار التجار والموردين والأسواق العالمية والمحلية والتي أنفق حياته في صنعها؟! ليدخل في مجال جديد يلزمه الكثير ليعرف أسراره وأصول صنعته ولا تخلو الأمور من المغامرة؟! هل يغامر بمن معه وقد أتقنوا العطارة وفنونها والأعشاب؟! هل يضيره لو طور في مجال الأعشاب والعطارة بأن يدخل مجال التجارة الإلكترونية فيها ويستعين بالتقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة التي جعلت العالم المتسع قرية صغيرة ليوسع من تجارته ويطور ويدخل في بعد جديد حين يتعرف على أصناف جديدة وعملاء وأسواق جديدة؟! لم يضيع وقته؛ قفز من فراشه نشطا، تناول الكمبيوتر المحمول الخاص به وفتحه وراح يسطر أفكاره الجديدة مفصلا وهو ينشئ حسابات جديدة على وسائل التواصل المختلفة لدكان العطارة مستعرضا التجارب الواسعة المنتشرة في هذا المجال، لم يشعر بصوت أقدام والدته وهي تقف على رأسه تراقب ما يفعله وقد علت محياها ابتسامة الرضا والاطمئنان على وحيدها، ربتت على كتفه بحنان مؤازرة وهي تقول: ها قد أصبح لدينا الآن تاجر يسير على خطى والده رحمه الله، تاجر صدوق إن شاء الله.

وليد عبد الماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر



قراءة نقدية لقصة «صنائع المعروف» المنشورة في عدد شهر رمضان ١٤٤٠هـ

في قصته المنشورة تحت عنوان «صنائع المعروف»، يعالج القاص محمد ثابت توفيق قيمة إنسانية سامية وخلقا دينيا قويما تحتاج إليهما البشرية قاطبة -ضمن ما تحتاج إليه من قيم- لتحقيق التراحم المنشود في وقت طغت فيه المادية المقيتة على علاقات الشعوب والأفراد.

● اتخذ الكاتب لقصته عنوانا يدخل ضمن الاستيحاء أو التناص التراثي؛ فقد اقتبس عنوان قصته «صنائع المعروف» من الحديث النبوي الشريف: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» (رواه الطبراني وصححه الألباني). والعنوان هنا يضع القارئ أمام إشكالية تتعلق بصنائع المعروف، فبداية القصة توحي بأن العنوان توبيخي، بمعنى أن البطل لم يلتزم بصنائع المعروف؛ لأنه قدم الشيكات إلى النيابة، ولأنه امتنع عن مساعدة الباقين. العنوان مرحلي يتم اكتشاف معانيه على أكمل وجه بعد تمام الرؤية، والعنوان هنا «تحفيزي»؛ يحفز ذاكرة القارئ لاستدعاء النص التراثي ليهيمن على خياله أثناء القراءة، ثم تؤكد القراءة فيما بعد أو تنفي.

● اختزل الكاتب القصة وكثفها في مشهدين اثنين:

الأول: مشهد الحاج كامل تاجر الأدوات المنزلية الكبير في مكتبه وحواره مع المرأة المدينة التي جاءته لتسد دينا مستحقا عليها.

والثاني: مشهد الحاج كامل وهو يقود سيارته في طريق السفر الطويل لتسلم بضاعة للمحل.

● كذلك اعتمدت القصة في شخوصها على نموذجين مختلفين لشخصيتين رئيستين:

الأولى: وهي شخصية التاجر الكبير صاحب المال، رجل معروف بالجدية وعدم التهاون في حقه المادي عند الزبائن.

والثانية: وهي شخصية المرأة المدينة التي جاءت لتسدد دينا مستحقا عليها للشخص الأول جراء شراء أجهزة زواج ابنتها.

وهناك شخصية ثانوية وهي مساعد التاجر الذي اصطحب السيدة وقدم لها واجب الضيافة.

● أما عن الراوي داخل القصة، فقد اعتمد الكاتب على الراوي العليم المحيط بكل دقائق الخبر من دون أن يكون شريكا في صناعته، ولذلك نجده يبدأ قصته على هذا النحو: «لا يزال الحاج كامل معروفا في السوق بالحرص...»، ويظل هكذا حتى نهايتها: «لقد خرج من السيارة يفرك عينيه متأكدا من أنه لن يخطئ في حق معسر بعدها؛ بل لن يدعه ما دام عرف بحاله»، واعتمد في سرده على الوصف والحوار في ضفيرة واحدة معا.

● إن محمد ثابت توفيق في هذا النص المحتشد بالإنسانية يحاول تطويع السرد لمستوى المتلقي بحيث يكون متاحا للقارئ العادي بعيدا عن



الرمزية والرمزية المفرطة، ولذلك نلحظ سلاسة تراكيبه اللغوية بعيدا عن الإغراق في المجازات البلاغية والألفاظ المتأنقة، ونجده يجنح إلى استخدام ما تتفق فيه العامية المصرية مع اللغة العربية في نداء المرأة للرجل: «يا حاج» إمعانا في الواقعية.

● في المشهد الميلودرامي الأخير الذي تتسارع وتيرة أحداثه ندرك قصر الزمن القصصي، حيث يقود الحاج كامل سيارته نحو مقصده والنوم يغالبه وهو يقاومه بتناول القهوة المنبهة بين حين وآخر، وتطارد نفسه اللوامة عبارة السيدة في عتاب شديد: «اتق الله ياحاج».. وبينما هو مستغرق في الفكر إذا بسلطان النوم يسيطر عليه كلمح البصر فيتجه نحو النهر بسرعة فيأتيه صوت السيدة «انتبه يا حاج.. انتبه ياحاج»؛ وهنا يفيق ليجد نفسه على حافة النهر، ويتذكر قول النبي ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

محمود عبده حسن
كاتب مصري



الحدائق في الشعر الأندلسي

من رحاب الأندلس الخصيب تأتينا الطبيعة بسحرها، فتنعش الأذهان وتطرب الأسماع، إنها فردوس الأرض، وحديقة الدنيا؛ كم تغنى الشعر والشاعر ببهاء جمالها وشدا باخضرار حدائقها؟!

يقول شاعرها ابن خفاجة:

حدث المدامة والنسيم عليل
والظل خفاق الرواق ظليل
والروض مهتز المعاطف نعمة
نشوان تعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى
عنه فذهب صفحتيه أصيل

إنها صورة رائعة رسمها شاعر الجزيرة ابن خفاجة (توفي عام ٥٣٣هـ) تعبر عن جمال الطبيعة تتراءى للشاعر من وحي معايشته ورؤيته لمعالم الجمال في البيئة الأندلسية، دقة ابن خفاجة في الوصف، وكلماته التي تزدحم بالأخيلة والصور جعلت ابن خفاجة من أكثر شعراء الأندلس سلاسة وإبداعا وبناء لقصيدته.

اشتهرت الأندلس بطبيعة رائعة؛ تتمثل في كثرة جداولها وقصورها وانتشار حدائقها، واهتمام حكامها بالصبغة الجمالية في معمارهم، فكثر شعراؤها. وأبدعوا شعرهم، ومن وحي هذه البيئة جاء شعرهم صورة حية ووصفا صادقا

لمظاهر الطبيعة في تلك البلاد.

في ديوان الشعر الأندلسي أخذت «الحدائق» ووصفها الجانب الكبير في شعر هؤلاء الشعراء وجاءت مفردات هذا الشعر قوية تعبر بطلاقة عن معطيات هذه البيئة، تغنى الكثير منهم بها؛ الأمر الذي جعل الباحثين يطلقون على هذا النوع من الشعر «شعر الحدائق».

يقول المستعرب الإسباني «إميليو غارسية غومث»: لقد ازداد شعر الحدائق رسوخا في إسبانيا الإسلامية وهنا بدأ تطور يمكن أن ندعوه: إعطاء الحدائق طابعا إنسانيا بلغ مداه وقمته على يد ابن خفاجة الشاعر المتوفى عام ١١٣٨م..».

يعد «ابن خفاجة» كما وصفه إميليو غارسية غومث من أكثر الشعراء وصفا للحدائق، وشدوا بها ويكاد لا يخلو ديوانه من هذا الغناء بالطبيعة ومفرداتها، لذا جاء ديوانه يحمل ملامح هذا الشعر وخصوصياته.

يرى «ابن خفاجة» الروض وأنداءه، وما فيه من عبق الطبيعة وسحرها، من سحر ظاهر ونسيم يشمه، وجدول يتوسط حديقة مخضرة فيها أطيب الثمار وأنداها.

يرى «ابن خفاجة» ذلك كله فيتذكر من يحب، وكأن كل شيء هنا يذكره بها. يقول «ابن خفاجة»:

ودعت من أهوى أصيلا ليتني
ذقت الحمام ولا أذوق نواه
فوجدت حتى الشمس تشكو وجده
والورق تندب شجوها بهواه
وعلى الأصائل رقة من بعده
فكأنها تلقى الذي ألقاه
وغدا النسيم مبلغا ما بيننا
فلذاك رق هوى وطاب شذاه
ما الروض قد مزجت به أنداؤه
سمرا بأطيب من شذا ذكراه
والزهر مبسمه ونكهته الصبا
والورد أخضله الندى خداه
فلذاك أولع بالرياض لأنه
أبدا يذكرني بمن أهواه

ومن وحي هذا الوصف يأتي الشاعر الطليق «مروان بن عبدالرحمن الداخل» المولود في قرطبة عام ٣٥٢هـ ببيتين من الشعر رائعين في وصف جدول في إحدى حدائق الأندلس الفسيحة، وقد توسط الجدول المكان فجعل منه منظرا بديعا، ومشهدا رائعا حرك وجدان الشاعر الطليق فألهمه هذين البيتين:

وكأن المياه فيها ثعابيـ
ـن لجين تبعث في السواقي
وكأن الحصباء في رونق الما
ء سنا الدر في بياض التراقي

غلب على ظاهرة وصف الحدائق في شعر الشاعر الطليق كثرة مفردات الخمرة والطبيعة وارتباط الطبيعة بالمرأة كما في قوله متأملا الرياض وحسنها:

وكأن الرياض حسنا حبيب
عاطر ساءه المحب لقاء
ضربت سحبه رواق عليه
وارتدينا من الغمام رداء
قد تحلى بزهره وتبدى
ماثلا في غلالة خضراء
فأرتنا الرياض منها نجوما
وأرانا سنا العقار ذكاء

يقول الشاعر الطليق في وصفه لتلك الليلة الممطرة التي هطل المطر فيها فاكتسى الروض وأينعت الأزهار، ومشاهدة الأمطار ليلا جعلت الشاعر يبدع صورته إبداعا تأتي فيه المفردات معبرة عن هذه اللحظة.

وهذه القصيدة يقول عنها النقاد من أشهر قصائد الشاعر الطليق تألقا وإبداعا حتى عرفت من بين قصائد ديوانه بـ«القصيدة القافية».

يقول:

وغمام هطل شؤبوبه
نادم الروض فغنى وسقى
خلع البرق على أرجائه
ثوب وشي منه لما أبرقا
فكأن الأرض منه مطبق
وكأن الهضب جان أطبقا
في ليال ضل ساري نجمها
حائر لا يستبين الطرقا
أوقد البرق لها مصباحه
فانثنى جنح دجاها مشرقا
وشدا الرعد حنينا فجرت
أكؤس المزن عليه غدقا

وغـدت تحنـو عليـه الـشـمـس قد
ألحـقـتــه مــن سـنــاهــا نمرقـا
فــكــأن الـــورد يــعــلــوه الــنــدى
وجـنــة المـحــبــوب تــنــدى عـرقـا
وكـــأن الــقــطــر لمــا جــادهــا
صـــار فـــي الأوراق مـنـهـا زئـبـقـا

تأتي ألفاظ الطبيعة في شعر الشاعر الطليق تعج بمفردات الرياض. الغمام، الخضرة، زهر، خضراء وهي سمة عامة في أدب الحدائق والطبيعة في الشعر الأندلسي.

ومن بلنسية يأتي شاعــر الطبيعة «أبو الحسن علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة المعروف بابن الزقاق» المتوفى عام ٥٢٨هـ عاش نحو أربعين عاما، كان خاله شاعر الجزيرة الكبير «ابن خفاجة»، ومن الطبيعي أن خاله أثر في شعره فكان شعر ابن الزقاق كله هبة للطبيعة ومناجاتها.

كانت بلدة بلنسية تتمتع بجمال فائق، وكانت خصوبة أراضيها سببا في تعربها سريعا كما يقول خوثية غومث: وكان البلنسيون مستقرين في ضياعهم، يقومون على زراعتها، وينعمون بخيراتها.

يقول خوثيه غومث: «لقد نال ابن خفاجة شهرة باقية في الأدب العربي بعامة، لرقته في وصف الأنهار والحدائق، وسار ابن أخته «ابن الزقاق» على خطاه في غير تقليد، وفي إبداع أقل اتساعا، وربما أقل لمعانا، ولكنه أشد صفاء...».

ومن بين شعر ابن الزقاق قصيدة جاءت ضمن المختارات التي اختارها «إميلو خوثيه غومث» ضمن مختاراته من الشعر الأندلسي قوله في وصف جدول، وفي هذا الوصف نرى تأثر ابن الزقاق بخاله واضحا، ونرى أيضا مهارة ابن الزقاق وقدرته في وصف الأشياء، تجعل من شعره لوحة شعرية جميلة تعكس مدى تأثر الشاعر بمفردات الطبيعة من حوله وتغنيه بها.

يقول ابن الزقاق:

جــــال طـــرفـــي بـــجــدول
مـــــاؤه كــالــســجــنــجــل
ســـابــــح فــــيــــه أغـــيـــد
لحـــظـــه لحـــظ مـــغـــزل
خــلــتــه إذ بــــــدا بـــه
قـــمـــرا فــــي مــكــلــل
بــــات تــغــشــاه نجــمــة
تـــــارة ثـــــم يــنــجــلــي

ويقول ابن الزقاق في وصف حديقة، وكيف أن الغمام لا يكتفي بأنه يحمل لها الماء الذي يرويها بل هو الحارس الأمين الذي يقوم بحراستها.

وروضـــــة عــــاطــــر بـنـفـسـجـهـا
عــطــرهــا وشــيــهــا وسـنــدسـهـا
لمــا غـدتـهـا الــســحــاب درتـهـا
مــن فـــوق حـودانـهـا ونـرجـسـهـا
خــــاف عـلـيـهـا الـغـمـام حـادثـة
فـسـل سـيـف الــبــروق يـحـرسـهـا

هام شعراء الأندلس بطبيعة بلادهم، وانتشر شعر الوصف ويكاد يكون السمة الغالبة في أغلب قصائدهم على اختلاف أغراض الشعر. يقول الدكتور فورار امحمد بن لخضر: «الطبيعة كانت من أهم ما جذب أنظار الشعراء الوصافين حتى نجد شعر الطبيعة قد اتضحت معالمه واحتل مكانا واضحا في الشعر الأندلسي، فقد وصفوا الرياض وأنوارها والحدائق وأزهارها، بل انطقوا الأزهار فتفاضلت، وأجرى الثناء على أسنها فمدحت..».

يقول ابن مطرف وقد مر على الزهراء فرأى ثلاث سوسنات اثنتان منها أينعتا والأخرى لم تينع بعد:

لا يـــوم كــالـيـوم فـــي أيـامـنـا الأول
بـالـعـامـريـة ذات المـــاء والـطـلـل
هــواؤهـا فـــي جـمـيـع الـدهـر معتدل
طيبا، وإن حل فصل غيـر معتدل
مـا أن يـبـالـي الــذي يـحـتـل ساحتها
بـالـسـعـد إلا الـشـمـس فـــي الحـمـل
كـأنـمـا غـرسـت فـــي ســاحــة وبــدا
السوسان من حينه فيها على عجل
أبــدت ثـلاثـا مــن الـسـوسـان ماثلة
أعـنـاقـهـن مـــن الإعــيــاء والـكـسـل
فـبـعـض نــوارهــا لـلـبـعـض منفتح
والـبـعـض منغلق عنها وفـي شغل
كــأنـهـا راحـــة ضــمــت أنـامـلـهـا
من بعض ما ملئت من جودك الخضل
وأخـتـهـا بـسـطـت مـنـهـا أنـامـلـهـا
تــرجــو نـــداك كـمـا عـودتـهـا فـصـل

ويقول أبو مروان الجزيري في وصف بنفسج العامرية:

شـهـدت لـنـوار الـبـنـفـسـج ألـسـن
مــن لـونـه الأحــرى ومــن إيـنـاعـه

بمشابه الشعر الأثيث أعاره
قمر الجبين الصلت نور شعاعه
ولربما جف النجيع من الطلى
بصوارم المنصور يوم قراعه
فحكاه غير مخالف في لونه
لا في روائحه وطيب طباعه

ويقول الرمادي عندما شاهد تفتح الورد مع مقدم فصل الربيع، مادحا الورد وأزهاره:

للآس والسوسن والياسميـ
ـن الغض والخيري فضل شديد
سادت به الروض ومن بينها
وبين فضل الورد من بعيد

ويقول صاعد البغدادي وهو يفاضل بين نوعين من الزهور هما البهار والنرجس:

جمل الفضيلة للبهار بسبقه
ولطالما خلف البهار النرجس
أربي عليه طيبه ونسيمه
لكنه عن نشره يتنفس
كالحاجب الميمون شبه في العلى
بأبيه لكن فعل هذا أنفس

وفي وصف سوسنة يقول الحاجب المصحفي:

يـارُبَّ سوسنة قد بدت ألثمها
وما لها غير طعم المسك من ريق
مصغرة الوسط مبيض جوانبها
كأنها عاشق في حجر معشوق

ويقول الحاجب المصحفي أيضا في وصف سفرجلة:

ومصفرة تختال في ثوب نرجس
وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه
ولون محب حلة السقم مكتسي

ويقول ابن الأبار القضاعي البلنسي وهو أيضا من أهل «بلنسية» وإليها ينسب، يقول في وصف حديقة:

يا حبذا بحديقة دولاب
سكنت إلى حركاته الألباب
غنى ولم يطرب وسقى وهو لم
يشرب ومنه اللحن والأكواب
للعود محتده وملء ضلوعه
لإغاثة الشجر اللهيف رباب
وكأنه مما ترنم ماجن
وكأنه مما بكى أواب
وكأنه بنثاره ومداره
فلك كواكبه لها أذناب

ويقول ابن سهل الأندلسي في وصف لحظة الغروب على الرياض:

انظر إلى لون الأصيل كأنه
لاشك لون مودع لفراق
والشمس من شفق المغيب كأنها
قد خمشت خدا من الإشفاق
لاقت بحمرتها الخليج فألقا
خجل الصبا ومدامع العشاق
سقطت أوان غروبها محمرة
كالكأس خرت من أنامل ساق

وفي لفتة قدسية وهالة من سحر نعود إلى ابن خفاجة واصفا سقوط الثلج على الغصون، وكيف هام الربا واكتملت صورته، يقول «ابن خفاجة» في وصف سقوط الثلج في ليلة ممطرة على الأغصان:

ألا فضلت ذيلها ليلة
تجر الرباب بها هيدبا
وقد برقع الثلج وجه الثرى
وألحف غصن النقا فاختبى
فشابت وراء قناع الظلام
نواصي الغصون وهام الربى

وهب الله تعالى بلاد الأندلس جمالا لا يحد وبيئة خصبة تجود بحدائق ممتدة الظلال، أخذت هذه الطبيعة بلب شعرائها، فكانت مفردات شعرهم تعكس هذه البيئة وامتلأ ديوان الشعر الأندلسي بقاموس شديد الخصوصية تكثر فيه ألفاظ الاخضرار، والقصور والربا والرياض والزهراء والغمام والمطر وغيرها من مفردات جاءت ترجمة لتجربة شعرية حقيقية، تغنى شعراء الأندلس بجمال الطبيعة، وكان للحدائق النصيب الأكبر في شعرهم، وصفوا الجداول، والنواعير، والقصور، وخصوا الزهور بقصائد منفردة، مدحوا السحاب، وتغنوا بالأمطار والثلج، حتى كأنما ونحن نطالع هذا الشعر نجول في حديقة تموج بأطيب الثمار وأنداها.



مجدي إبراهيم
باحث في التاريخ الإسلامي - مصر

مبدع «وا إسلاماه» و«سلامة القس»: علي أحمد باكثير

مما يؤسف له أن علي أحمد باكثير فارق الحياة بعد أن أصدر عشرات المسرحيات والروايات، لكنه لم يصدر ديوانا شعريا واحدا لولا جهود الدكتور محمد أبو بكر حميد، الذي قضى ربع قرن باحثا ومنقبا عن كل ما كتب باكثير، متنقلا بين حضرموت وعدن والحجاز ومصر، حتى نجح في جمع أعماله الشعرية الثرية في أربعة دواوين هي: «أزهار الربى في شعر الصبا»، «سحر عدن وفخر اليمن»، «صبا نجد وأنفاس الحجاز»، و«حي ضفاف النيل».. وقدم فيها حياة الشاعر وهمومه ومعاركه.



إن صورة باكثير لن تتم إلا حين تظهر كل خطوطها وألوانها وظلالها؛ فمن حقه، مادام قد كتب بأصالة، أن يتواجد في ضمير أمته بعمق، فطاقته الحقة تتواجد في الشعر، والشعر هو الذي دفعه إلى المسرح والرواية، كذلك فالشعر هو أهم مصادر الطاقة عند باكثير، فهو الذي ولد نبوغه في كل ما كتب، وهو الذي يعطيه، وهو في جوار ربه، طاقة على التجول في العديد من العصور.

رائد التجديد الشعري الحقيقي

وربما كان باكثير الوحيد المعترف له إجماعا بريادة التجديد الشعري من رواد التجديد أنفسهم، وفي طليعتهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة؛ فها هو السياب يقول في حوار له في مجلة الآداب بعد إشارته إلى الاختلاف الذي كان دائرا حول أولية

> **باكثير أول من كتب على طريقة الشعر الحر في «روميو وجولييت»**

المتقدم في كتابة قصيدة التفعيلة: «وإذا تحرينا الواقع وجدنا أن الأستاذ علي أحمد باكثير هو أول من كتب على طريقة الشعر الحر في ترجمته لرواية شكسبير روميو وجولييت».

ومما قاله شيخ القصة العربية القصيرة يحيى حقي بعد رحيل باكثير: «إن حياة هذا المبدع العربي لا تقل أهمية عن إبداعه؛ فقد كانت ملحمة طويلة خاض غمارها بقلب صبور ونفس راضية وعزيمة لا تعرف اليأس، وتلك حقيقة قلما توقف عندها النقاد»[1].

وعلي أحمد باكثير يمني الأصل، كان أبوه واحدا من التجار الذين نزحوا إلى جزائر إندونيسيا، واستقر في سورابايا التي ولد فيها شاعرنا في الحادي والعشرين من ديسمبر عام ١٩١٠م، ولحرصه على أن يتربى ابنه ويتثقف في بيئة عربية أرسله إلى سيئون بحضرموت، حيث تشرب بثقافة عربية أصيلة وتزوج من نور باسلامة، التي اختطفها الموت وهي في ريعان الشباب، بعد سنوات قليلة من الزواج، فظل يبكيها طوال حياته.

وفي حضرموت عمل باكثير بالتدريس في مدرسة النهضة العلمية، لكنه بعد وفاة زوجته غادر حضرموت إلى عدن ومنها إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، ثم

الوحيد المعترف له إجماعا بريادة التجديد الشعري من السياب ونازك الملائكة!

إلى الحجاز حيث أبدع فيها قصيدته الرائعة في المدح النبوي «نظام البردة»، وكتب أولى مسرحياته الشعرية «همام» أو «في بلاد الأحقاف».

وقد مكث باكثير متنقلا بين مكة والمدينة والطائف وتعرف إلى أدبائها.. ويبدو أنه أحب أن يتم دراسته الجامعية ليدرس اللغة العربية وأصول الدين في جامعة القاهرة، لكن شغفه بالأدب ومطالعته لأعمال شكسبير جعلاه يغير طريقه للالتحاق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، فترجم آنذاك مسرحية شكسبير «روميو وجولييت» بالشعر المرسل، وألف مسرحية «أخناتون ونفرتيتي» بالشعر الحر ليثبت أن اللغة العربية قادرة على استيعاب هذا اللون من الأداء، كما في الشعر الأوروبي، في تحد واضح لأستاذه الإنجليزي في الجامعة الذي شكك في إمكانية صلاحية الشعر المرسل في اللغة العربية.

وبعد تخرجه في الجامعة رغب في العودة إلى أسرته في إندونيسيا (بلد المهجر)، لكنه لم يستطع السفر لاشتعال فتيل الحرب العالمية الثانية التي قطعت الطريق إلى الشرق الأقصى فظل مقيما في مصر موطنه الثاني، والتحق أيضا بمعهد التربية للمعلمين ليحصل على دبلوم تربوي في التعليم في عام ١٩٤٠م وعمل مدرسا في المنصورة للمرحلة الثانوية لمدة خمسة عشر عاما، وتزوج مرة ثانية في عام ١٩٤٣م وترك التدريس والتحق بمصلحة الفنون منذ إنشائها تحت رئاسة يحيى حقي، وظل موظفا في وزارة الثقافة والإرشاد القومي حتى وفاته، وقد صدر مرسوم ملكي بمنحه الجنسية المصرية في الثاني والعشرين من أغسطس ١٩٥١م.

تراث باكثير الخالد

وقدم آنذاك الملحمة الإسلامية الكبرى عن الصحابي الكريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تسعة عشر جزءا، وفي العاشر من نوفمبر سنة ١٩٦٩م غادر باكثير الدنيا.

ومن الصعب حصر جميع أعمال باكثير، فقد ترك خمس روايات والعديد من المسرحيات والقصص الطويلة والقصائد حسب ما ذكره الأديب رجب الأزهري في مقاله: «اليهود في أدب باكثير»، وأكد القصصي محمد جبريل أنه ترك خمس روايات طويلة وإحدى وعشرين مسرحية، وملحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فضلا عن ثلاثة عشر عملا أدبيا ما بين رواية ومسرحية لم تر النور بعد.

ويكفي أن نذكر أن باكثير قد كتب أكثر من سبعين مسرحية تمثيلية (أغلبها سياسية) جمع بعضها في كتابه «مسرح السياسة».

وأما إحصاء المطبوع من نتاجه لدى مكتبة مصر (المكان الوحيد لطباعة أعماله) فقد ضم ٤٥ عملا أدبيا منوعا، بالإضافة إلى ملحمة سيدنا عمر المكونة من تسعة عشر جزءا.. وأضافت المكتبة مسرحياته الجديدة (مأساة زينب، أحلام نابليون، قضية أهل الربع، الوطن الأكبر) وأولى مسرحياته (همام في بلاد الأحقاف) ورواية «الفارس الجميل».

ويؤكد الدكتور حلمي محمد القاعود أن باكثير ترك تراثا ضخما من الشعر والنثر، نشر معظمه وبقي جزء كبير مجهولا لكثيرين، وبخاصة للأجيال الجديدة التي لم تعاصره، منها: «قاب قوسين، المحاكمة، سفر الخروج الأخير، شلبية، حزام العفة، وثماني عشرة جلدة.. وغيرها».

من مؤلفات باكثير

دون تصنيف، هذه بعض عناوين مؤلفات باكثير:

١- حرب البسوس.
٢- الفلاح الفصيح.
٣- قضية أهل الربع.
٤- الزعيم الأوحد.
٥- مأساة زينب.
٦- ليلة النهر.
٧- أحلام نابليون.
٨- أغلى من الحب.
٩- فاوست الجديد.
١٠- الفارس الجميل.
١١- الدودة والثعبان.
١٢- عرايس وعرسان.
١٣- شيلوك الجديد.
١٤- يوميات باكثير ورحلاته بقلمه.
١٥- شعب الله المختار.
١٦- سحر عدن وفخر اليمن.
١٧- مسرحية إله إسرائيل.
١٨- مسمار جحا.
١٩- التوراة الضائعة.
٢٠- واإسلاماه.
٢١- مسرح السياسة.
٢٢- سر الحاكم بأمر الله.
٢٣- فن المسرحية.
٢٤- أوزيريس.
٢٥- فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية.
٢٦- إبراهيم باشا.
٢٧- أزهار الربى في شعر الصبا.
٢٨- من فوق سبع سموات.
٢٩- أبو دلامة.
٣٠- ديوان وحي ضفاف النيل.
٣١- إمبراطورية في المزاد.
٣٢- رواية سلامة القس.
٣٣- عودة الفردوس.
٣٤- ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم.
٣٥- حبل الغسيل.
٣٦- السلسلة والغفران.

الهامش

١- مجلة الآداب، بيروت، عدد يونيو ١٩٥٤م، ص:٩٦.

د. مصطفى البعزاوي
باحث في الدراسات الإسلامية
المغرب



المرأة وبناء الأسرة



تلعب المرأة المسلمة دورا محوريا في بناء الأسرة، فبصلاحها تصلح الأسرة وبفسادها ينهار كيان المجتمع، كما جاء على لسان الشاعر المصري حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

وهي مربية الأجيال وصانعة الرجال والأبطال. وحتى تعطي هذه التربية ثمارها، فلا بد من جهد ينبغي أن تقوم به المرأة وبخاصة في مملكتها الأسرية، لتعطي لمجتمعها سواعد تعود بالنفع، متأسية في ذلك بمثيلاتها من النسوة اللواتي قدمن للأمة الإسلامية رجالا أفذاذا خلفوا تراثا عظيما للمكتبة الإسلامية.

١- التنشئة الأسرية

بين الله تعالى في كتابه وسنة رسوله أن الأسرة هي الأصل في تربية الأجيال فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

غرس القيم

قال العلامة «ابن القيم» رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولد ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فساده من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه. فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا»[١].

وعن عمر بن أبي سلمة أنه كان غلاما صغيرا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يده تطيش في الصحفة إذا أكل، أي تتحرك في الطبق دون انتظام فقال رسول الله ﷺ. «يا غلام سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك»[٢].

وأرشد الإسلام إلى التلطف بالأبناء في التربية والتوجيه حتى يغرس

في نفوسهم الحب والإخاء والعطف الأبوي الخالص، وعن النبي ﷺ أنه جاءه أعرابي، فقال: أتقبلون الصبيان؟ فما نقبلهم فقال له: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟»[٣].

إن الاعتناء بغرس القيم في صفوف النشء وتربيتهم التربية الإسلامية هو الحل الوحيد لعلاج فساد الأخلاق والقيم في مجتمعنا المعاصر الذي يتخبط في أزمة أخلاقية يرثى لها.

التربية بالقدوة

وهذا أمر لم يغفل عنه السلف الصالح، بل تنبهوا له وأرشدوا له المربين، فها هو عمرو بن عتبة يرشد معلم ولده قائلا: «ليكن أول إصلاحك لبني إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت»[٤].

وكان ﷺ قدوة في حياته الزوجية، وصبر على أهله وأحسن توجيههن فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٥].

القدوة الصالحة تعطي ثمارا طيبة منها:

- الانضباط النفسي والتوازن السلوكي لدى الطفل.
- تغرس قيم المحبة والتقدير والإعجاب.
- قبول كل ما يقال لهم من نصائح وتوجيهات بصدر رحب.

تنشئة المرأة للعلماء

لقد برز في تاريخنا الإسلامي رجال أفذاذ كان لهم الأثر الواضح في الأمة ولا تزال ذكراهم بيننا حية، وآثارهم فينا كذلك، وكان الفضل في ظهور هؤلاء إلى الساحة -بعد الله عزوجل- عنصر المرأة، إما أما، أو جدة، أو زوجة. ونحو ذلك، ومن هؤلاء الأفذاذ والأئمة الأعلام: أصحاب المذاهب الفقهية.

أمهات الأئمة الأربعة

❖أبو حنيفة النعمان

لقد نشأ أبو حنيفة في بيئة غنية بالعلم والعلماء، وكان وراء هذا الإنجاز الذي حققه، أمه التي سهرت على تربيته وضحت من أجله بكل ما أوتيت من قوة، حتى صار إماما بارعا في شتى أنواع العلم والمعرفة وصاحب مذهب فقهي يرجع إليه إذا استشكل أمر على الأمة.

❖ الإمام مالك رحمه الله

وكان السر في نجابة وظهور الإمام مالك، يكمن في أمه العاقلة، تلك التي أحسنت توجيهه واختارت له الطريق السوي، وهيأت له أسباب النجاح ولم يتوقف دور أم مالك عند ذلك، ولم تكتف بتوجيهه إلى طلب العلم وحسب، بل إنها ألبسته ثياب العلم ووجهته إلى من يتعلم منه، يقول مالك في ذلك: «فألبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي -يعني القلنسوة الطويلة- وعممتني فوقها ثم قالت: اذهب الآن فاكتب». ثم تختار له المعلم والأستاذ، وكان أشهرهم آنذاك ربيعة ابن أبي عبدالرحمن، فتقول له: «اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[٦].

❖ الإمام الشافعي رحمه الله

أما والدة الشافعي رحمه الله فقد شبه دورها أم البخاري -رحمه الله- إذ إن والد الشافعي مات بعد أن ولد الشافعي بزمن قصير، فنشأ الشافعي يتيما وأصبح مصيره مرتبطا بتصرف أمه. لكن أم الشافعي أثبتت وبكل جدارة أنها من الأمهات الصالحات الحاذقات المجاهدات، إذ أهدت للأمة الإسلامية إماما عظيما، ملأ سمع الأرض والسماء.

وهذه الأم الفاضلة لا يتوقع منها إلا أن تحسن رعاية وليدها، وتسهر على تنشئته تنشئة صالحة وتختار له الطريق القويم.

❖ الإمام أحمد بن حنبل

فقد وهبت صفية بنت ميمونة بنت عبدالملك بن شيبان، حياتها كلها لطفلها اليتيم، واختارت من أجله الترمل في سن الشباب نهجا لحياتها وقد كانت الكثيرات من نساء العرب يفضلن الزواج إذا مات الزوج، وكانت هي دون الثلاثين حين وفاة زوجها، ورغم ذلك فإنها لم ترض بالزواج، وإنما ارتضت أن تملأ على ولدها حياته حنانا وأنسا.

وإذا عرفنا أن الإمام أحمد لم يتزوج قبل سن الأربعين أدركنا أن السبب في ذلك هو ما هيأته له أمه من سبيل العناية وغامر الاهتمام[٧].

وهكذا كان دور المرأة بصفة عامة أساسيا في تنشئة العلماء من أجل الرقي بالأمة والعمل على تقدمها ونفع المسلمين ورفعتهم.

الهوامش

١- تحفة المودود بأحكام المولود «لابن القيم الجوزية»، ص٢٢٩، ط١.
٢- أخرجه البخاري، «كتاب الأطعمة» باب التسمية عند الطعام والأكل باليمين، رقم ٣٧٦.
٣- أخرجه البخاري، «كتاب الآداب»، باب الرحمة بالولد وتقبيله ومعانقته، رقم ٥٦٥٢.
٤- أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ٣٨، ص٢٧١.
٥- أخرجه الترمذي: «متاب المناقب» باب فضل أزواج النبي ﷺ، ١٨٨/٦.
٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ص٩.
٧- الأئمة الأربعة، قصة أحمد بن حنبل، لمصطفى الشكعة، ص١٤-١٥.



وفيق صفوت مختار
اختصاصي التربية وعلم النفس
مصر



• جاء تعريف الاكتئاب Depression في قاموس علم النفس الذي وضعه «جيمس دريفر»، على أنه: «اتجاه انفعالي يسود الشخصية ويكون في بعض الحالات بمنزلة حالة مرضية أكيدة، إذ يكون الشخص المصاب به محفوفا بالشعور بعدم القدرة على مجابهة الواقع، والشعور باليأس. وفي بعض الحالات يكون مصحوبا بهبوط في النشاط النفسي العام»[1].

الأعراض.. وطرق الوقاية

الاكتئاب عند الأطفال

تظهر أعراض الاكتئاب عند الأطفال على شكل تغيرات في السلوك تحدث للأطفال المكتئبين، مثل: فقد الاهتمام باللعب، وعدم التفاعل مع الآخرين والتجاوب معهم، كذلك يبدأون في رفض الطعام. وقبل دخول المدرسة يبدأ الطفل المكتئب في افتعال المشكلات مع الأطفال الآخرين، ويتعلق بأبويه بدرجة ملحوظة، وقد يبدأ في التهتهة. وعند سن دخول المدرسة يصبح الطفل المكتئب أكثر توترا وعنفا وعصبية، ويشكو من آلام في الجسم كله.

ولما كانت هذه الأعراض توجد في معظم الأطفال بدون اكتئاب، لذا؛ فمن الصعب التشخيص بأن هذا الطفل مكتئب أم لا من مجرد وجود هذه الأعراض، خاصة إذا كان الطفل صغير السن، لذا يعتمد التشخيص على خبرة الطبيب

المعالج، فمثلا التغير في سلوك الطفل، كالتوتر والعصبية، قد يكون أكثر شيوعا من غيره من أعراض الاكتئاب، كذلك فإنه لابد أن يمر أكثر من عام كامل على استمرار أعراض الاكتئاب لكي يقال: «إن هذا الطفل مريض بالاكتئاب».. وليس أقل من ذلك.

وفي الفقرات التالية سوف نتتبع أهم الأعراض والمظاهر الاكتئابية التي تجعلنا نتنبه إلى حقيقة ما إذا كان أطفالنا يعانون من الاكتئاب حقا، ومن هذه الأعراض:

١ـ حاجة الطفل إلى إقامة العلاقات الاجتماعية مع خوفه منها، حيث يستمر شعور التهديد بالهجران، وبالتالي فإن علاقاته تصبح طفيفة ومؤقتة. ويتذبذب الطفل بين النقد القاسي للذات، وتأنيب الآخرين على أخطائهم. وتكشف الملاحظة عن إحساس الطفل بالحزن وعدم السعادة.

ويأخذ الاضطراب الاكتئابي عند الطفل صورا، أهمها: المظهر الحزين، واليأس الذي لا يشكو منه، بل يفرغ اكتئابه في سلوكه، كالصراخ، واللامبالاة، والانسحاب الاجتماعي، وفتور الهمة، وتكرار الشكوى الجسمانية والآلام بسبب حدوث اضطرابات في النوم والأكل.

وتتكون لدى الطفل المكتئب أفكار مؤداها أنه غير محبوب وغير مرغوب فيه، وتكون هذه الأفكار مصحوبة بانخفاض تقدير الذات، كما تشيع الأفكار المرضية التي تتضمن أفكارا انتحارية لدى حوالي ٣٠ في المئة من الأطفال المكتئبين[٢].

٢ـ المستوى المتدني جدا من فقدان الثقة بالنفس قد يكون العلامة الرئيسة للاكتئاب عند الأطفال، لذا؛ يجب على الآباء والأمهات أن يتنبهوا لها. وهي أيضا العلامة التي تجعل متابعة الحياة العادية أمرا في غاية الصعوبة بالنسبة إلى الطفل. وهذه الحالة تسلب الطفل الدافع الشخصي للمحاولة مرة أخرى.

٣ـ الشعور بفقدان الأهمية الشخصية مما يدفع الطفل إلى قبول أي شيء مؤذ أو غير سار يحدث له على أنه «عقاب مستحق له»! كما يتسم الطفل بالتشاؤم الشديد بشأن المستقبل؛ لأنه واثق من أنه سيفشل في التغلب على كل التحديات المستقبلية التي سوف تقابله أو تواجهه، كما ينتابه شعور عميق بأنه يستحق الفشل.

٤ـ الشعور بالذنب، ويتبع الشعور بفقدان القيمة الذاتية، فقد يشعر الطفل المصاب بالاكتئاب بالذنب لأنه فشل في تحقيق الآمال التي وضعها الناس فيه، أو لأن حالته تسبب القلق لأهله وذويه.

٥ـ الصداع وأوجاع الظهر من الأعراض العادية للاكتئاب، وكذلك الإمساك، وإذا ترك الاكتئاب دون علاج لفترة طويلة فإن فقدان الشهية قد يؤدي إلى نقص الوزن، وحتى في أول المراحل فإن من المحتمل أن يقل التمتع بأكل الطعام، وحتى إذا أكل الطفل بصورة طبيعية فإنه يفقد الحماسة التي كانت لديه سابقا للأطعمة المفضلة.

٦ـ الطفل المكتئب يجد صعوبة في النوم، وإذا نام فمن المرجح أن يصحو في حوالي الساعة الثالثة أو الرابعة فجرا ثم لا يعود إلى النوم إلا قبل ساعة أو نحو ذلك من الموعد المعتاد.

٧ـ يفقد الطفل المكتئب المقدرة على الإحساس بالبهجة لدرجة أن مقابلة الناس التي كانت تروق له من قبل تبدو خاوية وفارغة ولا معنى لها.

أسباب الاكتئاب

١ـ قدر العلماء أن هناك أنواعا من الأشخاص مؤهلين للإصابة بالاكتئاب أكثر من غيرهم، وهؤلاء الأشخاص هم من الأذكياء والتواقين للمنافسة والنجاح والباحثين عن اعتراف المجتمع، والذين تظهر لديهم حاجة ملحة لإتقان كل شيء. ويفترض علماء النفس أن هؤلاء الأشخاص يتجهون للتركيز على أهداف أعلى مما عند الآخرين، وبالتالي يواجهون ظروفا صعبة أكثر من غيرهم، كما أن شخصية هؤلاء وإدراكهم للواقع تتأثران بصورة عميقة.

٢ـ للوراثة دخل في مدى إصابة الأطفال بالاكتئاب، فالأرقام تشير بوضوح إلى أن الأطفال الذين عانى أحد أبويهم من اكتئاب يكونون معرضين لأن يصبحوا مكتئبين بدورهم زيادة على غيرهم ثلاث مرات، وأكثر من ٥٠ في المئة من بينهم يكون لديهم على الأقل اضطراب في المزاج وخاصة إذا كانت الأم هي الاكتئابية، فالاكتئاب مرتبط بالوراثة بشكل كبير يصل إلى ٨٠ في المئة ، ولكن لم تعرف

حتى الآن المورثات (الجينات) المعنية بهذا الأمر[٣].

٣. يرى علماء التحليل النفسي أن هناك عوامل تهيئ شخصية الطفل لكي تكون على استعداد لإظهار مرض الاكتئاب عند البلوغ منها: الخوف من الوحدة، والخوف من الفقد. وقد أوضح «بولبي»Bolby هذا الاتجاه في أبحاثه، وذلك عند ملاحظته لأطفال صغار تتركهم أمهاتهم في دار الحضانة لبعض الوقت، حيث وجد أنهم يسلكون سلوكا يتصف بالاعتراض على رحيل الأم في بادئ الأمر، ثم اليأس من بقاء الأم، وأخيرا التجاهل والإهمال، أي التبلد حتى يتمكن الطفل من الابتعاد عن الصراع.

٤. الضغط المستمر على الطفل وحصاره الدائم بضرورة الاستذكار من أجل إحراز النجاح والتفوق.

٥. الخوف من أحد المعلمين أو المعلمات بالحضانة أو بالمدرسة الابتدائية أو الإعدادية لاستعمالهم أساليب العقاب البدنية القاسية، وكذلك الخوف من اعتداء الزملاء أو الأصدقاء عليه، أو الانتقال إلى منزل آخر أو مدرسة أخرى، وهي الأماكن التي كان يشعر فيها بالألفة والهدوء النفسي، إلى أماكن أخرى يفتقد فيها وجود الأصدقاء المقربين، فيشعر بالغربة وعدم الأمان.

٦. هناك دراسات كثيرة أثبتت أن الأطفال الذين يلاقون معاملة سيئة، أو يشعرون بأنهم مهملون وغير مرغوب فيهم، ولا أحد يهتم بهم، أو من تعرضوا لاعتداءات جنسية، أو الذين يعيشون ظروفا مادية أو عاطفية صعبة؛ هؤلاء جميعا يكونون أكثر ميلا من غيرهم للمعاناة من الاكتئاب.

٧. لأسلوب الآباء والأمهات في تنشئة الطفل على القيم والمعتقدات أثر مهم في ظهور أعراض القلق أو الاكتئاب من عدمها، فلعملية التنشئة العقائدية للطفل الأثر الأعمق في تكوين عقله وأفكاره إزاء ما يواجهه في المستقبل من مشكلات وإحباطات أو إخفاقات. والطفل داخل نطاق الأسرة قد يربى على احترام القيم والمثل العليا والفضائل، وقد يربى على الكذب والغش والخداع والرياء والطمع، والحقيقة المؤكدة في هذا الصدد أنه إذا شب الطفل وقد تعلم احترام القيم والمثل العليا، فإن أي سلبيات يراها في أي مكان آخر لن تستطيع إفساده أو تحويله عن الاتجاه القويم الذي تعلمه من أبوين سويين صالحين، والعكس صحيح بالطبع.

الوقاية

أولا: أن يتعلم الطفل منح وتلقي الحب، فمعظم الأطفال يضعون معايير محددة لمعرفة ما إذا كانوا محبوبين أو منبوذين. والطفل ككائن حي ضعيف يتوقع من الجميع أن يمنحوه حبهم، وهذا الحب يتجلى حينما تشبع الأسرة حاجات الطفل الفسيولوجية من طعام وشراب.. إلخ، ثم حينما تشبع الأسرة حاجات الطفل النفسية من حب وحنان وأمان وتأكيد ذات.. إلخ، عندها يشعر الطفل بالرضا والارتياح، ومن ثم ينظر إلى الحياة نظرة ملؤها الأمل والتقبل.

ثانيا: أن يتعلم الطفل كيف يحافظ على حقوقه، ويحترم في الوقت نفسه حقوق الآخرين، وفي هذا الصدد نود أن نقول، يجب ألا نتوقع أن يولد الطفل كريما، يؤثر الآخرين على نفسه؛ فالطفل بحكم ضعفه وعدم نمو مداركه يولد أنانيا، فهو لا يعي شيئا مما نقوله عن آلام أو أوجاع الآخرين، ولأنه كذلك فهو يريد إشباع حاجاته، وتلبية رغباته دون تباطؤ أو تأجيل، وإن حدث نوع من هذا التأجيل أو التعطيل، يراه الطفل عدوانا موجها ضده، ثم سرعان ما ينمو الطفل ويكون على استعداد لتلقي التعليم والتهذيب، لذا؛ يكون على الآباء والأمهات تعليم الطفل بأسلوب متدرج ومتنوع كيف يحترم حقوق الآخرين، وفي الوقت نفسه نعلمه كيف يحافظ على حقوقه.. إن ذلك يؤهله كي يصبح معتزا بنفسه وكرامته، أما إذا فقد الطفل احترامه لحقوقه فمعنى ذلك أنه يشب وهو يشعر بالدونية، وبأن الآخرين أفضل منه، وهذا في حد ذاته كفيل بأن يجعله قلقا، ومرتابا، وهيابا، ومكتئبا أيضا[٤].

ثالثا: الطفل بطبيعة الحال يجهل الأسباب الحقيقية التي تجعل الوالدين لا يحققان له رغباته، ولما كان من المستحيل تخيل حياة بلا إحباط، واستحالة تحقيق جميع رغباتنا في آن واحد، فإن الوالدين لا يستطيعان إلا أن يحبطا بعض رغبات أطفالهما. ومع ذلك فإن قيام الآباء أو الأمهات بشرح الموانع والعقبات التي تقف ضد تحقيق رغبة الطفل يعد في حد ذاته أسلوبا كافيا لحل مشكلة الألم والخيبة

التي تصاحب عملية الإحباط. إن تعليم الأطفال على هذا النحو يجعلهم يسلكون في الحياة مسلكا عمليا حكيما، فيكونون أقوياء، وواقعيين، ومن ثم لا يتعثرون أمام مشكلات الحياة بشتى صورها.

رابعا: أن يتعلم الطفل المعنى الحقيقي للشعور بالذنب، فالاكتئاب بين صغار السن يرتبط دائما بالشعور بالفقدان، أو الإحساس بالفشل، فالاكتئاب راجع للشعور بالفقدان حينما يفقد الطفل عضوا من الأسرة أو صديقا بسبب الموت أو الانفصال. أما الاكتئاب الراجع للفشل فهو يقع بسبب المظهر الخارجي غير المستحب أو السيئ، أو الفشل في الدراسة، أو بسبب المشكلات العائلية التي يعتقد الأطفال أنهم السبب في حدوثها ويسمى هذا بـ«الشعور بالذنب»، فهم يعتقدون أنهم وراء ظهور المشكلات في حياة الآخرين[٥].

والمرجح أن الشعور بالذنب يعود إلى أسلوب التربية الذي يمارسه الآباء مع الأبناء، وهو يبدأ عادة في الظهور في العام الرابع أو الخامس من عمر الطفل، وينتج عن طريق قيام الآباء بتوبيخ الأطفال ومعاقبتهم سواء جسمانيا أو معنويا على أخطائهم في عملية التكيف والتعلم، فهم يربطون بين أخطاء الطفل وعجزه عن إصلاح نفسه وسلوكه، وقد يحملونه تبعة ما يقع عليهم من متاعب أو أمراض، وهنا يبدأ الطفل في الإحساس بأنه هو السبب في آلام والديه، أو في مرضهم، أو في وقوع المتاعب لأحدهما أو كليهما. وإذا استمر الوالدان أو غيرهما في تأنيب الطفل مرارا وتكرارا، فإن كل جوانب عقله ووجدانه تتأثر بهذا التأنيب الذي يصل في حالات كثيرة إلى إحساس الطفل بأنه لا يستحق أن يعيش!!

خامسا: لا يجب فقط إبعاد الطفل عن مصادر التوتر والصراع في الأسرة أو المجتمع، ولكن يجب العمل بحرص بالغ على الجلوس مع الطفل وشرح كل الأسباب التي أدت إلى حدوث مثل هذا التوتر أو الصراع. والمقصود بالتوتر والصراع: هو مجمل المشكلات الشديدة التي قد تحدث بين الوالدين بسبب الإصابة بالأمراض، أو وقوع الحوادث، أو الضوائق المادية، وغيرها[٦].

وجو الأسرة المتوتر يصيب الطفل بالتوتر بحكم صغر سنه وحاجته الدائمة لتلقي المساعدة من الآخرين، وعلى ذلك فهو لا يستطيع التأقلم مع هذا الجو إلا عن طريق الوقوع في الاكتئاب، ومن ثم المرض النفسي.

وقد اتضح أن الاكتئاب في الطفولة يظهر بصورة أكثر شيوعا عما كان يظن، خاصة بين الأطفال الذين يعاني آباؤهم من الاضطرابات العقلية. وظهرت دراسة على الأطفال الأكثر عرضة للاكتئاب بالمركز القومي للصحة في مدينة «بتزدا» Bethesda، بولاية «ميريلاند» الأميركية، أوضحت أن الأطفال الذين لم يعانوا من الاكتئاب في صغرهم يبقون في الغالب أصحاء عند الكبر. كذلك أوضحت الدراسة أن الأطفال الذين أظهروا أعراضا اكتئابية في طفولتهم يحتمل أن يظهر عليهم في المراهقة خطر التعرض للاكتئاب، أو أي صورة أخرى من الأمراض العقلية [٧].

الهوامش

١. عبدالستار إبراهيم: الاكتئاب اضطراب العصر الحديث، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٣٩، ص١٢.

2- Lewinsohn, P.M. (1984) .A behavioral approach to depression . In R .L J. Friedman , & M .M .Katz (Eds.), the psychology of depression: Contemporary theory and research .New York, NY: John Wiley .p 98.

3- Cohen, D. (1994).Out of the blue: Depression and human nature . New N .Y :W . W .Norton .p 122.

4 - Seligman, M.E. (1995) .The optimistic child: A proven program to safeguard children against depression and build lifelong resilience . New York: Harper Perennial .p 80.

٥- عبدالمجيد الخليدي، كمال حسن وهبي: الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الأطفال، بيروت: دار الفكر العربي،١٩٩٧م. ص ٧٦.

٦. عبدالستار إبراهيم وآخرون: العلاج السلوكي للطفل، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ١٨٠. ص ١٠٣.

7- Beck , A . T . , Rush , A . , Shaw , B.F.,& Emery ,G.(1979).Cognitive therapy of depression, New York :Guilford Press. P. 76.



جميلة محمد
باحثة في الشؤون الإسلامية
سورية

معايير التربية السليمة

التربية هي عملية تغيير مقصود، تتضمن مجموعة إجراءات متداخلة، تهدف في المحصلة إلى المحافظة على استمرارية الفرد وحسن تكيفه مع بيئته واندماجه في مجتمعه، والانتقال به إلى واقع أمثل، من خلال العناية بكل ما من شأنه تحقيق النمو، وإيصال المعارف والمهارات والقيم إلى المتلقي، وتعديل سلوكياته ومساعدته على تكوين عادات مفيدة في الحياة.

والتربية -في الوقت عينه- أداة فاعلة في تحقيق أهداف المجتمع، وتطوير ثقافته وتغييرها نحو اتجاهات تخدم أغراضه ومتطلباته.

لقد كانت أهداف التربية في المجتمعات قديما هي تنشئة الأطفال بحسب ما كان عليه الراشدون، وإعدادهم جسديا وعقليا لمرحلة الرشد. لكن مع تقدم الفكر الإنساني، والتربوي بخاصة، دفع إلى تغيير شامل في مجال التربية؛ يسير باتجاه النمو المتكامل لأوجه الشخصية الطفلية كافة. فأصبحت أهم أهداف التربية الحديثة أن تجعل حياة الطفل -في أي مؤسسة تشرف على تربيته- حياة غنية وزاخرة بالمثير والمتنوع من الخبرات، من خلال الاعتماد

على الطرائق والأساليب التي تجعله مركزا لعملية التربية، وغايتها التي لا تدانيها غاية. والأطفال بوصفهم أنشودة الوجود وأغنيتها العذبة الحالمة؛ يحتاجون باستمرار للاهتمام الفعلي بجوانب حياتهم، وتأمين احتياجاتهم ومتطلباتهم.

ولعل التربية -التي تمارسها مؤسسات عديدة- هي الأداة الأساس في تحقيق ذلك، إذ تؤدي الدور الأهم في الارتقاء بذواتهم والكشف عن ميولهم ومواهبهم. ولكي تكون عملية التربية جديرة بأهمية الطفولة كمرحلة، وما لها من تأثيرات فكرية وسلوكية وقيمية في المستقبل، كان لا بد أن تحقق شروطا أهمها: توفير الرعاية الكافية وتهيئة الظروف المناسبة، التي تقود إلى نمو سليم جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا. ثم تحقيق احتياج الأطفال إلى احترام شخصياتهم، وإعطائهم فرص التعبير عن الرأي والموقف، وتزويدهم بمختلف المهارات ومساعدتهم على اكتسابها، وحثهم على البحث والتقصي عن الحقائق بأنفسهم، بأحسن الأساليب وأفضلها ووفق معطيات التربية الحديثة. ومن جهة أخرى غرس المفاهيم الإيجابية فيهم، والعمل على الاستغلال الأمثل لميولهم وهواياتهم، بما يطور قدراتهم ويحرر طاقاتهم وإمكاناتهم.

وتشكل تربية الجانب النفسي أو الانفعالي أهم جوانب تربية الأطفال، إذ إن أساليبها المتبعة تترسب في الذهن وتستقر في الوجدان، وتفرز تأثيراتها في مجمل حياتهم مستقبلا. ولعل أهم ما يحتاجه الطفل نفسيا؛ احتياجه إلى الحب والحنان والعطف والشعور بالأمن والطمأنينة والجو المفعم بالمودة ودفء العاطفة دون مبالغة أو إرهاق للطفل. فإهمال حاجاته النفسية هذه أو ما يدعى «الحرمان العاطفي» يمثل أكثر الخبرات المؤلمة لديه. أيضا احتياجه الحرية الكافية لينشئ في ظلها واثقا من نفسه وقدراته. الأمر المهم الآخر من الناحية النفسية، هو استقرار العلاقات الأسرية وتحاشي مظاهر الخلافات بين الآباء والأمهات، والتي من شأنها التأثير سلبا على نفسية الطفل ونشاطه. كذلك تحاشي التفرقة في المعاملة بين الأبناء أو مقارنتهم بأطفال آخرين، وعدم إظهار اللهفة والقلق الزائدين عليهم. كما لابد للقائمين على التربية، وبهدف الحفاظ على توازن الطفل النفسي والانفعالي، النأي عن أساليب القسر في معاملته، وهنا يتفق المربون وعلماء النفس على نتائجها السلبية على حياة الطفل. إلى جانب احتياجات نفسية أخرى كالحاجة إلى التقدير الاجتماعي، وإقامة علاقات إنسانية تتسم بالود والتبادل العاطفي. وللعب دور كبير في الاستقرار النفسي للطفل، إذ يرتبط بنواحي النمو في شخصيته ارتباطا تاما، حيث تؤكد الدراسات تأثيره البالغ في تكوين هذه الشخصية.

ومن أهم خصائص التربية الحديثة بحسب كتاب «التربية وطرق التدريس»[1] هي:

- الاهتمام بالطفل ونموه الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي: وكان هذا الاهتمام نتيجة لتقدم علم النفس وتجاربه، وتقدم تجارب العلوم الأخرى.
- احترام شخصية الطفل: فقد أحاطته التربية الحديثة بالثقة والطمأنينة، وأشعرته بشخصيته وفرديته، ذلك بتمكينه من التعبير عما في نفسه بكل أنواع التعبير كالكلام، واللعب، والرقص، والغناء، والتمثيل، والرسم، والأشغال.
- التعليم عن طريق اللعب والتجربة والممارسة: كانت التربية التقليدية تعتبر اللعب مضيعة للوقت والمجهود، أما التربية الحديثة فترى أنه ضروري لنمو الفرد الجسمي والعقلي، وأنه ميل طبيعي، له غايته التربوية العظيمة.
- التعليم عن طريق العمل والخبرة الشخصية: يرجع هذا المبدأ إلى جعل المدرسة صورة من الحياة، ولا يخفى ما في هذا المبدأ من تشجيع الاعتماد على النفس، وتنظيم عملية التفكير، وتنمية روح التعاون مع الجماعة، والعناية بأسلوب العمل، أكثر من تحصيل المعرفة نفسها.
- خلق الجو الاجتماعي لنمو الطفل وتكامل شخصيته: لأن المدرسة الناهضة جزء من المجتمع، أو هي مجتمع صغير، تمكن الطفل من أن يعامل زملاءه ورؤساءه بالروح الطيبة التي تخلقها هذه المدرسة.
- العناية بصحة الجسم والعقل: بإعداد المدرسة الصالحة لنمو الجسم نموا طبيعيا، وفهم الناحية الوجدانية والنزوعية عند الطفل، وتوجيهها توجيها صحيحا، يتخلص به من العقد النفسية بقدر ما يمكن.

وقد قيل إنه: «إذا عاش الطفل في جو من المشاركة تعلم الكرم، وإذا عاش في جو من الأمانة تعلم العدل، وإذا عاش في جو من الرضى تعلم الحب، وإذا عاش في جو من التسامح تعلم الصبر، وإذا عاش في جو من المعرفة تعلم قيمة الأشياء».

الهامش

١- انظر التربية وطرق التدريس، تأليف: صالح عبدالعزيز، عبدالعزيز عبدالمجيد، القاهرة، دار المعارف، ط١٢، ١٩٧٦م، ج١.



رويدا محمد
باحثة تربوية
مصر

أهمية الحوار مع الأبناء

يعد الحوار من أهم أدوات التواصل الفكري والثقافي والاجتماعي الفعالة التي تتطلبها الحياة في المجتمع المعاصر لما له من أثر في تنمية قدرة الأفراد على التفكير المشترك، وهو من أفضل الوسائل التي تؤدي إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك الإنساني إلى الأحسن، وتزداد أهميته في الجانب التربوي في البيت والمدرسة، خاصة في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت والمخاوف والقلق، فأهميته تكمن في أنه وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل كثير من المشكلات.

فالتربية التي تقوم على الحوار ترفض كل أشكال العنف والإكراه وتسقط الحواجز النفسية فيما بين الوالدين والأبناء (بنين وبنات).

إن الحوار أسلوب موضوعي يتيح للوالدين الفرصة للتعرف على أبنائهم عن كثب من خلال منحهم الحرية في طرح آرائهم وأفكارهم ومقترحاتهم حول الأمور المرتبطة بشؤون الأسرة، ومن ثم يدرك الوالدان أهمية فتح قلوبهم للأبناء، ومد جسور الحوار معهم عندما

يصبحون في مرحلة المراهقة. ولذلك يؤكد المهتمون بالتربية أن الحوار يعد وسيلة الاتصال الأكثر فعالية بين الوالدين والأبناء، وهو الأسلوب الأمثل لتبادل الآراء فيما بينهم، لذلك لابد من البدء باستخدام لغة الحوار منذ مرحلة الطفولة، لكي يعتاد الأبناء على هذه اللغة عندما يصبحون شبابا، والوالدان يبنيان من خلال الحوار تلك العلاقة القوية بينهم وبين أبنائهم. والحوار عندما يكون أسلوبا متبعا داخل الأسرة، فإنه يسهم بشكل كبير في نشر هذا النوع من الثقافة خارج إطارها إلى المجتمع الخارجي، بحيث يصبح لدينا أفراد يملكون القدرة على بناء أفضل العلاقات، ولديهم مهارات عالية في التواصل مع الآخرين بحيث يتقبل كل منهم الآخر في جو من الاحترام والتفاهم.

أسلوب الحوار

لعل ما يدعو للحوار مع الأبناء داخل البيت والمدرسة هو الإيمان بهدف نبيل، وهو تحقيق التقبل عن طريق التواصل مع الأبناء، وهذا يتحقق عن طريق الحوار الإيجابي الذي يتيح فرصة لنمو الأبناء وبناء شخصياتهم بعيدا عن اللوم والحكم المتسرع والتوجيه الجاف وغرس الكبت والعداء في نفوس الأبناء. والحوار الإيجابي لا يحتاج إلى الرسمية، بل هو حوار عفوي له تدريجاته، للطفولة لون وللرجولة ألوان أخرى، لذا يجب على الوالدين أن يفتحوا قلوبهم لأبنائهم كي يعبروا عن آرائهم بحرية وسهولة، وينصتوا لهم. كما يجب أن يبدأ الوالدان الحديث بإظهار مشاعر ودية تجاه أبنائهم، فإظهار الحب والتعاطف أثناء الحوار مع الأبناء يساعدهم في تحقيق استقرارهم النفسي، وتكوين تصور شامل للحياة يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية، ويحمي الأبناء من الوقوع في المشكلات السلوكية أو التربوية والنفسية.

فوائد الحوار مع الأبناء

يحظى الحوار باهتمام كبير من قبل التربويين لإدراكهم أثره الوقائي والعلاجي الإيجابي، ويشيرون إلى أن الإنسان لا يولد ممتلكا لمقومات الحوار وآدابه، وإنما يحصل على ذلك من خلال الأسرة متمثلة في الوالدين حين يثقفون أبناءهم على التعامل والتواصل لحل المشكلات بالحوار، ويتخذونه أسلوبا تربويا للتعامل معهم، ذلك أن الحوار الهادف بين الوالدين وأبنائهم سيعزز بناء العلاقات الإيجابية بين الوالدين والأبناء، ويعزز ثقة الأولاد بأنفسهم ويؤكد وينمي استقلاليتهم، ويشجعهم على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم. ويتفق علماء النفس والتربية في العالم كله على هذه الحقيقة، وهي أن فتح قنوات الاتصال والحوار مع الأبناء هو من أفضل الوسائل المعينة على التربية السليمة، وقبل أي محاولة من جانب الآباء لتغيير سلوك معين في الأبناء المراهقين أو زرع سلوك آخر، لابد أولا أن تكون قنوات الاتصال بينهم وبين الأبناء مفتوحة، وذلك لأن الحوار الهادف البناء هو «الحل السحري» لتربية وتقويم الأبناء. فللحوار أثره في بناء شخصية الأبناء، فالإنسان الذي ينشأ على حوار هادف وبناء سينشأ إنسانا سويا مؤمنا إيمانا قويا بخالقه لا تزعزعه أعاصير ولا تؤثر على عقيدته تيارات فكرية، يتمتع بخلق قويم، محب لدينه ووطنه، خال من العقد النفسية، متعايش مع نفسه قبل تعايشه مع الآخرين، راض وقانع بما وهبه الله عزوجل له من قدرات ومهارات يعمل على تنميتها واستثمارها للخير.

مخاطر انعدام الحوار

عندما ينعدم الحوار بين الوالدين وأبنائهم، يبحث الأبناء عن البديل الذي يمكن أن يحاورونه سواء من الأصدقاء أو عن طريق الإنترنت، وهو ما يشكل خطورة كبيرة، حيث إنه لا يمكن الوقوف على مدى صلاحية هذه المصادر في استقاء المعلومات من عدمها، وهنا يحتاج الأبناء إلى توجيه من الوالدين بالمواقع المفيدة التي يمكن اللجوء إليها.

وصفوة القول هي أن انعدام الحوار بين الوالدين والأبناء قد يتسبب في حدوث مشكلات كبيرة في حال تعرض الأبناء إلى مصادر غير موثوقة لتلقي المعلومات، بالإضافة إلى هذا فإن انعدام الحوار بين الوالدين والأبناء في الصغر يؤدي إلى انقطاع صلة الرحم في الكبر، وإلى انعدام الثقة بين أفراد الأسرة وحدوث المشكلات النفسية المترتبة على انقطاع لغة الحوار في داخل الأسرة.

أ. د. محمد بن عبدالعظيم بنعزوز
أستاذ الدراسات العليا بجامعة ابن طفيل
المغرب



الأسرة والنهوض الحضاري

الحضارة هي عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها؛ إنسانيا وخلقيا وعلميا وأدبيا وفنيا واجتماعيا، وفق المنظور الإسلامي للكون والإنسان والحياة[1]. والإسلام هو الحضارة في كل شرائعه وتنظيماته وقيمه ومبادئه ومثله. والمجتمع الذي يطبق شرع الله مجتمع متحضر والذي لا يطبق شرع الله مجتمع متخلف[2].

والحضارة لغة كما قال الراغب: «الحَضارة والحِضارة السكون بالحضر كالبداوة والبداوة ثم جعل ذلك اسما لشهادة مكان أو إنسان أو غيره، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ (البقرة:١٨٠)، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ (النساء:٨)، وقال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ (النساء:١٢٨)، ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ (التكوير:١٤)»[3].

أما اصطلاحا؛ فيرى ابن خلدون أنها نهاية العمران وخروجه إلى الفساد، ونهاية الشر والبعد عن الخير[4]، وهو يقصد بها التفنن في فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا والعكوف على الشهوات[5]. وعلى هذا الأساس يكون مدلول كلمة «حضارة» عند ابن خلدون هو العمران، الذي يدل على معان كثيرة منها «البقاء (الاستمرار)، والامتداد الزمني، والاجتماع، والكثرة (أو الانتشار)، والعلو والسمو (والتقدم)»[6]. وحضارة أي شعب من الشعوب هي عبارة عن المنظومة الفكرية والاجتماعية والسياسية والخلقية التي تحكم ماضيه وحاضره[7].

فالحضارة هي: «ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة»[8]، هذا

التفاعل إذا لم تكن العقيدة هي محركه الأساسي، فلا يمكن أن نعد الحضارة الناتجة عنه حضارة إسلامية؛ لأنها ستكون حضارة بلا روح كالحضارة الغربية التي تنكرت للخالق سبحانه وتعالى، وصار هدفها التقدم المادي السريع من أجل الربح المادي الكثير، حتى الإنسان الذي من أجل سعادته كانت الحضارة، لم يعد في الغرب إلا أداة من أدوات الحضارة المادية، التي يصح أن نسميها «مدنية».

أما الحضارة بمفهومها الإسلامي فليست موجودة عند من لم يتخذ الإسلام نظاما للحياة في جميع مجالاتها، ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ (الشعراء:١٢٨-١٣٥).

الأسرة والنهوض الحضاري

ولكي تنهض الأمة الإسلامية حضاريا من جديد؛ لابد للأسرة أن تشارك وتقوم بدورها في هذا النهوض حسب شروط نجملها فيما يلي:

١- أن تكون الأسرة هي قاعدة المجتمع لكونها البيئة التي تنشأ وتنمو فيها القيم والأخلاق الإنسانية ممثلة في الجيل الناشئ.

٢- أن تقوم على أساس «التخصص» بين الزوجين في العمل.

٣- أن تكون أهم وظائفها رعاية الجيل الناشئ[٩].

٤- أن يكون الهدف منها هو «إعداد جيل إنساني يخلف الجيل الحاضر في ميراث الحضارة الإنسانية التي يميزها بروز الخصائص الإنسانية، ولا يمكن إعداد جيل يترقى في خصائص الإنسان، ويبتعد عن خصائص الحيوان إلا في محضن أسرة محاطة بضمانات الأمن والاستقرار العاطفي، وقائمة على أساس الواجب الذي لا يتأرجح مع الانفعالات الطارئة»[١٠].

٥- أن تكون الأم قد تلقت في صغرها تربية إسلامية متكاملة حتى تستطيع تربية أبنائها عليها وتطبعهم بطابعها؛ فقد «كان للمرأة دور عظيم في إبراز خير أمة ظهرت على وجه البسيطة.. ولا ريب في أنه لو أريد لهذه الأمة أن تنهض كما نهضت من قبل وأن تحتل مكانتها المنوطة بها والتي شرفها الله بها.. لا ريب أن عليها أولا أن تحسن تربية المحاضن الأولى وتهذبهن بآداب الإسلام وتعلمهن بعلومه»[١١].

٦- يمكن للأسرة المسلمة أن تقوم بدورين أساسيين وهما:

أ- التربية: رعاية الطفل وتكوينه إيمانيا وخلقيا وجسمانيا وعقليا ونفسيا واجتماعيا.

ب- النهوض الحضاري: وهي المرحلة الثانية بعد التربية، فمن دون التربية لا يمكن أن يكون هناك نهوض حضاري. ولا يمكن للمجتمع أن ينهض حضاريا ما لم يكن أفراده قد تلقوا تربية صالحة تجعل منهم أعضاء فاعلين في واقعهم، أقوياء النفوس، راجحي العقول، صالحي القلوب. وحينما نتحدث عن هذا الدور فنحن نتحدث عن بناء الإنسان المسلم الصالح والنافع الذي يستطيع مواصلة البناء التربوي والنهوض الحضاري بالأمة المسلمة، والخلافة في الأرض، وبعمرانها بالخير والنماء والعدل.

إن الدور التربوي الحضاري للأسرة المسلمة يتمثل في تكوين رجال قادرين على دفع أمتهم إلى الأمام، حتى تتبوأ المكانة التي ارتضاها لها خالقها، وهي أنها أمة شاهدة على غيرها من الأمم بتوحيد الله، وبالدين الذي حفظه الله من التحريف والتدليس ومن مطامع البشر.

والنهوض الحضاري عمل جماعي، لذلك فإن من واجب جميع الأسر المسلمة أن تقوم بدورها الكامل في التربية حتى تساهم في ذلك. وحينما نقول جميع الأسر فنحن نقول المجتمع؛ لأن بناء الأمة المسلمة الواحدة الصالحة لابد أن ينطلق من بناء أسر مسلمة صالحة.

ولا يمكن للتربية الأسرية أن تؤتي أكلها في ظل مجتمع منحرف وواقع بعيد عن الله تعالى. لذا من واجب الأسرة المسلمة أن تتضافر جهودها مع أسر أخرى، وتسعى إلى تغيير هذا الواقع وفقا لسنة الله في التغيير، وذلك بأن تغير هذه الأسر ما بنفوس أفرادها نحو الأصلح والأحسن، نحو التمسك بالإسلام تمسكا قويا حتى تستطيع تقديم القدوة لغيرها، والسعي لتغييرها إلى الأفضل، عملا بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، وقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥)، فالدعوة إلى الله هي سبيل تغيير المجتمع مما يشوبه من انحراف.

إن الحكمة من خلق الإنسان ووجوده على الأرض، والمتمثلة في العبادة وأداء الأمانة والاستخلاف والعمران، هي نفسها الحكمة الكامنة في مختلف مراحل حياته الاجتماعية، ومنها التعارف والزواج وتكوين الأسرة وتربية الأولاد؛ فالإنسان يهيئ أولاده بواسطة التربية للقيام بالمهام نفسها التي يقوم

بها والمتمثلة في الحكمة من وجوده أصلا، وهي كلها أهداف حضارية تتحقق من خلال التربية الإسلامية الواعية بالواقع.

وصلاح الجيل الناشئ بصياغته وفق ما يريده الله له، مع مراعاة خصائص واقعنا داخليا وخارجيا وموقعنا فيه ومتطلباته العاجلة والآجلة وأولويات العمل المطلوبة فيه، قمين أن يدفع أمتنا خطوات إلى الأمام؛ لأنه لا يمكن أن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهو الإسلام الذي هو في الوقت نفسه سر تقدمها الحضاري ماديا ومعنويا. فلولا الإسلام ما استطاعت القبائل العربية المتناحرة فيما بينها، والتي كانت تحول دون استمرار النوع البشري بوأد البنات، وانتهاك الإنسانية بالاسترقاق وهتك الأعراض واختلاط الأنساب والقهر والظلم والتسلط، أن تبني حضارة عظيمة سعدت بعطاءاتها الإنسانية جمعاء قرونا من الزمن، ومازال الكثير من الشعوب المتقدمة حاليا ينعم بثمارها لأنها استثمرتها وطورتها، ونحن ضيعناها وأهملناها.

التجربة النبوية

ويجب على الأسرة المسلمة أن تستفيد من تجربة رسول الله ﷺ بصفته مربيا ومعلما وبانيا أول للحضارة الإسلامية في تربية أصحابه وتأهيلهم للنهوض الحضاري، وكيف جعل من عرب متخلفين أميين بناة حضارة وقادة أمة؛ لقد شغل فيهم طاقاتهم وملكاتهم التي زودهم الله بها ووجهها نحو الوجهة الصحيحة وهي: «طاقة العمل»، وطاقة المشاركة في العمل العام، إذ قال ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وتبعتم أذناب البقر وتركتم جهادكم سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تعودوا إلى دينكم» (رواه أحمد وأبو داود)، وطاقة الغريزة، حيث قال: «تزوجوا الولود الودود» (رواه أبو داود والنسائي)، والطاقة الجسمانية، فقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (رواه مسلم)، وملكة حسن الهندام: قال رسول الله ﷺ: «إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا نعالكم، أو قال: رحالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله عزوجل لا يحب الفحش ولا التفحش» (رواه البيهقي).

فلا توجد طاقة من طاقات الانسان إلا وأطلقها رسول الله ﷺ في طريقها الصحيح، فأصبحنا نرى من أصحابه العجب، في تكامل شخصياتهم عبادا زهادا شجعانا محاربين عادلين رحماء إداريين سياسيين حكماء مربين، كل واحد منهم أمة، وما أسهل عليه أن يقود أمة، ولا أدل على ذلك من أنه ندر وجود واحد منهم لم يصبح أميرا بعد ذلك ولم يفشل واحد منهم في ما ولي من قيادات[12].

لقد قضى رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة في تربية بناة الحضارة الإسلامية الأوائل وتكوينهم، وهي السنوات نفسها الضرورية لتربية الأولاد حتى يستطيعوا الإسهام في البناء الحضاري لأمتهم.

وربى رسول الله ﷺ أصحابه وأهلهم للنهوض الحضاري عبر مرحلتين[13]:

أ- المرحلة المكية: وكانت مرحلة تربية وتكوين، لذلك ركزت آي القرآن وسوره المكية على جانب العقيدة؛ أي بناء النفوس المؤمنة وتربيتها.

ب- المرحلة المدنية: وكانت مرحلة بناء وتشييد ودعوة إلى الله وجهاد في سبيله، وركزت آي القرآن وسوره المدنية على الأحكام والتشريعات والنظم التي تتفق ومتطلبات بناء الدولة الإسلامية.

وهذا يدل على أن التربية هي التي مكنت من النهوض الحضاري.

وإذا تحقق دور الأسرة في التربية، فإن دورها في النهوض الحضاري سيتحقق. والنهوض الحضاري لا يتأتى إلا بتنشئة وإعداد شخصيات مسلمة قوية في إيمانها وخلقها وعقلها ولا تعوزها القوة المادية. ولابد في هذا النهوض من الاعتماد على قوة العقيدة وقوة العلم والجهاد بمختلف أنواعه.

إننا حينما نربي أبناءنا فنحن نعدهم للمستقبل؛ ليصبحوا شبابا قادرين على العطاء. وحتى يصيروا كذلك، لابد للتربية الأسرية من القيام بواجبها على أحسن وجه حتى ينشأ الأبناء بشخصية قوية متكاملة متوازنة قادرة على الأخذ بسنن الله في الكون والحياة، والتي تمكنهم من النهوض.

الهوامش

١. علي أحمد مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص:٢٤٤-٢٤٥، بتصرف قليل.
٢. انظر معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص:١١٦.
٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص:١٢٩.
٤. انظر المقدمة، تحقيق: محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص:٣٠٠.
٥. نفسه، ص:١٠٦.
٦. خالد أبو الفتوح، الحضارة، مجلة البيان المنتدى الإسلامي، لندن، ع:١٤٦، شوال ١٤٢٠هـ يناير/فبراير ٢٠٠٠م، ص:١٣٦.
٧. محمد عبدالسلام الجفائري، دارسة لكتاب «الإسلام ومستقبل الحضارة» لصبحي الصالح، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ع:٨، ١٩٩١م، ص:١٩٦.
٨. من المسؤول عن تخلف المسلمين؟، مكتبة الفارابي، دمشق، ص:٩٨-٩٩.
٩. انظر معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص:١٢٣.
١٠. نفسه، ص:١٢٥.
١١. محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان، الدار السعودية، جدة، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص:٦٢.
١٢. سعيد حوى، رسول الله ﷺ، ج١، دار عمار، عمان، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص:١٨٢-١٨٣.
١٣. الخصائص العامة للإسلام، دار المعرفة، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص:١٨٢.



حسن بن محمد
كاتب وباحث
تونس

العيد.. وتعزيز القيم

يعتبر العيد مناسبة للفرح والاحتفال لدى كل العائلات المسلمة، وهو منحة ربانية يشعر فيها المسلمون بالسرور بعد أن أدوا العبادات وفازوا برضى الله تعالى، وفي يوم العيد يرتدي الناس، صغارا وكبارا، أجمل ما لديهم من الثياب، وذلك لأن إظهار الفرح في هذا اليوم يعد تمسكا بالسنة النبوية.

والعيد مناسبة سنوية لتكريس العديد من القيم والمبادئ الإسلامية لدى الطفل؛ من ذلك أنه يجب على الطفل أن يدرك أن العيد ليس مناسبة لارتداء الثياب الجديدة وإنفاق المال وتلقي العيدية والهدايا فقط، بل هو يوم عظيم وجب فيه العمل على توطيد العلاقة مع الأقارب والأصدقاء، وكذلك السعي إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين، ورسم البسمة على شفاه الأطفال اليتامى والمحرومين.

ومن المعلوم أن زكاة الفطر فريضة دينية واجبة على كل مسلم قادر عند انتهاء شهر رمضان، وغالبا ما يتم توزيعها على العائلات الفقيرة، ويكون ذلك إما ليلة العيد، أو قبل صلاة عيد الفطر.

ومن المهم أن يتعرف الطفل إلى المعنى الإنساني الكبير لهذا الواجب الديني، ولذلك على الوالد أن يصطحب ابنه معه أثناء تأدية هذه الفريضة، وبذلك يتعلم الطفل أن الزكاة والعطاء هما من أهم ما يمتن العلاقات والروابط بين المسلمين.

وكما تعتبر صلاة العيد من أهم أركان هذا اليوم العظيم لدى المسلمين، فعلى الأب أن يحرص على مرافقة أبنائه إلى المسجد لأداء صلاة العيد، وهذا يعد سلوكا قويما من شأنه أن يكرس لديه حب الصلاة والتردد على المساجد، كما تكون للطفل إثر صلاة العيد فرصة للتواصل الاجتماعي مع عدد كبير من الناس، خصوصا وأنه بعد انتهاء الصلاة والخطبة يقدم جميع من في المسجد إلى تهنئة بعضهم بعضا وإن لم يكونوا على معرفة مسبقة، وكما تكون الابتسامة والتحية والتهنئة من الأمور التي تسود في مثل هذه المناسبة مما يوطد العلاقات الإنسانية والاجتماعية.

ومن المعلوم أنه وبمناسبة حلول العيد يتلقى الطفل بعض النقود من الأهل والجيران والتي تسمى بـ«العيدية»، وعليه أن يتعلم توجيه الشكر إلى كل شخص قدم له هدية، وأن يعبر له عن سروره بها، وعادة ما ينفق الطفل العيدية في شراء الحلوى واللعب، وللأسرة أن توجهه وترشد نفقاته، وبإمكانها أن تقترح عليه تخصيص جزء من العيدية لشراء هدية لطفل فقير أو يتيم.

والعيد مناسبة لترسيخ مبدأ التسامح لدى الطفل، فإذا كان الطفل قد تشاجر مع أحد من أصدقائه فيمكن للأسرة أن تساعده في استعادة أواصر الصداقة من جديد، وتعلمه أن العيد مناسبة ننسى فيها خلافاتنا وشجاراتنا، وتشجعه على التواصل مع أصدقائه وتهنئتهم بالعيد والاعتذار منهم إذا كان قد أساء إلى أحد منهم أو أخطأ في حقه.

واليوم هناك الكثير من العائلات التي تعاني من ضغوط الحياة على مدار السنة، وذلك بسبب انشغال الأب والأم بأعمالهم أو بسبب الخلافات الأسرية أو الظروف الاجتماعية القاهرة، ولذلك فإن العيد يعتبر مناسبة مهمة لكسر هذه الضغوط وفتح نافذة جديدة لإدخال الفرح والسرور على أفراد الأسرة.



فهد خلف الشمري

الحرمان الشريفان.. الواقع والمستقبل

من منطلق المكانة العظمى للمسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة، ولما لهما من أثر عظيم في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض، كان الاهتمام بعمارة الحرمين الشريفين والعناية بشؤونهما منذ عهد الإسلام الأول مناط اهتمام الدول الإسلامية المتعاقبة منذ عهد الخلفاء الراشدين، وحتى وقتنا الحالي.

ويعد عهد الدولة السعودية الثالثة، العصر الذهبي لعمارة الحرمين الشريفين والاهتمام بخدماتهما، بدءا من المؤسس الملك عبدالعزيز، رحمه الله، الذي أمر في العام ١٣٤٤هـ بترميم المسجد الحرام وتجديد الجدران والأعمدة والمطاف، وإنشاء أول مصنع لكسوة الكعبة المشرفة في منطقة أجياد بمكة المكرمة.

التوسعة السعودية الأولى

أعطت الدولة السعودية في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز اهتماما خاصا بتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي، وفي عهده جاءت التوسعة الأولى للمسجد الحرام سنة ١٣٧٥هـ، حيث اشتملت على بناء المسعى بطابقيه، وبناء درج للصفا وآخر للمروة، وعمل توسعة للمطاف، لتصل الطاقة الاستيعابية للمسجد إلى ٣١٣ ألف مصل، فيما كانت سابقا لا تتجاوز ٣٠ ألف مصل، وفي العام نفسه تم الاحتفال بإنجاز أول توسعة للمسجد النبوي في المدينة المنورة.

وفي عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز اكتملت أعمال التوسعة السعودية الأولى للحرمين الشريفين الذي أمر في العام ١٣٩٣هـ بالبدء في توسعة المسجد النبوي والاستمرار في أعمال التجديد والتطوير في المسجد الحرام

بمكة المكرمة، لتصل طاقة المسجد الاستيعابية إلى ٤٠٠ ألف مصل، وتعديل التصميم الأصلي للتوسعة للاحتفاظ بمباني المسجد في العهد العثماني، وتم تشييد مناراتين للمسجد الحرام وأنشئت مكتبة الحرم الشريف، وتجديد مصنع كسوة الكعبة، ثم بدأت المرحلة الثانية من التوسعة السعودية الأولى للحرمين الشريفين في عهد الملك فيصل وتحديدا في العام ١٣٩٣ هـ، واستمرت في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز الذي أمر بصنع باب للكعبة المشرفة من الذهب الخالص، كما أمر بإزالة العقد ومنبر الرخام العثماني لتوسعة المطاف والبدء في أعمال المرحلة الأولى من نقل مدخل بيت زمزم، وفرش المسجد الحرام، وإنجاز مشروع تكييف المسعى لأول مرة في تاريخه، لتصل الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام إلى ٦٠٠ ألف مصل، ولتكمل بذلك المرحلة الثالثة من التوسعة السعودية الأولى.

التوسعة السعودية الثانية

وفي العام ١٤٠٩ هـ وضع الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود حجر الأساس لما عرف في حينها بمشروع أكبر توسعة للمسجد الحرام منذ أربعة عشر قرنا، حيث شهد الحرمان الشريفان مراحل مهمة من التطوير والمتابعة، وبدأت أعمال توسعة الساحات الخارجية للمسجد الحرام لتتمكن من استيعاب ما يزيد عن ١٩٥ ألف مصل، وشملت هذه التوسعة إضافة جزء جديد إلى المسجد من الناحية الغربية، والاستفادة من السطح العلوي للمسجد، لتصل الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام إلى مليون مصل ومعتمر.

وفي عهد الملك فهد بن عبدالعزيز ظهر لقب «خادم الحرمين الشريفين» حيث



تنازل رحمه الله عن جميع الألقاب واختار لقب خادم الحرمين الشريفين، ليؤكد بذلك رؤيته الجدية في تحقيق أكبر مشاريع التوسعة للحرمين الشريفين، وتم تعبيد الطرق وإقامة الجسور وتوفير المستشفيات المتنقلة في المشاعر المقدسة، وتم بناء مئذنتين جديدتين، كما اشتملت أعمال التوسعة على إنشاء مدخل رئيس جديد، و١٨ مدخلا عاديا لتضاف إلى المداخل الموجودة سابقا، لتكتمل بذلك التوسعة السعودية الثانية للحرمين الشريفين والتي تعد خمس أضعاف التوسعات التي يشهدها الحرمان الشريفان منذ عهد النبي ﷺ.

التوسعة السعودية الثالثة

شهد عهد الملك عبد الله بن عبدالعزيز انطلاق مرحلة التوسعة السعودية الثالثة للحرمين الشريفين، حيث اشتملت على ثلاثة محاور رئيسية؛ الأول هو توسعة الحرم المكي، ليتسع بعد التوسعة لمليوني مصل، والثاني توسعة الساحات الخارجية، وإضافة دورات مياه وممرات وأنفاق ومرافق مساندة، أما الثالث فمنطقة الخدمات والتكييف ومحطات الكهرباء ومحطات المياه وغيرها، وتصل مساحة التوسعة إلى ٧٥٠,٠٠٠ متر مربع.

وقد جاءت خطة التطوير لتشمل أكبر توسعة في تاريخ المسجد الحرام، وتشمل تطوير المسجد من جميع النواحي العمرانية والفنية والأمنية، لتصل الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام في الوقت الحالي إلى ١,٦٠٠٠٠٠ مصل.



فوزي تاج الدين محمد
باحث وكاتب مصري

فنان الخط الكويتي فريد العلي
صاحب لوحات أسماء اللّه الحسنى



يعد الخط العربي فنا تعبيريا يفرغ فيه الخطاط عبقريته وشخصيته وخياله، فيعطي به تكوينا رائعا، يجبر فيه المشاهد المعنى الممتزج بالشكل الدال عليه، كما يعد عنصرا مهما من عناصر الزخرفة العربية الإسلامية؛ باعتباره صورة تتضمن صوتا وشكلا ومعنى مرئيا.

من فناني الخط العربي الفنان الكويتي فريد العلي، الذي يؤمن بأن كتابته للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بخط جميل وفي إطار تشكيلي مؤثر نوع من العبادة يتقرب به إلى اللّه عزوجل، وأن الدافع الأساسي هو تخليد كلام اللّه – سبحانه وتعالى.

والخط العربي يعد فنا إنسانيا عاما وليس أدل على ذلك من أن فناني الغرب استخدموه في الكنائس مثل كنيسة القديس بولس في روما، ولم لا وهو سيد الفنون العربية والإسلامية.

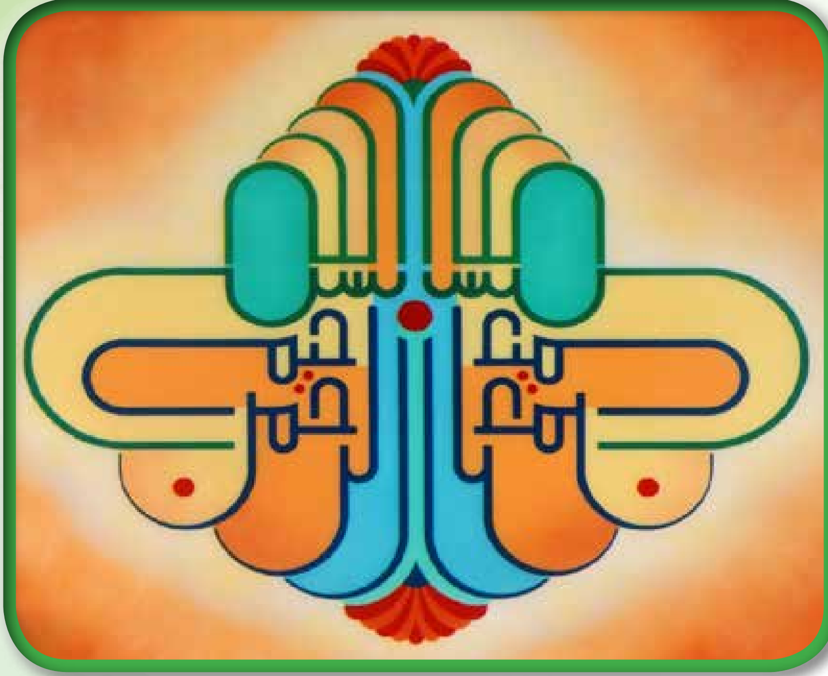
وحول تجربته في تصميم «لفظ الجلالة» و«محمديات» أشار الفنان فريد العلي –أمين سر الجمعية

الكويتية للفنون التشكيلية- إلى أهمية فن الخط العربي قائلا: «إنه الفن الصامد في وجه متغيرات الزمن، وهو العمود الفقري للفنون الإسلامية، وهو الجمال الذي ألمسه في كل حرف من حروف اللغة العربية».

مر الفنان فريد العلي بعدة مراحل خلال مسيرة عشقه لفن الخط، بدأت بالنشأة الفنية والموهبة التي وظفها في عمل لوحات تشكيلية، ثم انتقل إلى محاكاة الخطوط الأصيلة وتقليدها، ثم دراسته للهندسة المعمارية، مما كان له أكبر الأثر في تطوير إمكاناته التي تجلت في تصميم لوحات خطية محورها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

لقد انفرد فريد العلي بتصميم ٩٩ تشكيلا فنيا للفظ الجلالة، بعدد أسماء الله الحسنى -بعيدا عن الألوان- مستخدما اللونين الأبيض والأسود تقديسا واحتراما للفظ الجلالة، في رحلة إيمانية استمرت ما يقرب من سنتين، ضمنها في كتابه «تشكيلات في لفظ الجلالة» ١٩٩٧م، لتنتشر تلك التشكيلات في أماكن كثيرة من دول العالم.

بعد هذا النجاح طرح فريد العلي على نفسه سؤالا: ماذا أقدم بعد لفظ الجلالة؟ جاءته الإجابة التي تمثلت في أن اسم الرسول الكريم ﷺ مقترن بلفظ الجلالة في التشهد، كانت تلك الإجابة في اللحظة المبدعة التي جعلته يبحث إلى أن وجد كتابا يحتوي على ٤٣٤ اسما وصفة للرسول ﷺ، فقضى من عمره ست سنوات أنتج خلالها ١١ مجموعة من تشكيلات فنية، مستهدفا بذلك إبراز إمكانيات الخط العربي ونشره في



العالم أجمع، وتغيير صورة الإسلام التي شوهها الغرب.

وتقديرا لجهوده المتميزة في هذا المجال حصل على جائزة «خادم القرآن الكريم» في المعرض الدولي الحادي عشر للقرآن الكريم عام ٢٠٠٣م، كما أسندت إليه مهمة تنفيذ بعض التشكيلات الفنية للفظ الجلالة في بعض المساجد -التي بنيت حديثا- في مصر والهند



والصين وإيران، وكرم بشهادة تقدير خاصة من سمو الشيخ سعد العبدالله الصباح، وكذلك قيامه بتصميم ٤ نصب تذكارية بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الخامس في الكويت عام ١٩٨٧م.

يشارك فريد العلي بجهوده من خلال عضوية العديد من الجمعيات منها: الجمعية العالمية للفنون التابعة لمنظمة اليونسكو، والجمعية المصرية للخط العربي، وجمعية الإمارات للفنون التشكيلية، والجمعية العربية للفنون التشكيلية، واستخدامات الجرافيك، ولإيمانه بأهمية العمل الخيري أقام أكثر من ١٣ معرضا فنيا في الكويت وإسبانيا وكندا، كما شارك -ممثلا للكويت- في أكثر من ٤٥ معرضا فنيا وملتقى دوليا في معظم الدول العربية والإسلامية والأوروبية.

تهنئة لعاشق الخط العربي ومجسد «لفظ الجلالة» واسم «محمد رسول الله»، لعطائه المستمر، وبلوغه سن الثانية والستين.

هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر



الداعية المجاهد

الشيخ عبدالفتاح أبوغدة

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

● له ولع شديد بكتب العلم، يتتبعها في مظانها، ويصرف وقته وجهده وماله في سبيل اقتنائها وخدمتها.. لدرجة إن علم أن كتابا يرغبه في مكان ما، سافر إليه آلاف الأميال وضرب في أصقاع الأرض، ليحصّله، بل ربما نذر النذور أو باع أغلى ما عنده ليشتري مرجعا يطلبه؛ حتى غدا أحد أهم المراجع الحية في العالم الإسلامي في معرفة الكتب؛ مخطوطها ومطبوعها، وتجمعت لديه مكتبة بها أمهات الكتب والنسخ النادرة.

● نشاطه في طلب العلم كان عجيبا، وتميز بخدمته ونشره؛ فكثرت أسفاره إلى مختلف أرجاء العالم، فلا تكاد تراه مستقرا في مكان حتى يشد الرحال إلى غيره بمجرد علمه أن هناك من يمكن أن يأخذ عنه علما، أو بيئة صالحة يستطيع أن يدعو إلى الله فيها، ففضلا عن معظم الدول العربية، زار الهند وباكستان وتركيا وأميركا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا وماليزيا وهولندا.. وغيرها كثير.. إنه العلامة، الفقيه، الأصولي، المحدث المجاز، الإمام المحقق في علم الحديث ومصطلحه، الرحّالة في طلب العلم ونشره، الداعية المجاهد الشيخ عبدالفتاح بن محمد بن بشير بن حسن أبو غدة.

النشأة والتكوين العلمي

● ولد في مدينة حلب الشهباء، في ١٧ رجب ١٣٣٥هـ الموافق ٩ مايو ١٩١٧م، في حي الجبيلة لأسرة عرفت بالفضل والصلاح وحب العلم والعلماء.. ينتهي نسبها (من جهة والده) إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه.

● في أحد كتاتيب حيه تلقى تعليمه الأولي، ثم انتقل إلى إحدى المدارس الابتدائية، وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره التحق بمدرسة الخسروية (نسبة إلى خسرو باشا، وتعرف الآن بالثانوية الشرعية)، وفيها درس مختلف العلوم الشرعية. أما علوم اللغة العربية فقد درسها في حلب، كما حصّل بعض العلوم الكونية كالرياضيات والفيزياء والعلوم العامة والجغرافيا.

قاهرة المعز.. ومشايخه

● بعد الخسراوية قصد مصر، والتحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتخرج فيها عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ثم درس تخصص «أصول التدريس» في كلية اللغة العربية في الأزهر أيضا وتخرج فيها عام ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، بعدها آب إلى حلب.

● في القاهرة التقى أكثر شيوخه تأثيرا في تكوينه العلمي أمثال: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ المفتي حسنين محمد مخلوف، والشيخ محمد أبو زهرة.. وكثر غيرهم.

● لكن شيوخه ومعلميه لم يقتصروا على سورية ومصر فقط، بل جلس تحت أقدام علماء الأمة المعاصرين له، الذين بلغوا مئة وثمانين شيخا

(بحسب كتاب «إمداد الفتاح بأسانيد عبدالفتاح» لتلميذه الشيخ محمد الرشيد النجدي)، وأكثرهم أخذ عنهم علم الحديث الشريف، وحصل على إجازاتهم: ففي الهند، أخذ من: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي والشيخ المفتي عتيق الرحمن والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.. وغيرهم، وفي باكستان: الشيخ محمد شفيع والشيخ عبدالرشيد النعماني، وفي المغرب: الشيخ أحمد الغماري، والشيخ عبدالله الغماري والشيخ عبدالحفيظ الفاسي.. وغيرهم، وفي الحجاز: الشيخ محمد ياسين الفاداني والشيخ حسن بن محمد المشّاط والشيخ السيد علوي بن عباس المالكي.. وغيرهم.

حياته العملية

● بعد تخرجه في الأزهر عاد إلى حلب؛ فعمل مدرس تربية دينية في عدد من ثانويات حلب، وشارك في تأليف بعض كتبها، كما كانت له دروس في الفقه الحنفي والحديث الشريف في مدرستي «الخسروية»، و«الشعبانية»، ثم انتدب للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

● في عام ١٩٦١م، انتخب نائبا في البرلمان السوري، فبذل وسعه في نصرة قضايا الإسلام والمسلمين، بعدها بأربعة أعوام حُلّ المجلس، فغادر الشيخ إلى السعودية، ليعمل مدرسا في جامعتي الرياض والإمام محمد ابن سعود (والأخيرة كان عضوا في مجلسها العلمي، وعضوا في لجنة وضع الخطط والمناهج العلمية فيها)، كما عمل أستاذا في المعهد العالي للقضاء، وأستاذا لطلاب الدراسات العليا، ومشرفا على الرسائل العلمية، وانتدب أستاذا زائرا إلى كل من: جامعة أم درمان الإسلامية، والجامعة الأردنية، وجامعة صنعاء، وجامعات: المغرب والهند وباكستان وتركيا والجزائر.. وغيرها.

عن الشيخ

● أسرته الكتب؛ اقتناء وقراءة وتأليفا وتحقيقا واعتناء، وشُغف بمختلف ألوان الثقافة؛ وكان، رحمه الله، يقول: «الكتب هي الرئة التي يتنفس العالم أو طالب العلم من خلالها».

● كان مهيب الطلعة، منير الوجه، كساه الشيب إشراقا ووقارا، ومنحه اشتغاله بذكر الله وبحديث النبي ﷺ وسيرته صفاء واستبشارا.. وكانت له عناية فائقة وخاصة بكتبه ومكتبته وطريقة تعامله مع الكتاب.

● تميز بأدب رفيع تجاه السلف الصالح، يشهد بذلك كتاباه: «قيمة الزمن عند العلماء»، و«صفحات من صبر العلماء على الشدائد»، يقول في مقدمته لهذا الكتاب: «وترجمت على صاحب الخبر المذكور في الأصل أو التعليق، لئلا أدخل تحت قول الإمام أبي محمد التميمي الحنبلي البغدادي: يقبح بكم أن تستفيدوا منا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا».

مؤلفاته.. وزوجته

● للشيخ أكثر من سبعين مؤلفا، أغلبها في علم الحديث، منها: المحققة: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» للإمام عبدالحي اللكنوي، «قواعد في علم الحديث» لشيخه الشيخ ظفر أحمد التهانوي الباكستاني الحنفي، «فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية» وهو في فقه الإمام أبي حنيفة.. وكثير غيرها. والمؤلفة: «قيمة الزمن عند العلماء» و«أمراء المؤمنين في الحديث» و«الإسناد من الدين».. وكثير غيرها.

● الشهرة، وإن عمت الآفاق، لم تكن هدفا له، لكن الحرص على خدمة الكتاب؛ شكلا ومضمونا، كان شغله الشاغل، ولذا كان الكتاب يبقى لديه حبيس التأليف والتحقيق سنين طويلة، حتى إذا اطمأن إلى قرب اكتماله وعلو فائدته، أرسله إلى المطبعة، وعكف شخصيا على مراجعته مرات تلو مرات، تعاونه في ذلك زوجته بجهد لا يفتر، لاسيما بعد أن ضعف بصره، فما توقف إنتاجه العلمي حتى آخر أيام حياته.. فجزاها الله أفضل الجزاء.

إسهاماته في «الوعي»

● للشيخ مساهمتان في المجلة، جاءت أولاهما تحت عنوان «قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (١)» (العدد: ٥٤، جمادى الثانية ١٣٨٩هـ/أغسطس ١٩٦٩م)، والثانية بعنوان: «قبسات من تاريخ القضاء في الإسلام (٢)» (العدد: ٥٨، شوال ١٣٨٩هـ/ديسمبر ١٩٦٩م).

وفاته

● في أواخر حياته تسلمته الآلام؛ فتحملها بصبر واحتساب، وفي يوم الأحد ٩ شوال ١٤١٧هـ، توفي في الرياض، مخلفا حزنا وأسى في أرجاء العالم الإسلامي، وصُلي عليه، ثم نقل جثمانه في طائرة خاصة إلى المدينة، وأعيدت الصلاة عليه في حرم المصطفى ﷺ ثم ووري الثرى في «البقيع»، وأقيمت له مجالس عزاء عدة في: الرياض، المدينة، حلب (مسقط رأسه)، دمشق وبيروت.. وكثير من مدن العالم الإسلامي، ونعته وكتبت عنه صحف ومجلات، ورثاه عدد من شعراء العالم الإسلامي.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي»
٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣- موقع الشيخ عبدالفتاح أبوغدة على الإنترنت.
٤- رابطة العلماء السوريين.



د. رياض منسي العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٣٢)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.





المتفق والمفترق في اسم (القونوي):

١- صدر الدين القونوي (ت:٦٧٣هـ):

هو صدر الدين محمد بن إسحاق بن محمد القونوي الشافعي، صوفي، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين بن عربي، تزوج الشيخ ابن عربي أمه ورباه.

من مصنفاته: (النصوص في تحقيق الطور المخصوص)، و(اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية)، و(إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن)، و(شرح الأحاديث الأربعينية)، و(شرح الأسماء الحسنى) وغيرها من المصنفات.

توفي بقونية[١].

٢- علاء الدين القونوي (ت:٧٢٩هـ):

هو علاء الدين أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي، فقيه، متكلم، أصولي، صوفي.

ولد بقونية سنة ٦٦٨هـ، ثم نزل بدمشق وانتقل إلى القاهرة، ثم ولي قضاء الشام فأقام بدمشق.

من مصنفاته: (شرح الحاوي الصغير)، و(الابتهاج في انتخاب المنهاج للحليمي)، و(التعرف لمذهب التصوف)، و(الطعن في مقالة اللعن)، توفي بدمشق[٢].

٣- جمال الدين القونوي (ت:٧٧٠هـ):

هو جمال الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي، قاض، له مشاركة في العلوم العقلية، نشأ في دمشق، وولي قضاءها.

من مصنفاته: (الزبدة في شرح العمدة) في أصول الدين، و(مشرق الأنوار في مشكل الآثار)، و(التفريد في شرح التجريد) للقدوري، و(تهذيب أحكام القرآن)، و(شرح عقيدة أهل السنة والجماعة)، و(خلاصة النهاية في فوائد الهداية) في فروع الحنفية.

توفي بدمشق[٣].

٤- شمس الدين القونوي (ت:٧٨٨هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن يوسف بن إلياس القونوي الحنفي.

ولد في قونية سنة ٧١٥هـ، وقدم إلى دمشق بأهله وولده، فأقام بالمزة.

من مصنفاته: (درر البحار) فقه، و(مختصر شرح مسلم للنووي)، و(رسالة في الحديث)، و(شرح تلخيص المفتاح) في البلاغة، و(شرح مجمع البحرين) فقه، و(شرح عمدة النسفي) في أصول الدين.

ومات بالمزة بالطاعون[٤].

٥- قاسم القونوي (ت:٩٧٨هـ):

هو قاسم بن عبدالله القونوي، الرومي، الحنفي، فقيه.

من تصانيفه: (أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء)[٥].

٦- عصام الدين القونوي (ت:١١٩٥هـ):

هو عصام الدين أبو الفداء إسماعيل ابن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي، مفسر، فقيه.

ولد بقونية، ثم انتقل إلى دمشق، ومن مصنفاته: (حاشية على تفسير البيضاوي)، و(حاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة)، و(الرسالة الضادية)، و(شرح أربعين حديثا) توفي بدمشق[٦].

الهوامش

١- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٤٦/٨)، والأعلام للزركلي (٣٠/٦)، ومعجم المؤلفين (٤٣/٩).

٢- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٣٢/١٠)، والأعلام للزركلي (٢٦٤/٤)، ومعجم المؤلفين (٣٧/٧).

٣- ينظر: الفوائد البهية للكنوي (ص:٢٠٧)، والأعلام للزركلي (١٦٢/٧)، ومعجم المؤلفين (١٤٩/١٢).

٤- ينظر: بغية الوعاة (٢٨٧/١)، والأعلام للزركلي (١٥٣/٧)، ومعجم المؤلفين (١٢٢/١٢).

٥- ينظر: هدية العارفين (٨٣٢/١)، ومعجم المؤلفين (١٠٥/٨).

٦- ينظر: سلك الدرر (٢٥٨/١)، والأعلام للزركلي (٣٢٥/١)، ومعجم المؤلفين (٢٩٤/٢).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

حول مائدة المعرفة

حول مائدة المعرفة

تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة

إشراف
عباس محمود العقاد
عثمان نويه
ثروت أباظة

١

من مكتبة جدّي

- ديكنز: صديقنا المشترك
- وايلد: أهمية الجدّية
- مل: مقال عن الحرية
- فيتزجيرالد: رباعيات الخيام
- موباسان: قصص قصيرة

ترجمة:
عثمان نويه

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي سلسلة «حول مائدة المعرفة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بسلسلة «حول مائدة المعرفة»

هي سلسلة تقوم على جمع كتب مأثورة وأفكار خالدة، ثم تقوم بتفسيرها وتقريبها للقارئ، أشرف عليها جمع من الأدباء الكبار: عباس محمود العقاد، عثمان نويه وثروت أباظة. وقد صدر أول نسخة من السلسلة في: يناير من عام ١٩٦١م. وقد كتب العقاد مقدمات أجزائها وفصولها حتى عام ١٩٦٤م، وهو العام الذي توفي فيه.

التعريف بعباس محمود العقاد

أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري، ولد في أسوان عام ١٨٨٩م، وهو عضو سابق في مجلس النواب المصري، وعضو في مجمع اللغة العربية، لم يتوقف إنتاجه الأدبي على الرغم من الظروف القاسية التي مر بها؛ حيث كان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول، كما كان يترجم لها بعض الموضوعات، ويعد العقاد أحد أهم كتاب القرن العشرين في مصر، وقد ساهم بشكل كبير في الحياة الأدبية والسياسية، وأضاف إلى المكتبة العربية أكثر من مئة كتاب في مختلف المجالات.

اشتهر بمعاركه الأدبية والفكرية مع الشاعر أحمد شوقي، والدكتور طه حسين، والدكتور زكي مبارك، والأديب مصطفى صادق الرافعي، والدكتور العراقي مصطفى جواد، والدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، كما اختلف مع زميل مدرسته الشعرية الشاعر عبدالرحمن شكري، وأصدر كتابا من تأليفه مع المازني بعنوان «الديوان»، هاجم فيه أمير الشعراء أحمد شوقي، وأرسى فيه قواعد مدرسته الخاصة بالشعر، له عدة مؤلفات، توفي العقاد في القاهرة عام ١٩٦٤م.

المنهجية المتبعة في السلسلة

هذه السلسلة هي من المجاميع المتوالية، تشتمل كل حلقة منها على نخبة من الكتب الحية، التي عاشت قبل العصر الحاضر جيلا أو جيلين، أو عدة أجيال، منذ كتابتها في العصور الماضية، ولم يزل لها ذكر متجدد في هذا الزمن.

فبعد اختيار الكتب، تجرى مناقشة حول كل كتاب من الكتب المختارة في ندوة، يحضرها ثلاثة من القراء النقاد الذين اطلعوا على الكتاب وتمثلت لهم وجهة نظر فيه، فيخرج القارئ من مناقشاتهم بجملة الآراء والمآخذ وزبدة التعليقات والردود التي تحيط بالكتاب وبمؤلفه، وتدل على ميزان الكتاب ومؤلفه في ميزان عصره وموازين العصر الحاضر، فيخرج القارئ بأنفع الثمرات التي تجنى من المطالعة.

محتوى السلسلة العام

تحتوي المجموعة الأولى من هذه السلسلة على خمسة من المؤلفات لخمسة من المؤلفين، وهي:

قصة: صديقنا المشترك، لشارلز ديكينز.

ثم مسرحية: أهمية الجدية، لأوسكار وايلد.

وكتاب الحرية، لستيوارت مل.

رباعيات الخيام، لفتزجيرالد.

وجي دي موباسان، صاحب قصص الأطفال.

فكان يبدأ أولا بتعريف صاحب الكتاب ونبذة قصيرة عن حياته، ثم تعريف الكتاب تعريفا كاملا، ثم نقل مضمون الكتاب نقلا مختصرا.

وهكذا بقية هذه السلسلة على هذا المنهج إلى أن توقفت.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة من هذه السلسلة الأدبية الماتعة، وهي من أحد عشر مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام وللمهتمين بهذا الفن الأدبي.

المصادر

سلسلة حول مائدة المعرفة.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



إعداد/ د. تركي محمد النصر ❖

شهر شوال

قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «إن صيام ستة أيام من شهر شوال يلتحق بصيام رمضان، ويكتب بذلك لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضا. وقد روي أن أسامة بن زيد رضي الله عنه كان يصوم الأشهر الحرم؛ فأمره النبي ﷺ بصيام شوال فترك الأشهر الحرم وصام شوالا».

(انظر: لطائف المعارف، ١/ ٣٤)

الإخلاص يرفع شأن الأعمال

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله: والإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح، وهو الذي يحمل الإنسان على مواصلة عمل الخير، فمن يصلي رياء، أو حياء من الناس، لا بد أن تمر عليه أوقات لا ينهض فيها إلى صلاة، ومن يحكم بالعدل ابتغاء السمعة، أو خوف العزل من المنصب، قد تعرض له منفعة يراها ألذ من السمعة، أو يصادفه عهد حكومة يأمن فيه من العزل، فلا يبالي أن يدع العدل جانبا، ومن يدعو إلى الإصلاح ابتغاء الجاه، قد ينزل بين قوم لا يحظى بينهم إلا من ينحط في أهوائهم، فينقلب داعيا إلى الأهواء.

(انظر: موسوعة الأعمال الكاملة، ٥/ ٧٧)

لجم اللسان

قال الإمام المناوي رحمه الله: «فمن أطلق عذبة لسانه مرخي العنان؛ سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟ ولا ينجي من شر اللسان إلا أن يلجم بلجام الشرع».

(انظر: فيض القدير، ٢/ ٧٩)

عروة بن محمد

دخل عروة بن محمد اليمن واليا، وكان معه سيفه ورمحه ومصحف، وقال: يا أهل اليمن، هذه راحلتي، فإن خرجت بأكثر منها فأنا سارق. وقال يعقوب بن سفيان، عن علي بن المديني: ولي عروة بن محمد اليمن عشرين سنة وخرج حين خرج على راحلته ومعه سيف ومصحف.

(انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٢٠/ ٣٤)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

من صفات العلماء

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين أنه من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم، فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم، فإنها محبة تنبت له في قلوبهم. وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذ أراه العلم ذلك. وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم فشرف العلم له عند الله وعند أولي الألباب، وكان من صفته في علمه وصدقه وحسن إرادته يريد الله بعلمه».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥)

من درر السلف

❖ قال عباد بن منصور: سئل الحسن البصري عن التوكل، فقال: «الرضا عن الله، عزوجل».

❖ قال عبدالله بن محمد بن عبيد الله: «قيل لبعض العلماء ما علامة التوبة؟ قال: الوجل من الذنب».

❖ قال الربيع بن أبي راشد: «لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عزوجل لهم بعد الموت، لانشقت في الدنيا سرائرهم، ولتقطعت في الدنيا أجوافهم».

(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٤١)

ورع الإمام البخاري

قال الإمام البخاري رحمه الله: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا». قال الإمام الذهبي: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل؛ علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضعفه، فإنه أكثر ما يقول: «منكر الحديث»، «سكتوا عنه»، «فيه نظر»، ونحو هذا. وقل أن يقول: «فلان كذاب»، أو: «كان يضع الحديث»، حتى إنه قال: «إذا قلت: فلان في حديثه نظر؛ فهو متهم واه». وهذا معنى قوله: «لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا». وهذا والله غاية الورع.

(انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٣٢/٢٣)

تمام الأنس

قال الصالحون: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال؛ فقد تم أنسه به: إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، وصلى، ونام... فإذا فعل هذه؛ فقد تم الإخاء، وارتفعت الحشمة، وتأكد الانبساط.

(انظر: إحياء علوم الدين، ١٨٩/٢)

زكاة العلم

سئل الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله، عن رجل يكتب الحديث فيكثر؟ فقال: ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب. ثم قال: سبيل العلم مثل سبيل المال، إن المال إذا زاد؛ زادت زكاته.

(انظر: طبقات الحنابلة، ٢٣/٢)

بريد القراء

إعداد: التحرير

صلاة الجماعة ومنظومة القيم



لم تكن العبادات في الإسلام علاقة روحية محضة بين المخلوق والخالق، أو جلسة يعقبها صفاء الروح وراحة البال فحسب، بل في مضمون كل عبادة تزكية للنفوس وصياغة لها لتصل إلى الإنسان الصالح الذي يعمر الكون ويتعاون مع غيره في سبيل رخاء الإنسانية وتقدمها.

وبالتأمل في صلاة الجماعة وما يمكن أن تقدمه للمجتمع المسلم، بل للكون من حولنا، نجدها ترسخ في ضمير المصلي قيما عدة من بينها:

قيمة الانضباط: فالإمام جعل لكي يؤتم به، والذي يريد أن يخالف هذه القاعدة فعقابه أليم شديد يناسب حالة الاضطراب التي يحدثها من لا يريد أن ينضبط، قال رسول الله ﷺ في بيان قبح هؤلاء: «أما يخشى أحدكم، أو ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام، أن يجعل الله رأسه رأس حمار؟ أو يجعل الله صورته صورة حمار؟» (صحيح البخاري).

وحتى ندرك أهمية الانضباط في الدين والدنيا يكفينا أن نعلم أن من تمام العبودية الانضباط بضوابط الشرع والوقوف عند حدوده، ومن صفات المواطن الصالح الانضباط بالقوانين التي أعدت لتحقيق مصلحة العباد والبلاد.

وقيمة أخرى تنميها صلاة الجماعة هي رعاية مشاعر الآخرين، قال ﷺ: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا، وليقعد في بيته» (متفق عليه)، فرغم أهمية صلاة الجماعة ورغم حث النبي ﷺ على حضورها، فإنه في هذا الحديث يأمر من يؤذي المسلمين برائحته المنفرة بالقعود في بيته.

إذا استحضرنا هذا التوجيه النبوي الشريف ونحن نتحرك بين خلق الله بسياراتنا أو بألسنتنا أو بعيوننا كم سنجنب أنفسنا ونجنب الآخرين أذية توقد نيران العداوة والبغضاء والصراعات بين المسلمين.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

الغدتان الكظريتان

من الغدد الصم المهمة في جسم الإنسان الغدتان الكظريتان Adrenal Glands، فوق كل كلية غدة من هاتين الغدتين، الغدة الكظرية اليمنى هرمية الشكل، والغدة الكظرية اليسرى هلالية الشكل، وهاتان الغدتان لا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونهما، فهما ضروريتان للحياة، لأهمية الهرمونات التي تفرزهما.

يقول الدكتور وليام جانونج أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة كاليفورنيا: يمكن القول إن كل غدة كظرية تحتوي على غدتين إحداهما تحيط بالأخرى، نخاع الغدة الكظرية Adrenal Medulla موجود بالداخل ويفرز هرمونات الأدرينالين والنورأدرينالين والدوبامين، أما قشرة الغدة الكظرية Adrenal Cortex فإنها تفرز الهرمونات الإستيرويدية، وأهمها الكورتيزون، هرمونات النخاع الكظري ليست ضرورية للحياة لكنها تساعد في إعداد الفرد لمواجهة الطوارئ، على الجانب الآخر فإن القشرة الكظرية ضرورية للحياة، حيث تقوم بإفراز هرمونات يطلق عليها جلوكوكورتيكويد وهي إستيرويدات لها تأثيرات واسعة في عمليات أيض الكربوهيدرات والبروتين، كما تفرز هرمونات أخرى يطلق عليها منيرالوكورتيكويد وهي ضرورية للحفاظ على اتزان الصوديوم في الجسم، وحجم السوائل الموجودة خارج الخلايا، كذلك تقوم بإفراز هرمونات جنسية لكن هذه الهرمونات لها تأثيرات ثانوية على الوظيفة التناسلية، الجلوكوكورتيكويد والمنيرالوكورتيكويد ضرورية للبقاء على قيد الحياة.

يقول الدكتور وليام جانونج: عندما يتعرض إنسان أو حيوان لأي نوع من المنبهات المؤذية فإن ذلك يؤدي إلى إفراز هرمون من الفص الأمامي للغدة النخامية وهو الهرمون المنبه لنشاط قشرة الغدة الكظرية ACTH مما يؤدي إلى زيادة في مستوى الكورتيزونات في الدم، هذه الزيادة ضرورية للبقاء. هذه المنبهات المؤذية يطلق عليها مصطلح (الكرب) stress وهي تتمثل في كل ضغوط الحياة النفسية والجسدية، إفراز الكورتيزونات على المدى القصير يكون منقذا للحياة، لكنه على المدى البعيد يكون ضارا ومهلكا.

د. يحيى محمود سنبل
طبيب وكاتب مصري

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







حفظ الله للقرآن الكريم

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، هي الآية التي أعلن الحفيظ سبحانه من خلالها عن تكفله بحفظ كتابه من فوق سبع سماوات، قاطعا العهد على نفسه سبحانه بتحقيق ذلك؛ وهو الوعد الذي تأتى به فعلا حفظ هذا الكلام الذي فاق أي كلام، والذي جاء فوق معهود العرب في التخاطب إلى يومنا هذا ولا يزال كذلك محفوظا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وحفظ كلام الله بدأ منذ نزول أول آية على قلب الحبيب المصطفى ﷺ، حيث كان صدره ﷺ وعاء حافظا لكلام الله طيلة ثلاث وعشرين سنة، وعنه ﷺ تلقفه الصحابة بلهفة، فكثرت الأوعية الحاوية لكلام الله جل في علاه، ثم سرعان ما زاوجوا بين الحفظ الصدري والحفظ السطري، وذلك بتدوينه ابتداء في الرقاع والجلود، إلى أن يسر الله تعالى حفظه وجمعه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في مصحف واحد عرف بالمصحف الإمام وهو الذي بين أيدينا اليوم.

وكلما ابتعدنا عن عهد الرسول ﷺ كثر الحفظة وتنوعت طرق الحفظ لديهم نتيجة للارتباط الوثيق بين المسلم وبين هذا الحبل المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، هذا الكتاب الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى عبره، حتى وجد في أصقاع الأرض من المسلمين من يحفظ كلام الله عن ظهر قلب صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى، بل قد تقف مشدوها في هذا الزمان أمام آيات من الحفظ أبطالها براعم صغار وشيوخ كبار، ونساء قد بلغن من الكبر عتيا ولربما أصبن بأمراض، خصوصا تلك التي تصيب الذاكرة فتنسيهم كل شيء إلا القرآن، إنها معجزة من معجزات الرحمن، ومازلنا نرى يوميا كيف أن أعاجم لا يفقهون في لغة العرب شيئا إلا أنهم يضبطون القرآن ضبطا ويحفظونه حفظا، بل إننا نجد أصحاب العاهات والإعاقات يتنافسون في حفظه وترتيله، وهذا أمر معروف والواقع يشهد له ويؤكده.

لكن لعل ما ينبغي أن يثير استغرابنا حقا في مسألة حفظ القرآن ويجعلنا نقف مشدوهين صدقا، هو عندما نرى كيف تحقق وعد الله بحفظ كتابه في عصرنا هذا من خلال الوسائل الإلكترونية، ولو تأملنا وسيلة واحدة منها مثلا وهي الهاتف لوجدنا فيه برامج كثيرة ومتنوعة تتيح إمكانية حفظ القرآن الكريم بجودة عالية، إذ أصبح بالإمكان وبضغطة أو لمسة واحدة أن يحصل المسلم على ما لذ وطاب من التطبيقات التي تفتح الشهية لقراءة القرآن أو الاستماع إليه بمختلف القراءات مع الوقوف على كل الشروحات لكل آية وما اشتملت عليه من أحكام ومقاصد ومعان، وهذا مظهر معجز من الله سبحانه وتعالى يبرهن بالملموس والمشاهد على معنى حفظ الله لكتابه حين قال جل في علاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

د. عبدالحق التويول
باحث تربوي - المغرب

موقف تربوي تنموي أدبي في مشهد قرآني

من لطائف القرآن الكريم:

تجد ذلك في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة:٤٣).

الحكاية: الرسول ﷺ يأذن للمعتذرين من المنافقين بالتخلف.

التربية: هذا موقف تربوي رباني نبوي بامتياز؛ يعلي قيمة الذوق والأدب في المعاملة.

التنمية البشرية: عندما تريد أن تملك قلب محدثك ومحاورك، فابدأ بإبراز صفة طيبة فيه مدحا، ثم انفذ لما تريد؛ فقد بدأ الحق سبحانه بالعفو عن حبيبه ﷺ أولا، ثم جاء العتاب ثانيا، وهنا مربط الفرس وموضع الشاهد، فعندما ننسى تلك القيمة في تعاملاتنا تتقطع الأواصر، ونفقد السيطرة على مجريات الحوار.

الحب: إنه الحب المتجسد في هذا الموقف «ولطف الله برسوله؛ فهو يعجل له بالعفو قبل العتاب» (من ظلال القرآن).

الفوائد:

- إظهار المحاسن والبدء بها في دنيا المعاملات.
- التخصيص والبعد عن التعميم.
- العتاب والتأنيب أولا يغلق القلب.

محمد محمد الشحات

مسك الختام

التكوين النفسي وأثره في رؤية الآخر

تختلف رؤية الإنسان للآخر، وطريقة التعامل معه من إنسان إلى آخر، وتتضافر عوامل عديدة في تحديد هذه الرؤية، التي تنبني عليها طريقة التعامل؛ وفي مقدمة تلك العوامل التكوين النفسي؛ فكل إنسان يختلف عن غيره في قدراته، وطموحاته، ورؤيته الذاتية لنفسه وللآخرين. ومن الناس من يحكم على الآخرين ويتعامل معهم من خلال رؤيته لنفسه؛ وهذا خطأ يصل إلى حد الجرم؛ لأنه يدفع بصاحبه إلى إنكار اصطفاء الله تعالى لرسله وأنبيائه الكرام، كما روى لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ (الأنعام:٩١)، وقد فند الله تعالى في الآية الكريمة هراءهم، فقال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام:٩١). وقد ذكر الله تعالى موقف أسلافهم من قبل، فقال في كتابه الكريم يذكر قوم نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (المؤمنون:٢٣-٢٤)، وكذلك قوم عاد وثمود؛ إذ يقول الله تعالى عنهم: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ (فصلت:١٤)؛ فهي سنة سائرة في ضعاف النفوس في كل زمان، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء:٩٤)، وقد رد عليهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ (الإسراء:٩٥)، ثم بين لهم جهلهم وقصورهم فقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ (الإسراء:٩٦)، فأولئك أناس نظروا إلى الأنبياء -عليهم السلام- بأعينهم التي يرون بها أنفسهم الحقيرة، وحكموا عليهم من خلال سمات أنفسهم وليس من خلال سمات الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى وفضلهم على سائر خلقه.

وهذه النظرة الذاتية التي يحاول أصحابها إسقاطها على الآخرين، هي التي جعلت بعض الناس -حتى في عصرنا هذا- يشككون في معجزات الأنبياء -عليهم السلام- ويقيسون قدراتهم على قدرات أنفسهم الدنيئة، إضافة إلى غفلتهم التامة عن جانب الإعجاز الإلهي، الذي اختص به الله تعالى رسله وأنبياءه وصفوة خلقه، وأولئك الغافلون من ذوي النظرة القاصرة حين أرادوا لنظرتهم أن تتعدى حدود أنفسهم إلى غيرهم، لم يحسنوا الرؤية، فأخطأوا في الحكم؛ لأنهم أسسوا مبادئهم على الأهواء، وقد روى لنا القرآن الكريم نماذج من ذلك، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١)، فهم هنا خرجوا بنظرتهم الذاتية القاصرة على أنفسهم وتعدوا بها إلى الآخرين، لكنها ظلت نظرة مصحوبة بالأهواء الكامنة في نفوسهم.

وإذا كان هذا هو الحال منذ قوم نوح -عليه السلام- فإن ذلك يعني أن وجود تلك الفئة التي أخذت بأطراف الجهل والضلال، هو أمر حتمي، جرت به سنة الله تعالى في خلقه؛ ليميز الخبيث من الطيب، وقد بين لنا الله تعالى كيفية الرد عليهم بما يدحرهم ويردهم على أعقابهم صاغرين، حتى لا يكونوا بمنزلة العقبة في طريق الدعوة والإصلاح، سواء أكان ذلك يتعلق بأمر ديني أم دنيوي، فالدوافع الكامنة في نفوس هؤلاء لا تقتصر على النظر إلى الأمور الدينية للجدال فيها، بل تنظر إلى كل شيء يعجزون عنه ويتفوق فيه غيرهم، ساعين إلى محاولة عرقلته وإحباطه، فهي طريقة من طرق الصراع بين الخير وبين الشر.

حسن الحضري
عضو اتحاد كتاب مصر





www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فهد الخزي



Shabab alwaei

@alwaeialshababy

alwaeiq8@gmail.com

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام



الرسول في عيونهم

فلاش يلخص آراء الفلاسفة والمفكرين المستشرقين المنصفين في خير النبيين والمرسلين .. فماذا قالوا في حقه ؟

 @kwt_awqaf  @kwt_awqaf  Kwt.awqaf

العدد ٦٥٠ - السنة ٥٦ - شوال ١٤٤٠هـ - يونيو ٢٠١٩م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٥١) ذو القعدة ١٤٤٠ هـ - يوليو - ٢٠١٩ م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

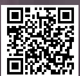
مُكافحةُ الفسَادِ وتحقيقِ النَّزاهَة

- الأُستَاذُ الدَّاعِيَة بين الجامِعِ والجامِعَة
- القِرَاءاتُ المتَواترة ومُراد الله
- العَدالَةُ البيْئيَّة في الإسْلام


مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا



أئمة المذاهب الفقهية الأربعة

من إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»

يتضمن ترجمة لأئمة المذاهب الفقهية الأربعة التي تلقتها الأمة بالقبول، مع ذكر أبرز شيوخهم، وتلاميذهم ومصنفاتهم، وأصول مذاهبهم، ثم الكتب التي ترجمت لهم.

وتحمل هذه المطوية رقم (٤) ضمن سلسلة مطويات مجلة «الوعي الإسلامي».



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

آفة الفساد

لا ريب أن الله سبحانه أنزل شريعته الغراء لتحقيق مصالح العباد عاجلها وآجلها، ودرء المفاسد عنهم في الحال والمآل، وقد جاءت الشريعة داعية إلى وجوب المحافظة على الضروريات الخمس التي لا قوام للحياة بدونها، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال؛ فأصل مبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

لقد دعت الشريعة إلى الخير والصلاح، ونهت عن أشكال الشر والفساد كافة، وحرمته بكل صوره لما فيه من: أكل أموال الناس بالباطل، والسرقة، والرشوة، والغرر، والغش، والتدليس، والكذب، والتزوير، والخداع، وأمرت بالتعاون على محاربته وإقامة العدل؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢). وذلك لأن الفساد أسوأ ما يدمر الأخلاق، وأشنع ما يفكك المبادئ والقيم، وأعظم ما يذهب البركة من الأرزاق، وأخطر ما يهدم تقدم الأمم.

ونهى الإسلام عن التستر على المفسدين أو معاونتهم أو الرضا بأفعالهم، لأن هذا يعتبر من الشراكة في الإثم والمساعدة على انتشار آفة الفساد، هذه الآفة التي تعد من كبائر الذنوب، واستحق صاحبها لعنة علام الغيوب؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٨٥)، وقال نبينا ﷺ: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة» (رواه البخاري).

لا شك أن طريق الإصلاح هو طريق الأنبياء والمرسلين ومنهج عباد الله الصالحين، وقد جاءت نصوص السنة النبوية حاثة على الإصلاح في أمور الدنيا والدين؛ فعنف النبي ﷺ الرجل الذي أوكل إليه جمع الزكاة حيث جاءهم وهو يقول: «هذا لكم، وهذا هدية» فقال له النبي ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا»، ثم خطب النبي ﷺ خطبة شديدة بليغة قال فيها: «أما بعد... والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة»، ثم رفع يده حتى رئي بياض إبطه، يقول: «اللهم هل بلغت؟» (رواه البخاري). وهذا تعزيز واضح مبين لمفهومي النزاهة والشفافية.

إن تعميق معنى الأمانة وأهميتها، وتقبيح الخيانة وأثرها في النفوس هما من أعظم ما يعين على محاربة هذه الآفة الخطيرة التي تنخر جسم المجتمعات؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧).

إن محاربة الفساد بجميع أشكاله هي مسؤولية خاصة لكل فرد من أفراد المجتمع؛ فعلى المسلم أن يقوم بواجبه الشرعي ودوره الوطني بغرس قيم الأمانة وبغض الخيانة لدى أسرته ومن يعول، وتربيتهم على حب الأمانة، ثم ينتقل هذا الشعور إلى الموظفين في مؤسساتهم والمسؤولين في إداراتهم، فالجميع شركاء في مكافحة آفة الفساد، وصدق نبينا ﷺ حيث قال: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري).

وختاما: ما من مجتمع عم فيه الفساد؛ إلا نحرت فيه الفضائل، وفشت فيه الرذائل، واختلت فيه موازين العدل والإحسان، وسادت قوانين الظلم والطغيان، ورحم الله من قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٥١ / ذو القعدة ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
يوليو ٢٠١٩م

رئيس التحرير

فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري

طلال عثمان العثمان

التحرير

علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني

مطابع فور فيلمز

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



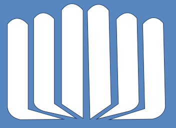
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

الرقيب القوي العزيز

جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفة في الأرض؛ لا ليفسد فيها أو يسفك الدماء، لكن ليعمر الأرض؛ عابدا له، مجتازا اختبارا يحصد ثمرته يوم الحساب، حيث يأتي حاملا كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. ومن رحمة الله بعباده أن يسخر للإنسان من بني جنسه من يذكره بالطريق المستقيم إذا حاد عنه إلى طريق الفساد والمفسدين، لكن على الإنسان أن ينتبه في كل وقت وحين إلى أن تحقيق النزاهة أمر كله خير له في الدنيا والآخرة، وأن الرادع من الداخل خير من أن يكون من الخارج، وذلك لن يتوافر إلا من خلال التربية الإسلامية منذ الصغر والاقتداء بالهدي النبوي في مراقبة الله القوي العزيز قبل مراقبة البشر. فإذا نشأ المجتمع على هذه الأخلاق، وإذا ما انتبه كل منا إلى وازعه الديني، انحسر الفساد، وانحسرت مظاهره إلى أضيق حد، وإلا ما الفائدة إذا ما حذر الإنسان فقط من الأجهزة الرقابية المنشأة من صنع البشر وغفل عن الرقيب القوي العزيز؟!

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧،٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



حمزة بلقروية
باحث في الفكر الإسلامي
الجزائر



من هنا نبدأ

إن مجتمعاتنا المسلمة أصابتها أمراض عديدة أدت إلى فساد الأفراد فيها وانحرافهم عن الحق، مما أدى إلى فساد المجتمع ككل وسيره نحو الهلاك. وكثيرا ما نسمع صيحات الفزع الداعية للإصلاح الاجتماعي ومحاربة مظاهر الفساد داخل المجتمع المسلم، لكن غالبا ما تكون هذه الإصلاحات بعيدة عن مبادئ الإسلام ومنهجه فلا تؤدي إلى نتيجة، بل تنقلب في بعض الأحيان فتكون سببا لزيادة الانحلال داخل المجتمع.

وفي مثل هذه الظروف نرى أنه قد حان الوقت للعودة إلى مبادئ ديننا والتمسك بها من أجل إصلاح أحوالنا والرقي بمجتمعاتنا.

إن الإسلام غايته واضحة فمنذ البداية، قبل خلق سيدنا آدم، عليه السلام، حدد الله وظيفة الإنسان على وجه الأرض ألا وهي الخلافة التي لا تكون إلا بتعمير الأرض ونشر الخير فيها وبإنشاء الجماعة الصالحة السائرة على المنهج الذي حدده الله لها، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠)، فخلافة الإنسان في الأرض تكون نقيض الإفساد فيها وسفك الدماء، بل إن الإسلام أمر المسلمين بالإصلاح في الأرض

ومحاربة الفساد وبإنشاء مجتمع نقي طاهر، وهذا ما نحتاج إليه في زماننا هذا. ونحن مطالبون بإصلاح أنفسنا أولا وبإصلاح مجتمعنا ثانيا مع الالتزام بالأعمال الصالحة، وقد بين الله لنا هذه الحقيقة فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥). ومن أجل أن يكون المجتمع صالحا لابد من أن يكون أفراده صالحين؛ لأنهم هم نواة المجتمع، فإن صلحوا صلح المجتمع كله، فالإسلام يدعو أفراده إلى أن يكونوا صالحين في أنفسهم ويحققوا معنى الإيمان في أنفسهم وأن يجعلوا الإسلام منهج حياتهم، ولذلك لابد من منهج إصلاحي واضح يوصلنا إلى هذه النتيجة، فأهم ركن وجبت العناية به في الإصلاح الفردي ووجب إحياؤه في قلوب العامة وضمائرهم هو الإصلاح العقائدي، ويعتبر بمنزلة الروح من الجسد، فإذا فارقت الروح الجسد انتهت حياة الفرد وتحول جسده إلى جثة هامدة، وكذلك بالنسبة إلى العقيدة، فإذا ضعفت في النفوس وفقد أثرها العملي، فهو إعلان بانتهاء حياة الأمة المسلمة وغيابها عن أداء دورها الحضاري؛ فالعقيدة هي الأصل الذي يستمد منه الفرد

صلاح العقيدة صلاح للأفكار والأعمال

أفكاره وأعماله، فإن صلحت عقيدة الفرد وتشبع منها صلحت أفكاره، وإن صلحت أفكاره صلح عمله. فلا بد أولا من الاشتغال بإصلاح العقيدة في نفوس الأفراد وتنقيتها من المفاسد والأضرار التي أصابتها بمرور الزمن ومن ثم يأتي إصلاح التفكير والأعمال، فقد بين لنا رسول الله ﷺ هذا التدرج في الإصلاح، فعن أبي عمرو -وقيل: أبي عمرة- سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم»[1]، فالإيمان بالله هو الإصلاح العقائدي الذي دل عليه الحديث، والاستقامة هي الإصلاح في العمل. فإن كانت عقيدة الفرد ناقصة أو أصابها لبس وفساد ثم جئت وأمرته بإحسان العمل وانشغلت بإصلاح العمل، فإن جهدك سيضيع سدى؛ لأن المنبع الذي يأخذ منه هذا الفرد تصوراته والذي تتفرع منه أعماله غير صالح، فلا بد لنا أولا أن نعمل على إصلاح العقيدة التي أصابها انحراف شديد في زماننا هذا، فهي نقطة التغيير والإصلاح في نفوس الأفراد، وما نعيبه اليوم هو

انشغال المصلحين والدعاة عن هذا الأمر، فترى جهودهم تذهب سدى ولا تؤتي ثمارها، وصدق صاحب الحكمة القائلة إن «الإنسان عقل تخدمه أعضاؤه»، فإصلاح عقل الإنسان وباطنه يؤدي إلى إصلاح سلوكه وعمله.

لقد اهتم الإسلام بقضية العقيدة اهتماما شديدا وكانت هي اللبنة الأولى في بناء الإنسان الصالح، وهذا ما فعله النبي ﷺ منذ بداية الدعوة، حيث لم تكن هنالك تكاليف ولا أحكام منزلة من الله، وكان الإسلام في بدايته مع ثلة قليلة من الصحابة المستضعفين الذين وصفوا هذه المرحلة بقولهم إن رسول الله ﷺ وسلامه كان يفرغهم ثم يملأهم، وبقي هذا الأمر سنوات طويلة؛ فمم كان يفرغهم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وبم كان يملأهم؟ فالإجابة الواضحة أنه ﷺ كان يزيل من نفوسهم أدران الشرك والوثنية ويطهر قلوبهم من العقائد الفاسدة، وفي المقابل كان يملأهم بالعقيدة الصحيحة وبالتوحيد الخالص ويملأ نفوسهم وقلوبهم بمعاني التوحيد والإيمان، حتى أصبحت كل حركاتهم وأقوالهم وأفعالهم منسجمة مع هذه العقيدة. أما اليوم، فإننا نرى ابتعادا عن معاني التوحيد وضعف الإيمان في النفوس، مما أدى إلى فساد العقيدة وانحرافها عن الحق في ظل وجود العديد من المذاهب والتيارات الضالة. ومن ثمار العقيدة الصحيحة أن تحرر صاحبها من الخضوع والاستسلام لغير الله، وأن تكون الدينونة كلها

لله وحده، فتتكسر كل قيود الذل والاستبداد الذي نعيشه اليوم، فتجد الفرد منا يخاف من الجهر بالحق ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بسبب الخوف، وتجد الفرد منا لا يحارب الفساد في ميدان عمله وفي مجتمعه بصفة عامة خوفا من الناس وخوفا من انتقادهم له ومن مواجهتهم بالحق الواضح، فيلتزم الصمت إزاء ما يحدث من مخالفات وسرقات من المال العام في صلب الدولة وغيرها من الانتهاكات، فأصبحنا نعيش مكبلين بقيود وهمية قد يفرضها المجتمع على أفراده أو الحاكم الظالم على شعبه أو بعض الأفراد الفاسدين المالكين للقوة على باقي أفراد المجتمع، وأما إذا استقرت في نفوسنا حقيقة أن الموت والحياة بيد الله، وأن الضر والنفع بيد الله، وأن الرزق بيد الله، وأن الدنيا كلها بيد الله، فلا يبقى في النفس مكان للخوف من العباد ولا الخوف من الموت؛ فآجالنا كلها مقررة ومعلومة عند الله، وأرزاقنا مقسومة عند الله لا يقدر أحد من المخلوقين على منع وصولها إلينا، ولن يصيبنا ضر أو نفع إلا بإذن الله، فتورث هذه الحقائق في نفوسنا الطمأنينة والشجاعة والإقبال على نصرة الحق والتضحية في سبيله بالمال والنفس والوقت، وقد اعتنى القرآن الكريم بهذا الجانب في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (الزمر:٣٦-٣٨)، وأيضا من ثمار العقيدة الصحيحة علو النفس والرقي بها نحو الكمال البشري واستعلاؤها عن الشهوات الزائلة، فيكسر الفرد منا قيود العبودية لشهوات الفرج والبطن والمال والنفوذ، فلا تصبح الغاية من حياته إشباع غرائزه، بل تصبح الآخرة نصب عينيه، فيعيش في الدنيا بما أحله الله له ويبتعد عما حرمه الله فلا يغره المال فيسعى لكسبه من الحلال ويسخره في خدمة الحق وينفقه على الفقراء، ولا يغره النفوذ فلا يظلم ولا يطغى ويستشعر بثقل الأمانة التي وكل بها فيأخذها بحقها، ولا تستدرجه شهوات الفرج فيكتفي بالزواج والحب الحلال، ولا يتحقق ذلك إلا بشعوره بقرب الله منه واطلاعه على ما في نفسه ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق:١٦-١٨).

من ثمار العقيدة الصحيحة علو النفس والرقي بها

إن هذه العقيدة الواضحة المقرة بوحدانية الله عزوجل وببعثة الرسل وبالجزاء والبعث، لا يمكن لعقل سليم أن يرفضها، وإذا استقرت في النفوس وتشبعت منها فمن المستحيل لها مفارقتها، لذلك أخبرنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع عن إعلان الشيطان يأسه من أن يعبد غير الله في أرض انتشر فيها الإسلام واستقرت فيها عقيدة الإسلام في نفوس أهلها، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: «يئس الشيطان بأن يعبد بأرضكم ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا»[٢]، فالعقيدة البينة الصالحة التي تقبلها العقول النيرة ومن ثم تجعلها منهجا لحياتها ستحدث تغييرا ورقيا في كل فرد منهم، ومن ثم سينعكس ذلك التغيير الإيجابي في واقع الحياة، فتكون النتيجة استقامة في السلوك الفردي والجماعي لأصحاب هذه العقيدة، ولابد أن نعلم أنه عندما تنصلح عقائد الناس فإنه حتما سينصلح فكرهم وستنصلح أعمالهم، وأينما وجد الفكر الصالح والعمل الصالح عم الخير وانتشر الحق، وسعى كل فرد إلى نبذ الباطل ومحاربة الفساد، وأما إذا فسدت العقيدة في مجتمع ما فإن أفراده سينشغلون بالباطل وبالعمل به.

الهوامش

١- صحيح مسلم.

٢- المستدرك على الصحيحين.



د. نجيب العماري
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
المغرب

القراءات المتواترة ومراد الله تعالى

إن كتابنا القرآن هو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه الله سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب[1].

وتفجير نصوص القرآن وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها لا يحصل إلا بتوظيف آلات وفنون معرفية شتى. ومن أهم هذه الآلات والفنون القراءات وتوجيهها؛ ذلك أن القراءات المتواترة كلها وحي قرآني، واستحضارها جميعا في عملية التعامل مع كتاب الله عز وجل؛ فهما واستنباطا، هو الذي يمكننا من الوقوف على فوائد الخطاب الإلهي كلها إذا تضمن هذا الخطاب ألفاظا متعددة الأداء، أما إذا استحضرنا القراءة الواحدة أو الرواية الواحدة أو الطريق الواحد فقط، فلا تعبر وهي منفردة إلا عن جزء من مراد الله تعالى، وبذلك

فإننا لا نحصل إلا على بعض هذه الفوائد من هذا اللون من الخطاب الإلهي، أما ما وجب أن نفهمه عن الحق سبحانه وتعالى فهو ما نقرأه في القراءات المتواترة جميعها.

والقرآن الكريم حامل لمراد الله تعالى كله، وهذا المراد يتحقق بواسطة رسم موحد. إنه الرسم العثماني الذي اعتمده القراء لتمييز القراءة المتواترة المتعبد بها عن تلك التي لا يجوز التعبد بها ولا التقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى. ومراد الله تعالى من كلامه لا يتجزأ بحال من الأحوال،

فقوله تعالى مثلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (يونس:٢٢).

أوحي إلى رسول الله ﷺ أيضا بصيغة «ينشركم» بياء مفتوحة ونون ساكنة وشين مضمومة، وهي قراءة ابن عامر الشامي وحده[٢].

وفهم مراد الله تعالى من كلامه هذا لا يتم إلا بهاتين القراءتين المتواترتين معا، أما الاقتصار على واحدة منها فلا نفهم من خلالها إلا جزءا من مراده عز وجل وليس المراد كله.

فقراءة ابن عامر الشامي «ينشركم» من النشور. والمعنى هو الذي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر[٣]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠)،

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤)، وقوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)، والبث: التفريق والنشر[٤].

وقراءة الجماعة «يسيركم» من السير وهو المشي كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (النمل:٦٩)، أي امشوا فيها، وقال عزوجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)، ومعنى «يسيركم» يجعلكم تسيرون[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ (الفرقان:٧-٨)، تنوعت القراءة فيه في «يأكل». قرأ حمزة والكسائي «نأكل» بنون الجمع، وقرأ الباقون «يأكل» بالياء[٦].

والمعنى من خلال القراءة بالنون أن الكفار اقترحوا جنة يأكلون منها. والمعنى من خلال القراءة بالياء أنهم اقترحوا جنة يأكل منها الرسول ﷺ[٧]. وقد قالوا ذلك تعنتا وعنادا، وهو سهل يسير على الله ولكن له الحكمة في تركه وله الحجة البالغة[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ (الشعراء:١٤٩)، قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي «فارهين» بألف بعد الفاء، وقرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو «فرهين» من دون ألف[٩].

والمعنى من خلال قراءة المد أن ثمود قوم صالح، عليه السلام، كانوا حاذقين في نحت البيوت في الجبال. أما المعنى من خلال قراءة القصر أنهم كانوا أشرين؛ أي بطرين في عملهم هذا[١٠].

ومن هذه الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ (الأنبياء:٨٠).

قرأ ابن عامر وحفص «لتحصنكم» بالتاء، وقرأ شعبة «لنحصنكم» بالنون. وقرأ الباقون وهم: نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي «ليحصنكم» بالياء[١١].

من قرأ «لنحصنكم» فهو يقصد به الحق سبحانه وتعالى المذكور في الفعل «علمناه»، ومن قرأ «لتحصنكم» قصد الصنعة، ومن قرأ «ليحصنكم» قصد اللباس.

يمكن وأنت في قراءتك لهذه الآية أن تختار الذي تريد أن يعود Nليه الفعل



«ليحصنكم»، إن أعدته على الضمير الموجود في العنصر الأول «علمناه» والضمير الذي هو للحق سبحانه وتعالى قلت «لنحصنكم»، وحينئذ تكون قد أجريت الفعل على نظام واحد؛ فالله عزوجل يخبر عن نفسه، فهو الذي علم داود، عليه السلام، صنعة الدروع، وهو الذي يحصنه من كل شيء؛ من السيوف والسهام والرماح ومن أي نوع من الأنواع، ولكن إن أعدت الفعل إلى العنصر الثاني «صنعة» قرأت «لتحصنكم»؛ فالصنعة حصنته بفعل الدروع، أما إن أعدت الفعل على العنصر الثالث «لبوس» وهو مذكر، قرأت «ليحصنكم» هذا اللباس.

من خلال هذه الأمثلة يتضح بشكل جلي أن فهم مراد الله تعالى من كلامه لا يتم إلا بالقراءات القرآنية المتواترة كلها، فالرواية الواحدة كما رأينا لا تعبر وهي منفردة إلا عن جزء من مراد الله تعالى، ومراد الله تعالى من خطابه القرآني لا يتجزأ، بل يوجد في جميع الروايات التي نزل بها القرآن وصح سندها إلى رسول الله ﷺ ووافقت اللغة العربية وكانت مطابقة لرسم الإمام.

الهوامش

١- الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ج١، ص:١-٢.

٢- السبعة في القراءات، لأبي بكر ابن مجاهد، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ص:٣٢٥. التيسير في القراءات السبع، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص:١٢١.

٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ص:٥١٦.

٤- الكشف، ج١، ص:٥١٦.

٥- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٦، ص:٣٣.

٦- السبعة في القراءات، ص:٤٦٢، التيسير في القراءات، ص:١٦٣.

٧- الكشف، ج٢، ص:١٤٤.

٨- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص:٣١٠.

٩- السبعة، ص:٤٧٢، التيسير، ص:١٦٦.

١٠- الكشف، ج٢، ص:١٥١.

١١- التيسير، ص:١٥٥، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة للحافظ أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد صدوق الجزائري، ص:٦٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت، النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري (ت٧٣٣هـ)، ج٢، ص:٢٤٣، دار الكتب العلمية، بيروت.



محمد جابر كامل
موظف بوزارة الأوقاف
مصر

حديث أسيء فهمه

توجد بعض الأحاديث النبوية أسيء فهمها -من قبل دعاة الغلو- واتخذت سندا للأعمال الإرهابية وممارسة العنف وقتل الأبرياء، سواء كانوا مسالمين أو غير مسالمين، من هذه الأحاديث: حديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (متفق عليه).

أخذ بعض دعاة الفتنة بظاهر هذا الحديث، وأعلنوا الحرب على كل من لم يدخل الإسلام على أساس أن كلمة «الناس» في هذا الحديث تشمل كل إنسان غير مسلم، وهذا الفهم والقول بعموم لفظ الناس خطأ بين، لأن الأمة أجمعت على أن هذا الحديث لا يتناول أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ وإنما هو من العام الذي يراد به الخاص؛ فهو خاص بالمشركين المتربصين بالمسلمين وقتها والمحاربين لهم، الذين ينقضون العهود والمواثيق وينتهزون كل فرصة ليكونوا حربا على المسلمين.

❖ والقرآن الكريم يشهد بأن المراد بـ«الناس» ليس كل البشر، بل المقصود بالناس الذين تجمعوا لحرب المسلمين والقضاء عليهم، وذلك المعنى جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣)؛ وهذه الآية الكريمة أشارت إلى ما حدث بعد انتهاء غزوة أحد، حيث هم



جيش المشركين بالرجوع لمقاتلة المسلمين واستئصال شأفتهم، وقد أبلغت قريش بعض المسافرين إلى المدينة بذلك، فوصل الأمر إلى الرسول ﷺ فقال هو وأصحابه: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالخروج لملاقاة المشركين فخرجوا حتى بلغوا حمراء الأسد.

إذن فلفظ «الناس» هنا ليس كل البشر، وليس كل المخالفين في الدين، بل يعني المقاتلين من المشركين الذين هبوا لاستئصال المسلمين.

❖- ومنه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ (المؤمنون:٥١). قيل عني بذلك النبي ﷺ، ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة، فيستخدم لفظ الجماعة للواحد.

❖ وهذا الحديث استدل به الفاروق حين رأى عدم قتال مانعي الزكاة بعد انتقال النبي ﷺ، فرد عليه خليفة رسول الله ﷺ قائلا: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. إذن كان مفهوم سيدنا أبي بكر أنه يقاتل المرتدين من الناس الذين يريدون هدم قواعد الإسلام، وجمعوا الجيوش لحربه، وليس قتال جميع المخالفين لدين الإسلام في المعمورة كلها.

❖ وقد ورد في ألفاظ الحديث ما يؤيد هذا المفهوم بتحديد من هم هؤلاء الناس، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل المشركين حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وصلوا صلاتنا، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها»[1].

❖ وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ (الغاشية:٢١-٢٢)»[2]، وختام الرسول ﷺ الحديث بالآية الكريمة يقطع ببراءة الإسلام من اتخاذ القتال أداة للإيمان بالتوحيد.

❖ وقد فرق العرب بين «أقتل» و«أقاتل»، فالقتل غير القتال، «فأقتل» تعني ملاحقة الناس في عقر دارهم حتى يدخلوا الإسلام قسرا، أما «أقاتل» فعلى وزن «أفاعل»، وهي صيغة تقتضي المشاركة؛ ومعناه: أواجه عدوان الناس بالمثل ورد هجوم الغير.

❖ ففي القرآن الكريم التفريق بين القتال والقتل: قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات:٩)؛ فالبغاة من المؤمنين لهم حكمان: حكم القتال والقتل؛ فيحل قتالهم حتى يرجعوا إلى حكم المسلمين، فإن رجعوا فلا يحل قتلهم، بل يتوقف قتالهم في الحال؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ (الإسراء:٣٣).

فالمحكوم عليه بالقتل حكمه واحد هو القتل إلا أن يعفى عنه من ولي الدم، والقتل قد يقع خطأ، والقتال يسبقه إعداد وتحريض وله أسبابه.

❖ وقد نقل الإمام البيهقي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: «ليس القتل من القتال فقد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله»[3].

❖ وقد تناول الإمام محمد الغزالي الكلام عن هذا الحديث تحت عنوان «حديث مظلوم» وأفاض في شرحه وبيان المراد منه، وقال: «الحق أن الحديث في مشركي العرب الذين ضنوا على الإسلام وأهله بحق الحياة، ولم يحترموا معاهدة ولا موثقا مأخوذا» (علل وأدوية، ص:٢٠٧). فليت الخوارج وسفاكي الدماء يثوبون إلى رشدهم ويتعلمون العلم من أهله، وليت الدعاة يقومون بدورهم على الوجه الأكمل في نشر ثقافة التنوع والاختلاف والتسامح.

الهوامش

١ - أخرجه النسائي في «الكبرى»، رقم ٣٤١٤.
٢ - أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ٢١.
٣ - فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/٧٦.



د. مصطفى البعزاوي
باحث أكاديمي
المغرب

خصائص «فقه النوازل»

إن موضوع النوازل الفقهية من المسائل التي اهتم بها الفقهاء قديما وحديثا، ونالت من الفقهاء في كل عصر وجيل قسطا كبيرا وحظا وافرا من العناية والتمحيص، والدراسة والتحقيق، فعملوا على إمعان النظر فيها، وبذلوا جهودا في جمعها وكتابتها، وتحريرها وتدوينها، وتصنيفها وترتيبها، حتى يسهل تناولها والاستفادة منها، والرجوع إليها من قبل الفقهاء والقضاة، والمهتمين بالمجالات الأخرى كعلم الاجتماع والتاريخ، علما بأن النوازل والفتاوى تعتبر صورة ومرآة صافية تعكس واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية للناس، وتقتضي التعمق في البحث والنظر، للتعرف على الحكم الشرعي والاهتداء إليه في النازلة المعروضة.

ومن هنا، تكون كتب النوازل منجما غنيا بمعلومات موازية يستفيد منها المؤرخ والقانوني وعالم الاجتماع...، وهذا ما أكده «جوزيف شاخت» في كتابه تطور القانون الإسلامي، حيث يرى أن كتب النوازل هي: «منجم بكر يجب على من أراد فهم المجتمع الإسلامي أن يظل رهينا بمدى فهم ودراسة هذه النوازل والاستفادة من مادتها الخام»[1]؛ لأنها «تمكننا من قراءة جديدة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الوسيط»[2].

علاوة عما سبق، فإن النوازل الفقهية تتجلى أهميتها فيما يلي:

أ- إنارة السبيل أمام الناس بإيضاح حكم النازلة، حتى يعبدوا الله على علم، لأنه لا يجوز الإقدام على أمر حتى يعلم حكم الله فيه.

ب- التصدي لدراسة فقه النوازل من أهل الحل والعقد عند وقوع الواقعة، لإظهار حكمها الشرعي، وبيان كمال الشريعة وصلاحها لكل زمان ومكان.

ج- كسب الأجر والمثوبة من الله عزوجل، فإن الدارس «للنازلة» المتجرد الذي يريد أن يصل إلى حكمها الشرعي، إذا بذل جهده وأصاب، فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.

د- الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله، فإن دراسة هذه النوازل من تبليغ العلم والعمل به، وتبليغ العلم مأمور به في الشريعة الإسلامية.

ومن هنا، فإن كتب النوازل تعتبر من الذخائر النفيسة التي لا يستغني الفقيه عن الاستفادة منها، في تبين معالم منهج الفقهاء في استنباط الأحكام وكيفية تنزيلها على وقائع الناس المختلفة، والشيء نفسه بالنسبة إلى الأدوات التي ينبغي أن يمتلكها الفقيه النوازلي، من الإحاطة بنصوص الوحي بشقيه، وما معها من نصوص اجتهادية، وإلمام بالقواعد والضوابط الفقهية والأصولية، ومراعاة الظروف والملابسات التي تحيط بالنازلة، وإذا كان الأصوليون في الأقيسة يقولون: «يدور الحكم مع علته وجودا وعدما»، كان حقا على فقهاء النوازل أن يقولوا:

«تـدور النازلة الفقهية مع ظروفها وملابساتها وأحوالها وجودا وعدما».

وإذا كانت للنوازل الفقهية هذه المكانة فما خصائصها؟

تتميز كتب الـنـوازل الفقهية بعدة خصائص، أهمها:

أ- الواقعية

تتميز النوازل -عموما- بالواقعية، نظرا لتعلقها بقضايا ومسائل وقعت ونزلت بالفعل، وترتبط نوازل المالكية بصفة خاصة، بهذه الواقعية ارتباطا شديدا -منذ عهد التأسيس- حين كـان الإمــام مـالـك يستنكف عن الخوض في الفرضيات[٣].

ب- الطابع المحلي

إن ظاهـرة الطابع المحلي في كتب النـوازل من أبـرز خصائصها، فهي لا تبقى سابحة في المطلق كما هو الشأن في كتب الفقه العامة، وإنما تتحدد مسائلها في المكان والزمان والموضوع، بحسب ما تأتي به الأسئلة التي تنبني عليها، وما تطرحه من مشاكل دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية[٤].

ج- التجدد المستمر

تتميز الـنـوازل الفقهية بالتجدد المستمر، فهي ليست متنا فقهيا يحفظ ويـدرس ويشرح لكل الناس، وذلـك راجـع لكونها ترتبط بحياة الناس المختلفة باستمرار، مما يجعل الجـواب عن مسألة واحـدة يختلف في بعض جوانبه من شخص لآخر، تبعا لأحوال المكلفين وبيئاتهم، وهكذا تكثر الجدة أو تقل في الفتوى بحسب كفاية المفتي وقدرته على الاجتهاد داخل مذهبه[٥].

د- تنوع التآليف

اختلفت كتب النوازل فيما بينها شكلا ومضمونا، ففي الشكل نجد بعضها من تأليف الفقيه الذي كتب الفتاوى، وهو حال غالب كتب النوازل، وبعضها تـركـه المفتـي مشتتا فـي أوراق أو مجموعة كراريس، جمعها في حياته أو بعد وفاته أحد أبنائه أو تلامذته، كما هو الشأن في «مذاهب الحكام في نوازل الأحكام» للقاضي عياض السبتي التي جمعها ولده، أبو فتاوى ابـن رشـد التي جمعها تلميذه أبا الحـسـن محـمـد بـن عـبـدالـرحـمـن المـعـروف بـابـن الــوزان (ت٥٤٣)، – وأبـومـروان عبدالملك بـن مسرة اليحصبي (ت٥٥٢)[٦].

هـ- المذهبية

اصطبغت كتب الـنـوازل فـي الغرب الإسـلامـي بصبغة المـذهـب الـذي يتمذهب به هذا القطر من الإسلام، وهو المذهب المالكي.

و- كثرة الفقه النوازلي وغزارة التأليف في النوازل

بما لم يقع في أي قطر من أقطار الإسلام.

وهـي بهذه المؤهـلات، تمثل الجانب المتطور من الفقه الإسـلامي.

الهوامش

١- SCHACHT, J, 672 Esquisse d'une Histoire du Droit Musulman, édit, Max Besson, paris 1953, p34-

٢- القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، بن حسن محمد دار الرياح الأربـع، الطبعة الأولـى، تونس، مارس ١٩٨٦م. ص:٣٢.

٣- ترتيب المـدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعـلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له: محمد بن تاويت الطنجي، نشر وزارة الأوقـاف والشؤون الإسـلامية: المغرب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢/٢٩١.

٤- جـهـود فـقـهـاء المـالـكـيـة المـغـاربـة فـي تـدويـن الـنـوازل الفقهية، للدكتور مبارك جـزاء الحـربـي، مجلة الشريعة والـدراسـات الإسـلامـيـة، العدد الرابع والـسـتـون -المجلـد٢١. السنة الحادية والعشرون- مارس ٢٠٠٦م، ص:١١٨.

٥- نظرات في النوازل الفقهية، محمد حجي، مـنـشـورات الجـمـعـيـة المغربية للتأليف والـتـرجـمـة والـنـشـر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م، ص:٥٦.

٦- فتاوى ابن رشد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، تحقيق، المختار ابن طاهر التليلي دار الغرب الإسـلامي، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. ص:٦٩.

د. محمد سيد شحاتة
أكاديمي بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر - مصر



خطورة الجرأة على أحكام الله (الميراث أنموذجا)



أمرنا الله في كتابه العزيز أن نستسلم لأوامر الله وأوامر النبي ﷺ، وأن نرضى بها قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

ومن عارض نصوص الشرع فقد جعل إبليس قدوته؛ ذلك أنه أول المعترضين على أوامر الله، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢).

ومن تحرج في أحكام الشريعة لا أقول اعترض وإنما مجرد أن يقع الحرج في قلبه؛ فإن إيمانه لم يتم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥).

ومن حاول مخالفة النصوص فهو متوعد بالعذاب الأليم قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣). علم خطورة الأمر، ولم يأمن على نفسه الزيغ، وأمسك لسانه وقلمه عن الاعتراض على شيء من أوامر الله تعالى. وكم من شخص اعترض على حكم شرعي رآه صغيرا انتهى به المطاف إلى الزندقة!

وسر ذلك: أن من اجترأ على محرم فأباحه، أو واجب فأسقطه، أو اعترض على شيء من الدين فقد كسر هيبة الشريعة في قلبه، وهان صاحب الشريعة سبحانه في نفسه، فانتقل في اعتراضه من الجزئي إلى الكلي، وصار مع اعتراضه على الشريعة يعترض على أفعال الله تعالى وقضائه في عباده.

وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن والسنة توجب طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ وتحذر من معصيته ومخالفة أمره عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢) وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران:٣٢)

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء:٨٠)

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧).

وعن أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم

الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

ومعناه: «لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا «فقد ضل ضلالا مبينا» يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد.

إذا أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بأمر فإن الواجب على المسلم أن يقول: سمعنا وأطعنا، ويسارع إلى تنفيذ ما أمر به، وهذا هو مقتضى الإيمان بالله تعالى[(٢)].

انطلاقا مما سبق يأتي التحذير من مخالفة أوامر الله وأحكامه، لاسيما بعد ما أطل علينا البعض بالاعتراض على حكم الله وقضائه الثابت في كتابه في أحكام المواريث، وهذه القضية تكتنفها أمور كثيرة غابت عن البعض، الذي ظن أن المرأة ظلمها الله ولا أقول الإسلام لأن الله هو الذي قضى بهذا التشريع، والناظر في المواريث يرى عدل الله في حكمه، ومن ظن أن المرأة تأخذ نصف الميراث فقط في كل الحالات فهو جاهل بأحكام الشريعة، فالمرأة في بعض الحالات تأخذ مثل الرجل، وفي بعضها تزيد عليه.

وإليك بيان ذلك:

ثلاث يكون للمرأة نصف الرجل:

١- الأولاد حينما يكونون في مستوى واحد من القرابة ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء:١١).

٢- الإخوة الأشقاء أو لأب حينما يكونون في مستوى واحد من قوة القرابة ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء:١٧٦).

٣- الأب والأم حينما ينفردان بالميراث فيكون للأم الثلث، وللأب الباقي (الثلثان) ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ (النساء:١١).

وثلاث حالات يكون فيها للمرأة مثل نصيب الرجل:

١- حالات الأب والأم مع وجود الأولاد ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء:١١).

٢- الأخ والأخت للأم ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء:١٢).

٣- مجموعة الإخوة والأخوات للأم يقسم بينهم الثلث بالسوية ﴿فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ (النساء:١٢).

-أما عندما يختلف مستوى القرابة من المورث -سواء من ناحية درجة القرابة أو من ناحية قوتها- فإنه توجد حالات كثيرة تستأثر فيها المرأة بالميراث دون الرجل، أو يكون نصيبها أكبر.

فتارة تأخذ أكثر منه:

١- الزوج مع ابنتيه، فله الربع، ولهما الثلثان، أي لكل واحدة منهما الثلث.

٢- الزوج مع ابنته الوحيدة، فله الربع، ولها النصف، ويرد الربع الباقي لها أيضا.

وتارة ترث ولا يرث، كما لو ماتت امرأة وتركت: زوجا وأبا وأما وبنتا وبنت ابن، فإن بنت الابن ترث السدس، في حين لو أن المرأة تركت ابن ابن بدلا من بنت الابن لكان نصيبه صفرا؛ لأنه كان سيأخذ الباقي تعصيبا، ولا باقي.

ولو فرضنا جدلا بالمساواة فهل ستتم المساواة التامة بين الذكر والأنثى بمعنى أن الرجل لن يكون ملزما بالإنفاق على البيت، ولن يلزم بالمهر، ولن يلزم بالأمور التي ألزمه الله بها.

إن نظام الإسلام نظام متكامل لا ينبغي أن نأخذ بعضه وأن نترك بعضه، فإذا أعطى حقا وضع أمامه واجبا، فهل ستلغى هذه الواجبات أم تسلب تلك الحقوق أم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، أم سيأخذون ما لهم ويتركون ما عليهم وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين؟

فهو حينما أعطى الضعف ألزم بالمهر وأمر بالإنفاق، ولا يلزم المرأة بأي من ذلك، والرجل تعتريه النوائب في الضيافة والدية والصلح على الأموال ونحو ذلك.

وأخيرا في الحالات التي تأخذ المرأة أكثر من الرجل هل ستتم المساواة أم ستنتفي هذه المساواة، لأن المرأة ستظلم؟

وأرى أنه لن يوجد أحد أعدل من الله في حكمه، ولن يوجد أعلم من الله، أأنتم أعلم أم الله؟ أأنتم أعدل أم الله؟ اتركوا أحكام الخلق للخالق.

الهوامش

١ - أخرجه مسلم، كتاب فضائل النبي ﷺ، باب بيان مثله ﷺ ومثل ما بعثه الله به، (٧/٦٣) رقم (٦٠١٨).

٢ - ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٧١).



عبد الرحيم معروف
أديب مغربي



مسلك السنة في التعليل من خلال «تعليل الأحكام»[1] للدكتور محمد مصطفى شلبي

استهل المؤلف هذا الفصل بتأصيل خاصيتين ارتبطتا بالرسول الكريم محمد ﷺ وهما:

خاصية البلاغ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧).

ثم خاصية البيان ومنه قوله عزوجل: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

فبلغ وبين، صلى الله عليه وآله، وفق النهج القرآني نفسه؛ تارة يذكر عبارة التحريم أو عبارة الحل مكتفيا بهذا القدر، وتارة أخرى مبينا سبب الحكم ومبرزا ما يترتب عنه من مصالح دنيوية وأخروية، محفزا المكلفين إلى الامتثال. وربط المؤلف ذلك باختلاف فهوم، فقد يظن أحدهم أن فعلا ما فيه مصلحة في أول وهلة، ثم يبين له النبي ﷺ، أن مصلحته تصاحبها مفسدة تفوقها.

وضرب لهذا نماذج حية، يعضد بها فكرته من جهة، ومن جهة أخرى جعلها شواهد دامغة تؤصل للتعليل في السنة النبوية الشريفة:

❖ الصحابي عبدالله بن عمرو رضي الله عنه حيث صحح النبي ﷺ مبالغته في العبادة؛ بالصيام نهارا والقيام ليلا، والشاهد الحديث من صحيح البخاري: «عن عمرو عن أبي العباس قال سمعت عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال لي النبي ﷺ: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: إني أفعل ذلك. قال: فإنك إذا فعلت ذلك هجعت عينك ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقا ولأهلك حقا، فصم وأفطر وقم ونم»[2].

هجعت بمعنى غارت وضعف بصرها لكثرة السهر، ونفهت إذا كلت.

١- ثم رد رسول الله ﷺ ردا حازما في ملامح الغضب، على معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي أطال الصلاة بالناس حيث قال ﷺ: «أيها الناس إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف، وذا الحاجة»[3].

وفيه إشارة مهمة: أن الطاعة إذا أدت إلى ضياع المصالح أو لحق الناس منها الضرر، خرجت عن مقصود الشارع.

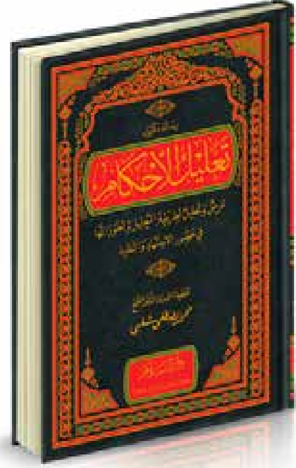
٢- فريق من الصحابة ظل ينتظر قيام رسول الله ﷺ ليصلوا بصلاته، ظنا منهم أنه خير فيمتنع عنهم، والشاهد ما رواه أبو داود[4] عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ في الليلة الثالثة لم يخرج، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن يفرض عليكم».

ومن هنا نستنبط أن إمامته ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ليلتين دليل على جواز صلاتها جماعة، وامتناعه كان معللا بالخشية أن تفرض عليهم.

٣- ويحدثنا مالك رضي الله عنه في الموطأ[5] عن سعد بن أبي وقاص، قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: يارسول الله قد بلغ بي الوجع ما ترى وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال رسول الله ﷺ: لا. فقلت: الشطر؟ قال: لا. ثم قال رسول الله: الثلث، والثلث كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك».

لقد ظن سعد أنه مفارق للحياة وله مال كثير، قليل منه يكفي ابنته الوحيدة، فاعتقد أن إنفاق أغلبيته على سبيل الصدقة، هو العمل الأنسب الذي سيجلب له الأجر الوفير.

إلا أن رسول الله بين له، أن ظنه خاطئ وأنه يضر بورثته، معللا قصر الوصية على الثلث بأنه يصب في مصلحة



الورثة ففيه غناء لهم عن سؤال الناس، وأن الإنفاق على الأهل ثواب وصدقة إذا قصد بها وجه الله عزوجل.

٤- وكذلك ظن الصحابية الجليلة فاطمة بنت أبي حبيش، رضي الله عنها، أن الدم الذي ينزل عليها من غير انقطاع أنه مساو للحيض في ترك الصلاة، فتستفتي رسول الله عن مسألتها، فيجيبها ﷺ: «إنما ذلك عرق وليس بالحيضة»[٦] مبينا لها الفرق بين الدمين والذي سينشأ عنه حكمان: ترك الصلاة في حالة دم الحيض، وعدم تركها في حالة النوع الثاني من الدم.

وقد أدرج الدكتور مصطفى شلبي العديد من النماذج من الأحاديث المتنوعة في مبناها ومعناها وطرق التعليل فيها، وبيان المصالح المترتبة عن أمره أو نهيه ﷺ، وسوف أختصر ما تبقى من نماذج على شكل إشارات[٧].

ومن تلك النماذج:

● تعليل عدم نجاسة سؤر الهرة بأنها من الطوافين والطوافات، وذلك لإزالة التباس إلحاقها بباقي السباع في نجاسة سؤرها.

● ظن الناس أن نهي النبي ﷺ لادخار الأضاحي، أنه حكم مؤبد، فلما شكت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، الحرج الذي لحق الناس جراء ذلك، إلى رسول الله ﷺ، فيأتي الفرج من سؤالها، ويبين لها ﷺ العلة التي من أجلها كان التحريم، وهي التوسعة على الطائفة الفقيرة التي دفت على المدينة حينذاك، فلما زال السبب رجع الحكم إلى أصله من الإباحة. ومن هنا فهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النهي دائر مع هذه العلة.

وربما، وهذا تصوري، من هنا استنبط الأصوليون قاعدة «دوران الحكم مع علته وجودا وعدما».

● أمره ﷺ الشباب القادرين على الباءة بالزواج، مبينا لهم ما يترتب عليه من مصالح دنيوية وأخروية.

● ومن ذلك حديث النهي عن نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، معللا هذا النهي بما ينتج عنه من ضرر بالغ وهو قطع الرحم. «وما يشبه هذا كنهيه ﷺ عن بيع الرجل على بيع أخيه وأن يخطب على خطبة أخيه».

● نهيه ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس أو غروبها، معللا ذلك بأن الشمس تطلع وتغرب بين قرني الشيطان ولما كان ذلك تشبها بعبدة الشمس نهاهم الشارع الحكيم عنه لتخلص العبادة لله وحده.

● بيانه ﷺ لسبب ترخيصه للخاطب أن ينظر للمرأة التي يريد الزواج منها، وهو ما يترتب على النظر من محبة الزوجين، يعقبها وفاق دائم، وألفة مستمرة. وهنا عبارة ثمينة اقتنصتها من رحاب هذا الكتاب لهذا الكاتب من أولي الألباب، لننتبه جيدا:

«... وأحيانا يبين أن فعلا من الأفعال يترتب عليه مصالح تقتضي إباحته، ولكنه يمتنع عنه لما يخالط ذلك من المفاسد أعظم منها، فهو ﷺ يوازن بين المصلحة والمفسدة، ويقدم الأهم، وهو دفع المفسدة»[٨].

من حقنا أن نسأل أنفسنا: أليس هذا هو روح المقاصد ولبها التي صقلها الإمام أبو إسحاق الشاطبي وأصلها وألبسها لباس العلم الشرعي؟

● عدم بنائه ﷺ الكعبة على قواعد نبي الله إبراهيم عليه السلام، كان بسبب الزمن القصير الذي يفصل الناس بالشرك.

● وكذلك لعلة المشقة على الأمة امتنع ﷺ عن تأخير العشاء إلى الثلث الأخير من الليل، ثم للعلة نفسها امتنع ﷺ عن فرض السواك عند كل صلاة.

● رفضه ﷺ قتل الرجل الذي تطاول على مقام النبوة الطاهر بقوله لرسول الله ﷺ «اعدل!» بعدما استأذنه عمر بن الخطاب في قتله، متهما إياه بالنفاق.. (مصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل).

وهكذا بحول الله قمت باستقراء الأغلبية الساحقة للأمثلة التي قدمها الدكتور شلبي للرد على منكري التعليل، وبهذا ختم هذه النماذج الحية قائلا:

«والخلاصة أن السنة مملوءة بالتعليل بأنواعه السابقة، وفي هذا رد على منكريه، وعلى من قصره على الأوصاف دون الحكم والمصالح»[٩].

الهوامش

١- وهي رسالة قدمها الدكتور مصطفى شلبي إلى مشيخة الجامع الأزهر للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه الإسلامي وعلومه ١٣٦٢هـ الموافق ١٩٤٣م، مطبعة الأزهر ١٩٤٧م، ونوقشت في ٤ مارس ١٩٤٥م فنالت أول امتياز في كلية الشريعة.

٢ - «صحيح البخاري»، كتاب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه.

٣- «صحيح البخاري»، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره.

٤- أبي داود، ج٢، ص٤٩.

٥- فى شرح الموطأ، ج٦، ص١٣٧.

٦- القاري، ج١، ص١٠٣.

٧- من التفاصيل وهي موثقة بأحاديث صحيحة، انظر الصفحات: من ٢٧ إلى ٣٣ من الكتاب «تعليل الأحكام» للدكتور مصطفى شلبي.

٨- الصفحة ٣١ من الكتاب (تعليل الأحكام، المعلومات الخاصة بالكتاب في الورقة التصميمية لهذا المحور من العرض).

٩- انظر آخر الصفحة ٣٣ لنفس الطبعة المقدمة في التصميم.

علاء عبدالفتاح



قطع فنية بطعم كفاح الأجداد

متحف الكويت البحري

تمر على مثلث المتاحف في منطقة شرق، وبالتحديد أمام سفن الصيد الكويتية بنقعة الشملان، فترى سفينتين خشبيتين تحرسان متحفا بحريا اختير له أن يكون في المبنى الجنوبي من المدرسة الشرقية القديمة، أما الضلعان الآخران فيمثلهما متحفا الفن الحديث والخزف.. وثلاثتها متاحف يشرف عليها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. افتتح المتحف البحري في العاشر من يناير عام ٢٠١٠م، بعد أن نجح المجلس في ترميم المبنى الجنوبي للمدرسة الشرقية وضم إليه جميع الأدوات التي استخدمها البحار الكويتي قديما معتمدا عليها في كسب الرزق الحلال الذي أمره الله بكسبه.

ثمة نماذج من السفن الشراعية التي صنعها «القلاليف» تجدها داخل المتحف، وهناك صور للغواصين أنفسهم الذين عانوا قديما في صيد اللؤلؤ، بالإضافة إلى الأدوات المستخدمة على دقتها أو ضخامتها.

تلعب الإضاءة دورا مهما في التأثير على زائر المتحف؛ فهي مركزة بطرق فنية معقدة على أجزاء من المعروضات دون غيرها، فتحس أنك في مشهد سينمائي أو لوحة تشكيلية وليس في متحف تعليمي ثقافي فقط.

عندما توجهت «الوعي الإسلامي» بعدستها إلى المتحف في اليوم الأول لم يكن من السهل العثور على دليل يوضح محتويات هذا المكان المظلوم إعلاميا، لكن في اليوم التالي ساعدنا الحارس في إضاءة إضافية خاصة فيما يخص الجزء العلوي من المتحف. حبال وعصي.. مسامير ودفاتر.. دفة قيادة أو هلب تثبيت.. تمر على كل هذه الأدوات الدقيقة منبهرا بعالم مسكوت عنه الآن إلا قليلا؛ عالم يتكلم عن عمل دؤوب شاق تكبده الأجداد الذين تحملوا العطش والجوع واشتداد الحر أو البرد في فترة زمنية لم تعرف العمل تحت حماية أجهزة التكييف.

نعرف من الكتابات المتوافرة في المتحف أن ما نراه الآن من نموذج هو لسفن البوم، وهي الأشهر والأفضل من حيث

كفاءتها وحجمها، وكانت تنقل السلع والبضائع عبر موانئ الخليج العربي وموانئ الهند وباكستان وإفريقيا، ويصل طولها إلى ١٥٠ قدما، ويتراوح وزنها ما بين ٣٠٠ و٧٥٠ طنا، بل مذكور أن هناك نوعين لسفن البوم، أحدهما ما يبحر إلى البعيد؛ ويعرف باسم السفار، والآخر يعرف باسم القطاع، ويستخدم في الإبحار لوجهات قريبة من موانئ الخليج العربي. وعندما نتوقف عند نموذج آخر نجد ما عرف باسم «الشوعي»، وهذا النوع استعمل للبحث عن اللؤلؤ وصيد الأسماك. ومن أنواع السفن والمراكب التقليدية التي اشتهرت في المنطقة «الصمعا»، وهو قارب خشبي يتراوح طوله بين ٢٥ قدما و٨٠ قدما، وعرضه بين ٩ أقدام و٢٠ قدما، فيما يصل ارتفاعه إلى ٣ أقدام و١٠ أقدام، ويستخدم من قبل الغواصين بحثا عن المحار، ويشبه إلى حد ما قارب السنبوك.

إذن مما يميز هذا المتحف أنه يقدم التاريخ البحري الخاص بمدينة الكويت بكل دقة، بل يعتبر من أهم المعالم الحضارية هنا ومرجعا تعليميا لمن أراد التعرف على حرفة الصيد، حيث كان السمك هو الوجبة الرئيسية واللؤلؤ هو أساس التجارة، وتصميم وبناء السفن حرفة معتبرة بجانب صناعة الشباك والصنانير.

من الأدوات التي يحتفظ بها المتحف في صناديق زجاجية على شكل



متوازي مستطيلات مضاءة بحرفية عالية كل من: المنقر المستخدم لنقر الخشب وتنظيفه، ومنقر كلفات وهو عبارة عن قطعة حديدية يتشعب أحد طرفيها إلى شعبتين لإدخال الخيوط بين الأخشاب، والجدوم وهي أداة يستخدمها عامل السفينة لنحت الخشب، إضافة إلى المنشار المعتاد الذي يستخدم في قطع الأخشاب، وغالبا ما يكون بأحجام متنوعة بحسب استخداماته، وأيضا الشبا وهي أداة تمسك الأخشاب.

إضافة إلى المجدح ويستخدم في ثقب الأخشاب بواسطة القوس الذي هو عبارة عن خشبة أسطوانية مستطيلة يربط بطرفيها وتر رفيع يستخدم في تشغيل المجدح لثقب الأخشاب التي تصنع منها السفن، إضافة إلى ذلك تستخدم الرندة أو الفارة لتنعيم الأخشاب، والشاكة؛ وهي طباشير يستخدمه الصناع في وضع علامات على السفينة، إضافة إلى استخدام البلد وهو عبارة عن كتلة من الرصاص لها عروة يربط فيها حبل به علامات للقياس.

ويحتوي المتحف، بالإضافة إلى كل ما سبق، على العديد من اللوحات التي تصور قديما هذه الحرف والمجالات، فهو يقوم بوصف وشرح المهن والصناعات التي عاش عليها وأتقنها ساكنو وأهل مدينة الكويت قديما.. قابلنا عند بوابة الخروج ماثيو (وهو سائح برفقة زوجته أوساكا) وقد بدأ الحديث تعليقا على زيارته للمتحف قائلا: هذا شيء مثل



المتحف البحري

جوهرة في متاهة، لقد بحثنا عن هذا المتحف كثيرا في أدلة الكتب الأجنبية قبل المجيء إلى الكويت ولم يكن من السهل العثور عليه، وعندما عثرنا عليه لم نجده مفتوحا على الرغم من اللافتة التي تشير إلى اننا مازلنا في ساعات عمل المتحف.. أيضا نشعر أن الزوار قليلون جدا، وربما يحتاج الأمر إلى مزيد من الدعاية أو لافتة كبرى على الشارع الرئيسي تشير إليه، لكن في صميم الموضوع أقول إنه متحف رائع وكنا سنخسر كثيرا لو لم نزره، خصوصا أنني مهتم بتاريخ الخليج العربي.

وتقول أوساكا: زرت متاحف كثيرة لكنني لم أر مثل هذا المتحف الذي يضم كل شيء عن البحر وعالم الصيد.. سعيدة بزيارتي هنا وسأخبر العالم عنه وعن ثرائه.

تجدر الإشارة إلى أن المركز العلمي بمنطقة رأس الأرض بالسالمية يعرض في واجهته مجموعة كذلك من قوارب الصيد، وأمام كل مركب لوحة تعريفية به وبتاريخه، كما يضم المتحف الوطني في واجهته سفينة صيد ضخمة سيتمكن الجمهور من المرور بجانبها والاطلاع على تفاصيلها ريثما ينتهي المتحف من التطوير والإصلاحات وقد قاربت بالفعل على الانتهاء.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

مكافحة الفساد.. ضرورة حضارية

إذا أردنا أن نوجز هدف الشرائع والرسالات التي بعث الله تعالى بها رسله وأنبياءه، عليهم جميعا الصلاة والسلام، فيمكن لنا أن نقول إن هدفها الأسمى والأعم يتلخص في نشر الصلاح ومنع الفساد. وقد صرح بذلك نبي الله شعيب، عليه السلام، فقال مخاطبا قومه بلطف وود: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

ولهذا، تكاثرت في القرآن الكريم مادتا الصلاح والفساد ومشتقاتهما؛ ترغيبا في الأولى وتشجيعا عليها، وتحذيرا من الثانية وبيانا لخطورتها؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢)، وقوله: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل:٤٨).

ولأهمية الصلاح وما يترتب عليه من عمل الصالحات، ومن إعمار الأرض ونشر الخير؛ فقد جاء ذلك كثيرا مقرونا بالإيمان في القرآن الكريم؛ إذ العمل الصالح ثمرة الإيمان ونتيجته اللازمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٦).

وبالمقابل جاء التحذير من الإفساد في الأرض، ومن اتباع طريق المفسدين؛ فقال تعالى على لسان

نبيه صالح عليه السلام: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ (الشعراء:١٥٠-١٥٢).

وقفة مع التعريف

وإذا كانت الأشياء تتميز بضدها، فيلزمنا لتعريف الفساد وبيان خطورته أن نعرف الصلاح؛ حتى نقف على مضمون المصطلحين المتقابلين وندرك معانيهما.

جاء في «مقاييس اللغة»: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال: صلح الشيء يصلح صلاحا»[١]. وفي «لسان العرب»: «الإصلاح نقيض الإفساد. والاستصلاح نقيض الاستفساد. وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت»[٢].

وفي «معجم الكليات»: «الصلاح هو سلوك طريق الهدى. وقيل: وهو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل. والصالح: المستقيم الحال في نفسه. وقال بعضهم: القائم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد. والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، ومتمنى الأنبياء والمرسلين»[٣]. وجاء فيه أيضا: «الإفساد هو جعل الشيء فاسدا خارجا عما ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعا به. وفي الحقيقة هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح»[٤].

وفي «المعجم الوسيط»: «الفساد: التلف والعطب، و: الاضطراب والخلل، و: الجدب والقحط؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ (الروم:٤١). وهو إلحاق الضرر: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ (المائدة:٣٣)» (ص:٧١٢).

إذن من خلال هذه التعريفات يتبين لنا أن الصلاح يعني الاستقامة؛ سواء كان ذلك في الإنسان بأن يسير سيرة حسنة وينفع غيره، أو في الأشياء بأن تقوم بالوظيفة المطلوبة منها. وأما الفساد فهو العطب والخلل؛ وقد يكون صفة في ذات الإنسان أو الشيء، أو فعلا منه متعديا إلى الآخرين؛ أي يكون فاسدا في نفسه مفسدا لغيره.

كما نلاحظ أن الصلاح (والإصلاح) يتجاوز الأمور المادية إلى الأمور المعنوية؛ ولهذا كان الإصلاح طريق الهدى، وسبيل الأنبياء. وكان من صفات غير المؤمنين أنهم فاسدون في أنفسهم ومفسدون لغيرهم؛ إفسادا ماديا بالاعتداء على حقوقهم وأموالهم وأعراضهم، وإفسادا معنويا بنشر الأخلاق السيئة وبالصد عن سبيل الله.

وأما عن المعنى القانوني للفساد، فقد عرفه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، في ورقة صادرة عام ١٩٩٨م، بأنه «إساءة استعمال القوة الرسمية أو المنصب أو السلطة للمنفعة الخاصة؛ سواء عن طريق الرشوة، أو الابتزاز، أو استغلال النفوذ، أو المحسوبية، أو الغش، أو تقديم إكراميات للتعجيل بالخدمات، أو عن طريق الاختلاس». ويعيب هذا التعريف أنه محدود؛ إذ يحصر الفساد في الحكومة وموظفي الدولة، ولا يأخذ في الاعتبار أن الفساد ينتشر أيضا في القطاع الخاص. وفي الآونة الأخيرة بدأ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي باستخدام تعريف أوسع للفساد ليشمل الفساد في القطاع الخاص. ويعرف الفساد الآن بشكل عام بأنه إساءة استعمال السلطة المخولة لتحصيل كسب خاص[٥].

لماذا مكافحة الفساد؟

من المؤكد أن مكافحة الفساد ليست ترفا نملك الخيار نحوه، وإنما هو أمر ضروري يرتبط بمجموعة من القيم والمبادئ المهمة في حياتنا، واللازمة للبناء الحضاري الذي تنشده الأمم والمجتمعات.

● فالفساد تخريب لوظيفة الإنسان الأساسية في هذه الحياة، وهي عبادة الله تعالى وعمارة الأرض؛ سواء كان ذلك على مستوى علاقة الإنسان بخالقه سبحانه، أو علاقته بأخيه الإنسان، أو حتى بالنبات والجماد: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

● والفساد اعتداء على حقوق الإنسان؛ لأنه يستصحب مجموعة من السلوكيات التي تستبيح المال الخاص والعام، وتستهين بحقوق الناس وخصوصياتهم، وتسعى لعرقلة حصولهم على مستحقاتهم ومكتسباتهم، إضافة إلى ما تعنيه هذه السلوكيات غير السوية من انتشار المحسوبية والرشوة وغير

ذلك.. مما يعد اعتداء على حقوق الإنسان بمفهومها العام والشامل.

● كما أن الفساد يهدد التماسك الاجتماعي؛ إذ يقسم المجتمع -بسبب من التداول غير المشروع للمال، وحرمان فئات بعينها من حقوقها- إلى طبقات شديدة التفاوت اجتماعيا واقتصاديا، بطريقة ينتفي معها الصفاء والترابط الاجتماعي؛ ليحل محله الشقاق والتنازع، وانتهاز الفرصة للسطو على حقوق الآخرين.

● بل إن الفساد له بالغ الضرر على حركة المال أيضا؛ لأنه يجعلها حركة غير طبيعية وغير مشروعة، فلا يؤدي المال وظيفته الاقتصادية والاجتماعية؛ وإنما ينفتح الباب للمعاملات غير المشروعة، وللطرق الملتوية، وللكسب المحرم شرعا وقانونا.. وكل ذلك يؤثر بالسلب على حركة تداول المال بالصورة التي ينبغي أن يكون عليها.

ولهذا لم يكن غريبا، وطبقا لإحصاءات كثيرة، أن ينتشر الفساد في الدول والمجتمعات المتدهورة اقتصاديا وحضاريا؛ فالفساد هنا يكون «سببا» لحالة التدهور هذه، وفي الوقت نفسه يكون «نتيجة» عنها؛ وذلك في عملية تأخذ في التصاعد والتعقيد، حتى يكون الفساد كالمرض الخبيث الذي ينهش في الجسد ولا يتركه حتى يكون جثة هامدة!

● وإضافة إلى ذلك، فالفساد معوق من معوقات التنمية والتحضر؛ بحيث لا يمكن إحداث نهضة حقيقية ما لم يتم القضاء عليه، أو محاصرته في أضيق دائرة.. والمجتمعات التي تنتبه إلى نفسها وتحاول استدراك ما فاتها في سلم النهوض الحضاري، تبدأ أول ما تبدأ من وقف النزيف الذي يسببه الفساد؛ حتى يمكنها ضخ دماء جديدة وهي ضامنة أن هذه الدماء لن تتلوث بفيروس الفساد، أو لن تتسرب خارج الشرايين بلا فائدة.

فمكافحة الفساد ضرورة حضارية، وشرط أساسي من شروط النهضة، وخطوة أولية لا بد منها لاستئناف المسيرة وتصحيح الخطوات.

عواقب الفساد

في كتابها عن «الفساد والتنمية»، بينت الأمم المتحدة أن الفساد له أثر سلبي على التنمية، وأن تأثيره غالبا ما يستفحل في البلدان النامية، وذكرت أن الأبحاث والمؤشرات توضح أن الفساد عادة ما يؤدي إلى واحدة أو أكثر من العواقب التالية:

● الفساد يفاقم الفقر ويؤثر بشكل سلبي على النمو الاقتصادي: فهو يعمق من الفقر وعدم المساواة، عن طريق زيادة أسعار الخدمات العامة وتقليل جودتها، بالإضافة إلى تشويهه لعملية تخصيص الإنفاق العام. وتشير الدراسات التي أجراها البنك الدولي في سنة ٢٠٠٠م إلى أن الحصة التي تنفقها الأسر الفقيرة من دخلها على الرشوة تتجاوز ما تنفقه الأسر الغنية، وأن الشركات الصغيرة تدفع رشى تتجاوز ضعف ما تدفعه الشركات الكبيرة إذا ما قورنت بنسبة إيراداتها السنوية.

ويوجد الفساد أيضا حالة من عدم الثقة في السوق من خلال الاستنسابية في صنع القرار والتغيير المستمر في القواعد. ويضعف قدرات الحكومة على جمع الإيرادات، ويقلل من قدرتها على تقديم الخدمات الاجتماعية، ويزيد من تكاليف البيروقراطية من خلال هدر الوقت في التفاوض بشأن العقود، ويؤدي إلى خفض معايير الإنتاج، على سبيل المثال، في التصنيع والأدوية والبناء.

● الفساد يضر المرأة بشكل خاص: فهناك عوامل كثيرة تؤثر على تجارب الناس فيما يتعلق بالفساد؛ مثل الطبقة الاجتماعية والأصل العرقي والتمييز الفئوي. وحيث إن المرأة تشكل الغالبية من فقراء العالم؛ فإنها تكون معرضة بشكل خاص لتأثيرات الفساد السلبية.

● الفساد يكبح التنمية في البلدان الغنية بالموارد الطبيعية: فبعض البلدان، التي تملك موارد تساعدها على تحقيق الرخاء، تعاني من انتشار الفقر فيها وضعف الحكومة؛ لأن الإيرادات العامة المتحصلة عليها من بيع هذه الموارد غالبا ما تضيع من جراء الفساد وغياب مساءلة الحكومة أمام المواطنين.

● الفساد يشجع النزاعات ويشكل عقبة أمام تحقيق السلام: فغالبا ما ينظر إلى الفساد على أنه عامل رئيسي في إضعاف استقرار البلدان. ويشير توافق واسع إلى أن البلدان والمناطق التي تعاني من نزاعات مستمرة أو متجمدة أو يهددها النزاع؛ هي عرضة، على وجه التحديد، لأنواع معينة من الفساد؛ مثل تهريب البضائع، وغير ذلك.

● الفساد يتقاطع ويتداخل مع الجريمة المنظمة: ويصح هذا الأمر على الجريمة المنظمة بمختلف



أشكالها في العديد من البلدان. وغالبا ما تستخدم مجموعات الجريمة المنظمة الرشوة من أجل إشراك مسؤولين كبار؛ بهدف إيجاد الغطاء اللازم لأنشطتهم.

● الفساد ينتهك حقوق الإنسان: فوجود سلطة قضائية فاسدة يمنع الناس من الحصول على العدالة، ويقوض الحق في المساواة أمام القانون والمحاكمة العادلة، ويؤدي إلى انتهاك حقوق الإنسان في مجال تقديم الخدمات العامة أيضا؛ مثل الحق في الصحة والتعليم. كما يقوض الفساد مبدأ عدم التمييز والحقوق السياسية وحرية التعبير، من خلال تشويه نتائج الانتخابات على سبيل المثال.

● الفساد يعزز بيئة غير ديموقراطية: أي بيئة تتسم بعدم الثقة، والتقلب، وضعف القيم الأخلاقية، وعدم احترام المؤسسات والسلطات الدستورية، ويؤثر في شرعية الدولة عن طريق إضعاف مؤسساتها، وثقة الناس بها عند تزوير الانتخابات وتجاهل إرادتهم. ويقوض الفساد أيضا جهود تحقيق الأهداف الإنمائية للألفية، وتقديم خدمات فعالة عن طريق إضعاف الشفافية، والنزاهة، والمساءلة في المؤسسات العامة.

● الفساد يسبب الفقر: فلا يوجد خلاف على ترابط الفساد والفقر. ولذلك، لا يمكن تجاهل الفساد عند وضع سياسات معالجة الفقر، وتعزيز الحكم الرشيد، وتحسين تقديم الخدمات[6].

توعية وإجراءات

إذن، من خلال ما سبق ندرك خطورة الفساد على مظاهر الحياة كافة؛ التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ ومن ثم، فإن هذا يدعو -وعلى نحو عاجل وجاد- إلى اتخاذ كل الإجراءات التي تضمن مكافحة الفساد والقضاء عليه، وتعزيز القيم والسلوكيات التي من شأنها أن تجعل الفساد سلوكا مجرما بدوافع الأخلاق والقانون معا.

فمن المهم أن يترافق الخطابان الأخلاقي والقانوني؛ أي التوعوي والإجرائي؛ في مكافحة الفساد؛ لأن أحدهما لا يغني عن الآخر في محاربة هذه الظاهرة؛ التي لها آثار خطيرة على المجتمع الإنساني، وعلى المسار الحضاري بوجه أعم.

الهوامش

١- «معجم مقاييس اللغة»، ابن فارس، ٣٠٣/٣، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر.

٢- «لسان العرب»، ابن منظور، ٥١٦/٢، دار صادر.

٣- «الكليات»، الكفوي، ص:٥٦١، مؤسسة الرسالة، تحقيق: د.عدنان درويش، محمد المصري، ط٢، ١٩٩٨م.

٤- المصدر نفسه، ص:١٥٤.

٥- «الفساد والتنمية»، كتاب صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص:٦، ديسمبر ٢٠٠٨م، نسخة pdf على الإنترنت.

٦- المصدر نفسه، ص:٩-١١، باختصار وتصرف يسير.



أحمد عبدالمنعم عيد
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية

الفساد كلمة سيئة في نطقها قبيحة في مدلولها، فهي تعني جرما به يحول العدل إلى ظلم وتنقل الحقوق من أهلها إلى غير مستحقيها وتهلك الموارد ويصبح المجتمع غابة؛ من يستطيع الوصول إلى ما يريد وهو ليس أهلا له وصل إليه بأي وسيلة دون النظر إلى جواز الوسيلة من عدمه.

منهج الإسلام في مكافحة الفساد

والإسلام من البداية ما ترك الفساد والمفسدين وشأنهم بل حاربهم أشد محاربة وكان منهجه في محاربتهم فريدا، فقد جاء الإسلام إلى عالم تموج فيه الفتن ويكثر فيه الخبث ولا سلطان فيه إلا للمفسدين فعمل على القضاء على ذلك بإبطال كل عمل اعتادته الجاهلية وارتضته كل الأطراف ما دامت النتيجة فسادا يطبق على الأرض ويدمر أمة، فأبطل الإسلام ربا الجاهلية ودماءها وجرم التفاخر بالأنساب وعاب العطاء والمنع وفق الحسب والنسب وما إلى ذلك من الأمور التي لا يمكن أن يطلق عليها إلا ممارسة فاسدة سواء أكانت في المعاملات أو في السلوك والأخلاق.

ثم اتجه الإسلام إلى تحصين المجتمع من هذه الآفة وإماتة بذورها قبل أن تجد لها موضعا في أمة الإسلام، وذلك بعدة أمور منها:

أ- تقبيح الفساد والتشنيع على أهله، فربط الفساد بأسوأ شخصيات مرت عبر التاريخ، وأن من شابههم في فعلهم فهو منهم، مثل قوم صالح والتسعة رهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وفرعون الذي كان عاليا من المفسدين، وقارون الذي ابتغى بماله الفساد في الأرض.

كما جعل الله تعالى الفساد صفة ملازمة للمنافق وفعلا حتميا لأصحاب القلوب السوداء قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٥).

فهذا التشنيع على الفساد وتقبيح أهله أدعى لصاحب الفطرة السليمة وصاحب العقل الواعي المدرك لحقائق الأمور خيرها وشرها ألا يقترب من سبيل المفسدين بالكلية.

ب- التربية على المراقبة الذاتية، وهذا يعني التحصين الذاتي للأفراد بأن يربى الفرد على مراقبة الله وأن يوقن أن الله يراه، وهذا الاعتقاد هو الحاكم لكل تصرفاته لا القوانين ولا رقابة البشر، فمهما كانت القوانين معيبة أو ناقصة قاصرة فإن داخله النقي ورقابته لنفسه واعتباره لنظر الله إليه واطلاعه عليه تحجزه عن فعل ما يغضب الله تعالى، قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ (المجادلة:٧).

وأجمل ما في هذا الباب ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما مع راعي الغنم: فقد روي أن ابن عمر لقي غلاما يرعى الغنم في الصحراء فقال له:

«أعطني شاة –يختبره– قال ليست لي ولكن لسيدي. قال: قل لسيدك: أكلها الذئب. قال الغلام: وماذا أقول لله؟» هذه المقولة هي إفراز التربية الصالحة التي ربى عليها الإسلام أبناءه، إذا غابت عنك عيون الخلق فعين الله تراك.

وأعظم الناس منزلة يوم القيامة المراقب لله الذي يسلك سبيل الصلاح وإن سمحت القوانين بعكسه ويقاوم الفساد وإن كثرت مغرياته وغابت عيون الناس عن ملاحظته وأمن الفضيحة إن ارتكبها، فالله يظل سبعة في ظله يوم القيامة منهم صاحب المراقبة: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» (رواه البخاري).

ج- حسن اختيار المسؤول، فمع الإيمان لابد من الكفاءة وأن يكون المختار للعمل صالحا له؛ لأن من لا مؤهلات لديه تعينه على القيام بعمله يفسد من جهة جهله، والنبي ﷺ طلب من عبدالله بن زيد الذي رأى الأذان أن يعلمه بلالا، والسبب «فإنه أندى منك صوتا»، فقد بين الله أن الولاية لابد فيها من الكفاءة، فهذا سيدنا يوسف يقول ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٥).

وابنة صاحب مدين تقول ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦)، وهذا باب لا محاباة فيه، فقد ورد أن النبي ﷺ رفض تولية أبي ذر عندما طلب منه ذلك وقال «إنك ضعيف وإنها أمانة» (صحيح مسلم).

وولي عمرو بن العاص قيادة الجيش في ذات السلاسل فور إسلامه وتحت إمرته أكابر السابقين من الصحابة لا لشيء سوى كفاءته القتالية وعلمه بفنون القتال، وقد بين النبي ﷺ أن مخالفة هذا المبدأ نذير خراب وهلاك، فهذا أعرابي يسأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال ﷺ: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (رواه البخاري)، فإذا كان إسناد الأمر إلى غير أهله نذير هلاك وخراب للكون كله، فما بالك بالدول والأمم!

د- مراقبة المسؤول سلوكيا وماليا، إن اختيار صاحب الكفاءة للمنصب فقط لا يكفي لقطع الطريق أمام الفساد والمفسدين بل لابد من مراقبته سلوكيا وماليا ومتابعته فيما يفعل وتقييم عمله، يقول الفاروق عمر لأصحابه: «أترون إن وليت عليكم خياركم أكون قد أديت الأمانة؟ قالوا: نعم. قال: لا حتى أرى ما يصنع»، وهذا عمر بن عبدالعزيز يكتب لأحد الولاة: «كثر شاكوك، وقل شاكروك، فإما اعتدلت، وإما اعتزلت».

وقد جاء خبر إلى الفاروق أن عياض ابن غنم لبس الرقيق واتخذ حاجبا فقال لمراقبه على الولاة: ائتني به كما هو على الحال التي عليه. فأحضره وحاسبه على لبس الرقيق، وقد نهى الولاة عن ذلك، وهذا باب مراقبة سلوك الولاة.

وحظر الإسلام على أي مسؤول أن يشتغل بعمل بجوار عمله؛ ليتفرغ لعمله وليدفع الشبهات عنه، فقد قال عمر للولاة وهو يحذرهم من هذا الأمر: «قد بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا»، وبلغ الأمر بالإسلام أن جعل الهدية للوالي أو المسؤول غلولا، وشدد النكير على ذلك فقال رسول الله ﷺ: «هدايا العمال غلول» (أخرجه أحمد).

وجعل الإسلام كل ما يحصل عليه الوالي من هدايا ملكا للأمة، فهو لم يحصل عليها إلا بسبب المنصب الذي تولاه، ولولا ذلك ما التفت إليه أحد.

فهذا ابن اللتبية يستعمله النبي ﷺ على مال الصدقة، فلما قدم على النبي ﷺ قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام النبي ﷺ وصعد المنبر وقال: «ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي، ألا جلس في بيت أمه وأبيه فينظر أيهدى إليه أم لا؟!» (رواه أبو داود)، وفي هذا بيان لمشروعية محاسبة المؤتمن، وأن المحاسبة تصحح سلوكه، ومنع العمال من قبول الهدية سدا للذرائع وقتلا للمحاباة، وأن ما أخذ من هذه الهدايا والعطايا يجعل في بيت المسلمين، وفيه ضرورة المحاسبة الفورية على المخالفات.

هـ- اتقاء الشبهات، من وسائل محاربة الفساد في الإسلام منع المسؤول ومن يليه من أهله مما أجيز لغيره دفعا للشبهات ومنعا للمحاباة فهذا عمر رضي الله عنه يخرج كعادته يتفقد أحوال المسلمين فيجد إبلا ترعى في السوق جميلة سمينة فيقول: إبل من هذه؟ فيقولون: إبل عبدالله بن عمر، فجعل يقول: بخ بخ ابن أمير المؤمنين.

فقال عبدالله: إبل اشتريتها وأرسلت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون. قال عمر: فيقولون: ارعوا إبل ابن امير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين. يا عبدالله: اغد إلى رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

و- عاقبة المفسدين، وأختم هنا بذكر عاقبة المفسدين التي ذكرها الله تنفيرا من الفساد وأهله وتحذيرا من عاقبتهم التي هي من أسوأ العواقب، فقوم صالح أخذتهم الرجفة ودمر الله دورهم، وقوم فرعون كان عاقبة فسادهم الغرق، وقارون الخسف، وأصحاب مدين الرجفة التي جعلتهم ماثلين في دورهم لا حراك لهم.. فليحذر كل من ولاه الله مسؤولية كبرت أو صغرت، من تلك العاقبة فالنهاية قاسية لا توازيها أو تساويها مكاسب الحياة كلها من الفساد.



إعداد:
عبدالسلام الشبراوي

الفساد.. أعيا من يداويه

إنه الفساد.. ذلكم الداء العضال، الذي تمتد يده لتخنق كل محاولة للإصلاح وتدفنها في مهدها، ويتعمق لينخر كالسوس في كل جسد صالح في المجتمع وكل هيئة نزيهة شريفة ليعمل فيها معاول الهدم فيحيلها إلى هيكل فارغ خال من محتواه أو يعصف بها من جذورها. من أجل ذلك، كان لابد للعالم من وقفة لمحاربة آفة الفساد على اختلاف مظاهرها؛ باعتبارها المعوق الأكبر لكل محاولات التقدم، والمقوض الرئيسي لدعائم التنمية، مما يجعل آثار الفساد وخطورته أشد فتكا وتأثيرا من أي خلل آخر، ولا يقتصر دوره المدمر على بعض نواحي الحياة دون بعض، بل يمتد إلى نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية جميعها.

فعلى الصعيد الاقتصادي يؤدي الفساد إلى إعاقة النمو الاقتصادي وتقويض كل مستهدفات خطط التنمية طويلة الأجل وقصيرته، وإهدار موارد الدولة، أو على أقل تقدير إساءة استغلالها بما يعدم الفائدة المرجوة من الاستغلال الأمثل، وهروب الاستثمارات، سواء الوطنية أو الأجنبية؛ لغياب حوافزها، والإخلال بالعدالة التوزيعية للدخول والموارد، وإضعاف الفاعلية الاقتصادية، وازدياد الهوة بين الفئات الغنية والفقيرة، وإضعاف الإيرادات العامة للدولة؛ نتيجة التهرب من دفع الجمارك والضرائب والرسوم باستخدام الوسائل الاحتيالية والالتفاف على القوانين النافذة، والتأثير السلبي لسوء الإنفاق العام لموارد الدولة على المشاريع الكبرى بما يحرم قطاعات مهمة، مثل: الصحة والتعليم والخدمات، من الاستفادة من هذه الموارد، وتدني كفاءة الاستثمارات العامة، وإضعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة بفعل الرشى التي تدفع للتغاضي عن المواصفات القياسية المطلوبة.

وعلى الصعيد السياسي يؤدي الفساد إلى تشويه الدور المطلوب من الحكومة بشأن تنفيذ السياسة العامة للدولة في تحقيق مستهدفات خطط التنمية، وانهيار وضياع هيبة دولة القانون والمؤسسات بما يعدم ثقة الأفراد فيها، وإضعاف كل جهود الإصلاح المعززة للديموقراطية بما يتزعزع معه الاستقرار السياسي، وإقصاء الشرفاء والأكفاء عن الوصول إلى المناصب القيادية بما يزيد من حالة السخط بين الأفراد ونفورهم من التعاون مع مؤسسات الدولة، وكذلك إعاقة وتقويض جميع الجهود الرقابية على أعمال الحكومة والقطاع الخاص.

وعلى الصعيد الاجتماعي يؤدي الفساد إلى انهيار النسيج الاجتماعي وإشاعة روح الكراهية بين طبقات المجتمع وفئاته؛ نتيجة عدم العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص. وتأتي تداعيات الفساد الاقتصادية والسياسية فتؤثر تأثيرا مباشرا وغير مباشر على استقرار الأوضاع الأمنية والسلم الاجتماعي.

سبل مكافحة الفساد

جاءت فكرة إنشاء هيئة لمكافحة الفساد بناء على رؤية تؤكد على أن محاربة الفساد لا تكفي لها التشريعات وحدها مهما كثرت، ولا المحاكمات مهما بلغت شدتها، بل يجب أن تسبقها خطوات وآليات لاتخاذ تدابير وقائية تمنع حدوث الفساد وتكشف عنه قبل وقوعه، فكان لزاما لذلك إنشاء هيئة على مستوى عال تنهض بمسؤولية الكشف عن الفساد ومحاربته، إذ لا يكفي أن نترك مهمة وإجراءات محاربته لأجهزة متعددة لا يجمعها رابط أو نسق واحد، لأن التجريم والعقاب موجودان بالفعل، وهناك العديد من التشريعات لمكافحة الفساد. تعمل الهيئة العامة لمكافحة الفساد وفق استراتيجية وطنية شاملة؛ تقوم على تعزيز قدراتها حتى تتمكن من أداء مهمتها وتحقيق أهدافها، وذلك عن طريق توفير الإمكانات اللازمة لها، وتأمين كوادر متخصصة من العاملين بها وتدريبهم وتأهيلهم للعمل، ووضع مدونة سلوك خاصة بهم، وتزويدهم بإرشادات يلتزمون بها في التعامل مع الشكاوى وإجراءات التحقيق، وكيفية حماية المبلغين، وكيفية الوصول إلى المعلومات، فضلا عن استمرار تطوير التشريعات القانونية التي تحكم عمل الهيئة.

ومن المهام الوقائية المنوطة بالهيئة أن تكون هناك برامج محددة للوقاية من الفساد لمنع حدوثه في المقام الأول لحماية المجتمع وتدارك آثاره، بما في ذلك خفض تكاليفه من خلال عمل دراسات ميدانية لتحديد المجالات التي يظهر فيها الفساد، والتعرف على التشريعات والإجراءات التي تعيق العمل من أجل معالجتها، والتزام الجهات الخاضعة بوضع أدلة خاصة بإجراءاتها الإدارية، مبينة فيها الخدمات التي تقدمها وشروط الحصول عليها، وعمل دراسات للجهات التي يمكن أن تعتبر أكثر عرضة لحدوث الفساد نتيجة طبيعة عملها والخدمات التي تقدمها ووضعها دائما تحت الرقابة، ووضع آلية للوصول إلى المعلومات في هذه الجهات، وإنشاء قنوات اتصال فيها.

كما تعمل الهيئة العامة لمكافحة الفساد وفق آلية التنسيق والتدريب والتوعية العامة؛ فمكافحة الفساد لا تحقق الغاية المنشودة إلا من خلال اتخاذ إجراءات خاصة في مجال التثقيف والتدريب وتوعية المواطنين بمخاطر الفساد على خطط التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولكي يتم ذلك يجب تقييم الحاجات التدريبية وتطويرها وتبني استراتيجية اتصال مع الجماهير لتثقيفهم حول مخاطر الفساد وسبل مكافحته ومسؤوليتهم في هذا الصدد.

ولابد من ملاحقة متوسلي الفساد وحرمانهم من الاستفادة من عائدات جرائمهم ومنعهم من العودة إلى ارتكاب هذه الجرائم مستقبلا، وأن تصل رسالة إلى الجميع أن الجريمة لابد من ملاحقتها ومعاقبة مرتكبها، ويتم تحقيق هذه الغاية عن طريق المراجعة الدائمة للتشريعات التي تضمن ذلك، وتبسيط الإجراءات الخاصة بحجز ومصادرة الأموال والعائدات الناتجة عن الفساد، والتوسع في استخدام أساليب التحقيق المتطورة في قضايا الفساد. ولنجاح مكافحة الفساد لابد من تنسيق جهود جميع الأجهزة الحكومية والتعاون مع منظمات المجتمع المدني وتضافر الجهود الشعبية لضمان هذا النجاح، ويتم ذلك بإنشاء لجان مشتركة بين الجهات المعنية وتطوير سياساتها الخاصة بمكافحة الفساد ووضع آليات لمراقبته والاستفادة من الخبرات المحلية والدولية.

والفساد منه ما هو محلي ومنه ما هو دولي، لذا بات من المحتم أن يكون هناك تعاون دولي في مكافحته والقضاء عليه، فالتعاون والتنسيق مع الجهات الإقليمية والدولية لتعزيز التدابير الخاصة بمكافحة الفساد وتطويرها لهما أعظم الأثر في مكافحة الفساد، ومن ثم يتم السعي إلى إنشاء شبكات إقليمية لمكافحة الفساد من أجل التعاون ونقل الخبرات والعمل على تطبيق اتفاقية الأمم المتحدة في مجالات تسليم المجرمين ونقل الأشخاص المحكوم عليه، والمساعدة القانونية المتبادلة، وتبادل المعلومات، وعقد المؤتمرات، ومراجعة التشريعات لتتوافق مع الاتفاقيات الدولية المعنية بمكافحة الفساد.

الدور الشعبي

من خلال ما سبق يمكن تحجيم دور الفساد وتقليل آثاره فقط، أما القضاء عليه قضاء مبرما، فلا تكفي له القوانين الدقيقة ولا التدابير الصارمة ولا إنشاء اللجان والهيئات، إلا إذا تضافرت معها الجهود الشعبية وأدرك كل فرد دوره في محاربة الفساد وتقويض أركانه، انطلاقا من عقيدته وإيمانه، فالمؤمن ليس كائنا سلبيا يرى المنكر فيغض الطرف عنه إيثارا للسلامة وبعدا عن المشاكل، لأن انتشار الفساد طريق لانهيار الأمم، كما أخبر الرسول ﷺ في حديث زينب بنت جحش أن النبي ﷺ، دخل عليها فزعا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها). قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» (رواه البخاري). كما شبه النبي ﷺ المجتمع بالسفينة، كل فرد فيها يتحمل مسؤوليته في نجاتها وعدم غرقها والأخذ على يد من يعملون على إفسادها، لأن في منع هذا نجاة للمجتمع كله، وفي تركه هلاكا للمجتمع كله، قال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا».



التحرير

مكافحة الفساد في الشريعة الإسلامية

قدمت هيئة مكافحة الفساد كتيبا مهما ضمت فيه الخطب الشرعية والمنبرية، ومنها خطب الجمعة، إسهاما في بث روح التعاون بين أفراد المجتمع نحو مكافحة الفساد والوقاية منه والتنبيه إلى آثاره المدمرة.

والحقيقة أن إرجاع الفضل إلى أهله يحتم الإشارة بكل إجلال إلى دور قطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ممثلا بلجنة إعداد الخطب النموذجية، حيث تم إعداد مجموعة مهمة من الخطب التي تتناول هذا الشأن، نختار منها لتعميم الفائدة هذه المختارات.

لابد من جعل مكافحة الفساد قضية شرعية دينية، يسلك بها العباد سبيل الرشاد ويحاربون الفاسد؛ لأن العباد مأمورون بامتثال ما يحبه الله، وترك ما لا يحبه سبحانه وتعالى، وهو عزوجل القائل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥)، والفساد هو كل عمل ضد الإصلاح وليس كل من زعم الإصلاح ومحاربة الفساد محقا في ذلك، فالمنافقون يفسدون ولا يصلحون.

ومن أنواع الفساد الواجب كفه: الفساد المالي، عبر الاعتداء على الأموال والممتلكات العامة والخاصة؛ بالاختلاسات المالية وقبول الرشوة وهدايا العمال واستغلال المناصب للمصلحة الذاتية، وهذا كله فساد حذر منه النبي ﷺ غاية التحذير، ولكل من اعتدى يوما على حق ليس له.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، وقال محمد: عام خيبر، فلم نغنم إلا الأموال، والمتاع، والثياب، فأهدى رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاما أسود، يقال له: مدعم، فتوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كانوا بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ، إذ جاءه سهم، فأصابه، فقتله، فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «كلا، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا»، فلما سمع الناس ذلك، جاء رجل بشراك أو بشراكين إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «شراك أو شراكان من نار» (أخرجه النسائي وصححه الألباني).

فهذا الرجل مع جهاده وصحبته لرسول الله ﷺ ومع رداءة غلته كونها شملة فقط! إلا أن رسول الله ﷺ يشهد بأنه وشملته في نار جهنم تشعل عليه نارا! فكيف بمن تعدى وبغى وتطاول على ما هو أكثر من ذلك؟!

ومع تفشي هذا الفساد يبقى السؤال المهم: ما المخرج؟ والجواب يبدأ بإصلاح المرء نفسه واستقامته، وتجنب الفساد بجميع صوره، إذ إنه متى ما

صلح الفرد صلحت الجماعة، ومتى ما حصل التهاون في الإصلاح عم الفساد وصعب العلاج والحل، فالخير كله بالبعد عن الفساد بكل أشكاله؛ قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)، ولابد من بذل الجهد في مكافحته، وإلا أوخذ الجميع على ذلك، قال النبي ﷺ: «إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك، عذب الله الخاصة والعامة» (أخرجه أحمد في المسند).

لقد أمرت الدولة القطاع الخاص بإيجاد فرص وظيفية للمواطنين حتى يشارك معها في حل مشكلة البطالة، مع التزام الدولة بجميع الامتيازات للموظفين، فمنهم من تعاون على البر والتقوى والتزم بجميع البنود والعهود وطبقها كما يجب لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٢)، ولقوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ (المائدة:١)، فلهؤلاء نقول: بارك الله فيما رزقكم.

وصنف آخر أخذ يتلاعب باللوائح والنظم، ويبحث عن الثغرات ليتهرب من تطبيق ما التزم به، وأخذ يوظف بالأسماء فقط هذا المواطن أو تلك المواطنة، فيجلس الموظف في بيته دون عمل في الشركة أو المؤسسة، فليس له مكان حقيقي للإنجاز والالتزام في يومه الوظيفي، مقابل أن يأخذ المكافأة الشهرية، وهذا تعاون على الإثم والعدوان، وتحايل على النظام، وإهمال للمقاصد، وإضرار بالمال العام، وتجاهل للهدف الذي حذر منه الشارع الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢)، وهذه خيانة أمانة، قال

«نزاهة»

أنشئت الهيئة العامة لمكافحة الفساد (نزاهة) بموجب القانون رقم (٢) لسنة ٢٠١٦م الصادر بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠١٦م، استجابة لمتطلبات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والتي انضمت لها دولة الكويت في عام ٢٠٠٦م.

وأطلقت الهيئة شعار (نزاهة) تعبيرا عن هويتها المؤسسية، وتأكيدا على المبادئ التي تعكس مفهوم النزاهة والشفافية المعبرة عن أهدافها واختصاصاتها.

الأهداف

- إرساء مبدأ الشفافية والنزاهة في المعاملات الاقتصادية والإدارية.
- تطبيق اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والاتفاقيات والمعاهدات الدولية الخاصة بمكافحة الفساد.
- العمل على مكافحة الفساد ودرء مخاطره وملاحقة مرتكبيه وحجز واسترداد العائدات والأموال الناتجة عن ممارسته وفق القانون.
- تعزيز مبدأ التعاون مع الدول والمنظمات الإقليمية والدولية في مجال مكافحة الفساد وتعزيز النزاهة والشفافية.

الاختصاصات

- وضع إستراتيجية وطنية شاملة للنزاهة والشفافية ومكافحة الفساد وإعداد الآليات والخطط والبرامج المنفذة لها.
- تلقي البلاغات بخصوص جرائم الفساد ودراستها وفي حال التأكد أنها تشكل شبهة جريمة يتم إحالتها إلى جهة التحقيق المختصة.
- تلقي إقرارات الذمة المالية وتشكيل اللجان لفحصها.
- حماية المبلغين عن جرائم الفساد بالتنسيق مع الجهات المختصة.
- متابعة إجراءات الجهات المختصة لاسترداد الأموال والعائدات الناتجة عن جرائم الفساد.
- دراسة التشريعات والأدوات القانونية المتعلقة بمكافحة الفساد واقتراح التعديلات اللازمة عليها.
- توعية المجتمع وتبصيره بمخاطر الفساد وآثارها وكيفية الوقاية منها ومكافحتها بالتنسيق مع المؤسسات التعليمية ودور العبادة ووسائل الإعلام.
- اتخاذ التدابير الكفيلة بمشاركة منظمات المجتمع المدني في التعريف بمخاطر الفساد وآثاره على المجتمع وتوسيع دور المجتمع في الأنشطة المناهضة للفساد.

جرائم الفساد

حددت المادة (٢٢) من قانون إنشاء الهيئة الأفعال التي يعد ارتكابها جريمة من جرائم الفساد وتتمثل هذه الجرائم في:

جرائم الاعتداء على الأموال العامة

هي الجرائم التي يرتكبها الموظف أو المستخدم العام وتؤدي إلى الإضرار بالأموال أو الممتلكات العامة المملوكة للدولة وهيئاتها ومؤسساتها والشركات التي تساهم فيها بنسبة لا تقل عن ٢٥ في المئة من رأس مالها أو يكون الغرض من ارتكابها الإضرار بأوضاع البلاد المالية أو التجارية أو الاقتصادية.

جريمة الرشوة

هي الأفعال التي يطلب من خلالها الموظف العام لنفسه أو لغيره أو يقبل وعدا أو هدية أو عطية لأداء عمل أو الامتناع عن عمل من أعمال وظيفته، إخلالا منه بواجباته الوظيفية.

جريمة استغلال النفوذ

هي الأفعال التي يطلب من خلالها الموظف العام لنفسه أو لغيره أو يقبل وعدا أو عطية لاستعمال نفوذ حقيقي أو مزعوم من أجل الحصول أو محاولة الحصول من أي سلطة عامة على أعمال أو أوامر أو أحكام أو قرارات أو نياشين أو التزام أو ترخيص أو اتفاق توريد أو مقاولة أو على وظيفة أو خدمة أو أي فائدة أخرى من أي نوع.

جريمة التزوير

هي الأفعال التي يتم من خلالها تغيير الحقيقة في محرر بقصد استعماله على نحو يوهم بأنه مطابق للحقيقة.

جريمة الكسب غير المشروع

هي كل زيادة في الثروة أو انتقاص في الالتزامات تطرأ بسبب تولي الوظيفة أو قيام الصفة على الخاضع لهذا القانون أو أولاده القصر أو من يكون وليا أو وصيا أو قيما عليه متى كانت لا تتناسب مع مواردهم وغير مبررة.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧)، وهذا أكل للمال بالباطل: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ (البقرة:١٨٨)، وهذا كذب وبهتان؛ حيث أقر بأنه قد وظف عددا من النسبة المطلوبة من المواطنين حتى يحصل على الامتيازات ففي الحديث: «ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»، (رواه البخاري من حديث عبدالله بن مسعود)، وقال النبي ﷺ: «والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يوم القيامة يحمله»، (متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي).

فالأصل في الموظف إذا أبرم عقد التوظيف أن يلتزم بالحضور والانصراف، ويحاسب على تقصيره ويكافأ على إنجازه، ويحصل على الإجازات والامتيازات والتدرج في سلم الوظائف، ويتدرب ويكسب الخبرات، ويشارك في المؤتمرات، وغيرها من الحقوق.

إن المال الذي تكفلت الدولة بدفعه من الرواتب إنما هو أمانة في أعناق المسؤولين عن تلك الشركات أو المؤسسات، وطالما أن الدولة قد تكفلت بذلك مقابل توظيف هؤلاء المواطنين، فإن ما تقوم به تلك الشركات أو المؤسسات من إعفائهم من العمل مع إعطائهم من مال الدولة إنما هو غش وخيانة للأمانة، وإخلال بمقصد الدولة من توظيفهم، والمسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا.

وإن مغبة التواطؤ مع بعض الشركات الوهمية على تمرير ممارساتها الخاطئة عبر توظيفهم اسميا فقط، ودفع راتب شهري لهم دون عمل فعلي لديها، لمجرد إثبات أسمائهم في لوائح موظفيها لتكملة النسبة داخلها، وذلك حتى لا تتعطل مصالحها المرتبطة بالجهات المعنية - لهو باطل ومحرم، قال عزوجل: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ (البقرة:١٨٨).

إن الوظيفة في مفهومها هي تقديم خدمة أو عمل تتحقق بها مصالح

معلومات تهم المبلغين

لتقديم البلاغ ينبغي الحضور شخصيا لمقر الهيئة الكائن في الشامية قطعة ٢ شارع ٣٠٠ بوابة رقم ٧. ويجب عند تقديم البلاغ تعبئة نموذج البلاغ بحضور الموظف المختص، وإرفاق المستندات والوثائق الدالة على صحة البلاغ، مع إرفاق نسخة عن البطاقة المدنية ومن الممكن استكمال المستندات لاحقا.

وإليكم بعض الأسئلة الشائعة وإجاباتها وفقا لما ورد من هيئة مكافحة الفساد:

١- ما مدى اختصاص الهيئة باستلام البلاغات حول الجرائم عامة دون تحديد؟

تختص الهيئة فقط باستلام البلاغات التي تتضمن شبهات جرائم الفساد المحددة في المادة (٢٢) من القانون أو المخالفات المالية الجسيمة.

٢- هل تختص الهيئة باستلام البلاغات السابق قيدها ونظرها من قبل الجهات القضائية؟

لا تختص الهيئة باستلام وفحص البلاغات السابق قيدها لدى الجهات القضائية.

٣- هل تمتلك الهيئة سلطة التحقيق والتصرف والادعاء؟

تمتلك الهيئة سلطة جمع المعلومات والاستدلالات عن واقعة الفساد وإحالتها للجهة المختصة.

٤- هل سيتم إخطار المبلغ بما سيؤول إليه البلاغ؟

نعم، يتم إخطار المبلغ بالإجراء النهائي للبلاغ والمتمثل في الحفظ أو الإحالة، أما إجراءات التحري والتحقيق فإنها تستلزم السرية.

٥- هل سيتم الكشف عن هوية المبلغ لدى جهة عمله؟

الأصل أن سرية المبلغ مكفولة بموجب القانون ويتم الكشف عن هويته استثناء بعد موافقته، ولاتخاذ إجراءات الحماية الإدارية بناء على طلبه.

٦- ما هي أنواع الحماية؟

يتمتع المبلغ بالحماية وقت تقديم البلاغ وتنتهي بانقضاء دواعيها وتتقرر الحماية وتنتهي حسب تقدير الهيئة.

٧- ما هي أنواع الحماية؟

الحماية الشخصية والحماية الإدارية والوظيفية والحماية القانونية.

العباد، وتحصل منها منافع تعم البلاد، وتتضمن مجموعة من الواجبات والمسؤوليات، وتوجب على شاغلها مهام والتزامات، مقابل تمتع شاغليها بحقوق مادية وامتيازات..

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤)، فالوظيفة مسؤولية وأمانة لا يشغلها إلا من يستحقها وتوافرت فيه شروط عملها وأدائها ومنها: العلم والقوة؛ قال تعالى عن طالوت عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (البقرة:٢٤٧)، ومن شروط عملها أيضا: الأمانة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ (الأعراف:٨٥).

يا أيها الموظف اتق الله ولا ترض بهذه الخيانة ولا تتهاون فيها وتتفق مع صاحب العمل على أن تأخذ المكافأة وتترك العمل، قال تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨) لتحصل على بركة المال والوقت والتوفيق.

إن شريعة الإسلام عدت الفساد في الأرض من كبائر الذنوب، وجعلت مرتكبيه مستحقين للعنة والوعيد بالعذاب، قال ﷺ، فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة»، ومن غش المسلمين أو أكل المال العام ظلما فليتذكر أنه إلى الله صائر، وأن للمظلومين دعوات لا يحجبها عن الله حاجب، ولئن كان الظلم في المال الخاص ممقوتا، فإنه في المال العام أنكى أثرا، وأشد خطرا، وأبعد ضررا.

أما والله إن الظلم شؤم
وما زال المسيء هو الظلوم
سيعلم في الجزاء إذا التقينا
غدا عند الإله من الملوم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم



إعداد: فهد الشمري



دور الوقاية في مكافحة الفساد

الوقاية خير من العلاج، وسد الثغرات التي يأتي منها الفساد خير من انتظار ظهوره ثم محاربته، من هنا كانت أهمية إنشاء قطاع في هيئة مكافحة الفساد تحت اسم «قطاع الوقاية».. قطاع يشمل إدارتين متخصصتين بالتوعية والتثقيف أولا، وبالبحوث والدراسات ثانيا.

وهنا نسلط الضوء على هاتين الإدارتين ومدى استفادة المجتمع من عملهما.

لكن بداية نقف عند مصطلح التدابير الوقائية التي تعد من أبرز الأدوات اللازمة لمكافحة الفساد ومنع أسبابه، وتتمثل في وضع سبل وقائية تمنع وقوع جرائم الفساد مما يعد خطوة استباقية تعزز مكافحة الفساد.

وحدد الفصل الثاني من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد UNCAC مجموعة من التدابير الوقائية والمتضمنة السياسات والممارسات ذات الصلة بمكافحة الفساد.

وتعنى التدابير الوقائية بوضع وتنفيذ وترسيخ سياسات فعالة تمارس لمكافحة الفساد سواء في القطاع العام الهادفة إلى تدعيم نظم وقواعد التوظيف في الدولة وفق مبادئ الكفاءة والشفافية ومعايير الموضوعية والقواعد القيمية للسلوك الوظيفي، وتعزيز مشاركة المجتمع وتجسيد مبادئ سيادة القانون وحسن إدارة الشؤون والممتلكات العمومية وفق مبادئ النزاهة والشفافية والمساءلة، مع تحفيز جميع أفراد المجتمع بالمساهمة نحو منع الفساد عبر إذكاء الوعي والتثقيف بمخاطر الفساد وسبل الوقاية منه، والقيام بأنشطة إعلامية تسهم في عدم التسامح مع الفساد، ونشر برامج توعية عامة تشمل المناهج الدراسية والجامعية، واحترام وتعزيز حماية حرية التماس المعلومات المتعلقة بالفساد وتلقيها ونشرها وتعميمها، وضمان تعريف الناس بهيئات مكافحة الفساد وتوفير سبل التواصل معها من الجمهور حول البلاغات ذات الصلة بالأفعال المجرمة بالقانون.

وحدد القانون إنشاء الهيئة العامة لمكافحة الفساد رقم ٢ لسنة ٢٠١٦م ولائحته التنفيذية مجموعة من الأهداف والاختصاصات الوقائية

تضمنت تشجيع وتفعيل دور مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني في مكافحة الفساد وتوعية أفراد المجتمع بمخاطره وتوسيع نطاق المعرفة بوسائل وأساليب الوقاية منه، ودراسة وتقييم التقارير الصادرة عن المنظمات المحلية والإقليمية والدولية المتعلقة بمكافحة الفساد والاطلاع على وضع الكويت فيها واتخاذ الإجراءات المناسبة حيالها، والتنسيق مع وسائل الإعلام لتوعية المجتمع وتبصيره بمخاطر الفساد والممارسات الفاسدة وآثارها وكيفية الوقاية منها ومكافحتها، والتعاون مع المؤسسات التعليمية ودور العبادة لنشر قيم الشفافية والنزاهة والمواطنة الصالحة، والتعاون مع المؤسسات الحكومية والخاصة لإعداد برامج توعية عامة تتعلق بنشاط الهيئة.

ويعد استحداث برامج وقائية وتوعوية بالإضافة إلى تطوير إجراءات وسياسات تحد من مخاطر الفساد أهمية قصوى لحماية المجتمع وتدارك آثاره.

وبالعودة للإدارات التابعة لقطاع الوقاية فإن إدارة التوعية والتثقيف يناط بها تصميم برامج وخطط توعوية وتثقيفية حول مخاطر الفساد وسبل مكافحته لتحصين المجتمع ووقايته من آثاره، والعمل على تعزيز السلوك الأخلاقي بمفاهيم النزاهة والشفافية وتنظيم المسؤولية المشتركة بين أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة للمساهمة في الحد من آفة الفساد وإذكاء الوعي نحو سبل مكافحته والوقاية منه ومنع أسبابه، ووضع البرامج الوقائية وتحديد الآليات والإجراءات الكفيلة بتحقيق سبل الوقاية المطلوبة، وتعمد الإدارة إلى التعاون مع كافة المؤسسات الحكومية والخاصة داخل دولة الكويت إضافة للتعاون مع الهيئات والمنظمات الدولية ذات الصلة بالتنسيق مع الوحدات التنظيمية المختصة بالهيئة، وتتضمن خطوات التوعية والتثقيف عدة آليات تشمل التعاون مع المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني عبر المؤسسات الإعلامية، والمؤسسات الدينية، والمؤسسات التعليمية، والمؤسسات الاجتماعية.

كما تعمد الهيئة من خلال قطاع الوقاية وإدارة التوعية والتثقيف على تفعيل التعاون مع منظمات المجتمع المدني عبر استحداث برامج تفاعلية مع جمعيات النفع العام تتمثل في تنظيم الندوات والفعاليات والملتقيات التي يتم من خلالها استعراض مواضيع ذات صلة بمكافحة الفساد والوقاية منه، وإشراكها في إعداد الآليات الخاصة بالإستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد والتماس المقترحات والتوصيات اللازمة، بشأن استعراض تنفيذ الاتفاقية الأممية لمكافحة الفساد وغيرها من البرامج والتعاون المشترك.

أما الإدارة الثانية التابعة لقطاع الوقاية «إدارة البحوث والدراسات» فتختص بإعداد البحوث والدراسات الإحصائية والفنية ذات الصلة بمخاطر الفساد وسبل الوقاية منه، والتي تساهم في تحقيق أهداف الهيئة بالإضافة إلى تحليل الدراسات والتقارير الدورية ذات الصلة بجرائم الفساد واستخلاص أبرز المسببات التي تؤدي إلى ظهور الفساد وانتشاره في المجتمع، وتحديد أفضل السبل والآليات للوقاية منه ومكافحته بالتنسيق مع مختلف الجهات الحكومية والخاصة بالدولة، كما تعنى بمتابعة المعايير والبرامج المحلية والدولية المعنية بمكافحة الفساد وتعزيز النزاهة والشفافية ورفع التوصيات الدورية بشأنها.

بالإضافة إلى إجراء المسوح الميدانية والدراسات الإحصائية البيانية للوقوف على أبرز معوقات مكافحة الفساد وإعداد قواعد للبيانات والمعلومات الإحصائية، والإشراف على المكتبة الداخلية للهيئة وتزويدها بكافة المواد العلمية والتقارير ذات الصلة، وإعداد التقارير الدورية ونصف السنوية والتي تتضمن النشاطات ذات الصلة بالوقاية من الفساد ومكافحته والعوائق والسلبيات والتوصيات المقترحة، بالإضافة إلى متابعة المعايير الدولية للفساد وأحدث المستجدات بشأنها، ورصد كل البيانات المتعلقة بمكافحة الفساد، وتنقسم إدارة البحوث والدراسات إلى وحدتين تنظيميتين تختصان بما يلي:

أ- الرصد والإحصاء؛ وتقوم بجمع المعلومات والبيانات والإحصاءات المتصلة بمختلف أوجه أنشطة واختصاصات الهيئة، وتزويد القطاعات المختلفة بالبيانات والمعلومات الإحصائية ودعم برامجهم البحثية، والإشراف على تحديث وحفظ قواعد البيانات الرقمية والورقية للهيئة.

ب- الدراسات والبحوث؛ وتعمل على توفير البيانات والمعلومات ذات الصلة بأنشطة الهيئة، إضافة إلى تحليل المؤشرات والدراسات والتقارير التي تساهم في دعم الجهود والبرامج التي تنفذها الهيئة وتحقيق أهدافها بإطار موضوعي يبنى على تقليل نسبة المخاطر وتحديد أوجه الوقاية والمعالجة التي تتطلبها مكافحة الفساد.

د. أحمد محمود عيساوي
باحث وأكاديمي جزائري



فرص السبر وآفاق تسديد الخطاب

الأستاذ الداعية.. بين الجامع والجامعة

أظل طيلة حياتي -أنا ومئات الملايين من المسلمين الصادقين المخلصين- أجل وأكبر وأتبع وأقتفي أثر ما شرعه الله لعباده في المنشط والمكره، والصغر والكبر، والحضر والظعن والسفر.. حتى حلول ساعة اليقين المكتوبة، والرحيل سالما عن هذه الدنيا الفانية بأقل الحطام والخشاش، طامحا أن يشملني الرضوان الإلهي الغامر، كما يطمح إليه كل مسلم مؤمن، وهذا شأن وديدن كل مسلم مؤمن مصدق بما نزل على محمد ﷺ من دين كله خير ونفع وفلاح، وأعتقد جازما أنه لا يختلف فيه اثنان حسن إسلامهما، واستقام قلبهما، واعتدل طريقهما، ووضحت رؤيتهما.

ولب المسألة كلها لا يكمن في حقيقة ومواصفات ومناطات ومكونات الدعوة المسجدية ووسائل وأساليب خطابها، وحكم الاعتقاد بوجوبها والإيمان بأفضليتها ومكانتها وضرورة التزامها، فهذه مسألة مفروغ من فرضيتها ووجوبها البتة، لأن ظرفها وزمانها ووضعها ومواصفاتها وخطابها ومقامها الخاص بها وسائر مشمولاتها، مشروعة من عند الله سبحانه وتعالى بشروطها وواجباتها وفرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها.. ومبينة بفعل وممارسة رسول الله ﷺ لها المسنونة بسيرته العطرة، فهي تؤدي وظيفتها المشروعة لها من لدن رب العزة، وفق متعلقاتها الخاصة بها، وليست هذه هي عين المسألة، وليست هذه هي عين المسلمة الإسلامية المراد طرحها هنا، ولكن المسألة المراد معالجتها تكمن في مدى فاعلية الخطاب الديني ما بين الجامع ورحاب المدرجات الجامعية، وأيهما أجدى نفعا وتأثيرا وفاعلية وفائدة وسرعة في تحقيق الأثر؟ ومن ثم تسديد آليات السبر والتعرف على مكونات جمهور الخطاب، ومحاولات إحكام وضبط وتوجيه آفاقية الخطاب المنتظر ليحكم في صناعة الجمهور.

ونتساءل -هنا- بموضوعية منهجية وواقعية علمية قائلين: هل يمكننا بأي حال من الأحوال عرض انطباعاتنا وخلاصة ملاحظاتنا واستنتاجاتنا المتواضعة حول بقايا تجربة مسجدية ودعوية لنا دامت أربعة عقود من الزمن الدعوي الفاعل (١٣٩٨-١٤٣٩هـ/١٩٧٧-٢٠١٧م)، المستظل بظلال ما شرعه

صعوبة تغيير جمهور الفضاء المسجدي العام

الله سبحانه وتعالى في الخطاب المسجدي المحوري في العملية الدعوية الإسلامية برمتها؟ وأين يمكننا وضع تجربتنا تلك بين تشوقات وتشوفات تجريبية عن مدى فاعلية وتأثير كل منهما؟ ومدى حاجة كل منبر منهما للآخر؟ ومدى خدمة كل منبر للآخر؟ من دون تفضيل توقيفات الله لصلاة الجمعة عن توفيقات تسديد آلية الخطاب الديني الجامعي المسجدي والتربوي البشري الاجتهادي.

ولنا أن نتساءل هنا أيضا: هل بالفعل يمكننا اعتبار منابر الخطاب الجامعي -التربوي والتعليمي والدعوي المسجدي أيضا من خلال مسجد الطلبة في الجامعة أو في الإقامات الجامعية للطلاب والطالبات- أكثر تأثيرا وفاعلية من منبر الخطاب المسجدي الجمعوي والاجتماعي العام؟ وهل ثمة مناهج وعلوم يمكن استثمارها وتفعيلها بين الفضاءين الدعويين؟ وأيهما أسرع تعرفا وكشفا عن حقيقة الجمهور وفاعلية الخطاب؟ وأيهما أمكن التحكم فيه وتوجيهه بسرعة ليؤتي ثماره؟

وعبر هذه الأسئلة ومثيلاتها من التساؤلات والفرضيات ومحاولات الإجابة التجريبية بين الفضاءين الدعويين وفيهما وعليهما وضمنهما، يمكننا استظهار بعض فروض التجربة وفرصها. ومن هنا يمكننا القول بأن: التجربة الدعوية المسجدية تقوم على جملة من المقامات الواجب على الداعية استجماعها بدقة وفاعلية وكفاءة، فيما يسميه المشتغلون اليوم في الدراسات الدعوية بـ«ثقافة الداعية»، و«ثقافة الإلقاء والاستماع» و«ثقافة الإقناع والتأثير»، و«أساليب الخطاب والتحشيد»، و«ثقافة الجدال والحجاج والمناورة البيانية والعقلية» و«أساليب الاتصال والتواصل».. أي: تكوينه (الداعية) العلمي والفكري والثقافي والأدبي واللغوي والنفسي والسلوكي والإعلامي والاتصالي.. ومدى قدرته على صناعة خطاب دعوي مسجدي فعال ومؤثر في الجماهير المدعوة والمستقبلة العامة، أو الجامعية المتخصصة.

إن التجربة الدعوية الجامعية للأستاذ الجامعي الداعية تشترك مع الأولى في الفرص والآليات والمكونات نفسها، ولكن بأداء أكثر فاعلية وتأثيرا وإصابة في تحديد وتشخيص جمهور الخطاب من جهة، وفي معرفة مدى نجاح آفاقية وتسديد الخطاب.

ونتساءل هنا عن الجهود الدعوية المبذولة في المساجد أو الجامعات التي يبذلها الدعاة عموما في الجامعات المتخصصة أو في المساجد الشعبية العامة، أيهما أكثر تأثيرا وفاعلية على صناعة نفسية وشخصية الإنسان المسلم السوي؟ أم أنها مجرد واجب شرعي يؤديه الأئمة ويحضره المدعوون كتأدية واجب شرعي فقط دونما دراسة للصدى والتأثير ورجع الصدى ورؤية أثره في واقع الناس وحياتهم؟ وهل في تجربتي الدعوية المسجدية في المساجد الجزائرية بعض آثار خبرة في هذا المجال يمكنها أن تضفي بعض الوضوح على المشهد الدعوي والخطابي المسجدي والجامعي؟ أم أنني أمضيت أيضا -كغيري- ردحا من الزمن أعتلي المنبر وأقول وأزبد وأرغي بانفعال وهياج منقطع النظير.. دونما أدنى معرفة حقيقية بقيمة وأثر الجهد المبذول في جمهور المدعوين؟

إن تجربتي المسجدية قادتني عبر فروض الدراسة التي كنت أجريها وأتتبعها مع جمهور المدعوين المسجديين في الدروس العامة، ودرس الجمعة الذي يكون قبيل الخطبتين (خاص بنا نحن سكان الأقطار المغاربية لاعتبارات مقاصدية)، وخطبتي الجمعة أيضا، وفي الفتوى والإجابة على الأسئلة، وفي المناسبات الدينية والوطنية الجزائرية المختلفة.. قادتني إلى قابلية أحد الفضاءين للتطويع والدرس السريع، وصعوبة تليين جمهور الفضاء الدعوي الآخر، وهو الخطاب المسجدي العام إلا بعد طول نفس وصبر جميل جدا.

فالدراسات الميدانية التي أجريتها على جمهور المدعوين المسجديين والجامعيين للتأكد من فاعلية وتأثير الخطاب من جهة، ولعدم إضاعة الجهد والوقت فيما لا يفيد ولا يجدي نفعا وتأثيرا عدا تأدية الواجب الشرعي اعتباطا، قد آتت أكلها في حقل الدعوة الدينية والمسجدية الجامعية، وتقاعدت مسبقا ومبكرا في فضاء الدعوة المسجدية التي تخاطب عموم الناس، لاعتبارات متعلقة بالأساس بالجمهور العام وطبيعته وخصائصه ومشاكله وانشغالاته، والتي يكون آخرها لديه الانشغال بحمل رسالة الإسلام والعيش كفرد رسالي بين الناس.. إلا ما رحم ربك من جمهور المدعوين المسجديين.

وقبل أن أقدم بعض هذه النماذج البحثية ونتائجها المثيرة والمحيرة التي أجريت على رواد ومرتادي الفضاءين الدينيين العام والجامعي، الذين يتماثلون من حيث العدد، ويتجانسون من حيث القابلية، أود أن أنبه إلى أهمية وفائدة ودور تمكن الداعية من مناهج البحث العلمي الحديثة، لاسيما مناهج الدراسة الميدانية أو المضمونية للخطاب وللانشغال الجماهيري، لأنه بها يمكن معرفة منحى توجه وتأثير الخطاب من عدمه، ومعرفة معوقات

جمهور الفضاء الدعوي الجامعي يمكن التحكم فيه وتوجيهه

وتحديات مرور ووصول الخطاب لعقول وقلوب الجمهور لتحقيق أهدافه، ومعرفة ساكنية وفاعلية الخطاب في الجمهور المدعو، ومعرفة مدى وعي وذهول وشرود وغياب عقول وأفئدة المدعوين عن متابعة الخطاب وسماعه فضلا عن الاقتداء به وتطبيقه.. وغيرها من النتائج المهمة في حقل الدعوة، والتي في ضوئها يمكن للداعية إعداد وتخطيط مشروع دعوي فاعل وناجح وناجع أيضا، ولا تكون جهود الدعاة مجرد هباء وعمل غير مدروس وغير مخطط لا ينفع.

مناهج البحث الحديثة

ما زلت أعتقد اعتقادا جازما وحسب الخبرة العلمية وفتوحات العقل المسلم التراثي والمعاصر اليوم -على أقل وأقرب تقدير الآن- بأن مناهج البحث العلمي الحديثة، كمنهج الإحصاء والكم والدراسات الميدانية كدراسة الجمهور أو الحالة أو الشريحة أو الفئة أو العينات الطبقية أو العشوائية أو العنقودية.. المخاطبة من جمهور المدعوين والمستقبلين، أو دراسة المضمون الذي يشغل بال الجمهور، توفر كما لا بأس به من المعارف والمعلومات الحقيقية أو القريبة منها على أقرب تقدير، والخاصة بجمهور المدعوين الحقيقيين والمستقبلين المرتقبين أو المتوقعين أو المنتظرين، والتي تكون حاضرة بين يدي صانعي الخطاب الدعوي لتوفر لهم قدرا مناسبا من الإضاءات لبناء خطاب ديني ودعوي مؤسس ومبني ومبرمج ومخطط في ضوء تلك المعارف المستقاة من أقلام وألسنة وسلوكيات وعادات وأفعال.. العينات المدروسة، والتي يمكن من خلالها وبها وفي ضوئها بناء أو تعديل أو هيكلة أو إعادة هيكلة أو إعادة بناء أو توجيه الخطاب الدعوي ابتداء أو تحويره وتحويله من جديد. أو ما يعني -بدقة علمية ومنهجية متناهية- بالتخطيط الدعوي عند أصحاب الدراسات الإستراتيجية.

فمعرفة فئات الجمهور وأنواعه وأشكاله وطبقاته المختلفة وعلى حقيقته وصورته الواقعية، لا كما يتصوره أو يتخيله أو يتوهمه الداعية أو صانع الخطاب الدعوي، أمر مهم وأساسي وضروري لنجاح وفعالية وتأثير عمل الداعية وصانع الخطاب، بل هو أساس وكلكل العملية برمتها، فمن غير المرغوب دعويا توجيه خطاب في مسجد لعموم الفقراء يدعوهم فيه للصدقة والزكاة والبذل والعطاء إلا بحديث «ذهب أهل الدثور بالأجور» لعدم قدرتهم على الوفاء بالتزامات تكاليف النص لانعدام محل تنزيله فيهم من جهة، ولعدم مناسبة المقام للحال، على حد قول البلاغيين، من جهة ثانية، ولما يتركه هذا الخطاب من ظلال التأسف والحسرة والألم في نفوس هذه الشريحة الفقيرة من المسلمين من جهة ثالثة، ويقابله ترك الخطاب نفسه والواجب عليه أن يسجل حضورا قويا وفاعلا ومتلألئا في مساجد الأحياء الراقية والغنية من المدينة، حيث يكثر الأغنياء والموسرون والقادرون على الإغداق والصدقة وإخراج الزكاة.. ولو كانوا من فئة البخلاء المقترين، لأن المهم هو التبليغ وإقامة الحجة والبلاغ. فمن أين يتأتى للداعية معرفة كل هذا وذاك لولا منافع الدراسات العلمية والمنهجية الحديثة؟

دور الدراسات الميدانية في دراسة الجمهور المسجدي

وتأسيسا على ما سبق، أود عرض بعض النتائج البحثية في مجال دراسة جمهور المدعوين المسجديين، التي تناولت شريحة مكونة من قرابة ألفي مدعو وثلاثمئة مدعوة يحضرون باستمرار في درس وخطبة الجمعة اللذين كنت اضطلع بهما في سنيني الدعوية المسجدية العامة، ويتابعون الدروس الرمضانية في أحد الأحياء الفقيرة في إحدى المدن الجزائرية (تبسة في أقصى الشرق الجزائري). وبعد أن كان الخطاب الدعوي لسنوات (١٤٢٦-١٤٣٠هـ/٢٠٠٥-٢٠١٠م) ينطلق بالأساس من حدس وفهم وظن وتخمين صانع الخطاب الدعوي (أنا- والمعذرة على خنوس الأنا الجمعي هنا)، معتمدا على خبرتي وتكويني (ثقافة الداعية المتنوعة) من دون معرفة حقيقية بانشغالات وهموم وقضايا وحاجة ورغبة وواقع الناس (المدعوين)، والتكهن الاعتباطي -وبعد بذل الجهد في الصراخ والانفعال والتهويل.. ونحوه من أساليب خطاب العقل البياني القائم على الحجة الخطابية والشعرية الرائعة- نهاية كل نشاط دعوي، لاسيما بعد سقوط الكثير من المدعوين في حالة من الانبهار والذهول التي تنتاب الكثير من المتزلفين عادة بكيل مكاييل المديح على بلاغة وبيان وفصاحة صانع الخطاب صدقا أو غيره. وهو ما لا يعطي الصورة الحقيقية لصانع الخطاب عن مدى فاعلية وآفاقية ونفعية الخطاب، بحيث يبقى الجهد الدعوي لصانع الخطاب مجرد مراوحة في المكان والزمان والأسلوب.. فيعتقد صانع الخطاب عقب كل نشاط أنه مأجور لوحده على بذل ذلك الجهد الاعتباطي وغير المدروس، وأنه قد برئ من ذنب كتمان العلم الشرعي، وأن

المسؤولية تقع وحدها على الجمهور الذي لم يستجب ولم يبادر إلى تطبيق تلك النصائح والتوجيهات ونحوها، ولربما يكون صانع الخطاب هنا غير مأجور البتة عند الله، لأن الله أمرنا بأن نخضع كل شيء للدراسة والبحث والتخطيط ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٥)، وليس للتكهن الاعتباطي، أو للتخمين في حقيقة الجهد المبذول، الذي يقاس عادة بمدى الصراخ والتهويل اللذين يصدران من صانع الخطاب على المنبر، ومن دون احتساب الظروف الزمكانية والكيانية والإمكانية المحيطة بالفرد والجمهور.

وقد رشحت معطيات ومكونات الدراسات بالمقدمات والفروض التالية:

١- فرضية تجاوب وتفاعل واستفادة وانسجام الجمهور المدعو (٢٠٠٠) و(٣٠٠) مع الخطاب، واختيرت له استمارة مكونة من عشرة أسئلة، تضمنت أسئلة كهذه: (متى تحضر لسماع درس الجمعة؟ ما هي الموضوعات التي استرعت اهتمامك؟ هل تواصل الاستماع أم تحصل لديك حالات غفوة أو غفلة أو شرود عن متابعة الدرس؟ هل لغة الإمام مفهومة؟ هل أنت مسرور بهذا الخطاب أم تريد نوعا معينا منه؟ و..)، وقد قدمت الاستمارة بخط كبير ومقروء وواضح للمدعوين عقب صلاة الجمعة، بل سلمت لمن يستطيع الإجابة عنها بنفسه، مستبعدين الأميين وغير المهتمين، شريطة تقديمها يوم الجمعة القادم في غرفة الإمام.

وكانت النتيجة كارثية بعد تقديم الاستمارات والانتظار في الأسبوع المقبل، إذ لم يرد عليها أحد من المصلين قط، وجاء آخرون يطلبون المزيد لأنهم لم يتحصلوا عليها في المرة الماضية.

والنتيجة هنا أن الجمهور المدعو العام هنا أقل وأبطأ وأندر استجابة للخطاب الدعوي مهما رقى وعلا وصدق. والمشكلة أنه لا يمكنك متابعتهم، ولا تأديبهم ولا معاقبتهم، بل حتى معاتبتهم الرقيقة كالطلبة في الجامعة مثلا. ولما فشلت محاولة التقرب من جمهور المدعوين المسجديين في القياس الأول، التجأت إلى المحاولة التقربية الثانية، والمتمثلة في التالي:

٢- فرضية انخراط الجمهور المدعو مع الخطاب التنفيذي والتطبيقي المباشر، على اعتبار أنهم عمليون تطبيقيون وليسوا نظريين مجردين، واقترحت تجربة سهلة وميسورة، وعرضتها على المدعوين، وتمثلت التجربة في محاولة غرس عشرين شجرة في محيط المسجد في يوم تطوعي، ويكون مساء الخميس وهو يوم عطلة يومها وسنتها.

وكانت النتيجة كارثية أيضا، إذ حضر الإمام الدائم والمؤذن والقيم والحارس وخطيب الجمعة (أنا) المتطوع فقط وأبناؤنا لغرس العشرين شجرة حول المسجد وفي حديقته. وغاب سائر المدعوين والمدعوات.

والنتيجة هنا أن الجمهور المدعو العام كسول وخامل ومريض وغير حساس ومهتم.. بل هو جمهور كثير العدد فقط، ومعرض -للأسف- أيضا عن تقديم أو بذل أدنى جهد يخدم به محيطه البيئي المسجدي، فضلا عن خدمة محيطه البيئي العام، أو غيره من القطاعات والفضاءات الحيوية ذات النفع العام والفائدة العامة والمشتركة اجتماعيا، كما هي حال المجتمعات الغربية ذات الوعي والأخلاق الوضعية النفعية والمصلحية، وإننا لم نستطع الوصول إلى هذا المستوى المادي الأدنى، فما بالك بالارتقاء إلى مستوى الأخلاق الدينية الربانية الواردة في توجيهه عليه الصلاة والسلام «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»؟ إذ «إماطة الأذى» دين وعبادة وتقرب إلى الله.

وهنا وجب على الداعية الطمأنينة والركون إلى عظيم وصرامة سنن الله ونواميسه في الأنفس والأشخاص والعلاقات الرابطة بين الجماعات.

ولما أعيتني الفرضية الثانية في القياس والتقرب إلى الجمهور أكثر وأعمق، قررت تقديم شيء من الموعظة حول ظاهرة أفسدت علينا دور عبادتنا، وهي تحويلها إلى فضاءات للدردشة والحديث والتسلية والتجمع والتحلق العبثي، فكانت الفرضية الثالثة.

٣- فرضية فرض النظام والهدوء في المسجد، لاسيما أثناء إلقاء الدروس وخطب الجمعة ونحوها من المناسبات الدينية، التي يعجز الكثير من الأئمة عن السيطرة والتحكم فيها، لاعتبار واعتقاد وإيمان المدعوين بأن المسجد فضاء حر ومفتوح، وهو من فضاءات التسلية والترفيه العامة أيضا، وهي عين المشكلات وأمها. على العكس من الجامعة التي يمكن الحصول عليها بسرعة في مدرجات وأقسام الجامعة وفي مسجد الطلاب والطالبات لعلو المستوى العلمي والفكري والروحي والرسالي من جهة، ولرغبة المنتسبين إلى المسجد الجامعي في الالتزام بتعاليم الإسلام والتأدب بآدابه من جهة أخرى، وبناء شخصياتهم وفق رسالية الفرد المسلم المثالي.

والنتيجة هنا: أنه شتان بين الفضاءين الدينيين والدعويين في سرعة التأقلم والاستجابة لله ولرسوله.

ولما أعيت القائم بالخطاب الدعوي الدراسة الميدانية النظرية والتطبيقية لجأ إلى دراسة مضامين انشغالات وتساؤلات الجمهور الشفهية والمكتوبة، وها هي إحدى نتائجها:

٤- فرضية اكتشاف توجه الجمهور المدعو من خلال الأسئلة المكتوبة الموجهة للإمام (أنا) لكي يجيب عليها،

وكشفت نتائج تحليل المضمون لتلك الأسئلة والقصاصات أن الأسئلة كانت قليلة قياسا بعدد المصلين والمصليات المقدر بألفين وثلاثمئة مدعو، فكان كل سؤال يقابله عشرون مدعوا تقريبا، أي إنه من بين كل عشرين مدعوا سأل واحد منهم الإمام فقط، وهذا مؤشر سلبي جدا، فضلا عن أن غالبية الأسئلة الدينية الحقيقية كانت قليلة جدا، فيما كانت أوراق وقصاصات أخرى تعد بالمئات، من مثل القصاصات ذات الموضوعات التالية:

١ – شكر الإمام والسلام عليه والدعاء له والثناء على جهوده والافتخار بكونهم ينتمون إلى عشيرته نفسها.

٢ – طلب الدعاء من الإمام؛ لأنه، بزعمهم، مبارك وطيب ومستجاب الدعاء كأبيه، وجده الذي كان صديقهم وابن حارتهم.

٣ – تفسير الأحلام والرؤى والمنامات والكوابيس.

٤ – طلب المساعدة من مال ونحوه بقصد التداوي والزواج وكفالة الأيتام والأولاد.

٥ – طلب التبرع بالدم لأقربائهم المرضى.

٦ – طلب حل الخصومات وإصلاح ذات البين والدعوة للقيام بعقد القران والخطوبة وتحليل الأنكحة الفاسدة، لاسيما يمين الطلاق.

٧– طلب إجراء رقية شرعية واصطحابه معهم للبيت لرقية البيت وسائر الأشياء الأخرى.

فيما كانت أسئلة العقيدة وأصول الدين لا تتعدى العشرين طيلة خمس سنوات، وأسئلة الفقه عموما لا تتعدى الخمسين، ما بين فقه عبادات، فقه معاملات، فقه أسرة، وفقه سياسة شرعية.

والنتيجة أيضا ليست محيرة ومثبطة للآمال فقط، بل تنبئ عن المستوى الديني والروحي والنفسي والرسالي والاجتماعي والأخلاقي والديني والحضاري.. لهذه الفئات العامة.

فكيف السبيل لإعادة وضعها في محضنها الحقيق الرسالي ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)؟ إنها وظيفة سائر مؤسسات الدولة والأمة والمجتمع، وليست هي وظيفة الإمام وصانع الخطاب لوحده، إذ إن تأثيرات الخطاب الدعوي تكون ضعيفة الفاعلية أمام سيول ومعوقات الحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية والنفسية الكثيرة، ولا يمكن للخطاب الدعوي مهما أوتي من ضبط وإحكام ودقة وصياغة.. أن يعالج ما تقاعست عنه وزارة الصحة، أو ما أهملته وزارة التربية، أو ما تناسته وزارة الإعلام، أو غفلت عنه وزارة التموين والتجارة، أو.. أو.. غيرها من الهيئات والمؤسسات.

وتأسيسا على هذا كله ندعو المتخصصين والقائمين على الشأن الديني والدعوي إلى تفعيل دور عملية التكوين والتأطير والانسجام المعرفي لمعرفة حقيقة الجمهور، ومن ثم صناعة خطاب حكومي شامل وعام ومنسجم مع الخطاب الديني ومتناغم معه، ليؤدي الجميع دورهم في نهضة الأمة.

وهذا شق الدراسة المتعلقة بجانب الخطاب الدعوي العام. أما شقها الثاني المتعلق بالخطاب الدعوي والديني الجامعي، فقد ارتقت به المناهج والأبحاث الميدانية وسارت به نحو مراتب مقبولة حضاريا ونهضويا، وذلك عبر الدراسات الميدانية.

الدراسات الميدانية

يتميز الفضاء الدعوي الجامعي عن نظيره العام بالانضباط والالتزام والتحكم والقدرة على المتابعة وبارتفاع مستواه العلمي والفكري واللغوي والأدبي، فالأول (المسجدي العام) غير متحكم فيه، ولا يمكن متابعته وضبطه وتوجيهه، بينما الفضاء الدعوي الجامعي يمكن التحكم فيه ومتابعته وتوجيهه، وهو أسهل وأيسر في التجاوب والتفاعل، وقد استللت من تجربتي الميدانية في الدعوة الجامعية مدة عقد فقط (٢٠٠٧–٢٠١٧م)، وكنت أقدم مطلع كل سنة جامعية لمجموع الطلبة المقدر عددهم بحوالي ألف طالب وطالبة، استمارة تتضمن صنوا من الأسئلة العادية، من مثل: (اذكر قائمة بأسماء الكتب التي قرأتها خلال مسار حياتك؟ ما هي صحيفتك المفضلة؟ كم ساعة تقرأ في اليوم؟ كم ساعة تشاهد التلفاز؟ كم تدفع ثمن فاتورة الهاتف النقال؟ كم ساعة تبحر في الفضاء الأزرق؟ كم من صديق وهمي إلكتروني تتصل به في اليوم؟.. ونحوها).

والحقيقة فقد كانت الإجابات سريعة ومباشرة وفي حينها، وتؤخذ من الطالب الجامعي من دون سابق اطلاع منه، وبالتالي فقد كانت النتائج المتحصل عليها من تلك العينات سريعة وكاشفة للعيوب ومناطق العوار، وأماكن النقص الفادحة في التكوين والتأطير والتربية الأسرية والمؤسسية، وبالتالي أمكن معالجتها في أوقات قليلة وبأقل الجهود، والتحكم في إعداد وتخطيط وتوجيه الخطاب الديني المناسب لها، وتحصيل نتائجه السريعة، لاسيما فيما تعلق بقراءة الكتب، وتفعيل آلية المطالعة وربطها بالبرنامج الدراسي الجامعي، لاسيما في الحصص التطبيقية، التي صارت تعتمد في كلكلها وصلبها وأساسها قراءة وتلخيص الكتب في موضوعاتها الخاصة والمرتبطة بها (سيرة، حديث، فقه، أصول، مقاصد، تفسير، علوم قرآن، فكر، دعوة، تاريخ إسلامي..)، فعلم السيرة

يقرأ ويلخص كتاب (الرحيق المختوم، أو نور اليقين، أو مختصر سيرة ابن هشام)، وفي الفقه يقرأ ويلخص كتاب (القوانين الفقهية لابن جزي الغرناطي، أو الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية)... وهكذا.

ولما استعد الطلبة لمثل هذه الأسئلة مطلع كل عام جامعي عبر عملية التواصل فيما بينهم، لتجنيب أنفسهم -بحيلة وضيعة- حراجة الموقف وإكراهاته النفسية والوجدانية والاجتماعية.. وأصبح كل طالب يعد قائمة مسبقة وشرحا مختصرا لها، تفطنت للعملية وطورت عملية السبر التي نتجت عنها عمليات تسديد وتوجيه الخطاب. وكانت كالآتي:

١- تطورت الدراسة الميدانية معهم وصارت تقدم أسئلة فجائية وغير متوقعة مصل: (في أي شهر هجري نحن؟ من يتلو على مسامع أصدقائه الأشهر الهجرية مرتبة؟ من يعرف مترادفات أسماء بعضها، كرجب الفذ ورجب مضر ونحوه؟ ومن يعرف أسماء العشرة المبشرين بالجنة؟ من يعرف عدد غزوات رسول الله ﷺ؟ ومن يعرف زوجاته وأبناءه وخدمه وطعامه وشرابه ولباسه وغسله ونومه وفراشه وسيره وحديثه..؟) ونحوها.

وكانت النتيجة كارثية ومذهلة ومحبطة أيضا، إذ اكتشفت أن غالبية الطلاب والطالبات -رجال ونساء المستقبل- يجهلون جهلا تاما سيرة نبيهم محمد ﷺ، ولم يستطيعوا -للأسف الشديد- ذكر أهم المحطات في حياته عليه الصلاة والسلام، كعشيرته وقبيلته وجده وأبيه وأمه وحياتهم ووفاتهم، وولادته وطفولته ومرضعاته وبعض حوادث الطفولة كحادثة شق الصدر، فضلا عن مكان نزول الوحي، وغيرها من المحطات المهمة الواجب على كل بيت مسلم أن يعلمها لأبنائه وهم صغار في المرحلة الابتدائية مع الفقه الإسلامي لضمان تأديته للعبادة على أكمل وجه. (أملك في مكتبتي كأدلة وعينات أكثر من ألف ورقة مصححة بهذا الخصوص عليها سائر بيانات الطلبة لمن يستخف بقيمة الدراسة).

وبفضل كشوفات الدراسات الميدانية الفجائية والسريعة أمكن معرفة عمق الكارثة وفداحة الخطب، الذي أثخن في العمق الإسلامي، وأعددت خطابا علميا ودينيا مدرسيا جامعيا في مدرجات الجامعة وقاعات التطبيق مع أوسع شريحة أقوم بتدريسها، وبدأت أنبه إلى خطورة جهل هذه الحقائق، وبخاصة معرفة سيرة وسنة النبي محمد ﷺ، وجهل الفقه الإسلامي، على اعتبار سلامة وصفاء عقائد الناس وفطرهم في القطر الجزائري، وتراوح الخطاب بين الحصتين النظرية والتطبيقية، وتخصص في قراءة كتاب ديني في السيرة النبوية وتلخيصه، وتقديمه لنيل نقطة التطبيق التي تضمن النجاح في المادة، لاسيما باستغلال الأستاذ الداعية المواد التدريسية (مدخل إلى علم الدعوة - مدخل إلى مناهج الدعوة - أعلام الدعوة الإسلامية - منهجية البحث الدعوي - الخطاب الإسلامي الحديث والمعاصر - اتجاهات وتيارات الفكر الإسلامي)... وبعد أربعة أشهر صار الطلاب في وضع آخر غير الذي أتوا به في مطلع العام، وبعدها تطوروا في الأعوام المقبلة.

٢- تطورت وتيرة الأبحاث الميدانية، بهدف إخراج الطلاب من حالة الاحتيال والاستدارة على الأسئلة، وطرح على دفعة أخرى بشكل مفاجئ وسريع السؤال التالي: (كنت بين جماعة من الناس فيهم اليهودي والمسيحي والبوذي والهندوسي و.. وطلب من كل واحد منكم أن يعرف بنبيه، فماذا أنت كاتب عن نبيك محمد ﷺ؟).

وكانت النتائج الكارثية والفورية والفجائية محبطة وصادمة، فقد كتب المئات منهم مشاعر حب، وآهات وأنات وأشواقا في تعظيم النبي محمد ﷺ، من دون وجود أدنى معلومة حقيقية عنه وعن سيرته وحياته عليه الصلاة والسلام.. فـ «هو حبيبي وقرة عيني ومهجة قلبي..» وغيرها من المشاعر الفارغة من الحقائق المعرفية الأساسية في سيرته ومنهجه ﷺ، وفي معرفة سيرة وحياة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وفي ضوئها عدلت الوتيرة وغيرت البوصلة باتجاه طرح أسئلة عن التاريخ الإسلامي المجيد، والفتوحات الإسلامية، والخلاف بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.. لأكتشف ضعف أجهزة الفرد المسلم العقلية والفكرية والوجدانية والنفسية.. ممثلة في نخبه الجامعية ومستقبل الأمة وحلمها وتطلعها.

وأمكن متابعة هذه الجراحات ومعالجتها عبر الخطابين المسجدي والجامعي، لاسيما بعد التحاق فئات الطلبة الجامعيين المهتمين بفريق الجمهور المسجدي العام، وتحول الكثير منهم إلى مشاريع دعاة صغار وجدد ينشطون ضمن الفضاءات المسجدية العامة والجامعية.

وستتحدد الرؤية المستقبلية لهذه التجربة الدعوية بمدى سيرها المخلص والواثق بعون الله تعالى وتوفيقه في الأرض، وعندما تضمن لها وسائل الاتصال والإعلام الإسلامية تعميمها وتبليغها لتصل إلى كل الدعاة المهمومين بعقدة تخلف الأمة الإسلامية، والمسكونين بهاجس نهضتها ورفعتها، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).



أميرة الشناوي السيد كيوان
باحثة تربوية- مصر

المنهج التربوي في التربية

التربية هي تعهد الإنسان في مراحل حياته حتى يبلغ حد الكمال في أخلاقه وسلوكه وعاطفته، أو هي عملية توفير الفرص الملائمة لنمو الفرد نموا متكاملا في جميع نواحي شخصيته الجسمية والعقلية والعاطفية والاجتماعية، حتى يستطيع ممارسة أنماط سلوكية مختلفة تمكنه من التكيف مع الحياة والمجتمع(١).

وهذا عمل يحتاج إلى استيعاب كل الجوانب في حياة الإنسان، فالإنسان جسد والإنسان روح والإنسان عاطفة والإنسان عقل.

ولن تتم العملية التربوية حتى تتم كل هذه الجوانب في حياة الإنسان، وحتى تتم تغذيتها بما يلزمها من عاطفة وعلم وعقائد وأخلاق وتكوين جسدي، وإن أي خلل في جانب من هذه الجوانب سينعكس على الجوانب الأخرى ويحدث فيها خللا (فتحتاج العملية التربوية إلى خطط متدرجة تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية، وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة(٢).

ولقد بلغت تربية النبي ﷺ حد الكمال والمنهج الأمثل بشموليتها، من تنمية للفكر وتنظيم للسلوك وتغذية للعواطف وبناء الجسد من دون أن يطغى جانب على جانب بما يحقق أهداف الفرد والمجتمع في السعادة والكمال والرقي، وكان أسلوبه الأسلوب المتجدد الذي يلبي حاجة كل عصر ويصلح لكل زمان ومكان ويستوعب جميع طبائع الناس على اختلاف أنماط سلوكهم وصفاتهم ومراحل عمرهم.

تربية الصغار

قد تكون سائرا مع ابنك في طريق ترمقكم عيون الناس أو يكون معك في مجلس، فيخطئ الطفل أو لا يحسن التصرف في موقف من المواقف، ما قد يخجلك أمام الناس، وهنا تختلف ردة فعل المربين، فمنهم من يضرب هذا

الولد، ومنهم من يهمله ويتركه من دون تعليم، ومنهم من يبرر له خطأه، ومنهم من يحسن فهم الموقف ويعطيه حقه.

وتأمل معي هذا الموقف التربوي النبوي، فقد ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما، تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ «كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟»(٣).

طفل تتوق نفسه لحبة تمر يتناولها، فما ترك النبي ﷺ هذا الموقف يمر من دون أن يعلم الطفل، ولم تأخذه عاطفة النبوة فيترك للولد طفولته، بل زجره بكلمة يفهم الصغار أنها تحذير من شيء لا يليق، وأسلوب يتناسب مع طفولته البريئة، ثم قال أما علمت؟ وكأنه يعامله معاملة الذي يعرف ولكنه قد نسي، وكأنه يذكره فقط ليرفع من همته وليكون أدعى لقبول النصيحة ويشعره بأن هذه الأخلاق لا تليق بأمثاله.

ثم علل النبي ﷺ سبب منعه للطفل من الأكل بقوله «لا تحل لنا الصدقة» لتكون له قاعدة شرعية عامة في حياته كلها ولم يترك الموقف من دون تعليل، رغم طفولة الغلام.

وهذا موقف ثان يتوجه فيه التأديب النبوي إلى عبد خادم يسوق الإبل ولكنه لا يحسن السوق، ويغفل هذا الخادم عمن داخل الهودج من النساء الضعيفات اللواتي تؤذيهن السرعة، والنبي ﷺ يستطيع أن يتصرف مع خادمه كما يشاء، يستطيع أن يضربه، ويستطيع أن يغلظ له القول، ويستطيع أن يتخلص منه ويأتي بغيره، ولكن الأجدى من كل هذا والأنفع أن يصلح له خطأه وأن يشعره بإنسانيته من خلال معاملته بعاطفة الأبوة.

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة! يحدوا، فقال له رسول الله: «ويحك يا أنجشة! رويدك سوقا بالقوارير»(٤) أي النساء.

إنه التنبيه اللطيف من دون عنف ولا ازدراء، بل إنه الأدب النبوي الذي يعلمنا أن نستأصل الخطأ من جذوره بأسلوب هين لين، وهذا غاية النجاح في العملية التربوية، لأنك تغرس مكان الاعوجاج استقامة، ومكان الخطأ صوابا، ومكان العداوة محبة، ومكان الجهل علما.

فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم الكلام ولا يعقل التنبيه، فإن النبي ﷺ أرشدنا إلى وسيلة تربوية تناسب طفولته وتزجره عن لهوه، وهي أن نجعل السوط الذي ينفر منه الطفل ويخاف من لسعه جسده على مرأى منه، ولكن من دون أن نضربه به إنما هو العامل النفسي في التربية.

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت.

إنه الأسلوب النبوي في تربية الصغار، فالطفل لا يضرب ولكنه أيضا لا يترك من دون تنبيه يتناسب مع عاطفته الصغيرة وطفولته البريئة. فإذا صلب عوده واشتدت بنيته ضرب الضرب التأديبي المناسب إن احتاج المؤدب إلى ذلك من دون أذى نفسي أو جسدي أو إشعاره بالانتقام.

روى أبو داود بإسناد حسن عن رسول الله ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر»(٥).

فإن ابتداء الضرب على التقصير في الأمور المهمة يكون في سن العاشرة، وإذا كان النبي ﷺ لم يأذن بضرب الطفل على التقصير في أمر الصلاة، وهي ركن الدين وعموده، فمن الأولى ألا يضرب في باقي الأمور السلوكية التي لا تساوي مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله تبارك وتعالى.

فهل يليق أن يضرب الوالد ولده لكسر كوب أو تحطيم لعبة أو لكلمة ينطقها أو حركة يؤديها؟ أم الأفضل اتباع الأسلوب النبوي من الحكمة والعقل والتعليم الذي يتناسب مع طفولته؟ وهل يليق أيضا أن نفرط في إهمال الطفل من دون تأديب أو تعليم؟

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «أما الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب ردئ الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»(٦).

تنمية العقيدة والعبادة

إذا استقامت عقيدة الإنسان وترسخت في قلبه، استقامت أعماله وصلحت سيرته وسريرته واتزنت شخصيته، وفطرة الطفل مرنة صافية تتقبل ما ينقش عليها.

لذا كان من منهج النبي ﷺ، أن يؤذن في أذن المولود حين ولادته وأن يلقن كلمة التوحيد أول ما ينطق، ليكون اسم الله أول ما يطرق سمعه وأول ما ينطق لسانه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»(٧).

وروى عبدالرزاق في المصنف: «كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أول ما يتكلم به»(٨).

إن ترك الطفل من دون ربطه بالله عزوجل وترسيخ عقيدته بذلك ومن دون توجيه قلبه لخالق الكون ومدبره جل جلاله، يجعل عقله وفكره نهبا لعواصف الشك والتردد والأوهام، ويجعل قلبه عرضة للشتات والوساوس والضياع ويجعل حياته مضطربة مهتزة لا تستقيم على دين أو خلق.

وما أعظم تلك الكلمات النبوية التي يلقنها النبي ﷺ لغلام يردفه خلفه على راحلته بأسلوب يثير في القلب كل كوامن العشق لله تعالى من التعلق به والتوجه إليه وقطع الأمل من سواه، وتجعل الفطرة على يقين بأن الله تبارك وتعالى هو وحده المتصرف في الكون ولا سلطان لغيره مهما عظمت قوته أو كثر جمعه أو عز جاهه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء

قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٩].

فأي عثرة تقف في وجه غلام يلقنه مربيه هذه الكلمات؟ وأي عائق وأي مشكلة ستصعب عليه وهو على يقين بأن تصريف الأمور بيد خالق هذا الكون العظيم جل جلاله؟ أي خوف سيتسرب إلى قلبه وهو المليء بالثقة بالله سبحانه وتعالى؟

ثم كم سيتملكه من حب لله تعالى، إذا عرف أنه هو الذي يحفظه أينما كان ويعينه إذا استعان ويرد عنه كل كيد من البشر؟

بعد هذا الأسلوب المحكم من التربية على الإيمان بالله تعالى وإخلاص القلب له، لا يصعب على هذا الطفل إذا اشتد عوده أن يؤدي ما عليه من واجب العبادة لله تعالى وطاعته.

فقد كان رسول الله ﷺ، بعد تلقين التوحيد يعلم الطفل ويلفت انتباهه إلى ما يجب عليه من عبودية لله تعالى، أليس هو الذي أوجدنا من العدم؟ أليس هو الذي أكرمنا بنعمتي الإيجاد والإمداد؟ أليس هو جل جلاله الذي يمنحنا كل خير ويرد عنا كل شر؟ فلنؤد بعض الشكر بإخلاص عبوديتنا لله جل جلاله.

فيؤمر الطفل بالصلاة لسبع سنوات، وهي أهم أركان الإسلام وما بعدها تبع لها، وكان ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجون إليه من أمور الصلاة وغيرها.

فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت»[١٠].

وكان يوجه الأطفال للصف في الصلاة ويعلمهم آدابها ويصحبهم إلى صلاة العيد ويعلمهم أركان الإسلام كما يعلم الكبار، لا يفرق في تعليمه بين صغير وكبير.

التربية الاجتماعية

الإنسان اجتماعي بطبعه وفطرته، وللحياة الاجتماعية مع الناس آداب وأصول يتعلمها الصغير من اختلاطه مع ذويه من الكبار وملابسته لمجالسهم ومعاينته لطريقة تعاملهم في جدهم وهزلهم وشدتهم ورخائهم.

والنبي المعلم ﷺ لم يكن يقصي الصغار عن مجلسه أو يبعدهم؛ حتى يتعلم الصغير أصول الحياة الاجتماعية، ولم يكن يستهين بعقولهم وتفكيرهم، ولم يكن يضن عليهم بنوع من التعامل، بل كان يقترب من طفولتهم البريئة بأسلوبه النبوي الرحيم، يمازحهم ويفتح عقولهم بالسؤال ويسلم عليهم إذا لقيهم ليرفعهم إلى مصاف الرجولة، ويمشي معهم في الطريق ويشعرهم برجولتهم ويعلمهم آداب الطريق والمجلس ويعودهم إذا مرضوا.

فعن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان رسول الله ﷺ يفعله»[١١].

وكان ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ويدعو لهم، وعاد غلاما يهوديا مرض ودعاه إلى الإسلام، ويرى طفلا يبيع ويشتري فيشد من أزره بدعائه له.

وعن عمرو بن حريث أن النبي ﷺ مر بعبدالله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان، فقال: «اللهم بارك له في بيعه»[١٢].

وعن جابر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في طريق مع صبيان، فأسرع النبي أمام القوم ثم بسط يده فجعل يفر هاهنا وهناك فيضاحكه رسول الله ﷺ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله»[١٣].

فتصور هذا الموقف التربوي من سيدنا رسول الله الذي يتنزل عليه جبريل بوحي الله وتتنزل عليه ملائكة السماء، وهو المتواضع الذي يداعب صبيا في طريق من طرق المدينة ويهرع إليه ويلاطفه أمام أصحابه ﷺ.

بناء الجسد

التربية النبوية عند النبي ﷺ لا تقتصر على لون معين أو جانب محدد من جوانب حياة الإنسان في مرحلة ما، إنما هي تربية شاملة متوازنة تنظم فكره وسلوكه وتحقق له التوازن النفسي والتكيف الاجتماعي، بحيث تمكنه من النهوض بمسؤولياته وواجباته تجاه نفسه وعالمه ومجتمعه[١٤].

ولما كان الجسد له الدور الكبير في تحمل أعباء الحياة وتحمل أعباء العبادة الواجبة، فإن النبي ﷺ أولاه ما يليق به من العناية ليؤدي الإنسان دوره في الحياة.

وأول ما علمنا إياه النبي في منهجه التربوي هو الاعتناء بنظافة الجسم وتغذيته، والحرص على تنشيطه وتقويته بأنواع الرياضات التي تتناسب ومرحلة العمر والحث عليها.

نجد ذلك في الوضوء الواجب لكل صلاة، ولأن الأعضاء المكشوفة أشد حاجة للنظافة، فإن الاعتناء بغسلها وتنظيفها أشد، فتغسل لكل صلاة، ونجد ذلك في غسل الجمعة والأغسال المسنونة في الاجتماعات والمواسم، كالعيد أو أي اجتماع يحتاج إليه الإنسان، وغسل الجنابة المفروض ليستعيد الجسم نشاطه وقوته، وأسباب النظافة الأخرى، كتقليم الأظافر وتهذيب الشعر وسنن الفطرة واستخدام السواك لتطهير الفم.

كلها وسائل للاعتناء بالجسد، وأرسل ﷺ وفدا إلى إحدى القبائل وأرشدهم إلى إصلاح ثيابهم ورحالهم حتى يكونوا شامة بين الناس.

وبعد هذه النظافة لابد من تقوية الجسد بنوع من أنواع الرياضة المناسبة التي لا تتعارض مع الحشمة والخلق لتمسك على الجسم قوته وتجعله يتمتع بالحياة ويقاوم الضعف والوهن.

ولقد أشار النبي ﷺ إلى تفضيل المؤمن القوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[15].

وهذه القوة لن يتمتع بها الإنسان وهو يركن إلى الراحة ورفاهية العيش والخلود إلى متع الحياة، بل لابد من تقوية جسده بالرياضة التي تحفظ على الجسم تماسكه ومرونته ومقاومته.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثبا»[16].

وقال ﷺ: «كل شيء ليس من ذكر الله عزوجل فهو لغو ولهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين للرمي، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»[17].

ومر ﷺ بقوم وهم يرمون فقال: «أرموا وأنا معكم كلكم»[18].

وكان أهل الحبشة يلعبون بالحراب في مسجده ﷺ وهي رياضتهم وما كان ينكر عليهم، بل يقف ينظر إليهم.

وكان ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثيرا من بني العباس، ثم يقول من سبق فله كذا وكذا، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم[19].

ذلك هو الأسلوب النبوي التربوي في تنمية الجسم، خصوصا عند الأطفال لتشتد أجسادهم الطرية وتتفتح عقولهم، وينطلقوا إلى الحياة بلا جمود، ويتحقق لهم التوازن الاجتماعي والانفعالي والمحاكمات العقلية.

التكوين العلمي والفكري

الإسلام هو دين العلم والفكر والاكتشاف والاختراع، آياته تدعو إلى العلم وتفضيل العلماء وإلى التأمل والتفكر في الآفاق والسير في الأرض لاكتشاف أسرار الحياة واستخلاص العبرة، ويخص أصحاب القلوب وأولي النهى وأولي الألباب بالتفكير الدقيق، وأنهم هم الذين يحسنون استخلاص العبرة أكثر من غيرهم.

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر:٩)، والله خلقنا لا نعلم شيئا وأعطانا السمع والبصر لنتعلم، إننا مسؤولون عن هذا العلم إن أخذناه من غير طريقه أو وضعناه في غير محله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء:٣٦).

وسيرة النبي ﷺ من أول يوم من بعثته إلى آخر يوم في دعوته، هي مدرسة لفنون العلم وأساليب التعليم وصناعة العقول وتربية التفكير وصقل المواهب، ولم يكن ﷺ يترك موقفا من دون تعليم، أو تربية، فقد قال ﷺ: «خذوا عني مناسككم»[20]، ليربط طالب العلم بمعلمه.

ويشجع على التعليم بتقديم أصحاب المعرفة في الإمارة، فمن يحفظ من آيات الله أكثر فهو أميرهم في سفرهم، بل جعل ﷺ فداء أسرى بدر تعليم صبيان المسلمين.

وفي المدينة المنورة يدرك النبي ﷺ حاجة المجتمع المدني إلى تعلم لغة أخرى، لتكون جسر تواصل مع الآخرين، حتى يأمن مكر أعدائه، فيرسل زيدا بن ثابت الشاب المتفتح الذكي، ليتعلم اللغة السريانية العبرانية، فيتعلمها في سبعة عشر يوما.

وقد كان ﷺ يعتمد كل الأساليب المؤثرة في المتعلمين، سواء كانت أساليب فكرية أو نفسية.

فمن الأساليب الفكرية رواية القصص، لما لها من تأثير روحي وخلقي، فكان ﷺ يحدثهم بقصة الأقرع والأبرص والأعمى، ويلفت انتباههم إلى موقف العبرة منها.

وقصة الثلاثة الذين آواهم السيل إلى غار، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم.

وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا، يعلمهم من خلال قصته طريقة الرجوع إلى الله، إن شرد عنه الإنسان.

وأن رجلا زار أخا له في الله في قرية فأرصد الله له ملكا على مدرجته، يرشدهم بذلك إلى أهمية التواصل الاجتماعي.

وكان يخاطب كلا بحسبه مباشرة ومن دون واسطة ليكون أبلغ في تعليمه.

وأمرنا أن نراعي عقلية كل من نتكلم معهم، ونكلمهم على قدر عقولهم، حتى لا نخطئ في وضع المعلومة في غير محلها فتنعكس إلى ضدها. وكان أحسن الناس أداء في كلامه، يعلمنا أسلوب الخطاب وأدبه مع الآخرين؛ تتحدر كلماته كحب اللؤلؤ، لو أراد العاد أن يعدها لأعدها ويكرر كلامه حتى يعقله من أمامه.

هذا هو المنهج التربوي للنبي ﷺ في تعليمه للآخرين، وكان ﷺ يستخدم الأساليب النفسية مع الصغار والكبار، أما الكبار فيطرح عليهم الأسئلة ويطلب منهم الإجابة لما في ذلك من أسلوب التحفيز النفسي، وأما الأطفال فيصحبهم إلى المسجد ويثني عليهم إذا أحسنوا فينمي ثقتهم بأنفسهم.

هذا هو بعض المنهج التربوي في تربيته وتعليمه ﷺ، ومهما جهدت وسائل التعليم الحديث وتطورت في أساليبها فستراها ترجع إلى هذه القواعد النبوية في التعليم، فكل موقف له ﷺ يعتبر قاعدة تعليمية تربوية.

الهوامش

١- تربية الطفل في الإسلام، عبدالسلام عطوة الفندي، ص:٢٠، دار ابن حزم، ٢٠٠٤م.
٢- أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص:١٧، دار الفكر، ٢٠٠٧م.
٣- رواه البخاري في كتاب الزكاة.
٤- رواه مسلم في كتاب الفضائل.
٥- رواه أحمد، ٢/ ١٨٠ -١٧٨، وأبو داود في كتاب الصلاة.
٦- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (تربية الأولاد).
٧- رواه البيهقي في شعب الإيمان.
٨- مصنف عبدالرزاق بن همام الصنعاني، الجزء الحادي عشر.
٩- رواه الترمذي.
١٠- رواه الترمذي.
١١- رواه البخاري ومسلم.
١٢- رواه الطبراني وأبو يعلى.
١٣- رواه الطبراني.
١٤- تربية الطفل، عبدالسلام الفندي، مرجع سابق.
١٥- رواه البخاري.
١٦- رواه سعيد بن منصور في سننه.
١٧- رواه البيهقي في السنن الكبرى.
١٨- رواه البخاري.
١٩- رواه أحمد في مسنده.
٢٠- رواه البيهقي في السنن الكبرى.



د. صبحي رمضان فرج
أكاديمي بكلية الآداب
جامعة المنوفية - مصر

العدالة البيئية في الإسلام

العدل لغة -كما ورد في لسان العرب-: «ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور»(1)، والعدل في الشرع مأمور به ومرغب فيه مطلقا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:8)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:90).

أولا: مفهوم العدالة البيئية

يشير مصطلح «العدالة البيئية» Environmental Justice إلى التوزيع العادل للمزايا والأخطار البيئية على المجموعات الاجتماعية والاقتصادية والعرقية.

وحقيقة الأمر أن مفهوم العدالة لم يغب عن جوهر الرؤية الإسلامية المتعلقة بالبيئة، بل اتسمت رؤيته لها بالعمق والأصالة التي قلما تتوافر في أي فكر وضعي أو جهد منظمي، فقد دعا الإسلام إلى عدالة اجتماعية شاملة ترسيخا لفكرة العدل كمبدأ، وتنمية لها كسلوك، لأن العدل هو أهم الدعائم التي يقوم عليها كل مجتمع صالح. فالعدل -في الرؤية الإسلامية- فريضة واجبة، وضرورة من الضرورات الاجتماعية والإنسانية، وليس مجرد «حق» من الحقوق التي يجوز لصاحبها التنازل عنها أو التفريط فيها إن أراد، دون وزر وتأثيم(2).

وعدالة الإسلام تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها. وتمثل «العدالة البيئية» أحد مجالات مفهوم العدل في الإسلام، شأنها في ذلك شأن العدالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي هذا المجال يمكن الوقوف على صورتين من صور الحقوق البيئية، التي يشكل حصولها إقامة لميزان العدل البيئي، الذي حث عليه الشرع الحنيف:

أ- عدالة توزيع الموارد البيئية

أقر الإسلام مبدأ الشراكة في الموارد شائعة الملكية التي لا غنى للناس عنها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ (القمر:28)، وما أخرجه الأمام أحمد وأبو داود أن النبي ﷺ قال: «الناس شركاء في ثلاث؛ الكلأ والماء والنار»، فالتكافل الاجتماعي في الثروات والأموال والمعاش، هو الصورة الآمنة للميزان الإلهي في علاقة الإنسان -الخليفة-

بالثروات والأموال التي استخلفه فيها.

ب- عدالة وقاية من الأخطار البيئية

يشهد الواقع البيئي العديد من التجاوزات التي يشكل انتهاكها تعديا على حق الإنسان في بيئة آمنة خالية من الأخطار، دون تمييز لفئة على فئة أو لمكان دون آخر، فـ«استواء الناس» و«تساوي البيئات» أمام هذا الأصل مبدآن أرستهما شريعة الإسلام، لما رواه ابن حبان في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «الناس سواء كأسنان المشط...»، وما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا».

ويشهد عالمنا المعاصر العديد من صور التمييز البيئي، من أبرزها تهجير الصناعات الملوثة للبيئة إلى الدول الفقيرة، ففي السنوات الأخيرة تم إغلاق المناطق الصناعية ذات المردود السلبي على صحة السكان والبيئة بالدول المتقدمة أمام الاستثمار في «الصناعات القذرة» Dirty Industries، وتم تفكيك مصانعها غير المتوافقة مع البيئة وعرضها للبيع للمستثمرين المحليين بالدول الفقيرة، التي تفضل سياسات المردود الاقتصادي في المدى القصير على العوائد البيئية الكبيرة في المدى البعيد[٣].

كذلك زادت كمية النفايات الخطرة العابرة للحدود زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة، حيث تشير الإحصاءات إلى تنامي حجمها من ٢,٤ مليون طن عام ٢٠٠١م[٤] إلى حوالي ٩ ملايين طن عام ٢٠٠٩م[٥]. وأعلنت منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول الدولي) خلال شهر يونيو (٢٠١٧م) فقط اكتشاف أكثر من ١,٥ مليون طن من النفايات غير القانونية العابرة للحدود في جميع أنحاء العالم، وذلك خلال عملية عالمية قام بتنسيقها تستهدف الشحن غير المشروع للنفايات والتخلص منها، وكانت آسيا وإفريقية هما الوجهة الرئيسة للنفايات التي يتم تصديرها بصورة غير مشروعة من أوروبا وأميركا الشمالية[٦].

بالإضافة إلى ما سبق، أرسى الإسلام مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين السادة والعبيد، والأغنياء والفقراء. وهو ما أسهم في تطوير فكرة العدالة البيئية مع الحضارة الإسلامية ليشهد المجتمع الإسلامي الأول انتشارا لمفهوم الصحة والبيئة العامة وإتاحتها أمام الجميع.

في المقابل، نجد دول نظام الانتداب أو الاستعمار في أعقاب الحربين العالميتين الأولى والثانية، لم تعمل على ذلك؛ لإيمانها بفكرة طبقية المجتمع، سواء أكان طبقة نبلاء أو برجوازية. وتجذيرا لفكرة التمايز الطبقي لم يكن يسمح قانونيا للعبيد (السود) العيش في المناطق التي يعيش فيها السادة (البيض). وبالنظر لقلة دخولهم فلم يستطع العبيد الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية؛ مما جعل المناطق التي يعيشون فيها تفتقر إلى الخدمات والمرافق الأساسية، وتعاني من التدهور البيئي[٧]، لتتحول العنصرية الاجتماعية ببعدها الطبقي، إلى عنصرية بيئية Environmental Racism ذات أبعاد مكانية.

واختلاف الناس وتمايزهم إلى درجات وطبقات، حقيقة عبر عنها القرآن في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ (الزخرف:٣٢)، إلا أنه في الوقت ذاته رسخ فكرتين أساسيتين: الأولى: المساواة -في الحقوق والواجبات- بين جميع الأفراد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣)، وقوله ﷺ: «الناس بنو آدم وآدم من تراب» (رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي).

والثانية: ضرورة التعاون والتساند بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع، وأن تكون العلاقة بينها عادلة ومتوازنة، وهو ما جلاه الإمام علي بن أبي طالب في كلماته إلى والي مصر في عهده «الأشتر النخعي» (٣٧هـ/٦٥٧م) عن تفاوت وتساند الطبقات الاجتماعية في المجتمع، حيث قال: «واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض...»[٨].

وبذلك فإن هذا المناخ اللاعنصري -الذي أرسته تعاليم الإسلام- كان بمنزلة حماية للبيئات التي تقطنها الفئات الفقيرة من التهميش أو التلوث، وضمانة لتسهيل وصول جميع أفراد المجتمع للموارد البيئية دون حرمان لفئة أو طبقة.

الهوامش

١ - لسان العرب لابن منظور (٤٣٠/١١).

٢ - محمد عمارة، الأبعاد الروحية والمادية للأمن المجتمعي في الإسلام، في: مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، سلسلة قضايا إسلامية، العدد (١٥٨) القاهرة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٨٧.

٣ - حمدي هاشم، شراء الكربون مقابل تهجير الصناعات الملوثة لبيئة الوطن العربي، جريدة الوطن العربي، متاح على: (http://alwatanalarabi.com).

٤- European Environment Agency، Movements of waste across the EU●s internal and external borders، EEA Report، No ٧، ٢٠١٢، p.١٨.

٥- اتفاقية بازل & برنامج الأمم المتحدة للبيئة، نشرة عن الإتجار غير المشروع في إطار اتفاقية بازل، ديسمبر ٢٠١٠م، ص١.

٦- متاح على: (https://www.interpol.int/News-and-media/News/٢٠١٧/N٢٠١٧-١٠٠).

٧- مشكاة المؤمن، العدالة البيئية لتحقيق نهضة عربية، مجلة البيئة والتنمية، العدد ١٠٦، يناير ٢٠٠٧م.

٨- محمد عمارة، الأبعاد الروحية والمادية للأمن المجتمعي في الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص٩٣.

علاء الديـن حسن
شاعر وكاتب سوري





البيئة.. مفهوما وحماية

تطلق كلمة البيئة على كل ما حولنا في الأرض والسماء، وتشمل الماء والرياح والأمطار والهواء والتربة والحيوانات والنباتات والجمادات وتقلبات الطقس والمناخ؛ فالبيئة هي الوسط أو المحيط الحيوي الذي تتعايش فيه الكائنات الحية بأنواعها مع مكونات البيئة الأساسية، من ماء وهواء وموارد طبيعية، ضمن نظام متوازن. أما «البيئة» في اللغة فتعني: «منزل القوم في كل موضع».

والإنسان هو أهم مكونات النظام البيئي، فهو الذي يستغل موارده ويستفيد من إنتاجه، وهو الذي يصنع بيئته التي تمنحه الغذاء والفرصة لتحقيق النمو المتوازن.

والحفاظ على البيئة شعبة من شعب الإيمان، وليس مجرد هواية يقوم بها الناس وفق أمزجتهم ورغباتهم. قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]. فإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق شعبة من الإيمان، فكيف بمن يميط الأذى عن الحياة كلها؟

والقرآن الكريم يذكر آيات كثيرة عن البيئة، وهي حافلة في مجملها بجمالية أخاذة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر:١٩). وقال عزوجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ (الأنبياء:٣٠). والإنسان مطالب بالحفاظ على هذا التوازن: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦). ولكن الإنسان نسي أو تناسى هذه الوصية، فظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

ويبدو أن تدمير البيئة واستنزاف الثروات الطبيعية سيبقى مستمرا ما لم تستخدم مصادر البيئة بشكل متعقل، وما لم يتم التصرف مع مكونات البيئة بأسلوب متوازن. فتزايد عدد سكان الأرض يترافق مع زيادة الفقر وسوء التغذية وزيادة تلوث البيئة.

ويعاني الغلاف الجوي المحيط بالأرض من تلوث بيئي خطير، إذ يمتص هذا الغلاف سنويا عدة

مليارات من الأطنان من غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تقذفه مداخن المصانع والبيوت وعوادم السيارات وحرائق الغابات، وغيرها.

خلل في التوازن

وسبّب الإنسان فساد البيئة بما أنتجه من ملوثات كيماوية، وما أحدثه من خلل في التوازن بين عناصر الطبيعة والكائنات الحية، وهذا أدى بدوره إلى ظهور آفات زراعية وتدمير بعض العناصر الحية، بسبب استعمال المبيدات الكيماوية وما أقامه الإنسان من منشآت، وما قطعه من غابات بحثا عن الربح الوفير في الوقت القصير، مما أحدث تغييرات في المناخ وكمية الأمطار والثروة الحيوانية، وهذا يهدد صحة الإنسان بالخطر المحدق.
وتتعدد مشكلات البيئة كلما تطورت المشروعات الصناعية وقلت المرافق الصحية.. ويمتد الأثر السيئ للتلوث لمجالات الحياة المتعددة، سواء كانت مادية أو صحية أو نفسية أو اجتماعية، وسواء كانت منفردة أو كانت هذه المجالات في صورة مجتمعة؛ مما يحيل الإنسان إلى العيش في مهاوي انعدامية الراحة.
ويعد التلوث بالنفط ومشتقاته أكثر أنواع التلوث خطورة والأكثر انتشارا في المياه البحرية. وتشكل التسربات النفطية والنفايات الكيماوية أهم مصادر تلوث المحيط العالمي.. ويأتي معظم التلوث البحري من مصادر أرضية؛ ويسقط كثير من النفط والمشتقات النفطية في المحيط عند غسل خزانات ناقلات النفط.

خطر محقق

إن تلوث البيئة خطر محقق على الحياة ذاتها، وعلى المدن والقرى، وعلى الإنسان في أحوال أنشطته المتعددة، وعلى الصحة العامة والخاصة، فتكثر الوفيات، وتتشوه مظاهر جمال المدينة والقرية؛ بل يعصف بها، فتصبح الحياة كئيبة، وتتأثر أنشطة الإنسان كلها، فيضعف إنتاجه أو ينعدم، ويدمر نفسه بنفسه، وتنتشر أمراض كثيرة بسيطة ومعقدة، وتعم أوبئة فتاكة تهدد الحياة بالتراجع، ويكون فساد البيئة سببا يقضي على كثير من مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية، ويؤدي تسرب المواد المشعة وانفجار المفاعلات النووية، كانفجار مفاعل تشرنوبل في روسيا عام ١٩٨٩م، إلى أخطر المضار التي تؤدي إلى الموت أو التشوه الجسدي وظهور الأمراض المستعصية، ويصاب الناس بذعر شديد ومخاوف كثيرة من جراء انتشار الغبار الذري.
لقد خرب الإنسان الطبيعة التي يتعايش معها بثوراته الصناعية الكبرى، كما اختل النظام القائم بين قطبي الطبيعة (الإنسان والبيئة)..
ولا بد من إيجاد صيحة عالية لحماية الأوزون؛ باعتبار أن العالم كله يعيش ضمن كوكب واحد مشترك، فالتغيرات المناخية «كتآكل الأوزون» تعد مصدر قلق البشرية، ولا بد من تضافر الجهود العالمية لحماية طبقة الأوزون عبر اعتماد إستراتيجيات عملياتية تتضمن التصميم في التحكم لانبعاثات غازات الاحتباس الحراري؛ لأنها المسبب الرئيس في تآكل الأوزون.

أهداف وخصائص

التربية البيئية هي النسق المعرفي الأول الذي يهدف إلى إعداد الفرد للحياة.. ومن أهم أهداف التربية البيئية داخل المؤسسات التعليمية وخارجها:
مساعدة الفرد والمجتمعات على اكتساب الإدراك نحو البيئة الإجمالية ومشكلاتها، واكتساب مجموعة خبرات في البيئة ومشكلاتها واكتساب فهم أساسي لها، واكتساب مجموعة القيم ومشاعر الاهتمام بالبيئة وحمايتها، وفهم ما تتميز به البيئة من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل بين جوانبها البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية.
وإذا كان التقدم العلمي الذي سعى الإنسان إلى تحقيقه قد أعطى بعض المكاسب، إلا أنه خلف أضرارا أصبحت تهدد البشرية بالفناء.
وباكتشاف الإنسان للنار كمصدر للحرارة والضوء، بدأ يلوث الهواء الجوي، وتغيرت بذلك معدلات ودرجة تلوث الهواء تعددت ملوثاته، مثل أكاسيد الكربون الناتجة عن احتراق الوقود، وغازات عوادم السيارات الشديدة السمية؛ لأن أول أكسيد الكربون يتحد مع كريات الدم الحمراء ويشكل خضاب الدم المتفحم، وبذلك تقل كمية الأكسجين التي تصل إلى أجزاء الجسم. ومن المعروف أن استمرار نقص الأكسجين يؤثر في القلب والدماغ إلى جانب تعرضه لأمراض الصدر الحادة.
وثمة عنصر في البيئة المحيطة بالإنسان يؤدي تلوثه إلى تعرض الإنسان للأمراض العصبية والنفسية، وقد أطلق على هذا العنصر اسم «الضوضاء» التي تعد، بما تخلفه من آثار على صحة الإنسان، وتلوثا للبيئة المحيطة بنا، حتى أطلق عليها البعض اسم التلوث السمعي. ويمكننا الحماية من تلوث الهواء والتربة والضجيج وفق ما يلي:
١- زيادة المساحات الخضراء، وغرس الأشجار على أوسع نطاق لامتصاص الملوثات.
٢- تحسين وسائل التدفئة المنزلية،

ومكافحة التدخين.

٣- حرق المواد الملوثة ضمن أفران خاصة.

٤- التوعية بعدم رفع أصوات الأجهزة المختلفة، ووضع حلول هندسية لتخفيف الضجيج.

٥- التخطيط السليم للمدن بإبعاد المستشفيات والمدارس عن أمكنة الازدحام.

تشريعات وضوابط

ولقد اهتمت الشرائع بالبيئة، فالإسلام جعل النظافة فرضا لازما وشرطا مطلوبا في أثناء العبادات. قال تعالى في أوائل ما نزل به القرآن: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر:٤). وقال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»[٢]. ومن أهم أساليب حماية البيئة ما يسمى اليوم بـ «الحجر الصحي» لمنع انتشار الأمراض السارية. قال ﷺ: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»[٣].

❖ وللشريعة موقف متميز لحماية البيئة في معاملة الجرحى والمرضى والقتلى في أعقاب الحروب، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم. ونص فقهاؤنا على أنه يحرم التعذيب والتمثيل بالقتلى. أما فيما يتعلق بالحيوانات على اختلاف أنواعها، فلتوجيهات الدين غاية الرحمة.. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[٤]. وفي صحيح البخاري: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[٥]. وفي المقابل، كانت سقاية كلب سببا في مغفرة امرأة بغيا.

وللزراعة مكانة خاصة. قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة، إلا كان له به صدقة»[٦]. وفي مسند أحمد: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فليغرسها»[٧]. وثمة قواعد شرعية عديدة لحماية البيئة والمحافظة عليها، منها: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، لا ضرر ولا ضرار، ما يؤدي إلى حرام فهو حرام، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

مجالات مختلفة

ويمكن تحديد بعض المجالات المختلفة التي لا بد من العمل بها لحماية البيئة:

- دور وسائل الإعلام في نشر الوعي البيئي بين السكان لمكافحة التلوث.

- البعد عن التدخين؛ لأنه يلوث البيئة.

- اختيار الأماكن البعيدة عن التجمعات السكانية لإقامة المصانع ومراعاة اتجاه الريح.

- تدريب المتعلمين على العمل الجماعي في مجال حماية البيئة واتخاذ القرارات.

- تشكيل وعي فردي وجماعي لدى المتعلمين، مبني على معرفة دقيقة بمكونات البيئة.

وهذه خطوات للحفاظ على البيئة نوردها بإيجاز:

- الحفاظ على بيئة القلب بتنقيته من الحقد والغيبة والنميمة والعجب والغرور وغيرها.

- الحفاظ على البيئة الاجتماعية بتنقية المجتمع من الغش والنفاق والزور والبهتان.

- الحفاظ على البيئة النفسية بقطع دابر العداوة والخصام.

- الحفاظ على بيئة التعاون برعاية المسنين والمعاقين والفقراء والمستضعفين.

- الحفاظ على البيئة العامة، بالسكينة في بيوت العبادة، وعدم إسراف الماء والكهرباء.

- الحفاظ على البيئة الطبيعية والتأكد من سلامة الأغذية وصلاحيتها.

وبعد؛ فإن الوقت قد حان للمصالحة بين الإنسان والوسط المحيط؛ بحيث تتحقق التنمية المستدامة. والمطلوب هو أن نفهم بيئتنا ونتائج أنشطتنا المختلفة، وأن نعمل ما يمكن عمله لكي نحافظ على الانسجام بين الإنسان والبيئة.

خاتمة

بينت في هذه الدراسة أن الله تعالى خلق البيئة بكل عناصرها ومكوناتها، صالحة متوازنة متكاملة، وإنما دخل عليها النقص بسبب غرور الإنسان وظلمه، فأفسدها بعد إصلاحها، فصار يعاني من آثار صنعه؛ حيث باتت تطبيقات العلم أداة إهلاك وتدمير، لا أداة بناء وتثمير. ولا علاج لأخطار البيئة إلا بعلاج الإنسان نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). والإيمان هو الذي يمنح الإنسان الضمير اليقظ الذي يجعل من ذاته رقيبا على ذاته.

الهوامش

١ - رواه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ٣٥.
٢ - صحيح مسلم ٢٠٣/١، رقم الحديث ٢٢٣.
٣ - رواه البخاري، ك الطب، ح رقم ٥٧٣٠.
٤ - رواه أبو داود بسند صحيح، ورقمه ٦٧٦٢.
٥ - رواه البخاري، حديث ٣٢١٨.
٦ - البخاري، ك المزارعة، حديث رقم ٢٢٣٠.
٧ - مسند أحمد، الحديث رقم ١٢٥١٢.



محمد ثابت توفيق
قاص وروائي مصري



دور مميز

قال الإمام بعد أن سلم من الصلاة وذكر الله ودعاه:

– أين الأستاذ «هاشم عبدالحليم»؟ أهو موجود بين حضراتكم؟!

ولما لم يرد أحد قال الرجل في لطف وتأثر:

لعله مريض، نزوره بعد صلاة العشاء بإذن الله.

فهم الإمام أن «هاشما» مريض، وصمم على زيارته بعد أن يغلق المسجد أبوابه.

فرغ المصلون من صلاة العصر وشيء من الضيق يعلوهم، خاصة كبار السن، فقد علا وازداد صوت الصغار حتى تمنى الكثيرين لو تم إخراجهم من المسجد.

«ما أشبه الليلة بالبارحة!»، قال الإمام لنفسه. فعند مجيئه لهذا المسجد وتعيينه فيه راعه أن الصغار يعلو صوتهم فيضايق بعض المصلين؛ ولإنه يعرف أن دعوة الذين تعدوا السادسة من عمرهم للصلاة أمر يحببهم في المسجد وذكر الله.. وفي الوقت نفسه فإن بعضهم لا يعرف آداب المسجد والصلاة من هدوء وخشية وسكينة والتزام بذكر الله.

باح الإمام برغبته في الجلوس مع الصغار لخادم المسجد؛ فكر الأخير قليلا ثم قال له:

– لدي الحل بإذن الله.

– وما هو؟

– صديقنا الأستاذ «هاشم» موجه على المعاش يحب الأطفال وهم يحبونه.. والأبرز من ذلك أنه يبحث عن دور لخدمة المسجد، وكثيرا ما عرض خدماته علي.

في اليوم الثاني من تعيين الإمام في المسجد فوجئ بصفوف المصلين منتظمة متراصة، وفي نهايتها صف للأطفال بالانتظام والتراص نفسه، وفي قلبهم رجل كبير تبدو على محياه الخشية، والجميع ينتظر تكبيرة الإمام للدخول في الصلاة.

يحمل الأستاذ «هاشم» قطع الحلوى الصغيرة بين يديه ولا يحرم أحدا من الصغار منها، لكنه يخص المطيعين منهم بالقطع الكبرى؛ عقب كل فرض يجلس معهم يعلمهم آية أو حديثا أو آداب إسلامية.

كثر الأطفال في المسجد بعد أيام؛ وأعجب الإمام بتنظيمهم وخفض أصواتهم أثناء حديثهم مع الأستاذ «هاشم»؛ بل ومعاونتهم الخادم في تنظيم المسجد.

ذات مرة قال الإمام للأستاذ «هاشم»:

– لماذا يطيعك الصغار؟

– إنني موجه تعليم ابتدائي.. ولو أنني سابق.

– وما زلت تصبر على تعليمهم؟

– أصبر، بخاصة أنني أبحث عن دور في طاعة وخدمة الله تعالى، ولو في آخر الصفوف.. ألا يستدعي ذلك صبري على هؤلاء الأبرياء؟!

بعد سنوات من تخريج صغار صاروا يخطون لسن الفتوة والتعليم الثانوي والحرص على طاعة الأستاذ «هاشم»؛ ومجيء صغار آخرين؛ بعد سنوات طويلة علا صوت الصغار في المسجد؛ ولما كان الإمام يعرف صدق وإخلاص «هاشم» ورغبته في طاعة الله، فقد علم أنه مريض أو يمنعه عذر قاهر عن إتمام دوره في المسجد.. لذلك علا صوتهم.

علم الإمام ذلك حتى قبل أن يسأل بعد الصلاة.. علم بفطنته.

بعد صلاة العشاء لما لقي الأستاذ «هاشم» قال له:

– عرفت أنك مريض قبل أن يعرفني أحد.

– وكيف ذلك؟

– لما غابت لفتاتك الحنونة عن صغارنا ودورك المميز في تهذيبهم وتعليمهم آداب ديننا.. فلا حرمنا الله منك ولا من لمساتك وشفاك وعافاك قريبا بإذن الله!



مياسة النخلاني
قاصة يمنية

لأني أحبك يا بني

كنت في السنة الأخيرة من الثانوية العامة، في الشهر الذي يسبق الاختبارات النهائية، لذا كان تفكيري كله منصبا على استذكار دروسي ومراجعتها. رغبتي بتحقيق حلمي وحلم والدي بأن أكون طبيبا يعتز به سيطرت على كل تفكيري.

يومها غادرت المدرسة وقبل أن أركب الحافلة التي ستأخذني إلى البيت تذكرت دفتر ملاحظاتي الذي أعرته لزميلي، عدت إليه مسرعا وكان هو الآخر قد نسيه في البيت، فلم يكن أمامي إلا أن أذهب معه لأحصل على دفتر

الملاحظات الذي يحتوي على مجهود عام بأكمله.
وصلنا لبيته وعبثا حاولت المغادرة بسرعة، إذ إن والدته أمسكت بي ولم تتركني حتى تناولت الغداء معهم، بعدها ألحت عليّ أن أجلس مع ابنها لبعض الوقت، لأراجع له بعض الدروس التي لم يفهمها، لم أستطع أن أرفض طلبها.. أخذنا الوقت ولم أنتبه إلا بعد أن تجاوزت الساعة التاسعة مساء، غادرت بيت صديقي على وعد بأن أجتمع معه في وقت آخر لمراجعة بقية الدروس. حين وصلت البيت كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل، وما إن وضعت قدمي على عتبة الباب حتى هوت كف والدي على خدي، شعرت على إثرها بأن جدران البيت تهتز.
- «ليس هكذا، افهم منه سبب تأخره أولا!».
توسلت إليه والدتي وهي تمسك بيده قبل أن يهوي بها على وجهي مجددا.
- «سبب؟!» قالها بحرقة ثم التفت إليّ بنظرة لن أنساها ما حييت.
- «لماذا يتصرف معي هكذا؟!» قلت لوالدتي بصوت مخنوق بعد أن دخل غرفته.
- «لماذا تأخرت؟» سألت بعصبية.
- نسيت دفتر ملاحظاتي عند صديقي فذهبت لأحضره وانشغلت معه لبعض الوقت.
- لماذا لم تتصل وتخبرنا؟!
- لم انتبه للوقت، كما أنني لم آخذ هاتفي معي، لكن هل أنا طفل حتى يتصرف معي بهذه الطريقة؟!
تركت والدتي ودخلت غرفتي. تحسست خدي المحمر، كانت المرة الأولى التي يضربني فيها والدي، لا أنكر أني أخطأت، لكن أما كان بمقدوره أن يسألني فأجيب؟!
مضت الأيام التالية بهدوء، كنت أتجنب والدي قدر ما أستطيع، شعرت أن كفه التي هوت على وجهي قد بنت جدارا بيني وبينه، لدرجة أني غيرت رغبتي بالالتحاق بكلية الطب فقط كي لا أحقق له أمنيته.
بعد مرور أسبوع وأثناء عودتي من المدرسة قابلت جارنا، استوقفني وسلم عليّ.
- «هل أنت بخير؟!» سألني بقلق واضح.
- أنا بخير.
ظل يتفحصني بعينين قلقتين فأثار فضولي.
- ما الأمر يا عمي؟! سألته بفضول.
- لا عليك، فقط أردت أن أطمئن، فحالة والدك كان يرثى لها وهو يبحث عنك قبل أيام.
- يبحث عني؟!
- ألم تعرف؟! سأل باستغراب.
- ليس تماما.
- يا رجل! جعلني أخرج من بيتي وأنا نصف نائم، لم أره قلقا كما تلك اللحظة، لم نترك قسم شرطة ولا مستشفى إلا وبحثنا عنك، بالمناسبة أين كنت؟! انشغلت بعمل طارئ فلم أستفسر من والدك عن تفاصيل عودتك.
- كنت عند صديقي.
- ماذا؟! بهذه البساطة، ولم تتصل أو تبلغ والدك!
- لم أظن أنه سيقلق.
- هل تمازحني! والدك انهار في أحد أقسام الطوارئ حين أخبروه أنهم استقبلوا قتلى من حادث مروري، رؤيته وهو يتفحص الجثث أفزعتني، ما إن خرجنا من الغرفة حتى سقط مغشيا عليه، إياك أن تعيدها مجددا.
- لن أفعل.
ودعته وواصلت طريقي، حين وصلت البيت، دخلت غرفتي بهدوء، يمنعني شعوري بالخجل من نفسي والغضب منها من المغادرة، الآن فقط أدركت سبب غضب والدي مني، والذي كان لا شيء مقارنة بما سببته له من خوف وقلق أثناء غيابي.
بعد تردد غادرت غرفتي وجلست بجانب والدي:
- «أعتذر»، قلتها بصدق.
- «على ماذا؟!» سأل مستغربا.
- على كل أخطائي.
- لا عليك، كلنا نرتكب الأخطاء، أنا أيضا تصرفت معك برعونة، كنت واقعا تحت الضغط لذا لم أنتبه لتصرفي.
- كنت أظن أنك كبرت بالسن، لكن أدركت أنك لا تزال شابا وتستطيع أن تضرب بقوة.
- حقا؟!
- «ثق بي». قلتها ضاحكا وأنا أتحسس خدي.
- جيد، كن حذرا مني إذن.
- سأفعل حتما.



محمد جمال المغربي
قاص وكاتب صحافي
مصر

خبيئة مع الله

كانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة فجرا حينما استيقظت على صوت زوجي وهو نائم يهمهم بصوت مبحوح «أبشر يا أبي لا تقلق.. سأجده»، فقمت على الفور بإيقاظه مناولة إياه كوبا من الماء كي يستفيق، وأنا في لهفة وفضول شديد لمعرفة ما رآه في منامه، وحواره الغامض مع أبيه، لم تمض سوى ثوان معدودة، بعد شربه الماء والذي قاطعه سرعة التنفس، حتى بدأ يهدأ رويدا رويدا، ومن ثم يحكي رؤياه.

- لقد رأيت أبي في منامي يوصيني بإلحاح بأن أزور صديقا كان مقربا له في حياته، وكان يذكر سيرته العطرة لنا بالخير أثناء حياته، وكيف كان رجلا خيرا يقضي حوائج الناس، ويتولى حوائج الأرامل واليتامى. قاطعته: هدئ من روعك يا زوجي، فالأمر بسيط، أكمل نومك وغدا اذهب إلى هذا الرجل، وقم ببره برا بأبيك.

لم تمض سويعات قليلة حتى أشرقت الشمس، وقمت بالبحث عن هذا الرجل الذي أقلقت سيرته الحسنة مضاجع الميت والحي، وبعد عناء بسيط في البحث عنه، وجدته مريضا راقدا في فراشه في مسكن متواضع.

وبعد حوار قصير من الترحاب المشبع بالفرح برؤيتي، ترحم الرجل على أبي ذاكرا مآثره وكيف كانت صداقتهما قوية ورصينة، أسهب في الحديث قائلا: هذه سنة الله في خلقه، كتب عزوجل على كل خلقه الموت.. لقد فقدت ابني الوحيد في حادث العام الماضي، بعد وفاة أبيك بشهور قليلة، فتلقيت صدمتين مروعتين في فترة وجيزة، لكن الحمد لله فأنا راض بقضاء الله، وأتمنى أن يجعل صبري ومرضي الشديد أيضا في ميزان حسناتي و... قاطعته وأنا أحاول إخفاء حزني وألمي من حواره

المبكي: لا تحزن ياعماه، فقد أخذ الله منك لكنه أعطاك أيضا. أعطاك ابنا وإن لم يكن من صلبك فهو من صلب أخيك، لا تدعنا نضيع الوقت في حوارات الذكريات، فعندنا المزيد من الأوقات الجميلة والتي سنتسامر فيها سويا، فلنذهب للاطمئنان على صحتك في مستشفى خاص مشهور أعرفه.

وبعد ساعات طويلة من الفحوصات الطبية الدقيقة، قمت بلقاء الطبيب للاطمئنان على نتائج الفحوصات، والذي أكد لي صعوبة حالته، وأن الأشعات تؤكد أنه يعاني من أورام خبيثة مستشرية في الكبد والمعدة، وأنه لا سبيل لشفائه، وأن المسألة مسألة أوقات معدودة إلى أن يشاء الله بأخذ أمانته، ونصحني بعدم ممارسته لأعمال مرهقة، والمواظبة على تناول بعض الأدوية التي لا تعدو أنها مسكنة للآلام فقط، حتى تمر الشهور المتبقية من عمره بسلام ودون معاناة، ورغم معرفتي بسوء حالته من قبل فإن كلام الطبيب كان يهبط على مسامعي كالصاعقة، حاولت التماسك قدر المستطاع لأنه كان ينتظر مقابلتي في غرفته، وما هالني هو تماسك هذا الرجل وثباته فقد كان عالما بسوء حالته، وعندما بدأت أهون عليه المشكلة بكلمات متلعثمة.. ربت على كتفي في حنان لا أعلم من الذي يستحقه أهو أم أنا؟! قائلا:

لا عليك يا ولدي الأعمار بيد خالقها.. أعلم حالتي وطبيعة مرضي جيدا، لكني عملت بالأسباب وقمت بالمجيء للمستشفى إرضاء لرغبتك، وابتسم ابتسامة يشع منها الأمل وأردف قائلا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة:٥١).

مرت عدة شهور وهاجمتني مشاغل الحياة لتمنعني عن معاودة الرجل وكنت كل حين اكتفي بالسؤال عنه بالهاتف.

رغم مرضه لم يقصر الرجل في زيارته للأرامل واليتامى وأعمال كان معتادا على القيام بها وهو بكامل صحته، وفي كل مكالمة هاتفية له أشعر بثباته، وصدق إيمانه بقضاء الله، بل أشعر بتحسن نبرة صوته كثيرا، وعندما أسأله عن مدى صحته يرد بحماس وحيوية بأنه بصحة جيدة، وأنه قد استرد عافيته، وأنه ينوي زيارتي. حينها شعرت بالحرج، وكم أنا مقصر معه، تظاهرت بفرحي من تحسن حالته لعلمي بحقيقتها، وحقيقة قوة وثبات الرجل، وطلبت منه معاودة إجراء الفحوصات التي طلبها الطبيب كل ثلاثة أشهر للاطمئنان على مستوى حالته الصحية، وافق على الفور، وبالفعل تقابلنا وذهبنا للمستشفى، وقمنا بإجراء فحوصات جديدة عند الطبيب نفسه، وكنت قد هممت بإخراجه من الغرفة عندما جاء تقرير حالته، خشية إفصاح الطبيب عن تردي حالته أمامه، إلا أن الطبيب منعني، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الاستغراب والدهشة، وقام بمعاودة رفع الأشعة إلى أعلى مرات عدة ليتمكن من التدقيق في رؤيتها جيدا.

لم أجرؤ على التعليق.. فقد كان الخوف يتملكني، لم يستمر هذا كثيرا. فقد قطع هذا الصمت صوت الطبيب وهو يسألني هل هذا الشخص هو الذي جاءني منذ ثلاثة أشهر؟

قمت بالإجابة: أجل هل حالته تأخرت يا دكتور؟! قاطعني بتوتر وهو يقوم بالكشف عليه بنفسه ليتأكد من شيء لا نعلمه قائلا: لا شيء! ليس هناك شيء!.

- لم نفهم ماذا تعني بليس هناك شيء؟!

- قال وهو يتصبب عرقا، لا يوجد ورم نهائيا؛ الأشعة والكشف يؤكدان ذلك.. ولولا أن الأشعة أجريت في معملي والكشف قد قمت به بنفسي لما صدقت.. لا أملك تفسيرا علميا لهذا!.

هل سافر هذا الشخص إلى الخارج أو تناول عقاقير معينة؟

تحجرت الكلمات من هول المفاجأة في فمي، ولم أستطع التعليق على الحديث واكتفيت بالنظر إلى الرجل متسائلا: كيف.. كيف حدث ذلك؟؟

ورغم فرحة الرجل، ظل متزنا وقورا وقام بالسجود على الأرض حامدا الله على شفائه، ثم انتصب واقفا بعدها، وابتسم ابتسامة هادئة بعدها أجابني أنا والطبيب قائلا:

تودان معرفة السر؟ حسنا.. سأقول لكما:

إن لي عند الله خبيئة لم أخبر بها أحدا، وقد قمت بدعائه عزوجل بها فاستجاب لي الشافي وشفاني شفاء لا يغادر سقما.

محمد عبدالحميد توفيق
شاعر وناقد مصري





قراءة نقدية لإبداعات عدد شوال ١٤٤٠هـ

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ما تفرد به الكاتب من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها، سواء في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



أولا: القصيدة

قصيدة أجمل مولود.. قبس من نور النبوة

ينطلق الشاعر د. خالد برادة من المناداة ليجعلها مستهلا لقبس الضوء النابع من محبة النبي ﷺ، والذي كان مولده نورا بدد ظلمة الكفر، وفجرا أشرق بالمحبة الإنسانية والأخلاق السامية، والتوحيد الذي حرر العباد من الأرباب المزعومة إلى عبادة الله الواحد الأحد، وهنا يكون المبتدأ نداء باذخ الاستهلال وعظيم التحليق حول سيرة سيد الخلق وخاتم الأنبياء ﷺ:

أميلاد الرسول حللت عيدا ... بوافر بهجة تثري الوجودا

ثم تتوارد شعرية المحبة للنبي ﷺ، فتفتح آفاقا لتأمل الروح ونبض القلب الذي يتوق للنور، ويمتاح من عبق السيرة العطرة روحا تختصر الوجود كله إيمانا وتأملا وصفوا واتباعا للهدى المشرق في الدنيا بأسرها.

يقول الشاعر:

سمت دنيا الورى وبه تباهت ... وفاحت عنبرا مسكا وعودا

وفي هذا البيت يتحول الشعر إلى روح شفافة، فدنيا الورى سمت، وبنور النبي تباهت وتفاخرت، وتضوعت عنبرا ومسكا وعودا، وكلها مترادفات لمعنى واحد هو العطر الفواح المحبب إلى النفوس، بيد أن لكل منها نكهة تمتاز عن الأخرى؛ فالعنبر يستخرج من جوف الحوت وهو من أغلى أنواع العطور، والمسك يستخرج من جوف ظباء تسمى «غزلان المسك»، فيما تجود شجرة العود بعطر أخاذ. وهكذا جمع الشاعر بين صنوف العطور الروحانية المستقاة من الكائنات، ليعبر بها عن بهجة الدنيا بمولد الرسول ﷺ.

وفي تعريجه على السيرة النبوية، يجمع الشاعر خالد برادة بين كثير من المحسوسات، ويؤنسن الموجودات بهجة بسيد الخلق، فقد:

قامت باسمه الأيام فرحى ... يزينها ويهديها الورودا

وإذا كانت النسائم النبوية أزاحت غبار الجاهلية والكفر والاستبداد، فقد كان ميلاده إيذانا بعصر جديد ميزانه الأخلاق القويمة والإيمان القائم على إعمال العقل والتدبر في كون الله الفسيح:

تجلت فيه آيات حسان ... هي الأخلاق تيجانا عقودا

وجاءت لغة القصيدة سلسة وبناؤها متماسكا، وراوحت بين البساطة والجزالة، كما ازدانت بالتنويع بين الأساليب الاستفهامية والإنشائية، ومزج الشاعر بين الموسيقى الداخلية والخارجية صانعا معزوفة محبة للسيرة النبوية العطرة، ويختتمها بالتعافي بالحب الباذخ والنور الساطع واليقين بالخير الوفير بمدح سيد الخلق وخاتم الأنبياء ﷺ




لغة وأدب

أجمل مولود

لغة وأدب

للعيد فرحته

شفت نفسي بمدح قدر جهدي   فما وفيت مدحا أو نشيدا
ولكـن غنــت الدنيا ابتهـاجا   بمولده فأزجيت القصيدا

للعيد فرحته.. أهزوجة الخير والفلاح

في ثمانية أبيات ترنم الشاعر د.عبدالمنعم عبدالله حسن، وأجاد في الغناء للعيد الذي يعد جائزة للصائمين الذين:

بالأمس صاموا شهرهم   والعيد جاء فأفطروا

وهنا يتخلق كرنفال بهجة وتهليل واستبشار، وكيف لا يكون ذلك لمن صاموا إيمانا واحتسابا، وامتنعوا عن الطعام والشراب نهارا وقاموا الليل تضرعا وخشية لله الخالق؟.

في عنوان القصيدة «للعيد فرحته» يقدم الشاعر الخبر ويؤخر المبتدأ، وذلك لتمكين الخبر في ذهن المتلقي وتشويقه وإثارة تفكيره وحفزه على تلقي ما هو آت، ثم يستهل الأهزوجة بغنائية تبهج نفوس المتلقين وتهيئهم للسعادة مجازا وحقيقة:

فرح الأنام وكبروا   وتهللوا واستبشروا

ثم تتوالى مظاهر الفرح شكلا وجوهرا:

لبسوا الجديد لعيدهم   وتزينوا وتعطروا

ثم تتجسد البهجة في وجوه المؤمنين:

للـعيـد فرحــته التي   في كل وجه تظهر

لكن الفرحة الأعظم والسعادة الأبهى والأجمل ادخرها الله لعباده في يوم القيامة:

فرحــوا وإن سرورهم   يوم القــيامة أكبر

ويتجلى عنصر التكثيف الفني في الأبيات، فالاقتصاد في الألفاظ استعاض عنه الشاعر بالدلالات الباذخة والمعاني التي تتوالد بتوالي آيات الفرح والتآلف والتناغم في يوم العيد، وجاءت الأفعال الماضية بمنزلة بنية مقصودة فرضتها حالة الانطلاق من الماضي القريب إلى العيد الماثل في النفوس قبل الأماكن والمظاهر البادية، ومن هذه الأفعال «فرحوا، تهللوا، استبشروا، سعدوا، اتقى، صاموا، جاء، فأفطروا،...» وكلها أفعال ماضية تذكر الصائمين بقيمة الصيام، ثم تأتي استمرارية البهجة والسعادة تعبيرا عن الجوائز الربانية الممتدة:

للصائمين بفطرهم   فرح يذاع وينشر



وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

ثانيا: القصة

١- «أحاديثكم سلوان قلبي».. للكاتبة مياسة النخلاني

نحن هنا أمام موقف تربوي أكثر منه قصة أدبية قصيرة، فمياسة النخلاني لا تزال مهمومة ومهتمة بقضايا الأسرة والمجتمع الذي تعيش فيه وتناول ظواهره السلبية والإيجابية، لاسيما «التواصل الأسري»، كما رأينا في قصتها السابقة «يد أمي الدافئة» في هذا الباب، وهذا مما يحمد للأديب، إذ لا يتصور أن يكون بمعزل عن قضايا مجتمعه والحيز الذي يعيش فيه؛ فالأدب رسالة سامية جليلة قبل أن يكون متعة وتسلية.

■ إن أول ما يطالعنا في هذا النص من العتبات عتبة العنوان المركب «أحاديثكم سلوان قلبي»، وهو عنوان من جملة كاملة حشدت فيه الكاتبة طيب مشاعرها؛ لكنه عنوان كاشف أكثر عن محتوى القصة قبل الولوج فيها بعكس العنوان ذي الكلمة الواحدة أو الجملة غير المكتملة.

■ يغلب على القصة اللغة التقريرية المباشرة الخالية من المعاظلة اللغوية والإغراق في التعبيرات البيانية والاعتماد في الغالب على الأسلوب الصحفي التقريري؛ وهو ما يجعلها مناسبة أكثر لشريحة الجمهور الذي يجد إشكالا في التواصل مع النص الأدبي الغزير، وفضلا عن هذا نجد تعبيرات بلاغية من مثل قولها: «أنهى طعامه وقام، بينما استمروا هم في إفراغ ذاكرتهم في حضن والدتهم».

■ تزاوج النخلاني في قصتها، التي تعتمد فيها على تقنية الراوي العليم، بين المونولوج الداخلي والحوار، وأمثلة الحوار كثيرة، ومن أمثلة المونولوج الداخلي حديث البطل محدثا نفسه ناصحا لها: «حسنا؛ لا داعي للتمادي أكثر بأفكارك السلبية»، وكذلك قوله: «ليتهم يشرحون صدري بأحاديثهم المطولة»، وقوله: «مع أني طلبت منهم أن يستفيضوا؛ لكنهم يكتفون بهز رأسهم أمامي»، وهذا الحديث الداخلي يتواءم تماما مع معاناة بطل القصة الذي يفتقد التواصل مع أولاده الذين يقتصر تواصلهم على الأم بحكم معايشتها لهم وانشغال الوالد بالبحث عن لقمة العيش في أغلب الوقت، وهو حديث معبر تماما عن العالم الداخلي لهذا الشخص في معاناته.

■ إن القصة هنا تحوي تصاعدا نوعيا في الأحداث؛ فالأب الذي كان مفتقرا إلى التواصل مع أولاده قد تغير بعض حاله بتواصل ابنته معه بإيعاز من أمها، وتختتم القصة بنوم الأب قرير العين هانئا، بعد أن أصبح مقصد ابنته عقب زمن من التجاهل، وهنا تأتي نهاية القصة لتؤكد محتوى جملة العنوان.

٢- «التاجر».. للكاتب ياسر عرفة توفيق

■ أول ما يلاحظ هنا هو غلبة الوصف على هذه القصة، حيث استخدم توفيق تقنية الراوي في سرده منذ بداية قصته: «ألقى بجسده المنهك على أقرب كرسي







وقد أحس أن التعب الذي يحمله طول اليوم جلس معه؛ فقد كان يوما ليس كأيامه السابقة، فهو عائد لتوه من عزاء حبيبه وسنده».

على أن الوصف -وإن كان هو السائد في قصة التاجر- فإن ثمة حوارين بين البطل ووالدته، الأول: عقب عودته من عزاء أبيه على هذا النحو:

■ ولدي إنما الصبر عند الصدمة الأولى، ولنا في مصابنا بفقد رسول الله الصبر والسلوان.

■ يعز علي فراقه يا أماه..

وكذلك كان هناك حوار ثان أثناء حيرته ومفاضلته بين العمل القديم والنشاط الجديد.

■ كما اعتمد القاص على المونولوج الداخلي ليكشف مدى الاضطراب الداخلي عند بطل القصة، الذي يحتار كثيرا بين المضي قدما في طريق والده الذي كان تاجرا كبيرا له اسمه في مجال العطارة والأعشاب، أو الدخول في مجال آخر لا يعرف عنه شيئا وهو مجال الملابس الجاهزة.. يقول: «من حقي أن أواكب التغيرات التي ألمت بالأسواق.. ما لي وتجارة العطارة والأعشاب؟! لا؛ ليس في تركها عقوق لوالدي -رحمه الله- أليس من حقي أن ألحق بأصحابي ويكون لي مثل تطلعاتهم وثرائهم؟! لا ليس في تغيير نشاطي التجاري مساس بمشاعر والدتي؛ فهي يهمها أن تراني في أحسن حال وأنا وحيدها».

■ ولغة الكاتب في هذه القصة سهلة هي الأخرى، لذا نجد النص ظاهرا جليا لا يستغلق على القارئ مهما كانت ثقافته، على أن في النص جماليات لا يمكن إغفالها، من ذلك قول الكاتب مثلا: «في سكون الليل وهدأته راحت أقدامه تسابق الساعين حتى انتظم بينهم مصطفا مناجيا سائلا راغبا»، والعبارة هنا بليغة من شأنها أن تطرب القارئ وتشحذ ذهنه، فماذا على القاص لو جاء نصه على هذا المستوى وهو القادر على ذلك؟!

■ أحسن القاص الاستيحاء التراثي كما في الحديث الشريف الذي رواه البخاري: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»، وقول القاص على لسان الأم: «أنا أثق في رجاحة عقلك؛ فما خاب من استخار، وما ندم من استشار»، والعبارة الأخيرة معروفة ورائجة حتى إنها نسبت إلى الرسول الكريم ﷺ.

وفي القصة توظيف للموروث الشعبي كما ظهر في تعبيرات رائجة مثل: «حبيبه وسنده» كناية عن الأب، وقوله: «لا يفوته واجب» وهي عبارة متداولة ومعروفة تطلق على أمثال هذا التاجر، وقوله: «يتأخر اليوم فلا يقلقوا عليه».. وكلها من التعبيرات المتداولة في حياة المصريين اليومية، وهو ما يكشف لنا مكان القصة ويعبر بجلاء عن البيئة الاجتماعية لها.

■ وإجمالا فإن القصة تعالج القلق النفسي والحيرة في موقف من المواقف، حيث تتنازع البطل الحيرة بين الولاء الأبوي الذي قد يحتم عليه المضي في طريق تجارة أبيه بعد رحيله أو تغيير النشاط ومواكبة السوق على اعتبار أن نشاط أبيه هو جزء من التراث القديم الذي لم يعد يصلح لهذا الوقت، ولعل المبعث الأول للقلق هو خوف عقوقه الوالد الميت والأم التي لا تزال على قيد الحياة؛ لكن القصة في الوقت نفسه لا تحبذ المغامرة والدخول في مجال عمل جديد، ومن ثم يقرر البطل المضي في مجال أبيه القديم مستعينا بتقنيات التواصل الاجتماعي الحديثة لتنمية تجارته، وبذلك يجمع بين التراث والمعاصرة.



عثمان إسماعيل حسين
كاتب وباحث مصري



القدس.. عندما تشدو بها القوافي

للقدس هويتها الدينية وأرضها المقدسة وعبقها التاريخي ومكانتها في الوجدان، وللحديث عنها مذاق خاص، يمتزج فيه الفخر بالتأسي والإعجاب بالتحسر.. خليط بين صراع الشوق لرؤيتها وأنين الأفئدة لما يحدث على أرضها الطاهرة المباركة التي نالت شرف ربها فجعلها مجتلى عين موسى ومهوى قلب عيسى ومسرى ومعراج الرسول ﷺ، فكانت أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال. ومثلما أيقظ ما يحدث على ثرى القدس المشاعر والأحاسيس وحرك ما تكنه القلوب ويضمره الوجدان، استطاعت الكلمة أن تعلن عن نفسها، وأن تجعل من ذاتها مشهدا تعجز أمامه ريشة عباقرة الإبداع الفني أن تحاكيه، فكان للقصيدة روحها وللبيت عالمه وللفظة إيحاؤها المؤثر وللقوافي أنينها الموجع.

عاشت القصيدة قسوة المأساة بأوجاعها وآلامها، معلنة صرختها المدوية في الآفاق.. واقدساه، فراح الشعراء يجوبون دروب المشاعرة الوعرة، دروب المدينة الطاهرة؛ فمنهم من نظر إليها متذكرا طفولته وأيامه الجميلة على تراب هذا الوطن الغالي.. يقول هارون هاشم رشيد:

أنا يا أخي الإنسان مثلك كان لي وطن حبيب
قد كنت فيه أعيش في رغد وفي عيش رحيب
وبه الحدائق والجبال الشم والمرج الخصيب
وبه الأمانِيُّ العذاب وشمس عز لا تغيب

ومن الشعراء، وهم كثيرون، من أبحروا في هالتها الدينية وقدسيتها وإسرائها ومعراجها وما وهبها الله من هذا الشرف العظيم:

فيها النبوة قد سرت أنوارها
ومحط ركب النور في الإسراء
سفراء دين الله بين عباده
صلوا وراء المكرم الوضاء

ورغم لذة الذكريات عن الوطن وهالته القدسية، فإن الأفئدة

لا تستطيع نسيان ما فعله اليهود، وكيف أنهم احتلوا تلك المدينة المقدسة بوسائلهم الخبيثة والدنيئة وسياستهم المزيفة الملتوية وكسب عطف الآخرين بدموعهم الكاذبة، يقول محمد مصطفى الماحي:

القدس وهو منارة وطهارة
قد دنسته حثالة الأجناد
ومواطن الإسراء في جلواتها
أمست رهينة عصبة الإفساد
هدموا المساجد والكنائس وانبروا
في بغي منتقم وسَورة عاد
كم أظهروا ضعف الذليل وبؤسه
طاوين كشحهم على الأحقاد
حتى إذا لاحت بوادر نهزة
كشفوا بها عن جامح متماد
أخذوا من الغرب الأمان فأوغلوا
فيما أتوا من خسة وفساد

فمأساة القدس أكذوبة افتعلها اليهود وأبى التاريخ - ساخرا - أن يبتلعها ففضح حضارتهم، أو لنقل تاريخهم الأسود الملوث بالحقد والشر وعداء الآخر.. ذلك التاريخ المجرد من القيم والفضائل.. ذلك التاريخ الذي خلت صفحاته من الشفقة والرحمة والعدل فاعترف التاريخ نفسه أنهم والتتار سواء ما يحكمهم إلا قوانينهم البشرية الجائرة.

يقول الشاعر شفيق صبري:

فأقحموا في ديار العرب شرذمة
من آل صهيون لا عهد ولا ذمم
هذي حضارتهم والشر يملؤها
ماتت على صرحها الأخلاق والشيم
يشردون شيوخا من ديارهم
كأنهم في صحاري تيههم بهم

فأي حضارة هذه التي يزعم أبناء الشر أنهم أصحابها، وبأي حق يطلقون على سلوكهم المشين لقب حضارة؟! فمن الخزي والعار أن نطلق على سلوك وأيام هؤلاء لفظ «حضارة»؛ فالحضارة أصالة وعراقة وطهارة التاريخ وسمو العلاقة مع الآخر.. الحضارة هي التمسك بفضائل العقيدة وتعاليم الأديان وما دعت إليه.. إلا أنهم، للأسف، وجدوا من يساندونهم ليصيروا شيئا، لكنهم لا يعلمون أن «على الباغي تدور الدوائر»، لقد كان للقوافي أنينها وللقصيدة صراخها وللأبيات بكاؤها على ما يرتكبه أصحاب التاريخ الملوث بالدماء على ثرى هذا المكان الطاهر.. القدس الشريفة.

فهاهو نزار قباني يوجعنا بأنين الحروف وآهات الكلمات عندما يعلن ويبوح بما يئن به وجدانه..

يا قدس.. يا مدينة الأحزان
يا دمعة كبيرة.. تجول في الأجفان
من يوقف العدوان
عليك يا لؤلؤة الأديان
من يغسل الدماء عن حجارة الجدران
من ينقذ الإنجيل
من ينقذ القرآن

وفي قصيدة أخرى يعزف على قيثارة الحزن غارقا في دموع التأسي والتحسر على حال حبيبته القدس وما آلت إليه جراء قبح هؤلاء الذين يدنسونها بأفعالهم.

يا قدس يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماء
يا قدس يا منارة الشرائع
يا طفلة جميلة محروقة الأصابع
حزينة عيناك يا مدينة البتول
يا واحة ظليلة مر بها الرسول
حزينة حجارة الشوارع
حزينة مآذن الجوامع

لقد استطاعت القصيدة الشاعرة أن تؤرخ للقدس تاريخا ومأساة، وأن ترسم بحروفها أروع لوحات الوجدان، مما يفرض على المتلقي الاستغراق في عوالمها وتوقظ داخله عوالم الزهو والانتماء الصادق لهذا المكان العزيز على قلوبنا.. وستظل الكلمة تتحدى مدافعهم.. والقوافي هي الرصاص المصوب تجاه صدورهم.. وستظل قصيدة القدس تصدح وتدوي لترددها الأجيال وليكتبها التاريخ بمداد من تيه وفخار.

مصطفى القلاوي
كاتب وباحث دراسات إسلامية
مصر



شعار الإسلام ولغة القرآن..

اللغة العربية

اللغة ليست مجرد مفردات؛ بل هي مجموع ما أنتجه العقل على مر العصور؛ وبها يعبر الأفراد عن حاجاتهم وأفكارهم، فهي الوعاء الأساسي الذي يحتوي العلوم، والثقافة، والتاريخ، والحضارة، والهوية، والمشاعر.

كما تعد اللغة ظاهرة فريدة في حياة الإنسان، حيث إنها ظاهرة اجتماعية مهمة للتفاهم بين أبناء الأمة الواحدة بل الأمم المختلفة، إذ تعتمد عليها كل أمة في قضاء حاجتها ونشر ثقافتها، بما يحدث التقارب والانسجام، فهي قيمة جوهرية كبرى تحمل أفكارا وتنقل تراثا وتوضح مفاهيم، فإن استطاعت أمة أن تحافظ على لغتها فستكون من أكثر الأمم تقدما وتطورا، وتحظى بالقيادة والريادة على مر الدهور.

واللغة العربية على وجه الخصوص ذات ماض مجيد بلا منازع، فهي أقدم اللغات وأعرقها، وليس هناك لغة تحمل من الغنى ما تحمله اللغة العربية من سعة وآفاق رحبة في التفعيل والاشتقاق والتركيب، كما أن الحرف العربي بذاته له رمزية ودلالة ومعنى، وهذه أمور انفردت بها اللغة العربية عن غيرها.

إن اللغة العربية ولدت كاملة الجمال واحتفظت بجمالها وكمالها مع تعاقب الأزمان وتطاول الخطوب.

يقول المؤرخ الفرنسي آرنست رينان: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال لدرجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر؛ حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت محافظة على كيانها من كل شائبة»[1].

ويعود أصل أقدم نصوص عربية عثر عليها إلى القرن الثالث بعد الميلاد، وهي نصوص شعرية جاهلية تتميز ببلاغة لغتها، وأسلوبها الراقي، ووزنها الشعري المنتظم.

يقول الدكتور عبدالوهاب عزام: «العربية لغة كاملة محببة عجيبة تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ؛ كأنما كلماتها خطوات الضمير، ونبضات القلوب، ونبرات الحياة»[2].

ولا غرو أن بلغت العربية تلك المنزلة من ثروة الكلم وسعة المدى، إذ كان لها من دواعي النمو والزيادة وعوامل البقاء والخلود التي قلما تهيأت لغيرها؛ على رأس تلك العوامل نزول القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية بها، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وما كان اختياره لهذه اللغة إلا لعظم شأنها، وعلو منزلتها، وقدرتها على استيعاب ما يجد في الكون.

ولقد عمل انتشار الإسلام وكثرة فتوحاته على انتشار اللغة العربية، فدقة قواعدها، وغنى معاجمها، وآدابها، وقدرتها على الإبانة والتعبير عما يقع تحت الحس أو يجول به خاطر، جعل لها من القوة والنفوذ ما مكنها من التغلب على لغات الأمصار القديمة.

ولهذا رسخ عند شيخ الإسلام ابن تيمية وجوب تعلم اللغة العربية على المسلم، فقال: «إن نفس اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب، وإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٣].

وقال أيضا –رحمه الله–: «ومعلوم أن تعلم العربية؛ وتعليم العربية فرض على الكفاية؛ وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن. فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه؛ فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة؛ والاقتداء بالعرب في خطابها. فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصا وعيبا»[٤].

وقيل للحسن في قوم يتعلمون العربية، فقال: أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ. وقد سأل أبو جعفر المنصور رباح بن أبي عمارة مولى هشام بن عبدالملك عن هويته؛ فقال المولى: «إن كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه!»[٥].

لكن اللغة العربية اليوم تعيش مرحلة من التغريب والإقصاء المتعمد، وهو أمر ليس جديدا أو طارئا عليها، فلا يخلو زمان من هجمة أو هجمات تستهدف كيانها والمتكلمين بها على حد سواء، مما أدى إلى تدهور استخدامها والتحدث بها.

أسباب تدهور اللغة العربية

١– عدم إدراك قيمة اللغة العربية، وغياب استعمالها في الحديث العام والمجالس العلمية.

٢– تصعيب اللغة في نفوس الدارسين، وتزهيدهم فيها، ما جعلهم يشتغلون بالغايات دون الوسائل.

٣– فقدان التوازن في تحصيل العلوم، وتغليب جانب على جانب، والإيغال في بعض العلوم على حساب اللغة العربية.

٤– إعجاب البعض بلغة الغرب والعمل على نشرها وتقديمها على اللغة العربية بزعم أنها لغة العصر[٦].

٥– هجر القرآن الكريم، فالأجيال السابقة كانوا أكثر إتقانا للغة العربية، لأنهم تلقوا اللغة العربية مع حفظ القرآن الكريم.

نتائج وخيمة

يقول مصطفى صادق الرافعي: «وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا؛ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع»[٧].

ويوضح هذا المفهوم الجاحظ (١٥٩–٢٥٥هـ)؛ إذ يقول: «للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم... فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك»[٨].

ونستطيع أن نلخص بعض هذه النتائج المزرية في نقاط منها:

١– غياب الهوية العربية والإسلامية، وذوبان الشخصية العربية وازدواجيتها، لأن اللغة هي شخصية أهلها.

٢– ضعف التحدث باللغة العربية، بسبب إهمال قواعدها النحوية والصرفية.

٣– العولمة الثقافية، والابتعاد عن القراءة والمطالعة، مما يؤدي حتما إلى تخلف الأمة.

الحلول

١– تحفيظ القرآن الكريم في مراحل التعليم المختلفة، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة، والشعر العربي لاسيما القديم منه.

٢– إبراز جماليات اللغة العربية ومقدرتها على التعبير عن حاجات العصر الحاضر، ومسايرة ركب تطوره.

٣– تكثيف عدد ساعات دراسة اللغة العربية في كل المراحل التعليمية وجميع المدارس، وفرض اللغة العربية عليها كلغة أولى إجبارية، وعدم تدريس لغة أجنبية ثانية إلا بعد التمكن من دراسة اللغة العربية.

٤– استعمال اللغة العربية في كل الميادين وخاصة في الإعلام، مع مراقبة ومنع البرامج التي تعتمد اللغة العامية، والعمل على إحياء حركة التعريب والترجمة لكل المنتجات.

٥– تشجيع ثقافة القراءة للجميع.

الهوامش

١– د. محمود السيد: التمكين للغة العربية.. آفاق وحلول، ص٣٠٩.

٢– عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي، «مقومات العالمية في اللغة العربية وتحدياتها في عصر العولمة»، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، العدد الثالث والستون، شوال ١٤٢٩هـ، ص٤٧.

٣– اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٥٢٧/١).

٤– مجموع الفتاوى (٢٥٢/٣٢).

٥– أنساب الأشراف للبلاذري (١٤٩/٤)، عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة الإسلامية.. دراسة في الهوية والوعي، بيروت، ١٩٨٤، ص١٩.

٦– إذا كان هناك ضرورة فلا مانع من تعلم لغة الغرب بشرط ألا ينتقص من قدر اللغة العربية، وعدم احتقار من تكلم بها، لأن هذا من أعظم أسباب تدهورها.

٧– وحي القلم (٢٧/٣).

٨– أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مصطفى الحلبي، ط٢، ج١، ص١٥٤.



علي سلطان السيد
باحث دراسات إسلامية
مصر

قلم رصاص

كثيرا ما تروق لي الكتابة بـ«القلم الرصاص» دون غيره من الأقلام؛ فاستعمال القلم الرصاص يوحي بإشارات ولطائف منها:

١- إمكانية محو ما كتب

فيه إشارة إلى إمكانية تصويب الأخطاء، فلما كان الإنسان عرضة للخطأ، كما في قوله ﷺ: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» (رواه الترمذي)، فتح الله تعالى باب التوبة «لمحو» الذنوب والخطايا كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (طه:٨٢).

كما أن الكتابة ثم المحو فيهما دلالة على ضعف الإنسان وعدم كماله وأنه غير معصوم في أقواله أو أفعاله كما في قول الإمام مالك رحمه الله: «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر»، وقول الإمام أبي حنيفة رحمه الله: «فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا».

وقد تكون دلالة «إمكانية المحو» أوسع من ذلك فتتسع الدائرة لتشمل إمكانية «محو» الإساءة إلى الآخرين وفتح باب الاعتذار والصفح ليعم الود والإخاء بين أفراد المجتمع.

٢- التوقف لـ«بري القلم»

فيه مساحة زمنية للتأمل والتفكر وإعادة الحسابات ووزن الأمور وفرصة لتصويب الأخطاء.

٣- تلاشي القلم وفناؤه

فيه دلالة على نهاية كل مخلوق كما في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (الرحمن:٢٦).

وقول كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول[٢]

٤- تراكم البراية وكثرتها

فيه تحذير من صغائر الذنوب، وعدم الاستهانة بها كما في قوله ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» (رواه أحمد).



د. هانىء محمد
كاتب مصري

الأب المحبوب

الأسـرة هـي البيئة الأولـى لحدوث التفاعل بين الوالدين والأبنـاء، ولما كان لهذا التفاعل بالغ الأثر في سلوك الأبناء منذ طفولتهم، فإن لأساليب المعاملة التي يستخدمها الوالدان في تربية أطفالهما دورا فاعلا ومؤثرا في البناء النفسي والاجتماعي لديهم، فكل سلوك يصدر عن الوالدين يؤثر في الطفل سلبا أو إيجابا. ولقد عني الإسلام بتربية الأبناء، واعتبرها من أبرز المسؤوليات التي يجب أن يضطلع بـها الآبـاء والأمـهـات. وجـعـل من حقوق الطفل على والديه الحق في توفير الرعاية الكريمة له، وإحاطته بمشـاعـر الحـب والحـنـان التـي من شأنها تعزيز الأمن النفسي للأطفال.

وإذا كانت معاملة الأب لأطفاله تتسم بمشاعر الحب والرعاية، ففي هذه الحالة يدرك الطفل أن أباه يحبه، وإذا ما أدرك هذا الطفل أنه محبوب لـدى أبيه وأمـه فإنه سيشعر قطعا بالسعادة والارتباط والتعلق بهما.

إن عالم الكبار يحتاج إلـى تقمص البراءة والعفوية من عالم الصغار، وهـذا السلوك يعد أساسا قويا في إسـعـاد الـطـفـل، وجـعـلـه ينجح في تشكيل توافق ثنائي بينه وبين والديه.

إن الطفل يحتاج إلى دعم راسخ من والديه فكما يحتاج إلى حبهم وعطفهم، يحتاج أيضا إلى اهتمامهم ومعرفتهم بطبيعة نموه العقلي والنفسي، فيجب على الوالدين في مرحلة الطفولة أن يستبدلوا بالنقد وزرع الخـوف في نفوس أطفالهم المديح والتشجيع، وأن يستبدلوا بالنظرة بغضب إليهم بالابتسامة والبشاشة في وجوههم.

وقـد أكـدت الـدراسـات التربوية أن الأطفال يكتشفون الأشياء ببصرهم، وربما بهذه النظرة يتمكن الآبـاء من تغيير عقول أبنائهم أكثر مما يمكنهم أن يغيروا أجسامهم. ولـهـذا يجب على الآباء أن يظهروا دفء المشاعر لأطفالهم، وهـم يفعلون ذلك باتباع عدة أمور، منها:

■ تقبيل الأطفال واحتضانهم، وذلك لـما للقبلة من دور فعال فـي تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دورا كبيرا في تسكين ثورته في حال غضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق فـي تشييد علاقة الحب بين الأطفال ووالديهم، وهـي دليل رحمة القلب، وهي سنة ثابتة عن النبي ﷺ مع الأطفـال، وفـي الحديث الشريف «أن السيدة عائشة -أم المؤمنين- رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسـول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال ﷺ: «نعم»، قالوا: لكنا والله لا نقبل، فقال رسـول الله ﷺ: «أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» (صحيح مسلم).

ومن الأمـور التي تعمل على تقوية عاطفة الحب بين الأطفال وآبائهم؛ حسن استقبال الطفل، فإذا ما فطن الآباء والأمهات لهذا الأمر وأحسنوا استقبال أطفالهم أثناء عودتهم من المدرسـة أو دخولهم على والديهم، فإذا كان اللقاء طيبا، استطاع الطفل أن يفتح قلبه ويبدي مـا يـدور في خاطره على أبيه أو أمه، ويزداد تعلقه بأبيه كلما أحـسن استقباله بفرح وحـب ومـداعـبـة. لذلك ينبغي على الآباء معاملة أطفالهم بلطف وحنان، وأن يجعلوا كل وقـت يقضونه مع أطفالهم لا يخلو من السعادة والمرح الذي يحبه الأطفال الصغار، وخاصة إذا ما قام الأب باصطحاب أطفاله إلى نزهة لأماكن مخصصة للترويح عن النفس مثل الـنـوادي والحدائق العامة التي تتوافر فيها الألعاب التي تسعد الأطفال.

أيـضـا مـن الأمـــور الــتـي لا ينتبه إليها كثير من الآبـاء؛ شـراء الهدايا وتقديمها لـلأطفال، فللهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة وفي نفوس الأطـفـال أكـثـر تـأثـيـرا وأكـبـر وقعا، والرسول ﷺ يبين لنا عمليا أهمية هـذا الـركـن الـقـوي فـي بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها، وفي الحديث النبوي أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بأول ثمر فيقول ﷺ: اللهم بارك لنا فـي مدينتنا، وفـي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة، «ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان» (صحيح مسلم).

ويجب على الآبـاء ألا يهملوا القيام بالمسح على رأس الطفل، فقد كان النبي ﷺ يداعب عواطف الأطفال، بمسـح رؤوسـهـم بـعـطـف وحـنـان، فـيـشـعـرون بـلـذة الـرحـمـة والحـب، الأمـر الــذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له، واهتمامهم به، مما يوطد في نفوسهم عاطفة الحب تجاه آبائهم. ذلـك أن الرحمة بالأطفال والشفقة عليهم صفة من صفات النبي ﷺ، وهي طريق لدخول الجنة.

خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي مصري



بناء العاطفة

تلعب العاطفة دورا مهما في حياة الطفل، باعتبارها المحدد الأساسي لكل ما يصدر عن الطفل من سلوك، والمكون الرئيسي لشخصية الطفل المسؤولة عن تنظيم حياته الوجدانية، إذا أخذها الطفل بشكل متوازن صار إنسانا سويا في مستقبل حياته، وإن أخذها بغير ذلك سواء بزيادة أو نقصان شكلت لدى الطفل عقدا لا تحمد عقباها بعد ذلك، فالزيادة تجعله إنسانا مدللا لا يقوم بتكاليف الحياة على أكمل وجه وأتم استعداد، ونقصانها يجعله إنسانا قاسيا، غليظ القلب جامد المشاعر على كل ما حوله، ومن هنا فإن البناء العاطفي السليم للطفل، له أهمية خاصة بل وأساسية وإن الدور الأساسي في تشييد هذا البناء يقع على عاتق الوالدين، فهما المصدر الأساسي لأشعة العاطفة في نفس الطفل، فهو يحاكي سلوكهما دون تدقيق وينساق لإيحاءاتهما دون تمحيص، ويعمل دائما على كسب ودهما، ويحرص عادة على أن يكون عند حسن ظنهما، فهما الركن الرشيد الذي يأوي إليه الطفل لينعم بحرارة العاطفة ونعمة الأبوة والأمومة، فينشأ بعيدا عن أي عقد واضطرابات نفسية، فيستشعر معهما عواطف الحب والمودة والإيثار فيحس حلاوة ذلك كله في نفسه، فينعكس أثر ذلك في سلوكه وتصرفاته مع ذويه ومع المجتمع من حوله، فيحترم العلاقات الأسرية والروابط الاجتماعية، الأمر الذي له أثره الطيب في إيجاد مجتمع سليم نظيف قوي متماسك، بعيدًا عن الأحقاد والضغائن والصراع والتشاحن، حيث تؤكد الدراسات والبحوث النفسية «أنه ليس من سبيل أمام الآباء للفوز باحترام أطفالهم وكسب مودتهم سوى غمرهم بالحب والتعبير الدائم لهم عن هذا الحب»، والسؤال الذي يتبادر على أذهاننا الآن، كيف يعمل الوالدان على بناء العاطفة السليمة لدى أطفالهما، ليكونوا بها أسوياء في التعامل مع الآخرين؟ والجواب عن هذا السؤال يكمن في استخدام الوالدين عددا من الأساليب، وإن نجاحهما في تطبيق هذه الوسائل يقودنا في النهاية إلى بناء العاطفة السليمة في نفوس أطفالنا، وهذه الأساليب هي:



تقبيل واحتضان الطفل

بداية نؤكد على هذه الحقيقة، أن جميع الآباء يكنون حبا شديدا لأطفالهم، وتنضوي بداخلهم رغبة أكيدة في تنشئتهم تنشئة صحيحة تقوم على إدراكهم للمسؤولية وتخلقهم بأخلاق حسنة، ولكن العديد منهم يبقى عاجزا في توصيل هذا الشعور إلى أطفاله بسبب ما يعود إلى طباع الأب أو الأسلوب الذي خضع له في التربية، أو بعض المعتقدات الخاطئة المنادية بإخفاء الحب عن أعين الطفل ومعاملته بصرامة حتى لا يشب مدللا ، وهذا

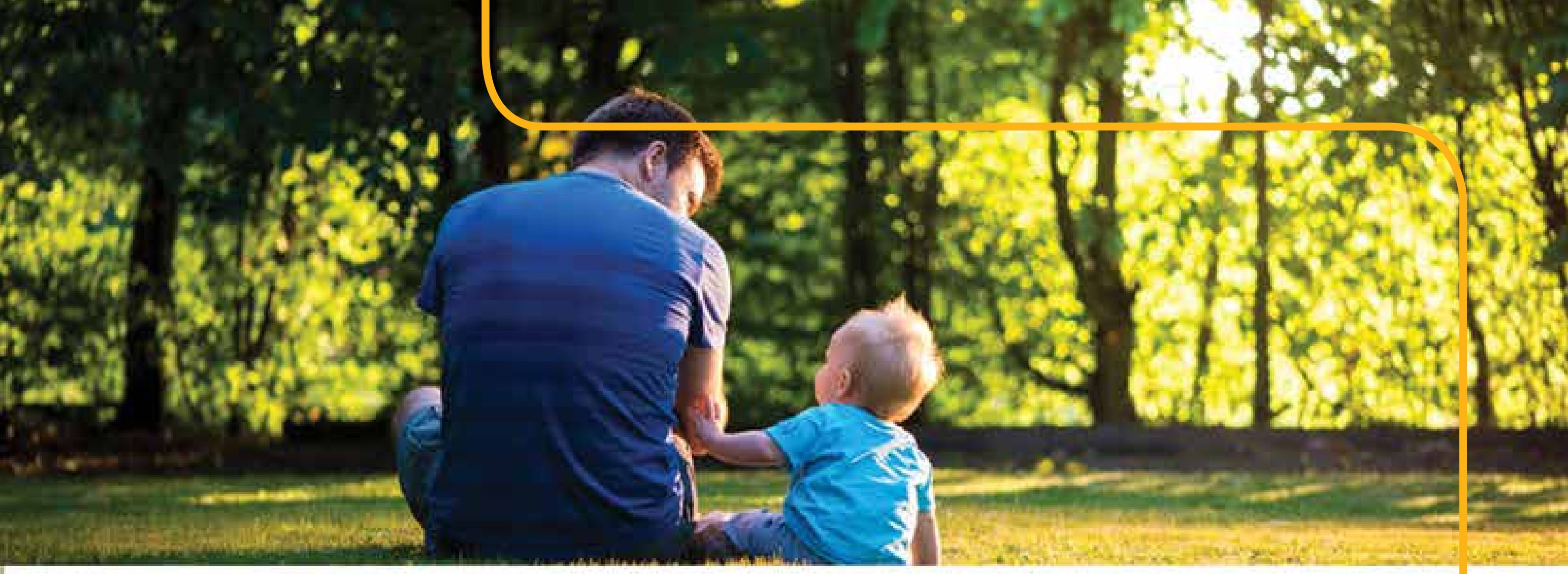


من شأنه أن يعقد المهمة، ويجعلها صعبة في ضرورة احتضان الطفل وإشعاره منذ نعومة أظفاره بحب وحنان ودفء الأبوة، ولكن على الآباء إذا ما أرادوا أن ينشئوا أبناءهم تنشئة تربوية سليمة، الأخذ بهذه الوسيلة التربوية الناجحة في ضرورة احتضان الطفل وتقبيله، ذلك لأن تقبيل الطفل واحتضانه في صغره، له دور كبير في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، فهي الطريق الأمثل لتسكين ثورته وغضبه، بالإضافة إلى أنها وسيلة الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، ودليل رحمة القلب بهذا الصغير وبرهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الساطع الذي ينير فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد تفاعله مع من حوله، وتؤكد البحوث النفسية أن احتضان الطفل وتقبيله منذ ولادته له عمل السحر بالنسبة للطفل، عندما ينمو ويغدو رجلا أو امرأة فيما بعد، من حيث إنها تترك أثرا لا يمحى من المحبة والعطف والحنان في نفس الطفل «وقبل هذه الدراسات بقرون طويلة دعا نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام بالأسلوب العملي، إلى ضرورة احتضان الطفل وتقبيله، فقد كان عليه الصلاة والسلام، يقبل الأطفال ويجلسهم في حجره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم، فقال رسول الله ﷺ «أوأملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» (رواه البخاري)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «قبل رسول الله ﷺ الحسن والحسين بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال الأقرع، إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم قط، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال «من لا يرحم لا يرحم» (رواه البخاري ومسلم)، فهذه الوسيلة النبوية المهمة، تدعو إلى الحنان والرحمة بالطفل لينشأ الولد على الحب والرحمة والحنان، وفي نفس الوقت تعطي الأجيال الإسلامية في كل زمان ومكان القدوة ليتأسى بها الدعاة والآباء والمربون في كيفية التعامل مع الأطفال.

لا تعارض بين روح الفكاهة وسياسة الحزم

الملاطفة

تعد ملاطفة الطفل وملاعبته من الوسائل المهمة، التي تبني عاطفة الطفل، لأن حاجة الطفل وهو صغير إلى المرح والترويح أكثر بكثير من حاجته إليها وهو كبير، ومن هنا يجب على الأب امتلاك قدر من روح الفكاهة ومن التلطف في التعامل مع الطفل، ولا يوجد هنا ثمة تعارض بين امتلاك الأب لروح الدعابة والفكاهة وسياسة الحزم، التي ينبغي أن ينتهجها في بعض المواقف التي تتطلب ذلك، في تعامله مع أطفاله، ذلك أن الطفل يقضي معظم وقته داخل البيت، وهو في حاجة إلى تلطيف الجو بداخل البيت، وجعله مقبولا بالنسبة له، وليس أدعى إلى ذلك من امتلاك الأب لروح الدعابة والملاطفة مع الطفل، ومحاولته من حين إلى آخر إدخال البهجة والسرور في نفوس أطفاله بواسطة نكتة أو طرفة يحكيها لهم، أو ملاعبتهم ببعض الألعاب البسيطة، فهذه الملاطفة والملاعبة من الأب من أهم الوسائل التي تدخل البهجة على نفس الطفل، وتبعث إليه برسالة غالية مفادها، أنه مرغوب وأنه شخص مرحب به من قبل الأسرة، وهناك الكثير من المواقف النبوية الخالدة التي كان فيها النبي ﷺ يلاعب الصبيان ويلاطفهم، فقد جاء في الإصابة «أن النبي ﷺ كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما، فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به على الجانبين، فيمشي بهما ويقول «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما»، أليس يدل هذا الهدي النبوي على أن النبي ﷺ يعطي من نفسه القدوة في الملاطفة مع الأطفال، ويعلم من



القسوة والعنف مفسدة للعاطفة

كان في عنقه حق التربية القدوة الصالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ويتأسى بهم، ويتأثر الطفل بأفعالهم الحميدة وعواطفهم المؤثرة، فيتشرب مبادئ الخير وينطبع على أخلاق الإسلام.

الهدايا والعطايا

تمثل الهدية قيمة نفسية كبيرة للطفل، ليس بسبب قيمتها المادية أو مدى نفعها له، ولكن بما تنطوي عليه من رسالة واضحة وصريحة إلى الطفل تخبره بأن أباك يحبك ويحرص على سعادتك، ويتمنى لك الصحة وطول العمر، فهي تمثل بالنسبة للطفل معنى عاطفيا يبعث على الحب والاهتمام، وأنه محبوب ومرغوب من الوالدين، وقد بين لنا النبي عليه الصلاة والسلام هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتهذيبها، فقد دخل عليه، عليه الصلاة والسلام بعض الغلمان، وهو يأكل التمر، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لهم من التمر قبضة ومسح على رؤوسهم، وهذا الموقف من النبي ﷺ يشعر كل طفل بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف، وحب الكبار له واهتمامهم به.

حسن الاستقبال

إن اللقاء مع الطفل لابد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيبا استطاع الطفل متابعة الحديث، وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه، ويبوح عما يجول في خاطره، ويعرض مشكلاته ويتحدث عن أمانيه في الحياة، كل هذا يحدث إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة.

تفقد أحوال الطفل

إن متابعة الطفل بالسؤال والرعاية الممزوجة بالحب والخوف عليه، تثير في نفسه المودة وتشعره بالأهمية، والحب من قبل الكبار، ذلك الأمر الذي له بالغ الأثر في توليد مشاعر الحب تجاه الطفل، ليكون دائما في أحسن حال وأطيب مقام، ليحوز تقدير واحترام من حوله، فقد كان رسول الله ﷺ يتفقد الأطفال ويسأل عنهم، روى ابن عساكر عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وأنه جاء من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهما، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.

فالسؤال عن الطفل وتفقد أحواله، يشعره بأنه محط اهتمام والده، وذلك له بالغ الأثر في تولد مشاعر الحب وتقوية العاطفة في نفسه.

نبذ العنف والقسوة

إن القسوة والعنف في التعامل مع الطفل، منذ حياته الأولى تفسد عاطفته، وتجعله في مستقبله إنسانا غير سوي، لا يعرف للحب معنى ولا للرحمة قيمة، ولم يؤثر عنه ﷺ قسوة على الطفولة، وقد نبه المربون المسلمون على المضار الجسمية والعقلية والنفسية، التي تتركها القسوة والحرمان في نفس الطفل، وذلك يدعوه إلى الكسل وحمله على الكذب والخبث خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة، ولذلك صارت له عادة وخليقة، وفسدت معاني الإنسانية لديه».

هكذا رسم الإسلام منهجا قويما في بناء عاطفة الطفل أساسه الرحمة والمودة واللطف في التعامل، منهج يدعو إلى نبذ العنف والقسوة في التعامل مع الطفولة للمضار النفسية والجسمية التي تنتج عن ذلك.



د. محمد عباس عرابي
أكاديمي تربوي - مصر

علاج «الوشاية» لدى الأطفال

تعد ظاهرة الوشاية عند الأطفال من الظواهر السلوكية الخطيرة التي تؤثر سلبيا على الأطفال وعلى المحيطين بهم من أفراد الأسرة والمدرسة والمجتمع، وهناك أسباب كثيرة تدفع الأطفال للوشاية، لذا يجب تحديد سبب الوشاية عند الأطفال، وسبب استخدامهم لها، ويمكن القول إن من أبرز هذه الأسباب ما يلي:

- يستخدم بعض الأطفال الوشاية ليلفتوا الأنظار نحوهم، ويحصلوا على مزيد من اهتمام والديهم.

- بعض الأطفال يقومون بالوشاية كورقة ضغط على أخيهم أو أختهم، ويمسكون على بعضهم أخطاء معينة يستخدمونها كأسلحة وقت الضرورة فيهددون بعضهم قائلين: «إن لم تفعل كذا سأخبر أبي بالذي تعرفه».

- بعض الأطفال يستخدمون الوشاية ليلفتوا الأنظار نحوهم، وليحصلوا على مزيد من اهتمام والديهم، والبعض الآخر من الأطفال يمارسون الوشاية، لأنهم يؤمنون أن عقاب الوالدين للشخص وسيلة فعالة للتعامل معه.

وللأسرة دورها في التعامل مع هذه الظاهرة، فعلى الأسرة مساعدة الطفل الذي يقوم بالوشاية في تفهم دوافعه، وتعليمه كيف يميز المسائل بنفسه؛ ليتعلم التركيز على دوافعه الخاصة، ويتعلم التفكير مليا من خلال أفعاله وأقواله، وسلوكياته، وحتى يستطيع القدرة على اتخاذ قرارات أفضل في المستقبل لو تعرض لمواقف مشابهة.

- وتعليمه كيف يستبدل بسلوكه غير الصحيح آخر صحيحا، ويمكن للأسرة إعادة تمثيل مشهد الوشاية وسببها وتوابعها أمام أبنائها مع استبدال السلوكيات والألفاظ، وبالتالي نساعد الطفل الذي يقوم بالوشاية على مساعدة قريبه أو أخيه على تصحيح السلوك الذي قام به بدلا من الوشاية به، وهنا يقوم قريبه بشكره، فنخلق بينهم جوا من التفاهم والألفة، ومثل هذه المشاهد تجعل الطفل ينمي حصيلته اللغوية، ويضعها طور التنفيذ والممارسة، ليبني تصرفا إيجابيا يستخدمه في المرات القادمة لاإراديا، وهذا ما ننشده جميعا.. فإن الطفل يتعلم بالممارسة، وتكرار الممارسة.

- ويعود الطفل أن يفرق بين الوشاية، وبين إخباره للأسرة شيئا من الضروري أن تعرفه، فإذا أخبر الطفل أبويه أن أخاه يقفز على الفراش، فهذه وشاية، وأما إذا أخبرهما أن أخاه يلعب بالكبريت على الفراش، أو يقطعه بالموسى، فهو بذلك يخبرهما بشيء لابد أن يعرفاه؛ لذا يجب أن يعرف الأطفال أنهم يستطيعون التعامل مع مشاكلهم دون اللجوء دائما إلى الوالدين.

- والطفل قد لا يدرك مدى الخطر التدميري الذي توقعه هذه الأفكار في سلوكياته؛ لذا يجب لفت انتباه الواشي لأهمية العلاقة، علاقة الصداقة بينه وبين أخيه أو أخته، وهذا يساهم كثيرا في خلق المزيد من التسامح والعفو عن الزلات فيما بينهم، وخلق سلوك جديد أقرب للاتحاد والترابط.

- ومن المهم تدريب الأطفال على ألا يخبر أحد الوالدين شيئا عن إخوته إلا مضطرا بنية إنقاذه ومساعدته، ويمكن للأسرة أن تجيب ابنها الواشي بجملة صغيرة كأن يقول الأب له: «أنا سعيد لأنك لم تقع في هذا الخطأ، ولا تحرم أخاك من مساعدتك ودعائك»، فعبارة كهذه سوف تمنح الطفل الاهتمام الذي يريده دون إجازة الوشاية.



د. أنس الحسيسن
أستاذ اللغة العربية وآدابها
المغرب

أطفالنا في زمن الانفجار الإعلامي

تمر حياة الإنسان بعدة مراحل، أولاها الطفولة، التي فيها تتشكل شخصية الطفل، ولاسيما في مجال اللغة، التي يتعلمها انطلاقا من البيت، والمدرسة، والمحيط الخارجي. يضاف إلى هذا عنصر الإعلام، الذي أصبح يؤثر تأثيرا قويا في أقوال وسلوك الطفل من خلال ما يسمعه ويشاهده ويقرأه، الشيء الذي جعل الشركات تركز فيما تسوقه وتبثه من مواد إعلامية على هذه الشريحة الغضة القابلة للتشكيل والتشكل بحسب الرغبات المعلنة والأهداف المضمرة.

في هذا الوضع، بينت الإحصاءات الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن ٤٠ في المئة من الأطفال العرب من الشريحة العمرية من (٠) إلى (١٤) سنة، هم في حاجة إلى أن يكونوا من صلب اهتمامات اللغويين لتحصينهم وحمايتهم من كل المؤثرات الناجمة عن ثورة المعلومات في زمن هيمنة النظام الاقتصادي الجديد وما رافقه من انفجار معرفي.

الطفل واللغة

يستعمل الطفل العربي مع أولى مراحله، لغة بلده الأصلي، وفي الحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه» (صحيح ابن حبان). وما يفوه به الطفل العربي من كلمات نابعة من اللغة العربية، التي هي لغة الكتاب كما أنها لغة الخطاب والتواصل بين أبناء الأمة العربية والإسلامية، إضافة إلى أنها لغة التواصل الحضاري بين شعوب الدول العربية والإسلامية، التي حملت إليهم الإسلام وجعلت للعرب مكانة الأستاذية بين الشعوب. كما أن اللغة العربية هي لغة التواصل، التي حملت تراثنا العلمي ولغة العلم والأدب والكنوز العلمية والأدبية. وقد نبهنا القرآن العظيم إلى مكانة اللغة العربية، التي اختارها الله لكتابه تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥).

إن أول ما يرتبط به الطفل هو اللغة، ويغذي بها موسوعته الفكرية مع أولى سنوات عمره، بنوعية الكلمات، التي يلتقطها. وإذا كانت رديئة، ستصبح مع الوقت جزءا من شخصيته، وعندما يعتاد الطفل على سماع الكلمات القاسية والجارحة للمشاعر، فإنه حتما سيتغذى بها قاموسه اللفظي، ويختزنها ليتحدث بها مع إخوته وأصدقائه، ويوظفها حتى في سن الرشد، ومن هنا تكمن أهمية ما يتلقاه الطفل من لغة منذ الصغر، يبني بها شخصيته، وسيتواصل بها مع القادم من حياته. واللغة العربية هي أكبر من مجرد اصطلاحات أو تواصل، بل هي انتماء، وهي أداة من خلالها تحفظ هوية الأمة، ومن دونها تنسلخ عن تاريخها.

ومن أهم التأثيرات، التي تتركها الكلمات الساقطة، التي يسمعها الطفل في البيت، أنه يدخل في عزلة وانطوائية، وهذا حتما سيؤدي إلى ضعف في التحصيل، والتواصل، والتمكين، والمواجهة، والمشاركة، وعلى العكس من هذا عندما يسمع الطفل خطابا مشحونا بالكلمات المختارة والجيدة، ستصب لا محالة في تنمية

الطفل، وسيكون متوازنا نفسيا وفكريا واجتماعيا.

الخطاب الإعلامي

يعد الخطاب الإعلامي صنفا من بين أهم أصناف الخطابات اللغوية المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المعبرة عن كل مجالاتها الحياتية، وهو منتوج لغوي إخباري متنوع داخل بنية اجتماعية – ثقافية محددة، وهو شكل من أشكال التواصل الفعال في المجتمع. إن الخطاب الإعلامي، هو رسالة اتصالية تحوي عددا من المعطيات الجديدة، التي قد تكون صادقة وشفافة، كما يمكن أن تكون محرفة ومضللة، وتقاس كمية معطياته بمقياس «وحدة المعلومة»[1].

وللإعلام بمختلف مشاربه دور في الحفاظ على الينابيع الصافية للغة العربية وتجديدها وتطويرها والارتقاء بها، وكلما تبوأت اللغة المكانة اللائقة بها في الإعلام بأنواعه المتعددة، فإنها باستطاعتها أن تفرض وجودها الكامل في الحياة العامة، وتصبح لغة الحياة، وهي بذلك لا تكتفي بإيصال الرسالة الإعلامية بغض النظر عن جودة تأثيرها إلى أداة فعالة لتحقيق غايات ترتبط بالتربية والدين والمواطنة والحقيقة وقيم المجتمع، وهذا من صميم أهداف الإعلام التربوي، الذي أصبح يملك وسائل اتصال حديثة ومتنوعة وبإمكانه توصيل المواد التعليمية إلى أفراد المجتمع بدءا من الأطفال[2].

ومن ضرورة العناية باللغة العربية، فتح المجال أمامها لتثبت مكانتها في وسائل الإعلام، لتكون لغة مؤثرة في الرأي العام، ولها الحظوة والقبول من القطاعات العريضة من الشعوب العربية والإسلامية. ومن التحديات، التي تواجه العربية في الإعلام، عدم مراعاة الدقة، والتساهل في إفشاء الأخطاء، وإسقاط الرقابة اللغوية، والخلط بين الفصحى والعامية على النحو الذي يشيع الرداءة اللسانية والإسفاف اللغوي، ويفسد اللغة إفسادا ظاهرا ملموسا، ووسائل الإعلام ليست حمالة حطب وإنما هي منابر لها مضامين قيمية بصفة رئيسية وقد وجدت لأداء رسالة نبيلة.

وقد تلقت اللغة العربية ضربات قوية خلال العشرين سنة الأخيرة كان لها انعكاس مباشر على البنيات اللسانية والوظيفية للغة العربية، ذلك أنه في ظل الثورة التكنولوجية التي من مظاهرها انفجار شبكات التواصل الاجتماعي والرقمنة، أصبحت اللغة العربية من أسرع اللغات نموا عبر مختلف منصات التواصل الاجتماعي في العالم، إلى جانب ذلك عملت الهواتف الذكية والتطبيقات المتنقلة على انتشار المحتوى الرقمي الناطق بالعربية في عدد كبير من الدول العربية. ومن خلال بحث أجراه المهدي العامري، أستاذ بمعهد الإعلام والاتصال بالرباط، تبين أن كتابة العربية بالحروف اللاتينية تضعها في حال تمزق وتشرذم لغوي يفرضه واقع التخلف التكنولوجي وضعف حركة الترجمة ونقل العلوم عن الغرب من لدن سائر أقطار العالم العربي. ومن شأن هذا العنف اللغوي أن يفقد لغة الضاد كيانها وهويتها العميقة وقيمتها الاعتبارية في العالم، بل يجعلها لا تقاوم الصمود أمام الغزو الثقافي الهجين، الذي قد يفقدها ريادتها بين لغات المعمورة[3].

الرصيد اللغوي

في ظل الانتشار الواسع للقنوات الإذاعية والتلفزية والإلكترونية ندلي بهذه الاقتراحات:

- زيادة الوعي لدى المجتمعات العربية والإسلامية بكون اللغة العربية حامية وحاملة للهوية والتراث والثقافة.
- تشجيع الطفل على تنمية خياله بأفلام الرسوم المتحركة، وهو الذي يجعله يحلل ما حوله من أحداث ومواقف، ويفعل عمليات التفكير العليا لديه، كالاستدلال والمقارنة والاستنتاج والتحليل مما نفتقده في المدارس غالبا وبلغة فصيحة وسليمة من الأخطاء.
- تنبيه الأطفال على خطورة بعض ألعاب الفيديو، التي لا تكرس إلا لغة العنف والقتل.
- تخصيص مزيد من الحصص الخاصة بالأطفال في برامج التلفزيون، وعرضها في أوقات مناسبة، يكون الهدف منها، تقديم أنشطة ثقافية باللغة العربية لتدريب الأطفال على التواصل بلغة الضاد، وهذا يدخل ضمن الإعلام التربوي.
- توسيع إنشاء قنوات خاصة تعنى بالطفل وبلغته وبتوعيته في كل البلاد العربية والإسلامية، وهو ما يطلق عليه «صحافة الأطفال».
- إنجاز مسابقات ثقافية على شكل حوارات باللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية، وتخصيص المنح التشجيعية للفائزين.
- مطالبة الصحافيين بمضاعفة العناية باللغة العربية وسلامتها وتحسين أدائهم بها، خاصة حين نقل المباريات الرياضية، التي تستأثر باهتمام كثير من الأطفال.

الهوامش

١- عبدالسلام الأندلوسي، الخطاب الإعلامي الأسس والمرتكزات، مطبعة الخليج العربي، تطوان ٢٠١٦م، ص:٦٨.

٢- نورالدين الأمني الجعباق، الإعلام ودوره في الحياة المدرسية، مطبعة الضفة، تطوان، ٢٠١٧م، ص:١٥.

٣- مداخلة المهدي عامري في المؤتمر الوطني الرابع للغة العربية بالرباط، جريدة التجديد، العدد ٣١٩٤، ١٦-٢٢ مارس ٢٠١٧م.



فاطمة محمد البغدادي
باحثة وخبيرة تربوية
مصر

الطفل الدرّاج.. كيف نتعامل معه؟

من المصطلحات المتداولة في علم التربية الحديث، مصطلح الطفل الدرّاج، أو كما يطلق عليه البعض «الدارج» toddler. ويقصد به الطفل الصغير الذي يمشي بخطى قصيرة وقلقة، وذلك خلال الفترة العمرية من سن سنة واحدة إلى ما يقرب من سن الثالثة، حيث تطرأ على الطفل مجموعة من المتغيرات، التي يجب ألا يغفلها الأهل، بل يسعوا إلى إدراكها، ومعرفة مكنون أبعادها، ومن ثم امتلاك زمام القدرة على التعامل مع صغيرهم، بما يساعده على النمو الصحيح؛ اجتماعيا وبدنيا ونفسيا.

تمثل مرحلة الطفل الدراج الخطوة الأولى التي يسعى فيها الطفل إلى تكوين شخصيته، من خلال محاولاته المتكررة الاعتماد على نفسه في المشي، وعناده في أخذ الأشياء والأدوات التي يراها، حيث يأخذ الملعقة ويصر على أن يطعم نفسه، حتى ولو سقط جل الطعام على ملابسه، وتناثر على وجهه، فهو يجد متعة في ذلك، كونه يفعله بنفسه.. ومن أبرز سمات هذه المرحلة وخصائصها:

- التدرج في التعلم، حيث يتعلم الطفل كيف يجلس، قبل أن يتعلم كيف يقف، ويقف قبل أن يسير،

ويسير قبل أن يركض.. وقد تبين أن الأطفال يدركون قدراتهم في أوقات متوقعة، وفي تسلسل متوقع[١]، حيث إن الطفل الدراج عندما يصل عمره في المتوسط إلى ١٨ شهرا، يستطيع أن يأكل من دون مساعدة، ويشرب من كوب، ويستخدم ملعقة، ويكدس بضع مكعبات. وفي سن الثانية، يسعى إلى الركض، ويقذف الكرة، ويشخبط بالأقلام، ويقلب الصفحات، ويجمع بين بضع كلمات، ويستمع إلى القصص والحكايات، ويركز على أسماء أبطالها.. وعند الاقتراب من ربيعه الثالث، يبدأ بصعود السلالم، بمناوبة رفع الأقدام، ويركب الدراجة الثلاثية العجلات، ويرسم دائرة وعلامة تقاطع، ويعرف اسمه كاملا.

ـ مع بدء ظهور الأسنان اللبنية، عادة ما تنخفض شهية الطفل الدراج، مما يسبب إزعاجا لمعظم الأمهات، خصوصا اللاتي لم ينجبن من قبل.

ـ يختبر الطفل الدراج، من خلال ما يقع تحت يديه من أدوات وألعاب، الخواص الفيزيائية لمحيطه، فيثبت قانون الجاذبية، ورطوبة الماء، ولزوجة العصير، وحرارة اللهب، ويكتشف مدى انزعاج أمه عندما يستغرق في تصرفاته إلى مدى بعيد[٢]، ويدرك أنه إذا آذى طفلا أصغر منه فإنه سيعاقب، وإذا ألقى بلعبه خارج النافذة فسوف يوبخ، وهذا يعني أنه أصبح قادرا على تعلم كيف يسيطر على غضبه وسلوكه المتهور.

ـ في سن الثانية يستطيع خلع ملابسه، ولكن لا يستطيع ارتداءها.

ـ على الرغم من أن جل تصرفاته يؤكد على سعيه إلى الاستقلالية وانتزاعها بالعناد، فإنه ينخرط في البكاء عندما يخرج الوالدان، أو أي أحد من أفراد الأسرة الذين يحبهم، وعادة يسرع بالخروج من غرفته، رافعا ذراعيه إلى أعلى كي يحمله ويحتضنه من يحبه، وهذا يجعله في حالة صراع ما بين سعيه إلى الاستقلالية، وضرورة استمتاعه بقرب أحبائه منه، واهتمامهم به.

ـ يتعرض في أثناء نومه لأنواع متباينة من الأحلام، هي في أغلبها ذات صلة بمواقف نهارية حدثت له أثناء اللعب، أو تعامل الآخرين معه.. وقد يفضي ذلك إلى تأجيل الطفل موعد نومه الطبيعي إلى وقت متأخر؛ نتيجة تولد انطباع لديه بأن شيئا مهما سيحدث، وأنه سيفقده إذا خلد إلى النوم.

أسس تربوية

على الأم والأب وكل من يحيط بالطفل الدراج أو يتعامل معه، أن يكون واعيا بأهمية هذه المرحلة العمرية، ومدركا لكل ما بها من متغيرات وسمات، فإذا ما تحقق ذلك، صار بالإمكان تكييف أساليب التعامل معه، بما يساعده في تقويم سلوكياته، ووضع لبنات أساسية في بناء شخصيته، التي ستكتمل في المراحل العمرية اللاحقة، وهذه مسؤولية مهمة للأسرة، يجب القيام بها على أحسن وجه، عن عبدالله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها»[٣]، وفي «الإحياء»، قال الإمام الغزالي رحمه الله: مما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه.

ومن أهم الأسس والمبادئ التي يجب على الأسرة الأخذ بها في التعامل مع الطفل الدراج:

ـ اعلموا أن الطفل في هذه المرحلة يكون في حاجة إلى الحنان والعطف، بمفهومهما الصحيح، الذي يبني ولا يهدم، حيث إن الطفل مازال غير مدرك لكثير من تصرفاته، لا يهتم إلا بتحقيق ما يريد فقط، وهنا يكون الدور الذكي للأبوين، بتأكيد حنانهما وعطفهما على طفلهما، ولكن من دون تطرف بالزيادة أو النقصان، وذلك بالاقتراب منه، وبث السلوكيات الصحيحة في نفسه بالتدريب والتعليم المتدرج، بحيث يبدأ في إدراك السلوك الصائب من السلوك الخاطئ.. ومن المواقف الدالة على الحنان والعطف النبوي على الصغار، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني ويقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على الأخرى، ثم يضمنا، ثم يقول: «اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما»[٤]، وفي رواية: «اللهم إني أحبهما، فأحبهما»[٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه صلى مع رسول الله ﷺ العشاء، فأخذ الحسن والحسين يركبان على ظهره، فلما جلس، وضع واحدا على فخذه، والآخر على فخذه الأخرى»[٦].

ـ ثبت علميا أن من أسوأ الأمور التي تضر الطفل الدراج، الجلوس وحده أوقاتا طويلة أمام شاشة التلفزيون، حيث إن ذلك يفقده الشهية، ويضعف بصره، وقد يسبب له أمراض التوحد والمتلازمات العصبية.. ومن ثم يتعين على الوالدين أن يكونا بجوار

صغيرهما وهو يشاهد التلفزيون، ولا يتركاه يتأمل بكل تركيزه في الصور المتلاحقة على الشاشة، وإنما يجب أن يسعيا إلى لفت انتباهه، والتحدث معه كثيرا، وشغله بأشياء أخرى مفيدة.. وفي الحديث الشريف، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[٧].

- على الأبوين الحذر من تلبية كل شيء يطلبه صغيرهما، فإذا ما فعلا ذلك، كبر صغيرهما من دون أن يدرك قيمة الأشياء، وبالتالي لا يهتم بالمحافظة عليها.. وديننا الإسلامي يحثنا على الوسطية في جل الأمور، ومنها الأمور التربوية، وينهانا عن المغالاة في سلوكياتنا ومعاملاتنا، قال تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (الفاتحة:٦)، حيث إن الاستقامة وسط بين طرفين، ومن المأثورات «خير الأمور الوسط.. وحب التناهي غلط».. وفي نتائج كثير من البحوث والدراسات التربوية الحديثة، تأتي الوسطية في التعامل مع الأطفال، ضمن المبادئ الأساسية، التي تقوم عليها نظرية «التربية الإيجابية» التي صاغها إدلر، وطورها تلميذه دريكرز، وراجت رواجا كبيرا بين الآباء والمربين والمعلمين حول العالم، كونها تهتم بعدة مهارات في التعامل، مثل الفاعلية في العلاقات، والتأثير الإيجابي في الحياة، والانضباط الذاتي، والقدرة على التحكم في النفس، وفهم المشاعر الشخصية، كما تحث على كل ما ينمي المشاعر الإيجابية لدى الطفل، وينحي المشاعر السلبية.

- في هذه المرحلة خاصة الضرب ممنوع، والتمادي في الصبر على سلوكيات الطفل المتضاربة مطلوب، حيث تبين أن النسبة الكبرى من الشباب، الذين يعانون من الجبن، أو الخجل المذموم، ولا يستطيعون الحديث عن أنفسهم، أو الدفاع عنها، كان ضربهم وهم صغار سببا رئيسيا في ذلك.

- إذا اشتد عناد الطفل، وأصر على ارتكاب الخطأ نفسه عدة مرات، يجب على الوالدين ألا ينفعلا عليه، أو يصرخا في وجهه؛ لأن هذا في الغالب لا يثنيه عن العناد وتكرار الخطأ؛ لكونه يعتبر ذلك تحديا.. والحل الأمثل في هذه الحالة، تجاهله، مع مراقبته، وتوجيهه بصورة غير مباشرة، حتى يقلع تدريجيا عن تكرار الخطأ.. يحكي غير واحد من كبار الاختصاصيين بتقويم سلوكيات الأطفال، عن تجربتهم مع مواقف تتعلق بهذه المسألة، منها هذا الموقف: أتت أم تشكو عناد طفلها، وصراخه واحمرار وجهه، إذا نهرته عند تكراره للخطأ، وأنها تخاف عليه خوفا شديدا عندما يتمادى في نوبة البكاء والصراخ، على الرغم من حرصها على إسكاته، وقالت إنها ذهبت إلى الطبيب للكشف والفحص السريري على صغيرها، ولم يجد الطبيب أي شيء يتعلق بمرض عضوي، ومن ثم أوصى الاختصاصي الأم بأن تجرب تركه، وتذهب إلى حجرة أخرى إذا كرر ذلك، مع مراقبته من دون أن يشعر، وبالفعل أثمرت هذه التوصية، حيث بدأ الطفل يدرك تدريجيا أنه لا فائدة من فرض عناده بالبكاء والصراخ!

- على الوالدين التحدث كثيرا إلى طفلهما في هذه المرحلة، وذلك من أجل إثراء قاموس لغته.

- من أنجح طرق التهذيب في هذه المرحلة اتباع أسلوب العاقبة، بدلا من العقاب؛ ويقصد بالعاقبة أن نجعل لكل تصرف خاطئ عاقبة تتناسب معه، وتكون بمنزلة النتيجة المباشرة والمنطقية له، خذ مثالا: عاقبة سوء استخدام الألعاب وتعمد تكسيرها، هي أخذ اللعبة منه، وإخباره بأنها ستكون متاحة له حين يود استخدامها بشكل صحيح، وذلك بدلا من عقابه بدنيا أو لفظيا.

- تنظيم فترات تناول الوجبات الأساسية، مع ضرورة احتواء هذه الواجبات على كل العناصر والفيتامينات والمواد التي يحتاج إليها الطفل في هذه المرحلة، لنموه على نحو جيد.

- العناية بنظافة بدن الطفل بحمام دافئ لطيف، والحرص أن تكون ملابسه قطنية مريحة، وعدم استخدام أي مواد من شأنها التسبب في حساسية الجلد.

- الحرص على تخصيص وقت لرواية الحكايات والقصص المشوقة، حيث ثبتت أهمية ذلك في التربية، على أن تكون متنوعة، وذات مضامين تربوية هادفة.. وما أكثر الحكايات والقصص في تراثنا العربي والإسلامي، التي تفيد الطفل في هذه المرحلة العمرية.

- لا تلقوا بمسؤولية تربية الطفل الدراج على الأم وحدها، فهذا خطأ كبير، حيث إن المسؤولية مشتركة، وعلى الأب دور رئيسي في تربيته، يقول الإمام الماوردي: فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب، ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها عند الصغر.

- القدوة والمثل، حيث تبين أن الطفل الدراج يتعلم بالتقليد، وذلك من خلال مراقبة والديه وإخوته الكبار، وتقليدهم في كثير من السلوكيات، ومن ثم يجب أن يكون أفراد الأسرة والمربون قدوة



حسنة للصغار، وأن يشجعوهم على السلوكيات الصحيحة، هذا ما أكدته نتائج الدراسات والأبحاث التربوية الحديثة.. وقد سبق أن تنبه سلفنا الصالح إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو بن عتبة، ينبه معلم ولده، فيقول: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت. ويقول ابن الجوزي: أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه، نشأ عليه.

ـ على الوالدين العمل نحو تقريب طفلهما إلى الله جل وعلا، بالأقوال والأفعال، عن طريق تعليمه كيفية الوضوء، والصلاة، وذكر الله الذي خلقه وأنعم عليه، ليمتلئ قلبه بحب الله، ويحرص بعد ذلك على ألا يخالف الله بقول أو فعل.. ذكر ابن سعد في طبقاته: أن أم سليم كانت تلقن أنسا ولدها، الشهادتين، قبل أن يبلغ سنتين. وعن سهل التستري، قال: «كنت وأنا ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوما: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك، عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك، الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته»(٨).

الهوامش

١- جيري بيلي (وآخرون)، موسوعة الباب المفتوح المجلد ١٣ (دليل الوالدين) ترجمة د. حسام الراوي (وآخرين)، ص:٢١.
٢- نفسه، ص٢٢.
٣- رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وأحمد.
٤- أخرجه الترمذي وابن حبان.
٥- أخرجه البخاري في الصحيح.
٦- أخرجه أحمد.
٧- رواه البخاري ومسلم وأحمد.
٨- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص:٧٤، دار المعرفة، بيروت (من دون تاريخ).



د. خالد صلاح حنفي
أكاديمي تربوي
جامعة الإسكندرية - مصر

أطفالنا في عصر الثقافة الرقمية

في هذا العصر تتشابك الأحداث ويتشابك التاريخ، لا سيما مع تطورات التكنولوجيا الحديثة، ومن ثم تنحصر أشياء كثيرة وتقفز إلى السطح قيم جديدة. وقد غدت وسائل التواصل الاجتماعي اليوم موضة العصر، ووسيلة التواصل الأساسية، والأكثر انتشارا، بل إنها بدأت تحل محل التواصل الإنساني المباشر لمصلحة الانفتاح الافتراضي الواسع.

ويشير مصطلح الثقافة الرقمية إلى معطيات جديدة يفرضها عالم التطور العلمي والتكنولوجي، فقد وحدت هذه الثقافة شعوب العالم وجعلتها تتوق إلى تشكيل معرفة واسعة، وأصبح يطلق على هذا المجتمع الموحد تسميات مختلفة منها «مجتمع المعرفة»، و«مجتمع المعلومات»، حيث صارت المعرفة أهم مصادر التنمية، وصار إنتاج المعرفة من أهم مصادر الدخل القومي، وتوافر كم هائل من المعلومات مع توظيفها لصالح المجتمع[1].

وقد أوضح تقرير اليونسيف «حال الأطفال لعام ٢٠١٧م» أن الأطفال والمراهقين يمثلون ثلث مستخدمي الإنترنت على مستوى العالم، وأن الشباب ما بين ١٥ و٢٤ سنة هم الفئة العمرية الأكثر وصولا للإنترنت؛ فعلى مستوى العالم، نجد أن نسبة ١٧ في المئة من تلك الفئة موصَّلون بالإنترنت مقابل ٤٨ في المئة بالنسبة لمجموع السكان، وأنه في بعض البلدان، يكون معدل استخدام الإنترنت بين الأطفال دون ١٥ سنة مماثلا للمعدل عند البالغين فوق ٢٥ سنة، فقد صار استخدام الطفل

للإنترنت أمرا غاية في السهولة، خصوصا مع توافر وانتشار الهواتف الذكية في أيدي الأطفال، والتي كرست كما يشير التقرير «ثقافة غرفة النوم»، حيث أصبح الوصول للإنترنت بالنسبة لكثير من الأطفال أمرا أسهل وفرديا بصورة أكبر عن الماضي، وصاروا أقل خضوعا للإشراف من قبل الكبار[٢].

وأوضحت دراسة منظمة كومون سينس ميديا (٢٠١٥م) أن الأطفال في المرحلة العمرية ما بين ثماني سنوات واثنتي عشرة سنة يقضون ست ساعات يوميا في المتوسط على مواقع التواصل الاجتماعي. كما أظهرت دراسة أخرى لكومون سينس أن مقدار الوقت الذي يقضيه الأطفال البالغون من العمر ثماني سنوات فأقل على مواقع التواصل الاجتماعي تضاعف من ١٥ دقيقة يوميا في عام (٢٠١٣م) إلى ٤٨ دقيقة يوميا في عام (٢٠١٧م)[٣].

وفي ضوء تلك الأرقام يبرز السؤال «ما أثر الإسراف في استخدام المحتوى الرقمي على الأطفال؟»، وهذا السؤال هو مثار اهتمام الكثير من الدراسات.

فعلى سبيل المثال وجدت دراسات حديثة أن وجود جهاز رقمي كالهاتف الذكي يمكنه الاستحواذ على التركيز وتعطيل الوظيفة الإدراكية سواء أكان الجهاز قيد التشغيل أو متوقفا عن العمل. فإذا كان الطفل يؤدي اختبارا وكان هاتفه الذكي مضبوطا على نمط الطيران ومحفوظا داخل حقيبة ظهره الموضوعة تحت طاولته فقد يتأثر تركيز الطفل ووظيفته الإدراكية على الرغم من ذلك بسبب قرب الهاتف.

كما أن هناك دراسة أخرى أجرتها جامعة ستانفورد الأميركية حيث قامت باختبار الاستخدام المتزامن لوسائط إعلامية متعددة، كمشاهدة التلفزيون أو تبادل الرسائل النصية أو التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقته بالقدرة على التركيز وتحقيق أداء جيد في الواجبات المدرسية، ووجدت الدراسة أن من يكثرون من الاستخدام المتزامن لوسائط إعلامية متعددة وجدوا صعوبة أكبر في تكريس انتباههم إلى مهام معينة والتنقل بين المهام وتحديد العناصر الأساسية بين المهام.

وأوضحت دراسة جامعة شيفيلد البريطانية أن استخدام وسائط التواصل الاجتماعي بين الأطفال يجعلهم أقل سعادة في الغالبية العظمى من جوانب حياتهم، بل إن قضاء مجرد ساعة واحدة بإمكانه أن يقلل من شعور الطفل بالسعادة الكلية في مجالات العمل المدرسي والمدرسة التي يرتادها ومظهره وأسرته وحياته بوجه عام بنسبة ١٤٪[٤].

الآثار الإيجابية

تقدم مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت العديد من المزايا للأطفال تتمثل في:

١- الناحية التربوية والتعليمية: تسهم الإنترنت في تنمية شخصية الطفل وتوسيع أفكاره، ومداركه، وتطوير إمكاناته وقدراته المعرفية، والفكرية والتعبيرية، واللغوية. فقد أصبحت مصدرا مهما تمده بالعادات والقيم والاتجاهات بل منظومة تربوية متكاملة تماما إذا ما وظفت بشكل سليم.

٢- الناحية التثقيفية والتعليمية: فالإنترنت تمثل وسيلة مهمة لتطوير ثقافة الطفل، وأتاحت له التعرف على أحدث المعارف والاكتشافات، والاستفادة من خدمات المواقع الثقافية والمكتبات الإلكترونية، كما أدت دورا إيجابيا في عملية التعليم، وتزويد الطفل بخبرات متنوعة، وتعزيز المفاهيم الإيجابية حول القيم الثقافية والتعليمية الحديثة.

٣- الناحية الانفعالية: تسهم الإنترنت بدور مهم في تهذيب انفعالات الطفل، ومعالجة بعض المشكلات النفسية، وتنمية فضائل الحوار والتفاعل، وتبادل الأفكار والآراء مع الأقران.

٤- الناحية الاجتماعية: فالإنترنت تنمي مفهوم الحياة الاجتماعية لدى الطفل، وتساعده في عملية التكيف مع البيئة المحيطة به، واكتساب السلوكيات التي ترسخ علاقات اجتماعية سليمة، واكتساب القواعد الأساسية التي تنظم تلك العلاقات، إضافة إلى خدمات المراسلة والبريد الإلكتروني وإمكانية التصفح من أي مكان[٥].

الآثار السلبية

مع قضاء الأطفال الكثير من الوقت أمام الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي إلى حد قد يصل إلى الإدمان، فإن هناك العديد من الآثار السلبية المرتبطة بالوقت الذي يقضيه الطفل، ونوعية المواد التي يتعامل معها وتتمثل في:

١- مشاهدة بعض البرامج والمسلسلات والأفلام التي تبث أفكارا وقيما لا تتناسب مع طبيعة مرحلة الطفولة وخصائصها، لاحتوائها على مفاهيم عقائدية أو فكرية غريبة عن القيم الدينية والثقافية، وما تبثه بعض المواقع

من عنف أو شذوذ أو انحرافات سلوكية، أو تكريسها لقيم سلبية، وغرس أفكار من نوعية أن العالم قائم على الصراعات، أو وجود حلول سحرية للمشكلات والمواقف.

٢- المشكلات الصحية والنفسية كالاضطرابات الغذائية، وزيادة الوزن، والتعرض للإصابة باضطرابات ما قبل النوم وأثناءه أكثر من غيرهم، وزيادة معدلات المشكلات النفسية مثل سرعة الانفعال، والجنوح عن الواقع، والبرود العاطفي والتقلب المزاجي، والانعزال والانطوائية، والشعور بالخمول والإرهاق والتعب.

٣- الآثار الاجتماعية السلبية لإدمان الإنترنت كتقليل فرص التواصل والحوار الأسري الطبيعي، وضعف اكتساب مهارات التواصل مع الآخرين، وتقليل فرص ممارسة الطفل للأنشطة الرياضية والثقافية والفنية التي يحتاجها النمو العقلي والفكري والاجتماعي.

٤- زيادة فرص تعرض الطفل لممارسات ضارة كالتهديد أو الابتزاز، أو استغلاله استغلالا غير مشروع.

الخاتمة

عندما تتعرض العلاقة بين أطفالنا والثقافة الرقمية لا ينبغي الاكتفاء بإلقاء اللوم على العولمة وثقافتها المنتشرة بصفة خاصة عبر الإنترنت والفضائيات وتحميلها مسؤولية ما يحدث في المجتمعات العربية وفي أوساط الأطفال والشباب العربي من غزو ثقافي نوعي مكثف، لأن الأمر يتطلب دراسة الظاهرة بصورة موضوعية والبحث عن بدائل وقائية للتخفيف من حدة الظاهرة وتحويل بعض مكوناتها إلى عناصر إيجابية وممارسة ثقافة النقد والتغيير والمراجعة[٦].

ومن أهم واجباتنا تجاه أطفالنا أن ننمي التواصل بينهم وبين العالم الخارجي، ونتيح لهم فرص الانفتاح على الثقافات العالمية، وأن ندربهم على لغة الحوار والمشاركة وتفهم الرأي الآخر، لكي ينشأوا مؤمنين بذواتهم، وقادرين على التكيف مع الأهداف الإنسانية المشتركة، ولعل الانترنت هو أحد أفضل الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، والوصول إليها.

ولا بد لنا في العالم العربي من التفكير في أوضاع أطفالنا واستخدامهم للتكنولوجيا الرقمية، والتصدي لما قد يحمله استخدام الطفل للتكنولوجيا من مخاطر، والاستفادة من إيجابيات التكنولوجيا الرقمية، ويمكن أن يكون ذلك من خلال تبني الدول العربية للسياسات والتشريعات والقوانين التي تحمي الطفل على شبكة الإنترنت، فقد آن الأوان لصياغة قانون يحمي الطفل، وخصوصيته، وعقاب كل من يحاول استغلال الطفل أو يؤذيه، والإفادة في ذلك من القوانين المماثلة في دول العالم، وعلى الحكومات إلزام مزودي الإنترنت بإتاحة برمجيات لحماية الطفل من المواقع الضارة والمؤذية، وهي العملية التي يطلق عليها «فلترة المواقع».

ومن الناحية الأخرى على الدول العربية العمل على إتاحة التكنولوجيا الرقمية بصورة أكبر، وبأسعار في متناول جميع الأفراد من مختلف الشرائح الاقتصادية والاجتماعية دون تمييز.

كما أنه يجب توعية الآباء والأمهات بمخاطر شبكة الإنترنت المتنوعة وكيفية تعويد أطفالهم على التعامل مع شبكة الإنترنت بصورة آمنة، وألا يتعامل الأطفال مع الغرباء على الإنترنت، ويمكن أيضا أن يكون تعامل الأطفال خاصة في المراحل الصغرى بإشراف ومتابعة الوالدين، وتعويد الطفل على النقاش حول ما يجده من موضوعات في شبكة الإنترنت وكيفية التعامل معها. وعلينا تعويد الطفل على الموازنة بين الجلوس على الإنترنت، وبين الأنشطة المختلفة، وتشجيعه على القراءة والمطالعة، وممارسة هواياته الأدبية والفنية والرياضية، وتشجيعه على الاندماج والتفاعل الاجتماعي المطلوب، وتكوين علاقات اجتماعية جيدة، فضلا عن مرافقته في النزهات والرحلات وزيارة المعارض وبعض النشاطات الأخرى.

الهوامش

١- فتيحة شفيري (٢٠١٨م): تأثير الثقافة الرقمية في المنظومة التربوية، مجلة العربي، العدد (٧١١)، ص١٧٢-١٧٣.

٢- اليونسيف (٢٠١٧م): حال الأطفال لعام (٢٠١٧م): الأطفال في العصر الرقمي، نيويورك.

٣- طارق راشد (٢٠١٨م): الوالدان وضرورة الانتباه لاستخدام الأطفال للمحتوى الرقمي، مجلة العربي، العدد (٧١١)، ص١٧٦.

٤- السابق ص١٧٨.

٥- عبدالمجيد قاسم (٢٠١٨م): الأطفال والإنترنت.. إيجابيات وسلبيات، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد (٦٣٤)، ص٦٦-٦٧.

٦- عبدالرازق الداوي (٢٠١٣م): في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ص١٧٢.



د. عبدالفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي
مصر

رفض الطفل للطعام.. مشكلة لها حل



في بعض الأحيان ترى الأم طفلها يرفض الطعام أو بعض أنواعه، أو أصبحت وجباته غير منتظمة ولكنه لا يكل ولا يمل من اللعب. والمشكلة هنا يجب ألا تثير قلق الأم، وعليها أن تعامل طفلها بهدوء ورقة لتجرده من سلاح الطعام الذي يستعمله لإثارة قلقها أو غضبها، وتحسن معاملته وتغمره برعايتها وحنانها..

وكثيرا ما تكون هذه المعاملة كافية لاطمئنان الطفل على مكانته وبأنه مقبول اجتماعيا، وهي حاجة نفسية، فضلا عن تفريغ شحنة القلق النفسي الذي يشعر به حتى نراه يعود لسابق عهده من الانتظام في تناول طعامه، وعلى الأم أن تفهم أن القلق في هذه الفترة من عمر الطفل عملية طبيعية، حتى لا تدخل مع طفلها في منازعات حول كمية ونوعية أكله فتزداد حدة القلق لديه، كما أنها تظهر له نقطة ضعفها فيحاول أن يستغلها ويضغط بها عليها ويغالي في رفضه للطعام كما ونوعا ليستثير غضبها ثم يصالحها وهو ما يعطيه شعورا بأهميته وثبات مكانته بين أفراد الأسرة ويشبع حاجاته إلى الانتماء والحب والتقدير. وهناك من الأمهات من تقلق على مكانتها لدى أطفالها وهي محتاجة دائما إلى الطمأنينة على حب أولادها لها.. وتطالبهم بإظهار عواطفهم نحوها وأهم علامات ذلك الحب من وجهة نظرها أكلهم لكل ما تضعه من طعام لهم سواء من ناحية النوع أو الكمية.. وهي تضغط على طفلها.. وإذا رفض نوعا أو لم يذقه ثارت متهمة إياه بأنه لا يحبها ولا يقدر مدى التضحيات التي تبذلها من أجله..

مثل هذه الأم ينتهي الأمر بطفلها إلى التمرد على ربط الطعام بمقدار حبه لها، وتشكو بأن طفلها لا يأكل.

وهناك الطفل الذي يأكل أكثر مما ينبغي ووزنه أكثر بكثير مما يجب وهذا الطفل واحد من اثنين إما أنه عضو في أسرة كل أفرادها يحبون الأكل الكثير وذلك لا يمكن علاجه بعيدا عن باقي أفراد الأسرة، أو أن الطفل هو وحده دون باقي أفراد الأسرة لديه شراهة كبيرة للأكل، ومثل هذا الطفل لديه قلق نفسي وفراغ عاطفي يملؤه ويفرغ طاقته في الأكل الكثير وبالتالي يصاب بالسمنة وقد يكون العلاج سهلا مثل إظهار العطف والدفء والحنان له ومحاولة مناقشته بهدوء لبيان خطورة السمنة على صحته وعلى شكله ومظهره بين أصدقائه ومحاولة الوصول إلى سبب القلق فقد يكون القلق من المنزل أو المدرسة أو من صعوبة بعض العلوم أو المدرسين أو الأصدقاء، وقد يكون السبب أعمق من ذلك مما يتطلب تدخل الطبيب النفسي أو غيره من الأطباء حتى يصل إلى التوسط والاعتدال في تناول الطعام عملا بالهدي النبوي الشريف، حيث قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (رواه الترمذي).



هبه محمد أبو الفتوح
كاتبة صحافية مصرية

تنمية قدرات الأطفال الموهوبين

تعتبر الأسرة المؤسسة التربوية الأولى التي ينشأ فيها الطفل الموهوب، ويكتسب منها كل مقومات حياته الاجتماعية، من قيم وعادات وتقاليد، وفي إطارها تنمو مواهبه وتتفجر طاقاته، ويبدأ في التميز والتفوق على أقرانه، ويكون هذا التميز أكثر وضوحا عند التحاقه بالمدرسة من خلال تفوقه على زملائه في بعض القدرات والمهارات.

ومن منطلق الوظائف التي تقوم بها الأسرة من حيث كونها وظائف اجتماعية وثقافية واقتصادية ونفسية، فإنها تلعب الدور الأهم في اكتشاف الموهوبين من أبنائها، والأخذ بأيديهم وتقديم وسائل الرعاية اللازمة لتنمية قدراتهم وإمكاناتهم ومواهبهم، والتعرف على ما يواجههم من عقبات وصعوبات.

ولاشك أن تنمية قدرات الطفل ومواهبه تعتمد في مرحلة الطفولة المبكرة على ما تقدمه الأسرة من حوافز ومنبهات تثري قدراته وتظهر مواهبه. ولقد أثبت كثير من الدراسات الحديثة أن العديد من القدرات والمهارات تهدر مع مرور الوقت إن لم يتم اكتشافها مبكرا ورعايتها الرعاية الواجبة. ويعد إشراك الطفل في العديد من الأنشطة، سواء في داخل البيت أو في دور الحضانة والمدرسة، من الوسائل المهمة التي تساعد الآباء والمربين على سرعة اكتشاف تلك المواهب وتحديد مسارها وتوجيهها التوجيه الصحيح؛ اعتمادا على ميول الطفل ومهاراته التي قد تكون في التفوق العلمي، أو قدرته على الإبداع والابتكار، أو في مجال الرياضة أو المهارات اللغوية.. أو غير ذلك، فقد يكون لدى الأسرة طفل موهوب أو مبدع وهي لا تدري بذلك، أو قد تهدر تلك الطاقات والقدرات، نظرا لقلة المعرفة أو الوعي بأهميتها. ويحتاج الأمر في ذلك الصدد أيضا إلى توعية الآباء والمربين بالأسلوب الصحيح في التنشئة التي تنمي المواهب وترعى القدرات.

سمات الموهوبين

على الأسرة أن تعمل على ملاحظة الطفل بشكل منتظم، وأن تقوم بذلك بطريقة موضوعية وغير متحيزة حتى يمكن اكتشاف مواهبه الحقيقية والتعرف عليها في سن مبكرة، فالموهوبون لهم سمات عقلية وصفات ذات طابع معروف تميزهم عن باقي الأطفال العاديين في أعمارهم، منها:

- أن الأطفال الموهوبين أكثر اعتمادا على الابتكار والإنشاء في أعمالهم العقلية، وأكثر دقة وإنجازا للعمل، وأكثر ميلا للتعامل مع الأمور المعنوية عنه في الأمور المادية.
- إن ميول الطفل الموهوب تكون أكثر تنوعا وأوسع مجالا مع تمتعه بنفاذ البصيرة.
- يلاحظ على الطفل الموهوب سهولة التعلم مع ارتفاع مستوى الأداء وتميز تفكيره بالمنطق وحسن فهم المعاني.
- يتميز الطفل الموهوب بالقدرة على الكلام مع حسن استخدام ما لديه من حصيلة لغوية منذ سن مبكرة، وكثرة أسئلته التي تحمل أكثر من معنى، وإلحاحه في معرفة الإجابة عن جميع أسئلته، ورغبته في الحوار والنقاش.
- يظهر الطفل الموهوب شغفا بالاطلاع على الكتب والمراجع، كما يفضل قضاء أوقات طويلة في متابعة قراءتها.
- يميل الطفل الموهوب إلى ألعاب الفك والتركيب وإلى اختراع وسائل طريقة اللعب بها.
- يتميز الطفل الموهوب بالقدرة على التركيز الشديد في الموضوعات التي بين يديه لفترات أطول بكثير مما يستطيع أقرانه ممن هم في فئته العمرية.
- يتميز الطفل الموهوب بصفات وجدانية من الصفات المرغوبة اجتماعيا، فهو أكثر تعاونا وطاعة وتقبلا للتوجيهات.

رعاية الموهوبين

- يحتاج الطفل الموهوب من أسرته إلى توفير الإمكانات المناسبة، وتهيئة الظروف الملائمة له، كما تجب إتاحة الفرصة للطفل الموهوب للتعرف على الأشياء الجديدة وتشجيعه على القراءة والاطلاع.
- على الأسرة أن تعامل الطفل الموهوب باتزان، فلا يصبح موضوع سخرية لهم، كما يجب ألا تنقص الأسرة من شأن موهبته أو تسيء استغلالها أو تهملها، كما يجب على الأسرة في الوقت ذاته ألا تبالغ في توجيه عبارات المدح والاستحسان الزائد عن الحد مما قد يؤدي إلى الغرور والشعور بالاستعلاء والتكبر، وأن تنظر إلى الطفل الموهوب نظرة شاملة، فلا يتم التركيز على القدرات العقلية أو المواهب الابتكارية والإبداعية المتميزة فقط، كما يجب عليها أن تعرف أن على الطفل الموهوب أن يمارس أساليب الحياة العادية الطبيعية مثل غيره ممن هم في فئته العمرية.

وبما أن الأسرة هي الخلية الأولى التي تحتضن الطفل، فهي تلعب دورا أساسيا في تنمية مهارات الطفل وقدراته بما تغرسه فيه من قيم تعمل على تنمية مهاراته منذ الصغر.

إن تنمية مواهب الطفل ومهاراته تقع بالأساس على الأسرة، فهي بالدرجة الأولى التي تقع عليها مسؤولية متابعة الطفل وتشجيعه على الاستمرار في ممارسة هواياته. وإذا كانت المواهب هي هبة من الله سبحانه وتعالى يهبها لمن يشاء من خلقه، فهذه المواهب تحتاج إلى من يرعاها وينميها، حتى تثمر للإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه الخير والمنافع العظيمة، وهو الدور الأساسي المنوط بالأسرة منذ اكتشاف الموهبة عند أحد أبنائها.



سهير أبوبكر الشاذلي
كاتبة صحافية - مصر



ابن الجزار القيرواني صاحب الحس الإسلامي والإنساني العميق.. نموذجا

طب الأطفال والولادة عند العرب

من المعلوم أن الإسلام بتعاليمه الشمولية اعتنى عناية فائقة برعاية الأمومة والطفولة عناية لا تدانيها النظم الحديثة على ما قدمته هذه النظم من إنجازات باهرة في العصر الحديث.

لم يكن غريبا على التراث الطبي العربي والإسلامي هذا الاهتمام برعاية الأمومة والطفولة.

وعلم الطب من أوسع مجالات العلوم الحياتية التي كان لعلماء العرب والمسلمين الفضل الكبير في تحويل مساره من سيطرة الدجل والخرافة إلى علم له قواعد تابعت المسير على نهجها أجيال الأطباء في العالم إلى يومنا هذا.

ففي مجال طب الطفولة والأمومة شارك جميع عظماء علماء الأمة العربية والإسلامية بدأ بأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٤٠-٣١١هـ) (٨٥٤-٩٢٣م) صاحب العقلية الابتكارية من الدرجة الأولى الذي كان دائم البحث عن حلول وأساليب علاجية جديدة، فهو أول

طبيب يفصل طب الأطفال عن الطب العام عندما ألف رسالة كاملة عن أمراض الأطفال والعناية بهم، عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م (ترجمت هذه الرسالة إلى العديد من اللغات).

كما أفرد الرازي فصولا إضافية لرعاية الطفولة والأمومة في كتابه الموسوعي «الحاوي».

وجعل الرازي المقالة الرابعة من كتابه «الطب المنصوري»، في تدبير الأطفال وكيفية العناية بالوليد.

وألف الرازي كتابه المشهور «كتاب في الجدري والحصبة». وكان هذا الكتاب كما تقول زيجريد هونكه في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: «آية من نوعه وقد نشر في أوروبا أربعين مرة ما بين عام (١٤٩٨-١٩٦٦م). وفي هذا الكتاب الذي لم يتجاوز ٦٨ صفحة من القطع الصغير فرق الرازي تفريقا تاما بين الحصبة والجدري. وكان بذلك أول من استطاع التفريق بينهما».

العناية بالأمومة والطفولة

وبعد الرازي جاء من علماء الطب والصيدلة العرب والمسلمين الذين ذاع صيتهم، وانتشرت مؤلفاتهم في مجال الطفولة والأمومة منهم:

- عريب بن سعد الكاتب القرطبي العالم الطبيب الذي عاش في عهد المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ) صاحب كتاب «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين». ويعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التي جمعت رعاية الأمومة في فترة الحمل على الولادة ثم مراحل الطفولة المختلفة.

- علي بن العباس الأهوازي (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٤م)، من أشهر الأطباء والصيادلة المسلمين في القرن الرابع الهجري. ومن أشهر كتبه كتاب «كامل الصناعة الطبية الضرورية»، والمشهور باسم «الكتاب الملكي»، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات المهمة في العلوم الطبية والدوائية، حيث قسم ابن العباس الكتاب إلى جزأين يشتمل الأول على عشر مقالات؛ الأولى في الأمزجة والطبائع والأخلاط، والثانية والثالثة في التشريح، وكانتا المرجع الرئيسي لعلم التشريح في ساليرنو بإيطاليا وفي غيرها من مدن أوروبا في المدة ما بين عامي (١٠٧٠-١١٧٠م)، أما الجزء الثاني فمقصور على المداواة وطرق العلاج والصيدلة، حيث تختص إحدى مقالاته بالأدوية المفردة وامتحانها ومنافعها، فيذكر الطرق التي يستدل بها على قوة الدواء من التجربة على الأبدان والأمراض، وامتحان الدواء من سرعة استحالتها وعسرها، ومن سرعة وعسر جموده، ومن طعمه ورائحته ولونه، ومعرفة قوى الأدوية المسكنة للأوجاع، والمفتتة للحصى، والمدرة للبول، والمدرة للطمث، والمولدة للبن، كما تحدث عن الأدوية النباتية وأنواعها، من حيث الحشائش أو البذور أو الحبوب، ثم الأوراق والأنوار (الأزهار)، ثم الثمار والأدهان.

وخصص علي بن العباس في كتابه ثلاثة أبواب لطب الأطفال وهي:

الباب العشرون: ويبحث في تدبير أبدان الأطفال، والباب الحادي والعشرون: ويبحث في تدبير الظئر (المرضعة) والثاني والعشرون: ويبحث في تدبير الصبيان الذين جاوزوا الرضاع وكيفية العناية بهم حتى سن الثانية عشرة.

وقد أثنى المؤرخ فيليب حتى على كتاب الملكي بقوله: «إنه الكتاب الوحيد الذي نقله الصليبيون إلى اللغة اللاتينية وقد ظل كتابا مدرسيا في الشرق والغرب إلى أن حل محله الكتاب الذي وضعه ابن سينا، وهذا أشبه بموسوعة طبية».

- أبو القاسم خلف بن عباس الأندلسي الزهراوي (٣٢٥-٤٠٤هـ) (٩٣٦-١٠١٣م)، له شهرة عالمية واسعة في مجال الجراحة في القرون الوسطى، فهو أول من استعمل ربط الشرايين لمنع النزف، وصاحب الكتاب المرجع في علم الجراحة لعدة قرون: «التصريف لمن عجز عن التأليف». وفيه اهتم الزهراوي بجراحة الأطفال وأفرد لها فصولا خاصة من كتابه العظيم.

- ابن سينا أبو علي الحسين ابن عبدالله (٣٧٠-٤٢٨هـ) (٩٨٠-١٠٣٧م)، أشهر أطباء المسلمين، وقد خصص عدة فصول من كتابه الموسوعي في الطب: «القانون»، لرعاية الأطفال وجعل في الجزء الأول من القانون أربعة فصول لرعاية الطفولة وهي:

- تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض.
- تدبير الإرضاع والنقل.
- الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها.
- تدبير الأطفال إذا انتقلوا إلى سن الصبا.

وفي الجزء الثالث من كتاب القانون وضع ابن سينا فصلا في الحصبة والجدري وآخر في الحميات وفصلا في تشنج الأطفال.

ولابن سينا أرجوزة في الطب عدد أبياتها ١٣٢٦بيتا خصص منها أربعين بيتا للأم والطفل «هي الأبيات من ٩١٣ إلى ٩٥٢».

ولابن سينا رسالة في سياسة الرجل ولده.

- ابن الجزار القيرواني (٢٨٥-٣٦٩هـ)، أشهر طبيب أطفال في التراث العربي والإسلامي، وابن الجزار هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني، ولد في القيروان، قال عنه الذهبي في كتابه: سير أعلام النبلاء: «ابن الجزار: الفيلسوف الباهر، شيخ الطب. اتصل بالدولة العبيدية، وكثرت أمواله وحشمته».

تتلمذ ابن الجزار على أبيه وعمه وكانا طبيبين حاذقين، كما تتلمذ على يد طبيب شهير في عصره هو إسحاق بن سليمان الذي ترك مصر وذهب إلى القيروان التي علت فيها مكانته الطبية والعلمية بين الخاصة والعامة، فتخرج على يديه ابن الجزار القيرواني الذي يعد من أعظم أطباء الحضارة الإسلامية في شطرها الغربي.

مكانة ابن الجزار العلمية والخلقية

مما يدلل على مكانة ابن الجزار العلمية، وأخلاقه السامقة المترفعة عن كل تبذل، وجهده الدؤوب في تحقيق الإنجازات الطبية والعلمية المتواصلة، ما أخبر به ابن أبي أصيبعة في كتابه: عيون الأنباء، إذ قال: «كان ابن الجزار من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم، حسن الفهم لها، أخذ لنفسه مأخذا عجيبا في سمته وهديه وتعدده، ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط، ولا أخذ إلى لذة، وكان يشهد الجنائز والعرائس، ولا يأكل فيها، ولا يركب قط إلى أحد من رجال إفريقية، ولا إلى سلطانهم إلا إلى أبي طالب بن معد (عم الأمير العبيدي)، وكان له صديقا قديما، فكان يركب إليه يوم جمعة لا غير، وكان ينهض في كل عام إلى رابطة على البحر المستير، وهو موضع مرابطة مشهور البركة، مذكور في الأخبار، على ساحل البحر الرومي، فيكون هنالك طول أيام القيظ (الصيف)، ثم ينصرف إلى إفريقية، وكان قد وضع على باب داره سقيفة أقعد فيها غلاما له يسمى برشيق، أعد بين يديه جميع المعجونات والأشربة والأدوية، فإذا رأى المريض بالغداة أمر بالجواز إلى الغلام، وأخذ الأدوية منه، نزاهة بنفسه أن يأخذ من أحد شيئا».

الفصل بين الطب والصيدلة

وهذا الأسلوب الطبي من ابن الجزار يدل على اعتماده على المنهج العلمي المتميز في الفصل بين الطب والصيدلة أثناء دراسته لهما وأثناء علاجه للمرضى، الأمر الذي جعله يحتل مرتبة علمية كبيرة في المغرب الإسلامي كتلك المكانة التي احتلها الرازي في المشرق الإسلامي، بل إن ابن الجزار قد فاق الرازي في تفريقه بين مكان العيادة للمرضى ومكان صرف الأدوية؛ فكانت له عيادته الخاصة التي فتحها في منزله ليفحص بها المرضى، أما صيدليته فقد أقامها على باب داره، وهذا الفصل من ابن الجزار بين الطب والصيدلة لم يكن ليقتصر على النواحي المهنية المتطلبة لذلك فحسب، بل يمكن أن نضيف حسن أخلاقه، وترفعه عن الطلب وخاصة من الفقراء والنساء، لذلك لم يكن ابن الجزار يعطي النساء الأدوية بصورة مباشرة حتى لا يجبرهن على دفع قيمتها، ومن ثم كان يقعد غلاما له ليعطي المرضى ما يحتاجونه من أدوية وغيرها.

الآثار العلمية لابن الجزار

عاش ابن الجزار في فترة عصيبة كانت فيها سفن البنادقة والبيزنطيين تُغير كل صيف على شواطئ القيروان مما جعله في بعض الأحيان يترك علمه لغرض الجهاد ضدهم فقد كان بجانب علمه مجاهدا في سبيل الله، ورغم ذلك فإنه ترك لنا تراثا علميا طبيا عربيا كبيرا ومن ذلك:

- كتاب: «زاد المسافر وقوت الحاضر». وهو مختصر في الطب أثنى عليه قسطنطين الإفريقي (قسطنطين الإفريقي طبيب مستعرب ولد بالقيروان. وهرب إلى إيطاليا ومات في مدينة كاسينو وهو أول من أدخل الطب العربي إلى أوربا، نقل إلى اللاتينية بعض المؤلفات الطبية العربية)، وإشادته بكتاب ابن الجزار حدث فريد ولا شك، فقد دأب قسطنطين هذا على ترجمة كتب الطب العربية إلى اللاتينية ونسبتها إلى نفسه) وترجمه إلى اللاتينية وظل يدرس في جامعتي باريس وكولون حتى القرن السادس عشر الميلادي.
- كتاب: «طب الفقراء».
- كتاب: «الأسباب المولدة للوباء في مصر وعلاج ذلك».
- كتاب: «مجريات في الطب».
- كتاب: «الجذام أسبابه وعلاجه».
- كتاب: «زاد المسافر في علاج الأمراض الباطنة».
- كتاب: «سياسة الصبيان وتدبيرهم».

وقد بقي أمدا طويلا من المراجع الأصيلة والأساسية في علاج أمراض الأطفال، وقد نهج ابن الجزار في هذا الكتاب منهج الاختصاص في مجال طب الأطفال، وهذا الكتاب -كما ذكر عدد من مؤرخي العلوم الطبية-



يحتوي على معارف علمية تتفق كثيرا مع طب الأطفال المعاصر، والكتاب مؤلف من اثنين وعشرين بابا، يبحث في تدبير شؤون المولودين في حالة الصحة والمرض، ويضم معلومات في:

- صفات المرضعة وطعامها ولبنها.
- وفيما يعيب الطفل بحسب سنه من الأمراض، كالإسهال، ورطوبة الأذنين، والتهاب السرة ونتوئها، ونحو ذلك.
- معالجة السعفة في رأس الطفل، وورم اليافوخ، وانتفاخ البطن.
- أبواب أخرى في داء الصرع عند الصبيان.
- الوجع عند خروج الأسنان.
- قروح الفم عند الأطفال.
- أسباب القيء.
- في الحيات والدود المتولدة في الأمعاء، وفي الحصى المتولدة في المثانة، وغير ذلك.

وأنهى ابن الجزار كتابه بالتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

وكتاب «سياسة الصبيان وتدبيرهم» من الكتب المهمة في رعاية الطفولة، قال ابن الجزار في مقدمة: «إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر جليل القدر ولم أر لأحد من المتقدمين من ذلك كتابا كاملا شافيا بل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى».

مؤلفات ابن الجزار الطبية وإن كانت مجهودات علمية بحتة إلا أن الجانب الإنساني فيها يبدو واضحا وعميقا، فالتفكير في تصنيف كتاب يكون دليلا للمسافر لا يخلو من مسحة أخلاقية قدرت حاجة المسافر الملحة إذا مرض لدليل علاجي سريع إذا

الجانب الإنساني في مصنفات ابن الجزار

أصابه، أو أصاب أحدا من المسافرين مرض أو جرح، أو ما يستدعي علاجا ريثما يصلون إلى أقرب منزل أو يعثرون على طبيب أو مستشفى.

كما اهتم ابن الجزار بأن يصنف للفقراء والمساكين دليلا علاجيا، يستطيعون من خلاله بما يملكون من أموال قليلة أن يهتدوا إلى الدواء المناسب لكل حالة، بما يحفظ صحتهم دون أن يكلفهم ما لا يملكون.

إنها نظرة نحتاج في عصرنا هذا أن يسلكها الأطباء، ومؤلفو الموسوعات الطبية، وكذلك مؤسسات وشركات إنتاج الأدوية.

كما ألف ابن الجزار في صحة المسنين والكهول، وكل ذلك على ما كان يتمتع به ابن الجزار القيرواني من حس إسلامي وإنساني عميق.



محمد جباري
باحث في التاريخ
المغرب

وسائل الإعلام .. الوجه والوجه الآخر

لا أحد يجادل اليوم في حقيقة التأثير الواسع والعميق والممتد، الذي باتت تمارسه وسائل الإعلام الحديثة، في حياة الأفراد والمجتمعات على حد سواء، حيث أصبح الفرد، في ظل الطفرة التكنولوجية التي اكتسحت العالم، خاضعا لضغوطات وإغراءات الآلة الإعلامية. لقد اخترقت خصوصية الفرد، وصارت جزءا لا يتجزأ من اهتماماته وانشغالاته اليومية، لا يستطيع العيش - ولو ليوم واحد فقط - من دونها.

فلم تعد الدول ومراكز القرار وحدها الفاعل في السيرورة التاريخية، بل قد لا نغالي إن قلنا إن وسائل الإعلام هي التي تصنع الحدث اليوم، وهي التي تتحكم في تضخيمه أو تهوينه، بصرف النظر عن مكانة هذا الحدث وأهميته، كما أنها هي التي ترسم اتجاهاته وتحدد العمر المفترض للحدث على طاولة التداول الإعلامي وتباحث المجتمع الدولي.

منذ أن وجد الإنسان على الأرض وهو يجتهد لتطوير حياته والرقي بها للأحسن والأفضل على كل المستويات. فمن أجل تأمين غذائه، مر الإنسان من مرحلة القطف والصيد، إلى مرحلة الزراعة بما تتطلبه من تشمير وعناء في الحرث والزرع والحصاد. وكان المسافر في طلب العلم يقطع المسافات ويكابد المشاق ويقضي السنين خارج وطنه، في سبيل نيل درجات من العلم والمعرفة. كما كانت معرفة الإنسان متواضعة أو مجهولة عن باقي العوالم الأخرى. أما فيما يتعلق بطرق مواصلاته، فالمعلوم أنها كانت بسيطة وتقليدية، تتراوح بين الخيل والجمال والحمام الزاجل ثم السفن، وبالتالي فقد كان زمن التواصل بطيئا ومكلفا، يستوجب من المتواصل أن يكون ذا صبر ومال. باختصار، لم تكن حياة الإنسان سهلة كما نتصورها اليوم، زمن «الفيسبوك». هكذا إذا انتقلنا من زمن الندرة الذي ذكرنا بعضا من ملامحه، إلى زمن الحاضر أو زمن الوفرة كما يطلق عليه البعض، ألفينا بونا شاسعا بين الزمنين. فبفضل وسائل الإعلام صار العالم المجهول سابقا، قرية صغيرة اليوم، حيث تقلصت المسافات، وأصبح بمتاح الفرد أينما وجد الاطلاع على كم هائل من المعلومات والمعطيات وعلى آخر المستجدات المحلية والدولية، بما يعنيه ذلك من اختصار للوقت والجهد، إذ بمقدور كل فرد، مهما كانت مكانته الاجتماعية، التعرف على جديد المتغيرات التي تطفو على المسرح العالمي من حين إلى آخر، وهنا أمكننا القول إن وسائل الإعلام تساهم بشكل كبير في تعميق مبدأ المساواة في الوصول إلى المعلومة؛ محليا وعالميا كذلك. فلم تعد المعلومة حكرا على نخبة أو طبقة دون أخرى، بل أصبحت المعلومة متوافرة أمام الجميع، من دون تمييز أو تصنيف. من جهة أخرى، تعتبر وسائل الإعلام الفضاء الأرحب لممارسة حرية الرأي والتعبير حيال ما يؤرق الرأي العام من مشكلات وقضايا.

المحاذير

لا تشفع المنافع والمناقب المذكورة أعلاه، من أن لوسائل الإعلام جوانب أخرى سلبية يجب أن نحذرها. بداية ننطلق مما يسمى «وسائل التواصل الاجتماعي»، التي لا ننكر أثرها في خلق التواصل والتفاعل بين الأفراد حول مواضيع وأفكار ومشكلات مختلفة، مما يسفر عن تبادل وجهات النظر وتقارب الآراء وحصول الافادة والاستفادة، بيد أن هذه الأخيرة، تحولت من منصة للتواصل الاجتماعي كما يقال، إلى عامل لتمزيق الوحدة العائلية والعلاقات الأسرية، فلم تعد هناك تلك التجمعات العائلية التي تقوي قيم التضامن والارتباط والتآزر، بل أصبح كل فرد منهمكا في شاشته الصغيرة ومع أصدقائه المفترضين، فكان أن أطلق عليها البعض اسم «وسائل الانفصال الاجتماعي». لقد باتت وسائل الإعلام تمارس علينا استلابا وتبعية فكرية لثقافات أخرى، كما تعمل على تمرير وترسيخ قيم متعارضة مع ثقافتنا وتاريخنا، وذلك في اتجاه شحن المتلقي بمجموعة من الأفكار الأيديولوجية، سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة. فهي تسعى إلى القضاء على الخصوصيات الثقافية المحلية، وتقويض الروابط الاجتماعية داخل المجتمع، من خلال ترسيخ قيم الفردانية وتنميط الثقافات. هكذا غدت الثقافات في ظل «التغول الإعلامي» هجينة؛ نتيجة تسرب قيم وتصورات غريبة، مما ولد في الفرد فصاما وغربة وتيها بين ثقافة مجتمعه، و«ثقافة عالمه المفترض». وفي سياق متصل، نلاحظ في كثير من الأحيان أن وسائل الإعلام تبث مغالطات وشائعات حيال بعض الشخصيات والمواضيع أو ما نجمله بالشأن العام لأهداف ونوايا متباينة، هذا فضلا عن المساومات والابتزازات التي تطول بعض الأفراد، من جراء استغلال معلوماتهم الشخصية كورقة للضغط والتهديد. من هنا يقع الشخص في حيرة من أمره، فها هو لا يمكنه التنازل عن هذه الوسائل التي باتت لصيقة بمعيشته اليومية، بما تلعبه من وظائف في حياته، في حين ثمة مزالق وجوانب سوداء عديدة كذلك تحملها هذه الأخيرة في طياتها، هنا يطرح التساؤل حيال كيفية التوفيق بين هذين الوجهين المتناقضين لوسائل الإعلام؟

خلاصة وتوصية

هكذا إذن نتوصل إلى الخلاصة التالية: أن وسائل الإعلام سيف ذو حدين يجب استثمارها بطريقة ذكية، نأخذ منها ما نحتاج إليه ويفيدنا في حياتنا، ونحترز من المخاطر والفخاخ التي تنصبها لكل مستعمل أو متابع لها بسذاجة، يحسبها وسيلة بريئة من نوازع الكيد والمكر. قد تبدو للبعض معادلة يصعب تفعيلها، لكننا نقول بإمكانيتها إذا توافر الحس النقدي والإرادة والبراغماتية بمعناها الإيجابي.



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث
سورية







سلسلة الأعلام المتشابهة (٣٣)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.





المتفق والمفترق في اسم «الرملي»

١- شهاب الدين الرملي الشافعي (ت:٨٤٤هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن حسين بن حسن الرملي، الشهير بابن أرسلان، فقيه شافعي.

ولد بالرملة بفلسطين سنة ٧٧٣هـ، ونشأ فيها، وانتقل إلى القدس، وكان زاهدا متهجدا.

من مصنفاته: «صفوة الزبد» منظومة في الفقه، و«شرح سنن أبي داود»، و«منظومة في علم القراءات»، و«شرح صحيح البخاري» وصل فيه إلى باب الحج، و«طبقات الشافعية»، و«تصحيح الحاوي» فقه، و«إعراب الألفية».. وغير ذلك.

توفي في القدس[١].

٢- شهاب الدين الرملي الشافعي (ت:٩٧٣هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي، فقيه شافعي.

ولد في قرية «الرملة» بمحافظة المنوفية في مصر، أخذ الفقه عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وأخذ عنه نور الدين الزيادي ونور الدين الحلبي وغيرهما.

من مصنفاته: «فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد» في المعفوات، و«شرح منظومة البيضاوي في النكاح»، و«الفتاوى» جمعه ابنه شمس الدين محمد، و«رسالة في شروط الإمامة»، و«رسالة في شروط الوضوء».

توفي بالقاهرة[٢].

٣- شمس الدين الرملي الشافعي (ت:١٠٠٤هـ):

هو شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة، الرملي، فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى. يقال له: الشافعي الصغير.

ولد سنة ٩١٩هـ بالقاهرة، وولي إفتاء الشافعية، وجمع فتاوى أبيه.

وصنف شروحا وحواشي كثيرة، منها: «عمدة الرابح شرح هدية الناصح» في فقه الشافعية، و«غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان»، و«غاية المرام في شرح شروط الإمامة» لوالده، و«نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج».

توفي في القاهرة[٣].

٤- مصطفى الرملي الحنفي (ت:١٠٢٥هـ):

هو مصطفى بن خير الدين بن أحمد الأيوبي العليمي الفارقي الرملي الحنفي.

تولى القضاء بمكة، ومن مصنفاته: «تنوير الأذهان والضمائر في شرح الأشباه والنظائر»، و«العقد النظيم في ترتيب الأشباه والنظائر» وكلاهما في فروع الفقه الحنفي.

توفي في مكة[٤].

٥- خير الدين الرملي الحنفي (ت:١٠٨١هـ):

هو خير الدين بن أحمد بن علي الأيوبي العليمي الفاروقي الرملي الحنفي، مفسر، محدث، فقيه، لغوي، نحوي، صرفي، بياني، عروضي.

ولد في أوائل رمضان سنة ٩٩٣هـ برملة فلسطين، رحل إلى مصر، ودرس في الأزهر عدة سنوات، وعاد إلى بلده.

من تصانيفه: «الفتاوى الخيرية لنفع البرية»، و«مظهر الحقائق الخفية من البحر الرائق» في فروع الفقه الحنفي، و«ديوان شعر»، و«مطلب الأدب وغاية الأرب»، و«حاشية على الأشباه والنظائر».

وتوفي في شهر رمضان برملة فلسطين[٥].

٦- نجم الدين الرملي الحنفي (ت:١١١٣هـ):

هو نجم الدين محمد بن خير الدين ابن أحمد الأيوبي العليمي الفاروقي الحنفي.

ولد سنة ١٠٦٦هـ بالرملة في فلسطين، ومن تصانيفه: «نزهة النواظر على الأشباه والنظائر» في الفقه، و«اللآلي الدرية في الفوائد الخيرية»، و«نتائج الأفكار على منح الغفار» في فروع الفقه.

توفي في فلسطين[٦].

الهوامش

١- ينظر الضوء اللامع (٢٨٢/١)، والأعلام للزركلي (١١٧/١)، ومعجم المؤلفين (٢٠٤/١).

٢- ينظر الكواكب السائرة (١٤٤/٢)، والأعلام للزركلي (١٢٠/١)، ومعجم المؤلفين (١٤٧/١) (٢٢٤/١).

٣- ينظر خلاصة الأثر (٣٤٢/٣)، والأعلام للزركلي (٧/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٥٥/٨).

٤- ينظر هدية العارفين (٤٣٩/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٥٠/١٢).

٥- ينظر خلاصة الأثر (١٣٤/٢)، والأعلام للزركلي (٣٢٧/٢)، ومعجم المؤلفين (١٣٢/٤).

٦- ينظر هدية العارفين (٤٨٩/٢)، والأعلام للزركلي (١١٩/٦)، ومعجم المؤلفين (٧٦/١٣).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

حول مائدة المعرفة


مجلة المكتبات والمعلومات العربية

دار المريخ

السنة الأولى

العدد الأول يناير ١٩٨١ (ربيع أول ١٤٠١ هـ)

- مولد مجلة
- علم المعلومات في رحلة البحث عن هوية
- تنظيم وعرض المصطلحات في المكانز
- دور المعلومات في المؤسسات الصحفية
- معايير إنشاء مراكز المعلومات والمكتبات
- المكتبات والإعداد المهني لأمناء المكتبات في السعودية (باللغة الإنجليزية)
- نافذة العرض

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة «المكتبات والمعلومات العربية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بمجلة «المكتبات والمعلومات العربية»

هي مجلة فصلية تصدر بمدينة «منهايم» بألمانيا الغربية سابقا، عن دار المريخ للنشر، وهي تعنى بدراسة دورة حياة المعلومات بدءا من مصدرها (المؤلف)، مرورا بالقناة المستخدمة في نقلها (الوعاء)، وانتهاء بمستقبلها (القارئ)، فضلا عن الأجهزة والأدوات الم ستخدمة في تخزينها ومعالجتها واسترجاعها. وقد صدر أول عدد منها في ربيع الأول ١٤٠١هـ، الموافق ١ يناير ١٩٨١م.

التعريف بعلم المكتبات والمعلومات

١- علم المكتبات:

هو علم يندرج تحت العلوم الاجتماعية، حيث يرتبط بالمعرفة الإنسانية ويعمل على حفظها، وضبطها، وبثها وتيسير الحصول عليها. اعتمد على قواعد مقننة دقيقة، وأصبح علما يرتكز على أسس ونظريات راسخة، تهدف إلى تيسير الحصول على المعرفة الإنسانية ونشرها بين الناس.

نشأة علم المكتبات

ظهر علم المكتبات في القرن العشرين، وتطور ونما نموا سريعا؛ حيث أصبح علما يرتبط بجميع أنواع المعارف الإنسانية، حيث إنه ضبطها وحفظها ويسر الحصول عليها بأقل التكاليف والجهود، وقد اعتمد هذا العلم في بداية ظهوره على تجارب العلوم الأخرى من حيث ممارسة الأساليب العلمية، خصوصا في مجال الخدمات، والإدارة، والتنظيم، فعندما كانت مهنة المكتبات تعتمد وحدة التطبيق، أصبح علم المكتبات يعتمد على قواعد مقننة ودقيقة ويرتكز على أسس ونظريات راسخة هدفها الأساسي تيسير الحصول على المعرفة الإنسانية ونشرها بين الناس بعد تجميعها وضبطها وتوثيقها ثم حفظها واسترجاعها.

٢- علم المعلومات:

العلم الذي يهدف إلى تتبع مصادر المعلومات أيا كان نوعها وتجميعها وتنظيمها وضبطها وتيسير الإفادة منها، سواء أكانت هذه الاستفادة باستخدام الطرق اليدوية، أو الطرق التكنولوجية التي تيسر عمليات اختزان واسترجاع المعلومات آليا. ويعرف علم المعلومات أيضا بأنه فرع من الفروع العلمية الذي يبحث عن خصائص المعلومات من خلال استخدام مجموعة من وسائل البحث، والتي تعالج كل معلومة يتم الحصول عليها، ثم نقلها من أجل تخزينها، ويعتمد علم المعلومات على استخدام الحاسوب بصفته من إحدى الوسائل الحديثة التي تستخدم في التعامل مع المعلومات بمختلف أنواعها.

نشأة علم المعلومات

يعود الاستخدام الأول لعلم المعلومات إلى القرن ١٨م، وتحديدا في عام ١٧٣١م، عندما قام العالم فرانكلين بوضع تصنيف للمعلومات الموجودة في المكتبة الخاصة بشركة فيلادلفيا، وساهم ذلك في الاعتماد على علم المعلومات في ترتيب الكتب، والمراجع الموجودة في المكتبة. وفي القرن ١٩م أصبح لعلم المعلومات دور مهم في المجتمعات الأوروبية، حيث استعان التجار به من أجل تصميم بطاقة تجارية أطلق عليها مسمى «بطاقة المعلومات»، والتي تحتوي على معلومات عن السلع التي يبيعونها، وانتشرت هذه الفكرة في فرنسا بين تجار القماش، والذين احتاجوا إلى تصنيف القماش بناء على مجموعة من المعلومات التي تشمل النوع، واللون، والتصميم، وغيرها من المعلومات الأخرى. وقد شهد كل من أواخر القرن ٢٠م و٢١م تطورا في مجال علم المعلومات، والذي تزامن مع استخدام أجهزة الحاسوب في عملية تسجيل ونقل وحفظ المعلومات، مما أدى إلى تطور هذا العلم تطورا هائلا، واستمر في التطور حتى وصل إلى مرحلة شبكة الإنترنت، والتي قدمت الكثير من الخدمات الإضافية، والمساندة لعلم المعلومات.

بعض عناوين مواضيع العدد الثاني من هذه المجلة

- الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات، للدكتور: محمد فتحي عبدالهادي.
- استخدام الحاسبات الإلكترونية في مراكز المعلومات الصحفية، لمحمد إبراهيم سليمان.
- المعلومات الإدارية بين الأرشيف والمحفوظات، لجمال مرسي الخولي.

وهكذا كان محتوى المجلة في كامل أعدادها لا يخرج عن عنوانها وهو علم المكتبات والمعلومات.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة من هذه المجلة القيمة، حيث جمعت أعدادها في ثمانية مجلدات، وكان آخر عدد منها في المجلد الثامن، العدد الرابع من السنة الثامنة، في صفر، سنة ١٤٠٩هـ، الموافق لأكتوبر، سنة ١٩٨٨م، وهي في متناول قرائها الكرام وللمهتمين بهذا النوع من العلوم.

المصادر

- مجلة المكتبات والمعلومات العربية.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
- بحث «مفهوم علم المكتبات» لصاحبه: هايل الجازي. منشور بتاريخ: ٢٥ أغسطس ٢٠١٦م، على موقع: https://mawdoo٣.com
- بحث «مفهوم علم المعلومات» لصاحبه: مجد خضر. منشور بتاريخ: ٢٣ أغسطس ٢٠١٦م، على موقع: https://mawdoo٣.com



هشام الصباغ
باحث لغوي
مصر

الشيخ الأديب القانوني

العلامة مصطفى الزرقا

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ فقيه حنفي، أصولي، نحوي وشاعر.. نشأ في أحضان أب وجد كانا فقيهين ذائعي الصيت في بلاد الشام، وعائلة تمرست العلم واستهواها.

■ تميز بفكر نيّر، متفتح، ناقد، بعيد عن التقليد أو التعصب؛ ورغم كونه حنفي المذهب بحكم دراسته له على والده وجده، فإنه كثيرا ما كان يخرج عليه إذا رأى غيره أرجح من ناحية الدليل، لمراعاة النص، أو لتحقيق مقاصد الشرع.. إنه الشيخ مصطفى أحمد الزرقا.

■ ولد الشيخ بمدينة حلب السورية عام ١٣٢٢هـ الموافق ١٩٠٤م في بيت علم وصلاح؛ فوالده هو الفقيه الشيخ أحمد الزرقا مؤلّف «شرح القواعد الفقهية»، وجدّه العلامة الكبير الشيخ محمد الزرقا، وكلاهما من كبار العلماء الأحناف في الشام.

■ منذ نعومة أظفاره دفعه والده لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة والحساب وعلوم اللغة العربية؛ نحوها وصرفها، ثم تلقى تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الفرنسية، رغبة من والده في تزويده باللغات الأجنبية والثقافات الحديثة.

الخسروية

■ في شبابه أراد العمل في التجارة، لكن جده أصرّ على إلحاقه بالمدرسة «الخسروية»؛ ليأخذ عن علماء حلب وفقهائها مختلف العلوم الشرعية والعربية والكونية؛ فدرس فيها الفقه الحنفي (على يد والده)، وأخذ علم الحديث والسيرة من العلامة المؤرخ الأديب الشيخ محمد راغب الطباخ، ومن الشيخ العلامة محمد الحنيفي أخذ علم التوحيد والتفسير والبلاغة، وقرأ على العلامة الفقيه الأصولي النحوي الشيخ أحمد المكتبي شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ودرس النحو والفقه الحنفي على يد العلامة الفقيه النحوي الشيخ أحمد الكردي.. كما أخذ عن العلامة الشيخ إبراهيم السلقيني، والعلامة الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشمّاع، وعلامة عصره الشيخ محمد الناشد الملقب بـ«الزمخشري الصغير».

■ كان لأربعة من علماء «الخسروية» الكبار تأثير بالغ في شخصية الزرقا، وحياته الفكرية والاجتماعية، وتكوينه العلمي والأدبي والثقافي، هم: جده ووالده وشيخاه الطباخ والحنيفي؛ أما جده، فقد رسم له منهج حياته العلمية من خلال إلحاقه بـ«الخسروية»؛ وأما والده، فكان يمضي معه معظم الليل يدارسه كتب الفقه والأدب؛ وأما شيخاه الطباخ والحنيفي، فقد علماه حرية التفكير والبحث وربط العلم بالحياة.. يقول الزرقا عنهما: «فلهذين الأستاذين -بعد والدي- أكبر الأثر في تثبت خطاي في الطريق العلمي الصحيح».

شرعي وقانوني وأديب

■ لم ترو «الخسروية» ظمأه العلمي، فقد كان متطلعا إلى المزيد؛ فحصل

على شهادة الثانوية في شعبتيها (العلوم والآداب - الفلسفة) بتفوق منقطع النظير، والتحق بعدها بكليتي الحقوق والآداب معا في الجامعة السورية، وتخرج فيهما في عام واحد (فكان بذلك أول من جمع في سورية بين الثقافات الثلاث الشرعية والقانونية والأدبية).

■ بعدها توجه إلى القاهرة وحصل فيها على «دبلوم الشريعة الإسلامية» من كلية الحقوق بجامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة).

حياته العملية

■ بعد تخرجه من «الخسروية» عمل فيها مدرسا لمادتي الفقه الحنفي والأدب العربي، ثم تولى دروس والده في الجامع الأموي وجامع الخير وفي المدرسة «الشعبانية»، كما مارس المحاماة لعشر سنوات تقريبا.

■ عين مدرسا في كلية الحقوق في جامعة دمشق، ثم رئيسا لقسم الحقوق المدنية والشرعية، كما حاضر في كليتي الشريعة والآداب في الجامعة نفسها.

■ في عام ١٩٦٦م، دعته وزارة الأوقاف الكويتية ليكون خبيرا للموسوعة الفقهية فيها. وفي عام ١٩٧١م، دعته الجامعة الأردنية للتدريس في كلية الشريعة. وفي عام ١٩٨١م، اختارته الدائرة القانونية في الأمانة العامة بجامعة الدول العربية عضوا في لجنة الخبراء. كما شارك في عدد من المجامع الفقهية واللجان القانونية الرسمية وفي تأسيس وتطوير عدد من الجامعات العربية في دمشق والقاهرة والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

■ في عام ١٩٥٦م، تولى وزارة العدل السورية، ثم وزارة الأوقاف عام ١٩٦٢م، كما انتخب نائبا عن مدينة حلب في المجلس النيابي السوري لدورتين تشريعيتين عام: ١٩٥٤م و١٩٦١م، وظل مستقلا، ولم ينتم إلى أي جماعة أو حزب.

شيوخه وتلامذته

■ يأتي في مقدمة أساتذته وشيوخه والده وجده اللذان درس عليهما الفقه الحنفي وقواعد الأحكام العدلية، ثم العلامة الفقيه النحوي الشيخ أحمد المكتبي الشافعي، والشيخ محمد الحنيفي، والعلامة المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ إبراهيم السلقيني الجد، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد الناشد.

■ أما تلامذته فقد صرف الشيخ حياته المباركة في بذل العلم وإفادة الطلاب، ولذلك كثر طلابه والآخذون عنه، ومن أشهرهم: الشيخ المحدث عبدالفتاح أبو غدة، الفقيه الحنفي الشيخ محمد الملاح، اللغوي الأديب عبدالرحمن رأفت باشا، الفقيه الأصولي الشيخ محمد فوزي فيض الله.

منهجه العلمي

■ رسم الشيخ لنفسه منهجا علميا يقوم على أسس هي: الاستقلال في الفهم والبعد عن العصبية المذهبية، التخفيف والتيسير والبعد عن الحرج بضوابطه الفقهية، تطبيق مبدأ سد الذرائع، الأخذ بفقه الضرورة، التعليل للحكم الفقهي، ذكر الحكم الديني بجانب الحكم القضائي، الاستدلال بالقواعد الفقهية والأصولية، إحالة المستفتي إلى كتاب يستوفي الموضوع، سؤال إخوانه من أهل العلم، إيجاد البدائل الشرعية للأوضاع المحرمة، تقييد الفتوى بقيود وضوابط.

إرثه العلمي

■ اهتم الشيخ الزرقا بإصدار سلسلتين علميتين: الأولى: السلسلة الفقهية، وعنوانها العام: «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد»، وقد بلغت أجزاؤها أربعة مجلدات. بينما الثانية: السلسلة القانونية، تتألف من ثلاث مجلدات في «شرح القانون المدني السوري». وقد حوت هذه السلسلة مقارنات كثيرة بالفقه، وأبرزت بوضوح ما يتميز به الفقه الإسلامي من إحاطة ودقة وشمول.

■ ومن فيض مؤلفاته نذكر: «أحكام الأوقاف»، «في الحديث النبوي»، «الفعل الضار والضمان فيه»، «نظام التأمين والرأي الشرعي فيه».. وغيرها كثير.

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ للشيخ ثلاث مساهمات في المجلة، جاءت أولاها تحت عنوان «خصائص التشريع الإسلامي» (العدد: ١٤، صفر ١٣٨٦هـ/ مايو ١٩٦٦م)، والثانية بعنوان: «حجة الشريعة على العقل» (العدد: ٢٥، المحرم ١٣٨٧هـ/أبريل ١٩٦٧م)، والأخيرة بعنوان: «موسوعة الفقه الإسلامي» (العدد: ٢٦، صفر ١٣٨٧هـ/مايو ١٩٦٧م).

وفاته

■ ظل الشيخ على نشاطه وعطائه العلمي إلى أن أدركته المنية في مدينة الرياض في السعودية، يوم السبت ١٩ ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق ٣ يوليو ١٩٩٩م، بعد أذان العصر وهو جالس ينقح الفتاوى ويبوبها.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ١٤ و٢٥ و٢٦.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع رابطة العلماء السوريين.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

العاقل يتأمل

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم وفشت فيهم واشتغلوا بها؛ إلا سلط الله عليهم العدو وبلوا بالقحط والجدب وولاة السوء. والعاقل يتأمل أحوال العالم وينظر، والله المستعان».

(انظر: مدارج السالكين، ١/ ٥٠٠).

من أخلاق العلماء مع مجالسيهم

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «فأما أخلاقه مع مجالسيه؛ فصبور على من كان ذهنه بطيئا عن الفهم حتى يفهم عنه، صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم، يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب، لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم. فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم؛ لم يجبهه في وجهه على جهة التبكيت له. ولكن يقول: لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥)

المستحيل في العادة

قال العلامة ابن جماعة رحمه الله: «من رام الفلاح في العلم، وتحصيل البغية منه، مع كثرة الأكل والشرب والنوم؛ فقد رام مستحيلا في العادة».

(انظر: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص:٧٧).

ممارسة العلم

قال العلامة المعلمي: «قد بقي من قواعد فهم اللغة ما لا يعرف إلا بالممارسة التامة، وتربية الذوق الصادق، بل إن القواعد المبسوطة المحررة لا يستطاع تطبيق أكثرها من دون ممارسة وحسن ذوق، وليس هذا خاصا بعلم العربية، بل الأمر كذلك في بقية العلوم».

(انظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، ١/ ٣١٥).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

براعة الإمام البخاري

قال العلامة القسطلاني، رحمه الله، عن الإمام البخاري: «شهد له بالبراعة والتقدم الصناديد العظام، والأفاضل الكرام؛ ففوائده أكثر من أن تحصى، وأعز من أن تستقصى.. وأما تآليفه فإنها سارت مسير الشمس، ودارت في الدنيا فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس، وأجلها وأعظمها: الجامع الصحيح».

(انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١/ ٢٨، ٣٦).

ضريبة الكرم

كان الإمام الشافعي، رحمه الله، من أسخى الناس. قال عن نفسه: «أفلست في عمري ثلاث إفلاسات؛ فكنت أبيع قليلي وكثيري، حتى حلي ابنتي وزوجتي». وقال، رحمه الله، عن نفسه في موضع آخر: «أفلست من دهري ثلاث مرات، وربما أكلت التمر بالسمك». وقال عنه أبو ثور واصفا جوده وكرمه: «كان الشافعي قلما يمسك الشيء من سماحته».

(انظر: آداب الشافعي ومناقبه، ص:٩٤).

تمام العظة

قال العلامة الرافعي رحمه الله: «ذهبت أزور أمواتي الأعزاء وأتصل منهم بأطراف نفسي لأحيا معهم في الموت ساعة، أعرض فيها أمر الدنيا على أمر الآخرة، فأنسى وأذكر، ثم أنظر وأعتبر، ثم أتعرف وأتوسم، ثم أستبطن مما في بطن الأرض، وأستظهر مما على ظهرها».

(انظر: وحي القلم، ٢/ ١٢١).

حدود العقل

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «ما عارض أحد الوحي بعقله إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك منه العقلاء».

(انظر: الصواعق المرسلة، ٣/ ١٠٠٢).

السلطان الفاتح

قال الحافظ السخاوي عن السلطان محمد الفاتح: «كان ملكا عظيما، اقتفى أثر أبيه في المثابرة على دفع الفرنج، وفاق بمزاحمة العلماء ورغبته في لقائهم، وتعظيم من يرد عليه منهم، وله مآثر كثيرة من مدارس وجوامع».

(انظر: الضوء اللامع، ١٠/ ٤٧).

بريد القراء

إعداد: التحرير

الحب عطاء

الحب محرك عظيم وحافز عجيب، فترى المحبين، الذين قد خامر الحب شغاف قلوبهم، يقطعون الفيافي والقفار إرضاء لمحبوبهم، وفداء له، وذودا عن حياضه.

فلقد أشرقت أزهار الحب، وانتشر أريجها من صحابة رسول الله ﷺ تجاه حبيبهم وقرة عيونهم محمد سيد الأولين وخير خلق الله أجمعين.

فهذه الغزوات الكبار، وهذه التضحيات العظام.. وهذا الذي عذب، وهذا الذي قتل، وذاك الذي مزق.. كل أولئك ما حملهم على ما فعلوا؟

إنه الحب. نعم، حب الله ورسوله، الحب الذي ملأ جوانحهم وقلوبهم حتى النخاع.

فهذا أبو دجانة رضي الله عنه يقع النبل في ظهره «يوم أحد» وهو منحن على رسول الله ﷺ يحميه من المشركين.

وأعجب منه صنيع أبي عبيدة بن الجراح (أمين الأمة)، حين نزع حلقتي المغفر من وجنتي رسول الله ﷺ فسقطت ثنيته، فلم يأسف ولم يتحسر، بل نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى.

فالحب الصادق عطاء وطاعة وفداء.

فالمحب يعطي محبوبه بسخاء ويعطيه أغلى ما يملك، ويطيعه طاعة عمياء ويفديه بماله وروحه.

وفعل الصحابيين الجليلين (أبي دجانة وأبي عبيدة) مظهر من مظاهر «الفداء».

ويأتي فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين دليلا على «العطاء» بل من أسمى آيات العطاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩).

وأدلة «طاعة» الصحابة لرسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى وتعد.

فلنأخذ مثلا صنيع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في غزوة الأحزاب حين أمره النبي ﷺ بمعرفة خبر الأحزاب، لم يتردد، وقام على الفور، استجابة لأمر رسول الله ﷺ.

ولا يخفى عليك - أخي القارئ - أن العمل من أهم ثمار الطاعة، فالمحب مطيع لمحبوبه مذعن لأوامره.

وعلى الصعيد الآخر، فحب النبي لأمته لا يدانيه حب؛ فإنه ﷺ المحب لأمته، الحريص عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)،

وتتجلى أعظم صور حب النبي ﷺ لأمته في قوله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي» (رواه مسلم).

فالنبي ﷺ يبذل قصارى جهده ليحول بيننا وبين النار، ونحن نتفلت من بين يديه، ونقتحم -لغلبة الشهوات- النار، فهو ﷺ لشدة حبه لأمته ما ترك خيرا إلا وأرشد أمته إليه، وما ترك شرا إلا وحذر أمته منه.

وصدق أبو ذر الغفاري حين قال: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علما» (رواه أحمد).

وبعد عرض طرف من هذه الصور المشرقة من حبه ﷺ لأمته، وحب صحابته الكرام له ﷺ، وجب علينا جميعا حبه ﷺ حبا مشربا بالطاعة والفداء والعطاء.

علي سلطان السيد
باحث وكاتب مصري

الوقت

اعلم أن استعجال الشيء قبل أوانه يفوت عليك واجبات الآن، ويضيع عليك حلاوة ما استعجلته؛ لأنه لم ينضج ولم يحن أوانه بعد.

واعلم أيضا أن تأجيل الشيء وتسويفه يعود نفسك الكسل، وفيه هلاكها، ويجعل من وقتك فراغا، والفراغ هو خنجر الشيطان الذي يستطيع قتلك به أو على الأقل تعطيلك عن أي خير، والتأجيل يعلمك طول الأمل، مما يورث كراهية الموت لعدم الاستعداد له.

ولا خير في عمل تأتيه في غير أوانه؛ فحتى الصلاة شرط كونها أفضل الأعمال أن تؤدى في وقتها.

واعلم أن المريض إذا أتيته بالدواء قبل أوانه فلن يقبله لغياب علة تجرع الدواء (المرض) ولو أتيته بالدواء متأخرا ربما مات بسبب تأخيرك، بينما يكون الشفاء -بإذن الله- في إتيان الدواء في وقته.

والوقت ما هو إلا أحد التعبيرات المباشرة عنك، فأنت وقت، وكلما فات بعض من الوقت فات بعضك، والوقت من الأهمية بمكان حتى أنه استحق التشريف بقسم الله به في غير موضع في القرآن.

إسلام فتحي- كاتب مصري

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

حاجتنا إلى التأسي بأخلاق النبي الكريم



بعث الله سيدنا محمدا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليتمم برسالته مكارم الأخلاق ومحاسنها، فهو الأسوة والقدوة التي ارتضاها الله عز وجل للناس جميعا.

وقد حول الرسول الكريم بأقواله وأفعاله تعاليم القرآن الكريم إلى واقع ملموس، فما أشد احتياجنا إلى التأسي والاقتداء بأخلاقه ﷺ ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به.

وعلينا أن نتأسى بالجوانب الأخلاقية والصفات النبيلة لسيد الخلق وحبيب الحق، وأن نجعل من هذا التأسي واقعا عمليا في حياتنا؛ كالصدق والأمانة، مثلما فعل قومه عندما لقبوه بالصادق الأمين.

ومن جميل الصفات التي اتصف بها الرسول ﷺ ووجب علينا التأسي بها الجود والكرم، فكان ﷺ أجود من الريح المرسلة، وقد أمرنا الحق تبارك وتعالى بالإنفاق والجود في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

ويقول في الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم، ينفق عليك» (متفق عليه).

وما أحوجنا في زماننا هذا إلى الوسطية والاعتدال، هاتان الصفتان اللتان اتصف بهما سيد الخلق، الذي حذر من كل مظاهر الغلو، خصوصا الغلو في الدين، فأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال، فعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه، ويقول: أمثال هؤلاء فارموا. ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (رواه ابن ماجه).

وهذا الاعتدال الذي اتصف به ودعا إليه النبي ﷺ، لم يكن قاصرا على الأمور التعبدية وصلة العبد بربه فحسب، بل كان دعوة شاملة لكل مناحي الحياة، ففي دعائه وتبتله يروي سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي» (رواه مسلم).

إن الحث على اتباع أقوال النبي ﷺ والاقتداء بأفعاله والتأسي بأخلاقه، أمر حيوي في حياتنا المعاصرة، لأن في ذلك محبة العبد لربه، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١).

كما أن محبته وطاعته والتأسي به تعتبر طاعة لله عز وجل، فقد قرن الله بين طاعته وطاعة النبي، فجعل قبول إحداهما مقرونا بفعل الأخرى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٢).

أحمد علي صالح - باحث في التاريخ - اليمن

لا تأس على فائت

ما مضى ذهب وانقضى، وما فات مات وانتهى، فلا تأس على فائت، ولا تبك على ماض، ولا تجدد أحزانك على ميت، وارفق بنفسك، وهون على روحك، وخفف عن ظهرك، ولا تحمل أثقالا مع أثقالك، ولا تضف أوجاعا إلى أوجاعك، وهموما إلى همومك.

إن اجترار الماضي واستحضار حوادثه ولزوم أعتابه والتمرغ بترابه والبكاء على أطلاله.. مضيعة لوقتك، ومهلكة لنفسك، ومفسدة لعقلك، وجناية على حاضرك ومستقبلك، وتعطيل لسيرك، وحجر عثرة في طريقك.

وطريقك بطبيعته وعر وعقباته كثيرة، فيكفيك ما أنت فيه، وحسبك ما تلاقيه.

وكل ما عليك أن تأخذ من ماضيك عبرة، وتستخرج من حوادثه عظة، وأن تعدل مسارك، وتصحح اتجاهك، وتقوم اعوجاجك.

إن كنت لوثت صفحتك بسواد معصية وظلام سيئة؛ فبيضها الآن بتوبة، ونورها بطاعة، وعطرها بحسنة.. ثم امض في طريقك ولا تلو على شيء؛ تصل إلى بر الأمان، وتنل سعادة أهل الإيمان، وسل الكريم دوما أن يجعل حاضرك خيرا من ماضيك، ويومك أطيب من أمسك، وأحسن فيما بقي يغفر الله لك ما مضى، ويبدل سيئاتك حسنات.

صابر محمد
إمام وخطيب بالأوقاف المصرية

مسك الختام

لا تغضب.. بين الدين والطب

تستفزك بعض التصرفات في العمل أو البيت أو الطريق، وقد يثيرك حديث أحدهم أو تصرفه معك أو مع غيرك، فيمتلئ قلبك غضبا وغيظا.

وربما تفقد السيطرة على أعصابك فتخرج عن طبيعتك المألوفة والمعتادة، فتأتي بتصرف مفاجئ أو تلقي كلاما يحمل إساءة وإهانة، وقد يكون كفرا، لأن الغضب يخرج الإنسان عن طوره وشعوره.

ويختلف تعبير الناس عن غضبهم بحسب شخصياتهم، فمنهم من يملك القدرة على السيطرة على انفعالاته وردات فعله، وآخرون يتملكهم الغضب ويفقدون أعصابهم عند أول موقف أو استفزاز فيتحولون إلى شخصيات أخرى مختلفة تماما عما هو معروف عنهم، فيقولون الكلام الجارح والمسيء، ويتحدثون ما لا يعونه، ومنهم من يلجأ إلى استخدام القوة والعنف والتطاول بيديه على الآخرين، وهو ما يؤدي بالإنسان إلى ما لا تحمد عقباه.

مخاطر الغضب كثيرة ومتعددة، وهي ليست فقط الخوف من الوقوع في المعاصي والسيئات والمصائب، إنما أيضا له تأثيرات على صحة الإنسان.

عندما يطلب منك شخص عدم الغضب فهو لا يدعوك إلى التسامح والالتزام بالدين وحسب من باب أن الإسلام يدعونا إلى عدم الغضب، إنما أيضا هو يخشى على صحتك لأن تأثير الانفعال والتوتر كبير على صحة الفرد.

وأظهرت الكثير من الأبحاث الطبية الحديثة أن الغضب والانفعال الشديد يؤدي إلى تغيرات في جسم الإنسان فهو يؤثر على الصحة العامة ويزيد من سرعة التنفس ويرفع ضغط الدم، ويزيد من فرص الوفاة المبكرة.

ويحذر الدين الإسلامي من الغضب ويدعونا إلى الصبر والتحمل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

الغضب نزغة من نزغات الشيطان وجمرة يلقيها في القلب، فإذا شعر الإنسان بالغضب فعليه تذكر ما ورد في السنة النبوية من علاجات لمواجهة هذا البلاء ومن أهمها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والسكوت عن الكلام لتلافي قول أي كلام مسيء، كما قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليسكت».

كذلك المبادرة إلى الوضوء لتخفيف آثار الغضب، فعن عطية السعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

على من يتملكه الغضب أن يغير مكانه أو وضعيته فإذا كان قائما فعليه أن يجلس أو يضطجع فهذا يؤدي إلى الهدوء وضبط الجوارح. قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

تبقى النصيحة الأخيرة ألا تغضب حفاظا على دينك وصحتك، وهي الوصية التي أوصانا بها النبي الكريم ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب»، فردّد مراراً، قال: «لا تغضب».

عايد الجاسم
كاتب كويتي

www.alwaeialshababy.com





www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فهد الخزي



Shabab alwaei

@alwaeialshababy

alwaeiq8@gmail.com







الرسول في عيونهم

فلاش يلخص آراء الفلاسفة والمفكرين المستشرقين المنصفين في خير النبيين والمرسلين .. فماذا قالوا في حقه ؟

 Kwt.awqaf  @kwt_awqaf  @kwt_awqaf

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٥٢) ذو الحجة ١٤٤٠ هـ - أغسطس ٢٠١٩ م

جامع العدد: راغم الإيمان

السِّيَاحَةُ ترفيهٌ وتدبُّر

- خُطبةُ الوداعِ وحُقوقُ الإنسان
- شَوقُ النَّفسِ إلى الأيامِ العَشر
- سِيرُوا في الأرض

هديَّةُ العَدَدِ: معلَّقةُ (صَفَاتُ القُلوبِ في القُرآنِ الكريمِ).

جديدنا

صفات القلوب في القرآن الكريم
المحمودة والمذمومة

القلب

أولاً: أوصاف القلوب السليمة (المحمودة)

ثانياً: أوصاف القلوب المريضة (المذمومة)

صفات القلوب في القرآن الكريم

مُعلَّقٌ مهمَّةٌ من مُعلَّقات مجلَّة الوعي الإسلامي، تُحاكي الجانب الوعظي الإيماني من خلال التَّعريف بالقلب، وتقسيم صفات القلوب في القرآن الكريم إلى: قلوب سليمة محمودة، وقلوب مريضة مذمومة، ودعَّم مُعدُّها الأستاذ الدُّكتور مجاهد مصطفى بهجت هذه الصِّفات بآيات من القرآن الكريم. وتحمل هذه المعلَّقة الرَّقم: (٤٠) في سلسلة معلَّقات مجلَّة الوعي الإسلامي.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

سيروا في الأرض

لقد حث الإسلام على السياحة في الأرض، وذلك من أجل الترفيه عن النفس والتأمل في صنع الخالق الحكيم، فيزداد الإنسان إيمانا مع إيمانه، ويقينا مع يقينه، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت:٢٠). وقال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس:١٠١)؛ أي: تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من الآيات والعبر، وانظروا في عجائب صنع الله حق النظر ليدلكم على وحدانيته.

وإن أعظم مكان سياحي في الأرض يجعل الناس يعودون إلى ربهم سبحانه وتعالى ويستشعرون عظمته، هو بيته العتيق، الذي يعتبر أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران:٩٦).

ومن حكمة الله تعالى أن جعل ذلك المكان قليل المرغبات الدنيوية، فهو مكان بواد غير ذي زرع، لا غابات ولا أشجار وارفات، ولا غيرها من مظاهر السياحة الطبيعية الجاذبة، فالذاهب إلى هذا المكان المبارك ليس له غاية إلا مغفرة الذنوب، والتقرب إلى الله تعالى.

هذا، ويجد السائح عظمة هذا الدين، وعظمة القدرة الإلهية من خلال السفر في ربوع هذه الأرض بالسبيل المباح والترفيه البريء المتاح، بعيدا عن الأماكن المشبوهة والبقاع الموبوءة، فما أجمل السفر للاطلاع على بديع صنع الله في الأرض والآفاق، وما أجمله إذا كان لصلة الأرحام، أو أداء العمرة، أو بقصد الكسب الحلال، أو لطلب العلم والأدب ورفع الملال مع صحبة مؤمنة تقية صالحة مرضية، لقوله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (رواه الترمذي).

هذا وقد فسر علماء المسلمين معنى السياحة بعدة تفسيرات كلها تدل على ارتقاء الإسلام إلى معالي الأمور، وبناء الأمة على مكارم الأخلاق، وجميل الخصال، فمنهم من فسر السياحة بالسفر في طلب العلم، فيرتحلون من أجله، ويشدون الرحال في طلبه وثني الركب لدى العلماء والتلقي عنهم والاستفادة منهم، قال عكرمة رحمه الله: (السائحون: هم طلبة العلم). وفسرها بعضهم بالجهاد في سبيل الله، فقد صح في الخبر: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى» (رواه أبو داود).. فهم يسيحون لأجل رفع راية الدين، وإعلاء كلمة المسلمين، وإزالة الذل والهوان عن عباد الله المستضعفين. وقال العامة ابن القيم -رحمه الله-: «وفسرت السياحة بدوام الطاعة»، والمقصود بها هنا: سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه.

وختاما: ينبغي للمسلم من خلال سياحته أن ينظر بتدبر لمصير الأمم السابقة، فإذا شاهد ذلك؛ أعمل فكره في استنتاج الدلائل التي تكسبه العبرة والحكمة. فالسياحة في الإسلام تحقق مقصدين أساسيين هما: الترفيه والتدبر، إضافة إلى نشر الدين بتعاليمه السمحة من خلال تمثل السائح المسلم بتعاليمه وأخلاقه، فيفيد ويستفيد، ورحم الله من قال:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد٦٥٢/ ذو الحجة ١٤٤٠ هـ
العام السادس والخمسون
أغسطس ٢٠١٩م

رئيس التحرير
فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري
طلال عثمان العثمان

التحرير
علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
مطابع فور فيلمز

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد



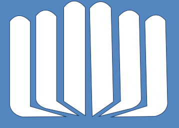
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

واعتصموا

أمة الإسلام هي أمة الاعتصام والوحدة.. ربها واحد ودينها واحد وغايتها واحدة، وما يجمع بين أفراد الأمة أكثر مما يفرق، والخير كل الخير في توحد الأمة واجتماعها على مبادئ دينها وكتاب ربها ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

والقرآن الكريم يأمر بالوحدة والاجتماع في غير موضع، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وينهى عن الفرقة والتشتت، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (آل عمران:١٠٥).

وتأتي فريضة الحج؛ تلك الفريضة الجامعة لكل أركان الدين، لتؤكد على معنى الوحدة وعدم التفرق.. يجتمع المسلمون من بلاد شتى وأقطار متعددة، يتكلمون بألسنة مختلفة، ليؤدوا مناسك الحج في تناغم وترابط عجيب على أساس من دينهم وعقيدتهم.

وستظل الأمة بخير وذات هيبة في عيون أعدائها ما اجتمعت واتحدت على كلمة الله ونصرة دينه، فإذا ما تفرقت وتحزبت واتبعت أهواءها وتعددت راياتها صارت لقمة سائغة في يد عدوها، وصدق المثل: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض».

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



حسين شعبان وهدان
امام وخطيب

بشائر السعادة في الأعياد

تختلف البيئات المستقبلة لبشائر الأعياد الزائرة في موعدها المعلوم بما يشبه المفاجأة السعيدة التي يعرفها الواثق بوقوعها في زمانها قبل حدوثها. ويطرق طارق السعادة أبواب القلوب حينما تحل بديار المسلمين، ويتسلل إليها الفرح الغامر ليأسو جراحها ويلم شعثها ويجمع أمرها ويطرد أحزانها ويداوي عللها ويصلح ما أفسدته أحداث الحياة قبل إشراقة العيد السعيد.

والمسلمون من بين شعوب الدنيا على هذا الموعد في البشرى مرتين؛ مرة في ختام صيامهم والأخرى في ختام نسك الحج، كأن الله تعالى يكافئهم بعد موسمي العبادة، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبي ﷺ المدينة قال: «كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى» (رواه النسائي).

وقال الله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ (الحج:٦٧)، وقد ذكر الإمام الطبري في التفسير من بين الروايات قصد العيد بالنسك: «فعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ يقول: عيدا»[1].

وهذا التحديد يسمو على غيره من تشريعات الأعياد للأمم الأخرى باختصاص القدسية أنه من عند الله تعالى لا من تشريعات البشر، على حد قول النبي الكريم ﷺ: «قد أبدلكم الله».

وطارق السعادة في العيد يقف على أبواب القلوب يروم أن يغمرها بأسمى معانيها قبل أن يسكن في ربوع الديار والحواضر والقرى بتجلياته الشكلية، فما أسهل اصطناع مظاهر السعادة والفرح مع التنظف والتطيب ولبس الجديد، كأنك ترى الحدائق الغناء مع مطالعة وفود الغادين إلى صلاة العيد. وقد تعود طارق الأفراح على أمثال هذه المشاهد في أعيادنا بينما ينتظر باشتياق أن يسكن القلوب والأرواح لتتذوق طعم السعادة الحقيقية حتى يتساوق المظهر مع الجوهر.

ومنحة السعادة فيض عطاء من رب الأرض والسماوات، وما حالنا إلا كحال الآمل في كرم المولى بملء الروح أفراحا بمقدم العيد السعيد، بعدما طغت على كثير من الوجوه مراسم الحزن على ما فات أو الخوف والإشفاق مما هو آت، كما صور ذلك يراع الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي حين قال:

أقبل العيد ولكن ليس في الناس المسره
لا أرى إلا وجوها كالحات مكفهره
وخدودا باهتات قد كساها الهم صفره
وشفاها تحذر الضحك كأن الضحك جمره
ليس للقوم حديث غير شكوى مستمره
قد تساوى عندهم لليأس نفع ومضره
إنه العيد وإن العيد مثل العرس مره

إنها حالة سلبية تعتور الكثير من النفوس وأصحابها في ظلال مظاهر الأعياد المعتادة بينما أرواحهم محرومة من الشعور

الحقيقي بالسعادة.
وعلى الدوام، ومنذ أزمان قد مضت، والعيد مظنة التجديد، فإذا كان المتنبي قد فاجأ العيد عند مقدمه بهذا السؤال:

عيد: بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد

فلعل الجديد المرجو هو استيقاظ الفرح بعدما طال رقاده في قلوب ألفت الأحزان، وأرواح قد غشاها من الهموم ما عكر منها صفو الحياة، ونرجو كذلك أن تظهر علاماته في بشاشة الوجوه وحرارات اللقاء، وليكون حداء البشير مدويا مبهجا كنسمات الربيع الصافية ورونق الورود.
كما نادى القرني على العيد قائلا وقد حداه الرجاء:

عيد: بخير حال عدت يا عيد
فنحن في مسمع الدنيا أناشيد
على شفاه فم العلياء بسمتنا
ومن غمام سمانا يورق العود
وكيف نأسى وفي أرواحنا ألق
من رحمة الله منها تعشب البيد
ونحن قصة حب صاغها مثلا
رسول الله وتلاه السادة الصيد
بلال أطلقها، سلمان صدقها
عمار عانقها، والبيض والسود
فاخلع رداء المآسي وابتهج فرحا
في موكب الله تقديس وتحميد
أما ترى الزهر حيانا بطلعته
يفتر عن بسمة في حسنها العيد
فودع الهم فالدنيا مولية
وبشر النفس فالبشرى مواعيد

فما أجمل أن نعود إلى روح أبينا آدم، عليه السلام، قبل أن يقطف من الشجرة التي زينها الشيطان أنها شجرة الخلد، ونطرح ذلك الإنسان الذي صنعته الحضارة المعاصرة والمألوف الدنيوي فلم يعد يحفل باجتراح الذنب أو مقارفة العيب.
وما أسعد القلوب الطاهرة التي تمرح في دوحات الحب وتحتوي أنقى المشاعر وأزكاها وأخفها وأنفعها، تلك التي على يقين من أن الحب لغة الكون وقد جاء العيد يذكرنا بها، فتتلاقى الوجوه بعبير الابتسامة وطلاقة المحيا، مهما كانت الأحوال قائمة بين المتلاقين قبل يوم العيد، وذلك معروف يسديه الإنسان إلى نفسه قبل أن يجود به على أخيه، فلو تقابلنا وأطلقنا سراح الحب فيما بيننا لنال كل طرف حظه من المثوبة العظيمة كأنه تصدق على نفسه بانشراح الصدر وإحراز الثواب، قال النبي الكريم ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» (سنن الترمذي)، فالبسمة في الأعياد سفير حثيث من سفراء المودة والحب بين أخلاط المجتمع.
والوصل بين أهل الأرحام من بشائر السعادة في أعيادنا، ومن كانت القطيعة حظه فلاشك أنه يتلوى على جمر الغضى أو يتقلب على حسك السعدان، وكيف يهنأ بعيش مبهج أو منام مريح من ترك الوصل وارتمى في حضن القطيعة؟! إنه قد حكم على نفسه بالحرمان من السعادة على الدوام في الأعياد وما سواها، ففي الحديث الشريف: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك قال رسول الله ﷺ: فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد:٢٢)» (صحيح البخاري).
ومن أجمل صور السعادة في الأعياد أن يتقاسمها أفراد المجتمع مع الفقراء والمساكين والزمنى والمرضى واليتامى؛ بأن يطردوا عنهم الجوع، وأن يستروا أبدانهم من عري، وأن يذهبوا أحزانهم ويكونوا لهم عونا ودعما ماديا ومعنويا، إضافة إلى المشاركة الوجدانية، ولو جاهد الإنسان لاستحواذ السعادة وحده وترك الناس فما استطاع إليها سبيلا، وحتما سيسقط في أتون الهم بعد الوقوع في آفة الأنانية، أما إذا حاول إسعاد الخلق فله مع كل نفس أسعدها نصيب من سعادتها.
والهاربون من السعادة في الأعياد يجترحون الذنوب باعتياد يملك عليهم إسارهم منذ سنين في عادات درجوا عليها وعاشوا لها كأنها من سنن العيد، وهي حظ الشياطين واستراق للسعادة الحقيقية، لأن الخسارة في الأعياد هي أن نعصي الله تعالى، وأنعمه العظمى وآلاؤه الحسنى تغمرنا وتملأ علينا أقطار الحياة.
«وأعياد الناس تنقضي فأما أعياد العارفين فدائمة، قال الحسن: كل يوم لا تعصي الله فيه فهو لك عيد، وأوقات العارفين كلها فرح وسرور بمناجاة مولاهم وذكره فهي أعياد:
عيدي مقيم وعيد الناس منصرف
والقلب مني عن اللذات منحرف»(٢).
فما أكرم الشعور بحلاوة الطاعة على الدوام، فهذا عيدنا المقيم الذي لا يفارق ما دمنا على رضا الله تعالى.

الهوامش

١- الإمام محمد بن جرير الطبري، «جامع البيان في تأويل القرآن»، ص:٦٧٩، ج٨، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢- ابن رجب الحنبلي، «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف»، ص:٣٩٤، تحقيق: عبدالله عامر، ط١، ٢٠٠٥م، دار الحديث، القاهرة (بتصرف يسير).



د. هشام طه سليم
كاتب وباحث



ودعنا شهر رمضان المعظم، وقد من الله سبحانه وتعالى علينا خلال الشهر الكريم بالليلة المباركة، ليلة القدر، إلا أن نفحات ربنا لا تزال تتوالى لتخرجنا من الظلمات إلى النور.. وها هي نفوسنا تشتاق إلى مقدم الليالي العشر.. تشتاق إلى نفحات شهر ذي الحجة.

شوق النفس إلى الليالي العشر

يريد الله سبحانه وتعالى أن يبارك في أعمار العباد من أمة سيدنا محمد ﷺ، حيث اقتضت حكمته سبحانه أن تكون أعمارهم أقصر من أعمار الأمم السابقة من حيث عدد السنوات.

دليل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» (رواه الترمذي). ومن ثم اقتضت رحمته سبحانه وتعالى أن يدركنا بأسباب تمنحنا البركة في العمر يدركها الإنسان المسلم إذا ترقب نفحات الله جل شأنه. حيث ميّز سبحانه وتعالى بعض الأيام عن غيرها من حيث فيض الحسنات التي يستطيع الإنسان المسلم أن ينهلها من خلالها.

نفحات العشر الأوائل

تهل علينا العشرة أيام الأوائل من ذي الحجة فيتوجه الحجاج إلى البيت الحرام لأداء مناسك الحج، وفي ذات الأيام المباركة تفيض رحمات ربنا عزوجل فتشمل عباده الذين لم يستطيعوا التوجه إلى بيته الحرام هذا العام فتحضهم على اغتنام تلك الفرصة بالمسارعة إلى أنواع العمل الصالح، تعظيما لتلك الأيام الغالية التي أقسم بها المولى عزوجل في كتابه العزيز في مطلع سورة الفجر بقوله عزوجل: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ (الفجر:١-٥).

وقد أكد المفسرون على أن المقصود بالليالي العشر هي أوائل شهر ذي الحجة، من ذلك ما ورد بتفسير الإمام الحافظ بن كثير للقرآن العظيم قوله: «والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف. وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام»، يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»(1).

ومن ثم فإذا كانت الليالي العشر الأواخر من رمضان هي أفضل الليالي على الإطلاق التي يستحب فيها العمل الصالح، فإن الأيام العشرة الأوائل من ذي الحجة هي أفضل الأيام على الاطلاق التي يستحب فيها العمل الصالح.

العمل الصالح في العشر الأوائل

يجب على العبد المسلم أن يضاعف الجهد في تلك الأيام فلا يضيعها، فينوي التوبة عن جميع الذنوب والخطايا حتى ينطلق إلى آفاق جديدة من ارتقاء النفس، وتنمية الحسنات، ساعيا إلى كافة سبل الخير مما لا يعد ولا يحصى من صنوف الأعمال الصالحة.

وبهذا الشأن يجب فهم حديث النبي ﷺ -حيث يحثنا على اغتنام العمل الصالح في الأيام الأولى من ذي الحجة- بمفهوم

واسع يشمل كافة الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله سبحانه والتي تتمثل في شعب الإيمان كلها دون تخصيص. فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (متفق عليه).

وبالتالي فعلى المسلم أن يتحرى أنواع العمل الصالح كافة -مما يندرج ضمن شعب الإيمان- فيلتزم أيسرها بالنسبة له، ويتقرب بها إلى الله سبحانه في تلك الأيام المباركة.

١- الأعمال الصالحة التي تنتمي إلى قسم العبادات

يستحب للمسلم أن يتقرب إلى الله في الأيام العشر من ذي الحجة الأعمال التي افترضها الله عليه كافة، مصداقا لقول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...» (رواه البخاري).

ومن ثم يستطيع المسلم التقرب الله سبحانه وتعالى -على سبيل المثال- بصلاة النفل، وبصوم التطوع، وبالصدقات، وبالعمرة.. إلى غير ذلك من أنواع العبادات الأخرى كتلاوة القرآن الكريم، ومدارسة أحاديث الرسول ﷺ، وبالاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.. إلخ.

٢- الأعمال الصالحة التي تنتمي إلى قسم المعاملات

كذلك سبيل الارتقاء في الدرجات الإيمانية مفتوح أمام العبد المسلم في مجال المعاملات خلال العشر الأوائل من ذي الحجة؛ فعليه -على سبيل المثال- أن يتحرى تقوى الله في عمله فيتقنه، وعليه أن يصل رحمه، وعليه أن يسعى في قضاء حوائج الناس، وعليه أن يصلح بين المتخاصمين، ويتسامح مع الآخرين.

كما يجب على العبد المسلم أن يخالق الناس بخلق حسن، ولا يرد الإساءة بالإساءة، كما يجب عليه الالتزام بالصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانات إلى أهلها.

كذلك على العبد المسلم أن يكون نموذجا للإنسان الصالح الإيجابي في تصرفاته، فينفع مجتمعه، وينفع من حوله، فيجتهد في تلقي العلم، وترقية ذاته في مجال تخصصه، ليحقق معنى حديث رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (صحيح مسلم)، فالآن وقد أصبحنا في عصر العلم والتطور التكنولوجي فقد أصبح معيار القوة بين البشر هو العلم.

وأخيرا يجب على العبد المسلم ألا يستصغر أي عمل صالح يؤديه ابتغاء مرضات الله سبحانه، فقد يكون سببا لدخوله الجنة، فإماطة الأذى عن الطريق شعبة من الإيمان وإن كانت أدناها، فضلا عن أن الحياء شعبة من الإيمان. وقد نبهنا رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (صحيح مسلم).

فكل ما سبق ذكره وغيره الكثير من مظاهر السلوك الحسن، والخلق القويم، والعلاقة الطيبة سواء فيما بين العبد وربه، أو فيما بين العبد والناس هي صور للعمل الصالح الذي يثاب عليه المرء، وتضاعف له الحسنات بصفة خاصة في العشر الأوائل من ذي الحجة.

صوم يوم عرفة

يقول رسول الله ﷺ بشأن يوم عرفة: «صيام يوم عرفة، إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده...» (صحيح مسلم).

ومن ثم فقد شاءت رحمة الله بعباده أن يعمهم بفضله وكرمه سواء من كان منهم حاجا بالبيت الحرام أو من لم يستطع إليه سبيلا في كافة بقاع العالم. فندب المولى عزوجل للعباد صيام يوم عرفه حتى يباهي بهم الملائكة، وينعم عليهم برضوانه.

فيا ربنا ما أكرمك. ويا ربنا ما أعظمك. تفضلت على عبادك بالخير العميم، في هذا اليوم العظيم، فجميع المسلمين في يوم عرفة مشغولون بالعبادة، وبطاعة ربهم -أيا كان مكانهم في كافة بقاع الأرض- وكأنهم ملائكة تمشي بين الناس.

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول مخبرا عن تفضل الله سبحانه على عباده في هذا اليوم العظيم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، يقول: ما أراد هؤلاء؟ أشهدوا ملائكتي أني قد غفرت لهم» (صحيح مسلم).

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير: المجلد الرابع، دار الفكر العربي، طبعة عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ص٥٠٥.



القاهرة - إسلام لطفي، محمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية

وفاق واتفاق.. لا تفرق وتنازع

تعزيز الترابط محليا وعالميا

أعلت الشريعة الإسلامية من شأن الوحدة والترابط المجتمعي، ونبذت الفرقة والتنازع، فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ (الأنعام:١٥٩)، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام:١٦١).

لكن ما نراه اليوم من انتشار للفرقة والتنازع، سواء داخل المجتمع المسلم أو في المجتمعات الأخرى، يستوجب استعادة روح الإسلام ودعوته للتآلف والاتحاد والتعاون على فعل الخير.. وهذا ما يحدثنا عنه علماء ومختصون في سياق التحقيق التالي.

«تكمن القوة في الوفاق والاتفاق.. أما التفرق والتنازع فهما وهن وضعف».. بهذه العبارة، بدأ الأستاذ بجامعة الأزهر د. محمد عبدالناصر العنتبلي حديثه، موضحا أن الاجتماع وتعزيز الترابط في المجتمع المحلي والخارجي، ووحدة الكلمة، ونبذ التنازع والتفرق والاختلاف، ما هي إلا أوامر من عند الله تبارك وتعالى؛ حيث يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ (آل عمران:١٠٣)؛ لتنهض الأمم وتقوى على مجابهة الأخطار التي تتربص بها من كل حدب وصوب.


د. حسين شحاته

ومدح الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الاجتماع والائتلاف وتنمية روح الأخوة بين المسلمين، وذم الفرقة والتشرذم والاختلاف؛ فالاجتماع قوة، وهو سبب كل خير، وسبيل لكل فضيلة، والاختلاف بلا شك ضعف، وهو نذير هلاك، ودليل بوار.

> **د. محمد العنتبلي: الاجتماع قوة وسبب كل خير.. والاختلاف ضعف ونذير هلاك**

وتابع د. العنتبلي: السؤال هنا: كيف يتم نبذ الفرقة وتعزيز الترابط في المجتمع المحلي والخارجي؟

إذا أردنا نبذ الفرقة وتعزيز الترابط لابد أن يكون هناك احتواء لكل أطياف المجتمع، والعمل على نشر الدعوة إلى الائتلاف ونبذ الاختلاف عن طريق بعض الأمور منها:

أولا: لابد أن تتحقق المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، والدفاع عن مصالحه، والشعور بالفخر والاعتزاز بالترابط المجتمعي الداخلي والخارجي.

ثانيا: ذم الفرقة والنهي عنها وترك الفروع دون التشدد، والتمسك بها ما دام الأصل واحدا.. ولنعلم جميعا أن اجتماعنا ولو على أمر مرجوح خير من تفرقنا واختلافنا على أمور شتى كل واحد منا يرى أن أمره راجح.

ثالثا: قبول مناقشة الرأي الآخر بحيادية، حتى لو كان لا يتناسب مع أفكاري، من دون تشدد أو رفض لمجرد أنه خالفني الرأي.

رابعا: نبذ الخلافات وصهرها في أتون المحبة والوفاق والأخوة.

خامسا: البعد عن المهاترات والتناحر



د. مختار مرزوق


د. محمود الصاوي


د. عبدالوارث عثمان

على أمور بسيطة أو مسائل اختلافية اجتهادية.

سادسا: التمسك بصحيح الدين.. فكل ما أوجب فتنة أو فرقة بين المؤمنين ليس من الدين، سواء كان قولا أو فعلا، لأن هذه الفرقة أو الفتنة لا تقع إلا بترك ما أمر الله به.

سابعا: أهمية التوعية الدائمة لأفراد المجتمع بما يسهم به الاعتصام والاتحاد والاتفاق، وما يجلبه عليهم من نفع وتقدم وعزة، وما يتسبب فيه التفرق والاختلاف من هوان وتشرذم وضعف أمام المجتمعات الأخرى.

كما يسهم الترابط في التقدم بالعمل والحد من المشكلات والمساعدة على التفاهم مع الآخرين، ويساعد أيضا على تطور المجتمع ونموه، فهو بمنزلة حجر الأساس الذي دعم وسائد انتقال البشرية من مرحلة تنموية إلى أخرى.. فالله الله في الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والنزاع والاختلاف.

وأخيرا: تجنبوا العداوة والبغضاء والفرقة والاختلاف، والقطيعة والشحناء، والهجر لغير مقصود شرعي، فهذا ما يريده الشيطان منكم، ويوغره في صدوركم، حتى وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه من التهاجر، والتقاطع، والتنافر، والاختلاف، والتفرق شيعا وأحزابا.

د. مختار مرزوق: القرآن والسنة سبيلنا للخروج من حالة الفرقة والتعصب

نبذ الفرقة والطائفية

بدوره، يقول العميد السابق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر د. مختار مرزوق، إن الإسلام حث على تعزيز الترابط في المجتمع بين أهله جميعا، المسلم منهم وغير المسلم، وهناك أمثلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة تدل على ذلك، حيث يقول الله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

وشدد على أنه لابد من التمسك بكتاب الله عزوجل، لأن فيه العصمة من عذاب الآخرة، وعلى كل أهل الوطن أن يعتصموا بحبل الله ويجتمعوا على كلمة واحدة وأن ينبذوا الفرقة التي تؤدي إلى الانحلال، وما يحدث من كوارث نتيجة العصبية، ويدل ذلك على مدى الفهم الدقيق لاجتماع الناس على كلمة واحدة وعدم اتباع دعوات الفرقة والطائفية، حتى تكون رسالة لكل من يدعو إلى قطع الروابط بين أبناء الوطن الواحد ومن يعمل على إشاعة الفتنة والفحشاء، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، وأن تناصحوا من ولى الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» (رواه أحمد).

ونصح الجميع بأن يعتصموا بالجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف، ونبه إلى أنه يجب محاسبة كل من يوغر العداوة والبغضاء بين الأفراد والمجتمعات، فهؤلاء لا يعملون لحساب دينهم ووطنهم، إنما يعملون لحساب أعدائنا الذين يريدون أن يعيش العرب متفرقين متشرذمين.

وأكد أنه إذا اعتصم الناس بالقرآن الكريم والسنة فإنهم يكونون قد حققوا مراد الله سبحانه وتعالى.

أقوى رابطة

وقال أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر د. عبدالوارث عثمان، إن النبي ﷺ بعث ولم يكن للعرب يومئذ كلمة تجمعهم ولا شيء يربط بينهم إلا العصبية والقبلية، فأعلن النبي ﷺ رفضه القاطع للعصبية، فقال في الحديث الذي رواه مسلم عن

جندب بن عبدالله البجلي: «من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية».. ليجعل رسالة الإسلام الإنسانية العالمية الخالدة أقوى رابطة بين العربي والأعجمي، أبيضهم وأسودهم، وعلى اختلاف ألسنتهم وابتعاد أماكنهم.

وأضاف: أشار النبي ﷺ إلى عالمية الدعوة وطابعها الوحدوي الإنساني عندما أمر أتباعه من المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، مرتين خارج حدود الجزيرة العربية في أرض النجاشي ملك الحبشة الذي كان وقتها على دين النصرانية، يعرف بالعدالة ويشتهر بالنخوة، فقام النجاشي بحمايتهم فعبدوا الله الواحد الأحد في أرضه، وعرضوا حقائق الإسلام بحرية بعيدا عن المشركين والكفار الذين أذاقوهم عظيم الأذى وفادح البلاء، فكان ذلك مثلا لتقوية روابط الإيمان بالله بين المسلمين، وكل مؤمن بالله تعالى يلمح فيه نوعا من الحق والعدل من أصحاب الشرائع السماوية الأخرى.

ولا يوجد هذا التوجيه الراقي وهذه التربية الواعية التي تنبذ الفرقة بين المسلمين وغيرهم إلا في رسالة الإسلام الخالدة، التي جمعت بين سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي جنبا إلى جنب مع العرب من قريش وأهل مكة من دون تفرقة أو تمييز أو فضل إلا بالتقوى، وبهذه العقيدة الإسلامية تحول العرب من رعاة للأغنام إلى قادة للأمم، وتحطمت عروش الأكاسرة والقياصرة أمام دعوتهم لرسالة الإسلام الخالدة التي وحدت صفوفهم، وجمعت كلمتهم، وللمت شتات أمورهم، ولم يكونوا قبل رسالة الإسلام شيئا مذكورا فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وعلى الحق أعوانا.

وأوضح أنه قد جاءت رسالة الإسلام الخالدة بمبادىء عدة إن اتبعها

د. عبدالوارث: الإسلام ألف بين الناس على اختلاف ألسنتهم وابتعاد أماكنهم

المجتمع المسلم تميز عن غيره من المجتمعات بالأمن والاستقرار والبركة والخير وزيادة النعم والرزق والوحدة الاجتماعية والتكافل بين أفراده؛ منها حسن الخلق، حيث يقول ﷺ مبينا الهدف الأسمى من رسالته والجانب الأهم من بعثته: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فما فرض الله الفرائض إلا لتعويد الناس على مكارم الأخلاق قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥)، كذلك الزكاة المفروضة التي تزيل أحقاد الفقراء على الأغنياء، وتقيم التوازن المطلوب بين طبقات المجتمع، يساعدها في ذلك صدقات التطوع وهبات المسلم العامة التي يجزى عليها من الله خير الجزاء.

وتابع: جاءت رسالة الإسلام الخالدة لتدعو إلى تقوية الروابط بأوثق رباط فجعلت صلة الأرحام من الدين وأجزلت العطاء لمن يصل رحمه، فقال ﷺ: «إن الرحم معلقة بالعرش يوم القيامة، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» (رواه مسلم)، فبينت أن صلة الرحم معناها أن تصل من قطعك لا أن تصل من وصلك، وهذا هو المعنى الحقيقي للوحدة والتآلف والمحبة والمودة والابتعاد عن كل أنواع الفرقة في المجتمع.

مواجهة الفرقة

وقال د. فتحي قناوي، أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية: إن الله خلقنا أمة وسطا في كل شيء لا زيادة ولا نقصان، والأساس في حياتنا يعتمد على تقبل الآخر والتعامل معه فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣)، دون أن يميز طبيعة هذه الشعوب أو الأعمال التي نتعامل بها مع بعضنا البعض.

والأديان التي أنزلها الله إلى الأرض تدعو دائما وأبدا إلى العدالة في كل شيء، ويجب علينا أن نتعامل وفق ما يريده الله للبشر، فالتعالي على الآخرين وتعظيم أشياء على أخرى وأفراد على آخرين أو التعصب لشيء أو فرد أو جماعة ليس له وجود في الأديان ولا في العلم ولا الأخلاق، لأن أخلاق الإسلام تعتمد على التعامل مع الجميع فلا فضل لأعرابي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهكذا قال الرسول في التعامل مع الآخرين.

وأكد أن الإنسان يكون بعلمه وخلقه وتعليمه وأدبه قبل أن يكون بماله ومنصبه، وتساءل: «كيف يكون إنسان ويبغض هذا ويكره هذا لشكله أو لوظيفته أو لعمله؟! ولنا جميعا القدوة الحسنة في رسولنا في التعامل مع الجميع بلا استثناء، ولا اختلاف وفرقة إلا لأصحاب النفوس الضعيفة وبث الفرقة التي أساسها تمزيق الأوطان والأسر والأفراد».

وأشار إلى أن حل الفرقة والتعصب

يكمن في الرجوع إلى الدين والعلم والتعليم والتربية، لأن الإنسان في نشأته وتكوينه يعتمد على أسرته، ويلي ذلك المدرسة التي تعلم وتغرس في النفوس القيم، والجامع والجامعة والشباب والإعلام بأنواعه المختلفة، كذلك مواقع التواصل الاجتماعي التي تؤثر بما لا يدع مجالا للشك في تكوين العقيدة الخاطئة لدى الآخرين.

وأوضح أن النجاح لا يأتي إلا بالمشورة في الأمر، حيث يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وذلك معناه سماع الرأي الآخر للوصول إلى الأفضل وهذا هو ما نفتقده حاليا.

صدق مع النفس

وقال د. علاء مرسي أستاذ علم النفس: إن الفرقة تأتي عن طريق التقدير الذاتي السيئ وهذا متفش كثيرا في العالم العربي، نتعصب دينيا وعرقيا وجنسيا، ما يحدث حالة من الفرقة، بالإضافة إلى فقداننا لثقافة الحوار وقبول الآخر بسهولة، سواء في المجتمع بين الأفراد أو بين المجتمعات بعضها البعض.

وأكد على أن الشخص الذي تقديره الذاتي جيد لا يعترض على التعامل مع الآخرين بالحسنى، كما كان يفعل النبي محمد ﷺ، وليس عكس ذلك الذي يحدث حالة من العداوة، مشددا على ضرورة العودة إلى الصدق الكامل مع النفس وكل شخص يرى نفسه بعيوبه ومحاولة إصلاحها بدلا من تغذيتها على حساب الآخرين، كذلك أهمية صلاح النية حتى تحدث حالة من الترابط بعيدا عن النفاق ومشاركة



الاهتمامات والتعاون بين الجميع، وفهم ذلك يعود إلى التربية السليمة أيضا.

دور الإعلام

أما د. محمود الصاوي، وكيل كلية الإعلام بجامعة الأزهر، فيقول إن للإعلام بمختلف أشكاله وصوره ووسائله دور بالغ الأثر والخطورة والفاعلية في العمل على وحدة الأمة ولم شملها، مشيرا إلى أن وحدة الأمة هدف إستراتيجي كبير يجب أن تنهض له كل المؤسسات والهيئات والأفراد والجماعات والتجمعات لكن سيظل الإعلام دوما له نصيب أكبر في صناعة القناعات وغرس الأحلام الكبيرة في نفوس الشعوب والمجتمعات.

وأضاف: نعلم حسب كثير من الدراسات العلمية أن أكثر من ٧٠ في المئة من المعلومات والتصورات الذهنية يأخذها الناس من الإعلام بأشكاله القديمة والجديدة ووسط المنظومة الإعلامية تتجلى الدراما بوصفها صاحبة التأثير الأكثر خطورة على ملايين المشاهدين، ويقع عليها العبء الأكبر في جمع المجتمعات والشعوب على أهدافها الكبيرة وتطلعاتها المستقبلية، وتصحيح مفاهيمها المغلوطة ورأب الصدع ولم الشمل، وإشاعة المحبة والمودة والوئام وصناعة السلام والتعايش السلمي بين المجتمعات، وجمعها على كلمة سواء والتعامل الواعي والإيجابي والبناء مع المشكلات المجتمعية، وعدم تضخيمها وتحميل طرف كل الأخطاء وإعفاء الآخرين منها.

كذلك يجب التخلص من العصبيات والنعرات القبلية والعشائرية والجهوية عند معالجة المشكلات والانطلاق دوما من رسالة الإسلام الخالدة، إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢).

وقال: ليت شركات الإنتاج الإعلامي تتجه إلى إنتاج أعمال كبيرة مشتركة ترسخ معاني الأخوة والاجتماع ولم الشمل العربي، وإزالة الاحتقانات والمشكلات العالقة هنا أو هناك، وتجمع شعوبنا على كلمة واحدة تعلو فوق خلافاتها ومشكلاتها وتتجه صوب القوة والاتحاد والتكتل في زمن الوحدة والتكتلات.

محاربة الفقر

وقال د. حسين شحاتة أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، إن الإسلام حث على التكافل والترابط بين أفراد المجتمع حتى يعيش في حالة من الاستقرار بعيدا عن الفرقة أو التعصب أو الكراهية، لافتا إلى أن الزكاة تساعد في ذلك.

وأشار إلى أن الفقر يسبب العديد من المشكلات في المجتمعات التي تؤثر على الأخلاق وسلوكيات وفكر وثقافة الفرد والأسرة.

وأوضح أن الإسلام اهتم كثيرا بالقضاء على الفقر ووضع الضوابط التي تحجمه وتقضي على طغيانه من أجل الحفاظ على الأمة الإسلامية وجعلها قوية دائما، مؤكدا على أن الفقر يفقد الإنسان حريته في إبداء رأيه.

وشدد على أهمية التعاون والتنسيق بين الدول العربية والإسلامية من أجل التكافل عن طريق زكاة المال والصدقات وتخصيص بعض الاستثمارات الاقتصادية فيما بينهم.



د. محمد أحمد قنديل
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

الأضحية وتكريم الإنسان

كرم الله الإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن جنسه أو ديانته، ورفع منزلته ابتداء على كثير من خلقه؛ بل إن الله -سبحانه- أمر ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام إعظاما لشأن الإنسان، وتفضيلا له، قال الله عزوجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ (طه:١١٦).

والقرآن الكريم يقرر شرف الإنسان، فالله فضله على كثير من المخلوقات الأخرى، وهذا المبدأ ليس مفهوما أخلاقيا وحسب؛ بل إنه يؤدي إلى نتائج ملزمة يجب العمل بها، ألا وهي احترام كرامة الإنسان كإنسان له آدمية، توجب له حقوقا، وأولها وأولاها الحفاظ على كرامته واحترامه، فهو محترم ومكرم لأنه مسؤول.. وبهذا تتأكد عقيدة سمو الإنسان على سائر المخلوقات، ولا يتعلق الأمر -كما يدعى أحيانا- بالمؤمن الذي يوضع في مقابل الإنسان؛ بل يتعلق بالإنسان كإنسان بغض النظر عن دينه ولونه وجنسيته، فقد جاء حديث القرآن الكريم عن تكريم الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

والكرامة عبارة عن سياج من الرحمة والعصمة، وتاج من الشرف والنبل، بحيث ينظر الفرد إلى نفسه نظرة احترام وتكريم، فيكون سيدا لا مسودا، يحدوه[١] قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء:٧٠).

وهي كرامة الحرية والعزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨). و«إن أوسع هذه الكرامات وأعمها وأقدمها وأدومها، تلك الكرامة الأولى التي ينالها الفرد منذ ولادته، بل منذ تكوينه جنينا في بطن أمه، كرامة لم يؤد لها ثمنا ماديا ولا معنويا، ولكنها منحة السماء التي منحته الفطرة، والتي جعلت كرامته وإنسانيته صنوين في شريعة الإسلام»[٢].

و«هذه الكرامة ثابتة لبني آدم بقطع النظر عن ألوانهم وأصولهم ولغاتهم وأديانهم، وإن الآية نص صريح في أن الإنسان أكرم من كل شيء على ظهر الأرض»[٣].

منطق مرفوض

ولا يوجد في القرآن الكريم إشارة واحدة إلى التضحية بالبشر وتقديمهم قرابين إلى المذابح، بل ذكر الله قصة ابني آدم عليه السلام، وليس فيها القربان البشري، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ (المائدة:٢٧).

ولا يمكن أن يكون الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه، وأسجد الله له الملائكة الكرام، لا يمكن أن يكون في يوم من الأيام قربانا أو أضحية، يستحيل ذلك، فلقد سخر الله له الكون كله، وما في الأرض جميعا.

وما ورد في شأن نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام امتحان واختبار لقلب إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات:١٠٢).

فلقد ظهرت عبودية إبراهيم لله وحبه لربه، وتقديم حب ورضا الله على كل شيء.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢).

إنه يتلقى الأمر في طاعة واستسلام ورضى ويقين.

ويخطوان إلى التنفيذ؛ فيقتاد إبراهيم ابنه لتنفذ حكم الله تعالى. فماذا جرى لما أخذ السكين ليذبحه أتى لطف الله عزوجل، وأتت رحمته سبحانه وتعالى، فلم تذبح السكين، ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأطاعت، يفديها بذبح عظيم، قيل: إنه كبش وجده إبراهيم مهيأ بفعل ربه وإرادته ليذبحه بدلا من إسماعيل.

ومضت سنة الأضاحي علما للملة الإبراهيمية، وسنة باقية في العالمين، يقتدون بالخليل فيها إلى يوم الدين، وسنة في الشريعة المحمدية، تذكر بالتضحية والفداء، والصدق والوفاء، والصبر والثبات عند المحنة والبلاء، وحسن الاستجابة لله في السراء والضراء.

ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم لترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم، الذي تتبع ملته، والذي ترث نسبه وعقيدته، والذي تنعم ببركة دعوته إلى يوم القيامة.

ولتدرك هذه الأمة أن الإسلام هو أن تستسلم لأمر الله طائعة راضية واثقة ملبية.

تقديم البشر قرابين

لقد كان يضحى بالإنسان والبشر على مذابح زيف الأديان الوضعية والوثنية، فلقد اعتاد أصحاب تلك الديانات الوضعية، والذين كانوا يعبدون النجوم والأشجار وغير ذلك، اعتادوا تقديم الإنسان كقربان لرضا الآلهة الزائفة.

فجاء القرآن الكريم بإشارة توحيدية إلى تهجين هذا الفعل وإلى إنهائه، وهذا ما حصل في شرائع التوحيد، وهذا هو مضمون قصة إبراهيم مع إسماعيل عليهما السلام، فجاءت تلك القصة التوحيدية في القرآن الكريم لتقول كفى زيفا وضلالا.

الهوامش

١- محمد عبدالله دراز، نظرات في الإسلام، ت: محمد موفق البيانوني، حلب: مكتبة الهدى،١٩٧٢م، ص١٦٤ وما بعدها.

٢- المرجع السابق، ص١٦٥.

٣- مصطفى السباعي، اشتراكية الإسلام، دمشق: مؤسسة المطبوعات العربية، ١٩٩٦م، ص١١٣.



سمير الخال
دكتوراه في الدراسات الإسلامية



حديث الدافة وأبعاده المقاصدية

لحديث الدافة مناسبة خاصة، تتجلى في وجود أزمة اقتصادية واجتماعية حلت بقوم من البادية، فأقحمتهم السنة وأقدمتهم المجاعة[١]، للتوجه صوب المدينة النبوية، حضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «ادخروا ثلاثا، ثم تصدقوا بما بقي»، فلما كان بعد ذلك، قالوا: يا رسول الله، إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجملون منها الودك، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» قالوا: نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت، فكلوا وادخروا وتصدقوا»[٢]. وهو حديث ذو أبعاد فقهية متميزة، بالإضافة إلى أهميته المقاصدية، خاصة في بعدها الاقتصادي والاجتماعي.

وإذا كان المقصود بالدافة في هذا الحديث القوم من البدو الذين وفدوا المدينة طلبا للصدقة والتوسعة عليهم[٣]، فقد شكلت الدافة هنا علتين بارزتين، انبنى عليهما الحكمان التكليفيان الواردان فيه، من حيث جعل النبي ﷺ منع ادخار لحوم الأضاحي مرتبطا بوجود أزمة اقتصادية واجتماعية حلت بالمدينة، التي استقبلت هؤلاء القوم من البدو، الفارين من القحط والجوع، الطامعين في الأكل والطعام، مما جعل رسول ﷺ يأمر الصحابة بألا تتجاوز مدة ادخارهم للحوم الأضحية ثلاثة أيام.

وفي المقابل، شكل خلو مدينة رسول الله ﷺ من أزمة اقتصادية واجتماعية، لانحباس محركها الرئيسي وهو الدافة، علة لإباحة ادخار لحوم الأضاحي، كما كان معمولا به من قبل أن ترد الدافة، أخذا بدلالة المفهوم المستفاد من قوله عليه السلام: «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت».

وقد استشكل العلماء هذا الحديث، من حيث محاولة الجمع بين النهي والإباحة الواردين فيه؛ فنقل الطحاوي نسخ حكم التحريم بإباحة ادخار

لحوم الأضاحي وأكلها في الثلاثة وبعدها[٤]. في حين، ذهبت طائفة أخرى (منهم: علي بن أبي طالب، وابن عمر، والزبير، وغيرهم) إلى الجمع بين النهي والإباحة، بناء على أحوال المكلفين، بالتأكيد على أن تحريم ادخار لحوم الأضاحي باق على حكمه، بالتنبيه على أن هذا التحريم إنما كان لعلة، فلما زالت زال الحكم[٥].

ويظهر أن الترجيح بين النهي عن أكل لحوم الأضاحي وإباحته بناء على ادعاء النسخ، من حيث اعتبار النهي منسوخا، وأن ناسخه هو الإذن بأكله، فيه نظر لاعتبارات علمية متنوعة؛ من أبرزها التنبيه إلى أن النسخ أداة منهجية، يتم من خلالها الترجيح بين النصوص التي ظاهرها التعارض. وهو مسلك أساسه تقوية أحد هذين النصين، وجعله أصلا (وهو المسمى ناسخا)، في مقابل إسقاط النص الثاني إسقاطا كليا (وهو المسمى منسوخا)، وإلغاء بعده التشريعي، ومدى إمكانية الاستفادة الفقهية منه تارة أخرى، عن طريق استنباط أحكام تفصيلية متى دعت الحاجة إليه.

ونظرا لخطورة قاعدة النسخ هذه على النصوص التشريعية والأحكام الفقهية، لإقصائها أحد النصوص الشرعية (وهو المسمى منسوخا) عن مجال الاستنباط الفقهي منه، فلا ينبغي اللجوء إليها إلا عند الضرورة القصوى، متى علم التاريخ (أي: النص المتقدم من المتأخر)، بالإضافة إلى استحالة الجمع بين النصين المتعارضين ظاهريا، والتوفيق بينهما، من كل وجه.

وإذا كان الشرط الأول من شروط النسخ، في علاقته بالبعد الزمني متحققا، لليقين بأن إباحة الأكل من لحوم الأضاحي كانت متأخرة عن

النهي عن أكل لحوم الأضاحي كان مواساة للمحتاجين

النهي عنه، لدلالة سياق الحديث عليه، فإن الشرط الثاني من شروط النسخ يظل بعيدا، ما دامت إمكانية الجمع بين هذين الحكمين (أي: النهي والإباحة) تظل واردة بقوة.

ومن الإمكانيات التوفيقية بين دلالة هذين الحكمين (أي: النهي والإباحة)، حملهما على اختلاف أحوال المكلفين، من خلال النظر إلى أن النهي عن ادخار لحوم الأضاحي فوق الثلاث واقع على حال المكلفين، الذين تعرض عليهم الدافة. وأما الإذن في ادخار اللحوم، فإنه يحمل على الوضعية الاجتماعية والاقتصادية، التي تكون بعيدة عن مسمى الدافة.

ومما يقوي هذا الرأي، هو أن هناك من قال به من السلف، الذين اختلفوا بين قائل بالنسخ، وقائل باختلاف الحالات. فلما اختلف السلف من الصحابة ومن بعدهم، جاز لنا أن نختار ما نراه مناسبا لطبيعة النصوص الشرعية، وضوابطها، مع مراعاة مقاصد الشريعة، والأصلح لأحوال المكلفين حالا ومآلا.

وأما ادعاء المخالف عدم علم أنصار اختلاف الحالات لدليل النسخ المتأخر[٦]، فهو ادعاء بلا دليل، خاصة أن العلم قضية قلبية خفية لا يعلم بها إلا الله تعالى. كما أن هناك دليلا آخر على ضعف هذا الادعاء، وهو أن من القائلين باختلاف الحالات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو خليفة المسلمين الرابع، الذي يبعد في حقه أن يجهل حكم إباحة الأكل من الأضاحي، الذي هو حكم لعامة المسلمين، لحاجة الناس إليه، مما تعم به البلوى.

الأبعاد المقاصدية

وبالقول بعدم صحة النسخ ههنا، فلن نحد من الإمكانيات التشريعية للشريعة الإسلامية في مواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، كما لن نحد من قدراتها الاستيعابية لمواجهات الحالات الخاصة التي تمر منها مجتمعاتنا وأمتنا في مسيرتها الواقعية والمستقبلية.

وإلا، فلو دفت دافة بالجماعة أو الأمة الإسلاميتين، وأصاب المسلمين قحط وجفاف وجوع، أو كوارث طبيعية كالفيضانات والأعاصير والزلازل وغيرها، فهل يصوغ إباحة ادخار لحوم الأضاحي فوق الثلاث، ومخالفة نهي النبي ﷺ، بحجة دعوى النسخ –غير المتفق عليها بين سلف الأمة– خاصة أن هذه النازلة موافقة تماما للتي وقعت في زمن المصطفى عليه السلام؟!

وهذا الترجيح بين النهي والإباحة هو موقف الشافعي في قوله الثاني في هذه المسألة، الذي يرى أن الرخصة في الإمساك والأكل والصدقة من لحوم الضحايا لاختلاف الحالين؛ فإذا دفت الدافة، ثبت النهي عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث. وإذا لم تدف دافة، فالرخصة ثابتة بالأكل والتزود والادخار والصدقة[٧].

على أن حمل الحديث على اختلاف الحالين، ومدى صلاحيته لأحوال المكلفين، أوضحه الشافعي بقوله: «وأحب إن كانت في الناس مخمصة[٨] ألا يدخر أحد من أضحيته، ولا من هديه، أكثر من ثلاث لأمر النبي ﷺ في الدافة، فإن ترك رجل أن يطعم من هدي تطوع، أو أضحية، فقد أساء، وليس عليه أن يعود للضحية، وعليه أن يطعم إذ جاءه قانع أو معتر أو بائس فقير شيئا؛ ليكون عوضا مما منع، وإن كان في غير أيام الأضحى»[٩].

على أن صنيع الشافعي هذا، يتجلى في نقله الحديث من خصوصية سبب وروده في علاقته بالدافة التي دفت، زمن النبي ﷺ، إلى عموم حالات الدافة التي يمكن أن تدف بالمسلمين، بجامع التوسعة عنهم، في كل زمان ومكان، أعاذنا الله منها.

ومن جهة أخرى، وبتأمل متكرر للحديث قيد الدراسة، وبالاسترشاد بكلام العلماء الذين اشتغلوا عليه، نجد أن النهي عن أكل لحوم الأضاحي لم يكن تعبديا، وإنما كان لمعنى ومقصد واضحين، يتجليان في مواساة الجماعة التي دفت بالمدينة تلك السنة، والتصدق عليها بإطعامها[١٠].

وهنا مربط الفرس؛ من حيث تعلق تعليل الحديث بالدافة، التي لا تتصور شرعا ولا عقلا ولا واقعا، إلا مصحوبة بالجوع والقحط وما شابههما، مما يستوجب المواساة فضلا عن الإطعام. فهو -إذن- تعليل بالمصلحة الاجتماعية، وجودا وعدما.

على أن للبيهقي كلاما مهما، يتجاوز اعتبار التعليل الوارد في هذا الحديث بهذه المصلحة فقط، إلى النظر إلى توظيفه توظيفا مؤسسا على القياس بجامع المصلحة الاجتماعية؛ يقول البيهقي: «كان يجب على من علم الأمرين معا أن يقول نهى النبي ﷺ عنه لمعنى فإذا كان مثله فهو منهي عنه وإذا لم يكن مثله لم يكن منهيا عنه»[١١].

ولم ينفرد البيهقي بدعوى الإلحاق القياسي لنظائر فقهية متشابهة بالدافة، بها، متى اتفقت معها في الشدة والعسر، طلبا للتوسعة على المكلفين ورفعا للضرورة عنهم، بل لقد تابعه ابن رشد الجد بقوله: «وقال ﷺ في لحوم الأضاحي: «إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم» فأعلمهم بالعلة ليعتبروها. وهذا نص منه على وجوب الحكم بالقياس»[١٢].

ولم تقف جهود الفقهاء في تنزيل هذا الحديث تاريخيا عند هذا الحد، حيث لم يحصروا النهي عن ادخار لحوم الأضاحي بالدافة التي دفت زمان النبي ﷺ، أو في الأزمنة اللاحقة، للتشابه في صورة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، بل سعوا إلى إلحاق صور أخرى من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تتساوى والدافة مقصديا ومصلحيا؛ كالجوع، والقحط، والفقر، والمخمصة، مما لا تسمى دافة لغة ولا شرعا ولا واقعا، ولكنها تدخل في معنى الدافة، لا بوصفها غير المؤثر في علاقته بالقوم الذين دفوا أي ساروا إلى المدينة، ولكن بوصفها المؤثر وهي المجاعة طلبا للمواساة، مما شكل سببا مباشرا دفعهم إلى خروجهم من باديتهم، صوب مدينة رسول الله ﷺ.

وفي هذا السياق، يعتبر طرح الشافعي مؤسسا على نظر مقاصدي متميز، من خلال تنبيهه إلى السبب الشرعي في منع ادخار لحوم الأضاحي، لمواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، للمجتمعات والأمة الإسلامية، من خلال عدم ربط الحديث بلحوم الأضاحي فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى منع ادخار لحوم الهدي كذلك. يقول الشافعي: «وأحب إن كانت في الناس مخمصة ألا يدخر أحد من أضحيته، ولا من هديه، أكثر من ثلاث لأمر النبي ﷺ في الدافة، فإن ترك رجل أن يطعم من هدي تطوع، أو أضحية، فقد أساء، وليس عليه أن يعود للضحية، وعليه أن يطعم إذ جاءه قانع أو معتر أو بائس فقير شيئا؛ ليكون عوضا مما منع، وإن كان في غير أيام الأضحى»[١٣].

الهوامش

١- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ)، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ج٢، ص٢٣٢.

٢- مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء، (رقم الحديث ١٩٧١)، ج٣، ص١٥٦١.

٣- الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ)، شرح معاني الآثار، تح محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج٤، ص١٨٨.

٤- المصدر السابق نفسه.

٥- النووي، يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٣، ص١٢٩.

٦- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير ابن علي (ت ١٣٢٩هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته» (لابن قيم الجوزية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، عون المعبود، ج٨، ص٧.

٧- الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس (ت ٢٠٤هـ)، الرسالة، تح رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١٠٥.

٨- والمخمصة لغة: المجاعة. وانظر: إبراهيم مصطفى ومعاونوه (وهم: أحمد حسن الزيات وحامد عبدالغفور ومحمد علي النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، المعجم الوسيط، مادة (خمص).

٩- الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس (ت ٢٠٤هـ)، اختلاف الحديث، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٦٤٣-٦٤٤.

١٠- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ)، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، ج٢، ص٢٣٢.

١١- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، تح محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٩، ص٢٩٣.

١٢- ابن رشد الجد، محمد بن أحمد بن محمد (ت ٥٢٠هـ)، المقدمات الممهدات، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج١، ص٣٥.

١٣- الشافعي، اختلاف الحديث، ص ٦٤٣-٦٤٤.



د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية

الحج يعود بوحدته

من المعلوم الذي لا يجهل أن للعبادة دورا مهما في السمو بالمؤمن إلى مدارج الرقي الإنساني؛ فضلا عن أنها صمام الأمان من الاحتواء في العقائد الفاسدة، والتأثر بالأفكار المضللة، ومن ثم حرص الإسلام على تأصيل العقيدة في النفوس؛ مع فرض التكاليف الشرعية. وقد كان التشريع الإلهي من أهم صور المنح الإلهية للإنسان، الدالة على تكريمه من لدن خالقه في أحسن تقويم، وجعله خليفة في الأرض.

وقد كان الحج فريضة العمر، وختام الأمر، وهو عبادة بدنية وروحية معا، يعيشها المسلم بكل كيانه في رحاب بيت الله الطاهر، ينهل من بحار النور، ويغرف من النبع الطهور، قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (الحج:٢٧-٢٨). وما أكثر تلك المنافع التي يشهدها حجاج بيت الله الحرام، وأهم تلك المنافع التي ينبغي التنبه إليها تحقيق الوحدة الإسلامية الجامعة.

وقد كان الرسول الكريم ﷺ يعلم الحجاج أداء مناسك الحج على النحو السديد، بيد أنه لم يقتصر على ذلك؛ بل مزج تعليم المناسك بحرصه على أن يعلمهم التطبيق العملي لمكارم الأخلاق في الحج (لتنداح مكارم الأخلاق على الأمة جميعا)، حيث حرص على أن يكون وفود الحجيج على قلب رجل واحد؛ وهم يعبدون ربا واحدا، ويستقبلون قبلة واحدة؛ لتتوحد في الحياة غاياتهم وأهدافهم.

لقد كان الرسول ﷺ يعمل على إقالة النفوس من كبواتها، ويحرص على ألا تتبع الأنفس الهوى؛ وفي ذلك تحصين للذات المسلمة من مغبة الوقوع في براثن الآثام؛ فتصبح النفس بعد خوضها رحلة الحج مشبعة بتقوى ربها، داعية إلى الهدى، متجنبة مواطن الزلل.

وقد استل الرسول ﷺ من النفوس غلواءها، وقدم لها دواءها؛ فأعلن حرمة الدماء، والأموال، والأعراض، لتضمن الأمة حياة بعيدة عن الفتنة والقتال. وحري بمن عاش في كنف الله تعالى، يتنفس أريج الإيمان من مهبط الوحي، على ثرى حرم الله الآمن، الذي يرتقي بزواره إلى الثريا، أن يعود من حج البيت معلنا انتصار روحه على جسده، مؤثرا خدمة الناس ونفعهم على هوى نفسه، وبذلك يحافظ على ما تدرب عليه في الحج من مجاهدة النفس، وتزكيتها؛ فيصير دائم الإقبال على مولاه، زاهدا في بهرج الحياة الدنيا ومتاعها الزائل.

وإذا كان الحج ولادة جديدة، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري)، فإن هذه الولادة لا تقتصر على من حج بيت الله الحرام وحده، بل تشمل الولادة الجديدة الأمة كلها، لأن المهمة المنوطة بكل حاج بعد عودته من أداء المناسك أن يحمل مشعل الدعوة إلى الله تعالى، فيضطلع بهذا الشرف كل مسلم، خصوصا من أدى مناسك الحج، فيكون آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ومن هنا يعيش المجتمع الإسلامي في بلهنية من العيش، فتسري في أوصاله روح المحبة، وتأخذ الأمة طريقها إلى التجديد الشامل، ومن ثم إلى الريادة على الأمم كما كانت في سالف عهدها، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

ولا مراء في أن لفريضة الحج دورا بالغا في البناء المتين للصرح الحضاري، وبث روح الأخوة الإيمانية في المجتمع، التي تجعله متماسكا بأقوى الوشائج؛ بعيدا عن العصبيات والقوميات.

وإنه لابد للأمة أن تعي أهمية مؤتمر الحج، وتجعله انطلاقة لا مندوحة عنها إلى ما فيه صلاحها وفلاحها، وذلك بالتحول الإيجابي من التفرقة والخلاف، إلى الوحدة والائتلاف.

وليعلم المسلمون أن الحج يعود بوحدته، فمتى يعودون إلى وحدتهم، التي يستمدون منها قوتهم؟





د. أشرف زاهر محمد
أستاذ الحديث وعلومه
بجامعة المدينة بماليزيا



الحج التئام للشمل وارتباط بالأصل

يجتمع المسلمون مرة كل عام من أقطار الأرض في أكرم بقعة شرفها الله تعالى، وهي بيت الله الحرام، قبلة المسلمين في الصلاة، وذلك في أعظم حشد بشري اجتمعت كلمة أصحابه على الطاعة والتقوى؛ ليؤدوا الركن الخامس للإسلام، تنفيذا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧).

ومما ابتليت به أمتنا، لاسيما في عصورها الأخيرة، أن مفهوم العبادة أصبح عند بعض أبنائها لا يتعدى الشعائر الظاهرة، دون فقه حقيقة العبادة وأسرارها وحكمها، فاقتصر الحج عندهم على عمل الجوارح، من إحرام وسعي وطواف ووقوف بعرفة وغيرها من مقومات الحج، وهي أعمال لا تتم الفريضة من دونها، بيد أن هذه المناسك كلها لا تؤتي ثمارها إلا بتدبر القلب لمعانيها السامية، لاسيما أن الحج عبادة تزخر أعمالها بالرمزية؛ فحري بنا أن نتأمل حقيقة الحج بعقولنا وقلوبنا؛ كي نعيش في ظلاله الوارفة، ونقتطف من ثماره الدانية، تلك الثمار التي عبر عنها القرآن بـ«المنافع»، في قول الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٨).

والمتأمل في فريضة الحج، لاسيما في عصور الإسلام الأولى، يلاحظ ما هو جدير بالتفكر والتدبر، فقد كان السفر إلى بيت الله الحرام يكتنفه كثير من الجهد، ومخاطر السفر على متون الدواب في الصحاري المقفرة، مما يرهق الأبدان، بل قد تزهق معه الأرواح.

وقد عبر القرآن عن صورة من هذا



التعب في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧)، أي: يأتوك مشاة وركبانا على كل بعير، و«الضامر» أي: البعير المهزول الذي أتعبه السفر، وقدم «رجالا» على الركبان في الذكر؛ لزيادة تعبهم في المشي[١].

وإذا كانت رحلة الحج على هذا النحو، ومن الثابت أن شريعتنا الغراء توخت حفظ النفس في تشريعاتها، وجعلته مقصدا كليا، فلماذا لم تتحاش تلك المخاطر، بأن يكون لأهل كل قطر أو قارة كعبة يقصدونها بالحج، أو يتكرر الحج في العام الواحد عدة مرات، أو غير ذلك مما يجنب الناس النصب؟

والحق أن إرادة الله تعالى اقتضت ألا يكون شيء من ذلك، فلا تعدد في المكان، ولا في الزمان، وإنما هو صعيد واحد، وكعبة واحدة، وزمان واحد، ولاشك أن الله تعالى، وهو الرحيم بعباده، والحكيم في تشريعه، لم يشرع ذلك إلا لمصالح كبرى، وحكم عليا، لا تتحقق إلا بهذا الحشد الهائل في موسم الحج الجامع، وقد فهم أعداء الأمة هذه الحقيقة جيدا؛ فهذا أحد المبشرين يقول عن التبشير في البلاد الإسلامية: «سيظل الإسلام صخرة عاتية، تتحطم عليها كل محاولات التبشير، مادام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي العام»[٢].

ونحاول في هذه السطور أن نقبس بعضا من أبرز أنوار الحج وأسراره، وحكمه وآثاره، ورسائله التي يبثها في الحجيج وفي جميع أمة الإسلام، من التئام شمل الأمة ووحدتها، والمساواة والأخوة بين آحادها، وارتباط حاضرها بماضيها المجيد وأصلها التليد.

أمة واحدة

إن في الحج تجسيدا وتأكيدا للحجاج ولبقية المسلمين على أنهم أمة واحدة، وإن اختلفت ألوانها وأجناسها، أو تباينت ألسنتها ولهجاتها، أو تباعدت ديارها وأوطانها، فلا شيء من ذلك كله يحول دون أن يكون المسلمون أمة واحدة، فها هي جموعهم تلتقي في هذا الموسم الكبير، فيطوف العربي وبجواره العجمي، ويلبي الأبيض ومعه الأسود، ومن ثم تتآلف كلمة المسلمين، ويلتئم شملهم تحت راية التوحيد، وما أحوج المسلمين إلى ذلك؛ فإنهم لم يذوقوا مرارة الضعف والتخلف إلا بالتنازع والتمزق، وضياع معنى الأمة الواحدة، ويأتي الحج ليوقظ في ضمائر المسلمين هذا المعنى العظيم، فهو فرصة، وأي فرصة، لتوحيد الصف، والوقوف في وجه العدو، ففي وحدة الحجاج تنبيه للمسلمين إلى أنهم مهما كانوا ضعافا يتكالب عليهم أعداؤهم، فإنهم إذا توحدوا وأصبحوا أمة واحدة أضحوا قوة لا يستطيع عدوها أن يهزمها، أو يكسر إرادتها.

ومن عجب أن طائفة من المسلمين غفلت عن أن وحدة المسلمين هي سر نهضتهم وقوتهم، بينما أدرك بعض المستشرقين هذا المعنى، فهذا المستشرق الأميركي فيليب حتى (filib hataa)، وهو واحد ممن هالهم ما وصل إليه الإسلام في أول عهده من عز ومجد، فسجل إعجابه في مقدمة كتابه عن تاريخ العرب فقال: «لم تمض على وفاة النبي محمد مئة سنة، حتى أصبح العرب أسياد دولة أعظم من دولة الرومان في أوج عزها... ودخل في دين العرب وفي لسانهم ودمهم من الشعوب والأجناس ما لم يعهده التاريخ من قبل، حتى في أخبار اليونان والرومان»[٣].

وهكذا لا يخفي هذا المستشرق ذهوله ودهشته في صدر كتابه، ومن ثم راح يبحث في تاريخ العرب ودينهم عن أسرار هذه العظمة، وكان مما وصل إليه ووعاه جيدا أثر الحج في تحقيق معنى الأمة الواحدة، فقال: «فالحج أتاح للزنوج والبربر والصينيين والفرس والسوريين والترك والعرب، الفقير منهم والغني، والرفيع والوضيع، أن يجتمعوا، ويتآخوا على أساس الإيمان المشترك. والحق أن الإسلام قد وفق أكثر من أديان العالم جميعا إلى القضاء على فوارق الجنس، واللون، والقومية، وخاصة بين أبنائه، ولاشك في أن الاجتماع في موسم الحج له الفضل الأكبر في تحقيق هذه الغاية»[٤].

أخوة عالمية

لا يمكن لمعنى الأمة الواحدة أن يستقر في الأمة إلا إذا سادت الأخوة العالمية، ولذا ففي الحج تذوب الفوارق التي تجعل التفاضل بين الناس حسب أجناسهم وألوانهم ومكانتهم في الدنيا، فالجميع يلبسون ملابس واحدة،

تجردوا فيها من الثياب المألوفة، ولبسوا ملابس خلت من كل أنواع الزينة، فهي أشبه بأكفان الموتى، ويتعبدون بشعائر واحدة، وفي مكان واحد، وزمان واحد، فيحيي ذلك في قلوبهم مبدأ المساواة، فكلهم من آدم، وآدم من تراب، ولا فرق بينهم جميعا، ولا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى.

ومن الفضل الذي شهدت به الأعداء تصريح بعض المستشرقين بما في الحج من مبدأ المساواة والأخوة، وأثر ذلك على تقدم المسلمين، فهذا المستشرق البريطاني رونالد فيكتور كورتيناي بودلي (Ronald Victor Courtenay Bodley) صرح بانبهاره برسول الإسلام ﷺ ودولته، حيث قال في مقدمة كتابه: «سمعت عن محمد الرجل الذي وحد حفنة من القبائل المتنافرة المتنافسة، وجعلهم دعامة إمبراطورية من أعظم إمبراطوريات العالم قوة. وسمعت عنه أنه الرجل ذو القلب الحار، الذي حول الوثنيين وعبدة الأصنام إلى مؤمنين صادقين»[5]، ثم استعرض هذا المستشرق النصراني سيرة رسولنا الأكرم ﷺ ليحاول الوصول إلى أسباب القوة التي مكنت رسول الإسلام ﷺ من بناء هذا المجد الكبير، ولما وصل الكاتب إلى نهايات كتابه سطر واحدة من أعظم هذه الأسباب، وهو المساواة والأخوة وأثر الحج في غرسها، فقال: «قضى محمد على فروق الطبقات واللون والأجناس، والحج أعظم شاهد على ديموقراطية الإسلام؛ فهناك يجتمع المسلمون الأوروبيون والآسيويون والأفريقيون، والصعاليك والأمراء، والتجار والمقاتلون في نفس الإزار البسيط، الذي كان محمد وأتباعه يرتدونه في حجة الوداع؛ إنهم جميعا يتناولون نفس الطعام، ويتقاسمون نفس الخيام، ويعاملون دون تمييز... أكان في مقدور رجل ما لم يكن ملهما أن يأتي إلى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية»[6].

ارتباط بالأصل

من آثار الحج أنه يربط الجيل الآخر بالجيل الأول، فالحجاج يرحلون إلى البيت الحرام والديار المقدسة التي كانت مهبط الوحي، ومحضن الإسلام، ولا ريب أن الارتباط بهذه البقاع الطاهرة يجعل الحاج أقرب إلى الاقتداء بالرعيل الأول، الذين جاهدوا حتى بلغوا الإسلام إلى آفاق الدنيا، والحاج -كما يقول الغزالي- حينما يزور المدينة يتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عزوجل لنبيه؛ ليهاجر إليها، وفيها داره التي شرعت فيها الفرائض، ثم جعل فيها قبره ﷺ وقبر وزيريه أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ثم يتمثل الحاج في نفسه مواقع أقدام رسول الله ﷺ في هذه الأماكن الشريفة[7].

بل إن الحجاج يغوصون في تاريخ أبعد من ذلك؛ فإن البيت الحرام ضارب بجذوره في أعماق الزمن، حيث أمر الله تعالى خليله إبراهيم ببناء أول بيت لعبادة الله تعالى، ثم أمره أن يدعو في الناس ليقصدوا البيت العتيق فقال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧)، وقد عبر في الآية بلفظ «يأتوك» وإن كانوا يأتون البيت؛ إذ من أتى الكعبة حاجا فقد أتى إبراهيم لأنه أجاب نداءه[8].

يتذكر الحجاج هذا التاريخ البعيد حين يطوفون حول الكعبة، فيتذكرون أباهم إبراهيم وابنه إسماعيل، عليهما السلام، وهما يرفعان القواعد من البيت ويدعوان الله تعالى أن يتقبل منهما، ويسعى الحجيج بين الصفا والمروة فيستحضرون قصة أم إسماعيل مع رضيعها، ولطف الله تعالى بهما بتفجر ماء زمزم، الذي يشرب منه الحجاج، وكذلك إذا رمى الحاج الجمار فجدير به -كما يقول صاحب الإحياء- أن يقصد التشبه بإبراهيم، عليه السلام، حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة؛ طردا له وقطعا لأمله[9].

وما من ريب في أن الحاج حين يتنقل بين مناسك الحج، فإن هذا التاريخ البعيد ينبعث ماثلا أمام عينيه، كأنه يسمعه ويراه، فيربطه بأصله، ويذكره بهويته.

وهكذا تفيض فريضة الحج بالأسرار الباهرة، والمعاني الظاهرة، حتى إن بعض المستشرقين عرفوا مكامن القوة في شعيرة الحج، ولم يستطيعوا إنكارها، وما أجدر أمتنا أن تتأمل في هذه العبادة وجوهرها؛ ليكون الحج نقطة تحول في مسيرتها، وحري بنا أن ننظر ونتدبر مرة بعد مرة تلك الجموع الملبية من الحجاج، وهم يؤدون مناسك واحدة، وفي وقت واحد، رغبا ورهبا، كي تثور في نفوس أمتنا بواعث الشوق إلى تراص الأمة ووحدتها؛ فتنجو من كيد عدوها، وتفوز برضوان ربها.

الهوامش

١- فتح القدير للشوكاني، ٥٣٠/٣، دار ابن كثير، دمشق، ط. الأولى.
٢- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٦٦٩/٢)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط. الرابعة.
٣- العرب تاريخ موجز، د. فيليب حتى، ص:٩، دار العلم للملايين، بيروت، يوليو ١٩٩١م.
٤- السابق، ص:٥٨-٦٠.
٥- الرسول حياة محمد، ر. ف. بودلي، ص:٣-٤، ترجمة: محمد محمد فرج وعبدالحميد جودة السحار، مكتبة مصر، د. ت.
٦- السابق، ص:٣٣٨-٣٣٩.
٧- إحياء علوم الدين للغزالي، ٢٧٠/١-٢٧١، دار المعرفة، بيروت.
٨- فتح القدير للشوكاني، ٥٣٠/٣.
٩- إحياء علوم الدين، ٢٧٠/١.



راوية السيد محمد
باحثة في القانون الجنائي الإسلامي

موسم تعظيم الشعائر

لقد شرف الله تبارك وتعالى مكة المكرمة؛ فجعلها أرضه الحرام، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حرم الله مكة فلم تحل لأحد قبلي، ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها...»[1]، وأقسم الله تبارك وتعالى بها في كتابه العزيز؛ فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ (البلد:١)، ودعا لها إبراهيم الخليل بالأمن والأمان؛ فحكى عنه القرآن الكريم قائلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (البقرة:١٢٦)، وقد حقق الله تعالى دعوة إبراهيم الخليل، فوصفها بالبلد الأمين، قائلا في محكم التنزيل: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين:٣).

وقد شرف الله تعالى مكة المكرمة بإقامة بيته الحرام فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧)، فكان البيت الحرام أول بيت وضع للناس، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، ثم شرف الله المسجد الحرام بأن جعله قبلة للمسلمين؛ فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ (البقرة:١٤٤)، ثم ضاعف الله تعالى أجر الصلاة فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٢]، وجعل الطواف بالبيت أحد أركان فريضة الحج.

وإن موسم الحج دليل عظمة الإسلام وبرهان قوة المسلمين، حينما تجتمع وفود الرحمن من كل مكان؛ لتعظيم شعائر الله بأداء مناسك الحج؛ تحقيقا لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، وامتثالا لأمر النبي المصطفى: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»[٣]، وحجاج بيت الله الحرام هم وفد الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر»[٤]، يعطيهم الله سؤلهم، ويستجيب دعاءهم، ويغفر ذنوبهم، ويقضي حاجتهم، ويرفع درجتهم، فقد جاء في سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»[٥].

ويجتمع المسلمون من كل حدب وصوب من شتى بقاع الأرض، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا فرق بين أبيض وأسود، ولا بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، يجتمع حجيج بيت الله الحرام من كل فج عميق، في صعيد واحد، تذوب بينهم جميع الفوارق البشرية؛ فيدعون ربا واحدا وقد اجتمعت كلمتهم على التوحيد وتعظيم شعائر الله؛ فتظهر بينهم وحدة الدين وأخوة الإسلام، وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠).

وفي شهر ذي الحجة من كل عام تزدان مكة المكرمة بوفود بيت الله الحرام، وهم يلبون نداء ربهم لأداء فريضة الحج؛ إجابة لنداء الخليل إبراهيم في البرية، يقول تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴿٢٨﴾﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، عن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت، فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾، قال: رب وما يبلغ صوتي؟، قال: «أذن وعلي البلاغ»، قال: رب كيف أقول؟، قال: «قل: يا أيها الناس، كتب عليكم الحج، حج البيت العتيق»، فسمعه من بين السماء والأرض، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون؟[٦].

وها هي وفود الرحمن قد لبت نداء ربها، فاجتمعت في زي واحد، وفي مكان واحد، في أرض الله الحرام، طوافين حول الكعبة البهية، واقفين بأرض عرفات، ساعين بين الصفا والمروة، يعظمون شعائر الله، قد ارتفعت أصواتهم بالتلبية، (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)؛ سؤالهم واحد، وهدفهم واحد، غفران الذنوب والعتق من النيران، قال رسول الله ﷺ: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه»[٧]، وقد سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»[٨]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٩].

ويوم عرفة من أعظم شعائر الحج، فقد روي أن النبي ﷺ سئل عن الحج، فقال: «الحج عرفة»[١٠]، وفي يوم عرفة (التاسع من شهر ذي الحجة) يتجلى الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين بغفران الذنوب والعتق من النيران، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة»[١١]، وفي مثل هذا اليوم المبارك كان تمام الدين واكتمال نزول الوحي، فقد نزل قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (المائدة:٣)، ويتذكر حجيج بيت الله الحرام -(وهم يؤدون مناسك الحج)- هدي النبي المصطفى ﷺ في حجة الوداع، فعن جابر بن عبدالله قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[١٢].

وإن تعظيم شعائر الله في فريضة الحج ثوابه عظيم وأجره جزيل، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ (الحج:٣٠)، فتعظيم شعائر الله دليل الإيمان والتقوى؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، فسبب تعظيم شعائر الله «أنها دليل على وجود التقوى المهيمنة على القلوب، والانصياع لأوامر الله، واتباع أحكامه وتوجيهاته»[١٣]، وقد وعد الله تعالى عباده المتقين جنات عدن تجري من تحتها الأنهار؛ فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣)، ويكون تعظيم الشعائر «في أدائها على وجهها، في اطمئنان، وإخبات لله، وولاء لجلاله وعظمته، وتعظيم شعيرة (الهدي) يكون برعاياتها وإكرامها، وإنزالها من النفس منزلة الإعزاز؛ لأنها منذ الوقت الذي اختيرت فيه لتكون هديا، قد أصبحت خالصة لله، وأنها منذ ذلك الوقت إلى يوم النحر في ضيافة مهديها إلى الله؛ ولهذا وجب عليه أن يكرمها، ويحسن ضيافتها، فلا يركبها، ولا يحمل عليها، ولا يعريها من أصوافها وأوبارها، ما دام قد أعدها للهدى»[١٤].

وحينما ينتهي حجيج بيت الله الحرام من أداء فريضة الحج، وقد غفر الله لهم جميع الذنوب، يتأهبون للعودة إلى ديارهم وأوطانهم، ولا تزال قلوبهم معلقة بحب مكة المكرمة، وتشتاق نفوسهم في العودة إليها مرات ومرات، فهي أحب بلاد الله إلى الله، وأحب البلاد إلى رسول الله ﷺ، وهذا الموقف يذكرنا بموقف الحبيب المصطفى حينما خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة؛ فقال: «إني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله تعالى»[١٥]؛ وبسبب هذا الحب العميق تتعلق بها القلوب، وتشتاق إليها النفوس، وتهفو إليها قلوب المسلمين من كل مكان في أرجاء الأرض؛ فيخرجون من ديارهم وأوطانهم لزيارة بيت الله الحرام إما حاجين أو معتمرين.

الهوامش

١- صحيح البخاري (١٣٤٩).
٢- صحيح البخاري (٣١٩/١).
٣- صحيح مسلم (١٣٣٧).
٤- سنن النسائي (٢٦٢٥).
٥- سنن ابن ماجه (٢٨٩٢).
٦- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٣٤٦٤).
٧- صحيح البخاري (١٨١٩).
٨- صحيح البخاري (١٥١٩).
٩- صحيح البخاري (١٧٧٣).
١٠- السنن الكبرى للنسائي (٤١٦٦).
١١- صحيح مسلم (١٣٤٨).
١٢- صحيح مسلم (١٢٩٧).
١٣- التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، (١٦٤٤/٢)، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٢٢هـ.
١٤- التفسير القرآني للقرآن، عبدالكريم يونس الخطيب، (١٠٣٠/٩)، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
١٥- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف: أبي الفتح محمد بن محمد اليعمري (ت:٧٣٤هـ).



أميرة الشناوي كيوان
باحثة تربوية





أيام إصلاح للفرد والمجتمع

لقد أكرم الله تعالى الوافدين عليه لأداء فريضة الحج بجملة من المنافع الدينية والدنيوية، فقال ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، وقد جاءت كلمة (منافع) بصيغة النكرة والجمع للتعظيم والمراد منها الكثرة، وهي المصالح الدينية والدنيوية، لأن في موسم الحج فوائد مختصة بهذه العبادة، لا توجد في غيرها من العبادات.

قال سعيد بن جبير: «من أتى هذا البيت يريد شيئًا للدنيا والآخرة أصابه»[1]، فهو منهج إلهي وضع بعناية فائقة لإصلاح الفرد والمجتمع، وفي هذا المقال إشارات سريعة لبعض جوانب الإصلاح التي تعود على الفرد والمجتمع من خلال هذه الفريضة المباركة.

إصلاح الفرد

إن الحاج منذ أن ينوي أداء هذه الفريضة يعد نفسه إعدادا نفسيا معنويا، فيحاول أن يعيد حساباته من جديد، ويصلح من نفسه ما كان فاسدا، وينتهي عما كان يقع فيه من معصية الله، ويصلح ما بينه وبين الناس، فهو يجري عملية صقل خاصة تحوله إلى إنسان جديد يليق بهذا الموقف العظيم، ويكون أهلا لرؤية بيت الله والطواف به.

فتراه يقضي ديونه ويصل أرحامه، ويسأل كل من كان يتعامل معه أن يستغفر له ويسامحه، وكأنه يستعد للقاء الله والآخرة، فلو كان هذا الحال مصاحبا لجميع الناس لما وجدت ظالما مسرفا متماديا، ولا مظلوما يستغيث في السحر يجأر إلى الله أن ينصره ممن ظلمه، ولا عاصيا ينتهك المحرمات، ولا غاصبا للممتلكات والأعراض، فلو أنصف الناس لأستراح الحاكم.

فهو منهج تربوي يفوق أي منهج يعرفه أهل الدنيا في حركة حياتهم، فتراه يتأدب حتى مع الجماد الذي يعتبر أدنى أجناس الكون، فيحرص على تقبيل الحجر الأسود ويجتهد في الوصول إليه، فإن لم يستطع أشار إليه بيده.

يتجلى هذا الإصلاح في الإخلاص لله، والحذر من الرياء والسمعة، وتطهير

النفس من أخطر الخصال الذميمة التي يبغضها الله تعالى، والتي هي سبب في الحرمان من خيرات الدنيا والآخرة، ألا وهي صفة التكبر التي تحرم صاحبها الجنة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسن، فقال «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[٢].

فيتخلص الحاج من خصلة التكبر، ويتواضع لإخوانه ويخدمهم لله تعالى، وتسمو روحه وتصفو نفسه وكأنه ولد من جديد.

ففي قوله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ (الحج:٢٨) أي ليحضروا وينتفعوا بالمنافع التي هي مستكنة في القلب، فأما النفس وصفاتها فمنافعها بتبديل الأخلاق، وأما القلب وجوارحه فمنافعهم قبول طاعاتهم، وظهور آثارها على سيماهم، ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ﴾ أي القلب والقالب شكرا على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بأن جعل الصفات البهيمية الحيوانية مبدلة بالصفات القلبية الروحانية الربانية[٣].

والحج برنامج جسماني روحاني شامل، ينشط الجسم ويسموا بالروح، ففضلا عما يعانيه الحاج من مشاق السفر في رحلته الطويلة، فهو يمارس في مناسكه أعمالا يمكن اعتبارها رياضة شاقة يتناوب فيها المشي والهرولة، سواء في طوافه بالبيت أو سعيه بين الصفا والمروة.

ويعد خبراء العلاج الطبيعي والطب الرياضي المشي من أنسب الرياضات الحركية، وخاصة لكبار السن، فقد أثبتت التجارب أن المواظبة على المشي يوميا مسافة ميلين، أو ثلث الساعة ترفع من الكفاءة البدنية، بزيادة التهوية الرئوية، وتحسين القدرة التنفسية على استهلاك الأكسجين الذي يقل مع كبر السن، وكذلك بزيادة ضربات القلب، فتقوي العضلة القلبية، وتنشط الدورة الدموية مما يزيد نسبة الهيموجلوبين في الأوعية الدموية، وهذا يساعد الشريان التاجي (الأورطي) على أداء وظيفته في تغذية القلب بكفاءة، وتزداد الفائدة فيما سبق تعداده عند ازدياد سرعة المشي إلى حد الجري، كما في الرمل والهرولة في أشواط الطواف والسعي.

وإذا كان الحج سياحة نافعة، يتعرف فيها المسلم الأماكن المقدسة، فإن الأطباء يعدونها رحلة استجمام وأمن واطمئنان وهدوء للأعصاب، فالحاج يشعر أنه في رعاية الله وعنايته، فتسكن روحه وتصفوا نفسه. والحج يرقق المشاعر مذكرا المسلم بتاريخ الدعوة لأنبياء الله من لدن إبراهيم، فيصبح بذلك دواء للقلوب المريضة، به تنتعش الآمال وتشتد العزائم، فهو بمثابة مأمن تستقر فيه النفوس والعقول الحائرة، قال تعالى ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ (البقرة:١٢٥).

وفي هذه الرحلة علاج لكثير من الأزمات النفسية، حيث يستروح فيها المحزون، ويلقي الهناء، ويجد لروحه الشفاء، فالطواف فيه ترويح واقتراب من المولى، فالمسلم وهو يطوف حول البيت يشعر أنه ليس وحيدا في هذه الدنيا وأن هناك صلة تربطه بالقوة العظمى المهيمنة على هذا الكون، فيدعو ربه ويناجيه ويفضي إليه بهمومه، فيشعر بالراحة تعم قلبه.

وبمثل هذا يعالج الطب الحديث الأزمات النفسية، إذا ينصح الأطباء النفسانيون مرضاهم بالإفضاء إليهم، أو إلى صديق مقرب بأزماتهم وما يعتلج في نفوسهم، فكيف بإفضائهم إلى رب العالمين ومدبر شؤون الكون؟

إصلاح المجتمع

ويتجلى ذلك في التعاون على البر والتقوى واكتساب الصحبة الصالحة والأخوة في الله، لأن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «المؤمن للمؤمن كاليدين، تقي إحداهما الأخرى»[٤]، فهذا المؤتمر الأكبر الذي يضم شتات المسلمين من كل فج عميق، يجتمعون في صعيد واحد، وفي أيام معلومات، يطلبون الهداية من الله، ويطهرون نفوسهم من أدران المادة والدنيا ومتاعها، ويستلهمون معاني القوة والاتحاد، والألفة والتعاون والإخاء في سبيل الله، فيعطف الغني على الفقير، ويعين القوي الضعيف، ويعتني الصحيح بالسقيم رغبة فيما عند الله من الأجر العظيم، وطمعا في اكتساب حسنات الحرم، لأن كل حسنة بمكة بمئة ألف حسنة، فقد روي عن بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج من مكة ماشيا حتى يرجع إلى مكة، كتب الله له بكل خطوة سبعمئة حسنة، كل حسنة مثل حسنات الحرم، قيل وما حسنات الحرم؟ قال بكل حسنة مئة ألف حسنة»[٥].

وقاية للأمة

لا تقوم الساعة ما دام بيت الله عامرا بأداء فريضة الحج كل عام، قال تعالى ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة:٩٧) أي يرفع عنها بسبب تعظيمها السوء، كما قال ابن عباس: «لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض»[٦]، وفي تأويل قول الله تعالى: ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ قال سعيد بن جبير: «قواما لدينهم وعصمة لهم»، وقال عطاء: ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ لو تركوه عاما لم ينظروا أن يهلكوا[٧].



وقال بعض العلماء إن حج بيت الله فرض كفاية كل سنة، فلو ترك الناس حجه أثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لـزال مـا بـه قـوامـهم وقـامت الـقـيـامـة[٨]، وروى شعبة عن قتادة قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[٩]، وقد قال رسول الله ﷺ: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[١٠].

وللجمع بين الحديثين يقال: إن البيت يحج بعد أشراط الساعة، وفيها يأجوج ومأجوج، حتى بعد هدم الكعبة يحج مكان البيت، فإذا قرب ظهور الساعة وقيامها قبضت أرواح المؤمنين والمؤمنات بالريح الطيبة، فلا يبقى إلا الكفرة، وحينئذ لا يحج البيت ثم تقوم الساعة على الكفرة[١١].

إصلاح اقتصادي

من المعلوم يقينا أن الناحية الاقتصادية تؤثر في الناحية السياسية، وتتأثر بها؛ فالاستقرار الاقتصادي في أي مجتمع دليل على الاستقرار السياسي، واستقرار الأحوال السياسية كذلك يؤثر في الجانب الاقتصادي، ولما كانت الوحدة والتعاون من المظاهر السياسية في الحج، فإن الأوضاع السياسية وكذلك الاقتصادية تتأثران بهذا المظهر، ففي الحج فرصة للتعاون الاقتصادي والتكامل التجاري، فيمكن من خلاله الاطلاع على نتائج الآخرين ومصنوعاتهم، ومزروعاتهم، مما يجعل الفرصة مؤاتية لهذا التعاون[١٢]، ويمكن أن يمتد هذا التعاون ليشمل قاعدة أكبر، وذلك لتكوين التكتل الاقتصادي الذي يحلم به الجميع (سوق إسلامية مشتركة) على غرار ما تفعله المجتمعات الأخرى.

إن لدينا الكثير من مقومات هذا السوق، أكثر من أي مجتمع آخر وأقوى هذه المقومات هو الإسلام نفسه، كما أن دراسة الأوضاع الاقتصادية للدول الإسلامية، ومد يد العون والمساعدة للدول الفقيرة من القضايا التي يمكن أن تشكل نقاط بحث ودراسة بين المسؤولين عن هذا الجانب في عالمنا الإسلامي مترامي الأطراف.

وإذا كانت الشعوب الإسلامية ذات مصير واحد، وهدف واحد، فإن جسور التعاون الاقتصادي لن تجد ما يعوقها، كذلك فإن تشابه الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي، من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية، وثقافية، تحتم هذا التعاون، الذي يخرج بها من حدود الإقليمية التي صنعها الاستعمار لتحقيق مآرب لنفسه، والإضرار في المقابل بهذه الشعوب، وجعلها تابعا اقتصاديا له بعد أن فشل في السيطرة السياسية عليها، متحكما في اقتصادياتها وقوت شعبها، فمتى أدرك المسلمون هذا التصور، باتوا يعتصمون بحبل الله جميعا، وينبذون الفرقة، ومن خلال هذا التصور أيضا يمكن تنشيط حركة الاستثمار في البلاد الإسلامية في كل بلد على حده، ثم بين بلدان العالم الإسلامي، والقضاء على معوقات هذا النشاط الحيوي[١٣].

ومن خلال رحلة الحج المباركة، يمكن التعرف على التجارب الاقتصادية للدول الإسلامية، والاستفادة منها بعد تكييف هذه التجارب مع ظروف كل مجتمع على حده.

ومن هذه التجارب التي هي أولى بالتطبيق، تجارب بعض الدول الإسلامية في النظام المصرفي، والقضاء على النظام الربوي في التعاملات المالية، وإخضاعها للشريعة الإسلامية الغراء.

فهلا استفاد المسلمون بهذه المناهج الإصلاحية للحج فسعدوا في الدنيا والآخرة؟ نسأل الله ذلك.

الهوامش

١- روح المعاني للآلوسي ٣٥/٤.
٢- رواه مسلم.
٣- تفسير روح البيان ٢٠/٦.
٤- شعب الإيمان للبيهقي ١٣٨/١٠.
٥- المستدرك للحاكم، صحيح الإسناد.
٦- تفسير بن كثير ٤١٣/١.
٧- شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٧٥/٤.
٨- تفسير السعدي ٢٢٤/١.
٩- المستدرك للحاكم، حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
١٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٧٤/٤.
١١- التعليق على كتب الحج من صحيح البخاري ٥٨/١.
١٢- مجلة المنهل السعودية عدد ٥٠٥ ذو الحجة ١٤١٣هـ، ص١٢.
١٣- رؤية إسلامية لمعرفة الاستثمار في الوطن الإسلامي، جريدة العالم الإسلامي، مكة المكرمة العدد ١٣٨١هـ.



عبدالحميد محمد الراوي
امام وخطيب

الأبعاد الإيمانية للحج

الحج مجمع العبادات ومنتهى الأركان، وهو العبادة التي تسمو بالفرد والمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال، فكل شعيرة من شعائر الإسلام منهج متكامل لتأصيل قيم الإسلام وأبعاده الحضارية؛ فالصلاة تحقق توازن الإنسان بين أبعاده الروحية والمادية، والزكاة تلائم بين أبعاده المادية والاجتماعية، وفي الصيام تحقيق رشيد لصحة الإنسان وسلامته في بدنه وروحه.

والحج، باعتباره فريضة شاملة لكل العبادات، استوعب أبعاد كل الفرائض، وتعتبر مناسكه وأجواؤه حلقة تدريبية مكثفة في فترة زمنية محدودة لتمرين الحاج على معايشة أحكام الدين، ومقاصده في شكلها العام.

فهو باعتباره فريضة روحية بدنية مالية، له شبه بالصلاة لما فيه من الوقوف والإحرام، وله شبه بالزكاة لما فيه من بذل المال، وله شبه بالصوم لما فيه من الكف عن محظورات الإحرام.

لذلك كانت المنافع التي شرعها الله وأباحها لعباده في الحج جامعة، تشمل المنافع الروحية والمادية، والاجتماعية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والتربوية. وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٨)، فجاء اللفظ نكرة ليدل على كثرة المنافع وتجددها وتنوعها، ومن أبرزها تغذية الروح وتزكية النفس وتقويم السلوك.

دعوة ربانية لحياة جديدة

الحج فرصة للتغيير والاستقامة، وتجديد الحياة والتعلق بالأمل، وهو بذلك دعوة ربانية لحياة جديدة، فبه يغفر الله الذنوب ويزيل الخطايا، قال ﷺ: «حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن» (رواه الطبراني)؛ فالحج يجدد حياة المسلم، ويرفع من معنوياته، ويقوي أمله في الحياة، ويدعم حسن الظن بالله، ويغرس في النفس معنى العبودية الكاملة، وهو بهذه الأخلاق والآداب القائمة على أساس الوسطية والاعتدال، ساهم إلى حد كبير في إرشاد العالم إلى الفضائل وتثبيت القيم، وتشييد الحضارة العالمية الخالدة على أساس الفضائل والقيم، فكان للإسلام فضل لا ينكر في تاريخ الإنسانية وفي تقدم الحضارة العالمية في نواحيها الروحية والمادية.

سلوك حضاري

التوازن والاعتدال بين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة.. توجيه رباني دعا إليه الدين الحنيف ليصلح ما أفسدته الأمم السابقة في خصوص هذه العلاقات؛ فالقرآن الكريم يدعونا إلى إقامة التوازن العادل بين مطالب الروح ومقتضيات التركيب الجسماني، ويدعونا إلى عبادة الله وحده؛ هذه العبادة التي تفتح الأمل وتوسع على الناس الحياة وتطلق النفس من قيودها المادية.

والحج بأحكامه وأبعاده منهج متكامل، إذا وعاه الحاج أدرك مدى حرص الإسلام على صياغة حياة الإنسان على أساس من التوازن والاعتدال، ونبذ أشكال الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط والتشدد، فهو دورة تدريبية تقام في أفضل زمان وأقدس مكان وأطهر بقعة على وجه الأرض لتأسيس الوسطية باعتبارها أساس الدين والدنيا.

فعبادة الحج تجعل الإنسان قريبا من ربه محبوبا عنده، ينعم بالسعادة النفسية والطمأنينة، وتجعل الفرد سيد المادة لا عبدا لها، حرا طليقا لا أسيرا لشهواته وأهوائه، يستمتع بالحياة من غير إسراف، ويحيا حياة الاتزان، ويسلك سلوكا يدل على اتزانه العاطفي والعقلي في جميع مجالات الحياة، إذ إن الغرض من العبادة هو سلامة المؤمن المتزن في عقله وسلوكه، فعندما يختل ميزان الاعتدال تتفلت الشهوات من الرقابة الروحية، ولو لم يكن للعبادة أثر في أخلاق الإنسان وتوازن طاقاته وصحته النفسية لكان ذلك دليلا على أنها شكل بلا روح، لا سلطان لها على القلب أو الإرادة التي تحرك الأعضاء والأعمال، قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (رواه أحمد)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ (البقرة:٢٠٠-٢٠١)؛ فبينت الآيات أن الهدف من تشريع شعيرة الحج، هو تذكير المسلمين بحقيقة التوازن والاعتدال في العبادة والحياة العامة، وبينت لنا صورة واضحة لصنفين من الناس، الصنف الأول: طالب دنيا ضيق الأفق كل همه الدنيا، فلا يلتفت إلا إليها ولا يحرص إلا عليها، هذا النوع توعده الله بالخسران حين قال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء:١٨).

والصنف الثاني: رحب الأفق، طالب دنيا وآخرة دعاؤه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة:٢٠١)، هذا النوع ملتزم بمنهج الله الوسطي الذي يقول: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص:٧٧).

وفي السياق نفسه يحدثنا القرآن عن مظهر من مظاهر اللاتوازن واللااعتدال، يميل صاحبه إلى الإفراط حينا والتفريط حينا آخر، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج:١١).

ففي الصورة الأولى مطلب مشروع قائم على نظرة تعادلية لمطالب النفس والروح، ويحرص الحج على تأصيل هذه الحقيقة بين الحجيج، وفي الصورة الثانية انحراف وخروج عن الجادة والاستقامة، ووقوع رذيلتي الإفراط والتفريط.

رحلة للتغيير

الحج هو أفضل سبيل لمجاهدة النفس وترويضها على الطاعة وحب الآخرين، وضرورة التعايش معهم، فالنفس تأمر صاحبها بالسوء والتعلق بالدنيا، وتزرع فيه الأنانية وحب الذات دون مشاركة الآخرين في آلامهم وآمالهم، والحاج في هذه البقاع الطاهرة يقاوم كل هذه النزعات الشريرة، ويتمسك بكل فضيلة، ويسعى إلى داعي الحق والخير، فيقبل على الله برغبة منه، متشوقا لما عنده من الأجر العظيم، فيتدرب على خشونة

الحياة ليحقق انتصارا على النفس، وعلى ماديات الحياة ومتعها، فالحج بهذا المعنى يلتقي مع سائر العبادات الأخرى، ليقاوم ما في الإنسان من أمراض نفسية كالأنانية وحب الذات والشح، ليستعيض عنها بمحامد الصفات كالبذل والمحبة والتواضع والإيثار لترتقي النفس وتسمو عن الشهوات وحب الدنيا.

فالحج تدريب عملي على الحياة الفاضلة التي يريدها الإسلام، حياة الاستقامة والمنهج السوي، لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا تشدد ولا تسيب، فالحاج يلتزم بحسن الخلق اعتبارا لحرمة الزمان والمكان، يجاهد نفسه عن البعد عن كل ما يسخط الله، ويحرص على توطين نفسه على تجنب الرذائل والتعلق بالفضائل، يهجر الرفث والفسوق والجدال وكل ما فيه إيذاء لإخوانه، امتثالا لقول الله سبحانه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ (البقرة:١٩٧).

فعلى الحاج أن يتذكر وهو يؤدي طاعة الله الإقلاع عن المعاصي، ويبادر إلى الأعمال الصالحة ويلتزم بحسن الأخلاق، قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري).

رحلة سلام ومحبة

من فوائد الحج بناء النفس المسلمة على الموازنة بين الذاتية والجماعية، فالحج يساهم بأحكامه في إشاعة المساواة بين الناس جميعا بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم وأنسابهم، ويجمع شمل المؤمنين ويؤلف بين قلوبهم، ويحقق فيها التعارف على البر والتقوى، ويوفر الإخاء والمحبة والوئام والسلام، ويربط الإنسان بأمته، يعرف أنه ضعيف بذاته قوي بغيره، فيساهم ضمن المجموعة التي ينتمي إليها في بناء وطنه والإقبال على العلم والعمل.

فالحج مؤتمر عام لتعارف المسلمين على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وتباعد أوطانهم وتوحيد غاياتهم وتوجيههم إلى مصادر الحياة الصحيحة، بما يقتبسه بعضهم من ثقافات البعض الآخر، ويبعث فرص تبادل المنافع الاقتصادية فيما بينهم.

الحج أمن وأمان

عندما يأتي شهر ذي الحجة يحمل معه ذكريات مجيدة تتعلق بتاريخ الإنسانية وصلتها بالله عزوجل، فهو يذكر بالبيت الذي وضع للناس مباركا وهدى للعالمين، ويذكر بموطن الرسالة الأولى للبشرية من قبل الله عزوجل، وهي رسالة الهدى وتوضيح الطريق الحق، من هذا البيت كانت بداية التوحيد والهداية، إنه المكان الذي اختاره الله ليكون مسجدا يتقرب فيه المتقربون، ويتعبد فيه المتعبدون، سماه الحرام، لأنه يحرم فيه ما لا يحرم في غيره، فيه يضاعف الأجر.

ومن الأدب أن يقول المحرم عند رؤيته للبيت الحرام «اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام. اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما ومهابة، وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا» (رواه البيهقي)، فمن دخله كان آمنا، ومن أفزع مؤمنا أو خوفه فيه فهو آثم إثما عظيما، لذا يحرم حمل السلاح فيه، لقول رسول الله: «لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح» (رواه مسلم)، والغاية المقصودة من ذلك تعويد المسلمين على الأمن كقيمة حضارية، والعمل على إشاعته بين الناس، وغرس حب السلم والسلام فيهم، وتحريم الظلم والاعتداء مهما كان نوعه، والمحافظة على الطبيعة بأشجارها وحيواناتها وسائر مكوناتها؛ فالمسلم صديق للبيئة محب لجميع الكائنات عاشق لجمالها ملتزم بقوانينها، كأن الحج تذكير سنوي بأهمية المصالحة معها، ليحيا الإنسان حياة الاتزان، ويسعد بالتنعم بخيراتها.

البعد النفسي

ويتجلى في الإخلاص لله والبعد عن الرياء والسمعة، وتطهير النفس من أخطر الصفات الذميمة التي يبغضها الله تعالى، والتي هي سبب في الحرمان من خيرات الدنيا والآخرة، ألا وهي صفة التكبر التي تحرم صاحبها من الجنة، فعن عبدالله بن مسعود عن رسول الله قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (رواه مسلم)؛ فيتخلص الحاج من خصلة التكبر، ويتواضع لإخوانه ويخدمهم لله، وتسمو روحه وتصفو نفسه وكأنه ولد من جديد.

جاء في تفسير روح البيان ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٨)، أي ليحضروا وينتفعوا بالمنافع التي هي مستكنة في القلب، فأما النفس وصفاتها فمنافعها بتبديل الأخلاق، وأما القلب وجوارحه فمنافعها قبول طاعتهم وظهور آثارها على سيماهم، ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ (الحج:٢٨)، أي القلب والنفس والقالب شكرا على ما رزقهم من بهيمة الأنعام بأن جعل الصفات البهيمية الحيوانية مبدلة بالصفات القلبية الروحانية الربانية[١].

هذا غيض من فيض من الأبعاد الإيمانية في فريضة الحج التي لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، قال سعيد بن جبير: «من أتى هذا البيت يريد شيئا للدنيا والآخرة أصابه»[٢].

الهوامش

١- تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، ٦/٢٠.
٢- روح المعاني للألوسي، ٤/٣٥.



د. منصور محمد يوسف
كاتب وباحث اكاديمي

خطبة الوداع وحقوق الإنسان

كانت خطبة الوداع لقاء وداع بين رسول الله ﷺ وأمته، حيث لخص فيها مقاصد الإسلام في كلمات جامعة، وأرسى قواعد السلم والسلام، وأسس فيها لمبادئ الرحمة والإنسانية وحقوق الإنسان.

وإن كان البعض يتغنى بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في العاشر من شهر ديسمبر ١٩٤٨م -باعتباره أول إعلان يصدر عن هيئة عالمية- فإن هذا يعد مغالطة صريحة؛ لأن المتأمل في خطبة الوداع التي ألقاها رسول الإسلام والبشرية جمعاء والمعلم الأول سيدنا محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا يجدها بمثابة الإعلان العالمي الأول لحقوق الإنسان.

نص خطبة الوداع

اتفق العلماء على أن النبي ﷺ لم يحج بعد هجرته إلى المدينة سوى حجة واحدة هي حجة الوداع، حيث خرج يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة سنة عشر نهارا، بعد أن صلى الظهر بالمدينة، وصلى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة، وبات بها ليلة الجمعة[١]، واستعمل على المدينة أبا دجانة بن حرشة الساعدي رضي الله عنه، ويقال: سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه[٢].

وتسمى هذه الحجة[٣]: حجة الوداع، وتسمى أيضا: حجة الإسلام، وحجة البلاغ؛ وسبب تسميتها بحجة الوداع؛ لأن النبي ﷺ ودع الناس ولم يحج بعدها، وسبب تسميتها بحجة الإسلام؛ لأنه ﷺ لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها، وسبب تسميتها بحجة البلاغ؛ لأنه ﷺ بلغ الناس شرع الله قولا وفعلا، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه ﷺ؛ فلما بين لهم شريعة الحج، ووضحه وشرحه أنزل الله عزوجل عليه وهو واقف بعرفة، قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ (المائدة:٣).

وقد روى حجة الوداع عن النبي ﷺ سيدنا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما في صحيح مسلم[٤]، قال الإمام النووي: «هو أحسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع، فإنه ذكرها من حين خروج النبي ﷺ من المدينة إلى آخرها، فهو أضبط لها من غيره»[٥].

وقال أيضا: «وهو حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد، وهو من أفراد مسلم لم يروه البخاري في صحيحه، ورواه أبو داود[٦] كرواية مسلم، قال القاضي وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءا كبيرا، وخرج فيه من الفقه مئة ونيفا وخمسين نوعا، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه»[٧]، وقال عن هذه الخطبة الحافظ ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه لسان الميزان: «وقد بلغت التواتر»[٨].

وقد روى هذا الحديث عن سيدنا جابر بن عبدالله سبعة من ثقات



أصحابه الأكابر[٩].

١- محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب أبو جعفر الباقر (وهي التي سأعتمد نصها في هذا المقال).

٢- أبو الزبير بن محمد بن مسلم المكي.

٣- عطاء بن أبي رباح المكي.

٤- مجاهد بن جبر المكي.

٥- محمد بن المنكدر المدني.

٦- أبو صالح ذكوان السمان المدني.

٧- أبو سفيان طلحة بن نافع الواسطي نزيل مكة.

وهذا نص رواية مسلم في صحيحه: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم بن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب؛ فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد». ثلاث مرات.

وعند ابن هشام في السيرة النبوية زيادة: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه: تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم»[١٠].

مبادئ إنسانية

١- حق الإنسان في الأمن على دمه وماله وعرضه

جعل الإسلام حرمة الدم والمال والعرض من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، بل من الضرورات الخمس، قال الشاطبي: «فقد اتفقت الأمة -بل سائر الملل- على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس -وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل- وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين، ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد»[١١].

وقد توعد القرآن الكريم من يعتدي على النفس البشرية بأشد الوعيد فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣). قال ابن كثير[١٢]: «وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾(الفرقان:٦٨)، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي





﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١).

والأحاديث في تحريم القتل وانتهاك حرمة المسلم كثيرة جدا؛ فمن ذلك: ما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء»[١٣].

وفي حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»[١٤].

ومن حديث أبي سعيد الخدري و أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»[١٥].

وذلك ما أعلنه رسول الله ﷺ في مطلع خطبته: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

٢- حق الإنسان في أن تقوم حياته على العدل

لقد قامت السماوات والأرض على العدل، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، ولم يرسل الله الرسل، أو ينزل الكتب إلا من أجله، فقال تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥)، وقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ (النحل:٩٠).

وشدد الله سبحانه على أن تكون معاملة اليتامى في أموالهم بالقسط، فقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ (الأنعام:١٥٢)، وقال: ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ (النساء:١٢٧).

وأمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يحكم بالقسط بين أهل الكتاب، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة:٤٢)، وقال مخاطبا عامة المؤمنين: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ (النساء:٥٨).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل...» الحديث[١٦]. وكما أمر الله تعالى بالعدل في كل شأن من شؤون الحياة، فقد حرم سبحانه الظلم بكل صوره، وبالغ الله سبحانه فحرمه على نفسه، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...» الحديث[١٧].

وذلك ما أعلنه رسول الله ﷺ في خطبته، حيث حذر من كل صور الظلم، وكل أمور الجاهلية فقال: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم بن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب؛ فإنه موضوع كله».

٣- حق الرجل على المرأة وحق المرأة على الرجل

ترسي العلاقة بين الرجل والمرأة القواعد لبناء المجتمع المسلم، فهي اللبنة الأولى فيه، فإذا كانت قائمة على التقوى والصلاح صلح المجتمع

بأكمله، وقد بين لنا الله تعالى دستور العلاقة بين الزوجين أجمل بيان وأكمله فقال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).

قال الإمام القرطبي: «أي: لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن؛ ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها علي، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ أي: زينة من غير مأثم. وعنه أيضا: أي: لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن»[١٨].

وذلك ما أعلنه رسول الله ﷺ في خطبته، فقال:«فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

٤- حق المسلم في أن يحكم بقانون الإسلام

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون دستورا للمسلمين، وسماه بأسماء كثيرة، منها: الروح قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ (الشورى:٥٢)، قال البيضاوي: «يعني ما أوحي إليه وسماه روحا؛ لأن القلوب تحيا به، وقيل: جبريل، والمعنى: أرسلناه إليك بالوحي ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: قبل الوحي... ﴿ولكن جعلناه﴾ أي: الروح أو الكتاب أو الإيمان ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام»[٢٠].

وما شقي المسلمون هذه الأيام إلا بعدم اعتصامهم وتمسكهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهو ما قاله ﷺ في خطبته الكريمة: « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، إن اعتصمتم به؛ كتاب الله»، وعدم الاعتصام بهذين الأصلين يؤدى حتما إلى ضلال، كما يفهم بالمخالفة من قوله ﷺ: «لن تضلوا بعدى أبدا».

٥- حق المسلم على أخيه المسلم

لقد أعلن رسول الله ﷺ هذا الحق في خطبته، فقال: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه: تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم».

فرسول الله ﷺ يوضح لنا أن الرابطة التي كونت هذه الأخوة هي الإسلام والإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠) قال البيضاوي: «من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان»[٢١]، وقال الخازن: «أي: في الدين والولاية، ذلك أن الإيمان وقد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق، وإن بينهم ما بين الإخوة من النسب والإسلام لهم كالأب»[٢٢]، إذن فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان بدون أخوة.

ولا يكون هذه الرابطة سوى الإيمان بالله تعالى، ولو جمعت كل أموال الدنيا لما استطعت تكوينها من دونه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣).

فلو قويت الرابطة الإيمانية في المجتمعات الإسلامية فلن نجد في هذا المجتمع حسدا وحقدا بين المسلمين؛ لأن هذه الرابطة تحول بين المسلم وبين ذلك.

الهوامش

١- ينظر حجة الوداع لابن حزم ص١١٥.
٢- البداية والنهاية لابن كثير ١٢٧/٥.
٣- المصدر السابق ١٢٥/٥.
٤- صحيح مسلم ٨٨٦/٢، ح (١٢١٨) باب حجة النبي ﷺ، كتاب الحج.
٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٣٥/٨.
٦- سنن أبي داود ١٢٢/٢ح (١٩٠٧) كتاب الحج، باب صفة حجة النبي ﷺ.
٧- المصدر السابق ١٧٠/٨.
٨- لسان الميزان ١٩٠/١.
٩- ينظر باقي الروايات في كتاب حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص٣٧-٤١.
١٠- السيرة النبوية ١٤١/٤.
١١- الموافقات٣١/١.
١٢- تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/٢.
١٣- صحيح البخاري ٩/٢ (٦٨٦٤)، وصحيح مسلم ١٣٠٤،/٣ ح (١٦٧٨).
١٤- سنن النسائي الصغرى (المجتبى) ٨٢/٧ (٣٩٨٧) كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم.
١٥- سنن الترمذي ١٧/٤(١٣٩٨) أبواب الديات عن رسول الله ﷺ، باب الحكم في الدماء.
١٦- صحيح البخاري ١٣٣/١ (٦٦٠) كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، وصحيح مسلم ٧١٥/٢ (١٠٣١) كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.
١٧- صحيح مسلم ١٩٩٤/٢ح (١٩٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.
١٨- الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٣.
١٩- تفسير ابن كثير ٦١٠/١.
٢٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ٨٥/٥.
٢١- تفسير البيضاوي ٢١٦/١.
٢٢- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٢٢٤/٦.



علاء الدين حسن
كاتب وباحث اكاديمي

من فوق جبل عرفات

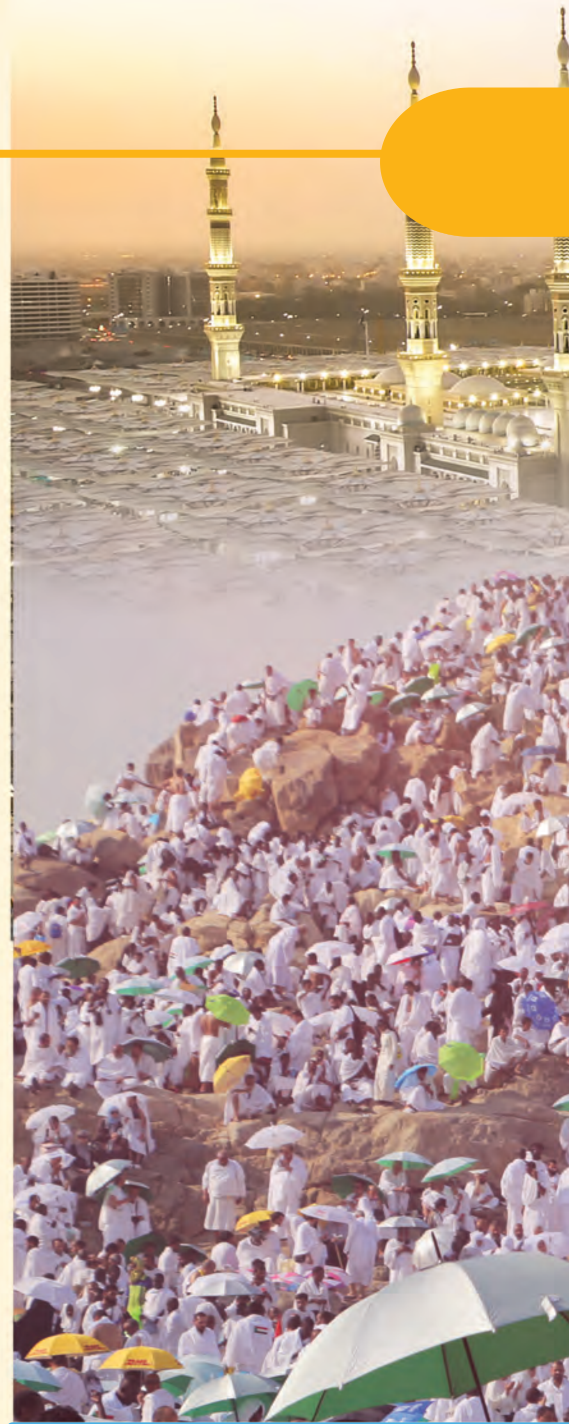
ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم لو علينا نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال عمر: «أي آية؟». قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣). قال عمر: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ في يوم عرفة»[١].

في ذلك اليوم المشهود نظر النبي ﷺ إلى الألوف المؤلفة، وقد شرح الله صدورهم انقيادا للحق، وعزم على أن يعزز في قلوبهم لباب التقوى[٢].

في يوم عرفة، خطب رسول الله ﷺ منذ أربعة عشر قرنا في حجة الوداع، خطبة لم يعرف التاريخ لها أي مثيل، ولم ينطق أحد بأفصح منها ولا أروع ولا أبلغ.. إنها تعد بحق جامعة لأصول المبادئ والقيم والمثل الإنسانية الرائدة، مما جعلها بمنزلة الإعلان الأول لحقوق الإنسان.

لقد ألقى عليه الصلاة والسلام خطبته الجامعة على أولئك الذين التقوا حوله خاشعين، وقد بلغوا أكثر من مئة ألف، طالما تربصوا به قبل ذلك متآمرين.

وأنصتت الدنيا برمتها لتسمع مقالته؛ أنصت الحجر وأنصت الشجر[٣]، فكانت هذه الخطبة خطبة محكمة تعلم منها الجاهل، وتنبه إليها الغافل، وتقوى بها الضعيف[٤].



ومما قاله ﷺ: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»[٥].

مبادئ خالدة لحقوق الإنسان، لا يبلغها منهج وضعي، ولا قانون بشري.. مبادئ خالدة تحترم حق الحياة، تحترم الحياة الصالحة، لا حياة الفجور والفتنة، ولا حياة الظلم والعدوان.. مبادئ خالدة ترعى حق الإنسان في حفظ حياته لتكون حياة كريمة، يحوطها الأمن والاستقرار والاطمئنان.

مبادئ تبني العلاقات الكريمة بين الناس بروابط إيمانية، روى البخاري أن رجلا حد مرارا في شرب الخمر، فأتي به يوما، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله»[٦].

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان وتكريمه حال حياته؛ بل كفل له الاحترام والتكريم بعد مماته.. روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»[٧].

وفي خطبة الوداع: «من كانت عنده أمانة؛ فليؤدها إلى من ائتمنه عليها».

ورسول الله ﷺ قد حمله ربه أمانة التبليغ، وأمته من بعده تحمل هذه الأمانة؛ فواجب على كل إنسان من أمته مواصلة المسيرة؛ لكمالها؛ ولأنها خاتم الرسالات.. وتأتي الأمانة في كثير من الأوامر الشرعية، تأتي مقترنة بالإيمان، فهما متلازمان، وما ذلك إلا لأن صفة الأمانة لا تستقر إلا في سويداء القلوب المؤمنة المطمئنة، المستنيرة بنور القرآن الكريم.

حرمة الدماء

ومما قاله ﷺ في خطبة الوداع: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»[٨].

لقد كانت الدماء في الجاهلية رخيصة، وكانت النفس الإنسانية هينة، فجاء الإسلام ليغير هذه المبادئ، وليضع للحياة أسسا تحترم النفس الإنسانية، وتجعل قتلها من دون مبرر جريمة في حق البشرية، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

ونظرا لحرمة الدماء عند الله جل وعلا، فإن أول ما يقضى فيه يوم القيامة هو الدماء..

وجاء التأكيد على عدم قهر الإنسان أو تعذيبه، حتى ولو كان من المشركين. قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة:٦).

عدل وتراحم

ولقد كانت العصبيات قبل البعثة عميقة الجذور، قوية البنيان، فاستطاع رسول الله ﷺ أن يجتث التمييز العنصري بكل صوره وأشكاله، فقال ﷺ: «كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر، فضل إلا بالتقوى»[٩].

وهنا مكمن العدل في المساواة.. ومن مجالات العدل: العدل مع اليتامى بالمحافظة على أموالهم، وعدل الإنسان مع نفسه بعدم تعريضها للهلاك، وعدم تعدي حدود الله، وعدل الإنسان مع أسرته وبين رعيته؛ فللابن حقوق، وللبنت حقوق، وللقريب حقوق، وكل ذلك بعيدا عن العصبية المقيتة، وقد قال ﷺ عن العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة»[١٠].

وفي خطبة الوداع دعوة إلى حفظ

الأموال، والإسلام أمر الناس بأن يكونوا متراحمين، فحض الغني على أن يقرض الفقير لينال الجزاء الأوفى، وفي الوقت نفسه دعا الفقير إلى حسن الأداء، وأن تكون نيته عند الاقتراض نية من يعزم على الوفاء.

وفي خطبة الوداع أيضا قال ﷺ: «وأول ربا أضع ربا عباس بن عبدالمطلب؛ فإنه موضوع كله»[11].

وذلك لكثرة مفاسد الربا؛ فهو يفسد ضمير الفرد، ويفسد حياة الإنسانية بما يشيع من الطمع والشره والأنانية، ويميت روح الجماعة، ويسبب العداوة، ويزرع الأحقاد في النفوس.. والنظام الربوي مسؤول عن كثير من الأزمات المالية والاقتصادية التي عمت الأفراد والجماعات والدول.

والإسلام شدد في تحريم الربا؛ مراعاة لمصلحة البشرية في أخلاقها واجتماعها واقتصادها؛ فالاعتماد على الربا يمنع الناس عن العمل، ويؤدي إلى انقطاع المعروف، ويوقد نار الصراع بين أبناء المجتمع.

وفي خطبة الوداع يقول ﷺ: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله»[12].

ولقد حفظ الدين الحنيف للمرأة حقوقها، وكرمها؛ أما وزوجة وبنتا.. أعطاها حق الإرث، وحق العلم، سوى بينها وبين الرجل في الأجر والثواب والتكاليف.

ونحن اليوم في عصر الكمبيوتر والإنترنت، وقد صار المطلوب من المرأة أن تكون على قدر من العلم بهذه الأمور، حتى تميز بين مضارها وفوائدها، وتعبر بأبنائها إلى بر الأمان.

وأعلن ﷺ حقوق العباد بين بعضهم وبعض فقال: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت»؟.

فقرر ﷺ أن الرابطة التي كونت هذه الأخوة هي الإسلام والإيمان، فالمؤمنون إنما هم إخوة كما قال القرآن، فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان من دون أخوة.

مبدأ مهم

والمبدأ المهم أيضا في خطبة الوداع، تمثل في وصيته عليه الصلاة والسلام لأمته، ألا وهي: التمسك بكتاب ربها والاعتصام به، لأنه سبيل العزة والنجاح: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله».

صدقت يا رسول الله لقد ضمنت لأمتك الأمان من كل شقاء وضلال إذا هي تمسكت بهدي هذا الكتاب المبين.

ولقد حفظ الناس عن النبي ﷺ كل كلمة نطق بها، وكل حركة سار لأجلها؛ ليكون ذلك كله هديا للعالمين[13].

وكم هي البشرية اليوم بحاجة ماسة، بعد أن وصلت إلى ما وصلت إليه، إلى مراجعة نفسها، وتدارك أمرها، والاهتداء بهدي من أرسله الله رحمة للعالمين.

وأختم بما قاله الكاتب البريطاني هربرت جورج عن خطبة الوداع إذ قال: «حج محمد ﷺ حجة الوداع قبل وفاته بعام، وعند ذاك ألقى موعظة عظيمة.. إن أول فقرة فيها تجرف أمامها كل الذي بين المسلمين من نهب وسلب ودماء، وتجعل الفقرة الأخيرة منها الزنجي المؤمن عدلا للخليفة.. إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ؛ بنت جماعة إنسانية بعيدة عن الظلم الاجتماعي»[14].

الهوامش

١- البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

٢- انظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الكتب، مصر، ط١، ١٤٠٢هـ، ص:٤٧٤.

٣- انظر فقه السيرة، د. سعيد رمضان، دار الفكر، ط١٠، ١٩٩١م، ص:٤٧٩.

٤- السيرة النبوية، الندوي، دار ابن كثير- دمشق، ١٤٢٠هـ، ص:٥١٣.

٥- أخرجه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة ١٦٧٩.

٦- أخرجه البخاري في الحدود (٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٧- أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

٨- أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

٩- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٠٠)، والبيهقي في الشعب (٤/٢٨٩).

١٠- أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر (٢٥٨٤).

١١- أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

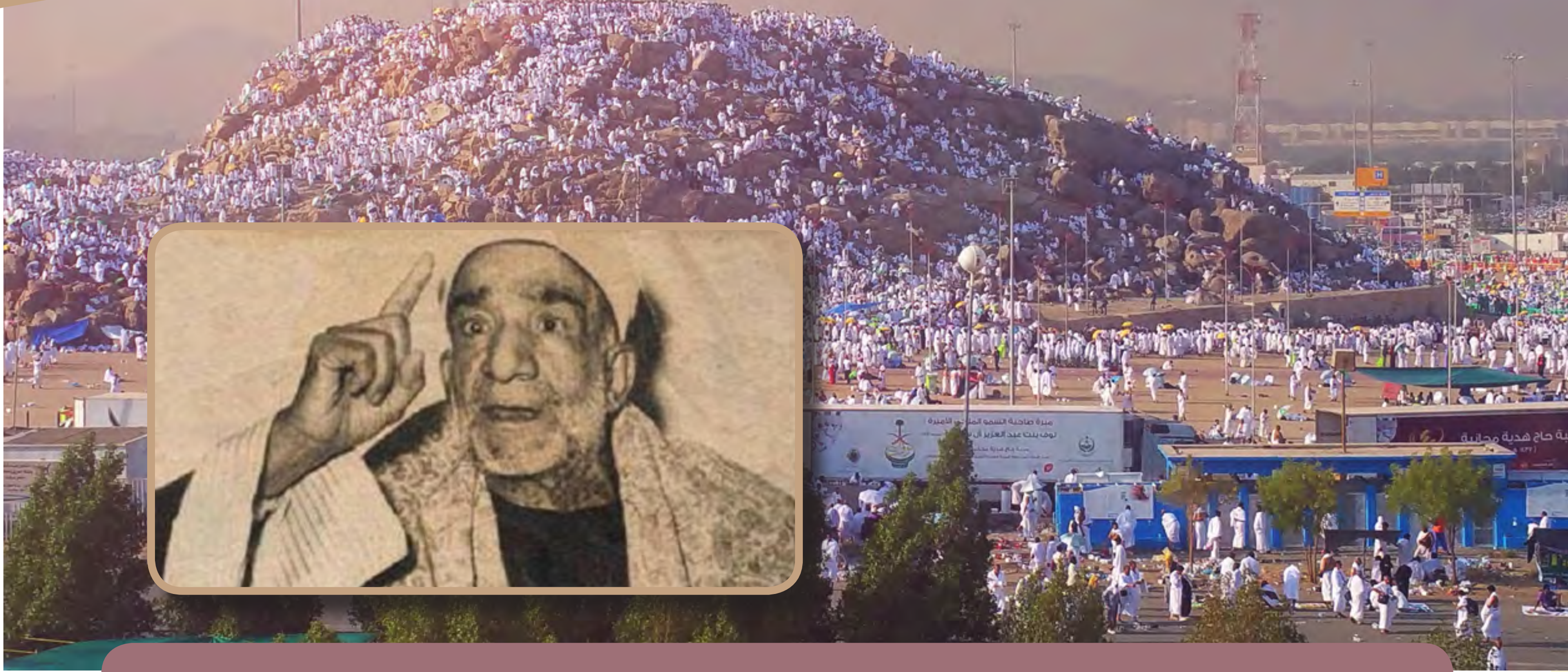
١٢- أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨).

١٣- سيرة رسول الله، محمد حبش، ص:٤، ١٩٩٥م، ص:٣١٥.

١٤- معالم تاريخ الإنسانية، ولز، ٣/٦٤٠.



د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي



رؤى الإمام «محمود شلتوت»

يعد الشيخ الإمام محمود شلتوت، رحمه الله، من أعلام المسلمين المعاصرين، ومن فقهاء هذه الأمة المنافحين عن الإسلام؛ عقيدة وشريعة ومنهاجا، وممن وقفوا بصلابة أمام تيارات الغزو الفكري والثقافي التي عملت على إبعاد الإسلام وشريعته عن حركة المجتمع.

ولد في محافظة البحيرة، وتحديدا في بلدة بني منصور، التابعة إداريا لمركز إيتاي البارود، سنة ١٨٩٣م؛ أتم حفظ القرآن الكريم في صباه المبكر، ثم تدرج بعد ذلك في مراحل التحصيل العلمي ضمن المعاهد الأزهرية، وبعد نيله الشهادة العالمية وتخرجه في الأزهر سنة ١٩١٨م، عين مدرسا في معهد الإسكندرية الديني، كما اشتغل فترة من حياته بالمحاماة، لكنه لم يستمر في ذلك طويلا، حيث عاد مرة أخرى إلى الأزهر الشريف. كان عضوا في هيئات علمية كثيرة، منها جماعة كبار العلماء، ومجمع اللغة العربية؛ وهو أول من حمل لقب «الإمام الأكبر» عندما أصبح الشيخ الثالث والأربعين للأزهر سنة ١٩٥٨م. توفي إلى رحمة الله ليلة الجمعة ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٣م. ترك أعمالا ومؤلفات جليلة، أشهرها: يسألونك (مجموعة فتاوى) - فقه القرآن والسنة - الإسلام عقيدة وشريعة - من توجيهات الإسلام - مقارنة المذاهب - الإسلام والوجود الدولي - عنصر الخلود في الإسلام - القرآن والمرأة - تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام - إلى القرآن الكريم - تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى).. إلخ[1].

وفي هذا المقال نحاول إعادة قراءة بعض أفكار الشيخ شلتوت ورؤاه وتصوراته، المتصلة بالحج، بوصفه ركنا من أركان الإسلام الحنيف، ومؤتمرا عالميا للاحتفاء بالتوحيد الذي ركز دعائمه الرهط الكريم من رسل الله وأنبيائه وأصفيائه من خلقه.

ولم يؤلف الشيخ شلتوت كتابا مستقلا عن الركن الخامس في الإسلام، بيد أن من يعود إلى مؤلفاته وتراثه العلمي والفقهي الغزير ومقالاته في المجلات الإسلامية، يجد له كتابات كثيرة متنوعة عن الحج وشؤونه الكثيرة، سواء تلك المتعلقة بأحكامه الشرعية، أو الشؤون المستجدة في سيرورته. وهو يؤكد على أن الحج في شريعة الإسلام له من الخصائص والمزايا والنفحات ما لا يتوافر لأي شعيرة أو عبادة أخرى، وهو في الجملة: «عبادة تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله، وليس ذلك لغيرها من العبادات. يقوم بها المستطيع من المسلمين في زمن معلوم، وأمكنة معلومة؛ امتثالا لأمر الله، وابتغاء مرضاته. وتبتدئ تلك العبادة بنية الحج خالصا لله، مع التجرد من الثياب المخيطة، ومن صنوف الزينة والترف، وتنتهي بالطواف حول بيت الله الحرام»[٢].

ويرى الإمام شلتوت أن الحج إذا اقتصرنا فيه على معنى زيارة أمكنة مخصوصة، فإنه يعد من صور العبادات القديمة، فقد عرفه قدماء المصريين، وعرفه قدماء اليونانيين، وعرفه اليابانيون والهنود وغيرهم، لكنه في الإسلام له ميزات وخصائص عظيمة مرتبطة أشد الارتباط بعقيدة التوحيد، ولذلك ارتفع به الإسلام وجعله ركنا من أركانه؛ وأولى تلك الميزات المنيرة المقررة في الحج أنه إحياء وبعث لذكريات أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي نشر التوحيد الخالص ورسخه في الأفئدة والأرواح، وبذل وسعه في سبيل إبقاء الناس على الفطرة السليمة؛ وقد سجل القرآن لنا هذه الصفحة التاريخية الناصعة، كما نقرأ مثلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧) وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٦-٢٧).

ولقد جاء رسول الله محمد ﷺ مجددا لدعوة إبراهيم الخليل، مثبتا للتوحيد الخالص والوفاء لمسار الكوكبة المنيرة من أنبياء الله ورسله، لأن الدين عند الله الإسلام، وقد وضح القرآن الكريم ذلك ببيانه المشرق المعجز، ونحن نجد ذلك في مواضع كثيرة منه، كما في قوله جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:١٦١) وقوله أيضا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:٧٨)، وقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (البقرة:١٣٠).

قصة الحج الأول

ونظرا لكون التوحيد هو أساس الدين وقاعدته المثلى الراسخة، فإن الشيخ الإمام شلتوت يأتي برأي يفسر به حادثة تاريخية في السيرة النبوية، هذا الرأي يتعلق بدواعي عدم خروج النبي ﷺ في السنة التاسعة مع المسلمين المتوجهين إلى مكة للحج، لأنه ﷺ كان يتطلع إلى أن تختفي جميع مظاهر الشرك في الأرض الطاهرة منزل الوحي، حيث يذهب الشيخ شلتوت إلى أن المسلمين عند التمكن من فتح مكة في السنة الثامنة، أبرموا «معاهدة الفتح» التي أباحت مؤقتا للمشركين دخول المسجد الحرام والطواف حول الكعبة (وفق منهجهم)، ولذلك عندما أقبل موسم الحج في السنة التاسعة من الهجرة الشريفة، تهيأ جمع من المسلمين -برح بهم الشوق إلى حج بيت الله الحرام- إلى مغادرة المدينة -مأرز الإيمان- والتوجه إلى مكة، وقد أقر رسول الله ﷺ شوقهم إلى منزل الوحي، فجعل أبا بكر الصديق ﷺ أميرا على وفد الحج، لكن الله عز وجل، رحيم بنبيه، فما أن خرج الوفد المسلم متجها إلى مكة المكرمة، حتى أنزل الله على رسوله أوائل سورة التوبة، التي وضعت حدا نهائيا للمفاصلة بين عبادة الحج وفق منهج الإسلام، وطقوس الحج وفق منهج الشرك. ولم يؤجل النبي ﷺ إعلان ذلك للناس، حيث أرسل ابن عمه عليا بن أبي طالب رضي الله عنه يتعقب خطى وفد الحج، من أجل تبليغ ما نزل من وحي كريم، وبيان ذلك بأفضل صورة

يوم الحج الأكبر. وفي اليوم الثامن من ذي الحجة من السنة التاسعة، خطب أبو بكر الصديق خطابا عاما جامعا للناس كافة، بعد أن أبلغه علي مضمون رسالة رسول الله ﷺ، فقال من جملة ما قال: «أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم. فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم أوائل سورة التوبة، ثم قال: أمرت بتبليغ أربع: لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته»[٣].

والشيخ شلتوت يصوغ هذه النتيجة الحاسمة، التي انتصر فيها التوحيد، بعبارات قوية، توضح للقارئ المسلم أن التوحيد الخالص في الجزيرة العربية قد احتوش وأحاط بالحج الأول للمسلمين، ولم يتأجل الحسم إلى السنة العاشرة التي حج فيها رسول الله ﷺ، حيث يقول: «وبهذا التبليغ أعلنت كلمة التوحيد النهائية في أول حج جماعي للمسلمين، وتمت التصفية بين الشرك والإيمان، ولم يكد ينتشر أمره بين الناس حتى ازدحمت المدينة بوفود القبائل معلنة إسلامها وسلامها. وهكذا يفعل الحزم، وتفعل أوامر من عرفوا بالحزم، وحسبهم أن يعلنوا أمرهم، وأن يعرف الناس تصميمهم.. فهذه صفحة الحج الأول لجماعة المسلمين.. وبها تمت كلمة الله في الجزيرة العربية، وعبد الله وحده في بيته الحرام، وخرج النبي ﷺ في السنة العاشرة على رأس المسلمين لحج بيت الله، وفيها علمهم المناسك، وتوج رسالته بخطبته الجامعة»[٤].

والمقصود بالخطبة الجامعة هنا، خطبة حجة الوداع بتعبير كتاب السيرة النبوية، وهي الحجة الوحيدة لرسول الله ﷺ التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة:٣).

دلالة لبيك اللهم لبيك..

للشيخ الإمام شلتوت وقفات مسهبة مع أحكام الحج، وشرح المسائل والشعارات والأدعية التي تلهج بها ألسنة حجاج بيت الله الحرام، وقد خصص لأحكام الحج والأسرار التي تنطوي عليها أركانه ومناسكه بابا ضافيا في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة». ويحسن بي هنا أن أقتصر على شعيرة «التلبية» التي هي في أصلها إهلال بالتوحيد والتجاء إلى الله سبحانه وتعالى في كل الأحوال والظروف، وقد هتفت بها حناجر الموحدين منذ زمن أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، ثم امتدت عبر الزمن، فكتب الله لها الخلود، بعد أن أحياها رسولنا محمد ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث صحيح الإمام مسلم، وقد شرحها الإمام شلتوت، وقال إنها من أهم شعارات الإيمان، وأن زبدة مضمونها توجه والتجاء إلى الله معناه: «أنا الواقف ببابك، المستمع لأوامرك، المسارع لإجابتك، المقيم على عهدك دون تحول أو تردد، وأنت أنت الواحد الأحد، الذي تلبى دعوته، وتهرع النفوس إليه، أنت الواحد الأحد، رب النعمة التي لا تحصى، رب العزة التي لا تذل، رب القوة التي لا تعجز، رب السلطان النافذ في الأرض والسماء، سبحانك لا إله إلا أنت»[٥].

ومن أسرار بركة هذه التلبية أن جميع مخلوقات الله تتجاوب مع من يرددها ويلهج بها، لأنها أصدق تعبير عن الفطرة السليمة، كما ثبت ذلك في حديث سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه، أو عن شماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا»[٦].

والشيخ شلتوت يدعو إلى ضرورة التأمل في المقاصد الكامنة في شعائر الحج جميعا، فالإحرام في نظره إنما هو رمز للتجرد من شهوات النفس والهوى، والتلبية ما هي إلا شهادة على النفس بالتزام الطاعة والامتثال، وما الطواف بعد التجرد إلا دوران القلب حول قدسية الله، والسعي وإن يبدو ظاهريا أنه هرولة، لكنه في جوهره استمطار للرحمة والتماس للمغفرة، وما الوقوف على صعيد عرفة سوى رمز لبذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء وألسنة مشغولة بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين، أما الرمي فهو رمز لمقت الشر واحتقار لنزغات النفس الأمارة بالسوء، كما أنه شحن للإرادة والعزيمة في سبيل طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات[٧]. إن من يراجع ما طرسه الإمام شلتوت عن الحج، يتأكد بأن الحج في جوهره ضراعة مخبتة أمام صمدية الواحد الأحد جل جلاله وعظم في علاه، ولذلك فهو في كلمة واحدة: عبادة تجليات التوحيد الخالص بشتى أبعاده ومعانيه.

الهوامش

١- محمد عبدالمنعم خفاجي وعلي صبح، الأزهر في ألف عام، الجزء الأول، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، من ص:٣٠٥ إلى ص:٣٠٧.

٢- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط١٠، القاهرة، ١٩٨٠م، ص:١١٣.

٣- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، ط٧، القاهرة، ١٩٨٠م، ص:٣٩٩.

٤- المرجع نفسه، ص:٤٠٠-٤٠١.

٥- المرجع نفسه، ص:٤٠٦.

٦- رواه الترمذي تحت رقم (٨٢٨)، وابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح.

٧- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص:١٢٨-١٢٩.



هبة فوزي تاج الدين
باحثة تربوية

فلسفة الحج عند رجاء جارودي

الحديث عن الحج له طبيعة خاصة؛ لارتباطه بأمور دينية مهمة، وقد يختلف من شخص لآخر، طبقا للخلفيات والسياق الديني. وحديثنا عن فلسفة الحج عند المفكر والفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي يقتضي أن ندرك مدى ما قطعه من خطوات وطريق صعب للوصول إلى اليقين والحقيقة؛ فرغم تلقيه العلم من منظومة الحضارة الأوروبية المادية، فإنها لم تشبع عقله المتعطش للروحانيات الجلية في الكون، ومن ثم أشهر إسلامه وصمد أمام التعنت الصهيوني وحُوكم بتهمة مناهضة السامية، بعد دفاعه عن قضية فلسطين بما فيها القدس الشريف. وكان لإسلامه عام ١٩٨٢م أكبر الأثر في إثراء الفكر الإسلامي ومسيرته عبر ما يقرب من أربعين كتابا، وتأسيسه المركز الحضاري الحر بقرطبة، الذي ركز على إظهار المجتمع العربي الإسلامي كنموذج حي للتعايش بين أتباع مختلف الديانات السماوية، ويأتي حديثنا عنه ونحن نعيش ذكرى وفاته في مثل هذه الأيام منذ ست سنوات.



ومن الحقائق التي يجب الإشارة إليها أن الفلسفة من المنظور الإسلامي هي نشاط عقلي هدفه تحقيق إنسانية الإنسان مثلما أشار الكندي، وهي أيضا النفاذ إلى جوهر الأشياء وفق ما عرفها الفارابي، كما أنها تجعل الإنسان أفضل كما جاء في تعريف ابن سينا، ولا شك أن جارودي قد استوعب كل هذا عندما تحدث عن فلسفة الحج، مثلما استوعب قبل إعلان إسلامه الفلسفة الغربية من حيث كونها حب الحكمة والبحث عنها (في التعريف اليوناني القديم)، مما يتطلب أن يعرف الإنسان نفسه في إطار النظام الكامل للمعرفة[١].

وجاءت نظرة جارودي الفلسفية تجاه الحج، والتي عبر عنها بكلمات تعكس إيمانه الصادق بكل مفرداته، متطابقة تماما مع كل ما يقبله العقل المسلم. ولا غرابة أن نقول إن القرآن الكريم نقطة تحول حاسم، ليس في تاريخ الدين والحضارة العربية فحسب، بل أيضا في تاريخ الفكر والعلم من المنظور الديني والعلمي والفلسفي؛ وذلك لاشتماله على الأسس والضوابط الإلهية للعلوم والمعارف الإنسانية على النحو الذي يجعل الوحي مع الوجود مصدرا ومنطلقا للفعل الإنساني في هذه المعارف والعلوم[٢]. كل هذا لا يتعارض مع أن الفلسفة ليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء: الأول: الهندسة والحساب؛ وهما مباحان ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة. والثاني: المنطق؛ وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان في علم الكلام. والثالث: الإلهيات؛ وهو البحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته. والرابع: الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع[٣].

وتبدو فلسفة جارودي تجاه الحج واضحة في كتاباته، وذلك من خلال كتابه «المسجد مرآة الإسلام»، الذي يجسد رحلة حجه، فالكعبة لديه هي ذلك البناء الحجري الذي يقع عنده مجمع الآفاق الأربعة، وهي محور المسلمين الثابت ومدار جميع حركاتهم ودورة الحج الدموية، ويرمز فراغها الداخلي (الخالي من الأوثان) إلى النفس البشرية التي تصل إلى الله عزوجل بعد إفراغ نفسها من أغراضها الشخصية وأهوائها. وتبدو فلسفة الطواف حول الكعبة في أنها عودة إلى ينابيع الأنبياء الصافية، وحركة خلاف عقارب الساعة كأنهم يعاكسون انحرافات التاريخ. ويؤكد أن الوعي لدى هذا السيل البشري في الطواف ليس وعيا فرديا فقط، لكنه أيضا وعي بالانتماء إلى أمة جاء أفرادها من نواح شتى لكن هتافهم واحد «لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك».. إنها الهجرة، هجرة شعوب الأرض التي تردد مع إبراهيم، عليه السلام، عهده مع ربه: «لبيك اللهم لبيك».

وتتضح فلسفة جارودي تجاه القرآن الكريم معبرا من خلال ذكر الآيات التي تناولت البيت الحرام عن الشحنة الروحية التي تشع من الكعبة لتبعث الحياة في أطراف العالم الإسلامي، فإليه تتجه جميع الصلوات وجميع مساجد العالم، وما تناولته أيضا من أفعال الصلاة الثلاثة من قيام وركوع وسجود، وعن الحج والطواف بالبيت العتيق، وهكذا فالكعبة تملي مقتضيات التعبد الكوني، كما تحدد وظائف جميع المصليات والمساجد التي تشكل بطريقة ما فضاءها. وبأسلوب فلسفي يصف توافد الحجيج على البيت الحرام مثل قوة انبثقت من القرون الخالية، فيهم رعاة الماعز من اليمن، وفيهم من نزل من سقف الدنيا في جبال الهيمالايا، وفيهم من قدم من السهول والمدن، جاءوا وأرجلهم على كثرتها لا ترسم إلا حركة واحدة، الكل في واحد، أمة واحدة انصهرت في العرق والأحجار والرمال والصخور، الملايين تجتمع معا في عرفات ومنى والمزدلفة ثم العودة في نهاية المطاف إلى الكعبة مثلما كانت البداية[٤].

الهوامش

١- «ما الفلسفة؟»، مرزوق شعبان العتيبي، مجلة الفيصل، العددان ٤٦٣ و٤٦٤، المحرم/صفر ١٤٣٦هـ، ص:٣٠.

٢- القرآن الكريم والعقل، فاطمة إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص:٢٤.

٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الفكر العربي، ج١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص:٣٨.

٤- الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أحمد أبو زيد، كتاب المجلة العربية ٢٢٨، ج٢، ذو الحجة ١٤٣٦هـ/ أكتوبر ٢٠١٥م، ص:٣٠-٢٦، بتصرف.



د. محمد محمود العطار
دكتوراه في علم النفس التربوي



دروس وعبر

الحج أكبر مظهر للاجتماع الإنساني على الأرض، وفي أفيائه يجد المسلمون أعظم الفرص للقاء، وتداول الآراء، وتبادل التجارب، والحوار المثمر المعمق في قضايا المسلمين ومستجداتهم.

مفهوم الحج

الحج لغة: القصد، واصطلاحا: القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة؛ استجابة لأمر الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

وهو أحد أركان الإسلام الخمسة، ويشترط لوجوبه: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة (المالية والبدنية)، قال تعالى ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧).

من فوائد الحج

للحج منافع عديدة للمسلمين، حيث تتوسع لديهم المدارك ويزداد رصيدهم من التعارف، وتتجدد لديهم مشاعر الإخاء والترابط والتآلف والتعارف والانتماء الوجداني إلى المجتمع الإسلامي الكبير، بالإضافة إلى تمسك الحاج بدينه والعمل بكتاب الله وسنة نبيه. ومن أهم فوائد الحج أنه سبب مرضاة الله، ومغفرة الذنوب، والفوز بالجنة، وتعظيم شعائر الله، والتقوى وتزكية النفس، وتنمية الشعور بالعزة والفخر بالانتماء إلى أمة الإسلام، كما أنه سبب لتربية المسلم على تحمل المشاق والسعي لمرضاة الله.

وقيم الحج إذا تشربتها النفوس وأحسنت تمثلها، كانت لها طاقة تغذي جهود أصحابها؛ أفرادا كانوا أو جماعات، إذ تتضافر في بناء كيان الأمة المسلمة بالعلم والعمل.

فمن حافظ على آداب الحج فترك اللغو والحرام، فقد تطهر من ذنوبه، وغفر الله له خطاياه، فيعود نقيا تقيا مغفورا له بإذن الله.

التلبية واقع عملي

لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك..

يهتف الحجيج من أول إحرامهم بهذه الكلمات العظيمة الرائعة الطيبة المثمرة في نفوسهم المتعلقة بالإيمان معلنين بذلك الطاعة المطلقة لله رب العالمين.

إن هذه التلبية هي ما نحتاج إليه اليوم لتستقيم أمورنا وتستقيم حياتنا، فالخلل الكبير الذي يصيب الأمم ينشأ يوم تنفصل الأقوال عن الأفعال، إننا نريد «لبيك» واقعا عمليا في حياة المسلمين بحيث ننقي أنفسنا من الأحقاد والضغائن وموجبات الشقاق، وأن يشيع خلق العفو والتسامح بين الناس.

وتهفو نفس المسلم، وتتطلع إلى أداء هذه الفريضة متجشما وراضيا كل مشقة في سبيل أداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة.

ويتحول العبد من المعصية إلى الطاعة، ومن البعد والجفاء إلى الخضوع لله وشرف التذلل له. ولا تعني لبيك الحج فقط؛ ولكن لبيك يا رب في كل ما أمرت، ولبيك في ترك ما نهيت، لبيك وحدك لا شريك لك، فالمؤمن الذي يرفع نداء لبيك عليه أن يترجم هذا القول بالعمل.

الآثار التربوية

حملت شعيرة الحج دروسا وعبرا إيمانية عظيمة من شأنها انتشال البدن من أوحال المادة والارتقاء به في رحلة روحية إلى الله في الأراضي المقدسة.. وفيها أيضا التسليم الخالص لقضاء الله والامتثال المطلق لأوامره واجتناب نواهيه، وليس أدل على ذلك من تسليم خليل الله إبراهيم، عليه السلام، بذبح فلذة كبده، رافعا شعار لبيك يا رب.

وللحج في الإسلام أهمية كبرى وفضل عظيم، وقد وردت آثار عديدة دالة على ذلك، منها قول رسول الله ﷺ عندما سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله؟ قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»، وقال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري ومسلم)، وقال أيضا ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري ومسلم).

وفي فضل الحجاج والعمار روى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم» (أخرجه ابن ماجه).

وكل ما يقوم به المسلم من عبادات تنعكس آثاره الإيجابية على حياته، وحياة أفراد المجتمع من حوله.

وتتجلى أهم آثار الحج التربوية في أنه يبرز وحدة المسلمين وتماسكهم، وأنهم يسعون إلى هدف واحد، ومصير مشترك، هو مرضاة الله تعالى والفوز بجنته، ويطهر البدن ظاهرا وباطنا، ماديا وروحيا؛ فالحج طهارة شاملة للروح والبدن والمال، إذ يرجع منه الحاج طاهرا معافى كيوم ولدته أمه.

وفي الحج يربى المسلم على كظم غيظه وضبط انفعالاته عند احتكاكه بالحجاج الآخرين في أداء المناسك وسط الزحام؛ حيث يمنع الرفث والفسوق والجدال في الحج. ويوسع الحج فكر المسلم، وينمي ثقافته، ويزيد من خبراته، من خلال احتكاكه بشخصيات إسلامية متعددة، ذات لغات مختلفة، وثقافات متنوعة، وتقاليد وعادات متباينة، فيكتسب منهم ويتأثر منهم.

والحق أن لكل عمل من أعمال مناسك الحج دلالة تربوية ينطوي عليها، يجب أن يلتفت إليها المسلم وهو يؤدي صورة هذه الأعمال؛ فما الإحرام في حقيقته (وهو أول مناسك الحج) إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال، وما الطواف بعد التجرد إلا دوران القلب اعترافا بنعم الله، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذي ترى نعمه، ولا تدرك ذاته، وما السعي بعد هذا الطواف إلا التردد بين علمي الرحمة؛ التماسا للمغفرة والرضوان، ويمثل الوقوف بعد السعي بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية، وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء، وآمال صادقة في أرحم الراحمين، وما الرمي بعد هذه الخطوات التي تشرق بها على القلوب أنوار ربها إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس، وإلا رمز مادي لصدق العزيمة في طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات.

والحج أحد أعظم مظاهر القوة في ديننا العظيم، ولو أن الأمة فهمت مقاصد الحج وغاياته، ولو أنها أدته كما يجب أن يؤدى، وعاشته وعايشته ركنا ونسكا نسكا لتغير وجهها، ولغيرت هي وجه الأرض والتاريخ.

إن للحج تأثيرا عظيما في تزكية النفوس وإصلاح القلوب، لما فيه من معاني العبودية ومظاهرها التي تجلت في كل أعماله ومناسكه، فأثمرت في واقع السلف قلوبا زكية تقية، وأبدانا طاهرة نقية.

فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وهو من أفضل الأعمال، والحج كالجهاد في أجره، والحاج كالمجاهد في المنزلة، وله كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه وذنب من يريد له ذلك ما استغفر له بإذن الله. قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري ومسلم).



د. حسن عزوزي
دكتوراه في العلوم الإسلامية



ثقافة البناء الحضاري

إذا كانت ثقافة الحج تذهب بنا إلى الماضي واستذكار المواقع التاريخية الأولى، فهي أيضا عودة إلى صناعة المستقبل واستئناف الحضارة في ضوء عبرة الماضي، لأن التوغل في العمق التاريخي يقتضي حصول القدرة على تحقيق النقلة الحضارية وتغيير الواقع. وإذا كان من معاني الحج تذكير المسلمين بالبعد التاريخي لهذه الشعيرة وتلك المشاعر وما تحمل في طياتها من ذكريات ذات دلالات ومفاهيم سامية، فلأنه يعتبر وسيلة فعالة لبث الروح الإسلامية ذات الرؤية الحضارية للكون والحياة، وهو ما لا يتحقق إلا عن طريق استيعاب إمكانات الحج وتعميق مفهومه واستثمار التعدد الحضاري الثقافي للأمة عبر الاستفادة منه.

الانتماء الحضاري

من المؤكد أن الحج يضع قضية الانتماء إلى حضارة الإسلام والوطن الإسلامي الكبير في إطارها الصحيح. ففي ظل ما تشهده أمتنا الإسلامية من تهديد في حضارتها وثقافتها من جراء تحديات العولمة، التي تستهدف تميط الشعوب واختراق خصوصياتها الثقافية، ينبغي توظيف ثقافة الحج، التي تشكل إحدى أبرز خصوصيات الأمة الإسلامية، في سبيل إعادة التأكيد على هوية الأمة وتعميق فهمها لذاتها وتحسين دورها في عالم اليوم. وإذا كان مستقبل الحج المنشود

هو تحقيق البناء الحضاري للأمة ونشدان العالمية الإسلامية بين الشعوب بمختلف مشاربها الثقافية والحضارية، وتجسيد التنوع في إطار الوحدة، فإن ذلك لا يتم إلا عبر التحكم في حاضر الحج وتفعيل جميع أسسه ومقاصده ومنافعه، لأنه كلما ازداد المسلم وعيا بمقتضيات بناء الحضارة واستئناف دورها ازدادت بصيرته انفتاحا على عطاءات وفوائد شعيرة الحج.

في المقابل، يأتي إسهام الحج في بناء الحضارة واستئنافها مؤسسا على دعائم إيمانية راسخة ومنطلقات إنسانية هادفة اعتبارا لكون البناء الحضاري الإسلامي لا يرتكز على الجوانب المادية والاقتصادية والعمرانية فحسب، وإنما هو في ديننا وثقافتنا يتأسس ابتداء على أسس إيمانية وإنسانية.

أوضح العبادات

وإذا كان التأكيد دائما على أن المقصد الأول والبعد الرئيسي من العبادات هو الامتثال لله والوفاء بحقه تعالى، فإنه لا ينكر أن وراء العبادات آثارا بعيدة ومنافع جليلة تخدم بناء الحضارة الإسلامية وتسهم في جعلها حضارة ربانية ذات أسس إيمانية وإنسانية. ويعتبر الحج أكثر العبادات الإسلامية اشتمالا على الأمور التعبدية، ولذلك اعتبره الرسول ﷺ من أفضل الأعمال والعبادات، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: «أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل ثم أي؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» (رواه البخاري في صحيحه). ولذلك يعتبر الحج أوضح العبادات أثرا في حياة المسلمين؛ أفرادا وشعوبا، فهو من جهة ينمي النفس الإنسانية ليصبح الإنسان مالكا زمام نفسه من أجل امتلاك خاصية البناء الفكري والحضاري، كما أنه من جهة أخرى يعتبر من أبرز وسائل تغذية العقيدة ونموها وتمكنها من النفس البشرية ليولد الإنسان الجديد الذي يناط به حمل الرسالة والإسهام في بناء الحضارة. وبصفة عامة، فالحج عبادة تنتظم من المسلم قلبه وبدنه وماله فتجعل منه إنسانا ذا نظر متجدد في الأبعاد الحضارية للحج وليس ذلك لغيره من العبادات. ولذلك أراد الإسلام ألا تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية والحضارية مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعباداته وشعائره ربطا وثيقا حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه؛ فهما وشعورا، ثم تخط مجراها في حياته؛ سلوكا وتطبيقا والتزاما.

ثقافة الحج ومقاصدها

تشكل ثقافة الحج دعامة كبرى من دعائم الحضارة الإسلامية، وهي بما ترمي إليه من مقاصد وغايات تسهم في البناء والعطاء الحضاري للأمة، فعبر التاريخ الإسلامي أدت مؤسسة الحج أدوارا تجاوزت المجال الاجتماعي إلى المجالات السياسية والدعوية، ففي صدر الإسلام كان يرأس المسلمين في الحج أمير المؤمنين أو من ينوب عنه، ومن خلاله كان يتعرف على أحوال المسلمين من جميع الولايات ويتبادل معهم الرأي ويشاورهم في شؤون الدولة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتخذ من الحج سبيلا لإقامة العدل وبث روح الشورى وتعرف شؤون الرعايا، كما كان يسأل الحجيج في كل إقليم عن مدى إقامة العدل من طرف ولاته.

إن استيعاب ثقافة الحج، التي تمثل إحدى أبرز مميزات الأمة، فرصة لإعادة التأكيد على هوية الأمة وتعميق فهمها لذاتها وتحسين دورها في عالم اليوم. وإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرف كيف يستعمل موسم الحج لتفعيل دور المراقبة لما يجري في مختلف الولايات التابعة للدولة الإسلامية الممتدة الأرجاء، فإن هذه الثقافة النابعة من قوة الاقتناع بجدوى التجمع الكبير أيام الحج من أجل استثماره في كل ما يسهم في البناء والعطاء الحضاري للأمة ينبغي أن تبقى مستمرة تؤدي دورها في تحقيق ما يلي:

- استثمار التعددية الثقافية الإسلامية كأولوية مستقبلية لتعزيز النهوض الحضاري المنشود، خصوصا في ظل أجواء المنافسة الحضارية القائمة.
- تنمية العلاقات الإنسانية بين الشعوب من خلال التقاء الناس من ثقافات إسلامية مختلفة ومتنوعة يفترض أن تنصهر جميعها في وحدة تسمح للمسلمين بتحقيق معاني الأخوة والتعاون على الخير.
- تدارس مشكلات الشعوب الإسلامية والسعي إلى إيجاد الحلول العملية لها.

ويمكن القول إن ثقافة الحج في تنوعها وازدهارها هي الثقافة الأولى التي غالبت دوما كل ضروب الاختلاف السياسي والتباين المذهبي والتنوع اللغوي في تاريخ الإسلام عبر العصور، وظلت تؤدي دورها الكبير في تحقيق منافع على مستوى البناء الحضاري لأبناء الأمة الإسلامية، تجمع الشتات وتعمق التواصل وتغذي التنوع الثقافي والحضاري بين مختلف البيئات. ولئن كان لرحلة الحج آثارها ومقاصدها الاجتماعية والاقتصادية الظاهرة على المجتمعات الإسلامية، فإنه من المؤكد أن البعد الثقافي لرحلة الحج يأتي في المقام الأول.



محمد عبدالهادي زهران
باحث شرعي



تربية النفس في البيت الحرام

إرادة الإنسان التي تتجلى في تغيير ما بالنفس شرط ضمني لمشيئة الله في التغيير من حال إلى حال لأي قوم، تأسيسا على أن الإنسان مكلف بطاعة الله أولا واستخلافه في الأرض لعمارتها ثانيا؛ الأمر الذي يتطلب التغيير والذي يعد إحدى سنن الحياة على الأرض. ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١)، وكذلك قوله عزوجل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (الأنفال:٥٣).

إن الحج يوحد الأمة الإسلامية حيث هذا التجمع الكبير في أيام معدودات، والوقوف أمام الله عزوجل بقلب سليم، الكل يرتدي ملابس واحدة وبكيفية واحدة، وأداء مناسك في نسق متكامل لا يتغير من شخص لآخر، لا أحد يفارق الجماعة إدراكا من المسلمين بأن التفرقة سبيل الشيطان، كما أنها عذاب حيث نصبح لقمة سائغة لأعدائنا، وهو حصن للمسلم بما يردده من أدعية.

والحج فرصة حقيقية أمام الأمة الإسلامية، على اختلاف الجنسيات، لإدراك الحاجة إلى التغيير نحو الأفضل، وتغيير النفس أولى خطوات هذا الأمر فحينما يأتي التغيير من داخل الإنسان يكون محركا ودافعا لتغيير ما حوله، والأمر هنا يتطلب إجماع الأمة على التغيير بشكل شامل، وليس من الحكمة أن تعلق طائفة تغيير ما بنفسها على قيام طائفة أخرى بذلك التغيير.

ومن حكمة الله عزوجل أن تكرار العبادات يتفاوت، فمنها ما يفعله الإنسان كل يوم مرات عديدة، ومنها ما يتكرر في العام مرة واحدة، ومنها ما يكفي في العمر مرة واحدة، ولا شك أن

الفرائض كافية لإصلاح النفس وبناء النفس إذا التزم بها الإنسان وأداها كما ينبغي، لكن يبقى بعد ذلك مجال واسع للاجتهاد والتقرب إلى الله عزوجل بالنوافل. والحج يصلح النفوس، ويبنيها، ولم يشرعه الله عزوجل من أجل أن نعيش النصب والتعب، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (الحج:٣٧)، فالله عزوجل لن يصل إليه تلك اللحوم أو الدماء التي نريقها في الحج إنما يصل إليه تبارك وتعالى التقوى، شرع الله عزوجل هذه العبادة لهذه الحكم العظيمة، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧). فشرع الله تبارك وتعالى هذه العبادة لأننا نحن نجني الثمرة، لكن لما سيطرت المظاهر على حياة المسلمين، وأصبحت هي القاعدة في حياة الناس، ينظرون إلى المظاهر، ولا يعيشون الحقائق والجوهر، أصبحت العبادات في حس كثير من المسلمين مظهرا أكثر منها حقيقة، أصبح الناس يجتهدون -من يجتهد منهم في ذلك- في إصلاح مظهر العبادة، ويغفلون عن الأهم وهو مقاصد العبادة، يجتهدون في تعلم أحكام العبادة الظاهرة ويغفلون عن تعلم المقاصد، ولاحظوا -مثلا- سلوك الحجاج، وهم يقومون بأعمال الحج، ويطوفون، ويرمون الجمرات، وهم يؤدون أي منسك، تأمل في الصورة العامة، أنت لا تستطيع أن تقرأ ما في القلوب فالقلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، لكن حينما تنظر إلى الناس وترى سلوكهم يعبر عن نظرتهم لهذه العبادة، وهم يرمون الجمار وهم يسعون وهم يطوفون وهم يقفون المواقف. القضية الأساسية عندهم هي مظهر هذه العبادة دون حقيقتها، ودون حكمها وجوهرها، والله عزوجل لم يخبرنا بمقاصد وأحكام العبادات في كتابه إلا لأجل أن نعيها ونراعيها ونحن نقوم بأدائها ، ولأجل أن نتساءل -دائما- ونحاسب أنفسنا: ماذا حققنا منها؟ ماذا تحقق منها لدى أنفسنا؟

مقاصد الحج وآثاره

أولا: تحقيق التقوى

التقوى من أهم مقاصد وآثار الحج، وجاءت الإشارة إلى التقوى كثيرا في آيات القرآن التي تحدثت عن الحج، يقول الله عزوجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧)، وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن أحكام الحج، جاءت لتبين أن للحج صلة وثيقة بالتقوى.

ثانيا: تنوع العبادات

يمارس الإنسان خلال الحج العبادة بأنواعها العديدة، فهو يذكر الله عزوجل، ويدعو الله تبارك وتعالى، يطوف ويسعى ويرمي الجمرات، عبادة بدنية، عبادة قلبية، كل أنواع العبادات موجودة في الحج، وتتكرر. والعبادة تصلح النفس والقلب، وفي تنوع هذه العبادات مجال لتنوع التأثير على شخصية الإنسان، فالناس يختلفون، والناس يتفاوتون؛ ولهذا راعت الشريعة هذا الأمر، فإن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة...» (رواه البخاري). هذا الأمر يعني أن مجالات التقرب إلى الله عزوجل ومجالات التميز في طاعة الله مجالات واسعة تستوعب جميع الناس وفئاتهم.

ثالثا: الصلة بين أمور الدنيا والآخرة

يربي الحج المؤمن على الصلة بين أمور الدنيا والآخرة، والدنيا والآخرة لا تنفصلان في حس المسلم؛ ويؤكد هذا المعنى قول الله عزوجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة:١٩٨)، وهذه الآية نزلت في التجارة في موسم الحج، يأتي النص في القرآن على أنه ليس على الإنسان من جناح وهو حاج.

رابعا: تربية النفوس على الانضباط

يربي الحج النفوس على الانضباط، والانضباط أمر مهم يحتاج إليه الإنسان في عبادته وصلته بربه تبارك وتعالى، ويحتاج إليه الإنسان في أمور دنياه، نجد مواقف عديدة في الحج، قد لا ندرك نحن حكمتها التفصيلية، فمثلا حينما نأتي للمناسك نجد عرفة لها حدود واضحة لا يختلف الناس حولها، لو أن رجلين؛ الأول: وقف داخل حدود عرفة، وبقي طوال وقته نائما، ولم يذكر الله عزوجل بذكر واحد لكنه بقي داخل حدود عرفة، والآخر: بقي خارج حدود عرفة وبقي يقرأ القرآن ويدعو ويتضرع؛ فإن حج الأول صحيح وحج الثاني غير صحيح، لماذا؟ ما الفرق؟ هي أمتار.. أمتار يترتب عليها أن يكون حج الإنسان باطلا، ويترتب عليها أن يكون حج الإنسان صحيحا. الوقت على سبيل المثال، قبل أن تغرب الشمس لا يجوز للإنسان أن يدفع من عرفة، ولو دفع قبل غروب الشمس فإن عليه دما عند جمع من الفقهاء، وإذا غربت الشمس لا يجوز له أن يتعمد البقاء، يعني: لا يتعمد البقاء تعبدا؛ لأن هذا من مخالفة سنة النبي ﷺ. وفي رمي الجمرات مثلا هناك وقت للبداية، ووقت للنهاية، وعدد محدود لا يزيد عنه ولا ينقص، وفي يوم النحر يرمي جمرة العقبة وحدها، وفي الأيام الأخرى يرمي الثلاث، يرميها وفق ترتيب معين وعدد معين وزمان معين وهكذا سائر أحكام الحج.



د. مجدي فتح الباب
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

البيئة والأماكن المقدسة

الحج عبادة عظيمة، وركن من أركان الإسلام على المستطيع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧).

وأداء الحج يعتريه جهد ومشقة وترحال وأسفار وأحمال وتعرض للأخطار، لذلك كان له أجر عظيم عند الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[١]. وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٢].

والحج ضرب من الجهاد في سبيل الله بما فيه من جهاد للنفس وإقامتها على الطاعة، وبما فيه من جهاد للشيطان وعصيانه، وبما فيه من بذل الأموال والنفقة في سبيل الله والسفر والانتقال والتعرض للأخطار، فعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمئة ضعف»[٣]، لذلك نجد القرآن الكريم يسرد آيات الحج بعد قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥)، فناسب ذكر آيات الحج بعدها لأن النفقة فيه أجرها كأجر النفقة في الجهاد كما بين النبي ﷺ في الحديث السابق.

والعبادات في الإسلام ترتقي بالإنسان في فكره وسلوكه ونفسه وروحه، لتطهره وتزكيه وترتفع به في مدارج الكمال، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس:٩)، أي فاز من طهر نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى:١٤)، أي فاز وربح من طهر قلبه وروحه من المعاصي والرذائل.

وقد جرت عادة العلماء في استنباط الدروس والعبر والحكم من التشريعات الإلهية، فالحج مدرسة عظيمة يتعلم منها المسلمون الدروس والفوائد أبد الدهر، وإن كان هناك من يربط بين فريضة الحج والآخرة بأحوالها ومشاهدها، إلا أننا سنربط بين فريضة الحج والحياة الدنيا؛ فالحج منهج حياة، فعندما يرتبط المسلم بشعائر الحج، فإنه يتحرك ويتوقف ويتقدم ويتأخر وفق مراد الله الذي شرع هذه الشعائر.

وتفكرت مليا في مناسك الحج وبعض محظورات الإحرام مع كونها أمورا تعبدية، كيف يعلمنا الله تعالى من

خلالها ويربينا على الحفاظ على البيئة، وعدم العدوان عليها وكف الأيدي عن البغي عليها، والعمل على المحافظة على مكونات البيئة وثرواتها. ولكي يتضح لنا هذا الدرس لابد أن نتعرض لمفهوم البيئة، ليتسنى لنا معرفة حقيقة الحفاظ عليها من خلال معايشة مناسك الحج وأحكامه.

مفهوم البيئة

اشتقت كلمة البيئة من الجذر الثلاثي بوأ بمعنى رجع، ويقول العرب: تبوأ فلان منزلا أي سكنه وجعله محلا له.

واصطلاحا: هو ذلك الوسط الذي يحيط بالإنسان ويؤثر عليه من ناحية صحية، وهي تشمل المنشآت والمنافع المشيدة، كالشوارع والمساكن والموارد الطبيعية كالأنهار، أو ما اعتمد عليه الإنسان لسد حاجاته من مأكل وملبس ومشرب. وتنقسم مكونات نظام البيئة إلى قسمين:

مكونات حية: وتشمل كل الكائنات الحية، كالأشجار، والحيوانات ابتداء من الكائنات المجهرية كالبكتيريا والفطريات وصولا إلى الحيوانات المعقدة كالفقاريات والحشرات.

مكونات غير حية: ويقصد بها مجموعة العوامل البيئية المختلفة، كمقدار الإشعاع الشمسي، ونسبة الرطوبة، والتضاريس، وهذه العوامل ترتبط بالعناصر الثلاثة والمتمثلة في: الهواء والماء والتربة[٤].

وهذا التعريف قريب جدا من تعريف قانون دولة الكويت للبيئة بأنها: المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات، وكل ما يحيط به من هواء وتربة وما يحتويهما من مواد صلبة أو سائلة أو غازية أو إشعاعات، إضافة إلى المنشآت الثابتة والمتحركة التي يقيمها الإنسان[٥].

وتكاد تكون البيئة ومكوناتها ومشكلاتها من أبرز القضايا التي تشغل العالم، ومن أجلها سنت القوانين والأحكام، ومن أجل البيئة أقيمت المؤتمرات، وعقدت الاتفاقيات، ومن أجلها أقامت وزارات الداخلية قسما منها لحماية البيئة (شرطة البيئة)؛ فالبيئة المصاب الذي لا يتأوه، والمعتدى عليه الذي لا يصرخ!

تنبيهات محظورات الإحرام

منذ أن يتلبس المحرم بالإحرام للحج أو العمرة، يحرم عليه أن يتعرض لصيد البر (وهو ما كان توالده وتناسله في البر) بالقتل أو الذبح أو الإشارة إليه إن كان مرئيا، أو الدلالة عليه إن كان غير مرئي، أو تنفيره (إفزاعه وإبعاده)، كذلك يحرم عليه إفساد بيض الحيوان البري، ويحرم عليه كذلك بيعه وشراؤه وحلب لبنه[٦]، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ (المائدة:٩٦).

فمنذ أن يعلن المحرم الإحرام من الميقات يحرم عليه الصيد، والإشارة إليه، والمساعدة عليه، فيكف يده ولسانه عما أحله الله تعالى من الأنعام البرية، ويبقى على حاله كذلك حتى إذا دخل الحرم واستقر به لأداء المناسك استمر معه سريان هذه الأحكام، وزاد عليها عدم التعرض للشجر والنبات حتى لو تحلل من الإحرام بانتهاء مناسك العمرة أو الحج، فيحرم على المحرم وغير المحرم صيد الحرم وتنفيره، وقطع الشجر الذي لم يستنبته الآدميون في العادة، وكذلك قطع الرطب من النبات، حتى الشوك إلا الإذخر (نبات طيب الرائحة)، والسنا (السنامكي؛ عشبة من النباتات المزهرة من فصيلة البقوليات تستخدم في صناعة الأدوية)، فإنه يباح التعرض لهما بالقطع والقلع والإتلاف ونحو ذلك[٧]، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرام، لا يعضد شوكه، ولا يختلى خلاه (أي لا يقطع الرطب من نباته)، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرف». فقال العباس: «إلا الإذخر فإنه لابد لهم منه، فإنه للقيون (الحدادين) والبيوت. فقال: إلا الإذخر»[٨].

قال القرطبي: خص الفقهاء الشجر المنهي عنه بما ينبته الله تعالى، من غير صنيع آدمي، أما ما يستنبته الآدمي فالجمهور على الجواز[٩].

إن هذا الدرس العظيم من مناسك الحج في الحفاظ على البيئة ومقدراتها وثرواتها وعدم البغي والعدوان عليها ليفوح عبيره فيدركه أولو الألباب والنهى، كالورود والياسمين تبث أريجها في الرياض والبساتين.

وكذلك نهى النبي ﷺ عن تلويث البيئة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه»[١١]، وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا اللاعنين الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم»[١٢].

إن الحفاظ على البيئة وعدم العدوان عليها وكف الأذى عنها أمر دعا إليه الإسلام، وألمح إليه الحج وأشار إليه ونبه عليه وربى المسلمين على هذا المبدأ تربية عملية منذ أن يحرم وعند التواجد بالحرم وحتى يتحلل من الإحرام، فيمكث في مناسك وشعائر الحج يتدرب ويتربى ويتعود على كف الأذى وقبض الأيدي عن التعرض للحياة والأحياء بأذى وسوء، هذه هي تربية الإسلام للمسلمين للحفاظ على البيئة ورعايتها، في درس صامت بليغ، إنها عظمة شعائر الله التي تستنبط منها كل حين عبر ودروس وعظات فهل من مدكر؟

الهوامش

١- البخاري ومسلم.
٢- البخاري ومسلم.
٣ - رواه ابن شيبة وأحمد والطبراني والبيهقي وإسناده حسن.
٤- موقع الألوكة، د. سامح عبدالسلام محمد، ٢٠١٣/٩/١م، مفهوم البيئة بتصرف.
٥- شبكة الإنترنت، موسوعة التشريعات العربية.
٦- فقه السنة، ٦٨٧/١.
٧- فقه السنة، ٦٨٧/١.
٨- البخاري.
٩- فقه السنة، ٦٨٧/١.
١٠- رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا.
١١- أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.
١٢- صحيح مسلم.

د. إبراهيم سند الشيخ
أستاذ مساعد بكلية دار العلوم



اللغة المشتركة في الحج

كان موسم الحج عاملا أساسيا في ظهور اللغة الأدبية المشتركة، فقد كانت القبائل العربية تجتمع من كل حدب وصوب من شتى أنحاء الجزيرة العربية في موسم الحج؛ فيتبارى الشعراء والخطباء، ويتنافسون فيما بينهم لإظهار أفضل ما لديهم من الملكة اللغوية والبراعة الأدبية في اختيار التراكيب والأساليب الفصيحة، وكانت كل قبيلة تفخر بما لديها من شعراء وخطباء من أساطين البلاغة وأرباب الفصاحة.

وكان الرجل في الجاهلية يقول الشعر «فلا يعبأ به أحد حتى يأتي مكة في موسم الحج؛ فيعرضه على أندية قريش (الأسواق الأدبية)، فإن استحسنوه روي وكان فخرا لقائله، وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به»[١]، وقد عمدت العرب إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب، وعلقتها على أستار الكعبة، يقال لها: «المعلقات» أو «المذهبات»[٢].

وقد تعددت الأسواق الأدبية التي تجتمع فيها القبائل العربية في الجاهلية للتفاخر بشعرائهم وخطبائهم في موسم الحج، ومن هذه الأسواق[٣]:

١- سوق عكاظ (بين مكة والطائف) وراء قرن المنازل، «وسمي بهذا الاسم لأنهم كانوا يتعاكظون فيه، أي: يتحابسون للمفاخرة»[٤]، وكان يقام أول ذي القعدة إلى عشرين منه، وقيل: كان يقام في شهر شوال، وهو أشهر الأسواق الأدبية، وهو السوق الذي خطب فيه قس بن ساعدة خطبته الشهيرة المعروفة والمتداولة في كتب التاريخ والأدب، وفي شأنه قال رسول الله ﷺ: «ما أنساه بسوق عكاظ، في الشهر الحرام، على جمل أحمر، يخطب الناس»[٥]، ويعلق الجاحظ على هذا الخبر قائلا: «لإياد في الخطب خصلة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وهو الذي رواه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال... ولذلك كان خطيب العرب قاطبة»[٦].

٢- سوق مجنة (بأسفل مكة) بمر الظهران، وكان يقام آخر عشرة أيام في ذي القعدة.

٣- سوق ذي المجاز (قرب عرفة) عن يمين الموقف، وكان يقام ثمانية أيام من أول ذي الحجة، ثم يخرجون في التاسع إلى عرفة.

فكانت القبائل العربية في موسم الحج تقيم أسواقها الأدبية (عكاظ ومجنة وذي المجاز) بالقرب من مكة المكرمة في الأشهر الحرم، وكانت هذه الأسواق ملتقى الفصحاء والبلغاء من العرب، ولما بعث رسول الله ﷺ كان يأتي إلى الناس في هذه الأسواق، ويسأل عن قبائل العرب، ويذهب إليهم في منازلهم يدعوهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام والأوثان.

وقد انقسمت اللغة العربية قديما - كما يرى أ. د. رمضان عبدالتواب - إلى لهجات اختلفت في كثير من ظواهرها الصوتية والدلالية، ثم أتيحت لها فرص الاحتكاك، بسبب «التجارة، وتجاور القبائل، والتنقل في طلب الكلأ والمرعى، والتجمع في مواسم الحج»؛ فاشتبكت هذه اللهجات العربية المختلفة في صراع لغوي، كان النصر فيه للغة المشتركة التي استمدت أبرز خصائصها من لهجة قريش التي أصبحت لغة الأدب «شعرا ونثرا»[٧]، واستمدت قريش مكانتها السامية بين القبائل بسبب وجودها في مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام، فكانت القبائل العربية تجتمع في موسم الحج في هذه البقعة المطهرة (الموطن الجغرافي لقبيلة قريش).

وكان لموسم الحج الأثر الأبرز في انتشار اللغة العربية الفصحى، وتكوين اللغة المشتركة بتنقيتها من الخصائص اللهجية، والبعد بها عن غريب الألفاظ والتراكيب، والوصول بها إلى أعلى مستويات الفصاحة؛ مما ساهم في صنع اللغة الأدبية المشتركة (لغة قريش) التي نزل بها القرآن الكريم، وقد تخلصت لغة قريش من العيوب اللهجية الشائعة آنذاك؛ «فارتفعت في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة»[٨]. وقد روى الأصمعي عن شعبة عن قتادة قال: «قال معاوية يوما: أي الناس أفصح؟ فقام رجل من السماط فقال: يا أمير المؤمنين، قوم ارتفعوا عن فراتية العراق، وتياسروا عن كشكشة بكر، وتيامنوا عن عنعنة تميم، ليس فيهم غمغمة قضاعة، ولا طمطانية حمير. قال: فمن هم؟ قال: قومك قريش»[٩].

وكانت القصائد الحولية المجودة تعرض على فحول الشعراء في موسم الحج لإجازتها، ثم تعلق على أستار الكعبة؛ ليقرأها الجميع ويطلع عليها، وهي ما تعرف بالمعلقات، وتتميز بسهولة ألفاظها، وبلاغة تراكيبها، وجودة أساليبها، وبعدها عن العيوب اللهجية، وكان أصحابها من قبائل عربية مختلفة غير قبيلة قريش، ومع ذلك أجيزت قصائدهم، وعلقت على أستار الكعبة بعد تنقيحها وتنقيتها من خصائصها اللهجية، ولغتها مفهومة لدى جميع القبائل على اختلاف

خصائصهم اللهجية؛ لأنها تنتمي إلى اللغة الأدبية المشتركة؛ لذلك اكتسبت شهرة وذيوعا وانتشارا واسعا بين القبائل العربية؛ فالخصائص اللهجية تذوب في اللغة الأدبية المشتركة؛ فتفهمها القبائل العربية دون مشقة.

وقد أشار بعض اللغويين من النحاة والصرفيين (أمثال: أبي الفتح عثمان بن جني، وجلال الدين السيوطي)[10] إلى أن الفصيح تجتمع في كلامه لغتان فصاعدا، وربما يكون هذا من باب «تداخل اللغات» أو «تركب اللغات»، ولاشك أن هذا يكون نتيجة تلاقح اللغات واللهجات في مثل هذه الأسواق الأدبية التي يجتمع فيها أرباب البلاغة والبيان من فصحاء العرب.

إذن فقد كان الحج ملتقى تجمع القبائل العربية، وفيه يدور النقاش والحوار حول اللغة، وانتقاء أفضل اللغات واللهجات، وكأن الحق تبارك وتعالى يعد هذا المكان لتهيئة الآذان والعقول لنزول القرآن الكريم بهذه اللغة الفصحى (لغة قريش)، وهي «اللغة الأدبية المشتركة بين مختلف القبائل العربية، التي سجل بها الشعراء خواطرهم، واستعملها الخطباء في محافلهم وأسواقهم الأدبية، ثم توجها القرآن الكريم؛ فأنزله الله تعالى بأعلى ما تصبو إليه هذه اللغة من مستوى، ومنذ ذلك الحين ارتبطت هذه اللغة بالقرآن الكريم، واجتهد النحاة واللغويون في دراستها، وتحديد معالمها من نواحي الأصوات، والصيغ، والأبنية، والتراكيب، والدلالة، ووظيفة الكلمات والأبنية داخل التركيب»[11].

وبذلك يظهر لنا أثر موسم الحج والأسواق الأدبية في تنقية اللغة العربية من خصائصها اللهجية، والوصول بها إلى مرتبة اللغة الأدبية المشتركة التي تفهمها القبائل العربية رغم الاختلافات النطقية والتباين اللهجي بين هذه القبائل المنتشرة في شبه الجزيرة العربية المترامية الأطراف.

الهوامش

١- «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، عبدالقادر البغدادي، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، (١/١٢٦)، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢- ينظر: «العقد الفريد»، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، (٦/١١٨)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ؛ و«العمدة في محاسن الشعر وآدابه»، أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣- ينظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، أبوالفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، (١/٣٩٤)، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ت؛ و«الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، أبو القاسم عبدالرحمن ابن عبدالله السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، (٤/١٣)، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م؛ و«معجم البلدان»، أبو عبدالله ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ)، (٤/١٤٢)، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٤- «حصر حرف الظاء»، أبوالحسن علي ابن محمد الحداد (ت٤٨٥هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن، ص:٢٠، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، سوريا، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- «مسند البزار»، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت٢٩٢هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، (١١/٤٧٠)، حديث رقم: (٥٣٤٧)، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٩م.

٦- «البيان والتبيين»، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، (١/٦٥)، دار الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.

٧- ينظر: «المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي»، د. رمضان عبدالتواب، ص:١٦٧، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٨- «سر صناعة الإعراب»، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، (١/٢٤١)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م؛ و«الخصائص»، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، (٢/١٣)، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٩- «غريب الحديث»، أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، (٢/٢٥٤)، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠- ينظر: «الخصائص» لابن جني (١/٣٧٠-٣٩١)؛ و«المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، (١/٢٠٧-٢٠٩)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١١- «بحوث ومقالات في اللغة»، د. رمضان عبدالتواب، ص:١٤١، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.



نبيل طنطاني
مدرس التعليم الثانوي

صفح جميل

ورأيتني يوما أقابل لحظتي
وأسير وحدي
في دروب العتمة البيضاء
بحثا عن سبيل
خلف الزمان أسير
في سفر طويل
والكون يفتح راحتيه مرحبا
بعد التحرر من قيود العيش
في الجسد الضليل
أمضي
وتنعش كاهلي
ذات اليمين محاسني
ومساوئي فوق الشمال
ثقيلة كالصخر
في قلب عليل
أمضي وأسأل
أين ذاك المستقر
وهل يفيد الآن دمع
أم مضى زمن العويل
وهل سأمكث ناعما
حي الرجاء
أم الشقاء تألما بين الطلول
ويفيض بالروح السلام
يشاء ربك أن تقر العين
يملأ خاطري
أني منحت العفو من رب جليل
فيصافح النفس الرضاء
يخر قلبي ساجدا
فلقد نجوت
ونالني
صفح جميل





ياسر عرفة توفيق
كاتب وقاص

موضع خطوة

لم يكن الشاعر العربي ملما ومحيطا فقط بأهمية التخطيط الصحيح الواعي حين قال:

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا زلقا عن غرة زلجا[1]

بل تعدى الأمر ليسبق أساطين التخطيط وعباقرة الإدارة وجهابذة التطوير بهذا التركيز والوعي بأهمية التخطيط إلى الدرجة التي جعلته يتخير أين يضع قدمه.

في الحقيقة أحاول أن أصل إلى درجة الوعي بأهمية التخطيط السليم التي ملكت على الشاعر فكره فخرجت منه هذه الكلمات المعدودات والتي تمثل، في نظري، قمة الوعي بأهمية التخطيط.

ليت شعري أين نحن من هذا الفهم ومن هذا الإدراك بأهمية التخطيط ومنا من يقطع مسير حياته وقد قطع العشرات من سنوات عمره، والتي لا نستطيع بحال من الأحوال أن نعد كم خطونا فيها من الخطوات عبر آلاف الكيلومترات، وقد عاش ومضى ولم يحقق شيئا في حياته.

نعم إن كل خطوة من مسيرة حياتك خطوة ثمينة كان من الممكن ألا تصنع بها شيئا ذا قيمة، ومتى تتابعت هذه الخطوات الثمينة أثمرت في النهاية عملا ذا قيمة قد يتعدى نفعه إلى غيرك، بل قد يعم البشرية.

إن كان هذا عن حسن تقدير موضع الخطوة، فأجمل بهذا المنهج الذي حمل عنك هما تقدر كل خطوات مسيرك، ليتكفل بوضعها في موضعها الصحيح، فمن جميل ما تميزت به التربية الإسلامية وفق تنشئتها لفردها أنها لا تسمح للسلبية أن تجد لها طريقا لهذه الشخصية التي أرادت لها أن تكون سوية، بل تجعل فردها مميزا بالإيجابية، ألم تنظر إلى ذلك الصحابي الذي جاء يطلب من النبي ﷺ أن يرسم له مسار معاملاته مع غيره، ولما شرع النبي الكريم يعدد للصحابي ما يجب أن يفعله حيال حقوق الآخرين عليه، والرجل يرد على النبي الكريم: أرأيت إن لم أستطع؟! وصل به النبي الكريم ﷺ إلى أن يقول له في النهاية: «أن تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»[2].

والمعنى عظيم من أن تحيط به الكلمات حين يبدأ المسلم في الانطلاق بهذا المفهوم وهو يخطو الخطوة الأولى في التعامل مع الآخرين؛ أن يكف شره عنهم، فإن كانت قصرت به همته وعزيمته أو حتى ظروفه المعيشية أن يكون ذا نفع لهم فلن يعدم أن يكفيهم عناء شره بأن يحبسه عنهم، ومن هذه الخطوة الأولى تنبثق خطواته التالية وفق القاعدة العظيمة «لا ضرر ولا ضرار»[3].

وتتوالى بعدها خطوات هذه المنظومة الأخلاقية المتكاملة والتي لا تتوقف عند مجرد كف الشر عن الآخرين أو عدم إلحاق الضرر بهم، بل هو جزء من هذا المجتمع وهو من ركاب سفينته كما شبهه الرسول الكريم ﷺ في حديثه عن السفينة، وكيف لو أنه ترك لكل واحد منها أن يتصرف دون أن يضع في حساباته وجود الآخرين وتأثير فعله عليهم، لكان في ذلك هلاكه وهلاكهم.

وتتسامى الشخصية المسلمة وهي تتابع خطواتها في مجتمع تسوده الإيجابية ويحوطه التكاتف والتآزر، حتى يرى صاحبه أن من تمام إيمانه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فليس الأمر فقط بأن يأمن الآخرون بوائقه، بل يتعدى الأمر إلى درجة أعلى من الإيجابية، حين يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذه وحدها كفيلة ليس فقط بأن تجتز الحسد والتباغض والحقد، بل وتحل محلها التراحم والتعاطف والتآزر في مجالات النفع.

وترتقي النفس البشرية في ظل هذا المنهج وتنتظم خطواتها على درب الصلاح والفلاح حتى تراها يوما بعد يوم تتفوق عن سابقه وتنظم خطواته سلسلة من النجاح ويمر في مسير خطواته بمراحل تقطعها همته وعزمته جراء الخطوة الأولى الصحيحة إلى أحسن. فيها تقدير الموضع، فما يستوي عنده يومان.. وكيف يستويان؟! وهو يرى ذلك غبنا له والغبن قد يأتي من أن خطوات جديدة لم تضف تقدما في مسير حياته ولم تختلف عن خطواته السابقة.

هذه الخطوات متى استقامت فما تعرف نهاية لمسيرها الخير، ذلك وإن ارتسمت هذه الخطوات على أرض البشر إلا أن قلب صاحبها هناك يسبح في آفاق رحبة من حب العطاء والبذل والبحث بين البشر عما يرضي رب البشر.

قال عبدالله بن بريدة: شتم رجل ابن عباس فقال: «إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية من كتاب الله فلوددت أن الناس علموا منها مثل الذي أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل، فأفرح به، ولعلي لا أقاضي إليه أبدا، وإني لأسمع بالغيث يصيب الأرض من أرض المسلمين فأفرح به، وما لي بها من سائمة أبدا»[٤].

إن يأخذ بنا العجب كل مآخذ من جميل قول ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أن هذا العجب يزول لعلمنا أن هذه ثمرة من ثمار هذه التربية التي ترباها ابن عباس رضي الله عنهما وفق هذا المنهج العظيم، وقد انتظمت خطواته خلف خطوات النبي ﷺ وهو الذي أردفه مرة خلفه وهو يعلمه بكلمات من نور كلنا يكاد يحفظها عن ظهر قلب، لكن لم تخالط معانيها العميقة شغاف قلوبنا: إني أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك...» الحديث[٥].

ويالها من كلمات بها انتظمت الخطوات فكانت مسيرة حبر الأمة.

كلما قابل الإمام أحمد بن حنبل ابن الإمام الشافعي، محمد بن محمد بن إدريس الشافعي القاضي، كان يقول له: «أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السحر»[٦]، والمعنى كبير لا تعيه إلا النفوس المؤمنة التي انتظمت خطواتها على درب الفلاح فتآخت في بوتقة المحبة.

يروى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب أنه كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ حتى إنه لينزل المنازل التي كان ينزل فيها النبي، ويصلي في كل مكان صلى فيه، وتعهد شجرة كان النبي ينزل تحتها بالماء لئلا تيبس. وكان يقول لناقته تمهلي لعل الحافر ينزل على الحافر، أي على أثر حافر ناقة رسول الله ﷺ.

إنه فهم وسلوك يعلم صاحبه أن في اقتفاء هذه الخطوات ليس نجاته فقط، ولكن رفقة النبي ﷺ حيث تطيب الرفقة، ولا يمكنك بحال أن تدرك مدى تأثير هذه خطوة التي جعلت رجلا أوروبيا ببلده يستوقف رجلا مسلما توالت رؤيته له، وهو يراه يلتقط ما يعيق سير الناس في الشارع الأوروبي فينحيه جانبا، ولما سأله معجبا بهذا الفعل الحضاري، أجابه المسلم بأن ذلك من تعاليم الإسلام بل إنه يعدها من خصال وشعب الإيمان وذكر له الحديث المعروف عن شعب الإيمان، وأن أدناها إماطة الأذى عن الطريق. أعجب الأوروبي بهذا، وطلب منه أن يحدثه أكثر عن الإسلام بعدما رأى صورة إيجابية لفرد من معتنقيه، والخطوة الطبيعية في هذا السياق المتسق، والخطوات المتابعة الصحيحة؛ كانت نتيجة لأن أسلم هذا الرجل عن فهم واقتناع.

والدارج على ألسنة الناس عندما يدفعون أحدا نحو الاهتمام بأمر ما أن يقال له: لابد أن تتخذ خطوة إيجابية حيال هذا الأمر.

كم كانت نظرة ذلكم العربي نظرة عميقة وفهمه ثاقبا حتى وصل للخطوة؟! والخطوة أصل الحياة؛ بل بدايتها:

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها
فمن علا زلقا عن غرة زلجا

الهوامش

١- البيت من قصيدة أولها:

مـاذا يكلفك الروحات والدلجا
البر طورا وطورا تركب اللججا

للشاعر محمد بن بشير الخارجي ٥٠-١٣٠ هـ/ ٦٧٠ - ٧٤٧ م - شاعر أموي عاش في المدينة المنورة في مكان يسمى الروحاء.

والبيت في شرح ديوان الحماسة للتبريزي- دار القلم بيروت الجزء الثاني ص ٣٤، والمعنى تأمل موضع قدمك قبل أن تضعها فمن مشى في مكان الزلق على غفلة منه زل.

٢- الحديث في صحيح مسلم - كتاب الايمان.

٣- متن الحديث عن أبي سعيد سعد بن سنان الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»، حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما، مسندا، ورواه مالك.

٤- حلية الأولياء لابن نعيم.

٥- الحديث عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٦- الوافي بالوفيات (١٠٧/١)، السير (٢٢٧/١١).



وليد عبدالماجد كساب
كاتب وناقد



قراءة نقدية لإبداعات عدد ذي القعدة ١٤٤٠هـ

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.



١- دور مميز: محمد ثابت توفيق (مصر)

● يبدأ محمد ثابت توفيق قصته الجديدة «دور مميز» بتصوير مشهد فروغ الإمام من الصلاة؛ ثم سؤاله المصلين عن الأستاذ هاشم الذي غاب عن الصلاة، وهو ما يجعل القارئ يتساءل عن سبب هذا السؤال المفاجئ؟! وكيف أحس الإمام بغياب الرجل مع وجود كثير من المصلين؟!

● تتنوع قصة توفيق فتحوي حوارا بين الإمام وخادم المسجد، ثم حوارين بين الإمام والأستاذ هاشم. هذا فضلا عن المونولوج الداخلي الذي يتردد في نفس الإمام في قوله: «ما أشبه الليلة بالبارحة»، وهو تنوع وتلوين يحمد للكاتب في كل الأحوال.

● يستخدم توفيق في هذه القصة تقنية سردية مختلفة عن قصته السابقة «صنائع المعروف»، التي نشرت مؤخرا في هذا الباب، حيث يستخدم في هذه القصة الأخيرة تقنية «الارتداد» مع استخدام الحوار؛ مما يوقع القارئ في «مفارقة زمنية» تمزج بين الماضي والحاضر؛ وتؤدي إلى تشويق القارئ وشد انتباهه؛ ومثل هذه المفارقات الزمنية تكرس بشكل غير مباشر لفكرة سيطرة الماضي على الحاضر، ومدى الترابط بينهما.

● تتعدد الأشخاص داخل القصة التي بين أيدينا للكاتب محمد ثابت توفيق، حيث تبدأ بإمام المسجد الذي لم يفصح عن اسمه مكتفيا بجعله راويا للقصة، وكذا خادم المسجد المجهول أيضا، ولعل في إغفال التسمية إشارة إيحائية للتركيز على «الدور الذي تقوم به الشخصية» أكثر من التركيز على ذاتها الإنسانية. فالمغزى –في هذه القصة تحديدا– هو إبراز الدور الذي يقوم به المسجد في حياتنا؛ أو بمعنى أصح الدور الذي ينبغي أن يقوم به المسجد متمثلا في القائمين عليه. أما الأستاذ هاشم –المدير السابق بالتربية والتعليم– فهو مدار هذه القصة، وذاته الإنسانية التي تحرك الأحداث هي مناط السرد؛ ولذا كان ذكر اسمه من ضرورات استيفاء تقديم ذاته الفاعلة.

● إن ثابت يلح دوما في قصصه على خيرية الأمة الإسلامية، ويراهن على طاقات الخير الكامنة فيها، ويبدو كاتبا مربيا يبعث قلمه على حب الفضيلة، وهنا يؤكد على أن العطاء لا يتوقف عند سن معينة؛ وإنما هو ممتد مع الإنسان إلى ما شاء الله، وأن الإنسان لابد أن يكون ذا أثر في الحياة، وإن بدا دوره في الحياة بسيطا مثل تعليم الصبية في المسجد.

٢- لأني أحبك يا بني: مياسة النخلاني (اليمن)

● كعادة مياسة النخلاني جعلت عتبة العنوان مركبة من كلمات متعددة لا مفردة واحدة، وهو ما رأيناه من قبل في قصتيها السابقتين: «أحاديثكم سلوان قلبي» و«يد أمي الدافئة». والعنوان: «لأني أحبك يا ولدي» عنوان كاشف لموضوع القصة، فللقارئ أن يتوقع القصة وأطرافها ومآلها باكرا، ولو اكتفت الكاتبة بجزء من الجملة «لأني أحبك» مثلا؛ لكان ذلك داعيا إلى شحذ عقل القارئ وجعل ظنونه تتضارب حول موضوع القصة، والاختزال يتيح –بالطبع– بعض المتعة والتشويق؛ لكن الكاتبة لم تفعل ذلك.

● تعتمد القصة في بنائها على تقنية «الراوي العليم» الذي يحكي القصة ويصف شخوصها، وهو ما يذكرنا بقصتها السابقة «أحاديثكم سلوان قلبي» التي



تناولناها بالنقد هنا في عدد سابق كما سبقت الإشارة.

● تزاوج الكاتبة بين الوصف والحوار، وتنتقل بينهما برشاقة دون عناء، ويغلب الحوار على بنية القصة بين: «الولد- والده- والدته- صديق والده»؛ لذا تبدو القصة أكثر واقعية وتأثيرا وأكثر التصاقا بالقصة التربوية التي اعتادت النخلاني أن تكتبها.

● ادخرت مياسة لحظة التنوير حتى نهاية القصة؛ فالولد الذي لطمه أبوه على خده قد ظل مدة حانقا على أبيه الذي أغلظ له التعامل، وكان يرى أن تأخره خارج المنزل لا يستدعي كل هذه الجلبة، ولا يقتضي رد فعل أبيه الغاضب؛ لكن في لحظة التنوير يتقابل الولد مع رفيق والده في رحلة البحث المضني عنه، ومن ثم تتضح للولد الحانق مدى معاناة الأب في هذه الساعات العصيبة وكيف تنقل بين أقسام الشرطة والمشافي حتى إنه كان يطالع الجثث ليتأكد من عدم وجود ولده بينها.

٣- خبيئة مع الله: محمد جمال المغربي (مصر)

● تقوم هذه القصة، التي تعتمد على تقنية «الراوي العليم» في أولها ثم بضمير المتكلم، على فكرة الرؤى والأحلام وكيف تكون الرؤيا بداية حقيقية لأحداث القصة التي ترسخ لقيمة الوفاء للآباء والبر بهم بعد موتهم.

● تعتمد هذه القصة على الوصف والحوار، وإن كان الوصف قد غلب عليها، حيث تبدأ بداية وصفية أراد الكاتب من خلالها تشويق القارئ من خلال تصاعد الأحداث حتى الوصول إلى لحظة التنوير.

● جاءت لغة الكاتب بسيطة وبعيدة عن التعقيد اللغوي؛ لكنها في الوقت ذاته لم تشبع نهم القارئ الذي يتوق إلى جاذبية الألفاظ والتراكيب ورشاقة التعبيرات التي تستوقف القارئ وتشعره بالامتنان للكاتب. كما استخدم الكاتب كلمة «أشعات» جمعا لـ«أشعة» وهو جمع يستخدمه العامة، ويقصد بها تلك الصور الدقيقة التي تلتقطها الأجهزة للأجزاء المريضة في جسم المريض لمساعدة الطبيب في تشخيص المرض، وكلمة «أشعة» هي في الأصل جمع «شعاع»، ويمكن جمع «شعاع» أيضا على «شعع»، ولعله يقصد من ذلك: التوسل إلى القارئ بلغة الحياة اليومية لتقديم صورة أدنى إلى المصداقية والواقعية.

● إن الكاتب (وقد بدأ قصته بالحديث عن رؤيا قادته إلى زيارة صديق أبيه الحميم ليجده مريضا يعاني آلام السرطان المبرحة) يعلق القارئ ليتابع تلاحق الأحداث حتى تنتهي باللحظة التي يعلن فيها الطبيب شفاء المريض بشكل عجيب لم يعرف له مبررا طبيا، ثم يكتفي المريض بالقول إن سبب الشفاء هو خبيئة بينه وبين الله جعلته يستجيب لدعواته ويشفيه.

● كان من الممكن أن تكون نهاية القصة المشوقة -التي جاءت مبتورة- أكثر أريحية مما هي عليه؛ يقول بطل القصة محدثا الطبيب وابن صديقه الذي كان يتولى علاجه: «تودان معرفة السر؟! حسنا سأقول لكما: إن لي عند الله خبيئة لم أخبر بها أحدا، وقد قمت بدعائه عزوجل بها فاستجاب لي الشافي وشفاني شفاء لا يغادر سقما» (ا. هـ). والحقيقة أن القاص لا يعدم نهاية أفضل من هذه يحشد فيها قدرته التعبيرية.

● إن القصة وعظية في المقام الأول تؤكد على عدة معان؛ منها أنه من كان مع الله فالله تعالى معه، وأن بر الآباء بعد موتهم تكون الحاجة إليه أكثر إلحاحا لانقطاع عمل الراحلين إلا من ثلاث كما في الحديث الشهير للنبي ﷺ، ولعل الهدف الوعظي للقصة هو ما جعل البطل يعترف بخبيئته؛ ومن ثم يهدم إبقاءها «خبيئة»؛ وإنما كان الهدف من إعلان «الخبيئة» إفادة المتلقي وتعليمه، ولعله كان من الأحرى الكشف عن هذه «الخبيئة» بشكل آخر بحيث لا يطلع عليها بقية أبطال القصة؛ فيكون الاعتراف بها من خلال عنصر بنائي آخر مثل: «مناجاة النفس» أو «الارتداد» أو غيره مما يتيح للبطل حديث النفس للنفس في غيبة الآخرين.



فهد الشمري





في السعودية والبحرين

مسابقتان ومؤتمر

في الوقت الذي أكدت فيه الهيئة العامة للترفيه بالمملكة العربية السعودية وصول مشاركات من ١٦٢ دولة حول العالم في مسابقتي أجمل الأصوات في تلاوة القرآن الكريم ورفع الأذان، أعلنت العاصمة البحرينية «المنامة» عن استضافتها للمؤتمر الدولي «إنساني تك» في الفترة من ٢٧-٢٨ أكتوبر المقبل. وكانت الهيئة العامة للترفيه قد فتحت باب التسجيل في مايو الماضي وتجاوز عدد المشاركين ١٣ ألف مشارك خلال هذه الفترة.

وتتواصل أعمال المرحلة الأولى من مسابقتي قراءة القرآن الكريم ورفع الأذان التي تنظمها الهيئة باستقبال مشاركات المتسابقين من جميع أنحاء العالم والتي ستستمر إلى ٢٢ يوليو لتدخل المسابقة مرحلتها الثانية (مرحلة التصفية والترشيح)، بعد ذلك في الفترة من ٢٤ يوليو إلى ٢٣ أغسطس فيما تتبعها مرحلة

التحكيم والأداء الحي من ٢٤ أغسطس إلى ٢٤ سبتمبر وصولا للمرحلة الختامية لإعلان وتكريم الفائزين خلال الفترة من ٢٥ سبتمبر إلى ٢٥ أكتوبر.

وتهدف الهيئة من خلال مسابقتي قراءة القرآن الكريم ورفع الأذان التي تبلغ قيمة جوائزهما ١٢ مليون ريال سعودي (٣,٢ ملايين دولار) إلى تقديم تجربة ثرية للعالم عبر تسليط الضوء على تنوع ثقافات العالم الإسلامي، والتي تنعكس على أسلوب وطريقة تلاوة القرآن الكريم ورفع الأذان وتعزيز صورة ومكانة الإسلام والمسلمين دوليا وتشجيع الناشئة وشباب العالم الإسلامي على الإقبال على تلاوة القرآن الكريم وترتيله لاكتشاف أجمل أصوات التلاوات وأجمل أصوات الأذان.

من ناحية أخرى جاء مؤتمر «إنساني تك» بالمملكة البحرينية تحت شعار «التميز والتقنية لمستقبل الإنسانية» في نسخته الرابعة. ويعد المؤتمر أحد أهم المؤتمرات التي يترقبها الجمهور والمهتمون، حيث أصبح خلال السنوات الأخيرة منصة تقنية للعمل الإنساني يشارك فيها سنويا شركات التقنية والمنظمات الإنسانية والتطوعية.

وفي تصريح صحافي أكد رئيس اللجنة المنظمة لمؤتمر «إنساني تك» أحمد بوهزاع أن هوية المؤتمر لهذا العام تعكس الإطار الإنساني الأشمل لجميع القطاعات بما فيها قطاع الإعاقة، فيما يشير شعار المؤتمر لاستشراف مستقبل



القطاعات الإنسانية بعد توظيف الذكاء الاصطناعي ومختلف مستجدات التقنية.

وعن أهداف المؤتمر أشار بوهزاع إلى أنه يهدف لرفع مستوى الفاعلية والإتقان والإنجاز في مجالات الخدمة الإنسانية، والتعرف على أحدث الحلول لتجاوز التحديات التي تواجه المؤسسات الأهلية والتطوعية، وتهيئة

محاور مؤتمر «إنساني تك»

- **العمل الإنساني المستدام بأدوات تقنية حديثة.**
- **ريادة الأعمال الاجتماعية.**
- **تقنيات الأوقاف.**
- **التقنيات المساندة لذوي العزيمة والهمم.**

الفرصة لتدشين أحدث المنتجات والتطبيقات التقنية المبتكرة الداعمة لهذا القطاع، ومواكبة المؤسسات الإنسانية للمستجدات التكنولوجية لحوكمة الأداء، وإتاحة فرصة نموذجية للتشبيك وبناء علاقات بين المنظمات المشاركة، وعرض المبادرات والتجارب في المؤسسات الإنسانية، وإبراز أثرها الإيجابي على المجتمع.

وختم رئيس اللجنة المنظمة بالإشارة إلى حرص القائمين على المؤتمر على عقد شراكات جديدة في المؤتمر القادم مع جمعيات متخصصة مثل جمعية الذكاء الاصطناعي، وعدة مؤسسات أخرى رائدة من مختلف الدول بما يعزز فرص المشاركين في التعرف على التقنيات الحديثة، وتبادل التجارب والخبرات، وبناء علاقات معرفية وعملية ومهنية.



د. عطية الويشي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية الزائر
كلية القانون الكويتية العالمية

السياحة الأثرية

أبعاد الوعي التاريخي في الفكر الإسلامي

في سياق حديثه عن قوم لوط وغيرهم من أصحاب الأيكة والحجر، وآثار قراهم التي كانوا يسكنونها، ألمح القرآن إلى بعض الإشارات المنهجية المعنية بتعميق الوعي المعرفي بالتاريخ، وذلك من خلال معاينة الشواهد الأثرية التي تصدق على المعطيات التاريخية الثمينة لتلك القصص.

ولعل المتأمل في القرآن الكريم يجد أمثلة كثيرة على الاهتمام بالسياحة والآثار لتعزيز الوعي المعرفي بالتاريخ، وتقوية ملكة التنقيب عن الحكمة واستخراج العبرة والموعظة الحسنة الكامنة بين أنقاض تلك الآثار، يقول تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (الحجر:٧٣-٧٧)؛ فتلك «المدينة المقلوبة ثابتة الآثار، مقيمة للنظار، فكأنها بمرأى العيون الناظرة لبقاء آثارها، وهذه واحدة من تلك الآيات»[1]، لتكون علامة

للمتوسمين، الذين يتحرون دلالات هذه الآثار متفكرين فيها حين يمرون عليها، ويتفرسون حقائق أمورها مستقصين أسبابها وأبعادها التاريخية... ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الصافات:١٣٦-١٣٧)، وهي «طريق تمرون عليها، لا يجرفها سيل، ولا يغير معالمها ريح، بل هي طريق ثابتة مقيمة تمرون عليها حينما تذهبون في رحلة الصيف إلى الشام؛ فكان من الواجب أن تأخذوا في كل مرور لقطة وعبرة؛ حتى لا تقعوا في ظلم آخر»[٢]، فتؤمنوا معتبرين بحوادث الأيام والدهور وتواريخ المصور والعصور.

وقد قدر الله تعالى بقاء آثار تلك القرى موصوفة بالآية البينة والعلامة العينة لكل سالك الطريق الموصلة من جزيرة العرب إلى بلاد الشام... ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (هود:٨٣)، أي إن «ديار قوم لوط ليست ببعيدة من الكفار المكذبين لنبينا، فكان عليهم أن يعتبروا بما وقع لأهلها إذا مروا عليها في أسفارهم إلى الشام»[٣].

وهكذا، فإن المستشهد بقصص القرآن كمكون تأسيسي للوعي التاريخي، لا تخطئ عينه تلك الشواهد الأثرية التي لم تزل حية في غير مكان من أرض الله... تلك التي استثمرها الوحي في التثقيف التاريخي، وتبليغ العبرة مقرونة بدلالتها الأثرية التي تصدق عليها، قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ (العنكبوت:٣٨).

ويبدو لي أن سياق الآيات يتجاوز مجرد معاينة متروكات القوم، والإحاطة بشواهد بيوتهم وجنانهم وآبارهم وأدوات مهنهم، وسائر أحوالهم وأدلة معاشهم، بل إنه ليذهب إلى تحري ما هو أعمق وأدق من ذلك: أفكارهم عن الله تعالى، ورؤاهم للكون والحياة والإنسان... وانعكاس تلك الرؤى والأفكار على حياتهم الاجتماعية ونظامهم الاقتصادي وأوضاعهم السياسية والحضارية...

الشاهد من الموضوع أن «الآية/البينة» المتجلية في آثار القرى من أبرز مكونات الوعي التاريخي، ومن ثم، فهو وعي بالدليل العلمي والبرهان العقلي الذي يبلغ بالرواية التاريخية القرآنية تمام اليقين.

وإننا، في مجمل السياقات القرآنية ذات الدلالة التاريخية، نلحظ أن الوحي قد قرن التعبير عن تلك الشواهد الأثرية جميعا بألفاظ باعثة على التفكر في حكمة التاريخ وأسراره ومقتضى الوعي به، ومعرفته معرفة تسهم في تنمية وعي الإنسانية المؤمنة برسالتها في هذا الوجود؛ فعلى سبيل المثال، يقول تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (العنكبوت:٣٤-٣٥)، «أي تركنا آية صادرة من آثارها ومعرفة خبرها، وهي آية واضحة دائمة على طول الزمان إلى الآن، ولذلك وصفت ببينة»[٤]. إن هذه الآية البينة كما أنها منصوبة للمؤمنين الذين يخافون العذاب الأليم، كذلك هي منصوبة لعبرة الذين يعقلون.

وفيما يلي نسوق بعضا من تلك الشواهد المنهجية التي أوردها الوحي بغرض التنويه الدلالي بأهمية الشواهد الأثرية كأحد أهم مداخل الوعي المعرفي بالتاريخ... نسوقها على سبيل المثال والاستئناس:

أولا - يقول الله تعالى في المشهد الأخير من قصة فرعون الغريق: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ (يونس:٩٢)، أي «نلقيك على نجوة[٥] من الأرض بدرعك، وكانت له درع من الذهب يعرف بها. وقرئ «ننجيك» بالحاء «ننحيك»، أي نلقيك بناحية الساحل لتكون لمن خلفك آية، أي لمن وراءك آية، وهم بنو إسرائيل، إذ قالوا: ما مات فرعون وإنما قالوا ذلك لعظمته عندهم ولما حصل في قلوبهم من الرعب من أجله، فأمر البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فعرفوه. وقرئ «لمن خلفك» فعلا ماضيا «لمن خلفك»، أي لتكون لمن يأتي بعدك من الأمم نكالا من الطغيان. وقرئ «لمن خلفك» بالقاف «لمن خلقك» أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته»[٦].

وقد نوه العلم الحديث بما يعزز من هذا المنهج في حقل الدراسات التاريخية، «ومع تقدم علم الآثار، وتفوق العلماء في قراءة الحفريات... نلمس مصداق ما جاء به القرآن الكريم مصححا أخطاء علمية في تراث الأمم السابقة، إذ تفرد بمعلومات دقيقة لم تكن معروفة عند أحد من العالم»[٧].

ثانيا: في توجيهات الذكر الحكيم نظر المؤمنين إلى عبرة الآثار التاريخية الواجبة الامتثال، يقول تعالى:

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (إبراهيم:٤٥)؛ وعلى الرغم من أن الوحي أشار إلى أن العبرة قد بانت أمارتها وتجلت حكمتها لمن عاين تلك المساكن فسكنها من بعد أهلها الظالمين- يعني الذين ظلموا أنفسهم «بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من الأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم... وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا لتتدبروها، وتعتبروا بها... فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية، والقرون الماضية، وعلم ما جرى لهم... وكيف أهلكوا... أن يعتبر بهم، ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك»[٨].

ليس ذلك فحسب، بل أعطانا الوحي من خلال معاينة الآثار تمرينات عملية على ممارسة التبين التاريخي؛ تمرينات تتكرر بتكرار التلاوة المتدبرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر:٦-١٤)، فهي لفتة تعزيزية للنشاط التفكيري المتدبر في حكمة تلك الآثار التاريخية وتكييفاتها الوجيهية المقنعة.

ثالثا: قوله تعالى لافتا بصائر العقول إلى الشواهد الأثرية كآيات لفقه التاريخ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ (طه:١٢٨)، بمعنى: «أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم، وسوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم. ذلك بأن قريشا كانت تتجر إلى الشام، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم»[٩]. و«كم» فاعلة لـ«يهد» على تقدير قوله: أفلم يهد لهم القرون التي هلكت. و«يهد» بمعنى: يبين[١٠].

وهكذا، تبقى الآيات التي تتناول موضوع الآثار منهجا تأسيسيا في الحقل الفلسفي للتاريخ، وذلك بدعوتها المباشرة إلى السياحة في الأرض، والنظر المتأمل في كيفيات الحوادث وتعليلاتها المآلية العميقة وتحليلاتها السببية المتعمقة... ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (إبراهيم:٤٥). ولعلنا نلحظ أن السؤال التاريخي في الآية لم يرد بصيغة «ماذا فعلنا بهم» بل «كيف فعلنا بهم»، وهذه لفتة تنويرية جديرة بالالتفات المتأمل إلى منهجية استبيان حركة الحوادث التاريخ استبيانا منهجيا حكيما... لفتة تحترم عقل الإنسان فتفترض فيه فطنة التبين السديدة والمعاينة الرشيدة... ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ (العنكبوت:٣٨).

إنها لفتة تكشف عن مدى ما يمنحه الإسلام للإنسان من حرية التفكير، وما يتيحه من مجالات آفاقية عديدة لممارسة التأمل، وتحري الحقائق التاريخية بكل أريحية، ويستنبط دلالات تلك الحقائق بكل وسائل الوعي المعرفي من سمع وبصر وفؤاد بعيدا عن الضغوط، ومن دون مزايدة على حرية الإنسان ومحاصرته بالنصوص الشرعية الانتقائية!

الهوامش

١- محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت:٤٢٠هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين (معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها -٣٠)، جـ٢، ص:٨٢٠.

٢- محمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، (مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م)، جـ١١، ص:٦٥٩١.

٣- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) جـ٢، ص:١٩٣.

٤- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص:٢٤٦.

٥- قال أبو عبيدة: نلقيك على نجوة من الأرض، أي: ارتفاع. والنجوة والنبوة: ما ارتفع من الأرض (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦هـ): غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٩٩).

٦- محمد بن عمر نووي الجاوي (ت:١٣١٦هـ): مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، جـ١، ص:٤٩٥.

٧- نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص:٢٤٦، بتصرف. حول ما تفرد القرآن بحديثه عن جثة فرعون، ووصف غرقه وصفا دقيقا معجزا... تحدثت الدراسات الموميولوجية حول الموضوع بدهشة تصديق فقالت: «أي التماعة عجيبة للآيات القرآنية! تلك التي تحدثت عن بدن فرعون، المعروض في المومياوات الملكية للمتحف المصري بالقاهرة، والتي تقدم لكل باحث في مجال الاكتشافات الحديثة براهين على صحة الكتابات القرآنية المقدسة (موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم... دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت،١٤١١هـ/١٩٩٠م، ط٣، ص:٢٨٠).

٨- الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٣، ص:٤٤.

٩- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت:٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، جـ١٨، ص:٣٩٧.

١٠- الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج٧، ص:٤٧١٥.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

السياحة.. ترفيه وتدبر

لا يختلف اثنان على أن الحضارة المعاصرة أصبحت تضغط بثقلها على الإنسان؛ حتى ليكاد يشعر باستمرار أنه يختنق، أو يدور في حلقة مفرغة لا يجد منها فكاكا.

الأعصاب مشدودة طوال الوقت.. الواجبات والأعباء، وما يترتب عليها من إرهاق نفسي، تزداد ولا سبيل للتخفف منها.. اللهاث خلف إشباع الحاجة من الملذات والمرفهات، لا ينتهي؛ خاصة مع الابتكار المتجدد في وسائل الراحة والترفيه.

والأمر هكذا، فإن حاجة الإنسان لفترة راحة واستجمام، يلتقط فيها الأنفاس، ويتخفف ولو قليلا من هذا الضغط المتراكم؛ تصبح ضرورة ملحة.

ويمكن القول بإيجاز: إن السياحة في الإسلام تحقق مقصدين مهمين؛ هما: الترفيه والتدبر.. فهي تخفف عن الإنسان ما يواجهه من ضغوطات وأعباء، كما هي أيضا تفتح أمامه آفاق التدبر في هذا الكون الفسيح، وتجعله وجها لوجه أمام عجائب القدرة الإلهية وبدائع الصنعة الربانية.

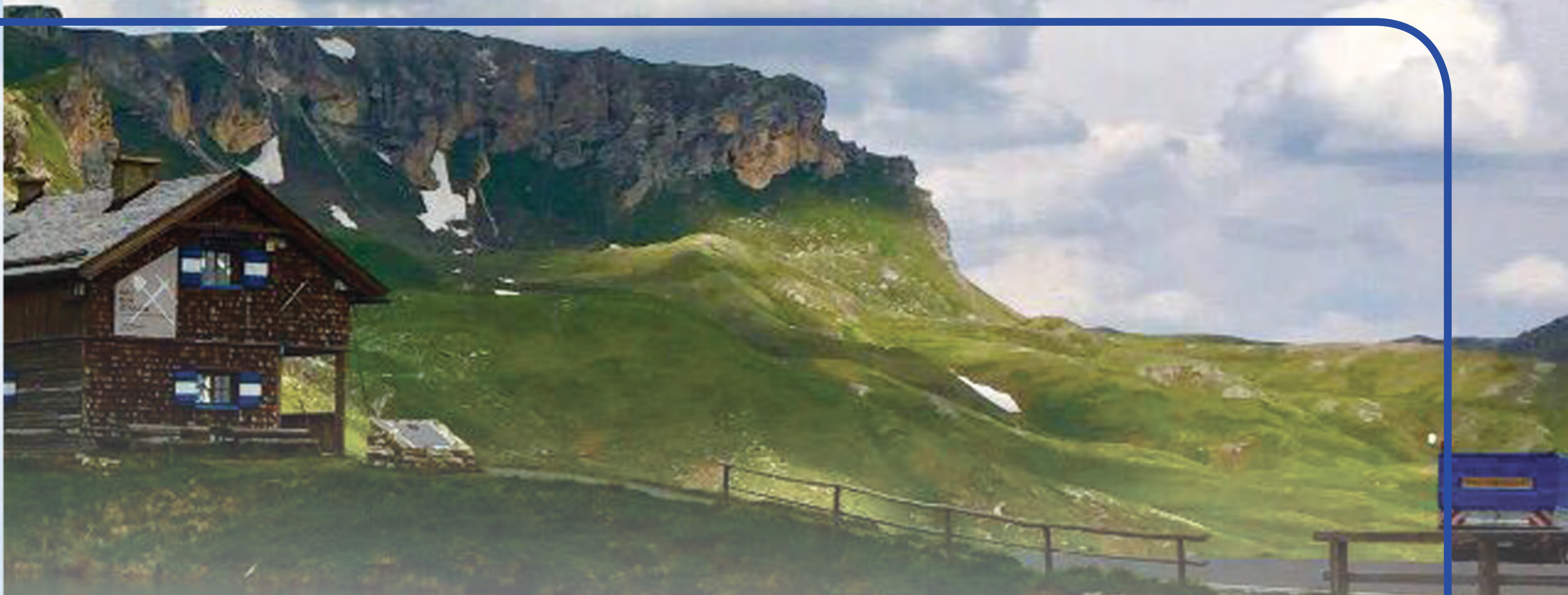
ولعل هذا مما تمتاز به السياحة في منظور الإسلام؛ ويجعل القول بوجود ضوابط ومحددات للسياحة -كأي فعل بشري له ضوابط ومحددات- أمرا مفهوما ومتقبلا؛ باعتباره يساعد الإنسان على ترشيد هذا الفعل، وليس قيدا يمنعه من التخفيف عن نفسه، وتلبية حاجته من الترفيه والتغيير.

الترفيه والرؤية الحضارية

لقد جاء الإسلام لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، ولإنقاذه من التيه والشقاء: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه:١٢٣-١٢٤).

وهذا الإنسان، الذي جاء الإسلام لإسعاده، له عقل وروح ونفس وجوارح، وله ضروريات وحاجيات وتحسينيات، ولهذا فقد راعى الإسلام هذا كله ونظمه، وجعل له من الأحكام والتوجيهات ما يضمن للإنسان أن يستوفي منه رغباته في توسط واتزان؛ من غير تعد على الحقوق، ولا تفريط في الواجبات، ولا انجراف إلى المحرمات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاني المتصلة بتلبية احتياجات الإنسان، على اختلاف مراتبها، وما يتصل بها من ضوابط، في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ



ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾ (الأعراف:٣١-٣٣).

وفي «تفسير المنار»، قدم الشيخ محمد رشيد رضا، رحمه الله، إضاءات مهمة حول هذه الآيات؛ بحيث لم ينظر إلى الزينة والطيبات من منظور الحلال والحرام فقط، أي المنظور الفقهي، كما درج المفسرون من قبل، بل نظر إليها من منظور حضاري واسع، يربط بين الزينة والطيبات وبين ما يتصل بحركة العمران من العلوم والفنون، موضحا ما يجب على المسلم من إتقان هذه الصناعات، وما يجب عليه أيضا من عدم الإفراط أو التفريط عند الاستخدام.

فقال رحمه الله: «علمنا من هذا كله أن الزينة والطيبات من الرزق هي حق المؤمنين في الدنيا، وأنها لهم بالذات والاستحقاق؛ وهو مبني على أنه يجب أن يكونوا بمقتضى الإيمان والإسلام أعلم من الكافرين بالعلوم والفنون والصناعات الموصلة إليها، وأن يكونوا من الشاكرين عليها؛ ذلك الشكر الذي يحفظها لهم، ويكون سببا للمزيد فيها بحسب وعد الله تعالى وسننه في خلقه. ومنه تفهم حكمة تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢)، أي من شأنهم العلم بأمثال هذه الأحكام وحكمها ولو بعد خطابهم بها. والمعنى: أن هذا التفصيل لحكم الزينة والطيبات -الذي ضل فيه أفراد وأمم كثيرة من البشر، إفراطا وتفريطا- لا يعقله إلا القوم الذين يعلمون سنن الاجتماع وطبائع البشر ومصالحهم وطرق الحضارة الشريفة فيهم؛ وقد فصلها تعالى لهم بهذه الآيات الموافق هديها لفطرة الله التي فطر الناس عليها، على لسان نبيه الأمي الذي لم يكن يعرف شيئا من تاريخ البشر في بداوتهم وحضارتهم وإفراطهم وتفريطهم فيهما، قبل أن أنزل الله تعالى عليه كتابه الحكيم تبيانا لكل شيء يحتاجون إليه في سعادتهم. فكان هذا التفصيل، من الآيات العلمية على نبوته ﷺ؛ لأنه خلاصة علوم كثيرة فاصلة بين النافع والضار، ما كان لمثله أن يعلمها بذكائه، وإنما هي وحي الله له»[1].

بجانب هذا، فالآيات الكريمات تبين لنا ضابطين مهمين من ضوابط استخدام الزينة والطيبات -و«السياحة» تدخل في ذلك- وهما تجنب الإسراف، وعدم الوقوع في الفاحشة والإثم والبغي. ولهذا قال ابن عباس: «كل ما شئت، والبس ما شئت؛ ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة»؛ أي إسراف، واختيال وكبر.

تدبر الكتاب المفتوح

إن المسلم متصالح مع الكون، يراه دالا على قدرة الله تعالى وبديع صنعه، كما يراه مجالا لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها.. فالدنيا مزرعة الآخرة، والكون بسمائه وأرضه وبحره وجوه مجال لحركة الإنسان، الذي خلقه الله لعبادته، وطلب منه عمارة الكون وإصلاحه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ (هود:٦١). ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦).

وحتى يستعين الإنسان على أداء المهمة المطلوبة منه، سخر الله له ما في السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣﴾ (الجاثية:١٢-١٣).

والإنسان يترقى في استيفاء هذا التسخير، كلما ترقى في درجات التطور الحضاري؛ فينتقل من

الضروريات في المطعم والمشرب، إلى التحسينيات في الزينة والطيبات.. مع ملاحظة أن الترويح عن النفس، صار أكثر ضرورة في واقعنا المعاصر، وتحول إلى صناعة معقدة ترصد لها الأموال وتتداخل فيها القيم والأفكار أكثر من ذي قبل.

وإذا ضم الإنسان لمقصد «الترفيه» الذي يرجوه من السياحة، مقصد «التدبر» في هذا الكون الفسيح ومطالعة آثار الله البديعة؛ فإنه سينتقل بهذا الترفيه من العادات إلى العبادات.

لقد جعل الله تعالى الكون كتابا مفتوحا شاهدا على طلاقة قدرته، وعلى وحدانيته في الخلق والأمر والنهي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢). وهذا الكتاب المفتوح المنظور إنما هو مفصل ومترجم للكتاب المقروء المنزل على خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ.. فالكون والقرآن كتابان متممان متكاملان، يصدران عن مشكاة واحدة.

والمسلم بممارسته فعل السياحة بأنواعها المتعددة، إنما يتيح لنفسه أن يتنقل مشاهدة وتدبرا بين سطور الكتاب المنظور، مثلما يتنقل تلاوة وتدبرا بين سطور الكتاب المقروء.

إن دقائق معدودات يقضيها المرء متأملا في صفاء السماء وعلوها وتماسكها من غير أعمدة؛ لتثبت اليقين في قلبه، وتزيده إيمانا على إيمان.

وإن مشاهدة أمواج البحر المتلاطمة، ومصافحة هذا الماء النقي المتدفق الهادر المليء بالأسرار والكنوز؛ لتطلع الإنسان على عوالم مختلفة؛ تشهد بجلال الله تعالى وتفرده.

وإن التدبر في تلك الحدائق الغناء، وأنواع الأشجار والثمار المختلفة الألوان والطعوم؛ ليعكس في النفس راحة وصفاء، ويرينا جمال آثار الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر:٢٧-٢٨).

ولهذا، يمكن أن نقول إن السياحة مطلب قرآني، وهذا المطلب قد تكرر في أكثر من موضع؛ مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠). وقد جاء الأمر بالسير في الأرض؛ لما له من أثر في تجديد الفكر، والترويح عن النفس، والتذكير بمسير الأقوام السابقين ومصيرهم.

قال ابن عاشور: «وإنما أمر بالسير في الأرض؛ لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها، ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها؛ فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها؛ فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه؛ لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده، قبل حدوث التفكير في عقله؛ اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها، حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبا عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال؛ فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل. فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة»[٢].

وهكذا تكون السياحة جامعة بين الترفيه والتدبر، بين الترويح عن النفس، ومطالعة بدائع الخلق، كما تكون فعلا ماتعا ينتقل الإنسان به من العادة إلى العبادة.

أفكار للتطوير

بعد هذا التفصيل الذي أخذ منحى تأصيليا، من المهم أن أشير إلى أن مفهوم السياحة تم اختزاله في دائرة ضيقة ووسائل محدودة، للأسف!

فأين، مثلا، السياحة من الآثار الإسلامية؟ لماذا لا تنظم الرحلات لمواقع الغزوات والمعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي على اختلاف فتراته، ليرتبط المسلمون بتاريخهم المجيد وصناعه العظماء؟ ومن الممكن أن تقام متاحف في هذه المواقع؛ تشرح أسباب المعركة ونتائجها والخطط والأدوات المستخدمة فيها.

كما يمكن أن تقام متاحف في المساجد الكبرى في الإسلام، مثل مسجد عمرو ابن العاص بالقاهرة؛ ويشرح فيها كل ما يتعلق بالمسجد من حيث النشأة والتطوير.

لقد شاهدت، على «اليوتيوب»، شيئا من أعمال المعرض الدولي الأول للسيرة النبوية والحضارة الإسلامية، الذي نظمته بالمدينة المنورة «رابطة العالم الإسلامي»، في شهر مايو الماضي؛ وجاء عملا فنيا رائعا امتزجت فيه الصورة والتقنية الباهرة بالمعلومة الموثقة.

ترى، كم من الفوائد سيتحقق لو عمم هذا العمل البديع على مختلف جوانب الإسلام، وفي بلدان أخرى، واستفاد منه الشباب خاصة، واطلع على هذه الأعمال غير المسلمين أيضا!

لا شك أن هناك الكثير من الأفكار التي بها نوسع مفهوم السياحة، ولا نحصرها في دائرة ضيقة، بحيث نجعلها صناعة رابحة تجمع بين الترفيه والتدبر، وتشبع حاجات الإنسان التي هي أوسع بكثير من حاجاته المادية.

الهوامش

١- «تفسير المنار»، محمد رشيد رضا، ٨/٣٩٣، ط٢، ١٩٤٧م.

٢- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، ٢٠/ ٢٣٠، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

ملف العدد



د. خالد صلاح حنفي
أكاديمي بكلية التربية

مقاصد السياحة الإسلامية

أمرنا الله، سبحانه وتعالى، بالسير والترحال في الأرض، سواء لطلب العلم، أو لأداء الحج أو العمرة، أو للترويح عن النفس، أو للتجارة والكسب، أو للتأمل والتدبر في آثار وتاريخ الأمم والحضارات، وذلك في مواضع عدة حوتها آيات القرآن الكريم: يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف:١٠٩)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:١١)، ويقول تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (النمل:٦٩)، ويقول تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت:٢٠)، ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ (الروم:٤٢)، ويقول تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران:١٣٧)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦)، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا﴾ (محمد:١٠)، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ (فاطر:٤٤)، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ (غافر:٢١)، ويقول: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (غافر:٨٢).

لقد وردت مسألة «السير في الأرض» في القرآن المجيد في سور: «آل عمران» و«الأنعام» و«النحل» و«النمل» و«العنكبوت» و«الروم»، حيث وردت مرة بقصد التفكر في أسرار الخلق (سورة العنكبوت الآية ٢٠)، وخمس مرات بقصد العبرة من العواقب الوخيمة التي نالها الظالمون والجبابرة والطغاة!

والقرآن يأمر المسلمين أن ينطلقوا من محيطهم المحدود إلى المدى الأرحب، ويسيروا ويسيحوا في هذا العالم، ليفكروا في أعمال الآخرين، وعواقب أمورهم، وأن يستلهموا من هذه «الحياة» العبرة والعظة.

وقد أوضح القاسمي، رحمه الله، أن المقصود بالسير في الأرض هو السفر والترحال لأجل الوقوف على الآثار؛ توصلا للعظة بها والاعتبار ولغيرها من الفوائد (محاسن التأويل)؛ فالإنسان مطالب بالتأمل، والتدبر، والتفكر، والتعلم من الآخرين.

وقد جاء الإسلام ليغير كثيرا من المفاهيم المشوهة التي تحملها عقول البشر القاصرة، ويربطها بمعالي الأمور ومكارم القيم والأخلاق، وكانت السياحة في مفهوم بعض الأمم السابقة مرتبطة بتعذيب النفس وإجبارها على السير في الأرض، وإتعاب البدن عقابا لها أو تزهدا في دنياها، فأبطل الإسلام هذا المفهوم السلبي المنتكس للسياحة، ليرتقي بمفهوم السياحة، ويربطه بالغايات الشريفة، فأوجب السفر أو «السياحة» لأداء ركن من أركان الدين وهو «الحج» في أشهر معلومة، وشرع العمرة إلى بيت الله تعالى في العام كله، ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في السياحة (بالمفهوم القديم الذي يعني تقصد السفر للرهبنة أو تعذيب النفس فقط) أرشده النبي ﷺ إلى المقصد الأسمى والأعلى من السياحة، فقال له: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» (رواه أبو داود). وبذلك ربط النبي ﷺ السياحة المشروعة المندوبة بالغاية السامية وهي الجهاد.

وقد دعا القرآن الكريم إلى السياحة والسفر، وتنوعت الألفاظ التي تشير إليهما، فأحيانا يشار بالسير في الأرض، وأحيانا تستخدم لفظة السياحة كما في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ (التوبة:٢)، وأحيانا تأتي بلفظ الضرب في الأرض: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ

عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (النساء:١٠١)، وقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل:٢٠)، كما يعبر عنها بلفظ المشي في المناكب: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).. وكل هذه المعاني تتضمن الحث على السفر والتنقل في الأرض والترحال.

وحتى السفر للتنزه والاستمتاع، فالأصل إباحة وجواز السفر للسياحة، والنزهة، والفرجة، والترويح عن النفس، ولا دليل على تحريمه، ولا على كراهته؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ (الأعراف:٣٢)، والإنسان يستأنس بالسفر، والنظر في البلاد كما يستأنس بمجالسة الأصحاب، ولا يحرم هذا، ولا هذا.

وعلى وجه العموم، فقد اتفق معظم الفقهاء على مشروعية السياحة على وجه العموم، وأوضحوا الضوابط الشرعية للسياحة، منها أن تكون لفائدة أو لمصلحة، كأداء الفرائض الدينية كالحج أو العمرة، أو طلب العلم، أو التنزه، أو التعارف، أو طلب الرزق، وألا تكون لأماكن فساد أو ممارسة البدع، أو المجون أو أي خروج على قواعد الشرع، لأن المسلم مأمور بالبعد عن المعصية، فلا يرتكبها ولا يجالس من يقوم بها.

وتجب الإشارة إلى أن مصطلح «السياحة الإسلامية» لا يقصد به زيارة الأماكن والمعالم الدينية الإسلامية فقط، بل يتسع استخدامه ليشمل كل أنواع السياحة، وذلك وفقا للمعايير والضوابط الإسلامية، كتناول ما هو حلال، والابتعاد عن كل ما يغضب الله، وأماكن الفسق والفجور.

مقاصد السياحة من المنظور الإسلامي

تتمتع دول العالم العربي والإسلامي بما تمتلكه من مقومات وآثار وأماكن ومعالم لها مكانتها وأهميتها، التي تعكس تطور وتاريخ الحضارة الإسلامية ومعالم لها قيمتها في تاريخ الإسلام والبشرية.

وتتعدد مقاصد السياحة من منظور الشريعة؛ فقد ربط الإسلام السياحة بالعبادة، فأوجب السفر أو «السياحة» لأداء ركن من أركان الدين وهو «الحج» في أشهر معلومة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ (الحج:٢٧-٢٨).

كما شرع الإسلام العمرة إلى بيت الله تعالى في العام كله، وهي أحد أشكال السياحة الدينية التي تعد أقدم أنواع السياحة، والهدف منها هو القيام بشعائر دينية، والترويح والتوسعة على أفراد الأسرة كما ورد في الإسلام.

كما اقترنت السياحة في المفهوم الإسلامي بالعلم والمعرفة، وقد سيرت أعظم وأقوى الرحلات السياحية في صدر الإسلام لغرض طلب العلم ونشره، حتى ألف الخطيب البغدادي كتابه المشهور «الرحلة في طلب الحديث»، وقد جمع فيه من رحل من أجل حديث واحد فقط!

أعظم مقاصد السياحة في الإسلام الدعوة إلى الله تعالى

ولعل أعظم مقاصد السياحة في الإسلام يكون في الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ البشرية النور الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ، وهو وظيفة الرسل والأنبياء، ومن بعدهم أصحابهم، رضوان الله عليهم، وقد انتشر صحابة نبينا محمد ﷺ في الآفاق يعلمون الناس الخير، ويدعونهم إلى كلمة الحق. ويدخل في أهداف السياحة التعارف مع الشعوب والبشر، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).

وأخيرا فإن من مفهوم السياحة في الإسلام السفر لتأمل بديع خلق الله تعالى، وجمال هذا الكون العظيم، ليكون ذلك باعثا للنفس البشرية على قوة الإيمان بوحدانية الله، وليكون عونا لها على أداء واجبات

الحياة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠).

إن القرآن الكريم في عدة آيات يدعو بوضوح شديد إلى الحفاظ على الآثار القديمة، ويدعو إلى مشاهدتها وزيارتها وتأملها بشدة وذلك للعبرة والاعتبار. يقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ (آل عمران:١٣٧-١٣٨)، ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ (الفجر:٦-٨)، ويقول تعالى عن آثار الفراعنة: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ (الفجر:١٠)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة:٢٦)، وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى وجوب الحفاظ على آثار الأمم السابقة لتكتمل برؤيتها الموعظة للأجيال المتتابعة، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فاطر:٤٤).

كما أن الإسلام أباح السفر للترويح عن النفس، وقد ورد فيما رواه الإمام البغوي في كتابه «مصابيح السنة» عن حنظلة الأسيدي أنه روى عن الرسول ﷺ قوله في الحديث الشهير: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»، ومن هنا أجاز الفقهاء السفر للتنزه والترويح عن النفس.

التوعية بالسياحة الإسلامية

للسياحة بأشكالها المختلفة دور حيوي في رفد الدخل القومي ودعم الناتج القومي، بما ينعكس بصورة إيجابية على دخل الدولة والفرد على حد سواء، وحتى تحقق السياحة أهدافها يجب على الجهات المنوط بها تعزيز الحركة السياحية تضمين التوعية المجتمعية كأحد أهم عوامل إنجاح القطاع السياحي في تحقيق المراد منه.

فلا شك في أهمية تنظيم الفعاليات المختلفة من خلال الجمعيات والنوادي في سبيل ترويج دعاية للمناطق السياحية بين المواطنين، وعقد الندوات والمحاضرات والنشاطات الخاصة بالمحافظة على نظافة الأماكن السياحية الإسلامية والتراثية، بالإضافة إلى عمل اللوحات الإرشادية التي تتضمن معلومات عن المناطق الأثرية، والخرائط الإرشادية للدلالة على مواقع الأماكن السياحية الإسلامية.

وهناك حاجة إلى تنمية الوعي السياحي للعاملين في القطاع السياحي أنفسهم ضمن إطار العملية السياحية؛ كونهم على اتصال مباشر مع السائح، وأهمية التعامل مع السائحين بأقصى اهتمام وعناية، لأن السائح سفير لبلده، وبالتالي فإن الانطباعات الطيبة لديه يكون لديها مردود إيجابي على تغيير الصورة الذهنية للإسلام والمسلمين في بلاده، ويكون لها أثر كبير في تغيير الصورة النمطية السلبية التي تروج لها وسائل الإعلام في الغرب.

ويجب أن تمتد التوعية السياحية لتشمل السائح الزائر للعالم العربي والإسلامي، وتهيئة وتوعية السياح قبل دخولهم البلاد المضيفة، حيث قد تشكل بعض التصرفات الناتجة عن السياح والتي تعكس بدورها ثقافتهم المحلية خرقا لعادات وتقاليد وقيم ومبادئ المجتمع المضيف، مما قد يؤدي إلى رفض هذا المجتمع لهذا النوع من النشاط الاقتصادي، مما يؤكد على ضرورة احترام هذه الثقافة مهما اختلفت عن ثقافة السائح الأصلية.

فنشر الوعي السياحي ركيزة أساسية لا يمكن إغفالها عند التخطيط للنهوض بقطاع السياحة، كما أن إشراك المجتمع المحلي وانخراطه في العملية السياحية خطوة جيدة لتهيئته لاستقبال السائحين. ولابد أن يعي أفراد المجتمعات العربية الآثار الاجتماعية الإيجابية للسياحة لينخرطوا في نشاطها وفوائدها.



د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب

التواصل الحضاري

قام أمر الإنسان الأول على الترحال بحثا عن الأمن والرزق والخصب، ولما استقرت الجماعات البشرية فوق بقع من أرض الله الواسعة وصارت لها حدود متفق عليها -وإن كانت هذه الحدود لا تعوق حرية الحركة- لم يتوقف الإنسان عن السياحة في الأرض لما ذكرنا من أسباب بالإضافة إلى الرغبة في الترفيه كما قال الشاعر:

والنفس تضجر من دار المقام على
رغم وإن كان من سمارها القمر

وتعد السياحة إحدى الوسائل القديمة المتجددة للتواصل بين الثقافات والحضارات ولعلها تتميز عن غيرها بالمعايشة التي يتشارك فيها العقل والقلب والحواس، وكما قيل «فما راء كمن سمعا»: «ولسان العيان أفصح من لسان البيان»[١].

ولاشك أن الناس ينظرون إلى السائح على أنه سفير لوطنه وصورة لعاداته وقيمه وثقافته.

وينبغي أن تكون هذه الفكرة واضحة في ذهن من يخرج من بلده للسياحة في بلدان أخرى، فإذا أحسن تقديم نموذج صالح لحضارة استمرت قرونا وأشرقت شمسها بالعدل والحب والخير والجمال على الدنيا فأضاءتها وأزاحت عنها ظلمة الجهل والفقر والمرض وسارت بالإنسانية إلى مدارج الإحسان والتعمير، خطونا بذلك خطوة إلى الأمام في سبيل تحسين صورة الإسلام والمسلمين عند من لا يعرفون عنهم إلا صورة مشوشة صنعت بيد لا تحب للمسلمين الخير.

روابط إنسانية

ولعل من الفوائد التي تعود على السائح إنشاء الصداقات وتكوين الروابط الإنسانية بين السائح وأبناء البلد الذي يزوره، وفارق كبير بين الصداقة في عالم الواقع والصداقة في العالم الافتراضي[٢].

صديقك الذي تراه خلال سياحتك وتشعر بمدى التوافق بينك وبينه من خلال مواقف تقدر فيها مدى إخلاصه وصدقه واستحقاقه للقب الصديق، ولعل هذه العلاقة تثمر بمرور الأيام عن شراكة تجارية أو

فكرية أو اجتماعية تستمر وتستقر يؤكدها مرور الأحداث والمواقف.

تفاعل حضاري

إن عملية الالتقاء بين الأشخاص والحضارات عملية تبادل تقام في سوق الدنيا الواسع، تبادل لقيم الخير والنهضة والعمران يقوم على الأخذ والعطاء ويتأسس قبل ذلك على ثقة في تراثنا وقيمنا المستمدة من ديننا والتي تحمل في طياتها الخير للإنسانية. إن هذه الثقة المطلقة بوحي السماء وهداية الله للإنسان هي التي تتيح للسائح المسلم أن يقف على أرض صلبة وهو يقدم قيمه العليا تقديما عمليا لا نظريا، فكما قيل: «عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل».

لكن حالة الانبهار التي يقع فيها البعض تجعل أيديهم هي السفلى الممدودة دائما لتلقي ما عند الآخرين من مواريث ثقافية فيها الخير والشر وما يتناسب معنا وما يتعارض مع معتقداتنا.

توثيق المعالم

مما يعمق الاستفادة من الرحلة السياحية توثيقها بالصورة والقلم، يصف السائح مشاهداته وما وقع له وانطباعاته الشخصية على أن يفرق بين الواقع ورؤيته للواقع، فإن الأمانة تقتضي ذلك، ويمكن أن يضيف إلى ما يكتب فائدة لغيره ممن يقصدون هذا المكان من بعده يدلهم على أجمل ما فيه مما لم يعرض على الخريطة السياحية وخصوصا إذا كان يتعلق بالحضارة الإسلامية.

ثمرات العقول

من بين الخدمات الجليلة التي يمكن للسائح أن يقدمها للثقافة والعلم تصوير المخطوطات الإسلامية الموجودة في مكتبات الدول التي يزورها، فإنها ثروة حضارية وإرث إنساني، وكم يشعر القارئ بالمرارة عندما يقرأ عنوانا لكتاب ويجد إلى جواره كلمة «مفقود» وكم فقد من علم وأدب وتاريخ!

كم يشعر القارئ بالمرارة عندما يجد تراث آبائه وأجداده بعيدا عنه لا يجد إليه سبيلا؟! لكن يزيل هذه المرارة وجود أوفياء لحضارتهم حريصين على تجليتها للعالمين واستعادة ما فقد منها من إرث ثقافي وعلمي.

نزهة العيون

كما أن للعين نزهة تسر الخاطر وتجدد النشاط بعد الملل والكلل فإن للعقل أيضا نزهة يمكن للسائح أن يرتادها في المكتبات العامة والمتاحف العلمية والندوات الثقافية وإذا كان من أهل العلم فيمكن له أن يشارك بمداخلة يكشف بها عن رحابة الثقافة الإسلامية وعطاء الحضارة الإسلامية وهي فرصة لتشييد جسور التواصل الثقافي بين الأمم يبحث عنها أهل الإنصاف في كل حضارة وهم موجودون في كل مكان وزمان.

وينبغي أن يستفاد من هذه الفرص بعرض الفكرة محل المداخلة عرضا جيدا يدرك فيها المتكلم أبعاد الكلام ومآلاته.

أوصى عبدالملك بن سعيد الأندلسي ابنه فقال:

وانطلق بحيث العي مستقبح
واصمت بحيث الخير في سكتتك[٣]

وإذا كان البعض يظن أن هذا من اختصاص الأدباء والمفكرين والصحفيين فإن في داخل كل إنسان ملكة يمكن أن يعبر بها عن مشهد لم تره عين أديب ولم يلتقطه خيال شاعر، وقد كشفت وسائل التواصل عن مواهب وأقلام لم تعرف حتى عن نفسها القدرة على الكتابة والتعبير.

وممن نقل مشاهداته أثناء رحلته إلى ألمانيا الشيخ الخضر حسين، فقال: «يعمل الألمان في حياتهم على شاكلة سياسيهم الكبير (بسمارك) القائل: «إن استراح، صدئ». فإذا رأيتهم -لاسيما في غرة (مطلع النهار)- وهم ينتشرون في الأرض بخطا سريعة ونشاط، يتمثل لك الجد في أوسع مظهره، وينكشف لك الفرق ما بين العامل والقاعد في أجلى صوره. لا يلاقي المتجول في أنحاء المدينة -على سعة منطقتها- طائفة تتسول، وتخطر لي ذكرى أني لم ألق من السائلين في أشهر الإقامة هناك أكثر من عدد أنامل الكف الواحدة، وهم إما رجل قطع جناحه، أو عجوز بلغت من الكبر عتيا، ولا عجب إذ لم نشاهد كثيرا من العجزة يتكففون؛ فإن في الباب التاسع عشر من قوانينهم المدنية: أن تقوم الحكومة بعيش من قعد به العجز على الاكتساب بنفسه»[٤].

صورة من صور الجد نقلها قلم هذا الرحالة يحث بها إخوانه ممن لم يشاهدوا ما شاهده على الجد والدأب فهما وسيلة التقدم كما ينقل صورة -لم تكن معهودة في ذلك الزمان- من صور رعاية الحكومات لشعوبها.

هذا نموذج لنقل صور تحقق إحدى الفوائد من الرحلة وهي نقل الصفات الإيجابية للشعوب.

نقل الأفكار

ويواصل الشيخ الخضر حسين نقله للجديد النافع فيقول: «ومن الجمعيات عندهم (بألمانيا) جمعية «تخفيف المصائب»، ومن أعمالها الحسنة: أن تساعد من تنوبه مصيبة في جسده

مساعدة ابتدائية، ففتحت في أقسام العاصمة محال (أماكن) عينت لها أطباء ليسارعوا إلى علاج كل من يطرأ عليه حادث، أو يفاجئه مرض في أثناء الطريق مجانا»[٥].

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وكان أكثر ما اهتممت به لما عدت (من مصر) إلى دمشق وسعيت إلى الدلالة عليه، ووفقت والحمد لله في نقله من حيز القول إلى حيز العمل، هو إنشاء الجمعيات الإسلامية واتحادات الطلاب، وكلاهما لم يكن معروفا في الشام»[٦].

ولاريب أن جمع الجهود المتناثرة وتوجيهها لما فيه خير العباد والبلاد مطلب شرعي وضرورة بشرية ونوع من التعاون على البر والتقوى إذا صلحت النوايا.

إن المسلم يتجول في أرض الله بقلب واع وفكر مستنير، يعمل عقله فيما يرى، يتأمل في الشعوب ونهضتها واستقرارها، ويتساءل كيف حصلت على أكبر معدلات الاستقرار السياسي والاجتماعي؟ وما سر تقدمها في المجالات الصحية والتعليمية.. إلخ؟ وهل لطبيعة البيئة علاقة بذلك؟

كيف استطاعت بعض المجتمعات تحقيق نوع من التوازن بين الارتباط بالأصل والاتصال بالعصر وما فيه من قيم تتنافى مع كثير من المواريث الثقافية؟

قد تبدو هذه أسئلة عميقة، لكن السائح الذي يملك قلبا يحب أمته ووطنه حريص على الخير أينما حل يلتقط ما ينفعه وينفع الناس.

وينبغي على السائح أن يحرص على تحقيق عدة أهداف من رحلته وذلك على قدر طاقته منها:

١- إنشاء الجسور التي تعبر عليها الحقائق الإلهية والتجارب الإنسانية النافعة.

٢- تحقيق الأخوة الإنسانية، فالناس إما أخ لك في الدين، أو شريك لك في الانسانية.

٣- إزالة الحواجز الكثيفة التي أقامها من لا يريدون للعالم الإسلامي الخير وساعدهم على ذلك أناس ربما تحلى بعضهم بحسن القصد لكن ينقصهم إدراك رسالة الإسلام بعموميتها وخيريتها وكونها للناس كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠) وأن نبيها رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

إن الحرص على تحقيق هذه الأهداف مما يعود على السائح بل على أهل وطنه ودينه بأعظم الفوائد، وهي في نفس الوقت جزء من واجب الإنسان تجاه دينه وتجاه الآخرين.

الرحّالة

كان الرحالة الأول في ذهنهم قضية التواصل الحضاري ونقل النافع المفيد من تجارب الأمم إلى أوطانهم، يقول الشيخ الجرجاوي: «أصبحنا في عصر تتسابق فيه الأمم إلى إحراز قصب السبق في ميدان الحضارة فأجدر بالشباب أن يطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن في الشرق أمة في الثلاثين ربيعا من سنين حياتها الجديدة[٧] تنظر إليها الأمم الأخرى نظر الإجلال والاعتبار حتى إذا قرأوا ما لم يصل إلى علمهم دبت في نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل وقالوا حي على خير العمل»[٨]، و«لم أقصد برحلتي هذه في الحقيقة مجرد الاشتراك مع الذين ذهبوا إلى اليابان في نشر تعاليم الدين الإسلامي بل كانت رغبتي متوجهة أيضا إلى استطلاع أحوال هذه الأصقاع ومقدار ما وصلت إليه من المدنية وتقدمها في العلوم شأن من سبقني من السائحين»[٩].

ويقول رفاعة الطهطاوي: «قيدت في سفري رحلة صغيرة نزهتها عن خلل التساهل والتحامل وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل ووشحتها بعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقتها بحث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع، فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع، ولعمر الله إنني مدة أقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الإسلام منه... وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى الخاص والعام، وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم»[١٠].

الهوامش

١- موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين (٥٤٤٨/١١).

٢- انظر مقالة للكاتب في مجلة «الوعي الإسلامي» بعنوان صديقي الافتراضي.

٣- موسوعة الأعمال الكاملة الشيخ محمد الخضر حسين (٥٤٤٠/١١).

٤- المرجع السابق (٥٥٨٧/١١).

٥- المرجع السابق (١٦٩/٣/١١).

٦- ذكريات - علي الطنطاوي (٣٤٠/١).

٧- كان ذلك وقت كتابة الكتاب.

٨- الرحلة اليابانية الشيخ علي أحمد الجرجاوي ص٨، ط/مؤسسة هنداوي ٢٠١٤م.

٩- الرحلة اليابانية ص١١.

١٠- تخليص الإبريز في تلخيص باريز رفاعة الطهطاوي ص١٠، ١١ مؤسسة هنداوي ٢٠١٢م.



عبدالله الظفيري
كاتب وباحث

الصلاة على النبي في الحل والترحال

لا تتوقف أبدا عن الصلاة على النبي محمد ﷺ، حتي لو كنت مسافرا منشغلا بسفرك فبذلك تكتسب الأجر وتمتثل لأمر الله تعالى. يقول رب السماوات والأرض في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦).

إذا أردت أن تكون أولى الناس بالرسول ﷺ، فأكثر من الصلاة على المصطفى لتنال خيري الدنيا والآخرة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة» (رواه الترمذي).

أما إذا أردت رفعة الدرجات ومحو الخطيئات، فعليك بالصلاة والسلام على خير الورى ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات» (رواه النسائي).

لست بخيلا ولا تريد أن تكون كذلك، فعليك إذن بالصلاة على النبي محمد ﷺ. عن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده، فلم يصل علي» (رواه ابن حبان).

لا تختر وقتا محددا للصلاة على النبي محمد ﷺ، بل ردد في كل وقت: «صلى الله عليه وسلم»، لكن في يوم الجمعة أكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ. عن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ (يعني وقد بليت)، قال: إن الله جل وعلا حرم على الأرض أن تأكل أجسامنا» (رواه ابن حبان).

وكلما صليت على النبي ﷺ بلغت صلاتك النبي ﷺ، فيرد عليك السلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» (رواه أبو داود).

وليست هناك صيغة محددة للصلاة على النبي ﷺ، إنما وردت في الأحاديث صيغ متعددة، منها ما رواه كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ، فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص



التفكر في خلق اللّه

ينسى بعض المسلمين أحيانا أن سياحتهم وزيارتهم لدول أخرى ومناطق مختلفة من العالم، خصوصا في الصيف أو موسم الإجازات الطويل، أن هذه السياحة يمكن أن تكون في طاعة اللّه تعالى، بل تضاعف لهم حسناتهم، وتجعلهم ينالون رضاه تعالى عبرها، فهي داخلة تحت قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).

فما خروج أحدنا من بلده سائحا في العالم أو مختارا وجهة منه للاستجمام والبقاء فيها إلا من «محياي» المذكورة في الآية الكريمة السابقة، فالصلاة و«النسك» أو التقرب للّه تعالى[١] والمحيا كله والممات إنما هو للّه تعالى، وإن كان ابن كثير قال، مع مفسرين آخرين، إن النسك هو «الذبح في الحج والعمرة»[٢]؛ والمعنى في النهاية أن كل مفردات حياتنا إن أردنا بها وجه اللّه صارت إليه، جازانا عليها وكافأنا بالخير الوفير.

أما عن «السياحة» فهي في معجم «الصحاح»: «ساح الماء يسيح سيحا، إذا جرى على وجه الأرض... وساح في الأرض يسيح سياحة وسيوحا وسيحا وسيحانا، أي ذهب»[٣]. وأما السؤال الأهم الأبرز فهو: كيف يكون «ذهاب» وسياحة أحدنا في الأرض جالبا لرضا اللّه تعالى، وسيرا في طاعته؟ إن راح بعضهم يتحاشى فحسب أن يغضب اللّه في سياحته، مكتفيا بالبعد عن الشبهات والمحارم في رحلته تلك أو رحلاته، ومن المسلمين من يرون أن تجنب ما يغضب اللّه غاية المراد في سياحتهم، متناسين أن بإمكانهم التزود من الخيرات إلى ما شاء خالقهم عبر تلك الرحلة ومثيلاتها.



وإذا ذهبنا نحصي الآيات الكريمة التي حض فيها رب العزة عباده على التفكر فيما خلق طال بنا الطريق، فما أكثر ما حث تعالى عباده المؤمنين على النظر فيما خلق من ملكوت السماوات والأرض؛ فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١)، فالآيتان الكريمتان مثالان للأمر الإلهي بالتفكر في خلق السماوات والأرض، والأفعال الملازمة لذكر الله في جميع يوم الإنسان: قيامه وقعوده بل نومه[٤]، سواء أكان في الصلاة أو العمل أو الراحة، هؤلاء هم من أولي الألباب والعقول والنهى، مع التفكر في ملكوته تعالى.

والتفكر في ملكوت الله وخلقه، بعيدا عن المحارم، يورث القلب رقة في الشعور، ودقة في إدراك عظمة الخالق من قبل، وتعظيما لله الذي أبدع في كل شيء خلقه، وبالتالي تتجه الروح إلى بارئها فتزداد رغبة في القرب منه، وتتحول الرغبة العالية السامية إلى مزيد من الاستغراق في الطاعات، والبعد عن المعاصي، بما يزيد الواحد منا قربا من جنانه سبحانه وتعالى، وبعدا عن معاصيه وسخطه والعياذ بالله.

وبالمعنى السابق وما يترتب عليه من جميل الاتعاظ وتجديد الإيمان في نفس المؤمن يزداد أجرا وثوابا حتى إن أحد الصالحين يقول، فيما أورده أحد المفسرين، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ «إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة، أو لي فيه عبرة»[٥].

فإن كان المؤمن في أغلب العام منشغلا بعمله، وبتحصيل الرزق، والسعي خلف المشروع من متطلبات الحياة؛ فإن فرصة الإجازة والتحلل من المشاغل والبعد عن هموم تحصيل الرزق فرصة عظيمة للتزود وإعادة النظر في جميل صنيع الله بما يرضيه تعالى.

قيمة النفس

وبعيدا عن طقوس الحياة المعتادة، والانهماك اليومي في جدول الأفعال والتصرفات المكررة، يمكن للمؤمن بقوة أثناء تقليب عينيه، وجريان روحه في التدبر في آيات الله أحسن الخالقين، في هذه الأجواء الرحبة، ذات القيمة المعنوية العميقة، يتمكن المؤمن من إعادة حساباته، وفي وقت فراغه من الهموم والمشاغل والمشاكل، وفي عنفوان سياحة بريئة تظهر له محاسن كون الله، يتمكن المؤمن من النظر الجلي الواضح المتسع في محاسن نفسه، والمعاني التي يتخذ منها دافعا لحياته، كي يجد تسليمه لحياته كلها لله.

وفي خضم هذه النعمة من الانصراف عن الدنيا وتحصيل طرف منها، والمعاناة مع همومها، يتمكن المؤمن أيضا في بلد غير بلده وضاحية وناحية لم يعتدها، من تجديد القرب من نفسه ومصارحتها بعيوبها وأدوائها، طلبا للاستغناء عنهما، والتوغل في الفعل الحسن المقرب لرب العزة.

وأثناء رحلة المراجعة يتذكر أحدنا أن الله أملى له وزوده بالنعم العظيمة وأتاح له الفرصة للخروج والسياحة، ومن قبلها أطال ومد في عمره حتى إنه ليراجع نفسه، ويواجهها بعيوبها، وفي الأقارب والأصدقاء والمعارف ودوائر التواصل مع الآخرين من المسلمين والمؤمنين من لم يمهلوا لهذه الفرصة، والمعنى الأخير يزيد من حرص صاحبه على أن يري الله عزيمة صادقة في تغيير نفسه، وبعدا عن المعاصي والذنوب، وتسليما لله وطلبا للعون منه على النفس ورغباتها، مع التسليم بأنه بشر ينسى ويخطئ لكن يتمنى أن تكون أخطاؤه قليلة بسيطة وأن يغفرها الله تعالى له.

مشاركة الطاعة

ينسى بعض السائحين أنه في رحلة سياحته عن وطنه لا ينبغي أن ينسى أن ذنبه في الغربة إن غاب عن البشر ممن يعرفهم، فإنه لا يغيب عن إدراك الله تعالى، ولعل يقين أحدهم بأن ذنبه الكبير في الغربة، بوجه خاص، يغيب عن أحبابه ومريديه الذين يمكن أن يقل في نظرهم، أو يفلت به من العقاب التشريعي الدنيوي، لعل هذا الإحساس بعظم الخوف من البشر، وعدم الرغبة في المعصية أمامهم، مع تناسي أن الله مدرك لفعل العبد، لعل في ذلك الشعور ما يغضب الله مع المعصية نفسها، إن لم يكن أكثر منها.

وبعض المسلمين يقود أسرته إلى الخارج في رحلة سياحته فيظن أنه آمن، ويحاول أن يوحي إلى نفسه بالطمأنينة، فيروح يكثر على نفسه من الذنوب والمعاصي، متناسيا أن بعد عين الله الذي تراه عين صغاره الذين تناسى أنه يجب أن يعلمهم الخير ويكون لهم قدوة فيه، فلما يرونه بعيدا عن الأهل والمعارف يفتئت ويتجرأ على جناب الله، فإن ذلك يورث أنفسهم عدم تقدير لرب الأسرة تصعب إزالته من أنفسهم، إن لم يكن الأمر من بعد قدوة لهم في الاجتراء على مثل هذه الأفعال مستقبلا.

والمعنى الأخير يتضافر مع غيره ويجعل السياحة تزداد ضرورة لأن تكون في رضا وطاعة وقرب من الله تعالى.. تحصيلا للمزيد من الإيمان به، وحفاظا على كيان البيت والأسرة، وتقربا لله تعالى بتحبيب النفس وأفراد الأسرة فيه تعالى.

الهوامش

١- معجم المعاني الجامع (معجم عربي-عربي)، مادة نسك، الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٢- تفسير ابن كثير والطبري للآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢)، آيات القرآن الكريم، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٣-عن معجم الصحاح في اللغة، موقع معاجم، مادة ساح، الشبكة العنكبوتية.

٤- من تفسير الطبري للآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١)، آيات القرآن الكريم، مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

٥- أورد ابن كثير المقولة في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١)، منسوبا للشيخ أبي سليمان الداراني عن ابن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار»، عن المصدر السابق.

د. محمد علي الوافي
أكاديمي بجامعة تنسيق الكليات الإسلامية



السياحة و شخصية الأطفال..

السياحة هي تلك الرحلات التي نقوم بها لمشاهدة الطبيعة ومناظرها العجيبة كي نمتع أنفسنا بروعتها، ولكي تتجدد مشاعرنا برونقها. فالكيس هو ذلك الرجل الذي يخطط سياحته وسياحة عائلته ثم يقيم النتائج والفوائد التي تعود عليهم. وأما بالنسبة إلى الأطفال، فالسياحة هي علاقتهم الأولى وتجاربهم الابتدائية بما حولهم من الحياة. فينبغي أن تكون السياحة عند الأطفال سياحة متعة وإفادة وتوجيه أخلاقي وتسلية معا. ونستطيع بها أن نسلحه بالمواهب الفطرية والاستعداد الشخصي والعزيمة الكبرى.

وقبل البدء يحسن بنا أن نوجه بعض الأسئلة المهمة التي تتعلق بالسياحة العائلية لاسيما سياحة الأطفال، ومن أهمها: هل تخطط الأسرة في السياحة العائلية أو في سياحة الأطفال لما يلبي حاجاتهم ويشبع جوانب النمو النفسية والذوقية والطبيعية لديهم؟ أم تخطط الأسرة لما يوافق أفرادها الكبار فقط، وتجرعه الأطفال من غير أن ينظر إلى مراحلهم العمرية؟ وإن كانت السياحة بعد تخطيط كامل مسبق من قبل أعضاء الأسرة، فهل هذا التخطيط يرمي إلى أهداف تعود بالفائدة على الأطفال؟ وليس جديدا القول بأن الأسرة في تخطيط السياحة العائلية لا تعترف بالخصائص النفسية للطفل ولا بحاجاته السيكولوجية.

وعلماء النفس والتربويون يجمعون على أن هذه المرحلة العمرية أهم وأخطر مرحلة في حياة الإنسان، وذلك لما لهذه المرحلة من دور كبير في بناء شخصيات الأطفال وتنميتها تنمية متكاملة الجوانب، لكونها بداية التعليم المنظم لهم، حيث تعلمهم أنماطا متنوعة من السلوك الجديد، وتكسبهم مجموعة من المهارات والقيم والعادات، وتوسع حصيلتهم الثقافية وتمكنهم من ممارسة العلاقات الاجتماعية التي تجعل منهم مواطنين متأقلمين مع مجتمعهم قريبين من واقع حياتهم.

والسياحة لا تكتمل إفادتها إلا إذا رجعت بالفوائد على من يقوم بها. وسياحة الأطفال تقدم إلى الطفل كثيرا من المعلومات التي لم يكن واعيا بها. ونخطط بهذه السياحة النافعة إلى الأهداف التي تساعدهم في تكوين شخصياتهم في المستقبل. وذلك حسب المعلومات الإيجابية التي يكتسبها الطفل من هذه السياحة. وهذه السياحة تنمي شخصيته الإسلامية والإنسانية معا. ومن الناحية النفسية يتمتع الطفل بهذه السياحة.

ومن الناحية الثقافية تلعب هذه السياحة دورا مهما في إثراء معلومات الطفل عن الطبيعة وعن العالم الخارجي والأجناس والثقافات الأخرى. ومن مشاهدة هذه الآثار التراثية يتعرف الطفل على التراث الإسلامي في الفن المعماري عن طريق الرؤية. وكذا هذه المشاهدة سوف تشحذ خيال الطفل وتدفعه إلى الإبداع والابتكار.





د. آندي حجازي
دكتوراة في علم النفس التربوي

سياحة وطاعة

يحتاج الإنسان في حياته إلى أنواع مختلفة من التغيير والخروج عن الروتين والمألوف، من أجل أن يشعر بالانتعاش والتجديد وصفاء الذهن وتجدد الطاقة والحيوية، ولذا قد يكون من أنواع التغيير المفيدة في حياة الإنسان الخروج في نزهات داخل بلد الإقامة والتعرف على أماكنها الدينية والتاريخية والطبيعية، أو السفر والسياحة خارج البلد الذي يقيم بها.

والسفر من أكثر الطرق المفيدة لتعلم ثقافات وحضارات وتاريخ وجغرافيا وعادات الأمم والشعوب الأخرى، ويقال إن العالم كتاب مفتوح، وكلما سافر المرء لبلدان ومدن جديدة قرأ صفحات من ذلك الكتاب العظيم، فيزداد تعلمه وعلمه، ومن قلت سياحته قلت قراءته وثقافته عن الشعوب الأخرى والتعلم منها وعنها.

والله عزوجل يقول في محكم كتابه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ (العنكبوت:٢٠). فالله تعالى دعا الإنسان للسير في الأرض والتفكر فيما خلق الله، فالكون كتاب مليء بالأسرار والعبر والقدرات الخارقة للخالق والمناظر الجميلة والتفكر بما خلق الله تعالى، فلا أجمل من أن ترى تنوع الجبال والسهول والأنهار وينابيع الماء والمخلوقات التي لا تعد ولا تحصى والتأمل في عظيم خلق الله، وهذا من أهم غايات السياحة الدينية الإسلامية والتي تدعو للتفكر في عظيم خلق الله.

وقد جاءت الدعوة للتفكر في الكون في آيات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠



السائح المسلم يعكس صورة مجتمعه

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١). فالتفكر في خلق السماوات والأرض وما تحويه الأرض من كائنات وتضاريس وأشجار ونباتات وحيوانات ومناظر طبيعية وتغير في الطقس وتداخل الليل والنهار كلها من غايات السياحة الدينية المرغوبة في الإسلام.

معايير إسلامية

إن السياحة الإسلامية لها معاييرها حتى تأخذ صفة دينية أو إسلامية، والتي أرى منها أن يكون هدف تلك السياحة الأساسي هو ما يرضي الله تعالى، فإن كانت ضمن ما يرضي الله تعالى فإنها ستكون ذات غايات سامية ومقبولة، وإلا فإنها قد تدخل في دائرة الحرام أو ما يغضب الله تعالى، ولنضرب مثلا على ذلك؛ فإن سافر المسلم إلى بلد ما فإن هذا لا يخالف الشرع، ولكن إن مارس في سفره الكبائر أو المحرمات أو المحظورات فإن سياحته ستصبح وبالا عليه، كأن يستبيح لنفسه شرب الخمر في ذاك البلد الذي سافر إليه، أو الدخول إلى الملاهي الليلية والمراقص وحضور حفلات الرقص والغناء والمشاركة بها، والاختلاط المحرم الخليع، ولبس الملابس الفاضحة غير الساترة وغير الشرعية، كمن يذهبون للسباحة على الشواطئ المفتوحة فيرتدون ما يشاؤون من ملابس السباحة ومشاهدة النساء شبه عاريات، ونظر الرجال للنساء والنساء للرجال على هذا الشكل! فكل هذا يغضب الله تعالى ويجعل السياحة المرغوبة سياحة مكروهة بغيضة عند الله تعالى.

ومن هنا فإن الإنسان المسلم حينما يتجول ويسيح في الأرض، عليه أن يلتزم المعايير التي ترضي الله تعالى في لبسه وكلامه وتصرفاته وأكله وشرابه، فالله تعالى يراه هنا ويراه هناك. والعجيب أن البعض يتصرف خارج بلده تصرفات غريبة وكأن الله تعالى الخالق العظيم موجود فقط في بلده وغير موجود خارجه! كالتي تخلع حجابها الإسلامي حينما تسافر للسياحة في دولة أجنبية، وهذا السلوك كثيرا ما نشاهده للأسف من النساء المسلمات حينما يسافرن إلى أوروبا أو غيرها من الدول الأجنبية، وبالتأكيد هن يخرجن عن معايير وغايات السياحة الإسلامية التي ترضي الله تعالى.

سلوكيات المسلم

وعلى المسلم أن يتذكر وهو يسيح في الأرض أنه يعكس صورة الإنسان المسلم وأخلاقه ودينه، وبناء على سلوكياته قد يدخل البعض في الإسلام أو على الأقل يتقبله كدين سماوي، أو قد ينفر منه وبشدة. وللأسف نشاهد البعض حينما يسافرون لدولة أجنبية غير مسلمة، وهم مسلمون، يتصرفون تصرفات مسيئة جدا لصورة الإسلام، كرمي الأوساخ في الشوارع والمتنزهات والأماكن التاريخية والسياحية، أو التحدث بأصوات مرتفعة تزعج الآخرين في الأماكن العامة، أو عدم الانتظام بالصفوف، أو عدم الالتزام بالمواعيد، أو مقاتلة بعض الأشخاص واستخدام الصراخ والكلمات المسيئة، أو المشاركة في شرب الخمر والحفلات الترفيهية الضالة، أو التفحيط بالسيارات ومخالفة قوانين السير وغيرها من السلوكيات السيئة. ونتذكر كيف دخلت إندونيسيا بالإسلام نتيجة لتعامل وأخلاق التجار المسلمين وحسن تصرفاتهم وأمانتهم وصدقهم وابتسامتهم وحسن معاملتهم لأهل إندونيسيا، وابتعادهم عن الكلمات النابية والسلوكيات المشينة، ولليوم لم يذكر التاريخ أسماء هؤلاء التجار لأنهم كثر، ولأن السمة العامة لهؤلاء التجار كانت متشابهة تعكس صورة المسلم الحقيقي الناضرة الجاذبة التي نحن بأمس الحاجة للالتزام بها في



زماننا من أجل تشجيع الآخرين على الدخول في ديننا العظيم.

الأماكن المقدسة

ومن السياحة الإسلامية زيارة الأماكن الدينية كالذهاب للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي والروضة الشريفة وقبر رسول الله ﷺ، وزيارة المسجد الأقصى في القدس الشريف والصلاة في تلك المساجد المقدسة العظيمة الثلاثة، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (متفق عليه).

ومن المهم حينما يزور الإنسان تلك المساجد المقدسة أن تكون غايته العبادة لله تعالى فقط؛ وليس السياحة الترفيهية مع العبادة، ولذا فإن كنا نستخدم مصطلح «سياحة دينية»، إلا أن المقصود بالسياحة الدينية هنا هو السفر وشد الرحال والتنقل في الأرض من أجل غاية محددة ترضي الله تعالى، وليس الاستمتاع بالطبيعة ومع البشر.

والله تعالى قدر أن جعل المسجد الحرام بواد غير ذي زرع، فلا نبات فيه ولا حدائق غناء، وقد تجلت حكمة الله تعالى في ذلك، من أجل مساعدة الإنسان على تصفية نيته حينما يأتي إلى المسجد الحرام والمشاعر المقدسة في منى وعرفات، فإنه يأتي للعبادة فقط، وليس للعبادة والتنزه، فلو كانت مكة المكرمة ذات حدائق غناء وبساتين وثمار وأنهار وطبيعة خلابة، فإن السياحة إليها ستصبح بغاية العبادة والاستمتاع بالطبيعة، والله تعالى رحمة بالإنسان قد ساعده على أن تكون نيته خالصة لله تعالى وللعبادة فحسب دون إشراك النية بغايات دنيوية، فجعل طبيعة مكة المكرمة والمدينة المنورة بهذا الشكل من الطبيعة التضاريسية القاسية الجافة.

السياحة الإسلامية أفضل معلم للأجيال الناشئة

زيارة مواقع للتعلم

لقد مر على الإسلام الكثير من الحضارات والشعوب والثقافات، فقد حكم الأمويون والعباسيون والأيوبيون والمماليك والعثمانيون وغيرهم، وكل حكم من تلك الفترات جلب معه الكثير من الثقافة والعلم والتطور والحضارة، وترك آثارا تدل على حضارتهم وما امتازت به، ومن المفيد السياحة لزيارة تلك الأماكن الأثرية والدينية التي تعكس الثقافة الإسلامية في مختلف العصور من مساجد ومدارس وقلاع وحصون ومكتبات قديمة وأسواق ومبان أثرية وتاريخية تظهر للزائر تاريخ وحضارة كل عصر من العصور.

ومن المهم لهذه الأجيال القيام بالسياحة الإسلامية لأنها أفضل معلم، لمشاهدة تلك المعالم الحضارية والدينية والتعلم من الماضي لإدراك ما امتازت به أمتنا الإسلامية العربية وغير العربية في مختلف العصور، فزيارة تلك الأماكن تعد بمنزلة موسوعة ثقافية تزيد من علم الإنسان ومعرفته وحجم ثقافته وإدراكه عن الماضي الحاضر، فمن لم يدرك الماضي لا يدرك الحاضر، لأن الماضي أساس الحاضر والمستقبل، والتاريخ كثيرا ما يعيد نفسه، وكم من أمم عاشت وأمم بادت وأمم استمرت وأمم علت وأمم سقطت، وآثارهم مازالت باقية شاهدة على تلك العصور والأحداث والتي هي غيض من فيض.

دعم الاقتصاد وتنشيطه

ومن المهم أن تعمل الجهات المربية كالأسرة والمدرسة والنوادي الصيفية على اصطحاب الأطفال للسياحة الداخلية والخارجية للتعرف على تلك الأماكن، لأن ما يشاهده الإنسان بأم عينه يبقى باقيا في الذاكرة أكثر بكثير مما يقرأه في الكتب، ويزيد من قوة الملاحظة والتركيز ويعمل على تنمية التخيل وتنشيط الدماغ والتفكير، وهذ التعلم هو هدف السياحة الإسلامية المرغوبة والمحبذة والتي تدعم اقتصاد بلادنا الإسلامية.

فالسفر للبلدان الإسلامية من أجل السياحة والترفيه يدعم اقتصاد تلك البلدان وينعشه وهذا أفضل بكثير من دعم البلدان الأجنبية غير المسلمة، فما أحوجنا كمسلمين أن يدعم بعضنا بعضا بدلا من دعم دول غربية وأجنبية غير مسلمة، فمن خلال السياحة في البلاد الإسلامية تنتعش الكثير من القطاعات في البلد كالمطاعم والفنادق والنقل والمستشفيات والمحال التجارية والأسواق ووسائل النقل، ما ينعش اقتصادها ويحسن مستوى الدخل لدى الفرد فيها بدلا من أن نبقى تحت رحمة أعدائنا، فندعم دولنا الإسلامية ونقلل من البطالة ونحسن دخل الفرد، لتتحسن معيشة الفرد المسلم في تلك البلدان.



عايد الجاسم
كاتب وباحث

الثناء.. سر النجاح

عند أول خطأ ينفجر غاضبا، يلوم وينتقد بعبارات عنيفة وألفاظ قاسية، وكأن هذا الخطأ هو مصيبة المصائب التي لا نجاة منها، ومن دون أي إدراك أن الخطأ وارد ويحدث مع أي شخص يعمل، فكما هو معروف أن «من لا يعمل لا يخطئ»، أو بعبارة أخرى «لا يخطئ من لا يعمل».

الأخطاء تواجه غالبا بالنقد والتوبيخ، في حين أن عمل الصواب والإجادة في العمل لا يقابلان بالثناء والمديح، وإن صدرت بعض عبارات الإطراء فإنها تكون بتحفظ شديد، فهل طبيعتنا غير معتادة على توجيه الشكر والامتنان، أم نحن نستسهل النقد ونستثقل الثناء؟! وما تأثير كلمات المدح على الآخرين؟! وما نتائجها المرجوة على صعيد العمل وتحقيق الإنجاز والنجاح؟!

والمدح نوعان: مدح مباح ومحمود، ومدح منهي عنه ومذموم، ولكل منهما أمثلته وصوره التي أوردتها السيرة النبوية.

المدح المحمود هو ما نريد التركيز عليه؛ باعتباره من الأمور التي تنمي الشعور الإيجابي وتحفز على العطاء، ومما يسر النفس ويفرح به الإنسان، سواء صدر من أب لأهل بيته وأولاده أو من مدرس مع طلابه أو من رئيس مع مرؤوسيه.

وتحفل السيرة النبوية الشريفة بأمثلة عدة على المدح المحمود، منها مدح النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: «ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» (رواه البخاري).



وكذلك عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» (رواه مسلم).

الثناء إحدى أدوات رفع المعنويات والتنمية الذاتية وترسيخ السلوك الإيجابي، وهو بمنزلة محفز لمواصلة العمل الحسن والسير في طريق النجاح، وكلما قوبلت الإنجازات والنجاحات بعبارات الإشادة والثناء، فإنها ستؤدي إلى زيادة العطاء وتعزيز الثقة في النفس والحرص على البذل والمنافسة من دون فتور أو ضعف.

اتبع سنة نبينا محمد ﷺ في تعزيز السلوك الإيجابي، واحرص على الثناء وتحفيز الهمة بعبارات تشحن النفس بالعزم على العطاء وتحقيق النجاح وتزيد القوة وتعزز الثقة بالذات، فأحد أسرار النجاح كلمات المديح والإطراء عند قولها لمن يستحقها ليشعر بالرضا والتقدير لما قام به من عمل وما حققه من تطوير وتقدم وإنجاز.



صابر علي عبدالحليم
إمام وخطيب

الإسلام وذوو الاحتياجات الخاصة

القضية بالنسبة للمعاق تعود بالدرجة الأولى إلى ثقافة مجتمع، فلو استطاع المجتمع أن يغير ثقافته وفق تعاليم الدين الحنيف لأمكن للمعاق ألا يشعر بالحرج والتضايق والتذمر من مجتمع يغلب العاطفة غير المنضبطة في تعامله مع المعاق، فهو يكره وبشدة نظرة الإشفاق التي يراها من بعض قليلي الثقافة عن قصد أو غير قصد هو يكره هذه النظرات وتلك التعبيرات العاطفية التي توجه إليه.

إن الله تعالى لم يخلق هذه الطاقات ليؤلمها ويعذبها، وإنما خلقها ليسعدها ما فهمنا ذلك. إن الله ابتلى الصحيح بالمعاق وليس العكس، فكم من أشخاص أصيبوا بإعاقات أثبتوا نجاحات فكانت الإعاقة بالنسبة لهم ليست عجزا وفاقة، وإنما هي إبداع وطاقة.

والإعاقات كما هو معلوم على ثلاثة أنواع: ١- كف البصر. ٢- الصمم. ٣ - الإعاقة الذهنية والتي تعرف في مجال التعليم بالنور والأمل والتربية الفكرية. وهناك إعاقات أخرى نسميها، مثل طفل النشاط الفائض، والحبسة الكلامية، والتلف المخي، والتأخر الدراسي، والإعاقة الحركية، وغيرها مما هو معلوم[١].

المهم كيف لنا أن ننجح كأصحاء مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وفي حالة الفشل نكون نحن المقصرين، لأننا لم نتمكن من أن نقدم لهذه الفئة من الناس ما يحتاجونه لكي تنمو قدراتهم ونبوغهم. فالطفل المعاق يحتاج إلى جهد أكبر، وخبرات أكثر للتعامل معه، فالأطفال الصالحون للتعلم لنا أن نختار لهم منهجا مناسبا مع قدراتهم، نستخدم أحدث الوسائل الممكنة. المشكلة ليست مشكلة المعاق، فالمعاق طاقة.. هذه الطاقة كيف يمكن إدارتها وتوجيهها نحو البناء والتقدم. إن العجز عن تقديم الحلول لكل المشاكل التي تتعرض لها هذه الطاقة أن تخرج إلى النور لتساهم

في تنمية المجتمع هي الإعاقة.
الإنسان ولد بطاقة مكنونة فيه سواء كان صحيحا، أو معاقا فهو في حاجة إلى من يوجه هذه الطاقات إلى ما ينفع الإنسان في حاضره ومستقبله، والمعاق واحد من الذين هم في حاجة إلى ما يوجه طاقتهم نحو الإبداع والتجديد، فلكل شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة ما يناسبه من حلول لمشاكله، فالمكفوف ليس كالأعرج، أو الأصم الأبكم، فكل هؤلاء لهم احتياجات خاصة كل وطلبه، وتعنى كلية علوم الإعاقة بهذا الجانب فكل واحد له ما يناسبه من أعمال.

والنبي الكريم ﷺ يدفع أبناء المجتمع أن يرفعوا من قدر المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. يقول ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» (رواه البخاري) والضعف هنا يتحول إلى قوة إذا ما تم توجيهه، وكأنه يقول ﷺ: عليكم بهؤلاء في رعايتهم ومتابعتهم في أن يقدموا لمجتمعاتهم ما يمكن أن يقدموه فأنتم تكرمون بهؤلاء، وتنصرون إذا وضعتموهم في مقدمة اهتماماتكم ماديا واجتماعيا وخدميا، وهؤلاء إن أرهقوكم فمن وراء هذا الإرهاق الرزق والنصر لكم ولهم. ولم ينظر القرآن إلى المعاق نظرة عجز، بل نظر إليه نظرة احترام وتقدير فهو كالصحيح تماما بتمام عند الدفاع عن الأوطان.

قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (التوبة:٤١).

ومعنى «خفافا وثقالا»: صحاحا ومراضا[٢] والمريض أثقل من ذوي الاحتياجات الخاصة، فكأن ذوي الاحتياجات الخاصة يأخذون رتبة أعلى في دفاعهم عن دينهم وأرضهم وعرضهم فهم يشاركون الأصحاء سواء بسواء. ولعل هذه هي الحالة التي يتعين فيها على الجميع التعبئة العامة عند هجوم الأعداء، وهي التي لم يفرق فيها القرآن بين خفيف وثقيل، وهناك حالة أخرى لم يجد حرجا في أن يبقى الضعفاء والمرضى وذوو الاحتياجات الخاصة في ديارهم، قال الله تعالى:

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:٩١) وهؤلاء يظهر دورهم بعد إعدادهم، وتأهيلهم أن يؤدوا واجبهم حتى في وقت الحرب في توفير الأمن والاستقرار داخل الديار، فمنهم من هو في مدرسته، ومنهم من هو في مزرعته، ومنهم من هو في متجره، ومنهم من هو في مصنعه، ومنهم من هو في خدمة أهله، فهذه الأعمال ومثيلاتها، مصدر ثواب ورحمة لأصحابها، وينمو هذا الثواب كلما نما إخلاص المرء، وكلما راقب الله في حسن أداء ما وكل إليه من عمل، فهو يمثل رصيدا من الحسنات ما اقترن بالنية الصالحة.



مقترحات وتوصيات

١- إنشاء صندوق يرعى شؤون المعاقين ماديا ومعنويا.

٢- أن تتولى إدارة هذا الصندوق قيادة عليا يمكنها أن تتابع أعمال الصندوق أولا بأول وبموضوعية وشفافية.

٣- أن يختار أكفأ المعلمين المهرة والإداريين كي يمكن أن نستفيد من الحركة المالية والإدارية في تقديم الخدمات المادية والمعنوية للمعاقين.

٤- تقديم تقارير دورية بل ويومية عن الحركة التقدمية للمعاق الدراسية والنفسية.

٥- تخصيص برامج إذاعية مرئية ومسموعة للمعاقين لبحث قضايا ومشاكل المعاقين وتقديم حلول لها، مع تخصيص برامج ترفيهية لهم.

٦- سن قوانين تعاقب من يسيء إلى ذوي الاحتياجات الخاصة بالهمز، أو اللمز، أو أي تصرف يؤذي هذه الطاقات.

الهوامش

١- بيل جير هارت، تعليم المعاقين، ص٥٩، ترجمة د. خالد سلامة، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

٢- الكشاف، الزمخشري، الجزء الثاني، ص٣٠٠، المكتبة التوفيقية.



عبدالله خليفة
باحث دراسات إسلامية

الشورى في الإسلام

من القواعد التي أرساها الإسلام ورسخ أصولها مبدأ الشورى.

هذا المبدأ العظيم الذي وثق العرى بين أفراد الأمة وجمع الكلمة بعد تفرق وأذاب الفوارق؛ فعز جانبها، وقويت المحبة بين أبنائها، مربيا فيهم السيادة والزعامة، يقول رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع ومسؤول عن رعيته» (أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما).

ومن واقع المسؤولية يدلي المسلم برأيه كلما طلبت منه المشورة والنصيحة، تخلقا بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى:٣٨)؛ وإيمانا بأن رأي الجماعة لا تشقى الأمة به، وأن رأي الفرد يهلكها ويرديها، ولهذا انتصرت الأمة وارتفعت أعلامها وثبتت أقدامها على طريق الحياة وما كان ذلك إلا بفضل «شورى» أرسيت قواعدها بين أفراد الأمة ووحدت الصف ورسمت الطريق، كل هذا بفضل إرساء مبدأ الشورى الذي استقوا أصوله واستلهموها من معلمهم الأول محمد ﷺ، الذي كان يستشير أصحابه في أمور كثيرة ويشجعهم بالسماع لهم والأخذ برأيهم تحقيقا لقول المولى عز وجل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١).

ولقد كانت مشورته ﷺ فيما لا نص فيه، وفي هذا يقول صاحب تفسير المنار في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: «ولا يمكن أن يكون شورى بين جميع أفراد الأمة، فتعين أن يكون شورى بين جماعة تمثل الأمة، ويكون رأيها كرأي مجموع أفراد الأمة؛ لعلمهم بالمصالح العامة وغيرتهم عليها ولما لسائر أفراد الأمة من الثقة بهم والاطمئنان بحكمهم، بحيث تكون بالعمل به عاملة بحكم نفسها وخاضعة لقلبها وضميرها، وما هؤلاء إلا أهل الحل والعقد الذين تكرر ذكرهم في هذا السياق»[١].

فلم يكن ﷺ يشاورهم في الأحكام؛ لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام.

فالأمور التي فيها نص لم تكن هناك حاجة إلى مشورة فيها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور:٥١).

ومن هنا نرى أنه لم يكن للمشورة صوت بجانب النص، ولقد التزم الصحابة هذا الأسلوب بعد وفاة الرسول ﷺ، فكانوا لا يعملون بالمشورة إذا وجد النص بين أيديهم.

ولم يكن للشورى شكل أو منهج معين، بل تركها حسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة، ولكن الرسول ﷺ وضع القواعد الأساسية بتطبيق الشورى.

وأوجب على المستشار أن يكون أمينا في مشورته فلا يخون ولا يغش ولا يخدع، بل عليه أن يبدي رأيه بصراحة وأمانة وإخلاص، فهي بمنزلة طلب العلم، ولا يجوز للعالم أن يكتم ما علمه الله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ (البقرة:١٥٩-١٦٠).

وأن يتحلى بالشجاعة الأدبية، ولا يكون متخوفا، بل عليه أن يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥).

واستشار الرسول ﷺ أصحابه في غزوة أحد ونزل على رأي أصحابه حتى قال الله تعالى له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

واستشارهم في غزوة الأحزاب وأخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق وأثنى عليه[٢].

وكما استشارهم في السلم والحرب استشارهم في حادثة الإفك وما هو صانع بأهل النفاق.

ولقد نهج الخلفاء ذلك المنهج من بعده ﷺ فكانوا يستشيرون الصحابة إذا عن عليهم أمر ولم يجدوا فيه حكما من كتاب الله أو سنة رسوله.

استشار أبوبكر رضي الله عنه في حروب الردة، واستشار كذلك في تولية عمر الخلافة من بعده؛ خوفا على المسلمين من التفكك والانشقاق[٣].

وكما اتخذ النبي ﷺ ثم أبوبكر ذلك المنهج فقد سلكه عمر من بعدهما وكثيرا ما كان يوصي أصحابه بذلك[٤].

وهكذا نرى أن الإسلام قد حرص على الشورى لما لها من فضل عظيم ونفع على الأمة.

الهوامش

١- تفسير المنار، ج٥، ص:١٦٥.
٢- فتح الباري، (٧/٩٣).
٣- تاريخ الطبري، (٤/٢٣٨).
٤- البداية والنهاية، (٧/١٨).



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث







سلسلة الأعلام المتشابهة (٣٤)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.







المتفق والمفترق في اسم (البقاعي)

١- برهان الدين البقاعي (ت: ٨٥٥هـ):

هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي، مؤرخ، مفسر، محدث، أصله من البقاع في سورية.

ولد بقرية خربا في البقاع سنة: (٨٠٩هـ) ونشأ بها، ثم سكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة.

من مصنفاته: (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران)، و(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، و(الإعلام بسن الهجرة إلى الشام)، و(مصرع التصوف)، و(القول المفيد في أصول التجويد)، و(سر الروح)، و(مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور).

توفي بدمشق[١].

٢- محمود البقاعي الشافعي (ت: ٩٠١هـ):

هو محمود بن علي بن محمد البقاعي الغزي، فرضي، من فقهاء الشافعية.

من مصنفاته: (المنحة البقاعية في شرح التحفة القدسية) في المواريث لابن الهائم[٢].

٣- ياسين البقاعي الحنفي (ت: ١٠٩٥هـ):

هو ياسين بن مصطفى الجعفي البقاعي الدمشقي، الحنفي الماتريدي، فرضي، من فقهاء الحنفية.

نشأ بدمشق وعاش بها، من مصنفاته: (نصرة المتغربين عن الأوطان على الظلمة وأهل العدوان)، و(قرة العين في عمل الخطأين)، و(النبذة السنية في الزيارات الشامية)، و(روض الأنام في فضائل الشام).

توفي بدمشق[٣].

٤- عمر البقاعي الشافعي (ت بعد: ١٢٩٥هـ):

هو عمر بن محمد بركات البقاعي الشامي الشافعي، أديب، فقيه، من أهل البقاع.

من مصنفاته: (حاشية على شرح منظومة له في الاستعارات)، و(فيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك)[٤].

المتفق والمفترق في اسم (ابن بلبان)

١- علاء الدين بن بلبان (ت: ٧٣٩هـ):

هو الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان بن عبدالله الفارسي المصري الحنفي.

ولد سنة: (٦٧٥هـ)، وسكن القاهرة.

من مصنفاته: (المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية)، و(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، و(تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق)، و(تلخيص الإمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد).

توفي بالقاهرة[٥].

٢- شمس الدين بن بلبان (ت: ١٠٨٣هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بدر الدين عبدالقادر ابن عبدالحق بن بلبان الدمشقي الحنبلي، فقيه، أصله من بعلبك.

ولد سنة: (١٠٠٦هـ)، وكان يقرئ في المذاهب الأربعة.

من مصنفاته: (الرسالة في أجوبة أسئلة الزيدية)، و(كافي المبتدئ من الطلاب)، و(عقيدة في التوحيد)، و(بغية المستفيد في التجويد)، و(أخصر المختصرات).

وتوفي بدمشق[٦].

الهوامش

١- انظر: الضوء اللامع (١/١٠١)، والأعلام للزركلي (١/٥٦)، ومعجم المؤلفين (١/٧١).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٧/١٧٨).

٣- انظر: خلاصة الأثر (٤/٤٩٣)، والأعلام للزركلي (٨/١٣٠).

٤- انظر: الأعلام للزركلي (٥/٦٥)، ومعجم المؤلفين (٧/٣٠٨).

٥- انظر: هدية العارفين (١/٧١٨)، والأعلام للزركلي (٤/٢٦٧)، ومعجم المؤلفين (٧/٤٨).

٦- انظر: خلاصة الأثر (٣/٤٠١)، والأعلام للزركلي (٦/٥١)، وتسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (٣/١٥٦٧).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الإكليل

الإكليل

مجلة دورية تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري - تصدرها وزارة الإعلام والثقافة - صنعاء

العدد الأول / السنة الأولى - صفر ١٤٠٠هـ / يناير - كانون الثاني ١٩٨٠م

دولة الكويت • مكتبة مجلة الوعي الإسلامي • وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الإكليل» لتشكل لبنة من مقتنيات «الوعي الإسلامي» النفيسة.

التعريف بـ«مجلة الإكليل»

وهي مجلة يمنية دورية، تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة اليمنية بصنعاء، وقد صدر العدد الأول منها في شهر صفر، سنة ١٤٠٠هـ، الموافق لشهر يناير، سنة ١٩٨٠م.

الهدف من إصدار هذه المجلة

لقد كان لإصدار هذه المجلة عدة أهداف منها:

- أن تكون مجلة متخصصة ثقافية تراثية، حيث تكون وعاء لكل الباحثين والدارسين والمهتمين بشؤون الحضارات والتراث والثقافة اليمنية.
- أن تكون حلقة وصل بين علماء التاريخ من غير اليمنيين.
- تسهيل الصعوبات التي تواجه الدارسين في هذا الميدان من أجل طرح ما لديهم من دراسات ومناقشات وتحاليل ونشرها.
- الاستفادة من كل ما هو جديد من معلومات في مصادر علمية جديدة ومتخصصة.

محتويات المجلة

بما أن هذه المجلة متخصصة في تاريخ وحضارة اليمن فمواضيعها لم تخرج عن هذا التخصص، فكانت تبحث في تاريخ اليمن وثقافته.

وكان من أول مواضيعها في عددها الأول حوار مع العلامة جواد علي، بعدها جاء موضوع بعنوان: اليمن والفلاحة العربية قبل الإسلام، بقلم الدكتور: محمد زهير البابا، ثم الفن العربي قبل الإسلام في اليمن، بقلم: د. عفيف بهنسي، بعده منازل اليمنيين وبيئاتهم في بلاد الأندلس، بقلم: د. محمد رضوان الداية، ثم كتب مطاع الطرابيشي موضوعا ماتعا بعنوان: عمرو بن معد يكرب بين الحقيقة والأسطورة، ثم جاء موضوع بعنوان: الكلمات اليمنية الخاصة، بقلم: مطهر علي الأرياني.. وهكذا تتابعت مواضيع المجلة بين حديث عن الحضارات اليمنية واختلاف ثقافاتها وبعض عظمائها عبر التاريخ، إلى آخر عدد منها، وهو عدد يناير- يونيو، سنة ٢٠١٢م. وستبقى هذه المجلة منبرا للباحثين العرب وغيرهم الذين عشقوا حضارة العرب وبخاصة الحضارة اليمنية.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه المجلة القيمة، حيث جمعت أعدادها في عشرين مجلدا، يحتوي كل مجلد منها على عددين، وهي في متناول قرائها الكرام وللمهتمين بالتاريخ والحضارة العربية.

المصادر

- مجلة الإكليل.



هشام الصباغ
باحث لغوي

بنّاء العقول

الشيخ مناع القطان

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ شخصيته جذابة سمتها الوضوح والنقاء، وروحه شفافة عنوانها التأمل والصفاء.. هدفه يخط وسيلته التي لا يحيد بها أي انحراف أو زيغ عن استقامتها.. مزيات للقرية، حيث الواقع العملي «ازرع تحصد» والطبيعة الخلابة والمجتمع الإسلامي المحافظ والبساطة والأفق الممتد، صبغت بها نشأته.

■ هو ابن الريف المصري، وتحديدا من قرية شنشور، التابعة لمركز أشمون من محافظة المنوفية، وإليها ينسب الشيخ الشنشوري (شارح الرحبية في علم الفرائض)، ولد فيها في أكتوبر من عام ١٩٢٥م/١٣٤٥هـ، لأسرة متدينة متوسطة الحال، محبة للعلم.

■ وهو أحد فرسان الدعوة الإسلامية، ومن أمهر بنائي عقول أبنائها؛ يتعهدهم براعم صغيرة ليجني المجتمع ثمرة زرعه سواعد فتية مؤمنة تعرف واجبها تجاه دينها وأمتها ووطنها.. إنه الشيخ العلامة المربي مناع خليل القطان.

نشأته العلمية.. وحياته العملية

■ كشأن أقرانه في ذاك الزمان، بدأ حياته العلمية من كتاب القرية، الذي حفظ فيه كتاب الله تعالى، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره التحق بالمعهد الديني الأزهري بمدينة شبين الكوم، ثم كلية أصول الدين في القاهرة.

■ في بواكير عمره بدأ نشاطه العملي؛ فانتخب رئيسا لطلبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكان مسؤولا عن النشاط الطلابي في الجامعة؛ يعمل على تهيئة الطلاب وإعدادهم ركائز متميزة ليصبحوا فيما بعد رجالا يحملون هم الدعوة وهم أمتهم.

■ لم يكتف الشيخ، رحمه الله، في أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، بشحذ همم الطلاب وحثهم على الجهاد وإعدادهم لحمل أعبائه، بل شارك متطوعا في قيادة شباب كتائب المتطوعين في الحرب.

إلى السعودية

■ غادر القاهرة عام ١٩٥٣م معارا إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعاهد العلمية، التي استمر فيها إلى عام ١٩٥٨م، ومن ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية.

■ مع افتتاح المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٧هـ، أصبح الشيخ عضوا في مجلسه، ثم أمينا لسر المجلس، ثم مديرا له، ثم صار عضو هيئة التدريس بدرجة أستاذ، ثم مديرا للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد ابن سعود، فضلا عن رئاسته اللجنة العلمية لكلية البنات، كما كان عضوا بلجنة السياسة التعليمية في المملكة.

■ أشرف على رسائل للماجستير والدكتوراه في جامعات محمد

ابن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بلغ عددها ١١٥ رسالة. وكان، رحمه الله، مشرفا على مواد التشريع الإسلامية بكلية قوى الأمن الداخلي، وعضوا في مجلس إدارة مدارس الرياض.

■ مع صدور أمر ملكي بتشكيل لجنة للتعليم بالمملكة بغية وضع سياسة تعليمية يكون من مهامها النظر في مناهج التعليم بمراحله المختلفة، وصياغتها صياغة جديدة تناسب منزلة المملكة في العالم الإسلامي، وتراعي أحدث النظريات والأساليب التربوية، عين فضيلته عضوا فيها، ثم اختارته اللجنة مقررا لها.

شيوخه وتلامذته

■ درس الشيخ على نخبة من علماء عصره، مثل: الشيخ عبدالمتعال سيف النصر والشيخ علي شلبي والشيخ محمد زيدان.. وكثيرين غيرهم، لكن أبرز من تأثر به في تلك الفترة وارتبط به ارتباطا قويا كان الشيخ عبدالرازق عفيفي، الذي شاء الله أن يلتقيه ويصاحبه مرة أخرى في المملكة؛ أستاذا وزميلا وصديقا.

■ كما تتلمذ على يديه علماء وقضاة كثر معاصرون له، منهم: وزير العدل السعودي السابق الدكتور عبدالله آل الشيخ (قال عنه: «درست على يديه في المعهد العلمي، وفي كلية الشريعة»)، والدكتور إبراهيم السماري (قال عنه: «درست على يديه في كلية الشريعة، وأشرف على رسالتي للماجستير والدكتوراه»)، والمفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ (قال عنه: «درست عليه مادة التفسير عندما كنت طالبا في جامعة الإمام محمد بن سعود»).

مؤلفاته

■ كان ملهما، وقلمه مدرارا، وأفكاره تنبع من عين ثرة صافية، فبلغت مؤلفاته رقما كبيرا في موضوعات شتى، منها: تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، وتفسير آيات الأحكام، ومباحث في علوم القرآن الكريم، ونزول القرآن على سبعة أحرف، والتشريع والفقه في الإسلام: تاريخا ومنهجا.. وغيرها كثير.

علم التفسير

■ المتتبع لآثار الشيخ، كتابا أو مقالا أو حديثا أو محاضرة، لا يفوته إدراك ولعه وشغفه بعلم التفسير، ووضوح هذا الاتجاه في مؤلفاته، إذ إن الإيحاءات القرآنية أشد العناصر بروزا في هذه الآثار؛ فالشيخ يجد في القرآن (بوصفه المصدر الأول للتشريع الإسلامي) من الإعجاز التشريعي ما يكفل قيام الحضارة الفاضلة في كل عصر، وبدافع من هذا الحب تولى تدريس التفسير وعلومه منذ تخرجه.

من أقوال الشيخ

- «لكل مجتمع آلامه وآماله التي تنبعث من صميم بيئته، فهو يتطلع إلى مبضع يبرئ سقمه في لطف، ويعيد إليه عافيته، وما لم تلمس موعظة الداعية حقائق مشكلاته؛ يسبر أغوارها، ويشخص علاجها، صم آذانه عن الاستماع إليها».

- «لكل عصر مشكلاته التي تتجدد معه بتجدد الحياة وأفكارها، ونظرة العقل البشري إليها، فالذي يخاطب عصره بمشكلات عصر آبائه وأجداده، أو معضلات بيئته، كالذي يصيح في واد، أو ينفخ في رماد».

- «على كاهل العلماء يقع العبء الثقيل في مسيرة الجيل، والوقوف في وجه التيارات الغازية، واستئناف حياة إسلامية صحيحة».

- «إن الأمة قد ترزأ في اقتصادها، واحتلال أرضها، أو تخلف حياتها، ولكنها تظل أمة حية تنبض بمعاني القوة، ما دامت معتصمة بدينها، مؤمنة بعقيدتها، واثقة بنصر الله لها».

إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمات عدة في المجلة، فكتب تحت عناوين: «رفع الحرج في الشريعة ١» (ع:٤٣، رجب ١٣٨٨هـ/سبتمبر ١٩٦٨م)، «رفع الحرج في الشريعة ٢» (ع:٤٩، المحرم ١٣٨٩هـ/مارس ١٩٦٩م)، «رفع الحرج في الشريعة ٣» (ع:٥٤، جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ/أغسطس ١٩٦٩م)، «الطريق إلى الله» (ع:٥٦، شعبان ١٣٨٩هـ/أكتوبر ١٩٦٩م)، «نشأة الفقه الإسلامي ١» (ع:٦٨، شعبان ١٣٩٠هـ/أكتوبر ١٩٧٠م)، «نشأة الفقه الإسلامي ٢» (ع:٧٠، شوال ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م)، «دروس من الهجرة النبوية» (ع:٩٨، صفر ١٣٩٣هـ/مارس ١٩٧٣م).

وفاته

■ توفي الشيخ مناع القطان، رحمة الله عليه، عن ٧٥ عاما، بعد عمر حافل بالعطاء لدينه وأمته ووطنه، في يوم الاثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠هـ/١٩ يوليو ١٩٩٩م، وصلي عليه في مسجد الراجحي، ودفن في مقابر النسيم بالرياض، بعد مرض عضال أصاب كبده.

المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٤٣، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٦٨، ٧٠ و٩٨.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- المكتبة الشاملة.
٥- أعلام من بلدي.



إعداد / د. تركي محمد النصر

جوامع نوافع

قال رجل لابن مسعود: علمني كلمات جوامع نوافع. فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اعبد الله لا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبا قريبا».

(انظر: الفوائد، ص:١٩٤)

الطاعة والدعاء

قال العلامة شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي رحمه الله: «الطاعة هي سبب سعادة الأبد، والنعيم السرمد، لا سبب سواها، ولا وسيلة إلا إياها، فإذا العباد محتاجون إليها حاجة تقصر دونها الغايات، ولا تدركها النهايات.

والدعاء الذي هو الطلب من الله، والتضرع إليه، وإظهار عز الربوبية وذل العبودية من أقربها طريقا، وأسرعها نجحا، وأهونها كسبا، وأسناها ثمرة، وأعظمها من الله موقعا».

(انظر: المنجيات والموبقات في الأدعية، ص: ٦٨)

من وصايا الأطباء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «في وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة: أن يمشي بعد العشاء خطوات، ولو مائة خطوة، ولا ينام عقبه؛ فإنه مضر جدا، أو يصلي عقيبه ليستقر الغذاء بقعر المعدة، فيسهل هضمه، ويجود بذلك».

(انظر: زاد المعاد، ٤/٢٠٥)

القراءة عندنا سخرة

وصف العلامة العقاد رحمه الله القراءة في زماننا بقوله: «إن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة الحاضرة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود».

(انظر: سلسلة مقالات العقاد النادرة، ٣/٧٢)

مشاركة: يعقوب الجناع

أخلاق العلماء في الفتيا

قال العلامة الآجري في وصفه لأخلاق العلماء: «وأما ما يستعمل مع من يسأله عن العلم والفتيا، فإن من صفته إذا سأله سائل عن مسألة فإن كان عنده علم أجاب، وجعل أصله أن الجواب من كتاب أو سنة أو إجماع. فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد فيها، فما كان أشبه بالكتاب والسنة والإجماع، ولم يخرج به من قول الصحابة وقول الفقهاء بعدهم قال به، إذا كان موافقا لقول بعض الصحابة وقول بعض أئمة المسلمين قال به. وإن كان رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين حتى يخرج عن قولهم لم يقل به، واتهم رأيه، ووجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه أو مثله، حتى ينكشف له الحق، ويسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٥)

صاحب الذوق السليم

قال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله: صاحب الذوق السليم:

- ❖ مزاجه مستقيم.
- ❖ طبعه وزان، وفيه أنواع الإنسان.
- ❖ يتخذ التواضع سنة، والعطاء من غير منة، والعفو عند المقدرة، والتغفل عن المعيرة.
- ❖ كريم طروب، قليل العيوب.
- ❖ كثير المزاح، جميع خصائله ملاح، ومنادمته آلف من الراح.
- ❖ صاحب الأصحاب، حبيب الأحباب.
- ❖ مكمل الذات، مليح الصفات ليس بقتات.
- ❖ يواسيك ويسليك، ويتوجع إليك.
- ❖ يعظك ويتحفك بعلمه وماله، ولا يحوجك إلى سؤاله.
- ❖ ينظر إلى المضطر بعين الفراسة، ويواسيه بكياسة.
- ❖ رجل همام، والسلام.

(انظر: صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، ص: ٢٥)

عيون الأخبار

قال العلامة ابن قتيبة رحمه الله واصفا كتابه (عيون الأخبار): «فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، فهو دال على معالي الأمور، مرشد لكريم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناه عن القبيح، باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض، وليس الطريق إلى الله واحدا، ولا كل الخير مجتمعا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة، وأبواب الخير واسعة، وصلاح الدين بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير، وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة، ولأهل العلم تذكرة، ولسائر الناس مؤدبا، وللملوك مستراحا من كد الجد والتعب... وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين».

(انظر: عيون الأخبار: ٤٢/١)

كراهة الموت

قال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: ما بالنا نكره الموت؟ فقال: «لأنكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران».

(انظر: درر الحكم لأبي منصور الثعالبي: ص: ٢٦)



إعداد: التحرير



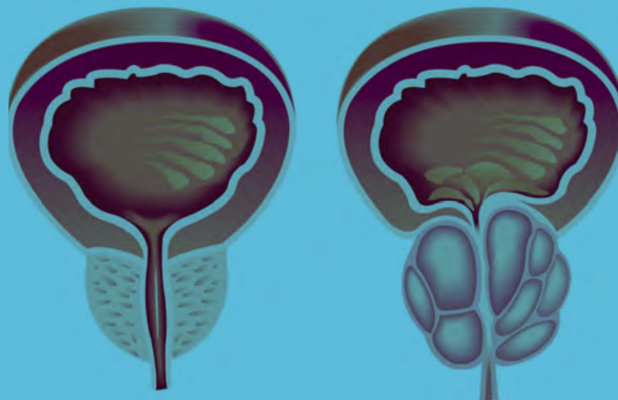
البروستاتا.. غدة تؤرق الرجال

غدة البروستاتا جزء من الجهاز التناسلي الذكري، وإفرازاتها تمثل مكونا مهما من مكونات السائل المنوي، هذه الغدة تمثل مشكلة لبعض الرجال مع تقدم العمر.

يقول الدكتور رومينز أستاذ التشريح بجامعة إدنبرج: البروستاتا يابسة Firm، وتمتلك كبسولة رقيقة من نسيج ليفي عضلي، لكنها أيضا محاطة بغلاف فضفاض من اللفافة الحوضية الحشوية التي تنفصل عن الكبسولة من الأمام والجانبين بواسطة الضفيرة الوريدية البروستاتية، هذه الضفيرة تصرف الدم من البروستاتا والمثانة والوريد الظهري العميق للقضيب. في البالغين وظيفة البروستاتا إفراز سائل يكون جزءا من السائل المنوي، ويمد الحيوانات المنوية بوسيلة انتقال ووسط غذائي.

وعن التهاب البروستاتا يقول الدكتور ولتر ستام، أستاذ الباطنة والوبائيات بجامعة واشنطن: مصطلح التهاب البروستاتا يشير إلى حالات التهابية متنوعة تؤثر في البروستاتا، تشمل العدوى الحادة والمزمنة ببكتيريا معينة. وفي حالات أكثر شيوعا يحدث التهاب البروستاتا من دون وجود ميكروبات معينة يمكن رصدها، وهذه الحالات يطلق عليها «بروستاتوزس». المرضى الذين يعانون من التهاب البروستاتا يعانون من ألم أسفل الظهر، وعدم ارتياح في منطقة العجان والخصيتين، وأقل شيوعا ألم خفيف مصاحب للتبول. وجود خلايا صديدية في البول، أو خلايا الدم الحمر، من دون وجود أي شاهد على وجود مرض تناسلي بولي قد يكون المظهر الأول للمرض البروستاتي، ومثل هؤلاء المرضى قد يستجيبون لتدليك البروستاتا، وحمام القعود الدافئ، أما العلاج بالمضادات الحيوية فله نتائج متفاوتة.

وعن تضخم البروستاتا الحميد يقول الدكتور جاروت آلن، أستاذ الجراحة بجامعة ستانفورد: بعد سن الخامسة والأربعين إلى سن الخمسين يحدث فرط تنسج للغدد والعضلات الملس التي تتكون منها غدة البروستاتا، هذا النمو غير الطبيعي يضغط على أنسجة البروستاتا الطبيعية تجاه الكبسولة الليفية، مكونا ما نسميه الكبسولة الجراحية.



وعن سرطان البروستاتا يقول الدكتور مارفن تورك، أستاذ الطب بجامعة واشنطن: في الرجال الذين تتجاوز أعمارهم الخامسة والخمسين عاما يمثل سرطان البروستاتا السبب الثالث للوفاة الناتجة عن السرطان، بعد سرطان الرئة وسرطان القولون. معدل الإصابة بسرطان البروستاتا يختلف من مكان لآخر في العالم، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يتسبب سرطان البروستاتا في وفاة أربعة عشر شخصا من كل مئة ألف من السكان سنويا، وفي السويد يتسبب في وفاة اثنين وعشرين من كل مئة ألف، وفي اليابان يتسبب في وفاة اثنين فقط من كل مئة ألف، لكن اليابانيين الذين يهاجرون إلى الولايات المتحدة الأميركية يصابون بنفس المعدل الذي يصاب به الأميركيون، أي إن العوامل البيئية هي السبب الرئيسي في معدل الإصابة. بعض سرطانات البروستاتا تكون بطيئة النمو، وقد تستمر لمدة طويلة من دون أن تسبب أعراضا ذات أهمية، بينما أنواع أخرى من سرطان البروستاتا تكون عدوانية، وليس من المعروف ما إذا كانت الأورام من الممكن أن تكون أكثر سرطانية مع الوقت أم لا.

د. يحيى محمود سنبل
طبيب وكاتب

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







مفتاح القلوب

المهاداة والتهادي سلوك اجتماعي راق، عنوانه مد جسور المحبة بأشكالها المختلفة. نظام قديم عرف منذ نشأة العلاقات الإنسانية؛ هو قانون الله وسنته في تأليف القلوب بين الناس.

دعوة تربوية تغلق باب الشبهات في القلوب لما لها من أثر عميق في النفس، تفعل ما لا تفعله الخطب والمواعظ. رسول مباشر إلى القلوب يدخل إليها من دون استئذان فيأسرها، ويجعل المشاعر تجيش بالمودة، وتستشعر بالرفق والمحبة.

فعادة ما ينشغل المرء عن ترجمة حبه وتقديره للآخرين، أو يجد نفسه في وضعية المربك والمحرج، يبقى السبيل التسلح بأخلاق «التهادي»؛ التي حض عليها عليه أفضل الصلاة والسلام: «تهادوا تحابوا» (صحيح البخاري). فمن خلالها تظفر بالقلوب، وتزيدك وصالا من أقرب الناس. تزرع في الضمير ودا، تقرب البعيد، وتصل المقطوع، وتشق الطريق نحو نتائج إيجابية، حياة طبيعية خالية من التشاحن.

د. جميلة مرابط
كاتبة وباحثة



أسعد الناس

أسعد الناس هو من يحسن معاملة الناس، فيبسط وجهه لهم، ويحسن إليهم، ويقدم لهم الخير، ويجتنب سوء الظن بالناس، ويدفع أذى الآخرين بالتي هي أحسن، ويحلم على من أساء إليه؛ فيعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، يقول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستأسر قلوبهم
فطالما استأسر الإنسان إحسان
وكن على الدهر معوانا لذي أمل
يرجو نداك فإن الحر معوان

اللهم اجعلنا من السعداء الذين يسعدون الناس.. آمين.

د. محمد عباس عرابي
باحث تربوي

السكينة المنشودة

أصبحت الحاجة ملحة للسكينة في عصر متسارع مضطرب متشابك الأحداث، وكلما زادت وتيرة أحداثه سرعة، انعكس ذلك سلبا على النفوس تبعا لاستجابتها لهذه الأحداث وتأثرها بها.

والسكينة المنشودة هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إليه، وهي الطمأنينة والوقار والسكون التي ينزلها الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف؛ فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات، وهي منحة ربانية أخبر الله سبحانه عن إنزالها على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب؛ كيوم الهجرة، إذ هو وصاحبه في الغار والعدو فوق رؤوسهم، وكيوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار لا يلوي أحد منهم على أحد، وكيوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار فيهم ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفوس ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:١٨).

كمال عبدالهادي ربيع
باحث دراسات إسلامية

مسك الختام

الجمعة.. يوم عيد

أصلي الفجر في جماعة وأقعد للذكر وقراءة القرآن حتى تطلع الشمس فأصلي صلاة الضحى ثم أرقد بعض الوقت، وأفتح عيني الساعة التاسعة صباحا، مستبشرا مبتسما، منشرح الصدر، ضاحك الثغر، أرى النور والبشر حولي في كل مكان، والنفحات الطيبة المباركة تملأ الحياة حولي.. إنه يوم الجمعة المبارك. إنه يوم الفطرة الذي هديت إليها أمة الإسلام وضل عنها أهل الكتاب قبلنا.. أنتظره بلهفة وشوق من أسبوع إلى أسبوع.. قلبي ينبض بالفرح والبشر، يبرز على وجهي جليا، أشم رائحة طيبة وأكاد أرى بركات السماء تهبط على الأرض فتملأها سكينة وتنشر فيها الرحمة.

أشغل الجهاز على أحاديث وآثار فضائل الجمعة التي جمعتها قبل من عدة مصادر، فتنطلق الآيات والأحاديث المباركة تملأ بيتي بأصوات القراء الأطهار الأبرار، فذلك يتلو بصوته العذب الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الجمعة:٩)، وذلك يتلو الحديث الشريف بصوته الشجي: «عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» (أخرجه البيهقي وصححه الألباني)، وآخر يذكر الحديث الشريف بصوته الرخيم: «عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة» (أخرجه مسلم)، وذلك يذكرنا بصوته الجميل الحديث الشريف: عن ابن عمر رضي الله عنهما عن حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «رواح الجمعة واجب على كل محتلم» (أخرجه النسائي وحسنه الألباني).

ما أجمل هذه الأصوات إنها تأخذني إلى زمن سيد المرسلين وصحابته الأخيار.. أكاد أرى النبي الكريم ﷺ وهو يعتلي منبره الشريف ويخطب يوم الجمعة في صحابته الكرام حيث يقرأ سورة (ق) كل يوم جمعة، وهو يأمر الناس بالصدقة، وهو يصلي في أصل المنبر كي يعلم الناس صلاته، وهو يأمر سليكا الغطفاني «قم فاركع ركعتين» بعد أن جلس دون أن يصلي.. إنه شعور إيماني نبيل عميق.

كان فرحي كبيرا عندما فوجئت بصغيري يردد حديثا سمعه من أحاديث الجمعة.. لقد حفظه صغيري من كثرة ترداده كالجمعة.. إنها سنة مباركة تمتد للأبناء والأحفاد، وتربطهم بخير هذا اليوم.

تصحو أسرتي على هذه النغمات الربانية والنفحات العطرة النبوية.. إنه يوم عيد «عيد في السماء وعيد في الأرض».. أجهز صغيري للذهاب معي للصلاة بالثياب البيض العطرة، وفي الطريق نكثر من الصلاة على نبينا الكريم ﷺ، ونصل إلى المسجد، أراه يتلألأ نورا وضياء، إنه يبتسم لي، أسمع بقلبي صوت الترحيب، أجلس في الصف الأول أصلي ما كتب لي، ثم أبدأ بتلاوة سورة الكهف.. إنها شعائر الله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢). يأتي الخطيب وتبدأ الخطبة المباركة، إنه ذكر الله، ينطلق يملأ المكان حولي، التهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ، الحمد والتسبيح والاستغفار، الترغيب والترهيب وأحكام الله، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات وأمة الإسلام، ثم الصلاة، ثم العودة إلى المنزل، بعد أن انتعشت القلوب وحيت بذكر الله وأخذت وجبتها وطعمتها الإيمانية الأسبوعية على أمل العودة مرة أخرى.

قبل المغرب بساعة، تجتمع الأسرة كبارا وصغارا للصلاة على النبي ﷺ متوضئين طاهرين راغبين إلى رب العالمين مستقبلي القبلة.. إنها ساعة الإجابة، إنها ساعة السكينة، ساعة التعبد، كلٌ يدعو بما يرجوه من ربه، بخير الدنيا والآخرة.

وينتهي اليوم المبارك، والقلب يودعه أسبوعا كاملا على أمل اللقاء بلهفة وشوق.

أحمد عبدالعزيز سلامة
باحث دراسات إسلامية



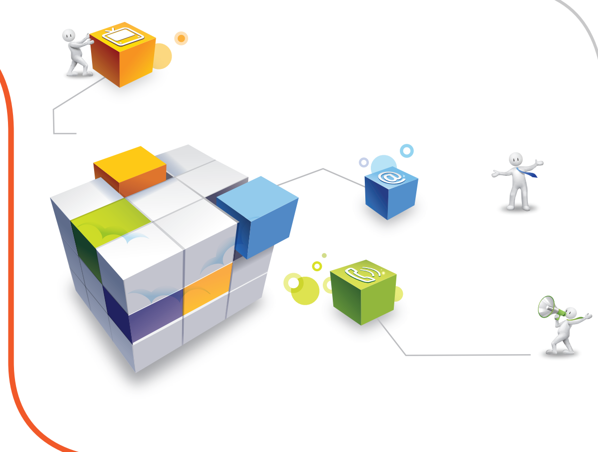












www.alwaeialshababy.com



www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: فهد الخزّي




Shabab alwaei


@alwaeialshababy

alwaeiq8@gmail.com






الرسول في عيونهم

فلاش يلخص آراء الفلاسفة والمفكرين المستشرقين
المنصفين في خير النبيين والمرسلين .. فماذا قالوا في حقه ؟

 @kwt_awqaf  @kwt_awqaf  Kwt.awqaf

العدد ٦٥٢ - السنة ٥٦ - ذوالحجة ١٤٤٠هـ - أغسطس ٢٠١٩م